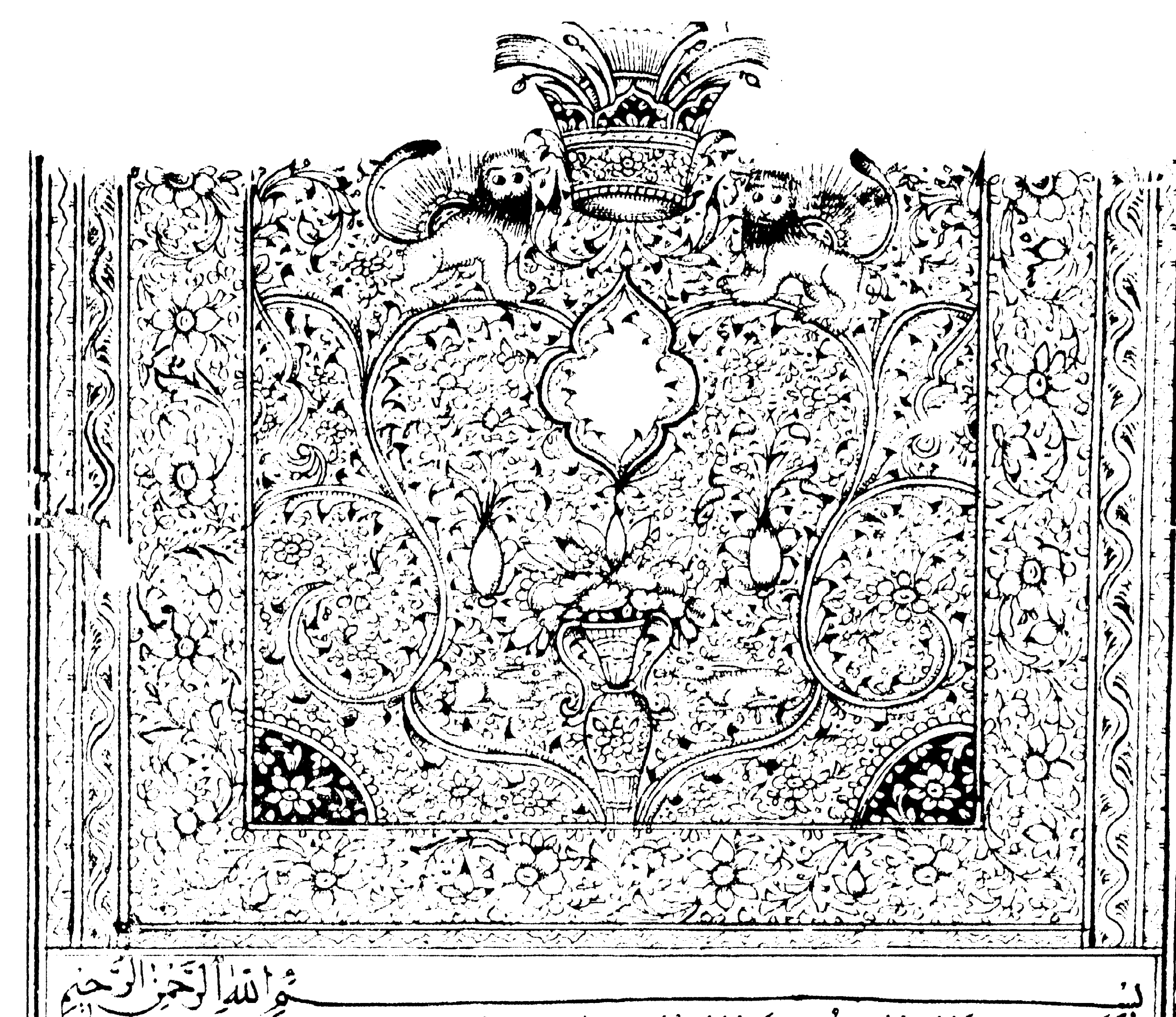


بسم الله الرحمن الرحيم

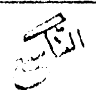
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله
يحكم ما يريد يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنئان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل
السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن
اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم
من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه و
اتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل
لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد
حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وايديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان
كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم
به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا ايها الذين امنوا
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب
للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم

إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

القراءة ولا يجرمنكم بالنون الخفيفة رويس عن يعقوب والباقون مثقلة شنآن في الموضعين بسكون النون ابن عامر وإسماعيل وأبو بكر وحماد ويزيد من
طريق ابن وردان الباقون بالفتح أن صدوكم بكسر الهمزة ابن كثير وأبو عمرو والباقون بالفتح ولا تعاونوا بتشديد التاء البزي وابن فليح الميتة ومن اضطر كما مر
في البقرة واخشوني بالياء في الوقف سهل ويعقوب وأرجلكم بالنصب ابن عامر ونافع وعلي والمفضل وحفص ويعقوب والأعشى في اختياره والباقون بالجر
الوقوف بالعقود ط لاستئناف الفعل حرم ط ما يريد ورضوانا ط لابتداء نهي أن تعتدوا م لئلا يتوهم العطف وحذف التاء من تعاونوا والتقوى ص لعطف المتفقتين
والعدوان ص كذلك واتقوا الله ط شديد العقاب بالأزلام ط فسق ط واخشون ط دينا لأن الشرط من تمام التحريم لا مما يليه لإثم لأن ما بعده جزاء رحيم ماذا أحل لهم ط لتمام
السؤال والجواب الطيبات ط للعطف أي وصيد ما علمتم مما علمكم الله لفاء التعقيب مع عطف الجملتين عليه واتقوا الله ط الحساب الطيبات ط لأن بعده
مبتدأ لكم ط لعطف المتفقتين لهم ز لأن قوله والمحصنات عطف على وطعام الذين لا على ما يليه خدان ط عمله لعطف المختلفتين مع أن ما بعده من تمام جزاء الكفر
يعني الخاسرين الكعبين ط لابتداء حكم فاطهروا ط كذلك وأيديكم منه ط تشكرون واثقكم به لأن إذ ظرف المواثقة وأطعنا ط لعطف المتفقتين مع وقوع العارض اتقوا
الله ط الصدور بالقسط ط لعطف المتفقتين مع زيادة نون التأكيد المؤذن بالابتداء ألا تعدلوا ط اعدلوا ط للاستئناف هو أقرب للتقوى ز لطيفة لأن الضمير مبتدأ مع
شدة اتصال المعنى للتقوى ز واتقوا الله ط بما تعملون الصالحات لا لأن ما بعده مفعول الوعد عظيم الجحيم أيديهم عنكم ج لاعتراض الظرف بين المتفقتين
واتقوا الله ط المؤمنون التفسير وفى بالعهد وأوفى بمعنى والعقد وصل الشيء بالشيء على سبيل الاستيثاق والإحكام والعهد إلزام مع إحكام والمقصود من الأمر
بالعقود أداء التكاليف فعلا وتركا والتحقيق أن الإيمان معرفة الله بذاته وصفاته وأحكامه وأفعاله ثم كأنه قيل يا أيها الذين التزمتم بإيمانكم أنواع العقود
أوفوا بها ومعنى تسمية التكاليف عقودا أنها مربوطة بالعباد كما يربط الشيء بالشيء بالحبل الموثوق قال الشافعي إذا نذر صوم يوم العيد أو نذر ذبح الولد
لغا قوله لأنه نذر في معصية الله وقال أبو حنيفة يجب عليه الصوم والذبح لقوله أوفوا بالعقود غايته أنه لغا هذا النذر في خصوص كون الصوم واقعا
في يوم العيد وفي خصوص كون الذبح في الولد وقال أبو حنيفة خيار المجلس غير ثابت لقوله أوفوا بالعقود وخصص الشافعي عموم الآية بقوله المتبايعان كل واحد
منهما بالخيار ما لم يتفرقا وقال أبو حنيفة الجمع بين الطلقات حرام لأن النكاح من العقود بدليل ولا تعزموا عقدة النكاح وقال أوفوا بالعقود ترك العمل
في الطلقة الواحدة بالإجماع فيبقى ما بعدها على الأصل والشافعي خصص هذا العموم بالقياس وهو أنه لو حرم الجمع لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم ثم إنه سبحانه لما مهد
القاعدة الكلية ذكر ما يندرج تحتها فقال أحلت لكم بهيمة الأنعام والبهيمة كل حي لا عقل له من قولهم استبهم الأمر إذا أشكل وهذا باب مبهم أي مسدود
ثم خص هذا الاسم بكل ذات أربع في البر والبحر والأنعام هي المال الراعية من الإبل والبقر والغنم قال الواحدي ولا يدخل في اسم الأنعام الحافر لأنه مأخوذ من نعومة
الوطء وإضافة البهيمة إلى الأنعام للبيان مثل خاتم فضة بتقدير من وفائدة زيادة لفظ البهيمة مع صحة ما لو قيل أحلت لكم الأنعام كما قال في سورة الحج هي فائدة
الإجمال ثم التبيين وإنما وحد البهيمة لأنها اسم جمع يشمل أفرادها وجمع الأنعام لأن النعم مفرده يقع في الأكثر على الإبل وحدها وقيل المراد بالبهيمة شيء و
بالأنعام شيء آخر وعلى هذا فوجهان أحدهما أن البهيمة الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنه أراد ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس الأنعام في الاجترار
وعدم الأنياب فأضيفت إلى الأنعام لملابسة الشبه الثاني أنها الأجنة عن ابن عباس أن بقرة ذبحت فوجد في بطنها جنين فأخذ ابن عباس بذنبه وقال
هذه بهيمة الأنعام وعن ابن عمر أنها أجنة الأنعام وذكاته ذكاة أمه قالت التناسخية ذبح الحيوانات إيلام والإيلام قبيح وخصوصا إيلام من بلغ في العجز والحيرة
إلى حيث لا يقدر أن يدفع عن نفسها ولم يكن لها لسان يحتج على من يقصد إيلامه والقبيح لا يرضى به الإله الرحيم الحكيم فلا يكون الذبح مباحا حلالا ولقوة هذه
الشبهة زعم البكرية من المسلمين أنه تعالى يدفع ألم الذبح عن الحيوانات وقالت المعتزلة إن الإيلام إنما يقبح إذا لم يكن مسبوقا بجناية ولا ملحوقا بعوض وههنا
يعوض الله سبحانه ويتم هذه الحيوانات بأعواض شريفة فلا يكون ظلما وقبيحا كالفصد والحجامة لطلب الصحة وقالت الأشاعرة الإذن في ذبح الحيوانات تصرف
من الله تعالى في ملكه فلا اعتراض عليه لذا قال إن الله يحكم ما يريد قال بعضهم أحلت لكم بهيمة الأنعام مجمل لاحتمال أن يكون المراد إحلال الانتفاع بجلدها
أو عظمها أو صوفها أو بالكل والجواب أن الإحلال لا يضاف إلى الذات فتعين إضمار الانتفاع بالبهيمة فيشمل أقسام الانتفاع على أن قوله والأنعام خلقها
لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون يدل على الانتفاع بها من كل الوجوه إلا أنه لحق بالآية نوعان من الاستثناء الأول قوله إلا ما يتلى عليكم أي إلا محرم
ما يتلى عليكم أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه وأجمع المفسرون على أن الآية قوله بعد ذلك حرمت عليكم الميتة والدم والثاني قوله غير محلي الصيد وأنتم حرم
داخلون في الحرم أو في الإحرام قال الجوهري رجل حرام أي محرم والجمع حرم مثل قذال وقذل وقيل مفرده يستوي فيه الواحد والجمع كما يقال قوم جنب وانتصاب
غير محلي على الحال من الضمير في لكم أي أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد في حالة الإحرام وفي الحرم ثم كان لقائل أن يقول ما السبب في إباحة الأنعام في جميع
الأحوال وإباحة الصيد في بعض الأحوال فقيل إن الله يحكم ما يريد فليس لأحد اعتراض على حكمه ولا سؤال لم وكيف ثم أكد النهي عن مخالفة تكاليفه بقوله
يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الأكثرون على أنها جمع شعيرة فعيلة بمعنى مفعلة وقال ابن فارس واحدها شعارة ثم المفسرون اختلفوا على وجوه
أحدها أنها عامة في جميع التكاليف ومنه قول الحسن شعائر الله دين الله والثاني أنها شيء خاص من التكاليف قيل المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم
في حال الإحرام من الصيد وقيل الأفعال التي هي علامات الحج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعي والحلق والنحر قال الفراء كانت عامة العرب يرون الصفا



او دين شعائر الحج فهو اعز اركان الشرع بل نهايته وقال ابو عبيدة الشعائر الهدايا التي يطعن في سنامها ويقلد ليعلم انها هدي قال ابن عباس ان الحطم واسمه
شريح بن ضبيعة الكندي اتى النبي صلى الله عليه وسلم من اليمامة الى المدينة فخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي فقال له الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان
لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي بهم وقد كان النبي قال لاصحابه يدخل عليكم
رجل يتكلم بلسان شيطان ثم خرج من عنده فلما خرج قال رسول الله لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبى غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه
فطلبوه فعجزوا عنه فلما خرج رسول الله عام القضاء سمع تلبية حجاج اليمامة فقال لاصحابه هذا الحطم واصحابه وكان قد قلد ما نهب من سرح المدينة
واهداه الى الكعبة فلما توجهوا في طلبه انزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يريد ما اشعر لله وان كانوا على غير دين الاسلام وقال
زيد بن اسلم كان رسول الله واصحابه بالحديبية حين صدهم المشركون وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال اصحاب رسول
الله نصد هؤلاء عن البيت كما صدنا اصحابهم فانزل الله لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام
يوما ناصبين اياه والمعنى لا تعتدوا على هؤلاء العمار لان صدوكم اصحابهم فالشهر الحرام شهر الحج اعني ذي الحجة او المراد رجب وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وعبر عنها بلفظ الواحد اكتفاء باسم الجنس اي لا تحلوا القتال في هذه الاشهر والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك جمع
هدية والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر الحرم والمراد لا تحلوا ذوات القلائد من الهدي افرد للاختصاص بالفضل مثل
وجبريل وميكائيل ويحتمل ان ينهى عن التعرض للقلائد ليلزم النهي عن ذوات القلائد بالطريق الاولى كقوله ولا يبدين زينتهن فانه نهي عن ابداء الزينة
مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها وللمفسرين خلاف في الاية فذهب كثير منهم كابن عباس ومجاهد والحسن والشعبي وقتادة الى انها منسوخة وذلك ان المسلمين
والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى المسلمون ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله وهؤلاء فسروا ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على شيء من الدين وان الحج يقربهم
الى الله فوصفهم الله بظنهم وقال الاخرون انها محكمة وانه تعالى امر ان لا يخيف من يقصد بيته من المسلمين بدليل قوله يبتغون فضلا من الله اي ثوابا ورضوانا
وان يرضى عنهم وهذا انما يليق بالمسلم لا بالكافر وقال ابو مسلم المراد بالاية الكفار الذين كانوا في عهد رسول الله فلما زال العهد بسورة براءة زال
ذلك الحظر واذا حللتم فاصطادوا ظاهر الامر للوجوب الا انه يفيد ههنا الاباحة لانه لما كان المانع من حل الاصطياد هو الاحرام لقوله غير محلي
الصيد وانتم حرم فاذا زال الاحرام رجع الى اصل الاباحة ولا يجرمنكم معطوف على لا تحلوا وجرم بمعنى كسب من حيث المعنى ومن حيث تعديه الى مفعول
واحد تارة والى مفعولين اخرى تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه وهذا هو المذكور في الاية الشنآن بالتحريك والتسكين مصدر شنئته
اشنأه وكلاهما شاذ فان التحريك شاذ في المعنى لان فعلان من بناء الحركة والاضطراب كالضربان والخفقان والتسكين شاذ في اللفظ لانه لم يجئ شيء من
المصادر عليه قاله الجوهري ومعنى الاية لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء لا يحملنكم بغضهم على الاعتداء وقوله ان صدوكم من قرأ بكسر الهمزة فهو شرط
وجوابه ما دل عليه لا يجرمنكم ومن قرأ بفتح ان فمعناه التعليل اي لان صدوكم ومثل هذه القراءة اولى لان المراد منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية
عن العمرة والسورة نزلت بعد الحديبية وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء وعلى كل ما يعد برا وتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
على الانتقام والتشفي او على كل ما يورث الاثم والتجاوز عن الحد والحاصل ان الباطل والاثم لا يصلح لان يتمسك به ويعان عليه انما اللائق بالاسلام التعاون
عليه هو الخير والبر وما فيه تقوى الله سبحانه وتعالى ثم بالغ في هذا المعنى بقوله واتقوا الله اي في استحلال محارمه ان الله شديد العقاب ثم شرع في تفصيل
الاستثناء الموعود بقوله الا ما يتلى عليكم فقال حرمت عليكم الميتة الاية والمجموع المستثنى احد عشر نوعا الاول الميتة كانوا يقولون انكم
تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله قال العلماء الحكمة في تحريم الميتة ان الدم جوهر لطيف فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس الدم في عروقه وتعفن
فيحصل من اكله مضار كثيرة الثاني الدم كانوا ياكلون الفصيد هو دم كان يجعل في معا من فصد عرق ثم يشوى ويطعم الضيف في الازمة ومنه المثل لم
يحرم من فصد له البعير وربما يقال من فزد له الثالث لحم الخنزير قالوا لما كان الغذاء يصير جزءا من جوهر المغتذي لا بد ان يحصل للمغتذي اخلاق وصفات من جنس
ما كان حاصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على الحرص والشره فحرم اكله لئلا يتكيف الانسان بكيفيته واما الغنم فانها في غاية السلامة وكانها عارية
عن جميع الاخلاق فلا يتغير من اكلها احوال الانسان الرابع ما اهل لغير الله به والاهلال رفع الصوت كانوا يقولون عند الذبح باسم اللات
والعزى وقد مر في سورة البقرة سائر ما يتعلق بهذه الانواع الاربعة فلنرجع الى الخامس المنخنقة كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت اكلوها
وقد تنخنق بحبل الصائد وقد يدخل راسها بين عودين في شجرة فتنخنق فتموت وبالجملة فبأي وجه اختنقت فهي حرام السادس الموقوذة وهي المقتولة بالخشب
وقذها يقذها اذا ضربها حتى ماتت ومنها ما رمي بالبندق السابع المتردية التي تقع في الردى وهو الهلاك وتردى اذا وقع في بئر او سقط من موضع
مرتفع ويدخل فيه ما اذا اصابه سهم وهو في الجبل فسقط على الارض فانه يحرم اكله لانه لا يعلم انه زهق روحه بالتردي او بالسهم الثامن النطيحة التي نطحتها
اخرى فماتت بسببه ولا يخفى ان هذه الاقسام الاربعة داخلة في الميتة دخول الخاص في العام فافردت بالذكر لمزيد البيان والهاء في المنخنقة والموقوذة
والمتردية والنطيحة لانها صفات للشاة بناء على الاغلب فما ياكله الناس والا فالحكم عام وانما اثبت في النطيحة مع ان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله الهاء كقولهم
كف خضيب ولحية دهين وعين كحيل لان الموصوف غير مذكور تقول رأيت امرأة قتيل فلان فاذا حذفت الموصوف قلت بقتيلة فلان لئلا يقع الاشتباه



التاسع ما أكل السبع وهو اسم يقع على ما له ناب يعدو على الانسان ويفترس الحيوان كالأسد وما دونه قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئا فقتله واكل بعضه اكلوا ما بقي فحرمه الله وفي الآية حذف التقدير وما اكل منه السبع لان ما اكل السبع فقد فني ولا حكم له وانما الحكم للباقي قوله الا ما ذكيتم الذكاء في اللغة تمام الشيء ومنه الذكاء في الفهم وفي السن لتمام فيهما والمذاكي الخيل التي قد اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان وتذكية النار رفعها وقوة اشتعالها والتذكية كمال الذبح اما المستثنى منه فعن علي وابن عباس والحسن وقتادة انه جميع ما تقدم من قوله والمنخنقة الى قوله وما اكل السبع المعنى انك ان ادركت ذكاته بان وجدت له عينا تطرف او ذنبا يتحرك او رجلا تركض فاذبح فهو حلال لانه لولا بقاء الحيوة المستقرة وقيل انه مختص بقوله وما اكل السبع وقيل انه استثناء منقطع من المحرمات كانه قيل لكن ما ذكيتم من غير هذا فهو حلال ومن النحويين من قال حرم عليكم ما مضى الا ما ذكيتم فانه لكم حلال العاشر ما ذبح على النصب هو مفرد وجمعه انصاب كطنب واطناب هو كل ما نصب فعبد من دون الله قال الجوهري ضعف بانه يكون كالتكرار لقوله وما اهل لغير الله به وقال ابن جريج النصب ليست باصنام فان الاصنام احجار مصورة منقوشة وهذه النصب حجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للاصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويشرحون اللحوم عليها فالمراد ما ذبح على اعتقاد تعظيم النصب ويحتمل ان يكون الذبح للاصنام واقعا عليها وقيل النصب جمع انصاب كحمر وحمار ولنصب كسقف وسقف الحادي عشر ما ابدعه اهل الجاهلية وان لم يكن من جملة المطاعم اي حرم عليكم ان تستقسموا بالازلام وانما ذكر مع الذبح على النصب لانهم كانوا يفعلون كلا منهما عند البيت كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا آخر من معاظم الامور ضرب القداح وكانوا قد كتبوا على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وتركوا بعضها غفلا اي خاليا عن الكتابة فان خرج الامر اقدم على الفعل وان خرج النهي امسك وان خرج الغفل اعاد العمل فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة الخير والشر بواسطة ضرب القداح وقال كثير من اهل اللغة الاستقسام ههنا هو الميسر المنهي عنه والازلام قداح الميسر التي كيلت وقد على التسوية والاجازة يقال ما احسن ما قسم سهمه اي سواه وجعله زلما اذا كان مخفف الهيئة وامراة مزلمة اذا لم تكن طويلة ذلكم فسق اشارة الى جميع ما تقدم من المحرمات اي تناولها فسق ويحتمل ان يرجع الى الاستقسام بالازلام فقط وكونه فسقا بمعنى الميسر ظاهر واما بمعنى طلب الخير والشر فوجهه انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم ويعتقدون ان ما خرج من الامر والنهي هو ارشاد الاصنام واعانتها فلذلك كان فسقا وكفرا وقال الواحدي انما حرم لانه طلب معرفة الغيب وانه تعالى مختص بمعرفته وضعف بان طلب الظن بالامارات المتعارفة غير منهي كالتعبير والفال وكما يدعيه اصحاب الكرامات والفراسات ثم انه سبحانه حرض على التمسك بما شرع فقال اليوم يئس قيل ليس المراد يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم شيخ وقيل المراد يوم معين وذلك انها نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته العضباء وعن ابن عباس انه قرأ الآية ومعه يهودي فقال اليهودي لو نزلت علينا في يوم لاتخذناه عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم جمعة واتفق يوم عرفة اي يئسوا من ان يحللوا هذه الخبائث بعد ان جعلها الله محرمة او يئسوا من ان يغلبوكم على دينكم لانه تعالى حقق وعده باظهاره وهذا الدين على سائر الاديان فلا تخشوهم واخشون اخلصوا لي الخشية وقيل في الآية دليل على ان التقية جائزة عند الخوف لانه علل اظهاره هذه الشرائع بزوال الخوف من الكفار اليوم اكملت لكم دينكم سئل ههنا انه يلزم منه ان الدين كان ناقصا قبل ذلك وكيف يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم مواظبا على الدين الناقص اكثر عمره واجيب بانه كقول الملك اذا استولى على عدوه اليوم كمل ملكنا وزيف بان السؤال بعد باق لان ملك ذلك الملك لابد ان يكون قبل قهر العدو ناقصا وقيل المراد اني اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام وقوانين القياس واصول الاجتهاد وضعف بانه يلزم ان لا يكمل لهم قبل ذلك اليوم ما كانوا محتاجين اليه من الشرائع وتاخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز والمختار في الجواب ان الدين كان ابدا كاملا بمعنى ان الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت ناسخة او منسوخة او مجملة او مبينة او غير ذلك كافية بحسب تلك الوقت وفي آخر زمان البعثة حكم ببقاء الاحكام على حالها من غير نسخ وزيادة ونقص الى يوم القيامة قال نفاة القياس اكمال الدين ان يكون حكم كل واقعة منصوصا عليه فلا فائدة في القياس واجيب بان اكماله هو جعل النصوص بحيث يمكن استنباط احكام نظائرها منها قالوا تمكين كل احد ان يحكم بما غلب على ظنه لا يكون اكمالا للدين وانما يكون القاء للناس في ورطة الظنون والاوهام واجيب بانه اذا كان تكليف كل مجتهد ان يعمل بمقتضى ظنه كان كل مجتهد قاطعا بانه عامل بحكم الله تعالى انه لما نزلت الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فرح الصحابة واظهروا السرور الا اكابرهم كابي بكر الصديق وغيره فانهم حزنوا وقالوا ليس بعد الكمال الا الزوال وكان كما ظنوا فانه لم يعمر بعدها الا احدا وثمانين يوما او اثنين وثمانين يوما ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا نقص قال العلماء كان ذلك جاريا مجرى اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن قرب وفاته وذلك اخبار بالغيب فيكون معجزا احتجت الاشاعرة بالآية على ان الدين سواء قيل انه العمل او المعرفة او مجموع الافراد والعمل لا يحصل الا بتخليق الله وايجاده فانه لن يكون اكمال الدين منه الا واصله منه والمعتزلة حملوا ذلك على اكمال بيان الدين واظهار الشرائع ثم قال واتممت عليكم نعمتي اي بذلك الاكمال لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام او بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين ورضيت اي اخترت لكم الاسلام دينا نصب على الحال او مفعول ثان ان ضمن رضيت معنى صيرت واعلم ان قوله ذلكم فسق الى ههنا اعتراض اكد به معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا ثم بين الرخصة بقوله فمن اضطر في مخمصة اي مجاعة واصل الخمص ضمور البطن غير متجانف متعمد باضطرار ومعصية اي فمن اضطر غير منحرف الى اثم بان ياكل فوق الشبع او عاصيا بسفره وقد مر القول في هذه الرخصة مستوفى في سورة البقرة يسئلونك ماذا احل لهم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سئلوا عما احل لهم والسؤال في معنى القول ولذلك وقع بعده ماذا احل لهم ولم يقل ماذا احل لنا على حكاية



قولهم نظرا الى ضمير الغائب في يسئلونك ومثل هذا يجوز فيه الوجهان يقول اقسم زيد ليفعلن ولافعلن اما سبب النزول فعن ابي رافع ان جبرئيل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاستاذن عليه فاذن له فلم يدخل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبرئيل انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة فنظروا فاذا في بعض بيوتهم جرو قال ابو رافع فامرني
ان لا ادع بالمدينة كلبا الا قتلته حتى بلغت العوالي فاذا امرأة عندها كلب يحرسها فرحمتها فتركته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني بقتله فرجعت الى الكلب
فقتلته فجاء ناس فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذا يحل لنا من هذه الامة التي تقتلها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان نزلت هذه الآية فامر بقتل الكلب الكلب والعقور
وما يضر ويؤذي واذن في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها وقال سعيد بن جبير نزلت في عدي بن حاتم وزيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة وانها تاخذ البقر والحمر والظباء والضب فمنه ما ندرك ذكوته ومنه ما يقتل فلا ندرك وقد حرم الله الميتة فما ذا يحل لنا
منها قل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو ما لم يات تحريمه في كتاب وسنة او قياس مجتهد او احل لكم كل ما يستلذ ويشتهي عند اهل المروة
والاخلاق الجميلة واعلم ان الاصل في الاشياء الحل لان الاشياء خلقت لمنافع العباد هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا واستثني من ذلك اصول الاول تنصيص
الكتاب على تحريمه كالميتة والدم وغيرهما الثاني تنصيص الكتاب السنة كما روي عن جمع من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عام خيبر عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية
والبغال كالحمير ولا يحرم الخيل عند الشافعي لما روي عن جابر انه قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل الثالث ما هو في معنى المنصوص كا
النبيذ فانه مسكر كالخمر ينشاد كما في التحريم الرابع كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور وتمام معنى السبع عن مذهب فلا يحل لموجب هذا الاصل الكلب والاسد
والذئب والنمر والفهد والدب والببر والقرد والفيل لانها تعدو بانيابها ولا يحل من الطيور البازي والشاهين والصقر والعقاب وجميع جوارح الطير الخامس
ما امر بقتله من الحيوانات فهو حرام لان الامر بقتله اسقاط لحرمته ومنع من اقتنائه ولو كان ماكولا لجاز اقتناؤه للتسمين واعداده للاكل وقت الحاجة
ومنه الفواسق الخمس روي انه صلى الله عليه وسلم قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والفارة والغراب الابقع والكلب العقور السادس ما ورد النهي عن قتله
فهو حرام لانه لو كان ماكولا لجاز ذبحه ليؤكل كما روي انه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الخطاطيف كذا الصرد والنملة والنحلة والهدهد والخفاش السابع الاستطابة
والاستخباث لقوله تعالى قل احل لكم الطيبات قال العلماء ويبعد الرجوع الى طبقات الناس وتنزيل كل قوم على ما يستطيبون ويستخبثون لان ذلك يوجب
اختلاف الاحكام في الحل والحرمة وذلك يخالف موضوع الشرع فالعرب اولى فانها الاعتبار لان الدين عربي وهم المخاطبون ولا دليلهم نعم
تورث ضيق المطاعم على الناس ولكن المعتبر استطابة سكان القرى والبلاد دون اجلاف البوادي الذين لا تميز لهم ويعتبر اصحاب اليسار
والثروة دون اصحاب الضرورات وايضا المعتبر حال الخصب والرفاهية دون حال الجدب والشدة والحشرات باسرها مستخبثة كالذباب والخنفساء والجعل
وحمار قبان الا الضب فانه صلى الله عليه وسلم قال لا اكله ولا احرمه ومن الاصول انه لا يجوز اكل الاعيان النجسة في حال الاختيار وكذا اكل الطاهر اذا نجس بملاقاة النجاسة
كالدهن والسمن الذائب والدبس والخل ومن الاصول الكسب بمخامرة النجاسة ولكن كسب الحجام حلال عند الشافعي ومن الاصول ما يضر كالزجاج والسم
والنبات المسكر والمجنن قوله سبحانه وما علمتم من الجوارح معناه احل لكم صيد ما علمتم على حذف المضاف لانه قال فكلوا مما امسكن عليكم ويجوز ان يكون ما
شرطية والجزاء فكلوا وعلى هذا يجوز الوقف على الطيبات والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والبازي والصقر فانها تجرح
باظفارها اي كسبتم وجوز بعضهم ان يكون من الجراحة وقال فما اخذ من الصيد فلم يسل منه دم لم يحل وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم وفائدة هذه الحال
مع الاستغناء عنها بعلمتم ان معلم الجوارح ينبغي ان يكون ماهرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب نقل عن ابن عمر والضحاك والسدي ان ما صاد غير الكلاب
فلم يدرك ذكوته لم يجز اكله لان قوله مكلبين يدل على كون هذا الحكم مخصوصا بالكلب والجمهور على ان الجوارح يدخل فيه ما يمكن الاصطياد به من السباع والطير
المكلب مؤدب الجوارح ومضريها لان يصطاد لصاحبها وانما اشتق من الكلب لكثرة هذا المعنى في جنسه ولان سائر السبع يسمى كلبا كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال فلان كلب بكذا اذا كان حريصا عليه وهذان المذكوران في الاية اباحة الصيد بالكلب
لكن تخصيصهما بالذكر لا ينفي حل غيره لجواز الاصطياد بالرمي بالشبكة ونحوها مع سكوت الاية عنها تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من علم
التكليب فان بعضه الهام من الله ومما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره واعلم انه يعتبر في صيرورة الكلب معلما امور منها ان ينزجر
بزجر صاحبه في ابتداء الامر وكذا اذا انطلق واشتد عدوه وحده انه يشترط ان ينزجر بزجره ايضا على الاشبه يظهر الثاني منها ان يسترسل بارسال صاحبه
اي اذا اغري بالصيد هاج ومنها ان يمسك الصيد لقوله فكلوا مما امسكن عليكم وفي هذا اعتبار وصفين احدهما ان يحفظ ولا يخليه والثاني انه لا
ياكل منه لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم فان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه جوارح الطير يشترط فيها ان يهيج عند الاغراء وان يترك الاكل لكن لا مطمع في
انزجارها بعد الطيران ويشترط عند الشافعي تكرر هذه الامور بحيث يغلب على الظن تادب الجارحة بها واقله ثلث مرات ولم يقدر الاكثرون عدد المرات كانهم
راوا العرف مضطربا وطباع الجوارح مختلفة فيرجع الى اهل الخبرة بطباعها وعن سلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابي هريرة انه يحل وان اكل منه
الامساك هو ان يحفظ ولا يتركه ومعنى الاية كلوا مما ابقى لكم الجوارح وان كان بعد اكلها منه بقي مما امسكن ينزل بذلك نحو كلوا من ثمره وقيل فائدة
وذلك ان بعض الصيد لا يؤكل كالعظم والدم والريش قال سعيد بن جبير ابو حنيفة والمزني يؤكل ما بقي من جوارح الطير لا يؤكل ما بقي من الكلب والفرق
ان تاديب الكلب بالضرب على الاكل ممكن وتاديب الطير غير ممكن ولا خلاف انه اذا كان الجارحة معلمة ثم تصيد صيدا وجرحه وقتله وادرك الصائد ميتا
فهو حلال وجرح الجارحة كالذبح وان قتله بالفم من غير جرح ففي حله خلاف اما قوله سبحانه واذكروا اسم الله عليه فالضمير اما ان يعود الى ما امسكن اي سموا

عليه فاذا ادركتم ذكوته او انى ما علمتم اى سموا عليه عند ارسالها او الى الاكل وعلى هذا فلا كلام وعلى الاول فالتسمية محمولة على الندب عند الشافعي وعلى الوجوب
عند ابى حنيفة وسيجيء تمام المسئلة فى سورة الانعام ان شاء الله تعالى اليوم احل لكم الطيبات فائدة الاعادة ان يعلم بقاء هذا الحكم عند كمال الدين و
استقراره وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الاكثرون على ان المراد بالطعام الذبائح لان ما قبل الاية فى بيان الصيد والذبائح ولان ما سوى الصيد
والذبائح محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة وعن بعض ائمة الزيدية ان المراد هو الخبز والفاكهة وما لا يحتاج
فيه الى الزكوة وقيل انه جميع المطعومات وطعامكم حل لهم اى حل لكم ان تطعموهم من طعامكم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى اطعامهم من ذبائحنا وايضا فالفائدة فى
ذكره ان يعلم ان اباحة الذبائح حاصلة فى الجانبين ليست كاباحة المناكحة فانها غير حاصلة فى الجانبين والمحصنات الحرائر والعفائف من المؤمنات وعلى التفسيرين
ففيه نكاح الاماء وقد يرجح الاول بانه تعالى قال اذا آتيتموهن اجورهن ومهر الاماء لا يدفع اليهن بل الى ساداتهن وبان نكاح المحصنات هيهنا مطلق ونكاح الامة مشروط
بعدم طول الحرة وبخشية العنت وبان تخصيص العفائف بالحل يدل ظاهرا على تحريم نكاح الزانية وقد ثبت انه غير محرم ولو حملنا المحصنات على الحرائر لزم تحريم نكاح
الامة ونحن نقول به على بعض التقديرات وبان وصف التحصين فى حق الحرة اكثر ثبوتا منه فى حق الامة لان الامة لا تخلو من ابتذال وتبذل للرجال والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم احتج بها كثير من الفقهاء فى انه لا يحل نكاح الكتابية الا اذا دانت بالتوراة والانجيل قبل نزول القرآن لان قوله من قبلكم يدل على ذلك
فيمن تعبد بعد نزوله وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات اصلا متمسكا بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى
واول الاية بان المراد اللتى امنت منهن فمن المحتمل ان يخطر ببال احد ان الكتابية اذا امنت هل يحل للمسلم التزوج بها ام لا وعن عطاء ان الرخصة كانت مختصة بذلك
الوقت لانه كان فى المسلمات قلة واما الان فالاحتراز عن مخالطة الكفار واجب لا تتخذوا بطانة من دونكم اى خلطاء اشد من الزوجية وقد يحلف ولد فيميل الى دين
الام وقال سعيد بن المسيب والحسن الكتابيات تشمل الذميات والحربيات فيجوز التزوج بكلهن واكثر الفقهاء على ان ذلك مخصوص بالذمية فقط وهو مذهب ابن عباس
فانه قال من اعطى الجزية حل ومن لم يعط لم يحل لقوله تعالى حتى يعطوا الجزية واتفقوا على ان المجوس قد سن بهم سنة اهل الكتاب فى اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم و
نكاح نسائهم اذا آتيتموهن اجورهن فيه ان من تزوج امرأة وعزم على ان لا يعطيها صداقا كان كالزانى والزناة ضربان سفاح وهو على سبيل الاعلان واتخاذ خدن
وهو على سبيل الاسرار فحرمهما الله تعالى فى الاية واحل التمتع بهن على سبيل الاحصان وهو التزوج بالشروط والاركان ثم حث على التزام التكاليف المذكورة
بقوله ومن يكفر بالايمان اى بشرائع الله وتكاليفه التى هى نتائج الايمان بالله ورسوله وقال ابن عباس ومجاهد معناه ومن يكفر برب الايمان اى بالله وقال
قتادة ومن يكفر بالقرآن الذى نزلت فيه هذه التكاليف التى لا يتمها الا الايمان فقد حبط عمله وفيه ان اهل الكتاب وان حصلت لهم فضيلة المناكحة واباحة
الذبائح فى الدنيا الا ان ذلك لا يفيدهم فى الآخرة لان كل من كفر بالله فقد حبط عمله فى الدنيا ولم يصل الى شئ من السعادات فى الآخرة البتة واعلم ان القائلين
بالاحباط فسروا قوله فقد حبط عمله بان عقاب كفره يزيل ما كان حاصلا له من ثواب اعماله ومنكروا الاحباط قالوا ان عمله الذى اتى به بعد ذلك الايمان
قد تبين انه لم يكن معتدا به وكان ضائعا فى نفسه ثم انه سبحانه لما افتتح السورة بطلب الوفاء بالعقود وكان قال عبده بلسان عبوديته سلكت عهد العبودية فما وقت
او لى شفقتهم الوفاء بعهد الربوبية فاجاب الله تعالى نعم انا اوفى بعهد الربوبية والكرم ومعلوم ان منافع الدنيا محصورة فى نوعين لذات المطعم ولذات المنكح فبين
الحلال والحرام من المطاعم والمناكح وقدم المطعوم على المنكوح لانه اهم وعند تمام هذا البيان كانه قال قد وفيت بعهد الربوبية فاشتغل انت ايها العبد بوظائف العبودية و
سيما بالصلوة التى هى اعظم الطاعات بعد الايمان ثم فى تفسير الاية مسائل الاولى ليس المراد بقوله اذا قمتم نفس القيام والا لزم تأخير الوضوء عن الصلوة
وهو باطل بالاجماع وايضا لو غسل الاعضاء قبل الصلوة قاعدا او مضطجعا لخرج عن العهدة بالاجماع فالمراد اذا شمرتم للقيام الى الصلوة واردتم ذلك
ووجه هذا المجاز ان الارادة الجازمة سبب لحصول الفعل واطلاق اسم المسبب على السبب مجاز مستفيض الثانية ذهب قوم الى ان الامر بالوضوء تبع للامر بالصلوة وليس
تكليفا مستقلا لانه شرط القيام الى الصلوة والاصح انه عبادة برأسها لان قوله فاغسلوا امر ظاهره الوجوب غاية ذلك انه مقيد بوقت القيام للصلوة وايضا
انه طهارة وقد قال تعالى فى اخر الاية ولكن يريد ليطهركم وقال ص بنى الدين على النظافة وقال ص تجيئون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء والاخبار الواردة فى كون
الوضوء سببا لغفران الذنوب كثيرة الثالثة قال داود يجب الوضوء لكل صلوة فانه ليس المراد قياما واحدا فى صلوة واحدة والا لزم الاجمال اذ لا دليل
على تعيين تلك المرة والاجمال خلاف الاصل فوجب حمل الاية على العموم وايضا ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يشعر بالعلية فيتكرر بتكرره فيجب الوضوء
عند كل قيام الى الصلوة وايضا انه نظافة فلا يكون منهيا عنه الا عند الاشتغال بعبادة المعبود وقال سائر الفقهاء ان كلمة اذا لا تفيد العموم ولهذا لو قال
لامرأته اذا دخلت الدار فانت طالق لم تطلق مرة اخرى بالدخول ثانيا ويروى انه ص كان يتوضأ لكل صلوة الا يوم الفتح فانه صلى الصلوات كلها
بوضوء واحد قال عمر فقلت له فى ذلك فقال عمدا فعلته يا عمر احتج داود بان خبر الواحد لا ينسخ القرآن وايضا فى الخبر معنيان احدهما وجوب التجديد
لكل صلوة لا انه من استحبابه لكن الثانى انه ترك ذلك يوم الفتح والاول يوجب المتابعة والثانى مرجوح لان الفتح يقتضى زيادة الطاعة لا نقصانها
وايضا التجديد احوط وايضا دلالة ظاهر القرآن قولية ودلالة الخبر فعلية والقولية اقوى ولنا ان اعرف المذاهب ان يقول التيمم على المتغوط والمجامع اذا لم يجد
الماء لقوله او جاء احد منكم من الغائط الاية وذلك يدل على ان وجوب الوضوء قد يكون بسبب اخر سوى القيام الى الصلوة فلم يكن هو موجبا واذا لم يكن
مؤثرا مستقلا جاز تخلف الاثر عنه والتجديد مستحب لان رسول الله ص والخلفاء بعده كانوا يتوضأون لكل صلوة وقال ص من توضأ على طهر كتب الله له عشر
حسنات وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الرابعة الاصحاب فى الاية دلالة على ان الوضوء شرط لصحة الصلوة لانه علق فعل الصلوة



بالمطهر ثم تبين انه صلى عند عدم الماء لم يصح الصلوة الا بالتيمم فلو لم يكن شرطا لم يكن كذلك ولانه امر بالصلوة مع الوضوء فالاتي بها بدونه تارك للمامور به فيستحق
العقاب وهذا معنى الفقهاء في قولهم التكليف الخامسة قال ابو حنيفة النية ليست شرطا في الوضوء لانها غير مذكورة في الاية والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن
بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وعند الشافعي هي شرط فيه لان الوضوء مامور به لقوله فاغسلوا وامسحوا وكل ما امور به يجب ان يكون منويا لقوله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين والاخلاص نية الخالصة فاذا ثبت ان النية يجب ان تكون معتبرة وغايته ما في الباب انها مخصوصة في بعض الصور فيبقى حجة في غير محل التخصيص
السادسة قال مالك وابو حنيفة الترتيب غير مشروط في الوضوء لان الواو لا يفيد الترتيب فلو قلنا بوجوبه كان الزيادة على النص وهو نسخ غير جائز وقال الشافعي
انه واجب لان فاء التعقيب في قوله فاغسلوا يوجب تقديم غسل الوجه ثم سائر الاعضاء على الترتيب قال عليه السلام في حديث الصفا ابدؤا بما بدأ الله به وايضا الترتيب المعتبر
في الحس هو الابتداء من الراس الى القدم او بالعكس والترتيب يقتضي افراد العضو المغسول عن الممسوح ثم انه تعالى ادرج الممسوح في المغسول فدل هذا على ان الترتيب المذكور
في الاية واجب لان ههنا الترتيب في الترتيب مستفيض موجب نظيره كلام الله تعالى عنه وايضا ايجاب الوضوء غير معقول المعنى لان الحدث يخرج من موضع والغسل يجب
في موضع اخر ولان اعضاء المحدث طاهرة لقوله المؤمن لا ينجس حيا وميتا وتطهير الطاهر محال ولان الشرع اقام التيمم مقام الوضوء وليس في التيمم نظافة واقام المسح
على الخفين مقام الغسل ولانه لا يفيد في نفس العضو نظافة والماء الكدر العفن يفيد الطهارة وماء الورد لا يفيد فثبت ان الاعتماد على مورد النص لعل الترتيب
حكما خفيا لا نعرفه او هو محض التعبد وقد اوجبنا رعاية الترتيب في الصلوة مع ان اركان الصلوة غير مذكورة في القرآن مرتبة فرعاية الترتيب في الوضوء مع ان القرآن
ناطق به اولى السابعة قال الشافعي وابو حنيفة الموالاة في افعال الوضوء غير واجبة لان ايجاب هذه الافعال قدر مشترك بين ايجابها على سبيل الموالاة وايجابها
على سبيل التراخي وهذا القدر معلوم من الاية ومفيد للطهارة والزائد لا دليل عليه ايضا روى انه عليه السلام راى رجلا توضأ وترك لمعة من عقبه فامره بغسلها
ولم يبحث عن مدة الفاصلة وعند غيرهما شرط كيلا يتخلل بين اجزاء العبادة ما ليس منها وحد التفريق المخل بالموالاة ان يمضي من الزمان ما يجف فيه المغسول مع
اعتدال الهواء ومزاج الشخص الثامنة قال ابو حنيفة الخارج من غير السبيلين ينقض الوضوء لان ظاهر الاية يقتضي الاتيان بالوضوء لكل صلوة لما تركنا العمل
به عند ما لم يخرج الخارج النجس خالف الشافعي معولا على انه عليه السلام احتجم وصلى ولم يزد على غسل اثر محاجمه التاسعة قال مالك لا وضوء في الخارج من السبيلين
اذا كان غير معتاد وسلم في دم الاستحاضة لنا التمسك بعموم الاية العاشرة قال ابو حنيفة القهقهة في الصلوة المشتملة على الركوع والسجود تنقض الوضوء
وقال الباقون لا تنقض ولابي حنيفة ان يتمسك بعموم الاية الحادية عشرة قال ابو حنيفة لمس المرأة وكذا لمس الفرج لا ينقض الوضوء وقال الشافعي ينقض تمسكا
بالعموم الثانية عشرة لو كان على وجهه وبدنه نجاسة فغسلها ونوى التطهير من الحدث بذلك الغسل هل يصح وضوؤه قال في التفسير الكبير فاما هذه المسئلة في كتب
لا نجدها قال والذي اقوله انه يكفي لانه امر بالغسل في قوله فاغسلوا وقد اتى به والقول الظاهر انه لا يكفي لانه لا يرتفع بغسلة واحدة نجاسة حكمية وعينية وهذا
بخلاف ما لو نوى التبرد او التنظف لان النجاسة هناك حكمية فقط الثالثة عشرة لو وقف تحت ميزاب حتى سال عليه الماء ونوى رفع الحدث هل يصح وضوؤه
يمكن ان يقال لا لانه لم يات بفعل وان يقال نعم لانه اتى بما افضى الى المقصود وهو الانغسال الرابعة عشرة اذا غسل اعضاء الوضوء ثم كشط جلدة فلا تطهير وجوب غسله
لتحصيل الامتثال فان ذلك الموضع غير مغسول الخامسة عشرة لو رطب الاعضاء من غير سيلان الماء عليها لم يكف لانه مامور بالغسل وهذا ليس بغسل وفي
الجنابة يكفي لانه هناك مامور بالتطهير لكن يريد ليطهركم والتطهير يحصل بالشرط السادسة عشرة لو امر الثلج على العضو فان ذاب وسال جاز والا فلا خلافا
لمالك والاوزاعي لنا فاغسلوا وهذا ليس بغسل السابعة عشرة التثليث سنة لان ماهية الغسل تحصل بالمرة الثامنة عشرة المسواك سنة لان
الاية ساكتة عنه وكذا القول في التسمية خلافا لاحمد واسحق وكذا في تقديم غسل الكف على الوضوء خلافا لبعضهم التاسعة عشرة قال الشافعي لا يجب
المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغسل وقال احمد واسحق يجب فيهما ابو حنيفة يجب في الغسل لا في الوضوء حجة الشافعي انه اوجب غسل الوجه والوجه هو الذي
يكون مواجها وحده من مبتدأ سطح الجبهة الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا وداخل الفم والانف غير مواجه العشرون ابن عباس يجب ايصال
الماء الى داخل العينين لان العين جزء من الوجه والباقون لا يجب لقوله في اخر الاية ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وادخال الماء في العين حرج الحادي و
العشرون غسل البياض الذي بين العذار والاذن واجب عند الشافعي وابي حنيفة ومحمد خلافا لابي يوسف لنا انه واجب قبل نبات الشعر بالاجماع فكذا بعده
لانه من الوجه والوجه يجب غسله كله الثاني والعشرون ابو حنيفة لا يجب ايصال الماء الى ما تحت اللحية الخفيفة الشافعي يجب لقوله فاغسلوا تركنا العمل
عند كثافة اللحية دفعا للحرج فيبقى عند خفتها على الاصل الثالث والعشرون الاصح عند الشافعي وجوب امرار الماء على ظاهر اللحية النازلة طولا والخارجة
الى الاذنين عرضا لانه مواجه مالك وابو حنيفة والمزني لا يجب لانه لا يجب غسل ما تحتها فخف غسل ظاهرها بتبعيتها الرابع والعشرون لو نبتت للمرأة لحية وجب
ايصال الماء الى جلدة الوجه وان كانت لحيتها كثيفة لانا تركنا العمل بظاهر الاية في اللحية الكثيفة للرجل دفعا للحرج ولحية المرأة نادرة وخصوصا الكثيفة
فيبقى حكمها على الاصل الخامس والعشرون يجب ايصال الماء الى ما تحت الشعر الكثيف في خمسة مواضع العنفقة والحاجب والشارب والعذار والهدب لان قوله
فاغسلوا يدل على وجوب غسل كل جلدة تركنا العمل في اللحية الكثيفة دفعا للحرج وهذه الشعور خفيفة غالبا فيبقى على الاصل السادس والعشرون الشعر
ما ابتدأ من الاذن فهو من الوجه فيغسل وما ادبر من الراس فيمسح دون الاذن غير مواجه فلا السابع والعشرون الجمهور على ان المرفقين يجب غسلهما
مع اليدين وخالف مالك وزفر كذا الخلاف في قوله وارجلكم الى الكعبين والمحققون ان الى يفيد معنى الغاية مطلقا والمراد بالغاية جميع المسافة او حقيقة النهاية
ثم ان حد الشيء قد يكون منفصلا عن المحدود حسا كقوله تعالى عن نتورع قوله ثم اتموا الصيام الى الليل فيكون الحد خارجا عن المحدود وقد لا يكون كذا



نحو حفظت القرآن من أوله إلى آخره ويعنيك هذا الثوب من هذا الطرف إلى ذلك الطرف فيدخل الحد في المحدود ولا شك أن المرفق وهو موصل الذراع
في العضد سمي بذلك لارتفاق صاحبها بها غير متميز في الحس عن محدوده فلا يكون إيجاب الغسل إلى جزء أولى من إيجابه إلى جزء آخر فوجب غسلهما
جميعاً وإن سلم أن المرفق لا يجب غسلها لكنها اسم لما جاوز طرف العظم ولا نزاع في أن ما وراء طرف العظم لا يجب غسله وهذا الجواب يختاره الزجاج وعلى هذا
فمقطوع اليد من المرفق يجب عليه مساس الماء بطرف العظم وإن كان قطع ما فوق المرفقين لم يجب عليه شيء لأن محل هذا التكليف لم يبق أصلاً الثامن
والعشرون تقديم اليمنى على اليسرى مندوب ليس بواجب خلافاً لأحمد لنا أنه ذكر الأيدي والأرجل في الآية من غير تقديم لأحد اليدين والرجلين التاسع
والعشرون ذهب بعضهم إلى أن مبدأ الغسل يجب أن يكون الكف بحيث يسيل الماء من الكف إلى المرفق لأن المرفق جعل في الآية نهاية الغسل وجمهور
الفقهاء على أن عكس هذا الترتيب لا يخل بصحة الوضوء لأن المراد في الآية بيان جملة الغسل لا بيان ترتيب أجزاء الغسل الثلاثون لو نبت من المرفق ساعدان
وكفان وجب غسل الكل لعموم قوله وأيديكم إلى المرافق كما لو نبت على الكف إصبع زائدة الحادي والثلاثون المراد من تحديد الغسل بالمرفق بيان الوجوب
فقط لما ورد في الأخبار أن تطويل الغرة سنة مؤكدة الثاني والثلاثون مالك يجب مسح كل الرأس أبو حنيفة يتقدر بالربع لأنه مسح على ناصيته
وإنها ربع الرأس الشافعي الواجب أقل ما ينطلق عليه اسم المسح لأنه لو قال مسحت المنديل فهذا لا يصدق إلا عند مسحه بالكلية أما لو قال مسحت
يدي بالمنديل كفى في صدقه مسح اليد بجزء من أجزاء المنديل فكذا في الآية والإشكال في تعيين المقدار إلى إلزام منفصل ويصير الآية مجملة وهو خلاف
الأصل الثالث والثلاثون لا يجوز الاكتفاء بالمسح على العمامة لأن ذلك ليس مسحاً للرأس وقال الأوزاعي والثوري وأحمد يجوز لما روي أنه مسح
على العمامة وأجيب بأنه لعله مسح الفرض على الرأس والبقية على العمامة الرابع والثلاثون اختلف الناس في مسح الرجلين وفي غسلهما فنقل القفال
في تفسيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وعكرمة والشعبي وأبي جعفر محمد بن علي الباقر أن الواجب فيهما المسح وهو مذهب الإمامية وجمهور الفقهاء
والمفسرين على أن فرضهما الغسل وقال داود يجب الجمع بينهما وهو قول الناصر للحق من أئمة الزيدية وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف
مخير بين المسح والغسل حجة من أوجب المسح قراءة الجر في وأرجلكم عطفاً على برؤسكم ولا يمكن أن يقال إنه كسر على الجوار كما في قوله جحر ضب خرب لأن ذلك
لم يجئ في كلام الفصحاء وفي السعة وأيضاً أنه جاء حيث لا لبس ولا عطف بخلاف الآية وأما القراءة بالنصب فيكون للعطف على محل برؤسكم حجة الجمهور أخبار
وردت بالغسل وأن فرض الرجلين محدد إلى الكعبين والتحديد إنما جاء في الغسل لا في المسح والقوم أجابوا بأن أخبار الآحاد لا تعارض القرآن
ولا تنسخه وبالمنع في محل النزاع ثم زعم الجمهور أن قراءة النصب ظاهرة في العطف على فاغسلوا وإن كان البعد من امسحوا وقراءة الجر تنبيه على وجوب
الاقتصاد في صب الماء لأن الأرجل تغسل بالصب فكانت مظنة للإسراف الخامس والثلاثون جمهور الفقهاء على أن الكعبين هما العظمان الناتئان
من جانبي الساق وقالت الإمامية وكل من قال بالمسح إن الكعب عظم مستدير موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم كما في أرجل
جميع الحيوانات وذلك المفصل يسمى كعباً ومنه كعوب الرمح لمفاصله حجة الجمهور أنه لو كان الكعب ما ذكره الإمامية لكان الحاصل في كل رجل كعباً واحداً
وكان ينبغي أن يقال وأرجلكم إلى الكعاب كما أنه لما كان الحاصل في كل يد مرفقاً واحداً لا جرم قال إلى المرافق وأيضاً العظم المستدير الموضوع في المفصل
شيء خفي لا يعرفه إلا أهل العلم بتشريح الأبدان والعظمان الناتئان في طرفي الساق محسوسان لكل أحد ومناط التكليف ليس إلا أمراً ظاهراً ويؤيده
ما روي أنه قال ألصقوا الكعاب بالكعاب السادس والثلاثون الجمهور على جواز المسح على الخفين خلافاً للشيعة والخوارج حجة الجمهور الأحاديث وحجة
الشيعة الآية وأن جواز المسح على الخفين حاجة عامة فلو كانت ثابتة لبلغت مبلغ التواتر السابع والثلاثون رجل مقطوع اليدين والرجلين سقط
عنه هذان الفرضان وبقي عليه غسل الوجه ومسح الرأس فإن لم يكن معه من يوضئه أو ييممه سقط عنه ذلك أيضاً لأن قوله فاغسلوا وامسحوا مشروط
بالقدرة عليه فإذا فاتت القدرة سقط التكليف الثامن والثلاثون قوله سبحانه وإن كنتم جنباً فاطهروا الأصل فتطهروا أدغم التاء في الطاء فاجتلبت همزة
الوصل للجنابة سببان نزول المني لقوله الماء من الماء والثاني التقاء الختانين خلافاً لزيد بن ثابت ومعاذ وأبي سعيد الخدري لما روي أنه قال إذا التقى الختانان
وجب الغسل وختان الرجل هو الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة وأما ختان المرأة فإن شفريها محيطان بثلاثة أشياء ثقبة في أسفل الفرج وهي مدخل الذكر
ومخرج الحيض والولد وثقبة أخرى فوق هذه مثل إحليل الذكر وهي مخرج البول لا غير والثالث جلدة رقيقة فإنها مثل عرف الديك فوق ثقبة البول وقطع
هذه الجلدة هو ختانها التاسع والثلاثون لا يجوز للجنب مس المصحف خلافاً لداود لنا قوله فاطهروا وإنه يدل على أن الطهارة غير حاصلة له وإلا لكان أمراً بتطهير الطاهر وهو
لا يجوز له مس المصحف لقوله لا يمسه إلا المطهرون الثلاثون فإذا غابت الحشفة حاذى ختانه ختانها ولإطلاق قوله فاطهروا علم أنه يجب تحصيل الطهارة
في كل البدن ولا اختصاص لتلك الأعضاء بالذكر كما في الطهارة الصغرى وعلم أنه لا يجب تقديم الوضوء على الغسل خلافاً لأبي ثور وداود وعلم أن الترتيب غير
واجب خلافاً لإسحق بن راهويه أوجب البداية بأعلى البدن وعلم أن الدلك غير واجب خلافاً لمالك الأربعون الشافعي المضمضة والاستنشاق غير واجبين
في الوضوء لقوله أما أنا فأحثي على رأسي ثلاث حثيات فإذا أنا قد طهرت أبو حنيفة هما واجبان لقوله فاطهروا والتطهير لا يحصل إلا بإطهار جميع الأعضاء
ترك العمل به في الأعضاء الباطنة للتعذر وداخل الفم والأنف يمكن تطهيرهما فيبقى داخلاً في النص ولأن قوله بلوا الشعر يدل عليه لأن الأنف في داخله
شعراً وأنقوا البشرة يدل عليه لأن جلدة داخل الفم الحادي والأربعون لا يجب نقض الشعر إن لم يمنع من وصول الماء إلى منابته لأن المقصود التطهير فإن منع
وجب خلافاً للنخعي الثاني والأربعون إن كان المرض المانع من استعمال الماء حاصلاً في بعض جسده دون بعض فقال الشافعي يغسل ما لا ضرر عليه



تيمم بلا احتياط وقال ابو حنيفة ان كان اكثر البدن صحيحا غسل الصحيح دون التيمم وان كان اكثره جريحا يكفيه التيمم لان المرض اذا كان حالا في بعض اعضائه

فهو مريض الثالث والاربعون لو لصق على موضع التيمم لصوق فمنع وصول الماء الى البشرة ولا يخاف من نزع ذلك اللصوق التلف قال الشافعي يلزم نزع

اللصوق حتى يصل التراب اليه اخذا بالاحوط وقال الاكثرون لا يجب نزعها للحرج الرابع والاربعون قال الشافعي الاستنجاء واجب اما بالماء او بالاحجار لقوله

فليستنج بثلثة احجار وقال ابو حنيفة لا يجب عند المجيء من الغائط اما الوضوء او التيمم ولم يوجب غسل موضع الحدث فدل على انه غير واجب الخامس والاربعون

لمس المرأة ينقض الوضوء عند الشافعي ولا ينقض عند ابي حنيفة وقد مرت المسئلة في سورة النساء السادس والاربعون لا يكره الوضوء بالماء المسخن لقوله تعالى

فلم تجدوا ماء وههنا قد وجد ماء وخالفهما اهل [illegible] السابع والاربعون [illegible] ابو حنيفة واحمد لا يكره المتشمس لقوله تعالى فلم تجدوا ماء وهذا قد وجد ماء الشافعي

يكره للعلة الثامن والاربعون لا يكره الوضوء بفضل ماء المشرك وبالماء في انية المشرك لانه واجد للماء فلا يتيمم وقد توضأ النبي صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة

وتوضأ عمر من ماء في جرة نصرانية وقال احمد واسحق لا يجوز التاسع والاربعون يجوز الوضوء بماء البحر لانه واجد للماء خلافا لعبد الله بن عمرو بن العاص الخمسون

جوز ابو حنيفة الوضوء بنبيذ التمر في السفر للحديث فلم يجوزه الشافعي وقال يتيمم لانه غير واجد للماء الحادي والخمسون ذهب الاوزاعي والاصم الى انه يجوز الوضوء

والغسل بجميع المايعات الطاهرة والاكثرون لا يجوز بهما فاغسلوا امر بمطلق الغسل فاذا مر المايع على العضو غسل فكذلك حسنها اذ يغتسل

النفع كلها لنا انه عند عدم الماء اوجب التيمم الثاني والخمسون الشافعي الماء المتغير بالزعفران تغيرا فاحشا لا يجوز الوضوء به لانه لا يصدق عليه انه واجد

الماء وخالفه ابو حنيفة لان اصل الماء موجود بصفة زائدة كما لو تغير بطول المكث وبتساقط الاوراق بالاتفاق الثالث والخمسون مالك وداود ان المستعمل

في الوضوء يبقى طاهرا طهورا لانه واجد للماء وهو قول قديم للشافعي والقول الجديد انه طاهر غير طهور ووافقه محمد بن الحسن قال ابو حنيفة في اكثر الروايات انه

نجس لان النجاسة الحكمية كالعينية الرابع والخمسون مالك اذا وقع في الماء نجاسة ولم يتغير يبقى طاهرا طهورا قليلا كان او كثيرا وهو قول اكثر الصحابة والتابعين قال

الشافعي ان كانت قلتين لا ينجس وقال ابو حنيفة ان كان اقل من عشرة في عشرة ينجس حجة مالك انه واجد للماء ترك العمل بهذا العموم في الماء القليل المتغير

فبقي حجة في الباقي ويؤيده قوله عليه السلام خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه او لونه حجة الشافعي مفهوم قوله عليه السلام اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا الخامس

والخمسون يجوز الوضوء بفضل ماء الجنب لانه واجد للماء وقال احمد واسحق لا يجوز الوضوء بفضل ماء المرأة اذا خلت به وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب السادس والخمسون

اسار السباع طاهرة مطهرة وكذا سؤر الحمار لانه واجد للماء وقال ابو حنيفة بنجسه السابع والخمسون قال الشافعي وابو حنيفة والاكثرون لا بد في التيمم من نية

لانه قال فتيمموا والتيمم عبارة عن القصد وهو النية وقال زفر لا يجب الثامن والخمسون للشافعي لا يجوز التيمم الا بعد دخول الصلوة لانه طهارة ضرورة ولا ضرورة

قبل الوقت ابو حنيفة يجوز قياسا على الوضوء واقامة قوله اذا قمتم الى الصلوة القيام الى الصلوة يكون بعد دخول وقتها التاسع والخمسون لا يجوز التيمم الا بالجنس لقوله تعالى

صعيدا طيبا الستون لا خلاف في جواز التيمم بدلا عن الوضوء اما التيمم بدلا عن غسل الجنابة فعن علي وابن عباس جوازه وهو قول اكثر الفقهاء وعن عمر وابن مسعود

انه لا يجوز لنا قوله تعالى او لمستم اما مختص بالجماع او يدخل الجماع فيه الحادي والستون للشافعي لا يجوز ان يجمع بتيمم واحد بين صلوتي فرضين لان ظاهر قوله اذا قمتم

يقتضي اعادة الوضوء لكل صلوة ترك العمل به في الوضوء لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقي في التيمم على ظاهره ابو حنيفة يجوز اداء الفرائض به كالوضوء احمد يجمع بين الفوائت

ولا يجمع بين صلوتي فرضين الثاني والستون للشافعي اذا لم يجد الماء في اول الوقت وتوقع في اخره فالتقديم افضل لان قوله اذا قمتم يدل على انه عند دخول الوقت لم يجد

الماء جاز له التيمم وقال ابو حنيفة يؤخر الصلوة الى اخره الثالث والستون اذا وجد الماء بعد التيمم وقبل الشروع في الصلوة بطل تيممه لانه وجد الماء فلا يجوز

له الشروع في الصلوة بالتيمم وخالف ابو سلمة موسى الاشعري والشعبي الرابع والستون لو فرغ من الصلوة ثم وجد الماء لا يلزمه اعادة الصلوة لانه خرج

عن عهدة التكليف خلافا لطاوس الخامس والستون لو وجد الماء في اثناء الصلوة لا يلزمه الخروج منها وبه قال مالك واحمد لانه انعقدت صلوته صحيحة

بحكم التيمم فما لم يبطل صلوته لا يصير قادرا على استعمال الماء وما لم يصر قادرا على استعمال الماء لم يبطل صلوته وقال ابو حنيفة والثوري والمزني

يلزمه الخروج لانه وجد الماء السادس والستون لو نسي الماء في رحله وتيمم وصلى ثم علم وجود الماء لزمه الاعادة على احد قولي الشافعي وهو قول حماد بن ابي

يوسف والثاني لا يلزمه وهو قول مالك وابي حنيفة ومحمد لان النسيان في حكم العجز وكذا اذا ضل رحله في الرحال بالطريق الاولى لان تيمم الوقت [illegible]

[illegible] ولو [illegible] الماء في رحله [illegible] فلم يجده وتيمم وصلى ثم وجد فالاكثرون على انه يلزمه الاعادة لان العذر ضعيف [illegible] لان حكمه حكم

العاجز السابع والستون لو صلى بالتيمم ثم وجد ماء في بئر [illegible] يمكنه استعمال ذلك الماء فان كان قد علمه اولا ثم نسيه فهو كما لو نسي الماء في رحله وان لم يكن

علم فان كان عليها علامة ظاهرة فالاعادة والا فلا لانه كالعاجز الثامن والستون اذا لم يكن معه ماء ولا يمكنه ان يشتري الا بالغبن الفاحش جاز

التيمم لقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولو وهب منه الماء لزمه القبول لان المنة فيه سهلة ولو وهب منه ثمنه لم يلزمه القبول لثقل المنة ووجود الحرج ولمثل

هذا يجب [illegible] جملة المسائل الفقهية المستنبطة من الآية سوى ما مر في سورة النساء واعلم ان قوله سبحانه وتعالى ما يريد الله

ليجعل عليكم من حرج اصل معتبر في علم الفقه لانه يدل على ان الاصل في المضار الحرمة وفي المنافع الاباحة وقد يتمسك به نفاة القياس لو ان كل

ما [illegible] الحكم ان [illegible] مذكورا في الكتاب والسنة فذاك والا فان كان من باب المضار فالاصل فيها الحرمة وان كان من باب المنافع فالاصل فيها الاباحة

فالقياس لو عارض هذين الاصلين يكون قياسا فاسدا في مقابلة النص فيكون مردودا اما قوله ولكن يريد ليطهركم فله تفسيران احدهما واليه ذهب اكثر

[illegible] ابي حنيفة ان عند خروج الحدث تنجس الاعضاء نجاسة حكمية [illegible] المقصود [illegible] النجاسة الحكمية [illegible] ان اعضاء المؤمن لا تنجس [illegible]

إنما المشركون نجس ولقوله المؤمن لا ينجس لا حيا ولا ميتا وبأنه لو كان رطبا فأصابه ثوب لم ينجس ولو حمله إنسان وصلى لم يفسد صلوته بالاتفاق وبأنه لو
لو كان يوجب نجاسة الأعضاء ثم كان تطهير الأعضاء الأربعة يوجب طهارة كل عضو لوجب أن لا يختلف ذلك باختلاف الشرائع وبأن خروج النجاسة من موضع
كيف يوجب تنجس موضع آخر وبأن التيمم زيادة في التلويث فكيف يوجب النظافة والتطهير وبأن المسح على الخفين كيف يقوم مقام غسل الرجلين وبأن الذي
يزول بالتيمم ليس من الأجسام والأكوان محسوسا ولا من الأعراض لاستحالة انتقال الأعراض فالأولى التفسير الثاني أن المراد طهارة القلب عن صفة التمرد عن طاعة
الله تعالى لأنه بإيصال الماء أو التراب إلى هذه الأعضاء المخصوصة ليس فيه فائدة يعقلها المكلف فالانقياد لمثل هذا التكليف تعبد محض يزيل آثار التمرد ويؤكد
الإخبات فإن المؤمن إذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه وكذا القول في يديه ورأسه ورجليه وليتم نعمته عليكم بإباحة الطيبات لديكم من المطاعم و
المناكح أو بهذه النعمة الدينية وهي كيفية فرض الوضوء أو ليتم برخصه كالتيمم ونحوه إنعامه عليكم بعزائمه ثم ذكر ما يوجب عليهم قبول تكاليفه فذلك من وجوه
الأول تذكر نعمة يعني الشامل لهذا النوع الذي لا يقدر عليه غيره لأن هذا النوع وهو إعطاء نعمة الحيوة والصحة والعقل والهداية والصون عن الآفات
والإيصال إلى الخيرات في الدنيا والآخرة حيث إنه يمتاز عن نعمة غيره وأنه لا يقدر عليه غيره يجب تلقيه بالشكر وهو الإذعان للأوامر والانقياد للنواهي فإن
قيل ذكر وأشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانها مع تواترها وتواليها في كل لحظة ولمحة فالجواب لما صارت لتواليها كالأمر المعتاد نقصت من عظمة
الظهور كالأمر المنسي والمراد التوبيخ على عدم القيام بمواجبها فكأنها كالشيء المنسي الثاني ذكر الميثاق ومعنى واثقكم به عاقدكم به عقدا وثيقا يعني ميثاق
رسوله حين بايعهم تحت الشجرة وغيرها على السمع والطاعة في المحبوب والمكروه وعن ابن عباس هو الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل حين قالوا آمنا بالتورية
وبما فيه من البشارة بنبي آخر الزمان ومن غيرها وقال مجاهد والكلبي ومقاتل إنه إشارة إلى قوله للذرية ألست بربكم قالوا بلى وقال السدي هو ما ركز
في العقول من حسن هذه الشريعة وهو اختيار أكثر المتكلمين واعلم أن التكاليف وإن كثرت إلا أنها منحصرة في نوعين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله فأشار
بقوله كونوا قوامين لله والشفقة على خلق الله وحث عليها بقوله شهداء بالقسط قال عطاء يقول لا تحاب في شهادتك أهل ودك وقرابتك ولا
تمنع شهادتك أعداءك وأضدادك وقال الزجاج تبينون دين الله لأن الشاهد يبين ما يشهد عليه ثم أمر جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحدا إلا على سبيل العدل
والإنصاف ويتركوا الظلم والاعتساف فقال ولا يجرمنكم أي لا يحملنكم بغض قوم على أن لا تعدلوا أي فيهم فحذف للعلم ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل
تأكيدا فقال اعدلوا ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل فقال هو أي العدل الذي دل عليه اعدلوا أقرب للتقوى أي إلى الاتقاء من عذاب الله ومن معاصيه
وقيل المراد سلوك سبيل العدالة مع الكفار الذين صدوا المسلمين عن البيت بأن لا يقتلوهم إذا أظهروا الإسلام ولا يرتكبوا ما لا يحل من مثلة أو قذف
أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد ونحو ذلك وفي هذا تنبيه على أن العدل مع أعداء الله إذا كان بهذه المكانة فكيف يكون مع أوليائه وأحبائه ثم
ختم الكلام بوعد المؤمنين ووعيد الكافرين وقوله لهم مغفرة بيان للوعد فلم لهم وعدا ثم كأنه قيل أي شيء ذلك فقيل لهم مغفرة أو يكون على إرادة القول
أي وعدهم وقال لهم مغفرة أو يكون وعد متضمنا معنى قال ويجعل وعدا واقعا على هذا القول أي وعدهم هذا القول ومن هو قادر على كل المقدورات عالم بجميع
المعلومات غني عن كل الحاجات فقد امتنع الخلف في وعده لأن سبب الخلف إما جهل أو عجز أو بخل أو حاجة وهو منزه عن الكل وهذا الوعد يصل إليه قبل الموت
فيفيده السرور عند سكرات الموت فيسهل عليه الشدائد وفي ظلمة القبر فيصير نورا وفي عرصة القيامة جنة والجحيم اسم من أسماء النار وهي كل نار عظيمة
في مهواة كقوله قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر يقال لما اشتد لهبها إنها لجاحمة وبسط اليد مدها إلى المبطوش به عن جابر أن النبي نزل منزلا وتفرق الناس
في العضاة يستظلون تحتها فعلق النبي سلاحه على شجرة فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله فسله ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا
والنبي يقول الله فشام الأعرابي السيف فدعا النبي أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه وقال مجاهد والكلبي وعكرمة قتل رجل
من أصحاب النبي رجلين من بني سليم وبين النبي وبين قومهما موادعة فجاء قومهما يطلبون الدية فأتى النبي ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن حتى دخلوا
على كعب بن الأشرف وبني النضير يستقرضهم في عقلهما فقالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا
فجلس هو وأصحابه فخلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش
كعب أنا فجاء إلى رحى عظيمة ليطرحها عليه فأمسك الله يده فجاء جبريل وأخبره فخرج النبي وأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في قصة عسفان حين هم الأعداء
أن يوقعوا بهم فنزلت صلوة الخوف وقيل هذا عام نزل في واقعة خاصة ولكن المراد أن الكفار يريدون أبدا كالإيقاع البلاء والنهب والقتل بالمسلمين فالله
المسلمين فل شوكة الكفار وقوى يد الإسلام وأظهره على الأديان كلها وقيل بسم الله وهو من صفات المهيمنة يوجب الهيبة والخشية وبسم الله الرحمن
الرحيم وهما من صفات اللطف يورث البقاء والسرور وأوفوا بالعقود التي جرت بيننا يوم الميثاق ويوم النداء فمن صبر على عهده فقد فاز بقبول
عند بذل وجوده أحلت لكم ذبح بهيمة النفس التي كالأنعام في طلب المرام إلا النفس المطمئنة التي تليت عليها ارجعي إلى ربك فنفرت من الدنيا وما فيها
كالصيد في الحرم وأنتم حرم بالتوجه إلى كعبة الوصال بإحرام الشوق إلى حضرة الجمال والجلال إن الله يحكم ما يريد لمن يريد فيأمر بذبح النفس إذا كانت متصفة
بصفة البهيمة وينهى عن ذبحها إذا كانت مطمئنة بذكر الحق وملتفتة بسماتها للملك ثم أخبر عن تعظيم الشعائر من صدق القيام فقال يا أيها الذين آمنوا أشهد
القلوب فتقصد وأزيائه المحبوب ومخرجها عن وطأة الأوطار وسائر واعد الأغيار لا تحلوا معالم الدين والشريعة ومراسم آداب الطريقة والحقيقة
ولا تعظموا الزمان والمكان والإخوان والقاصدين كعبة الوصول يطلبون الرحمن والرضوان بنفوسهم وقلوبهم ولا في البلهاء الشجرة الطيبة لما مواعظ

الاعمال الخبيثة وان احللتم احرامكم بمناسك الوصول فاصطادوا وارتابوا للطلب بشبكة الدعوة الى الله ولا يجرمنكم حسد الحساد الذين يريدون ان يصدوكم عن الحق على ان تعتدوا على الطالبين فتكونوا قطاع الطريق عليهم فى طلب الحق حرمت عليكم يا اهل الحق الميتة وهى الدنيا باسرها والدم ولحم الخنزير اى حلالها وحرامها قليلها وكثيرها لان من الدم ما هو حلال والخنزير كله حرام والدم بالنسبة الى اللحم قليل وما اهل به اى كل طاعة هى لغير الله والمنخنقة والموقوذة يعنى الذين يخنقون انفسهم بالجاهات ويقذونها بالواردات والموقوذة والمتردية والنطيحة الذين يردون انفسهم الى اسفل سافلين الطبيعة بالتناطح مع الاقران والتفاخر بالعلم والتجهيل بين الاخوان وما اكل السبع الظلمة المتهارشون فى جيفة الدنيا تهارش الكلاب الا ما ذكيتم بالكسب الحلال وجعلتم بذلك صرف هذه الحال وما ذبح على النصب ما يذبح عليه النفوس من المطالب الفانية وان تستقسموا بالازلام اى ان تكونوا متردد فى طلب المرام فاذا انهيتم عن هذه المنالة وتخلصتم عن هذه الذمائم فقد عاد ليلكم نهارا وظلمتكم انوارا اليوم يئس الذين كفروا من النفس وصفاتها والدنيا وشهواتها من دينكم فلا تخشوهم واخشون فانى كيدى متين اليوم اى فى الازل اكملت لكم دينكم ولكن ظهر الامر فى حجة الوداع يوم غدير واتممت عليكم نعمتى وهى سبب تفصيل الكمال بعثة النبى ص فمن اضطر ممن ابتلى بالتفات شيء من الدنيا والاخرة غير مائل اليه للاعراض عن الحق ولكن من فترة للطالبين او وقفة للسالكين يسئلونك ماذا احل لارباب السلوك اذ الدنيا حرام على اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الله الطيبات كل ما كول ومشروب وملبوس يكون سببا للقيام باداء الحقوق فكلوا مما امسكن عليكم ما ولوا ما اصطادت النفوس المطمئنة المعلمة بعلوم الشريعة المؤدبة بآداب الطريقة المنورة بانوار الحقيقة واذكروا اسم الله عليه كلما ورد عليكم من الامور الدنيوية والاخروية اسم الله اى لا تنصرفوا فيه الا لله وبالله وفى الله اليوم يعنى الذى ظهر كمال الدين الا ولاية يوم عرفة وهذه فائدة التكرار احل لكم الطيبات احل لكم الطيبات التى تتعلق بسعادة الدارين بل احل لكم التخلق بالاخلاق الطيبات وهى اخلاق الله المنزهة عن الكيانات والكيفيات وطعام الذين اوتوا الكتاب هم الانبياء حل لكم اى غذاؤهم بلبانات الولاية كالغذاء بلبانات النبوة وطعامكم حل لهم اى ضيع لبن النبوة والولاية واحدوان كانت التلذذات مختلفة قد علم كل اناس مشربهم وللنبى ص ولذلك كل مشرب بيت عند ربى يطعمنى ويسقينى والمحصنات من المؤمنات وهى ابكار حقايق القرآن والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ابكار حقايق الكتب المنزلة على الامم السالفة التى درجت فى القرآن فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين اذا اتيتموهن اجورهن وهى بذل الوجود محصنين فى هذا البذل ليكون على وجه الحق غير مسافحين على وجه الطبع ولا متخذى اخدان غير ملتفتين الى شيء من الاكوان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله الذى عمل من دون المكاشفات يا ايها الذين آمنوا ايمانا حقيقيا عند خطاب

هذه المقامات

التسبيحية اذا قمتم من نوم الغفلة الى الصلوة وهى معراجكم للرجوع الى مكان من قربكم فاغسلوا وجوهكم التى توجهتم بها الى الدنيا واطعمتموها بالمطالب الاعتبارية بماء التوبة والاستغفار وايديكم الى المرافق اى اغسلوا ايديكم عن التمسك بالادون حتى تصلح للمرافق والرفيق المرافق وامسحوا برؤسكم ببذل نفوسكم وارجلكم الى الكعبين من طين طبيعتكم والقيام بانانيتكم ولا يجرمنكم ولا يحملنكم حسد الحساد وعداوة الاندال على ان لا تعدلوا مع انفسكم اذ هم قوم من الشيطان والنفس والهوى ان يبسطوا اليكم

ع

وَلَقَدْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ بَنِىٓ اِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا

ايديهم فكف ايديهم عنكم والله خبير موفق ومعين — و بدرستى که گرفت خدا پیمان بنی اسرائیل را و برانگیختیم از ایشان دوازده نفر قبیله را

وَقَالَ اللّٰهُ اِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ اَقَمْتُمُ الصَّلٰوةَ وَاٰتَيْتُمُ الزَّكٰوةَ وَاٰمَنْتُمْ بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَاَقْرَضْتُمُ اللّٰهَ قَرْضًا

و گفت خدا که بدرستی که من با شمایم هرگاه که برپا دارید نماز را و بدهید زکوة را و بگروید بپیغمبران من و نیکو دارید ایشان را و قرض دهید خدا را وامی

حَسَنًا لَاُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّاٰتِكُمْ وَلَاُدْخِلَنَّكُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ

خوب هرآینه بپوشانم از شما گناهان شما را و هرآینه درآورم شما را در بوستانها که روانست از زیر آنها جویها پس هرکه کافر شود پس از این

مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ

از شما پس بدرستی که گمراه شده از راه راست پس بجهت شکستن ایشان پیمان ایشان را دور کردیم ایشان را و گردانیدیم دلهای ایشان را سخت که تغییر دهند

الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلٰى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ اِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

کلمات را از جایگاه خود و فراموش کردند بهره از آنچه را که یادآورده شدند و همیشه خبردار شوی بر خیانت ایشان مگر کمی از ایشان

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوٓا اِنَّا نَصٰرٰىٓ اَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا

پس درگذر از ایشان و ببخش بدرستیکه خدا دوست میدارد خوبان را و از آنجمله که گفتند که بدرستی که ما ترسائیم گرفتیم پیمان ایشان را پس فراموش کردند بهره

مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَاَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّٰهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

از آنچه پند داده شدند بآن پس افکندیم در میان ایشان دشمنی و عداوت را تا روز قیامت و زود است که خبر دهد خدا ایشان را بآنچه که بودند که میکردند

يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتٰبِ وَيَعْفُوا

ای صاحبان کتاب بدرستی که آمد شما را پیغمبری از ما که هویدا کند از برای شما بسیاری از آنچه را که بودید که پنهان میکردید از کتاب و درگذرد

عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُمْ مِنَ اللّٰهِ نُورٌ وَكِتٰبٌ مُبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللّٰهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلٰمِ

از بسیاری بدرستی که آمد شما را از جانب خدا روشنی و کتابی هویدا کننده راه مینماید بآن خدا آن را که پیروی کند خشنودی او را براه سلامتی

ويخرجهم

وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ

و بیرون آرد ایشان را از تاریکیها بسوی روشنی بفرمان او و راه نماید ایشان را بسوی راه راست — هر آینه کافر شدند آنانکه گفتند هر آینه خدا او

الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

مسیح پسر مریم است بگو کیست که نگاه دارد از خدا چیزی را اگر خواهد که نابود گرداند مسیح پسر مریم را و مادر او را و هر که در زمین است همه

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَقَالَتِ

و مر خدا راست پادشاهی آسمانها و زمین و آنچه درمیان انهاست بیافریند آنچه خواهد و خدا بر هر چیزی تواناست و گفت

الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ

یهود و ترسایان که ما فرزندان خدا و دوستان اویم بگو پس چرا عذاب کند شما را بگناهان شما بلکه شما آدمیانید از آنها که آفرید

يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ

بیامرزد مر آنرا که خواهد و عذاب کند آنرا که خواهد و مر خدا راست پادشاهی آسمانها و زمین و هرچه درمیان انهاست و بسوی اوست بازگشت

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا

ای اهل کتاب بدرستی که آمد شما را فرستاده ما که ظاهر سازد برای شما احکام را در وقت نبودن پیغمبران که نگوئید نیامد ما را

مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ع

مژده دهنده و ترساننده پس بتحقیق که آمد شما را مژده ده و ترساننده و خدا بر همه چیز تواناست

القراءة فيه حمزة وعلي والمفصل الباقون فاسية الوقوف بني اسرائيل للعدول عن الاخبار الى الحكاية مع اتحاد القصة نقيبا ط للعدول عن الحكاية الى الاخبار معكم ط لان
ما بعده ابتداء قسم محذوف وجوابه لاكفرن الانهار ج لتبدل السبيل ه فاسية لاحتمال الاستيناف والحال اي لعناهم محرفين مواضعه ط لان ما يتلوه حال
اي وقد نسوا ذكروا به للعدول عن الماضي الى المستقبل مع الواو واصفح ط المحسنين ه ذكروا به لعطف المتفقين يوم القيمة ط يصنعون ه عن كثير ط
لان قوله قد جاءكم وصف الكتاب الى آخر الآية مستقيم ه المسيح ابن مريم الاول جميعا ط وما بينهما ط ما يشاء ط قدير ه واحباؤه ط بذنوبكم ط لئلا يصير الاستفهام الى الاخبار
ممن خلق ط من يشاء ط وما بينهما ز للفصل بين ذكر الحال والمآل المصير ه لا نذير لعطف مع وقوع العارض ونذير ط قدير ه التفسير انه سبحانه لما خاطب المؤمنين
بذكر نعمته وميثاقه ذكر ميثاقه في بني اسرائيل ونقضهم اياه ثم لعنهم بسبب ذلك تحذيرا لهذه الامة من مثل ما فعلوا وفعل بهم وبوجه آخر لما ذكر
غدر اليهود وانهم ارادوا ايقاع الشر بالنبي لولا دفع الله تعالى اردفه بذكر سائر فضائحهم ليعلم ان ذلك لم يزل ديدنهم والنقيب العريف فعيل بمعنى
فاعل لانه ينقب عن احوال القوم فيكون شاهدهم وضمينهم وقال ابو مسلم بمعنى مفعول يعني اختارهم على علم بهم واصل النقب الطريق في الجبل
والنقب التنقيب لبيطار سرة الدابة ليخرج منها ما افسده والمناقب الفضائل لانها لا تظهر الا بالتنقيب عنها ويقال كلب نقيب هو ان ينقب حنجرته لئلا يرتفع
صوت نباحه وانما يفعل ذلك البخلاء من العرب لئلا يطرقهم ضيف قال مجاهد والكلبي والسدي ان الله تعالى امر اختيار من كل سبط من اسباط بني اسرائيل
رجلا يكون نقيبا لهم وحاكما فيهم ثم انهم بعثوا الى مدينة الجبارين ليتفحصوا عن احوالهم فرأوا اجراما عظيمة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم ونهاهم
موسى ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا رجلين منهم ومعنى اني معكم اي ناصركم ومعينكم والتقدير وقال الله لهم فحذف الرابط للعلم به والخطاب للنقباء
او لكل بني اسرائيل والحاصل اني معكم بالعلم والقدرة فاسمع كلامكم وارى فعالكم واعلم ضمائركم واقدر على ايصال الجزاء اليكم فهذه مقدمة معتبرة
جدا في الترغيب والترهيب ثم ذكر بعدها جملة شرطية مقدمها مركب من خمسة امور والجزاء هو قوله لاكفرن وهو اشارة الى ازالة العقاب وقوله ولادخلنكم
وهو اشارة الى ايصال الثواب واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له ولكنه سد مسد جوابي الشرط ايضا والعزر في اللغة الرد ومنه التعزير
التاديب لانه يرده عن القبيح ولهذا قال الاكثرون معنى عزرتموهم نصرتموهم لان نصرة الانسان رد اعدائه عنه ولو كان التعزير هو التوقير لكان قوله و
تعزروه وتوقروه تكرارا وههنا اسئلة لم اخر الايمان بالرسل عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع ان الايمان مقدم على الاعمال واجيب بعد
تسليم ان الواو للترتيب بان اليهود كانوا معترفين بان النجاة مربوطة باقامة الصلوة وايتاء الزكوة الا انهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل
فذكر انه لا بد بعد الصلوة والزكوة من الايمان بجميع الرسل والا لم يكن لتلك الاعمال اثر قلت يحتمل ان يكون التقديم والتأخير لتقدم واخر الايمان
عن العمل تنبيها على ان الايمان انما يقع معتدا به اذا اقترن به العمل كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى او هو من القلب الذي
يشجع عليه من الالتباس ولعل اليهود كانوا مقصرين في الصلوة والزكوة فكان ذكرهما اهم سؤال آخر ما الفائدة في قوله واقرضتم بعد قوله وآتيتم الزكوة
واجيب بان الاقراض ذلك البر الصدقات المندوبة قال الفراء ولو قال واقرضتم الله اقراضا حسنا لكان صوابا ايضا الا انه اقيم الاسم مقام المصدر
مثل وانبتها نباتا حسنا اخر لم قال فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فان من كفر قبل ذلك ايضا فقد اخطأ الطريق المستقيم لكن شرع الله
لهم والجواب جل ولكن الضلال بعد الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم اشنع فلهذا اخص بالذكر فبما نقضهم ميثاقهم مبتدأ بتكذيبهم الرسل وقتلهم الانبياء
صفة مجاهدة او باخلال الجملة الشرطية المذكورة لعناهم قال عطاء ابعدناهم من رحمتنا وقال الحسن ومقاتل مسخناهم حتى صاروا قردة وخنازير قال ابن

عباس ضربنا الجزية عليهم وجعلنا قلوبهم قاسية من قرأ قسية فمعناه القاسية ايضا الا انها ابلغ كعليم وعالم ومنه قولهم درهم قسي اي ردي مغشوش لما فيه
من اليبوسة والصلابة بخلاف الدرهم الخالص فان فيه لينا وانقيادا قالت المعتزلة معنى الجعل ههنا انه اخبر عنها بانها صارت قاسية كما يقال جعلت فلانا
فاسقا او عادلا يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير كلامه ونسوا حظا تركوا نصيبا وافرا وقسطا وافيا مما
ذكروا به من التوراة يريد ان تركهم التوراة واعراضهم عن العمل بها اغفال حظ عظيم او نسيت بسبب انهم حرفوا التوراة وزلت علوم منها عن حفظهم
كما روي عن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وقال ابن عباس تركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم وهو الايمان بمحمد ثم بين ان نكث العهود والغدر لم يزل
عادتهم خلفا عن سلف فقال ولا تزال تطلع على خائنة اي خيانة كالعافية والكاذبة او صفة لمحذوف مؤنث اي على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة
خائنة او للمبالغة نحو رجل راوية للشعر الا قليلا منهم وهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وهم الذين بقوا على الكفر من غير غدر ونقض
لعهودهم فاعف عنهم واصفح بعث على حسن العشرة معهم قيل منسوخ بآية الجهاد يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل المراد فاعف
عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم وقيل بناء على ان القليل هم الباقون على العهد منهم ان المراد لا تؤاخذهم بالصغائر ما داموا باقين على العهد هذا
قول ابي مسلم ان الله يحب المحسنين قال ابن عباس معناه اذا عفوت فانت محسن واذا كنت محسنا فقد احبك الله وعلى قول ابي مسلم المراد بهؤلاء المحسنين
هم القليلون الذين ما نقضوا عهد الله وفي هذا التفسير بعد والله اعلم ثم قال ومن الذين قالوا انا نصارى وانما لم يقل ومن النصارى لانهم انما سموا انفسهم
بهذا الاسم ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله وكانوا بالحقيقة انصار الشيطان حيث اختلفوا وخالفوا الحق اخذنا ميثاقهم
ان كان الضمير عائدا الى الذين قالوا فالمعنى ظاهر وان عاد الى اليهود فالمعنى اخذنا منهم مثل ميثاق اليهود في الخبر والايمان بالرسل فاغرينا الصقنا
والزمنا ومنه الغراء الذي يلصق به وغري بالشيء لزمه ولصق به بينهم بين فرق النصارى او بينهم وبين اليهود ثم دعا اليهود والنصارى الى الايمان بمحمد
فقال يا اهل الكتاب لانه اخرج مخرج الجنس مما كنتم تخفون من الكتاب كصفة رسول الله وكصفة الرجم وهذا معجز لانه لم يقرأ كتابا وقد اخبرهم باسرار
كتابهم ويعفوا عن كثير مما تخفونه فلا يبينه اذا لم تمس اليه حاجة في هذا الدين وعن الحسن ويعفوا عن كثير منكم لا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور محمد والاسلام
وكتاب مبين هو القرآن لانه ابان ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز ويحتمل ان يكون النور والكتاب هو القرآن والمغايرة اللفظية كافية بين
المعطوفين ولا شك ان القرآن نور معنوي تتقوى به البصيرة على ادراك الحقائق والمعقولات يهدي به الله اي بالكتاب من اتبع رضوانه من كان مطلوبه
اتباع الدين الذي يرتضيه الله لا الذي يقتضيه هواه سبل السلام طرق السلامة او طرق دار السلام او سبيل الله ان الله هو المسيح بن مريم بناء على قول
الحلول فمن يملك من الله شيئا من الذي يقدر على دفع شيء من افعال الله ومنع شيء من مراده وقوله ان اراد شرط جزاؤه محذوف يدل عليه ما تقدم والمعنى ان اراد
ان يهلك المسيح المدعو الها وغيره فمن الذي يقدر على ان يدفعه عن مراده ومقدوره والمراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم وشكلهم في
الصورة والخلقة والجسمية والتركيب وسائر الاعراض فلما سلمتم كونه تعالى خالقا لغيرهما وجب ان يكون خالقا لهما ومتصرفا فيهما وانما قال وما بينهما بعد ذكر
السموات والارض ولم يقل بينهن لانه اراد الصنفين او النوعين وفي قوله يخلق ما يشاء وجهان احدهما يخلق تارة من ذكر وانثى وتارة من انثى فقط كما في حق
عيسى وتارة من غيرهما كما في حق آدم وثانيهما ان عيسى اذا قدر صورة الطير من الطين فان الله تعالى يخلق فيها اللحمية والحيوة معجزة لعيسى وكذا احياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص نحن ابناء الله واحباؤه قيل عليه ان اليهود لا يقولون ذلك فكيف يجوز نقل ذلك عنهم واما النصارى فلا يقولون ذلك في حق انفسهم واجيب بان
المضاف محذوف اي نحن ابناء رسل الله او يريدون عيسى ابن الله تعالى نحن لهم كالاشياع والاتباع للاب والابن واليهود يزعمون ان عزيرا ابن الله والنصارى ان المسيح ابن
الله وقد يقول اتباع الملوك وحشمهم نحن الملوك وغرضهم كونهم مختصين بذلك المختص الذي هو الملك عن ابن عباس ان النبي دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام
وخوفهم بعقاب الله فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن ابناء الله واحباؤه ومما يتلو النصارى في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى
ابي وابيكم ثم انه سبحانه ابطل عليهم دعواهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم فسئل ان موضع الالزام هو عذاب الدنيا ولكن المعارضة تتوقع احد بقتل
احباء الله كالحسن والحسين او عذاب الآخرة والقوم ينكرون ذلك ولو كان مجرد اخبار بانهم كذبوا في دعواهم احباء الله كافيا ويصير السؤال اضعافا
اجيب بان محل الالزام عذاب عاجل والمعارضة بيوم احد ساقطة لانهم وان ادعوا انهم الاحباء لكنهم لم يدعوا انهم الابناء او عذاب آجل واليهود والنصارى
يعترفون بذلك وانهم تمسهم النار اياما معدودة ويمكن ان يقال المراد مسخهم قردة وخنازير بل هذا الجواب اولى ليكون الاحتجاج عليهم بشيء قد دخل في الوجود
فلا يمكنهم الانكار بل انتم بشر ممن خلق من جملة من خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ليس لاحد عليه حق يوجب ان يغفر له ولا قدرة تمنعه من ان يعذبه وفي الآية تأكيد لهذا
المعنى يبين لكم في محل النصب على الحال وفيه وجهان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحسن حذفه لان كل احد يعلم ان الرسول انما ارسل لبيان الشرائع او هو
ما كنتم تخفون وحسن حذفه لتقدم ذكره وان لا يقدر المبين والمعنى يبذل لكم البيان وحذف المفعول اعم فائدة وقوله على فترة متعلق بجاءكم او حال قال ابن عباس
اي على حين فتور من ارسال الرسل وفي انقطاع الوحي وسميت المدة بين الرسولين من رسل الله فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرائع كان بين عيسى
ومحمد خمسمائة وستون او ستمائة سنة وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل
وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي اما العبسي بالنون فهو المنتمي الكائن المقصود ان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وتطرق التحريف
والتبديل الى الشرائع المتقدمة وكان ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لا بد من عبادة ولكنا ما عرفنا كيف

تعبدك من الله تعالى عليهم بارسال هذه العلة وذلك قوله ان تقولوا اى كراهة ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم اى لا تعتذروا فقد جاءكم وكما ان الفترة توجب حاجة الى بعثة الرسل والله قادر على ذلك لانه قادر على كل شئ فكان يجب حكمته ورحمته ارسال الرسل في الفترات الزاما للحجج واتماما للبيانات

اقول وجعل في امة موسى اثنا عشر نقيبا وجعل في هذه الامة من النجباء البدلاء اربعين رجلا كما قال انه يكون في هذه الامة اربعون على خلق ابراهيم وسبعة على خلق موسى وثلثة على خلق عيسى وواحد على خلق محمد وقال ابو عثمان المغربي البدلاء اربعون والامناء سبعة والخلفاء ثلثة والواحد هو القطب فالقطب عارف بهم جميعا ويشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه هو امام الاولياء وهكذا حال الثلثة مع السبعة والسبعة مع الاربعين فاذا نقص من الاربعين واحد بدل مكانه واحد من غيرهم واذا نقص من السبعة واحد جعل مكانه واحد من الاربعين واذا نقص من الثلثة واحد جعل مكانه واحد من السبعة واذا مضى القطب الذي به قوام اعداد الخلق جعل بدله واحد من الثلثة هكذا الى ان ياذن الله تعالى في قيام الساعة ثم اقيموا الصلوة بان تجعلها معراجا الى الحق ودرجات القيام والركوع والسجود والتشهد فبالقيام يتخلص عن حجاب وسمات الانسانية واعظمها الكبر وهو من خاصية النار وبالركوع يتخلص عن حجب صفات الحيوانية واعظمها الشهوة وهو من خاصية الهواء وبالسجود يتخلص عن حجب طبيعة النبات واعظمها الحرص على الجذب للنشو والنماء وهو خاصية الماء وبالتشهد يتخلص عن حجب طبع الجماد واعظمها الجمود وهو خاصية التراب فاذا تخلصت من هذه الحجب فقد اقمت الصلوة مناجيا ربك مشاهدا له كما قال اعبد الله كانك تراه واتيتم الزكوة بان تصرف ما اذا من وجودك بتعلق القالب في سبيل الله وامنتم برسلي استسلمتم بالكلية لتصرفات النبوة والرسالة واقرضتم الله بالوجود قرضا حسنا وهو ان ياخذ منكم وجودا مجازيا فانيا ويعطيكم وجودا حقيقيا باقيا كما يقول لا كفرن لاستر بالوجود الحقيقي عنكم سيئات الوجود المجازي ولادخلنكم جنات الوصلة تجري من تحتها انهار العناية ولا تزال تطلع على خائنة منهم لان لعصيان بعدل العصيان فاغرينا بينهم العداوة حيث تواخط الميثاق وابطلوا الاستعداد الفطرى صاروا كالسباع يتهارشون ويتحادبون تغفر لمن يشاء وتعذب من يشاء يجعل اوليائه مظهر لطفه وفضله واعدائه مظهر قهره

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ

وعدله وهو اعلم بعباده — و چون گفت موسی مر قوم خود را که ای قوم یاد آرید نعمت خدا را بر شما چون قرار داد در شما پیغمبران و گردانید شما را

مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ

پادشاهان و داد شما آنچه ما که نداد هیچ یک از عالمیان را ای قوم درآیید در زمین پاکیزه که نوشت خدا از برای شما

وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا

و باز مگردید بر پشت خود پس باز گردید زیان کاران گفتند ای موسی بدرستی در اینجا گروهی اند ستمکاران و بدرستی ما داخل نشویم در آنجا

حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۝ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا

تا که بیرون روند از آن پس اگر بیرون روند از آن پس البته ما درآییم گفتند دو مرد از آنانی که میترسیدند و انعام فرمود خدا بر ایشان که درآیید

عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَىٰ

بر ایشان از در پس چون که داخل شدید در آن بدرستی که شما غالب باشید و بر خدای پس توکل کنید اگر هستید گروندگان گفتند ای موسی

إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي

که ما هرگز داخل نشویم آنجا در هنگامی که ایشان در آنند پس برو تو و پروردگارت پس قتال کنید که ما درینجا نشستگانیم گفت پروردگارا من

لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ

مالک نیستم بجز نفس و برادر مرا پس جدائی انداز در میان ما و میان گروه فاسقان گفت که پس این زمین حرام است بر ایشان در چهل

سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ القراءة جبارين بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو

سال که سرگردان مانند در زمین پس تاسف مخور بر گروه فاسقان — كان فلا تاس بغير همزة حيث وقف ابو عمرو يزيد

والاعشى وورش وحمزة في الوقف لو توف ملوكا جبارين تدخل لشبهة الابتداء بان ولكن كسر القاف بجميعه يعيد القول معطوفا على الاول حتى يخرجوا منها لابتداء الشرط مع فالمعقب داخلون لباب لذلك غالبون مؤمنين ؛ عدن الفاسقين سنة لانها تصلح ظرفا للتيه بعدها وللتحريم قبلها الفاسقين التفسير وجه النظم انه سبحانه كانه قال اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وذكرهم موسى نعم الله وامرهم بمحاربة الجبارين فخالفوا في الكل من الله عليهم باموثلثة اولها قوله اذ جعل فيكم انبياء وذلك انه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء ودانيها قوله وجعلكم ملوكا قال السدي اى جعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ما استعبدكم القبط وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية وكانت لهم اموال كثيرة وخدم يقومون بامرهم ومن كان كذلك كان ملكا وقال الزجاج الملك من لا يدخل عليه احد الا باذنه وقيل الملك هو الصحة والاسلام والامن والقوت وقهر النفس وقيل من كان مستقلا بامر نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا في مصالحه الى احد فهو ملك وقيل كان في اسلافهم واخلافهم ملوك وعظماء وقد يقال لمن حصل فيهم ملوك انهم ملوك مجازا وقيل كل نبي ملك لانه يملك امر امته ينفذ فيهم حكمه وثالثها واتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الخوارق والعظائم وقيل اراد عالمي زمانهم روى ان ابرهيم لما صعد جبل لبنان قال الله تعالى له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس

ابن عباس

وصارت لذريتك وقيل لما خرج قوم موسى من مصر وعدهم الله اسكان ارض الشام وكان بنو اسرائيل يسمون ارض الشام ارض المواعيد ثم بعث موسى ع
اثني عشر نقيبا من الامناء ليتجسسوا لهم من احوال تلك الاراضي فلما دخلوا تلك البلاد رأوا اجساما عظيمة هائلة قال المفسرون لما بعث موسى النقباء
لاجل التجسس رآهم واحد من اولئك الجبارين فاخذهم وجعلهم في كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال متعجبا للملك
هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم واخبروه بما شاهدتم فانصرف النقباء الى موسى فاخبروه بالواقعة فامرهم ان يكتموا ما شاهدوا
فلم يقبلوا قوله الا رجلان هما كالب بن يوقنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افراهيم بن يوسف فانهما قالا هي بلاد طيبة كثيرة النعم واجسامهم عظيمة
الا ان قلوبهم ضعيفة واما العشرة الباقية فانهم اوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى اظهروا الامتناع عن غزوهم والارض المقدسة هي المطهرة من الآفات
وقيل من الشرك وتعقب بانها لم يكن وثنا الجبارين كذلك واجيب بانها كانت كذلك فيما قبل لانها كانت مسكن الانبياء ثم انها ما هي عن عكرمة والسدي وابن زيد
هي اريحا وقال الكلبي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الطور وما حوله وقيل بيت المقدس وقيل الشام ومعنى كتب الله لكم وهبها لكم او خط في
اللوح المحفوظ انها لكم او امركم بدخولها قال ابن عباس كانت هبة ثم حرمها عليهم بشوم تمردهم وعصيانهم وقيل المراد خاص اي مكتوب لبعضهم وحرام
على بعضهم وقيل ان الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وقيل حرم عليهم اربعين سنة فلما مضى الاربعون حصل ما كتب وفي
قوله كتب الله لكم تقوية القلوب بان الله سينصرهم مع ضعفهم على الجبارين مع قوتهم ولا ترتدوا على ادباركم لا ترجعوا من الدين الصحيح الى الشك في نبوة
موسى واخباره بهذه النصرة او لا ترجعوا عن الارض التي امرتم بدخولها الى التي خرجتم عنها فقد روي ان القوم كانوا قد عزموا على الرجوع الى مصر فتنقلبوا خاسرين
في الآخرة بفوت الثواب وحصول العقاب وترجعوا الى الذل او تموتوا في التيه غير واصلين الى شيء من مطالب الدنيا ومنافع الآخرة والجبار فعال من جبره على الامر
بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وهو اختيار الفراء والزجاج قال الفراء لم اسمع فعالا من افعل الا حرفين جبار من اجبر ودراك من ادرك
ويقال نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدي اليها والقوم كانوا في غاية القوة ونهاية العظم حتى خاف قوم موسى منهم حتى قالوا على سبيل المبالغة
في الاستبعاد انا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون كقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال رجلان هما يوشع
وكالب من الذين يخافون الله وقد انعم الله عليهما اي بالهداية والثقة بقوله والاعتماد على نصره موضع صفة لرجلان ويحتمل ان يكون جملة معترضة قال الكشاف
يجوز ان يكون الضمير في يخافون لبني اسرائيل والعائد الى الموصول محذوف وتقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون فعلى هذا الرجلان من الجبابرة
ادخلوا عليهم الباب مبالغة في الوعد بالنصر والظفر كانه قال متى دخلتم باب بلدهم لم يبق منهم نافخ نار ولا ساكن دار فاذا دخلتموه فانكم غالبون علموا ذلك
او بغلبة من عادة الله نصرة رسله عامة ومن صنعه لموسى ع في قهر اعدائه خاصة وعلى الله فتوكلوا الفاء للايذان بلازم ما قبلها وما بعدها والمعنى
لما وعدكم الله النصر فلا ينبغي ان تصيروا خائفين من عظم اجسامهم بل توكلوا على الله ان كنتم مؤمنين مقرين بوجود الاله القادر مؤمنين بصحة نبوة
موسى قالوا يا موسى انا لن ندخلها نفوا دخولهم في المستقبل على وجه التاكيد بقولهم ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا قال العلماء لعلهم كانوا مجسمة يجوزون
الذهاب والمجيء على الله تعالى او انهم لم يقصدوا حقيقة الذهاب كقولك كلمته فذهب يجيبني تريد القصد والارادة وقيل المراد بالرب اخوه هرون وسموه ربا
لانه اكبر من موسى وقيل التقدير اذهب انت وربك معين لك تعلم ولكن لا يبقى ويرد قوله فقاتلا ولا يبقى لقوله انت فائدة واضحة ولا يخفى ان هذا القول منهم كفر
او فسق فلهذا قال موسى على سبيل الشكوى والبث رب اني لا املك الا نفسي واخي قال الزجاج في اعرابه وجهان الرفع على موضع اني المعنى انا لا املك الا نفسي وا
وكذلك ونصب قال غيره النصب في املك اي لا املك انا واخي الا انفسنا او على نفسي اي لا املك الا نفسي ولا املك الا اخي لان اخاه اذا كان مطيعا له فهو قالك
طاعته وكانه لم يثق بالرجلين كل الوثوق فلهذا لم يذكرهما او لعله قال ذلك تقليلا لمن يوافقه وارادة من يؤاخيه في الدين فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين او المراد فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لكل منا بما نستحق وهو معنى الدعاء
عليهم بدليل قوله التسبيب في قوله فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم يفتحها الله لهم من غير محاربة والمراد انهم يتيهون اربعين سنة
ومعنى يتيهون يسيرون متحيرين قيل ان موسى لما دعا عليهم اخبره الله بانهم يتيهون فقالوا لم دعوت علينا وندم على ما عمل فاوحى الله اليه فلا تأس
اي لا تحزن ولا تندم على القوم الفاسقين فانهم احقاء بالعذاب لفسقهم وجوز بعضهم ان يكون ذلك خطابا لمحمد اي لا تحزن على قوم لم يزل
مخالفة الرسل شعارهم واعلم ان المفسرين اختلفوا في ان موسى وهرون هل بقيا في التيه ام لا فقال قوم انهما ما كانا في التيه لانه دعا ان يفرق بينه
وبينهم ودعاء النبي مجاب ولان التيه عذاب والانبياء لا يعذبون ولان بسبب ذلك العذاب لتمردوا فلم يستحقا وقال آخرون انهما كانا مع القوم الا ان الله
سهل عليهم ذلك العذاب كما ان النار كانت على ابراهيم بردا وسلاما ثم من هؤلاء من قال ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل
يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر وكان ابن اخت موسى ووصيه بعد موته ومات النقباء في التيه بغتة بعقوبات غليظة الا كالب ويوشع ومنهم
من قال بل بقي موسى بعد ذلك وخرج من التيه وحارب الجبارين وقهرهم واخذ الارض المقدسة والله تعالى اعلم واختلفوا ايضا في التيه في المقدار الذي
تاهوا فيها فقال الربيع مقدار ستة فراسخ وقيل تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا وقيل ستة في اثني عشر فرسخا وقيل كانوا ستمائة الف فارس ثم الاكثرون على
ان قوله فانها محرمة عليهم منع كانوا يسيرون كل يوم على الاستئناف جادين حتى اذا سئموا وامسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان مع ذلك نعم الله
عليهم من تظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك متظاهرة كالولد الذي يغضب عليه الوالد ويؤدبه لكنه لا يقطع عنه معروفه

واحسانه ويشكل هذا القول بانه كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في ذلك القدر الصغير من المفازة سنين متطاولة بحيث لا يهتدي احد منهم الى طريقها بالليل ولا بالنهار حتى كانت النجوم والجواب ان هذا من الخوارق التي يجب التصديق بها كسائر المعجزات التي يستبعد نوعها وقال بعضهم ان هذا التحير لعله انما نشأ من امرهم بالمكث في تلك المفازة اربعين سنة عقابا لهم على سوء صنيعهم وعلى هذا فلا اشكال التأويل اشارة موسى الروح الى القوى البدنية ادخلوا ارض القلب المقدسة التي كتبها الله لكم لانها المستعدة في الفطرة فهابوا تحمل اعباء المجاهدات ولزوم المخالفات والرياضات فقال لهم النفسان اللوامة والمطمئنة انكم غالبون اذا دخلتم باب الجد والطلب بصدق العزم فلم يقبلوا بقولهما فحرم الله ثم ذلك عليهم اربعين سنة هي تلك السنين استيفاء حظوظ النفس الامارة وانكسار سورة هواها في الاغلب كقوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة وفي الاية نكتة هي ان موسى لما ظن انه يملك نفسه ونفس اخيه ابتلاه الله في الحال بالدعاء على امته لان المرء انما يملك نفسه اذا ملكها عند الغضب فشتان بينه وبين من قال حين شج راسه وكسرت رباعيته اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون اللهم صل عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآل كل بفضلك ورحمتك يا ارحم الراحمين قوله عز وجل

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا

وبخوان بر ایشان حکایت دو پسر آدم را براستی چون نزدیک کردند قربانی را پس قبول شد از یکی و قبول نشد از دیگری گفت که هر آینه میکشم ترا گفت که

يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ

قبول میکند خدا از پرهیزکاران اگر بگشائی بسوی من دست خود را که بکشی مرا نیستم من دست برا بسوی تو که بکشم ترا بدرستیکه میترسم خدا را

رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ

که پروردگار جهانیانست من میخواهم که بازگردی بگناه من و گناه خود پس باشی از یاران آتش و این است پاداش ستمکاران پس قبول کرد

لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي

برا و نفس کشتن برادرش را پس کشت او را پس صبح کرد از زیانکاران پس فرستاد خدا غرابی را که بچنگ کاوش کردی زمین را تا بنماید که چگونه پنهان کند

سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ۝

نعش برادرش را گفت که ای وای بر من که نتوانستم که بوده باشم مانند این غراب پس پنهان کنم نعش برادرم را پس صبح کرد از پشیمانان

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ

از این جهت نوشتیم بر گروه بنی اسرائیل که بدرستیکه هر که کشت نفسی را بدون نفسی یا فسادی در زمین پس چنانست که کشته

النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ

مردمان را همه و هر که زنده کرد او را چنانست که زنده کرده باشد مردم را همه و بدرستیکه آمد ایشانرا پیغمبران ما بگواهان

ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ۝ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ

پس بدرستیکه بسیاری از ایشان پس از این در زمین هر آینه زیادروانند جز این نیست که پاداش آنانکه جنگ کنند با خدا و رسول او و بشتابند

فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ

در زمین بجهت فساد که کشته شوند یا بدار کشیده شوند یا بریده شود دستهاشان و پاهاشان از خلاف یا رانده شوند از زمین

ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ

این از برای ایشان زیانیست در دنیا و مر ایشانراست در آخرت عذابی بزرگ مگر آنانی که بازگشتند پیش از آنکه دست یابید بر ایشان

فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا

پس بدانید که خدا آمرزنده مهربانست ای زمره آنانیکه گرویده اید بپرهیزید خدا را و بخواهید بسوی او وسیله را و کوشش کنید

فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا

در راه او شاید شما رستگار شوید بدرستیکه آنانکه کافر شدند اگر که باشد مر ایشانرا آنچه در زمین است همه و مانند او با آن که فدیه دهند

بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ

بآن از عذاب روز قیامت پذیرفته نشود از ایشان و مر ایشانراست عذابی دردناک میخواهند که بیرون آیند از آتش و نیستند ایشان

بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۝ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا

بیرون آیندگان از آتش و مر ایشانراست عذابی پاینده و مرد دزد و زن دزد پس ببرید دستهاشانرا پاداش آنچه کسب کردند و عقوبت

مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ أَلَمْ

از خدا و خدا غالب دانا است پس هر که توبه کرد پس از ظلم کردنش و نیکو کرد پس بدرستیکه خدا میپذیرد توبه او بدرستیکه خدا آمرزنده مهربانست آیا

تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝

نمیدانی که خدا مراو راست پادشاهی آسمانها و زمین عذاب میکند هر کرا خواهد و میآمرزد هر کرا خواهد و خدا بر همه چیز توانا است

ربع

ع

القراءة لا تنلنك بالنون الخفيفة روى المعدل عن زيد يدي اليك بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع من اجل بكسر النون يزيد وقرأ ورش بفتح النون موصولة
وسلنا بسكون الشين حيث كان ابو عمرو الوقوف بالحق ط لئلا يوهم ان اذ معمول اذكر محذوفا ولو وصل لاوهم انه معمول اتل وهو محال من الآخر ط لاقتلنك ط المتقين ه
لاقتلك ج لاحتمال اضمار اللام او الفاء العالمين ه النار ج لاختلاف الجملتين الظالمين ج لاجل الفاء الخاسرين ه سوأة اخيه ط اخي ج لطول ما اعترض من المعطوف والمعطوف
عليه النادمين ج من اجل ذلك ج كذلك لان قوله من اجل يصلح ان يتعلق باصبح وبكتبنا جميعا في الموضعين ط بالبينات لان ثم لترتيب الاخبار المسرفون ه من الارض ط
عظيم ه عليهم ج لتناهي الاستثناء مع الجواب اي لا تعذبوا التائبين فان الله غفور رحيم ه تفلحون ه منهم ج لتناهي الشرط مع اتحاد المقصود من الكلام اليم ه لاتحاد المقصود مع
اختلاف الجملتين منهم ه من الله ط حكيم ه يتوب عليه ط رحيم ه لمن يشاء ط قدير ه التفسير في النظم وجوه منها انه راجع الى قوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكانه تعالى
ذكر لاجل تسلية نبيه قصصا كثيرة كقصة النقباء وما انجر اليه الكلام من اصرار اهل الكتاب وتعنتهم بعد ظهور الدلائل القاطعة ثم ختمها بقصة ابني آدم
وان احدهما قتل الاخر حسدا وبغيا لما علم ان الفضل كان محسودا بكل اوان ومنها انه عائد الى قوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان هذه القصة
وكيفية ايجاب القصاص بسببها كانت من اسرار التوراة ومنها انه من تمام قوله نحن ابناء الله واحباؤه اي لا ينفعهم كونهم من اولاد الانبياء مع كفرهم كما لم ينفع
قابيل والمراد اتل على الناس او على اهل الكتاب خبر ابني آدم من صلبه هابيل وقابيل تلاوة متلبسة بالحق والصحة من عند الله تعالى او متلبسة بالصدق وموافقا لما
في التوراة والانجيل او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد المخبر من سوء عاقبة الحاسد وانه محقوق صفات لاستبطال هابيل كالا فاصبح الى الاغتنا
منها اذ قربا قال في الكشاف نصب بالنبأ اي قصتهم في ذلك الوقت وبدل من النبأ اي نبأ ذلك الوقت على حذف المضاف والتقدير اذ قرب كل واحد منهما قربانا الا
انه جمعهما في الفعل اتكالا على قرينة الحكاية او لان القربان في الاصل مصدر ثم سمي به ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة يروى ان آدم عم كان يولد له في كل
سنة بطن غلام وجارية فكان يزوج البنت من بطن الغلام من بطن آخر فولد قابيل وتوأمته اقليما وبعدهما هابيل وتوأمته ليوذا وكانت توأمة قابيل احسن
فاراد آدم ان يزوجها من هابيل فابى قابيل وقال انا احق بها وليس هذا من الله وانما هو رأيك فقال آدم لهما قربا قربانا فمن ايكما تقبل قربانه زوجتها منه
فتقبل الله قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وقتل اخاه حسدا هذا ما عليه اكثر المفسرين واصحاب الاخبار وقال الحسن والضحاك انهما ما كانا ابني آدم
لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل لقوله عز من قائل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل ومن البين ان صدور الذنب من احد ابني آدم لا يصلح ان يكون
سببا لايجاب القصاص على بني اسرائيل وزيف بان الاية تدل على ان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم ذلك من عمل الغراب ولو كان من بني اسرائيل لم يخف
عليه قال مجاهد اكل النار علامة الرد وجمهور المفسرين على ان ذلك علامة القبول وقيل ما كان في ذلك الوقت فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله فكانت النار
تنزل من السماء فتاكله وانما صار احد القربانين مقبولا والاخر مردودا لان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال ولهذا قال تعالى حكاية عن المحق في جواب المبطل
انما يتقبل الله من المتقين وذلك لانه لما كان الحسد هو الذي حمله على توعده بالقتل فكانه قال له ما لك لا تعاتب نفسك لاحملها على طاعة الله تعالى التي هي
السبب في القبول وقيل في هذه القصة ان احدهما جعل قربانه احسن ما كان معه وكان صاحب غنم والاخر جعله اردأ ما كان معه وكان صاحب زرع وقيل انه اضمر
انه لا يزوج اخته من هابيل سواء قبل او لم يتقبل وقيل لم يكن قابيل من اهل التقوى وفي الكلام حذف فكان هابيل قال في جواب المتوعد لم تقتلني قال لان قربانك
صار مقبولا فقال هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين ثم حكى الله سبحانه عن المظلوم انه قال لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك نكر
الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل مقرونا بالباء المزيدة لتاكيد النفي دلالة على انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع البتة قال مجاهد كان
اقوى من القاتل وابطش منه لكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت هذا وجه قوله اني اخاف الله رب العالمين
وقيل المعنى لا ابسط يدي اليك لغرض قتلك وانما ابسط لغرض الدفع قال اهل العلم الدافع عن نفسه يجب عليه ان يدفع بالايسر فالايسر وليس له ان يقصد الدفع ثم
ان لم يندفع الا بالقتل جاز له ذلك ثم قال اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فسئل انه كيف يعقل ان يرجع القاتل مع اثم المقتول ولا تزر وازرة وزر اخرى فقال
ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة اي تحمل اثم قتلي واثمك الذي كان منك قبل قتلي وقال الزجاج ترجع الى الله باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك وقال
في الكشاف انه يحتمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي سؤال آخر كيف جاز ان يريد معصية اخيه وكونه من اهل النار والجواب
ان هذا الكلام انما دار بينهما عند ما غلب على ظن المقتول انه يريد قتله وكان ذلك قبل اقدام القاتل على ايقاع القتل فكانه لما وعظه ونصحه قال له ان كنت
لا تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب هذه النصيحة فلا بد ان تترصد لقتلي في وقت غفلة وحينئذ لا يمكنني ان ادفع عن قتلي الا اذا قتلتك ابتداء بمجرد الظن والحسبان وهذا
مني كبيرة ومعصية واذا دار الامر بين ان اكون فاعل هذه المعصية انا وبين ان تكون انت فانا احب ان تحصل هذه الكبيرة لك لا لي ومن البين ان ارادة صدور
الذنب عن الغير في هذه الحالة لا يكون حراما بل هو عين الطاعة او المراد اريد ان تبوء بعقوبة قتلي ولا شك انه يجوز للمظلوم ان يريد من الله تعالى عقاب الظالم
وروي ان الظالم اذا لم يجد يوم القيامة ما يرضي خصمه اخذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم فعلى هذا يجوز ان يقال اني اريد ان تبوء باثمي الذي يحمل عليك
يوم القيامة اذا لم تجد ما ترضيني به وباثمك في قتلك اياي وهذا يصلح جوابا عن السؤال الاول ايضا فطوعت له نفسه قتل اخيه وسعته وخصته وسهلته من
طاع له المرتع واطاع اذا اتسع وله لاجل زيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله ومنهم من قال شجعته فقتله والتحقيق ان الانسان العالم ان القتل
العمد العدوان من اعظم الذنوب فهذا الاعتقاد يكون صارفا له عن فعله فلا تطاوعه النفس الامارة حتى اذا كثرت وساوسها انقاد لها وخضع

التطويع والتشبيه الى النفس لا ينافي كون القتل مضافا الى قضاء الله فقتله يحكى ان قابيل لم يدر كيف يقتل هابيل فظهر له ابليس واخذ طيرا وضرب رأسه بحجر فتعلم قابيل
ذلك منه ثم انه وجد هابيل يوما نائما فضرب رأسه بصخرة فمات وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها وذلك لانه اول
من سن القتل فاصبح من الخاسرين دنياه واخرته لانه اسخط والديه وبقي مذموما الى يوم القيامة ثم يلقى في النار قالوا لما قتل اخاه هرب من ارض اليمن
الى عدن فاتاه ابليس وقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدم النار ويعبدها فبنى بيت نار وهو اول من عبد النار وروي ان هابيل قتل وهو ابن
عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت
عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لم يضحك وانه رثاه بشعر وهو قوله تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر
قبيح تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح قال في الكشاف انه كذب بحت وقد صح ان الانبياء معصومون عن الشعر وصدقه في التفسير الكبير قال ان ذلك
نعى فانه لو كان كذلك لم يبق لا يليق بالاحاد فضلا عن الانبياء وخصوصا من علم حجة على الملائكة واقول اما ان جميع الانبياء معصومون عن الشعر فلعل دعوى
العموم لا يمكن فيه وكانه من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا امتن الله عليه بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له واما انه من تكلم بالحكمة المذكورة
فمكابرة مع ان مقام البث والشكوى لا يحتمل الشعر المصنوع والله اعلم بحقيقة الحال قال المفسرون انه لما قتله تركه لا يدري ما يصنع به ثم خاف عليه
السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تغير فبعث الله غرابا [illegible] الاكثرون انه بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة
فتعلم من الغراب قال الاصم لما قتله وتركه بعث الله غرابا يحثي على المقتول فلما رأى القاتل ان الله تعالى كيف يكرمه بعد موته ندم وقال ابو مسلم عادة الغراب دفن الاشياء
فجاء غراب فدفن شيئا فتعلم ذلك منه ليريه اي الله او الغراب اي ليعلمه وذلك انه كان سبب تعليمه كيف يواري محله نصب على الحال من ضمير يرى والجملة مفعول
يرى مفعولا ثانيا لـ يريه كيفية مواراة سوءة اخيه اي عورته وما لا يجوز ان ينكشف من جسده وقيل جيفته اخيه والسوءة السوأى الحالة القبيحة
يا ويلتي كلمة عذاب يقال لمن وقع في هلكة وعذاب ومعناه الدعاء بالاهلاك وقد يقال في معرض التحزن والتحسر وانما طلب اقبال الويل ههنا على سبيل التعجب التذلل
حتى ينعجب منك من قطاعة واحضر فهذا اوان حضورك والالف بدل من ياء المتكلم اعجزت استفهام بطريق الانكار ان اكون اي عن ان اكون مثل هذا
الغراب في الفعلة المذكورة ولهذا قال فاواري بالنصب على جواب الاستفهام من النادمين لان الندم وضع للزوم ومنه النديم لملازمته المجلس وانما لم يكن
ندمه توبة لانه انما تعلم الدفن من الغراب فصار من النادمين على ان حمله على ظهره سنة او ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله بل سخط ابواه واخوته وندم لانه
تركه بالعراء استخفافا وتهاونا وكان دون الغراب في الشفقة على مفعوله حيث صار الغراب [illegible] اذ كان الغراب [illegible] من اجل ذلك القتل قيل هو
من اجل شرا ياجله اجلا اذا اجناه كتبنا على بني اسرائيل لان كان القاتل والمقتول من بني اسرائيل فالمناسبة بين الواقعة وبين وجوب القصاص عليهم
ظاهرة وان كانا ابني آدم من صلبه فالوجه ان يكون ذلك اشارة الى ما في القصة من انواع المفاسد كخسران الدارين وكالندم على الامور المذكورة اي من اجل
ما ذكرنا في اثناء القصة من المفاسد الناشئة من القتل العمد العدوان شرعنا القصاص في حق القاتل ثم وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان
والملل الا ان التشديد المذكور في الآية وهو ان قتل النفس الواحدة جار مجرى قتل جميع الناس [illegible] الاعلى بني اسرائيل والغرض بيان قساوة قلوبهم فانهم مع
علمهم بهذا الحكم اقدموا على قتل الانبياء والرسل ويكون فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الواقعة التي عزموا فيها على قتله ثم القائلون بالقياس استدلوا بالآية
على ان احكام الله تعالى قد يكون معللة بالعلل لانه صرح بان الكتبة معللة بتلك المعاني المشار اليها بقوله من اجل ذلك والمعتزلة ايضا قالوا انها دلت
على ان الاحكام معللة بمصالح العباد ويعلم منه امتناع كونه تعالى خالقا للكفر والقبائح لان ذلك ينافي مصلحة العبد والاشاعرة شنعوا عليهم بلزوم الاستكمال
والتحقيق ان استتباع الفعل الغاية الصحيحة لا ينافي الكمال الذاتي وقد سبق مرارا بغير نفس هو ان يقع لا على وجه الاقتصاص او فساد قال الزجاج انه معطوف
على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض كالكفر بعد الايمان وكقطع الطريق وغيره من المهلكات فكانما قتل الناس جميعا وههنا نكتة وهي ان التشبيه لا يستدعي
التسوية بين المشبه والمشبه به من كل الوجوه فلا يكون قتل النفس الواحدة قتل جميع الناس فان الجزء لا يعقل انه مساو للكل والغرض استعظام امر القتل العمد العدوان
واشتراك الفعلين في استحقاق الاثم كما قال مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك والتحقيق فيه انه
اذا اقدم على القتل العمد العدوان فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية الطاعة واذا ثبت الترجيح بالنسبة الى واحد ثبت بالنسبة الى كل فاحد بل بالانسان
الى الكل لان كل انسان يدلي من الكرامة والحرمة بما يدلي به الآخر فلو ان جد الناس واجتهادهم في دفع قاتل شخص واحد يجب ان يكون مثل جدهم في دفعه لو علموا
انه يقصد قتلهم باسرهم ومن احياها استنقذها من مهلكة كحرق او غرق او جوع مفرط ونحو ذلك والكلام في تشبيه احياء البعض باحياء الكل كما تقدم
في القتل ثم ان كثيرا منهم اي من بني اسرائيل بعد ذلك وبعد مجيء الرسل لمسرفون في القتل لا يبالون بعظمته ومنه [illegible] ثم انه سبحانه بين
ان الفساد في الارض الموجب للقتل ما هو فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله استدل بالآية من جوز ارادة الحقيقة والمجاز معا من لفظ
واحد لان محاربة الله عبارة عن المخالفة فقط ولا يمكن حملها على حقيقة المحاربة ويحتمل ان يقال تأويل هذه المحاربة على مخالفة الامر والتكليف والنقد
انما جزاء الذين يخالفون احكام الله واحكام رسوله او المراد انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله واولياء رسوله كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة ويسعون في الارض فسادا نصب على الحال اي مفسدين او على العلة اي للفساد او على المصدر الخاص نحو رجع القهقرى لان الفساد نوع من السعي عن قتادة
عن انس ان الآية نزلت في العرنيين الذين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم وامر فقطع ايديهم وارجلهم ثم سمل اعينهم

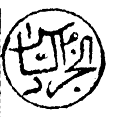


وتركهم حتى ماتوا فكانت الآية ناسخة لتلك السنة وعند الشافعي لما لم يجز نسخ السنة بالقرآن كان الناسخ لتلك السنة سنة أخرى ونزل هذا القرآن مطابقا
للسنة الناسخة وقيل نزلت في قوم أبي بردة الأسلمي وكان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فمر بهم قوم من كنانة يريدون الإسلام وأبو بردة غائب فقتلوهم وأخذوا
أموالهم وقيل هذا في بني إسرائيل الذين حكى الله عنهم أنهم مسرفون في القتل وقيل في قطاع الطريق من المسلمين وهذا قول أكثر الفقهاء قالوا ولا يجوز حمل الآية
على المرتدين لأن قتل المرتد لا يتوقف على المحاربة وإظهار الفساد في الأرض ولأنه لا يجوز الاقتصار في المرتد على قطع اليد والنفي ولأن حده يسقط بالتوبة
قبل القدرة عليه وبعدها ولأن الصلب غير مشروع في حقه ولأن اللفظ عام وشرطوا في هذا المحارب بعد كونه مسلما مكلفا أن يكون معتمدا القوة في المغالبة
مع البعد عن الغوث فيخرج الكفار والمراهقون والمعتمد على الهرب كذا المتعرض للقادر على الاستغاثة لمن يغيثه واتفقوا على أن هذه الحالة إذا حصلت
في الصحراء كان قاطع الطريق فأما في نفس البلد فكذا عند الشافعي لعموم النص وخالف أبو حنيفة ومحمد لأنه يلحقه الغوث في الغالب فحكمه حكم السارق وللعلماء
في لفظة أو في الآية خلاف فعن ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة وقول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد أنها للتخيير إن شاء الإمام قتل وإن شاء صلب وإن شاء قطع الأيدي والأرجل
وإن شاء نفى وعنه في رواية عطاء أن الأحكام مختلفة بحسب الجنايات بأن من اقتصر على القتل قتل ومن قتل وأخذ المال قتل وصلب ومن اقتصر على
أخذ المال قطع يده ورجله من خلاف ومن أخاف السبيل ولم يأخذ المال نفي من الأرض وإليه ذهب الشافعي والأكثرون والذي يدل على ضعف القول الأول أنه
ليس للإمام الاقتصار على النفي بالإجماع ولأن هذا المحارب الذي لم يقتل ولم يأخذ المال وقد هم بالمعصية ولم يفعل وهذا لا يوجب القتل كالعزم على سائر
المعاصي فتقدير الآية أن يقتلوا إن قتلوا أو يصلبوا إن جمعوا بين القتل والأخذ أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إن اقتصروا على الأخذ والتشديد
في هذه الأفعال للتكثير أو ينفوا من الأرض إن أخافوا السبيل والقياس الجلي أيضا يؤيد هذا التفسير لأن القتل العمد العدوان يوجب القتل فغلظ
ذلك في قاطع الطريق بالتحتم وعدم جواز العفو وأخذ المال يتعلق به قطع اليد فغلظ في حقه بقطع الطرفين من خلاف أي يده اليمنى ورجله اليسرى
فإن عاد فاليسرى واليمنى قيل وإنما قطع هكذا لئلا يفوت جنس المنفعة قلت هذا أيضا من باب التغليظ لأن اليد اليمنى أعون في العمل والرجل اليسرى أعون في
الركوب وإن جمعوا بين القتل والأخذ جمع بين القتل والصلب لأن بقاءه مصلوبا في ممر الطريق يكون سبب اشتهاره وإخوانه وإن اقتصروا على مجرد الإخافة اقتصر
الشرع على عقوبة خفيفة هي النفي قال أبو حنيفة إذا قتل وأخذ المال فالإمام مخير بين أن يقتل فقط أو يقطع ثم يقتل أو يقطع ثم يصلب وعند الشافعي لا بد من
الجمع للنص وكيفية الصلب أن يقتل ويصلى عليه ثم يصلب مكفنا ثلاثة أيام وقيل يترك حتى يتهرى ويسيل صديده أي صليبه هو الودك وعند أبي حنيفة
يصلب حيا ثم يبعج بطنه برمح حتى يموت ويترك بلا طعام وشراب حتى يموت جوعا ثم إن أنزل غسل وكفن وصلي عليه ودفن وإن ترك حتى يتهرى فلا غسل
ولا صلاة أما النفي فإن الشافعي حمله على معنيين أحدهما أنهم إذا قتلوا وأخذوا المال فالإمام إن ظفر بهم أقام عليهم الحد وإن لم يظفر بهم طلبهم أبدا فكونهم
خائفين من الإمام هاربين من بلد إلى بلد هو المراد من النفي والثاني الذين حضروا الواقعة ويعينونهم بتكثير السواد وإخافة المسلمين ولكنهم ما
قتلوا وما أخذوا المال فالإمام يأخذهم ويعزرهم ويحبسهم فيكون المراد بنفيهم هو هذا الحبس وقال أبو حنيفة وأحمد وإسحاق النفي هو الحبس لأن
الطرد عن جميع الأرض غير ممكن وإلى بلدة أخرى استضرار بالغير وإلى دار الكفر تعريض للمسلم بالردة فلم يبق إلا أن يكون المراد الحبس لأن المحبوس لا ينتفع
بشيء من طيبات الدنيا فكأنه خارج منها ولهذا قال صالح بن عبد القدوس حين حبسوه على تهمة الزندقة وطال الحبس عليه خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
فلسنا من الأموات فيها ولا الأحياء إذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ذلك لهم خزي ذل وفضيحة في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب عظيم استدل المعتزلة بها على القطع بوعيد الفساق وعلى الإحباط وقالت الأشاعرة بل بشرط عدم العفو إلا الذين تابوا قال الشافعي أي تابوا
بعد القدرة عليهم لم يسقط عنه ما يختص بقطع الطريق من العقوبات لأنه يتهم بدفع العذاب عنه في سائر الحدود بعد القدرة عليه قيل يكفي في التوبة
إظهار الإسلام تحت ظلال السيوف والأصح أنه لابد مع التوبة من إصلاح العمل لقوله تعالى في الزنا فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما وفي السرقة فمن تاب من بعد

اظهار لا يكفي صح

ظلمه وأصلح ولعل الفائدة في هذا الشرط أنه إن ظهر بما يخالف التوبة أقيم عليه الحد وإنما يسقط بتوبة قاطع الطريق قبل القدرة عليه حتم القتل فالولي يقتص
أو يعفو بناء على أن عقوبة قاطع الطريق لا يتمحض حدا بل يتعلق بها القصاص وهو الأظهر أما إذا محضناه حدا فلا شيء عليه إن كان قد أخذ المال وقتل
سقط الصلب وتحتم القتل وبقي القصاص وضمان المال إذا ذكرنا وإن كان قد أخذ المال سقط عنه قطع الرجل وفي قطع اليد وجهان الأظهر السقوط بناء
على أنه جزء من الحد الواجب قال البغوي الكلام يعم شيء من أحكامه بالاتفاق والثاني أنه ليس من خواص قطع الطريق لأنه يجب بالسرقة ففي سقوطه الخلاف
في سائر الحدود ثم إنه سبحانه لما بين كمال جسارة اليهود على المعاصي وغاية بعدهم عن الوسائل إلى الله وآل الكلام إلى ها هنا عاد إلى إرشاد المؤمنين لئلا يكونوا
بالصفة ههنا فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ردا لقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه أي نحن أبناء الأنبياء وكان
افتخارهم بأعمال آبائهم فقيل للمؤمنين لا يكن مفاخرتكم بأعمالكم لا بالإسلام منكم فقوله اتقوا الله إشارة إلى ترك المنهيات وقوله وابتغوا إليه الوسيلة
عبارة عن فعل المأمورات وإن كان ترك المناهي أيضا من جملة الوسائل لأن هذا النظم ههنا مناسب لقاعدة الترك أيضا يعتبران في الأخلاق الفاضلة
قال بعضهم وفي الأمثال الصافية والخاطئة وأهل التحقيق يسمون الترك والفعل التخلية والتحلية وبالمحو والصحو أو بالنفي والإثبات أو بالفناء والبقاء والأول مقدم
على الثاني فما لم يفن عما سوى الله لم يرزق البقاء بالله والوسيلة فعيلة وهي كل ما يتوسل به إلى المقصود ولهذا قد يسمى الشهيد توسلا والواسل الراغب
إلى الله قال لبيد بلى كل ذي لب إلى الله واسل والوسل والتوسل واحد يقال وسل إليه بوسيلة وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل

انه تعالى امر بابتغاء الوسيلة اليه فلا بد من معلم يعلمنا معرفته واجيب بان الامر بالابتغاء مؤخر عن الايمان لقوله يا ايها الذين آمنوا ونعلم ان المراد بها
هي العبادات والطاعات ثم ان ترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي لما كان شاقا على النفس ثقيلا على الطبع لان العقل يدعو الى خدمة الله والنفس تدعو الى
اللذات الحسية والجمع بينهما كالجمع بين الضدين اردفه التكليف المذكور بقوله وجاهدوا في سبيله والمراد بهذا القول ان تكون
العبادة لاجله لا لغرض سواه وهذه مرتبة السابقين ثم قال لعلكم تفلحون والفلاح اسم جامع للخلاص من المكروه والفوز بالمحبوب فهذه دون الاولى
لانه لغرض الرغبة في الجنة او الرهبة من النار وكلتا المرتبتين مرضية ثم اشار الى مرتبة الناقصين بقوله ان الذين كفروا وخبر ان مجموع الجملة الشرطية وهي قوله
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به اي بالمذكور والواو بمعنى مع والعامل في المفعول معه هو المثل ما في ثبت من معنى الفعل اي لو ثبت من عذاب
يوم القيامة ما تقبل منهم والغرض التمثيل بان العذاب لازم لهم وقد مر مثله في سورة آل عمران وعن النبي يقال للكافر يوم القيامة ارأيت لو كان لك ملء
الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك يريدون ان يخرجوا اي يتمنون الخروج من النار ويقصدونه قيل اذا رفعتهم
لهب النار الى فوق فهناك يتمنون الخروج وقيل يكادون يخرجون منها لقوتها ورفعها اياهم عمم المعتزلة هذا الوعيد في الكفار وفي الفساق وخصصه
الاشاعرة بالكفار لدلالة الاية المتقدمة ثم انه تعالى عاد الى بيان حكم اخذ المال من غير استحقاق وهو المأخوذ على سبيل الخفية لا المجاهرة فقال والسارق
والسارقة وهما مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف فعند سيبويه والاخفش التقدير فيما فرض او فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند
الفراء وهو اختيار الزجاج ان الالف واللام فيهما بمعنى الذي وخبرهما فاقطعوا ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط كانه قيل الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا
ايديهما وقراءة عيسى بن عمر بالنصب فضلها سيبويه على القراءة المشهورة لان الانشاء لا يحسن ان يقع خبرا الا بتأويل اما اذا نصبت فانه يكون من باب
الاضمار على شريطة التفسير الفاء يكون مؤذنا بتلازم ما قبلها وما بعدها واستدرك فخر الدين ضعف قول سيبويه بانه طعن في قراءة واظب عليها رسول الله
وترجيح للقراءة الشاذة وفيه ما فيه على ان الاضمار الذي ذهب اليه هو خلاف الاصل والذي قال به الفراء ادل على العموم واوفق لقوله سبحانه جزاء بما
كسبا فانه تصريح بان المراد من الكلام الاول هو الشرط والجزاء اما البحث المعنوي في الاية فان كثيرا من الاصوليين زعموا انها مجملة لانه لم يتبين نصاب
السرقة وذكر الايدي وبالاجماع لا يجب قطع اليدين ولان اليد تقع على الاصابع بدليل انه من حلف لا يلمس فلانا بيده فلمسه باصابعه فانه يحنث وتقع على الى
من الكف وعلى الاصابع والساعد الى المرفقين وعلى كل ذلك الى المنكبين وايضا الخطاب في فاقطعوا اما للامام او للزمان كما هو مذهب الاكثرين او
لمجموع الامة او لطائفة مخصوصة فتشتبه بهذه الوجوه ان الاية مجملة وقال المحققون مقتضى الاية ولا سيما في تقدير الفراء عموم القطع بعموم السرقة الا ان السنة
خصصته بالنصاب وبغير ذلك من الامور الاتية لا يقولون ان اخذ حبة من مال سارق والمراد بالايدي الايمان مثل فقد صغت قلوبكما وقد انعقد الاجماع على انه لا يجب
قطعهما معا ولا الابتداء باليسرى واليد اسم موضوع لهذا العضو الى المنكب لقوله وايديكم الى المرافق وقد ذهب الخوارج الى وجوب قطع اليدين الى المنكبين
لظاهر الاية الا ان السنة خصصته بالكوع والحاصل ان الاية عامة لكنها خصصت بدلائل منفصلة فيبقى حجة في الباقي وهذا اولى من جعلها مجملة غير مفيدة اصلا
ثم ان جمهور الصحابة والفقهاء ذهبوا الى ان القطع لا يجب الا عند شروط كالنصاب والحرز وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن وداود الاصفهاني والخوارج تمسكا
بعموم الاية ولان مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة فالذي يستقله الملك يستكثره الفقير وقد قال الشافعي لو قال لفلان على مال عظيم ثم فسره بالحبة
يقبل لاحتمال انه يريد انه عظيم في الحل او عظيم عند الشدة فقره ولما طعنت الملحدة في الشريعة بان اليد كيف ينبغي ان تقطع في قليل مع ان ديتها خمسمائة دينار
من الذهب اجيبوا بان ذلك عقوبة من الشارع لم على ذلك ثم اذا كان هذا الجواب مقبولا من الكل فليكن مقبولا منا في ايجاب القطع على القليل والكثير
وايضا اختلاف المجتهدين في قدر النصاب كما يجيء يدل على ان الاخبار المخصصة عندهم متعارضة فوجب الرجوع الى ظاهر القرآن ودعوى الاجماع على ان القطع
مخصوص بمقدار معين غير مسموعة لخلاف بعض الصحابة والتابعين كما قلنا واعلم ان الكلام في السرقة يتعلق باطراف المسروق ونفس السرقة والسارق
اما المسروق فمن شروطه عند الاكثرين ان يكون نصابا ثم قال الشافعي انه ربع دينار من الذهب الخالص وما سواه يقوم به وهو مذهب الامامية لما روي انه
قال لا قطع الا في ربع دينار وقال ابو حنيفة النصاب عشرة دراهم لما روي انه قال لا قطع الا في ثمن المجن والظاهر ان ثمن المجن لا يكون اقل من عشرة دراهم
وقال مالك ربع دينار او ثلاثة دراهم وعن احمد روايتان كالشافعي وكمالك وقال ابن ابي ليلى خمسة دراهم وعن الحسن درهم وقيل اعلاه اخذه من
في درهم ومنها ان يكون المسروق في ملك غير السارق فلو ادعى الاخراج من الحرز فلو سرق مال نفسه من يد غيره كيد المرتهن والمستأجر او طرأ ملكه في المسروق قبل الاخراج
من الحرز بان ورثه السارق او وهبه هو منه سقط القطع ومنها ان يكون محترما لا كخمر وخنزير ومنها ان يكون الملك تاما قويا والمراد بالتمام ان لا يكون
للسارق فيه شركة او نحو كمال بيت المال وبالقوة ان لا يكون ضعيفا كالمستولدة والموقوف ومنها كون المال خارجا عن شبهة استحقاق السارق فلو سرق
رب الدين من مال المديون فان اخذه لا على قصد استيفاء الحق او على قصده والمديون غير جاحد ولا مماطل قطع وان اخذه لا على قصد استيفاء الحق
وهو جاحد او مماطل فلا يقطع سواء اخذ من جنس حقه او لا من جنسه اذا سرق احد الزوجين من مال الآخر وكان المال محرزا عنه فعند ابي حنيفة لا يجب القطع
وعند الشافعي ومالك واحمد يجب ومنها كون المال محرزا لقوله لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فاذا آواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن
المجن وحرز كل شيء على حسب حاله فالاصطبل حرز للدواب ان كانت نفيسة وليس حرزا للثياب والنقود والصفة في الدار وعرصتها حرز للاواني
وثياب البذلة دون الحلي والنقود فان العادة فيها الاحراز في الصناديق والمخازن وعن ابي حنيفة ان ما هو حرز لمال فهو حرز لكل مال واما السرقة فهي



اخراج المال عن ان يكون محرزا ولا بد من شرط الحفظ فلا قطع على المختلس في المذهب المعتمد على القوة ولا على المودع اذا جحد خلافا لاحمد واما السارق فيشترط فيه التكليف في التزام الاحكام الاختيار فيقطع الذمي والمعاهد لا يقطع المكره وانما تثبت السرقة بحجة بالبينة او برد يمين او بالاقرار وبشهادة رجلين ويتعلق بها حكمان الضمان والقطع قال ابو حنيفة القطع والغرم لا يجتمعان وحجة الشافعي قوله على اليد ما اخذت حتى تؤدي يوجب الضمان وقد اجتمع في هذه السرقة امران حق الله لا يمنع حق العباد ولهذا يجتمع الجزاء والقيمة في الصيد المملوك ولو كان المسروق باقيا وجب رده بالاتفاق وحجة ابي حنيفة قوله جزاء بما كسبا والجزاء هو الكافي فهذا القطع كاف في جناية السرقة ورد بلزوم رد المسروق عند كونه قائما اما كيفية القطع فقد روي انه اتي بسارق فقطع يمينه قال الشافعي فان سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان سرق ثالثا قطعت يده اليسرى فان سرق رابعا قطعت رجله اليمنى وبه قال مالك وروي ذلك عن ابي هريرة عن النبي ﷺ وعند ابي حنيفة واحمد لا يقطع في الثانية وما بعدها لما روي عن ابن مسعود انه قرأ فاقطعوا ايمانهما وضعفه الشافعي بان القراءة الشاذة لا تعارض ظاهر القرآن المقتضي لتكرر القطع بتكرر السرقة واتفقوا على انه يقطع اليد من الكوع والرجل من المفصل بين الساق والقدم وتسبيلها انه اعلى ما يليه لعموم قوله فاقطعوا ولم يجوزه ابو حنيفة واحتج المتكلمون بالآية في انه يجب على الامة نصب الامام لان هذا التكليف لا يتم الا به وما لا يتم الواجب الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب ولفظها جزاء ونكالا على انه مفعول لهما والعامل فاقطعوا وان شئت فعلى المصدر من الفعل الذي دل عليه فاقطعوا اي جوزوهم ونكلوا بهم جزاء بما كسبا نكالا من الله فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح اي بتوبة نية صالحة وعزيمة صحيحة خالية عن الاغراض الفاسدة فان الله يتوب عليه وعند بعض الائمة يسقط العقوبة ايضا وعند الجمهور لا يسقط وتاتي الايات ندم تفسيره وانما قدم التعذيب على المغفرة طباقا لتقدم السرقة على التوبة التاويل ان آدم الروح بازدواجه مع حواء القالب تولد قابيل النفس توامته قليما الهوى ثم هابيل القلب توامته ليوذا العقل وكان الهوى في غاية الحسن في نظر النفس فيه تميل الى الدنيا ولذاتها وكان في نظر العقل ايضا في غاية الحسن فيه يميل الى طلب المولى وكان العقل في نظر النفس في غاية القبح لانها به ترجع عن طلب الدنيا وكذا في نظر القلب لانه بالعقل يمتنع عن طلب الحق والفناء في الله ولهذا قيل العقل عقيلة الرجال فحرم الله تعالى الازدواج بين التوامين لان الهوى اذا كان قرين النفس انزلها اسفل سافلين الطبيعة واذا كان قرين القلب كان عشقا فيوصله الى الاعلى فردوس القرب اذا كان العقل قرين القلب صار عقال الاله واذا كان قرين النفس حرضها على العبودية فرضي هابيل القلب وسخط قابيل النفس وكان صاحب زرع اي مدبر النفس النامية وهي القوة النباتية فقرب طعاما مما تدعو اليه القوة الطبيعية وكان هابيل القلب صاحب المواشي الاخلاق الانسانية والصفات الحيوانية فقرب نصفه البهيمية وهي احب الصفات اليه لاحتياجه اليها لضرورة التعلق والبقاء ولسلامتها بالنسبة الى الصفات السبعية والشيطانية فوضعا قربانهما على جبل البشرية ثم دعا آدم الروح فنزلت نار المحبة من سماء الجبروت فحملت الصفة البهيمية لانها حطب هذه النار ولم تاكل من قربان قابيل النفس شيئا لانها ليست من جنسها بل هي حطب نار الحيوانية فتوعده بانه يقتله اي انه وجودي وجودك فالوجود حجاب بيني وبين محبوبي فقتل قابيل النفس هابيل القلب النفس على عدو القلب فاصبح من الخاسرين اما في الدنيا فبالحرمان عن الواردات والكشوف واما في الآخرة فبالبعد عن جنات الوصول فبعث الله غرابا هو الحرص على الدنيا ليشتغل بذلك عن تغلبها وفي تعليم الغراب اشارة الى انه تعالى قادر على تعليم العباد باي طريق شاء فنزول تعجب الملائكة والرسل باختصاصهم بتعليم الخلق في الارض لمسرفون اي في ارض البشرية انما جزاء الذين يحاربون الله اولياء الله ان يقتلوا بسكين الخذلان او يصلبوا بحبل الهجران على جذع الحرمان او تقطع ايديهم عن اذيال الوصال وارجلهم من خلاف عن الاختلاف او ينفوا من ارض القربة والائتلاف يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فجعل الفلاح الحقيقي في اربعة اشياء في الايمان وهو اصابة رشاش النور في بدء الخلقة وبه يتخلص العبد من ظلمة الكفر في التقوى وهي الاخلاق المرضية وصنيع الاعمال الشرعية وبه الخلاص من ظلمة المعاصي وفي ابتغاء الوسيلة وهو فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية وبه يتخلص من ظلمة اوصاف الوجود وفي الجهاد في سبيله وهو محو لا نهاية في اثبات الهوية وبه يتخلص من ظلمة اوصاف الوجود ويظفر بنور الشهود وما هم بخارجين منها لانهم خلقوا مظاهر القهر والسارق والسارقة كانا مقطوعي الايدي عن قبول رشاش النور فكانت تطاولت ايديهما اليوم الى اسباب الشقاوة ومن نتائج شؤم ايديهما من قبول تلك السعادة جزاء بما كسبا الان في عالم الصورة نكالا من الله بقدر منه في الازل

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن

اى پيغمبر اندوهناک مگرداند ترا آنهائى که مى‌شتابند در کفر از آنهائى که گفتند ايمان آورديم بدهانهاى خود و نگرويده

قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ

دلهاشان و از کسانى که يهود شدند شنونده‌اند مر دروغ را شنوندگانند مر گروه ديگر را [illegible] بيايند ترا تغيير ميدهند کلمها را از پس مواضع آن

يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

گويند که اگر داده شويد اين را پس بگيريد اين را و اگر داده نشويد پس حذر کنيد و هر که بخواهد خدا فتنهٔ او را پس مالک نشوى از براى او از خدا چيزى را

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

آن گروه آنانند که نخواسته است خدا که پاک گرداند دلهاشان را مر ايشان راست در دنيا زيان و مر ايشان راست در آخرت عذاب بزرگ

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا

شنوندگان مر دروغ را خورندگان مر حرام را پس اگر آمدند ترا پس حکم کن در ميان ايشان يا روگردان از ايشان پس ضرر نرسانند ترا چيزى

وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا

واگر حکم کردی پس حکم کن در میان ایشان بعدالت بدرستیکه خدا دوست دارد عادلانرا و چگونه داور نمایند ترا و حال آنکه نزد ایشانست توریة که دروست

حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى

حکم خدا پس رو گردانند از پس این و نیستند آنگروه گروندگان بدرستیکه ما فرستادیم توریة را که دروست راستی

وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا

و روشنی که حکم کنند بآن پیغمبران آنان که اسلام آوردند مر ایشانرا که یهود شدند و خداشناسان و دانشمندان بانچه نگاه داشته شدند

مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا

از کتاب خدا و بودند بر آن گواهان پس مترسید مردمرا و بترسید مرا و مخرید بآیات من بهای کمرا

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ

و هر که حکم نکند بانچه فرستاد خدا پس آنگروه ایشانند کافران و نوشتیم بر ایشان در آن که قصاص نفس بنفس و چشم

بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ

بچشم و بینی ببینی و گوش بگوش و دندان بدندان و زخمها را قصاص است پس هر که صدقه دهد آنرا پس آن کفارتست

لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا

مرا ورا و هر که حکم نکند بانچه فرستاد خدا پس آنگروه ایشانند ستمکاران و از عقب در آوردیم ایشانرا بعیسی پسر مریم تصدیق کننده

لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى

مرانرا که در پیش او بود از توریة و دادیم او را انجیل که در آن راستی و روشنی و تصدیق کننده مرانرا که در پیش او بود از توریة و راستی

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ

و پند از برای پرهیزکاران و باید که حکم کنند اهل انجیل بانچه فرستاده خدا در آن و هر که حکم نکند بانچه فرستاد

اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ القراءة السحت بضمتين ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد على الباقون بسكون العين

خدا پس آنگروه ایشانند فاسقان واخشونى بالياء فى الحالين سهل ويعقوب ابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل فى

الوصل والعين وما بعده بالرفع على وافق ابو عمرو وابن كثير وابن عامر ويزيد فى الجروح بالرفع والاذن وبابه بسكون العين نافع وليحكم بالنصب حمزة

الباقون بالجزم الوقوف قلوبهم اى ومن الذين هادوا قوم سماعون وان شئت عطفته من الذين هادوا على من الذين قالوا امنا ووقفت على هادوا

واستانفت بقوله سماعون لاجل الفتنتين والاول اجود لان التحريف محكى عنهم وهو مختص باليهود اخرين لان ما بعده صفتهم لم ياتوك

لاحتمال ما بعده الحال او الاستيناف فاحذروا شيئا قلوبهم عظيم للسحت لان الشرط غير مخصوص بما يليه اعرض عنهم شيئا بالقسط المقسطين ذلك

لتناهى الاستفهام بالمؤمنين ونور لاحتمال ما بعده الحال او الاستيناف شهداء لاختلاف النظم مع فاء التعقيب قليلا الكافرون بالنفس لمن قرا

والعين وما بعده بالرفع بالسن لمن قرا والجروح بالرفع قصاص لابتداء الشرط كفارة له الظالمون من التورية الاولى لطول الكلام ونور لان الحال بعدها

معطوف على محل الجملة قبلها او نقول حال للمتقين لمن قرا وليحكم بالتنبية الفاسقون التفسير خاطب محمدا بقوله النبى فى مواضع ولم يخاطبه بقوله يا ايها

الرسول الا فى موضعين هذا وقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ولا شك انه خطاب تشريف وتعظيم شرف به فى هذه السورة التى هى من اخر السور نزولا

حيث تخففت سائر الوقائع او وجه النظم فهو انه سبحانه لما بين بعض التكاليف والشرائع وكان قد علم مسارعة بعض الناس الى الكفر فلا جرم صبر

رسول الله على تحمل ذلك ووعده ان ينصره عليهم ويكفيه شرهم والمراد بمسارعتهم فى الكفر تهافتهم فيه ووقوعهم عليه حتى اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها

امنا بافواههم متعلق بقالوا والباء يتعلق بامنا وهم المنافقون سماعون للكذب اى يقبلون لما يفتريه احبارهم من الكذب على الله وتحريف كتابه والطعن

فى نبوة محمد من قول الملك يسمع كلام فلان اى يقبله سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اى قابلون من الاحبار الذين لم يصلوا الى مجلسك من شدة

البغضاء وافراط العداوة ويحتمل ان يراد نفس السماع واللام فى الكذب لام التعليل اى يسمعون كلامك لكى يكذبوا عليك يحرفون الكلم مبدلين من بعد مواضعه

لاجل قوم اخرين وجهوهم عيونا ليبلغوا ما سمعوا منه يغيرونه اى التى وضعها الله فيها من حكم الحلال والحرام او الفرض والندب وغير ذلك او من نحو

التزيين التعظيم بحملونها بغير مواضع بعدما كانت ذات مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن موضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم توتوه

وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا فهو الباطل عن البراء بن عازب قال مر على النبى صلى الله عليه وسلم بيهودى محمما مجلودا فقال هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قالوا نعم فدعا

رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله الذى انزل التورية على موسى هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قال لا ولولا انك نشدتنى لم اخبرك نجد حد الزانى

فى كتابنا الرجم ولكنه كثر فى اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الوضيع اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا نجتمع على شىء نقيمه على الشريف والوضيع

فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اول من احيى امرك اذا اماتوه فامر به فرجم فانزل الله يا ايها الرسول الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقولون



ائتوا محمدا فان افتاكم بالتجبيه والجلد فخذوا به وان افتاكم بالرجم فاحذروا وفي رواية اخرى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم محمد بالجلد والتجبيه فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبرئيل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبت عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده قال العلماء القائلون بوجوب رجم المحصن الكتابي ومنهم الشافعي ان كان الامر بالرجم لسبب التبليغ لما في دين الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المقصود وان كان لما ثبت في شريعة موسى عليه السلام فالاصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يوجد في شرعنا ما يدل على نسخه ولهذا الطريق احتج العلماء بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس على ان حكمه باق في شرعنا ومن يرد الله فتنته ظاهر الاية ان المراد بالفتنة انواع الكفر التي حكاها عن اليهود وغيرهم والمعنى ومن يرد الله كفره وضلالته فلن يقدر احد على دفع ذلك ثم اكد هذا بقوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وفيه دليل على انه تعالى لا يريد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل لآمن والمعتزلة فسروا الفتنة بالعذاب كقوله يوم هم على النار يفتنون او بالفضيحة او بالاضلال اي تسميته ضالا او المراد ومن يرد الله اختباره فيما يبتليه من التكاليف ثم انه يتركها ولا يقوم باداءها فلن تملك له من الله ثوابا ولا نفعا ثم قالوا اولئك الذين لم يرد الله ان يمد قلوبهم بالالطاف لانه تعالى علم انه لا فائدة في تلك الالطاف لانها لا تنجع في قلوبهم او يطهر قلوبهم من الحرج والغم والوحشة الدالة على كفرهم او هو استعارة عن سقوط وقعه عند الله وانه غير ملتفت اليه بسبب قبح افعاله وسوء اعماله ثم وصف اليهود بقوله سماعون للكذب اكالون للسحت وهو الحرام وكل ما لا يحل كسبه سحته اي استأصله لانه مسحوت البركة ومال مسحوت اي مذهب قال الليث السحت حرام يحصل منه العار وذلك انه يسحت فضيلة الانسان ويستأصلها ورجل مسحوت المعدة اذا كان اكولا لا يلفى الا جائعا ابدا كانه يستأصل كل ما يصل اليه من الطعام والسحت الرشوة في الحكم ومهر البغي وعسب الفحل وكسب الحجام وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستكساب في المعصية روي ذلك عن علي وعمر وعثمان وابن عباس وابي هريرة ومجاهد وزاد بعضهم ونقص بعضهم وكل ذلك يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون فيه بركة ويكون فيه عار بحيث يخفيه صاحبه لا محالة قال الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه من كان مبطلا في دعواه برشوة سمع كلامه ولا يلتفت الى خصمه فكان يسمع الكذب ويأكل السحت وقيل كان فقراؤهم ياخذون من اغنيائهم مالا ليقيموا على ما هم عليه من اليهودية فكانوا سماعين اكاذيب الاغنياء ويأكلون السحت وقيل سماعون للاكاذيب التي كانوا ينسبونها الى التوراة اكالون للربا لقوله واخذهم الربا فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم خيره الله بين الحكم والاعراض فقيل ان هذا التخيير مختص بالمعاهدين الذين لا ذمة لهم وقيل انه في امر خاص وهو رجم المحصن قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري وقيل في قتيل من اليهود في بني قريظة والنضير وكان في بني النضير شرف كانت ديتهم كاملة وفي قريظة نصف دية فتحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل الدية سواء وعن النخعي والشعبي وقتادة وعطاء وابي بكر الاصم وابي مسلم ان الاية عامة في كل من جاء من الكفار وان الحكم ثابت في سائر الاحكام غير منسوخ وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وهو مذهب الشافعي ان هذا التخيير منسوخ في حق غير المعاهد بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فيجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الذمة اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام عليهم صغارا لهم واهل الحجاز لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية ثم انهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الاسهل والاخف كالجلد مكان الرجم فاذا اعرضت عنهم وابيت الحكومة بينهم شق عليهم وعادوك فامنه الله بقوله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكمت في الرجم وكيف يحكمونك تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تحكيمهم لوجوه منها عدولهم عن حكم كتابهم ومنها رجوعهم الى حكم من كانوا يعتقدونه مبطلا ومنها اعراضهم عن حكمه بعد ان حكموه وهذه غاية الجهالة ونهاية العناد والواو في قوله وعندهم للحال من التحكيم وما في الاستفهام من التعجيب وقوله فيها حكم الله فاما ان ينتصب حالا من التوراة على ضعف وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها والتقدير وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله فيكون عندهم متعلق الخبر واما ان لا يكون له محل ويكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره وانث التوراة لما فيها من صورة تاء التانيث ثم يتولون عطف على يحكمونك وثم للتراخي في الرتبة اي ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم وما اولئك بالمؤمنين اخبار انهم لا يؤمنون ابدا او المراد انهم غير مؤمنين بكتابهم كما يدعون والمراد انهم غير كاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم ثم رغب اليهود في ان يكونوا كالمتقدمين من انبيائهم ومسلمي احبارهم فقال انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور العطف يقتضي التغاير فقيل الهدى بيان الاحكام والشرائع والنور بيان التوحيد والنبوة والمعاد وقال الزجاج الهدى بيان الحكم الذي جاؤا يستفتون فيه النبي والنور بيان ان امر النبي حق وقيل فيها هدى للخلق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام فهما عبارتان عن معبر واحد وقد يستدل بالاية على ان شرع من قبلنا يلزمنا لان الهدى والنور لا بد ان يكون احدهما متعلقا بالفروع والآخر بالاصول

والا كان تكرارا وايضا انها نزلت في الرجم ومورد الاية لابد ان يكون داخلا فيهما سوا قلنا ان غيره داخل او خارج يمكن ان يجاب بان التكرار غير
محذور وبان في الكلام تقديما وتاخيرا والمراد فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون اما قوله الذين اسلموا فاورد عليه ان كل نبي مسلم فما الفائدة
في هذا الوصف واجيب بانها صفة جارية على سبيل المدح والتوضيح والكشف وفيه تعريض باليهود انهم بعداء عن ملة الاسلام التي هي دين الانبياء قديما وحديثا
لان غرض الانبياء الانقياد لتكاليف الله وغرضهم من ادعاء الحكم بالتورية اخذ الرشي من العوام فالفريقان متباينان ولهذا اردفه بقوله للذين هادوا
اي يحكمون لاجلهم قال في الكشاف قوله تعالى الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ان اليهود بمعزل عن الاسلام قلت هذا بناء على ان صفة الحاكمين يلزم ان
يكون مغايرة لصفة المحكومين وللقائل ان يقول بعد تسليم ذلك انه لا يكفي مغايرة العام للخاص قال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي المراد
بالنبيين هو محمد ﷺ كقوله ان ابراهيم كان امة لانه اجتمع فيه من الخصال ما كانت متفرقة في الانبياء وقيل اسلموا اي انقادوا لحكم التورية من الانبياء من لم يكن
شرعهم شريعة موسى واما الربانيون فقد مر تفسيره في آل عمران والاحبار عن ابن عباس هم الفقهاء الواحد حبر بالفتح من قولهم فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا
حسن الهيئة او حبر بالكسر من ذلك ايضا لقولهم حسن الحبر بالكسر ايضا وفي الحديث يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه ويحتمل الخط والشعر
تحسينه او من هذا الحبر الذي يكتب به يكون للعالم صاحب كتب قاله الفراء والكسائي وابو عبيد ثم ان ذكر الربانيين بعد النبيين يدل على انهم اعلى حالا من
الاحبار فيشبه ان يكون الربانيون كالمجتهدين والاحبار كآحاد العلماء وقوله بما استحفظوا اما ان يكون من صلة يحكم بها اي يحكم الربانيون والاحبار بسبب ما استحفظوا
او يكون من صلة الاحبار اي العلماء بما استحفظوا اي بما سألهم انبياؤهم حفظه ومن كتاب الله للنبيين وقد اخذ الله تعالى على العلماء ان يحفظوا كتابه من
وجهين احدهما ان يحفظوه في صدورهم ويدرسوه بالسنتهم والثاني ان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرائعه وكانوا اي هؤلاء النبيون والربانيون و
الاحبار عليه على ان كل ما جاء في التورية حق من عند الله شهداء رقباء لئلا يبدل ويحتمل ان يعود ضمير استحفظوا الى النبيين وغيرهم جميعا والاستحفاظ
من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء ثم نهى اليهود المعاصرين عن التحريف لرهبة فقال فلا تخشوا الناس واخشون وعن التغيير لرغبة فقال
ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ثم عمم الحكم فقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون احتجت الخوارج بالاية
على ان كل من عصى الله فهو كافر وللمفسرين في جوابهم وجوه الاول انها مختصة باليهود ورد بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا ريب ان لفظ من في معرض
الشرط للعموم ولا وجه لتقليله من لم يحكم من هؤلاء المذكورين الذين هم اليهود لانه زيادة في النص وقال عطاء هو كفر دون كفر وقال طاوس ليس بكفر الملة ولا
كمن يكفر بالله واليوم الآخر فلعلهما ارادا كفران النعمة وضعف بان الكافر اذا اطلق ينصرف الى الكافر في الدين قال ابن الانباري المراد انه يضاهي الكافر لانه فعل
فعلا مثل فعل الكافر وزيف بانه عدول عن الظاهر وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني معناه من ابى بضد حكم الله تعالى في كل ما انزل يخرج الفاسق لانه
في الاعتقاد والاقرار موافق وان كان في العمل مخالفا واعترض بان سبب النزول يخرج ح لانه نزل في مخالفة اليهود في الرجم فقط ويمكن ان يقال المحرف
داخل في الكل وقال عكرمة انما يتناول الاية من انكر بقلبه وجحد بلسانه اما العارف والمقر فاخل بالعمل فهو حاكم بما انزل الله تعالى ولكنه تارك فلا يتناوله
الاية ثم انه سبحانه لما بين ان الحكم في الزاني المحصن في التورية هو الرجم واليهود غيروه اراد ان يبين ان في التورية هو قتل النفس بالنفس وانهم بدلوه ففضلوا
بني النضير على بني قريظة فقال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين من قرأ المعطوفات كلها بالنصب فظاهر ومن قرأ ما سوى الاول بالرفع
فللعطف على محل النصب لان المعنى وكتبنا عليهم في التورية النفس بالنفس الى الاجزاء كتبنا مجرى قلنا واما بطريق الحكاية كقولك كتبت الحمد لله
وقرأت سورة انزلناها واما على سبيل الاستيناف المعنى على جميع التقادير فرضنا عليهم فيها ان النفس مقتولة اذا قتلتها بغير حق والعين مفقوءة
بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح ذات قصاص اي مقاصة وهذا تعميم للحكم بعد ذكر بعض التفاصيل
والمراد منه كل ما يمكن المساواة فيه من الاطراف كالذكر والانثيين والاليتين والقدمين ومن الجراحات المضبوطة كالموضحة مثلا وهي التي توضح العظم وتبديه
ويحوه وهو الضوء والبياض وكذا منافع الاعضاء والاطراف كالسمع والبصر والبطش فاما الذي لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم او كسر في عظم او جراحة او دامية في جلد
ففي ذلك ارش او حكومة وتفاصيلها في كتب الفقه فمن تصدق به فهو كفارة له الضمير في به يعود الى القصاص وفي هو الى التصدق الدال عليه الفعل وفي له وجهان
احدهما انه يعود الى العافي المتصدق لما روى عبادة بن الصامت ان رسول الله ﷺ قال من تصدق من جسده بشيء كفر الله تعالى عنه بقدره من ذنوبه وعن عبد الله بن
عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به والثاني انه يعود الى الجاني المعفو عنه اي لا يواخذه الله تعالى بعد ذلك العفو واما العافي فاجره على الله تعالى وقفينا على
آثارهم اي على آثار النبيين بعيسى ابن مريم اي عقبناهم به فتعديته الى المفعول الثاني بالباء وقوله على آثارهم يسد مسد الاول لانه اذا قفى على اثره فقد قفى به اياه
مصدقا لما بين يديه اي مقرا بان التورية كتاب منزل من عند الله تعالى وانه كان حقا واجب العمل به قبل ورود ناسخه وهو الانجيل المصدق ايضا لكونه مبشر المبعث محمد ﷺ
كالتورية اما النور فبيان الاحكام الشرعية وتفاصيل التكاليف واما الهدى الاول فاصول الديانات كالتوحيد والنبوة والمعاد والهدى الثاني اشتماله على البشارة
بمجيء محمد ﷺ لان ذلك سبب اهتداء الناس الى نبوته واشتماله الانجيل على المواعظ والنصائح والزواجر ظاهر وخص الجميع بالمتقين لانهم هم المنتفعون بذلك
من قرأ وليحكم بالجزم فاما اخبار عما قيل لهم في ذلك الوقت من الحكم بما تضمنه الانجيل اي قلنا لهم ليحكموا بما فيه واما ابتداء امر للنصارى بالحكم بما في كتابهم
من الدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ او بما لم يصر منسوخا بالقران ومن قرأ بالنصب فلانه علة فعل محذوف يدل عليه ما قبله اي لاجل حكمهم بما فيه آتيناهم
كتابهم وعلى هذا يجوز ان يكون هدى وموعظة ايضا غرضين معطوفين للحكم والله اعلم اما قوله الكافرون الظالمون الفاسقون فللمفسرين فيه خلاف قال

الفقهاء وكقولك من اطاع الله فهو المؤمن من اطاع الله فهو المتقي لان كل ذلك اوصاف مختلفة حاصلة لموصوف واحد فهذه كلها نزلت في الكفار وقال آخرون
الاولى في الجاحد والثاني والثالثة في المقر التارك له الا الاصم الاول والثاني في اليهود والثالثة في النصارى التاويل سماعون للكذب بالشيطان في وساوسه
والنفس في هواجسها سماعون لقوم آخرين يسنون السنة السيئة لغيرهم يحرفون بغيرون قوانين الشريعة بموهبات الطبيعة وهذه حال ما دلي القرآن والاخبار
على وفق اهوائهم سماعون للكذب اكالون للسحت كالاخلاق الردية واوزارهم الاعمال الذميمة فالاخلاق نتائج الاعمال والاعمال نتائج الاستعداد الفطري
فان جاؤك فاحكم بينهم مداويا لدائهم ان راتب للتداوي بسبب الشفاء لهم او اعرض عنهم ان يفيئا عوا الشفاء لشقائهم فان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
اداويهم على ما يستحقون من دائهم بما استحفظوا من كتاب الله الفرق بين بني اسرائيل وبين هذه الامة انهم استحفظوا التورية فضيعوها وحرفوها وانا في حقنا
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكتبنا عليهم ان النفس بالنفس فيه ان النفس هلاك نفس المهلك فمن احيا نفس الطالب يحيوة الذين جنوه نفس محبتها وفي معالجة
عين قلبه انف قلبه اذن قلبه سن قلبه معالجة هذه الاعضاء بمزيلات الادراك فمن تصدق فيها بالاحياء فهو كفارة لذنبها فمن احيا نفسه معالجة قلبه طرف
عين قلبه ومن لم يحكم على نفسه بما انزل الله في تزكيتها وتحليتها فاولئك الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق والله اعلم

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ

و فرستادیم بسوی تو کتاب را براستی تصدیق کننده مر آنرا که پیش از او بود از کتاب

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا

و گواهی دهنده بر آن پس حکم کن در میان ایشان بانچه فرستاده خدا و پیروی مکن هواهای ایشان را از آنچه آمد ترا از حق از برای هر یکی قرار دادیم

مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا

از شما طریقه و راهی و اگر خواهد خدا هرآینه بگرداند شما را گروهی یگانه ولیکن تا بیازماید شما را در آنچه داد شما را پس پیشی گیرید

الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ

خوبها را بسوی خداست بازگشت شما همه پس خبر دهد شما را بانچه که بودید که در آن اختلاف میکردید و آنکه داوری کن در میان ایشان بانچه فرستاده خدا

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

و پیروی مکن هواهای ایشانرا و بترس از ایشان که مفتون کنند ترا از بعض آنچه فرستاده خدا بسوی تو پس اگر روگردانند پس بدان که میخواهد خدا

أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ

که مصیبت رساند ایشانرا ببعض از گناهان ایشان و بدرستیکه بسیاری از مردمان هرآینه فاسقانند آیا پس حکم زمان جاهلیت را خواهش دارند و کیست

أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ

خوبتر از خدا در داوری مر گروهی را که یقین دارند ای مردم آنهائیکه گرویده اید مگیرید یهود و نصاری را دوستان برخی از ایشان

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

دوستان بعضی اند و هر که دوست گیرد ایشانرا از شما پس بدرستیکه او از ایشانست بدرستیکه خدا راه ننماید گروه ستمکاران را پس بینی آنهارا که در دلهاشان

مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا

ناخوشی هست میشتابند در ایشان میگویند که میترسیم که برسد بما گردش روزگار پس امید است که خدا بیاورد فتح یا فرمانی از نزد او پس صبح کنند

عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ

بر آنچه پنهان داشتند در نفسهای خود پشیمانان و میگویند آنان که گرویدند آیا اینانند آنانکه سوگند خوردند بخدا از جهت استحکام قسمهاشان

إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ

بدرستیکه ایشان هرآینه با شمایند باطل شد کردارهاشان پس صبح کردند زیانکاران ای مردم آنهائیکه گرویده اید هر که برگشت از شما از دین خود

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ

پس زود باشد که بیاورد خدا گروهی که دوست دارد ایشانرا و دوست دارند او را فروتنان بر مومنان و عزیزان بر کافران کوشش کنند

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

در راه خدا و نترسند از ملامت ملامت کننده این بهره خداست که میدهد آنرا بهر که میخواهد و خدا محیط

عَلِيمٌ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

داناست جز این نیست که دوست شما خداست و پیغمبرش و آنانی که گرویدند آنانکه برپای دارند نماز را و میدهند زکوة را

وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ يَا أَيُّهَا

و ایشان رکوع کنندگانند و هر که دوستی کند با خدا و رسول او و آنانکه گرویدند پس بدرستیکه لشکر خدا ایشانند غالبان ای مردم

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ

آنهائیکه گرویده اید مگیرید آنهارا که فرا گرفتند دین شمارا استهزا و بازیچه از آنها که داده شده اند کتاب را پیش از شما

Margin: الاخلاق وكلها من نتائج ... ; ع ; ۶ ; ع

والكفار

وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا

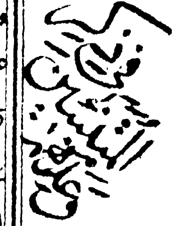
وكافرانرا دوستان وبپرهيزيد خدارا اگر هستيد گروندگان ، وچون صلاة ندا كرده شود بسوى نماز فرا گرفتند آنرا

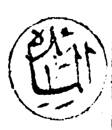
هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ القراءات تبغون بتاء الخطاب ابن عامر والخزاز عن هبيرة الباقون بالياء

ريشخند وبازيچه اين بجهت است كه ايشان گروهيند كه ادراك نكنند

ويقول بالواو وبالرفع عاصم وحمزة وعلي وخلف وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب بالنصب عباس مخير الباقون يقول بدون واو العطف من يرتد بالإظهار أبو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بالإدغام والكفار بالجر أبو عمرو وسهل ويعقوب وعلي الباقون بالنصب عطفا على محل الذين اتخذوا وقرأ أبو عمرو وعلي عن ليث وأبي حمدون وحمدويه وابن رستم الطبري عن نصير طوا ن بما أنزل الله إليك الوقوف بالحق ط ومنهاجا ط الخيرات لا تختلفون لا لعطف أن احكم على ما قبله ومن وقف فلأنه رأس آية أنزل الله إليك ط ذنوبهم لفاسقون ط يبغون ط يوقنون ه أولياء لئلا يلزم النهي عن كان الأولياء ط أولياء بعض ط منهم ط الظالمين ه دائرة لتمام المقول نادمين ه لمن قرأ ويقول بالنصب عطفا على أن يأتي جهد أيمانهم لا لأن قوله إنهم جواب القسم لمعكم ط خاسرين ه ويحبونه لا لأن ما بعده صفة قوم الكافرين لئلا يشتبه لأنه لا أمن يشاء عليم ه راكعون ه الغالبون ه أولياء للعطف ولطول الكلام مؤمنين ه ولعبا ط لا يعقلون ه التفسير من الله تعالى على نبينا صلى الله عليه وسلم ما أنزل القرآن إليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب أي جنسه هو كل كتاب سوى القرآن نازل من السماء وفي المهيمن قولان قال الخليل وأبو عبيدة هيمن على الشيء يهيمن إذا كان رقيبا على الشيء وشاهدا ومصدقا وقال الجوهري أصله أأمن بهمزتين قلبت الثانية ياء لكراهة اجتماع الهمزتين ثم الأولى هاء كما في هرقت وهياك والمعنى أنه أمين على الكتب التي قبله لأنه لا يلحقه النسخ ولا يحرف لقوله وإنا له لحافظون ومن هنا قرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم أي هو من عليه بأن حوفظ من التغيير والتبديل والذي هيمن عليه الله عز وجل كما قلنا أو الحفاظ في كل بلد والقراء المشهور لهم بالإجادة فاحكم بينهم بين اليهود بالقرآن ولا تتبع أهواءهم منحرفا عما جاءك من الحق أو ضمن لا تتبع معنى لا تنحرف فيه لولا جواز المعصية على الأنبياء لم يجز هذا النهي والجواب أن ذلك مقدور له ولكن لا يفعله لمكان النهي والخطاب له ولأمته لكل جعلنا منكم أيها الناس أو الأمم أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكر الثلاث شرعة ومنهاجا قال ابن السكيت الشرع مصدر شرعت الإهاب إذا شققته وسلخته وقيل إنه من الشروع في الشيء الدخول فيه والشرعة الهيئة بمعنى الشريعة فعلة بمعنى مفعولة وهي الأمور التي أوجب الله تعالى على المكلفين أن يشرعوا فيها والمنهاج الطريق الواضح وهما عبارتان عن معبر واحد فهو للتأكيد والتكرير للتأكيد ويحتمل أن يقال الشريعة عامة والمنهاج مكارم الشريعة فالأولى أقدم وهذه يتلوها وقيل الطريقة وقال المبرد الشريعة ابتداء الطريق والطريقة المنهاج المستمر ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا خلاف فيه وفيه دليل على أن الكل بمشيئة الله تعالى والمعتزلة حملوه على مشيئة الإلجاء ولكن ليبلوكم أي جعلكم مختلفين ليعاملكم معاملة المختبر هل تعملون بالنواميس الإلهية وتذعنون للعقائد الحقة أم تقصرون في العمل وتتبعون الشبهة ولذلك قال فاستبقوا الخيرات سارعوا إليها وتسابقوا نحوها ويعني بالخيرات ههنا ما هو الحق من الاعتقادات والحقوق من التكاليف ثم علل الاستباق بقوله إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر والمراد أن الأمر سيؤول إلى ما يحصل معه اليقين من مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وأن احكم قيل معطوف على الكتاب في أنزلنا إليك أي أنزلنا أن احكم على أن أن المصدرية موصلة بالأمر لأنه فعل كسائر الأفعال وعلى قوله بالحق أي أنزلناه بالحق وبأن احكم وأقول يحتمل أن يكون أن مفسرة وفعل الأمر محذوف أي وأمرناك أن احكم وتكرار الأمر بالحكم إما للتأكيد وإما لأنهما حكمان لأنهم احتكموا إليه في زنا المحصنين ثم احتكموا في قتل كان بينهم وزعم بعض الأئمة أن هذه الآية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم أو أعرض وعن ابن عباس أن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وإن بيننا وبين قوم خصومة ونحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فيهم واحذرهم أن يفتنوك محله نصب على أنه مفعول له أي مخافة أن يفتنوك أو على أنه بدل اشتمال من مفعول احذرهم والمراد بالفتنة رده إلى أهوائهم فكل من صرف عن الحق إلى الباطل فقد فتن قال بعض أهل العلم في الآية دليل على أن الخطأ والنسيان جائزان على النبي صلى الله عليه وسلم لأن التعمد في مثل هذا غير جائز فلم يبق إلا الخطأ والنسيان فلو لم يكونا جائزين لم يكن للتحذير فائدة فإن تولوا عن الحكم المنزل أي فإن لم يقبلوا حكمك فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم فالمراد بها الإصابة فالمراد بها تلك العقوبة وأما ذكر بعض الذنوب فلأن مجازاتهم ببعض الذنوب كان ينبغي إهلاكهم وتدميرهم أو أراد بالبعض ذنبا التولي عن حكم الله وفيه أن لهم ذنوبا جمة وأن هذا الذنب عظيم جدا كقول لبيد تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها أراد نفسه إنما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام فكأنه قال نفسا كبيرة لأن التنكير فيه معنى التعظيم وإن كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر وفيه أن التولي عن حكم الله فسق مؤكد جدا ثم استفهم منكرا لرأيهم فقال أفحكم الجاهلية يبغون وفيه تعيير لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم ومع ذلك يطلبون حكم الملة الجاهلية التي هي محض الجهل وصريح الهوى وقال مقاتل إن قريظة والنضير طلبوا إليه أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى بواء أي سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية واللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك

اى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لهم لانهم الذين يعرفون انه لا احد اعدل من الله حكما ولا احسن منه بيانا قال عطية العوفي جاء عبادة بن الصامت
فقال يا رسول الله ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم حاضرا نصرهم واني ابرأ الى الله والى رسوله من ولاية اليهود واتولى الله ورسوله فقال عبد الله بن
ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية اليهود فقال رسول الله صلعم يا ابا الحباب ما بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال قد قبلت
فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء تعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض لان الجنسية
علة الضم ثم اكد ذلك بقوله ومن يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم ولذلك قال ابن عباس يريد انه كافر مثلهم وهذا من التغليظ والتشديد ثم قال
ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة فوضعوا الولاء في غير موضعه عن ابي موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان
لي كاتبا نصرانيا فقال مالك قاتلك الله الا اتخذت حنيفا اما سمعت هذه الاية قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا
ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت لا يتم امر البصرة الا به قال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا فاصنعه الان فترى الذين في قلوبهم مرض
يعني امثال عبد الله بن ابي يسارعون فيهم في موالاة اليهود والنصارى يهود بني قينقاع ونصارى نجران لانهم كانوا اهل ثروة وكانوا يعينونهم على مهماتهم
ويقرضونهم يقولون يعتذرون عن الموالاة بقولهم نخشى ان تصيبنا دائرة قال الواحدي هي الدولة ومثلها صرف الزمان ونوائبه قال الزجاج يخشى
ان لا يتم الامر لمحمد فيدور الامر كما كان قبل ذلك ثم سلى رسوله والمؤمنين بقوله فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده وعسى من الله الكريم اطماع واجب والفتح
اما فتح مكة او مطلق دولة الاسلام وغلبته وقيل هو قوله او امر من عنده المراد به فعل لا يكون للناس فيه مدخل البتة كقذف الرعب في قلوب بني النضير وغيرهم
من الكفرة وقيل هو ان يؤمر النبي صلعم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم من النفاق والشك في امر الرسول نادمين ويقول
الذين آمنوا قال الواحدي حذف الواو ههنا كاثباتها فانه هكذا جاء في مصاحف اهل الحجاز والشام بغير واو وفي مصاحف اهل العراق بالواو وذلك ان في الجملة
المعطوفة ذكرا من المعطوف عليها فان قوله هؤلاء اشارة الى الذين يسارعون فلما حصل في كل من الجملتين ذكر من الاخرى حسن الوجهان ووجه العطف مع النصب
ظاهر ووجه ذلك مع الرفع على انه كلام مبتدأ اي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت ووجه الفصل هو ان يكون جواب سائل فماذا يقول المؤمنون وانما يقولون
هذا القول فيما بينهم تعجبا من حالهم وفرحا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص او يقولونه لليهود لان المنافقين كانوا يحلفون لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى
الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وقوله جهد ايمانهم اي باغلاظ الايمان نصب على الحال اي يجتهدون جهد ايمانهم او على المصدر من غير لفظه حبطت اعمالهم من قول
الله تعالى او من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها رياء وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم حيث فوت عليهم النعمة في الدنيا
والعذاب في العقبى من يرتد منكم عن دينه اي من يتول الكفار منكم فيرتد فليعلم ان الله تعالى ياتي بقوم آخرين ينصرون هذا الدين على ابلغ الوجوه وقال الحسن
علم الله تعالى ان قوما يرجعون الى الاسلام بعد موت نبيهم فاخبرهم انه سبحانه سياتي بقوم يحبهم ويحبونه فيكون الاية اخبارا عن الغيب وقد وقع فيكون معجزا
روي في الكشاف ان اهل الردة كانوا احدى عشرة فرقة ثلث في عهد رسول الله صلعم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى
على بلاده واخرج عمال رسول الله صلعم فكتب رسول الله صلعم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يد فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلعم بقتله
ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلعم من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول بنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلعم من مسيلمة رسول الله
الى محمد رسول الله صلعم اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله صلعم الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجنود المسلمين وقتل على يد وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي
واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلعم خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي
بكر فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض
بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد فحاربهم
ابو بكر وكفى الله امرهم على يده وفرقة واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الايهم كان يطوف بالبيت يوما وكان اسلم على يد عمر فرأى رجلا جر ازاره
فلطمه فتظلم الرجل الى عمر فقضى بالقصاص عليه فقال انا اشتريها بالف فابى الرجل فلم يزل يزيد في الفداء الى ان بلغ عشرة آلاف فابى الرجل الا القصاص
فاستنظره فانظره عمر فهرب الى الروم وتنصر وتفسير المحبة ذكرناه في سورة البقرة في قوله يحبونهم كحب الله واعاده محبته على محبتهم لان محبتهم اياه نتيجة محبته
الازلية اياهم فتلك اصل وهذه فرع والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن للشرط محذوف ومعناه فسوف ياتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم اذلة
جمع ذليل لا ذلول من الذل نقيض الصعوبة لا يجمع على اذلة وانما يجمع على ذلل وليس المراد انهم مهانون عند المؤمنين بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق
ولين الجانب فان من كان ذليلا عند انسان فانه لا يظهر الكبر والترفع البتة ولتضمين الذل معنى الحنو والعطف عدي بعلى دون اللام كانه قيل عاطفين عليهم
او المراد انهم مع شرفهم واستعلاء حالهم واستيلائهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ليضموا الى منصبهم فضيلة التواضع اعزة على الكافرين
يظهرون الغلظة والترفع عليهم من عزه يعزه اذا غلبه نحو هذه الاية قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم اما الواو في قوله ولا يخافون فاما ان يكون
للحال اي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين حيث يخافون لومة اوليائهم اليهود واما ان يكون للعطف كقوله الى الملك القرم وابن الهمام
اي هم الجامعون بين المجاهدة لله وبين الصلابة في الدين اذا شرعوا في امر من امور الدين لا يزعهم اعتراض معترض في وجه اللوم وتنكير اللائم مبالغة





كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوت الكمال من المحبة والذلة وغيرها فضل الله اي احسانه وتوفيقه قالت الاشاعرة فيه
دليل على ان الاعمال مخلوقة لله تعالى والمعتزلة حملوه على فعل الالطاف وضعف بان اللطف عام في حق الكل فلا بد للتخصيص من فائدة والله واسع عليم تام القدرة كامل
العلم يعلم اهل الفضل (من يؤتيهم الفضل) واعلم ان للمفسرين خلافا في ان القوم المذكورين في الاية من هم قال الحسن وقتادة والضحاك وابن جريج هم ابو بكر واصحابه لانهم الذين
قاتلوا اهل الردة وقال السدي نزلت في الانصار وقال مجاهد هم اهل اليمن لانها لما نزلت اشار النبي صلعم الى ابي موسى الاشعري وقال هم قوم هذا وقال
اخرون هم الفرس لما روي انه صلعم سئل عن هذه الاية فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء
فارس وقالت الشيعة نزلت في علي كرم الله وجهه لما ذكر انه صلعم دفع الراية الى علي يوم خيبر وكان قد قال لادفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
وكان هذا بعد هذه الاية نازلة فيه بالاتفاق واكثر المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي هذه الاية من ادل الدلائل على فساد مذهب الامامية لان الذين اتفقوا
على امامة ابي بكر لو كانوا انكروا نصا جليا على امامة علي لكان كلهم مرتدين ثم لجاء الله بقوم يحاربهم ويردهم الى الحق ولما لم يكن الامر كذلك بل الامر بالضد فان
فرقة الشيعة مقهورون ابدا حصل الجزم بعدم النص ولقائل من هذه الشيعة ان يقول فابد زيادة ان ثم لا يجيء بقوم يحاربهم ولعل المراد بخروج المهدي
هو ذلك فان محاربته من يأتي الاوائل هي محاربة الاوائل وهذا انما ذكرته بطريق المنع لا لاجل العصبية والميل فان اعتقادنا ان الصحابة الكرام
امر قطعي والله اعلم ثم انه سبحانه لما نهى في الاية المتقدمة عن موالاة الكفار امر هاهنا بموالاة من يجب موالاته فقال انما وليكم ولم يقل اولياؤكم ليعلم
ان الولاية انما هي اصلا لله ثم في تبع الله ورسوله والذين امنوا وفيه قولان الاول ان المراد عامة المؤمنين لان الاية نزلت على وفق ما مر من قصة عبادة بن
الصامت ويروى ان عبد الله بن سلام قال يا رسول الله ان قومنا قد هجرونا واقسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة اصحابك لبعد المنازل فنزلت
هذه الاية فقالوا رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين اولياء ثم قال الذين يقيمون الصلوة ومحله رفع على البدل او على هم الذين يقيمون او نصب بمعنى امدح او اعني
وفي الكل مدح والغرض تمييز المؤمن المخلص عمن يدعي الايمان نفاقا ومعنى وهم راكعون قال ابو مسلم اي هم خاضعون لاوامر الله تعالى ونواهيه وقيل المراد
ومن شانهم اتمام الصلوة وخص الركوع بالذكر لشرفه وقيل ان الصحابة كانوا عند نزول الاية مختلفين في هذه الصفات فمنهم من قد اتم الصلوة
ومنهم من دفع المال الى الفقير ومنهم من كان بعد في الصلوة راكعا فنزلت الاية على وفق احوالهم القول الثاني ان المراد شخص معين وجيء بلفظ
الجمع ليرغب الناس في مثل فعله ثم ان ذلك الشخص من هو روى عكرمة انه ابو بكر وروى عطا عن ابن عباس انه علي روي ان عبد الله بن سلام قال لما
نزلت هذه الاية يوما صلوة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه احد فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم اشهد اني سألت في مسجد الرسول فما اعطاني
احد شيئا وعلي كان راكعا فاومى اليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم فرآه النبي صلعم فقال اللهم ان اخي موسى سألك
فقال رب اشرح لي صدري الى قوله واشركه في امري فانزلت قرآنا ناطقا سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا اللهم وانا محمد نبيك وصفيك
فاشرح لي صدري ويسر لي امري اجعل لي وزيرا من اهلي عليا اشدد به ظهري قال ابو ذر فوالله ما اتم رسول الله صلعم هذه الكلمة حتى نزل جبرئيل فقال يا محمد
اقرأ انما وليكم الله الاية فاستدلت الشيعة بها على ان الامام بعد رسول الله صلعم هو علي ابن ابي طالب لان الولي هو المتولي المتصرف في امور الامة وانه
علي عم [illegible] واجيب بالمنع فان الولي هاهنا ليس هو المتصرف بل المراد به الناصر والمحب لان الولاية المنهي عنها فيما قبل هذه الاية وفيما بعدها هو
بهذا المعنى فكذا الولاية المامور بها وايضا ان عليا لم يكن نافذ التصرف حال نزول الاية والظاهر يقتضي ان يكون الولاية حاصلة في الحال وايضا
لفظ الجمع على الواحد لا لاجل التعظيم مجاز والاصل في الاطلاق الحقيقة فالمراد بالذين امنوا عامة المؤمنين وان بعضهم يجب ان يكون ناصر البعض
كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وايضا الاية المتقدمة نزلت في ابي بكر كما مر من انه هو الذي حارب المرتدين فالمناسب ان يكون
هذه ايضا فيه ثم ان علي ابن ابي طالب كان اعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الامامية فلو كانت الاية دالة على امامته لاحتج بها كما احتج بما ينقلون عنه
يوم الشورى بخبر الغدير وخبر المباهلة وجميع مناقبه وفضائله هب انها دالة على امامته لكنه ما كان نافذ التصرف في حياة رسول الله صلعم فلم
يبق الا انه سيصير اماما ونحن نقول بموجبه لكن بعد الشيوخ الثلثة ومن اين علمتم انها تدل على امامته بعد رسول الله صلعم من غير فصل وايضا انهم كانوا
قاطعين بان المتصرف فيهم هو الله ورسوله فلا حاجة بهم الى ذكر ذلك فالمراد بقوله انما وليكم الله ورسوله ان من كان الله ورسوله ناصرين له فاي حاجة
به الى طلب النصرة والمحبة عن غيره واذا كان الولي مستعملا بمعنى النصرة مرة امتنع ان يراد به معنى التصرف لانه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه
معا فكانه تعالى قسم المؤمنين قسمين وجعل احدهما انصارا للاخر وايضا ان الزكوة اسم للواجب لا للمندوب ولم يشتهر ان عليا كان يجب عليه الزكوة ولو سلم
فاللائق بحاله ان يكون في الصلوة مستغرق القلب بالله فلا يفرغ لاستماع كلام السائل ولا الى دفع الخاتم اليه لانه عمل كثير اللهم الا ان يكون الخاتم سهل
المأخذ وكان قد رمي به الى السائل فاخذ السائل والحق انه ان صحت الرواية فللاية دلالة قوية على عظم شان علي عم والمناقشة في امثال ذلك تطويل
بلا طائل الا ان اصحاب المذاهب لما تكلموا فيها اوردنا حاصل كلامهم على سبيل الاختصار ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم اقام
المظهر مقام المضمر تشريفا والمراد فانهم هم الغالبون والحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم وقال الحسن جند الله ابو روق اولياء الله ابو العالية
شيعة الله وقيل انصار الله الاخفش هم الذين يدينون بدينه ويطيعونه فينصرهم صاحب الكشاف يحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين اي ومن يتولهم
فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب ثم عمم النهي عن موالاة جميع الكفار فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عن ابن عباس كان رفاعة بن زيد وسويد

قلنا ان رسول الله صلعم انا ... علياً تصدق بخاتمه ... ومعونة الخ ... ورووه ... ابو ذر انه قال ... مع رسول الله صلعم

وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا بيانه اتخاذكم اياهم اولياء بل يجب نفيا
ذلك بالتشنيع والبغضاء وانما عطف الكفار على اهل الكتاب مع ان اهل الكتاب ايضا كفار والعطف يقتضي المغايرة لانه اراد بالكفار
الوثنيين خاصة لما ان كفرهم اغلظ فكانوا احق باسم الكفر ومعنى تلاعبهم بالدين واستهزائهم به اظهارهم ذلك باللسان دون مواطاة الجنان واتقوا الله في موالاة
الكفار ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان الحقيقي يابى موالاة اعداء الدين قال الكلبي كان منادي رسول الله صلعم اذا نادى الى الصلوة فقام المسلمون اليها
قالت اليهود قد قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ركعوا لا ركعوا على طريق الاستهزاء والضحك فنزل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة او المناداة
وقيل بعض ما تحذوه من هذا الدين هزوا ولعبا فلهذا ورد في الاثر المقدمة الكلبية وقال السدي نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم واهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحرقت البيت
واحترق هو واهله وقال الاخرون ان الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا رسول الله والمسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلعم فقالوا يا محمد لقد ابدعت
شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم الخالية فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت من هذا الاذان الانبياء قبلك ولو كان في هذا الامر خير كان اولى الناس
به الانبياء والرسل قبلك فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح من صوت وما اسمج من امر فانزل الله تعالى هذه الاية وانزل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
قال بعض العلماء فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده واقول لو قيل ان اصل الاذان بالمنام والتقرير بنص الكتاب كان اصوب ذلك
اي اتخاذ بانهم قوم لا يعقلون ما في الصلوة من المنافع لانها التوجه الى الخالق والاشتغال بخدمة المعبود ولا يفهمون ما في اللعب والهزء من السفه والجهل قال
بعض الحكماء اشرف الحركات الصلوة وانفع السكنات الصيام الم او قل وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي بالحقيقة لانه انزل على قلبه وانزل سائر
الكتب في الالواح والصحف فلهذا كان خلقه القرآن وكان مهيمنا على جميع الكتب مصدقا لما بين يديه لما بين يديه منزل عليه من سورة حفظ
الكتب واسرارها بخلاف ما انزل في الالواح فان الالواح لا تشهد ولا تشاهد حقائق الكتب ومعانيها لكل جعلنا منكم معاشر الانبياء شرعة شرع فيها
بالبيان ومنهاجا سبيلا فيه بالعيان ولكن ليبلوكم ايها الامم فيما اتيكم من البيان والتبيان والحجج والبرهان والعزة والسلطان فيبتليكم بزينة الدنيا
واتباع الهوى ونيل المنى والرفعة بين الورى والنجاة في العقبى ليهتدي التائبون بالبيان ويقتدي العاملون بالبرهان ويحكم العارفون بالسلطان
بل يقصد الزاهدون برفض الدنيا ويقدم العابدون بنهي الهوى ويسلك المشتاقون بنفي المنى ويجتذب العارفون بترك الورى ويسلب الواصلون
بالسلو عن الدنيا والعقبى فاستبقوا الخيرات من هذه المقامات الى الله مرجعكم جميعا اختيارا بقدم الصدق واضطرارا بالحلول للاجل
فان تولوا عن قبول الحق فاعلم فاعلم بمطالعة القضاء انما يريد الله في حكم القدر ان يصيبهم مصيبة الاعراض ببعض ذنوبهم وهو الاعراض
فان الحق سبحانه يلزم بشرط التكليف ويقدمهم ويؤخرهم لعين المتصرف فالتكليف فيما اوجب للتصرف فيما اوجد والعزم بالايجاد
لا بالايجاب لفاسقون لخارجون عن جذبات العناية افحكم الجاهلية يبغون اي يطلبون منك ان تحيد عن المحجة المثلى بعد ما طلعت شموس
الدنيا وسطعت ازاهير اليقين وانهتك استار الريب واستنار القلب بانوار الغيب ليسارعون فيهم لان شبيه الشيء منجذب اليه ان يأتي بالفتح
فتح عيون القلوب او امر من عنده وهو الجذبة التي توازي عمل الثقلين ويقول الذين امنوا بانوار الغيوب في اسرار القلوب فاصبحوا خاسرين
بابطال الاستعداد الفطري يقوم يحبهم ويحبونه ارباب السلوك انما هم يسبطون انهم يحبهم ثم انهم يحبونه عند هبوب نفحات يحبونه فان محبة الله
للعبد افناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ومحبة العبد لله ابقاء اللاهوتية في فناء الناسوتية والشيخ نجم الدين الرازي المعروف بداية رضي الله
عنه قد عكس القضية فلعله فهم عبرها فيهما ثم قال انه تعالى يحب العبد بصفة ذاته انك وهي الارادة القديمة المخصوصة بالعناية والعبد يحب الله
بذاته تلك الصفة ابدا اذلة على المؤمنين لا ينتفاع الانانية اعزة على الكافرين ببقاء اللاهوتية واثبات الوحدانية يجاهدون في سبيل الله
في طلب الحق في البداية ببذل الوجود ولا يخافون لومة لائم عند غليان الوجد في الوسط لدوام الشهود ذلك يعني صدق الطلب في البداية وغلبة
الوجد في الوسط والاختصاص بالجذبة في النهاية والله واسع كريم قادر على ان يتفضل كل حال لكنه عليم بحال كل احد فلذا يتفضل الاعلى من
يشاء اهل نعمة والصلوة يديمونها ... حقيقتها في الباطن باعطاء الشرع يؤتون الزكوة من وجودهم وهو الفناء في الله هم راكعون راجعون الى الله با
لا نشاط من قيام البشرية الى قيام الهوية هم الغالبون على اهوائهم وانفسهم والدنيا والشيطان الذين اتخذوا دينكم يعني اهل الغفلة والسلو المنتهين باهل
المحبة والفرح من الدين واوتوا الكتاب اي العلوم الظاهرة والكفار يعني الفلاسفة مقلبيهم لانهم بمعزل عن العلوم اللدنية والكشفية واذا ناديتم الى الصلوة دعوتهم
الى محل القرب والنجوى لا يعقلون بالوهم والخيال للذاذة شهود ذلك الجمال

قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله
بگو که ای اهل کتاب ایا زشت مینماید شما را از ما مگر انکه گرویدیم بخدا

وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه
و آنچه فرود آمد بسوی ما و آنچه فرستاده شد از پیش و بدرستی که بیشتر از شما فاسقانید بگو که ایا خبر دهم شما را بدتر از این پاداش در نزد خدا آنکه لعنت کرد او را

الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل
خدا و خشم کرد بر او و گردانید از ایشان بوزینگان و خوکان و پرستندگان بتان آن گروه بدترند منزلت ایشان و دورتر از راه راست

ركوع

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ع

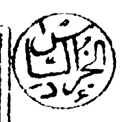
يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

القراءة هل تنقمون بادغام اللام في التاء حمزة وعلي وهشام وعبد الطاغوت بضم الباء ونصب الدال وجر الطاغوت حمزة الباقون بنصب الطاغوت على ان عبد فعلا ماضيا عطفا على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت مبسوطتان مثل زاده بصطة وقد مر في البقرة رسالاته نافع وابن كثير وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون رسالاته الوقوف من قبل لعطف ان اكثركم على ان آمنا فاسقون عند الله لتناهي الاستفهام والتعليل هو من لعنه الله ومن جعل ... الطاغوت السبيل خرجوا به يكتمون السحت يعملون السحت يصنعون مغلولة ...



والكفر بعض ثم عطف عليه قوله أن أكثركم فاسقون والمراد هل تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم كأنه قيل ما تنكرون منا إلا مخالفتكم فآمنا وما فسقنا
مثلكم وفيه من حسن الازدواج والطباق ما فيه كقول القائل هل تنقم مني إلا أني عفيف وأنك فاجر ويجوز أن يعطف على المجرور أي ما تنقمون منا إلا الإيمان
بالله وبما أنزل وبأن أكثركم خارجون عن الدين ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أي ما تنكرون منا إلا الإيمان مع فسقكم لأن أحد الخصمين إذا كان متلبسا
بالصفات الحميدة مع اتصاف الآخر بالصفات الذميمة كان ذلك أشد تأثيرا في وقوع البغض والحسد في قلب الخصم ويحتمل أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل
محذوف أي وما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم ولأجل فسقكم ومن هنا قال الحسن في تفسيره بفسقكم نقمتم ذلك علينا ويجوز أن ينتصب بفعل محذوف
يدل عليه ما قبله أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو يرتفع بالابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم على أن حب الجاه والمال يدعوكم إلى
عدم الإنصاف وإنما خص الأكثر بالفسق مع أن اليهود كلهم فساق لأن رؤساءهم الطالبين للرياسة والمال الذين يتقربون إلى الملوك والمراد
أن أكثرهم في دينهم فساق لا عدول فإن الكافر والمبتدع قد يكون عدلا في دينه أو ذكر أكثرهم لئلا يظن أن من آمن منهم داخل في ذلك قال ابن عباس أتى نفر
من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل إلى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر
عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت الآية ثم قل هل أنبئكم بشر من ذلك يعني المنقوم
وهو الإيمان ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله ومثوبة نصب على التمييز من شر وهي المصادر التي جاءت على
مفعول كالميسور والمجلود ومثلها المشورة وقرئ مثوبة كما يقال مشورة والمثوبة مثل العقوبة واستعمال أحد الضدين مكان الآخر مجاز وحسنه
إرادة التهكم مثل فبشرهم بعذاب أليم وقد خرج الكلام ههنا على حسب قولهم واعتقادهم وإلا فلا شركة بين المسلمين وبين اليهود في أصل العقوبة
حتى يقال إن عقوبة أحد الفريقين شر لكنهم حكموا بأن دين الإسلام شر فقيل لهم هب أن الأمر كذلك ولكن لعن الله وغضبه ومسخ الصور شر من ذلك قال
المفسرون يعني بالقردة أصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة عيسى وروي أن كلا المسخين كان في أصحاب السبت لأن شبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا
خنازير ولهذا كان المسلمون يعيرون اليهود ويعيرونهم بالآية ويقولون يا إخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم أما قوله وعبد الطاغوت فقد ذكر في الكشاف
فيه أنواعا من القراءة لا مزيد فائدة في تعدادها السبعة منها الأفراد حمزة والوجه فيه أن العبد بمعنى العبد إلا أنه بناء مبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ
في الحذر والفطنة قال الشاعر أبني لبينى إن أمكم أمة وإن أباكم عبد. أبني لبينى لستم بيد إلا يدا ليست لها عضد. وقيل هما لغتان مثل سبع وسبع
وقيل إن العبد جمع عباد والعباد جمع عبيد كثمار وثمر إلا أنهم استثقلوا الضمتين فأبدلوا الأولى فتحة وقيل أرادوا أعبد الطاغوت مثل فلس وأفلس
إلا أنه حذف الألف وضم الباء لئلا يشتبه بالفعل والطاغوت ههنا قيل هو العجل وقيل هو الأحبار والظاهر أنه كل ما عبد من دون الله وكل من أطاع أحدا في
معصيته فقد عبده احتجت الأشاعرة بالآية على أن الكفر بجعل الله تعالى وقالت المعتزلة معنى هذا الجعل أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أو أنه خذلهم حتى عبدوها أولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا من المؤمنين قال ابن عباس لأن مكانهم سقر
ولا مكان أشر منه وقال علماء البيان هو من باب الكناية لأنه ذكر المكان وأريد أهله الذي هو ملزوم المكان وأضل عن سواء السبيل قصده ووسطه
كان ناس من اليهود يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الإيمان نفاقا فأخبر الله نبيه بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسه كما دخلوا لم يؤثر فيهم شيء
من النصيحة والموعظة وقوله بالكفر وبه حالان أي متلبسين بالكفر وكذا قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال
وليفيد التوقع أيضا وذلك أن أمارات النفاق كانت لائحة على صفحات أحوالهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لإظهار الله أسرارهم والفائدة في هذه الحال
وفي الأولى دخلوا وخرجوا أي قالوا آمنا وحالهم أنهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وإنما ذكر عند الخروج كلمة هم تأكيدا لإضافة الكفر إليهم ونفي أن يكون
من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فعل أي لم يسمعوا منك يا محمد عند جلوسهم معك ما يوجب كفرا فتكون أنت الذي ألقيتهم في الكفر بل هم الذين خرجوا بالكفر باختيار أنفسهم
وههنا استدل المعتزلي على صحة مذهبه أن الكفر من العبد لا من الله ولكنه معارض بالعلم والداعي والله أعلم بما كانوا يكتمون فيه أن حسدهم وحنقهم لا يحيط
بهم إلا الله فما أعظم ذلك وأبلغ الإثم الكذب كقوله تعالى عن قولهم الإثم والعدوان الظلم وقيل الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم إلى غيرهم وقيل الإثم
كلمة الشرك قولهم عزير ابن الله وفي الآية فوائد منها ذكر كثير لأن كلهم كانوا لا يفعلون ذلك إذ بعضهم يستحيي فيترك ومنها أن المسارعة إنما تليق بالخيرات وأنهم كانوا
يستعملونها في المنكرات ومنها أن الإثم يتناول جميع المعاصي فذكر بعده العدوان وأكل السحت ليدل على أنهما أعظم أنواع الإثم والكلام في معنى السحت وفي
تفسير الربانيين والأحبار تقدم في السورة عن قريب قال الحسن الربانيون علماء الإنجيل والأحبار علماء التوراة وإنما قال ههنا لبئس ما كانوا يصنعون
وفي الأول يعملون لأن الصنع أرسخ من العمل فلا يسمى العامل صانعا ولا العمل صنعا إلا إذا تمكن فيه وتدرب بتسليمه فكأنه جعل العلماء إذا تركوا النهي
عن المنكر أشد وأعظم وأبلغ وأرسخ وتحقيقه أن المعصية مرض الروح وعلاجه العلم بالله وصفاته وأحكامه فإذا حصل هذا العلم ولم تزل المعصية
دل على أن مرض القلب في غاية القوة والشدة كالمرض الذي شرب صاحبه الدواء فما زال عن ابن عباس هي أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن
آية أخوف عندي منها وقالت اليهود يد الله مغلولة قيل في هذه الآية إشكال لأن اليهود مطبقون على أنا لا نقول ذلك كيف وفي بطلانه معلوم
بالضرورة لأن الله اسم لموجود قديم قادر على خلق العالم وإيجاده وتكوينه وهذا الموجود يمتنع أن يكون يده مغلولة وقد ذكروا في الجواب
أن الله تعالى صادق في كل ما أخبر عنه فلا بد من تصحيح هذا النقل عنهم ثم لعل القوم قالوا هذا على سبيل الإلزام فإنهم لما سمعوا قوله من ذا الذي يقرض الله

قرضاً حسناً قالوا من احتاج الى القرض كان فقيراً عاجزاً مغلول اليدين ولعلهم لما رأوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في غاية الفقر والضر قالوا ان اله محمد كان فقيراً كذا
ارادوا انه لا يمسهم النار الا اياماً معدودة الا انهم عبروا عن كونه تعالى غير معذب لهم الا الا عذاب القدر المذكور بهذه العبارة الفاسدة فاستوجبوا اللعن
لفساد العبارة وسوء الادب وقيل لعلهم كانوا على مذهب بعض الفلاسفة انه تعالى موجب لذاته وان حدوث الحوادث عنه لا يمكن الا على نسق واحد فعبروا عن عدم
اقتداره على غير ذلك النسق بغل اليد وقال المفسرون كانت اليهود اكثر الناس مالاً وثروة فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وكذبوه ضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك
قالوا يد الله مغلولة اي مقبوضة عن العطاء على جهة النعت بالبخل والجاهل اذا وقع في البلاء والشدة يقول مثل هذه الالفاظ وغل اليد و
بسطها مجاز مستفيض عن البخل والجود ومنه قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وذلك ان اليد آلة لاكثر الاعمال لا سيما
لاخذ المال واعطائه فاطلقوا اسم السبب على المسبب فقيل للجواد فياض الكف مبسوط اليد سبط البنان رطب الانامل وللبخيل يابس الاصابع مقبوض
الكف جعد الانامل لا فرق عندهم بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازاً عنه حتى انه يستعمل في ملك لا يعطي ولا يمنع الا باشارة بل يقال للاقطع ما ابسط
يده بالنوال وقد يستعمل حيث لا يصح اليد كقول لبيد اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فجازاهم الله تعالى بقوله غلت ايديهم وهو الدعاء عليهم بالبخل والنكد
ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم دعا به عليهم تعليماً لعباده كما علمهم الاستثناء في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وكما علمهم
الدعاء على المنافقين في قوله فزادهم الله مرضاً وعلى ابي لهب في قوله تبت يدا ابي لهب ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة او اخباراً قال
الحسن يغلون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم فيكون الطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز وانما لم يقل فغلت
ايديهم مع ان الجزاء يناسب الفاء والتعقيب ليكون قوله غلت ايديهم كالكلام المبتدأ به فيزيده قوة ورونقاً لان الابتداء بالشيء يدل على شدة الاهتمام
به وقوة الاعتناء بتقريره ولعنوا بما قالوا قال الحسن عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار ومما وقع في عصرنا من اعجاز القرآن ما حكي ان شخصاً
من اليهود متسمياً بسعد الدولة وهو من اشقى الناس كان قد سمع هذه الآية فاتفق ان وصل الى بغداد فنزل بالمدرسة المستنصرية ودعا بمصحف كان
مكتوباً باحسن خط واشهره من خطوط الكتاب لما ظن انه كان يعلم ان اهل هذا العصر يقلدون على كتابته ثم قال ان هذه الآية يعني قوله غلت
ايديهم ولعنوا بما قالوا فازالها فحكها فلم يمض اسبوع الا وقد سخط السلطان عليه فبعث في طلبه امر بغل يديه فغلوه وحملوه اليه فامر بقتله ثم انه
رد على اليهود بقوله بل يداه مبسوطتان واليد في اللغة تطلق على الجارحة المخصوصة وهو ظاهر وعلى النعمة لفلان عندي يد اشكرها له وعلى القوة
اولي الايدي والابصار فسرت بذوي القوى والعقول ومنه لا يدين له بهذا وللغير سلكت الى القدرة وعلى الملك هذا بيد فلان اي ملكه قال تعالى بيده عقدة
النكاح وقد يراد بمعنى العناية قال لما خلقت بيدي ويقال يداك لك رهن بالوفاء اذا ضمنت له شيئاً ولا شك ان اليد بمعنى الجارحة في حقه تعالى محال
لدلالة على انه ليس بجسم ولا ذي اجزاء خلافاً للمجسمة واما سائر المعاني فلا يليق بها وكان طريقة السلف الايمان بها وانها من عند الله ثم تفويض معناها
الى الله وقد جاء في بعض اقوال ابي الحسن الاشعري ان اليد صفة سوى القدرة من شانها التكوين على سبيل الاصطفاء لقوله لما خلقت بيدي و
المراد تخصيص آدم بهذا التشريف نعم القرآن ناطق باثبات اليد تارة يد الله فوق ايديهم وباثبات اليدين اخرى كما في الآية وباثبات الايدي اخرى
مما عملت ايدينا انعاماً ووجه التوحيد والجمع ظاهر واما وجه التثنية فذلك ان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه فكان ابلغ في رد كلام
خذلهم الله او المراد نعمة الدين ونعمة الدنيا او نعمة الظاهر ونعمة الباطن او نعمة النفع ونعمة الدفع او نعمته على اهل اليمين ونعمته على اهل الشمال بل الاشقياء
في حق اولئك رحمة في شان هؤلاء او المراد المبالغة في وصف النعمة نحو لبيك وسعديك معناه اقامة على طاعتك بعد اقامة واسعاداً بعد اسعاد
ثم اكد الوصف بالقدرة والسخاء فقال ينفق كيف يشاء وفيه انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة وتفاوت العطاء على حسب المشيئة والارادة لا مانع له ولا مكره فمن
اوجب عليه شيئاً او اعترض على فعل من افعاله فقد نازعه في ملكه وحجر تصرفه وقيده وغله ونسب اليه ما لا يليق به وليزيدن جواب قسم محذوف كثيراً منهم يعني علماء
اليهود ما انزل اليك من ربك من القرآن والحجج طغياناً وكفراً مجاوزة في الحد وغلواً في الانكار لان البعد عن الحق كلما علموه ازدادوا شراً والقينا بينهم
بين اليهود والنصارى قاله مجاهد والحسن وفيما بين اليهود العداوة والبغضاء لا يأتلف كلمتهم لا تتساعد افئدتهم فمن اليهود جبرية وقدرية وموحدة و
مشبهة ومن النصارى ملكانية ونسطورية ويعقوبية وكذلك الاختلاف يوجب السخط واللعن بخلاف هذه الامة فان اختلافهم رحمة ولتفرق الحكم
وتشعب الآراء كلما اوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله فلا يظفرون بامر من الامور ولا يفلحون جمعوا لحنين كلما حاربوا رسول الله غلبوا وقهروا
قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم اذل الناس ويسعون في الارض فساداً يستخفون كيدا للاسلام وذويه والله لا يحب المفسدين فلا يجزيهم الا شراً
قيل خالفوا احكام التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين الى
يوم القيامة ثم لما بالغ في ذمهم وتهجين سيرتهم ذكر انهم مع ما عدد من مساويهم لو آمنوا بمحمد وبما جاء به واتقوا المنكرات التي كانوا يأتونها لكفرنا عنهم
تلك السيئات سترناها عليهم ولادخلناهم مع المسلمين جنات النعيم من النعم خلاف البؤس اي نعيم صاحبها فما اوسع رحمة الله وما اعظم عفوه
وغفرانه ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل عملوا بما فيهما من الوفاء بعهود الله تعالى ومن الاقرار بنبوة نبي آخر الزمان محمد او حافظوا على احكامهما
وحدودهما واداموا فيما نصب عينهم لئلا ينسوا ما فيهما من التكاليف وما انزل اليهم من ربهم يعني القرآن او سائر الكتب الالهية كصحف ابراهيم وزبور
داود وكتاب شعيا وحيقوق ودانيال فان كلها مشحونة من البشارة ببعث محمد وانهم مكلفون بالايمان بجميعها لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي



ينزل عليهم بركات السماء وبركات الارض وبكثرة لهم الاشجار المثمرة والزروع المغلة او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على وجه الارض ويحتمل ان يراد به المبالغة في شرح السعة والخصب لا ان هناك فوقا وتحتا اي لاكلوا اكلا كثيرا متصلا ويستبان ان يكون هذا اشارة الى ما جرى على بني قريظة وبني النضير من قطع نخيلهم وافساد زروعهم واجلائهم عن اوطانهم والحاصل انه سبحانه وعدهم سعادة الدارين بشرط الايمان بما جاء به محمد وقدم السعادة الاخروية بقسميها وهما دفع العذاب وايصال الثواب لشرفهما ثم فصل حالهم فقال منهم امة مقتصدة طائفة متوسطة في الغلو والتقصير وذلك ان من عرف مقصوده فانه يكون قاصدا له على الطريق المستقيم من غير انحراف ولا اضطراب بخلاف من لا مقصد له فانه يذهب متحيرا يمينا وشمالا فجعل الاقتصاد عبارة عن العمل المؤدي الى الغرض ومن هم فيه قولان احدهما الكفار من اهل الكتاب الذين يكونون عدولا في دينهم ولا يوجد فيهم عناد شديد ولا غلظة كاملة والثاني هم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعين من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل ما اسوء عملهم لكونهم اجلافا متعصبين لا ينجع فيهم القول ولا يؤثر فيهم الدليل قيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم ثم امر رسوله بان لا ينظر الى قلة المقتصدين وكثرة المعاندين ولا يخشى مكروههم فقال يا ايها الرسول بلغ عن ابي سعيد الخدري ان هذه الاية نزلت في فضل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يوم غدير خم فاخذ رسول الله بيده وقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فلقيه عمر وقال هنيئا لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي وروي انه نام في بعض اسفاره تحت شجرة وعلق سيفه عليها فاتاه اعرابي وهو نائم فاخذ سيفه واخترطه وقال يا محمد من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف من يده وضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه فنزل والله يعصمك من الناس وقيل لما نزلت اية التخيير يا ايها النبي قل لازواجك فلم يعرضها عليهن خوفا من اختيارهن الدنيا نزلت يا ايها الرسول بلغ وقيل نزلت في امر زيد وزينب بنت جحش وقيل لما نزل قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله سكت رسول الله عن عيب الهتهم فنزلت اي بلغ معايب الهتهم ولا تخفها وقيل انه لما بين الشرايع والمناسك في حجة الوداع قال هل بلغت قالوا نعم فقال اللهم اشهد فنزلت وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص المذكورين وعن الحسن رضي الله عنه قال لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعا وعرفت ان من الناس من يكذبني واليهود والنصارى يخوفونني فنزلت الاية فزال الخوف قالت عائشة سهر رسول الله ذات ليلة فقلت يا رسول الله ما شانك قال الا رجل صالح يحرسني الليلة قالت فبينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد وحذيفة جئنا نحرسك فنام رسول الله حتى سمعت غطيطه فنزلت هذه الاية فاخرج رسول الله راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله وعن ابن عباس كان رسول الله يحرس فكان يرسل معه ابو طالب كل يوم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الاية فاراد عمه ان يرسل معه من يحرسه فقال يا عماه ان الله قد عصمني من الجن والانس ومعنى قوله ما انزل اليك اي شيء انزل اليك فان لم تفعل ما امرتك به كما امرتك به فما بلغت رسالته من قرا على الوحدة فلان القرآن كله رسالة واحدة اولان الرسالة اسم المصدر فيقع على الواحد وعلى الجمع ومن جمع فلان كل اية احكم رسالة فان قيل معنى قوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته ان لم تبلغ رسالته فما بلغت رسالته فما وجه صحته فالجواب انه جاء على طريق التهديد والمراد ان لم تبلغ منها ادنى شيء فانك لم تبلغ شيئا لان اداء بعضها ليس اولى من اداء البعض الاخر كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها او المراد ان لم تفعل ذلك فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله فوضع السبب موضع المسبب ويعضده ما روي انه قال بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فان قيل اين ضمان العصمة وقد جرى عليه يوم احد ما جرى فالجواب ان الاية نزلت بعد يوم احد والمراد انه يعصمه من القتل وعليه ان يحتمل كل ما دون النفس والناس الكفار لقوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يمكنهم مما يريدون ثم لما امره بتبليغ اي شيء كان طاب للسامع او ثقل عليه امره ان يقول لاهل الكتاب لستم على شيء اي على دين يعتد به كما يقول هذا ليس بشيء وليزيدن كثيرا تفسيره سبق والاية مكررة للتاكيد يعني فلا تاس اي لا تاسف ولا تحزن عليهم بسبب زيادة طغيانهم فان وبال ذلك عائد عليهم او لا تاسف بسبب نزول اللعن والعذاب عليهم فانهم من الكافرين المستحقين لذلك يقال اسي على مصيبته ياسى اسى اي حزن ثم لما بين ان اهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا بين ان هذا الحكم عام في الكل وانه لا يحصل لاحد منقبة ولا سعادة الا اذا امن وعمل صالحا وذلك ان كمال القوة النظرية لا يحصل الا بمعرفة المبدا والمعاد اعني الايمان بالله واليوم الاخر وكمال القوة العملية انما يحصل بتعظيم المعبود والشفقة على المخلوق اعني العمل الصالح وغاية هذا الكمال الخلاص من الخوف عما يستقبل ومن الحزن على ما مضى من طيبات الدنيا لانهم وجدوا امورا اعظم واشرف وقد تقدم تفسير مثل هذه الاية في سورة البقرة الا انه بقي ههنا بحث لفظي وهو ان قوله والصابئون عطف على ماذا فقال الكوفيون انه معطوف على محل الذين لان اسم ان اذا كان مبنيا جاز العطف على محله وان كان قبل ذكر الخبر فيجوز انك وزيد ذاهبان وانهم يجيزان زيدا وعمرو قائمان وذهب البصريون الى عدم جواز ذلك مطلقا لانه يؤدي الى عمل ان ومعنى الابتداء معا في قائمان فيجتمع على المرفوع الواحد رافعان مختلفان وانه محال فاذن الصابئون مرفوع بالابتداء على نية التاخير كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك فيكون هذه جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها وفائدة هذا التقديم التنبيه على ان التوبة مقبولة البتة وذلك ان الصابئين هؤلاء المعلن بين ضلالا لانهم صبأوا عن الاديان كلها اي خرجوا فكانه قال حتى هؤلاء الفرق اذا اتوا بالايمان والعمل الصالح قبلت توبتهم حتى الصابئون ولو قيل والصابئين لم يكن من التقديم في شيء لانه ثابت في مركزه الاصلي وانما يطلب بهذا التقديم المزال عن موضعه والراجع الى اسم ان محذوف تقديره من امن منهم كما في البقرة والله اعلم التاويل بشر الفريقين من جعله الله مستعدا لقبول فيض الفهم من اللعن والغضب وجعل صفة

جميع ما انزل اليك

لان القردة والخنازير

القردية والخنزيرية اعني الحيلة والحرص والشهوة من بعض خصائصهم اولئك شرّ مكانا من القردة والخنازير لا استعدادهم وهؤلاء لما ابطلوا استعداد هم الفطري في مثل اولئك كالانعام بل هم اضل ولهذا دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به الربانيون مشايخ الطريقة والاحبار علماء الشريعة غلت ايديهم من صنايع الخير مغلولة ومشامهم عن نسيم نتايج الصدق في تركوه فلهذا قالوا يد الله مغلولة وكل اناء يترشح بما فيه لكن الله ادركته العناية الازلية وسلبت عنه صفات الظلومية والجهولية ثم قال يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ينفق كيف يشاء بيديه اللطف والقهر على المؤمنين من الهداية والاحسان وعلى الكافرين من الغواية والخذلان والقينا بينهم العداوة فلا يوجد الاولياء ويبين صاحبه بغض الى ان يتوارثوا ابطنا بعد بطن ولو ان اهل العلوم الظاهرة امنوا بالعلوم الباطنة واتقوا الانكار والاعتراض ولو انهم عملوا بمقتضيات الكتب المنزلة ومستحسناتها لاكلوا من فوقهم بتذوقوا من الواردات الروحانية ومن تحت ارجلهم الى على مقاماتهم من العلماء الظاهرين امة مقتصدة ان لم تكن سابقا بالخيرات والمقتصد هو العالم المتقي والمريد الصادق ومنهم السابق وهو الواصل الكامل العالم الرباني يبلغ ما انزل اليك يندرج تحته الوحي والالهامات والمنامات والوقايع والواردات والمشاهدات والكشوف والانوار والاسرار والاخلاق والمواهب والحقايق معاني النبوة والرسالة فالرسول ان لم يبلغ بعض هذه الحقايق الى العالم يكنهم الوصول الى الله فلا يحصل مقصود ما ارسل به فلم يبلغ رسالته الا ان التبليغ مراتب كما انزل اليه فتبليغ بالعبارة وتبليغ بالاشارة وتبليغ بالتاديب وتبليغ بالتعليم وتبليغ بالتزكية وتبليغ بالتحلية وتبليغ بالهمة وتبليغ بجذبات الولاية وتبليغ بقوة النبوة والرسالة وتبليغ بالشفاعة وللخلق فيها مراتب بحسب قبول الدعوة بحسب الاستعداد ان الخلقة انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها والله يعصمك باوصاف الالوهية عن اوصاف الناسوتية لتنفرد في الخلق بقوة الالوهية فتوصلهم الى الله ولا ينصرفون فيك فيقطعوك عن الله يا ارباب العلوم الظاهرة لستم على شيء من حقيقة الدين حتى تقيموا ظاهركم وباطنكم بالاعمال والاحوال الواردة في كتب الالهية وذلك بمقدمتين واربع نتايج فالمقدمتان الجذبة الالهية ونتيجتها الاعراض عن الدنيا والتوجه الى المولى ثم تهيم الشيء ونتيجتها تزكية النفس عن الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالايمان لقد اخذنا ميثاق بني اسرآءيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جآءهم رسول

الفاضلة والله حسبي ونعم الوكيل بدرستي كه فرا گرفتيم پيمان بني اسرائيل را و فرستاديم بسوي ايشان پيغمبران هرچند كه آورد ايشان پيغمبري

بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ۝ وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم

آنچه نخواستي ايشان بود گروهي را تكذيب كردند و گروهي را ميكشتند و پنداشتند كه نباشد شركي و كفر پس كور و كر شدند پس پذيرفت خدا از ايشان

ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون ۝ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح

پس كور و كر شدند بسياري از ايشان و خدا بيناست بآنچه ميكنند هر آينه كافر شدند آنان كه گفتند كه خدا آن مسيح پسر مريم است و گفت مسيح

يا بني اسرآءيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار

اي بني اسرائيل بپرستيد خداي را كه پروردگار من و شماست جز اين نيست كه هر كه شرك آورد بخدا پس حرام گرداند خدا بر او بهشت را و منزل او آتش است

وما للظالمين من انصار ۝ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم

و نيست از براي ظالمان از ياوري هر آينه كافر شدند آنانكه گفتند كه بدرستي كه خدا سيم از سه است و نيست خدائي بجز خداي يگانه و اگر

ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم ۝ افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور

وا نمانند از آنچه ميگويند هر آينه در رسد آنهائي را كه كافر شدند از ايشان عذابي دردناك آيا پس باز نگردند بسوي خدا و طلب آمرزش كنند او را و خدا آمرزنده

رحيم ۝ ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف

مهربانست نيست مسيح پسر مريم مگر پيغمبري كه پيش از آن پيغمبران بوده اند و مادرش راستگو بود بودند كه ميخوردند طعام را ببين كه چگونه

نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون ۝ قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا

ظاهر ميگردانيم از براي ايشان آيات را پس ببين كه چگونه برگردانيده ميشوند بگو كه آيا مي پرستيد از غير خدا آنچه را كه مالك نيست از براي شما ضرري و نه نفعي را

والله هو السميع العليم ۝ قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهوآء قوم قد ضلوا

و خدا اوست شنونده دانا بگو كه اي اهل كتاب درمشويد در دين خود بناحق و پيروي مكنيد خواهشهاي گروهي را كه گمراه شدند

من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوآء السبيل ۝ لعن الذين كفروا من بني اسرآءيل على لسان داود

از پيش و گمراه كردند بسياري را و بازگرديدند از راه راست لعنت كرده شدند آنانكه كافر شدند از بني اسرائيل بر زبان داود

وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ۝ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا

و عيسي پسر مريم اين بجهة نافرماني ايشانست و بودند از گذشتگان از حد بودند كه نهي نميكردند از ناشايسته كه كردند آنرا هر آينه بدست آنچه

يفعلون ۝ ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي

ميكنند ميبيني بسياري از ايشان را كه دوستي ميكنند آنهائي را كه كافر شدند هر آينه بدست آنچه پيش فرستاده از براي ايشان نفسهاي ايشان كه خشم كرد خدا بر ايشان و در

العذاب هم خالدون ۝ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اوليآء ولكن كثيرا

عذاب ايشان جاويدانند و اگر بودند كه گرويدندي بخدا و پيغمبر و آنچه فرود آمد بدو نگرفتندي ايشان را دوستان و ليكن بسياري

ع

مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ❁ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ

از ایشان فاسقانند ❁ هر آینه بیابی سخت ترین مردمان در دشمنی با زمرهٔ مؤمنان یهود و زمرهٔ مشرکان را و هر آینه بیابی نزدیکترین مردمان در دوستی زمرهٔ مؤمنان را

آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ❁ وَإِذَا سَمِعُوا

آنها که گفتند که ما ترسائیم این بجهة آنست که بعضی از ایشان دانشمندانند و زاهدان و بجهة آنکه ایشان برتری نجویند ❁ و چون شنیدندی

مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ

آنچه را فرود آمدی بسوی پیغمبر دیدی چشم ایشان را که میریخت از گریه از آنچه شناختند از حق میگویند که پروردگارا گرویدیم پس بنویس ما را با

ع

الشَّاهِدِينَ ❁ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ

گواهان ❁ و چه شده ما را که نگرویم بخدا و آنچه آورده ما را از حق و امید داریم که داخل کند ما را پروردگار ما با گروه نیکوکاران

فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ❁ وَالَّذِينَ

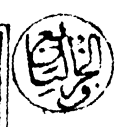
پس عوض داد ایشان را خدا بآنچه گفتند بهشتها که روانست از زیر آن جویها جاوید باشند دران و اینست پاداش نیکوکاران ❁ و آنها که

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ❁

کافر شدند و تکذیب کردند آیات ما را آن گروه یاران دوزخند

القراءة ان لا تكون بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلى وخلف عمى وصموا سهل وحفص وابى بكر وحماد الباقون بالنصب الوقوف رسلا انفسهم لا ان عامل كلما قوله كذبوا ويقتلون كثير منهم بما يعملون ابن مريم وربكم النار من انصار ثلثة لئلا يوهم ان ما بعده من قول الكفار واحد اليم ويستغفرونه الوصل ابقى حسن بناء على ان الواو للحال اى هلا يستغفرون وهو غفور رحيم الرسل لاحتمال ما بعده الصفة والاستيناف الرسل لان الواو للاستيناف لا للعطف الا يفتر لان ما بعده لا يصلح للصفة لان الضمير كان استعمل مثنى الطعام يؤفكون ولا نفعا والوصل حسن على ان الواو للحال اى يعبدون ما لا ينفع ولا يضر والحال ان الله يسمع دعاء المضطر ويعلم رجاء المعتر العليم السبيل ابن مريم يعتدون فعلوه يفعلون كفروا لكونه فاسقون اشركوا الطوى للكلا والفصل بين الوصفين المتضادين نصارى لا يستكبرون من الحق لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف الشاهدين من الحق لان الواو بعده للحال الصالحين خالدين فيها المحسنين الجحيم التفسير فتح الله هذه السورة بقوله اوفوا بالعقود وانجر الكلام الى ما انجر الان عاد الى ما ابتدا به والمقصود عتو بنى اسرائيل وشدة تمردهم اى اخذنا ميثاقهم بتخلق الدلائل وخلق العقل الهادى الى كيفية الاستدلال وارسلنا اليهم رسلا لتعريف الشرائع والاحكام قال في الكشاف كلما جاءهم رسول الخ جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع الى الموصوف محذوف اى رسول منهم والقول الاصوب جعلها جملة مستانفة جوابا لسائل يسأل كيف فعلوا برسلهم ولهذا كان الوقف على رسلا وسط اما جواب الشرط فمختار فى الكشاف انه محذوف لان الرسول الواحد لا يكون فريقين لانه لا يحسن ان يقال ان اكرمت اخاك اكرمت فالتقدير كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه او عادوه وقوله فريقا كذبوا جواب قائل كيف فعلوا والقول ما ان التركيب المذكور غير مستحسن بعين النزاع واما ان الرسول الواحد لا يكون فريقين فتغليط لان قوله كلما يدل على كثرة مجىء الرسل فلهذا صح جعلهم فريقين ومعنى ما لا تهوى انفسهم بما يضاد شهواتهم لو عينهم عن التكاليف فائدة تقديم المفعول وايراد يقتلون مضارعا ذكرناها فى سورة البقرة وزعم فى التفسير الكبير انه ذكر التكذيب بلفظ الماضى لانه اشارة الى معاملتهم مع موسى فى التيه ومنعهم عن قبول قوله وقد انقضى من ذلك الزمان ادوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المستقبل لانه رمز الى ما فعلوا بزكريا ويحيى وعيسى على زعمهم وان ذلك الزمان قريب فكان كالحاضر وحسبوا ان لا تكون فتنة قال علماء الادب الافعال على ثلثة اضرب فعل يدل على ثبات الشئ كالعلم والتيقن فيقع بعده ان المشددة الدالة على ثبات الشئ ايضا لتاكيد مضمونه كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين فان خففت ودخل على الفعل لم يجز الا ان يكون مع فعل قد او سوف والسين او حرف نفى ليكون كالعوض من احد النونين وقيل من حذف ضمير الشأن مثل علم ان سيكون وفعل يدل على خلاف الثبات والاستقرار نحو اطمع واخاف وارجو فلا يجىء معه الا الخفيفة الناصبة للفعل كقوله والذى اطمع ان يغفر لى وفعل يحتمل المعنيين فيجوز فيه كلا الوجهين كقوله وحسبوا ان لا يكون قرئ بالنصب على ان المصدرية وكون الحسبان بمعنى الظن وبالرفع على ان المخففة اى انه لا يكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان ونزل حسبانهم لقوته فى صدورهم منزلة العلم وما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه سد مسد المفعولين وكان تامة والمعنى وحسب بنو اسرائيل انه لا يقع فتنة وهى محصورة فى عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وعذاب الدنيا اقسام منها القحط ومنها الوباء ومنها القتل ومنها العداوة والبغضاء فيما بينهم ومنها الادبار والنحوسة وكل ذلك قد وقع بهم وقد فسرنا الفتنة بكل ذلك فحسبانهم ان لا تقع فتنة يحتمل وجهين الاول انهم كانوا يعتقدون ان لا نسخ لشريعة موسى وان كل رسول جاء بعده يجب تكذيبه الثانى انهم عنادا واكونهم مخطئين فى التكذيب والقتل الا انهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وان نبوة اسلافهم تدفع العقاب عنهم ثم ان الاية تدل على ان عماهم عن الدين وصممهم عن الحق حصل مرتين فقال بعض المفسرين انهم عموا وصموا فى زمان زكريا ويحيى وعيسى ثم تاب الله على بعضهم حيث وفقهم للايمان به ثم عموا وصموا كثير منهم فى زمان محمد فانكروا نبوته الا بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وقوله كثير منهم بدل عن الضمير كقولك رايت القوم اكثرهم وقيل انه على لغة من يقول اكلونى البراغيث وقيل خبر مبتدا محذوف اى اولئك كثير منهم وقال بعضهم عموا وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا منه فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم بالتعنت وهو

المطلب ثوبه الله بجهده وقال القفال انه يجوز ان يكون اشارة الى ما في سورة بني اسرائيل فاذا جاء وعد اولهما وعد الآخرة وقرئ فعموا وصموا بالضم اي رماهم
الله وضربهم بالعمى والصمم كما يقال ركبته اذا ضربته بالركبة ثم انه سبحانه لما استقصى الكلام مع اليهود شرع في حكاية كلام النصارى فحكى عن فريق منهم
انهم قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية القائلين ان مريم ولدت الها ولعل مرادهم انه تعالى حل في ذات عيسى او اتحد به ثم حكى عن المسيح ما
يكون لهم حجة قاطعة على فساد ما اعتقدوا وهي ان ذلك انه لم يفرق بين نفسه وبينهم في المربوبية وفي ظهور دلائل الحدوث عليه ثم اكد ذلك المعنى بقوله انه من
يشرك بالله اي في العبادة او في تجويز الحلول والاتحاد او في اجزاء وصفه في المخلوقين او بالعكس فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي منعه
منها وما للظالمين من انصار من كلام الله تعالى او من حكاية قول عيسى لهم وقد مر تفسيره في اخر سورة آل عمران وفيه تقريع لهم لانهم كانوا يعتقدون ان
لهم انصارا كثيرا فيما يقولون ويعتقدون في الله تعالى او عيسى وذلك انهم كانوا يريدون بذلك تعظيمه قال المفسرون ثالث ثلاثة معناه ثالث الهة ثلاثة للزوم
الكفر والاثام من شبهين الا اذا قالوا انها الله ثالثها فيحكى ان النصارى يقولون اب وابن وروح قدس والثلاثة اله واحد كما ان الشمس تتناول القرص والشعاع والحرارة
وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة قالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر وزعموا ان الاب اله واحد
والابن اله واحد والروح اله واحد والكل اله واحد واعلم ان هذا معلوم البطلان بالبديهة لان الثلاثة لا يكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة
فلا جرم رد الله مقالتهم بقوله وما من اله الا اله واحد فزاد من الاستغراقية والمعنى ما اله في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا
شريك ثم زجرهم بقوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا قال الزجاج يعني الذين اقاموا على هذا الدين لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية
ومن في قوله منهم للتبعيض ويجوز ان يكون للبيان والمراد ليمسنهم ولكن اقيم الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر ودلالة انهم من الكفر
بمكان رخص لو قصر الكفار المعاندون عنوا بذلك خاصته ومعنى عذاب اليم نوع شديد الالم من العذاب افلا يتوبون قال الفراء انه امر بلفظ الاستفهام
وفيه تعجيب من اصرارهم على الكفر بعد الوعيد الشديد ثم احتج على ابطال معتقدهم بقوله ما المسيح ابن مريم الا رسول وهذا رتبة في غاية الحسن لانه منعهم
من الكفر اولا ثم حثهم على الاسلام ثانيا ثم شرع في حل شبههم ثالثا ومن هنا قيل ان المريد يستتاب بالامهال ومناظرة ان عنت له شبهة بل يسلم اولا ثم تحل شبهته
ثانيا والمعنى ما هو الا رسول من جنس الرسل الماضين لا يتخطى الرسالة الى الالهية كما لم يتخطوا فان خلق من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى
وان ابرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى فقد جعل موسى العصا حية تسعى الى غير ذلك ان بابت رتبة الكبرى وامه صديقة كبعض النساء المؤمنات بالانبياء
الصادقات في اقوالهن وافعالهن واحوالهن قال الله في وصفها وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين اي من الذين صدقوا ما عاهدوا الله
عليه هم المجتهدون في اقامة مراسم العبودية وفيه تكذيب اليهود والنصارى المفرطين فيها اذ جعلوها الها وفيه تكذيب لليهود المفرطين في شأنها حيث نسبوها الى الزنا
والى الكذب في ان عيسى خلق من غير اب فبان ان من كان له ام فقد حدث بعد ان لم يكن فكان مخلوقا لا الها ثم اكد حدوثهما وعجزهما بقوله كانا يأكلان الطعام فان
المحتاج الى الاغتذاء يحتاج الى ما يتبعه من الهضم والنفض وكل هذه الافتقارات دلائل ظاهرة وبرهان باهر على حدوثهما واصولهما في حيز الامكان ثم عجب من
غاية غوايتهم فقال انظر يا محمد او كل من له اهلية النظر كيف نبين لهم الآيات الادلة الظاهرة على بطلان قولهم والتعامل وكيف قوله نبين ومفعول انظر مجموع
الجملة بل مضمونها اي تبصر هذه الحالة وتفكر فيها ومثله ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق افكه بالفتح يأفكه بالكسر افكا بالفتح والسكون صرفه عن الشيء
ومنه الافك بالكسر للكذب لانه مصروف عن الحق وارض مأفوكة صرف عنها المطر ومعنى ثم التراخي والبون بين التعجبين اي بينا لهم الآيات بيانا عجيبا ولكن
اعراضهم عنها اعجب ثم الصارف عن تأمل الحق هو الله او العبد فيه خلاف مشهور بين الاشاعرة والمعتزلة وانت قد عرفت التحقيق فيها مرارا ثم اقام حجة اخرى على فساد
قول النصارى فقال قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا اي شيئا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في انفسكم وعلى حقيقة
والخصب سواء او بغير واسطة بل لم يملك شيئا من ذلك لنفسه فان اليهود كانوا قصدوه بالسوء ولم يقدر على دفعهم ومن مذهب النصارى ان اليهود صلبوه ومزقوا
اضلاعه ولما عطش وطلب الماء صبوا الخل في منخريه وكان عن مصروف الهمة الى عبادة الله ولو كان الها كان معبودا فقط لا عابدا والله هو السميع العليم
باطلهم ويعلم ضمائرهم ليجازيهم عليه فيه من الوعيد ما فيه ثم عاد الى مخاطبة الفريقين فقال يا اهل الكتاب لا تغلوا والغلو مجاوزة حد الاعتدال ولانه
شامل لطرفي الافراط والتفريط وان كان قد يخص بطرف يجعل مقابلا للتقصير ولعل المراد ههنا هو الاول فان اليهود فرطوا فيه حيث نسبوه الى الزنا
والنصارى افرطوا فيه حيث ادعوا فيه الالهية قال في الكشاف قوله غير الحق صفة للمصدر اي غلوا غير الحق ولتقرير القول فيه ان الغلو في الدين غلوان حق
وهو ان يبالغ في تقرير الحق وتوضيحه واستكشاف حقائقه وباطل وهو ان يتبع الشبهات على حسب الشهوات فالثاني منهي عنه دون الاول اقول لما كان الغلو
مجاوزة الحد وكل شيء جاوز حده انقلب الى ضده فكيف يتصور غلو حق ولله در القائل كلا طرفي قصد الامور ذميم فالاصوب ان يقال انه نصب عن الحق على انه
صفة قائمة مقام المصدر اي لا تغلوا غلوا كقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين اي فسادا او كقولهم تعالجا بها وقم قائما او سلم ان المصدر محذوف وكان غير الحق
صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة وامس الدابر لا صفة مميزة فافهم ولا تتبعوا اهواء قوم هي المذاهب التي تدعو اليها الشهوة دون الحجة قال الشعبي ما ذكر الله
لفظ الهوى في القرآن الا ذمه ولا تتبع الهوى فيضلك وما ينطق عن الهوى افرأيت من اتخذ الهه هواه قال ابو عبيد لم نجد الهوى يوضع الا في الشر لا يقال
فلان يهوى الخير انما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار وقال رجل لابن عباس الحمد لله الذي جعل هواي على هواك فقال ابن عباس كل
هوى ضلالة قد ضلوا من قبل يعني في النصرانية واليهودية قبل بعثة النبي واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث او التعنت في شأن مريم وابنها وضلوا



عن سواء السبيل عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فكذبوه والغرض بيان استمرارهم على الضلال قديما وحديثا وقيل الضلال الاول عن الدين والضلال الثاني عن الجنة
وقيل الضلال الثاني اعتقادهم في تلك الاضلال انه ارشاد الى الحق لعنهم الله في الزبور وعلى لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى ومنه بغيرهم حيث ادعوا انهم
اولاد الانبياء وقد لعنوا على السنتهم وقال كثير من المفسرين ان اصحاب ايلة كما سيجيء في الاعراف لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية
فمسخوا قردة وان اصحاب المائدة لما اكلوا منها ولم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم
امرأة ولا صبي وعن الاصم ان داود وعيسى بشرا بمحمد ولعنا من يكذبه ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون
للتناهي معنيان احدهما وعليه الجمهور انه تفاعل من النهي اي كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رضي عمل قوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم
فهو منهم وذلك ان في التناهي الامر به حسما للفساد فكان الاخلال به معصية وظلما والثاني انه بمعنى الانتهاء اي لا يمتنعون ولا ينتهون والمراد لا يتناهون
عن معاودة منكر فعلوه لان النهي ابدا لفعل لا يتعلق والمراد لا يتناهون عن منكر ارادوا فعله واحضروا آلته ولا ينتهون ولا ينهون عن الاصرار على منكر
فعلوه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم المصدر فقال لبئس ما كانوا يفعلون ثم لما وصف اسلافهم بما وصف شرع في نعت الحاضرين وانهم كثير منهم يتولون
المشركين المراد كعب بن الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مر انهم يقولون للمشركين عند قوله هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا لبئس ما قدمت
لهم انفسهم من العمل للمعاد هو ومحل ان سخط رفع على انه المخصوص بالذم اي بئس الزاد الى الآخرة سخط الله عليهم وسببه موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وهو موسى وما
انزل الله في التوراة كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء لان تحريم ذلك متاكد في شرع موسى ولكن كثيرا منهم فاسقون في دينهم لان مرادهم تحصيل الرياسة
والجاه باي طريق قدروا عليه وقيل المراد بالنبي محمد ويحتمل ان يراد ولو كان هؤلاء اليهود المنافقون مؤمنين بالله وبمحمد والقرآن ايمانا خالصا ما اتخذوا المشركين
اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم فلهذا يتولون المشركين وقال القفال ولو ان هؤلاء المشركين يؤمنون بالله وبمحمد ما اتخذهم اليهود
اولياء ثم وصف شدة شكيمة اليهود ولين عريكة النصارى فقال لتجدن يا محمد وكل من له اهلية الخطاب اشد الناس عداوة وقد تعلقت بها اللام في قوله
للذين آمنوا كما تعلقت بالمودة في بيانه ظاهر لانه يدل على ان اليهود في غاية العداوة للمسلمين كيف لا وقد نبه على قدم قدمهم في العداوة بتقديمهم على الذين
اشركوا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله لكنه روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي ان المراد النجاشي وقومه الذين قدموا من الحبشة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به لم يرد جميع النصارى مع ظهور عداوتهم للمسلمين قال آخرون مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الى من خالفهم في الدين باي طريق
كان بالقتل او بغصب المال او بوجوه المكائد والحيل وليس النصارى مذهبهم ذلك بل الايذاء في دينهم حرام وهذا هو وجه التفاوت بالعداوة والمودة وقد
اكد ذلك بوصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب في الآيتين فالحاصل ان اليهود والمعنيين عادة لهم فتفرغ قلبك يا محمد لا ينالك بمكرهم ولا تحزن على كيدهم ثم ذكر
سبب ذلك التفاوت فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا القس والقسيس اسم لرئيس النصارى في العلم والدين وكانه من القس وهو تتبع الشيء وطلبه قال
قطرب هو العالم بلغة الروم وهذا مما وقع فيه التوافق بين اللغتين قال عروة بن الزبير ضيعت النصارى الانجيل وادخلت فيه ما ليس منه وبقي واحد من علمائهم
على الحق والدين يسمى قسيسا فمن كان على هديه ودينه فهو قسيس والرهبان جمع راهب كركبان وفرسان في راكب وفارس وقيل انه واحد جمعه رهابين كقربان و
قرابين [illegible] ولكن النظم يأباه واصله من الرهبة بمعنى الخوف من الله تعالى وانما صارت الرهبانية ممدوحة في مقابلة قساوة اليهود وغلظتهم والا
فهي مذمومة في نفسها لقوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ولقوله صلى الله عليه وسلم لا رهبانية في الاسلام وههنا نكتة هي ان كفر النصارى حيث انهم يدعون الالهية
والنبوة جميعا اغلظ في الحقيقة من كفر اليهود لانهم لا يدعون الا النبوة الا بعضهم القائلين بان عزير ابن الله ثم ان النصارى لما لم يشتد
حرصهم على طلب الدنيا وعلى الحيوة واقبلوا على العلم والبراءة من الكبر خصهم الله تعالى بالمدح وذم اليهود حيث قال ولتجدنهم احرص الناس على حيوة
غلظ ايديهم فتبين صحة قوله حب الدنيا راس كل خطيئة قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خائفا على اصحابه من المشركين فبعث جعفر بن ابي طالب وابن مسعود
في رهط من اصحابه الى النجاشي وقال انه ملك صالح لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فلما وردوا عليه اكرمهم وقال لهم
هل تعرفون شيئا مما انزل عليكم قالوا نعم فقرأوا وحوله القسيسون والرهبان فكلما قرأوا آية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق وقال آخرون قدم جعفر بن
ابي طالب من الحبشة هو واصحابه معهم سبعون رجلا بعثهم النجاشي وفدا الى الرسول عليهم ثياب الصوف اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل
الشام وهم بحيرا الراهب وابرهة وغيرهما فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكوا وآمنوا فنزلت والخطاب في ترى لكل راء وقد وضع الفيض
الذي هو مسبب الامتلاء موضع الامتلاء واصله تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض بعد الامتلاء ويحتمل ان يكون الدمع مصدرا بمعنى تفيض
وقصدت المبالغة وصفهم بالبكا كان الاعين تفيض بانفسها ومعنى مما عرفوا من الحق اي بما نزل على محمد وهو الحق من الاولى لابتداء الغاية على
ان فيض الدمع نشأ من معرفة الحق والثانية للبيان ويحتمل التبعيض يعني انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف لو عرفوا كله واحاطوا بالسنة
ربنا آمنا المراد انشاء الايمان لا الاخبار عنه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد وقد مر مثله في آل عمران وما لنا انكار واستبعاد لانتفاء
الايمان مع حصول موجبه هو الطمع في انعام الله عليهم بادخالهم الجنة مع الصالحين قالوا ذلك في انفسهم او فيما بينهم او في جواب قومهم حين
رجعوا اليهم ولاموهم ومحل لا نؤمن نصب على الحال كقولك ما لك قائما والعامل فيه معنى الفعل اي ما نصنع غير مؤمنين وهو العامل ايضا في ونطمع
لكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو حذفتها وقلت ما لنا ونطمع لا حلت ويحتمل ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن كانهم انكروا ان لا يوحدوا

الله ثم يطمعون في الثواب وان يكون عطفا على لا نؤمن اي ما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع او ما لنا لا نجمع بين الايمان وبين الطمع فاثابهم الله بما قالوا ان ظاهره يدل على انهم انما استحقوا الثواب بمجرد القول لكن فيما سبق من وصفهم بمعرفة الحق ما يدل على خلوص عقيدتهم فلا جرم لما انضاف اليه العمل كمل الايمان ويحتمل ان يكون ماخوذا من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده ومذهبه روى عطاء عن ابن عباس ان المراد بما قالوا من قولهم فاكتبنا مع الشاهدين قال اهل السنة فيه دليل على ان المعرفة مع الاقرار يوجب حصول الثواب وفيما الكبيرة له المعرفة والاقرار فلا يدان يقول فاثابهم هذا الثواب والمعتزلة يقولون ان الاقرار مع المعرفة يوجب الثواب ولكن بشرط عدم الاحباط التاويل لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل مع ذراتهم في عالم الارواح وارسلنا اليهم رسلا بالالهامات في عالم الشهادة ومن الواردات الروحانية في عالم الغيب فريقا كذبوا يعني الالهامات والواردات وفريقا يقتلون في عالم الحس لقد كفر الذين قالوا ان النصارى ارادوا ان يسلكوا طريق الحق بقدم العقل فتاهوا في اودية الشبهات وانهم سلكوا الطريق باقدام جذبات الالوهية وفي المتابعة الحبيبية فاسقطهم براهين الوصال كلفة الاستدلال ولهذا كان الشبلي يغسل كتبه بالماء ويقول نعم الدليل انت ولكن الاشتغال بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال فيخفق لهم ان عليهم بعد التزكية والتحلية صار قابلا للفيض الالهي فكان يخلق ما يخلق ويفعل ما يفعل باذن الله كما ان المرآة المحرقة تحرق بما قبلت من فيض الشمس انه من يشرك بالله ظاهرا فقد حرم الله عليه الجنة ومن يشرك به باطنا حرم عليه القربة على لسان داود وعيسى بن مريم هذا سر لطيف فان الانسان الكامل المستحق للخلافة يقوله يقول الحق ورده رد الحق لا يتناهون عن منكر سمي المعصية منكرا لانه يوجب النكرة كما سمي الطاعة معروفا لانها توجب المعرفة ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا يعني ان تعارف الارواح يوجب ائتلاف الاشباح فالنصارى ببركة علمائهم وعبادهم وصفاء قلوبهم وخضوعهم تبين لهم القرابة والمودة من اهل الايمان وعرفوا الحق الذي سمعوه في الازل يوم الميثاق فامنوا وذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله ويشاهدونه بلوائح المعرفة وطوالع المحبة في الاحسان ان تعبد الله كانك تراه

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ع

ای زمره آنهانکه گرویده اید حرام مسازید پاکیزهای آنچه را که حلال کرد خدا از برای شما و از حد مگذرید بدرستی که خدا دوست ندارد از حد گذرندگانرا

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ

و بخورید از آنچه روزی کرد شما را خدا حلال و پاکیزه و بپرهیزید خدا را آنکه را که شما با و ایمان آورده اید نمیگیرد شما را خدا بواسطه بیهوده در سوگندهای شما

وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ

ولکن میگیرد شما را بآنچه بسته باشید سوگندان پس کفاره آن طعام دادن ده نفر بینواست از میانه آنچه میخورانید اهل خود را یا پوشش ایشان

أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ

یا آزاد کردن بنده است پس هر که نیافت پس روزه سه روز است این است کفاره سوگندهای شما چون سوگند یاد کردید و نگاه دارید سوگندهای خود را

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ

همچنین ظاهر گرداند خدا از برای شما آیات خود را شاید که شما سپاس کنید ای زمره آنهانکه گرویده اید جز این نیست که شراب و قمار و بتان و تیرهای قمار

رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ

پلیداند از کرده شیطانند پس دور شوید از آن شاید که رستگار شوید جز این نیست که میخواهد شیطان که بیندازد در میان شما دشمنی را

وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَ

و کینه را در خمر و قمار و باز دارد شما را از یاد آوری خدا و از نماز پس آیا شما باز ایستادگانید و پیروی کنید خدا را و

أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ

پیروی کنید پیغمبر را و بپرهیزید پس اگر برگشتید پس بدانید که جز این نیست که بر پیغمبر ماست رسانیدن ظاهر نیست بر آنها که گرویدند و

عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا

کردند شایستها باکی در آنچه خورند چون بپرهیزند و گرویدند و کردند شایستها پس پرهیزگاری کردند و گرویدند پس پرهیزگاری کردند

وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ ع

و خوبی کردند و خدا دوست دارد خوب کارانرا ای زمره آنهانکه گرویده اید هر آینه بیازماید شما را خدا بچیزی از شکار که گرفته باشد آنرا دستهای شما

وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

و نیزهای شما تا بداند خدا که کیست که میترسد او را در نهان پس هر که از حد گذشت پس از این پس مر اوست عذاب دردناک ای زمره آنهانکه گرویدید

لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ

مکشید شکار را و شما احرام بسته اید و هر که کشت آنرا از شما از روی عمد پس پاداش مانند آنست که کشت از چهارپایان حکم کنند بدان دو صاحب عدل

مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ

از شما قربانی رسنده بکعبه یا کفاره که طعام دادن چند نفیر است یا عدل آن روزه داشتن تا بچشد وبال امر خود را درگذرد خدا



عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ۝ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم و

از آنچه گذشته و هر که باز گردد پس انتقام کشد خدا از او و خدا غالب صاحب انتقام است حلال شد از برای شما شکار دریا و طعام آن بهره از برای شما و

للسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون ۝ جعل الله الكعبة

کاروانان و حرام کرده شد بر شما شکار دشت مادامیکه احرام بسته اید و بپرهیزید خدائی را که بسوی او گرد آئید قرار داد خدا کعبه را

البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات

که خانه احترام است سبب ایستادن مردمان را و ماه حرام را و قربانی و گردن بندان را این از برای آنست که بدانید که خدا میداند آنچه را که در آسمانهاست

وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم ۝ اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ۝

و آنچه در زمین است و آنکه خدا بهر چیزی داناست بدانید که خدا سخت عقوبت است و آنکه خدا آمرزنده مهربانست

ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ۝ قل لا يستوي الخبيث

نیست بر پیغمبر بجز رساندن و خدا میداند آنچه را که ظاهر میسازید و آنچه را که پنهان دارید بگو که یکسان نیست ناپاک

والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون ۝ القراءة بما

و پاک و هر چند که بشگفت آرد ترا بسیاری ناپاک پس بپرهیزید خدا را ای صاحبان خرد شاید که شما رستگار شوید

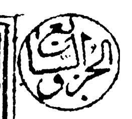
عقدتم بالتخفيف حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل وقرأ ابن ذكوان عاقدتم بالالف الباقون عقدتم بالتشديد فجزاء مثل مرفوعان فجزاء بالتنوين مثل بالرفع يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم عن المفضل كفارة طعام بالاضافة ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون كفارة بالتنوين طعام بالرفع قياما بغير الف ابن عامر الوقوف ولا تعتدوا ط المعتدين ه طيبا ط لعطف المتفقين مؤمنون ه الايمان ج لاختلاف النظم مع اتحاد الكلام وفاء التعقيب ثلاثة ايام ط حلفتم ط للاضمار اي حلفتم وحنثتم ايمانكم ط تشكرون ه تفلحون ه وعن الصلوة ج لابتداء الاستفهام لاجل التخلية مع دخول الفاء فيه منتهون ه واحذروا ج المبين ه واحسنوا ط المحسنين ه بالغيب ج اليم ه وانتم حرم ط وبال امره ط سلف ط منه ط انتقام ه وللسيارة ج لطول الكلام وتضاد المعنيين وان اتفقت الجملتان لفظا حرما ط لاطلاق الامر بالابتداء تحشرون ه والقلائد ط عليم ه رحيم ه البلاغ ط تكتمون ه كثرة الخبيث ج لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض تفلحون ه التفسير انه سبحانه بعد استقصاء المناظرة مع اهل الكتابين عاد الى بيان الاحكام فبدأ بحل المطاعم والمشارب واستيفاء اللذات كيلا يتوهم متوهم ان مدح القسيسين والرهبان يوجب اتباع طريقتهم في هذا الدين قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الناس ووصف القيامة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمن بن مظعون منهم ابو بكر وعلي وابن مسعود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي واتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وصوموا رمضان فانما هلك من قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديار والصوامع فانزل الله هذه الآية فقالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه فنزلت لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم فهذا وجه اتصال الآيات فاما بيان الحكمة في قوله لا تحرموا فمن المعلوم ان توسع الانسان في اللذات والطيبات يمنعه عن الاشتغال في تحصيل السعادات الباقيات ولهذا قال الحكماء اذا شبعت الاجسام ضاقت الارواح بجسادها واذا جاعت الاجسام صفت الاجساد وارواحها وايضا فان الرهبانية المفرطة مما توقع الآفة في الاعضاء الرئيسة التي هي القلب والكبد والدماغ والانثيان فيختل الفكر ويقل التامل في الجواهر الروحانية ومبادئها على ان النفوس القوية لا يمنعها التصرف في الجسمانيات عن التامل في الروحانيات فالرهبانية دليل الضعف والقصور والكمال في الوفاء بالجهتين وكيف لا والرهبانية توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل وترك الترهب مع رعاية وظائف الطاعة يفضي الى سعادة الدارين قال القفال انه تعالى قال في اول السورة اوفوا بالعقود فبين انه كما لا يجوز تحليل المحرم لا يجوز تحريم المحلل وذلك انهم كانوا يحللون الميتة والدم ويحرمون البحائر والسوائب ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم ما احل الله ولا تظهروا باللسان تحريمها ولا تجتنبوها اجتنابا يشبه اجتناب المحرمات فهذه الوجوه محمولة على الاعتقاد والقول والعمل ويحتمل ان يراد لا تحرموا على غيركم بالفتوى او لا تلزموا تحريمها بنذر او يمين كقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك او لا تخلطوا المملوك بالمغصوب الطاهر بالنجس خلطا لا يبقى التمييز فانه تحريم الكل والطيبات اللذات التي تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب ثم نهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن الاسراف كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وكلوا امر اباحة وتحليل مما رزقكم الله في دخل من للتبعيض ارشادا الى الاقتصاد والانفاق في الاكل على البعض وصرف الباقي الى المحتاجين بينه ترغيبا هو الذي رغب عنه وتكليفا ثم قال في التفسير الكبير هو له

حلالاً طيباً إن كان متعلقاً بالأكل كان حجة للمعتزلة على أن الرزق لا يكون إلا حلالاً لأنه يدل على الإذن في أكل كل ما رزق الله تعالى وإنما يأذن في أكل الحلال فيلزم أن يكون كل رزق حلالاً وإن كان متعلقاً بالمأكول أي كلوا من الرزق الذي يكون حلالاً كان حجة لأصحابنا لأن التقييد يؤذن بأن الرزق قد لا يكون حلالاً أقول هذا فرق ضعيف ولهذا قال في الكشاف حلالاً حال مما رزقكم الله مع أنه من المعتزلة ثم أكد التوصية بقوله واتقوا الله وزاد التأكيد بقوله الذي أنتم به مؤمنون لأن الإيمان به يوجب التقوى في أوامره ونواهيه ثم قال لا يؤاخذكم وقد ذكرنا وجه النظم ههنا وقد تقدم تفسير يمين اللغو في سورة البقرة أما قوله بما عقدتم الأيمان فمن قرأ بالتخفيف فإنه صالح للقليل والكثير فلا إشكال ومن قرأ بالتشديد فإن أبا عبيدة اعترض عليه بأن التشديد للتكثير فهذه القراءة توجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحدة وأجاب الواحدي بأن عقد بالتخفيف وعقّد بالتشديد واحد في المعنى ولو سلم فالتكرير يحصل بأن يعقدها بقلبه ولسانه أما لو عقد اليمين بأحدهما دون الآخر فلا كفارة ومن قرأ بالألف فمثل القراءة المخففة كقولك عاقبت اللص وعافاه الله والمعنى على القراآت لكن يؤاخذكم بعقدكم الأيمان وبتعقيدها أو معاقدتها إذا حنثتم فحذف الظرف للعلم والمراد [illegible] بحذف المضاف فكفارته أي الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها أحد هذه الأمور ويسمى بالواجب المخير وحاصله أنه لا يجب الإتيان بكل واحد منها ولا يجوز الإخلال بجميعها ولكنه إذا أتى بأي واحد شاء منها فإنه يخرج عن العهدة ومن هنا قال أكثر الفقهاء الواجب واحد لا بعينه من الإطعام والكسوة وتحرير الرقبة فإن عجز عنها جميعاً فالواجب شيء آخر هو الصوم أما مقدار الطعام فقد قال الشافعي يصيب كل مسكين مد وهو ثلث من وهو قول ابن عباس وزيد بن ثابت وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والقاسم لأنه تعالى قال من أوسط ما تطعمون فإن كان المراد ما كان متوسطاً في العرف فثلثا من من الحنطة إذا جعل دقيقاً وخبزاً فإنه يصير قريباً من المن وذلك كاف للواحد في يوم واحد وإن كان المراد ما كان متوسطاً في الشرع فليس له في الشرع مقدار إلا ما جاء في قصة الأعرابي المفطر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بإطعام ستين مسكيناً من غير مقدار فقال الرجل ما أجد فأتي النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه خمسة عشر صاعاً فقال صلى الله عليه وسلم أطعم هذا وذلك يدل على تقدير طعام المسكين بربع الصاع وهو مد ولا يلزم كفارة الحلق لأنها شرعت بلفظ الصدقة مطلقة عن التقدير بإطعام الأهل فكان تكفيرها معتبراً بصدقة الفطرة وقد ثبت بالنص تقديرها بالصاع لا بالمد وقال أبو حنيفة الواجب نصف صاع من الحنطة أو صاع من غيرها قال لأن الأوسط هو الأعدل وما ذكره الشافعي هو أدنى ما يكفي وأما الأعدل فيكون بإدام وهكذا روي عن ابن عباس مد بإدام والإدام يبلغ قيمته مداً آخر ويزيد في الأكثر أجاب الشافعي أن الإدام غير واجب بالإجماع فلم يبق إلا حمل اللفظ على التوسط في قدر الطعام ومقداره ما ذكرنا وجنس الطعام المخرج جنس الفطرة ثم قال الشافعي الواجب تمليك الطعام قياساً على الكسوة وقال أبو حنيفة إذا غدى وعشى عشرة مساكين جاز لأن ذلك إطعام ولأن الطعام للأهل يكون بالتمكين لا بالتمليك وقد قال من أوسط ما تطعمون أهليكم وللقائل أن يقول إن طعام الأهل لتعيين مقدار المطعم لا لأجل كيفية الإطعام وقال أبو حنيفة لو أطعم مسكيناً واحداً عشر مرات جاز وقال الشافعي لا يجزي إلا إطعام عشرة لأن مدار الباب على التعبد الذي لا يعقل معناه فيجب الوقوف على مورد النص قال في الكشاف أو كسوتهم عطف على محل من أوسط ووجهه أن البدل هو المقصود فكأنه قيل فكفارته من أوسط وأقول الأظهر أن يكون من أوسط مفعولاً آخر للإطعام سواء كان من للابتداء أو للتبعيض ويكون كسوتهم معطوفاً على الإطعام والكسوة معناها اللباس وهو كل ما يكتسى به قال الشافعي يجزي في الكفارة أقل ما يقع عليه اسم الكسوة وهو ثوب يغطي العورة إزار أو رداء أو قميص أو سراويل أو عمامة أو مقنعة لكل مسكين ثوب لما روي عن ابن عباس كانت العباءة تجزي يومئذ وعن مجاهد ثوب جامع وقال الحسن ثوبان أبيضان والمراد بالرقبة الجملة كان الأسير في العرب يجمع يداه إلى رقبته فإذا أطلق حل ذلك الحبل فسمي الإطلاق من الحبل فك رقبة ثم أجري ذلك على العتق هكذا قيل في أصل هذا المجاز ومذهب أهل الظاهر أن جميع الرقاب مجزئة وقال الشافعي لا يجزي إلا كل سليمة من عيب يخل بالعمل صغيرة كانت أو كبيرة ذكراً أو أنثى بعد أن كانت مؤمنة قياساً على كفارة القتل ولم يجوز إعتاق المكاتب ولا [illegible] في تقديم الإطعام على العتق مع أن العتق أفضل تنبيه على التخيير لأن الأمر مبني على التخفيف ويمكن أن يقال الإطعام أفضل لأن الحر الفقير قد لا يجد الطعام ولا يكون هناك من يعطيه فيقع في الضر أما العبد فيجب على مولاه طعامه وكسوته فالعتق يحمل الناجز والإطعام قد لا يحمل ذلك فمن لم يجد أحد الأمور الثلاثة فصيام أي فعليه صيام ثلاثة أيام قال الشافعي إذا وجد فوق نفسه وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالإطعام وإن لم يكن عنده ذلك القدر جاز له الصيام وذلك أنه علق جواز الصيام على عدم وجدان الخصال الثلاث فعند وجدانها وجب أن لا يجوز الصوم تركنا العمل به عند وجدان قوت نفسه وقوت عياله يوماً وليلة لأن ذلك ضروري وفي تقديم حق النفس على حق الغير واجب شرعاً فبقي الآية معمولاً بها في غيره وعند أبي حنيفة يجوز الصيام إذا كان عنده من المال ما لا يجب فيه الزكاة ثم صيام الأيام الثلاثة مشروط عند أبي حنيفة بالتتابع تمسكاً بقراءة أبي وابن مسعود فصيام ثلاثة أيام متتابعات فإن نقل أنهما لا يتخالف [illegible] قال الشافعي في أصح قوليه إن التفريق جائز والقراءة الشاذة لا تعتبر إلا أنها لو كانت صحيحة لنقلت نقلاً متواتراً وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قال له علي أيام من رمضان أفأقضيها متفرقات فقال أرأيت لو كان عليك دين فقضيت الدرهم فالدرهم أما كان يجزيك قال بلى قال فالله أحق أن يعفو ويصفح وإذا جاز هذا التفريق في صوم رمضان ففي غيره أولى وإنما العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مسألة من صام ستة أيام عن يمينين أجزأه ولا حاجة إلى تعيين أحد الثلاثين لأن الواجب عن كل منهما ثلاثة أيام وقد أتى بها فخرج عن العهدة ذلك المذكور كفارة أيمانكم إذا حلفتم وحنثتم فحذف ذكر الحنث للعلم بأن الكفارة لا تجب بمجرد الحلف وللتنبيه على أن الكفارة لا يجوز تقديمها على اليمين وأما بعد اليمين وقبل الحنث فيجوز وبه قال مالك والشافعي وأحمد لموافقة ما يروى أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك

ثم اثبت بالذي هو خير ولان الكفارة حق مالي يتعلق بسببين فيجوز تعجيله بعد وجود احد السببين كتعجيل الزكوة بعد وجود النصاب هذا اذا كان يكفر بغير
الصوم اما الصوم فلا يجوز تقديمه لان العبادات البدنية لا تتقدم على وقتها اذا لم تمس اليه حاجة كالصلوة وصوم رمضان ولان الصوم انما يجوز التكفير
به عند العجز عن جميع الخصال المالية وانما يتحقق العجز بعد الوجوب ان كان الحنث بارتكاب محظور كان حلف ان لا يشرب الخمر اجزاء التكفير قبل الشرب
ايضا لوجود السببين ثم التكفير لا يتعلق به استباحة ولا تحريم بل المحلوف عليه حرام قبل اليمين وبعدها وقبل التكفير وبعده لا اثر لهما فيه جميع ما
ذكرنا ظاهر مذهب الشافعي اما عند ابي حنيفة واصحابه فلا يجوز التكفير قبل الحنث مطلقا واحفظوا ايمانكم فلا تبذلوها ولا تكثروا منها واحفظوها اذا حلفتم
عن الحنث وعلى هذا يكون الايمان مختصة بالحنث فيها معصية كمن حلف ان لا يشرب الخمر بخلاف ما لو حلف ليشرب فانه لا يؤمر بالحفظ عن الحنث
وقيل احفظوها بان تكفروا عنها اذا المراد لا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان لشافي يبين لكم اياته احكامه واعلام شريعته لعلكم تشكرون
نعمة البيان وتسهيل المخرج من الحرج ثم انه سبحانه استثنى من جملة الامور المستطابة الخمر والميسر وقد تقدم معناهما وما يتعلق بهما في سورة البقرة وسلك
في سلك التحريم الانصاب والازلام وقد ذكرناها في اول هذه السورة واعلم انه كانت حادثة قبل تحريم الخمر اشياء يكرهها رسول الله صلعم منها قصة علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه مع عمه حمزة على ما روي في الصحيحين انه قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان رسول الله صلعم اعطاني شارفا من الخمس فلما
اردت ان ابتني بفاطمة بنت رسول الله صلعم واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع ان يرتحل معي فنأتي باذخر اردت ان ابيعه من الصواغين فاستعين به في وليمة
عرسي فبينا انا اجمع لشارفي متاعا من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار اقبلت فاذا انا بشارفي قد اجتبت
اسنمتهما وبقرت خواصرهما واخذ من اكبادهما فلم املك عيني حين رايت ذلك المنظر قلت من فعل هذا قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو في البيت في شرب
من الانصار غنته قينة فقالت في غنائها الا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء ضع السكين في اللبات منها وضرجهن حمزة بالدماء واطعم من
شرائحها كبابا ملوحة على وهج الصلاء فانت ابا عمارة المرجى لكشف الضر عنا والبلاء فوثب الى السيف فاجتب سنمهما وبقر خواصرهما واخذ من اكبادهما
قال علي رضي الله عنه فانطلقت حتى دخلت على النبي صلعم وعنده زيد بن حارثة فعرف رسول الله صلعم الذي لقيت فقال ما لك فقلت يا رسول الله صلعم ما رايت
كاليوم عدا حمزة على ناقتي فاجتب سنمهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب قال فدعا رسول الله صلعم بردائه ثم انطلق يمشي واتبعته انا
وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستاذن فاذن له فاذا هم شرب فطفق رسول الله صلعم يلوم حمزة فيما فعل فاذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر الى رسول
الله صلعم ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال هل انتم الا عبيد لابي فعرف رسول الله صلعم انه ثمل فنكص على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا فكانت هذه القصة من الاسباب
الموجبة لنزول تحريم الخمر قال العلماء هذه الاية تدل على تحريم الخمر من وجوه منها تصدير الجملة بانما الدالة على الحصر فمعناه ليست الخمر الا رجس من عمل الشيطان
ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله صلعم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلها رجسا كما قال في موضع اخر فاجتنبوا الرجس من الاوثان واصل الرجس
العمل القبيح والقذر وقال الفراء ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون اي العذاب والغضب كانه مثل الرجز والرجس بالفتح الصوت الشديد بمن الرعد
من هدير البعير فلهذا سمي العمل القوي القبيح في القبح رجسا ومنها انه جعلها من عمل الشيطان ومن المعلوم انه لا يصدر منه الا الشر البحت ومنها انه
امر بالاجتناب وظاهر الامر للوجوب ومنها انه جعل الاجتناب سببا من الفلاح فيكون القرب منها خيبة والضمير في فاجتنبوه عائد الى الرجس او العمل
او الى المضاف المحذوف اي تعاطي الخمر ونحو ذلك ومنها شرح انواع المفاسد المنتجة منها من التعادي والتباغض والصد عن ذكر الله وعن الصلوة
خصوصا وبيانه ان غرض الشرب من الاجتماع التاكل والالفة والمودة ثم انها تورث نقيض المقصود لان العقل اذا استولت الشهوة والغضب يؤدي الى التنازع
والتهاج وكذا القمار يفضي الى افناء المال الى ان ربما قامر على الحبيبة اهله وولده وكل ذلك يورث لذة الغلبة الخالية وكلتاهما توجب الاشتغال عن اللذات
الحقيقية الحاصلة من الاستغراق في طاعة المعبود وانما افرد ذكر الخمر والميسر ثانيا لان الخطاب مع المؤمنين فقرنهما اولا بذكر الانصاب والازلام تنبيها على
انهما جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك ثم افردهما لان الكلام مسوق لتحريمهما على المخاطبين حيث انهم كانوا لا يتعاطون سوى ذلك ومنها سوق الكلام
بطريق الاستفهام في قوله فهل انتم منتهون كانه قيل قد تلي عليكم ما هو كاف في باب المنع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا
ولهذا قال الواقدي انتهينا يا رب ومنها التخريج المؤكد ومنها انه قال عقيب ذلك واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا والظاهر ان المراد الطاعة في ما قدم
من الامر بالاجتناب والحذر عن المخالفة وذلك لبيان ما فيها من التهديد بمن خالف هذا التكليف بعينه فان توليتم الاية والمراد ان اعرضتم فالحجة قد قامت
عليكم والرسول قد خرج عن عهدة البلاغ وقد اعذر من انذر ويجوز المخالفة الى التعامل روي عن انس قال كنت ساقي القوم يوم حرمت في بيت ابي طلحة
وما شرابهم الا الفضيخ البسر والتمر فاذا مناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت فالخمرة في سكك المدينة فقال ابو طلحة اخرج فارقها فقالوا قتل فلان
وفلان وهي في بطونهم فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الطعم خلاف الشرب الا انه قد يقع على المشروب كقوله
ومن لم يطعمه فانه مني فيجوز ان يكون المراد فيما شربوا من الخمر ويحتمل ان يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يؤكل ويشرب جميعا فقد يقول العرب طعام
ذق ونظير هذه الاية قوله في نسخ القبلة وما كان الله ليضيع ايمانكم والعامل في اذا ما اتقوا معنى الكلام المتقدم اي لا ياثمون في ذلك اذا اتقوا المحرمات
لانهم شربوها حين كانت محللة والمراد ان اولئك كانوا على هذه الصفة وموتهم عليهم ومدحا لهم في الايمان والتقوى والاحسان وزعم بعض
الجهلة ان هذا الحكم متعلق بالمستقبل الا انه لم يكن اوساع ان جناح شيء وما كان الله ليضيع والمعنى لا جناح على من طعمها اذا لم يحصل معه لعان



والبغضاء وسائر المفاسد المذكورة بل حصل معه أنواع المصالح من الطاعة والتقوى والإحسان إلى الخلق والجواب أن صيغة طعموا وهي للمضي فالآية دالة على
أن سبب نزول الآية بكذا يروى أبو بكر الأصم أنه لما نزل تحريم الخمر قال أبو بكر يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وأكلوا القمار
وكيف بالغائبين عنا في البلاد لا يشعرون بتحريم الخمر وهم يطعمونها فنزلت وعلى هذا فالحل قد ثبت فيما يستقبل لكن في حق الغائبين الذين لم يبلغهم هذا النص
ثم إنه سبحانه شرط في نفي الجناح حصول التقوى والإيمان مرتين وفي الثالثة التقوى والإحسان فقال الأكثرون الأول عمل الاتقاء والثاني دوام الاتقاء والثبات
عليه والثالث اتقاء ظلم العباد مع الإحسان إليهم وقيل الأول اتقاء جميع المعاصي قبل نزول الآية والثاني اتقاء الخمر والميسر وما في هذه الآية والثالث اتقاء ما يحدث
تحريمه بعد هذه الآية وهذا قول الأصم وقيل اتقوا الكفر ثم الكبائر ثم الصغائر وقال القفال الأول الاتقاء من القدح في صحة النسخ لتبيين تحريم الخمر بعد أن كان
مباحا والثاني الإتيان بالعمل المطابق للآية والثالث المداومة على التقوى مع الإحسان إلى الخلق ثم إنه سبحانه استثنى بعض الصيد من المحللات فقال [illegible] اللام
للتوكيد القسمي ليبلونكم أي ليعاملنكم معاملة المختبر بشيء التنوين للتحقير وفيه أنه ليس من الفتن العظام التي تدحض عندها الأقدام كالابتلاء ببذل الأرواح
والأموال فامتحن الله أمة محمد ﷺ بصيد البر كما امتحن أصحاب أيلة بصيد البحر قال مقاتل بن حيان ابتلاهم بالصيد وهم محرمون عام الحديبية حتى إن الوحش
والطير يغشاهم في رحالهم فيقدرون على أخذها بالأيدي وصيدها بالرماح وما رأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله عن ذلك ابتلاء قال الواحدي الذي تناله
أيديهم من الصيد الفراخ والبيض وصغار الوحش والذي تناله الرماح الكبار ومن في من الصيد للبيان أو للتبعيض وهو صيد البر وصيد الإحرام والمراد
به العين لا الحدث بدليل عود الضمير في تناله إليه ليعلم الله ليظهر معلومه وهو خوف الخائف أو ليعاملكم معاملة من يطلب أن يعلم أو ليعلم أولياء الله
من يخافه بالغيب النصب على الحال أي يخافه حال كونه غائبا عن رؤيته أو عن حضور الناس فمن اعتدى بعد ذلك الابتلاء فله عذاب أليم في الآخرة وقيل
في الدنيا عن ابن عباس هو أن يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه لا تقتلوا الصيد قال الشافعي إنه البري المتوحش المأكول اللحم أما الأول فلقوله تعالى
بعد ذلك أحل لكم صيد البحر وأما المتوحش فيدخل فيه نحو الظبي وإن صار مستأنسا ويخرج الإنسي وإن صار متوحشا إبقاء للحكم الأصلي وأما كونه مأكولا
فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فيعلم منه أنه مما يحل أكله في غير الإحرام وقال أبو حنيفة المحرم إذا قتل سبعا لا يؤكل لحمه ضمن وسلم أنه لا يجب
الضمان في قتل الذئب وفي قتل الفواسق الخمس فقال الشافعي لا معنى في قتلها إلا الإيذاء فيلزم جواز قتل جميع المؤذيات لا سيما وقد جاء خمس يقتلن في
الحل والحرم الغراب والحدأة والحية والعقرب والكلب العقور وفي رواية زيادة السبع العادي واحتج لأبي حنيفة بقول علي رضي الله عنه صيد الملوك
أرانب وثعالب فإذا ركبت فصيدي الأبطال زيف بأن الثعلب عنده [illegible] وأنتم حرم أي محرمون بالحج والعمرة أيضا على الأصح وقيل وقد دخلتم الحرم وقيل
هما مرادان بالآية وهو قول الشافعي فقوله لا تقتلوا يفيد المنع ابتداء والمنع تسببا فليس له أن يتعرض للصيد ما دام محرما وفي الحرم بالسلاح والجوارح
من الكلاب والطيور سواء كان الصيد صيد الحل وصيد الحرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من قرأ جزاء بالتنوين فمثل بالرفع فالمعنى فعليه
جزاء صفته كذا ومن قرأ بالإضافة فهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول أي فعليه أن يجزي مثل ما قتل قال بعض العلماء المثل مقحم للتأكيد إذ الواجب عليه جزاء
المقتول لا جزاء مثله فهو كقولهم أنا أحب مثلك أي أحبك وقيل الإضافة بمعنى من أي جزاء من مثل ما قتل قال سعيد بن جبير المحرم إذا قتل الصيد خطأ لا
يلزمه شيء وهو قول داود لأن النص ورد في المتعمد وهو أن يقتله ذاكرا لإحرامه وعالما أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى
صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد أو رمى غير صيد فعدل السهم فأصاب صيدا فهو مخطئ لا شيء عليه لفقدان القيد المذكور ويتأكد هذا الرأي بقوله
ليذوق وبال أمره وبقوله ومن عاد أي إلى ما تقدم ذكره وهو القتل العمد والانتقام أيضا يناسب العمد لا الخطاء وقال جمهور الفقهاء يلزمه الضمان سواء
قتل عمدا أو خطأ قياسا على سائر محظورات الإحرام كحلق الرأس وغيره وكما في ضمان مال المسلم فإنه لما ثبت أنه لحق المالك لم يختلف ذلك بكونه
عمدا أو لا وإنما وردت الآية بالمتعمد لأن العمد أصل والخطأ ملحق به للتغليظ ولما روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه
برمحه فقتله فقيل له إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت الآية على وفق القصة وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ قال في الضبع
كبش إذا قتله المحرم وقالت الصحابة في الظبي شاة أطلقوا الضمان من غير فرق بين العمد والخطاء ثم العلماء اختلفوا في المثل فقال الشافعي ومحمد الحكم
الصيد ضربان منه ما له مثل ومنه ما لا مثل له فيضمن بالقيمة وقال أبو حنيفة وأبو يوسف المثل الواجب هو القيمة قياسا على ما لا مثل له حجة الشافعي
قوله نعم من النعم فإنه بيان للمثل وكذا قوله هديا بالغ الكعبة وعن النبي ﷺ أنه حكم في الضبع بكبش وعن علي وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف و
ابن عباس وابن عمر أنهم حكموا في أمكنة مختلفة وأزمان متعددة في جزاء الصيد بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وفي الضبع
بكبش وفي الغزال بعنز وفي الظبي بشاة وفي الأرنب بحمل وفي الوبر بعناق وفي الضب بسخلة وفي اليربوع بجفرة وفي الحمام بشاة ويعني به كل ما عب وهدر
كالقمري والدبسي والفاختة والعب شرب الماء مرة والهدير ترجيع صوته وتغريده وفيه دليل على أنهم نظروا إلى أقرب الأشياء شبها بالصيد
من النعم ولو نظروا إلى القيمة لاختلف باختلاف الأسعار والظبي الذكر من هذا الجنس والغزال الأنثى والجفرة من أولاد المعز إذا انفصلت عن أمها والعناق
الأنثى من أولاد المعز وأيضا المقصود من الضمان جبر الهلاك فكلما كانت المماثلة أتم كان الجبر أكمل مسائل الأولى جماعة محرمون قتلوا صيدا قال الشافعي
وأحمد وإسحق لا يجب عليهم إلا جزاء واحد لأن مثل الواحد واحد وقال أبو حنيفة ومالك والثوري على كل منهم جزاء واحد كما لو قتل جماعة واحدا يقتص منهم
جميعا وكذا لو حلف كل منهم أن لا يقتل صيدا فقتلوا صيدا واحدا لزم كلا منهم كفارة وأجيب بأن قتل الجماعة بالواحد تعبدي وتعدد الكفارة لتعلق



الايمان الثانية للشافعي المحرم اذا دل غيره على صيد فقتله لم يضمن لا يجب الا لانه كفارة الفعل ولا الدال كما لو دل على مال المسلم وذلك لان الدلالة
ليست بقتل ولا اتلاف وقال ابو حنيفة يضمن لما روي ان عمر وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس اوجبوا الجزاء على الدال الثالثة قال الشافعي اذا جرح ظبيا فنقص
من قيمته العشر فعليه عشر قيمة الشاة ارشادا الى ما هو الاسهل لانه قد لا يجد شريكا في ذبح شاة ويتعذر عليه اخراج قسط من الحيوان وقال المزني عليه عشر شاة
وقال داود لا يضمن الا بالقتل لظاهر الآية حيث نيط الجزاء بالقتل فقط الرابعة اذا قتل المحرم صيدا وادى جزاءه ثم قتل صيدا آخر لزمه جزاء آخر خلافا
لداود وينقل عن ابن عباس حجة الجمهور ان الحكم يتكرر بتكرر العلة بخلاف ما لو قال لنسائه من دخل منكن الدار فهي طالق فدخلت واحدة مرتين فانه
لا يقع الا طلاق واحد لان تكرر الحكم بتكرر الشرط غير لازم حجة داود ومن عاد فينتقم الله منه فانه جعل جزاء العائد الانتقام لا الكفارة الخامسة
قال الشافعي اذا اصاب صيدا اعور او مكسور اليد او الرجل فداه بمثله والصحيح احب وكذا الكبير لاجل الصغير والذكر يفدى بالذكر والانثى بالانثى والاولى ان
لا يغير تحقيقا للمثلية وان فدى الانثى افضل لانها تلد والذكر افضل من حيث ان لحمه طيب وصورته حسن قوله سبحانه يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن عباس اي حكمان
صالحان فقيهان من اهل دينكم ينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به ولهذا احتج من نصر قول ابي حنيفة فقال التقويم هو المحتاج الى النظر والا
واما الخلقة والصورة فمشاهدة لا يفتقر الى الاجتهاد ورد بان وجه المشابهة بين النعم والصيد مما يتوقف على الاجتهاد عن قبيصة بن جابر انه رمى
ظبيا في الاحرام فمات فسأل عمر وكان الى جانبه عبد الرحمن بن عوف فقال له ما ترى قال عليه شاة قال وانا ارى ذلك قال اذهب فاهد شاة قال قبيصة
فخرجت الى صاحبي فقلت ان امير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأل غيره قال ففاجأني عمر وعلاني بالدرة وقال اتقتل في الحرم وتسفه الحكم قال الله تعالى يحكم
به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن قال الشافعي ما ورد فيه نص فهو متبع كما روي انه قضى في الضبع بكبش وكل ما حكم به عدلان من الصحابة
او التابعين ومن اهل عصر آخر من النعم انه مثل الصيد المقتول يتبع حكمهم ولا حاجة الى تحكيم غيرهم لان بحثهم ادق ونظرهم اعلى وقال مالك يجب
التحكيم فيما حكمت به الصحابة وفيما لم يحكم وهل يجوز ان يكون قاتل الصيد احد الحكمين ان كان القتل عمدا عدوانا فلا لانه يورث الفسق والحكم موصوف بالعدالة
وان كان خطأ او كان مضطرا اليه فكذلك عند مالك كما في تقويم المتلفات وجوزه الشافعي لما روي ان بعض الصحابة اوطأ فرسه ضبا فسأل عمر فقال احكم
فيه فقال انت خير مني واعلم يا امير المؤمنين فقال انما امرتك ان تحكم فيه ولم آمرك ان تزكيني فقال الرجل ارى فيه جديا فقال عمر فذلك فيه وايضا فانه حق الله
يجوز ان يكون من عليه امينا فيه كما ان رب المال امين في الزكوة ولو حكم عدلان بان له مثلا وآخران بانه لا مثل له فالاخذ بقول الاولين ولو حكم عدلان
بمثل وآخران بمثل آخر فاصح الوجهين انه يتخير والاحوط ان ياخذ بالاغلظ قيل في الآية دلالة على ان العمل بالاجتهاد والقياس جائز واجيب بانه لا نزاع في
الشرعي الجزئية كالاجتهادات في القبلة وكالعمل بشهادة الشاهدين وبتقويم المقومين في قيم المتلفات وارش الجنايات وكعمل العامي بالفتوى وكالعمل بالظن
في مصالح الدنيا انما النزاع في اثبات شرع عام في حق جميع المكلفين باق على وجه الدهر والانصاف انه يجوز الاجتهاد في القبلة وفي تعيين مثل الصيد المقتول
امر جزئي بقي وانتصب هديا على انه حال عن جزاء عند من وصفه بمثل لانه [illegible] او بدل عن مثل عند من اضاف او حال عن الضمير في به ووصفه
بالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية تقديره بالغا الكعبة والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة ولا سيما اذا كان مرتفعا ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح في الحرم
لان الذبح والنحر لا يقعان في نفس الكعبة لان غاية القربة الثلاث فيها فان دفع مثل الصيد المقتول الى الفقراء حيا لم يجز قال الشافعي يجب عليه التصدق
به في الحرم ايضا لان نفس الذبح ايلام ولا قربة فيه وانما القربة في التصدق على فقراء الحرم وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء لانها لما وصلت الى الكعبة
فقد خرج عن العهدة قوله او كفارة عطف على قوله فجزاء وطعام مساكين بيان له ومن اضاف فللتبيين ايضا اي كفارة من طعام مساكين مثل خاتم فضة
او عدل ذلك صياما نصب على التمييز كقولك لي مثله رجلا وعدل الشيء ما عادله من غير جنسه والعدل بالكسر المثل يقول عندي عدل غلامك اذا كان
غلاما يعدل غلاما فان اردت قيمته من غير جنسه فتحت العين ثم مذهب الشافعي انه يصوم لكل مد يوما ومذهب ابي حنيفة انه يصوم لكل نصف صاع يوما وذلك
بحسب الاختلاف في طعام مسكين واحد كما مر في كفارة اليمين وبالجملة فحاصل مذهب ابي حنيفة انه يوجب قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي
تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل
مسكين يوما وحاصل مذهب الشافعي ان الصيد ضربان ما له مثل من النعم وما ليس كذلك والاول جزاؤه على التخيير والتعديل فيتخير بين ان يذبح مثله فيتصدق
به على مساكين الحرم اما بان يفرق اللحم او يملك جملته اياهم مذبوحا وبين ان يقوم المثل دراهم ثم لا يجوز ان يتصدق بالدراهم ولكن ان شاء اشترى بها
طعاما ويتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما حيث كان والثاني وهو ما ليس بمثلي كالعصافير وغيرها وبالجملة كل
ما دون الحمام او فوقه فيه قيمته ولا يتصدق بها بل يجعلها طعاما ثم ان شاء تصدق بها وان شاء صام عن كل مد يوما فان انكسر مد في القسمين صام
يوما لان الصوم لا يتبعض فللجزاء في القسم الاول ثلاثة اركان الحيوان والطعام والصيام وفي القسم الثاني ركنان الطعام والصيام وهي عندهما على التخيير
في ظاهر المذهب على الترتيب وافق مالك وابو حنيفة لان او للتخيير غالبا وخالف احمد وزفر فقالا انها في الآية للترتيب لان الواجب هنا شرع على سبيل
النقمة والتغليظ بدليل قوله ليذوق وبال امره والتخيير ينافي التغليظ ثم القائلون بالتخيير اتفقوا على ان الخيار في تعيين هذه الثلاثة الى قاتل الصيد كما هو ظاهر
الآية الا محمد بن الحسن فانه قال الخيار الى الحكمين قياسا على تعيين المثل ثم ان لم يكن الصيد مثليا فالعبرة في القيمة بمحل الاتلاف قياسا على كل متلف متقوم
والمعتبر في العدول الى الطعام سعر الطعام بمكة وان كان مثليا واراد تقويم مثله من النعم ليرجع الى الاطعام او الصيام فالعبرة في قيمته بمكة يوم [illegible]

محل الذبح

تحل الذبيحة لو كان يذبح ولا جزاء على المحرم بأكل الصيد سواء ذبحه بنفسه واصطاده أو بدلالة لأنه ليس بنام بعد الذبح ولا يؤول إلى النماء فلا يضمن بالجزاء
الجزاء كما لو أتلفه بعينه مذبوحًا هذا في الجديد من قولي الشافعي وفي قوله القديم وبه قال مالك وأحمد يلزمه القيمة بعد ما أكل وإذا ذبح المحرم صيدًا لم يحل له أكله
منه ولا لغيره في الجديد وبه قال مالك وأحمد وأبو حنيفة لأنه يكون ميتة كذبيحة المجوسي حتى لو كان مملوكًا وجب مع الجزاء القيمة لمالكه وهل يحل له بعد زوال
الإحرام أظهر الوجهين لا وكذا الكلام في صيد الحرم إذا ذبح أما قوله ليذوق فإنه متعلق بقوله فجزاء أي فعليه أن يجازي أو يكفر ليذوق ويحتمل أن يتعلق
بمتعلق المحذوف أي شرعنا ما شرعنا ليذوق سوء عاقبة فعله وهو هتك حرمة الحرم والإحرام والتركيب يدل على الثقل ومرعى وبيل إذا كان فيه وخامة وثقل
وبيل ثقيل على الطبع على المعدة والأمور الثلاثة اثنان منها نقص في المال فيثقل على الطبع والثالث هو الصوم يثقل على البدن أيضًا وكل منها نوع عقوبة
عفا الله عما سلف في الجاهلية لأنهم كانوا متعبدين بشرع من قبلهم أو عما سلف قبل التحريم في الإسلام وعلى مذهب داود عفا الله عما سلف في المرة الأولى بسبب
الجزاء ومن عاد فإنه أعظم من أن يعفى بالجزاء فينتقم الله منه أي فهو ينتقم الله منه ولأنه لا يحتاج إلى إدخال فاء الجزاء لارتباطه بنفسه أحل لكم صيد البحر أي
مصيده ويعني بالبحر جميع هذه المياه والأنهار وجملة ما يصاد منه ثلاثة أجناس الحيتان وجميع أنواعها حلال والضفادع وجميع أنواعها حرام وفيما سوى
هذين خلاف فقال أبو حنيفة حرام وقال ابن أبي ليلى والأكثرون حلال قوله وطعامه عطف والعطف يقتضي المغايرة وفيه وجوه يروى عن أبي بكر الصديق أن الصيد
ما صيد بالحيلة حال حياته والطعام ما يوجد مما لفظه البحر أو نضب عنه الماء من غير معالجة في أخذه وقال جمع من العلماء الاصطياد قد يكون للأكل وقد يكون لغيره
كاصطياد الصدف لأجل اللؤلؤ واصطياد بعض الحيوانات البحرية لأجل عظامها وأسنانها فالمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل
المأكول منه وعن سعيد بن جبير أن الصيد هو الطري والطعام هو القديد المملح وفي الفرق ضعف قال الشافعي السمكة الطافية في البحر محللة لأنه طعام البحر وقد
قال ثم أحل لكم صيد البحر وطعامه وقال ﷺ البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته متاعًا لكم في الحضر طريًا وللسيارة في السفر مالحًا وانتصب متاعًا على أنه مفعول
له ولكنه مختص بالطعام وقال الزجاج إنه مصدر مؤكد لأن قوله أحل لكم في معنى التمتيع وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرمًا قال العلماء صيد البحر هو الذي
لا يعيش إلا في الماء أما الذي لا يعيش إلا في البر والذي يمكنه أن يعيش في البر تارة وفي البحر أخرى فذلك كله صيد البر فالسلحفاة والسرطان والضفدع وطير الماء
كل ذلك من صيد البر يجب على قاتله الجزاء واتفق المسلمون على أن المحرم يحرم عليه الصيد الذي صاده أما الذي صاده الحلال فعن علي وابن عباس وابن عمر وسعيد بن
جبير وطاوس والثوري وإسحق أن الحكم كذلك لإطلاق الآية ولما روي عن علي أن النبي ﷺ أهدي إليه حمار وحش وهو محرم فأبى أن يأكله وقال مالك
والشافعي وأحمد إن لحم الصيد مباح للمحرم بشرطين أن لا يصطاده المحرم ولا يصطاد له لما روى أبو داود في سننه عن جابر أن رسول الله ﷺ قال صيد البر لكم
حلال ما لم تصيدوه أو يصاد لكم وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد أنهم أجازوا للمحرم ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يدل عليه ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل
إحرامه وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه لما روي عن أبي قتادة أنه اصطاد حمار وحش وهو حلال في أصحاب محرمين له فقال رسول الله ﷺ هل أشرتم هل أعنتم
فقالوا لا فقال هل بقي من لحمه شيء قالوا معنا رجله فأخذها النبي ﷺ فأكلها وهذان القولان مفرعان على تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وقال في الكشاف أخذ أبو حنيفة
بالمفهوم فكأنه قيل وحرم عليكم أيها المحرمون ما صدتم في البر فيخرج عنه مصيد غيرهم ويرد عليه أن المفهوم ليس بحجة ثم حث على الطاعة والاجتناب عن المعاصي
بقوله واتقوا الله الذي إليه تحشرون وهو كلام جامع للوعد والوعيد ثم ذكر سبب حرمة الصيد في الحرم وفي الإحرام فقال جعل الله أي حكم أو بين بطريق الحفظ
والتعريف أو صير بخلقه الداعي على التعظيم في القلوب قيامًا ما تلينا يريدهم العرب وجيرانها أن أهل بلدة إذا قالوا الناس فعلوا كذا أرادوا أهل بلدتهم فنطق القرآن
على مجرى عادتهم وبيان القيام أن قوام المعيشة إما بكثرة المنافع وقد جعل يجبى إليه ثمرات كل شيء وإما بدفع المضار وقد صيره حرمًا آمنًا وإما بحصول
الجاه والرياسة وتوفر الدواعي والرغبات وذلك بدعاء إبراهيم فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ثم المنافع الدينية الحاصلة من مناسكها ومشاعرها
أكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى وانتصب البيت الحرام على أنه عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح إذ الكعبة أوضح من أن توضح ويحتمل أن يراد بالناس عامة
الناس لما بيّن لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجاراتهم وأنواع منافعهم الدينية والدنيوية وعن عطاء بن أبي رباح لو تركوا عامًا واحدًا لم ينظروا ولم يؤخروا
الشهر الحرام والهدي والقلائد تقدم في أول السورة وإنما كان الشهر الحرام سببًا لقيام الناس وقوامهم لأنه إذا دخل الشهر الحرام كان يزول خوفهم ويقدرون
على الأسفار وتحصيل الأقوات ما يكفيهم طول السنة فلولا حرمته لهلكوا من الجوع والهدي هو سبب لاكتساب الثواب من قبل مناسك الحج وأما الهدي
فإنه نسك للمهدي وقوام لمعاش الفقراء وكذا القلائد فكان من قلد الهدي أو قلد نفسه من لحاء شجر الحرم لم يتعرض له أحد وكل ذلك لأن الله تعالى أودع في قلوبهم
تعظيم الكعبة وما يتعلق بها ذلك الذي ذكر من جعل الكعبة قيامًا للناس ومن حفظ حرمة الإحرام والحرم مشروع لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض
وذلك أنه علم في الأزل أن مقتضى طباع العرب الحرص على القتل والغارة وكان ذلك مما يفضي إلى الفناء وانقطاع النسل فدبر هذا التدبير المحكم والفعل
المتقن كي يصير سببًا للأمان في بعض الأمكنة وفي بعض الأزمان فيستقيم مصالح الإنسان ولا ريب أن مثل هذا التقدير والتدبير لا يصح إلا ممن يعلم الكائنات
وأسبابها وغاياتها بل يعلم المعلومات بأسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها عللها ومعلولها موجودها ومعدومها ولذلك قوله وأن الله بكل شيء
عليم فما أحسن هذا الترتيب ثم خوفهم وأطمعهم بقوله اعلموا أن الله شديد العقاب لمن انتهك محارمه وأن الله غفور رحيم لمن حافظ عليها وذكر
الوصفين في جانب الرحمة دليل على أن جانب الرحمة أغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي ثم قرر أن الرسول ما كان مكلفًا إلا بالتبليغ فإذا بلغ خرج عن العهدة
وبقي الأمر من جانبكم وأنه تعالى يعلم جهركم وسركم وفيه من الوعيد ما فيه عن جابر أن النبي ﷺ قال إن الله عز وجل حرم عليكم عبادة الأوثان وشرب الخمر

فقالوا لا

والطعن في الانساب الا ان الخمر لعن شاربها وعاصرها وساقيها وبايعها واكل ثمنها فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله اني كنت رجلا كانت هذه تجارتي واستفدت
من بيع الخمر مالا فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا
الطيبات فانزل الله عز وجل تصديقا لقول رسوله قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث وهو عام في حرام الاموال وحلالها وفاسد الاعمال
وصالحها وسقيم المذاهب وصحيحها وردي النفوس وجيدها واخبث الخبائث الروحانية الجهل والمعصية واطيب الطيبات الروحانية معرفة الله تعالى وطاعته
والبون بين الصنفين في العالم الروحاني ابعد مما بينهما في العالم الجسماني لان اثرهما في عالم الارواح ابقى وادوم واجل واعظم فلا تستبدل الخبيث بالطيب
ولو اعجبك كثرة الخبيث لان كثرته في التحقيق قلة ولذته في الاخرة ذلة ونقده ذهب صرف العمر في طلبه حيف. التاويلات لا تحرموا على انفسكم بالاستمتاعات
النفسانية طيبات ما احل الله لكم دون سائر المخلوقات من المواهب الربانية ولا تعتدوا ولا تجاوزوا عن حد العبودية وكلوا مما رزقكم الله اجتهدوا في
طلب ما خصكم به الله من تجلي جماله وجلاله حلالا لا طيبا يحل فيكم بريئا من شوائب النقائص بالتفاني ايمانكم ان تحلفوا بالاثم من المشرق ومن ولاية الهوى
وكلالة القوى واستيلاء النفس وغلبة سلطان الهوى في اثناء المجاهدات واعواز المشاهدات ولكن يؤاخذكم اذا عرفتم على الهجران وتعرضتم للخذلان
فكفارته اطعام عشرة مساكين الحواس الظاهرة والباطنة من اوسط ما تطعمون اهليكم وهم القلب والسر والروح والخفي طعامهم الشوق والمحبة والصدق
والاخلاص والتفويض والتسليم والرضا والانس والهيبة والشهود والكشوف واوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر والشوق والتوكل والتعبد والخوف
والرجاء ليشتغل الحواس العشرة بهذه الامور او يكسوهم لباس التقوى او تحرير رقبة النفس من عبوديته الحرص والهوى فمن لم يجد امساك اليوم الماضي عما جرى
عليه في اليوم الحاضر عما لا يعنيه وفي اليوم المستقبل عن العواقب من لغو اليمين عند ارباب اليقين ان الطالب الصادق عند غلبات الشوق ووجدان الذوق
يقسم عليه بجماله وجلاله ان يرزقه شيئا من اقباله ووصاله وذلك شرعة الرضى لغو في مذهب التسليم سهو ولكن يرجى له عفو فلا يؤاخذه بمقاله لعلمه
بضعف حاله والكمال في الثبات والاستقامة اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد ومن اللغو في اليمين عندهم ما يجري على لسانهم في غلبات الوجد
من غير تعمد تاكيد العقد كقول بعضهم وحقك ما نظرت الى سواكا بعين مودة حتى اراكا فان هذا ينافي التوحيد واين في الدار ديار كلا بل هو الله
الواحد القهار ليس على الذين امنوا بالتقليد وعملوا الصالحات الاعمال البدنية الشرعية جناح فيما طعموا من المباحات اذا ما اتقوا الشبهة والاسراف وامنوا
بالتحقيق بعد التقليد وعملوا الصالحات الاعمال القلبية الحقيقية من تخلية القلب عما سواه ومن تحليته بالاحوال المضادة لهواه كالصدق والاخلاص والتوكل
والتسليم وما علاه ثم اتقوا شرك الانية وامنوا بالهوية ثم اتقوا هذا الشرك وهو الفناء في الفناء واحسنوا وهو البقاء بربهم فانهم جعل الله البلاء لاهل الولاء
كاللهب للذهب فقال يا ايها الذين امنوا ايمان المحسنين الذين تجردوا عن ملاذ الدنيا وشهواتها الحلال واحرموا بحج الوصول لعمرة الوصال ليبلونكم
الله في اثناء السلوك بشيء من الصيد وهو المطالب النفسانية والمقاصد الدنيوية الدنية تناله ايديكم يعني اللذات البدنية ورماحكم يعني اللذات الخيالية
فله عذاب الرد والصد لا تقتلوا الصيد وانتم حرم يعني محرمون لزيارة كعبة الوصال بغلبة حسم الاطماع من الحرام والحلال متعمدا اي عالما بما في الالتفات اليه
غيره من المضار فمثل ما قتل من النعم يجازي نفسه برياضة ومجاهدة بما يماثل المهالك اللذة ذوا عدل هما القلب والروح يحكمان على مقدار الاسلام وعلى حسب
قوة السالك بتقليل الطعام والشراب وبذل المال او بترك الجاه او بالعزلة وضبط الحواس هديا بالغ الكعبة خالصا عن الخلق لاجل الحق طعام
مساكين هم العقل والقلب والسر والروح والخفي كانوا محرومين عن اغذيتهم الروحانية فيطعمهم المعاملات الروحانية من صدق في التوجه والصبر على المكاره
والفطام عن المالوفات من الشكر والرضا وغير ذلك او عدل ذلك صياما هو الامساك عن الاغيار والركون الى الواحد القهار ليذوق في النفس الامارة
وبال امره فان كل هذه الامور على خلاف طبعها وانتقام ينتقم من احبائه بنقاب الدلال ومن اعدائه بحجاب الملام والملال احل لكم صيد البحر البحار وفي المكاشفات
تنتفعون بالواردات يطعمون منها السائرين الى الله من اهل الارادة صيد البر هو التسبيح للسائرين من مطالب الدنيا ما دمتم حرما اي في حال المحو لا في حال
الصحو جعل الله الكعبة الظاهرة قياما للعوام والخواص يستنجحون بها حاجاتهم الدنيوية والاخروية وكعبة القلب قواما للخواص وخواص الخواص يطوفون بها
بدوام الذكر ونفي الخواطر حتى يعلموا ان لا موجود الا هو ولا وجود الا له البيت الحرام حرام ان يسكن في كعبة القلب غيره والشهر الحرام هو ايام الطلب حرام
على الطالب فيها مخالطة الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدي هو النفس البهيمية يساق الى كعبة القلب فلا تداركان الشرع فيذبح على عتبة القلب
اداب الطريقة عن شهواتها فاذا وصل العبد الى كعبة القلب شاهد بانوار ان لله ما في السموات وما في الارض شديد العقاب يسد الحجاب الغفلة عن الله
غفور رحيم للصادقين في الطلب يفتح الابواب لا البلاغ بالقال يتلوا عليهم اياته وبالحال يزكيهم ما تبدون بتغيير الحال وما تكتمون من تصديق الخالق
الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب ما يوصلك الى الله بل الطيب هو الله والخبيث ما سوى الله وفي ذلك كثرة والله اعلم قوله الله عز وجل

يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَسْـَٔلُوْا عَنْ اَشْيَآءَ اِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ۚ وَاِنْ تَسْـَٔلُوْا عَنْهَا حِيْنَ يُنَزَّلُ
ای زمره آنان که گرویده اید مپرسید از چیزهایی که اگر ظاهر شوند برنجانند شما را و اگر بپرسید از آن هنگامی که فرو فرستاده شود
الْقُرْاٰنُ تُبْدَ لَكُمْ ۗ عَفَا اللّٰهُ عَنْهَا ۗ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ حَلِيْمٌ ۝ قَدْ سَاَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ اَصْبَحُوْا بِهَا كٰفِرِيْنَ
قرآن را آشکارا کنند شما را درگذشت خدا از آن و خدا آمرزنده بردبار است بتحقیق که پرسیدند آنرا گروهی پیش از شما پس صبح نمودند که بآن کافران
مَا جَعَلَ اللّٰهُ مِنْ بَحِيْرَةٍ وَّلَا سَآئِبَةٍ وَّلَا وَصِيْلَةٍ وَّلَا حَامٍ ۙ وَّلٰكِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يَفْتَرُوْنَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ
قرار نداده است خدا از بحیره و نه سائبه و نه وصیله و نه حام و لیکن آنانکه کافر شدند افترا می‌بندند بر خدا دروغ را

واكثرهم

وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا

و بیشتر ایشان در نمی یابند و چون گفته شد بایشان که بیائید بسوی آنچه فرستاد خدا و بسوی پیغمبر گفتند کافیست ما را آنچه یافتیم

عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ

بر او پدران خود را آیا اگرچه بودند پدران ایشان بیخبر از چیزی را و نه راه یابندگان ای زمره آنان که گرویده اید نگاه دارید خودتان را

لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

ضرر نمیرساند شما را آنکه گمراه شد اگر راه یافتید بسوی خدای بازگشت شماست همه پس خبر دهد شما را بآنچه بودید که میکردید ای زمره آنان که گرویدید

شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ

گواهی ضرورت در میان شما چون در رسد یکی از شما را مرگ در هنگام وصیت دو نفر اند صاحبان عدل از شما یا دیگران از غیر شما اگر شما

ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي

سیر کردید در زمین پس رسید شما را واقعه مرگ باز دارید ایشان را پس از نماز پس سوگند یاد کنند بخدا اگر شک کنید نخریم

بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا

بآن بهاء اندکی را و اگرچه باشد صاحب خویشی و پنهان نداریم گواهی خدا را بدرستیکه ما آنگاه از گناهکارانیم پس اگر دیده شود که اند و سزاوار شدند

إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا

گناه را پس دیگران برخیزند بجای ایشان از آنان که مستحق شدند برایشان دو تای اولی پس سوگند خورند بخدا که هر آینه گواهی ما

أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا

راست تر است از گواهی ایشان و در نگذشتیم اگر آنگاه هر آینه از ستمکاران بودیم این نزدیکتر است که بیارند گواهی را بر روی آن یا بترسند

أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ

که رد کنند سوگند بعد از سوگند ایشان و بپرهیزید خدا را و گوش دارید و خدا هدایت نکند گروه فاسقان را در روزیکه گرد آرد خدا

الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ

پیغمبران را پس گوید چه جواب داده شدید گفتند نیست دانشی ما را بدرستیکه تو دانای پنهانهائی چون گفت خدا ای عیسی پسر مریم یاد کن

نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ

نعمت مرا بر تو و بر مادرت چون قوت دادم تو را بروح القدس که گفتگو میکردی با مردم در گهواره و در میانه سالی و چون آموختم ترا کتاب

وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ

و حکمت و توریة و انجیل را و چون میساختی از گل مانند ترکیب مرغ بفرمان من پس میدمیدی در آن پس میگردید مرغی بفرمان من و شفا میدادی

الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ

کور مادرزاد و صاحب برص را بفرمان من و چون زنده میکردی مرده را بفرمان من و چون بازداشتم بنی اسرائیل را از تو چون آوردی ایشان را بحجتها پس گفتند

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا

آنان که کافر شدند از ایشان نیست این مگر جادوئی هویدا و چون رسانیدم بسوی حواریین که بگروید بمن و بفرستاده من گفتند گرویدیم

وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ

و گواه باش بآنکه ما تسلیم کنندگانیم چون گفتند حواریون ای عیسی پسر مریم آیا میتواند پروردگار تو که فرو فرستد بر ما خوان طعامی از آسمان

قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ

گفت که بپرهیزید خدا را اگر هستید مومنان گفتند میخواهیم که بخوریم از آن و محکم گردد دلهای ما و بدانیم که تو تصدیق کرده ما را و باشیم

عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا

بر آن از گواهان گفت عیسی پسر مریم که خداوندا پروردگارا فرو فرست بر ما خوانی از آسمان که باشد برای ما عید

لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ

از برای اول ما و آخر ما و آیتی از تو و روزی کن ما را و تو بهترین روزی دهندگانی گفت خدا که من فرستنده آنم بر شما پس هر که کافر شود بعد از آن

مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي

از شما پس من عذاب کنم او را عذابی که عذاب نکرده ام یکی را از جهانیان و چون گفت خدای ای عیسی پسر مریم آیا تو گفتی مردم را که فرا گیرید مرا



وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ

و مادر مرا دو خدا از غیر الخدای یگانه گفت منزهی تو چه شده بود مرا اگر بگویم چیزیرا که نیست مرا سزاوار اگر من گفته ام اینرا پس بدرستی که میدانی تو آنرا میدانی

مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا

آنچه که در نفس من است و نمیدانم آنچه را که در نفس تست بدرستی که تو داناى پنهانى نگفتم من بایشان مگر آنچه فرمودی مرا بآن که بپرستید مرا

اللّٰهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ

خدا را که پروردگار من و شماست و بودم بر ایشان گواه زمانی که من در ایشان بودم پس چون میراندی مرا بودی تو خود مواظب

عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

برایشان و تو بر هر چیزی گواهی اگر عذاب کنی ایشان را این ایشان بندگان تواند و اگر بیامرزی ایشان را پس بدرستی که تو خود غالب

الْحَكِيمُ قَالَ اللّٰهُ هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

داور گفت خدا که این روزیست که سود بخشد راستگویانرا راستی ایشان مر ایشانراست بهشتها که روانست از زیر آن جویها

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

جاویدانند در آن همیشه خوشنودست خدا از ایشان و راضی اند از خدا اینست بهرمندی بزرگ مر خدایراست پادشاهی آسمانها و زمین

وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ القراءة منزلها من الانزال ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب شهادة بالتنوين الله بالمد حمزة وزيد

و آنچه در آنهاست و اوست بر هر چیزی توانا بالاضافة استحق على البناء للفاعل حفص والاعشى في اختياره الباقون على البناء للمفعول الاولين

جمع الاول بفتحتين الاخر سهل ويعقوب وحمزة وخلف وعاصم غير حفص والاعشى في اختياره الباقون الاوليان تثنية الاولى الاحق الغيوب بكسر الغين حيث

كان حمزة وحماد وابو بكر غير الشمونى والبرجمي والخزاعي عن ابن فليح ساحر كل هود والصف حمزة وعلي وخلف الباقون سحر هل تستطيع بتاء الخطاب

ربك بالنصب علي والاعشى في اختياره الباقون بالياء وبالرفع ان ينزلها بالتخفيف من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد نزلها

بالتشديد عاصم وابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص لي ان بالفتح ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالسكون يوم ينفع بفتح الميم نافع

الباقون بالرفع الوقوف تسؤكم ج لابتداء شرط آخر مع واو العطف تبد لكم ط عنها ط حليم كافرين ولا حام لا للاستدراك الكذب ط يعقلون ولا يهتدون

انفسكم ج لاحتمال الاستيناف والحال اي احفظوا انفسكم غير مضرورين اذا اهتديتم تعملون مصيبة الموت ط قربى لا لان قوله ولا نكتم من جواب القسم شهادة

الله ط الاثمين وما اعتدينا ط والوصل اجوز لتعلق انا بقوله وما اعتدينا الظالمين بعد ايمانهم ط لابتداء الامر واسمعوا ط الفاسقين

اجبتم ط لنا الغيوب ذلك لئلا يوهم انه ظرف لا ذكر بل عامله محذوف في التقدير واذكر اذا بدليل وكهلا والانجيل ج لاحتمال ان الموتى لا لان اذ يجوز تعلقه بما تعلق

به اذ الاول ويمكن تعلق كل اذ بمحذوف آخر لتفصيل النعم مبين ربع الجزء وبرسولي ج لاحتمال ان قالوا مستانفا وعاملا فيه اذا وحيت مسلمون من السماء

الاولى مؤمنين الشاهدين وآية منك لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض الرازقين عليكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب العالمين من دون الله قال سبحانك

ط بحق ط قلته ط لانه قد تم وهو تعجيل لان المنكر لا يقسم بل القسم لا يجاب بالشرط بل الوقف على بحق علمته ط نفسك ط الغيوب وربكم ج على ان الواو للاستيناف والحال اي وقد كنت

فيهم ج لان عامل لما مستأخر وفاء التعقيب تخلها عليهم ط لان الواو لا يحتمل الحال الحكيم شهيد عبادك ج لابتداء الشرط مع الواو والحكيم صدقهم ط لاختلاف

الجملتين بلا عطف ابدا عنه ط العظيم وما فيهن ط قدير التفسير عن انس انهم سألوا رسول الله فاكثروا المسئلة فقام على المنبر فقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء

ما دمت في مقامي هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من ابي فقال ابوك حذافة بن قيس وقال سراقة

مالك ويروى عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا في كل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد مرتين او ثلاثا فقال ويحك وما يؤمنك ان اقول

نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا

منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وقام آخر فقال يا رسول الله اين ابي فقال في النار ولما اشتد غضب رسول الله قام عمر فقال رضينا

بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فانزل الله هذه الآية فهي عائدة الى قوله ما على الرسول الا البلاغ كأنه قال ما آتاكم الرسول فخذوه ولا تخوضوا

في غيره فلعله يجيبكم بما يشق عليكم وايضا كان المشركون يطالبونه بعد ظهور المعجزات بمعجزات اخر كقوله حاكيا عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض

ينبوعا الى تمام الآية وكان بعض المسلمين ايضا يميل الى ظهورها فمنعوا ذلك لان طلب الزيادة بعد ثبوت الرسالة من باب التحكم ولعلها لو ظهرت ثم انكرت

استحقوا العقاب العاجل ويحتمل ان يكون وجه النظم قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتركوا الامور على ظواهرها ولا تسألوا عن اشياء مخفية

ان تبد لكم تسؤكم وللنحويين في منع صرف اشياء وجوه فقال الخليل وسيبويه اصلها شيئاء على وزن حمراء فهو اسم جمع لشيء استثقلوا الهمزتين في آخره

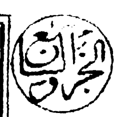
فنقلوا الهمزة التي هي لام الفعل الى اول الكلمة فصار وزنه لفعاء وقال الفراء اصلها افعلاء بناء على ان شيئا مخفف من شيّء كما يقال هين في هيّن فجمع على

افعلاء كنبيء وانبياء لكنهم استثقلوا اجتماع الياء والهمزتين فخففوا اللام فبقي اشياء على افعاء وقال الكسائي وزنها افعال ومنع الصرف لتشبهها له

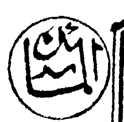
بحمراء ولا يلزم منه منع صرف ابناء واسماء لان ما ثبت على خلاف الدليل لا يلزم اطراده ولكنه يكون مقصورا على المسموع والحاصل ان السؤال عن الاشياء

وربما ادت الى ظهور احوال مكنونة يكره ظهورها وربما ترتبت عليها تكاليف شاقة صعبة فالاولى ان يسكت عن ما لا حاجة اليه ويقتصر على ما يبينه الشرع ومن يلقى نفسه فيه يقع في الحرج وقد قال النبي ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسألته وكان عبيد بن عمير يقول ان الله احل وحرم فما احل فاحلوه وما حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك اشياء لم يحللها ولم يحرمها فذلك عفو من الله ثم يتلوه ويقول ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفى عن اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ثم ذكر ان هذه المساءة على السؤال ذكر ان الابداء سيكون لان الوحي غير منقطع فقال ﴿وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾ اي في زمان الوحي لان الرسول بين اظهركم ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ تلك الامور والتكاليف فالحاصل انهم ان سألوا عنها ابدت لهم وان ابديت لهم ساءتهم فيلزم من المقدمتين انهم ان سألوا عنها ساءتهم وقيل السؤال عن شيء لم يجر ذكره في الكتاب والسنة فهي عنه بقوله لا تسألوا والثاني السؤال عن شيء نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي وهذا السؤال غير مذموم فاشار الى هذا القسم بقوله وان تسألوا وبعلى هذا التوجيه يتبين لهذا القسم من الاول وانما حسن عود الضمير في عنها الى الاشياء وان كانا في حقيقة نوعين مختلفين لان كلا منهما مسؤل عنه في الجملة وقيل المعنى وان تسألوا عن تلك السؤالات هل هي جائزة ام لا تبد لكم والمراد ان يطلب الرخصة في السؤال ولا تم يسئل ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ اي عما سلف من مسألتكم واعنتاتكم للرسول فلا تعودوا اليها او المراد بالعفو انه تم ما اظهر عند تلك المسائل ما يشق عليهم من التكاليف وقيل ان الجملة صفة اخرى للاشياء كان الجملة الشرطية والمعطوف عليها صفة لها والمعنى لا تسألوا عن اشياء امسك الله عنها وكف عن ذكرها كما جاء في الحديث عفوت عن صدقة الخيل والرقيق اي خففت عنكم باسقاطها ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ يعني المسئلة التي دل عليها لا تسألوا ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ سأل الناقة قوم صالح فعقروها وسأل الرؤية قوم موسى فصارت وبالا عليهم وسأل المائدة قوم عيسى فكفروا بها ويحتمل ان يعود الضمير في سألها الى الاشياء فكان امة محمد سألوا عن احوال الاشياء والمتقدمين سألوا نفس الاشياء كالناقة والمائدة والرؤية فلما اختلفت الاسؤلة اختلفت العبارة الا ان كل واحد من القسمين يشتركان في ذمهم هو الخوض في الفضول والشروع فيما لا يعني فتوجه الذم عليهما جميعا ولما منعهم عن ان يتكلفوا البحث عنها ذم سيرة قوم تكلفوا التزام امور لم يؤمروا بها ومعنى ما جعل ما حكم بذلك ولا شرع والبحيرة فعيلة من البحر الشق وبحر اذنه اذا شق اذنها وهي بمعنى المفعول قال ابو عبيدة والزجاج كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن وكان آخرها ذكرا شقوا اذن الناقة وشعروا كونها وسيبوها لا تنحر ولا يحمل على ظهرها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى لا ينتفع بها الا خفية لوليها المعنى الا بركوبها الحرج واما السائبة فانها فاعلة من ساب اذا جرى على وجه الارض يقال ساب الماء وسابت الحية فالسائبة هي التي تركت حتى تسيب الى حيث شاءت قال ابو عبيدة كان الرجل اذا مرض او قدم من سفر او نذر نذرا او شكر نعمة سيب بعيرا فكان بمنزلة البحيرة في احكامها وقيل هي ام البحيرة كانت الناقة اذا ولدت عشرة ابطن كلهن اناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها والضيف حتى تموت فاذا ماتت اكلها الرجال والنساء جميعا وبحرت اذن بنتها الاخيرة وكانت بمنزلة امها في انها سائبة وقال ابن عباس السائبة هي التي تسيب للاصنام اي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة وهم خدمة الهتهم فيطعمون من لبنها ابناء السبيل وقيل هي العبد يعتق على ان لا يكون عليه ولاء ولا ميراث واما الوصيلة فاذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم فالوصيلة بمعنى الموصولة كانها وصلت بغيرها او بمعنى الواصلة لانها وصلت اخاها واما الحامي فيقال حماه يحميه اذا حفظه قال الاكثرون هو الفحل الذي يضرب في الابل عشر سنين فيخلى وقيل ان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من مرعى ولا ماء الى ان يموت فان قيل اذا جاز اعتاق العبيد والاماء فلم لا يجوز اعتاق البهائم من الذبح والايلام فالجواب ان الانسان خلق لعبادة الله فاذا ازيل الرق عنه كان ذلك معينا له على ما خلق لاجله اما النعم من الحيوانات فانما خلقت لمنافع المكلفين فتركها بتقييض نفوسها لها عليها وايضا الانسان اذا اعتق قدر على تحصيل المنافع ودفع المضار بخلاف البهائم فانها عاجزة عن جذب الملايم ودفع المنافي فالاعتاق فيها يفضي الى ضياعها فظهر الفرق ﴿وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ قال ابن عباس يريد عمرو بن لحي واصحابه كان قد ملك مكة مستغفرا الله وكان اول من غير دين اسماعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه لقد رأيته في النار يؤذي اهل النار بريح قصبه يعني امعاءه هذا اتبعهم سفلتهم ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يعني العوام والاتباع ثم رد على اهل التقليد بقوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ الآية وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة ونفي العقل عنهم هناك والعلم ههنا مع نفي الاهتداء في الموضعين فيه دليل على ان الاهتداء لا يحصل الا بالعاقل العالم المهتدي الا بالبناء ذوقه على الحجة والدليل لا على التقليد والاهتداء بل لاهل البرهان العلم ابلغ درجة من العقل فهذا يوصف الله تعالى بالعلم ولا يوصف بالعقل وكان دعواهم ههنا ابلغ لقولهم حسبنا ما وجدنا فناسب ان ينفي عنهم العلم الذي هو ابلغ ثم ذكر ان هؤلاء الجهال مع ما تقدم من انواع المبالغة في الاعذار والانذار والترغيب والترهيب لم ينتفعوا بشيء منه بل اصروا على جهالتهم وضلالتهم فلا تبالوا بهم ايها المؤمنون فان جهلهم لا يضركم اذا كنتم منقادين لتكاليف الله مطيعين لاوامره ونواهيه يقول العرب عليك زيدا وعندك عمرا بعدتها الى المفعول كانه قيل خذ زيدا فقد علاك اي اشرف عليك وعندك عمرو فخذه وليس المراد في عليك انه حرف جر مع مجرور متعلق بمحذوف وقيل الجار والمجرور معا منتقل الى معنى الفعل بنقل الاعلام ولهذا سمي اسم فعل فان قيل ظاهر الآية يوهم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بواجب فالجواب منع ذلك لان الآية لا تدل الا على ان المطيع لربه غير مؤاخذ بذنب العاصي وهذا خطب ابو بكر فقال انكم تقرؤن هذه الآية وتضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب وعن عبد الله بن المبارك هذه اكد آية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان معنى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ احفظوها والزموا صلاحها بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه في الخيرات وينفره عن

شرائط اصلها السؤال



العبايح والسيئات لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم فامرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فانكم خرجتم عن عهدة تكليفكم كما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل في سبيل الله
لا تكلف الا نفسك وقيل ان الاية مخصوصة بما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على نفسه او على عرضه او على ماله وكان ابن شبرمة يقول من فر من اثنين
فقد فر ومن فر من ثلاثة فلم يفر وقيل انها مختصة بالكفار الذين علم انه لا ينفعهم الوعظ ويؤكده ما روي في سبب النزول عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ من مجوس هجر الجزية
قال منافقو العرب عجبا من محمد يزعم ان الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا ولا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب فلا نراه الا قد قبل من مشركي اهل هجر
ما رد على مشركي العرب فانزل الله تعالى الاية اي لا يضركم ملامة اللائمين اذا كنتم على الهدى والحق وقيل كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العناد من
الكفرة فنزلت تسلية لهم كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وعن ابن مسعود ان الاية قرئت عنده فقال ان هذا في اخر الزمان ومثله ما روي عن ابي ثعلبة
الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سالت عنها خبيرا سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا
ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون
مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك ولاموه فنزلت ثم انه سبحانه لما امر بحفظ النفس في قوله عليكم انفسكم امر بحفظ المال عن ابن عباس
ان تميما الداري واخاه عديا وكانا نصرانيين خرجا الى الشام ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل
فكتب كتابا فيه نسخة جميع ما معه اخفاه بين الامتعة ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم اوصى اليهما وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء
من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب ودفعا باقي المتاع الى اهله لما قدما فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت ومعنى شهادة بينكم شهادة ما بينكم اي من التنازع والتشاجر وانما اضيفت الشهادة الى التنازع لان الشهود انما يحتاج اليهم عند التنازع واذا حضر
ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي هذا دليل ان الوصية مما لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم عند ظهور امارات الموت فكان وقتهما واحدا وهما امتدادا بها
وارتفع اثنان على انه قام مقام الخبر اي شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل فعل محذوف والتقدير شهادة ما بينكم ان يشهد اثنان وفي قوله منكم
ومن غيركم قولان فعن الحسن والزهري وعليه جمهور الفقهاء ان منكم اي من اقاربكم ومن غيركم اي من الاجانب والمعنى ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم من
اقاربكم فاستشهدوا على الوصية اجنبيين جعل الاقارب اولى لانهم اعلم بحال الميت واراف به وعن ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وسعيد بن
جبير وشريح ومجاهد وابن جريج وابن سيرين ان منكم اي من اهل ملتكم ومن غيركم اي من كافر كان يهوديا او نصرانيا او مجوسيا او عابد وثن قال الشعبي
مرض رجل من المسلمين في الغربة فلم يجد احدا من المسلمين يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة واتيا ابا موسى الاشعري وكانا
عليهما فاخبراه بالواقعة فقال ابو موسى هذا امر لم يقع بعد النبي صلى الله عليه وسلم فحلفهما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العصر بالله العظيم انهما ما كذبا وما بدلا وامضى شهادتهما
والذاهبون الى هذا القول احتجوا بان الخطاب في منكم لجميع المؤمنين فيلزم ان يكون غيرهم كافرين وبان هذين الشاهدين لو كانا مسلمين لم يكن لاستشهادهما
مشروطا بالسفر لجوازه في الحضر ايضا بالاتفاق وبانه اوجب الحلف عليهما والشاهد المسلم لا يجب تحليفه البتة وبان الشاهدين في سبب النزول كانا
نصرانيين وبان ابا موسى قضى بذلك ولم ينكر عليه احد من الصحابة وبان الضرورة قد تبيح المحظورات كالتيمم والافطار واكل الميتة فالمسلم اذا قرب اجله ولم يجد
مسلما ولا تقبل شهادة الكفار ضاع اكثر مهماته فقد يكون عليه زكوات وكفارات وديون وعليه ودائع وله مصالح ولمثل هذه الضرورة جوزنا شهادة النسا
فيما يتعلق باحوال النسا كالحيض والحبل والولادة والاولون اجابوا بان حذف المضاف في غيركم وبان ذكر السفر ليس لاجل اشتراطه في قبول الشهادة
ولكن لاجل ان الغالب في السفر فقدان الاقارب ووجود الاجانب وبان التحليف مشروط بالريبة وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه كان يحلف الشهادة
الشاهد والراوي اذا اتهمهما وبان سبب النزول لا يلزم ان ينطبق على الحكم حذو القذة بالقذة وبان قضية ابي موسى خبر الواحد وبان الضرورة كانت اول
الاسلام لقلة المسلمين وتعذرهم في السفر غالبا ومما يصلح ان يكون مؤكدا لهذه الاجوبة ان يكون ناسخها عند من يرى ان المائدة من اخر القران نزولا
قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم وليس المراد من العدالة الاحتراز عن الكذب في النطق فقط بل في الدين والاعتقاد ولا كذب اعظم من الفرية على الله
وعلى رسوله وانما تقبل شهادة اهل البدع والاهواء من هذه الامة احتياطا ما لكلمة الاسلام وموقع تحبسونهما اي توقفونهما وتصبرونهما استيناف
كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا فقيل تحبسونهما من بعد الصلوة قال ابن عباس من بعد صلوة دينهما وقال عامة المفسرين من بعد صلوة العصر لان هذا
الوقت كان معروفا عندهم بالتحليف بعده ولفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حلفهما بعده وتميم فاستحلفهما عند المنبر بعد صلوة العصر ولان جميع اهل الاديان
يعظمون هذا الوقت ويذكرون الله فيه ويحترزون عن الحلف الكاذب واهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها وقال الحسن المراد بعد الظهر
او بعد العصر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وقيل بعد اي صلوة كانت لان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال الشافعي الايمان تغلظ
في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد العصر بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة عند المنبر وفي بيت
المقدس عند الصخرة وفي سائر البلدان في اشرف المساجد وقد تغلظ بالتكرير والتعدد كما في القسامة واللعان او بزيادة الاسماء والصفات
وقال ابو حنيفة يحلف من غير التغليظ بزمان او مكان ولا يخفى ان قول الشافعي اوفق للاية والمقسم عليه قوله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى
ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه وفي كان المقسم له بعيني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا ولو كان من نقسم له قريبا منا وان فلو
غايتهم في مسئلتهم وانما نهتم ابدا كقوله شهداء لله ولو على انفسكم وخص ذا القربى بالذكر لان الميل اليهم اتم والمداهنة بينهم اكمل ولا نكتم شهادة الله



الزام يحفظها وتعظيمها واذا ثمها لانا اذا لمن الآثمين اي اذا كتمناها كنا من الآثمين ونقل عن الشعبي انه وقف على قوله عز وجل شهادة ثم ابتدأ
الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يقول الله لقد كان كذا والمعنى بالله
فان عثر قال الليث عثر الرجل يعثر عثورا اذا هجم على امر لم يهجم عليه غيره وقريب منه العثار لان العاثر انما يعثر بشيء كان لا يراه والمعنى فان حصل
الاطلاع على انهما استحقا اثما وهو كناية عن الخيانة والحنث في الحلف فآخران خبر مبتدأ محذوف او فاعل فعل محذوف وصفته مبتدأ محذوف اي
اي فالشاهدان آخران او فليشهد او فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم قال في الكشاف اي الاثم ومعناه من الذين جني عليهم
وهم اهل الميت وعشيرته وفي التفسير الكبير اي المال وانما وصفوا الى الميت بذلك لانه اخذ مالهم وكل من اخذ ما لغيره فقد اخذها ولذلك الغير يكون
تعلقه بذلك المال مستعليا على تعلق مالكه فصح ان يوصف المالك بانه قد استحق عليه ذلك المال الاوليان رفع الاوليان على انه خبر مبتدأ محذوف
فكانه قيل ومن الآخران فقيل هما الاوليان ويجوز ان يكون بدلا من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفع باستحق اي من الذين استحق عليهم
انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال قال في الكشاف والمعنى الاوليان الاقربان الى الميت او الاوليان الاحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما او الاحقان باليمين اما على تقدير الرد وذلك عند الشافعي وكل من يرى رد اليمين على المدعي واما الانقلاب القضية عند من لا
يرى ذلك كابي حنيفة واصحابه فان من اقر لآخر بدين ثم ادعى انه قضاه حكم برد اليمين الى الذي ادعى الدين اولا لانه صار مدعى عليه انه قد استوفاه وفي هذه
القصة ادعى الوصيان ان الميت باع منهما الاناء والورثة انكروا فكان اليمين حقا لهم ومن قرأ الاولين على الجمع فعلى انه نعت للذين استحق عليهم او
او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة او التقدم في الذكر في قوله يا ايها الذين آمنوا وكذلك اثنان ذوا عدل منكم
ذكرا قبل قوله او آخران من غيركم ومن قرأ استحق على البناء للفاعل فعليهم الاوليان فقد قال في الكشاف فمعناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من
بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وفي التفسير الكبير ان الوصيين اللذين ظهرت خيانتهما هما اولى
من غيرهما بسبب ان الميت عينهما للوصية ولما خانا في مال الوصية صح ان يقال ان الورثة قد استحق عليهم الاوليان روي انه لما نزلت الآية الاولى صلى
رسول الله صلعم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انه لم يوجد منا خيانة في هذا المال فخلى رسول الله صلعم
سبيلهما وكتما الاناء مدة ثم باعوه فوجد بمكة وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك ورثته فطلبوه منهما فقالا كنا قد اشتريناه فقالوا
الم نقل هل باع صاحبنا شيئا فقلتم لا قالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر وكتمنا فرفعوا القصة الى رسول الله صلعم فانزل الله تعالى فان عثر الآية فقام
عمرو بن العاص والمطلب وداعة فحلفا بالله بعد العصر لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا في طلب هذا المال في نسبتهم الى الكذب والخيانة
فدفع رسول الله صلعم الاناء اليهما والى اولياء الميت وكان تميم الداري يقول بعد اسلامه صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء فاتوب الى الله تعالى وعن ابن عباس
انه بقيت تلك الواقعة مخفية الى ان اسلم تميم الداري فقال حلفت كاذبا وقد بعنا الاناء انا وصاحبي بالف فقسمنا الثمن ثم دفع خمسمائة من نفسه ونزع من صاحبه
خمسمائة اخرى ودفع الالف الى اولياء الميت ذلك الحكم الذي شرعناه والطريق الذي نهجناه ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها اي كما هو في الواقع
او يخافوا ان ترد في مثل هذه القضية ايمان على الورثة بعد ايمانهم وهذا تفسير من يرى رد اليمين واما من لا يرى ذلك فالمعنى عنده ان تكر ايمان شهود
آخرين لانقلاب المدعى عليه مدعيا وعلى التقديرين يظهر كذبهم والحاصل ان هذا الحكم يصير باعثا للشهود على اداء حق الشهادة للداعي والصارف واتقوا
الله في الايمان واسمعوا مواعظه سماع قبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مناهج شرائعه واحكامه وفيه من الوعيد ما فيه قال
المفسرون هذه الآية في غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما وروى الواحدي في البسيط عن عمر بن الخطاب ان هذه الآية اعضل ما في هذه السورة من
الاحكام ولهذا ذهب اكثر الفقهاء الى ان حكم هذه الآية منسوخ ثم انه سبحانه ختم الاحكام بوصف احوال القيامة وذكر بعضها سيجيء هنالك
من الخطاب والعتاب جريا على عادته في هذا الكتاب من خلط التكاليف بالالهيات والنبوات واحوال المعاد فقال يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج
تقديره واتقوا الله يوم كذا لا على انه ظرف لانهم غير مامورين بالتقوى في ذلك اليوم ولكن على انه بدل اشتمال من اسم الله ويجوز ان يكون ظرفا
لقوله لا يهدي اي لا يهديهم الى الجنة يومئذ ومنصوبا باضمار اذكر وظرفا لما يجيء بعده وهو قالوا وعلى هذين الوجهين تكون الآية منقطعة عما قبلها
وماذا منصوب باجبتم انتصاب المصدر على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم وفائدة السؤال توبيخ قومهم كما كان سؤال
الموؤدة توبيخا للوائد ثم ظاهر قوله لا علم لنا يدل على ان الانبياء لا يشهدون لاممهم فالجمع بين هذا وبين قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
مشكل فقال جمع من المفسرين ان للقيامة زلازل واهوالا تزيل العقول فالانبياء عند هاتيك ينسون اكثر الامور فهنالك يقولون لا علم لنا ثم اذا عادت
اليهم عقولهم يشهدوا للامم ولا يرد عليه قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر الا ان اولياء الله لا خوف عليهم لان مواقف القيامة مختلفة ولان علو
الخوف في العاقبة لا ينافي الحيرة والدهشة اولا وقال آخرون المراد منه المبالغة في توبيخ الكفرة فان ذلك هو المقصود من السؤال كما يقول الواحد لغيره ما تقول
في فلان فيقول انت اعلم به مني فكانك قلت لا يحتاج فيه الى الشهادة لظهوره وفيه مع التوبيخ اظهار التشكي الى الانبياء ممن كذبوهم وعادوهم وقال ابن
عباس نفوا العلم عن انفسهم عند علام الغيوب ليعلم ان علمهم هنالك لا علم وقيل المراد نفي العلم بخاتمة احوالهم وما كان منهم بعد وفاتهم وانما
الامور بخواتيمها وقال في التفسير الكبير الذي عرفوه منهم في الدنيا كان مبنيا على ظاهر احوالهم كما قال نحن نحكم بالظاهر وكان ظنا غالبا والاحكام

اي خانا فيما له مع



في الآخرة منبهة على حقائق الأمور وبواطنها فلهذا نفوا العلم لأن الظن لا عبرة به في القيامة مع ان السكوت وتفويض الأمر الى الأعلم الأعدل أقرب الى
الأدب وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم عند قوله انت اي انت الموصوف بالجلال والكبرياء ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على
النداء ثم عدد انواع نعمه على عيسى واحدة فواحدة تنبيها على انه عبد ليس باله وتوبيخا للكفرة من الامم وأدل الامم بذلك النصارى الطاعنين
في ذات الله سبحانه باتخاذ الصاحبة والولد وموضع اذ قال رفع بالابتداء على معنى ذلك اذ قال الله او نصب باضمار اذكر او هو بدل من يوم يجمع وانما ذكر
القول بلفظ الماضي دلالة على قرب القيامة حتى كأنها قد قامت ووقعت كما يقال الجيش قد اتى اذا قرب اتيانهم او ورد على الحكاية كقول الرجل لصاحبه
كأنك بنا وقد دخلنا بلدة كذا فصنعنا كذا ومحل يا عيسى مضموم على انه منادى مفرد معرفة او مفتوح لانه وصف بابن مضاف الى علم وهو المختار للتخفيف
وكثرة الاستعمال نعمتي عليك وحد والجمع وحدت لانه مضاف يصلح للجنس انما قال على والدتك لان النعمة على الولد نعمة على ابويه ولان مكارم الأخلاق
دليل على الأعراق اذ أيدتك بدل من نعمتي اي قويتك بروح القدس اي بجبرئيل والقدس هو الله كأنه اضافه الى نفسه تعظيما له او بالروح الطاهرة المقدسة
وقد تقدم في البقرة تكلم الناس حال كأنه حال ما ضيه في المهد وكهلا في هاتين الحالتين من غير تفاوت واذ علمتك الكتاب الخط او جنس الكتب والحكمة
النظرية والعملية والتوراة والانجيل يعني الاحاطة بالأسرار الالهية بعد العلوم المتداولة فتنفخ فيها الضمير للكاف لا للهيئة المضاف اليها لانها ليست
من خلقه ولا نفخ فيها وكذا الضمير في فتكون والكاف مؤنث بحسب المعنى لدلالتها على الهيئة التي هي كهيئة الطير ومذكر في الظاهر فلهذا عاد الضمير اليه مذكرا
تارة كما في آل عمران ومؤنثا اخرى كما في هذه السورة وكرر باذني اي بتسهيلي ليعلم ان الكل باذن الله تعالى وتمكينه واظهاره الخوارق على يديه والا فهو
عبد كسائر عبيده واذ كففت يروى انه لما اظهر هذه المعجزات العجيبة قصده اليهود بقتل فخلصه الله تعالى ثم رفعه الى السماء ان هذا الا سحر مبين من قرأ بغير الف
اشار الى ما جاء به او الى انه ذو سحر او اطلق عليه للحدث مبالغة ومن قرأ بالألف اشار الى الرجل واللام في ليلتنا يحتمل ان تكون للجنس ويحتمل ان يراد بها
المعجزات المذكورة وذكر قول الكفار في حقه ان هذا الا سحر مبين يحتمل ان يكون من تمام القصة استطرادا ويمكن ان يراد بذلك تعداد النعم ايضا لان كل
ذي نعمة محسود وطعن الكفار فيه يدل على علو شأنه وسمو مكانه واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل ولا ابتهاج بهذه النعم الجسام والمنن
العظام كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات واذ اوحيت الى الحواريين ان كانوا
انبياء فظاهر والا فالوحي بمعنى الالهام كقوله واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى وهذا ايضا من جملة النعم لان كون الانسان مقبول القول
عند الناس محبوبا في قلوبهم من عظم نعم الله تعالى وقدم الايمان على الاسلام ليعلم انهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم هل يستطيع ربك من قرأ بالتاء
وبالنصب فظاهر والمراد هل تستطيع سؤال ربك اي هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله ومن قرأ بالياء وبالرفع فمشكل لانه تعالى حكى عنهم انهم قالوا آمنا
فكيف يتصور مع الايمان شك في اقتدار الله تعالى واجيب بوجوه منها ان حكاية الايمان عنهم لا يوجب كمالهم واخلاصهم في ذلك ولهذا قال لهم عيسى اتقوا الله
ان كنتم مؤمنين ومنها انهم طلبوا مزيد الايقان والطمأنينة ولهذا قالوا وتطمئن قلوبنا ومنها انهم ارادوا هل هو جائز في الحكمة ام لا وهذا على اصول المعتزلة من وجوب
رعاية الأصلح او ارادوا هل قضى بذلك وعلم وقوعه ام لا فان خلاف معلومه غير مقدور وهذا عند الاشاعرة ومنها قول السكاكي السين زائدة وكذا التاء اي هل
يطيع ربك ومنها لعل المراد بالرب جبرئيل لانه كان يربيه ومنها ان المراد بالاستفهام التقرير كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر السلطان على اشباع هذا
يريد ان ذلك امر جلي لا يجوز للعاقل ان يشك فيه قال الزجاج المائدة فاعلة من ماد يميد اذا تحرك فكأنها تميد بما عليها وقيل انها لا تسمى مائدة الا اذا كان
عليها طعام فهي خوان وقال ابن الانباري هي من ماده اذا اعطاه كأنها تميد من تقدم اليه وقال ابو عبيدة هي بمعنى مفعولة مثل عيشة راضية اي مرضية كأن
صاحبها اعطاها الحاضرين قال عيسى اتقوا الله في تعيين المعجزة فانه كالتحكم وايضا اقتراح معجزة بعد ظهور معجزات كثيرة تعنت او امرهم بالتقوى ليتوسلوا بها
الى المطلوب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاجاب الحواريون بانا لا نطلب هذه المعجزة لمجردها ولكنا نريد ان نأكل منها فان الجوع
قد غلب علينا ولا نجد طعاما آخر وقد يروى انهم سألوها في مفازة على غير ماء ولا طعام وانه يزيد يقيننا وعرفاننا وطمأنينتنا فان التي شاهدناها منك
معجزات ارضية وهذه سماوية فيكون اعجب واغرب ان نعلم صدقك في دعوى النبوة او فيما وعدتنا وذلك انه كان قال لهم صوموا ثلثين يوما فاذا تم صومكم
تسألوا ما سألتموه الله تعالى فانه يعطيكم واذا شاهدنا المعجزة كنا عليها من الشاهدين للذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله تعالى بالقدرة
ولك بالنبوة تكون لنا عيدا صفة للمائدة او مستأنفة وقرئ بالجزم جوابا للامر كان نزولها يوم الأحد فلهذا اتخذ النصارى عيدا والعيد ما يعود
اليك ووقته معلوم ومنه العيد لانه يعود كل سنة بفرح جديد لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا او يأكل
منها آخر الناس كما يأكل اولهم او للمقدمين منا والأتباع وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الجماعة فقدم عيسى ربنا ابتداء ويذكر الحق وانزل علينا
انتقالا من الذات الى الصفات وقوله تكون لنا عيدا اشارة الى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انها صادرة عن المنعم وقوله وآية منك
اشارة الى كون المائدة دليلا لاصحاب النظر والاستدلال وقوله وارزقنا اشارة الى حصة النفس فالحواريون قدموا غرض النفس واخروا الاغراض
الدينية وان عيسى بدأ بالأشرف حتى انتهى الى الاخس ثم قال وانت خير الرازقين وهو عروج مرة اخرى من الخلق الى الخالق وعند هذا يظهر التفاوت بين النفوس
الكاملة والناقصة والمشرقة والمظلمة اللهم اجعلنا من اهل الكمال والاشراق بمنك وفضلك وجسيم طولك منزلها بالتخفيف والتشديد بمعنى وقيل بالتشديد
للتكثير وبالتخفيف مرة واحدة عذابا لا اعذبه احدا قال ابن عباس يريد مسخهم خنازير وقيل قردة وقيل جنسا من العذاب لا يكون موجها الى الآخرة وعذابا

فاذا لم يكن عليها الطعام

فصب على المصدر أي تعذيبا والضمير لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء في الموضعين فقيل أعذبه بعذاب لا أعذب به أحدا و
أراد بالعالمين عالمي زمانهم واختلف في أن عيسى عليه السلام سأل المائدة لنفسه أو سألها لقومه وإن كان أضافها إلى نفسه في الظاهر وكلاهما محتمل ثم إنه نزلها
فقد قال مجاهد والحسن إن المائدة ما نزلت بل القوم لما سمعوا العذاب استغفروا وقالوا لا نريدها وأكدوا هذا القول بأنه وصف المائدة بكونها عيدا
لأولهم وآخرهم فلو نزلت لبقي العيد إلى يوم القيامة وقال جمهور المفسرين إنما نزلت لأنه سبحانه وعد بإنزالها بقوله إني منزلها عليكم ثم إن يوم نزولها كان
عيدا لهم ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم روي أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس الصوف ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها
وأخرى تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قال لهم
ليقم أحسنكم عملا فيكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول
ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح
الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله
فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وقيل إن عيسى كان شرط عليهم أن لا يسرفوا في الأكل ولا يدخروا فعصوا فمسخوا وإذ قال الله معطوف على مثله
والصحيح أن هذا القول يوم القيامة بدليل قوله عقيب ذلك هذا يوم ينفع وقيل هذا عند رفع عيسى عليه السلام نظرا إلى أن إذ للمضي وقوله يوجبه ذلك أأنت قلت استفهام يراد به
الإنكار والغرض منه توبيخ النصارى قال بعض المشككين إن أحدا من النصارى لم يذهب إلى القول بإلهية عيسى عليه السلام وأمه مع القول بنفي إلهية الله تعالى وأجيب بأن
الإله هو الخالق وإنهم يعتقدون أن خالق المعجزات والكرامات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى ومريم ليس الله سبحانه فصح ذلك منهم فصح بهذا التأويل
صحح ما حكي عنهم وأقول يشبه أن يكون المراد بقوله من دون الله أي بعد الله فيكون التوبيخ على التثليث والمراد أنه لما دل البرهان على نفي تعدد الإله فمن قال
بإلهية عيسى أو أمه لزمه القول بنفي المعبود الحق تعالى عن ذلك ثم قال عيسى سبحانك أي أنزهك تنزيها من أن يكون لك شريك ثم بين أني قلت وما قلت لأن ذلك
يجري مجرى الطهارة والبشرية بل أجاب بقوله ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق أي ما ينبغي لي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله إظهارا لغاية الخضوع والاستكانة ثم فوض الأمر
إلى علمه المحيط بالكل فقال إن كنت قلته فقد علمته ثم علل ذلك بقوله تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك أي تعلم معلومي ولا أعلم معلومك وذكر النفس
ثانيا لأجل المشاكلة وإنه من فصيح الكلام أو تعلم ما أخفي ولا أعلم ما تخفي أو تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك أو تعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقوله
وتفعل عبارات للمفسرين ثم أكد ما ذكر بقوله إنك أنت علام الغيوب أن في قوله أن اعبدوا الله إن جعلتها مفسرة فالمفسر إما فعل القول أو فعل الأمر ولا وجه
لكليهما أما فعل القول فلأنه يحكي بعده الكلام بلا أن فيقال ما قلت لهم إلا اعبدوا الله اللهم إلا أن يقال إن القول المفسر محذوف في التقدير كما مر في قوله فيكون
الصحيح القول المفسر كالفعل المأول بالقول في علم الطهوية يجوز وسيطان وأما فعل الأمر فمسندا إلى ضمير الله فلو فسر بأعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لأن الله لا يقول
الله ربي وربكم وإن جعلتها مصدرية عند من يجوز دخولها على الطلبية فإن كان بدلا من ما أمرتني والمبدل في حكم المنحى كان المعنى ما قلت لهم إلا عبادته ولا يستقيم
لأن عبادته لا يقال وإن جعلته بدلا من الهاء في به لم يصح أيضا لأنه يصير المعنى بعد طرح المبدل إلا ما أمرتني بأن اعبد الله فيبقى الموصول بلا عائد فالذي
الوجه أن يحمل فعل القول على معناه فيكون أصل المعنى ما أمرتهم إلا بما أمرتني به حتى يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربي وربكم إلا أنه وضع القول موضع الأمر رعاية
للأدب كيلا يجعل نفسه وربه آمرين ودل على الأصل بذكر أن المفسرة قال في الكشاف ويجوز أن يكون أن مصدرية عطف بيان للهاء لا بدلا ويجوز في العائد بحاله وكنت
عليهم شهيدا كالشاهد على المشهود عليه منعهم من الذين يقولون بالتكفير ما دمت فيهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع إلى السماء كنت أنت الحافظ عليهم
المراقب لأحوالهم وأنت تفصل وأنت على كل شيء شهيد من الشهادة أو من الشهود وإن تغفر لهم فيه سؤال وهو أنه كيف جاز لعيسى هذا القول والله لا
يغفر الشرك والجواب أن قوله لعيسى أأنت قلت للناس يدل على أن قوما من النصارى حكوا عنه هذا الكلام والحاكي لهذا الكفر عنه لا يكون كافرا بل يكون مذنبا
فقط ولو سلم أنه شرك فغفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة لأن العقاب حق الله على المذنب وليس في إسقاطه على الله مضرة بل كلما كان
الجرم أعظم كان العفو أحسن إلا أن الدليل السمعي في شرعنا دل على أنه لا يكون فلعل هذا الدليل السمعي لم يكن موجودا في شرع عيسى عليه السلام أو لعل عيسى جوز أن يكون
بعضهم قد تاب عنه أما من زعم أن هذه المناظرة والمحاورة إنما كانت عند رفعه إلى السماء فلا إشكال أصلا لأن المراد إن توفيتهم على هذا الكفر وعذبتهم فإنهم عبادك
فلك ذلك وإن أخرجتهم بتوفيقك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان وغفرت لهم ما سلف منهم فإنك أنت العزيز القادر على ما تريد الحكيم في كل ما تفعل لا اعتراض لأحد
عليك وفي مصحف عبد الله فإنك أنت الغفور الرحيم وضعفه العلماء لأن ذلك يشعر بكونه شفيعا لهم لا على تفويض الأمر بالكلية إلى حكمه تعالى والمقام مقام هذا
لا ذاك وعن بعضهم أن ذكر الغفور الرحيم يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة أما العزة والحكمة فلا يوجبان إلا التبعد عن جميع جهات الاستحقاق فحسن المغفرة
بعد ثبوت هذا الاستغناء والعزة يكون أدل على كمال العفو والرحمة فإن العفو عند المقدرة والفضل العلي في الآية نوع شفاعة من عيسى عليه السلام لفساقهم
فلأن يثبت ذلك من محمد لفساق أمته أولى هذا يوم ينفع من قرأ بالرفع فظاهر والمعنى تقليل الإضافة أي هذا يوم منفعة الصادقين ومن قرأ بالنصب فإما على أنه
تفال وأما على أن هذا مبتدأ والظرف خبر أي هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع في هذا اليوم كقولك القتال يوم الجمعة قال الفراء يوم أضيف إلى ما ليس

وصريح القول المفا
م

مبني على الفتح كما في يومئذ وخطاه البصريون وقالوا انما يبنى الظرف اذا اضيف الى المبني كالماضي في قول النابغة على حين عاتبت المشيب على الصبى او مثلا في
قوله تعالى يوم لا تملك واجمعوا على ان هذا اليوم يوم القيامة والمراد ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في القيامة كما قال قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة اما
ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه واما عيسى فكان صادقا في الدنيا وفي الآخرة فنفعه صدقه وفي هذا الكلام
تصديق من الله تعالى لعيسى في قوله ما قلت لهم الا ما امرتني به رضي الله عنهم ورضوا عنه هما متلازمان لان رضى الله عن العبد رعاية وظائف العبودية
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واذا صح الانسان نسبة العبودية علم ان العبد لا يكون له ارادة واختيار فيكون راضيا تحت مقهورة في ارادة ربه ذلك الفوز
العظيم اشارة الى جميع المذكورات او الى الجزاء الاسنى الاوفى وهو الرضوان وما فيهن لم يقل ومن فيهن ليكون دالا على العموم وليتنبه على ان عقول ذوي العقول وعلوم
ذوي الالباب لعلوم بالنسبة الى علمه كلا علم وانما هم وغيرهم في تحت قهره وتسخيره سواء واعلم انه سبحانه افتتح السورة بقوله أوفوا بالعقود وهو الشريعة والبداية وختم السورة
بهذه الاية الدالة على فناء الكل في جنب جلاله وكبريائه وهو الحقيقة والنهاية فما احسن هذا النسق وايضا في السورة بيان الشرائع والاحكام الكثيرة والمناظرة مع
اليهود والنصارى فهذا الاختتام ذكر فيه انه سبحانه مالك الجميع لممكنات الكائنات موجد لجميع الارواح والاجسام ليبقى التكليف على اي وجه اراد وليكون ردا
على اليهود بحكم المالكية في نسخ شريعة موسى ووضع شريعة محمدية وليكون ردا على النصارى في ان عيسى ومريم داخلان في المخلوقات موجودان بايجاد الله ولا
معنى للعبودية الا هذا وايضا لما اخبر عن فناء وجودهم المجازي لم يبق هناك مجيب فاجاب بنفسه لله ملك السموات والارض كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ولعل
في هذه الخاتمة من الاسرار اضعاف ما عثرنا عليه والله تعالى اعلم باسرار كتابه التأويل اخبر عن كثرة السؤال انها تورث الملال وذلك لان علوم القال غير علوم الحال وهي اصناف
الاول يحمد فيه السؤال والثاني يذم فيه ذلك اذ يحصل بالعيان لا بالبرهان كما كان حال الانبياء مع الله وكل في حالة فهم لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقال ارنا
الاشياء كما هي وقال الخضر لموسى فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء وقال موسى في الثالثة ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فان تعلم العلم اللدني بالتأني في
الصحبة والمتابعة والتسليم وفي السؤال الانقطاع عن الصحبة وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن اي ان كان لا بد لكم من السؤال عن خطابي فاسألوا عنها
بعد نزول القرآن عن القرآن ليخبركم عن حقائقها عفا الله عنها والله غفور لمن تاب عن طلب علوم الحقائق بالقال العلماء بطلب بالحال فيحصل عنه في اثناء الطلب
سؤال قد سألها قوم من قبلكم كقدماء الفلاسفة اعرضوا عن متابعة الانبياء وابتلوا على تحري العقل والقال حتى وقعوا في اودية الشبهات والضلال ما جعل الله
من بحيرة قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هم الحيدرية والقلندرية يسمون انهم ويذكرهم ويجعلون فيها حلق الحديد ويحلقون لحيتهم ولا سائبة هم الذين
يضربون في الارض خليعي العذار بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة ويدعون انهم اهل الحقيقة ولا وصيلة هم اهل الاباحة الذين يتصلون بالاجانب بطريق المواخاة
والاتحاد ويرفضون صحبة الاثار بل اجل العصبية والعناد ولا حام وهو المغرور بالله يظن انه بلغ مقام الحقيقة فلا يضره مخالفات الشريعة واذا قيل لهم
تعالوا الى ما انزل الله من الاحكام والى الرسول لما بعثه قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اي مشايخنا واهل صحبتنا اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا
من الشريعة والطريقة ولا يهتدون الى الحقيقة عليكم انفسكم اي اشتغلوا بتزكية نفوسكم ثم بارشاد الغير فان الغريق الذي لم يتعلم السباحة اذا تشبث بمثله
هلكا معا الى الله مرجعكم جميعا فللطالبين بجذبات العناية وللمضلين بسلاسل القهر والنكاية اذا حضر احدكم الموت اي النفس تموت عن صفاتها الذميمة
بالرياضة والمجاهدة فتوصي بصفاتها لورثتها وهم القلب واوصافه والوصيا اثنان ذوا عدل منكم هما العقل والسر من الروحانيات واخران من غير الروحانيات
هما الوهم والخيال من النفسانيات فالعقل والسر يشهدان الحق ان كان على ذي قربى من الروحانيات والوهم والخيال لشهادتهما الصدق والكذب ان انتم ضربتم
في الارض اي سافرتم في السفليات فاصابتكم مصيبة الموت اي فتصيب النفس جذبة الحق فتموت تحبسونهما ان كنتم في تعد من الروحانيات من بعد الصلوة
من بعد حضورهما مع الله وتوجههما الى الحق ومراقبتهما فليشد على الشاهدين بالقسم واليمين فيقسمان بالله انهما يؤديان الشهادة الحق ويدفعان تركة النفس وهي صفاتها
الى ورثتها وهم القلب وصفاتها ولا يصرفانها في شيء من السفليات فان كل خلق اذا استعملته النفس في طلب الدنيا ولذاتها كان وصفا مذموما واذا استعمله
القلب في طلب العلوم والكمالات كان ممدوحا فان عثر على انهما استحقا اثما بان مالا الى حظ من حظوظ السفلية فاخران من صفات القلب هما التذكر والفكر
الصائب ينظران في عواقب الامور ويشهدان على ان الآخرة خير من الدنيا والباقي خير من الفاني لشهادتنا احق من شهادتهما لان الوهم والخيال مالا الى الحظوظ بترك
الحقوق والتذكر والتفكر مالا الى حفظ الحقوق بترك الحظوظ ان يأتوا بالشهادة على وجهها اي العقل والسر يثبتان في يد والامر باستعمال الصفات النفس الساقطات
الاخروية ويخافان عواقب الامور بان يشددا على انفسهم بالاستشهاد فيضيع لو مات قبل الاستعداد ثم بالتفكر والتذكر يرد الامر الى وجوب غاية الحقوق
فيما جاء الى كثرة الرياضة ماذا اجبتم قالوا وهم مستغرقون في بحر الشهود لا علم لنا اي ببواطن الامور وحقائقها واذ اوحيت الى الحواريين في عالم الارواح
يوم الميثاق قالوا بسبب تلك التعارف في عالم الاشباح امنا ان بعض الحواريين المقلدين في الايمان قالوا يا عيسى بن مريم هل يستطيع ذلك [illegible]
الا مع نبيهم حيث لم يقولوا يا رسول الله ادع ربك [illegible] حيث تشككوا في كمال قدرته ثم اظهروا دناءة همتهم حيث طلبوا بواسطة مثل عيسى
من مواهب المواهب مائدة جسمانية لا مائدة روحانية فقال عيسى اللهم ربنا انزل علينا مائدة الاسرار والحقائق من سماء العناية علينا المنعم المفضل ليكون
لنا اي لاهل الحق والصدق عيدا نفرح بها لاولنا لاول انفاسنا واخرها فان اهل الحق يعدون الانفاس لصحبة مع الله ولهو مع الله وانت خير الرازقين
لان الذي [illegible] من عنده فمن يكفر بعد منكم بان لا يقوم بحقها ويجعلها شبكة يصطاد بها الدنيا فاني اعذبه من المراتب
الروحانية الى المهالك الحيوانية وهو مسخ الحقيقة ويوم القيامة يحشر على صفاتهم التي ماتوا عليها كما قال يموت الناس على ما عاشوا ويحشر على ما ماتوا

كان مذموما في نفسه فاذا استعمله القلب صار ممدوحا وكذا الحرص اذا استعملته النفس ح

الانعام

عليه أأنت قلت للناس الخطاب مع الامة الأمن ستر سبحانه ان لا يكلم الكفار فتكلم عيسى بدلا منهم او المراد بالقول امر لتكون فالمعنى أأنت خلقت فيهم ان يجادلوك ام خلقت ذلك فيهم خلقا انك علام الغيوب لعيب لغائب عن الخلق ويحتمل ان يستعمله الخلق وغيب الغيب ما غاب عنهم ولا يمكنهم ان يعلموه والله حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

سورة الانعام مائة وخمس وستون آية وهي مكية وعشرون ركوعا

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

بنام خدای بخشاینده مهربان

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِیْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمٰتِ وَالنُّوْرَ ثُمَّ الَّذِیْنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُوْنَ

سپاس مر خدای راست آنکه آفرید آسمانها و زمین را و آفرید تاریکیها و روشنی را پس آنهاکه کافر شدند بپروردگار شان برابر میکنند

هُوَ الَّذِیْ خَلَقَكُمْ مِّنْ طِیْنٍ ثُمَّ قَضٰۤی اَجَلًا ؕ وَاَجَلٌ مُّسَمًّی عِنْدَهٗ ثُمَّ اَنْتُمْ تَمْتَرُوْنَ وَهُوَ اللّٰهُ فِی السَّمٰوٰتِ

اوست آنکه آفرید شما را از گل پس حکم فرمود وقتی را و وقتی نامیده در نزد اوست پس شما شک میشوید و اوست خدا در آسمانها

وَفِی الْاَرْضِ ؕ یَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَیَعْلَمُ مَا تَكْسِبُوْنَ وَمَا تَاْتِیْهِمْ مِّنْ اٰیَةٍ مِّنْ اٰیٰتِ رَبِّهِمْ

و در زمین میداند پنهان شما و آشکار شما را و میداند آنچه کسب میکنید و نمی آید ایشان را از آیتی از آیات پروردگار ایشان

اِلَّا كَانُوْا عَنْهَا مُعْرِضِیْنَ فَقَدْ كَذَّبُوْا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ؕ فَسَوْفَ یَاْتِیْهِمْ اَنْۢبٰٓؤُا مَا كَانُوْا بِهٖ یَسْتَهْزِءُوْنَ

مگر آنکه بودند از آن روگردانان پس بتحقیق تکذیب کردند حق را چون آمد ایشان را پس زود است که بیاید ایشان را خبرهای آنچه بودند که با آن استهزا میکردند

اَلَمْ یَرَوْا كَمْ اَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنّٰهُمْ فِی الْاَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَّكُمْ وَاَرْسَلْنَا السَّمَآءَ عَلَیْهِمْ

آیا ندیدند که چه قدر هلاک کردیم پیش از ایشان از زمانها که جای دادیم ایشان را در زمین آنچه جای ندادیم شما را و فرو فرستادیم آسمان را بر ایشان

مِّدْرَارًا ۪ وَّجَعَلْنَا الْاَنْهٰرَ تَجْرِیْ مِنْ تَحْتِهِمْ فَاَهْلَكْنٰهُمْ بِذُنُوْبِهِمْ وَاَنْشَاْنَا مِنْۢ بَعْدِهِمْ

بارانها و قرار دادیم نهرها که روان بود از زیر شان پس هلاک کردیم ایشان را بسبب گناهان شان و ایجاد کردیم از پس ایشان

قَرْنًا اٰخَرِیْنَ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَیْكَ كِتٰبًا فِیْ قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوْهُ بِاَیْدِیْهِمْ لَقَالَ الَّذِیْنَ كَفَرُوْۤا اِنْ هٰذَاۤ

قرنهای دیگر را و اگر فرستادیم بر تو کتابی در کاغذی پس لمس کنند آن را بدستهای خود هر آینه گفتندی آنانکه کافر شدند نیست این

اِلَّا سِحْرٌ مُّبِیْنٌ وَقَالُوْا لَوْلَاۤ اُنْزِلَ عَلَیْهِ مَلَكٌ ؕ وَلَوْ اَنْزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِیَ الْاَمْرُ ثُمَّ لَا یُنْظَرُوْنَ

مگر جادوی هویدا و گفتند چرا فرو نیامد بر او فرشته و اگر فرو فرستادیم فرشته را هر آینه تمام کرده شدی کار پس مهلت داده نشوندی

وَلَوْ جَعَلْنٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنٰهُ رَجُلًا وَّلَلَبَسْنَا عَلَیْهِمْ مَّا یَلْبِسُوْنَ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّنْ قَبْلِكَ

و اگر گردانیدیم او را فرشته هر آینه گردانیدیم او را مرد و هر آینه مشتبه ساختیم بر ایشان آنچه مشتبه میسازند و هر آینه استهزا کرده شد به پیغمبران پیش از تو

فَحَاقَ بِالَّذِیْنَ سَخِرُوْا مِنْهُمْ مَّا كَانُوْا بِهٖ یَسْتَهْزِءُوْنَ قُلْ سِیْرُوْا فِی الْاَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوْا كَیْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

پس احاطه کرد بآنانکه سخریه کردند از ایشان آنچه که بودند که بآن استهزا میکردند بگو سیر کنید در زمین پس بنگرید که چگونه بود عاقبت

الْمُكَذِّبِیْنَ

تکذیب کنندگان

القراءة انشأنا بغير همز حيث كان ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف لقد استهزئ وبابه بالهمز ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وقرا يزيد والشموني وحمزة في الوقف بغير همز والباقون بغير همز فحاق بالامالة حمزة الوقوف والنور لان ثم لترتيب الاخبار يعدلون اجلا تمترون وفي الارض قيل لا ويقف بعض القراء وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض يعلم بدل المعنى وهو المستحق للعبودية في اهل السموات واهل الارض تكسبون معرضين لما جاءهم للابتداء بالتهديد يستهزءون مدرارا آخرين سحر مبين عليه ملك لا ينظرون يلبسون يستهزءون المكذبين التفسير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزلت الانعام جملة واحدة ونزل معها من الملائكة سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتبوها من ليلتهم سوى آيات معدودة وزاد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد بعث الي جبرئيل مع خمسين الف ملك او خمسين الف ملك يحفونها حتى اوردوها في صدري كما يورد الماء في الحوض ولقد اعزني الله وإياكم بها عزا لا يذلنا بعده ابدا فيها دحض حجج المشركين وعد من الله لا يخلفه ولاشتمال هذه السورة على دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ونزولها جملة ذهب علماء الكلام الى ان هذا النوع من العلم يجب تعلمه على الفور لا على التراخي بخلاف الاحكام فانها تنزل بحسب المصالح وبحسب الحوادث والنوازل واعلم ان قوله الحمد لله مذكور في اوائل سور خمس واختص كل منها بصفة لكن اعمها ما في فاتحة الكتاب الحمد لله رب العالمين فان العالم كل موجود سوى الله سبحانه فكان سائر السور تفاصيل لهذه الجملة اثنى الله سبحانه على نفسه بقوله الحمد لله الذي خلق السموات دلالة على النعمة فتنبيه لعباده لا يمكن قياس الحق سبحانه انه واحد في ذاته فهو واحد في صفاته وافعاله لا اعتراض لاحد عليه للتحقيق بان استحقاق المدح بحسب الفضيلة والكمال لا يوجد في الممكن لانها مشوبة بالنقص والاختلال وذاته لا متوقف في الامكان بخلاف واجب الوجود فانه لا غاية لكماله ولا نهاية لعظمته وجلاله فلا يبلغان

هو ولان يثني الا عليه ولا ان يشكر ويحمد الا اله ثم الاوصاف الجارية عليه سبحانه انما تذكر زيادة في المدح لا لاجل التوضيح والكشف
سام ما يزيد معرفة وانما الذي ذكرناها وقد تقدم في الاسماء ان معنى الخلق راجع الى التقدير والتقدير عائد الى العلم فالمراد انه اوجد السموات والارض على
حسب علمه الازلي لعل بعض العلماء السماء كالدائرة والارض كالمركز وحصول الدائرة يوجب تعين المركز ولا ينعكس لامكان ان يحيط بالمركز الواحد دوائر
لا نهاية لها فلهذا ذكر السماء قبل الارض مع ان ظاهر التنزيل يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء وجمع السموات حقيقة وكذا افراد
الارض وقد يجمع الارض باعتبار الطبقات وسوف يجيء تقرير ذلك في قوله ومن الارض مثلهن والمقصود من هذا الوصف الزام المشركين وان تخصيص حجم
الفلك بمقدار معين وتخصيص كل من اجزائه بحيز معين وتخصيص الفلك بالحركة والارض بالسكون مع اشتراكهما في الطبيعة الجسمية وتخصيص كل حركة بقدر
معين من السرعة والبطوء وبجهة معينة دلائل ظاهرة على وجود فاعل مختار واحد في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وايضا ان الحركة كل فلك ولا لان حقيقة الحركة
انتقال من حالة الى حالة فيقتضي المسبوقية بالغير وعدم الاولوية ينافي المسبوقية بالغير وعدم الاولوية ينافي المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال واذا ثبت ان لكل
حركة اول فاختصاصها ابتداء حدوثه بوقت معين يدل على الفاعل المختار وكذا اتصاف بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية مع تساوي الكل
في تمام الماهية وايضا ان خارج العالم الجسماني خلاء لا نهاية له كما ثبت في الكلام فحصول هذا العالم في حيزه الذي حصل فيه دون سائر الاحياز امر ممكن يحتاج
الى مرجح قادر مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء هذا اذا نظرنا في ذوات هذه الاجرام اما ان اعتبرنا منافعها وكيفية تاثير الاثيريات وهي الاباء في
العنصريات وهي الامهات لتحصيل المواليد الثلاثة المعادن والنباتات والحيوانات ارتقينا من ذلك ايضا الى وجود صانع قدير وحكيم خبير تبارك على
عما فوق ترتيب الممكنات اما قوله وجعل الظلمات والنور فمعناه احدث وانشاء ولهذا اقتصر على مفعول واحد ولو كان بمعنى صير اقتضى مفعولين وانما لم
يقل وخلق لان فيه التضمين على انشاء شيء من شيء كقوله وجعل منها زوجها فالنور والظلمة لما تعاقبا صار كان كل واحدة منهما تولد من الاخر وقيل
لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار ولهذا جمع الظلمات اذ لكل جرم ظل والظل هو الظلمة ووحد النور لان النار واحدة هو منها والظلمة والنور
ههنا هما الامران المحسوسان بالبصر لان الاصل في الاطلاق الحقيقة والقرينة ذكر السموات والارض وعن ابن عباس الظلمة ظلمة الشرك والنفاق
والنور نور الاسلام واليقين فعلى الاول انما جمع الظلمات ووحد النور لان النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم انها تقبل التناقص قليلا
قليلا في المراتب كثيرة اولانه قصد بالنور الجنس وعلى الثاني فذلك لان الحق واحد والباطل اكثر من ان يحصى وانما قدمت الظلمة على النور لان عدم
المحدثات سابق على وجودها والظلمة عدمية عند من يجعلها عدم النور او شبيه بالعدم عند من يجعلها هيئة مضادة للنور وقد ورد في الاخبار
ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على قوله الحمد لله والمعنى انه حقيق بالحمد
على ما خلق ثم الذين كفروا يعدلون عن طريق الانصاف فيكفرون بربهم او على خلق السموات معناه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم
هم يعدلون له شيئا يسوون به ما لا يقدر على شيء من ذلك فعلى المعنى الاول يعدلون من العدول وعلى الثاني هو من العدل ومعنى ثم ههنا وفي قوله ثم انتم
تمترون الدلالة واستبعاد مضمون الجملتين احدهما عن الاخرى ثم دل بدليل اخر على اثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسماني فقال هو الذي خلقكم من طين اي من ادم
لانه مخلوق من الطين وخلقكم من النطفة المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر ولا ريب ان خلق الاغذية المتنوعة من العناصر المتشابهة الاجزاء ثم تولد
النطفة المتشابهة الاجزاء من تلك الاغذية المختلفة ثم تخليق الاعضاء المختلفة في الصفة والضوء واللون والشكل كالقلب والدماغ والكبد والعظام
والغضاريف والرباطات والاوتار وغيرها من المادة المتشابهة لا يمكن الا بتقدير مقدر حكيم ومدبر رحيم ثم ان تلك القدرة والحكمة باقية بعد موت
الحيوان فيكون قادرا على اعادتها واعادة الحيوة فيها وذلك يدل على صحة القول بالمعاد اما قوله ثم قضى اجلا فاعلم ان لفظ القضاء قد يجيء بمعنى
بمعنى الحكم والامر وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبمعنى الخبر والاعلام وقضينا الى بني اسرائيل وبمعنى صفة الفعل اذا تم فقضاهن سبع
سموات ومنه قولك قضى فلان حاجة فلان والانسب ههنا هو الاول والاجل في اللغة بمعنى الوقت المضروب لانقضاء الامد واصله من التاخير ومنه الآجل
نقيض العاجل ثم ان صريح الاية يدل على حصول اجلين لكل انسان فقال ابو مسلم الاول اجال الماضين لانهم لما ماتوا صارت اجالهم معلومة والثاني
اجال الباقين لانها غير معلومة بعد انما هي مسماة عند الله تعالى وقيل الاول اجل الموت والثاني اجل القيامة لانه لا اخر له ولا يعلم احد كيفية
الحال في هذا الاجل الا الله تعالى وقيل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني
ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول مقدار ما انقضى من عمر كل احد والثاني ما بقي
من عمره وقال حكماء الاسلام الاول الاجل الطبيعي الذي يمكن بالنسبة الى المزاج الاول لكل شخص لو بقي مصونا عن الافات الخارجية والثاني
الاجل الاخترامي الذي يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق والقتل واللدغ وغيرها من الامور المنفصلة ومعنى مسمى اي مذكور
اسمه في اللوح المحفوظ او عنده اي في حكمه وعلمه كما يقول هذه المسئلة عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا وارتفع اجل بالابتداء وجاز ذلك مع
تنكيره لمكان وصفه فقارب المعرفة ولانه لم يقل وعنده اجل مسمى تعظيما لشان هذا الاجل فكانه قيل واي اجل مسمى عنده والمراد والامتراء الشك ومعنى ثم
استبعاد الامتراء عن مثل هذه الحجج الباهرة الموجبة لليقين في امر المبدأ والمعاد قوله سبحانه عالم بجميع المعلومات ردا على من زعم انه غير عالم بالجزئيات فلا
يمكنه تمييز المطيع من العاصي ولا تمييز اجزاء بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو فقال وهو الله في السموات نعت المجسمة بهذا وبنحو قوله ءامنتم من في السماء انه سبحانه

معنى

مستقر في السماء فالواو تؤكده ووقف بعض القراء على السموات ثم الابتداء بقوله وفي الارض يعلم اي يعلم سركم الموجود في الارض ولو سلم ان لا وقف فالاجماع
حاصل على انه ليس موجودا في الارض ولا يلزم من ترك العمل باحد الظاهرين ترك العمل بالظاهر الآخر من غير دليل ونوقض بانه تعالى لله ما في السموات فلو كان هو في
السماء لزم ان يكون مالكا لنفسه ولا يخفى ضعف هذا النقض لانه مخصوص بالقرينة كقوله ان الله على كل شئ قدير وبانه اما ان يراد كونه في سماء واحدة وهو ترك للظاهر او
في جميع السموات وهو يقتضي كونه ذا اجزاء وحصول المتحيز الواحد في مكانين وكلاهما محال والتحيز لا يلزم من استيضاح المكان لاشتقاق البنية لا التجسم والتجزئة وهو قبيح يفهمه من دون
وبانه لو كان موجودا في السموات لكان محدودا متناهيا فيكون قابلا للزيادة والنقصان فيكون اختصاصه بمقدار معين لمخصص فيكون محدثا ويرد عليه انه لا
ان يكون في السموات وفوقها الى ما لا يتناهى ولا استبعاد عند من يقول ان وراء هذا العالم خلاء غير متناه وبانه لو كان في السموات فان لم يقدر على عالم آخر فوقها
لزم تعجيزه وان قدر فلو فعل لحصل تحت ذلك العالم والقوم منكرون كونه تحت العالم والاعتراض انه لا يلزم من القدرة الايجاد وقال غير المجسمة المراد وهو الله في
تدبير السموات والارض كما يقال فلان في امر كذا اي في تدبيره واصلاحه وعلى هذا يكون في السموات خبرا بعد خبر ويوقف على اسم الله ثم يبتدأ بما بعده وهو الذي يقال له
الله فيهما لا اشتراك له في هذا الاسم والسر من صفات القلوب وهي الدواعي والصوارف والجهر من اعمال الجوارح لان الاول متقدم على الثاني طبعا فلا جرم قدم عليه وضعا والجملة
اعني قوله يعلم سركم وجهركم مقررة لما قبلها او خبر ثالث او كلام مبتدأ ويعلم ما تكسبون الكسب أخص الاعمال السرية والجهرية لانه الفعل المفضي الى اجتلاب نفع او
اندفاع ضرر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بانه كسب وفائدة الاخص بالذكر بعد الاعم للتقرير والتأكيد وكونه اهم حسن لا يلزم منه عطف الشئ على نفسه والمراد انه
عالم بما يستحقه الانسان على افعاله من ثواب وعقاب ثم لما فرغ من دلائل التوحيد والمعاد شرع في النبوات فرتب احوال الكفار مع الانبياء في ثلث مراتب الاولى
كونهم معرضين عن التأمل في الدلائل وذلك قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى للاستغراق والثانية للتبعيض والمراد وما يظهر لهم دليل قط
من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار الا وهم على حالة الاعراض لقلة تدبرهم وفرط غفلتهم الثانية كونهم مكذبين وهذه شر مما قبلها لان الاعراض
قد يكون للغفلة لا للتكذيب اذا كذب فقد اعرض وزاد قال علماء المعاني ههنا حذف كانه قيل انهم كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما
هو اعظم آية وهو الحق قال انه هو انشقاق القمر بمكة انفلق فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة وقيل هو القرآن الذي تحدوا به فعجزوا عنه وقيل محمد
وقيل شرعه وقيل وعده ووعيده وتبشيره وانذاره والاولى الحمل على الكل المرتبة الثالثة كونهم مستهزئين لان التكذيب اذا انضم معه الاستهزاء
كان غاية في الغواية وذلك قوله فسوف يأتيهم انباء ما كانوا اي اخبار الشئ الذي كانوا به يستهزؤن وهو القرآن وغيره من المعجزات وليس
المراد نفس الانباء بل العذاب الذي انبأ الله تعالى به كقوله ولتعلمن نبأه بعد حين والحكيم اذا توعد فربما قال ستعرف نبأ هذا اذا نزل بك عاقبته وذلك
لان الغرض من الخبر حصول العلم بالمخبر عنه وذلك انما يتحقق بعد المعاينة ومعنى الآية سيعلمون باي شئ استهزؤا وانه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند
نزول العقاب بهم في الدنيا كيوم بدر وغيره او في الآخرة ثم لما زجرهم عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء واوعدهم على ذلك عاد الى الموعظة
الفصيحة بتذكير احوال الامم الماضية والقرون الخالية والقرن القوم المقترنون في زمان من الدهر المفترقون بعد ذلك بالموت وذلك الزمان قيل
ستون سنة وقيل سبعون وقيل ثمانون والاقرب انه غير مقدر بزمان لا يقع فيه زيادة ولا نقصان ولكنه اذا انقضى الاكثر من اهل كل عصر فقد انقضى
القرن وليس المراد ان يصدق الكفار محمدا في هذه الاخبار ولانهم يصدقون التكذيب فسيكذبون فيها ايضا وانما المراد ان ما يختص بالمتقدمين منهم مشهور بين
الناس فبعد ان بقي انهم ما سمعوا تلك الحكايات فمجرد سماعها يكفي في الاعتبار ثم وصف تلك القرون بثلثة اوصاف الاول تمكينهم في الارض مكن
له في الارض جعل له مكانا ومكنه فيها اثبته وهما متقاربان ولهذا جمع بينهما في الآية والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام
والسعة في الاموال واسباب الدنيا الثاني ارسال السماء عليهم يعني الغيث او السحاب والخضراء لان المطر ينزل من ذلك الصوب والمدرار الكثير الدر ودر اللبن
اذا اقبل على الحالب منه شئ كثير ومدرارا نعت المطر ويحتمل ايضا سحاب مدرار اذا تتابع امطاره ومفعال من ابنية المبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث
الثالث وجعلنا الانهار تجري من تحتهم اي من تحت امكنتهم والمراد بهم اصحاب البساتين والقصور والمتنزهات فان قيل الهلاك غير مختص بهم وانما
يجري ذلك على الانبياء والمؤمنين ايضا قلنا لدفع هذا الاشكال ذكر فقال فاهلكناهم بذنوبهم فان الاهلاك بسبب المعاصي والآثام لا يكون الا
بالعذاب والايلام ثم نبه بقوله وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين على كمال العزة والاستغناء ونهاية القدرة والاستعلاء كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق
جديد فالبلاد بلاده والعباد عباده والتخريب والتعمير واليه الاعدام والايجاد ثم ان الذين يتمردون عن قبول دعوة الانبياء طوائف متعددة منهم من
بالغ في حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها على وفق هواه ومناه لا على قانون الحجر والعدل فتعذر لذلك عن التزام التكاليف وهو المذكور في الآية وفيه
ان لذات الدنيا ذاهبة وغدا الكفر باق وليس من العقل تحمل العقاب الدائم لاجل اللذات الفانية ومنهم من حمله العصبية والعناد على تكذيب معجزات الانبياء
وجعلها من قبيل السحر الذي لا اصل له وهم الذين عنوا بقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس والمعنى انه لو نزل الكتاب جملة واحدة في صحيفة واحدة
فرأوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه وقالوا انه سحر وههنا سؤال وهو ان نزول الكتاب من السماء جملة ان لم يكن من باب المعجزات لم يكن انكاره
منكرا وان كان من قبيل الاعجاز فالملك يقدر على انزاله من السماء وقبل الايمان بصدق الرسل لم يكن عصمة الملائكة معلومة فيجوز ان يكون
نزول ذلك من قبل بعض الجن والشياطين او من بعض الملائكة الذين لم تثبت عصمتهم فلا يكون دليلا على الصدق واجيب بان المقصود من الآية
ليس بيان الاعجاز ولكن المراد انهم اذا لمسوه بايديهم يقوى الادراك الحسي بالادراك اللمسي ويبلغ الغاية في القوة والظهور ثم ان هؤلاء يقولون مع ذلك ان ذلك الذي



موجود ام لا وذلك يدل على انهم بلغوا في الجهالة الى حد السفسطة قال القاضي لا بد دليل على وجوب اللطف لانه بين انه تعالى لم ينزل هذا الكتاب
من حيث انه لو انزله لقالوا هذا القول فيفهم منه انهم لو قبلوه وامنوا به لانزله لا محالة وزيف بان المفهوم ليس بحجة ولو سلم فوقوع اللطف لا يدل
على وجوبه ومن الكفرة من قابل النبوات بايراد الشبهات والاقتراحات قال الكلبي ان مشركي مكة قالوا يا محمد والله لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من
عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله وذلك قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك فاجاب الله تعالى عن مقترحهم
بقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ومعنى القضاء الاتمام والالزام كما مر وتقرير الجواب ان انزال الملك على البشر اية باهرة وحينئذ
ان لم يؤمنوا فيجب اهلاكهم بعذاب الاستيصال او لعلهم اذا شاهدوا الملك هلكوا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى جبرئيل
على صورته الاصلية غشي عليه وان جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كاضياف ابرهيم ولوط وكالذين تسوروا المحراب وان جبرئيل تمثل
لمريم بشرا سويا وفائدة ثم ان عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة افظع من نفس الشدة ثم انهم كانوا يطعنون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
من جهة اخرى وهي انه بشر مثلهم ويقولون لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وتقرير الشبهة ان الرسل اذا كانوا من زمرة الملائكة كانت
علومهم اكثر وقدرتهم اشد ومهابتهم اعظم وامتيازهم عن الخلق اكمل والاشتباه في نبوتهم ورسالتهم اقل والحكيم اذا اراد تحصيل مهم اختار ما هو
اسرع افضاء الى المطلوب فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله ولو جعلناه اي الرسول ملكا لجعلناه رجلا لان انزال الملك اية ظاهرة جارية مجرى الالجاء
وازالة الاختيار وذلك مناف لغرض التكليف ولان الجنس الى الجنس اميل ولان البشر لا يطيقون رؤية الملك ولان طاعات الملك كثيرة فيحقرون طاعات
البشر ويستعظمون اقدامهم على المعاصي فلا يصبرون معهم ولان انزال الملك يقوي الشبهة من وجه اخر وذلك ان اي معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته
باختيارك وقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة لفعلنا مثل ما فعلت ثم قال وللبسنا عليهم ما يلبسون لبست الامر على القوم
البسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ومنه لبس الثوب لانه يفيد الستر والمعنى اذا جعلنا الملك في صورة البشر كان فعلنا نظير فعلهم في التلبيس
وانما كان ذلك لبسا لان الناس يظنونه ملكا مع انه ليس بملك ويظنونه بشرا مع انه ليس ببشر وانما كان فعلهم لبسا لانهم يخلطون على انفسهم ويقولون ان
البشر لا يصلح للرسالة فلا ينقطع السؤال ابدا ويبقى الامر في حيز الاشتباه وعلى هذا التفسير يكون قوله ما يلبسون مفعولا مطلقا ويجوز ان يراد ولخلطنا عليهم ما
يخلطون على انفسهم حتى يكون مفعولا به يعني ان القوم اذا راوا الملك في صورة الانسان اشتبه الامر عليهم واذا كنا قد فعلنا ذلك كان اللبس منسوبا الينا
ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق اي نزل وقال الفراء عاد عليهم والتركيب يدور على الاحاطة
ومنه الحوق بالضم ما استدار من الكمرة ما كانوا اي الشيء الذي كانوا به يستهزءون وهو الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم واسند الحوق اليه حيث
اهلكوا لاجل الاستهزاء به ويحتمل ان يراد بلفظة ما العذاب الذي كان يخوفهم الرسول صلى الله عليه وسلم نزوله وهم يستهزءون بذلك ثم امر رسوله بان يقول لهم لا تغتروا بما
وجدتم من زخارف الدنيا وسيروا في الارض لتشاهدوا اثار الامم السالفة الذين كذبوا رسلهم ونزل بهم ما نزل فان الاسفار تورث الاعتبار و
تفيد الاستبصار واعلم انه سبحانه قال ههنا ثم انظروا وفي موضع اخر فانظروا فالفاء لمجرد اعتبار ترتب النظر على السير وثم لتباعد ما بين المباح والواجب فان
السير مباح والنظر واجب وايضا شتان بين السير الصوري بقدم الاشباح وبين السير المعنوي بقدم الارواح والله اعلم التاويل حمد نفسه لقدمه الازلي
على ان خلق سموات القلوب وارض النفوس وجعل الظلمات اي الصفات البهيمية والسبعية في النفوس والنور في القلوب هو صفاتها الملكية والروحانية فخص
الجعل بالمعاني التي هي من عالم الامر والخلق بالاعيان لانها من عالم الصورة ولهذا لما ذكر صورة ادم قال اني خالق بشرا من طين وحيث اراد معناه قال اني
جاعل في الارض خليفة ثم بعد هذا الجعل والخلق مال نفوس الكفار بغلبات الظلمات الى طاغوت الهوى فجعلوه عديلا لربهم ثم قضى اجلا للروح
المفارق عن حضرته لايام فراقه واجل مسمى عنده وهو اجل الوصال بعد الفراق بجذبة ارجعي الى ربك ثم انتم تمترون يا اهل الوصال كما يمتري اهل الفراق
وهو الله في سموات القلوب في ارض النفوس يعلم سر الخلافة الذي اودع فيكم وجهركم الذي يظهر عنكم ويعلم ما تكسبون باستعمال الاستعداد في السر
والجهر في المامورات والمنهيات في الخير او الشر من اية من ايات ربهم وهي الايات في الافاق وفي انفسهم مكناهم في طلب الحق من قهر النفس واسباب الخيرات و
الطاعات وارسلنا مطر الواردات من سماء القلوب عليهم مدرارا متواليا وجعلنا انهار الحكمة تجري من تحت نظرهم فاهلكناهم مع هذه المقدمات اردناهم
بذنوبهم وهو طلب الدنيا ما لها وجاهها وانشانا من بعدهم قرنا اخرين من الطلاب الصادقين التائبين المستقيمين ولو جعلناه رجلا ليفهموا خطابه ويكونوا
واقفا على الاحوال البشرية فيعالجهم بما يرى فيه صلاح حالهم كما قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم قل سيروا في ارض النفوس بقدم التقوى
وفي الفناء الحقيقي الى ان تبلغوا سواحل بحار القلوب فتشاهدوا بانوار الله الموجودة فيها عاقبة من هلكوا في بوادي القطيعة اذ ساروا بقدم الطبيعة

بكلامه القائم الازلي

وهذا اجمال

قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله
ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من
اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل اي
شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا

اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون القراءة انى امرت بفتح ياء
المتكلم ابو جعفر ونافع انى اخاف بفتح الياء فيهما وابن كثير وابو عمرو الباقون بالسكون من يصرف مبنيا للفاعل سهل ويعقوب وحمزة وعلى وخلف و
عاصم سوى حفص والمفضل الباقون مبنيا للمفعول ائنكم بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر هشام يدخل بينهما مدة اينكم بالياء بعد الهمزة ابن
كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد اينكم بالمد والياء ابو عمرو ويزيد وزيد وقالون بتخيير همز حيث كان يزيد وحمزة في الوقف نحشرهم
ثم نقول بياء الغيبة فيهما يعقوب الباقون بالنون ثم لم تكن بتاء التانيث حمزة وعلى وحماد والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بالياء فتنتهم بالرفع ابن كثير
وابن عامر وحفص والمفضل الباقون بالنصب والله ربنا بالنصب على النداء حمزة وعلى وخلف والمفضل الباقون بالجر على البدل او البيان الوقوف
الارض قل لله الرحمة لان قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وقيل لا وقف ليجمعنكم جواب معنى القسم في كتب فيه نظر لان كتب عدة ناجزة وليجمعنكم وعد
منتظر لا ريب فيه بناء على ان الذين مبتدأ فيه معنى الشرط لا يؤمنون والنهار العليم ولا يطعم من المشركين عظيم رحمه المبين الا هو قدير عباده الخبير
شهيدا ومن بلغ اخرى لانتهاء الاستفهام الى الاخبار قل لا اشهد لاتساق الكلام بلا عطف تشركون ابناءهم لئلا يوهم ان ما بعده وصف لا يؤمنون
لضعف التسبيع بآياته الظالمون تزعمون مشركين يفترون التفسير سبحانه لما برهن على اثبات الصانع وتحقيق النبوات وتقرير المعاد انجر الكلام الى الامر
باعتبار احوال الغائبين عاد الى اثبات هذه المطالب بطريق الالزام واخذ الاعتراف وذلك ان آثار الحدوث وسمات الامكان لائحة
على صفحات السموات والارض بالغة في ظهورها الى حيث لا يقدر منكر على انكارها فكان في السؤال تبكيت وافحام وفي الجواب تقرير والزام اي هو لله بلا
مراء وشقاق ولن يتم الملك لله اذا كان قادرا على الاعادة كما هو قادر على الابتداء ولن تحصل حكمة الاعادة الا بثواب المطيعين وعقاب العاصين
ولن يحسن ايصال الثواب والعقاب الا بعد نصب الدلائل وارسال الرسل فلاجل ذلك قال كتب على نفسه الرحمة اي بنصب الادلة وازاحة العلة
ايجابا للفضل والكرم وتبيين وجه الرحمة هي انه يمهلهم مدة عمرهم ولا يعاجلهم بالاستيصال او فرض على نفسه الرحمة لمن ترك التكذيب بالرسل وتاب وآمن
وصدقهم وقبل شريعتهم او تلك الرحمة هي انه يجمعهم الى يوم القيامة فانه لولا هذا التهديد لحصل الهرج والمرج وارتفع الضبط وكثر الخبط كانه قيل
لما علمتم ان كل ما في السموات والارض لله تعالى وانه مالك الكل فاعلموا ان الملك الحكيم لا يهمل امر عبيده ولا يجوز في حكمته التسوية بين المطيع والعاصي
والغافل والساهي ومعنى ليجمعنكم الى المحشر في يوم القيامة فان الجمع يكون الى المكان لا الى الزمان وقيل ليجمعنكم في الدنيا خلقكم قرنا بعد قرن الى يوم القيامة
قال الاخفش الذين خسروا بدل من ضمير المخاطبين في ليجمعنكم وقال الزجاج انه مبتدأ خبره فهم لا يؤمنون وذلك لتضمنه معنى الشرط فكانه قيل لما
للمشركين مع وضوح الدلائل الباهرة لا يؤمنون فاجيب الذين خسروا انفسهم اي في علم الله وسابق قضائه فهم لا يؤمنون في طرف الابد فكان امتناعهم
الآن عن الايمان مسببا عن سبق القضاء عليهم بالخسران والخذلان وقال في الكشاف الذين خسروا نصب او رفع على الذم بمعنى اريد الذين او انتم الذين
ثم لما بين ان له المكان والمكانيات ارتقى في البيان كما هو شان الترتيب التعليمي الى ما هو اخفى من ذلك عند الحس وهو الزمان والزمانيات فقال
وله ما سكن في الليل والنهار عن ابن عباس ان كفار مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد صلى الله عليه وآله انا قد علمنا انه انما يحملك على ما تدعو اليه
الحاجة فنحن نجعل لك نصيبا من اموالنا حتى تكون من اغنانا رجلا وترجع عما انت عليه فنزل وله ما سكن الآية قيل اشتقاقه من السكون والتقدير
كل ما سكن وتحرك كقوله سرابيل تقيكم الحر اي تقيكم الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر للقرينة والاصوب انه اشتقاقه من السكنى كما يقال فلان
سكن ببلد كذا اي حل فيه والمراد كل ما حل في الوقت والزمان سواء كان متحركا او ساكنا او ثابتا وذلك ان الدخول تحت الزمان يستلزم التغير والحدث
فلا بد له من محدث يتقدم عليه وعلى نفس الزمان وهو السميع العليم الذي يسمع نداء المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين فيوصل كل ممكن الى كمال
يليق به ويستعد له ثم لما كان لزاعم ان يزعم ان الذي يتعالى عن المكان وعن الزمان قد يكون ممكنا في نفسه كالمفارقات التي يثبتها الفلاسفة فلا
جرم قال قل اغير الله اتخذ منكرا لاتخاذ غير الله وليا ولذلك قدم المفعول لكونه اهم ولو كان حرف الاستفهام داخلا على الفعل توجه الانكار الى
الى نفس اتخاذ الولي وانه غير مهم فاطر السموات عطف بيانا من الله او بدل وقرئ بالرفع على اضمار هو وبالنصب على المدح وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر
حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها قال ابن الانباري اصل الفطر الشق وقد يكون شق اصلاح كقوله فاطر السموات
والارض اي خالقهما ومنشئهما بالتركيب الذي سبيله ان يحصل فيه الشق والتاليف عند ضم بعض الاشياء الى بعض وقد يكون شق افساد ومنه قوله تعالى هل ترى من
فطور اذا السماء انفطرت وهو يطعم ولا يطعم اي هو الرازق لغيره ولا يرزقه احد الرزق والاطعام وان كان امتنانا والا لم يحسن العطف في قوله وما اريد
ان يطعمون الا انهما متقاربان فحسن جعل احدهما كناية عن الآخر وقرئ وهو يطعم مبنيا للمفعول ولا يطعم مبنيا للفاعل على ان الضمير لغير الله وقرئ وهو يطعم
ولا يطعم كلاهما للفاعل والمعنى هو يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله والله يقبض ويبسط او الثاني بمعنى لا يستطعم وحاصل الآية انه يجب شغل القلب كله بالله وقطع
العلائق بالكلية عما سواه لانه الجواد المطلق الذي يهب لا لعوض ولا انتفاع ثم بين ان النبي ايضا داخل في تكليف المعرفة بل هو اسبق قدما في ذلك فقال قل انى
امرت ان اكون اول من اسلم وقيل لي لا تكونن من المشركين وفيه ان الواعظ يجب ان يتعظ اولا بما يقوله فالمريض لا يتصور منه العلاج ثم ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة

لنضمنكم وقيل حذف اي الجمع

انا فطرتها اي



قدره بصدد المؤاخذة على تقدير المخالفة فقال قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ولا يلزم من هذا جواز المعصية عنه لأن الفرض قد يتعلق
بالمستحيل كقولك إن كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة بمتساويين من قرأ من يصرف مبنيا للفاعل فالضمير فيه عائد إلى الله والمفعول وهو العذاب محذوف
لكونه معلوما أو مذكورا قبله قال في الكشاف ويجوز أن تنتصب يومئذ على أنه مفعول به ليصرف أي من يصرف الله عنه ذلك اليوم هوله ومن قرأ على بناء
المفعول فهو مسند إلى ضمير العذاب لم يسم الفاعل وهو الله تعالى للعلم به فقد رحمه أي الله الرحمة العظمى كقولك إن أطعمت زيدا من جوعه فقد أحسنت
إليه يعني كمال الإحسان أو المراد فقد أدخله الجنة فإن من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب تفضلا أو استحقاقا فالأشاعرة في الآية دلالة على أن إيصال
الثواب على الطاعة غير واجب وإنما هو ابتداء فضل وإحسان وإلا لم يحسن ذكر الرحمة ههنا ألا ترى أن الذي يقضي منه أن يضرب يدا فإذا لم يضرب به لا يقال إنه
رحمه وذلك إلى صرف العذاب أيضا الثواب على سبيل التفضل أو الاستحقاق الفوز المبين لأنه المطلب الأعلى والمقصد الأسنى لكل مكلف ثم أكد
المعنى المذكور وهو أنه لا يجوز للعاقل أن يرغب في اتخاذ ولي غير الله بقوله وإن يمسسك الله بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من البليات فلا
كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير من غنى أو صحة فهو على كل شيء قدير عمم الحكم ليندرج تحته كل خير والحاصل أن اندفاع جميع المضار بقدرته
وكذا حصول جميع الخيرات لأن كل ما عداه فإنما هو تحت قهره وتسخيره وقد حصل بإيجاده وتكوينه فإن الممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد الواجب لذاته ورأس
المضار هو الكفر وسنام الخيرات هو الإيمان ولن يحصل نفرة الكفر وداعية الإيمان إلا بتوفيقه تعالى وكل ما يتصور أنه قد نفع أو ضر من الجمادات أو
الحيوانات فإن ذلك ينتهي إلى تخليق الله وجعله ذلك الشيء واسطة لذلك النفع والضر فلا ضار ولا نافع بالحقيقة إلا هو سبحانه ثم زاد لهذا المعنى
بيانا فقال وهو القاهر فوق عباده وهو إشارة إلى كمال القدرة وهو الحكيم الخبير وإنه إشارة إلى كمال العلم فالحكمة أعم من العلم لأنها عمل وعلم وكونه
خبيرا أخص من العلم لأنه العلم ببواطن الأمور وخباياها فإذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم بكماله وغايته وقد استدل بظاهر الآية من أثبت الفوقية
لله تعالى وعورض بوجوه منها أنه لو كان فوق العالم بأن كان في الصغر بحيث لا يتميز منه جانب من جانب كالجوهر الفرد مثلا فذلك لا يقوله عاقل وإن كان
ذاهبا في الأقطار كلها كان متجزيا والجواب أنهم لا يجوزون أن يكون نورا قائما بذاته غير متناه لا متجزيا ولا متبعضا قاهرا لجميع الأنوار غالبا على جميع الأشياء
لا غاية لجوده ولا نهاية لوجوده وأما أنه كيف يتصور نور بلا نهاية مع أنه لا ينقسم ولا يتبعض فتجرد استبعاد فلا يصلح حجة وإدراك شيء من هذا النور
محتاج إلى نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ومنها أنه لو كان غير متناه من كل الجهات لزم اختلاطه بالقاذورات والجواب أن هذا كلام
تخييل فلا يستعمل في البرهان ومنها أنه لو لم يكن خارج العالم خلاء ولا ملاء لم يكن حصول ذات الله تعالى فيه وإن كان خلاء فحصوله في جزء من أجزاء ذلك الخلاء
دون سائر أجزائه محتاج إلى مخصص فيكون الواجب مفتقرا فيكون محدثا هذا خلف والجواب إنما ذكرنا أن نور الأنوار لا يتناهى وإنه وراء
ما لا يتناهى بما لا يتناهى فيسقط هذا الاعتراض ومنها أنه سبحانه موجود قبل الخلاء والخير والجهة فلا يكون بعد حصول هذه الأشياء موجودا فيها وإلا
لزم التغير في ذاته والجواب بالفرق بين المباينة وبين الانفصال ومنها أن العالم كرة فإما أن يكون لله تعالى فوق أقوام بأعيانهم وحينئذ يلزم أن يكون
تحت أقوام من يقابلهم وإما أن يكون فوق الكل فيكون فلكا محيطا بسائر الأفلاك وهذا لا يقوله مسلم والجواب لا نزاع بعد تسليم كون العالم
كرة أنا نختار القسم الأول ولا يلزم التحتية لأن التحت من جميع الجوانب هو ما يلي المركز والفوق ما يلي السماء أو القسم الثاني ولا يلزم من إحاطته بجميع
الأشياء كونه فلكا كسائر الأفلاك وأما التحقيق فقد مر ومنها أن لفظ الفوق في الآية مسبوق بالقهر فيراد به القدرة والمكنة وملحوق بلفظ عبادة
وأنه يشعر بالمملوكية والمقدورية فالمناسب أن يراد بالفوقية أيضا فوقية القدرة ولا يلزم التكرار لأن المراد أن القهر والقدرة عام في حق
الكل والجواب أن حمل الوسط على الطرفين ليس أولى من العكس بل لا نزاع في مفهوم العباد وإنما النزاع في مفهومي القاهرية والفوقية وحمل أحدهما على
الآخر ليس أولى من عكسه ومنها أن الآية سيقت ردا على من اتخذ غير الله وليا وهذا إنما يحسن لو كان المراد بالفوقية القدرة لا الجهة والجواب أن الفوقية
بالوجه الذي قررنا في جواب الاعتراض الأول يفيد الاستعلاء المطلق وذلك يوجب أن يكون التعويل عليه في كل الأمور إذ لا وجود ولا ظهور لشيء من
الأشياء إلا بفيضه نوره وقد يلوح للمتأمل في هذه الأجوبة بعد التنزيه عن التشبيه والتجسيم والحلول والاتحاد أسرار غامضة شريفة إن كان أهلا لها
وكان ميسرا لما خلق له قال الكلبي إن رؤساء مكة قالوا يا محمد ما نرى أحدا يصدقك بما تقول من أمر الرسالة ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا
أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم فنزلت قل أي شيء أكبر شهادة الآية قال العلماء إنها دلت على أن أكبر
الشهادات وأعظمها شهادة الله ثم بين أن شهادة الله حاصلة إلا أنها لم تدل على أن تلك الشهادة لإثبات أي المطالب فقيل إنها لإثبات نبوة
محمد لما ذكرنا من سبب النزول والمعنى قل يا محمد أي شيء أكبر شهادة حتى يعترفوا بأن أكبر شهادة حتى يعترفوا بأن أكبر الأشياء شهادة هو الله تعالى
فإذا اعترفوا بذلك فقل إن الله شهيد لي بالنبوة بأن أظهر على وفق دعواي معجزا هو القرآن الذي عجز منه معاشر الفصحاء والبلغاء عن معارضته وقيل إن حصول
هذه الشهادة في وحدانية الله تعالى فإن الوحدانية ليست مما يتوقف صحته على صحة السمع فلا يمتنع إثباتها بالسمع والمعنى قل الله شهيد بيني
وبينكم في إثبات الوحدانية والبراءة عن الأضداد والأنداد والأمثال والأشباه وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به وأبلغكم أن الذين هو التوحيد
والتبري من ... واستدل الجمهور بالآية على أنه يصح إطلاق الشيء على الله تعالى وخالفهم جهم محتجا بقوله خالق كل شيء إذ لا يمكن دعوى التخصيص فيه
فإن التخصيص إنما يجيء في صورة شاذة لا يلتفت إليها لقلة اعتبارها فيطلق لفظ الكل على الأكثر تنبيها على أن البقية جارية مجرى العدم فلو كان

البارى تعالى شيئا لكان اعظم الاشياء واشرفها فيكون اخراجه من هذا العموم محض الكذب واحتجوا ايضا بان الشئ يطلق على المعدوم لقوله تعالى ولا تقولن
لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله والشئ الذى سيفعله غدا معدوم فى الحال فالشئ لا يفيد صفة مدح فلا يطلق عليه والجواب عن الاول
ان اخراج الاكثر من العموم جائز عندنا ولو سلم فانه تعالى واحد من الاشياء والمخرج بهذا الاعتبار اقل عددا من الباقى وعن الثانى ان لفظ الشئ
اعم الالفاظ وقد يصدق الخاص كالذات والحقيقة صدق العام بالضرورة قاله ثم قال الله شهيد جملة مستقلة بنفسها لا تعلق لها بما قبلها فلا
يصح استدلالكم قلنا قل اى شئ سؤال ولا بد له من جواب هو اما مذكور او مقدر قل الله اكبر الاشياء شهادة ثم ابتدئ فقيل شهيد اى هو شهيد بينى
وبينكم او محذوف المعنى قل هو الله والله شهيد بينى وبينكم وحسن الحذف لانه اذا سئل عن اكبر الاشياء شهادة وذكر بعد ذلك ان الله
شهيد علم ضرورة ان اكبر الاشياء شهادة هو الله ثم قوله ومن بلغ معطوف على ضمير المخاطبين والعائد اليه محذوف اى لانذركم يا اهل مكة وانذر كل من بلغه
القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما راى محمدا صلى الله عليه وآله وقيل ومن بلغ اى
من احتلم بلغ اوان التكليف وعلى هذا فلا حاجة الى اضمار العائد ثم استفهم مبكتا فقال ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى وصف الجمع بصفة الواحدة كما
يقال الرجال فعلت ثم دل على ايجاب التوحيد بثلث جمل اولاها قل لا اشهد اى بما تذكرونه من اثبات الشركاء وثانيتها قل انما هو اله واحد
وكلمة انما تفيد الحصر وثالثتها واننى برئ مما تشركون ومن هنا قال العلماء المستحب لمن اسلم ابتداء ان ياتى بالشهادتين ويضم اليهما التبرى عن كل دين سوى
دين الاسلام ولما زعم مشركوا مكة انهم سئلوا اليهود والنصارى عن نعت محمد صلى الله عليه وآله فقالوا ليس عندنا ذكره كذبهم الله تعالى بقوله الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه اى يعرفون رسول الله بنعوته وحلاه الثابتة فى الكتابين كما يعرفون ابناءهم بالنعوت والحلى لا يخفى عليهم ولا يشتبهون لغير ابنائهم
الذين خسروا انفسهم اما بدل او بيان من الذين الاولى ويكون المقصود وعيد المعاندين منهم والجاحدين واما مبتدأ والكلام جملة مستأنفة شاملة لجميع الجاحدين
من اهل الكتاب ومن المشركين والمراد بخسران النفس الهلاك الدائم الذى يحصل لهم بسبب الكفر وقيل ما من احد الا وله منزل فى الجنة الا ان من كفر
يحال منزله الى من اسلم فيكون قد خسر نفسه واهله بان ورث منزله غيره ثم بين سبب خسرانهم مستفهما على سبيل الانكار فقال ومن اظلم وذلك
انهم جمعوا بين امرين متنافيين اثبات الباطل وهو الافتراء على الله وجحد الحق وهو التكذيب بآيات الله فمن الاول ان المشركين كانوا يقولون للاصنام
انهم شركاء الله والله امرهم بذلك وكانوا يقولون الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله واليهود والنصارى كانوا يزعمون ان التوراة والانجيل لا
يتطرق اليهما النسخ وانهم ابناء الله واحباؤه وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة الى غير ذلك من مفترياتهم ومن الثانى قدحهم فى القرآن وفى
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله انه لا يفلح الظالمون الذين وضعوا الشئ فى غير موضعه الباطل مكان الحق والحق بازاء الباطل ثم كشف عن حالهم يوم
القيمة فقال ويوم نحشرهم وناصبه محذوف اى يوم كذا كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذى هو ادخل فى الوعيد ويحتمل ان يكون
مفعولا اذكروا او معطوفا على محذوف اى لا يفلح الظالمون فى الدنيا ويوم الحشر اين شركاؤكم آلهتكم التى جعلتموهم شركاء الذين كنتم تزعمون هم شركاء
فحذف المفعولان والمقصود من هذا الاستفهام التقريع والتبكيت ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حيث لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ويجوز
ان يحال بينهم وبين آلهتهم وقت التوبيخ ليفقدوهم فى الساعة التى علقوا بهم الرجاء فيها فيزداد حسرتهم ويحتمل ان يقال اين شفاعتهم لكم وانتفاعكم
بهم والغرض من جميع الوجوه ان يفكروا فى نفوسهم ان الذى يظنونه مما يؤيس منه فيصير ذلك تنبيها لهم فى الدنيا على فساد هذه الطريقة ثم لم تكن فتنتهم
من قرأ بالرفع على انه اسم كان فالخبر الا ان قالوا والتقدير شيئا الا ان قالوا ومن قرأ بالنصب مع تذكير يكن فعكس اى قلنا والتقدير شئ الا ان قالوا
واما مع تانيث يكن فلوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك وبتاويل مقالتهم قال الواحدى الاختيار قراءة من قرأ بالنصب لان ان اذا وصلت بالفعل
لم يوصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر وكما ان المضمر والمظهر اذا اجتمعا كقولك كنت انت القائم كان جعل المضمر اسما اولى من جعله خبرا فكذلك ههنا
قال الزجاج تأويل هذه الآية حسن فى اللغة لا يعرفه الا من وقف على معانى كلام العرب وذلك انه تعالى بين كون المشركين مفتونين بشركهم منهمكين
منهمكين فى حبه فذكر ان عاقبة كفرهم الذى لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا انه دين آبائنا لم تكن الا الجحود والتبرى والحلف على عدم
التدين به ومثاله ان ترى انسانا يحب شخصا مذموم الطريقة فاذا وقع فى محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ما كانت محبتك اى عاقبة محبتك لفلان
الا ان تبرأت منه وتركته فعلى هذا فتنتهم هى شركهم فى الدنيا كما فسرها ابن عباس ولكن لا بد من تقدير مضاف وهو العاقبة ويجوز ان يراد ثم لم يكن
جوابهم الا ان قالوا فسمى فتنة لانه كذب قال القاضيان الجبائى وابو بكر ان اهل القيمة لا يجوز اقدامهم على الكذب لانهم يعرفون الله تعالى
بالاضطرار فيكونون ملجئين الى ترك القبيح وكيف لا وانهم يعلمون ان ذلك لا يروج منهم ولا يستفيدون به الا زيادة المقت والغضب من الله
تعالى عليهم ولا يجوز ان يقال انهم لما عاينوا القيمة اختلت عقولهم واضطربت فلهذا قالوا الكذب وانهم نسوا كونهم مشركين فى الدنيا لانه لا يليق
بحكمته تعالى ان يوبخهم ثم يحكى عنهم ما يجرى مجرى الاعتذار عند اختلال عقولهم ولان تجويز نسيان ما مر عليه الشخص مدة عمره نوع من السفسطة
وايضا انهم لو كذبوا فى موقف القيمة ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد اقدموا على نوعين من القبيح فان عوقبوا على ذلك صارت الآخرة دار التكليف
وان لم يعاقبوا كان اذنا من الله تعالى فى ارتكاب الذنوب وكلاهما محال فاذن الوجه فى الآية ان يقال ان القوم كانوا يعتقدون فى انفسهم ويظنون انهم
موحدون فاجابوا بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اى فى اعتقادنا وظنوننا وعلى هذا فيكونون صادقين فيما اخبروا عنه لانهم كانوا غير مشركين

عند انفسهم فيجب تاويل قوله ثم انظر كيف كذبوا على انفسهم بان المراد كذبهم في دار الدنيا كقولهم انهم على صواب وان ما هم عليه ليس بشرك وان
آلهتهم شفعاؤهم عند الله فلهذا قال وضل عنهم اي وانظر كيف غاب عنهم في الآخرة ما كانوا يفترون اي يفعلون الهية وشفاعة والحاصل ان
الآية سيقت لبيان تضاد حاليهم في الدنيا وفي الآخرة بالكذب بالصدق لان الصدق في الآخرة انما يعتبر اذا كان مقرونا بالصدق في الدنيا هذا حاصل
كلام القاضيين قال جمهور المفسرين ان قول القائل لم يرد ما كنا مشركين في اعتقادنا وكيف كذبوا على انفسهم في الدنيا مخالف الظاهر وان الكفار قد يكذبون
في القيامة لقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون الى قوله الا انهم هم الكاذبون ولو سلم انهم لا يكذبون تعمدا الا ان المتحير ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه حيرة
ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم واختلال عقولهم حال
ما يتكلمون بهذا الكلام لا يمنع كمال عقلهم في سائر الاوقات التأويل ما في الكون سوى الله لا داع ولا مجيب فلهذا يسئل ويجيب قل لمن ما في السموات والارض قل
لله وله ما سكن في ليل البشرية الى التمتعات الحيوانية وفي نهار الروحانية الى المواهب الربانية وهو السميع انين من سكن اليه العليم بحنين من اشتاق
اليه فلا غير الله اتخذ وليا وقد تحقق ان الله في الازل حبيبا فاطر سموات القلوب على محبته وفاطر ارض النفوس على عبوديته وهو يطعم ارواح العارفين
طعام العاطفين طعام المشاهدات ويسقيهم كؤوس المكاشفات ولا يطعم لانه لا يحتاج الى قبول الفيض من غيره فالانوار عنده كالذرات اول من اسلم
لاني خرجت من حبس الوجود بالكلية وحدي ولهذا يقول الانبياء نفسي نفسي واقول امتي امتي ان عصيت ربي برؤية الغير عذاب يوم عظيم هو وقت
الاستنزال عن مقام التوحيد من يصرف عنه عذاب الشرك يوم قدر الشرك للاقوام والتوحيد للاقوام وان يمسسك الله بضر ان دائرة ازلية
متصلة ابدية وكل نقطة من الدائرة تصلح للبداية والنهاية فكل ما صدر منه فلن ينتهي الا به وهو القاهر فوق عباده قهر الكفار بموت القلوب
فضلوا في ظلمات الطبيعة وقهر نفوس المؤمنين بانوار الشريعة فخرجوا من ظلمات الطبيعة وقهر قلوب المحبين بلدغات الاشواق الى يوم التلاقي
وقهر ارواح الصديقين بسطوات الجلال في اوقات الوصال وهو الحكيم فيما يقهر فلا يخلو من حكمة الخبير لمن يستاهل كل صنف من قهره نوره قل الله
اكبر شهادة لانه محيط بحقائق الاشياء ولا يخفى عليه شيء من الاشياء ومن بلغ القرآن ووقف على حقائقه ويقول بلسان حاله للمشركين ائنكم لتشهدون
الذين آتيناهم الكتاب يعني العلماء بالقرآن يعرفون الله او النبي وفيه اشارة الى ان الابناء قد تحقق عندهم انهم مصادر الآباء فكذلك اهل المعرفة قد تحقق
عندهم ان الله مصدر جميع الاشياء الذين خسروا انفسهم بافساد الاستعداد الفطري ويوم نحشرهم جميعا يعني اهل المعرفة والنكرة اين شركاؤكم من الهوى
والدنيا كذبوا على انفسهم لانهم كذبوا في الدنيا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ۝ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ



قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون القراءة ولا نكذب ونكون بالنصب فيهما حمزة ويعقوب وافق ابن عامر في ونكون الباقون بالرفع ولدار الآخرة بالإضافة ابن عامر بتأويل لساعة الآخرة الباقون بتنوين الدار ورفع الآخرة على الوصفية تعقلون بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص وكذلك في الأعراف يكذبونك بالتخفيف من أكذبه إذا وجده كاذبا علي ونافع والأعشى في اختياره الباقون بالتشديد من كذبه إذا نسبه إلى الكذب أن تنزل بالتخفيف ابن كثير الوقوف وقرأ بها الأولين وينأون عنه لا ابتداء النفي مع واو العطف وما يشعرون من المؤمنين من قبل الكاذبون لمبعوثين لضعف الجزء وبربهم بالحق وربنا تكفرون بلقاء الله لأن حتى للابتداء فيها لأن الواو للحال على ظهورهم يزرون ط وللهو ط يتقون ط يعقلون يجحدون نصرنا لانقطاع النظم مع اتحاد المقصود لكلمات الله كذلك المرسلين بآية من الجاهلين يسمعون يرجعون من ربه لا يعلمون التفسير

لما بين أحوال الكفار في الآخرة أتبعه بعض أسباب ذلك فقال ومنهم من يستمع إليك قال ابن عباس حضر عند رسول الله صلى الله عليه وآله أبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبي ابنا خلف واستمعوا إلى حديث رسول الله فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال ما أدري ما يقول إلا أني أرى تحريك شفتيه يتكلم بشيء وما يقول إلا أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه فنزلت الآية والأكنة جمع كنان وهو ما وقى شيئا وستره من الأغطية والغلف ومنه أكننت وكننت وأن يفقهوه مفعول له أي كراهة فقههم والوقر الثقل في الأذن والتركيب يدل على الثقل ومنه الوقر بالكسر للحمل والوقار الحلم وفي الآية دلالة على أن الله تعالى هو الذي يصرف عن الإيمان ويحول بين المرء وبين قلبه وقالت المعتزلة لا يمكن إجراؤها على ظاهرها وإلا كان فيها حجة للكفار ولأنه يكون تكليفا للعاجز ولم يتوجه ذمهم في قولهم وقالوا قلوبنا غلف فلا بد من التأويل وذلك من وجوه الأول قال الجبائي إن القوم كانوا يستمعون لقراءة الرسول ليتوسلوا باستماع قراءته إلى مكانه بالليل فيقصد قتله وإيذاءه فكان الله تعالى يلقي على قلوبهم النوم والغفلة وعلى آذانهم الثقل وزيف بأن المراد لو كان ذلك لقيل أن يسمعوه بدل أن يفقهوه وبأن قوله وإن يروا كل آية أي كل دليل وحجة لا يؤمنوا بها لا يناسبها الثاني أن المكلف الذي علم الله تعالى أنه لا يؤمن وأنه يموت على الكفر يسم قلبه بعلامة مخصوصة ليستدل الملائكة برؤيتها فلا يبعد تسمية تلك العلامة بالكنان مع أنها في نفسها ليست بمانعة عن الإيمان الثالث يقال إنه جبل على كذا إذا كان مصرا عليه وذلك على جهة التمثيل الرابع لما منعهم الألطاف التي تصلح أن يفعل بالمهتدين فوض أمورهم إلى أنفسهم لم يبعد أن يضيف ذلك إلى نفسه الخامس أن هذا حكاية قولهم في إذا نشاء وقر ومن بيننا وبينك حجاب وعورضت هذه الأدلة بالعلم والداعي وذلك أن الله تعالى علم من الكافر أنه لا يؤمن وخلاف علمه محال وأنه سبحانه هو الذي خلق فيهم داعية الكفر ومع وجود تلك الداعية يستحيل الإيمان فهو المعني بالكنان وتحقيق المسألة تقدم في أول سورة البقرة في قوله ختم الله على قلوبهم والإفراد في يستمع والجمع في قلوبهم اعتبار للفظ من تارة ولمعناه أخرى حتى إذا جاؤك هي حتى الابتدائية التي يقع بعدها الجمل كقوله حتى ماء دجلة أشكل والجملة ههنا مجموع الشرط والجزاء أعني قوله إذا جاؤك ويجادلونك في موضع الحال ويجوز أن يكون جارة حتى أي وقت مجيئهم ويجادلونك حال يجادلونك ويقول تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى حالة المجادلة ثم فسر الجدل بأنهم يقولون إن هذا إلا أساطير الأولين وأصل السطر هو أن يجعل شيئا ممتدا مؤلفا في صفة سطر الكتاب سطر من نخيل جمعه أسطار وجمع الجمع أساطير وقال الزجاج واحد الأساطير أسطورة كأحاديث واحدها أحدوثة قال أبو زيد لا واحد له كعباديد قال ابن عباس معناه أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها أي يكتبونها ومن فسر الأساطير بالخرافات والترهات نظر إلى أن الأغلب هو أن لا يكون فيها فائدة معتبرة كحديث رستم وغيره فذلك معنى وليس بتفسير ثم إن غرض القوم من هذا القول هو القدح في كون القرآن معجزا كما أن الكتب المشتملة على الأخبار والقصص ليست بمعجزة والجواب أن هذا مقرون بالتحدي وقد عجزوا عن آخرهم دون تلك فظهر الفرق ثم أكد طعنهم في القرآن بقوله وهم ينهون عنه قال محمد بن الحنفية وابن عباس في رواية والسدي والضحاك أي عن القرآن وتدبره والاستماع له وينأون عنه والنأي البعد نأيته ونأيت عنه وناء الرجل إذا بعد لغة في نأى وحملوه على القلب لأن المصدر لم يجيء إلا على النأي وقيل الضمير للرسول والمراد النهي عن اتباعه والتصديق بنبوته جمعوا فيه بين الشيئين النهي والنأي فضلوا وأضلوا وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله ويتباعد عما جاء به روي أن قريشا اجتمعوا إلى أبي طالب يريدون سوءا بالنبي صلى الله عليه وآله فقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد بالتراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقر بذاك منك عيونا

وعرضت دينا لا محالة أنه ... من خير أديان البرية دينا

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وضعفت هذه الرواية بأن قوله وإن يهلكون إلا أنفسهم يعني بما تقدم ذكره ولكن النهي عن أذيته حسن لا يوجب الهلاك ويمكن أن يجاب بأن الذم توجه على الهيئة الاجتماعية الحاصلة من النهي عن إيذائه كقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ولو سلم فلم لا يجوز أن يرجع الذم إلى القسم الأخير فقط ثم بين أنه كيف يعود الضرر إليهم فقال ولو ترى إذ وقفوا على النار وجواب لو محذوف أي لرأيت سوء منقلبهم ونحو ذلك وجاز حذفه للعلم به ولما في الحذف من تفخيم الشأن وهو ذهاب الوهم كل مذهب كما لو قلت لغلامك والله لئن قمت إليك وسكت عن الجواب ذهب فكره إلى أنواع المكاره من الضرب والقتل وغيرهما بخلاف ما لو قلت لأضربنك ولمثل هذا من إرادة المبالغة قال وقفوا بلفظ الماضي إذ الدال على المضي كأن هذا الأمر وقع وتحقق فكان من حقه أن يخبر عنه بلفظ الماضي ووقفوا على أن يدخلوا النار وهم يعاينونها أو وقفوا عليها وهي تحتهم أو هو من قولهم وقفته على المسألة الفلانية ووقفوا أي عرفوا حقيقتها تعريفا والمراد أنهم في

ويجوز ان يكونوا غائصين فيها فيكون على بمعنى في وجاز لان النار دركات بعضها تحت بعض فلا يخلو من معنى الاستعلاء يا ليتنا نرد هو داخل في حكم التمني اما قوله ولا
نكذب ونكون فمن قرأ بالنصب منهما فباضمار ان على جواب التمني والمعنى ان رددنا الى دار التكليف لم نكذب ونكن من المؤمنين ومن قرأ بالرفع فيهما فوجهان
احدهما ان التمني تم عند قوله نرد ثم ابتدأوا ولا نكذب ونكون اي نحن لا نكذب ونكون كانهم ضمنوا ان لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين سواء حصل الرد
او لم يحصل وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم تتركني وثانيهما ان يكونا معطوفين على نرد او حالين على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين

بمعنى دعني

وكائنين من المؤمنين فيدخل المجموع تحت حكم التمني واورد على هذا الوجه ان المتمني لا يكون كاذبا وقد قال تعالى وانهم لكاذبون واجيب بان هذا التمني قد
تضمن معنى الوعد فجاز ان يتعلق به التكذيب كقول القائل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك فهذا متمنٍّ في حكم الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى
صاحبه كذب كانه قال ان رزقني الله مالا احسنت اليك واما قراءة ابن عامر فمعناه ان رددنا غير مكذبين نكن من المؤمنين ثم رد الله تعالى عليهم
بانهم ما تمنوا العود الى الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين في الايمان بل لاجل خوفهم من العذاب الذي شاهدوه وعاينوه
فقال بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وما الذي كانوا يخفونه في الدنيا قال اكثر المفسرين ان المشركين في بعض مواقف القيمة يجحدون الشرك فيقولون
والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك معنى بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وقال المبرد بدا لهم وبال عقائدهم
واعمالهم وسوء عاقبتها وذلك ان كفرهم ما كان ظاهرا لهم وانما ظهر لهم يوم القيمة قال الزجاج بدا للاتباع ما اخفاه الرؤساء منهم من امر البعث والنشور
بدليل قوله بعد ذلك قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فهذا قول الحسن وقيل انها في المنافقين كانوا يسرون الكفر فظهر نفاقهم
على رؤس الاشهاد يوم القيمة وقيل هو في اهل الكتاب يظهر لهم ما كانوا يكتمونه من صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله والاولى حمل الآية على الكل لانه يوم تبلى
السرائر فلا جرم تظهر الفضائح والقبائح وينكشف من الاسرار وتنهتك الاستار اللهم كفر عنا سيآتنا في ذلك اليوم ثم قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قيل
كيف يتصور هذا وانهم قد عرفوا الله تعالى بالضرورة وشاهدوا الاحوال والاهوال واجاب القاضي بان المراد ولو ردوا الى حالة التكليف وعلى هذا التقدير
لا يبقى المعرفة ضرورية فلا يمتنع صدور الكفر عنهم وضعف بان المقصود من ايراد هذا الكلام المبالغة في غيهم وتماديهم واصرارهم على الكفر واذا فرض عودهم
الى حالة التكليف الى التعجب كما هو الآن فاذن لا تحل العقدة الا بان يقال المراد تاكيد جريان القضاء السابق فيهم بحيث لو شاهدوا العذاب والعقاب ثم
سئلوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك ولم يجع ذلك فيهم وانهم لكاذبون فيما وعدوا في ضمن التمني او في كل شيء ولهذا قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا
ان نافية والضمير عائد الى حقيقة الحيوة المعلومة في الاذهان ولهذا اضيف الى ضمير المتكلم جمع اي ما الحيوة الا هذه الحيوة التي هي اقرب الينا وما نحن بمبعوثين
بعدها وقيل ان تقدير الآية ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولانكروا البعث ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ثم لما قرر انكارهم كشف عن حالهم يوم القيمة
فقال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم تمسك بعض المشبهة بهذا على انه تعالى يحضر تارة ويغيب اخرى ورد بان استعلاء الشيء على ذات الله تعالى محال بالاتفاق
فوجب تاويل الآية بانه مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه للعتاب او المضاف محذوف وقفوا على جزاء ربهم او وعده او اخباره
بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين او هو من قولك وقفته على كذا اي اطلعته عليه ثم كان لسائل ان يقول ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فاجيب قال اليس
هذا الذي عاينتموه من حديث البعث والجزاء بالحق الذي حدثتموه قالوا بلى وربنا وفيه دليل على ان حالهم في الانكار سيؤل الى الاقرار ثم كانه سئل ماذا قيل لهم
بعد الاقرار فاجيب قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم وذلك ليعلم ان الاقرار في غير دار التكليف لا ينفع وذلك ان جوهر النفس اللطيفة
القدسية بعث الى هذا العالم الجسماني الكثيف واعطي الآلات الجسمانية لتحصيل المعارف اليقينية والاخلاق الفاضلة التي يعظم منافعها بعد الموت
فاذا استعملها الانسان بناء على اعتقاد عدم المعاد في تحصيل اللذات الفانية والسعادات المنقطعة الى ان ينقضي اجله فقد ضاع راس المال ولا
ربح وذلك قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي ببلوغ الآخرة وثوابها وعقابها عبر عن ذلك بلقاء الله لانه لا حكم لاحد هناك الا لله بخلاف
الدنيا فانه قد يظن ان للانسان تصرفا واختيارا وملكا وحمل اللقاء على الرؤية ايضا غير بعيد عند اهل السنة وحتى غاية لكذبوا لا
لخسروا لان خسرانهم لا غاية له اي لم يزل بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة بل وقت موتهم فان امارات السعادة والشقاوة يلوح على صفحات
احوال المكلف من وقت موته وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله من مات فقد قامت قيامته وسمي يوم القيمة الساعة لسرعة الحساب فيه وكانه قيل
ما هو الا ساعة الحساب او لانها تفجأ الناس في ساعة لا يعلمها الا الله تعالى ولهذا قال بغتة اي فجاءة وانتصابها على الحال اي باغتة من بغته اذا فاجاه
او على المصدر العام اي بغتتهم الساعة بغتة او الخاص لان البغتة نوع من المجيء قالوا عامل اذا يا حسرتنا مثل يا ويلتنا وقد مر في المائدة اي احضري فهذا
وقتك على ما فرطنا فيها اصله يدل على التقدم والهمزة في الافراط لازالة ذلك وقولهم فرط القوم اي سبقهم الى الماء معنا تركناه من وراء حتى حصل
التقدم اما الضمير في فيها فقال ابن عباس اي في الدنيا وان لم يجر لها ذكر في الآية لدلالة العقل لان موضع التقصير هو الدنيا وقال الحسن اي في وقت الساعة
على معنى قصرنا في شانها والايمان بها واعداد الزاد وتحصيل الاهبة لها وقال محمد بن جرير الطبري يعود الى الصفقة والمبايعة بدلالة ذكر الخسران
قبل المعنى بما فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال والطاعات التي تركناها وقصرنا فيها ثم بين تضاعف خسرانهم بانهم لم يحصلوا لانفسهم مواجب الثواب
ولكن حصلوا مواجب العقاب فقال وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم هي الآثام والخطايا واصل الوزر الثقل ومنه الوزير لانه يحمل ثقل صاحبه والوزر
الملجاء لانه يرفع عنه ما اصابه فكانه حمله اما كيفية حملهم الاوزار فقال في الكشاف انه مجاز عن حصولها لهم كقوله فبما كسبت ايديهم لانه اعتيد حمل



الاشتمال على الظهور كما الف الكسب بالايدي وقال الزجاج القفال بذنب كرب في الحال والصفة تقول عن خطاب فلان لدى كره والمعنى انهم يقاسون عذاب ذنوبهم
مقاساة يثقل ذلك عليهم وقيل هو كقولك شخصك نصب عيني لازم لي وقال الجمع من المفسرين ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شيء هو احسن الاشياء
صورة واطيبها ريحا فيقول انا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قالوا ركبانا
وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله شيء هو اقبح الاشياء صورة واخبثها ريحا فيقول انا عملك الفاسد طالما ركبتني في الدنيا فانا اركبك فالمعنى
والسيئ الاشياء ما يزرون الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم ثم رغب في الحيوة الباقية وزهد في الحيوة العاجلة فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو قال ابن عباس
يريد حيوة اهل الشرك والنفاق لان حيوة المؤمن يحصل فيها اعمال صالحة فلا يكون لعبا ولهوا وقال الآخرون هو عام في حيوة المؤمن والكافر وذلك ان مدة اللهو واللعب
وكاشي له ثبات فيشتغل به ما لا اصل له قليلة سريعة الانقضاء والزوال مدة هذه الحيوة كذلك وايضا اللعب واللهو لا يتلذذ بهما في اكثر الامر [illegible] من المكاره
وان الدنيا كذلك ولهذا رفضها العلماء المحققون والحكماء المتألهون وللدار الآخرة قال ابن عباس هي الجنة وانها خير لمن اتقى الكفر والمعاصي وقال الاصم التمسك بعمل
الآخرة خير وقال الآخرون نعيم الآخرة خير من نعيم الدنيا من جهة بقائها ودوامها ومن جهة انها مصونة عن شوائب الآفات والمخافات ومن نقص الانقضاء والانقراض
للذين يتقون على ان هذا الخير انما يحصل لمن اتقى الكفر والمعاصي اما الكفر والفاسق فالدنيا بالنسبة اليهما خير كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
افلا تعقلون قال الواحدي من قرأ بالخطاب فالمعنى قل لهم افلا تعقلون انها خير لكم ومن قرأ بالياء فعلى افلا يعقل الذين يتقون ان الدار الآخرة خير من
هذه الدار وذلك لان خيرات الدنيا ليست الا قضاء الشهوات التي يشاركهم فيها سائر الحيوانات بل ربما كان امر تلك الحيوانات فيها اكمل فان الجمل اكثر اكلا والديك
والعصفور اكثر وقاعا والذئب والنمر والحيوة اقوى غضبا وقهرا وكل من وقف همته على هذه المطالب لم يكن له عند العقلاء وزن ولا عند الحكماء والعلماء
قدر وكل من صرف همته في تحصيل الكمالات الدائمة والسعادات الباقية فانه كان له في العيون مهابة وفي القلوب قبول وذلك دليل على ان الفطرة الاصلية
شاهدة بخساسة اللذات الجسمانية وعلو مرتبة الكمالات الروحانية وهب ان النوعين تشاركا في الفضل الا ان الغبطة الكبرى للعلوم افضل من المظنون وان خيرات الآخرة معلومة
قطعا والوصول الى خيرات الدنيا في الغد غير معلوم ولا مظنون فكم من سلطان قاهر بكرة وصار تحت التراب عشية وكم من متمول تغلب عليه الفقر اكثر ايامه
فقيرا حقيرا وهب انه وجد بعد هذا اليوم يوما آخر فلا يمكنه الانتفاع بكل ما جمع من الاسباب ولو انتفع فقلما يخلص من شوائب المكاره والآفات كما روي انه صلى
من طلب ما لا يخلق اتعب نفسه ولم يرزق فيها وقالوا يا رسول الله صلعم قال الى يوم نبايعه هلت التسلية فقد ثم البرء قال كل الملال الى الزوال والانقراض
وكفى بذلك نقصا وكذا كما قال لكمال الغم عليك في سرهم ينقص عند صاحبه انتفى الاثم تسلية لرسوله فقال قد نعلم والمراد كثرة العلم والمبالغة كما مر في قوله
قد نرى تقلب وجهك والهاء في انه ضمير الشأن وكسرت لعدد العلم لمكان لام الابتداء في ليحزنك وما ذلك الحزن قال الحسن قولهم ساحر شاعر كاهن
مجنون وقيل يقرؤنها انهم لا يؤمنون به ولا يقبلون دينه وقيل نسبتهم اياه الى الكذب فانهم لا يكذبونك قال ابو علي وثعلب كذبه واكذبه بمعنى
وقيل اكذبت الرجل اذا وجدته كاذبا وكذبته اذا قلت له كذبت قال الكسائي اكذبته اذا اخبرت انه جاء بالكذب ورواه وكذبته اذا اخبرت انه
انه كاذب وقال الزجاج معنى كذبته قلت له كذبت ومعنى اكذبته ان الذي اتى به كذب في نفسه من غير ادعاء ان ذلك القائل تعمد ذلك الكذب واتى به على
سبيل الافتعال والافتراء ومن قرأ بالتخفيف نظر الى ان القوم كانوا يعتقدون ان محمدا ما ذكر ذلك على سبيل الافتعال والترويج بل يتخيل حقا
ذلك وانه نبي الا انه تخيل باطل ثم ان ظاهر الآية يقتضي انهم لا يكذبون محمدا صلى الله عليه وآله ولكنهم يجحدون بآيات الله وفي الجمع بين الامرين وجوه الاول
ان القوم ما كانوا يكذبونه في السر ولكنهم كانوا يكذبونه في العلانية ويجحدون القرآن ونبوته ويؤكده رواية السدي ان الاخنس بن شريق وابا جهل بن
هشام التقيا فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان
محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقال ابو ميسرة ان رسول الله صلعم
مر بابي جهل واصحابه فقالوا يا محمد انا والله ما نكذبك انك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت وقال مقاتل نزلت في الحرث بن عامر بن
نوفل كان يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب لا احسبه الا صادقا فانزل هذه الآية ونظيره قوله تعالى في قصة
موسى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر الثاني في تاويل الآية انهم لا يقولون انك كذاب لانهم جربوك الدهر الطويل وما وجدوا
منك كذبا وسموك الصادق الامين فلا يقولون فيك انك كاذب ولكن جحدوا صحة نبوتك ورسالتك اما لانهم اعتقدوا ان محمدا عرض له نوع
خبل ونقصان فلاجل ذلك تخيل انه رسول لا انه كذب في نفسه واما لانهم زعموا انه امين في كل الامور الا في هذا الواحد الثالث انه لما ظهرت
المعجزات على يده ثم ان القوم اصروا على التكذيب فقال لهم ان القوم ما كذبوك وانما كذبوني ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم
لم يهينوك وانما اهانوني ومثله قوله سبحانه ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فكأنه قيل له لا يحزنك لنفسك وليشغلك عن ذلك ما هو اهم
وهو استعظامك بجحود آيات الله والاستهانة بكتابه الرابع مثل في التفسير الكبير لا يخصونك بهذا التكذيب بل ينكرون دلالة المعجز على الصدق مطلقا
ويكذبون جميع الانبياء والرسل وقوله ولكن الظالمين من اقامة المظهر مقام المضمر ليسجل عليهم بالظلم في جحودهم لان من وضع التكذيب مقام
التصديق فقد ظلم ثم صبر رسوله على اذية القوم فقال ولقد كذبت رسل من قبلك اي رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا
فانت اولى بهذه السيرة لانك مبعوث الى كافة الخلق فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده في قوله لاغلبن انا ورسلي

اى نكرك



وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين قال الاخفش من زائدة والاصح انها للتبعيض
لقلة يجيء زيادة من في الاثبات ولان الواصل اليه بعض قصص الانبياء لقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فالتقدير ولقد
جاءك بعض انبائهم وكان يكبر على النبي صلعم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزلت وان كان كبر عليك شق عليك اعراضهم عن الايمان وصحة القران فان
استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والجواب محذوف وحسن للعلم به والنفق سرب
في الارض لمخلص الى مكان ومنه اشتقاق المنافق والسلم واحد السلالم الذي يرتقى عليها واصله من السلامة كانه يبلغك الى المصعد المراد بيان حرصه على
اسلام قومه انه لو استطاع ان يأتي بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها ولكل ما اقترحوا رجاء ايمانهم ويجوز ان يكون ابتغاء النفق او السلم
هو الآية كانه قيل لو استطعت ذلك الفعل لعل ذلك ليكون لك آية يؤمنون عندها ثم قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال اهل السنة فيه دليل على
انه تعالى لا يريد الايمان من الكافر وقالت المعتزلة المراد مشيئة الالجاء المنافي للتكليف والالجاء هو ان يعلمهم انهم لو حاولوا غير الايمان لمنعهم منه فيضطرون
الى الايمان مثاله ان يحصل شخص بحضرة السلطان لقتلوه في الحال فيصير هذا العلم مانعا له من القتل وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا اما قوله فلا
تكونن من الجاهلين اي من الذين يرومون خلاف مأمور الله فهذا النهي لا يقتضي اقدامه على مثل هذه الحالة ولكنه يفيد التغليظ وتأكيد
الامتناع عن الجزع والاضطراب والحزن والاسف على ايمان من لم يشاء الله ايمانه ثم بين السبب في كونهم بحيث لا يقبلون الايمان فقال انما يستجيب
الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة والمراد انه تعالى هو الذي يقدر على احياء قلوب هؤلاء قلوب الكفار بحيث تقبل الايمان
وانت لا تقدر على ذلك والمعنى ان هؤلاء الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى اسماعهم اما وجه تشبيه
الكفرة بالموتى فلان حياة الروح بالعلم ومعرفة الصانع كما ان حياة الجسد بالروح ثم ذكر شبهة اخرى للطاعنين في نبوة محمد صلعم وهو انه ما جاء
بآية قاهرة ومعجزة باهرة فكانهم لم يعتقدوا كون هذا القران معجزا على سبيل العناد وقياسا على سائر الكتب السماوية وطلبوا معجزا من نوع ما على حد الالجاء
كشق الجبل وفلق البحر فان معجزات نبينا من تسبيح الحصا وانشقاق القمر وغير ذلك ليست بأقل منها او اقترحوا مزيد الآيات بطريق التعنت واللجاج
او المراد قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم الله تعالى بقوله قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان في عليته للبلاء لا بحسب محض المشيئة عند اهل السنة او على وفق المصلحة عند المعتزلة لا على موجب اقتراحات الناس مطالبتهم
او انه لو ظهرت المعجزة الدالة لما كانت من القران وغيره لم يبق لهم عذر ولو لا علة فلو جاءتهم الى مقترحهم فلعلهم يقترحون اقتراحا ثانيا وثالثا وهلم
جرا وذلك يفضي الى ان يستقر الدليل ولا تتم الحجة وهذا خلاف المقصود ولا يعلمون انه لو اعطاهم سؤلهم ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الاستئصال او لا
يعلمون انهم انما طلبوا ذلك على سبيل العناد لا لاجل الفائدة وقد علم الله ذلك لم يعطهم مطلوبهم ولو كان غرضهم طلب الحق ومثله لاعطى
مطلوبهم على اكمل الوجوه التأويل ومنهم من يستمع اليك انكارا واختبارا وجعلنا على قلوبهم من شوم انكارهم حجبا من غير الانكار وفي آذانهم
وقرا من فساد الاستعداد الفطري وان يروا كل آية بعين الظاهر لا يؤمنوا بها من عمى القلوب اعواز نور الايمان فيها وهم ينهون الطلاب عن الحق
وان يهلكون بتثبيط الخلق عن الحق الا انفسهم لان التباعد من اهل الحق هو البعد عن الحق وهذا هو الهلاك الحقيقي ولو ترى اذ وقفوا على
النار نار ولح الاشتياق بعد الخلاص عن حبس الطبيعة وعذاب القطيعة فقالوا يا ليتنا نرد الى عالم الصورة والى الاستعداد الفطري بل
بدا لهم ما كانوا يخفون بما يظهر عليهم آثار الشقاوة التي كتبت لهم كانوا يتكلمون بما قالوا في عالم الصورة لعادوا لما نهوا عنه من اتباع الهوى فيفسدون استعداد
مرة اخرى وانهم لكاذبون فيما يدعون لانهم خلقوا لاجل التكذيب لا لاجل التصديق وقالوا لا نسوا ما شاهدوا يوم الميثاق من الالطاف والاعطاف
وقولهم في جواب خطاب الست بربكم اذ وقفوا على ربهم عرفوا انهم بين يدي ربهم ولو عرفوها في الدنيا لامنوا وقوا عذاب البعد في العقبى حتى اذا جاءتهم
الساعة يعني هي الساعة التي تجذب العبد فيها عن اوصاف البشرية بجذبات الحق جاءتهم وهي قيامة اخرى لان فيها تبدل ارض البشرية غير الارض
دائما في الآخرة نور ربها فيظهر المحب الصادق بالنور الساطع الى الناس ضلعه عنه في طلب غير الحق فيا حسرتنا على ما فرطنا فيها ويقول ايتها القادر يا احسن صيد
الطيبات فانك الشرب وما اذ دون غير الحق وهم يحملون اثقال التعلقات الزائدة على ظهور وجودهم فان الوجود على السالك ثقيل مانع عن السلوك
فكيف ما زاد عليه الا لعب لهو كلعب الصبيان ولهو اهل العصيان وللدار الآخرة هي السير من البشرية الى الروحانية والاقبال على الله والاعراض عما
سواه خير للذين يتقون غير الله افلا تعقلون ان الانسان خلق لهذا الشأن لا لغيره لقوله واصطنعتك لنفسي قد نعلم انه ليحزنك من صفات
البشرية اثر في حبيب الله مقالة الجهلة ولا مبدل لكلمات الله ليعلم ان التي قدرها ودبرها من الازل الى الابد بكلمة كن ولو شاء الله لجمعهم على
في عالم الارواح عند رشاش النور على الهدى فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعلمون الحكمة في جعل التعرض في مظاهر اللطف والقهر بظاهر النعمة
والنهي في حقه صلى الله عليه وسلم هو نهي الامتناع عن التكوين لا حلفه في الازل ممتنعا عن الجهل بواسطة كلمة لا تكن كما انه خلق مستعدا للكمال بكلمة كن
قل ان الله قادر على ان ينزل آية في كل لحظة ولمحة ولكن اكثرهم لا يعلمون دلالة الكائنات على المكون والممكنات على الواجب والمصنوعات على
الصانع وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفي كل شيء آية تدل على انه واحد وما من دابة في الارض ولا طائر يطير
بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات

بالمعين البشرية ونوطا الى غاية القوة

مَن يَشَإِ اللّٰهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ‌ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتٰىكُمْ عَذَابُ اللّٰهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ

هر كرا خواهد خدا از راه بردش وهر كرا بخواهد در آورد او را در راه راست ‌ بگو كه آيا ميبينيد اگر آيد شما را عذاب خدا يا فرا گيرد شما را قيامت

أَغَيْرَ اللّٰهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ‌ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ‌ وَلَقَدْ

آيا غير خدا را ميخوانيد اگر راستگوياييد ‌ بلكه مر او را ميخوانيد پس بر طرف ميكند از آنچه آن ميخوانيد اگر خواهد و فراموش ميسازيد آنچه را انباز قرار داده ايد

أَرْسَلْنَا إِلٰى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنٰهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ‌ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلٰـ

فرستاديم بسوى گروهها از پيش تو پس گرفتيم ايشانرا بفقر و ناخوشى شايد كه ايشان در تضرع در آيند ‌ پس اگر وقتى كه آمد ايشانرا عذاب ما زارى كردندى

كِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ‌ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّٰى إِذَا فَرِحُوا

وليكن سخت شد دلهاى ايشان و آراست از براى ايشان شيطان آنچه را كه ميكردند ‌ پس چون كه فراموش كردند آنچه را كه پند داده شدند بآن گشوديم بر ايشان درهاى هر چيز را تا آنكه چون شاد شدند

بِمَا أُوتُوا أَخَذْنٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ‌ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ ‌ قُلْ أَرَأَيْتُمْ

بآنچه داده شدند گرفتيم ايشانرا ناگهان پس ايشان نوميد شدند ‌ پس منقطع شد عقب آن گروه كه ستم كردند و ستايش مر خداير است پروردگار جهانيان ‌ بگو آيا ديديد

إِنْ أَخَذَ اللّٰهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلٰى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ

اگر فرا گرفت خدا شنيدن شما را و ديده شما را و مهر نهاد بر دلهاى شما كيست آن خدائى كه غير خدا بياورد بشما آنرا ببين كه چگونه ميگردانيم آيات را باز ايشان روى بر ميگردانند

قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتٰىكُمْ عَذَابُ اللّٰهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظّٰلِمُونَ ‌ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ

بگو آيا اگر فرود آيد بر شما عذاب خدا ناگهان يا آشكارا هلاك شوند مگر گروه ستمكاران ‌ و نفرستيم پيغمبران را مگر مژده دهان

وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ‌ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا

و ترسانندگان پس هر كه گرويد و نيكو كرد پس نيست ترسى بر ايشان و نه ايشان اندوه خورند ‌ و آنانكه تكذيب كردند آيات ما را برسد ايشانرا عذاب بسبب آنچه بودند

يَفْسُقُونَ ‌ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللّٰهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحٰى إِلَيَّ قُلْ هَلْ

فاسقان ‌ بگو نميگويم بشما كه نزد من است گنجهاى خدا و نه آنكه ميدانم غيب را و نگويم شما را كه من فرشته ام پيروى نكنم مگر آنچه را كه وحى شده بمن بگو آيا

يَسْتَوِي الْأَعْمٰى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ‌ القراءة أرأيتكم وبابه بتليين الهمزة أبو جعفر ونافع وحمزة في الوقف رأيتكم وبابه

يكسانست كور و بينا آيا پس انديشه نميكنيد ‌ ههنا بغير همز علي الباقون أرأيتكم بالتحقيق فتحنا بالتشديد يزيد وابن عامر بهِ انظر

بضم الهاء روى الأصفهاني عن ورش الوقوف أمثالكم ط يحشرون ه في الظلمات ط يضلله ط لابتداء شرط آخر مستقيم ه يوعدون لأن جواب إن منتظر بعده

مع شدة إن كنتم صادقين فاجيبوا مع اتحاد الكلام صادقين ه تشركون ه يتضرعون ه يعملون ه كل شيء ط مبلسون ه ظلموا ط العالمين ه يأتيكم به ط يصدفون ه الظالمون ه ومنذرين ج

يحزنون ط يفسقون ه إلى ملك ج للابتداء بالنفي مع اتحاد القائل والقول إلي ط يتفكرون ه التفسير لما بين أن إنزال سائر المعجزات لو كان مصلحة لهم لفعل

ذلك لكنه بما يؤذن بأن آثار فضله وإحسانه ولطفه وامتنانه واصلة إلى جميع الحيوانات فلو كانت مصلحة المكلفين في إظهار تلك المعجزات القاهرة

الجمة لم يبخل بذلك البتة وهذا أيضا مزيد تقرير لأمر البعث وأنه حاصل لجميع الحيوانات فضلا عن الإنسان فإن الحيوان إما أن يكون بحيث يدب ويكون بحيث

يطير وإنما خص من الدواب ما في الأرض بالذكر دون ما في السماء أو في الماء لأن رعايته مصالح الأدون يستلزم دعوى رعايته مصالح الأشرف

ويمكن أن يقال إن الماء أيضا من جملة الأرض لأنهما جميعا كرة واحدة قال علماء المعاني إنما وصف الدابة بكونها في الأرض والطائر بأنه يطير بجناحيه

ليعلم أنهما باقيان على عمومهما إذ يتبعهما بخواص الجنسين ولولا ذلك لاحتمل أن يقيد بهما صفة نوع أو يقيد فيتخصصا أو لا يوهم أن المراد بهما

غير الجنس إنها دون لقوله بعده إلا أمم أمثالكم وقد يقول الرجل لعبده طر في حاجتي والمراد الإسراع قال الحماسي طاروا إليه زرافات ووحدانا وقيل

ذكر يطير بجناحيه ليخرج عنه الملائكة ذوات الأجنحة فإن المراد ذكر من هو أدون حالا وقيل إن الوصف للتأكيد كقولهم نعجة أنثى وكما يقول

أبصرته بعيني وإنما جمع الأمم مع أنه أفرد الدابة والطائر لأن النكرة المستغرقة في معنى الجمع قال الفراء كل صنف من البهائم أمة وفي الحديث لولا أن

الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها وأما وجه المماثلة بين البشر والدابة والطائر فنقل الواحدي عن ابن عباس أنه قال يعرفونني ويوحدونني

ويسبحونني كقوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده كل قد علم صلاته وتسبيحه وعن أبي الدرداء أبهمت عقول البهائم إلا عن معرفة الإله وطلب الرزق و

معرفة الذكر والأنثى وهذا قول طائفة عظيمة من المفسرين وقيل وجه المماثلة أنها جماعات وكونها مخلوقة بحيث يشبه بعضها بعضا ويأنس بعضها

ببعض ويتوالد بعضها من بعض وضعف بأن هذا أمر معلوم مشاهد فلا فائدة في الإخبار عنه وقيل هو أنه دبرها وخلقها وتكفل برزقها

وأحصى أحوالها وما يجري عليها من العمر والرزق والأجل والسعادة والشقاوة بدليل قوله عقيبه ما فرطنا في الكتاب من شيء وقيل هو أنها تحشر يوم

القيامة ويوصل إليها حقوقها وقد جاء في الحديث يقتص للجماء من القرناء ولكن قوله بعد ذلك ثم إلى ربهم يحشرون يصير كالمكرر وعن سفيان بن عيينة ما في

الأرض من آدمي إلا وفيه شبه من بعض البهائم فمنهم من يقدم إقدام الأسد ومنهم من يعدو عدو الذئب ومنهم من ينبح نباح الكلب ومنهم من يتطوس كفعل الطاوس ومنهم من

يشبه الخنزير لو ألقي إليه الطعام الطيب تركه وإذا قام رجيعه ولغ فيه وكذلك تجد من الآدميين من لو سمع خمسين كلمة من الحكمة لا يحفظ واحدة وإن أخطأ مرة

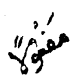
كونها



واحدة حفظه ولم يجلس مجلسا الا زاد فيه واعلم بان احتمال تلك تعاشير البهائم والسباع في الغ في الحذار والاحتراز وذهب اهل التناسخ الى انها
البشرية ان كانت سعيدة مطيعة لله تعالى موصوفة بالمعارف الحقة موسومة بالاخلاق الفاضلة فانها بعد موتها تنتقل الى ابدان الملوك و
ربما قالوا انها تتصل الى مخالطة عالم الملكية وان كانت شقية جاهلة فانها تنتقل الى ابدان الحيوانات وكلما كانت اكثر شقاء فانها تنتقل الى بدن حيوان
اخس واكثر تعبا وعناء قالوا وذلك لان لفظ المماثلة يقتضي حصول المساواة في جميع الصفات الذاتية ثم زعموا ان الله تعالى ارسل الى كل جنس منها رسولا من
جنسها لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير واستشهدوا بقصة النمل والهدهد ونحو ذلك وفي تعلق مذهب اهل التناسخ طول والله تعالى اعلم
بحقيقة الحال ما فرطنا في الكتاب من شيء من مزيدة للاستغراق بما تركنا وما اغفلنا شيئا قط وقيل للتبعيض اي ما اهملنا فيه بعض شيء يحتاج المكلف
الى معرفته والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع الاحوال الكائنة التفصيل وقيل القرآن لانه هو الذي يسبق اليه الاذهان فيما بين اهل الايمان واورد عليه انه
ليس فيه تفاصيل علم الطب والحساب ولا تفاصيل كثير من العلوم ولا تفاصيل مذاهب الناس ولا دلائلهم في علم الاصول والفروع واجيب بان لفظ التفريط لا يستعمل
الا فيما يجب ان يفعل والمحتاج اليه انما هو الاصول القوانين لا الفروع التي لا تنضبط ولا تنتهي وما علم الا وفي القرآن اصله من شرفه وفضله كقوله كلوا
ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين للطب وقوله وهو اسرع الحاسبين للحساب وكقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين للاخلاق واما تفاصيل علم
الفروع فذكر العلماء ان السنة والاجماع والقياس كلها مستندة الى الكتاب كقوله تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكقوله ويتبع غير
سبيل المؤمنين وكقوله فاعتبروا يا اولي الابصار وقيل ان القرآن واف ببيان جميع الاحكام لان الاصل براءة الذمة عن التكاليف كلها وشغل الذمة لا بد فيه من
دليل منفصل فكل حكم لم يكن مذكورا في القرآن بالمطابقة او التضمن والالتزام لم يكن ذلك تكليفا اذ يكون باقيا على اصل الاباحة والله تعالى اعلم
اما قوله ثم الى ربهم يحشرون فللعقلاء فيه قولان الاول للاشاعرة انه تعالى يحشرها لا لان ايصال العوض اليهم واجب بل بمجرد الارادة و
المشية ومقتضى الالهية الثاني قول المعتزلة انه تعالى يحشر الطيور والبهائم لايصال الاعواض اليها لان ايصال الآلام اليها من غير سبق جناية لا يحسن
الا للعوض وفرع القاضي على ذلك فقال كل حيوان استحق العوض على الله تعالى بما لحقه من الالام وكان ذلك العوض لم يصل اليه في الدنيا فانه يجب على
الله تعالى حشره في الآخرة ليوفر عليه ذلك العوض والذي لا يكون كذلك فانه لا يجب حشره عقلا الا ان السمع ورد بحشر الكل فينقطع بذلك فرع كل حيوان
اذن الله تعالى في ذبحه فالعوض له على الله تعالى وكذا الذي اذن في قتله في كونه مؤذيا او المه بمرض وسخره للانسان يحمل الاثقال واما اذا ظلم
ظلمها الناس فالعوض على الظالم وكذا اذا ظلم بعضها بعضا ولو ذبح المأكول لغير ماكله فالعوض على الذابح ولهذا ورد النهي عن ذبح الحيوان
لغير مأكله والمراد من العوض منافع عظيمة بلغت في الجلالة الى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة وعلمت انه لا سبيل الى تحصيل تلك
المنافع الا بواسطة تحمل ذلك الذبح لرضيت به اخو مذهب القاضي واكثر المعتزلة ان العوض منقطع وبعد ذلك يصيرها ترابا ويقول الكافر يا
ليتني كنت ترابا وقال ابو القاسم البلخي يجب دوام العوض لانه لا يمكن قطع ذلك العوض الا باماتة تلك البهيمة واماتتها توجب
الالم وذلك الالم يوجب عوضا آخر ومرجعه الى ما لا نهاية له واجيب بالمنع من ان الاماتة لا يمكن تحصيلها الا بالايلام ثم البهيمة اذا استحقت
عوضا على بهيمة اخرى فان كانت البهيمة الظالمة قد استحقت عوضا على الله تعالى فانه يوصل ذلك العوض الى المظلوم والا فانه تعالى
يتكفل بايصال العوض وهذا القدر يكفي في احكام الاعواض بحسب المقام سبحانه اعلم ولما ذكر من خلائقه ونظم آثاره وقدرته ما ينبئ
على عظمته ويشهد لربوبيته ويدل على رحمته الكاملة وعنايته الشاملة قال والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون كلام المنبه وبكم
لا ينطقون في الظلمات ظلمة الكفر وظلمة الشكوك وظلمة الحيرة والضلالة ثم بين ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيته وارادته
وتيسيره وتدبيره فقال من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم والجملة الاولى في الآية بان المراد انهم كذلك في الآخرة



كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما او انهم شبهوا بمن حاله كذا وهو محمول على الشتم والاهانة واما قوله
من يشاء الله يضلله اي عن طريق الجنة ولا يشاء الاضلال الا لمن يستحق عقوبته كما انه لا يشاء الهدى الا للمؤمنين او المراد بالاضلال
منع الالطاف لانهم ليسوا من اهلها وبالهداية منحها لانهم من اهلها ثم بين غاية جهالة الكفار وانهم مع جحودهم يفزعون الى الله في
البليات فقال قل أرأيتكم هو منقول من رأيت بمعنى ابصرت او عرفت كانه قيل ابصرته وشاهدته حالة العجيبة او اعرفتها اخبرني عنها فلا
يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة لشيء فهذا من باب اتباع السبب على المسبب لان الاخبار انما يكون بعد المشاهدة او العرفان اما
اعرابه فالتاء ضمير الفاعل والكاف للخطاب فالتاء تكون بلفظ واحد في التثنية والجمع والتانيث يختلف هذه المعاني على الكاف فتقول ارأيتك
ارأيتكما ارأيتكم ارأيتكن والتاء في جميع ذلك مفتوحة والكاف حرف الخطاب ليست اسما والا لكانت اما مجرورة ولا جار واما مرفوعة
وايضا الكاف من ضمائر المرفوع ولا رافع ايضا لان التاء فاعل ولا يكون للفعل فاعلان واما منصوبة وهو باطل من وجوه احدها
ان هذا الفعل قد يتعدى الى مفعولين تقول ارأيتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا لكان ثالثا وثانيها لو كان





قل ارأيتكم

مفعولا لكان هو الثاني في المعنى ولبس المعنى على ذلك اذ ليس الغرض رأيت نفسك بل رأيت غيرك ولذلك قلت ارأيتك زيدا وزيد وغير المخاطب ولا هو بدل منه وثانيها لو كان منصوبا على انه مفعول لظهر علامة التثنية والجمع والتأنيث في التاء نحو ارأيتما كما وارأيتموكم وقد ذهب الفراء الى انه اسم مضمر منصوب في معنى المرفوع ويجوز ان تصرف بها لتاء فاما مفعولا ارأيت في الآية فقيل هما محذوفان تقديره ارأيتكم عبادتكم الاصنام هل ينفعكم عند مجيء الساعة ودل عليه قوله اغير الله تدعون وقيل لا يحتاج هاهنا الى المفعول لان الشرط وجوابه قد حصل معنى المفعول واما جواب الشرط فما دل عليه الاستفهام في قوله اغير الله تقديره ارأيتكم الساعة دعوتم الله وحاصل الآية قل يا محمد لهؤلاء الكفار ارأيتكم ان أتيكم العذاب في الدنيا او عند قيام الساعة اتخصون آلهتكم بالدعوة ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه كشفه ان شاء لان قوارع الساعة لا يكشف عن المشركين وعلى هذا يكون قوله ادعوني استجب لكم باقيا على الاطلاق لكن في الدنيا ولو علق المشيئة يكشف العذاب في الدنيا كان قوله ادعوني استجب لكم مقيدا بالمشيئة وتنسون ما تشركون قال ابن عباس تتركون الاصنام ولا تدعونها لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع ويجوز ان يراد لا تذكرون الاصنام في ذلك الوقت لان اذهانكم مفهورة بذكر الله وحده والمقصود من الآية تبكيت الكفار كانه قيل اذا كنتم ترجعون عند نزول الشدائد الى الله تعالى لا الى الاصنام فلم تقدمون عبادتها وفيه ان مبنى الدين على الحجة والدليل على محض التقليد ثم سلى النبي صلى الله عليه وآله بان اعلمه انه قد ارسل قبله الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم فلم يخضعوا واصروا على كفرهم خلاف الاقوام المذكورين الذين يفزعون الى الله في الشدائد ويحتمل ان يكون ان حكم الطائفتين واحد لان التضرع والالتجاء الى الله لطلب ازالة البلية لا على سبيل الاخلاص غير معتبر وفي الآية محذوف تقديره ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فخالفوهم فاخذناهم بالبأساء والضراء وحسن الحذف لكونه مفهوما والبأساء والضراء البؤس والضر والبأساء القحط والجوع والضراء الامراض والاوجاع والرزايا لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون واصله الانقياد وترك التمرد ضرع الرجل ضراعة فهو ضارع اي ذليل ضعيف احتج الجبائي بالآية على انه تعالى انما ارسل الرسل لهداية البأساء والضراء عليهم ارادة ان يتضرعوا ويؤمنوا فهو يريد الايمان والطاعة من الكل واجيب بان الترجي في حقه تعالى محال فالقوم يحملونه على الارادة ونحن نحمله على انه تعالى يعاملهم معاملة المترجي فالترجيح على ان الفسق وتزيين الشيطان وكل ما يفوضونه لا بد ان ينتهي الى خلق الله وتكوينه اما قوله فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا فمعناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا التحضيضية ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا العناد والقسوة والاعجاب ثم بين انه لما لم يحج فيهم المواعظ وان واجزنقلهم من البأساء والضراء الى الراحة والرخاء فيفتح ابواب الخيرات عليهم وسهل موجبات المسرات لديهم كما يفعل الاب المشفق لولده يخاشنه تارة ويلاينه اخرى ومعنى كل شيء لكل شيء كان مغلقا عنهم من الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا ظنوا ان ذلك باستحقاقهم ولم يزيدوا الا بطرا وترفا اخذناهم بغتة قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الله تعالى يعطي العاصي فان ذلك استدراج من الله تعالى قال العلماء وانما اخذوا في حال الراحة والرخاء ليكون اشد لتحسرهم على ما فاتهم من السلامة والعطاء فاذا هم مبلسون ايسون من كل خير وقال الفراء المبلس الذي انقطع رجاؤه ولذلك يقال للذي سكت عند انقطاع حجته قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين واذا هاهنا للمفاجاة وهي ظرف مكان وهم مبتدأ ومبلسون خبره وهو العامل في اذا فقطع دابر القوم الدابر للشيء من خلفه كالولد للوالد دبر فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا اذا كان آخرهم ابو عبيدة دابر القوم آخرهم الذي يدبرهم الاصمعي الدابر الاصل قطع الله دابره اي اصله والحمد لله رب العالمين تعليم منه نفسه على ان لم يترك منهم احدا واستأصلهم لان ذلك جار مجرى النعمة على اولئك الرسل وعلى اولئك الطاكين كيلا يزيدوا الكفر والعناد فيزدادوا عذابا او عقابا وحمد على ما انعم عليهم قبل ذلك وهو ان كلفهم وازال عنهم الاعذار والعلل وبعث الانبياء والرسل واخذهم بالبأساء والضراء ثم نقلهم الى الآلاء والنعماء الا انهم لم يزدادوا الا تماديا في الغي والضلال فطهر وجه الارض من شركهم وفيه ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك كل ظالم فان ذلك من جملة آلاء الله سبحانه ثم عاد الى الدلالة على وجود الصانع الحكيم المختار وبيان وحدته جل جلاله فقال قل ارأيتم ان اخذ الله وتقريره ان اشرف اعضاء الانسان هو السمع والبصر والقلب فاذا عدمنا منافعها في واهل الكتاب لا ارباب الفادر على تحصيل قواها وصونها عن الآفات والمخافات ليس الا الله وحده ومعنى اخذ السمع والبصر تعطيل منافعهما ومعنى الختم على القلب ازالة العقل بحيث كالمجانين قال ابن عباس انه الطبع او الامانة حتى لا يعقل الهدى والصلاح يأتيكم به اي بذلك الذي اخذ من السمع والبصر والقلب فوضع الضمير موضع اسم الاشارة بناء على ان الضمير المذكور بحكم الاستعمال يلزم ان يكون له عقل ولو فرضنا والاحسن انه تعالى لما ذكر اشياء متعددة فوجب ان يعود الضمير الى جميعها مؤنثا اذ لا ترجيح وحيث لم يكن الضمير مؤنثا علم انه اراد المذكور ومطلقا فتعين ان يشار اليه بذلك ثم انه اقام الضمير المذكور مقامه او يعود الى ما اخذ وختم عليه وضح من غير التكلف المذكور بحكم التغليب انظر يا محمد او كل من له اهلية النظر كيف نصرف الآيات نوردها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقوي ما قبله في الايصال الى المطلوب ومعنى ثم التفاوت بين الحالين وبصدفون اي يعرضون ومنه امرأة صدوف للتي تعرض وجهها عليك ثم تصده فاي تعرض والصدف ميل في الحافر الى الشق الوحشي وصدف الدرة غشاؤها المائل فيه قال الكعبي لو خلق الله فيهم الاعراض والصد لم يكن ذلك عليهم وقالت الاشاعرة لو لا منع الله تعالى لحصل فيهم الدواعي القاطعة للاعراض ثم عمم الدليل بقوله قل ارأيتكم ان اتيكم والمعنى انه لا دافع لنوع من انواع العذاب الا الله سبحانه فوجب

ان لا يكون معبودا الا هو ثم العذاب المفروض اما ان يجئ من غير سبق امارة تدل على ذلك بالليل او مع سبق امارة وهو الجهرة وكثيره بالنهار ولهذا
قال الحسن معناه ليلا او نهارا اما قوله هل يهلك الا القوم الظالمون اى لا يهلك مع قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فمعناه
ان الهلاك بالحقيقة وهو هلاك التعذيب السخط مختص بالظالمين الاشرار لان الاخيار وان عمهم العذاب الا انهم يستفيدون بذلك ثوابا واجرا
فهو لهم بلاء فى الظاهر والا بالحقيقة خلاف الظلمة فانهم يخسرون الدنيا والاخرة ومثله قوله صلى الله عليه وآله ان امر المؤمن خير كله ان اصابته ضراء
فصبر كان خيرا له وان اصابته سراء فشكر كان خيرا له واعلم انه ذكر ههنا ارايتكم مرتين فزاد خطابا واحدا لان عذاب الاستيصال ما عليه من مزيد فناسب
زيادة الخطاب لاجل التاكيد وفيما بينهما قال ارايتم حيث لم يكن كذلك وكذا فى يونس ثم ذكر ان الانبياء والرسل بعثوا للتبشير والانذار فقط ولا قدرة
لهم على اظهار الآيات وانزال المعجزات التى اقترحوها فى قوله وقالوا لولا انزل علينا آية من ربه وان ذلك مفوض الى مشيئة الله وحكمته فقال وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين بالثواب على الطاعات ومنذرين بالعقاب على المعاصى فمن قبل قولهم وآمن بالايمان الذى هو من افعال القلب
العمل الصالح الذى هو من افعال البدن فلا خوف عليهم والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب ومعنى المس التقاء الشيئين من غير فصل قال فى الكشاف جعل
العذاب ماسا كانه حى يفعل بهم ما يريد لم يكن بعيدا قال القاضى انه علل عذاب الكافرين بكونهم فاسقين فيكون كل فاسق كافرا واقول هذا
من باب ايهام العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس ثم امر نبيه ان ينفى عن نفسه امورا ثلثة فقال قل لا اقول لكم
عندى خزائن الله وهى جمع خزانة للمكان الذى يخزن فيه الشئ التى احرازه بحيث لا يناله الايدى ولا اعلم الغيب قال فى الكشاف محله النصب عطفا على محل
قوله عندى خزائن الله لانه من جملة المقول اى لا اقول لكم ذلك ولا هذا قلت ويحتمل ان يكون عطفا على لا اقول اى قل لا اعلم الغيب فيكون فيه دلالة
على ان الغيب بالاستقلال لا يعلمه الا الله بخلاف كون خزائن الله عنده وكونه ملكا فان النبى يحتمل ان يكون له هذه المقامات ولكن لا يظهرها
واختلف المفسرون فى فائدة نفى هذه الامور فقيل المراد اظهار التواضع والخضوع لله تعالى والاعتراف بعبوديته حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد اليهود
والنصارى فى المسيح ع وقيل المقصود ابداء العجز والضعف انه لا يستقل بايجاد المعجزات التى كانوا يقترحونها كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا وقيل اى لا ادعى سوى النبوة والرسالة ولا ادعى الالهية ولا الملكية وانما زيد ههنا لكم بخلاف سورة هود
حيث قال ولا اقول انى ملك لانه تقدم ذكر لكم فى قوله انى لكم نذير فاكتفى بذلك قال الجبائى فى الآية دلالة على ان الملك افضل اذ المراد لا ادعى
فوق منزلتى قال القاضى ان كان الغرض التواضع فالامر بان ان ذلك يدل على ان الملك افضل وان كان المراد نفى قدرته عن افعال لا يقوى عليها الا
الملائكة لم يدل على افضلية الملائكة ان اتبع الا ما يوحى الى قيل هذا النص يدل على انه لم يحكم من تلقاء نفسه وبالاجتهاد فى شئ من الاحكام
ولا يجوز لاحد من امته ان يعمل الا بالوحى النازل عليه لقوله تعالى فاتبعوه فلا يجوز العمل بالقياس واكد هذا الحكم بقوله هل يستوى الاعمى والبصير
وذلك ان العمل بغير النص يجرى مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحى يقوم مقام عمل البصير ثم قال افلا تتفكرون تنبيها على انه يجب على العاقل ان يعرف
الفرق بين هذين واجيب بان اصل الاجتهاد والقياس اذا كان بالوحى لم يلزم الضلالة والاية مثل للضال والمهتدى او لمن ادعى المستقيم وهو
النبوة والمحال وهو الالهية والملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين كالعميان او فتعلموا انى ما ادعيت سوى ما يليق بالبشر والله تعالى اعلم
واحكم التاويل وما من دابة تدب فى ارض البشرية ويتحرك من الحواس والجوارح والنفس وصفاتها الا امم امثالكم فى السؤال عن اقوالهم
احوالهم كقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ما فرطنا ما تركنا فى القرآن من شئ يحتاج اليه الانسان ظاهره وباطنه ذاته
وصفاته فى السير الى الله من الاوامر والنواهى والندب الآداب ثم الى ربهم يحشرون ههنا بالسير وجذبات العناية وهناك بالسلاسل
والاغلال يسحبون فى النار فى القطيعة على وجوههم لان من شانهم التكذيب كما قال والذين كذبوا بآياتنا الموصلة الينا صم اذان قلوبهم
عن استماع الحق بكم السنة احوالهم عن اجابة دعوة فى ظلمات صفات البشرية والاخلاق الذميمة بل اياه تدعون لان رجوعهم الى ربه مركوز فى
روحانيته ولقد ارسلنا الى امم اى ارسلنا اليهم نعمة الصحة والكفاف والامن فشغلوا بها عنا فارسلنا اليهم بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة
ندعوهم بها الينا فلم يهتدوا فاخذناهم بالباساء والضراء التى هى موجبة للالتجاء فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا وعلموا ان الحقائق الطافنا ملفوفة
فى قوالب صور قهرنا وتحققوا ان درر محبتنا مستودعة فى اصداف شدائد باسنا فاستقبلوها بصدق الالتجاء وحسن التضرع فى الدعاء فلما
نسوا بسبب القسوة ما ذكروا به من معارضة الباساء والضراء فانها تذكر ايام الرخاء وتعرف قدر الصحة والنعمة وتؤدى الى رؤية المنعم فتحنا عليهم ابواب كل
شئ من الابتلاء فى صورة النعماء لارباب الظاهر من النعم الظاهرة من المال والجاه والقبول وامثالها ولارباب الباطن بالنعم الباطنة من فتوحات الغيب
اشباهها حتى اذا فرحوا بما اوتوا وظنوا انهم قد استغنوا عن صحبة الشيخ وتعليم تصرفاته فشرعوا فى الطلب على وفق هواهم اخذناهم بغتة بفقد الاحوال
بالقال فاذا هم مبلسون متحيرون فى تيه الغرور والحمد لله على اظهار اللطف لارباب الرد والقهر لاصحابه ليعلم ان الكل بقدره كما قال قل ارايتم الاية الا القوم
الظالمون الذين ظلموا انفسهم بصرف استعداد عبوديته المولى فى عبادة الهوى فاما من ابتلى بعذاب الله من الآفات والمخافات والامراض ونحوها ابتلاء
فتاب ورجع فهو غيرها لك على الحقيقة قل لا اقول لكم انه يقبل ليس عندى خزائن الله ليعلم ان خزائن الله وهى العلم بحقائق الاشياء وما هياتها عنده
بارادة سير بهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم وباستجابة دعائه فى قوله ارنا الاشياء كما هى ولكنه يتكلم الناس على قدر عقولهم ولا اعلم الغيب اى لا اقول

لكم هذا مع انه كان يخبرهم عما مضى وعما سيكون ما علام الحق وقد قال صلى الله عليه وآله في قصة ليلة المعراج قطرت في حلقه قطرة علمت ما كان وما
سيكون ولا اقول لكم اني ملك وان كنت قد عبرت عن مقام الملك حين قال لجبرئيل تقدم فقال لو دنوت انملة لاحترقت ان
اتبع الا ما يوحى الي ان اخبرهم وقل معهم قل هل يستوي الاعمى كلام البصير فكيف اخبركم عما اعمى الله بصائركم عنه وانا به بصير قوله تعالى

وَاَنْذِرْ بِهِ الَّذِيْنَ يَخَافُوْنَ اَنْ يُّحْشَرُوْٓا اِلٰى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُوْنِهٖ وَلِيٌّ وَّلَا شَفِيْعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ ۞ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِيْنَ
و بترسان بآن انها را که میترسند که جمع آیند بسوی پروردگارشان نیست مر ایشان را از غیر او دوستی و نه وسیله شاید که ایشان بپرهیزند و مران آنها را که
يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰوةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيْدُوْنَ وَجْهَهٗ ۭ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَّمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ
میخوانند پروردگارشان را در بامدادان و شام میخواهند دیدار او را نباشد بر تو از حساب ایشان از چیزی و نیست از حساب تو بر ایشان از
شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُوْنَ مِنَ الظّٰلِمِيْنَ ۞ وَكَذٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُوْلُوْٓا اَهٰٓؤُلَاۗءِ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِّنْۢ بَيْنِنَا ۭ
چیزی پس برانی ایشان را پس بگردی از ستمکاران و همچنین آزمودیم برخی از ایشان را ببعضی تا گویند که آیا این گروهند که منت نهاد خدا بر ایشان از میان ما
اَلَيْسَ اللّٰهُ بِاَعْلَمَ بِالشّٰكِرِيْنَ ۞ وَاِذَا جَاۗءَكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِاٰيٰتِنَا فَقُلْ سَلٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلٰي نَفْسِهِ
آیا نیست خدا داناتر بسپاس کنندگان و چون آیند ترا آنانکه ایمان آورده اند بآیات ما پس بگو درود بر شما باد نوشت پروردگار شما بر خود ش
الرَّحْمَةَ ۙ اَنَّهٗ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوْۗءًۢا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْۢ بَعْدِهٖ وَاَصْلَحَ فَاَنَّهٗ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۞ وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ
رحمت را که هر که بکند از شما بدی را بنادانی پس بازگردد از پی آن و نیکو کند پس بدرستی که خدا آمرزنده مهربانست و همچنین بیان کنیم آیات را
وَلِتَسْتَبِيْنَ سَبِيْلُ الْمُجْرِمِيْنَ ۞ قُلْ اِنِّىْ نُهِيْتُ اَنْ اَعْبُدَ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ ۭ قُلْ لَّآ اَتَّبِعُ اَهْوَاۗءَكُمْ ۙ
و تا ظاهر شود راه گناهکاران بگو که من نهی کرده شدم که بپرستم آنها را که میخوانید شما از غیر خدا بگو که پیروی نکنم خواهشهای شما را
قَدْ ضَلَلْتُ اِذًا وَّمَآ اَنَا مِنَ الْمُهْتَدِيْنَ ۞ قُلْ اِنِّىْ عَلٰي بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَكَذَّبْتُمْ بِهٖ ۭ مَا عِنْدِيْ مَا تَسْتَعْجِلُوْنَ بِهٖ ۭ اِنِ
هر آینه گمراه شوم آنوقت و نباشم من از راه یافتگان بگو که من بر گواهیم از پروردگارم و تکذیب کردید بآن نیست نزد من آنچه شتاب خواهید نیست
الْحُكْمُ اِلَّا لِلّٰهِ ۭ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفٰصِلِيْنَ ۞ قُلْ لَّوْ اَنَّ عِنْدِيْ مَا تَسْتَعْجِلُوْنَ بِهٖ لَقُضِيَ الْاَمْرُ بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ ۭ
فرمان مگر از برای خدا حکایت حق را و اوست بهترین جدا کنندگان بگو که اگر بودی در نزد من آنچه شتاب خواهید هر آینه گذشته بود فرمان در میان من و میان شما
وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِالظّٰلِمِيْنَ ۞ وَعِنْدَهٗ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ اِلَّا هُوَ ۭ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۭ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَّرَقَةٍ
و خدای داناتر است بستمکاران و در نزد او است کلیدهای پنهان که دانای نیست آنها را بجز او و میداند آنچه را که در بیابان و دریاست و نیفتد هیچ برگی
اِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِيْ ظُلُمٰتِ الْاَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَّلَا يَابِسٍ اِلَّا فِيْ كِتٰبٍ مُّبِيْنٍ ۞ وَهُوَ الَّذِيْ يَتَوَفّٰىكُمْ بِالَّيْلِ
مگر که میداند آنرا و نه دانه در تاریکیهای زمین و نه تری و نه خشکی مگر که در کتاب هویداست و اوست آنکه در خواب کند شما را بشب
وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيْهِ لِيُقْضٰٓى اَجَلٌ مُّسَمًّى ۚ ثُمَّ اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ۞
و میداند آنچه را کسب کرده اید در روز پس برانگیزاند شما را در روز تا تمام شود مدتی که نام برده شده پس بسوی اوست بازگشت شما پس خبر دهد شما را بآنچه بودید که میکردید

القراءة بالغدوة مضمومة الغين ساكن الدال مفتوح الواو وكذا في الكهف ابن عامر الباقون بفتح الغين والدال وبالالف انه بالفتح وانه بالكسر
ابو جعفر ونافع وقرا ابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب جميعا بالفتح الباقون بالكسر فيهما وليستبين بياء الغيبة زيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم
غير حفص والمفضل الباقون بالتاء الفوقانية سبيل بالنصب ابو جعفر ونافع وزيد الباقون بالرفع يقص ابن كثير وابو جعفر ونافع وعاصم الباقون
يقضي الحق الوقوف يتقون وجه الظالمين من بيننا الشاكرين الرحمة لمن قرا انه بكسر الالف رحيم المجرمين من دون الله اهواءكم للنعيين اذا
بما قبله قد ضللت اذا اتبعت المهتدين وكذبتم تستعجلون به لله الفاصلين وبينكم بالظالمين الا هو والبحر مبين مسمى لان ثم لترتيب الاخبار
مع اتحاد المقصود تعملون التفسير لما وصف الرسل بكونهم مبشرين ومنذرين امر الرسول صلى الله عليه وآله بالانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال
له وانذر به قال ابن عباس والزجاج اي بالقرآن وهو المذكور هنا في قوله ان اتبع الا ما يوحى الي وقال الضحاك اي بالله قيل والاول اولى لان
الانذار التخويف انما يقع بالقول وفيه نظر لان الانذار لا نزاع فيه انه قول ولكن المنذر به قلما يكون قولا نحو قوله وانذرهم يوم الآزفة فانذرتكم
نارا تلظى ولو زعم ان المراد وانذرهم النار والعذاب بواسطة القرآن قلنا نقدر مثله ههنا والمعنى انذرهم العذاب يقول بلغني عن
شدة سخط الله وعقوبته اما الذين يخافون ان يحشروا فقيل انهم الكافرون الذين سبق ذكرهم فلعل ناسا من المشركين من حالهم انهم
يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا انهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار فامر ان ينذر هؤلاء دون المتمردين منهم ثم
قال هذا القائل ولا يجوز حمله على المؤمنين لانهم يعلمون انهم يحشرون والعلم خلاف الخوف والظن وضعف بان الخوف شامل للناس
كافة لعدم الجزم بالثواب وقبول الطاعة وان كانوا مقرين بصحة الحشر والنشر فالظاهر ان الضمير يتناول الكل لان العاقل لا بد ان يخاف
الحشر سواء كان جازما به او شاكا فيه وايضا انه مامور بتبليغ الكل فلا وجه للتخصيص وقيل انهم قوم مسلمون مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحى اليه لعلهم

والبصير فلا تستوي مع الاعمى

ع ١٢

ع ١٣



يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين وقيل هم اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ومعنى الى ربهم الى حكمه وقضائه فلا يلزم منه مكان ولا جهة
اما قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع فقال الزجاج ان الجملة في موضع الحال من ضمير يحشروا اي يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا
لهم فان كان الضمير للكفار فظاهر وان كان للمؤمنين فشفاعة الملائكة والرسل اذا كانت باذن الله تعالى فانما يكون بالحقيقة من الله تعالى فصح انه
ليس لهم من دونه ولي وشفيع ولا بد من هذه الحال لان الحشر مطلقا ليس مخوفا وانما المخوف هو الحشر على هذه الحالة لانهم اعتقدوا ان لا ناصر ولا شفيع
الا الله واذا لم يكن الله ناصره او شفيعا لزم ان لا يكون ناصر اصلا لعلهم يتقون قال ابن عباس لكي يخافوا في الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي قالت
المعتزلة فيه دلالة على انه اراد من الكفار التقوى والطاعة واجيبت بان الترجي راجع الى العباد ولما امر بانذار عموم المكلفين ليتقوا اردفه بذكر المتقين
وامر بتقريبهم واكرامهم روى عن ابن مسعود ان الملاء من قريش مروا على رسول الله وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين
فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء اتريد ان تكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال صلى الله عليه وآله ما انا بطارد المؤمنين
فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروى ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون
ثم الحوا وقالوا للرسول صلى الله عليه وآله اكتب لنا بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت ولا تطرد الآية فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته
قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا
ومعكم الممات اثنى الله عليهم بانهم يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس والحسن ومجاهد اي يصلون صلوة الصبح والعصر وقيل اي
يذكرون ربهم طرفي النهار والمراد بالغدوة والعشي الدوام والغدوة لغة ما بين صلوة الغدوة وطلوع الشمس والعشي ما بين الزوال الى الغروب
قال الجوهري غدوة بالتنوين نكرة وبدونها معرفة غير مصروفة وكسر ومحل يريدون وجهه نصب على الحال او على الاستيناف كانه قيل ما ارادوا
بالمواظبة على الدعاء فاجيب بقوله يريدون وجهه ولا يثبت به لله تعالى عضو كما زعمت المجسمة ولكن المراد به التعظيم فقد يعبر به عن ذات الشيء
او حقيقته كما توهمه اوجه الراي وذاك وجه الدليل وايضا المحبة يستلزم طلب الوجه فالوجه كناية عن المحبة وطلب الرضا ثم علل النهي بقوله ما عليك
من حسابهم من شيء قيل الضمير عائد الى المشركين اي لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك ذلك الى ان تطرد
المؤمنين والاولى ان يعود الى الفقراء ليناسب قوله فتطردهم كما في قصة نوح ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم
وقالوا يا محمد انهم قبلوا دينك ولازموك لاجل المأكول والملبوس فقال الله تعم ان كان الامر على ما زعموا فما يلزمك الا اعتبار الظاهر
ان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم لا يتعدى اليك كما ان حسابك لا يتعدى اليهم فالجملتان لهما مؤدى واحد وهو المفهوم من قوله ولا تزر
وازرة وزر اخرى كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه قيل ما عليك من حسابهم من شيء وانما الرزاق لك ولهم هو الله
سبحانه عسى ان يكونوا عنك اما قوله فتطردهم فهو جواب النفي في قوله ما عليك وفي انتصابه وجهان احدهما انه جواب النهي والثاني انه عطف
على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما معلوم من طردهم ومسبب عنه فان طرد من يستوجب التقريب والترحيب وضع للشيء في غير موضعه ومن
هنا طعن بعض الناس في عصمة النبي صلى الله عليه وآله قالوا وكان يقول كلما دخل اولئك الفقراء عليه بعد هذه الواقعة مرحبا بمن عاتبني
ربي فيهم او لفظ هذا معناه والجواب انه ما طردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما افرد لهم مجلسا تاليفا لقلوب المشركين و
تكثير السواد الاسلام مع علمه بانه لا يفوت الفقراء هذه المصالح امر مهم في الدنيا ولا في الدين فغايته ذلك انه يكون من باب ترك الاولى
والافضل وكذلك في مثل ذلك الفتن العظيم فتنا ابتلينا بعض الناس ببعض فاحد الفريقين هم الكفار يرى الاخر مقدما عليه في المناصب
الدينية فيقول اهؤلاء المستذلون من الله عليهم من بيننا كقوله أألقي الذكر عليه من بيننا والفريق الاخر يرى الاول مقدما عليه في الخيرات
العاجلة والخصب والسعة والراحة فيقول اهذا هو الذي فضله الله علينا واما المحققون فهم الذين يعلمون ان كل ما فعله الله فهو حق وصواب
ولا اعتراض عليه بحكم المالكية وبحسب عناية الاصلح بالجملة فصفات الكمال غير محصورة ولا تجتمع في انسان واحد انما هي موزعة على الخلائق
وكلها محبوبة لذاتها فكل انسان يحسد صاحبه على ما اتاه الله تعالى من صفة الكمال فمن عرف سر الله رضي بنصيبه نفسه وسكت عن التعرض
لغيره وعاش عيشا طيبا في الدنيا والاخرة قال هشام بن الحكم الافتتان الاختبار والامتحان وفيه دليل على انه تعالى لا يعلم
الجزئيات الا عند حدوثها والجواب انه يعامل المكلف معاملة المختبر وقد مر مرارا وقالت الاشاعرة في الاية دلالة على مسئلة خلق الاعمال لان تلك
الفتنة التي القاها الله تعالى ليست الا اعتراضهم على الله والاعتراض عليه كفر فهو تعالى خالق للكفر وايضا منة الله عليهم ليست الا بالايمان ومتابعة
الرسول فلو كان الموجد للايمان هو العبد لكان المان هو العبد على نفسه اجاب المعتزلة بان معنى فتناهم ليقولوا خذلناهم حتى آل امرهم الى ان قالوا ذلك
واللام لام العاقبة وزيف بانه عدول عن الظاهر مع انه انتقل الكلام الى الخذلان فلا بد من الانتهاء اليه تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين من
يصرف كل ما انعم عليه فيما اعطاه لاجله فيظهر افعاله على حسب معلوم الله تعالى وقال الكشاف اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه
للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وآله عن طردهم

وكان اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابدأهم بالسلام وقال ماهان الحنفي اتى قوم النبي صلى الله عليه وآله
فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما واظهروا الندامة والاسف فما اخاله ردهم بشيء فلما ذهبوا وتولوا نزلت الآية قال في التفسير الكبير الاقرب ان تحمل الآية
على عمومها فكل من آمن بآيات الله تعالى يدخل تحت هذا التشريف الاكرام ثم ابدى اشكالا وهو ان المفسرين اتفقوا على ان هذه السورة نزلت دفعة
واحدة واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يقال في كل واحدة من جميع آيات هذه السورة انها نزلت بسبب الامر الفلاني قلت لا استبعاد في ان تنزل السورة
دفعة وينزل الصحابة كل آية منها على واقعة تناسبها كيف وهم اعرف بحقائق التنزيل واعلم بدقائق التأويل لانهم اهل مشاهدة الوحي وارباب اسرار
الامر والنهي واعلم ان ما سوى الله تعالى فهو آيات وجود الله وانها لا تكاد تنحصر فيجب على المكلف ان يكون مدة حياته كالسابح في تلك القفار لكيلا يكون دائما
مترقيا في معارجها مترقبا ان ينفض عليه الانوار من مدارجها فيستسعد ببشارة سلام عليكم ويتأهل لكرامة كتب ربكم على نفسه الرحمة فقوله سلام
عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم قال الزجاج سلام اما مصدر سلمت سلاما وتسليما
مثل كلمت كلاما وتكليما ومعناه الدعاء بان يسلم من الآفات في نفسه ودينه واما ان يكون جمع سلامة وقيل السلام هو الله اي الله عليكم اي على حفظكم
ولعل هذا الوجه انما يتأتى في المعرف لا في المنكر كتب ربكم من جملة المقول لهم تبشيرا بسعة رحمة الله وقبوله التوبة ومعنى كتب على نفسه وجب على
نفسه مادحة على ذاته ايجاب الكرم لا ايجابا يستحق بتركه الذم وقالت المعتزلة كونه عالما بقبح القبائح وباستغنائه عنها يمنعه عن الاقدام عليها ولو فعل
كان ظلما وايجاب الرحمة منافي القول بانه منع الكافر من الايمان ثم امر حال ذلك المنع بالايمان ثم يعذبه على ترك ذلك الايمان والجواب بانه فاعل
لما يشاء ولا اعتراض عليه انه من عمل من قرأ بالفتح فعلى الابدال من الرحمة ومن قرأ بالكسر فعلى الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل
منكم سوءا بجهالة وهو في موضع الحال اي عمله وهو جاهل والمراد انه فاعل فعل الجهال لان من عمل ما يضره في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان
فهو من اهل السفه لا من اهل الحكمة والتدبير او انه جاهل بعاقبته ومن حق الحكيم ان لا يقدم على ما لا يعرف مآل حاله ثم تاب من بعده بان ندم
على ما فعله واصلح العمل في المستقبل فانه غفور يزيل العقاب عنه رحيم يوصل الثواب اليه من قرأ بالكسر فعلى ان الجملة جزاء للشرط ومن قرأ بالفتح
فعلى ان الخبر او المبتدأ محذوف اي فغفرانه كائن او فامره انه غفور وقيل ان الآية نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما طلبوا ولم يعلم انها مفسدة
وكذلك اي كما فصلنا في هذه السورة دلائلنا على التوحيد والتنزيه والقضاء والقدر نفصل الآيات ونميزها لك في تقرير كل حق ينكره اهل
الباطل ولتستبين معطوف على محذوف كانه قيل ليظهر الحق ولتستبين او متعلق بمحذوف اي ولتستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل
البين من رفع السبيل قرأ لتستبين بالياء او بالتاء لان السبيل يذكر ويؤنث ومن نصب السبيل قرأ لتستبين بناء الخطاب مع الرسول يقال استبان
الامر وتبين واستبنته واستبانة سبيل المجرمين يستلزم استبانة طريق المحقين فلذلك اقتصر على احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر
البرد وانما ذكر المجرمين دون المحقين لان طريق الحق واحد والمجرمون اصناف يتشعب امرهم فمنهم من هو مطبوع على قلبه ومنهم من يرجى فيهم قبول
الاسلام ومنهم من دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده فينبغي ان يستوضح سبيلهم ليعامل كلا منهم بما يجب ومن جملة ذلك انه نهي عن عبادة معبوديهم
وذلك قوله قل اني نهيت اي صرفت بالدلائل العقلية والسمعية ان اعبد الذين تدعون تعبدون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم لانه
عبادة المصنوع والمخلوق محض التقليد وعين الهوى قد ضللت اذا وما انا من المهتدين اي ان اتبعت الضلال اذا ذاك وفي الحكم مع انهما مثلان كأن
للتقرير والتأكيد وفيه تعريض بهم انهم كذلك ثم نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي على حجة واضحة من معرفة ربي وانه لا معبود سواه
وكذبتم انتم به حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وعلى يقين منه اذا كان ثابتا عنده بدليل وقيل اي على حجة من جهة ربي
وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل القرآن او البيان ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء قال الكلبي نزلت في النضر بن الحرث ورؤساء قريش كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالعذاب
الذي تعدنا به استهزاء منهم ان الحكم الا لله مطلق يتناول الكل فقال الاشاعرة لا يقدر العبد على امر من الامور الا اذا قضى الله تعالى فيمتنع
منه فعل الكفر الا بارادة الله واحتجت المعتزلة بقوله يقض الحق اي كل ما يقضي به فهو الحق وهذا يقتضي ان لا يريد الكفر من الكافر ولا المعصية
من العاصي لان ذلك ليس بحق ويمكن ان يجاب بان جميع احكامه حق وصدق ولا اعتراض لاحد عليه بحكم المالكية وانتصاب الحق على انه صفة مصدر اي يقضي
القضاء الحق او مفعول به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره ومثله من قرأ يقص الحق كقوله نحن نقص عليك احسن القصص اي
نقول الحق او يتبعه من قص اثره وهو خير الفاصلين اي القاضين وانما كتب يقض في المصاحف بغير ياء لانها سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين
ويوافق قراءة يقص قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم عاجلا غضبا لربي والله
اعلم بالظالمين يؤخر عقابهم الى وقته وانا لا اعلم ما يجب في الحكمة من وقت عقابهم ومقداره وان قلت ما يناقض هذا قوله فلعلك باخع نفسك
على آثارهم ان لم يؤمنوا فان استعجال الهلاك ينافي الحرص على الايمان لان من حرص على ايمان احد حرص على امهاله طمعا في ايمانه قلت لا بل
يؤكده لاشتراك كل من الحكمين في الاستعجال اللازم للبشرية في قوله وكان الانسان عجولا ثم بين سبحانه علمه بقوله على سبيل الاستعارة وعنده
مفاتح الغيب اراد انه المتوصل الى المغيبات وحده كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها ولم يمنعه من ذلك مانع والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح

النجار والثلج في هذا

ونبينه



او جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن قال الحكيم في بيانه ان العلم بالعلة التامة يوجب العلم بالمعلول وكل ما سوى الواجب فانه موجود بايجاده وتكوينه
بواسطة او بوسائط فعلمه بذاته يوجب العلم بالجميع اثاره على ترتيبها المعتبر كليات كانت او جزئيات وعلمه بذاته لم يحصل الا له فصح ان يقال
وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وفيه انه لا ضد له ولا ند اذ لو كان في الوجود واجب اخر لكانت مفاتح الغيب حاصلة ايضا عنده فيبطل هذا
الحصر ولا يمكن ان يكون هذه المفاتح عند شيء من الممكنات لان المحاط لا يحيط بمحيطه فلا يحيط ما دون الواجب بالواجب فلا يكون المفتاح الاول
للعلم بجميع المعلومات الا عنده ثم ان قوله وعنده مفاتح الغيب قضية معقولة مجردة والانسان الذي يقوى على الاحاطة بمعنى هذه القضية
نادر جدا والقران انما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الامور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية امثالا لها ليعين الحس العقل فقال
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لان ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظيمة لذلك المعقول وقدم ذكر البر لان الانسان قد شاهد احوال البر وكثرة ما
فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن والنبات والحيوان واما البحر فاحاطة الحس باحواله اقل مع كثرة ما فيهما من العجائب والغرائب
ايضا ثم افرد من هذه المحسوسات قسما فقال وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا اي لا يتغير حال ورقة الا والحق يعلمها ثم عدل عن التعجيب بكثرة
المدرك الى التعجيب من صغر المدرك وخفائه فقال وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على امر الحساب
لانه اذا كان بحيث لا يهمل امر الاشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلان لا يهمل امر المكلفين اولى ثم عاد الى ذكر القضية الكلية المجردة
بعبارة اخرى فقال وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ قال في الكشاف ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها
كانه قيل وما يسقط شيء من هذه الاشياء الا وهو يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في
كتاب مبين احد الكتاب المبين علم الله او اللوح قال علماء التفسير يجوز ان يكون الله جل شانه اثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل ان
يخلق الخلق ليقف الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات وانه لا يغيب عنه شيء فيكون في ذلك عبرة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون
به ما يحدث في العالم فيجدونه موافقا له ولانه اذا كتب احوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها والا لزم الكذب
او الجهل فيصير كتبة جملة الاحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في انه يمتنع تقدم ما تاخر وتاخر ما تقدم ثم لما بين كمال علمه اردفه ببيان كمال
قدرته بقوله وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ اي يتوفى انفسكم التي بها تقدرون على الادراك والتمييز وذلك ان الارواح الجسمانية تغور حالة النوم
من الظاهر الى الباطن فيتعطل الحواس عن بعض الاعمال واما عند الموت فتصير جملة البدن معطلة عن كل الاعمال فلهذا كان النوم اخا الموت
فصح لفظ الوفاة على النوم من هذا الوجه وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ اي ما كسبتم من العمل بالنهار ومنه الجوارح للاعضاء وللسباع ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ اي
يرد اليكم ارواحكم بالنهار لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى اي اعماركم المكتوبة وقضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها ثم لما ذكر انه يميتهم اولا ثم يوقظهم ثانيا
كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة فلا جرم استدل به على صحة البعث في القيامة فقال ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ في ليلكم
ونهاركم وجميع احوالكم واوقاتكم واعلم ان في الاية اشكالا لان قوله ويعلم ما جرحتم بالنهار كان ينبغي ان يكون بعد قوله ثم يبعثكم فيه فان البعث
في النهار مقدم على الكسب فيه بل على تعلق العلم بالكسب ويمكن ان يجاب بان المراد ويعلم ما جرحتم في النهار الماضي بدليل قوله جرحتم دون تجرحون
ثم يبعثكم في النهار الاتي والغرض بيان احاطة علمه وقدرته بالزمانين المحيطين بالليل ولعل صاحب الكشاف عدل عن التفسير الى ان قال
هو الذي يتوفيكم بالليل والخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كالجيف الانسداح الانبطاح او الاستلقاء ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم
من الاثام فيه ثم يبعثكم من القبور فيه اي في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام في النهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني
فتقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب
والاصوب عندي ان يبقى الخطاب عاما وكذا الكسب في النهار لا ينبغي ان لا يقيد بالاثام اما الضمير في فيه فيكون جاريا مجرى اسم الاشارة الى الكسب
البعث هو البعث من القبور الى اخر ما قال والله اعلم بالتاويل ولنذكر ما يرى بهذه الحقائق والمعاني الذين يخافون اي يرجون ان يحشروا الى
ربهم بجذبات العناية ويتحقق لهم انه ليس لهم في الوصول الى الله من دونه ولي من الاولياء ولا شفيع يعني من الانبياء لان الوصول لا يمكن
الا بجذبة الحق ولا تطرد الذين يدعون اخبر عن الفقراء انهم جلساؤه بالغداة والعشي كما قال انا جليس من ذكرني فلا تطردهم عن مجالستك
فانهم يطلبوني في متابعتك لا يريدون الدنيا ولا الاخرة ولكن يريدون وجهه كل له سؤل ودين وَمَذْهَبٌ وضلكم سؤلي وديني رضاكم
قال المحققون الارادة اهتياج يحصل في القلب يطلب الفرار من العدم حتى يصل الى الله فصاحب الارادة لا يهدأ ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون
الوصول الى الله سبحانه سكونا ولا قرارا ما عليك من حسابهم من شيء يعني الذي لنا معهم في الحساب من المواصلة والتوحيد في الخلوة فانهم ليس لك في شيء ذلك
ليكون عليك ثقلا وما من حسابك عليهم من شيء اي الذي لنا معهم في الحساب من التفرد بالوصول والوصال ليس لك الى ذلك حاجة ليثقل عليهم
فتطردهم فيكسر قلوبهم بالطرد فتكون من الظالمين بوضع الكسر مقام الجبر فانك بعثت لجبر قلوبهم كقوله واخفض جناحك للمؤمنين وكذلك فتنا بعضهم
ببعض ليشكر الفاضل ويصبر المفضول فيستويان في الفضل فلهذا قيل لسليمان ولايوب كليهما نعم العبد مع قدرة سليمان على اسباب الطاعة
وعجز ايوب عنه ومن فتنة الفاضل في المفضول رؤيته فضله على المفضول وتحقيره ومنع حقه عنه في فضله ومن فتنة المفضول في الفاضل حسده على

فضله وسخطه عليه ثم منع حقه من فضله عنه فان المعطي والمانع هو الله ومنها ان لا يرى الفاضل مستحقا للفضل فيقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا فقل سلام عليكم انه سبحانه من كمال فضله على الفقراء حماهم محمل الاكابر والملوك في الدنيا فقال لنبيه صلى الله عليه وآله كرمهم بالسلام وفي الآخرة فالهم الملائكة ان يسلموا عليهم في الجنة سلام عليكم طبتم بل سلم بذاته عليهم سلام قولا من رب رحيم وكل ذلك تفضلا منهم من ظلمة الخلقية باصابة رشاش النور في الازل فلهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة اي الرحمة الخاصة كما خص الخضر في قوله وآتيناه رحمة من عندنا والرحمة العامة كما في الحديث الرباني للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي من عمل منكم اي من المؤمنين سوءا بجهالة اي بجهالة الجهولية التي جبل الانسان عليها لاجلها الضلالة التي هي نتيجة اخطاء النور فان هذه لا ضرر بها ثم تاب من بعده اي رجع الى الله بقدم السير من بعد فساد الاستعداد الفطري واصلح الاستعداد بالاعمال الصالحة لقبول الفيض قل اني على بينة في الازل باصابة النور المرشش ما عندي ما تستعجلون به من غلبة الهوى لقضي الامر يعني الفناء والخصومات ولاستريحنا من ذنبكم لان الشيء انما ينفعل عن ضده لا عن شبهه وعنده مفاتح الغيب يعني العلوم العقلية التي سبب فتح باب صور عالم الشهادة كالنقاش يتشبه الصورة في ذهنه ثم يصورها في الخارج وانما وحد الغيب وجمع المفاتح لان عالم الغيب عالم التكوين وهو واحد في جميع الاشياء وفي الملكوت كثرة ويعلم ما في البر وهو عالم الشهادة وفي البحر وهو عالم الغيب بهذا العلم ما تسقط من ورقة عن شجرة الوجود الا يعلمها لانه مكونها ومسقطها ولا حبة هي حبة الروح في ظلمات صفات ارض النفس او حبة المحبة في ظلمات ارض القلب ولا رطب ولا يابس الرطب المؤمن واليابس ما سيصير موجودا وما فقد صار او الرطب الروحانيات واليابس الجمادات او الرطب المؤمن واليابس الكافر او الرطب العالم واليابس الجاهل او الرطب العارف واليابس الزاهد او الرطب اهل المحبة واليابس اهل السلوة او الرطب صاحب الشهود واليابس صاحب الوجود او الرطب الباقي بالله واليابس الباقي بنصيبه وهو الذي يتوفاكم بالليل ليل القضاء ويعلم ما جرحتم بالنهار نهار القدر او الليل ليل صفات البشرية والنهار نهار الشهود في عالم الوحدة

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا

واوست قهر کننده در بالای بندگان خود و می فرستد بر شما نگاهبانان تا چون که آمد یکی از شما را مرگ جان بستانند اورا فرستادگان ما و ایشان تقصیر نمیکنند پس بازگردند

إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا

بسوی خدا که مولای ایشانست بحق آگاه باشید که مراوراست فرمان واوست زود حساب کننده بگو کیست که برهاند شمارا از تاریکیهای بیابان و دریا میخوانید اورا بزاری

وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ قُلْ

و پنهانی هرآینه اگر برهاندی مارا ازین هرآینه میباشیم از سپاس گذاران بگو که خدا برهاند شمارا ازان و از هر اندوهی پس شما شرک آورید بگو

هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ

اوست توانا بر اینکه وا دارد بر شما عذابی از بالای سرشما یا از زیر پای شما یا برآمیزد شمارا گروهان و بچشاند پاره ازشما را عذاب

بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ

بعضی بنگر که چگونه مکرر گردانیم آیات را شاید که ایشان فهم کنند و تکذیب کردند ازا قوم تو واوست حق بگو نیستم من بر شما وکیل هر

نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا

خبری را جای قرارگاهیست و زود است که بدانید و چون دیدی آنهارا که فرو روند در آیات ما پس روگردان از ایشان تا فرو روند

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا عَلَى الَّذِينَ

در حکایتی غیر ازان و اگر از خواطر ببرد ترا شیطان پس منشین بعد از یاد آوردن با گروه ستمکاران و نیست برآنهاکه

يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ

پرهیز میکنند از محاسبه ایشان از چیزی ولیکن پند دادنست شاید که ایشان بپرهیزند و واگذار آنهارا که فرا گرفتند دین خود را بازیچه و بیهوده و فریب داد ایشانرا زندگی

الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ

دنیا و پند ده بدین قرآن که در گرو کرده شود هیچ تنی بآنچه کسب کرده نیست مرآن را از غیر خدا دوستی و نه شفاعت کننده و اگر فدا کند هر فدا کردنی

لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ قُلْ

پذیرفته نشود ازان آن گروه آنانند که در گرو کرده شدند بآنچه کسب کردند مرایشانراست نوشیدنی از آب گرم و عذابی دردناک بآنچه بودند کافر میشدند بگو

أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ

آیا بخوانیم از غیر خدا آنکه سود نرساند ما را و ضرر نکند ما را و برگردیم بر پاشنههای خود بعد ازانکه راه نمود ما را خدا چون کسی که سرگشته کرد اورا دیوان

فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

در زمین حیران مر اورا یارانست که میخوانند اورا بسوی راستی بیا بما بگو که بدرستیکه راه خدا آن راهست و مامور شده ایم که منقاد شویم پروردگار عالمیان را

وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ

واینکه برپای دارید نماز را و بپرهیزید ازو واوست آنکه بسوی او گرد آیید واوست آنکه آفرید آسمانها و زمین را بحق و در روزی

يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم

میگوید کہ باش پس میشود گفتار او حق است و مراورست پادشاهی در روزی کہ دمیده شود در صور داناء نهان و آشکارا و اوست داور

القراءة توفته واستهوته كلاهما لحمزة الباقون بتاء التأنيث قل من ينجيكم من الانجاء سهل ويعقوب وعباس الباقون بالتشديد وخفية بالكسر حيث كان ابو بكر وحماد الباقون بالضم انجانا كما لحمزة وعلي وخلف انجانا بدون الامالة عاصم الباقون انجيتنا قل الله ينجيكم بالتشديد يزيد وحمزة وخلف وعاصم وهشام الباقون بالتخفيف بعض انظر واشباه ذلك بكسر التنوين ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن شنبوذ عن اهل مكة وابن ذكوان ينسينك بالتشديد ابن عامر الوقوف حفظة لا يفرطون الحق الحاسبين وخفية لاحتمال الاضمار يقولون لئن انجيتنا وتعلق لئن بمعنى القول في تدعونه الشاكرين تشركون باس بعض يفقهون وهو الحق بوكيل مستقر للابتداء بسوف على التهديد مع شدة اتصال المعنى تعلمون غيره الظالمين يتقون ولا شفيع للشرط مع العطف منها كسبوا للانقطاع النظم مع اتصال المعنى لاحتمال ان يكون الذين خبر اولئك وقوله لهم شراب خبرا الهدى ائتنا الهدى العالمين لان التقدير وامرنا بان اسلموا واتقوه تحشرون بالحق فيكون في الصور والشهادة الخبير التفسير من الدلائل الدالة على كمال قدرته وحكمته قوله وهو القاهر فوق عباده والمراد منه الفوقية بالقدرة والتسخير كما يقال امر فلان اي انه اعلى رتبة منه ولا ريب ان الممكنات باسرها تحت تصرف الواجب ينقلها من حيز العدم الى حالة الوجود وبالعكس ويتصرف فيها كيف يشاء علويات كن او سفليات ذوات او صفات نفوسا او ابدانا اخلاطا او اركانا ومن جملة قهره ارسال الحفظة وهي جمع حافظ على عبيده يضبط اعمالهم من الطاعات والمعاصي والمباحات لانهم مطلعون على اقوال بني آدم لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعلى افعالهم لقوله يعلمون ما تفعلون واما صفات القلوب كالجهل والعلم فليس في الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها وعن ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله يتوب عنها فان لم يتب كتب عليه قالت العلماء من فوائد هذه الكتبة ان المكلف اذا علم ان الملائكة الموكلين عليه يكتبون اعماله في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في موقف القيمة كان ذلك ازجر له عن القبائح ومنها ان يوزن تلك الصحائف يوم القيمة فان وزن الاعمال غير ممكن ومنها التعبد فعلى المكلف ان يؤمن بكل ما ورد به الشرع وان لم يعرف وجه الحكمة في بعض ذلك وقال بعض الحكماء الحفظة النفوس والقوى الجسمانية التي تحفظ الاركان مع طبايعها المتضادة على امتزاجها وقال بعض العقلاء منهم النفوس البشرية والارواح السفلية مختلفة بجوهرها متباينة بماهياتها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في الذكاء والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم تعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة وعلى سبيل الالهامات اخرى فالارواح الخيرة لها مبادي من عالم الافلاك وكذا الارواح الشريرة وتلك المبادي في مصطلحهم تسمى بالطباع التام لان تلك الارواح في تلك الطبايع والاخلاق تامة كلها وهذه الارواح السفلية المتولدة منها اضعف منها لان المعلول في كل باب اضعف من علته ولاصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب كلام كثير وقيل ان النفوس المفارقة تميل الى ما يناسبها وتشابهها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالابدان فتحفظها وتعينها حتى اذا جاء احدكم الموت اي وقت اوانه توفته رسلنا اي باذننا وتفويضنا فالمتوفي بالحقيقة هو الله تعالى كما قال الله يتوفى الانفس حين موتها وهؤلاء الرسل اتباع ملك الموت في قوله يتوفيكم ملك الموت وهم الحفظة باعيانهم ام غيرهم فيه قولان اشهرهما الثاني ليكون ملائكة الروح والنجاة وهم لا يجانسون غير ملائكة الكرب والاحزان وهم الكروبيون وعن مجاهد جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من حيث يشاء وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وهم لا يفرطون لا يقصرون فيما امرهم الله تعالى وفيه مدح لهم بالعصمة ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم الحق صفتان والضمير في ردوا اما للملائكة يعني كما يموت بنو آدم يموت اولئك الملائكة او الى البشر انهم بعد موتهم يردون الى الله تعالى والمعنى انهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب فلما ماتوا انتقلوا الى تصرف المولى الحق وفيه اشعار بان الانسان شيء آخر وراء هذا الهيكل المحسوس فان هذا الهيكل يبقى ميتا والانسان مردود الى ربه وفي لفظ الرد اشارة الى ان الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق به زمانا ثم رد الى موضعه الاصلي وهو عالم الارواح يؤيده ارجعي الى ربك الا له الحكم كقوله ان الحكم لله وهو اسرع الحاسبين حسابا بالمحل انه تعالى يحاسب الخلق بنفسه دفعة واحدة لا يشغله كلام عن كلام وقيل يحاسب كل انسان واحد من الملك باذن الله تعالى لانه لو حاسب الكفار بذاته لتكلم معهم وهو محال لقوله ولا يكلمهم الله وقال الحكيم معنى سرعة المحاسبة ظهور الملكات في المبادي على النفس حين انقطاع التعلق قليلة كانت او كثيرة حسنة او ذميمة وبعد تعارض البعض بالبعض يحكم بما هو اغلب فبحسب ذلك يكون الثواب او ضده وذلك انه لا يحصل للانسان خطرة ولا نظرة ولا حركة ولا سكون الا ويظهر منها في جوهر نفسه اثر من آثار السعادة او ضدها قل او كثر وهو المراد بكتبة الاعمال قال الجبائي ههنا لو كان كلاما قديما لوجب ان يكون متكلما بالمحاسبة الآن وقبل خلقه وذلك محال لان المحاسبة يقتضي حكاية عمل تقدم وعورض بالعلم فانه كان قبل العالم عالما بانه سيوجد وبعد وجوده صار عالما بانه وجد ولا يلزم منه تغير الا للعلم ثم عدد لطفه واحسانا بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر

مجازا عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الكريه يوم مظلم وذو كواكب كانه اظلم عليه وجه الخلاص ويحتمل ان يكون الظلمات بالحقيقة
وظلمات البر ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمات البحر هما مع ظلمة الماء تدعونه في موضع الحال تضرعا وخفية مفعول لاجلهما او تمييز
او مصدر خاص والمراد ان الانسان عند حصول هذه الشدائد ياتي بامور احدها الدعاء الثاني التضرع والثالث الاخلاص
بالقلب وهو المعنى بقوله وخفية ورابعها التزام الشكر وهو قوله لئن انجيتنا من هذه الظلم والشدة لنكونن من الشاكرين فبين
الله سبحانه انه اذا شهدت الفطرة السليمة في هذه الحالة بانه لا ملجا الا الى الله ولا معول الا عليه وجب ان يبقى هذا الاخلاص
عند كل الاحوال والاوقات ثم بين انه ينجيهم من تلك المخاوف ومن سائر موجبات الحزن والكرب ثم ان ذلك الانسان يقدم على
الشرك الجلي وهو عبادة الاوثان او الخفي وهو اتباع الهوى وبالجملة فعادة اكثر الخلق ذلك اذا شاهدوا الخوف اخلصوا واذا انتقلوا
الى الامن والفراغ اشركوا ثم ذكر نوعا اخر من دلائل التوحيد مقرونا بنوع من التخويف فقال قل هو القادر واللام للعهد
او للجنس فيفيد انه من الذي عرفتموه قادر وهو الكامل القدرة على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كالمطر او الحجارة
مثل ما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من قبل اكابركم
وسلاطينكم او من جهة سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا هي جمع شيعة اي يخلطكم فرقا
مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في
ملاحم القتال وعن رسول الله صلعم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته
ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبرئيل ان فناء امتي بالسيف قالت الاشاعرة في قوله او يلبسكم شيعا دلالة على ان
الاهواء المختلفة والاراء الفاسدة والبدع كلها من الله تعالى وفي قوله ويذيق بعضكم بأس بعض اشارة الى ان المعاصي
وانواع الظلم مستندة الى الله تعالى وقالت المعتزلة الاية لا تدل الا على انه تعالى قادر على القبيح والنزاع في انه هل يفعل
ذلك ام لا واجيب بان الاية دلت على ان القدرة على هذه الامور مختص به وهذه الامور واقعة فيكون هو فاعلها با
لضرورة انظر كيف نصرف الايات تقرير الدلائل الواضحات وقد قال مثل ذلك فيما قبل فالتقدير انظر كيف نصرف
الايات ثم هم يصدفون فلا نعرض عنهم بل نكررها لعلهم يفقهون وكذب به اي بالعذاب المذكور في الاية السابقة
قومك يعني قريشا ومن دان بدينهم وهو الحق اي لابد ان ينزل بهم وقيل اي بالقران وهو الحق لانه كتاب منزل من عند
الله وقيل اي بتصريف الايات لانهم كذبوا كون هذه الاشياء دلالات قل لست عليكم بوكيل اي بحافظ حتى اجازيكم
على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما انا منذر لكل نبأ لكل خبر يخبره الله تعالى مستقر استقرار وموضع استقرار
والمراد بالنبأ المنبأ به لان النبأ قد يحصل والمقصود ان لعذاب هؤلاء والاستيلاء المسلمين على الكفار بالقتل والاسر والقهر وقتا
ومكانا يحصل فيه من غير خلف ولا تاخير وسوف تعلمون فيه من التهديد ما فيه ثم بين ان اولئك المكذبين ان ضموا الى
كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن في الرسول فانه يجب الاحتراز عن مجالستهم فقال واذا رأيت ايها السامع
الذين يخوضون في اياتنا والخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه اللعب والعبث وقريب منه قول المفسرين
انه في الاية الشروع في ايات الله على سبيل الطعن والاستهزاء وكان قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم
بالقيام عنهم لقوله بعد ذلك فلا تقعد وقيل المطلوب اظهار الانكار وكل طريق افاد هذا الغرض وان كان
غير القيام عن مجلسهم فانه يجوز المصير اليه هذا عند عدم الخوف اما مع الخوف فهذا الغرض ساقط والتقية واجبة
نعم كل ما وجب على الرسول صلعم فعله وجب عليه سواء ظاهر اثر الخوف او لم يظهر [illegible] الا لم يبق الاعتماد على التكاليف
التي يبلغها واما ينسينك الشيطان ان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد
بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم
بالظلم قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال الفراء هي الذكر قال في الكشاف بناء على مذهبه يجوز ان يراد
وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد
الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم قال الجبائي اذا كان عدم العلم بالشيء يوجب سقوط
التكليف فعدم القدرة على الشيء اولى بان يوجب سقوط التكاليف وهذا يدل على ان تكليف ما لا يطاق
لا يقع ولا يدل على ان الاستطاعة حاصلة قبل الفعل لانها لو لم تحصل الا مع الفعل لم يكن الكافر



قادر على الايمان فوجب ان لا يتوجه عليه الامر بالايمان قال ابن عباس قال المسلمون لئن كنا كلما
استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف
بالبيت فنزلت الرخصة ان يقعدوا معهم ويذكروهم ويفهموهم بقوله وما على الذين يتقون اي الشرك
والكبائر والفواحش من حسابهم من ذنوبهم التي يحاسبون عليها من شيء ولكن ذكرى اي ولكن يذكرونهم
تذكيرا او ولكن عليهم ان تذكرهم او ولكن الذي تأمرونهم به ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من
شيء كقول القائل ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك فان الذكرى ليس من
حساب المشركين ثم اكد الاعراض عنهم بقوله وذر الذين والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم والمبالاة بهم
لا ترك الانذار وتخويفهم كقوله فاعرض عنهم وعظهم وصفهم بوصفين الاول انهم اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا وفيه وجوه اتخذوا الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزءوا واتخذوا
ما هو لعب ولهو يعني عبادة الاوثان وغيرها دينا لهم او المراد ما كانوا يحكمون به بمجرد التقليد والهوى كتحريم البحائر
والسوائب والمراد ان المشركين واهل الكتاب اتخذوا اعيادهم لعبا ولهوا لا كالمسلمين حيث اتخذوا عيدهم كما شرعه
الله تعالى قاله ابن عباس او هو اشارة الى من جعل دين الاسلام وسيلة الى المناصب والرياسات والغلبة
والجدال لا لانه حق وصدق في نفسه ويؤكد هذا الوجه الوصف الثاني وهو قوله وغرتهم الحيوة الدنيا
كانهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حطام الدنيا وذكر به اي بالقرآن
او بالدين القويم مخافة ان تبسل نفس قال الحسن ومجاهد ان تسلم الى الهلاك والعذاب وترتهن بسوء عملها واصله
المنع فالمسلم اليه وهو العذاب يمنع المسلم ومنه الباسل للشجاع لامتناعه من قرنه وقال قتادة تحبس في جهنم وعن
ابن عباس تفتضح ليس لها اي للنفس من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل ان تفد كل فداء لان الفداء
يعدل المفدى بمثله لا يؤخذ منها قال في الكشاف فاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند
اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده قلت ان فسر الاخذ بالقبول كما في قوله
ويأخذ الصدقات ارتفع الفرق اولئك المتخذون هم الذين ابسلوا بما كسبوا ثم بين ما بهم ضار وامرهين وعليهم محوي
بقوله لهم شراب من حميم ثم رد على عبدة الاصنام بقوله قل اندعوا من دون الله النافع الضار ما لا ينفعنا ولا يضرنا
اي لا يقدر على النفع والضر ونرد داخل في الاستفهام اي نرجع الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام
فان الردة عود الى الحالة الاولى التي كان الانسان عليها من الجهل كقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
كالذي استهوته محله النصب على الحال من الضمير في نرد اي ننكص على العقبين مشبهين من استهوته وهو استفعال من هوى في
الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه اي سقوطه من الموضع العالي الى الوهدة العميقة كقوله ومن يشرك بالله فكانما
خر من السماء وقيل اشتقاقه من اتباع الهوى وحيران حال اخرى لكن من الضمير في استهوته وكذا الجملة بعده ومعنى الحيرة التردد
في الامر بحيث لا يهتدي الى مخرج منه ومنه تحيرت الروضة بالماء اذا امتلأت فتردد فيها الماء اي لهذا المستهوى اصحاب
رفقة يدعونه الى الهدى اي ان يهدوه الطريق المستوى فيكون مصدرا او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له
ائتنا والدعاء في معنى القول وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده من ان الجن والغيلان تستهوي الانسان وتستولي عليه فشبه
به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه الى الحق وقد اعتسف المهمه تابعا للجن غير ملتفت اليهم وقيل
ان لذلك الكافر اصحابا يدعونه الى ذلك الضلال ويسمونه بانه هو الهدى وروي ان الاية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق فانه
كان يدعو اباه الى عبادة الاوثان قل ان هدى الله هو الهدى وهو الاسلام هو الذي يحق ان يسمى هدى وما وراءه عمى وضلال وامرنا لنسلم
لرب العالمين وان اقيموا قال الزجاج لا بد من تأويل ليستقيم العطف فالتقدير امرنا للتسليم ولان نقيم او امرنا ان اسلموا وان اقيموا
قيل والنكتة في العدول عن الظاهر ان المكلف كالغائب ما لم يسلم فاذا اسلم صار كالحاضر وتقرير الاية ان تعلق الامر اما ان يكون من باب
الافعال او من باب التروك والاول اما ان يكون من افعال القلوب او من افعال الجوارح ورئيس افعال القلوب الايمان بالله و
الاسلام وهو قوله لنسلم ورئيس اعمال الجوارح الصلوة وهو قوله وان اقيموا ثم اشار الى جوامع التروك بقوله واتقوه
ثم قال وهو الذي اليه تحشرون ليعلم ان منافع هذه الاعمال انما تظاهر في يوم الحشر ثم دل على وجود الحاشر

الحاشر بقوله وهو الذى خلق السموات والارض قياما وملتبسا بالحق بالحكم اللطيفة والغايات الصحيحة والاغراض المطابقة وذلك انه اودع فى هذه
الاجرام قوى وخواص واثار تتضمن مصالح الابدان ومنافع نوع الانسان وهكذا خلق يوم يقول كن فيكون قوله الحق فقوله فاعل يكون ويوم مفعول
خلق المعين انه تعم خلق العالم من الافلاك والطبائع والعناصر والمواليد وخلق يوم القيمة لرد الارواح الى الاجساد بطريق كن فيكون ويحتمل ان
ان يكون قوله الحق مبتدأ وخبرا مستانفا وقوله الحق مبتدأ ويوم يقول ظرف دال على الخبر مثل يوم الجمعة القتال اى القتال واقع يوم الجمعة والمراد
ان قضاءه فى ذلك اليوم حق وصدق خال عن الجور والعبث ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ولله صو دانه لا ملك فى
ذلك اليوم الا له من غير دافع ولا منازع والصور باتفاق اكثر اهل الاسلام قرن ينفخ فيه ملك من الملائكة كما جاء فى مواضع من القرءان ونفخ
فى الصور فصعق ففزع فاذا نقر فى الناقور وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة مثل صوف وصوفة وخطاه الائمة فقالوا كل جمع على لفظ الواحد
الواحد بزيادة هاء فيه كالصوف اما اذا اسبق الواحد الجمع فليس كذلك كغرفة وغرف وظلمة وظلم جمع صورة الانسان على صور بالفتح كقوله فاحسن
صوركم ومن اسكن فقد اخطاء ومما يدل على ان الصور هو القرن لا جمع صورة الانسان انه تعم لم يضف النفخ الى نفسه كما قال ونفخت فيه من
روحى فنفخنا فيها من روحنا ثم انشاناه خلقا اخر ثم لما بين كمال قدرته بقوله وله الملك ذكر كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة اى هو العالم
بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وهو الحكيم المصيب فى اقواله وافعاله الخبير النافذ علمه فى بواطن الخفايا من غير اشتباه والتباس
فان امر البعث لا يتم الا بقدرة كاملة وعلم تام كيلا يشتبه المطيع والعاصى والصديق والزنديق التاويل وهو القاهر بوصف الجلال للاولياء
نهايتها بوصف الجبروت للاعداء ويرسل عليكم حفظة من صفات قهره حتى لو ارادت نفسه الخروج عن قهر مجاهدتها قهرتها سطوات العتاب فردتها
الى بذل المهجة ان ارادت قلبه فرحته عن مطالبات العزة قهرته صدمات الهيبة فردته الى توديع البهجة ولو اراد روحه استرواحا من الخوف قهره
بوادة التجلى فردته الى بذل المهجة حتى اذا جاء احدكم الموت يعنى الفناء عن اوصاف الوجود توفته رسل صفات قهرنا وهم لا يقصرون فى افناء
الاوصاف ثم ردوا الى البقاء بالله قل الله ينجيكم من ظلمات بر الاجسام وبحر الارواح فان عالم الارواح بالنسبة الى عالم الالوهية ظلمانية تدعونه
تضرعا بالجسم وخفية بالروح ومن كل كرب افتقر وفنيته ثم انتم تشركون حين يتجلى لكم نور من انوار صفاته بعضكم يقول انا الحق وبعضكم يقول سبحانى
ما اعظم شأنى عذابا من فوقكم بسدل حجاب العزة والقهر ومن تحت ارجلكم بحجاب من اوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم او يلبسكم شيعا
بجعل الخلق فيكم فرقا من قائل هو ومن قائل هم الزنادقة ويذيق بعضكم باس بعض بالقتل والصلب والاطراف انظر كيف نصرف ايات المعارف
للسائرين الى الله لعلهم يفقهون لشرائط السير فيقفوا فى مقام دون الفناء عن طلب الوجود بالبقاء بتهوا نفسهم وكذب بهذا المقام قومك المنكرون
وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لا سلك طريق هذا المقام بكم الحكم لان ليس للانسان الا ما سعى كما قال لكل نبا مستقر اى لكل سائر وواقف
مستقر من درجات القرب او دركات البعد واذا رايت الذين يخوضون فى احوال الرجال ولا حظ لهم منها فاعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا
فى حديث غير تلك المقامات التى هى حق فى شيء وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا الا من هو يهتم لهم لجهلهم بالرتبة ان يرتاب الطالبين انما هو الله نبأ
وقبول الحق ان تبسل نفس اى كراهة ان يبطل استعداد هؤلاء الكلية بما كسبت بما يكسرون مقامات الرجال من الوصول الى الوصال قل اندعوا من دون
الله اى نطلب غير الله الذى هو النافع والضار والنفع الحقيقى هو الفوز بالوصول اليه والضر الحقيقى هو الانقطاع عنه ونرد على اعقابنا الى مقام
الانقطاع التى كنا فيها بعد ان هدينا الله الى الوحدة كالذى استهوته الشياطين الجن والانس فى ارض البشرية باتباع الهوى حيران من اعوانهم وامرنا لنسلم
بترك الوجود كالكرة فى ميدان القدرة مستسلما لصولجان القضاء وان اقيموا الصلوة بحافظة الاسرار عن الاغيار والاتقاء بعون غيره والحشر
اليه لا الى الجنة او النار كما قال الا من طلبنى وجدنى وهو الذى خلق السموات والارض بالحق اى لاظهار صفاته فجعل المخلوقات مرآة لجماله وجلاله واذا
اراد ان يرى عبدا من عباده تلك الصفات يقول له كن رائيا فيكون ولن يصير رائيا بجهد سعيه لان قوله حق الانسان كن رائيا هو الحق وله
ملك الاراءة وملك الرؤية ينفخ الاراءة فى صور القلب هو الحكيم فيما اختص الانسان باراءة الايات الخبير بمن يختصه من بين الناس بالاراءة

وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرٰىكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلٰلٍ مُّبِينٍ وَكَذٰلِكَ نُرِىٓ

و چون گفت ابراهیم مر پدر خود آزر را که آیا فرا گرفته بتهارا خدایان درستی که من میبینم ترا و قوم ترا در گمراهی هویدا و همچنین و انمودیم

إِبْرٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ

ابراهیم را پادشاهی آسمانها و زمین و تا باشد از یقین دارندگان پس چون در آمد بر او شب دید ستاره را گفت که این است پروردگار من پس چون فرو رفت گفت دوست ندارم

الْءَافِلِينَ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ فَلَمَّا رَءَا

فرو روندگان را پس چون دید ماه را تابان گفت که این پروردگار من است پس چون غروب کرد گفت اگر راه ننماید مرا پروردگار من هر آینه میباشم از گروه گمراهان پس چون دید

الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّى هٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ

آفتاب را تابان گفت که این پروردگار من است این بزرگتر است پس چون غروب کرد گفت ای قوم من بیزارم از آنچه شریک میآرید بدرستی که من روی آوردم روی خود را

لِلَّذِى فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى اللَّهِ وَقَدْ

مر آنکه آفرید آسمانها و زمین را مایل از باطل و نیستم من از مشرکان و خصومت کردند او را قوم او گفت آیا خصومت میکنید با من در خدا و حال آنکه

هَدٰانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ

هدایت کرد مرا و نمی‌ترسم آنچه را که انباز قرار داده اید مگر آنچه خواهد پروردگار من چیزی را فرا گرفته پروردگار من هر چیزی را بدانش آیا پس پند نمی‌گیرید و چگونه

أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ

بترسم آنچه را که شریک آورده اید و نمی‌ترسید که شما شریک آورده اید بخدا آنچه را که فرو نیاورده بر شما به آن حجتی پس کدام از این دو طائفه سزاوارترند بایمنی اگر

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا

هستید که میدانید آنان که گرویدند و نیالودند ایمان خود را بستم آن گروه مر ایشانراست ایمنی و ایشانند راه یافتگان و اینست دلیل

آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿ع ٤﴾

ما که دادیم ابراهیم را بر قومش بلند میکنیم مرتبه‌ها آنرا که خواهیم بدرستی که پروردگار تو داور داناست

القراآت اني اراك بفتح الياء ابو عمرو وابن كثير وابو جعفر ونافع لابيه آزر بالضم على النداء يعقوب رأى كوكبا بامالة الهمزة ابو عمرو غير عباس والنجاري عن ورش وكذلك
راه وراك وقرأ حمزة وعلي وخلف ويحيى وعباس وهبيرة من طريق الخزاز بكسر الراء والهمزة ووافق ابن ذكوان في رأى فقط وحالفهم فيما اتصل بالكاف
والياء في سورة النجم ووافق ابن مجاهد والنقاش بالامالة وكسر الراء في سورة اقرأ باسم رأى القمر ورأى الشمس ونحوهما بكسر الراء وفتح الهمزة حمزة وخلف
ونصير وعباس ويحيى والخزاز وروى خلف عن يحيى بكسر الراء والهمزة اتحاجوني بتخفيف النون ابو جعفر ونافع وابن ذكوان الباقون بادغام نون الاعراب
في نون الوقاية وقد هدان بالامالة علي وقرأ سهل ويعقوب ابن شنبوذ عن قتيبة بالياء في الحالين ووافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل
درجات من بالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف ويعقوب الوقوف الهمزة الابتداء بان مع اتحاد مبين الموقنين رأى كوكبا لان جواب لما قوله رأى
مع اتحاد الكلام بالاعطف ربي لان جواب لما منتظر مع فاء التعقيب فيها الافلين هذا ربي لذلك الضالين هذا اكبر لذلك تشركون المشركين لاحتمال
الواو الحال اي وقد حاجه قومه هدان لانتهاء الاستفهام شيئا علما تتذكرون سلطانا لاستفهام بالامن لان جواب ان منتظر محذوف لتقدمه ان كنتم
تعلمون فاجيبوا مع اتحاد الكلام تعلمون لتناهي الاستفهام وابتداء اخبار ولو وصل اتصل بما قبله مهتدون على قومه من نشاء عليم التفسير انه سبحانه
كثيرا ما يحتج على مشركي العرب باحوال ابرهيم صلوات الرحمن عليه لانه يعترف بالفضل والتقدم عند جميع الطوائف وذلك والملك انه سلم قلبه للرحمن
ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم ان ظاهر الاية تدل على ان اسم والد ابرهيم هو آزر ومنهم من قال اسمه تارح
قال الزجاج لاخلاف بين النسابين ان اسمه تارح فمن الملحدة من طعن في هذا النسب لهذا السبب والجواب ان اجماع النسابين لا عبرة به لان ذلك
ينتهي الى قول واحد او اثنين مثل وهب وكعب وغيرهما سلمنا ان اسمه كان تارح لكنه من المحتمل ان يكون احدهما لقبا والآخر اسما اصليا او يكون آزر
صفة مخصوصة في لغتهم كالمخطئ والمخرف وقيل ان آزر هو الشيخ الهرم بالخوارزمية وهذا عند من يجوز اشتمال القرآن على الفاظ قليلة من غير
لغة العرب وقيل ان آزر اسم صنم يجوز ان يسمى به للزوم عبادته فان من بالغ في محبة واحد فقد يجعل اسم المحبوب اسما للمحب قال تعالى يوم ندعو كل
اناس بامامهم وقال الشاعر ادعى باسماء نبزا في قبائلها كأن اسماء اضحى بعض اسمائي او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل ان والد
ابرهيم كان تارح وكان آزر عمه والعم قد يطلق عليه اسم الاب بدليل قوله نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق ومعلوم ان اسمعيل
كان عما ليعقوب ومما يدل على صحة ظاهر الاية ان اليهود والنصارى والمشركين كانوا احرص الناس على تكذيب الرسول ص واظهار نقصه فلو كان
النسب كذبا لامتنع في العادة سكوتهم عن تكذيبه وحيث لم يكذبوه علمنا ان النسب صحيح قالت الشيعة ان احدا من آباء الرسول
صلى الله عليه وآله ما كان كافرا وفسروا قوله وتقلبك في الساجدين بانتقاله من ساجد الى ساجد واكدوه بما روي انه صلى الله عليه وآله
قال لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وان آزر كان عم ابرهيم وما كان والده لان ابرهيم شافهه بالغلظة والجفاء في قوله
اني اراك وقومك في ضلال مبين وقد قال تعالى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما ولانه ناداه بالاسم في قراءة من قرأ آزر بالضم والنداء بالاسم دليل
الاستخفاف ولهذا لم يقرأ بالضم في قوله وقال موسى لاخيه هرون اخلفني واجيب بان قوله وتقلبك في الساجدين يحتمل وجوها اخر سوف يجيء
ذكرها وبان قوله لم ازل انقل محمول على انه لم يقع في نسبه ما كان سفاحا والتغليظ من ابرهيم انما كان لتصلب ابيه على الكفر كما قال فلما تبين
له انه عدو لله تبرأ منه لا لاجل السفه والجفاء لقوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب ثم ان ابرهيم احتج على فساد اعتقاد عبدة الاصنام بقوله
منكرا على ابيه وقومه اتتخذ اصناما آلهة اي معبودين وذلك ان الاصنام لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافيا
فلما لم يكن الواحد كافيا دل ذلك على عجزها وان كثرت احتج بعضهم بالاية على وجوب معرفة الله تعالى وعلى ان وجوب الاشتغال بشكره معلوم
بالعقل لا بالسمع لان ابرهيم حكم عليهم بالضلال من حيث التقليد لا الاستدلال واجيب بانه لعله عرف ضلالهم بحكم شرع الانبياء المتقدمة له
عليه وكذلك اي ومثل ما اريناه من قبح عبادة الاصنام والاشتغال بغير الله نري ملكوت السموات والارض والنكتة فيه ان التخلي عن غير الله
يوجب رفع الحجاب فبعد ذلك يكون حصول التجلي والتحلي بالله وانما لم يقل اريناه بلفظ الماضي لاستمرار الحكاية كانه قيل كيف بلغ ابرهيم هذا
المبلغ في قوة الدين والذب عنه فاجيب بانا كنا نريه الملكوت وقت طفوليته لاجل ان يصير من الموقنين زمان بلوغه او المقصود بيان ارتقائه

في معارج الكمال وازدياده في ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فان مخلوقاته تعالى وان كانت متناهية في الذات وفي الصفات الا ان جهات دلالاتها على ذاته وصفاته سبحانه غير متناهية كما قال امام الحرمين معلومات الله غير متناهية ومعلوماته في تلك المعلومات ايضا غير متناهية فان الجوهر الفرد يمكن وقوعه في احياز لا نهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل فكل تلك الاحوال المقدرة معلومة الله تعالى وكل تلك الاحوال دالة على حكمة الله تعالى وعظمة قدرته واذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت ولهذا قيل السفر الى الله تعالى له نهاية فاما السفر في الله سبحانه فانه بلا نهاية والملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة قال بعضهم انه سبحانه اراه الملكوت بالعين قالوا شق له السموات حتى رأى العرش والكرسي الى منتهى الاجرام العلوية وشق له الارض الى ما تحت الثرى فرأى ما فيها من البدائع والعجائب عن ابن عباس انه لما اسري بابراهيم الى السماء وأري ما فيها وما في الارض من العجائب رأى عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى آخر بالهلاك فقال الله تعالى له كف عن عبادي فهم بين خلال ثلث اما ان اجعل منهم ذرية طيبة او يتوبون فاغفر لهم او النار من ورائهم وقال الاكثرون ان هذه الاراءة كانت بعين البصيرة لان ملك السموات والارض لا يرى وانما يعرف بالعقل ولو اريد نفس السموات والارض صار لفظ الملكوت ضايعا وايضا قوله فلما جن عليه الليل جار مجرى الشرح والتفسير لتلك الاراءة فثبت انه استدل بتغير الاجرام وامكانها وحدوثها على وجود الاله الواجب الحكيم ثم قال بالآخرة وتلك حجتنا والرؤية بالعين لا يصير حجة على قومه وايضا الاراءة بالعين يفيد العلم الضروري بالاله القادر ومثل هذه المعرفة لا يوجب المدح والثواب كما للكفار في الآخرة وايضا اليقين عبارة عن تحصيل علم بالتأمل اذا كان مسبوقا بالشك فالمراد نري ابراهيم يستدل بها وليكون من المؤمنين وليكون من الموقنين نريها وفعلنا ذلك وذلك ان الاراءة قد تصير سببا للجحود لا الايقان كما في حق فرعون ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وابى وايضا الانسان لا يمكنه ان يرى بالعين اشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال وبتقدير الامكان لا يكون لها دوام وبقاء وبتقدير البقاء يكون شاغلة للرائي عن الله اما اذا نظر بعين البصيرة في المخلوقات وعرف حدوثها وامكانها وعرف ان كل ممكن محتاج الى الصانع الحق الواجب فكانه بهذا من المقدمتين قد طالع صفحة الملكوت بعين عقله وسمع باذن قلبه شهادتها بالاحتياج والانقياد لله وهذه الرؤية باقية غير زائلة ولا شاغلة عن الله بل هي شاغلة للقلب والروح بالله وهذه الرؤية وان كانت حاصلة لجميع الموحدين لقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الا ان الاطلاع على تفاصيل آثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحسب اجناسها وانواعها واصنافها واشخاصها وعوارضها ولواحقها كما هي لا تحصل الا للاكابر الانبياء ولهذا قال عم في دعائه ارنا الاشياء كما هي ثم ان الانسان في اول استدلاله لا ينفك قلبه عن اختلاج شبهة فيه فاذا كثرت الدلائل وتوافقت وتطابقت كان لكل واحد منها نوع تأثير وقوة ويكون جاريا مجرى تكرار الدرس الواحد ويزداد النفس بكل منها نورية واشراقا وانبساطا الى ان يحصل الجزم ويكمل الايقان ويطلع شمس العلم والعرفان الى حيث اتيح لها من الارتفاء والنصاعة وذلك قوله فلما جن عليه الليل قال في الكشاف انه معطوف على قوله واذ قال ابرهيم وقوله وكذلك نري جملة وقعت اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه يقال جن عليه الليل واجنه الليل والتركيب يدور على الستر منه الجنة والجن والمجنون والجنين وقيل جن عليه الليل اي اظلم عليه ولاجل هذا التضمين عدي بعلى واما اجنه فمعناه ستره من غير تضمين معنى اظلم واعلم ان كثيرا من المفسرين ذكروا ان ملكا من ملوك الزمان رأى رؤيا وعبرها المعبرون بانه يولد غلام ينازعه في ملكه فامر بذبح كل غلام يولد فحملت ام ابرهيم عم وما اظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف في جبل ووضعت ابرهيم وسدت الباب بحجر فجاء جبرئيل عم فوضع اصبعه في فيه فمصه فخرج منه رزقه وكان يتعهده جبرئيل عم وكانت الام تاتيه احيانا وترضعه وبقي في الغار حتى كبر وعرف ان له ربا فسأل الام فقال لها من ربي فقالت انا فقال من ربك فقالت ابوك فقال للاب من ربك فقال ملك البلد فعرف ابرهيم جهلهما بربهما فنظر من باب ذلك الغار ليرى ما يستدل به على وجود الرب سبحانه فرأى النجم الذي كان اصغر النجوم في السماء فقال هذا ربي الى آخر القصة ثم منهم من قال كان هذا بعد البلوغ واوان التكليف ومنهم من قال كان هذا قبل البلوغ واكثر المحققين على فساد هذا القول لوجوه منها ان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر لا يجوز على الانبياء بالاتفاق ومنها ان ابرهيم كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة لان الله تعالى اخبر عنه انه دعا اباه الى التوحيد بالرفق مرارا بقوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الآيات وفي هذا الموضع دعاه الى التوحيد بالكلام الخشن والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة ومنها ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه ملكوت السموات والارض بدليل فاء التعقيب في قوله فلما جن ومنها انه تعالى وصفه بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم ومدحه بقوله ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل اي من اول زمان الفطرة ومنها قوله عقيب هذه القصة وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه ولم يقل على نفسه ومنها انه قال بعد القصة يا قوم اني بريء مما تشركون مع انه ما كان في الغار لا قوم ولا صنم ومنها قوله وحاجه قومه وفيه دليل على انه انما اشتغل بالنظر في الكواكب بعد ان خالط قومه وراهم يعبدون الاصنام ودعوه الى عبادتها فقال لا احب الآفلين ردا عليهم وتنبيها على فساد قولهم ويؤكده قوله وكيف اخاف ما اشركتم لانه يدل على انهم كانوا قد خوفوه بالاصنام كما في قصة هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ومنها ان تلك الليلة كانت مسبوقة بالنهار وكان ينبغي ان يستدل اولا بغروب الشمس على عدم الهيتها ثم يبطل الهية القمر وسائر الكواكب بالطريق الاولى ولما لم يكن كذلك علمنا ان المقصود الزام القوم وافحامهم والابتداء بافول الكوكب لانه اتفق مكالمته مع القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتدت

انا نقال لها



المناظرة الى ان طلعت الشمس ثم ههنا احتمالان الاول ان يقال ان هذا كلام ابرهيم بعد البلوغ ولكنه ذكره بلفظهم حتى يرجع اليه فيبطله مثاله ان
يقول للمناظرة من يزعم قدم الجسم الجسم القديم فان كان كذلك فلم نشاهده ونراه متركبا متغيرا فقوله الجسم قديم اعادة لكلام الخصم لالزام الحجة
عليه او المراد هذا ربي في زعمكم واعتقادكم كقول الموحد للمجسم الاله جسم محدود اي في زعمه واعتقاده قال ويوم يناديهم فيقول اين شركائي
وقال ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك كان ثم يقول يا اله الالهة في زعمهم او المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار الا انه اسقط حرف
الاستفهام لدلالة الكلام او اضمر القول اي يقولون هذا ربي واضمار القول كثير واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا
والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا او ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء او انه عم قد عرف من تقليدهم
لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل انه لو صرح بالدعوة لم يقبلوا فقوله فمال الى الاستدراج وذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم مع ان قلبه
كان مطمئنا بالايمان فكان بمنزلة المكره على كلمة الكفر حيث لم يجد الى الدعوة المامور بها طريقا سوى ذلك واذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة تعود
الى شخص واحد كقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فلان يجوز ذكرها لتخليص عالم من الكفر والعقاب الابدي كان اولى قالت
العلماء ان المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى قتل استحق الاجر ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم انه لو اشتغل بالصلوة انهزم عسكر الاسلام فههنا
يجب عليه ترك الصلوة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال اثم وان من كان في الصلوة فرأى طفلا او اعمى اشرف على غرق او حرق
وجب عليه قطع الصلوة لانقاذهما ومثل هذه الواقعة قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم وذلك انهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على الحوادث
المستقبلة فوافقهم ابرهيم على هذا الطريق في الظاهر مع انه كان بريئا عنه في الباطن ليتوصل بذلك الى كسر الاصنام قال المتكلمون انه يصح
من الله تعالى اظهار خوارق العادات على من يدعي الالهية لان صورة هذا المدعي وشكله يدل على كذبه فلا يروج التلبيس ولكنه لا يجوز اظهارها
على يد من يدعي النبوة كاذبا لان التلبيس يروج ح فكذا ههنا قوله هذا ربي لا يوجب الضلال لان دلائل بطلانه جلية وفي ذلك استدراج
لهم لقبول الدليل فكان جائزا الاحتمال الثاني انه ذكر ذلك قبل البلوغ فلعله خطر بباله لشدة ذكائه قبل بلوغه اثبات الصانع سبحانه فتفكر فرأى
النجم فقال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين ثم انه تعالى اكمل بلوغه في اثناء هذا الفكر فقال عند افول الشمس اني بريء مما تشركون واعلم ان القصة
التي ذكرناها من ان ابرهيم عم ولد في الغار وتركته امه وكان جبرئيل يربيه محتملة في الجملة لان الارهاص هو تقدمة المعجز على وقت الدعوى جائز
عندنا ولم يجوزه الفاضل الا اذا حضر في ذلك الزمان رسول من الله تعالى فيكون تلك الخوارق معجزة لذلك الرسول قال في الكشاف فان قلت لم
احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب وانا اقول الاحتجاج
بالبزوغ في الاية لا يصح لانه تعم بين انه نظر الى الكوكب وقت كونه طالعا لا حين بزوغه ليلزم مشاهدة التغير والانتقال وكذا الى القمر والى الشمس
دليله انه لم يقل رأى القمر يبزغ بل بازغا ولو سلم فان احسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص والاوساط والعوام فالخواص يفهمون من الافول الامكان
فكل ممكن محتاج والمحتاج لا يجوز ان يكون منقطع الحاجات فلا بد من الانتهاء الى الواجب بالذات واما الاوساط فانهم يفهمون من الافول مطلق
الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب فكل كوكب يغرب فانه يزول نوره ويذهب
سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك فانه لا يصلح للالهية اقصى ما في الباب ان يقال ان لها تأثيرات في احوال العالم السفلي ولكن تلك التأثيرات
لما لم يكن لها بذاتها لزم استناد الكل الى الواجب سبحانه وهو الاله الاعظم القادر على خلق السموات والنجوم النيرات فيجب ان يكون قادرا على خلق
البشر وعلى تدبير السفليات بالطريق الاولى فلا يلزم من وضع الواسطة رفع المبدأ بحال ويعلم من قوله لا احب الافلين انه تعالى ليس بجسم والا كان غائبا
عنا فكان افلا وانه لا يصح عليه المجيء والذهاب والنزول والصعود ولا الصفات المحدثة وفيه ان معارف الانبياء استدلالية لا ضرورية وانه لا سبيل
الى معرفته تعالى الا بالنظر والاستدلال اما قوله فلما رأى القمر بازغا يقال بزغ القمر والشمس اذا ابتدأ في الطلوع واصل البزغ الشق كانه يشق بنوره الظلمة شقا
الازهري وفي قوله لئن لم يهدني ربي اشارة الى ان الهداية ليست الا من الله تعالى والمعتزلة تحملوها على التمكين وازاحة الاعذار ونصب الدلائل
وتعريف بان كل ذلك كان حاصلا فالهداية التي كان يطلبها بعد ذلك لا بد ان يكون زائدا عليها فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي اراد هذا
الطالع او هذا المرئي او ذكر بتأويل الضياء او النور باعتبار الخبر وهو ربي مع رعاية الادب وهو ترك التأنيث عند اللفظ الدال على الربوبية
كما لم يقولوا في صفة الله علامة وان كانت بناء مبالغة هذا اكبر اي اكبر الكواكب جرما ونورا وقد برهن في الهيئة على انها مائة وستة وستون
مثلا لكرة الارض كلها وانما لم يقتصر على ذكر الشمس اولا مع انه يلزم منه عدم ربوبية ما دونها من القمر والكواكب لانه اراد الاخذ من الادون الى
الاعلى لمزيد التقرير والتصوير يا قوم اني بريء مما تشركون قيل لا يلزم من نفي ربوبية النجوم نفي الشريك مطلقا والجواب ان القوم لم ينازعوه
الا في الصور المذكورة فلما اثبتنا انها ليست اربابا انتفى بالاتفاق نفي الشركاء على الاطلاق ومعنى وجهت وجهي للذي وجهت عبادتي له
فان من كان مطيعا لغيره منقادا لامره فانه يوجه وجهه اليه فجعل توجيه الوجه اليه كناية عن الطاعة واصل الفطر الشق يقال تفطر الشجر بالورق
والورد اذا اظهرهما والحنيف المائل عن كل معبود سوى الله تعالى قال ابو العالية الذي يستقبل البيت في صلوته ثم ان قومه حاجوه تمسكا
بالتقليد تارة كقولهم انا وجدنا اباءنا على امة وكقولهم للرسول اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ومخوفين اياهم بالاصنام



اخوي فاجابهم بقوله أتحاجوني في الله وقد هدان اي لما ثبت بالدليل الموجب للهداية صحة قولي فكيف التفت الى حجتكم الواهية ولا اخاف ما تشركون به لان الخوف انما يحصل ممن يقدر على النفع والضر الا ان يشاء ربي شيئا الا وقت مشية ربي شيئا يخاف فحذف المضاف اي الا ان اذنبت فيشاء ان ينال العقوبة بي او الا ان يريد ابتلائي بمحنة او الا ان يمكن بعض تلك الاصنام من ضري مثل ان يرجمني بكوكب او كان فيه او وضع فيها طلسم فيصيبني مكروه من جهته باذن الله تعالى وفائدة الاستثناء انه لو حدث به شيء من المكاره في الايام المستقبلة لم يحمله الحمقى والجهلة على قدرة الاصنام وسع ربي كل شيء علما فلا يفعل الا الخير والصلاح افلا تتذكرون ان نفي الانداد عن رب الارباب لا يوجب حلول العقاب ونزول العذاب وان التسوية بين الفاسد والعاجز والقادر ثم اكد ذلك بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا اذ لا سلطان فيه نزل وقيل انه لا يمنع عقلا ان يؤمر باتخاذ تلك التماثيل والصور قبلة للصلوة والدعاء ولكنه لم يؤمر به والمعنى ما لكم تنكرون على الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ثم قال فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا عن تزكية نفسه والغرض اني احق بالامن ان كنتم تعلمون ثم استانف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا الاية والمعنى ان الذين حصل لهم الامن المطلق هم المستجمعون لكمال القوة النظرية وهي تمام الايمان ولكمال القوة العملية وهو وضع الاشياء في مواضعها واليه الاشارة بقوله ولم يلبسوا اي لم يخلطوا ايمانهم بظلم قالت الاشاعرة شرط في الايمان الموجب للامن عدم الظلم ولو كان ترك الظلم داخلا في الايمان لم يكن لهذا التقييد فائدة فثبت ان الفاسق مؤمن وقالت المعتزلة شرط في حصول الامن حصول الامرين الايمان وعدم الظلم فوجب ان لا يحصل الامن للفاسق وذلك يوجب حصول الوعيد له ابدا واجيب بان الظلم ههنا الشرك لقوله ان الشرك لظلم عظيم واجتماعه مع الاقرار بالصانع ممكن ولم يصح اطلاق اللبس بمعنى الخلط ويكون المراد الذين آمنوا بالله ولم يثبتوا له شريكا في المعبودية ويؤيده ان القصة وردت في نفي الاضداد والانداد وايضا لا يلزم من عدم الامن المطلق حصول القطع بالعذاب الابدي واعلم ان المحاجة في الله تارة يكون موجبة للذم والانكار كمحاجة قوم ابرهيم وتارة يكون موجبة للمدح وذلك اذا كان الغرض تقرير الدين الحق والمذهب الصدق كمحاجة ابرهيم من قوله فلما جن عليه الليل الى ههنا واليها الاشارة بقوله وتلك حجتنا آتيناها ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء من قرا بالاضافة فظاهر لان رفع يتعدى الى واحد ومن قرا بالتنوين فيكون كقوله ورفع بعضهم درجات وقد تقدم في البقرة واختلف في تلك الدرجات فقيل اعمال الاخرة وقيل تلك الحجج درجات رفيعة لانها في ارتفاع الروح من حضيض العالم الجسماني الى اعلى العالم الروحاني وقيل نرفع من نشاء في الدنيا بالنبوة والحكمة وفي الاخرة بالجنة والثواب او نرفع درجات من نشاء بالحكمة والعلم ان ربك حكيم عليم فيرفع الدرجات بمقتضى الحكمة والعلم لا بموجب التشهي والجزاف التاويل رأى ابرهيم ملكوت الاشياء اي بواطنها ليكون من الموقنين عند كشفها كما كان موقنا عند كشف الضلال المودع في ازر وقومه فلما جن عليه ظلمة ليلة البشرية امطر سحاب العناية غيث الهداية على ارض قلبه فانبت بذر الخلة المودعة في ملكوت قلبه فرأى نور الرشد في صورة الكوكب طالعا من افق سماء روحانيته فقال هذا ربي اراد به سر المكوكب لا الكوكب وان لم يشعر به نفسه كما قيل هوى نوادي ولم يعلم بي بدني فالجسم في غربة والروح في وطن فان كذبت النفس فيما قالت للكوكب هذا ربي ما كذب الفؤاد ما رأى من الكوكب فقال هذا ربي فلما احتجب كوكب نور الرشد بغلبات صفات الخليقة عند رجوعه الى وصفها وافل كوكب السماء بالغروب قال سره لا احب الافلين فلما اتسع انفتاح روزنة القلب الى الملكوت بقدر القمر تجلى له نور الربوبية في مرآة القمر قال هذا ربي فلما افل عند رجوعه الى وصفها ازداد الشوق وقال لئن لم يهدني ربي برفع حجب الاوصاف وبيقيني على وجود الخليفة لاكونن من القوم الضالين عن الحق كازر وقومه فلما انخرق حجب الاوصاف وخرجت شمس الهداية من غيم البشرية واشرقت ارض القلب بنور ربها قال هذا ربي فلما افلت شمس الهداية تعززا وتعظما ليغرب ابرهيم عليه عن شرك الانانية ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب تبرأ عن الاضداد والانداد ونزه عنه الخلة عن الجهات وخلصه تجلي صفة الجمال عن شبكة الوهم والخيال فقال يا قوم اني بريء مما تشركون وقد يدور في الخلد ان ابرهيم صلوات الله الرحمن عليه جن عليه ظلمة الشبهة فنظر اولا في عالم الاجسام فرآها افلة في افق التغير فلم يرها تصلح للالهية فارتقى منها الى عالم النفوس المدبرة للاجسام فرآها افلة في افق الاستكمال فكان حكمها حكم ما دونها فصعد منها الى عالم العقول المجردة فصادفها افلة في افق الامكان فلم يبق الا الواجب الحق ومن الناس من حمل الكوكب على الحس والقمر على الخيال والشمس على الوهم والعقل ومراده ان هذه القوى المدركة الثلاثة قاصرة متناهية القوة ومدبر العالم قاهر لها مستول عليها وحاجه قومه ليسلبوا استور شبههم على شموس عرفانه وقد هداني اليه بالعيان بعد تواتر البرهان الا ان يشاء ربي شيئا من الخذلان وهذا محال لانه وسع ربي كل شيء علما فهو اعلم باهل العرفان وباصحاب الخذلان ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك الالتفات الى غيره من الاكوان حتى قال لجبريل اما اليك فلا وتلك يعني اراءة الملكوت وشواهد الربوبية في مرآة الكواكب وصدق التوجه الى الحق والتنزه عما سواه والخلاص عن شرك الانانية والايمان الحقيقي بالعيان حتى ارتقى من الافعال الى الصفات ثم الى الذات آتيناها ابرهيم بنا لا من غيره سلطنة حتى جعلها حجة على قومه نرفع درجات من نشاء بجذبات الالوهية عن حضيض الانانية الله حسبي

ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى

وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس و

وهرون و بچنین پاداش دهیم نیکوکاران را و زکریا و یحیی و عیسی و الیاس و هر یک از نیکوکاران اند و اسمعیل و یسع و یونس و

لوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم

و لوط را و هر یک را برتری دادیم بر جهانیان و از پدران ایشان و فرزندان ایشان و برادران ایشان و برگزیدیم ایشان را و هدایت کردیم بسوی راه راست

ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين آتيناهم

این است راه خدا که هدایت کند بآن هر که خواهد از بندگان خویش و اگر شرک آرند هر آینه باطل گردد از ایشان آنچه بودند که میکردند آن گروه آنانند که دادیم ایشان را

الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك

کتاب و داوری و پیغمبری پس اگر کافر شوند بآن اینگروه پس هر آینه برگماریم بآن گروهی را که نیستند بآن کافران آن گروه

الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا اسئلكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين القراءة

آنانند که هدایت کرد ایشان را خدا پس بهدایه ایشان اقتدا کن بگو نمیخواهم از شما بر آن مزدی را نیست آن مگر آگاهی برای جهانیان

واليسع بتشديد اللام حمزة وعلي وخلف الباقون بالتخفيف اقتده باشباع الهاء ابن عامر الحلواني عن هشام مختلسة وبحذف الهاء في الوصل سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بسكون هاء السكت على الاصل ✱ الوقوف ويعقوب ط كلا هدينا ج لان ونوحا مفعول ما بعده ولو وصل التبس بانه مفعول ما قبله مع اتفاق الجملتين وهرون ط المحسنين لا للعطف والياس ط من الصالحين لا للعطف ولوطا ط العالمين لا للعطف واخوانهم ج لبيان ان قوله واجتبيناهم يعقوب الى قوله كلا هدينا كقوله وممن هدينا واجتبينا ولاحتمال الواو الحال اي وقد اجتبينا وذكر هديناهم بعده مستقيم ط من عباده ط يعملون والنبوة ج بكافرين اقتده ط اجرا ط للعالمين ✱ التفسير لما ذكر حجة ابرهيم صلوات الرحمن عليه في التوحيد والذب عن الدين الحنيفي عدد وجوه نعمه واحسانه عليه فعد نعمة ايتاء الحجة ورفع الدرجة فقال ووهبنا باللفظ الدال على العظمة كما يقول عظماء الملوك ليدل بذلك على عظم العطية وذلك انه جعل اشرف الناس وهم الانبياء والرسل من نسله وعقبه قيل وانما لم يذكر اسمعيل مع اسحق وان كان هو ايضا لصلبه لان المقصود بالذكر ههنا انبياء بني اسرائيل وهم باسرهم اولاد اسحق ويعقوب واما اسمعيل فانه ما خرج من صلبه احد من الانبياء الا محمد صلى الله عليه وآله ولا يجوز ذكر محمد صلى الله عليه وآله في هذا المقام لانه امر محمدا ان يحتج على العرب بان ابرهيم لما ترك الشرك واصر على التوحيد شرفه الله بالنعم الجسام في الدين والدنيا ومن جملة ذلك ان آتاه اولادا كانوا ملوكا وانبياء فاذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمد امتنع ان يذكر نفسه في هذا المعرض فلهذا السبب لم يذكر اسمعيل مع اسحق اما قوله ونوحا هدينا من قبل فالمقصود منه بيان كرامة ابرهيم بحسب الآباء ايضا مثل نوح وادريس وشيث واما الضمير في قوله ومن ذريته فقد قيل انه يعود الى نوح لانه اقرب ولانه تعالى ذكر في جملتهم لوطا وهو كان ابن اخي ابرهيم وما كان من ذريته بل كان من ذرية نوح ولان ولد الانسان لا يقال انه ذريته فعلى هذا اسمعيل ما كان من ذرية ابرهيم وكان من ذرية نوح ولان يونس عم لم يكن من ذرية ابرهيم على قول بعضهم وقيل الضمير عائد الى ابرهيم لانه المقصود بالذكر في هذا المقام واعلم ان الله تعالى ذكر اربعة من الانبياء وهم نوح وابرهيم واسحق ويعقوب ثم ذكر من ذريتهم اربعة عشر نبيا داود وسليمن وايوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوطا فالمجموع ثمانية عشر وانه لم يراع الترتيب بينهم في الآية لا بحسب الفضل والشرف ولا بحسب الزمان والمدة فاستدل العلماء بذلك على ان الواو لا تفيد الترتيب قال في التفسير الكبير ان وجه الترتيب انه تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء بنوع من الكرامة فمن المراتب المعتبرة عند الجمهور الملك والسلطنة وقد اعطى داود وسليمان من ذلك نصيبا عظيما والثانية البلاء والمحنة وقد خص ايوب بذلك والثالثة استجماع الحالتين وذلك في حق يوسف فانه ابتلي اولا ثم اوتي الملك ثانيا الرابعة قوة المعجزات وكثرة البراهين والبينات وذلك حال موسى وهرون الخامسة الزهد الكامل كما في حق زكريا ويحيى وعيسى والياس ولهذا وصفهم بانهم من الصالحين السادسة الانبياء الذين ليس لهم في الخلق اتباع ولا اشياع وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط واما المراد بقوله كلا هدينا ونوحا هدينا فقيل المراد الهداية الى طريق الجنة بدليل قوله وكذلك نجزي المحسنين فان جزاء المحسن على احسانه لا يكون الا الثواب وقيل لا يبعد ان يكون المراد الهداية الى الدين والمعرفة لانهم اجتهدوا في طلب الحق فجازاهم الله بالوصال والوصول كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل انها الارشاد الى النبوة والرسالة لان الهداية المخصوصة بالانبياء ليست الا ذلك وهذا انما يصح عند من جوز ان يكون الرسالة جزاء على عمل واستدل بعضهم بقوله وكلا فضلنا على العالمين على ان الانبياء افضل من الملائكة وذلك ان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملائكة وكذا الاولياء وقيل فضلناهم على عالمي زمانهم فلا يتم الاستدلال قال الفاضل ويمكن ان يقال المراد وكلا من الانبياء يفضلون على كل من سواهم من العالمين ثم الكلام في ان اي الانبياء افضل من بعض كلام آخر لا تعلق له بالاول ثم قال ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم وانه معطوف على كلا اي وفضلنا بعض آبائهم فالآباء هم الاصول والذريات هم الفروع والاخوان فروع الاصول وفيه دليل على انه تعالى خص كل من تعلق بهؤلاء بنوع من الشرف والكرامة ثم ان قلنا المراد من الهداية الهداية الى الثواب والجنة فقوله من آبائهم وكلمة من للتبعيض يدل على انه قد كان في آباء هؤلاء الانبياء

من كان غير مؤمن ولا واصل الى الجنة وان فسرنا الهداية بالنبوة لم يفد ذلك الا انه يفيد ان لا يكون المراد رسولا ولا نبيا واجتبيناهم اى
اصطفيناهم من جبيت الماء في الحوض جبوته اى جمعته ذلك هدى الله اشارة الى معرفة التوحيد والتنزيه بدليل قوله ولو اشركوا الخ وفيه
دليل على ان الهداية من الله تعالى وليس للعبد فيها اختيار وفيه تهديد عظيم كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والغرض من ذلك زجر الامة اولئك
يعني الانبياء الثمانية عشر الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة لا بد بحكم العطف من تغاير الامور الثلاثة ووجهه ان الحكام على الخلق ثلاث طوائف
الحكام على بواطن الناس وهم العلماء والحكام على ظواهر الخلق وهم السلاطين والجامعون بين الامرين وهم الانبياء فالامور الثلاثة اشارة الى هذه الاصناف
الثلاثة ومعنى ايتاء الكتاب الفهم التام بما في هذا الجنس والعلم المحيط بحقائقه واسراره ولو قيل المراد بالايتاء الابتداء بالوحي والتنزيل كصحف ابراهيم
وتوراة موسى وانجيل عيسى لم يشمل كل المذكورين لانه تعالى ما انزل على كل واحد منهم كتابا على التعيين فان يكفر بها اى بالامور الثلاثة او بالنبوة
هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اى ليسوا كافرين بها ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها
كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه ومن القوم قيل كل مؤمن وقيل اهل المدينة وهم الانصار وقيل هم والمهاجرون وقال الحسن هم
الانبياء الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج ولقوله عقيب ذلك اولئك الذين هدى الله وقال ابو رجاء يعني الملائكة وضعف بان اسم
القوم قلما يقع على غير بني آدم وفي الآية دلالة على انه تعالى سينصر نبيه ويظهر دين الاسلام على كل الاديان وقد وقع ما وعد فكان اخبارا بالغيب
فصح اعجاز القرآن وفيها استدلال للاشاعرة على انه تعالى خلق قوما للايمان ولو كان خلق الكل للايمان والبيان والتمكين وفعل الالطاف مشترك
بين الكل لم يصح هذا التخصيص اجاب الكعبي بانه زاد المؤمنين من الالطاف ما لا يحصيه الا الله وبتقدير ان يستوي فاذا لم ينتفع به الكافر صح
الظاهر ان يقال انه لم يحصل له تلك الالطاف ورد بان الالطاف الداعية الى الايمان مشترك فيها بين الكافر والمؤمن ورد بان الوالد لما سوى
بين الولدين في العطية ثم ان احدهما ضيع نصيبه فاي عاقل يجوز ان يقول احد ان الاب ما انعم عليه وما اعطاه شيئا فبهداهم اقتده من
حذف الهاء في الوصل فعلى الاصل ومن اثبتها فلانه اجرى الوصل مجرى الوقف واراد موافقة المصحف فان الهاء ثابتة في الخط في الحالين واما قراءة ابن
عامر فقال ابو بكر بن مجاهد انها غلط وقال ابو علي الفارسي ليست بغلط ووجهها ان يجعل الهاء كناية عن المصدر الدال عليه الفعل والتقدير فبهداهم
اقتد الاقتداء وتقديم المفعول للاختصاص اى لا تقتد الا بهم ولا خلاف في انه امر لمحمد صلعم بالاقتداء بالانبياء المذكورين انما الكلام في تفسير الهدى
فمن الناس من قال المراد الذي اجمعوا عليه هو القول بالتوحيد والتنزيه عن كل ما لا يليق به في الذات والصفات والافعال وقال آخرون المراد
به الاقتداء بهم في شرائعهم الا ما خصه الدليل وعلى هذا فيلزمنا ما شرع من قبلنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل على الكل الا ما خصه الدليل المنفصل
وقال القاضي هذا بعيد لان شرائعهم مختلفة متناقضة ولا يمكن الاتيان بالامور المتناقضة معا ولان الهدى عبارة عن الدليل دون نفس
العمل ودليل ثبات شرعهم كان مخصوصا بتلك الاوقات ولان منصبهم يلزم ان يكون اجل من منصبه انه باطل بالاجماع واجيب بان العام يجب تخصيصه
في الصورة المتناقضة فيبقى فيما عداها حجة وبان المستدل بالدليل فصار في ذلك الحكم فلا معنى للاقتداء بالدليل الا اذا كان فعل الاول سببا
لوجوب الفعل على الثاني وبانه يلزم ان يكون منصبه اجل من منصبهم لانه امر باستجماع خصال الكمال وصفات الشرف التي كانت متفرقة فيهم كالشكر في
داود وسليمان والصبر في ايوب والزهد في زكريا ويحيى وعيسى والصدق في اسمعيل والتضرع في يونس والمعجزات الباهرة في موسى وهرون ولهذا
قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي ولما امره بالاقتداء بالانبياء وكان من جملة هداهم ان لا يطلبوا الاجر على المال والجعل في ايصال الدين
وابلاغ الشريعة قيل له قل لا اسألكم ايها الامة عليه على الابلاغ اجرا ان هو يعني القرآن الا ذكرى للعالمين يريد كونه مشتملا على كل ما يحتاجون اليه
في المعاش والمعاد وفيه دليل على انه صلى الله عليه وآله كان مبعوثا الى الناس كافة لا الى قوم دون قوم التأويل وتلك حجتنا نرفع درجات ابرهيم انا
ووهبنا له اسحق ويعقوب ولعله انما لم يذكر اسمعيل لمكان محمد صلى الله عليه وآله كيلا يقع ذكره في معرض الموهبة لابرهيم فان الكائنات تبع لوجود محمد صلى الله
عليه وآله واجتبيناهم في الازل لهذا الشأن وهديناهم الى الابد ولو اشركوا بان لاحظوا غيرنا فاثبتوا شيئا من دوننا ونسبوا شيئا من الحوادث
الى غير قدرتنا ولم يسندوه الينا لبقوا في هوية الحبط عنهم لذلك الشرك نارهم وتلف ما سلف من احسانهم فبهداهم اقتده لانهم سلكوا حتى انتهى
سير كل منهم الى ما قدر له آدم في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وموسى في
السادسة وابرهيم في السابعة وجميع الملائكة المقربين الى سدرة المنتهى وانت يا محمد الى مقام قاب قوسين او ادنى قل لا اسألكم ايها الانبياء
على الاقتداء اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين لتعلموا ان الطريق الى الله لا يسلك الا بالاقتداء او لا اسألكم ايها الامة على دعوتكم الى الحق اجرا هو الا ذكرى من الله وبه واليه
وهو المستعان وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا
و نشناختند خدا را سزای شناختنش چون گفتند که نفرستاده است خدا بر آدمی چیزی را بگو که فرو فرستاد کتاب را که آورد آن را موسی روشنی
وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم
و راهنمای برای مردم که قرار داده اید آن را کاغذهای نوشته آشکارا و پنهان می دارید بسیاری را و آموخته شدید آنچه ندانستید شما و نه پدران شما بگو خدا پس بگذار ایشان را در فرو رفتنشان
يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون

مخالفة الخط

ع ١٢

بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه

شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا

أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد

جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم

الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون إن الله فالق الحب والنوى

يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الإصباح وجعل الليل سكنا

والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا

الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم

يفقهون وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا

نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان

مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون و

جعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون

القراءة يجعلونه يبدونها ويخفون بياء الغيبة أبو عمرو وابن كثير الباقون على الخطاب ولينذر بياء الغيبة أبو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب بينكم بفتح
النون أبو جعفر ونافع وعلي وحفص والمفضل الباقون بالرفع وجعل الليل على لفظ الماضي ونصب الليل عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون وجاعل الليل
على لفظ اسم الفاعل وبالإضافة وجنات بالرفع الأعشى والبرجمي الباقون بالنصب فمستقر بكسر القاف أبو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب الباقون بالفتح
ثمره بضمتين حمزة وعلي وخلف كذلك في آخر السورة ويس الباقون بفتحتين وخرقوا بالتشديد يزيد أبو جعفر ونافع الباقون بالتخفيف الوقوف من شيء كثيرا لمن قرأ
يجعلونه بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء فوقفه جائز لانتهاء الاستفهام مع اتفاق الخطاب على تقديره وقد علمتم آباؤكم قل الله لأن قوله ثم ذرهم معطوف على
قل يلعبون ومن حولها يحافظون أنزل الله أيديهم لاتساق الكلام معنى مع تقدير حذف أي يقولون أخرجوا أنفسكم لأن المراد من اليوم اليوم الذي فيه تستكبرون
ظهوركم لاتحاد القول ولو وقف وصح لابتداء النفي وانقطاع النظم شركاء تزعمون والنوى من الحي تؤفكون فالق الإصباح لمن قرأ وجعل لانقطاع
النظم واتصال المعنى على تقدير فلق وجعل وقد جعل عامل الحال معنى الفعل فالوجه أن العليم والبحر يعلمون ومستودع يفقهون ثم للعدول
مع اتحاد المقصود متراكبا لمن قرأ وجنات بالرفع للعطف على قنوان لفظا فيلزمه وقف على دانية والأولى للعطف بتقدير أن جنات من جملة النخل ومن
خفض فوقفه على متراكبا جائز للعطف على قوله خضرا مع وقوع العارض وغير متشابه وينعه يؤمنون بغير علم يصفون التفسير اعلم أن مدار القرآن
على إثبات التوحيد والنبوة والمعاد وبعد ذكر دليل التوحيد وإبطال الشرك شرع في تقرير أمر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره قال ابن
عباس أي ما عظموا الله حق تعظيمه حيث أنكروا النبوة والرسالة وقال أيضا في رواية ما آمنوا بأن الله على كل شيء قدير وقال أبو العالية ما وصفوه
حق صفته وعن الأخفش ما عرفوه حق معرفته أي في اللطف بأوليائه أو في القهر لأعدائه وقال الجوهري قدر الشيء مبلغه وقدرت الشيء مبلغه وقدر الشيء
أقدره وأقدره قدرا من التقدير أي حزره وعرف مقداره ثم بين عدم عرفانه بقوله إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء وإنما كان منكر البعث
والرسالة غير عارف بالله حق معرفته لأنه إما أن يدعي أنه تعالى ما كلف أحدا من الخلائق تكليفا أصلا وهو باطل لأنه فتح باب المنكرات والقبائح بأسرها وإما أن



بتسليم انه تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي ولكن لا على السنة الرسل وهذا ايضا جهل فان قيل لم لا يجوز ان يكون العقل كافيا في ايجاب الواجبات وحظر
المنكرات فالجواب ان الامر كذلك الا انه لا يمنع تاكيد التعريف العقلي بل يجب تفصيل ذلك المجمل بالتعريفات الشرعية على السنة الرسل لان اكثر العقول
قاصرة عن ادراك مدارك الاحكام الشرعية كما ان نور البصر قاصر عن ادراك المبصرات الا اذا اعين بنور من خارج كنور الشمس او السراج وايضا تفويض
مصالح العباد الى مقتضى عقولهم يؤدي الى التنازع والتشاجر لتصادم الاهواء وتناقض الاراء فلا بد من ان يتفقوا على واحد يصدرون عن رايه وتعيين
ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح واشراف على الضلال لاحتمال الخطاء في اجتهادهم فلعل الخير في نظرهم يكون شرا في نفس الامر فلزم ان يكون التعيين
من الله سبحانه لكونه اعرف بالبواطن كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وانما يعرف ذلك المعين بظهور المعجزة على وفق دعواه تصديقا له ومن انكر ذلك
ولم يجوز خرق العادة فقد وصف الله تعالى بالعجز ونفى عنه القدرة وقد طعن بعض الملحدة في الاية بان هؤلاء القائلين ان كانوا كفار قريش او البراهمة
فهم ينكرون رسالة كل الانبياء كما ينكرون رسالة محمد صلى الله عليه واله فكيف يمكن ابطال قولهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى على ان
قوله تجعلونه قراطيس تبدونها الخطاب انما يليق باليهود وان كانوا اهل الكتاب فهم لا يقولون ما انزل الله على بشر من شيء بل يقرون بنزول التورية على موسى
والانجيل على عيسى ايضا الاكثرون اتفقوا على ان السورة مكية وانها نزلت دفعة واحدة ومناظرات اليهود مع رسول الله صلى الله عليه واله كانت مدنية
فكيف يمكن حمل الاية على تلك المناظرة والجواب انهم ان كانوا كفار قريش فانهم كانوا مختلطين باليهود والنصارى وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل
التواتر ظهور المعجزات على موسى كالعصا وفلق البحر واظلال الجبل وغيرها وكان جاريا مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى وعلى هذا لا
يبعد ايراد نبوة موسى الزاما لهم في قولهم ما انزل الله على بشر من شيء ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى متشاركين في انكار نبوة محمد صلى
الله عليه واله لم يبعد ان يكون الكلام الواحد خطابا لكفار قريش ولاهل الكتاب واما ان كانوا اهل الكتاب فهو المشهور عند الجمهور وفاقا
لما روي عن ابن عباس ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا دخل على رسول الله صلى الله عليه واله فقال له رسول الله
صلى الله عليه واله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي
يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني
ثم ان اليهود لاجل هذا الكلام عزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف فلعل مالك بن الصيف لما ذكر من الكلام المذكور طعن في نبوة الرسول
صلى الله عليه واله وانه ما انزل عليه من شيء البتة فامر بان يقول في جوابه من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي لما سلمت ان الله تعالى انزل الوحي
والتنزيل على بشر وهو موسى فكيف يمكنك ان تقطع بانه ما انزل على شيء غاية ما في الباب ان تطالبني بالمعجزة والحاصل انهم قالوا ذلك مبالغة في انكار
انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه واله فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التورية على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم بالتحريف وابداء بعض
واخفاء بعض وقيل اللفظ وان كان مطلقا بحسب اللغة الا انه مقيد بحسب العرف بتلك الواقعة فكانه قال ما انزل الله على بشر من شيء في انه يبغض الحبر السمين
وهذا كما اذا ارادت المرأة ان تخرج من الدار فغضب الزوج وقال ان خرجت من الدار فانت طالق فان كثيرا من الفقهاء قالوا التعليق مقيد بتلك
المرة حتى لو خرجت مرة اخرى لم تطلق ويرد على هذا التوجيه ان قوله من انزل الكتاب الذي جاء به موسى لا يكون مبطلا لكلام الخصم اما قوله ان
السورة مكية والمناظرات مدنية فلجيب عنه بان السورة مكية الا هذه الاية فانها نزلت بالمدينة في هذه الواقعة والله اعلم ومن الاحكام المستنبطة
من الاية ان قوله ما قدروا الله حق قدره يفيد ان عقول الخلق قاصرة عن كنه معرفة الله تعالى وان كانوا مقرين بالنبوة والرسالة لاطلاق قوله في
موضع اخر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته ومنها ان النكرة في سياق النفي تعم والا لم تكن قوله من انزل مبطلا لقوله ما انزل الله على
بشر من شيء ومنها ان النقض يقدح في صحة الكلام والا لم يكن في قوله من انزل حجة ويعلم منه ان قول من يقول ابداء الفارق بين الصورتين يمنع من كون
النقض مبطلا ضعيف والا بطلت حجة الله تعالى في هذه الاية فان لليهودي ان يقول معجزات موسى كانت اظهر وابهر من معجزاتك فلا يلزم نبوتك
ومنها ان الغزالي رحمه الله تكلف فقال حاصل الاية يرجع الى ان موسى انزل الله عليه شيئا وواحد من البشر ما انزل الله عليه شيئا فينتج من الشكل
الثاني ان موسى ما كان من البشر وهذا خلف محال وليس هذه الاستحالة بحسب شكل القياس ولا بحسب صحة المقدمة الاولى فلم يبق الا انه لزم من
فرض صحة المقدمة الثانية وهي قولهم ما انزل الله على بشر من شيء فوجب القول بكونها كاذبة فثبت ان دلالة هذه الاية على المطلوب انما تصح
عند الاعتراف بصحة شكل الثاني وعند الاعتراف بصحة قياس الخلف ثم انه سبحانه وصف كتاب موسى بكونه نورا وهدى للناس والعطف يقتضي
المغايرة فالمراد بالنور ظهوره في نفسه وبالهدى كونه سببا لظهور غيره كقوله في وصف القرآن ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا قال
ابو علي الفارسي تجعلونه قراطيس اي ذا قراطيس اي تودعونه اياها فان قيل اذا كان جميع الكتب كذلك فلم ذكر في معرض الذم قلنا لانهم جعلوه قراطيس
مفرقة مبعضة ليتوسلوا بذلك الى ابداء بعض واخفاء بعض مما فيه نعت محمد صلى الله عليه واله وشيء من الاحكام التي لا توافق هواهم كالرجم وغيره
وعلمتم ايها اليهود على لسان محمد صلى الله عليه واله ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي
هم فيه يختلفون وقيل كانوا يقرؤن الايات المشتملة على نعت محمد صلى الله عليه واله وما كانوا يفقهون معانيها الى ان بعث الله محمدا فظهر ان المراد منها هو البشارة
بمقدمه وقيل الخطاب لمن امن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون على ان ينكروا ذلك فان العقل



التسليم والطبع المستقيم يشهد بان الكتاب الموصوف المؤيد بقول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله سبحانه ونظيره قل اي شيء اكبر شهادة
قل الله والمقصود انه بلغت هذه الدلالة الى حيث يجب على كل عاقل ان يعترف بها فسواء اقر الخصم به او لم يقر فالغرض حاصل ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
يقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويحتمل ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة
له او لذرهم والمعنى انك اذا القيت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فقد قضيت ما عليك كقوله ان عليك الا البلاغ وقيل انها
منسوخة باية السيف وفيه نظر لانه مذكور لاجل التهديد فلم يكن نزول اية القتال رافعا لشيء من مدلولات هذه الاية ثم لما ذكر حال التوراة اعقبه بذكر
القران فقال وهذا كتاب انزلناه وفائدة هذا الوصف انه كان من الممكن ان يظن ان محمدا مخصوص من الله بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب القران على
هذا النسق من الفصاحة فنفى ذلك الوهم وبين ان الله هو الذي تولى انزاله بالوحي على لسان جبرئيل عم مبارك كثير خيره دائم نفعه باعث على الخيرات
زاجر عن المنكرات لما فيه من اصول العلوم النظرية والعملية وقد جرت سنة الله تعالى بان الباحث عنه والمتمسك به يفوز بعز في الدنيا وسعادة في
الاخرة وقد جربت فوجد كذلك مصدق الذي بين يديه اي موافق لما قبله من الكتب الالهية اما في الاصول فلانه يمتنع وقوع التفاوت فيه
بحسب الازمنة واما في الفروع فلانها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه واله ويحصل منه ان التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت ظهوره
ثم يصير منسوخة ولتنذر من قرا بتاء الخطاب فظاهر ومن قرا على الغيبة فلانه اسند الانذار الى الكتاب مجازا لانه سبب الانذار انما انذركم بالوحي
وهو معطوف على ما دل عليه سابق الاوصاف كانه قيل انزلناه للبركة ولتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار قال ابن عباس سميت مكة ام القرى
لان الارضين دحيت من تحتها وقال ابو بكر الاصم لانها قبلة اهل الدنيا فصارت هي كالاصل وسائر البلاد تبعا وايضا الناس يجتمعون اليها للحج و
التجارات كما يجتمع الاولاد الى الام وقيل لان الكعبة اول بيت وضع للناس وقيل ان مكة اول بلدة في الارض ولا بد من تقدير مضاف محذوف
اي اهل ام القرى ومن حولها قيل المراد اهل جزيرة العرب فاستدل اليهود بذلك على انه مبعوث الى العرب فقط واجيب بان تخصيص هذه المواضع
بالذكر لا يدل على نفي ما عداها لاسيما وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الى العالمين ويحتمل ان من حول مكة يتناول جميع البلاد والذين
يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بهذا الكتاب لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وليس لاحد من الانبياء مبالغة
في تقرير قواعد البعث والقيامة مثل محمد صلى الله عليه واله وفيه ان كفار مكة يبعد منهم قبول هذا الدين لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والحشر
وهم على صلاتهم يحافظون يعني ان الايمان بالاخرة كما انه يحمل المكلف على الايمان بالنبي وبالكتاب كذلك يحمله على محافظة الصلوات وخص الصلوة
بالذكر لانها عماد الدين وسنام الطاعات كان المحافظة عليها ان يأتي بخواتها كلها ويجتنب المنكرات باسرها ثم ذكر ما يدل على وعيد من ادعى النبوة
وانزال الكتاب عليه فرية وافتراء فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المفسرون نزلت في الكذابين مسيلمة الحنفي والاسود العنسي عن النبي صلعم رأيت
فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة
مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كان مسيلمة يقول محمد صلى الله عليه واله رسول الله في بني قريش وانا
رسول الله في بني حنيفة واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من نسب الى الله تعالى ما هو بريء منه اما في الذات واما في الصفات واما في
الافعال كان داخلا تحت هذا الوعيد ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال المفسرون هو النضر بن الحرث كان يدعي معارضة القران وهو قوله لو
نشاء لقلنا مثل هذا وروي ايضا ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه واله وكان اذا املى عليه سميعا
عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاه الرسول صلى الله عليه واله فلما انتهى
الى قوله انشأناه خلقا اخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي صلعم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد
الله وقال ولئن كان محمد صلعم صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله صلعم
مكة فر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه عنده حتى اطمأن اهل مكة ثم اتى به رسول الله صلعم فاستأمن له ثم تنصل مما اجمل من الوعيد فقال ولو
ترى الاية وجوابه محذوف اي لرأيت يا انسان امرا عظيما اذ الظالمون يعني الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فاللام للعهد ويحتمل ان يكون للجنس
فيندرج فيه هؤلاء وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم
قيل انه لا قدرة لهم على اخراج ارواحهم من اجسادهم فما الفائدة في هذا الخطاب واجيب بوجوه منها ان المراد ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى غمرات
الموت في الاخرة اذا دخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هناك من انواع الشدائد والتعذيبات والملائكة باسطوا ايديهم بالعذاب يبكتونهم
يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذا العذاب الشديد ان قدرتم ومنها ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت عند نزول الموت بهم في الدنيا و
الملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الافات والالام ومنها هاتوا ارواحكم و
اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد في ازهاق الروح من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح
يبسط يده الى من عليه الحق ويقول اخرج الي مالي عليك الان لا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك ومنها انه ليس بامر وانما هو وعيد وتقريع كقول القائل
امض الان لترى ما يحل بك قال المحققون ان نفس المؤمن حال النزع ينبسط في الخروج الى لقاء ربه ونفس الكافر يكره ذلك ويشق عليها الخروج وقطع التعلق لانها

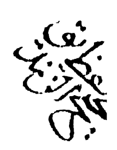
تضجر الى العذاب والبه الاشارة فى الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهؤلاء الكفار يكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى
فراق المألوف وفى الاية دلالة على ان النفس الانسانية شىء غير هذا الهيكل المحسوس لان المخرج يجب ان يكون مغايرا للمخرج منه اليوم يريد به وقت الاماتة
او الوقت الممتد الذى يلحقهم فيه العذاب فى البرزخ والقيامة تجزون عذاب الهون كقولك رجل سوء بالاضافة لان العقاب شرطه ان يكون مضرة مقرونة
بالاهانة كما ان الثواب شرطه ان يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب يدور على قلة المبالاة بالشىء ومنه الهون بالفتح السكينة والوقار وهان
عليه الشىء اذا خف واهانه استخف به والاسم الهون بالضم والهوان والمهانة والحاصل انه جمع لهم بين الامرين الايلام والاهانة بما كنتم تقولون على الله
غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون يعنى ان هذا العذاب الشديد انما حصل لمجموع الامرين الافتراء على الله والتكبر على آيات الله وهو عدم الايمان
بها قال الواحدى وكنتم عن آياته تستكبرون اى لا تصلون له لقوله من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فقد برئ من الكبر ولقد جئتمونا يحتمل ان
يكون معطوفا على قول الملائكة اخرجوا انفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة اما الملائكة الموكلون بقبض ارواحهم واما الملائكة الموكلون بعقابهم
ويحتمل ان يكون القائل هو الله تعالى ان جوزنا انه يتكلم مع الكفار فرادى جمع فرد بنون ولا بنون واحده قيل فرد على غير قياس وقيل فردان كسكارى وسكران
قاله ابن قتيبة وقيل فريد كرديف وردافى وهم الحداة والاعوان لانه اذا اعيى احدهم خلفه الآخر كما خلقناكم اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد
او مجيئا مثل خلقنا لكم اول مرة والمراد التوبيخ والتقريع لانهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم فى الدنيا الى تحصيل امرين احدهما المال والجاه والثانى
انهم عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء لله فيهم فغلبوا القضية وتركوا الحقيقة وذلك ان النفس الانسانية انما تعلقت بالجسد ليكون البدن آلة
لها فى اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة فاذا فارقت البدن ولم يحصل له هذان المطلبان عظم خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ
بقوله ولقد جئتمونا فرادى اى منفردين عما يجب من الاعمال والعقايد ثم انها مع ذلك اكتسبت شيئا قد تعلق الرجاء بها لانها افنت العمر فى تحصيلها
وانها ليست مما يبقى معها فلا جرم استحق التقريع لقوله وتركتم ما خولناكم اى اعطيناكم وتفضلنا به عليكم وراء ظهوركم يعنى انها كالشىء الذى
يبقى وراء ظهر الانسان فلن يمكنه الانتفاع به وربما يبقى معوج الرأس بسبب التفاته اليها وما نرى معكم شفعاءكم اى ليسوا معكم حتى تروا وليس معكم
بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله لقد تقطع بينكم الآية من قرأ بالنصب على الظرف فمعناه وقع التقطع بينكم كقوله وتقطعت بهم الاسباب
بقى جمع بين الشيئين اى وقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره وقيل المراد لقد تقطع وصلكم بينكم كقولهم اذا كان غدا فائتنى اى اذا
كان الرجاء او البلاء غدا فائتنى فاضمر لدلالة الحال ومن قرأ بالرفع فلانه اسند الفعل الى الظرف اتساعا كما يقول قوتل خلفكم وامامكم اولان
المراد بالبين الوصل وانما حسن استعماله فى معنى الوصلة مع ان اصله الافتراق والتباين لانه يستعمل فى الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض
الوجوه كقولهم بينى وبينه مشاركة وبينى وبينه رحم والمعنى لقد تقطع وصلكم قلت يحتمل ان يكون البين بمعنى الافتراق ويفيد المبالغة كقولهم جد
جده فاذن العاقل من يكسب الزاد ليوم المعاد حتى لا يوبخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى ويصرف المال فى وجوه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله
حتى لا يخاطب بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من زمرة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا يطول حسرته يوم ينقطع
بين النفس والجسد وصله ثم انه سبحانه لما فرغ من تقرير التوحيد والنبوة والمعاد عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته لتعلم
ان حاصل المباحث العقلية والنقلية انما هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله فقال ان الله فالق الحب والنوى اى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين
اللذين فى الحنطة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفلق هو الخلق ووجهه ان العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها
ولا انشقاق فاخراج الشىء من العدم الى الوجود شق لذلك العدم فلق بحسب التخيل والتعقل واعلم انه اذا دفنت الحبة والنواة فى الارض الرطبة ثم
مر بها قدر من المدة اظهر الله فى علاها شقا ومن اسفلها شقا اما العالى فيخرج منه الشجرة الصاعدة الى الهواء واما السافل فانه يخرج منها الشجرة الهابطة
فى الارض وهى المسماة بعروق الشجرة وههنا عجائب منها ان طبيعة الشجرة ان كانت تقتضى الهوى فى الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة الى الهواء
وبالعكس فاتصال الشجرتين على التبادل ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى ارادة الموجد المختار ومنها ان باطن الارض جسم صلب كثيف لا ينفذ فيه
المسلة ولا السكين ثم انا نشاهد اطراف تلك العروق مع غاية نعومتها تقوى على النفوذ والغوص فى جرم الارض فحصول هذه القوة الشديدة لهذا الجرم
الضعيف ليس الا بتقدير العزيز العليم ومنها انه يتولد من النواة شجرة ويحصل من الشجرة اغصان واوراق وازهار واثمار وللثمر قشر اعلى وقشر اسفل
وفيه اللب وفى اللب الدهن الذى هو المقصود الاصلى فتولد هذه الاجرام المختلفة فى طبايعها وصفاتها والوانها وطعومها واشكالها مع تساوى
تاثيرات النجوم والطبايع فى المادة الواحدة يدل على وجود الفاعل المختار ومنها قد نجد الطبايع الاربع حاصلة فى الفاكهة الواحدة فالاترج قشره
حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس كذلك العنب قشره وعجمه بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب ومنها انك تجد احوال الفواكه
مختلفة فبعضها يكون لبه فى الداخل وقشره فى الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون فاكهته المطلوبة فى الخارج والخشبة فى الداخل كالخوخ والمشمش
وبعضها يكون نواها حبا كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض الفواكه تكون مطلوبا كالتين فهذه الاحوال المختلفة والاشكال المتخالفة تتضمن حكما
وفوائد لا يعلمها الا المبدع لها ومنها انك اذا اخذت ورقة واحدة من اوراق الشجرة وجدت فى وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه النخاع فى بدن الانسان
ولا يزال يتشعب حتى يخرج منه ادق من الحس ثم ينفصل عن تلك الخطوط خطوط دقاق اصغر من الاول فكانه سبحانه اوجد ذلك ليقوم به الجاذبة المذكورة فى

جرم تلك النواة على جانب الاجزاء اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة فاذا وقفت على عناية الخالق في ايجاد تلك النواة الواحدة علمت ان عنايته
في ايجاد جملة تلك الشجرة اكثر وعلمت عنايته بتخليق الحيوان الذي خلق النبات لاجله يكون اكمل وكذا عنايته بحال الانسان الذي خلق لاجله النبات و
الحيوان فيصير ذلك مرقاة لك الى جود الصانع الخبير الحكيم القدير ثم بين كونه فالق الحب والنوى بقوله يخرج الحي من الميت لان فلق الحب والنوى بالنبات
والشجر النامين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان ولهذا قال يحيي الارض بعد موتها ثم عطف على قوله فالق الحب قوله ومخرج
الميت من الحي قال ابن عباس اخرج من النطفة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحي نطفة او يخرج من البيضة دجاجة ومن الدجاجة بيضا او يخرج المؤمن من الكافر
كما في حق ابرهيم والكافر من المؤمن كنوح وابنه او المطيع من العاصي والعاصي من المطيع او العالم من الجاهل والجاهل من العالم بل الكامل من الناقص
والناقص من الكامل وقد يجعل الضار نافعا وبالعكس يحكى ان انسانا سقي الافيون في الشراب ليموت فلما انتبه ولم يظن القوم انه يموت فرفعوه و
جعلوه في بيت مظلم فلدغته حية وصارت تلك اللدغة لقوة حرارة سم الحية سببا لدفع ضرر برودة الافيون ونقل عن عبد القاهر الجرجاني ره ان قوله
ومخرج الميت معطوف على قوله يخرج وانما حسن عطف الاسم على الفعل ههنا لان لفظ الفعل يدل على اعتناء الفاعل بذكر الفعل في كل وقت
بخلاف لفظ الاسم ولهذا قال هل من خالق غير الله يرزقكم ليفيد انه يرزقهم حالا فحالا وساعة فساعة اذا ثبت هذا فنقول الحي اشرف من
الميت فذكره بلفظ الفعل فيدل على ان الاعتناء باخراج الحي من الميت اكثر من العكس ذلكم الله المدبر الخالق النافع الضار المحيي المميت فانى تؤفكون
فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره ام كيف تستبعدون البعث والنشور لان الاعادة اهون من الابداء ثم عدل عن الاحوال الارضية الى الاستدلال
بما فوقها وهي الاحوال الفلكية فقال فالق الاصباح وهو مصدر سمي به الصبح والمراد فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش في اخر الليل وكان الافق كان بحرا
مملوا من الظلمة ثم انه سبحانه شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا من النور فالمعنى فالق ظلمة الاصباح بنور الاصباح وحسن الحذف للعلم به او المراد
فالق الاصباح بياض النهار واسفاره ومنه قولهم انشق عمود الفجر وانصدع الفجر او المراد مظهر الاصباح بواسطة فلق الظلمة فذكر السبب واراد المسبب
او الفالق بمعنى الخالق كما مر وقد سلف لنا تقرير الصبح في البقرة في تفسير قوله عز من قائل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم
ان كون الصبح بسبب وقوع ضوء الشمس على ضلع مخروط ظل الارض في جانبه الشرقي لا ينافي كون الله سبحانه فالق الاصباح بالحقيقة كما ان وجود
النهار بسبب طلوع جرم الشمس عن الافق لا ينافي ذلك والامام فخر الدين الرازي اراد ان يبين ان ذلك بقدرة الفاعل المختار فنفى كونه
بسبب ضوء الشمس بحجج اخترعها من عنده وكلها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فلذلك اسقطناها عن درجة الاعتبار النوع الثاني
من الدلائل الفلكية الدالة على التوحيد قوله وجاعل الليل سكنا حجة من قرا باسم فاعل ان المعطوف عليه اسم فاعل وحجة من قرا بصيغة الفعل
ان قوله بعد ذلك والشمس والقمر منصوبا ولا بد من عامل وما ذاك الا ان يقدر جاعل بمعنى جعل والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن اليه من
زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن كما سموها المؤنسة لانها يستأنس بها والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويحتمل ان يراد وجعل
الليل مسكونا فيه فالليل والنهار من ضروريات مصالح هذا العالم فهما نعمتان من الله تعم وايتان على وحدانيته وقدرته النوع الثالث قوله والشمس
والقمر حسبانا اي سبب حسبان لان حساب الاوقات يعلم بسيرهما ودورهما والحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب بالكسر
وقيل انه جمع حساب مثل شهاب وشهبان قال في الكشاف الشمس والقمر قرئا بالحركات الثلث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل او يعطفان على محل
الليل لان اسم الفاعل اريد ههنا الاستمرار كما تقول الله عالم قادر فلا تقصد زمانا دون زمان فتكون الاضافة غير حقيقية ويكون لليل محل
قلت وهذا مناقض لما ذكره في مالك يوم الدين من انه يجوز ان يراد به زمان مستمر حتى يكون الاضافة حقيقية ويصح وقوعه صفة للمعرفة واما وجه الجر
فظاهر ووجه الرفع كونهما مبتدأين محذوف الخبر اي والشمس والقمر مجعولان او محسوبان حسبانا وذلك الجعل تقدير العزيز الذي قهرهما العليم
الذي دبرهما وذلك ان تقدير اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة وهيئاتها المحدودة واوضاعها المعينة لا يتم الا بقدرة شاملة لجميع الممكنات وعلم
نافذ في الكليات والجزئيات النوع الرابع قوله وهو الذي جعل لكم النجوم عد ههنا من منافع النجوم كونها سببا للاهتداء الى الطرق والمسالك
في ظلمات البر والبحر حيث لا يرون شمسا ولا قمرا والتقدير في ظلمات الليل بالبر والبحر فاضافها اليهما لملابستها لهما وقيل المراد ظلمات التعطيل وبحر
التشبيه فان اختصاص كل من هذه الكواكب بمحل وصفة اخرى مع تشاركها في الجسمية دليل ظاهر على مختار قادر وايضا اتصافها بالاعضاء و
الابعاض والحدود والاحياز مع انها لا تصلح للالهية بالاتفاق دليل على تنزيه الله سبحانه من هذه السمات ولهذا قال قد فصلنا الايات لقوم يعلمون
فيستدلون بالمحسوس على المعقول وينتقلون من الشاهد الى الغائب ثم عدل عن الايات الافاقية الى ايات الانفس فقال وهو الذي انشاكم اي
خلقكم بطريق التشو والنماء من نفس واحدة هي ادم وحواء مخلوقة من ضلع من اضلاعه وكذا عيسى لانه من مريم وان كان بتوسط كلمة كن او بالنفخ و
هي من ادم فمستقر من قرا بكسر القاف فالتقدير فمنكم مستقر ومنكم مستودع الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول ومن قرا بفتح القاف فالتقدير
فلكم مستقر ولكم مستودع فيكون كلاهما اسمي مكان او مصدرا وذلك ان استقر لازم فلا يجيء منه المفعول به بلا واسطة فينبغي تفسير مستودع ايضا بما
يشاكله استحسانا عن ابن عباس ان المستودع الصلب والمستقر الرحم لقوله ونقر في الارحام ما نشاء ولان النطفة في الرحم اكثر فيكون لفظ القرار به اليق
النسب بخلاف المستودع فانه في معرض الاسترداد ساعة فساعة وهذا شان النطفة في الاصلاب فانه بصدد الارادة في كل حين وان نقل المستقر صلب

كما قال لتسكنوا فيه منه رحمه

الاب والمستودع الرحم لان النطفة قد حصلت في صلب الاب ولا واستقرت هناك ثم حصلت في الرحم على سبيل الوديعة ولان هذا الترتيب يناسب تقديم المستقر على المستودع وعن الحسن المستقر حاله بعد الموت لان سعادته وشقاوته تبقى وتستقر على حالة واحدة والمستودع حالته قبل الموت لان الكافر قد ينقلب مؤمنا والفاسق صالحا والوديعة على شرف الزوال والذهاب وقال الاصم المستقر الذي خلق من النفس الاولى ودخل في الوجود والمستودع الذي لم يخلق بعد وسيخلق وعنه ايضا المستقر من في قرار الدنيا والمستودع من في قرار الدنيا والمستودع من في القبور الى يوم البعث وعن قتادة بالعكس ابي مسلم الاصفهاني المستقر الذكر لان النطفة انما تستقر في صلبه والمستودع الانثى لانها تستودع النطفة وحاصل الكلام ان الانسان خلق من نفس واحدة ثم انه ينقلب في الاطوار ويتردد في الاحوال وليس هذا بمقتضى الطبع والخاصية والا لتساوى الكل في الاخلاق والامزجة فذلك اذن بتدبير فاعل قدير مختار خبير ولهذا قال قد فصلنا الآيات ميزنا بعضها عن بعض لقوم يفقهون لان الفائدة تعود اليهم وكان الانشاء عاما ولان الآيات الانفس اقرب الى الاعتبار واهون لدى الاستبصار ختم الآية بالفقه وخصص خاتمة الاولى بالعلم ليعلم ان الغافل عن هذه لا فطنة له ولا ذكاء اصلا فضلا عن العلم ثم عدد ما كونه نعمة ابهر فيه من كونه آية فقال وهو الذي انزل من السماء ماء قيل اي من جانب السماء وقيل اي من السحاب لان العرب يسمي كل ما فوقك سماء كسماء البيت وقال اكثر اهل الظاهر اي من السماء نفسها لانه تعالى فاعل مختار قادر على خلق الاجسام كيف شاء واراد ونحن قد حكينا في اول سورة البقرة مذهب الحكماء في هذا الباب والله تعالى اعلم قال ابن عباس يريد بالماء ههنا المطر ولا تنزل قطرة من السماء الا ومعها ملك والفلاسفة يحملون ذلك على الطبيعة الحالة فيها الموجبة للنزول الى مركزها فاخرجنا به اي بواسطة ذلك الماء وذلك يوجب الطبع والمتكلمون ينكرونه نبات كل شيء قال الفراء اي نبات كل شيء له نبات فيخصص ينبت كل صنف من اصناف النامي ويخرج ما عدا ذلك وفي الآية التفاتان الاول من الحكاية الى الغيبة ثم لم يقل عن الذي انزلنا والثاني من الغيبة الى الحكاية وانت خبير ان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب باب من ابواب البلاغة وصيغة الجمع لاجل التعظيم كما هو ديدن الملوك ثم لما بين ان السبب هو الماء واحد والمسببات صنوف كثيرة فصل ذلك بعض التفصيل حسبما ذكر في قوله ان الله فالق الحب والنوى فقال فاخرجنا منه اي من النبات خضرا طريا وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه اي من ذلك الخضر حبا متراكبا بعضه على بعض قال ابن عباس يريد القمح والشعير والسلت والذرة فاصل ذلك هو العود الاخضر ويكون السنبلة راكبة عليه من فوقه والحبات متراكبة فوق السنبلة اجساد دقيقة حادة كالابر والمقصود من تخليقها ان تمنع الطيور من التقاطها تلك الحبات المتراكبة ولما ذكر ما ينبت من الحب اتبعه ذكر ما ينبت من النوى فقال من النخل وهو خبر وقوله من طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان او الخبر محذوف لدلالة اخرجنا عليه والتقدير ومخرجة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو كصنو وصنوان والقنو العذق وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب الطلع اول ما يبدو ومن عذق النخلة قال ابن عباس يريد العراجين التي قد تدلت من الطلع دانية ممن تحتها وعنه ايضا انه اراد عذوق النخلة اللاصقة بالارض قال الزجاج ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لان احد القسمين يغني عن الآخر كما قال سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يقال ترك البعيدة لان النعمة في القريبة اكمل واتم وقيل اراد بكونها دانية انها سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول وان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي بالثمرة لا تنتظر الطول وجنات من اعناب بالنصب عطفا على خضرا اي واخرجنا به جنات من اعناب ومن قرأ بالرفع فعلى انها مبتدأ محذوف الخبر اي وثم جنات من اعناب او وجنات من اعناب مخرجة ولا يجوز ان يكون عطفا على قنوان وان جوزه في الكشاف اذ يصير المعنى حاصلة او مخرجة من النخل من طلعها جنات حصلت من اعناب اما قوله والزيتون والرمان بالنصب فللعطف على منصوبات قبلها او للاختصاص لفضل هذين الصنفين قال الفراء اراد شجر الزيتون وشجر الرمان فحذف المضاف واعلم انه سبحانه قدم الزرع على الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه ثم قدم النخل على سائر الفواكه لان التمر يقوم مقام الغذاء ولا سيما للعرب ومن فضائلها ان الحكماء بينوا ان بينه وبين الحيوان مشابهات كثيرة ولهذا قال صلى الله عليه وآله اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم ثم ذكر العنب عقيب النخل لانه اشرف انواع الفواكه وانه ينتفع به من اول ظهوره الى آخر حاله فاوله خيوط دقيقة حامضة الطعم لذيذة وقد يمكن اتخاذ الطبائخ منه ثم يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء وللمرضى من اصحاب الصفراء ثم يتم العنب فيؤكل كما هو ويدخر ويتخذ منه الزبيب والدبس والخمر والخل ومنافع كل منها لا تحصى الا ان الخمر حرمها الشرع لاسكارها واخس ما في العنب عجمه والاطباء يتخذون منه جوارشات نافعة للمعدة الضعيفة الرطبة ويتلو العنب في المنفعة الزيتون لانه يمكن تناوله كما هو وينفصل منه الزيت الذي يعظم غناؤه واما الرمان فحاله عجيبة جدا لانه قشر وشحم وعجم وماء والثلاثة الاول باردة يابسة ارضية كثيفة قابضة عفصة واما ماء الرمان فبالضد من هذه الصفات وانه الذ الاشربة والطفها واقربها الى الاعتدال واشدها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية للمزاج الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه وكانه سبحانه جمع فيه بين المتضادين فيكون دلالة القدرة والرحمة والحكمة فيه اكمل وانواع النبات اكثر من ان يفي بشرحها المجلدات فاكتفى بذكر هذه الانواع الخمسة تنبيها على البواقي واما قوله مشتبها وغير متشابه ففي تفسيره وجوه الاول ان هذه الفواكه يكون متشابهة في اللون والشكل مع انها يكون مختلفة في الطعم واللذة فان الاعناب والرمان قد يكون متشابهة في الصورة واللون والشكل ثم انها يكون مختلفة في الحلاوة والحموضة وبالعكس الثاني ان اكثر الفواكه يكون ما فيها من القشر والعجم متشابهة في الطعم والخاصية واما ما فيها من اللحم والرطوبة فانها تكون مختلفة ومنهم من يقول الاشجار متشابهة والثمار مختلفة ومنهم من قال بعض حبات العنقود متشابهة وذلك انك قد تأخذ العنقود من العنب فترى جميع حباته مدركة نضيجة حلوة طيبة الا حبات مخصوصة فانها بقيت على اول حالها من الخضرة والحموضة

والعفوصة ومعنى اشتبه وتشابه واحد يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا وانما قال مشتبها ولم يقل مشتبهين اما اكتفاء بوصف
احدهما او على تقدير والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله رماني بامر كنت منه ووالدي بريئا ومن اجل الطوي رماني انظروا
الى ثمره من قرأ بفتحتين فلانه جمع ثمرة مثل بقر وبقرة وشجر وشجرة ومن قرأ بضمتين فعلى انه جمع ثمرة ايضا مثل خشبة وخشب قال تعالى كانهم خشب مسندة
او على انه ثمرة جمعت على ثمار ثم جمع ثمار على ثمر اذا اثمر اذا اخرج ثمره وينعه يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا بالفتح والضم اذا ادركت ونضجت امر بالنظر في حال ثمره في
اول حدوثها وفي آخر حالها فانها قد تكون موصوفة بالخضرة والحموضة ثم تتغير الى السواد والحلاوة وربما كانت اول الامر باردة بحسب الطبع ثم
يصير حارة الطبع وقد يخرج ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به ثم يؤول الى كمال اللذة والمنفعة فحصول هذه الانتقالات والتغيرات لا بد له من سبب
مستقل في التأثير سوى الطبايع والفصول والافلاك والنجوم وما ذاك الا السبب الاول ومبدع الكل ولهذا ختم الآية بقوله ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون
قال القاضي المراد لمن يطلب الايمان بالله لانه آية لمن آمن ولمن لم يؤمن ويحتمل ان يخص المؤمنين لانهم المنتفعون به المستدلون غيرهم او المراد
ان هذه الدلالة على قوتها وظهورها دلالة لمن سبق قضاء الله تعالى في حقه بالايمان والا فلا ينتفع به البتة ويكون من زمرة من قال في حقهم وجعلوا
لله شركاء الجن قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان فالله خالق الناس والدواب والانعام وابليس



خالق الحيات والسباع والعقارب قال في التفسير الكبير هذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان
الكتاب الذي زعم زرادشت انه نزل عليه من عند الله يسمى بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم انهم
قالوا كل ما في هذا العالم من الخيرات فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشرور فهو من اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم على
ان اهرمن محدث ولهم في كيفية حدوثه اقوال عجيبة كقولهم انه تعالى فكر في مملكته نفسه استعظمها فحصل نوع من العجب فتولد الشيطان من ذلك العجب
وقولهم شك في قدرة نفسه فتولد من شكه الشيطان والاقلون منهم قالوا انه قديم ازلي والحاصل انهم يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة و
عسكر ابليس هم الشياطين والملائكة فيهم كثرة عظيمة وهم ارواح طاهرة مقدسة تلهم الارواح البشرية الطاعات والشياطين فيهم ايضا كثرة عظيمة يلقون
الوساوس الى الارواح البشرية والله تعالى مع عسكره يحاربون ابليس مع عسكره فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم انهم اثبتوا لله شركاء من الجن بلفظ الجمع و
ان كان شريكه عندهم بالحقيقة واحدا وهو اهرمن وانتصاب الجن على انه بدل او بيان للشركاء او على انه مفعول اول وشركاء ثانيه ويكون لله ظرفا لغوا
وفائدة تقديم المفعول الثاني على هذا القول استعظام ان يتخذ لله شريك كائنا من كان ملكا او جنيا او انسيا ولذلك قدم اسم الله على الشركاء
وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين وقيل ان الاية نزلت في الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات الله وحسن
اطلاق الجن على الملائكة لاستتارهم عن العيون ومعنى كونها شركاء انها مدبرة لاحوال هذا العالم ومعينة لله اعانة الولد للوالد وعن الحسن طائفة من
المفسرين ان المراد ان الجن دعوا الكفار الى عبادة الاصنام والى القول بالشركة فاطاعوهم كما يطاع الله اما قوله وخلقهم فاشارة الى الدليل القاطع
على ابطال الشريك والضمير فيه اما ان يعود الى الجن او الى الجاعلين فان عاد الى الجن فان قلنا ان الاية نزلت في المجوس فتقريره ان الاكثرين منهم
معترفون بان ابليس محدث ولو لم يعترفوا به لكان البرهان العقلي قائما على ان ما سوى الحق الواحد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محدث فنقول
ح كل محدث مخلوق وله خالق وما ذاك الا الله سبحانه وحينئذ يلزمهم نقض قولهم لانه ثبت ان اله الخير قد فعل اعظم الشرور وهو خلق ابليس الذي هو
مادة كل شر وان قلنا انها في كفار العرب القائلين الملائكة بنات الله فظاهر لانهم يسلمون ان الملائكة مخلوقون وانهم تولدوا او الولد من الوالد وان
عاد الضمير الى الجاعلين فالمعنى وعلموا ان الله خالقهم دون الجن كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فمنعهم علمهم ان يتخذوا
من لا يخلق شريكا للخالق والجملة في موضع الحال اي وقد خلقهم وقرئ وخلقهم بسكون اللام اي اختلاقهم للافك يعني جعلوا لله خلقهم حيث نسبوا
قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها ثم حكى عن قوم آخرين نوعا آخر من الاشراك فقال وخرقوا له بنين وبنات وذلك قول اهل الكتابين في
المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة ومن هنا يعلم ضعف قول من قال وجعلوا لله شركاء الجن نزل في كفار قريش لانه يلزم التكرار من غير فائدة ظاهرة
يقال خرق الافك وخلقه واخترقه واختلقه بمعنى قال الحسن كلمة عربية كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقتها والله ويجوز
ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات اما قوله بغير علم فكالتنبيه على بطلان قولهم فان من عرف الاله حق معرفته استحال
ان يثبت له ولدا لان ذلك الولد ان كان واجب الوجود لذاته كان مستقلا بنفسه قائما بذاته لا تعلق له في وجوده بالآخر وتعلق الفرع عنه
وان كان ممكن الوجود لذاته كان موجودا بايجاد الواجب كان عبدا له لا ولدا وايضا الولد انما يحتاج اليه ليقوم مقام الوالد بعد فنائه ومن تقدس
عن الفناء لم يحتج الى الولد وايضا الولد جزء من اجزاء الوالد ومن لم يكن مركبا استحال ان ينفصل منه جزء يتولد منه الولد ثم نزه نفسه عما لا يليق به
فقال سبحانه وهذا على لسان المسبحين وتعالى عما يصفون وهذا له في نفسه سواء سبحه مسبح ام لا والمراد بالتعالي العلو بالشرف والرفعة
بدليل قوله عما يصفون التأويل وما قدروا الله حق قدره حين انكروا انزال الكتب والبعثة على انهم لو اعترفوا بذلك ايضا لم يعرفوه حق
معرفته لان الخاطئ لا يحيط بالمحيط نعم يزداد معرفته بازدياد معرفته اوصافه تجعلونه قراطيس اي في القراطيس وما يجعلونه في قلوبكم بالتخلق بالخلائق
وعلمتم بتعليم محمد صلى الله عليه وآله ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم كقوله ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن الحكمة ما هو سر الدين

بكون تعليمه بستر المنابعة سرا بسر او باضمار والذى علم النبى هو الله فى خلق ما سوى الله ولهذا قال قل الله مبارك على العوام بان يا بعدهم الى ربهم وعلى الخواص بان يهديهم الى ربهم وعلى خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم و يخلقهم باخلاقه وفى كتاب المحبوب شفاء لما فى القلوب بعضه تراطيسه تبدونها يعنى لا تريدون حقايق جميع ما فى الكتب لتستدام الفرقة وهى الذرة المودعة فى القلب التى هى المخاطب فى الميثاق وقد دخبت جميع ارض القلب تحتها ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر والفؤاد والصفات والاخلاق بان تنوروا بانواره وينتفعوا باسراره ويتخلقوا والذين يؤمنون بالاخرة فيستعملون الادوات والالات فى امور الدنيا والاخرة لا فى الدنيا الفانية وشهوات النفس وهواها يؤمنون بالقران وهم على صلواتهم بالترقى من صفاتهم الى التخلق باخلاق القران يداومون لان الصلوة معراج المؤمن ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا باظهار المواجيد والحالات دياء ومراء من غير ان يكون له منها نصيب او قال اوحى الى الاشارات ولم يلهم بشئ منها ومن قال تنشد فانفسهم سأتكلم بمثل كلام الله من الحقايق والاسرار فيظهر مضرة ظلمه وافترائه عند سكرات الموت وانقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس عن القالب كرها لتعلقها بالشهوات واللذات وطلب الرياسات ويكون شدة النزع والهوان بحسب التعلقات ولقد جئتمونا فرادى عن الدنيا وما يتعلق بها او فرادى عن تعلقات الكونين كما خلقناكم اول مرة فى اول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب وتركتم بالتجريد عن الدنيا والاخرة ما خولناكم من تعلق الكونين وراء ظهوركم وما نرى معكم الاعمال والاحوال التى ظننتم انها يوصلكم الى الله لقد تقطع بينكم وبينها عند انتهاء سيركم كما انتهى سير جبرئيل عند سدرة المنتهى ولا يصل الى الوحدة الا بجذبة ارجعى الى ربك ولو لم يدركم الجذبة المسندة الى العناية لانقطع عن السير فى الله بالله وبقى فى السدرة وهو يقول وما منا الا له مقام معلوم ان الله فالق حبة الذرة التى اخذ منها الميثاق المودعة فى حبة القلب عن نبات المحبة وفالق النوى ذكر لا اله الا الله فى ارض القلب شجرة الايمان كلمة طيبة كشجرة طيبة تخرج نبات المحبة التى هى من صفات الحى القيوم من الذرة والمنية الانسانية ويخرج الافعال الطبيعية التى هى صفات الكفار الموتى من المؤمن الحق فى الدارين وايضا يخرج نخل الايمان الحق من نوى الحروف الميتة فى كلمة لا اله الا الله ويخرج ميت النفاق من الكلمة الحية وهى لا اله الا الله فالق الاصباح فالق ظلمة الجمادية بمصباح العقل والحيوة والرشاد وفالق ظلمة الجهالة بصباح الفهم والادراكات وفالق ظلمات العالم الجسمانى بتخليص النفس القدسية الى صحبة عالم الافلاك وفالق ظلمات الاشتغال بعالم الممكنات بصباح نور الاستغراق فى بحر مكون المحدثات والمبدعات وبالجملة فالق انوار الروح عن ظلمة ليل البشرية وجاعل ليل البشرية سترا عن ضياء شمس الروح ليسكن فيه النفس الحيوانية والاوصاف البشرية والشمس والقمر حسبانا يعنى تجلى شمس الروحانية وطلوع قمر القلب بالحسبان لئلا يفسد امر القلب القالب ايضا شمس الربوبية وطلوع قمر الروحانية لليل البشرية بالحسبان لئلا يفسد امر الدين والدنيا على العبد بالتفريط والافراط فان افراط طلوع شموس المعارف والشهود انا الحق وسبحانى وفى تفريطها انا ربكم الاعلى وعبادة الهوى ذلك تقدير العزيز الذى لا يهتدى اليه الا به العليم بمن يستحق الاهتداء اليه وهو الذى جعل لكم النجوم انوار الغيوب فى سموات القلوب لتهتدوا بها فى ظلمات بر البشرية وبحر الروحانية الى عالم الربوبية وهو الذى انشأكم من روح واحد هو روح محمد صلى الله عليه وآله اول ما خلق الله روحى كما احياكم من جسد آدم ابى البشر من الارواح ما تعلق بالاجساد واستقر وما هو بعد مستودع فى عالم الارواح وايضا من الارواح ما هو مستقر منه نور صفة الايمان وما هو مستودع فيه جذبات الحق ومنها ما هو مستقر فى انانيته مع علو تبته بالبقاء وما هو مستودع فى بقاء البقاء عن الفناء قد فصلنا الآيات لا الوصول الوصال لقوم يفقهون اشارات القلوب وهو الذى انزل من سماء العناية ماء الهداية فاخرجنا به نبات كل شئ من انواع المعارف فاخرجنا منه خضر الحوتا من المعاد والاسرار يخرج به من الحقايق متراكب بعضها بعضا مترتب على بعض ومن النخل يعنى اصحاب الولايات من طلعها من ثمرات ولايتهم ما هو قنوان للطالبين منهم من يكون مريدا فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين وجنات يريد ارباب الزهد والتقوى والفتوى الذين لم يبلغوا رتبة الولاية من اعناب الاجتهاد والزيتون الاصول والرمان الفروع مشتبها اى متفقا فى الاصول والفروع وغير متشابه اى مختلفا فيما بين العلماء انظروا الى ثمر الولايات كيف ينتفع به الخواص والعوام وينعه اى الكامل منها ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون باحوالهم وينتفعون باقوالهم واحوالهم وجعلوا لله اشارة الى انه كما يخرج بماء اللطف من ارض القلوب لارباب انواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من ارض النفوس لاصحابها انواع الضلالات

بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اَنّٰى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ

وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ

فَمَنْ اَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا اَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ وَكَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْاٰيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اِتَّبِعْ مَا اُوحِيَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ وَاَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ

عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ
بر ایشان نگاهبان و نیستی تو بر ایشان کارگذار و دشنام مدهید آنها را که میخوانند از غیر خدا را پس دشنام دهند خدا را از دشمنی و بی دانشی همچنین

زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ
آراستیم از برای هر طائفه کردار ایشان را پس سوی پروردگار ایشان است بازگشت ایشان پس خبر دهد ایشان را بکردار ایشان و سوگند یاد کردند بخدا غایت سوگندی که اگر بیاید بدیشان

آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ
نشانی هر آینه بگروند بدان بگو جز این نیست که نشانها در نزد خداست و چه آگاه کرد شما را که آن نشانها چون در رسد نگروند و برگردانیم دلهای ایشان را و چشمهای ایشان را چنانکه نگرویدند بدان اول بار و واگذاریم ایشان را در زیادت روی حیران

القراءات ولم يكن بتاء الغيبة قتيبة درست بتاء التأنيث ابن عامر وسهل ويعقوب دارست بتاء الخطاب من المدارسة ابن كثير وابو عمرو الباقون بتاء الخطاب درست من الدرس عدوا على فعول بالضم يعقوب الباقون عدوا على فعل انها اذا جاءت بالكسر ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وقتيبة ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالفتح لا تؤمنون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة الباقون على الغيبة الوقوف والارض ط صاحبة ط كل شيء ج لاحتمال الواو الحال والاستيناف عليهم ربكم ج لاحتمال الجملة الاستيناف والحال والعامل معنى الاشارة الا هو ج لان قوله خالق بدل الضمير المستثنى او خبر ضمير محذوف فاعبدوه ج لاحتمال الواو الحال والاستيناف وكيل ه لا تدركه الابصار ز لاختلاف الجملتين مع ان الثانية من تمام المقصود يدرك الابصار ج لطيف الخبير ه من ربكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فلنفسه ج لذلك مع الواو فعليها ط بحفيظ ه يعلمون ه من ربك ج لاحتمال الجملة الحال والاستيناف على انها جملة معترضة الا هو ج للعطف مع العارض المشركين ه ما اشركوا ط حفيظا ج للابتداء بالنفي مع اتحاد المعنى بوكيل ه بغير علم ط يعملون ه ليؤمنن بها ط وما يشعركم ط لمن قرأ انها بكسر الالف لا يؤمنون ه يعمهون ه التفسير لما نبه اجمالا بقوله بغير علم على الدليل الدال على ابطال من خرق له بنين وبنات فصل ذلك بقوله بديع السموات والارض الآية والمراد هو بديع السموات ويجوز ان يكون بديع مبتدأ والجملة بعده خبره وتقرير الدليل انكم اما ان تريدوا بكون عيسى ولدا لله انه احدثه على سبيل الابداع من غير تقدم نطفة ولا اب وح يلزمكم القول بانه والد السموات والارض لكونه مبدعا لهما و هذا باطل بالاتفاق واما ان تريدوا به الولادة كما هو المألوف في الحيوانات وهذا ايضا محال لان تلك الولادة لا تتصحح الا ممن كانت له صاحبة من جنسه وينفصل منه جزء يحتبس في رحمها وهذه الاحوال انما تثبت في حق الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحد والنهاية والشهوة واللذة وكل ذلك على الله محال واشار الى هذا بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وايضا الولد بهذا الطريق انما يتصور في حق من لا يقدر على خلق الاشياء دفعة واحدة اما الذي اذا اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون فذلك في حقه مستحيل والى هذا اشار بقوله خلق كل شيء وايضا هذا الولد لا يكون الا ليا او لا كان واجبا لذاته غنيا عن غيره فبقي ان يكون حادثا فيقول انه تعالى عالم بكل المعلومات ازلا وابدا كما قال وهو بكل شيء عليم فان كان قد علم ان له في تحصيل ذلك الولد كمالا او نفعا او لذة تعلقت ارادته بايجاده في الازل دفعا لذلك الاحتياج والنقصان فيكون الولد ازليا على تقدير كونه حادثا هذا خلف فتبين ان اله العالم فرد واحد صمد منزه عن الشريك والنظير والاضداد والانداد والاولاد فلهذا صرح بالنتيجة فقال ذلكم الله فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم الموصوف الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله الى آخره وانما قال ههنا لا اله الا هو خالق كل شيء وفي المؤمن بالعكس لانه وقع ههنا ذكر بعد الشركاء والبنين والبنات فكان دفع الشرك اهم وهنالك وقع بعد ذكر خلق السموات والارض فكان تقديم الخالقية اهم ثم قال فاعبدوه وهو مسبب عن مضمون الجملة المتقدمة يعني ان من استجمعت له هذه الكمالات كان حقيقا بالعبادة وهو مع تلك الصفات على كل شيء وكيل يحفظ ويرزق ويراقب قال في التفسير الكبير انه سبحانه اقام الدليل على وجود الخالق ثم تتبع طريقة من اثبت له شريكا وهذا القدر لا يوجب التوحيد المحض لكن للعلماء في اثبات التوحيد طرق منها ان الدليل قد دل على وجود صانع والزائد على الواحد لم يدل دليل على ثبوته فليس عدد اولى من عدد آخر فيلزم اثبات آلهة لا نهاية لها او القول بعدد معين بلا ترجيح وكلاهما محال فلم يبق الا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها انا لو قدرنا الهين قادرين على كل المقدورات عالمين بكل المعلومات فكل فعل يفعله احدهما صار كونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للآخر من تحصيل مقدوره وذلك يوجب ان يكون كل واحد عاجزا عن الآخر وهو محال وان كان في احدهما عجز ونقص لم يصلح للالهية ومنها انا لو فرضنا الها ثانيا لكان اما ان يكون الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال اولا وعلى الاول لا بد ان يحصل الامتياز بامر ما والا لم يحصل التعدد فذلك المميز ان كان من صفات الكمال مشتركا بينهما وان كان من صفات النقص فالموصوف به لا يصلح للالهية وكذا ان لم يكن الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال فثبت التوحيد بهذه الدلائل مع ان الدليل النقلي في التوحيد كاف والله اعلم قالت الاشاعرة عموم قوله خالق كل شيء يدل على انه خالق افعال العباد وقالت المعتزلة انما ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولكنه لا يتمدح بخلق الزنى والكفر واللواط وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا وايضا احتج كثير من المعتزلة به على نفي الصفات وعلى ان القرآن مخلوق اما الثاني فلان القرآن شيء فيدخل تحت العموم واما الاول فلان الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم ان يكون مخلوقة له واجيب بانكم تخصصون هذا العام بحسب ذاته ضرورة انه يمتنع ان يكون خالقا لنفسه وبحسب افعال العباد فنحن ايضا نخصصه بحسب الصفات وبحسب القرآن واما الفرق بين قوله وخلق كل شيء وقوله خالق كل شيء فذلك لان الاول يتعلق بالزمان الماضي والثاني يتناول الاوقات كلها على سبيل الاستمرار ثم بين ان شيئا

احتمال الواو للاستيناف والحال اي يدرك الابصار

اي في جميع صفات الكمال

من النوى لما ادركته لا يحيط بحقيقته وان عقلا من العقول لا يقف على كنه صمديته فقال لا تدركه الابصار هذه الآية من مشهورات استدلالات المعتزلة على نفي رؤيته تعالى قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل ان قول القائل ادركته ببصري وما رأيته متناقضان ثم ان قوله لا تدركه الابصار يقتضي انه لا يراه شيء من الابصار في شيء من الاحوال بدليل صحة الاستثناء وايضا انه تعالى ذكره في معرض المدح والثناء وكل ما كان عدمه مدحا له ولم يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فوجب كون الرؤية نقصا في حقه تعالى وانما قيد بما لا يكون من باب الفعل لانه تعالى يمدح بنفي الظلم عن نفسه في قوله وما ربك بظلام للعبيد مع انه تعالى قادر على الظلم عندهم واجيب بالمنع من ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية لانه في اصل اللغة موضوع للوصول واللحوق ومنه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي الملحقون وقوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه وادرك الغلام اي بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت واذ قد ثبت ذلك فنقول الرؤية جنس والادراك اي ادراك البصر نوع منه مع الاحاطة ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي ادراك البصر نفي الرؤية سلمنا ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية لكن قوله لا تدركه الابصار لا يفيد الا نفي العموم وانتم تدعون عموم النفي فاين ذلك من هذا وانما قلنا انه لا يفيد الا نفي العموم لان صيغة الجمع كما تحمل على الاستغراق فقد تحمل على المعهود السابق ايضا فقوله لا تدركه الابصار يفيد انها لا تدركه اذا تبدلت صفاتها وتغيرت احوالها في الآخرة او نقول قول القائل يدركه جميع الابصار يفيد سلب العموم ولا يفيد عموم السلب فلم لا يجوز ان يفيد انه يدركه بعض الابصار ان محمدا ما آمن به كل الناس فانه يفيد انه آمن به بعض الناس سلمنا ان الابصار لا تدركه وكما البتة فلم لا يجوز حصول ادراك الله تعالى بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيامة كما هو مذهب ضرار بن عمرو الكوفي او نقول سلمنا ان الابصار لا تدركه فلم قلتم ان المبصرين لا يدركونه اما قولهم ان الآية مذكورة في معرض المدح فنقول لو لم يكن الله تعالى جائز الرؤية لما حصل المدح بقوله لا تدركه الابصار وانما يحصل التمدح لو كان بحيث يصح رؤيته ثم انه تعالى يحجب الابصار عن رؤيته لغاية جلاله ونهاية جماله والتحقيق فيه ان النفي المحض والعدم الصرف لا يكون موجبا للمدح والعلم به ضروري بل اذا كان النفي دليلا على حصول صفة ثابتة من صفات المدح قيل ان ذلك النفي يوجب التمدح كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم فانه لا يفيد المدح نظرا الى هذا النفي فان الجماد ايضا لا تأخذه سنة ولا نوم لا اخذا للشيء في حق الباري تعالى يدل على كونه عالما بجميع المعلومات من غير تبدل ولا زوال فقوله لا تدركه الابصار يمتنع ان يفيد المدح الا اذا دل على معنى موجود وذلك ما قلناه من كونه قادرا على حجب الابصار ومنعها عن الاحاطة به فثبت بما ذكرنا ان هذه الآية عليكم لا لكم لانها افادت انه تعالى جائز الرؤية بحسب ذاته ثم نقول اذا ثبت ذلك يجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيامة لان القائل قائلان قائل بجواز الرؤية مع ان المؤمنين يرونه وقائل لا يرونه ولا يجوز رؤيته واذا بطل هذا القول بقي الاول حقا لان القول بجواز الرؤية مع انه لا يراه احد قول لم يقل به احد وهذا استدلال لطيف ثم ان الفاضل استدل ههنا على نفي الرؤية بوجوه اخر نذكر جمعا من التفسير الكبير بالاصول فاولها ان الحاسة اذا كانت سليمة وكان المرئي حاضرا وكانت الشرائط المعتبرة حاصلة وهو ان لا يحصل القرب القريب والبعد البعيد ولا يقع الحجاب وكان المرئي مقابلا او في حكم المقابل فانه يجب حصول الرؤية والا لجاز ان يكون بحضرتنا بوقات وطبول ونحن لا نسمعها ولا نراها وهذا يوجب السفسطة اذا ثبت هذا فنقول القرب القريب والبعد البعيد والحجاب والمقابلة في حقه تعالى ممتنع فلو صحت رؤيته كان المقتضي لحصول تلك الرؤية سلامة الحاسة وكون المرئي بحيث يصح رؤيته وهذان المعنيان حاصلان في هذا الوقت فوجب ان يحصل رؤيته حيث لم يحصل علمنا ان رؤيته ممتنعة في نفسها واجيب بان ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات ولا يلزم من ثبوت حكم لشيء ثبوت مثله فيما يخالفه وثانيها لو صحت رؤيته لاهل الجنة لرآه اهل النار ايضا لان القرب والبعد والحجاب ممتنع في حقه تعالى واجيب بانه لا يبعد ان يخلق الله تعالى الرؤية في عيون اهل الجنة ولا يخلقها في عيون اهل النار وثالثها ان كل ما كان مرئيا كان مقابلا او في حكم المقابل والله تعالى منزه عن ذلك واجيب بمنع الكلية وبانه اعادة لعين الدعوى لان النزاع واقع في ان الموجود الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل يجوز رؤيته ام لا ورابعها ان اهل الجنة يلزم ان يروه في كل حال حتى عند الجماع لان القرب والبعد في حقه تعالى محال ولان رؤيته اعظم اللذات وفوات ذلك يوجب الغم والحزن وذلك لا يليق بحال اهل الجنة واجيب بالمنع لعلهم يشتهون الرؤية في حال دون حال كسائر الملاذ والمنافع في تعديد الوجوه الدالة على جواز الرؤية ومنها هذه الآية كما بينا ومنها هذه الآية كما بينا ومنها ان موسى عم طلب الرؤية فدل ذلك على جوازها ومنها انه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ومنها قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة فقد اتفق الجمهور على ان النبي صلى الله عليه وآله فسر الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية ومنها قوله فمن كان يرجو لقاء ربه ونحو ذلك من الآيات الدالة على اللقاء ومنها قوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا والاقتصار على النزل لا يجوز فالزائد على جنات الفردوس لا يكون الا اللقاء ومنها قوله ولقد رآه نزلة اخرى وسوف يأتي في سورة النجم ان شاء الله تعالى ومنها قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المؤمنون غير محجوبين ومنها قوله فيها ما تشتهيه الانفس ولا شك ان القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله على اكمل الوجوه واكمل طرق المعرفة هو العيان ومنها قوله واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا فيمن قرأ بفتح الميم وكسر اللام واما الاخبار فكثيرة منها الحديث المشهور سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي ومنها ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه وآله هل رأى الله تعالى ليلة المعراج ولم يكفر بعضهم بعضا

في الدنيا وانما لا تدركه



السبب فدل على انهم كانوا يجمعون على امكان الرؤية واما قوله تعالى وَهُوَ يُدْرِكُ الابصار ففيه دليل على انه سبحانه مبصر للمبصرات راء للمرئيات مطلع
على ماهيتها عليم بعوارضها وذاتياتها ثم قال وَهُوَ اللطيف الخبير وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهو رقة القوام فان ذلك من صفات الاجسام
بل المراد لطف صنعه في تركيب ابدان الحيوانات من الاجزاء الدقيقة والاغشية الرقيقة والمنافذ الضيقة التي لا يعلمها الا مبدعها او المراد انه لطيف في
الانعام والرحمة لا يامرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم او الغرض انه يثني عليهم بالطاعة ولا يقطع مواد احسانه عنهم بالمعصية او المراد انه يلطف عن ان يدركه الا
الخبير بكل لطيف فلا يلطف شيء عن ادراكه ثم عاد الى تقرير امر الدعوة والرسالة فقال قد جاءكم بصائر موجباتها او البصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين
فمن ابصر الحق وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر قالت المعتزلة فيه تصريح بان العبد متمكن من الامرين الفعل والترك
ويعورض بالعلم والداعي وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم ثم حكى شبهة المنكرين بقوله وكذلك
اي مثل ذلك التقرير البليغ نصرف الايات نأتي بها متواترة حالا بعد حال وليقولوا عطف على محذوف اي لتلزمهم الحجة وليقولوا درست تصريفها
ومعنى درست قرأت وتعلمت من الدرس ومن قرأ دارست اي قرأت على اليهود وقرأوا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة ومذاكرة واما قراءة
ابن عامر درست فهي من الدروس بمعنى ان هذه الايات قد مضت وعفت وهذه الاخبار التي تتلوها علينا من جملة اساطير القرون الخالية قالت العلماء
التركيب يدل على التذليل والتليين لان من درس الكتاب فقد ذلله بكثرة القراءة ومنه قيل للثوب الخلق دريس لانه قد لان فكانه تعالى ذكر الوجه
الذي لاجله صرف الايات وهو امران احدهما درست والثاني قوله ولنبينه اما الثاني فلا اشكال فيه لانه بين ان الحكمة في هذا التصريف ان
يظهر منه البيان والعلم والضمير في لنبينه للايات لانها في معنى القران او يعود الى القران وان لم يجر له ذكر للعلم به او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل
نحو ضربته ضربا واما الاول فقد ورد ان قولهم للرسول عليه درست كفر منهم بالقران والرسول وعلى هذا يعود مسئلة الجبر والقدر اما الاشاعرة
فاجروا الكلام على ظاهره وقالوا معناه انما ذكرنا هذه الدلائل حالا بعد حال ليقول بعضهم درست فيزدادوا كفرا على كفر وتثبيته لبعض فيزدادوا
ايمانا على ايمان كقوله يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا واما المعتزلة فقال الجبائي منهم والقاضي ان هذا الاثبات محمول على النفي والتقدير ونصرف
الايات لئلا يقولوا كقوله يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا اي لئلا تضلوا والمراد لام العاقبة وزيف بان حمل الاثبات على النفي تحريف لكلام الله وفتح هذا
يخرج الكتاب عن ان يكون حجة وايضا انه مناف للمقصود لان انزال الايات نجما نجما هو الذي اوقع الشبهة للقوم في ان محمدا صلعم انما اتى بالقران على
سبيل المدارسة والمذاكرة مع اقوام اخرين ولهذا كانوا يقولون لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فالجواب الذي ذكروه انما يصح لو كان التصريف
علة لان يمتنعوا من هذا القول لكنه موجب له فسقط كلامهم وايضا حمل اللام على لام العاقبة مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى ثم لما حكى عن الكفار
انهم نسبوه في شان القران الى الافتراء والى انه تدارس اقواما واستفاد هذه العلوم منهم ثم نظمها قرانا وادعى انه نزل عليه من الله امره بقوله
اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لئلا يصير ذلك القول سببا لفتوره في تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه وازالة الحزن الذي يعتريه
بسماع تلك الشبهة ونبه بالجملة المعترضة او الحال المؤكدة وهي قوله لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ على انه سبحانه لما كان واحدا في الالهية فانه يجب طاعته ولا
يجوز الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين ثم ختم الاية بقوله واعرض عن المشركين وحمله بعضهم على انها منسوخة باية القتال
وضعف بان المراد ترك مقابلتهم فيما ياتونه من سفه وان يعدل صلوات الله عليه الى الطريق الذي يكون اقرب الى القبول وابعد عن
التنفير والتغليظ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا مذهب الاشاعرة فيه ظاهر وحمله المعتزلة على مشيئة الالجاء والقسر واجيب بعد المعارضة بالعلم و
الداعي بان الايمان الاختياري هب انه انفع وافضل من الايمان القهري الا انه تعالى لما علم ان ذلك لا يقع ولا يحصل فقد كان يجب في حكمته ان
يخلق الله فيه الايمان القهري كي يخلص من العقاب وان لم يحصل له الثواب كما ان الاب الشفيق اذا علم ان ابنه لا يحسن الغوص يقول له اترك الغوص في
البحر ولا تطلب اللآلي فانك لا تجدها واكتف بالرزق القليل مع السلامة فاما ان يامره بالغوص في البحر مع اليقين التام بانه لا يستفيد منه الا الهلاك
فان ذلك من الرحمة والشفقة بمعزل ثم ختم الكلام بما يكمل به بصيرة الرسول صلى الله عليه واله وذلك انه بين له قدر ما جعل اليه فذكر انه ما جعله
اليه فذكر انه ما جعله حفيظا ولا وكيلا عليهم وانما فوض اليه الابلاغ والانذار ثم انهم لما نسبوا الرسول صلعم الى انه جمع القران بطريق المدارسة وكان
وكان لا يبعد ان يغضب له المسلمون فيسبوا الهتهم لسبب ذلك نهى الله تعالى عن ذلك فقال وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وذلك
ان المسلمين اذا شتموا الهتهم ربما غضبوا وذكروا الله بما لا ينبغي من القول وفيه تنبيه على ان خصمك اذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك
ان تقدم على مشافهته بما يجري مجرى كلامه فان ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والمسافهة وانه لا يليق بالعقلاء قال ابن عباس لما نزل إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ قال المشركون لئن لم تنته عن سب الهتنا وعيبها لنهجون الهك فنزلت وقال السدي لما حضر ابا طالب الوفاة قالت
قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنامره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحيي ان نقتله بعد موته فيقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه
فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري الى ابي طالب
فقالوا انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا واذى الهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه واله
فقال له ابو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلعم ماذا تريدون قالوا نريد ان تدعنا والهتنا وندعك والهك فقال ابو طالب

او متعلق بما بعد اي ليقولوا ع

درست اي ... ع



قد انصفك قومك دعهم فقال رسول الله صلعم ارأيتم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطى كلمة ان تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها
العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشر امثالها فما هي قال قولوا لا اله الا الله فابوا واشمازوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فان قومك
قد فزعوا منها فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك ولنشتمن من
يأمرك فانزل الله تعالى هذه الآية قالت العلماء ان القوم كانوا مقرين بوجود الاله تعالى فكيف يتصور اقدامهم على شتم الله واجيب بانه ربما كان بعضهم قائلا
بالدهر ونفي الصانع فما كان يبالي هذا النوع من السفاهة او لعل مرادهم شتم الرسول صلى الله عليه وآله فاجرى الله تعالى شتمه مجرى شتم الله كما في قوله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله او لعلهم من جهالتهم اعتقدوا ان الشيطان يحمله على دعوى الرسالة ثم انهم سموا ذلك الشيطان بانه اله
محمد صلى الله عليه وآله وههنا سؤال وهو ان شتم الاصنام من اصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى ان ينهى عنه والجواب ان هذا الشتم وان كان طاعة
الا انه اذا وقع على وجه يستلزم منكرا وجب الاحتراز عنه لان هذا الشتم كان يستلزم اقدامهم على شتم الله سبحانه وشتم رسوله وفتح باب السفاهة و
تنفيرهم عن قبول الدين وادخال الغيظ والغضب في قلوبهم وفيه ان الامر بالمعروف قد يقبح اذا ادى الى ارتكاب منكر والنهي عن المنكر يقبح اذا ادى الى
زيادة منكر وغلبة الظن قائمة مقام اليقين في هذا الباب وفيه تاديب لمن يدعو الى الدين كيلا يتشاغل بما لا يفيد في المطلوب فان وصف الاوثان
بانها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفي في القدح في الهيتها فلا حاجة مع ذلك الى شتمها يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء اذا ظلم ظلما مجاوزا القدر
قال الزجاج عدوا منصوب على المصدر لان المعنى فيعدوا عدوا وقرئ عدوا بضم العين والتشديد اي في حال كونهم اعداء ومعنى بغير علم على جهالة
بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك اي مثل ذلك التزيين زينا لكل امة عملهم قالت الاشاعرة فيه دلالة على انه تعالى هو الذي زين للكافر الكفر وللمؤمن
الايمان وللعاصي المعصية وزيفه الكعبي بقوله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم وبقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت فاذا المراد انه تعالى زين لهم
ما ينبغي لهم ان يعملوا وهم لا يفقهون او المراد زينا لكل امة من امم الكفار عملهم اي خليناهم وشانهم وامهلناهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان
حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا او زينه لنا فضعف بعد المعارضة بالعلم وضعف الداعي بان قوله نعم كذلك زينا بعد قوله
فيسبوا الله مشعر بان اقدامهم على ذلك المنكر انما كان بتزيين الله تعالى وايضا الانسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفرا و
جهلا والعلم بذلك ضروري بل انما يختاره لانه اعتقد كونه ايمانا وعلما وحقا وصدقا ولولا سابقة الجهل الاول والا لما اختار الجهل الثاني ولا
يذهب الجهالات الى غير النهاية فلابد ان ينتهي الى جهل يخلقه الله تعالى فيه وهو بسبب ذلك الجهل ظن الكفر ايمانا والجهل علما قال واقسموا بالله
جهد ايمانهم والغرض حكاية شبهة اخرى لهم وهي ان هذا القرآن كيف كان امره فليس من جنس المعجزات البينة ولو انك يا محمد جئتنا بمعجزة باهرة بينة
قاهرة لآمنا بك واكدوا هذا المعنى بالايمان والاقسام قال الواحدي انما سمي اليمين بالقسم لان اليمين موضوعة لتوكيد الخبر وكانت الحاجة الى ذكر
الحلف عند انقسام الناس وقت سماع الخبر الى مصدق ومكذب فمعنى الاقسام ازالة القسمة وجعل الناس كلهم مصدقين بواسطة الحلف واليمين عن محمد
ابن كعب قال كلمت قريش رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا يا محمد تخبرنا ان موسى كانت معه عصا فضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وان عيسى
كان يحيي الموتى وان صالحا كانت له ناقة فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلعم اي شيء تحبون ان آتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا
ذهبا قال فان فعلت تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعون فقام رسول الله صلعم يدعو فجاء جبرئيل ع فقال ان شئت اصبح الصفا
ذهبا ولكن لم ارسل آية فلم يصدق بها الا انزلنا العذاب وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلعم اتركهم حتى يتوب تائبهم و
انزل الله الآيات الى قوله ولكن اكثرهم يجهلون قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه وقال الزجاج معناه بالغوا في الايمان والمراد
بقوله ان جاءتهم آية ما مر بيانا من جعل الصفا ذهبا وقيل هي الاشياء المذكورة في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الآيات وقيل كان النبي صلى
الله عليه وآله يخبرهم بان عذاب الاستيصال كان ينزل بالامم المتقدمين المكذبين فالمشركون طلبوا مثلها قل انما الآيات عند الله اي هو مختص
بالقدرة على امثال هذه الآيات لان المعجزات لا يحصل الا بتخليق الله تعالى او المراد بالعندية هو العلم بان احداث هذه المعجزات هل يقتضي ايمانهم
ام لا كقوله وعنده مفاتح الغيب او المراد انها وان كانت معدومة في الحال الا انه تعالى متى شاء احدثها وليس لكم ان تتحكموا في طلبها كقوله
وان من شيء الا عندنا خزائنه وما يشعركم ما استفهام والجملة خبره ثم من قرأ انها بكسر الهمزة على الابتداء وهي القراءة الجيدة فالتقدير وما يشعركم ما
يكون منهم ثم ابتدأ فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون واما قراءة الفتح فقال سيبويه سألت الخليل عن ذلك فقال لا يحسن لانها تصير عذرا للكفار
لان معنى قول القائل ما يدريك انه لا يفعل هو انه يفعل فمعنى الآية انها اذا جاءت آمنوا وذلك يوجب مجيء هذه الآيات ويصير هذا الكلام عذرا
لهم في طلبها لكن القراءة لما كانت متواترة فلا جرم ذكر العلماء فيه وجوها قال الخليل ان بمعنى لعل تقول العرب ائت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك
ويقوي هذا الوجه قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وثانيها ان تجعل لا صلة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
وثالثها ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله وما يدريكم ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون
ما سبق به علمي من انهم لا يؤمنون واما من قرأ لا تؤمنون بتاء الخطاب فالمراد وما يشعركم ايها الكفار [illegible] في الآية دلالة على انه تعالى لا يفعل كل
ما هو مقدور من الالطاف اذ لو كان في المعلوم لطف يؤمنون عنده ثم انه لا يفعل ذلك لم يكن لتعليل ترك الاجابة بانهم لا يؤمنون وجه وانهم لو كان لا بد

الهتنا او لنشتمنك صح

فاو اثبت اللطف

بخلق الله تعالى ولم يكن لفعل الالطاف اثر في حمل المكلف على الطاعات لم يكن لاظهار تلك المعجزات اثر والجبائي بان تاثير المعجزات عندهم مبني على وجوب اللطف
بم لزم الدور وبان الاية التي بعد هذا وهو قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم تدل على ان الكفر والايمان بقضاء الله وقدره ومعنى تقليب الافئدة
والابصار هو انهم اذا جاءتهم الايات الباهرة التي اقترحوها وعرفوا كيفيتها ودلالتها على صدق الرسول الا انه تعالى اذا قلب قلوبهم وابصارهم عن ذلك الوجه
الصحيح بقوا على الكفر ولم ينتفعوا بتلك الايات والتقليب تحويل الشيء عن وجهه وكان صلى الله عليه وآله يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي
على دينك والمراد انه تعالى يقلب القلوب تارة من دواعي الخير الى دواعي الشر وبالعكس وانما قدم ذكر تقليب الافئدة على تقليب الابصار لان موضع الدواعي
والصوارف هو القلب فاذا حصلت الداعية في القلب انصرف البصر عنه والحاصل ان السمع والبصر تابعان للقلب فلهذا السبب وقع الابتداء بتقليب
القلب قال الجبائي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم في جهنم على لهب النار تعذيبا لهم وزيف بان قوله ونذرهم انما يحصل في الدنيا وهذا
يستلزم سوء النظم وقال الكعبي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم بانا لا نفعل بهم ما نفعل بالمؤمنين من الفوائد والالطاف حيث اخرجوا انفسهم عن
هذا الحد بسبب كفرهم وضعف بانه انما استحق الحرمان من تلك الالطاف والفوائد بسبب اقدامه على الكفر وهو الذي اوقع نفسه في ذلك الحرمان فكيف
يحسن اضافته الى الله تعالى في قوله ونقلب قال القاضي القلب باق على حالة واحدة الا انه تعالى ادخل التقليب لتبديل الدلائل واعترض بان
تقليب القلب نقله من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة اما قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة فقال الواحدي فيه حذف والتقدير ولا يؤمنون بهذه الآية
كما لم يؤمنوا بظهور الايات اول مرة يعني اول مرة اتتهم الايات مثل انشقاق القمر وغيره والكناية في به اما عائدة الى القرآن او الى محمد صلى الله عليه وآله
او الى ما طلبوا من الايات وقيل الكاف للجزاء اي كما لم يؤمنوا اول مرة فكذلك نقلب افئدتهم وابصارهم عقوبة لهم قال الجبائي ونذرهم اي لا نحول بينهم
وبين اختيارهم ولا نمنعهم بمعاجلة الهلاك وغيره لكنا نمهلهم فان اقاموا على طغيانهم فذلك من قبلهم وانه يوجب تاكيد الحجة عليهم وقالت الاشاعرة
اذا قلب افئدتهم من الحق الى الباطل وتركهم في ذلك الطغيان والضلال والعمه التأويل قد جاءكم بصائر دلالات السعادات الباقية فمن ابصرها
بنظر البصيرة فاشتغل بتحصيلها واقبل على الله بسلوك سبيلها فذلك تحصيل لنفسه فان الله غني عن العالمين ومن عمي فيها العكس ولا تسبوا الذين يدعون
لا يخاطبوا اهل الضلال على مواجب نوازع النفس الطبيعية فيحملهم ذلك على ترك الاجلال واظهار الاضلال بل خاطبوهم بلسان الحجة والزام
الحجة ونفي الشبهة واقسموا بالله حسبوا ان البرهان يوجب الايمان ولم يعلموا انهم مقهورون تحت حكم السلطان وما يغني وضوح الادلة لمن لم يدركه
سوابق الرحمة ونقلب افئدتهم عن الآخرة الى الدنيا وابصارهم عن شواهد المولى الى مشاهدة النفس والهوى كما لم يؤمنوا يوم الميثاق اذ قلت الست بربكم قالوا
بلى

وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

واگر چنانکه ما فرستادیم بسوی ایشان فرشتگان را و گفتگو کردندی با ایشان مردگان و گرد آوردیم بر ایشان هر چیزی را باروی نبودند که بگروند مگر آنکه بخواهد خدا

اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ

خدا ولیکن بیشتر ایشان نادانانند و همچنین گردانیدیم از برای هر پیغمبری دشمنی را از دیوان انس و پری که وحی میکنند بعضی از ایشان بسوی بعضی بیهوده گفتار را

غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَ

از جهت فریب اگر خواستی پروردگار تو نکردندی آن را پس واگذار ایشان را و آنچه دروغ گویند و تا میل کند بآن دلهای آنان که نگروند بروز واپسین و تا پسندند آن را

لِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ

و تا اندوزند آنچه ایشان اندوزندگانند آیا بجز خدا را بجویم داوری و اوست آنکه فرو فرستاد بسوی شما کتاب را هویدا کرده و آنان که دادیم ایشان را

الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا

کتاب میدانند که آن فرود آمده از پروردگار تو براستی پس مباش تو از شک آورندگان و تمام است سخن پروردگار تو از راستی و عدالت نیست

مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ

تغییر دهنده مر کلمات او را و اوست شنونده دانا و اگر پیروی کنی بیشتر آنها را که در زمین هستند بیرون برند ترا از راه خدا نمیکنند

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

پیروی بجز گمان را و نباشند ایشان مگر دروغ میگویند بدرستی که پروردگار تو او داناتر است از آنکه میرود از راه خود و او داناتر است

بِالْمُهْتَدِينَ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ

براه یافتگان پس بخورید از آنچه ذکر شد نام خدا بر او اگر باشید بآیات او گروندگان و چیست شما را که نخورید از آنچه یاد شد نام خدا

عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ

بر او و بتحقیق هویدا ساخت برای شما آنچه را که حرام کرد بر شما مگر آنچه را که ناچار شدید بسوی آن و بدرستی که بسیاری گمراه میشوند بهواهای خود بدون دانش بدرستی که پروردگار تو

هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا

او داناتر است بتجاوز کنندگان و واگذارید آشکار گناه و پنهانش را بدرستی آنانکه کسب میکنند گناه را زود باشد که جزا داده شوند بآنچه بودند دروغ میگفتند و مخورید از آنچه

لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون

یاد کرده نشده است نام خدا بر او و هر آینه آن فسق است و بدرستی که دیوان هر آینه وحی میکنند بسوی دوستان خود تا مخاصمت کنند با شما و اگر فرمان برید ایشان را هر آینه شما مشرک باشید

القراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بضمتين منزل بالتشديد ابن عامر وحفص والمفضل كلمة ربك عاصم وحمزة وعلي وخلف وعاصم وسهل ويعقوب الباقون كلمات من يضل من الاضلال الاصح عن حفص وضل على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول حمزة وخلف وعاصم غير حفص والمفضل وقرأ ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وحفص جميعا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيهما ليضلون بضم الياء عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح الوقوف الجزء الثامن يجهلون غرورا مفترون مقترفون مفصلا الممترين وعدلا لكلماته لابتداء الضمير المنفصل مع احتمال الواو والحال اي لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم عن سبيل الله يخرصون عن سبيله بالمهتدين مؤمنين اليه بغير علم بالمعتدين وباطنه يقترفون لفسق ليجادلوكم لمشركون

التفسير هذا شروع في تفصيل ما اجمله قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون وكان المستهزئون بالقرآن خمسة الوليد بن المغيرة المخزومي والعاص بن وائل السهمي والاسود بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب والحارث بن حنظلة اتوا الرسول صلى الله عليه وآله في رهط من اهل مكة فقالوا ارنا الملائكة تشهدون بانك رسول الله او ابعث لنا بعض موتانا حتى نسئلهم احق ما تقول ام باطل او ائتنا بالله والملائكة قبيلا اي كفيلا على ما تدعيه فنفى الله تعالى عنهم الايمان وان اوتوا هذه المقترحات قال ابو زيد بنو لقيت فلانا قبلا ومقابلة كلها بمعنى واحد وهو المواجهة رواه الواحدي وقال ابو عبيدة والفراء والزجاج قبلا بكسر القاف معناه معاينة روي عن ابي ذر قال قلت للنبي صلى الله عليه وآله اكان آدم نبيا قال نعم كان نبيا كلمه الله تعالى قبلا واما قبلا بضمتين فقيل انه جمع قبيل ومعناه الجماعة يكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب ولهذا قال الاخفش في تفسيره قبيلا اي قبيلا قبيلا والمعنى الكفيل والعريف من قبل به يقبل قبالة والمعنى لو حشرنا عليهم كل شيء كفلاء بصحة ما يقول ما آمنوا وموضع الاعجاز فيه ان الاشياء المحشورة منها ما لا ينطق ومنها حي ومنها ميت فاذا حشرها الله تعالى على اختلاف طبايعها مجتمعة في موقف واحد ثم انطقها واجتمعوا على قبول هذه الكفالة كان ذلك من اعظم المعجزات اما قوله تعالى ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ايمانهم فقد قالت الاشاعرة فيه انه يدل على ان الله تعالى ما شاء ايمانهم وقالت المعتزلة اولم يرد منهم الايمان لما وهب عليهم الايمان كما لو لم يامرهم به لم يجب لو اراد الكفر من الكافر لكان الكافر في كفره مطيعا لله لانه لا معنى للطاعة الا فعل المراد ولو جاز من الله تعالى ان يريد الكفر لجاز ان يامر به وان ينهى عن الكفر فالمراد من الاية انه شاء من الكل الايمان القهري والمعنى ما كانوا ليؤمنوا ايمانا اختياريا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار فحينئذ يؤمنون وزيف بان الاختيار لا بد معه من حصول داعية يترجح بها احد طرفي الممكن ولا يحصل تلك الداعية الا بتخليق الله تعالى فكانه لا اختيار قال الجبائي قوله الا ان يشاء الله يدل على حدوث المشيئة اذ لو كانت قديمة وهي الشرط لزم من حصولها حصول المشروط واجيب بانها قديمة الا ان تعلقها باحداث المحدث في الحال اضافة حادثة ثم ختم الاية بقوله ولكن اكثرهم يجهلون قالت الاشاعرة اي لا يعلمون ان الكل بقضاء الله وبقدره وقالت المعتزلة انهم لا يدرون انهم يبقون كفارا عند ظهور الآيات التي طلبوها والمعجزات التي اقترحوها فيقسمون بالله جهد ايمانهم من حال غلوهم او ولكن المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم لاختيارهم بمجيء الآيات المقترحات ثم قال وكذلك قيل انه منسوق على قوله وكذلك زينا لكل امة عملهم وجعلنا وقيل ان المشار اليه محذوف اي كما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر قالت الاشاعرة لا شك ان تلك العداوة معصية وكفر وان جعلها شرفا لانه يدل على انه خالق الخير والشر والطاعة والمعصية والايمان والكفر هو الله قال الجبائي المراد بهذا الجعل انه حكم وبين فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه كفره واذا اخبر عن عدالته قيل عدله وقال الكعبي امر الانبياء بعداوتهم واعلمهم بكونهم اعداء لهم فاقتضى ذلك انهم صاروا اعداء للانبياء لان العداوة يكون من الجانبين اجاب ابو بكر الاصم انه ارسل محمدا الى العالمين وخصه بتلك المعجزات صار ذلك التخصيص سببا للحسد والعداوة والبغضاء فهذا هو المراد بجعلهم اعداء له وزيف بان الافعال مستندة الى الدواعي وهي من الله تعالى وبان العداوة والمحبة متعلق بالطبع لا بالارادة والتكلف فلا يقدر عليها الا الله تعالى وانتصاب شياطين كما مر في قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال الزجاج وابن الانباري عدوا في معنى الجمع وللقائل ان يقول لا حاجة الى هذا التكلف لصحة قولنا كذلك جعلنا لكل واحد من الانبياء عدوا اكثر من عدو واحد عن ابن عباس كل عات متمرد من الجن والانس فهو شيطان وقال مجاهد وقتادة والحسن ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين وان شياطين الجن اذا اعياه المؤمن ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فاغراه بالمؤمن ليفتنه عليه روي ان النبي صلى الله عليه وآله قال لابي ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقيل ان الجميع من ولد ابليس الا ان الذي يوسوس الانس يسمى شيطان الانس والذي يوسوس الجن يسمى شيطان الجن وزيف بان المقصود من الاية الشكاية من سفاهة الكفار الذين هم الاعداء وهم الشياطين وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا ومعنى الايحاء الايماء او القول السريع اي يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذا بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وقيل انه لا يتصور وسوسة الانس الى الجن الا على تقدير التقول بالتسخير وزخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء بالمعاصي والتحقيق فيه ان الانسان ما لم يعتقد في امر من الامور خيريته او نفعه لم يرغب فيه ثم ان كان هذا الاعتقاد مطابقا للواقع فهو الحق والصدق

الايمان الاختياري وما شاء الايمان صح

اي وكما زينا لهم

واحدا اذ المراد انه حصل لكل واحد من الانبياء عدو



والالهام وكان صادرا من الملك والا كان مزخرفا اى يكون باطنه فاسدا وظاهره مزينا قال الواحدى غرورا نصب على المصدر لان ايحاء الزخرف من القول فى معنى الغرور ولو شاء ربك ما فعلوه استدلال الاشاعرة بظاهره والمعتزلة يحملونه على مشيئة الالجاء فذرهم وما يفترون منصوب على انه مفعول معه او مفعول به اى واتركهم وما يفترونه قال ابن عباس يريد ما زين لهم ابليس وغرهم به وفيه تحذير من الكفر وترغيب فى الايمان وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتنبيه له على ما اعد للكفرة من العقاب وله من الثواب بسبب صبره على سفاهتهم وتلطفه بهم الصغو فى اللغة الميل يقال فى المسمع انه مصغى اذا مال بحاسته الى ناحية الصوت واصغى الاناء اذا اماله حتى انصب بعضه فى البعض ويقال للقمر اذا مال الى الغروب صغى واصغى قال الجوهرى صغا يصغو ويصغى صغوا اى مال وكذلك صغى بالكسر يصغى بالفتح صغى وصغيا واللام فى ولتصغى لابد له من متعلق فقالت الاشاعرة التقدير وانما جعلنا مثل ذلك الشخص عدوا للنبى لتميل اليه اولا قوله المزخرف افئدة الكفار فيبعدوا بذلك لسبب عن قبول دعوة النبى وليرضوه ولينقادوا على انفسهم وليقترفوا اى ليكتسبوا من الاثام ما هم مقترفون وقال الجبائى ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزجر كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وزيف بان حمل لام كى على لام الامر تحريف وقال الكعبى هى لام العاقبة تقديره ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار جعلنا لكل نبى عدوا وعن ابى مسلم انها معطوفة على موضع غرورا والتقدير يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا بذلك ولتميل قلوب الكفار الى المذاهب الباطلة واورد عليه ان ميل القلوب الى الاراء الفاسدة هو عين الاغترار فيلزم عطف الشئ على نفسه وههنا بحث وهو ان الاشاعرة قالوا البنية ليست شرطا للحيوة فالحى هو الجزء الذى قامت الحيوة به والعالم هو الجزء الذى قام العلم به وقالت المعتزلة الحى والعالم هو الجملة لا ذلك الجزء حجة الاشاعرة انه جعل الموصوف بالميل والرغبة فى الاية هو القلب لا جملة الحى وبمثله استدل من جعل المتعلق الاول للنفس هو القلب لا مجموع البدن ثم انه سبحانه لما ذكر انه لا فائدة لهم فى اظهار الايات التى اقترحوها بين بقوله افغير الله ابتغى حكما الاية ان الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل والزايد على ذلك لا يجب الالتفات اليه وانما قلنا ان الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين الاول ان الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انه انزل عليه الكتاب المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته واشار الى هذا الوجه بقوله افغير الله ابتغى حكما يعنى قل يا محمد انكم تحكمون فى طلب ساير المعجزات فهل يجوز فى العقل ان يطلب غير الله حكما فان كل احد يقول ان ذلك غير جائز الوجه الثانى اشتمال التورية والانجيل على ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله حقا وعلى ان القرآن كتاب حق من عند الله واشار اليه بقوله والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ثم قال فلا تكونن من الممترين والخطاب لكل احد اى اذا ظهرت الدلايل فلا ينبغى ان يمترى فيها احد وقيل الخطاب للرسول فى الظاهر والمراد به الامة وقيل الخطاب للرسول فى الحقيقة والمراد التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او المراد فلا تكونن من الممترين فى ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم قال الواحدى الحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة وقال بعض اهل التأويل الحكم اكمل من الحاكم [لان الحاكم] كل من يحكم والحكم هو الذى لا يحكم الا بالحق ثم لما بين ان القرآن معجز قال وتمت كلمة ربك اى القرآن وقوله صدقا وعدلا مصدران ينتصبان على الحال من الكلمة يعنى تمامها انها وافية كافية فى كونها معجزة دالة على صدق محمد وكافية فى بيان ما يحتاج المكلفون اليه الى القيامة علما وعملا او المراد بالتمام انها ازلية لا يحدث بعدها لك شئ واعلم ان كل ما حصل فى القرآن نوعان الخبر والتكليف فالخبر كل ما اخبر الله تعالى عن وجوده او عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وحصول صفاته اعنى كونه تعالى قادرا سميعا بصيرا ويدخل فيه الخبر عن صفات التقديس والتنزيه كقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا تأخذه سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن اقسام افعال الله تعالى وكيفية تدبيره لملكوته فى السموات والارض وفى عالم الارواح والاجسام ويدخل فيه الخبر عن احكام الله تعالى فى الوعد والوعيد والثواب والعقاب ويدخل فيه الخبر عن اقسام اسماء الله تعالى والخبر عن النبوات واقسام المعجزات والخبر عن احوال النشر والقيامة وصفات اهل الجنة والنار والخبر عن احوال المتقدمين والخبر عن المغيبات واما التكليف فيدخل فيه كل امر ونهى توجه منه سبحانه على عبيده سواء كان ملكا او بشرا او شيطانا وسواء كان ذلك فى شرعنا او فى شرايع الانبياء المتقدمين او فى مراسم الملائكة المقربين الذين هم سكان السموات والجنة والنار والعرش وما وراءه مما لا يعلم احوالهم الا الله تعالى فاذن المراد وتمت كلمات ربك صدقا ان كان من باب الخبر وعدلا ان كان من باب التكاليف وهذا ضبط حسن وقيل ان كل ما اخبر الله تعالى عنه من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق لانه لا بد ان يكون واقعا وهو بعد وقوعه عدل لان افعاله منزهة عن ان يكون بصفة الظلم ثم قال لا مبدل لكلماته والمعنى ان هؤلاء الكفار يلقون الشبه فى كون القرآن دالا على صدق محمد الا ان تلك الشبهات لا تأثير لها فى هذه الدلالة البتة لجلاء الدلالة ووضوحها او المراد ان كلماته تبقى موصوفة بصفتها مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الغرض انها براءة عن التناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا او المعنى ان احكام الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل لانها ازلية والازلى لا يزول وهذا الوجه احد الاصول القوية فى اثبات الجبر انه يلزم منه ان لا ينقلب السعيد شقيا وبالعكس ثم لما اجاب عن شبه الكفار بين انه بعد ظهور الحجة وتبين المحجة لا ينبغى للعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال فقال وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله والمضل لا بد ان يكون ضالا ويعنى بهم الذين ينازعون النبى فى الدين غير قاطعين بصحة مذاهبهم كالزنادقة وعبدة الكواكب والاصنام وكالذين يحرمون البحائر والسوائب والوصائل ويحللون الميتة فيحكمون على الحق بانه باطل وعلى الباطل بانه حق فلا يتبعون الا الظن



وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ يقدرون انهم على شيء او يكذبون في ان الله احل كذا وحرم كذا واصل الخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرا وليس لنفاة القياس تمسك بالآية من قبل توجه الذم على متبع الظن لان المذموم من اتباع الظن هو الذي لا يستند الى امارة كظن الكفار المستند الى تقليد الاسلاف فقط اما اذا كان الاعتقاد الراجح مستندا الى امارة فلم قلتم انه كذلك ثم قال إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ والمراد انك بعدما عرفت ان الحق ما هو والباطل ما هو فلا تكن في قيدهم بل فوض امرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بان المهتدي من هو والضال من هو فيجازي كل احد بما يليق بعمله او المراد ان هؤلاء الكفار وان اظهروا من انفسهم ادعاء الجزم واليقين فهم كاذبون والله تعالى عالم باحوال قلوبهم وبواطنهم ومطلع على تحيرهم في اودية الجهالة وتيه الضلال قال النحويون ان افعل التفضيل لا يعمل في مظهر ففي الكلام محذوف اي يعلم من يضل عن سبيله فان لم يقدر محذوف قوي بالباء كما في القلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وهذا هو الاصل وانما خص هذه السورة بالحذف موافقة لقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وعدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاضافة لان اكثر ما يستعمل افعل من يستعمل في الماضي نحو اعلم من دب ودرج واحسن من قام وقعد وافضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل التبس بالاضافة تعالى الله عن ذلك وجوز بعضهم ان يكون من للاستفهام كقوله لنعلم اي الحزبين احصى ثم قال فكلوا والفاء مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم محققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهو المذكى بسم الله فان قيل ان القوم كانوا يبيحون ما ذبح على اسم الله ولا ينازعون فيه وانما النزاع في اكل الميتة فانهم كانوا يبيحونها والمسلمون يحرمونها فما الحكمة في اثبات الحكم في المتفق عليه وترك الحكم في المختلف فيه فالجواب لعل القوم كانوا يحرمون اكل المذكاة ويبيحون اكل الميتة فرد الله تعالى عليهم في الامرين بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه او نقول المراد اجعلوا اكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه وعلى هذا فيكون المراد تحريم الميتة فقط والله اعلم اما قوله وقد فصل لكم فاكثر المفسرين قالوا المراد به ما فصل في اول المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية واعترض عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة من اخر ما نزل بالمدينة والآية تقتضي ان يكون المفصل مقدما على هذا المجمل بل الاولى ان يقال المراد بقوله تعالى بعد هذه الآية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى اخرها فان هذا القدر من التاخر غير ضائر وقوله الا ما اضطررتم اي دعتكم الضرورة الى اكله بسبب شدة المجاعة وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ المبالغة في قراءة ضم الياء اكثر لان كل مضل فانه يكون ضالا وقد يكون الضال غير مضل قيل انه عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه اول من غير دين اسمعيل واتخذ البحائر والسوائب واكل الميتة وقوله باهوائهم بغير علم يريد ان عمرو بن لحي اقدم على هذه المذاهب من الجهالة الصرفة وقال الزجاج المراد منه الذين يحللون الميتة ويناظرون في احلالها ويحتجون عليها بقولهم اذا ما انتم ذبحتموه فهو حلال وما ذبحه الله تعالى اولى وكذا كل ما يضلون فيه من عبادة الاوثان والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وفي الآية دلالة على ان التزاع في الدين بمجرد التقليد حرام إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ فيجازيهم عليها وفيه من التهديد ما فيه ثم ذكر ما يجامعه فقال وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ فقيل ظاهره الزنى في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر قال الضحاك كان اهل الجاهلية يرون الزنى حلالا ما كان سرا والاصح ان النهي عام اذ لا دليل على تخصيصه ثم قيل المراد ما اعلنتم وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقال ابن الانباري يريد وذروا الاثم من جميع جهاته كما تقول ما اخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا اي ما اخذته بوجه من الوجوه وقريب منه قول من قال المراد النهي عن الاثم مع بيان انه لا يخرج عن كونه اثما بسبب اخفائه وكتمانه وقيل المراد النهي عن الاقدام على الاثم ثم قال وباطنه ليظهر بذلك ان الداعي له الى ترك ذلك الاثم خوف الله لا خوف الناس وقيل ظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وارادة الشر للمسلمين ويدخل فيه الاعتقاد والعزم والنظر والظن والتمني والندم على افعال الخيرات ومنه يعلم ان ما يوجد في القلب يؤاخذ به وان لم يقترن به عمل إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ اي يكتسبون من الآثام ومنه الاعتراف يمحو الاقتراف وكما ان التوبة تمحو الحوبة وظاهر النص يدل على انه يعاقب المذنب البتة الا ان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب لم يعاقب واهل السنة على انه اذا لم يتب احتمل العفو وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ نقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام او شراب فهو حرام تمسكا بعموم الآية واجمع سائر الفقهاء على تخصيص هذا العموم بالذبح ثم اختلفوا فمالك كل ذبح لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام او شراب فهو حرام ترك الذكر عمدا او نسيانا وهو قول ابن سيرين وطائفة من المتكلمين ابو حنيفة ان ترك عمدا حرم وان ترك نسيانا حل الشافعي متروك التسمية عمدا او سهوا حلال اذا كان الذابح مسلما لقوله تعالى وانه لفسق والضمير عائد الى الاكل الذي دل عليه الفعل او الى الموصول على انه في نفسه فسق مثل رجل عدل او على تقدير حذف المضاف اي ان اكله لفسق وقد اجمع المسلمون على انه لا يفسق باكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية ولقوله تعالى وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وهذه المناظرة كانت في مسئلة الميتة وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها قال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتل الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله الآية فالمراد من الشياطين ههنا ابليس وجنوده وسوسوا الى اوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا واصحابه في اكل الميتة وقال عكرمة وان الشياطين يعني مردة المجوس ليوحون الى اوليائهم من مشركي قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من اهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ان محمدا واصحابه يزعمون ان ما يذبحونه حلال وان ما يذبحه الله حرام فوقع في انفس ناس من المشركين



شيء فنزلت الآية ثم قال وإن أطعتموهم يعني في استحلال الميتة إنكم لمشركون قال الزجاج وفيه دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله تعالى أو حرم
شيئا مما أحل الله فهو مشرك لأنه أثبت حاكما سوى الله تعالى ثم قال الشافعي الفسق في الآية مجمل وهي قوله قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما إلى قوله أو فسقا
أهل لغير الله به مفسرا بما أهل به لغير الله فعلمنا أن الفسق في هذه الآية أيضا مفسر فيكتفي عن هذا المقام وهو التمسك بالمخصصات فلم قلتم
إنه لم يوجد ذكر الله ههنا المازري أنه صلى الله عليه وسلم قال ذكر الله مع المسلم سواء قال أو لم يقل فيحمل هذا الذكر على ذكر القلب ونقول هب أن
هذا الدليل يوجب الحرمة إلا أن معنا ما يدل على الحل وإذا تعارض الحل والحرمة فالحل راجح لأن الأصل في الأشياء الإباحة وللعمومات الدالة
على الحل كقوله خلق لكم ما في الأرض جميعا كلوا واشربوا ولأنه مستطاب وقد قال أحل لكم الطيبات ولأن الطبع يميل إليه وقد نهي عن
إضاعة المال هذا تقرير مذهب الشافعي ومع ذلك فالأولى بالمسلم أن يحترز عنه لقوة ظاهر النص قال الكعبي في الآية دلالة على أن الإيمان
اسم لجميع الطاعات لأنه تعالى سمى مخالفة الشرع شركا وأجيب بأنه لا يبعد أن يراد بالشرك ههنا اعتقاد أن لله شريكا في الحكم التأويل وكلمهم الموتى أي تأويل
الميتة وحشرنا أي ربنا هم جميع الآيات المودعة في المكونات إلا أن يشاء الله فإن المشيئة تغير السجية والعناية الأزلية كفاية الآية ثم ولكن
أكثرهم يجهلون أن الهدى ليس بالمنزلة وإنه بمشيئة المولى إنه أخبر أن البلاء بالسائرين إلى الله هي المطايا بأفعال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الإنس هي النفس الأمارة التي هي أعدى الأعداء والذين آتيناهم الكتاب هم بناهم بنور الكتاب إلى حضرة الجلال فلا تكونن من الممترين في الأزل
وتمت كلمة ربك كلامه وقضاؤه في الأزل صدقا وعدلا فيما حكم بالوجود والعدم والسعادة والشقاوة والرد والقبول والخير والشر
والحسن والقبح والإيمان والكفر أحسن كل شيء خلقه هو الإنسان لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وكل شر شيء هو الإنسان عند فساد استعداده
ثم رددناه أسفل سافلين ولأهل الكمال ترقي في كمال الحسن إلى الأبد ولأهل النقصان تنزل في القبح إلى الأبد أيضا إظهارا للقدرة الكاملة
غير المتناهية وهو السميع لحاجة كل ذي حاجة العليم بما يستأهله كل موجود وإن تطع أكثر من في الأرض وهم أهل الأهواء وإنما أهل الحق وإن هم
إلا يخرصون في دعوى طلب الحق فإن سبيل الحق لا ينسلك بالهوى إنما يسلك بالصدق والهدى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه من أمارات
الإيمان أن يأكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع ويبتدئوا بذكر الله كما قال صلى الله عليه وآله أذيبوا طعامكم بذكر الله فالأكل على الغفلة
والنسيان والاستغراق على العصيان يورث الجنان والحرمان عن الجنان وقد فصل لكم بإلهام الله ما حرم عليكم وهو الله تعالى وما فيها والآخرة
ونعيمها إلا ما اضطررتم إليه من ضرورات البشرية الدين بأمر المولى لا بالطبع والهوى إن ربك هو أعلم بالمعتدين الذين جاوزوا المولى
وركنوا إلى الدنيا والعقبى وذروا ظاهر الإثم يعني الأعمال الطبيعية وباطنه يعني الأخلاق الذميمة الردية سيجزون بما كانوا يقترفون لأن
الأخلاق الظلمانية توجب صداء مرآة القلب بتزيدها رينا إلى أن يصير حجابا بين العبد وبين الله تعالى ولا تأكلوا الطعام إلا بأمر الله وعلى ذكر الله
وفي طلب الله لينتفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وأنه يعني ظلام الطعام يؤدي إلى الفسوق الذي هو الخروج من النور الروحاني إلى الظلمة
النفسانية وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم بالوسوسة إذا كانت النفوس مجادلة مع القلوب ليدعوها إلى متابعة الهوى إلى الله حسبي أَوَمَنْ

ليوحون فإن للشيطان ع

كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ
سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ
لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿﴾ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ
وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ
رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ

حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ

داور یست دانا و همچنین بکاریم بعضی از ستمکاران بر بعضی بانچه بودند کسب میکردند ای طائفه پری و آدمی آیا نیامد شمارا پیغمبران از جنس شما که حکایت کردند

عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ

بر شما آیات من و میترسانند شمارا از دیدن اینچنین روزی گفتند گواهیم بر نفسهای خود و فریب داد ایشان را زندگانی دنیا و گواهی دادند بر نفسهای خود که ایشان بودند کافران

القراءة ميتا بالتشديد ابو جعفر و نافع وسهل و يعقوب رسالته بالنصب للتوحيد ابن كثير وحفص والمفضل الباقون رسالاته على الجمع وبالكسر في موضع النصب ضيقا و بابه بالتخفيف ابن كثير حرجا بكسر الراء ابو جعفر و نافع وسهل وابو بكر وحماد الباقون بالفتح يصعد من الصعود ابن كثير يصاعد من التصاعد بادغام التاء في الصاد ابو بكر وحماد الباقون يصعد بالادغام من التصعد يحشرهم بياء الغيبة حفص الآخرون بالنون الوقوف بخارج منها يعملون فيها وما يشعرون رسل الله رسالاته يمكرون للاسلام لابتداء شرط اخر مع العطف في السماء لا يؤمنون مستقيما يذكرون يعملون جميعا لحذف اي يحشرهم ويقول لهم مع اتحاد المقصود من الانس لاول لتبدل القائل مع اتفاق الجملتين اجلت لنا قال النار لتغليظ الصوت على النار اشارة الى ان النار مبتداء بعد القول وليست فاعله شاء الله عليم يكسبون يوم هذا كافرين التفسير انه سبحانه بعد ان ذكر ان المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلا للفريقين فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعله الله حيا واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون متحيرا على الدوام وهل هما خاصان او عامان فيه قولان الاول قال ابن عباس يريد حمزة بن عبد المطلب وابا جهل وذلك ان ابا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وآله بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فاقبل غضبا حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فانزل الله الآية وعن مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت وعن عكرمة انها نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل وعن الضحاك هي في عمر بن الخطاب وابي جهل والقول الثاني انها عامة في كل مؤمن وكافر لحصول المعنى في الكل وانما جعل الكفر موتا لان الجهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة فهو كالموت الذي يوجب السكون وايضا الميت لا يهتدي الى شيء وكذلك الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحيوة والنور قال بعض العلماء قوله او من كان ميتا اشارة الى اول مراتب النفس الانسانية وهي الاستعداد المحض المسماة بالعقل الهيولاني عند الحكيم وقوله فاحييناه اشارة الى ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهي ان يحصل لها العلوم الكلية الاولية وقوله وجعلنا له نورا اشارة الى ثالثة المراتب وهي التي قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنها لا تكون حاضرة بالفعل بل يكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها قدر عليه ولهذا يسمى عقلا بالفعل اي العقل القريب وقوله يمشي به في الناس اشارة الى رابعة المراتب وهي النهاية المسماة بالعقل المستفاد وقد حصلت المعارف القدسية والجلايا الروحانية للنفس حاضرة بالفعل وصار جوهر الروح مشرقا بتلك المعارف مستضيئا بها ويمكن ان يقال الحيوة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور الوحي والتنزيل فانه لا بد في الابصار من امرين سلامة الحاسة والنور الخارجي من الشمس والسراج فكذلك البصيرة لا بد لها في الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحي فلهذا قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القرآن ومنهم من قال نور الدين او نور الحكمة والاقوال متقاربة واما مثل الكافر فهو كمن في الظلمات ليس بخارج منها وفيه ان ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة له لا يكاد يزول عنه فيبقى متحيرا خائفا فزعا نعوذ بالله من هذه الحالة ومعنى المثل ههنا الصفة الغريبة اي كمن صفته هذه والمراد كمن هو في الظلمات ثم قال كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون والمزين هو الله بالتحقيق عند الاشاعرة والشيطان بالحقيقة او الله مجازا عند المعتزلة والاضافة الى الله بالحقيقة او المجاز اولى بدليل قوله وكذلك جعلنا اي كما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا او وكما زينا للكافرين اعمالهم كذلك جعلنا في كل قرية اكابر وهي جمع الاكبر ومجرميها مضاف اليه والظرف مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل التقدير جعلنا مجرميها اكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين اكابر لاجل رياستهم اقدر على الغدر والمكر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم ولان كثرة المال وقوة الجاه يحمل الناس على المبالغة في حفظهما وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الاخلاق الذميمة من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والشح والايمان الكاذبة وكفى بهذه الامور دليلا على خساسة المال والجاه واللام في ليمكروا على اصله عند الاشاعرة واستدلوا على ان الشر بارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام العاقبة مجازا كما حملوا الجعل في قوله وكذلك جعلنا على التخلية والخذلان ثم قال في معرض التهديد وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يعود عليهم وما يشعرون وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقديم موعد بالنصرة ثم انه سبحانه حكى قول ابي جهل واضرابه زاحمنا بني عبد مناف في الشرف الى آخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك سنا واكثر منك مالا فقال واذا جاءتهم آية اي معجزة قاهرة او وحي قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال الضحاك اراد كل واحد منهم ذلك كما في الآية الاخرى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ويشبه ان يكون هذا الكلام الخبيث هو المراد بالمكر المذكور في الآية المتقدمة وللمفسرين في تفسيرهم قولان احدهما وهو الاشهر انهم ارادوا ان يحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي وان يكونوا متبوعين لا تابعين و



ومخلد ومن الاخادمين وثانيهما عن ابن عباس والحسن ان المعنى واذا جاءتهم اية من القران يامرهم باتباع محمد صلى الله عليه وآله قالوا لن نؤمن حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من الله تعالى الى ابي جهل وفلان وفلان فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا ايات قاهرة ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله سبحانه في جوابهم على سبيل الاستيناف الله اعلم حيث يجعل رسالته على القول الاول ظاهر واما على القول الثاني فوجهه ان القوم اذا اقترحوا تلك الايات فلو اظهر الله تعالى تلك المعجزات على وفق التماسهم لكانوا قد قربوا من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح تتساوى في تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون بعض تشريف من الله تعالى واحسان وتفضل وقال اخرون بل النفوس مختلفة بجواهرها وماهياتها فبعضها خيرة طاهرة عن علائق الجسمانيات مشرقة بالانوار الالهية مستعلية مؤثرة وبعضها خبيثة كدرة محبة للجسمانيات فالنفس ما لم تكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحي والرسالة ومراتب الرسل مختلفة فمنهم ذو معجزة واحدة وذو معجزتين واكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من امن به جم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان مدار امره على التغليظ والتشديد وفي الاية تعريض بان حصول النبوة والرسالة لابد فيه من قلب سليم والمقترحون فيهم من المكر والحسد ما فيهم فكيف يعقل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم ما يناسب اخلاقهم واحوالهم ولهذا قال تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وهوان عند الله في الاخرة او في الدنيا بحكم الله وايجابه من الاسر والقتل والمراد من عند الله تعالى في قوله عند الله مستانف اي معد لهم ذلك واعلم ان كمال العقاب لابد فيه من امرين الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا عن طاعة محمد صلى الله عليه وآله طلبا للعزة والكرامة فالله تعالى بين انه يقابلهم بضد مقصودهم فاول ما يوصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد جميع ذلك بسبب مكرهم ونكرهم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يقال شرح فلان امره اذا اظهره واوضحه ومنه شرح المسئلة اذا بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول ذلك الامر ولا شك ان توسيع الصدر غير ممكن على سبيل الحقيقة ولكن ههنا معنى وهو انه اذا اعتقد الانسان في عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره راجح مال الطبع اليه وقوي طلبه ورغبته في حصوله وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله فسميت هذه الحالة سعة الصدر وان حصل في القلب علم او اعتقاد او ظن يكون ذلك العمل مشتملا على ضرر زائد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وحصل في النفس نبوة عن قبوله فيقال لهذه الحالة ضيق الصدر لان المكان اذا كان ضيقا لم يتمكن الداخل من الدخول فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه واكثر استعمال شرح الصدر في جانب الحق والاسلام وقد ورد في الكفر ايضا قال ولكن من شرح بالكفر صدرا قال المفسرون لما نزلت هذه الاية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كيف يشرح الله صدره فقال صلى الله عليه وآله يقذف الله تعالى فيه نورا حتى ينفسح وينشرح فقيل له وهل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود لابد ان يترتب على اعتقاد ان عمل الاخرة والخير زائد النفع والتجافي عن دار الغرور انما ينبعث عن اعتقاد كون اعمال الدنيا زائد الضرر والشر والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الامرين الزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة اما قوله حرجا فمن قرا بكسر الراء فعلى النعت ومن قرا بالفتح فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج الحرج في اللغة اضيق الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذي لا يناله الراعية حكى الواحدي باسناده عن ابن عباس انه قرا هذه الاية وقال هل ههنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الاشجار المستمسك الذي لا طريق فيه فقال كذلك قلب الكافر ومعنى يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة فكان الكافر في شدة نفوره من الاسلام وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الصعود الى السماء وقيل المراد ان قلبه يتباعد عن الاسلام وقبوله تباعد ما بين الارض والسماء كذلك يجعل اي كما جعل ضيق الصدر في قلوبهم كذلك يجعل الرجس عليهم وقال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان سلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وعن عطاء الرجس هو العذاب قال الزجاج هو اللعنة في الدنيا والعذاب في الاخرة قالت الاشاعرة في الاية دلالة على ان الهداية والضلال من الله تعالى بيانه ان العبد قادر على الايمان وعلى الكفر وقدرته بالنسبة الى الامرين سواء ولا يترجح الا لداعية ولا معنى للداعية الا علمه او اعتقاده او ظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زائدة ومجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل ولا بد ان ينتهي تلك الداعية الى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل فاذا خلق الله تعالى في قلبه اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة وهو المراد بشرح الصدر مال القلب اليه واذا خلق في قلبه اعتقادات الايمان بمجرد سبب المفسدة الدينية والدنيوية نبا الطبع عنه وبقي على الكفر فحاصل الاية ان من اراد الله منه الايمان قوى دواعيه اليه ومن اراد منه الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقالت المعتزلة انه لا دلالة في الاية على قولكم لانه ليس فيها اكثر من انه اذا اراد ان يهدي انسانا او يضله فعل به كيت وكيت فمنها انه اراد ذلك ولم يرد نظيره قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فبين انه كيف يفعل اللهو لو اراده ثم انه لم يرد ذلك بالاتفاق وايضا لم قلتم انه اراد من يريد ان يضله على الايمان بل المراد من يرد الله ان يهديه يوم القيامة الى طريق الجنة يشرح صدره للاسلام حتى يثبت عليه وتفسير الشرح هو انه يفعل به الطافا يدعوه الى البقاء على الايمان والثبات عليه ومن يرد ان يضله عن طريق الجنة فعند ذلك يلقي في صدره الضيق والحرج لا في كل الاوقات بل في بعضها كيلا يمكن دفعه وخصوصا عند ظهور نصرة المؤمنين وبدو الذل والصغار في الكافرين وايضا لا يبعد ان يبقى المعنى فمن يرد الله ان يهديه الى الجنة يشرح صدره للاسلام

في ذلك الوقت الذي يهديه فيه الى الجنة لما راى من فوائد الايمان ونتائجه من الدرجات العالية والمراتب الشريفة فيزداد رغبة فيه ومن يرد ان يضله
يوم القيمة عن طريق الجنة ففي ذلك الوقت يضيق صدره للحزن الشديد بالذي ناله من الحرمان من الجنة والدخول في النار وقال في الكشاف فمن
يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله اي
يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان
واجيب عن قولهم ليس في الاية انما اراد ذلك ولم يرد بان قوله في اخر الاية كذلك يجعل الله الرجس تصريح بانه يفعل به ذلك الاضلال لان الكاف للتشبيه
والتقدير كما جعلنا ذلك الضيق والحرج في صدره كذلك نجعل فيه ايضا ذلك لا نعطي المراد من قوله ومن يرد ان يضله عن الدين وتفسير الضيق والحرج
باستيلاء الغم والحزن على قلب الكافر بعيد لان اكثر من يعتريه الحزن في الدنيا هو المؤمن ولهذا قال صلى الله عليه وآله خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل ولو خص ذلك بالاخرة كان من اوضح الواضحات فمن المعلوم لكل احد ان من يضله الله عن طريق الجنة فانه يضيق قلبه في ذلك الوقت
والجواب على قول صاحب الكشاف ما مر من ان فعل الايمان يتوقف على ان تحصل في القلب داعية جازمة الى الايمان وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى
وكذا القول في جانب الكفر فان سمي الداعيتين احد باللطف والخذلان فلا مشاحة في الاسامي قال القاضي في تفسيره روي عن محمد بن كعب القرظي انه
قال تذاكرنا امر القدرية عند ابن عمر فقال لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا فاذا كان يوم القيمة نادى مناد وقد جمع الناس بحيث يسمع الكل اين
خصماء الله فيقوم القدرية قال ولا يخفى انهم الذين ينسبون افعال العباد الى الله قضاء وقدرا وخلقا لانهم يقولون الى الله فاي ذنب لنا حتى تعاقبنا
انت الذي خلقته فينا واردته منا وقضيته علينا ولم تخلقنا الا له ولا يسرت لنا غيره فهؤلاء لا بد ان يكونوا خصماء الله اما الذين قالوا ان الله تعالى
مكن وازاح العلة وانما اتي العبد من قبل نفسه فكلامه موافق لما يعامل به من انزال العقوبة فهؤلاء منقادون لله تعالى لا خصماء هذا كلام القاضي
تعجب منه الاشاعرة فقالوا كيف يكون خصم الله من يقول ليس للعبد على الله حجة ولا استحقاق بوجه من الوجوه وان كل ما يفعله الرب في العبد فهو
حكمة وصواب ليس للعبد على ربه اعتراض ولا مناظرة وكل ما يصل منه الى عباده حتى الملائكة والانبياء فهو تفضل منه واحسان لكن الخصم من يدعي
عليه وجوب الثواب والعوض ويقول لو لم تعطني ذلك لخرجت عن الالهية وصرت معزولا عن الربوبية وكنت من السفهاء وان من واظب على الكفر
سبعين سنة ثم امن في اخر حياته وقال لا اله الا الله محمد رسول الله عن القلب ثم مات فان رب العالمين ان اعطاه النعم الفائقة سنين غير محصورة
ثم انه لو ترك ذلك لحظة واحدة قال العبد له انت معزول عن الالهية يحكى ان الشيخ ابا الحسن الاشعري لما فارق مجلس استاده ابي علي الجبائي وترك
مذهبه كثر اعتراضه على اقاويله عظمت الوحشة بينهما فاتفق ان ابا علي عقد مجلس التذكير وحضر عنده جمع غفير فذهب الشيخ ابو الحسن الى ذلك المجلس
مختفيا عن الجبائي وقال لبعض من حضر هناك من العجائز اني اعلمك مسئلة فاذكريها لهذا الشيخ قولي له كان لي ثلاثة من البنين واحد في غاية
الزهد والاخر في غاية الفسق والثالث كان صبيا لم يبلغ فماتوا على هذه الصفات فاخبرني ايها الشيخ عن احوالهم فقال الجبائي اما الزاهد ففي درجات
الجنة واما الكافر ففي دركات النار واما الصبي فمن اهل السلامة فقالت قولي له ان الصبي لو اراد ان يذهب الى تلك الدرجات العالية التي حصل
فيها اخوه الزاهد فهل يمكن منه قال الجبائي لا لان الله تعالى يقول له انما اخوك وصل الى تلك الدرجات لانه اتعب نفسه في العلم والعمل وانت فليس
معك ذلك فقال ابو الحسن قولي له لو ان الصبي يقول يا رب العالمين ليس الذنب لي لانك امتني قبل بلوغي ولو ابلغتني فربما زدت على الزاهد
الزهد فقال الجبائي يقول الله تعالى له علمت انك لو عشت لطغيت وكفرت وكنت تستوجب النار فراعيت مصلحتك فقال له ابو الحسن قولي له لو ان
الاخ الكافر الفاسق رفع راسه من الدرك الاسفل من النار وقال يا رب العالمين ويا احكم الحاكمين ويا ارحم الراحمين لم راعيت حال الاخ الصغير
وما راعيت حالي ومصلحتي قال الراوي فانقطع الجبائي فنظر فراى ابا الحسن فعلم ان المسئلة منه لا من العجوز ثم ان ابا الحسن البصري جاء بعد اوان واكثر مجيبا
عن الجبائي فانا الاخر لا نرضى بهذا الجواب انما نقول الجواب مبني على مسئلة اختلف شيوخنا فيها وهي انه هل يجب على الله تعالى ان يكلف العبد ام لا
فقال البصريون انه غير واجب لكنه تفضل واحسان وقال البغداديون انه واجب على الاول لله تعالى ان يقول لذلك الصبي اني طولت عمر الاخ الزاهد
وكلفته على سبيل التفضل ولم يلزم من كوني متفضلا على احد بشيء ان اتفضل على غيره بمثله وعلى قول البغداديين فلله ان يقول ان اطالة عمر
اخيك وتوجيه التكليف في حقه لم يستلزم مفسدة الغير فلا جرم فعلته اما اطالة عمرك وتوجيه التكليف عليك فكان يلزم منه عود مفسدة الى غيرك
فلهذا ما فعلته وظهر الفرق واورد على القسم الاول انه تعالى لما اوصل التفضل الى احدهما فالامتناع من ايصاله الى الثاني قبيح منه عقلا لانه
ليس فعلا شاقا عليه ولا ينقص بذلك شيء من ملكه والصبي محتاج الى الاحسان اليه ومثل هذا الامتناع قبيح في الشاهد كمن منع غيره من النظر
في مرآته المنصوبة على الجدار لعامة الناس فان كان حكم العقل في التحسين والتقبيح مقبولا فليكن ههنا ايضا مقبولا والا فلا يقبل في شيء من الصور
بطل كلية مذهبكم واورد على الشق الثاني ان قولنا تكليفه يتضمن المفسدة والا لم ينفك تكليف عن المفسدة وانه باطل بالاتفاق فمعناه ان
انا اذا كلفت هذا الشخص فانه يختار من قبل نفسه فعلا قبيحا فان اقتضى هذا القدر ان يترك الله تعالى تكليفه وجب ان يقبح تكليف
كل من علم الله من حاله انه يكفر والا لزم محض التحكم هذا تمام مناظرة الفريقين ولعلك قد عرفت التحقيق هنا فيما سلف فتذكر ثم قال وهذا صراط
ربك في المشار اليه وجوه منها ان المذكور في الاية المتقدمة اما على مذهب الاشاعرة وهو ان الفعل يتوقف على الداعي وحصول تلك الداعية

بلطف يعني في الاسلام صح

مفسدة للغير ان ذات التكليف يتضمن



من الله تعالى فيكون الفعل من الله ويلزم استناد الكل الى قضائه وقدره واما على مذهب المعتزلة والمراد هذا الذي قررنا طريقته التي اقتضتها الحكمة
وعادته الجارية في عباده من التوفيق والخذلان ومعنى مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على الحال المؤكدة والعامل ما في اسم الاشارة من معنى الفعل او
هو محمد وفي اي حقه وعن ابن عباس يريد هذا الذي انت عليه يا محمد دين ربك وقال ابن مسعود يعني القرآن قد فصلنا الآيات ذكرناها فصلا
فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر قال في التفسير الكبير قد بين الله تعالى صحة القول بالقضاء والقدر في آيات من هذه السورة متوالية متعاقبة
بطرق كثيرة ووجوه مختلفة وختم الآية بقوله لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لانه تقرر في عقل كل واحد ان احد طرفي الممكن لا يترجح على الآخر الا لمرجح فكانه يقول للمعتزلي تذكر
ما تقرر في عقلك ان الممكن لا يترجح احد طرفيه الا لمرجح حتى تزول الشبهة عن قلبك فان حصول الفعل عن القادر لو لم يتوقف على الداعي مع تساوي طرفيه
وجب ان يحصل هذا الاستغناء في كل الممكنات والمحدثات وح يلزم نفي الصانع وابطال القول والفعل والفاعل والتاثير والمؤثر ثم لما بين عظم
نعمته في الصراط المستقيم بين ما اعد وهيأ للمتذكرين فقال لهم دار السلام اي دار الله يعني الجنة والاضافة للتشريف والتعظيم كما قيل الكعبة بيت الله
او دار السلامة من كل آفة وكرب والسلام والسلامة مثل الضلال والضلالة والرضاع والرضاعة كلاهما مصدر وقيل السلام جمع السلامة لان انواع السلامة
حاصلة في الجنة ومعنى عند ربهم انها معدة عنده في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى وذلك نهاية في بيان وصولهم اليها وكونهم على امن من خصومها
وَهُوَ وَلِيُّهُمْ اي قريب منهم بالرحمة والرضوان او مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم وذلك ان القوم قد عرفوا ان المدبر والمقدر ليس الا
هو جل جلاله وان النافع والضار ليس الا هو سبحانه فانقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه ولم يكن انسهم الا
به فلما صاروا بالكلية له لاجرم قال سبحانه وَهُوَ وَلِيُّهُمْ على انه متكفل لجميع مصالحهم دينا ودنيا ثم قال بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اي بسبب اعمالهم او متوليهم
بجزاء ما كانوا يعملون لئلا ينقطع العمل ولا يتكلموا وذلك ان بين النفس والبدن تعلقا شديدا وكان الهيئات النفسانية قد تؤثر في البدن كحمرة
الخجل وصفرة الوجل فالهيئات البدنية قد تصعد من البدن الى النفس فاذا واظب الانسان على اعمال الخير ظهرت الآثار المناسبة لها في جوهر النفس
فلا بد للسالك من العمل بعد كمال العلم والمعرفة ثم لما بين حال من تمسك بالصراط المستقيم اردفه بذكر من تعلق بضده فقال وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
والمراد واذكر يوم كذا او يوم نحشرهم قلنا او متعلقه محذوف والتقدير ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير اما
ان يعود الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم في قوله شياطين الانس والجن او يعود الى جميع المكلفين الذين علموا ان الله تعالى يبعثهم من الثقلين و
غيرهم ويكون القائل على تقدير حذف القول هو الله تعالى كما انه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر لا يكون الا للتبكيت وانهم وان تمردوا
في الدنيا انتهى حالهم في الآخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن لانه يبعد ان يتكلم الله تعالى
بنفسه مع الكفار لقوله ولا يكلمهم الله قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ لا بد فيه من اضمار لان الجن اي الشياطين لا يقدرون على الاستكثار من نفس
الانس فالمراد قد استكثرتم من اضلال الانس واستتباعهم نحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واما قوله وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ
فالاقرب عند بعضهم ان فيه حذفا فكما قال للجن تبكيتا ما سبق يقول للانس ثم مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول و
لما بكت الله كلا الفريقين حكى جواب الانس وهو قوله رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وفيه قولان الاول ان المراد استمتع الجن بالانس والانس بالجن
وعلى هذا ففي الاستمتاع وجهان احدهما ان الرجل كان اذا سافر فامسى بارض منفردا وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه
فيبيت امنا في نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن واما استمتاع الجن بالانس فهو ان الانس اذا عاذ بالجن كان ذلك تعظيما منهم للجن وذلك الجن يقول
قد سدت الجن والانس لان الانسي قد اعترف له بانه يقدر ان يدفع عنه وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبي وابن جريج ويعضده قوله سبحانه وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وثاني الوجهين ان الانس كانوا ينقادون للجن ويطيعون حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالاتباع فانتفعوا
بالانس انتفاع الرئيس بالخادم واما انتفاع الانس بالجن فهو ان دلوهم على الشهوات واللذات الى ان بلغوا هذا المبلغ الذي افنوا بسوء عاقبتهم وهذا اختيار
الزجاج القول الثاني ان البعضين كليهما من الانس لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر قليل نادر وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي ذلك الاستمتاع
كان حاصلا الى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من حيث لا ينفع وبذلك الاجل قيل هو وقت الموت وعلى هذا فكل من مات من مقتول وغيره فانه
يموت باجله لانهم اقروا بانهم بلغوا اجلهم وفيهم المقتول وغير المقتول وقيل هو وقت التخلية والتمكين وقيل وقت المحاسبة في القيمة قال الله تعالى
في جوابهم النَّارُ مَثْوَاكُمْ مقامكم ومقركم من ثوى بالمكان يثوي ثويا اذا اقام به قال ابو علي الفارسي المثوى اسم للمصدر دون المكان لان قوله تعالى
خَالِدِينَ فِيهَا حال واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار اهل ان يقيموا فيها خَالِدِينَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ قيل المراد منه اوقات المحاسبة ووقت كونهم
في الحشر كانه قيل خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم وقال ابن عباس استثنى الله
قوما سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وآله وعلى هذا يلزم ان يكون ما بمعنى من وفيه خلل آخر وهو ان الاستثناء انما هو من يوم القيمة
الذين يحشرون فيه وقيل المراد الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير روي انهم يدخلون واديا فيه برد شديد فهم
يطلبون الرد من ذلك البرد الشديد الى حر الجحيم وقال في الكشاف ويكون هذا من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد
طلب ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع

لكم لانه اطماع محض ويأس كلي وقال ابو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى الحلول وانما هو راجع الى الاجل المؤجل لهم كأنهم قالوا وبلغنا اجلنا الذي سميته
لنا الا من اهلكته قبل الاجل المسمى يعني الاجال الاخترامية ان ربك حكيم فيما يفعل من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازاة عليم بما يستأهل كل طائفة فكأنه
تعالى يقول احكمت لهؤلاء بعذاب الابد لعلمي انهم يستحقون ذلك ثم لما حكى عن الجن ان بعضهم يتولى بعضاً بين ان ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضاً وذلك ان القدرة صالحة للعداوة والصداقة فترجيح احد الجانبين لا يكون الا بداعية خلقها الله قطعا للتسلسل وايضا لما بين انه
سبحانه ولي اهل الجنة بقوله وهو وليهم ذكر ان اولياء اهل النار من يشبههم في الظلم والخزي والنكال واشار اليه بقوله بما كانوا يكسبون اي بسبب كون ذلك البعض
مكتسبا للظلم وهذا مناسبة في غاية اللطف لان الجنسية علة الضم فالطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين وفي الاية دلالة على ان الرعية متى كانوا
ظلمة فان الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فان ارادوا الخلاص منه فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار قال جاء في بعض الكتب السماوية انا الله مالك الملوك
قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا انفسكم بسب الملوك لكن توبوا الي اعطفهم عليكم ثم بين ان
كفار الثقلين لا يكون لهم الى المحيص يوم القيامة سبيل وانهم لا يعذبون الا بالحجة فقال يا معشر الجن والانس قال اهل اللغة المعشر كل جماعة امرهم
واحد الم يأتكم رسل منكم استفهام على سبيل التقرير فلا جرم استدل الضحاك بالاية بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير على ان من الجن رسلا كالانس
ولان استيناس الجنس بالجنس اكمل ولهذا قال سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا والاكثرون على انه ما كان من الجن رسول البتة انما كانت الرسل من بني
ادم وزعموا ان ذلك مجمع عليه ورد بانه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف واستدل بعضهم بقوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم
وال عمران على العالمين والمراد بالاصطفاء ههنا النبوة بالاجماع واجيب عن قول الضحاك بان الاية تقتضي ان رسل الجن والانس بعضا يكون من بعض
هذا المجموع فكان هذا القدر كافيا في حمل اللفظ على ظاهره فلا يلزم اثبات رسول من الجن وايضا لا يبعد ان يقال ان الرسل كانوا من الانس ثم كان
من الجن نفر يسمعون من رسل الانس وينذرون قومهم بذلك قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية وقد يسمى رسول الرسول رسولا كما انه تعالى
سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ ارسلنا اليهم اثنين ثم انه سبحانه يكون قد بكت كفار الثقلين بهذه الاية لانه ازال العذر وازاح العلة بسبب انه
ارسل الرسل اليهم او رسل الرسل اليهم فاذا وصلت البشارة والنذارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل المقصود قال الواحدي اراد رسلا من احدكم وهو
الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اي احدهما وهو الملح الذي ليس بعذب وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه
وآله بعث الى الجن والانس اما قوله يقصون عليكم اياتي فالمراد منه التنبيه على الادلة بالتلاوة وبالتأويل وينذرونكم لقاء يومكم هذا يخوفونكم عذاب
هذا اليوم فلم يجدوا بدا من الاعتراف فلذلك قالوا شهدنا على انفسنا والسبب في انهم اقروا في هذه الاية وجحدوا في قوله والله ربنا ما كنا مشركين
هو انهم مختلفو الاحوال في يوم القيامة مضطربون فتارة يقرون واخرى يجحدون ومنهم من حمل هذه الشهادة على شهادة الجوارح عليهم ثم اخبر الله تعالى
عن حالهم في الدنيا بقوله وغرتهم الحيوة الدنيا وعن حالهم في الاخرة بقوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين والمقصود من شرح احوالهم في
القيامة زجرا لهم في الدنيا عن الكفر والمعصية وقد يستدل بالاية على ان لا وجوب قبل ورود الشرع والا لم يكن لهذا التوبيخ والتبكيت فائدة
التأويل اومن كان ميتا في حالة العدم فاحييناه بالحيوة الحقيقية اي بالحي الذي لا يموت وجعلنا له نورا الوجود الحقيقي الذي يمشي به في الناس
وبه يسمع وبه يبصر كمن هو محجوب في ظلمات الطبيعة وكذلك جعلنا في كل قرية اي كل قالب اكابر مجرميها من النفس والهوى والشيطان ليمكروا
فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع ما اوتي رسل الله من القلب والسر والروح يشرح صدره اي ينظر الى قلبه بنظر العناية فيتنور بنور رحمته
وهو نور الايمان فيشرح الصدر بضوء النور الواقع في القلب هذا الضوء هو المسمى بنور الاسلام وهذا النور يقبل الزيادة والاشتداد الى ان يصير
الايمان ايقانا والايقان عيانا والعيان عيانا ضيقا لتراكم ظلمات صفات البشرية حرجا لتعلقاته بالدنيا وشهواتها كانما يصعد في السماء لانه
سفلي بالطبع لا يصعد الا بالتصعيد والقسر وهذا الذي بينا من الهداية والضلالة صراط ربك باللطف والقهر فيجذب باللطف يهدي السعيد
وبسطوات القهر يضل الشقي لهم دار السلام اي السلامة عن القطيعة في مقام العندية بالوصول الى الوحدة بعد الخروج عن ظلمات الاثنينية ويوم
نحشرهم في موقف القالب البشري بالحكمة البالغة والقدرة الكاملة يا معشر الجن اي الصفات الشيطانية قد استكثرتم من الانس اي غلبتم على
الصفات الانسانية وقال اولياؤهم من الانس يعني النفس الامارة ربنا استمتع بعضنا ببعض واستمتاع النفس الامارة بالشيطان هو ان يستعين
به في مكره على تحصيل شهواتها ولذاتها العاجلة وحظوظها واستمتاع الشيطان بالانس هو ان يستعين به على اضلال الخلق واغوائهم كما استعان
بحواء على اغواء ادم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني ان مدة الاستمتاع واجرى بيننا انما كان بمقتضى قضائك وقدرك فاجابهم بان التوبيخ النار مثويكم
الا ما شاء الله الا ان يشاء الله فيتوب عليهم ان ربك حكيم في تقدير الاستمتاع عليم باهل الجنة وباهل النار وكذلك كما جعلنا امر الجن والانس بعضهم اولياء بعض كذلك
نجعل بعض الظالمين اولياء بعض بما كانوا يكسبون من افساد الاستعداد الفطري الم يأتكم رسل منكم يعني الالهامات الربانية وشهدوا على انفسهم اي اعترفوا عند
الحرمان عن السعادة العظمى انهم بدلوا انهم كانوا اصداء مرآت قلوبهم وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وما التوفيق الا من الله

ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك

این از آنکه نیست که نبوده است پروردگار تو هلاک کننده دهها بستم که اهل آن بیخبر باشند و مر هر یک را درجاتست از آنکه کردند و نباشد پروردگار تو بیخبر از آنچه میکنند و پروردگار تو

بتولي بعضا هم

على المطلوب به

الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين انما توعدون لآت

بالذات صاحب مهربانی است اگر بخواهد ببرد شما را و جانشین سازد پس از شما آنچه را که خواهد چنانکه آفرید شما را از فرزندان گروهی دیگران هر آینه آنچه وعده کرده میشوید آمدنی است

وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه

و نیستید شما عاجز کنندگان بگو ای قوم من کار کنید بر حالت خویش هر آینه من کار کننده ام پس بزودی خواهید دانست کسیکه مر او را باشد عاقبت سرای به تحقیق

لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان

رستگار نشوند ستمکاران و قرار دادند برای خدا از آنچه پیدا کرده است از کشت و چهارپایان بهره پس گفتند این مر خدا راست بگمان ایشان و این مر انبازان ما راست پس آنچه باشد

لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من

مر شرکای ایشان را پس نمیرسد بسوی خدا و آنچه باشد برای خدا پس آن میرسد بشرکای ایشان بد است آنچه حکم میکنند و همچنین جلوه داد از برای بسیاری از

المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون

مشرکان کشتن فرزندان ایشان را انبازان ایشان تا هلاک کنند ایشان را و تا بپوشانند بر ایشان دین ایشان را و اگر میخواست خدا نمیکردند آنرا پس بگذار ایشان را و آنچه دروغ میبندند

وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون

و گفتند که این حیوانات و کشت ممنوع است نخورد آنها را مگر کسیکه میخواهیم بگمان ایشان و چهارپایانی اند که حرام است پشتهای ایشان و حیوانات که یاد نکنند

اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة

نام خدا را بران از روی دروغ بر او زود است که پاداش دهد ایشان را بانچه بودند دروغ میگفتند و گفتند که آنچه در شکمهای این حیوانات است مخصوص است

لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر

از برای مردان ما و حرام است بر زنهای ما و اگر باشد مرده پس ایشان در ان انباز اند زود است که پاداش دهد ایشان را وصف ایشان هر آینه او با حکمت داناست به تحقیق زیان کردند

الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين

آنانکه کشتند فرزندان خود را از بیخردی بی دانش و حرام کردند آنچه روزی داد ایشان را خدا از روی دروغ بر خدا به تحقیق گمراه شدند و نباشند راه یافتگان

نصف
ع

القراءات: عما تعملون بتاء الخطاب ابن عامر. مكاناتكم بالجمع حيث كان ابو بكر وحماد. الباقون مكانتكم على التوحيد. من يكون بالياء التحتانية حمزة وعلي وخلف. الباقون بتاء التأنيث. بزعمهم بضم الزاء علي وكذلك ما بعده. الباقون بالفتح. زين على البناء للمفعول قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر ابن عامر. الآخرون زين على البناء للفاعل قتل بالنصب اولادهم بالجر شركاؤهم بالرفع. وان تكن بتاء التأنيث ابن عامر ويزيد وابو بكر وحماد. ميتة بالرفع ابن كثير وابن عامر ويزيد. وقرأ يزيد ميتة بالتشديد. ابن كثير وابن عامر. الباقون بالتخفيف. الوقوف: غافلون○ مما عملوا○ يعملون○ ذو الرحمة○ آخرين○ لآت○ لا لأن الواو بعده للحال. بمعجزين○ عامل○ ج لابتداء التهديد مع فاء التعقيب. تعلمون○ لا لأن ما بعده مفعول سواء كان من استفهامية او موصولة. عاقبة الدار○ ط الظالمون○ لشركائنا○ ج للشرط مع الفاء. الى الله○ للفصل بين الحكمين المتضادين معنى مع الاتفاق لفظا. شركائهم○ ط يحكمون○ دينهم○ ط يفترون○ افتراء عليه○ ط يفترون○ ازواجنا○ ج للشرط مع العطف. شركاء○ ط وصفهم○ ط عليم○ على الله○ ط مهتدين○.

التفسير: ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك. ويحتمل ان يكون مبتدأ خبره ان لم يكن وهو للتعليل والمعنى الامر ما قصصنا عليك وذلك لاجل لانتفاء كون ربك مهلك القرى. وان هي الناصبة للافعال او مخففة من الثقيلة وعلى هذا يكون ضمير الشان والحديث كذا. ويجوز ان يكون ان لم يكن بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع. ومعنى قوله بظلم اي بسبب ظلم اقدموا عليه. وهذا اليق باصول الاشاعرة. او المراد ظالما لكم فيكون من فعل الله وهذا انسب باصول المعتزلة ومعناه انه تعالى لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لم ينبههم رسول ولا كتاب كان ظالما. وعلى هذا التفسير يمكن للاشاعرة ان يقولوا انه لو فعل ذلك لم يكن صورة الظلم فاطلق الظلم على نفسه مجازا والا فهو تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض عليه لاحد في شيء من افعاله. واما قوله واهلها غافلون فليس المراد ان هذه الغفلة ان يتغافل المرء عما يوعظ وانما معناه انه لا يبين لهم كيفية الحال وان لا يزيل عذرهم وعللهم. قالت الاشاعرة في الآية دلالة على انه لا يحصل الوجوب قبل الشرع وان الفعل المحض لا يدل على الوجوب البتة لانها تدل على انه تعالى لا يعذب احدا على امر من الامور قبل بعثة الرسل لكن بعدها. فالمعتزلة قالوا انها تدل من وجه آخر على تقرير الوجوب قبل الشرع لان قوله بظلم ان كان عائدا الى العبد دل على انه يمكن ان يصدر منه الظلم والقبيح قبل البعثة وان كان عائدا الى الله تعالى فقد تم الاعتراف بتحسين العقل وتقبيحه. ثم لما شرح احوال اهل الثواب والعقاب ذكر كلاما كليا فقال ولكل درجات اي لكل عامل في عمله درجات وعلى حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر. ومعنى مما عملوا اي من جزاء اعمالهم. وقيل ان اول الآية مختصة باهل الطاعات لان لفظ الدرجة يليق بهم ولاهل المعصية يكون الدركات واليه الاشارة بقوله وما ربك بغافل عما يعملون. قالت الاشاعرة في الآية دليل على مسئلة الجبر والقدر فانه تعالى حكم لكل واحد بدرجة معينة في وقت معين وبحسب فعل معين واثبت تلك الدرجة في اللوح المحفوظ واشهد عليها الملائكة وخلاف علمه واثباته واشهاده محال. ثم بين انه ليس يحتاج طاعة المطيعين ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين فقال وربك الغني ذو الرحمة اما انه غني في ذاته وصفاته وفي افعاله وفي احكامه عن كل ما سواه ممكن لذاته



مفتقرة في الوجود وفي الامور التابعة للوجود اليه فلا غنى الا هو واما انه ذو الرحمة فلان كل ما دخل في الوجود من الخيرات والراحات والكرامات والسعادات من الروحانيات ومن الجسمانيات فهو من الحق وبايجاده وتخليقه والاستقراء دل على ان الخير غالب كالصحة والشبع والسمع والبصر وما ذلك الا رحمة الكاملة ورافة الشاملة والذي يتصور من رحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاد داعية ذلك فيهم ومع ذلك فيتمكن الشخص من الانتفاع بها الا منه فقال ومن هذا انه منزه تعالى عن الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف الخلائق ليعرضهم للمنافع الباقيات الدائمات ثم لما وصف نفسه بانه ذو الرحمة كان لظان ان يظن ان للرحمة معدنا مخصوصا موضعا معينا فبين تعالى بقوله ان يشأ يذهبكم انه قادر على وضع الرحمة في هذا الخلق قادر على ان يخلق قوما اخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن العالمين اكمل واتم ومعنى الاذهاب الاهلاك وان لا يبلغهم مبلغ التكليف ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وقوله ما يشاء اي خلق ثالث ورابع ثم اختلفوا فقال بعضهم خلقا اخرين من امثال الجن والانس لكن اطوع وقال ابو مسلم يعني خلقا ثالثا مخالفا للثقلين ليكون اقوى في دلالة القدرة ثم بين سبب قدرته على ذلك فقال كما انشاكم من ذرية قوم اخرين لان من قدر تصوير النطفة المتشابهة الاجزاء بهذه الصور المختصة قدر على تصويرها بصور اخرى مخالفة لها وقال في الكشاف المعنى كما انشاكم من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح ع ثم ذكر حال المعاد فقال ان ما توعدون لآت قال الحسن اي من مجيء الساعة لانهم كانوا ينكرون القيمة ويحتمل ان يقال انما توعدون لانه اشارة الى الطرفين اي ما يتعلق بالوعد والثواب فهو ات لا محالة وقوله وما انتم بمعجزين اي خارجين عن قدرتنا وحكمنا اشارة الى قهره وقوة اعجزه الشيء فاته فانه جزم في جانب الوعد وما جزم في جانب الوعيد دليل على ان جانب الرحمة والاحسان اغلب ثم امر نبيه صلى الله عليه واله بتهديد منكري البعث فقال قل يا قوم اعملوا على مكانتكم قال الواحدي قراءة الافراد اوجه لان المصدر لا يجمع في اغلب الاحوال وقال في الكشاف المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فمعنى الاية اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والغرض تفويض الامر اليه على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون اينا تكون له عاقبة المحمودة والفاء لتعقيب الجزاء الايعادي قل اعملوا فستجزون وهكذا في صورة الزمر بخلاف سورة هود حيث لم يقل هناك قل وصار استينافا ومحل من نصب ان كان بمعنى الذي او رفع والجملة مفعول تعلمون ان كان لمعنى اي وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهي مصدر كالعافية وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف وادب وثوق بان المنذر محق ولهذا قيل له فان الكافر تكون العاقبة عليه لا له ثم حكى انواعا من جهالاتهم وركاكات اقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفيرا للعقلاء عن الالتفات الى اقوال امثالهم فقال وجعلوا لله قال الزجاج وجه الكلام وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا بدليل قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وجعل الاوثان شركاءهم لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونها عليها ثم قال فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم وفي تفسيره وجوه قال ابن عباس كان المشركون يجعلون لله تعالى من حروثهم وانعامهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم انفقوه عليه وما كان لله اطعموه الضيفان والمساكين ولا ياكلون منه البتة ثم ان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط شيء مما جعلوا للاوثان في نصيب الله تعالى اخذوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير وانما ذلك لحبهم الهتهم وايثارهم لها وعن الحسن والسدي كان اذا هلك لاوثانهم شيء اخذوا بدله مما لله ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله تعالى وقال مجاهد انه اذا انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله عز وجل سدوه وان كان على ضد ذلك تركوه قال قتادة اذا اصابتهم شدة استعانوا بالله واذا اصابتهم حسنة نسبوها الى شركائهم قال مقاتل ان زكا ونما نصيب الالهة ولم يزك نصيب الله تركوا نصيب الالهة وقالوا لو شاء زكى نصيب نفسه واما ان كان نصيب الله ولم يزك نصيب الالهة فانهم قالوا لا بد لالهتنا من نفقة واخذوا نصيب الاله تعالى فاعطوه السدنة فمعنى فلا يصل الى الله انه لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق الى المساكين ومعنى الوصول الى شركائهم انهم ينفقونه عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك وقوله مما ذرأ فيه ان الله تعالى كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه اي خلقه ثم انه سبحانه ذم فعلهم فقال ساء ما يحكمون وذكر العلماء فيه وجوها الاول انهم رجحوا جانب الاصنام في الرعاية والحفظ على جانبه وهو سفه الثاني جعلوا بعض الحرث لله وبعضه لغيره مع انه تعالى هو الخالق للجميع الثالث ان ذلك حكم احدثوه من قبل انفسهم ولم يشهد بصحته عقل ولا شرع واليه بقوله اشار بزعمهم الرابع لو حسن افراز نصيب الاصنام لحسن افراز نصيب لكل حجر الخامس لا تاثير للاصنام في حصول الحرث والانعام ولا قدرة لها على الانتفاع بذلك النصيب فافراز النصيب لها عبث النوع الثاني من احكامهم الفاسدة قوله وكذلك زين كان اهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر ومن التزويج وكان الرجل يحلف بالله ان ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما فعل عبد المطلب على ابنه عبد الله والشركاء على الوجه الاول الشياطين الذين اطاعوهم في معصية الله تعالى وعلى الثاني هم السدنة والخدام والاول قول مجاهد والثاني الكلبي تقدير الكلام ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله والالهة او مثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين زين لهم شركاؤهم من الشياطين او من سدنة الاصنام قتل اولادهم بالوأد



او بالنثر ثم ان وجه الفصل بغير الظرف ظاهر وليس فيها الا تقديم المفعول على الفاعل لشدة الاهتمام به وقراءة ابن عامر خطأها الزمخشري من جهة الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فان ذلك انما يجوز بالظرف كقوله لله در اليوم من لامها وضعف بغير الظرف كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده وجوازه على ضرورة الشعر مع الاستكراه والحق عند محققي هذا المقام ان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والقراآت السبع كلها متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد في القرآن المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بحسنه وفصاحته وان لا يلتفت الى انه هل ورد له نظير في اشعار العرب وتراكيبهم ام لا وان ورد فكثير ام لا ومع ذلك فقد وجهه بعض الفضلاء بان المضاف اليه من الاول محذوف على نحو قوله بين ذراعي وجبهة الاسد والمضاف مضمر مع الثاني كقراءة من قرأ والله يريد الآخرة بالجر على تقدير عرض الآخرة فتقدير الآية قتل شركائهم اولادهم قتل شركائهم ومعنى ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء قال ابن عباس ليردوهم في النار واللام محمول على العاقبة ان كان التزيين من السدنة وعلى حقيقة التعليل ان كان من الشيطان وليلبسوا عليهم دينهم ليخلطوه عليهم دينهم ليشتبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا الذي اتاهم بهذه الاوضاع الفاسدة اراد ان يزيلهم عن ذلك الدين الحق وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل وليوقعوهم في دين ملتبس ولو شاء الله ما فعلوه كما فعل المشركون ما زين لهم او لما فعل الشياطين او السدنة والتزيين او الارداء او اللبس او جميع ما ذكر ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة والمعتزلة حملوا هذه المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر ثم قال فذرهم وما يفترون على قانون قوله اعملوا ما شئتم وفيه مع التهديد التسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر والشرك قيل انما قال في هذه الآية ولو شاء الله ما فعلوه ليكون مناسبا لقوله وجعلوا لله وقال فيما قبل ولو شاء ربك ما فعلوه لانه وقع عقيب آيات فيها ذكر الرب كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الآيات النوع الثالث من احكامهم الباطلة انهم قسموا انعامهم اقساما فاولها ان قالوا هذه انعام وحرث حجر وحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات واصل الحجر المنع وسمي العقل حجرا لمنعه عن القبائح وفلان في حجر القاضي اي في منعه كانوا اذا عينوا شيئا من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء وثانيها ان قالوا هذه انعام حرمت ظهورها وهي البحائر والسوائب والحوامي وقد سبق في المائدة وثالثها انعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل هي انعام لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها وانما فعلوا ذلك كله من عند انفسهم لا من الله افتراء عليه وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى افتراء ثم قال سيجزيهم بما كانوا يفترون والمقصود منه الوعيد والنوع الرابع من قضاياهم الفاسدة ان قالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ان ولد حيا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء اي اشترك فيه الذكور والاناث من قرأ بنصب ميتة فتقديره وان لم يكن ما في بطونها ميتة ومن قرأ بالرفع جعل ان كان تامة او لا النفد بروان لم يكن لهم او هناك ميتة وانما جاز تذكير الفعل وتانيثه لان تانيث الميتة غير حقيقي ولان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل ميت ولهذا جاز عود الضمير اليه مذكرا في قوله فهم فيه شركاء وتذكير الضمير في قوله فهم للتغليب سيجزيهم وصفهم اي على الله الكذب في التحليل والتحريم انه حكيم عليم ليكون الجزاء واقعا على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق فان قيل كيف انث خالصة وذكر محرم قلنا الاول حملا على المعنى لان ما في بطون الانعام في معنى الاجنة والثاني حمل على اللفظ هذا لاول وجها واخر ان يكون التاء للمبالغة مثل رواية الشعر وان يكون مصدرا كالعاقبة والعافية اي ذو خالصة ثم انه سبحانه جمع قبائح احكامهم رادفا لهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم وبالضلال وعدم الاهتداء فقال قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم لانه لا يخفى ان الولد نعمة عظيمة من الله تعالى كره ونسل فالسعي في ابطال مثل هذه النعمة لضرر موهوم هو الفقر ونحوه او لفائدة موهومة هي القربة الى الاصنام دليل خفة العقل وعدم العلم وانه موجب لخسران الدارين وكذا تحريم ما احل الله من الطيبات بالهوى والتقليد بل لمحض الافتراء على الله وان ذلك من اعظم الذنوب اكبر الكبائر ولهذا سجل عليهم انواع الضلال ثم بعدم الاهتداء لتحصيل كلا الامرين لهم بالمطابقة كما حصل بالتضمن والله اعلم التأويل مهلك القرى اي قرى اشخاص الانسان بظلم وهو صرف الاستعداد الفطري في استيفاء اللذات الفانية واهلها غافلون لم يبلغوا مبلغ التكليف بعد وربك الغني عن كل مخلوق وعامة ذو الرحمة خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم اعملوا على مكانتكم اي على ما جبلتم عليه اني عامل على ما جبلت عليه قتل اولادهم شركاؤهم من الشياطين والنفس والهوى والدنيا سيجزيهم بما كانوا يفترون ذهبوا مذهب الطبع لا مذهب الشرع والعمل بالطبع وان كان فيه نوع مجاهدة النفس لا يكون له نور انما النور لامتثال الشرع قد خسر الذين قتلوا اولادهم ذلك نتيجة انتزاع الرحمة عن قلوبهم وحرموا ما رزقهم الله صورة وهو ظاهر ومعنى وهو استعداد حصول مراتب اهل القرب وما كانوا مهتدين لان خشية الفقر حملتهم على قتل الاولاد وقال اهل التحقيق من امارات اليقين قتل الاولاد مع كثرة العيال على بساط التوكل

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا

و اوست آنکه پدید کرد بستانهای بسته و نه بسته و درخت خرما و کشت را که گوناگون است میوه‌اش و زیتون را و انار را که مانند اند بهم

وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً

و غیر مانند بخورید از میوه آن چون میوه آرد و بدهید حق او را در روز درودنش و زیاده روی مکنید که خدا دوست ندارد زیاده روان را و از جمله چهارپایان شتران بارکش



وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ

و خردان را بخورید از آنچه روزی کرد شما را خدا و پیروی مکنید گامهای شیطان را که او دشمن است آشکارا هشت قسم از میش دو



وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

وازبز دو بگو آیا دو نر را حرام کرده است یا دو ماده را یا آنچه جمع آمد براو رحمهای دو ماده خبر دهید مرا اگر هستید راستگویان

وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ

واز شتر دو واز گاو دو بگو آیا دو نر را حرام کرده است یا دو ماده را یا آنچه فرا گرفته براو رحمهای دو ماده یا بودید

شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

گواهان چون فرمود شما را خدا باین پس کیست ستمکارتر از آنکه افترا بست برخدا دروغ تا گمراه کند مردم را بدون دانش بدرستی که خدا راه نمی نماید گروه ستمکاران را

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ ع

بگو نمی یابم در آنچه وحی کرده شده بمن حرام بر خورنده که میخورد آنرا مگر آنکه باشد مرده یا خون ریخته یا گوشت خوک پس بدرستیکه آن پلید است یا فسقی که آواز

لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا

برای غیر خدا بان پس هر که لاچار شود نه جوینده و نه از حد گذرنده بدرستی که پروردگار تو آمرزنده مهربانست و بر آنها که یهود شدند حرام کردیم هر صاحب ناخن را و از گاو و گوسفند حرام کردیم

كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَا

بر ایشان پیهای آنها را مگر آنچه برداشته پشتهای آنها یا روده ها یا آنچه ممزوج شده باستخوان این جزا دادیم

هُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ سَيَقُولُ

ایشانرا بظلم ایشان و بدرستیکه ما راستگویانیم پس اگر تکذیب کردند ترا پس بگو پروردگار شما صاحب رحمت فراخست و برگردانده نمیشود عذابش از گروه گناهکاران زود است که گویند

الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا

آنان که شرک آوردند اگر خواسته بود خدا شرک نیاورده بودیم ما و نه پدران ما و حرام نکرده بودیم از چیزی همچنین تکذیب کردند آنان که از پیش ایشان بودند تا چشیدند

بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ

عذاب ما را بگو آیا هست نزد شما از دانشی پس بیرون آرید آنرا برای ما پیروی نمیکنید مگر گمان را و نیستید شما مگر دروغ میگوئید بگو پس مر خدا راست حجت رسنده پس اگر خواسته بود

لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ

خدا هر آینه راه نموده بود شما را همه بگو بیارید گواهان خود را آنان که گواهی دهند بدرستی که خدا حرام کرد اینرا پس اگر گواهی دادند پس گواهی مده با ایشان

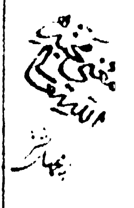
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ القراء

و پیروی مکن خواهشهای آنها که تکذیب کردند بآیات ما و آنان که نمی گروند بروز واپسین و ایشان به پروردگار شان برابر میکنند

حصادہ بفتح الحاء ابو عمرو وعاصم وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالكسر وكلاهما مصدر من الضأن بغير همزة ابو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش ويزيد وحمزة في الوقف ومن المعز ساكن العين عاصم وحمزة وعلي وخلف نافع وابو جعفر وابن فليح وزمعة والخزاعي عن البزي والقواس عن ابن مجاهد وابي عون عن قنبل عنه الباقون بفتحها الا ان تكون بتاء التانيث ابن كثير وابن عامر ويزيد وحمزة وعباس من طريق ابن رومي عنه ميتة بالتخفيف والرفع ابن عامر وزاد يزيد التشديد الباقون بالياء وبالنصب الحوايا بالامالة علي وحمزة وخلف فقل ربكم وبابه مظهر الحلواني عن قالون والبرجمي الوقوف متشابه ط ولا تسرفوا المسرفين لا لان قوله حمولة منصوب بانشا وفرشا الشيطان ط مبين لا لان ثمانية منصوب بانشا حينئذ او واجب لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى المعز اثنين ط ارحام الانثيين ط لانتهاء الاستفهام صادقين لا لان اثنين منصوب انشا ايضا ومن البقر اثنين ط ارحام الانثيين ط لان ام في قوله ام كنتم بمعنى الف استفهام توبيخ بهذا ج لا استفهام مع الفاء ولانقطاع النظم مع اتحاد المعنى علم الظالمين لغير الله به ج رحيم ج ظفر ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى بعظم ط ببغيهم ز للابتداء بان واثبات وصف لصدق مطلق والوصل وجه لان المعنى وانا لصادقون فما اخبرنا عن التحريم ببغيهم واسعة ج لاختلاف الجملتين المجرمين من شيء ط باسنا ط لنا ط تخرصون البالغة ج للشرط مع الفاء اجمعين ج حرم هذا ج لذلك معهم ج لتناهي جزاء الشرط مع العطف يعدلون التفسير انه سبحانه جعل مدار هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وانه بالغ في تقرير هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح احوال السعداء والاشقياء ثم انتقل منه الى تهجين طريقة منكري البعث والقيامة ثم اتبعه حكاية اقوالهم الركيكة تنبيها على ضعف عقولهم فلما تمم هذه المقاصد عاد الى ما هو المقصود الاصلي وهو اقامة الدلائل على اثبات ذاته ووجوب توحيده فقال وهو الذي انشا الاية نشا الشيء ينشا نشا اذا ظهر وارتفع وانشاه الله ينشئه انشاء اظهره ورفعه جنات معروشات وغير معروشات يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا يعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعض الاعناب يعرش وبعضها يبقى على وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ وقيل المعروشات ما يحتاج الى ان يتخذ له عريش يحمل عليها فتمسكه وهو الكرم وما يجري مجراه وغير معروشات هو القائم من الشجر المستغني باستوائه وقوته عن التعريش وقيل المعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش والنخل والزرع فسر ابن عباس الزرع بجميع الحبوب التي يقتات مختلفا اكله والاكل كل ما يؤكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى باعادة الذكر على احدهما كقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها اي اليهما والمراد ان لكل شيء منهما



طعما غير طعم الآخر ومختلفا حال مقدرة اي انشأه مقدرا اختلافه اكله لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك متشابها وغير متشابه في القدر واللون
والطعم ثم قال كلوا من ثمره وقد قال في الآية المتقدمة في نظير هذه الآية وذلك قوله وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الى قوله
انظروا الى ثمره تنبيها على ان الامر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم متقدم على الاذن في الانتفاع بها لان الحاصل من الاولى سعادة روحانية
ابدية والحاصل من الانتفاع سعادة جسمانية زائلة وفائدة هذا الامر الاباحة لاخذ الاكل على اخراج الحق كيلا يظن انه يحرم على المالك تناوله لمكان
شركة المشاركين فيه وفي الآية اشارة الى ان خلق هذه النعم اما للاكل واما للتصدق والاول لكونه حق النفس مقدم على الثاني لانه حق الغير
وفيه ان الاصل في المنافع الاباحة والاطلاق لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل ويمكن ان يستدل به على ان الاصل عدم وجوب الصوم وان
من ادعى ايجابه فهو المحتاج الى الدليل وان المجنون اذا افاق في اثناء النهار لا يلزمه قضاء ما مضى وان الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام
قال علماء الاصول من المعلوم من لغة العرب ان صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل فحملها على الاباحة او الوجوب لا يصار اليه الا بدليل منفصل فوائده
اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه فهي ان يعلم ان اول وقت الاباحة وقت طلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع اما قوله وآتوا حقه
يوم حصاده فعن ابن عباس في رواية عطاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وطاوس والضحاك ان الآية مدنية والحق هو الزكوة المفروضة وعلى هذا
فكيف يؤدي الزكوة يوم الحصاد والحب في السنبل والجواب ان المراد فاعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واهتموا به حتى لا تؤخروه عن اول وقت
يمكن فيه الايتاء وقال مجاهد الآية مكية وان هذا حق في المال سوى الزكوة وكان يقول اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه واذا دسته
واذا عرفت كيله فاعزل زكوته وزيف بقوله صلى الله عليه وآله ليس في المال حق سوى الزكوة وبان قوله وآتوا حقه انما يحسن ذكره لو كان ذلك الحق معلوما
قبل ورود هذه الآية والا لزم الاجمال وعن سعيد بن جبير ان هذا كان قبل وجوب الزكوة فلما فرض العشر ونصف العشر فيما سقي بالسواني نسخ
والقول الاول اصح ثم ان ابا حنيفة احتج بالآية على وجوب الزكوة في الثمار لانه قال وآتوا حقه بعد ذكر الانواع الخمسة وهو العنب والنخل والزرع والزيتون
والرمان واعترض عليه بان لفظ الحصاد مخصوص بالزرع واجيب بان الحصد في اللغة عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج هو ايضا بها على ان العشر
واجب في القليل والكثير للاطلاق والجواب بيانه في الحديث ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة ثم قال تعالى ولا تسرفوا ولاهل اللغة فيه تفسيران فعن
ابن الاعرابي السرف تجاوز ما حد لك فعلى هذا ان اعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف كما جاء في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول
وروي ان ثابت بن قيس بن شماس عمد الى خمسمائة نخلة فجذها فقسمها في يوم واحد ولم يدخل منها الى منزله شيئا فنزلت الآية ولا تسرفوا اي لا تعطوا كله واذا منع الصدقة
فقد اسرف وبه فسر الآية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد يكون الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال عمر سرف المال ما ذهب منه في غير
منفعة وعلى هذا فقد قال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الانعام والحرث وقال الزهري ولا تنفقوا في معصية الله تعالى وعن مجاهد لو كان ابو
قبيس ذهبا فانفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو انفق درهما في معصية الله كان مسرفا وهذا المعنى اراد حاتم الطائي حين قيل له لا خير في
السرف فقال لا سرف في الخير ثم ختم الآية بقوله انه لا يحب المسرفين لان المقصود منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله فانه من اهل النار لان محبة الله
تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه قوله حمولة وفرشا معطوف على جنات اي انشأ من الانعام هذين الجنسين فالحمولة ما يحمل الاثقال فعولة
بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش مصدر بمعنى مفعول وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان
والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله قالت المعتزلة اي مما احلها لكم ولا تتبعوا
خطوات الشيطان لا تسلكوا طريقه الذي يدعوكم اليه في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين بين العداوة



وفي انتصاب ثمانية ازواج وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا وجوز غيره ان يكون مفعول كلوا والعرب تسمي الواحد فردا اذا كان
وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان قال عز من قائل خلق الزوجين الذكر والانثى وقال ثمانية ازواج ثم
فسرها بقوله من الضأن اثنين اي زوجين اثنين ومن المعز اثنين وفي الآية الثانية ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهري الضأن خلاف
الماعز والمعز والجمع يعني اسم الجمع الضأن والمعز مثل راكب وركب وسافر وسفر والضأن ايضا مثل حارس وحرس وقال في الكشاف انه قرئ
بفتح العين والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها قل آلذكرين حرم ام الانثيين نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده



ولا يعمل فيه ما قبله والمراد بالذكرين الذكر من الضأن وهو الكبش والذكر من المعز وهو التيس والانثيين الانثى من الضأن وهي النعجة والانثى
من المعز وهي العنز وذلك على طريق الجنسية والمشاكلة ومعنى الاستفهام انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها
واناثها ولا مما يشتمل عليه ارحام الانثيين اي مما يحمل اناث الجنسين وكذلك الذكر من جنسي الابل والبقر يعني الجمل والثور والانثيان منهما الناقة
والبقرة وما يحمل اناثها وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيفما كانت ذكورا او اناثا او من خلط تارة وكانوا
يقولون قد حرمها الله فقيل لهم انكم لا تقرون بنبوة نبي ولا بشريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم واكد ذلك بقوله نبئوني
بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه واعلم انه سبحانه من على عباده بانشاء الازواج الثمانية
من الانعام لمنافعهم واباحتها لهم الا انه فصل بين بعض المعدود وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك باجنبي وانما هي جملة معترضة



بها تاكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد اما قوله ام كنتم شهداء فام منقطعة اى بل اكنتم شهداء ومعناه الانكار
وتحواه اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل وتقولون ان الله حرم هذا فلم يبق الا المشاهدة فهكم بهم بذلك وسجل عليه وعلى
امثالهم بالظلم بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم قال المفسرون يريد عمرو بن لحي بن قمعة الذي غير شريعة اسمعيل ع
وبحر البحائر وسيب السوائب الاقرب ان اللفظ عام فيتناول كل مفتر واذا استحق هذا الوعيد على افتراء الكذب في تحريم مباح فكيف اذا كذب على الله
تعالى في مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملائكة وفي النبوات وفي المعاد قال القاضي في الاية دلالة على ان الاضلال عن الدين مذموم
فلا يجوز ان ينسب الى الله تعالى واجيب بانه ليس كل ما كان مذموما من العبد مذموما من الله تعالى فان تمكين العبيد من اسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم مذموم منا
دونه ان الله لا يهدي القوم الظالمين قال القاضي لا يهديهم الى ثوابه والى زيادات الهدى التي يختص المهتدي بها وقالت الاشاعرة معناه انه
لا ينقل المشركين من ظلمات الكفر الى نور الايمان ثم لما بين فساد طريقة الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم اتبعه البيان الصحيح في الباب فقال قل لا
اجد فيما اوحي الى محرما اى طعاما محرما على طاعم يطعمه على اكل يأكله الا ان يكون ذلك المأكول او الموجود او الطعام ميتة او دما مسفوحا مصبوبا
سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الانعام وهي احياء وما خرج من الاوداج عند الذبح فلا يدخل فيه الكبد والطحال لجمودهما ولا ما يختلط باللحم من الدم
فانه غير سائل وسئل ابو مجلز عما يتلطخ باللحم من الدم وعن القدر التي يرى فيها حمرة الدم فقال لا باس به انما نهي عن الدم المسفوح وباقي الاية
ظاهر مما سلف في امثالها وانتصاب فسقا على انه معطوف على المنصوب قبله واهل صفة له منصوب المحل سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب
الفسق كما يقال فلان كرم وجود وجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وعلى هذا فقد عطف اهل على يكون والضمير في به يعود الى ما يرجع اليه
المستكن في يكون قالت العلماء ان هذه السورة مكية وقد بين في الاية انه لم يجد فيما اوحي اليه قرآنا او غيره محرما سوى هذه الاربعة وقد اكد هذا
بما في النحل وفي البقرة مصدرة بكلمة انما الدالة على الحصر فصارت المدنية مطابقة للمكية والذي جاء في المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله
وما اكل السبع الا ما ذكيتم من اقسام الميتة ولكنه خص بالذكر لانهم كانوا يحكمون على تلك الاشياء بالتحليل فثبت ان الشريعة من اولها الى اخرها
كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقي الكلام في الخمر وفي سائر النجاسات والمستقذرات فنقول انه سبحانه قد وصف الخمر بانه رجس
وههنا علل تحريم لحم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا ان النجاسة علة لتحريم الاكل وكل نجس فانه يحرم اكله هذا بعد اجماع الامة على تحريم الخبائث والنجاسات
وان جوزنا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد كما روي انه صلى الله عليه وآله نهى عن كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور فلا اشكال
وقيل المراد ان وقت نزول هذه الاية لم يكن محرم غير هذه الاربعة وزيف بان تحريم شيء خامس نسخ والاصل عدمه ثم بين سبحانه انه حرم على اليهود
اشياء اخر سوى هذه الاربعة فقال وعلى الذين هادوا حرمنا وذلك نوعان الاول انه حرم عليهم كل ذي ظفر وفيه لغات ضم الفاء والعين وهي
الفصحى وكسرهما وهي قراءة ابن السماك والضم مع السكون والكسر مع السكون وهي قراءة الحسن اختلف في الظفر فعن ابن عباس في رواية عطاء انه
الابل فقط وعنه في رواية اخرى وهو قول مجاهد انه الابل والنعام وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفرا على
الاستعارة وزيف بان الحافر لا يكاد يسمى ظفرا وبان البقر والغنم مباحان لهم كما يجيء مع ان لهما حافرا فاذن يجب حمل الظفر على المخلب والبراثن
من الجوارح والسباع بل على كل ما له اصبع من دابة وطائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عمم التحريم فعموم التحريم خاص بهم ولهذا افاد
الجار في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فيستدل بذلك على حل بعض هذه الحيوانات على المسلمين وهو ما سوى ذات المخلب والناب فيكون الخبر
مبينا للاية لا مخالفا كما ظن صاحب التفسير الكبير النوع الثاني قوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال في الكشاف هو كقولك من زيد اخذت
ماله تريد بالاضافة يعني اضافة الاخذ الى زيد بواسطة من زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم من كل ذي ظفر كله ومن البقر والغنم بعضهما وهو
ذلك شحومهما فقط وهذا ايضا ليس على الاطلاق لقوله الا ما حملت ظهورهما قال ابن عباس الا ما علق من الشحم فاني لم احرمه وقال قتادة الا ما علق
بالظهر والجنب من داخل بطونهما وقيل الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة وهي الشحمة التي على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين الى
الوركين وهي بالحقيقة لحم سمين لانه يحرم عند الهزال ولهذا لو حلف لا ياكل الشحم فاكل من ذلك اللحم السمين لم يحنث على الاصح والاستثناء الثاني
قوله او الحوايا قال الجوهري الحوايا الامعاء واحدها حاوية وفي معناها حاوياء البطن وحاوية البطن قال الواحدي هي المباعر والمصارين ونحوها
او ما اشتمل على الامعاء يعني ان الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين غير محرمة والاستثناء الثالث او ما اختلط بعظم قال جمهور المفسرين يعني شحم
الالية وقال ابن جريج كل شحم في القوائم والجنب والراس وفي العينين والاذنين فانه مخلوط بعظم فهو حلال لهم والحاصل ان الشحم الذي حرم الله
عليهم هو الثرب وشحم الكلية وقيل ان الحوايا غير معطوف على المستثنى وانما هو معطوف على المستثنى منه والتقدير حرمنا عليهم شحومهما او الحوايا
او ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم ودخول كلمة او كدخولها في قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا والمعنى كل هؤلاء اهل
ان يعصى واعص هذا فكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا وهذا ذلك الجزاء وهو تحريم الطيبات جزيناهم ببغيهم بسبب قتلهم الانبياء و
اخذهم الربوا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وغير ذلك من قبائح افعالهم وانا لصادقون في هذه الاخبار او فيما نوعد به العصاة
قال القاضي نفس التحريم لا يجوز ان يكون عقوبة على جرم صدر عنهم لان التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب احسان واجيب بان المنع



من الانتفاع يمكن ان يكون لمزيد الثواب يمكن ان يكون بشوم الجرم المتقدم فان كذبوك في ادعاء النبوة والرسالة او في تبليغ الاحكام وعلى المعتزلة فان كذبوك في ايجاز ايعاد العصاة وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه يخلف الوعيد جودا وكرما فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك لا يعجل بالعقوبة ولا يرد باسه اذا جاء وقت عذابه عن القوم المجرمين يعني المكذبين على اصولهم رحمته واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع ذلك عن الذين ارتكبوا الكبائر فماتوا قبل التوبة ثم حكى اعذار الكفار الواهية فقال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير ان اكد بالمنفصل لمكان الفصل بعد حرف العطف بلاء الزائدة لتاكيد النفي اخبر الله تعالى بما سوف يقولونه ولما قالوه وقال في سورة النحل وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وانما قال في سورة النحل بزيادة نحن ومن دونه مرتين لان الاشراك مستنكر مطلقا فلفظ الاشراك يدل على اثبات شريك لا يجوز اثباته وعلى تحليل اشياء وتحريم اشياء من دون الله فلم يحتج الى لفظ من دونه واما العبادة فانها غير مستنكرة على الاطلاق وانما المستنكر عبادة شيء مع الله سبحانه ولا يدل على تحريم شيء فلم يكن بد من تقييده بقوله من دونه لما حذف من الاية لفظ من دونه مرتين حذف معه نحن ليطرد الاية في حكم التخفيف ما تقييد الاية فزعمت المعتزلة انها يدل على قولهم في مسئلة ارادة الكائنات من سبعة اوجه الاول ان الذي حكى عن الكفار في معرض الذم والتقبيح وذلك قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لما اشركنا هو صريح قول المجبرة فيكون هذا المذهب مذموما الثاني قوله كذلك كذب الذين من قبلهم فلم يذكر المكذب به تنبيها على انهم جاؤوا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب كله وهو تكذيب الله ورسله وكتبه ونبذ ادلة السمع والعقل وراء ظهره والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتاخرين في تكذيب الانبياء وفي دفع دعوتهم عن انفسهم لانهم يقولون الكل بمشيئة الله تعالى الثالث قوله حتى ذاقوا باسنا وذلك يدل على انهم استوجبوا الوعيد من الله تعالى في هذا المذهب الرابع قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانه استفهام على سبيل الانكار اي لا علم لهؤلاء القائلين ولا حجة الخامس ان تتبعون الا الظن السادس ان انتم الا تخرصون السابع قل فلله الحجة البالغة لانه ازال الاعذار بالتمكين والاقدار فلم يبق لكم على الله حجة وانما الحجة البالغة له عليكم وذلك انكم تقولون لو اتينا بعمل على خلاف مشيئة الله لزم ان يكون الآله عاجزا مغلوبا وهذا الكلام غير لازم لان الله قادر على ان يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء الا ان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف فهذا هو المراد من قوله فلو شاء لهداكم اجمعين وبوجه اخر ان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة الكاملة عليكم فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي ان تكونوا موافقين لمن يخالفكم ايضا بمشيئته فتوالوا جميع اهل الاديان ولا تعادوهم اجابت الاشاعرة بانا قد بينا ما للدلائل القاطعة من اول القرآن الى ههنا صحة مذهبنا فوجب تاويل هذه الاية دفعا للتناقض فنقول ان القوم كانوا يتمسكون بمشيئة الله تعالى في ابطال دعوة الانبياء وفي ان التكليف عبث فبين الله تعالى ان ذلك من تكاذيبهم واكاذيبهم وان التشبث بهذا العذر لا يفيدهم لانه اله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه شاء الكفر من الكافر ومع ذلك بعث الانبياء وامر بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فجرى بما يكون الى قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله المكذبون بالقدر مجوس هذه الامة ثم ان ظاهر الاية معناه وهو قوله فلو شاء لهداكم اجمعين وحمل المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر تعسف والله اعلم ثم لما ابطل جميع حجج الكفار بين انه ليس لهم على قولهم شهود فقال قل هلم ومعناه اذا كان لازما اقبل واذا كان متعديا احضر قال الخليل اصله ها لم ثم حذفت الفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتانيث في لغة اهل الحجاز واهل نجد يصرفونها هلما هلموا هلمي هلممن والاول افصح وقد يوصل بالى كقوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الفراء اصلها هل ام ارادوا بهل حرف الاستفهام ومعنى ام اقصد وقيل ان اصل استعماله ان قالوا هل لك في الطعام ام اي قصد ثم شاع في الكل امر الله تعالى نبيه باستدعاء اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر ان لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه وانه لم يقل شهداء يشهدون لانه ليس الغرض احضار اناس يشهدون بالتحريم وانما المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبهم ولهذا قال فان شهدوا اي فان وقعت شهادتهم فلا تشهد معهم اي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لان شهادتهم محض الهوى والتعصب لاجل ذلك قال ايضا ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب لما رتب عليه باقي الاية فعلم ان المتصف بهذه الصفات لا يكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة التاويل وهو الذي انشا جنات في القلوب معروشات من شجرة الاسلام والايمان والاحسان وغير معروشات هي الصفات الروحانية التي جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة والفتوة والشفقة والعفة والعلم والحلم والعقل والشجاعة والقناعة ونخل الايمان وزرع الاعمال الصالحة وزيتون الاخلاق الحميدة ورمان الاخلاص متشابها اعمالها وغير متشابه احوالها كلوا من ثمره انتفعوا من ثمار الايمان والاعمال والاخلاص بالشواهد والاحوال لا بالدعاوي والقيل والقال واتوا حقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة يوم حصاده وان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند ادراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذي يتردد بعد بين المنازل والمراحل ولا تسرفوا بالشروع في الكلام في غير وقته والحرص على الدعوة قبل اوانها ومن الانعام اي من الصفات الحيوانية التي هي مركوزة في الانسان ما هو مستعد لحمل الامانة وتكاليف الشرع ومنها ما هو مستعد

الحاشية: [illegible] ولهما النبي [illegible] فالكل [illegible] بالشواهد الاحوال

للكل

للاكل والشرب لصلاح القالب قيام البشرية كلوا مما رزقكم الله فرزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان ورزق الروح هو المحبة بصدق التجرد
عن الاكوان ورزق السر هو شهود العرفان بلحظ العيان فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر ما ينبغي انه لكم عدو مبين يخرجكم بالتفريط والافراط
الى ضد المقصود ثم ان الصفات الحيوانية ثمان بعضها ذكور وبعضها اناث يتولد منها صفات اخر كلها محمودة اذا استعملت محالها وبمقدار
ما ينبغي من الضان اثنين ومن المعز اثنين والضان والمعز جنس الفرشية كما ان الابل والبقر من جنس الحمولية والذكر من الضان والمعز هما
شهوة البطن والفرج والانثى منهما صفة حسن الخلق عند الاستمتاع بهما وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكر من الابل والبقر صفتا الظلومية
والجهولية وانثاها الحمولية ولا ستسلام للاستعمال فبهذه الصفات الثمانية صار الانسان حامل اعباء الامانة التي ابت المكونات عن حملها
وبهن ايضا حملة عرش القلب فهم وقد احل الله تعالى استعمالها واستعمال المتولد منها على قانون الشريعة والطريقة ومن زعم انه يجب تركها وقطعها
بالكلية فقد افترى لو شاء الله ما اشركنا الكلام في نفسه حق وصدق الا انهم لما ذكروه في معرض الانكار دفعا للاذية والالزام كذبوا فيما قالوا والله سبحانه اعلم بالصواب

ع قُلْ تَعَالَوْا اَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ اَلَّا تُشْرِكُوْا بِهٖ شَيْـًٔا وَّبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوْٓا اَوْلَادَكُمْ مِّنْ اِمْلَاقٍ ۭ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ
بگو که بیایید تا بخوانم آنچه را که حرام کرد پروردگار شما برشما که شریک قرار ندهید چیزی را و به پدر و مادر خوبی ونکشید فرزندان خود را از بیچیزی ما روزی دهیم شما را

وَاِيَّاهُمْ ۚ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِيْ حَرَّمَ اللّٰهُ اِلَّا بِالْحَقِّ ۭ ذٰلِكُمْ وَصّٰىكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ
و ایشان را و نزدیکی نشوید زناها را هرچه پیداست از آن و هرچه ناپیداست ونکشید نفس کسی را که حرام کرده خدا مگر براستی این است که فرمود شما را تا شاید که دریابید

وَلَا تَقْرَبُوْا مَالَ الْيَتِيْمِ اِلَّا بِالَّتِيْ هِيَ اَحْسَنُ حَتّٰي يَبْلُغَ اَشُدَّهٗ ۚ وَاَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيْزَانَ بِالْقِسْطِ ۚ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَاِذَا
و نزدیک مگردید مال یتیم را مگر بطوری که آن بهتر است تا برسد بقوت و تمام دهید پیمانه و ترازو را براستی تکلیف نمی‌نهیم نفسی را مگر بقدر اندازه وچون

قُلْتُمْ فَاعْدِلُوْا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبٰي ۚ وَبِعَهْدِ اللّٰهِ اَوْفُوْا ۭ ذٰلِكُمْ وَصّٰىكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ ۙ وَاَنَّ هٰذَا صِرَاطِيْ مُسْتَقِيْمًا
گفتید پس راستی کنید و هرچند که باشد خداوند خویشی و بپیمان خدا وفا کنید این است که فرمود شما را تا شاید که پند گیرید و آنکه این راه من است که راست است

فَاتَّبِعُوْهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيْلِهٖ ۭ ذٰلِكُمْ وَصّٰىكُمْ بِهٖ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ۝ ثُمَّ اٰتَيْنَا مُوْسَى الْكِتٰبَ تَمَامًا
پس متابعت کنید او را و متابعت مکنید راهها را پس پراکنده سازد شما را از راه او این است که فرمود شما را تا شاید که پرهیزید پس دادیم موسی را کتاب را

عَلَي الَّذِيْٓ اَحْسَنَ وَتَفْصِيْلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَّهُدًى وَّرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاۗءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُوْنَ ۝ وَهٰذَا كِتٰبٌ اَنْزَلْنٰهُ مُبٰرَكٌ
بر طریق کسی که نیکی کرد و بیان از برای هر چیزی و راستی و رحمتی شاید که ایشان بدیدار پروردگار شان بگروند و این کتابی است که فرستادیم او را با برکت

ع فَاتَّبِعُوْهُ وَاتَّقُوْا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ ۝ اَنْ تَقُوْلُوْٓا اِنَّمَآ اُنْزِلَ الْكِتٰبُ عَلٰي طَاۗىِٕفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ۠ وَاِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغٰفِلِيْنَ ۝
پس متابعت کنید او را و بپرهیزید تا شاید که رحمت کرده شوید تا نگوئید که جز این نیست که فرستاده شد کتاب بر دو طائفه از پیش ما و اگر چه بودیم از خواندن ایشان بیخبران

اَوْ تَقُوْلُوْا لَوْ اَنَّآ اُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتٰبُ لَكُنَّآ اَهْدٰي مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاۗءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَّرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ
یا بگوئید که اگر فرود آمده بود بر ما کتاب هر آینه بودیم راه یابنده‌تر از ایشان پس بتحقیق آمد شما را گواهی از پروردگار شما و راستی و رحمت پس کیست ستمگارتر از آنکه دروغ داشت

بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۭ سَنَجْزِي الَّذِيْنَ يَصْدِفُوْنَ عَنْ اٰيٰتِنَا سُوْۗءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوْا يَصْدِفُوْنَ ۝ هَلْ يَنْظُرُوْنَ
بآیات خدا و برگشت از آن زود است که جزا دهیم آنان را که برمیگردند از آیات ما بدتر عذاب بآنچه بودند که برمیگردیدند آیا چشم میدارند

اِلَّآ اَنْ تَاْتِيَهُمُ الْمَلٰۗىِٕكَةُ اَوْ يَاْتِيَ رَبُّكَ اَوْ يَاْتِيَ بَعْضُ اٰيٰتِ رَبِّكَ ۭ يَوْمَ يَاْتِيْ بَعْضُ اٰيٰتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا اِيْمَانُهَا
مگر آنکه بیاید ایشان را فرشتگان یا بیاید فرمان پروردگار تو یا بیاید پاره از آیات پروردگار تو روزی که بیاید بعضی از آیات پروردگار تو سود ندهد نفسی را ایمان او

لَمْ تَكُنْ اٰمَنَتْ مِنْ قَبْلُ اَوْ كَسَبَتْ فِيْٓ اِيْمَانِهَا خَيْرًا ۭ قُلِ انْتَظِرُوْٓا اِنَّا مُنْتَظِرُوْنَ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ فَرَّقُوْا دِيْنَهُمْ وَكَانُوْا شِيَعًا
که نبوده که ایمان آورده از پیش یا فرا گرفته باشد در ایمان خود نیکی بگو که چشم دارید بدرستی که منتظرانیم بدرستی که آنان که پراکنده ساختند دین خود را و گشتند طائفها

لَّسْتَ مِنْهُمْ فِيْ شَيْءٍ ۭ اِنَّمَآ اَمْرُهُمْ اِلَى اللّٰهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ ۝ مَنْ جَاۗءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهٗ عَشْرُ اَمْثَالِهَا ۚ وَمَنْ جَاۗءَ بِالسَّيِّئَةِ
نیستی تو از ایشان در چیزی جز این نیست که کار ایشان بسوی خداست پس خبر دهد ایشان را بآنچه بودند که میکردند هر که آورد حسنه را پس مر او راست ده مانند آن و هر که آورد بدی را

فَلَا يُجْزٰٓى اِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ ۝ قُلْ اِنَّنِيْ هَدٰىنِيْ رَبِّيْٓ اِلٰي صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ڬ دِيْنًا قِيَمًا مِّلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۝
پس جزا داده نشود مگر مانند آن و ایشان ستم کرده نشوند بگو که مرا راه نمود مرا پروردگارم بسوی راه راست دینی راست ملت ابراهیم میل کننده از باطل و نبود از مشرکان

قُلْ اِنَّ صَلَاتِيْ وَنُسُكِيْ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِيْ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ۝ لَا شَرِيْكَ لَهٗ ۚ وَبِذٰلِكَ اُمِرْتُ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُسْلِمِيْنَ ۝ قُلْ
بگو بدرستی که نماز من و اعمال حج و زندگانی من و مردن من مر خدا راست که پروردگار عالمیان است نیست شریکی مر او را و باین فرمان داده شدم و من نخست تسلیم کنندگانم بگو

اَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْغِيْ رَبًّا وَّهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۭ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ اِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِّزْرَ اُخْرٰي ۚ
آیا بجز خدا را بجویم پروردگار و او پروردگار هر چیزی است و نکند کسب هیچ نفسی مگر بر خودش و بر ندارد بردارنده بار دیگری را

ثُمَّ اِلٰي رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُوْنَ ۝ وَهُوَ الَّذِيْ جَعَلَكُمْ خَلٰۗىِٕفَ الْاَرْضِ وَرَفَعَ
پس بسوی پروردگار شماست بازگشت شما پس خبر دهد شما را بآنچه بودید در آن اختلاف میکردید و اوست آنکه گردانید شما را جانشینان در زمین و بلند کرد



بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ القراءة

بعضی از شمارا بالای بعضی در مرتبه تا که بیازماید شمارا در آنچه داد شمارا هر آینه پروردگار تو زود عقوبت است و هر آینه او آمرزنده مهربان است

تذكرون بتخفيف الذال حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد فحذفوا احدى التائين الباقون بالتشديد لاجل ادغام تاء التفعل في
الذال وان هذا بسكون النون ابن عامر ويعقوب وان هذا بكسر الهمزة وتشديد النون حمزة وعلي وخلف الباقون وان بالفتح والتشديد صراطي
بفتح الياء ابن عامر والاعشى والبرجمي فتفرق بتشديد التاء البزي وابن فليح ان ياتيهم بالياء التحتانية وكذلك في النحل علي وحمزة وخلف الباقون
بالتاء الفوقانية فارقوا وكذلك في الروم حمزة وعلي الباقون فرقوا بالتشديد عشر بالتنوين امثالها بالرفع يعقوب الباقون بالاضافة ربي الى بفتح ياء
المتكلم ابو عمرو وابو جعفر ونافع قيما بكسر القاف وفتح الياء ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بالعكس مع تشديد الياء محياي
بالسكون مماتي بالفتح ابو جعفر ونافع الباقون بالعكس وانا اول بالمد نافع وابو جعفر الوقوف شيئا ط لحذف فاي احسنوا بالوالدين احسانا ج لابتداء
النهي مع احتمال العطف اي وان لا تقتلوا من املاق ط واياهم ج للعطف مع العارض وما بطن ط للفصل بين الحكمين العظيمين مع اتفاق الجملتين بالحق ط لانها
بيان الاحكام الى توكيد لا ايضا للاحكام تعقلون ه اشده ج للفصل بين الحكمين بالقسط ط لاحتمال ما بعده الحال او الاستيناف ذا قربى ج لتناهي جواب اذا
وتقديم مفعول اوفوا تذكرون ه لمن قرأ وان هذا بالكسر فاتبعوه ج للفصل بين النقيضين معنى مع الاتفاق نظما عن سبيله ط تتقون ه يؤمنون ه ترحمون ه
لان التقدير فاتبعوه لئلا يقولوا من قبلنا لغافلين ه للعطف هدى منهم ج للفاء مع ان قد لتوكيد الابتداء ورحمة ج للاستفهام مع الفاء وصدف عنها ط
يصدفون ه بعض آيات ربك ط خيرا ط منتظرون ه في شيء ط يفعلون ه امثالها ج لابتداء شرط آخر مع العطف لا يظلمون ه مستقيم ه لاحتمال ان دينا نصب على البدل
من محل الى صراط او على الاغراء اي الزموا حنيفا ج لابتداء النفي مع اتحاد المعنى المشركين ه العالمين ه لا شريك له ج المسلمين ه كل شيء ط لانتهاء الاستفهام الى الا
عليها ج للتفصيل الامرين على التهويل مع اتفاق الجملتين اخرى ج لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تختلفون ه آتاكم ط للعقاب للتفصيل بين تحذير
وتبشير والوصل للعطف وضح رحيم ه التفسير لما بين فساد ما يقوله الكفار في باب التحليل والتحريم اتبعه البيان الشافي في الباب فقال قل تعالوا وهو
الخاص الذي صار عاما لان اصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه وما في قوله ما حرم اما منصوب بفعل التلاوة اي اتل الذي حرمه ربكم
فالعايد محذوف وقوله عليكم يكون متعلقا باتل وبحرم واما منصوب بحرم على ان ما استفهامية فلا راجع والمعنى اتل اي شيء حرم لان التلاوة
نوع من القول وتقديم المفعول للتخصيص فان قيل قوله ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما اجمله في قوله ما حرم فيلزم ان يكون
ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرما فالجواب ان المراد من التحريم البيان المضبوط او الكلام تم عند قوله ما حرم ربكم ثم ابتداء فقال عليكم ان لا تشركوا
او ان المفسرة اي ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا وهذا في النواهي واضح واما الاوامر فيعلم بالقرينة ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين
وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله ولا يجوز ان يجعل ان ناصبة والا لزم عطف الطلب اعني الامر على الخبر واعلم انه
سبحانه بين فرق المشركين في هذه السورة احسن بيان وذلك ان منهم من يجعل الاصنام شركاء الله تعالى فاشار اليهم بقوله واذ قال ابراهيم لابيه آزر
أتتخذ اصناما آلهة ومنهم عبدة الكواكب الذين ابطل قولهم بقوله لا احب الآفلين ومنهم القائلون بيزدان واهرمن ومنهم الذين يقولون
الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وزيف معتقدهم بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ثم عمم النهي
بقوله لا تشركوا به شيئا ثم حث على احسان الوالدين وكفى بهذه الخصلة شرفا ان جعلها تالية للتوحيد ثم اوجب رعاية حقوق الاولاد بعد رعاية
حقوق الوالدين ومعنى من املاق اي من خوف الفقر كما صرح بذلك في الآية الاخرى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق كانوا يدفنون البنات
احياء بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الاملاق وهو السبب الغالب فلذلك نبه على ذلك لوهم بقوله نحن نرزقكم واياهم فكما يجب على الوالد الاتكال
في رزق نفسه على الله فكذا القول في حال الولد قال شمر املق الرجل اذا افتقر واملق الدهر ما عنده اذا افسده وانما قال ههنا نحن نرزقكم و
اياهم وقال في سبحان بالعكس لان التقدير في الآية من املاق بكم نحن نرزقكم واياهم وهناك نريد الخشية التي تتعلق بالمستقبل فالتقدير خشية
املاق يقع بهم نحن نرزقهم واياكم ثم نهى عن قربان الفواحش كلها ومعنى ما ظهر منها وما بطن كما مر في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه وفيه ان الانسان
اذا احترز عن المعصية في الظاهر ولم يحترز عنها في الباطن دل على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله تعالى وامتثال امره ولكن لاجل الخوف من
مذمة الناس ثم افرد من جملة الفواحش قتل النفس المحرمة تنبيها على فظاعتها ولما نيط بها من الاستثناء وهو قوله الا بالحق وذلك ان قتل النفس المحرمة
قد يكون حقا لجرم صدر عنها كما جاء في الحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق ويخرط
في سلكه جزاء قاطع الطريق والحاصل ان الاصل في قتل النفس هو الحرمة وحله لا يثبت الا بامر منفصل ثم لما بين النواهي الخمسة اتبعه الكلام الذي
يقرب الى القلوب القبول فقال ذلكم وصيكم لما في لفظ التوصية من الرأفة والاستعطاف ومعنى لعلكم تعقلون لكي تعقلوا فوائد هذه التكاليف و
منافعها في الدين والدنيا ثم ذكر بعض انواع اخر من التكاليف وذلك قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي اي بالخصلة او الطريقة التي هي احسن
السعي في تثميره وانمائه ورعاية وجوه الغبطة لاجله كما مر في اول سورة النساء حتى يبلغ اشده اي احفظوا ماله الى هذه الغاية اي اوان الاحتلام
ولكن بشرط ان يونس منه الرشد قال الفراء واحد الاشد شد في القياس وشد ولم يسمع وقال ابو الهيثم الواحد شدة كانعم في نعمة والشدة القوة

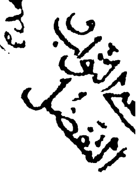
املق لازم و متعد

ومنه



ومنه قولهم بلغ الغلام شدّته وقيل انه واحد جاء على بناء الجمع كآنك لا نظير لهما وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ بالعدل والتسوية وايفاء الكيل
اتمامه خلاف البخس وقوله والميزان اى الوزن بالميزان فان قيل ايفاء الكيل والوزن هو عين القسط فما فائدة التكرار قلنا امر الله المعطى بايفاء
ذى الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذ حقه من غير طلب الزيادة ثم قال لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ليعلم ان الواجب هو القدر الممكن من العدالة
والتسوية لا التحقيق المؤدى الى الحرج والعسر فزعمت المعتزلة ههنا ان هذا القدر من التضييق حين لم يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر الايمان مع
انه لا قدرة له عليه او يخلق القدرة الموجبة للكفر او الداعية المقتضية له ثم ينهاه عنه وتعورض بالعلم والداعى كما تقدم مرارا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا
وَلَوْ كَانَ المقول له او عليه ذَا قُرْبَى حمله المفسرون على اداء الشهادة وعلى الامر والنهى والاولى ان يحمل على الاقوال كلها ويدخل فيه قول الرجل فى الدعوة
الى الدين وتقرير الدلائل عليه بان يذكر الدليل ملخصا عن الحشو ومبرأ عن النقص ومجردا عن العصبية والجدال على مقتضى الهوى والتشهى
كذا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكذا الحكاية والرواية والرسالة وحكم الحاكم بحيث يسوى فيه بين القريب والبعيد ولا ينظر الا رضاء الله
وختم الاوامر بقوله وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا كما قال أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ويندرج فى هذه الخاتمة بالحقيقة جميع الانواع المذكورة وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي من قرأ
بالفتح والتخفيف فهو باعماله فى ضمير الشان والتقدير تعالوا اتل ما حرم واتل انه هذا صراطى وكذا فيمن قرأ بالتشديد وبالفتح الا ان ضمير الشان
لا يقدر وان شئت جعلتها خفضا متعلقا بما قبله اى ذلكم وصيكم به وبان او بما بعده والتقدير ولان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ومن كسر فلان
التلاوة فى معنى القول وعلى الاستيناف والمعنى اتبعوا صراطى انه مستقيم وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية
وسائر البدع والضلالات فَتَفَرَّقَ بِكُمْ الباء للتعدية اى فيفرقكم ذلك الاتباع عَنْ سَبِيلِهِ المستقيم وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود عن النبى
صلى الله عليه وآله انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو
اليه ثم تلا هذه الاية هذه الاية بالحقيقة اجمال لما فى الايتين المتقدمتين ولهذا ختمها بالتقوى التى هى ملاك العمل وخير الزاد وختم الاولى بقوله
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لانها امور ظاهرة جلية يكفى فى تعلقها ادنى مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ لان المذكورة فيها امور
خفية يحتاج الى التدبر والتذكر حتى يقف فيها على موضع الاعتدال او نقول الامور الخمسة المذكورة فى الاية الاولى كلها عظام جسام وكانت
الوصية بها من ابلغ الوصايا فختم الاية بما فى الانسان من اشرف السجايا وهو العقل الذى امتاز به الانسان عن سائر الحيوان واما المذكورة
فى الثانية فاشياء يقبح تعاطيها وارتكابها وكانت الوصية بها تجرى مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تَذَكَّرُونَ اى تتعظون بمواعظ الله تعالى
قوله ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ معطوف على وصيكم فيسئل كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل واجيب بان التكاليف
التسعة المذكورة تكاليف لا تختلف بحسب اختلاف الشرائع كما روى عن ابن عباس ان هذه الايات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل
انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شيء فى التورية
مختصة بها فهى تامة حتى بعد تلك التكاليف التسعة فكانه قيل ذلكم وصيكم به يا بنى آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى
الكتاب وَأَنْزَلْنَا هَذَا الْكِتَابَ المبارك وقيل ان فى الاية حذفا فالتقدير ثم قل يا محمد صلى الله عليه وآله انا آتينا والمعنى ثم اتل ما اوحى اليك ثم
اتل عليهم خبر ما آتينا موسى وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وقوله تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ
مفعول له اى ليتم نعمتنا على الذى احسن اى على من كان محسنا صالحا او المراد تماما للنعمة والكرامة على العبد الذى احسن الطاعة فى التبليغ
وكل ما امر به او تماما على الذى احسن موسى من العلم والشرائع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اى زيادة على علمه وقرئ احسنُ بالرفع على الذى
الذى هو احسن دين وارضاه وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ويدخل فى ذلك بيان نبوة رسولنا صلى الله عليه وآله وصحة دينه وشرعه وَهُدًى
دلالة وَرَحْمَةً لكى تؤمنوا بلقاء ما وعدهم ربهم به من ثواب وعقاب وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ لا شك انه القرآن مُبَارَكٌ كثير الخير والنفع او ثابت
لا يتطرق اليه النسخ كما فى الكتابين فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ لان الغرض من التقوى رحمة الله تعالى او اتقوا لترحموا جزاء على التقوى او اتقوا مخالفته
على رجاء الرحمة قال الفراء قوله أَنْ تَقُولُوا مفعول واتقوا وقال الكسائى التقدير انا انزلناه لئلا تقولوا وقال البصريون انا انزلناه كراهة
ان تقولوا والخطاب لاهل مكة إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ اى التورية والانجيل عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا اليهود والنصارى وَإِنْ كُنَّا هى المخففة من الثقيلة
واللام فى لَغَافِلِينَ هى الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا ومعنى الدراسة القراءة وانما قالوا لكنا اهدى منهم لحدة اذهانهم
وكثرة حفظهم لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها وامثالها مع كونهم اميين قطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم ثم قال فَقَدْ جَاءَكُمْ
اى ان صدقتم ان عدم انزال الكتاب يصلح للعذر وانه لو انزل عليكم الكتاب لكنتم اهدى منهم فقد جاءكم بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فيما يعلم سمعا
وَهُدًى فيما يعلم سمعا وعقلا وَرَحْمَةٌ من الله فى صلاح المعاش والمعاد فَمَنْ أَظْلَمُ بعد هذه المعجزات والبينات مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ
عَنْهَا اى منع غيره منها لان الاول ضلال والثانى اضلال ثم ختم الاية باشد الوعيد وابلغ التهديد ثم ذكر انهم بعد نصب الادلة وازاحة
العذر لا يؤمنون البتة وشرح احوالا توجب المبادرة الى الايمان والتوبة فقال هَلْ يَنْظُرُونَ اى ينتظرون ومعنى الاستفهام النفى و
تقدير الاية انهم لا يؤمنون بك الا عند مجيء احد هذه الامور مجيء الملائكة او مجيء الرب ويعنى به عذابه وبأسه كما سلف فى البقرة او مجيء

المعجزات القاهرة قال في الكشاف الملائكة ملائكة الموت او ملائكة العذاب ومجيء الرب مجيء كل آية ثم قال يوم يأتي بعض آيات ربك واجمعوا على ان المراد بهذه الآيات
علامات القيمة عن البراء بن عازب قال كنا نتذاكر امر الساعة اذ اشرف النبي صلى الله عليه وآله فقال ما تتذاكرون الساعة انها لا تقوم حتى ترون قبلها عشر
آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج
ونزول عيسى ونار تخرج من عدن والمراد انه اذا بدت اشراط الساعة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل ايمانها ولا
نفسا ما كسبت في ايمانها خيرا ثم اوعدهم بقوله قل انتظروا انا منتظرون ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله ان الذين فارقوا دينهم اى فرقوا ومعنى
الفراقين في الحقيقة واحد لان الذي فرق دينه بمعنى انه اقر ببعض وكفر ببعض فقد فارقه اى تركه قال ابن عباس يريد ان المشركين بعضهم يعبد
الملائكة ويقولون انهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فصاروا شيعا اى فرقا واخوانا في الضلالة
والشيعة كل فرقة تشيع اماما لها وقال مجاهد ايضا انهم من هذه الامة وهم اهل البدع والشبهات وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين
كلها في الهاوية الا واحدة لست منهم في شيء اى انت بعيد من اقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم على ذلك الا بالميل مقصور عليهم لا يتعداهم اليك
وقال السدي معناه لم تؤمر بقتالهم فلما امر بقتالهم نسخ ويحتمل ان يقال ان النهي عن القتال في وقت لا ينافي الامر به في وقت آخر فلا نسخ انما امرهم الى الله بالاستيصال
والامهال ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون وفيه من الوعيد ما فيه وفي الآية حث على ان كلمة المسلمين يجب ان يكون واحدة ليستاهلوا الثواب الجزيل كما قال
من جاء بالحسنة هي لا اله الا الله والسيئة الشرك والاولى حملها على العموم فله عشر امثالها اقام صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات
امثالها بالرفع والتنوين قيل هذا اقل الموعود وقد وعد بسبع مائة وبغير حساب قيل ليس المراد التحديد بل اراد الاضعاف مطلقا كقول القائل لئن اسديت
الي معروفا لاكافينك بعشرة امثاله وفي الوعيد لئن كلمتني واحدة لاكلمنك عشرا روى ابو ذر ان النبي صلى الله عليه وآله قال عن الله تعالى الحسنة عشر او ازيد
والسيئة واحدة او اغفر فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره وقال صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى اذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة وان هم بسيئة فلا تكتبوها
فان عملها فسيئة وهم لا يظلمون اى لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيئاتهم سؤال ما الحكمة في الاضعاف جوابه كان للامم اعمار طويلة وطاعات
كثيرة فوضع الله لهذه الامة ليلة القدر خير من الف شهر واضعف الاعمال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وايضا ان الخصماء يتعلقون بهم يوم القيمة فيذهبون باعمالهم الى ان يبقى الاضعاف فيقول الله اضعافه
ليس من فعله وهو من رحمتي فلا اقبض منهم ابدا آخر كيف يوجب الكفر عقاب الابد جوابه ان الكافر كان على عزم الكفر لو عاش ابدا فاستحق العقاب
الابدي بناء على ذلك الاعتقاد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع فلا جرم يكون عقوبته منقطعة وايضا الذي يجهله الكافر هو ذات
القديم سبحانه وصفاته شيء لا نهاية له فيكون جهله لا يتناهى فكذا عقابه آخر اعتاق الرقبة الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو في
كفارة الظهار وتارة بدلا عن صيام ايام قلائل آخر احدث في راس انسان موضحتين فوجب ارشان فان عاد ورفع الحاجز بينهما صار الواجب ارش موضحة
واحدة فههنا ازدادت الجناية وقل العقاب آخر قد يجتمع بسبب اطراف تبان ولطائف تزال ديات متعددة اذا حصل الاندمال وقد يفضي
الى نيف وعشرين الاذنان او ابطال حسهما العينان او البصر الاجفان المارن الشفتان اللسان او النطق الاسنان اللحيان اليدان الذكر
الانثيان او الجلدتان الحلمتان والشفران والاليتان الرجلان العقل السمع الشم الصوت الذوق الامناء او الاحبال ابطال لذة الجماع ابطال
لذة الطعام الافضاء البطش المشي وقد تضاف اليها موجبات الجوائف والمواضح وسائر الشجاج فان عاد الجاني قبل الاندمال وجز الرقبة او
نصفه لم يجب الا دية النفس وكل ذلك يدل على ان رعاية المماثلة غير معتبرة في الشرع والجواب عن الاسولة الثلاثة ان هذه الامور من تعبدات
الشرع المطهر وتحكماته فلا سبيل لعقولنا اليها ويمكن ان يجاب عن الثالث بان بدل الاطراف انما يستقر بالاندمال دخل في دية النفس لعسر ضبط
ذلك والجزاء الحقيقي موكول الى يوم الجزاء والله اعلم قال اهل السنة كل الثواب تفضل من الله تعالى فلا اشكال وقالت المعتزلة ان بين الثواب
والتفضل فرقا لان الثواب هو المنفعة المستحقة والتفضل هو المنفعة التي لا يكون مستحقة ثم اختلفوا فقال الجبائي العشرة تفضل والثواب



غيرها اذ لو كان الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لزم ان يكون الثواب دون التفضل فلا يكون للتكليف فائدة وقال آخرون لا يبعد ان يكون
الواحد ثوابا الا انه يكون اعلى شانا من التسعة الباقية ثم لما علم رسوله صلى الله عليه وآله انواع الدلائل والرد على اصناف المشركين وبالغ في تقرير اثبات
القضاء والقدر ورد على اهل الجاهلية اباطيلهم امره بان يقول انني هداني ربي ليعلم ان الهداية لا تحصل الا بالله عز وجل قيما فيعل من قام
من ساد ومن قرأ قيما فعلا انه مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر وصف به للمبالغة وملة ابراهيم عطف بيان وحنيفا من ابراهيم او من ملة والمعنى هداني
وعرفني ملة ابراهيم لكونه او كونها موصوفا بالحنيفية ثم قال في صفة ابراهيم وما كان من المشركين ردا على من زعم عليه شيئا من ذلك اى فرقة الدين القويم
والطريق المستقيم علمه كيف يصنع به ويؤدي به فقال قل ان صلاتي ونسكي اى عبادتي وتقربي اليه كما روى ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال النسك
سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل المتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وقيل المراد بالنسك
ههنا الذبائح جمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي اخذا من مناسك الحج ومحياي ومماتي اى حياتي وموتي وان صلح

امر ثم لما امره بالتوحيد

ميميا وقال في الكشاف المراد وما اتيه في حيوتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح وفيه انه لا يكفي في العبادات ان يؤتى بها كيف كانت بل لا بد ان
يكون جميع حركات المرء وسكناته لله رب العالمين وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته وقال في التفسير
الكبير انه تعالى امر رسوله ان يبين ان صلوته وسائر عباداته وحياته ومماته كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه وحكمه وذلك ان المحيا والممات
بخلق الله فكذا الصلوة والنسك وبذلك من التوحيد المحض امرت بذكر ما يجري مجرى الدليل عليه فقال قل اغير الله ابغي ربا وتقريره ان طوائف
المشركين من عبدة الاصنام والكواكب من اليهود والنصارى والثنوية كلهم معترفون بان الله تعالى خالق الكل فكانه سبحانه قال قل يا محمد منكرا اغير
الله اطلب بامع ان هؤلاء الذين اتخذوا من دونه الهة مقرون بانه خالق تلك الاشياء ولا يدخل في العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب
والمولى وبوجه اخر الموجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته وقد ثبت ان الواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد
الواجب لذاته فهو اذن رب كل شئ وصريح العقل شاهد بان المربوب لا يكون شريكا للرب فلا يختص اذن بالربوبية غيره ثم لما بين الدليل
القاطع على التوحيد ذكر انه لا يرجع اليه عن كفرهم وشركهم ذم ولا عقاب فقال ولا تكسب كل نفس الا عليها ومعناه ان اثم الجاني عليه لا على
غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تؤخذ نفس اثمة باثم نفس اخرى وهذا كالرد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم بين ان رجوع هؤلاء
المشركين الى موضع لا حاكم هناك الا الله تعالى فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ثم ختم السورة ببيان حال المبدء والوسط
والمعاد على سبيل الاجمال فقال وهو الذي جعلكم خلائف الارض قيل الخطاب لبني آدم لانه جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضا وقيل لامة
محمد صلى الله عليه وآله لانه خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم وقيل لخواص الامة الذين هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها
بالحق كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والعقل والجاه والمال والرزق
لا للعجز والبخل ولكن لاجل شبه الابتلاء والامتحان ولظهور الموفر من المقصر وتميز المطيع من العاصي حسب ما تقتضيه الحكمة والعدالة والتدبير
والتقدير ثم وصف نفسه بالقدرة الكاملة على ايصال العقاب وايفاء الثواب فقال ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم فادخل
اللام في قرينة الترغيب اسقطها عن قرينة الترهيب ترجيحا لجانب الرحمة والغفران فان اللطف والرحمة تفيض عنه بالذات والقهر والنقد
يصدر عنه بالعرض لان ذلك من ضرورات الملك ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو ات قريب
وانما لم يسقط اللام عن قرينة العقاب في سورة الاعراف في قصة اصحاب السبت لان ذلك تلو ردعقيب كرامتي فناسب التاكيد باللام وانما اخر
قرينة الرحمة في الموضعين ليقع ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون ادل على كمال رافته وفوائد احسن التاويل من املاق فيه ترك التوكل على الله وعدم الثقة
بالله واوفوا الكيل اوفوا بكيل العدل وميزان الشرع حقوق الربوبية واستوفوا بكيل الاجتهاد وميزان الاقتصاد حظوظ العبودية من الالوهية وبعهد الله
اوفوا بان لا تعبدوا ولا تحبوا ولا تروا الا اياه وان هذا صراطي مستقيما اشارة الى ان الصراط المستقيم الحقيقي الى الله تعالى هو صراط محمد صلى الله عليه وآله تماما
على الذي احسن اي على من احسن من امته اسلامه وفيه ان الكتب المنزلة كلها وشرايع الانبيا كانت تتمة للدين الحنيفي الذي هو الاسلام والحمد
امر بان يقتدي بالانبيا ليجمع بين هداه وهديهم ويحتمل ان يراد بالذي احسن النبي صلى الله عليه وآله والاحسان تعبد الله كانك تراه الا انزلناه مبارك وبركته
انزل على قلبه فكان خلقه القرآن فقد جاءكم بينة ما يبين لكم طريق السير الى الله وهدى ما يهديكم الى الله اتم واكمل مما جاء في الكتابين فلا رطب
ولا يابس الا في كتاب مبين هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة عيانا او يسوقهم الى الله قهرا والجاء او ياتي ربك اللهم ذكر ما ياتوا اليه في متابعة
قل انتظروا المستحيلات انا منتظرون للبعث في المعادات الذين فارقوا الدين الحنيفي الذي فطر الانسان عليه وكانوا شيعا فرقا مختلفة من المتبدعة
والزنادقة والمرائية رياء وسمعة وعلماء السوء وملحدة المتفلسفة لست منهم في شئ لانك على الحق وهم على الباطل وبينهما تضاد انما امرهم
الى الله في بدء الخلقة وقسم الاستعداد كما شاء ثم ينبئهم يوم الجزاء بما يستحقه كل منهم من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قبل ذلك حتى يقدر
على الاتيان بتلك الحسنة وهي حسنة الايجاد من العدم وحسنة الاستعداد حيث خلقه في احسن تقويم وحسنة الرزق وحسنة بعثة الرسل
وحسنة انزال الكتب وحسنة تبيين الحسنات من السيئات وحسنة التوفيق للحسنة وحسنة الاخلاص في الاحسان وحسنة قبول الحسنات
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لان السيئة بذر يزرع في ارض النفس والنفس خبيثة لانها امارة بالسوء والحسنة بذر يزرع في ارض
القلب والقلب طيب والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا والتحقيق انه كما للاعداد ثلث مراتب الاحاد والعشرات
والمات وبعد ذلك يكون الالوف الى حيث لا يتناهى فكذلك للانسان اربع مراتب النفس القلب الروح والسر فالعمل الواحد في مرتبة النفس
اي اذا صدرت عنها يكون واحدا وفي مرتبة القلب يكون بعشر امثالها وفي مرتبة الروح يكون بمائة وفي مرتبة السر يكون بما فوق الى اضعاف
كثيرة بقدر صفاء السر وخلوص النية الى ما لا يتناهى وهذا سر ما جاء في القرآن والحديث من تفاوت جزاء الحسنات والله تعالى اعلم ورسوله قل
انني هداني ربي من اسفل سافلين القالب بجذبة العناية الازلية ونسكي اي سيري على منهاج الصلوة معراج المؤمن ومحياي اي حيوة قلبي
وروحي ومماتي اي موت نفسي لطلب رب العالمين والوصول اليه وانا اول المستسلمين عند الايجاد لامر كن كما قال اول ما خلق الله نوري قل
اغير الله كيف اطلب غير الله وهو حبيبي والحبيب لا يطلب الا الحبيب واذ هو رب كل شئ فيكون ما له لي وان طلبت غيره دونه يكون ذلك الغير على

الى كما قال ولا تكسب كل نفس الا عليها لان النفس امارة بالسوء والسوء عليها لا لها ولا تزر وازرة وزر اخرى فان كان القلب سليما من كدورات صفات النفس باقيا على ما جبل عليه من حب الله تعالى وطلبه لا يؤخذ بمعاملة النفس ولا يناله عذابها وانما يكون النفس فقط ماخوذة بوزرها معاقبة بما جنت هي منه وان كان القلب منقلب الحال وزاغ عن الله تعالى باصبع القهر الى محاذات النفس فيصدأ مرآة القلب بصفات النفس واخلاقها فيتبع النفس وهواها فيتنزل عنه الصفا والطهارة والسلامة والذكر والفكر والتوحيد والايمان والتوكل والصدق والاخلاص ورعاية وظائف العبودية فيكون ماخوذا بوزره لا بوزر غيره وهو الذي جعل كل واحد من بني آدم وقته وخليفة ربه في الارض وسر الخلافة ان صوره على صفات نفسه حيا قيوما سميعا بصيرا عالما قديرا مريدا متكلما ورفع بعضكم فوق بعض درجات في استعداد الخلافة ليبلوكم ليظهر من المتخلق بالخلافة منكم القائم بها وبامره في العباد والبلاد ممن الذي يرجع القهقرى الى صفات البهائم ويبطل الاستعداد للخلافة بالختم والطبع والحبس في سجين الطبيعة غفور رحيم لمن تقلب رضاه ورفع درجاته الله حسبي

سورة الاعراف مكية الا خمس آيات وسئلهم عن القرية الى قوله وقطعناهم حروفها ١٤١٠ كلمها ٣٣٢٥ آياتها مائتان وست

بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا

کتابی است فرود آمده بسوی تو پس نباشد در سینه تو تنگی از آن تا بترسانی بآن و پندی است از برای مؤمنان پیروی کنید آنچه را که فرستاده شده بسوی شما از پروردگار شما

تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعويهم

و متابعت مکنید از غیر او دوستان را چه اندک پند میگیرید و چه قدر از دهها که هلاک کردیم آنرا پس آمد او را عذاب ما در شب یا که ایشان در قیلوله بودند پس نبود حرف ایشان

اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم

چون که آمد ایشان را عذاب ما مگر که گفتند بدرستیکه ما بودیم ستمکاران پس هر آینه سوال کنیم آنهارا که فرستادیم بسوی ایشان و هر آینه سوال کنیم پیغمبران را پس هر آینه حکایت کنیم بر ایشان

بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك

بدانش و نبودیم پنهان و ترازو در آن روز حق است پس اگر سنگین است ترازوهای او پس آن گروه ایشانند رستگاران و هر که سبک است ترازوهای او پس آن گروه

الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون

آنانند که زیان کردند نفسهای خود را بانچه بودند بآیات ما ستم میکردند و هر آینه جای دادیم شما را در زمین و قرار دادیم از برای شما در آن گذران کم سپاس میگذارید

القراءات يذكرون بتاء الغيبة ثم التفعل ابن عامر والباقون كما مر في آخر الانعام الوقوف المص كوفي للمؤمنين ط اولياء ط تذكرون قائلون نصف الجزء والربع الثالث من القرآن ظالمين المرسلين للعطف غائبين الحق للابتداء الشرط مع فاء التعقيب المفلحون يظلمون معايش ط تشكرون التفسير قد تقدم في اول الكتاب مباحث هذه المقطعة على سبيل العموم وعن ابن عباس معنى المص انا الله اعلم وافصل وقال السدي معناه انا المصور وقيل معناه الم نشرح لك صدرك بدليل فلا يكن في صدرك حرج منه كما زاد في الرعد راء لقوله بعده رفع السموات ثم ان جعلنا هذه الحروف بدل الجملة فلا محل لها من الاعراب وان كانت اسما للسورة جاز ان يكون المص مبتدأ وكتاب بمعنى السورة خبره والجملة بعده صفة له وجاز ان يكون المص خبر مبتدأ محذوف وكذا كتاب اي هذا المص هو كتاب انزل عليك والدليل على انه منزل من الله تعالى هو انه ما تلمذ استاذا ولا تعلم من معلم ولا طالع كتابا ولم يخالط اهل الاخبار والاشعار وقد مضى على ذلك اربعون سنة ثم ظهر عليه هذا الكتاب المشتمل على علوم الاولين والآخرين فلن يبقى شبهة في انه مستفاد بطريق الوحي القائلون بخلق القرآن زعموا ان الانزال يقتضي الانتقال من حال الى حال وهذا من سمات المحدثات واجيب بان الموصوف بالانزال والتنزيل على سبيل المجاز هي الحروف والالفاظ ولا نزاع في كونها محدثة مخلوقة فان قيل الحروف اعراض غير باقية بدليل انه لا يمكن الاتيان بها الا على سبيل التوالي وعدم الاستقرار فكيف يعقل وصفها بالنزول اجيب بانه تعالى احدث هذه الرقوم في اللوح المحفوظ ثم ان الملك طالع تلك النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا صلى الله عليه وآله ثم قال فلا يكن في صدرك حرج اي شك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه ومعنى منه اي من شان الكتاب اي لا تشك في انه منزل من عند الله او من تبليغه اي لا يضيق صدرك من الاداء وتوجه النهي الى الحرج كقولهم لا ارينك ههنا والمراد نهيه عن الكون بحضرته فان ذلك سبب رؤيته ومثله قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة ظاهره امر للمشركين وانه في الحقيقة امر للمؤمنين بان يغلظوا على المشركين وفي متعلق قوله لتنذر اقوال قال الفراء انه متعلق بانزل وفي الكلام تقديم وتاخير اي انزل اليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج وفائدة التقديم والتاخير ان الاقدام على الانذار والتبليغ لا يتم ولا يكمل الا عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الانباري انه متعلق بالنهي واللام بمعنى كي والتقدير فلا يكن في صدرك شك كي تقدر على انذار غيرك لانه اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور لتوكله على ربه وثقته بعصمته وقال صاحب النظم اللام بمعنى ان كقوله يريدون ان يطفؤا وفي موضع آخر ليطفؤا والتقدير لا يضيق صدرك ولا تضعف عن ان تنذر به وقيل ان تقدير الكلام هذا الكتاب انزله الله عليك واذا علمت انه تنزيل الله تعالى فاعلم ان عناية الله معك واذا علمت هذا فلا يكن في صدرك حرج لان من كان الله له حافظا وناصرا لم يخف احدا واذا زال الخوف والضيق عن القلب اشتغل بالابلاغ

والانذار اشتغال الرجال الابطال ولا يبال باحد من اهل الضلال والابطال ثم قال وذكرى للمؤمنين قال ابن عباس يريد مواعظ للمصدقين
وقال الزجاج هو اسم في موضع المصدر قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر
به وتذكر تذكيرا والرفع عطفا على كتاب وبانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى وانما لم ينصب على محل لتنذر
لان المفعول له يجب ان يكون فاعله وفاعل الفعل المعلل واحدا ولو صح ذلك لكان محله النصب لا الجر وخص الذكرى بالمؤمنين كقوله هُدًى لِلْمُتَّقِينَ
والتحقيق فيه ان النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في بحر اللذات الجسمانية فتحتاج الى زاجر قوي ومنها مشرقة بالانوار
الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس الا انها غشيتها غواش من عالم الجسم فعرض لها نوع ذهول وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى
انذار وتخويف واما الصنف الثاني فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها انوار ارواح رسل الله تعالى تذكرت معدنها وابصرت مركزها واشتاقت
الى ما هنالك من الروح والراحة والريحان فلم يحتج الا الى تذكرة وتنبيه فثبت انه سبحانه انزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا في حق طائفة
وذكرى في شان طائفة ثم كما امر الرسول بالتبليغ والانذار مع قلب قوي وعزم صحيح امر المرسل اليهم وهم الامة بالمتابعة فقال اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ
مِنْ رَبِّكُمْ ومعنى كونه منزلا اليهم انهم مخاطبون به لانهم مكلفون بدلك والا فهو بالحقيقة منزل على الرسول قالت العلماء المنزل متناول للقران والسنة
جميعا عن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله وفي الاية دلالة على ان تخصيص عموم القران بالقياس غير جائز لان متابعة المنزل
واجبة فلو عمل بالقياس لكونه مستفادا من القران وهو قوله فاعتبروا عمل بالقران ايضا قلنا بعد التسليم ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل ابتداء
ومن العمل بالمنزل بواسطة اكد الامر المذكور بقوله وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اي لا تتخذوا من دون الله اولياء من شياطين الجن والانس فيحملوكم
على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل اي لا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء احتج نفاة القياس
بان الاية دلت على انه لا يجوز متابعة غير ما انزل الله تعالى والعمل بالقياس متابعة غير ما انزل فلا يجوز لا يقال العمل بالقياس عمل بالمنزل لقوله
فاعتبروا لانا نقول لو كان الامر كذلك لكان تارك العمل بمقتضى القياس كافرا لقوله وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ وقد اجتمعت
الامة على عدم تكفيره اجاب مثبتوا القياس حجة ثبت باجماع الصحابة والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم دليل مظنون فلا يعارض القاطع وردوا
بانكم اثبتم ان الاجماع حجة بعموم قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وبعموم قوله صلى الله عليه وآله لا تجتمع امتي
على الضلالة والفرع لا يكون اقوى من الاصل اجاب المثبتون بان الايات والاحاديث والاجماع لما تعاضدت في اثبات القياس قوي الظن
وحصل الترجيح ومن الحشوية من انكر النظر في البراهين العقلية تمسكا بالاية واجيب بان العلم بكون القران حجة موقوف على صحة التمسك بالدلائل
العقلية فكيف تنكر ثم ختم المخاطبة بنوع معاتبة فقال قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ثم ذكر ما ترك المتابعة
من الوعيد فقال وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ فموضع كم رفع بالابتداء ومن مزيدة للتاكيد والبيان اي كثير من القرى أَهْلَكْنَاهَا مثل زيد ضربته وتقدير
النصب يضاعف جيد في الاية حذف لا القرية الاهلاك فقط فان القرية تهلك بالهدم والخسف كما يهلك اهلها ولكنه يقال التقدير
وكم من اهل قرية لقوله فَجَاءَهَا بَأْسُنَا والباس بالاهل انسب لقوله أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ولان الزجر والتحذير لا يقع للمكلفين الا بهلاكهم ولا
معنى البيات والقيلولة لا يصح الا فيهم وانما قال فجاءها ردا بالكلام على اللفظ او كما يقال الرجال فعلت وهنا سؤال وهو انه قوله فجاءها باسنا
يقتضي ان يكون مقدما على مجيء الباس لكن الامر بالعكس والعلماء اجابوا بوجوه منها ان المراد حكمنا بهلاكها او اردنا اهلاكها فجاءها كقوله اذا
قمتم الى الصلوة فاغسلوا ومنها ان معنى الاهلاك ومعنى مجيء الباس واحد فكانه قيل وكم من قرية اهلكناها فجاءهم اهلاكنا وهذا كلام صحيح
فان قيل كيف يصح والعطف يوجب المغايرة فالجواب ان الفاء قد يجيء للتفسير كقوله صلى الله عليه وآله لا يقبل الله صلوة احدكم حتى يضع الطهور
مواضعه فيغسل وجهه ويديه فان غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجيء الباس جار مجرى التفسير
للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط الباس والبلاء عليهم وقريب منه قول الفراء لا يبعد ان يقع الباس
والهلاك معا كما تقول اعطيتني فاحسنت وما كان الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله وانما وقعا معا ومنها ان ذلك محمول على حذف المعطوف والتقدير
اهلكناها فحكم مجيء الباس كان الاهلاك امارة للحكم بوصول مجيء الباس ومنها انه من باب القلب الذي تشجع عليه امن الالباس كقولهم عرضت الناقة
على الحوض وقوله بياتا قال الجوهري بيت العدو اي اوقع بهم ليلا والاسم البيات وفي الكشاف انه مصدر بات الرجل بياتا حسنا وعلى القولين
فانه وقع موقع الحال بمعنى بائتين او مبيتين ثم قال أَوْ هُمْ قَائِلُونَ والجملة حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءها باسنا مبيتين او بائتين وانما حسن
ترك الواو ههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا لان واو الحال قريبة من واو العطف لا سيما استعيرت منها للوصل فالجمع بين حرف العطف وبينه
جمع بين المثلين مستثقل وذلك فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان ضعيفا وقال بعض النحويين الواو
محذوفة مقدرة ورده الزجاج لما قلنا اما معنى القيلولة فالمشهور انها نومة الظهيرة وقال الازهري هي الاستراحة نصف النهار وان لم يكن نوم لقوله
تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وانما خص وقتا البيات والقيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول
العذاب فيهما اشد وافظع وكانه قيل للكفار لا تغتروا بالفراغ والرفاغ والامن والسكون فان عذاب الله انما يجيء دفعة من غير سبق امارة باذا قد

الزم الشافعي العمل بالقياس صح

بان كون القياس صح

او فقائلين صح



الليل مسروراً باولياء ان الحوادث قد يطرقن اسحاراً فقوم لوط هلكوا وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة ثم قرر حالهم عند مجئ الباس فقال فما كان
دعويهم اي ما كانوا يدعونه من قبل دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده والاقرار بالاساءة والظلم على انفسهم وقال ابن عباس
فما كان تضرعهم واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك اقرارهم على انفسهم بالشرك وقال اهل اللغة الدعوى اسم تقوم مقام الدعاء حكى سيبويه
اللهم اشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين اي فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم بعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم فلا يزيدون على ذم انفسهم
وتحسرهم على ما فرط منهم وفرط وافيه ومحل دعويهم وعلى عكسه محل ان قالوا يجوز ان يكون نصباً او رفعاً كما سبق في اعراب قوله فلم تكن فتنتهم الا
ان قالوا ثم ذكر على ترك القبول والمتابعة وعيداً اجلا فقال ولنسئلن الذين ارسل اليهم نسأل المرسل اليهم عما اجابوا به رسلهم كقوله ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ثم قال فلنقصن عليهم اي على الرسل
والمرسل اليهم اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قيل ما الفائدة
في سؤال المرسل اليهم بعد ما اخبر عنهم انهم اعترفوا بذنوبهم فالجواب انهم لما اقروا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب الظلم
والتقصير تقريعاً وتوبيخاً فان قيل ما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بانه لم يصدر عنهم تقصير البتة قلنا ليلحق كل التقصير بالامة فيتضاعف
اكرام الله تعالى في حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير ويتضاعف اسباب الخزي والاهانة في حق الكفار فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن
وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فالجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان ان القوم لعلهم لا يسئلون عن الاعمال لان الكتب مشتملة عليها
ولكنهم يسئلون عن الدواعي التي دعتهم اليها وعن الصوارف التي صرفتهم عنها او المراد نفي سؤال الاستفادة والاسترشاد واثبات سؤال التوبيخ والاهانة
فالاثبات في الاية ابطال قول من زعم انه لا حساب على الانبياء ولا على الكفار وفيها انه سبحانه عالم بالكليات وبالجزئيات ولا يعزب عن علمه شئ
في الارض ولا في السموات فالالهية لا تكمل الا بذلك وفيها انه غير مختص بشئ من الاحياز والجهات والا كان غائباً عن غيره ثم بين ان من جملة
احوال يوم القيمة وزن الاعمال فقال والوزن هو مبتدأ خبره يومئذ وقوله الحق صفة المبتدأ اي الوزن العدل يوم يسئل الله الامم ورسلهم
وقيل لا يجوز الاخبار عن شئ وقد بقيت منه بقية فيجب على هذا ان يكون الحق خبراً ويومئذ ظرفاً للوزن ومعنى الحق انه كائن لا محالة وفي كيفية
الميزان قولان الاول ما جاء في الخبر انه تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيمة يوزن به اعمال العباد خيرها وشرها وكيف يوزن فيه وجهان
احدهما ان المؤمن يتصور اعماله بصورة حسنة واعمال الكافر بصورة قبيحة فتوزن تلك الصورة ذكره ابن عباس وثانيهما ان الوزن يعود الى الصحف التي
يكون فيها اعمال العباد روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عما يوزن يوم القيمة فقال الصحف وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب
العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتي الميزان على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض في احديهما لوسعتهن
وجبرئيل آخذ بعموده ناظر الى لسانه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى برجل يوم القيمة الى الميزان ويؤتى له بتسعة وتسعين
سجلاً كل سجل مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيه شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً صلى الله عليه وآله
عبده ورسوله فيوضع في الاخرى فترجح قال القاضي يجب ان يحمل هذا على انه يأتي بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اغراء على المعصية
ورد بانه خلاف الظاهر وبانه لا يبعد ان يكون ثواب كلمة الشهادة اوفى واوفر من ساير الاعمال لان معرفة الله تعالى اشرف العقايد والاعمال
روى الواحدي في البسيط انه اذا خف حسنات المؤمن اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجرته بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته
فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن وجهك وخلقك فيقول انا نبيك وهذه صلواتك التي كنت
تصليها علي قد وفيتك احوج ما تكون اليها القول الثاني قول مجاهد والضحاك والاعمش وكثير من المتأخرين ان المراد من الميزان العدل لان
العدل في الاخذ والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازاً عن العدل ومما يؤكد ذلك ان اعمال العباد اعراض وانها قد فنيت
وعدمت ووزن المعدوم محال وكذا لو قدر بقاؤها واما قولهم الموزون صحائف الاعمال او صور مخلوقة على حسب مقادير الاعمال فنقول المكلف
يوم القيمة اما ان يكون مقراً بانه تعالى عادل حكيم ويكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب في علمه بانه عدل وصواب واما ان لا يكون مقراً
فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس حقيقة الرجحان اجاب الاولون بان جميع المكلفين يعرفون يوم القيمة انه تعالى منزه عن الظلم والجور
لكن الفائدة في وضع الميزان ظهور الرجحان لاهل الموقف وازدياد الفرح والسرور للمؤمن وبالضد للكافر واختلف العلماء ايضاً في كيفية الرجحان
فقال بعضهم يظهر هنالك نور في رجحان الحسنات وظلمة في رجحان السيئات وقال آخرون بل يظهر الرجحان في الكفة واختلفوا ايضاً في الموازين
فقيل انها جمع موزون واراد الاعمال الموزونة والميزان المتعارف واحد ولئن سلم انها جمع الميزان فالعرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول
خرج فلان الى مكة على الافراس والبغال قاله الزجاج وقال الاكثرون كما لا يمتنع اثبات ميزان له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين
بهذه الصفة فالموجب لترك الظاهر والمصير الى التأويل قال عز من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وايضاً لا يبعد ان يكون لافعال
القلوب ميزان ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر ثم ان المرجئة الذين يقولون المعصية لا تضر مع الايمان قالوا ان الله حصر
اهل الموقف في قسمين منهم من يزيد حسناته على سيئاته ومنهم من على العكس ولا يثبت هذا القسم الا للكفر لانه حكم عليهم بانهم الذين خسروا



كل سجل منها

انفسهم

انفسهم بسبب الظلم بآيات الله اى لتكذيبهم بها وهذا لا يليق الا بالكافر ولئن سلم ان العاصى معاقب لكنه يعاقب بآثامه ثم يعفى عنه ويتخلص
الى رحمة الله تعالى فهو بالحقيقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله ابد الآباد من غير زوال ولا انقطاع قيل فى الآية دلالة على ان الذى يكون حسناته
وسيئاته متعادلتين متساويتين غير موجود والله اعلم ثم لما فرغ من التخويف بالعذاب الاجل رغب الخلائق فى قبول دعوة الانبياء بطريق
اخر وهو تذكر النعم فان ذلك يوجب الطاعة فقال وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ اقدرناكم على التصرف فيها وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ هى جمع معيشة
وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك وبالجملة وجوه المنافع التى تحصل بتخليق الله تعالى ابتداء كالاثمار او بواسطة
كالاكتساب والوجه فى معايش تصريح الياء لانها اصلية لا زائدة كصحايف بالهمزة فى صحيفة وعن ابن عامر او نافع فى بعض الروايات الهمز تشبيها
بصحايف واستبعده النحويون البصريون ثم عاتب المكلفين بانهم لا يقومون بشكر نعمه كما ينبغى فقال قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ وفيه اشارة الى انهم لم
يشكروا وقليل من عبادى الشكور التأويل المعنى هو انه من لطفه افرد عباده للمحبة وللمعرفة وانعم عليهم بالصدق والصبر لقبول الفيض كالآية
المعرفة والمحبة بواسطة كتاب انزل على قلبك فانفسح له صدرك وانشرح فلم يبق فيه ضيق وحرج بخلاف ما انزل من الكتب فى الالواح والصحف فقد
عرض لبعضهم ضيق وعطش فالقى الالواح وكما شرف نبيه بالكتاب المنزل على قلبه حتى صار خلقه القرآن اشرف امته بان امرهم باتباع ما انزل اليهم
ليتخلقوا باخلاق الله وكم من قرية قلب فسد نا استعدادها فجاءهم بأسنا اى اذاقت قلوبهم باصبع القهار بياتا اهلها نائمون على فراش الحسبان
قائلون فى نهار الخذلان فما كان دعائهم الا ان قالوا من قصر نظرهم لا من طريق الادب انا كنا ظالمين فنسبوا التصرف الى انفسهم ولم يعلموا ان
الله نعم مقلب افئدتهم وابصارهم فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وهم عامة الخلائق هل قبلتم الدعوة وعملتم بما امرتم لا يكون السؤال سؤال
تعنيف وتعذيب لهم الذين قبلوا الدعوة فيكون السؤال سؤال تشريف وتقريب ولنسألن المرسلين سؤال انعام والزام هل بلغتم وهل
وجدتم امما قابلى الدعوة فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ فليعلمن انا ما ارسلنا الرسل اليهم عبثا وانما ارسلناهم لامر عظيم وخطب جسيم وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ عن
الرسل بالنصرة والمعونة وعن المرسل اليهم بالتوفيق والعناية والوزن يومئذ لاهل الحق لا الباطل فلا يقيم لهم يوم القيمة وزنا وقد روى انه يؤتى يوم
القيمة بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فلا يوزن جناح بعوضة فمن ثقلت موازينه بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة والاحوال الكاملة
فاولئك هم المفلحون ومن سرائرهم وانما جمع الموازين لان لبدن كل مكلف ميزانا يوزن به اعماله ولنفسه ميزانا يوزن به صفاتها وللقلب
ميزانا يوزن به اوصافه وللروح ميزانا يوزن به نعوته وللسر ميزانا يوزن به احواله وللخفى ميزانا يوزن به اخلاقه والخفى لطيفة روحانية قابلة
لفيض الاخلاق الربانية ولهذا قال صلى الله عليه وآله ما وضع فى الميزان شئ اثقل من حسن الخلق وذلك انه ليس من نعوت المخلوقين وانما هو
خلق رب العالمين والعباد مأمورون بالتخلق باخلاقه خسروا انفسهم افسدوا استعدادها ولقد مكناكم هيأنا لكم خلافة الارض دون غيركم من
الحيوانات والملك وجعلنا لكم خاصة معايش لكل صنف من الملك والحيوانات معيشة واحدة وذلك ان الانسان مجموع من الملكية والحيوانية
والشيطانية والانسانية فمعيشة الملك هى معيشة روحه ومعيشة الحيوان هى معيشة بدنه ومعيشة الشيطان هى معيشة نفسه الامارة بالسوء وقد حصل للانسان
بهذا التركيب معاش انسانية انها لم يكن لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان وهى القلب والسر والخفى فمعيشة قلبه هى الشهود ومعيشة سره هى الكشوف ومعيشة خفيه هى الوصال والوصول

ع

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ
و هر آينه آفريديم شما را پس صورت بستيم شما را پس گفتيم مر فرشتگان را كه سجده كنيد مر آدم را پس سجده كردند بجز ابليس كه نبود از سجده كنندگان گفت كه چه وا داشت ترا
أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ
كه سجده نكردى چون بفرمودم ترا گفت كه من بهترم ازان آفريدى مرا از آتش و آفريدى ورا از گل گفت كه پس فرود آ ازين پس نباشد ترا كه بزرگى جوئى
فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي
دران پس بيرون رو كه تو از زبردستانى گفت كه باز دار مرا تا روزى كه مردگان زنده شوند گفت كه تو از مهلت داده شدگانى گفت كه پس بسبب گمراه كردن مرا
لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ
هر آينه بنشينم براى ايشان بر راه تو كه راست است پس هر آينه بيايم بر ايشان از پيش روى ايشان و از پشت ايشان و از طرف راست ايشان و از طرف چپ ايشان و نيابى
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ وَيَا آدَمُ
بيشتر ايشان را سپاسگزاران گفت كه پس بيرون رو ازان نكوهيده و رانده هر آينه كسى كه پيروى كند ترا از ايشان هر آينه پر كنم دوزخ را از شما همه واى آدم
اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ
ساكن شو تو و زنت در بهشت پس بخوريد از هر جا كه خواسته باشيد و نزديك مشويد اين درخت را پس باشيد از ستمكاران پس وسوسه كرد
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ
مر ايشانرا شيطان تا ظاهر كند براى ايشان آنچه را كه پنهان بود از ايشان از عورتهاى ايشان و گفت كه نهى نكرده است شما را پروردگار شما ازين درخت مگر كه بشويد دو فرشته
أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ
يا باشيد از جاويدان و سوگند خورد با ايشان كه من مر شما را هر آينه از پند دهندگانم پس فرود آورد ايشانرا بفريب پس چون چشيدند از درخت



بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ

ظاهر شد مر ایشان را عورتهاشان و نزدیک رفتند که بپوشانند بر خود شان از برگ درخت بهشت و ندا کرد ایشان را پروردگار ایشان که آیا نهی نکرده بودم شما را ازین درخت

وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

و نگفته بودم شما را که دیو شیطان مر شما را دشمنی است آشکارا گفتند که پروردگار ما ستم کردیم بر خود و اگر نیامرزی ما را و رحم نکنی ما را هر آینه میباشیم از

الْخَاسِرِينَ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ

زیان کاران گفت فرود آیید بعضی از شما مر بعضی را دشمن است و مر شما راست در زمین آرامگاه و بهره تا هنگامی گفت که در آن زندگانی کنید و در آن میرید و از آن بیرون آرید

القراءة لاملان بتليين الهمزة الثانية حيث كان الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف تخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن ذكوان الباقون مبنيا للمفعول من الاخراج والله اعلم الوقوف الا ابليس لا لانه معه فلا يصح اجملة صفة له الساجدين اذا امرتك منه لانقطاع النظم من اتحاد المقول طين الصاغرين يبعثون المنظرين المستقيم للعطف شمائلهم شاكرين مدحورا لان ما بعده ابتداء قسم محذوف اجمعين الظالمين الخالدين الناصحين بغرور لان جواب لما منتظر مع الفاء ورق الجنة لان الواو للاستيناف مبين انفسنا للادب اعلاما بانقطاع الحجة قبل ابتداء الحاجة الخاسرين عدو لعطف المختلفين الى حين تخرجون التفسير من جملة نعم الله تعالى علينا ان خلق ابانا ادم وجعله مسجود الملائكة فلذلك ذكر تلك القصة عقيب تذكار النعم ونظير هذه الآيات ما سبق في سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم منع من المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل ذلك المنع بكثرة نعمه على المكلفين وهو انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم خلق لهم ما في الارض جميعا من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل ادم خليفة في الارض مسجودا للملائكة والغرض من الكل ان التمرد والجحود لا يليق بازاء هذه النعم الجسام وقصة ادم وما جرى له مع ابليس ذكرها الله في سبعة مواضع في البقرة وههنا وفي الحجر وفي سبحان وفي الكهف وفي طه وفي ص وسنبين بعض حكمة اختلاف العبارات بقدر الفهم ان شاء الله تعالى وههنا سؤال وهو ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضي ان امر الملائكة بالسجود لادم وقع بعد خلقنا وتصويرنا والامر في الواقع بالعكس واجاب المفسرون بوجوه منها ان المضاف محذوف اي خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورنا اباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا وانما حسن هذه الكناية لان ادم عليه السلام اصل البشر نظيره قوله لبني اسرائيل المعاصرين واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اي ميثاق اسلافكم وقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وانما قتل احدهم ومنها ان المراد خلقناكم من ادم ثم صورناكم اي صورنا ذريته في ظهره في صورة الذر ثم قلنا للملائكة وهذا قول مجاهد ومنها خلقناكم ثم صورناكم ثم نخبركم انا قلنا للملائكة ومنها ان الخلق في اللغة التقدير وتقدير الله تعالى عبارة عن علمه بالاشياء ومشيته بتخصيص كل شيء بمقداره المعين له فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر في هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى انه تعالى اثبت في اللوح المحفوظ صورهم كما انه اثبت صور كل كائن كما جاء في الخبر اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة ثم بعد هذين الامرين احدث الله تعالى ادم وامر الملائكة بالسجود له قال الامام فخر الدين رحمه الله وهذا التأويل عندي اقرب الوجوه وتأويل هذه السجدة وان ابليس هل هو من الملائكة ام لا قد تقدم في اوائل سورة البقرة فلا وجه لاعادته اما قوله سبحانه ما منعك ان لا تسجد فظاهره يقتضي انه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك فان المقصود طلب ما منعه من السجود كما قال في سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فلهذا الاشكال حصل للمفسرين ثلاثة اقوال اولها وهو الاشهر ان لا صلة زائدة كما في لا اقسم وكما في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين قال في الكشاف وفائدة زيادتها توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل في لئلا يعلم ليتحقق علم اهل الكتاب فما منعك ان لا تسجد ما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك قلت لعله اراد ان زيادة لا اشارة الى نفي المذكور وليلزم منه تحقق ما عدل المذكور وثانيها ان اثبات الزيادة في كلام الله تعالى خارج عن الادب وان الاستفهام للانكار اي لم يمنعك من ترك السجود شيء كقول القائل لمن ضربه ظلما ما الذي منعك من ضربي ادينك ام عقلك ام حياؤك والمعنى انه لم يوجد احد هذه فما امتنع من ضربي وثالثها قال القاضي ذكر الله تعالى المنع واراد الداعي فكانه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة امر الله تعالى حالة يتعجب منها ويسئل عن الداعي اليها وقيل المنوع من الشيء مضطر الى خلاف ما منع منه وقيل معناه ما الذي جعلك في منعة من عذابي وقيل معناه من قال لك لا تسجد واقول يمكن ان لا يعلق قوله ان لا تسجد بقوله ما منعك وانما يكون متعلقه محذوفا والتقدير ما منعك من السجود ان لا تسجد اي لا تسجد توجه عليك هذا السؤال والحاصل ان عدم سجودك ما سببه اذا امرتك امر ايجاب وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب توبيخه واظهار معاندته وجحوده واستدل العلماء بالاية على ان مجرد الامر يقتضي الوجوب لانه رتب الذم عليه وان الامر يقتضي الفور والا لم يستوجب الذم بترك السجود في الحال ثم استانف اللعين قصة اخرى فيها عن نفسه بالفضل على ادم زعما منه ان مثله مستبعد ان يؤمر بما امر به وتلك الخيرية هي التي منعته عن السجود فقال انا خير منه ثم بين هذه المقدمة بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار افضل من الطين لان النار جوهر مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات ملاصق لها والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن الاجرام اللطيفة كلها وايضا النار قوية التأثير والفعل اشرف من الانفعال وايضا النار مناسبة للحرارة وهي مادة الحيوة والنضج واما الارضية فللبرد واليبس مناسب للموت والحيوة اشرف من الموت وايضا سن النمو والشباب لما كان وقت كمال الحرارة كان افضل اوقات عمر الحيوان بخلافه وقت الشيخوخة لغلبة البرد واليبس المناسب للارضية

والارض مثلا الا القبول الا نفعال و الفعل

والمخلوق من الافضل افضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع واما ان الاشرف لا يجوز ان يؤمر بخدمة الادون فمما قد تقرر في العقول فهذه
شبهة ابليس المقدمات باسرها ممنوعة اما ان النار افضل من الارض فممنوع لان كل عنصر من العناصر الاربعة يختص بفوايد ليست لغيره وكل منها
ضروري في الوجود وفي التركيب فلكل فضيلة في مقامه وحاله فترجيح بعضها على البعض تطويل بلا طائل ومن تامل ما ذكرنا في تفسير قوله سبحانه
الذي جعل لكم الارض فراشا وقف على بعض منافعها وعلم ان طعن اللعين مردود جدا ولو لم يكن في النار الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار
والترفع وفي الارض الا الرزانة الموجبة للحلم والوقار والتواضع لكفى به رد الكلام واما ان المخلوق من الافضل افضل فهو محل البحث والنزاع لان الفضيلة
عطية من الله تعالى ابتداء ولا يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة فقد يخرج الكافر من المؤمن ويحصل الدخان والتكليف يتناول الحي بعد انتهائه
الى حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهى اليه لا بما خلق منه وقد قال تبوني باعمالكم ولا تاتوني بانسابكم ان اكرمكم عند الله اتقيكم وفي كلام الحكماء
العاقل من يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية فتبت ان دعوى اللعين في قوله انا خير منه باطلة ولئن سلم فلم لا يجوز خدمة الفاضل المفضول تواضعا
واسقاطا لحق النفس ولم لا يجوز الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال وتشريف المفضول والرفع من مقداره قالت العلماء ههنا ان قوله تعالى للملائكة
اسجدوا لادم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ابليس اخرج نفسه من هذا العموم بالقياس فاستوجب الذم والتعنيف والدخول في جملة المتكبرين
على الله فدل ذلك على انه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس انه كانت الطاعة اولى بابليس من القياس
فعصى وقاس واول من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين بشيء من رايه قرنه الله تعالى مع ابليس ويمكن ان يجاب بانه انما استحق الذم لان قياسه
كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح امر من كان مخلوقا من النار من كان مخلوقا من النور المحض بسجود من هو مخلوق من الارض
اولى ويحتمل ان يزيف هذا الجواب بان التشريف اذا رضي بتلك الخدمة فلا اعتراض عليه وح لا يقبح امره بذلك ثم ان الملائكة رضوا بذلك فلا
باس واما ابليس فانه لم يرض باسقاط هذا الحق فقبح امره بالسجود ففي قياسه يوجب تخصيص النص لا رفعه بالكلية فعلمنا ان استحقاق الذم انما كان لتخصيص
النص بالقياس كما ادعينا قال اي الله تعالى كلام تعنيف وتعذيب لا اكرام وتشريف او قال على لسان بعض الملائكة فاهبط يعني اذ لم تمتثل امري
فاهبط منها قال ابن عباس يريد من الجنة وكانوا في جنة عدن وفيها خلق ادم وقال بعض المعتزلة امر بالهبوط من السماء التي هي مكان المطيعين
المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين
من اهل الصغار والهوان يقال للرجل ثم صاغر اذا اهين وفي ضده قم راشدا قال الزجاج ان ابليس طلب التكبر فابتلاه الله بالذلة والصغار
قال النبي صلى الله عليه واله من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون طلب الانظار من الله تعالى الى وقت البعث
هو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده انه لا يذوق الموت فلم يعطه الله تعالى ذلك بل قال انك من المنظرين
قيل ان هذا المطلق مقيد بقوله في موضع اخر الى يوم الوقت المعلوم اي اليوم الذي يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى وقال
اخرون لم يوقت الله تعالى له اجلا والمراد الوقت المعلوم في علم الله تعالى والدليل على ذلك ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز ان يعلم اجله لانه
يقدم على المعصية بقلب فارغ حتى اذا قرب اجله تاب فيقبل توبته وهذا كالاغراء على المعاصي فيكون قبيحا اجاب الاولون بان من علم الله تعالى من
حاله انه يموت على الطهارة والعصمة كالانبياء او على الكفر والمعاصي كابليس فان اعلامه بوقت اجله لا يكون اغراء على المعصية لانه لا يتفاوت حاله
بسبب ذلك التعريف والاعلام قال فبما اغويتني الاغواء ضد الارشاد واصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد يعرض في جوفه
من كثرة شرب اللبن ولا يمكن ان يتعلق الباء بقوله لاقعدن لان لام القسم تلو ذلك لا تقول والله بزيد لامرن لان حكم القسم وما يتلوه حكم همزة الاستفهام
وحرف النفي الذي هو ما وهي تعمل من حيث اللفظ فكانها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شيء من معمولاتها لضعفها وانما يتعلق بفعل القسم المحذوف
وما مصدرية تقديره فبما اغويتني اي فبسبب اغوائك اياي اقسم ويجوز ان يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن ومعنى القسم بالاغواء
بالاغواء انه من جملة اثار القدرة اي بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في لاقعدن وقال في الكشاف ان الامر بالسجود كان سبب اغوائه وهو تكليف
والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به وهذا مناسب اصول الاعتزال قال مشايخ العراق الحلف
بصفات الذات كالقدرة والعظمة والجلال والعزة يمين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا ويعني بصفات الفعل ما يجوز ان يوصف
بضده فيقال رحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب ولم يغضب قال بعضهم ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدا فقال لاقعدن ويرد على
هذا القول ان اثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس اضاف الاغواء ههنا الى الله وفي قوله فبعزتك لاغوينهم
اضاف الاغواء الى نفسه الاول يدل على الجبر والثاني على القدر وهذا دليل على انه كان متحيرا في هذه المسئلة اجابت المعتزلة عن قوله فبما
اغويتني بان قول ابليس واعتقاده ليس بحجة او المراد انه تعالى لما امره بالسجود لادم تعمد ذلك ظهر منه كفر فلهذا المعنى اضاف الغي الى الله وقد يحمل
على ضربك عنده او المراد بالاغراء الاهلاك واللعن قالت الاشاعرة نحن لا نبالغ في ان المراد بالاغواء ههنا هو الاضلال لان حاصله كيف
ما كان يرجع على حكاية قول ابليس وهو ليس بحجة الا انا نقطع بان الغاوي لا بد له من مغو وليس ذلك نفسه لان العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونها
غواية والدور والتسلسل محال فلا بد ان ينتهي الى خالق الكل وهو المقصود اما قوله لاقعدن لهم صراطك فانتصابه على الظرف كقوله لدن

الارض لكان فيه من كان مخلوقا من صح

المعنى لا من حيث

اي لا تفعل ما اضا ح



بهن الكف يغسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اى على الظهر والبطن والمراد لاعترضن طريق
بني آدم المذكورين في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة والحاصل انه يواظب
على الافساد بالوسوسة مواظبة لا يفتر عنه ولهذا ذكر القعود لان من اراد المبالغة في تكميل امر من الامور قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود
واعلم ان العلماء اختلفوا في ان كفر ابليس كفر عناد او كفر جهل فمن قائل بالاول لقوله صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق ومن
قائل بالثاني لقوله فبما اغويتني فدل ذلك على انه اعتقد ان الذي هو عليه محض الغواية وانما وصف الصراط بالمستقيم بناء على زعم الخصم واعتقاده
ورد بانه متى علم ان مذهبه ضلال وغواية فقد علم ان ضده هو الحق فكان انكاره انكار اللسان لا القلب هو المعنى بكفر العناد ويمكن ان يجاب
بانه اراد بالاغواء ايضا الاغواء بزعم الخصم قالت الاشاعرة في الآية دلالة على انه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه ودنياه والا لم يمهل ابليس حين
استمهله مع علمه بالمفاسد والغوائل المترتبة على ذلك ومما يؤيد ذلك انه بعث الانبياء دعاة للخلائق الى الحق وعلم من حال ابليس انه لا يدعو الا الى
الكفر والضلال ثم انه امات الانبياء وابقى ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه ان يفعل ذلك قال الجبائي في دفع هذا الاعتراض انه لا يختلف
الحال بسبب وجوده وعدمه ولا يضل بقوله احد بل انما يضل من لو فرضنا عدم ابليس لكان يضل ايضا بدليل قوله تعم فانكم وما تعبدون ما انتم
عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ولانه لو ضل به احد لكان بقاؤه مفسدة وقال ابو هاشم يجوز ان يضل به قوم ويكون خلقه جاريا
مجرى زيادة الشهوة فان هذه الزيادة من المشقة يوجب الزيادة في الثواب ضعف قول الجبائي بانا نعلم بالضرورة ان الانسان اذا جلس عنده
جلساء السوء وحسنوا في عينه امرا من الامور مرة بعد اخرى فانه لا يكون حاله في الاقدام على ذلك الفعل كحاله اذا لم يوجد هذا التحسين فكذا
الشيطان المزين للقبائح في قلوب الكفار والفساق وزيف قول ابي هاشم بان خلق الزيادة في الشهوة حجة اخرى لنا في انه تعالى لا يراعي
المصلحة وتقريره الحجة ان خلق تلك الزيادة يوقع في الكفر وعقاب الابد ولو احترز عن تلك الشهوة فغايته ان يزداد ثوابه وحصول هذه الزيادة
شيء لا حاجة اليه والاهم دفع العقاب لا تحصيل زيادة الثواب فلو كان اله العالم مراعيا لمصالح العباد لم يهمل الاهم لطلب الزيادة التي لا ضرورة
اليها اما ذكر الجهات الاربع ففيه وجوه احدها من بين ايديهم اى شككهم في صحة البعث والقيامة ومن خلفهم القي اليهم ان الدنيا قديمة ازلية
وثانيها من بين ايديهم انفرهم عن الرغبة في سعادات الآخرة ومن خلفهم اقوي رغبتهم في لذات الدنيا وطيباتها فالآخرة بين ايديهم لانهم يردون
اليها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وثالثها قول الحكم والسدي من بين ايديهم يعني الدنيا لانها بين يدي الانسان وانه يشاهدها
ومن خلفهم الآخرة لانها تاتي بعد ذلك واما قوله وعن ايمانهم وعن شمائلهم فقيل عن ايمانهم في الكفر والبدعة وعن شمائلهم في انواع
المعاصي وقيل عن ايمانهم في الصرف عن الحق وعن شمائلهم في الترغيب في الباطل وقيل عن ايمانهم انفرهم عن الحسنات وعن شمائلهم اقوي دواعيهم
الى السيئات قال ابن الانباري وهذا قول حسن لان العرب تقول اجعلني في يمينك اى من المقدمين ولا تجعلني في شمالك اى من المؤخرين وعن
الاصمعي هو عندنا باليمين اى بمنزلة حسنة وبالشمال للعكس وقال حكماء الاسلام ان في البدن قوى اربعا هي الموجبة لفوات السعادات الروحانية
احدها القوة الخيالية التي تجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين ايديهم وثانيها القوة
الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثها الشهوة ومحلها الكبد
التي عن يمين البدن ورابعها الغضب ومنشاؤه القلب الذي هو في الشق الايسر فالشياطين الخارجة ما لم تستعن بشيء من هذه القوى الاربع لم
يقدر على القاء الوسوسة وقيل من بين ايديهم الشبهات المبنية على التشبيه اما في الذات او في الصفات كشبهة المجسمة واما في الافعال
كشبهة المعتزلة في التعديل والتجوير والتحسين والتقبيح لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات فهي بين يديه ومحضره فيعتقد ان الغائب مثل
الشاهد ومن خلفهم شبهات اهل التعطيل لان هذه بازاء الاولى وعن ايمانهم الترغيب في ترك المامورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل المنهيات
وعن شقيق رح ما من صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع اما من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الفقر فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من يميني فياتيني من قبل الثناء
فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعن رسول الله صلعم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه
قعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم فقعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر
فقعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل وعلى هذا فالقعود في الطريق والرصد من الجهات مثل
لوسوسته اليهم وتسويله بكل ما يمكنه ويتيسر له كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك بقي ههنا بحث
وهو انه كيف قال من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قال في الكشاف وقد يختلف حروف الظرف
كما يختلف حروف التعدية على حسب السماع يقال جلس عن يمينه وعلى يمينه فمعنى على انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن
انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره ونظيره في المفعول به رميت السهم عن القوس وعلى القوس ومن القوس
لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن

بين .



بين يديه ومن خلفه لانّ الفعل يقع في بعض الجهتين كما يقول جئته من الليل يريد بعض الليل وقال بعض المفسّرين خصّ اليمين والشمال بكلمة عن
لانهما تفيد البعد والمباعدة ونبّه على جهتي اليمين والشمال ملكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لابدّ ان يتباعد عن الملك ولا كذلك الحال
القدام والخلف قالت الحكماء من بين ايديهم ومن خلفهم هما الوهم والخيال كما مرّ والناشي منهما العقائد الباطلة والكفر وعن ايمانهم وعن شمائلهم
الشهوة والغضب والناشي منهما الافعال الشهوية والغضبية وضرر الكفر لازم لانّ عقابه دائم وضرر المعاصي مفارق لانّ عذابها منقطع فلهذا
السبب خصّ هذين القسمين بكلمة عن تنبيها على انّها في اللزوم والاتصال دون القسم الاوّل وانّما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق
والتحت لانّ القوى التي منها يتولّد ما يوجب تفويت السعادات الروحانية هي هذه الموضوعة في الجوانب الاربعة من البدن واما في الظاهر فقد
روي انّ الشيطان لما قال هذا الكلام رقّت قلوب الملئكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلّص الانسان من الشيطان مع استيلائه عليهم من الجهات
فاوحى الله تعالى اليهم انه قد بقي للانسان جهة الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق بالدعاء على سبيل الخضوع او وضع جبهته على الارض
بطريق الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة قال القاضي هذا القول من ابليس كالدلالة على انّه لا يمكنه ان يدخل في بدن ابن آدم ويخالطه انه لو امكنه
ذلك لكان بان يذكره في باب المبالغة احق قلت هذا مناف لما في الحديث انّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم اما قوله ولا تجد اكثرهم
شاكرين فسئل انه من باب الغيب فكيف عرف واجاب بعضهم بانه كان قد رآه في اللوح المحفوظ فقال على القطع واليقين وقال آخرون انه
قال على سبيل الظنّ لانه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين الطيّبات فغلب على ظنّه انّهم يقبلون قوله ولقد صدّقه الله
تعالى في ذلك الظنّ حيث قال ولقد صدّق عليهم ابليس ظنّه وقليل من عبادي الشكور وقيل انّ للنفس تسع عشرة قوّة الحواس الظاهرة
والباطنة والشهوة والغضب والقوى السبع النباتية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولّدة وهي باسرها تدعو
النفس الى عالم الجسم واما التي تدعوها الى عالم الارواح فقوّة واحدة وهي العقل ولا شكّ ان استيلاء تسع عشرة قوّة اكثر من استيلاء واحدة لاسيما
وهي في اوّل الخلقة تكون قويّة والعقل يكون ضعيفا وهو بعد قوّتها يعسر جعلها ضعيفة مرجوحة فلذلك قطع بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين
قال الله تعالى في جوابه اذا كان هذا عمله فاخرج منها مذؤوما مدحورا الذام العيب والذام يهمز ولا يهمز والدحر الطرد والابعاد وفي المثل
لا تعدم الحسناء ذاما واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملأنّ جوابه وهو ساد مسدّ جواب الشرط وعن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى
لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأنّ جهنم فغلّب المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون اي انكم وايّاهم على هذا فقوله لاملأنّ
في محلّ الابتداء ولمن تبعك خبره قال القاضي كما انّ الكافر يتبعه فكذلك الفاسق يتبعه فكذلك يجب القطع بدخول الفاسق النار واجيب بشرط
عدم العفو قوله ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة الآية فيها من المسائل ان يقول اسكن امر تعبّد او امر اباحة من حيث انه لا مشقّة فيه
فلا يتعلّق به التكليف فانّ زوج آدم وهي حوّاء وانّ تلك الجنّة كانت جنّة الخلد او جنّة من جنان السماء او جنّة من جنان الارض وانّ قوله وكلا
اباحة لا امر تكليف وانّ قوله لا تقربا نهي تحريم وانّ الشجرة المشار اليها شجرة واحدة بالشخص او بالنوع وانّها ايّ شجرة كانت وانّ ذلك الذنب كان
صغيرا او كبيرا وانّ الظلم في قوله فتكونا من الظالمين بايّ معنى هو وانّ هذه الواقعة وقعت قبل نبوّة آدم او بعدها ونحن قد قضينا الوطر
عن جميعها في سورة البقرة فلا حاجة الى الاعادة فوسوس لهما الشيطان الوسوسة حديث النفس وهو فعل غير متعدّ كولولة المرأة ووعوعة
الذئب والمصدر الوسواس ايضا بكسر الواو والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال ويوصل الى المفعول باللام وبالى فمعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله
ووسوس اليه القاها اليه اي تكلّم معه كلاما خفيّا بكرير ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما قيل اللام لام العاقبة لانّ الشيطان لم يقصد بالوسوسة
ظهور عورتهما وانّما آل امرهما الى ذلك وقيل لام الغرض به والعورة كناية عن زوال الحرمة وسقوط الجاه الذي كان غرضه ولعلّه رأى في اللوح
المحفوظ او سمع من الملئكة انه اذا اكل الشجرة بدت عورته وفي ذلك سقوط حشمته وقوله ووري اي ستر والسوءة فرج الرجل والمرأة بين وسوسته
ابليس بانه قال ما نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة الّا ان تكونا الّا كراهة ان تكونا ملكين الى قوله انّي لكما لمن الناصحين سؤال كيف يطمع ابليس في آدم
ان يكون ملكا عند الاكل من الشجرة مع انه شاهد الملئكة ساجدين معترفين بفضله والجواب بعد تسليم انّ هذه الواقعة كانت بعد النبوّة وبعد
سجود الملائكة له انّ هذا احد ما يدلّ على انّ الملائكة الذين سجدوا لآدم هم ملائكة الارض امّا ملئكة السموات او ملئكة العرش والكرسي والملئكة
المقرّبون فما سجدوا البتة لآدم والّا كان هذا التطميع فاسدا وربّما يجاب بانه اراد انه يصير مثل الملك في البقاء والدوام وضعّف بلزوم التكرار
من قوله او تكونا من الخالدين قال الواحدي كان ابن عباس يقرأ ملكين بكسر اللام كانّ الملعون اتاهما من جهة الملك كقوله هل ادلّك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى واعترض بانه لا نزاع في هذه القراءة الشاذّة وانّما النزاع في القراءة المشهورة ويمكن ان يجاب بانّ آدم لعلّه رغب في ان
يصير من الملائكة في القدرة والقوّة والبطش والخلقة بان خلق جوهرا نورانيّا مقرّه العرش والكرسي نقل ان عمرو بن عبيد قال للحسن انّ آدم وحوّاء
هل صدّقاه في قوله فقال الحسن معاذ الله لو صدّقاه لكانا من الكافرين اراد الحسن انّ تصديق الخلود يوجب انكار البعث والقيمة وانّه كفر
ويمكن ان يقال اراد بالخلود طول المكث لم يلزم التكفير ولو سلّم انّ الخلود مفسّر بالدوام فلا نسلّم انّ اعتقاد الدوام من آدم يوجب الكفر لانّ
العلم بالموت ثم البعث يتوقّف على السمع ولعلّ ذلك الدليل السمعي لم يصل الى آدم وقتئذ ثمّ انّ المحقّقين اتّفقوا على انّ التصديق لم يوجد من آدم

لا قطعا ولا ظنا وانما اقدما على الاكل لغلبة الشهوة كما نجد من انفسنا عند الشهوة ان نقدم على الفعل اذا زين لنا الغير ما نشتهيه وان لم نعتقد
ان الامر كما قال ثم ان بعضهم زعم ان الترغيب كان في مجموع الامرين كونهما ملكين وكونهما خالدين والظاهر انه على طريقة التخيير سؤال المقاسمة من الجانبين
فكيف يتصور التقاسم بين ادم وابليس والجواب كانه قال لهما اقسم بالله اني لكما ناصح وقالا له اتقسم بالله انك ناصح واقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها
او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدليهما بغرور اي اوقعهما بما اراد من تغرير واصله ان الرجل العطشان يدلي
رجليه في البئر لياخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه وقيل اي جرأهما على اكل الشجرة من قولهم فلان يدل
على اقرانه في الحرب كالطائر يدل على صيده قال ابن عباس غرهما باليمين وكان ادم يظن ان لا يحلف احد بالله كاذبا وعن ابن عمر انه كان اذا راى
من بعض عبيده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا
به فلما ذاقا الشجرة فيه دلالة على انهما قصدا الى معرفة طعمه ولولا انه ذكر في اية اخرى فاكلا منها لم يدل على الاكل لان الذوق قد يكون من
غير اكل بدت لهما سوأتهما ظهرت عوراتهما اي عورتاهما مثل صغت قلوبكما مكان قلبا وطفقا يخصفان اخذا في الفعل وهو الخصف
ويستعمل طفق بمعنى كاد قال الزجاج اي يجعلان ورقة على ورقة ليسترا بهما كما يخصف النعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور والورق ورق
التين وفيه دليل على ان كشف العورة قبيح من لدن ادم الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة الم انهكما
عتاب من الله وتوبيخ وباقي الايات مفسر في سورة البقرة عن ثابت البناني لما اهبط ادم وحضرته الوفاة احاطت به الملئكة فجعلت حواء
تدور حولهم فقال لها خلي ملئكة ربي فانما اصابني ما اصابني فيك فلما توفي غسلته الملئكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر
من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده وقد بقي علينا من التفسير ابحاث المتشابهات
الواقعة في هذه القصة فلنفرغ لها قوله ما منعك وفي ص يا ابليس ما منعك وفي الحجر يا ابليس ما لك حذف المنادى في هذه السورة لان مضي
ذكره هنا اقرب فلم يحتج الى اعادة اسم اللعين بالنداء قوله ما منعك ان لا تسجد وفي ص ما منعك ان تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ لا في السورة
لانه لما حذف النداء زاد لفظة لا زيادة في النفي واعلاما بان المخاطب ابليس وان شئت قلت جمع في السورة بين ما في ص وما في الحجر فقال ما
منعك ان تسجد وما لك ان لا تسجد وحذف ان تسجد وحذف ما لك لدلالة الحال ودلالة السورتين عليه فبقي ما منعك ان لا تسجد قوله
انا خير منه الاية في ص مثله كلاهما في جواب ما منعك ظاهر الا انه زاد في الحجر لفظا ان يكون فقال لم اكن لاسجد ليكون مطابقا للسؤال حيث
قيل ما لك الا تكون مع الساجدين قوله انظرني الى يوم يبعثون وفي ص وفي الحجر فانظرني لانه لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح
الاسم اقتصر ههنا ايضا على الخطاب دون المنادى بخلاف السورتين واما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة فلان داعية
الفاء ما تضمنه النداء من ادعوا وانادي نحو قوله ربنا فاغفر اي ادعوك فاعرض فلما حذف النداء في هذه السورة تركنا الفاء وكذلك قوله
من المنظرين ليطابق الجواب السؤال قوله فبما اغويتني وفي الحجر رب بما اغويتني بزيادة النداء ليوافق ما قبله وزاد في هذه الفاء وكذا في ص
فبعزتك لاغوينهم لزيادة الربط ولم يمكن دخول الفاء في رب لامتناع النداء منه لان ذلك يقع مع السؤال والطلب قال اخرج منها مذءوما ليس في
القران غيره وانما اختص الموضع بذلك لان اللعين بالغ في العزم على الاغواء فقال لاقعدن لهم الى اخره فبالغ الله جل وعلا في ذمه اذ الذام
اشد الذم قوله فكلا بالفاء وفي البقرة وكلا لان اسكن ههنا من السكنى التي معناها اتخاذ المواضع مسكنا وهذا لا يستدعي زمانا ممتدا
يمكن الجمع بين الاتخاذ والاكل فيه بل يقع الاكل عقيبه وفي البقرة من السكون الذي يراد به الاقامة فلم يصلح الا بالواو فان المعنى جمعا بين الاقامة فيها
والاكل من ثمارها ولو كان بالفاء لوجب تاخير الاكل الى الفراغ من الاقامة وانما زاد في البقرة رغدا لما زاد في الخبر تعظيما بقوله وقلنا قال بعض
الائمة في الجواب غيره وهذه المسائل ان اقتصار ما مضى اذا لم يقصد به اداء الالفاظ باعيانها كان اختلافها واتفاقها سواء اذا ادى المعنى
المقصود وهذا جواب حسن ان رضينا به كفينا مؤنة السهر الى السحر والله اعلم التاويل ولقد خلقناكم اي ارواحكم ثم صورناكم اي خلقنا الارواح
اجسادا كما جاء في الحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي الف عام ولتصوير الاجساد بداية وهي قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذريتهم فان لفظ الذرية يقع على المصورين ووسط يصوركم في الارحام كيف يشاء ونهاية هي حالة الكهولية في الاغلب ثم قلنا للملئكة اسجدوا
لادم وانه في صلبه وهذا من التمكين ايضا نسجد والاستعداد هم الفطري للسجود ولا يتمارهم لامر الله الا ابليس لم يكن من المستعدين للسجود
لما فيه من الاستكبار الناري قال ما منعك خطاب الامتحان بجرم ابليس ليظهر به استحقاقه اللعن فانه لو كان ذا بصيرة لقال في الجواب منعني تقديرك
وخذلانك ولكنه كان اعور عين اليمنى يبصر بالعين التي راى بها انانيته فقال انا خير منه اراد منعني خيريتي منه ان اسجد لمن دوني واستدل على
خيريته بانه خلق من نار وهي علوية نورانية لطيفة وادم خلق من طين سفلي ظلماني كثيف وهذا القياس معارض بان النار من خاصيتها الاحراق
والفناء والطين من خواصه النشو والانماء والاستمساك الذي يقوم بصيرة الانسان مستمسكا للفيض الالهي ونفخ فيه الروح ورضي بالفناء واطمأن
بالحيوة فقال انظرني فاجيب ما سئل ليكون وبالا عليه يزيد في شقوته ولكن لم يجبه بان لا يذيقه الموت لقوله في موضع الى يوم الوقت
في موضع اخر الى يوم الوقت المعلوم قال فبما اغويتني لم يكن حوالته الاغواء الى الله منه من نظر التوحيد وانما كان للمعارضة والمعاندة لقوله لاغوينهم

لاقعدن ثم لاتينهم من الجهات التي فيها حظوظ النفس من بين ايديهم من قبل الحسد على الاكابر من المشايخ والعلماء المعاصرين ومن خلفهم من قبل سوء الظن في الاكابر الاقدمين والسلف الصالحين وعن ايمانهم من قبل فساد ذات البين والقاء العداوة والبغضاء بين الاخوان وعن شمائلهم من جهة ترك النصيحة مع اهاليهم واقاربهم وترك الامر بالمعروف مع عامة المسلمين او المراد من بين ايديهم من قبل الرياء والعجب ومن خلفهم من قبل الصلف والفخر وعن ايمانهم من قبل الادعاء واظهار المواجيد والمواجيد وعن شمائلهم من قبل الافتراء على انفسهم ما ليس فيهما من الكشوف والاحوال او من بين ايديهم من قبل الاعتراض على الشيخ ومن خلفهم من قبل التفريق والاخراج عن صحبة الشيخ وعن ايمانهم من قبل ترك حشمة المشايخ وعن شمائلهم من قبل مخالفة الشيخ والرد بعد القبول او من بين ايديهم اثور عليهم اهاليهم واولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق ومن خلفهم اثور عليهم اباءهم وامهاتهم وعن ايمانهم اثور عليهم احبائهم وعن شمائلهم اثور عليهم اعدائهم وحسادهم ولا تقربا هذه الشجرة يعني شجرة المحبة فان المحبة مطية المحنة فتكونا من الظالمين على انفسكما ان للمحبة نارا ونورا لمن يرد نارها يجد نورها ومن يرد نارها احترقت نائبته فيبقى بلا هوية ريفهما نجد نور المحبة وبتنوير بقوله يحبهم ويحبونه فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لاجل ادم كما خمر طينة ادم لاجل هذه الشجرة وان منعه منها كان تحريضا له على تناولها فان الانسان حريص على ما منع ولم تكن الشجرة طعمة لغير ادم واولاده الا ان تكونا ملكين اي من اهل السلو كالملكين في ذوابا الجنة او تكونا من الخالدين في الجنة كالحور والرضوان فسقاهما ابليس في كاس القسم شراب كر الحبيب فاسمهما فلما غرقا في لجة المحنة بدت لهما سوءة نار المحبة قبل نورها وهي نار فرقة الاحبة في البداية وطفقا لاشتغال نايرة المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على نارهما فلما التهبا احترقت بلظاها راحة الواصلة ونعب غراب البين بالفرقة فبيننا نحن في الهوى في طرب بدا سحاب فراق صوبه هطل: وان كنت مشغوفا بطلعته مضى وافقر منه الرسم والطلل فالصبر منتحل والوجد متصل والوقع منهمل والقلب مشتغل: وناديهما ربهما نداء العزة والكبرياء الم انهكما عن تلكما الشجرة فانها منزل العزين ومنزل النعيم وتذهب الطرب وتورث التعب والنصب ان الشيطان لكما عدو مبين ولكن في عداوته صداقة مخفية تظهر لو بعد حين والخلتا من وقوفنا باب دارهم لواحدا قبل مغضبا من انت يا رجل فانغسل بماء الخجل منهما رعونات البشرية ولوث العجب لانهما فرجعا عما طمعا فيه ووقفا لو يردعلما ان لا منجا ولا ملجأ منه الا اليه فقالا ربنا ظلمنا انفسنا بان اوقعناها في شبكة المحبة تعنينا ولا المحنة تعنينا بالزوال وان لم تغفر لنا بنوال الوصال وترحمنا على الجمال لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى فامر بالصبر على الهجر وقيل اهبطوا بعضكم لبعض عدو والنفس عدو والقلب في الروح والقلب عدو لما سوى الله ولكم للنفس والقلب والروح في ارض البدن مقام وتمتع في الشريعة باستعمال الطريقة للوصول الى الحقيقة الى حين تصير النفس مطمئنة مستحق لخطاب ارجعي من الهبوط وارفعي بعد السقوط ان الامور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا: لا تياسن وان طالت مطالبة: اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا: اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع للابواب ان يلجا: قال فيها اي في الجنة تحيون بصدق الطلب وقرع باب العزة وفيها تموتون بطلب الحق على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها تخرجون الى عالم الحقيقة

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ

ای فرزندان آدم تحقیق که فرستادیم بر شما پوششی را که پنهان کند عورت شما را و جامهٔ نیکو و لباس پرهیزگاری این بهترست این از آیات خداست شاید که ایشان

يَذَّكَّرُونَ ۞ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا

پند گیرند ای فرزندان آدم فریب ندهد شما را شیطان چنانچه بیرون کرد پدر و مادر شما را از بهشت میکند از ایشان لباس ایشان را تا بنماید

سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

عورت ایشان را بدرستی که او می‌بیند شما را او و قبیلهٔ او از آنجا که شما نمی‌بینید ایشان را بدرستی که ما گردانیدیم دیوان را صاحب اختیار آنان را که ایمان نمی‌آورند

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا

و چون کردند ناشایسته را گفتند که یافتیم بران فاحشه پدران خود را و خدا فرمود ما را بآن بگو بدرستی که خدا نفرماید بناشایسته آیا میگوئید بر خدا آنچه را

تَعْلَمُونَ ۞ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ

نمیدانید بگو که فرمان داد پروردگار من براستی و راست دارید روهای خود را نزد هر مسجدی و بخوانید او را خالص کننده دین را از برای او چنانچه آفرید شما را بر میگردید

فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ

گروهی را راه نمود و گروهی را ثابت شد بر ایشان گمراهی بدرستی که ایشان فرا گرفتند دیوان را دوستان از غیر خدا و می‌پندارند

أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۞ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

که ایشان هدایت کرده شدگانند ای بنی آدم فرا گیرید زینت خود را نزد هر مسجدی و بخورید و بیاشامید و اسراف مکنید بدرستی که او دوست ندارد اسراف کنندگان را

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

بگو که حرام کرده زینت خدا را که بیرون آورد از برای بندگانش و پاکیزه‌ها از روزی بگو آن از برای آنان که گرویدند در زندگانی دنیا

خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

خالص روز قیامت همچنین ظاهر میسازیم آیات را از برای گروهی که میدانند بگو جز این نیست که حرام کرد پروردگار من کارهای زشت آشکارا

ع ۱۰

ع ۱۱

نفسه مع هوية

يعني بعيني رب

و اما تحبه الحبيبة



مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا

ازانها و آنچه پنهانست و گناه و از حد گذشتن را بدون حق و آنکه شرک آورید بخدا آنچه نرسیده است بآن حجتی و آنکه بگوئید

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ

بر خدای آنچه را که نمیدانید و مر هر گروهیرا مدتیست پس چون آمد مدت ایشان پس نیفتند ساعتی و پیش نیفتند

القراءة وريشا ابو زيد عن المفضل الباقون ريشا ولباس بالنصب ابو جعفر و نافع وابن عامر و علي الباقون بالرفع حال الصنعة بالرفع نافع الاخرون بالنصب
ربي الفواحش مرسلة البلاء حمزة الوقوف وريشا ط لمن قرا ولباس مرفوعا ومن قرا بالنصب وقف على التقوى خير ط يذكرون سوآتهما لا يؤمنون
امرنا بها ط بالفحشاء ما لا يعلمون الذين ط تعودون على جواز الوصل لرد النهاية الى البداية الضلالة مهتدون ولا تسرفوا لاحتمال الغاء بنهما ولا
يستقدمون التفسير لما ذكر ان الارض مستقر لبني ادم ذكر انه انزل كل ما يحتاجون اليه في الدين والدنيا فقال يا بني ادم قد انزلنا وايضا لما ذكر واقعة
ادم في انكشاف العورة انه كان يخصف عليها اتبعه ذكر اللباس الساتر للعورة اظهارا للمنة واشعارا بان التستر باب من ابواب التقوى ومعنى انزال
اللباس انه قضي ثم وكتب وانه حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد والريش لباس الزينة
استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا لزينتكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها
وزينة ولكم فيها جمال ومن قرا رياشا فقد قيل انه جمع ريش كشعب وشعاب وقال الجوهري الريش والرياش بمعنى كاللبس واللباس وهو لباس الفاخر
ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وبالجملة كل شيء يعيش به الانسان ومنه قولهم رشت فلانا اصلحت حاله وقال ابن السكيت الرياش مختص
بالثياب والاثاث والريش قد يطلق على سائر الاموال اما قوله ولباس التقوى فمن قرا بالنصب فعلى المنصوب قبله عطف ومن رفع فعلى الابتداء
وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة كالضمائر في صلوح العود بسببها واما المفرد الذي هو خير و ذلك بدل
او عطف بيان او صفة بتاويل ولباس التقوى المشار اليه خير والعدول الى الاشارة اما لتعظيم لباس التقوى واما ان يكون المراد بلباس
التقوى تفضيلا له على لباس الزينة ثم من المفسرين من حمل لباس التقوى على نفس الملبوس الذي انزله الله تعالى ليواري به السوأة هو لباس
التقوى لان قوما من اهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب ويطوفون بالبيت عراة فيكون كقول القائل قد عرفتك الصدق
في ابواب البر والصدق خير لك من غيره فتعبد به او المراد به ما لبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها في الحروب او يراد الملبوسات
المعدة لاجل اقامة الصلوة ومنهم من حمله على لباس التقوى مجازا فقال قتادة والسدي وابن جريج انه الايمان وقال ابن عباس هو العمل الصالح
وقيل هو السمت الحسن وقيل هو العفاف والتوحيد لان المؤمن لا تبدو عورته وان كان عاريا عن الثياب والفاجر لا تزال مكشوفة
وان كان كاسيا وقال معبد هو الحياء وقيل هو ما اظهر على الانسان من السكينة والاخبات والاعمال الصالحات وعلى هذا فمعنى الاية
ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به واقرب الى الله تعالى مما خلق من اللباس والرياش الذي يتجمل به فاضافة اللباس الى التقوى كاضافة
الى الجوع والخوف في قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده لعلهم يذكرون فيعرفون
عظيم النعمة فيه ثم حذر اولاد ادم من قبول وسوسة الشيطان لان المقصود من قصص الانبياء عليهم السلام ان يكون عبرة لمن يسمعها فقال يا بني
ادم لا يفتننكم الشيطان الفتنة الامتحان تقول فتنت الذهب اذا ادخلته النار لتنظر ما جودته وقال الخليل الفتن الاحراق وورق فتين
اي فضة محرقة قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون من قدر على اخراج الاب من الجنة مع كمال قوته وقرب عهده من فيضان ربه فهو على اولاده
على ان لا يدخل الجنة اقدر ومحل كما اخرج نصب على المصدر اي فتنة مثل اخراج ابويكم لان هذا اخراج نوع من الفتنة في اولاده ومحل ينزع
عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما واللام ليريهما سوآتهما لام العاقبة او لام الغرض كما تقدم في قوله
ليبدي لهما قال ابن عباس يرى ادم سوأة حواء وترى حواء سوأة ادم وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه
ولا رأى مني فحمله العلماء على الكراهة لا على التحريم واختلفوا في لباس نزع عنهما فقيل الثوب الحائل بينهما وبين النظر وعن سعيد بن جبير كان لباسهما
من جنس الاظفار وقيل اللباس الذي هو ثياب الجنة قال الكعبي في الاية دلالة على ان المعاصي والفتن كلها منسوبة الى الشيطان واجيب
بانه لا بد من الانتهاء الى خالق الكل وموجد القدر والدواعي ثم علل النهي والتحذير بقوله انه يريكم هو وقبيله اي جماعته الثلاثة
فصاعدا والقبيل بنو اب واحد وقال ابن قتيبة اي اصحابه وجنده وقال الليث هو وقبيله وجماعته من حيث لا ترونهم اي يكيدون
ويغتالون من حيث لا تشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية
الجن الانس كثافة اجسام الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى يقوي ابصار الجن ويزيد فيه ولو زاد الله في قوة ابصارنا لرأيناهم كما
يرى بعضنا بعضا ولو انه تعالى كثف اجسامهم وبقيت ابصارنا على هذه الحالة لرأيناهم وقال اهل السنة انهم يرون الانسان لانه تعالى خلق في
عيونهم ادراكا والانس لا يرونهم لانه تعالى لم يخلق هذا الادراك في عيون الانس قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم يتناول اوقات الاستقبال
من غير تخصيص فيه دليل على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور



ويخرفة

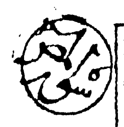
ومعرفته ولو قدر الجن على تغيير صورهم انفسهم باى صورة شاؤا لارتفع الوثوق عن الناس حتى الزوجة والوالد ولو كانوا قادرين على تخبيط
الناس وازالة العقل عنهم لكان اولى الناس بذلك العلماء والمشايخ لان العداوة بينهم وبين خواص الانس اشد وعن مجاهد قال
ابليس اعطينا اربع خصال نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى والضمير فى انه للشان وهو تاكيد ليصح العطف على المرفوع المتصل
ثم قال انا جعلنا الشياطين الآية واحتج اهل السنة على انه تعالى هو الذى سلط الشيطان عليهم حتى اضلهم واغواهم ويتاكد هذا النص بقوله
انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا [illegible] القاضى بان المراد من الجعل الحكم بان الشيطان ولى لمن لا يؤمن والمراد التخلية بينهم
بينهم كمن يربط الكلب فى داره ولا يمنعه من التوثب على الداخل واجيب بان حمل الجعل على الحكم خلاف الظاهر وهب انه حكم بذلك فهل يمكن مخالفة
حكم الله وبان الارسال انما يصدق على التسليط لا على التخلية المجردة قوله واذا فعلوا فاحشة قال بعضهم نزلت فى اتخاذهم البحائر والسوائب
وقيل فى الطواف بالبيت عراة والاولى التعميم والفحشاء الخصلة المتزائدة فى القبح اعنى الكبيرة والمراد انهم كانوا يفعلون اشياء هى فى انفسها
فواحش ويعتقدون انها طاعات ويحتجون على ذلك [illegible] انه تعالى حكى عنهم حجتين الاولى التقليد ولم يذكر جوابها لظهور بطلانها عند
كل عاقل والثانية ان الله امرهم بذلك فاجاب عنها بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء فللمعتزلة ان يحتجوا به على ان الشئ انما يقبح و
لوجه عائد اليه واقع كونه فى نفسه من الفحشاء مغايرا لتعلق الامر والنهى ولهذا المعنى عقبه بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون والجواب
ان عدم الامر بالفحشاء لا ينافى ارادة الفحشاء ومشيتها ونحن ندعى انه تعالى مريد لجميع الكائنات وان شيئا منها لا يخرج عن حكمه وارادته
وتقديره مع انه لا يامر الا بالعدل والصواب كما قال قل امر ربى بالقسط قال عطاء والسدى اى بالعدل وبما ظهر فى العقول كونه حسنا
وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله ويندرج فيه معرفة الله تعالى بذاته وافعاله واحكامه اما قوله واقيموا فليس من باب عطف الطلب
على الخبر وانما التقدير قل اقبلوا واقيموا وجوهكم اى استقبلوا واخلصوا عند كل مسجد فى كل وقت سجود وكان المعنى وجهوا وجوهكم حيثما
كنتم فى الصلوة الى الكعبة وقال ابن عباس المراد انه اذا حضرت الصلوة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم لا اصلى الا فى مسجد
قومى ثم لما امر بالتوجه الى القبلة امر بعده بالدعاء والاظهر ان المراد به اعمال الصلوة سميت دعاء لان اشرف اجزاء الصلوة هو الدعاء و
الذكر ويمكن ان يبقى الدعاء بمعنى العبادة فيكون كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ثم برهن على المعاد ليتحقق الجزاء
فقال كما بدأكم تعودون قال الحسن ومجاهد كما بدأ خلقكم فى الدنيا ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون احياء وعن ابن عباس المراد كما بدأ خلقكم
مؤمنا او كافرا تعودون فيبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا فان من خلقه الله تعالى فى اول الامر للشقاوة يعمل بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته
ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل عمل اهل السعادة وكانت عاقبته السعادة ويؤيد هذا التفسير قوله عقيب ذلك فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة وانتصاب فريقا الثانى بفعل مضمر يفسره ما بعده اى وخذل او اضل فريقا حق عليهم الضلالة كقولك زيدا مررت
به قال القاضى المعنى فريقا هدى الى الجنة والثواب وفريقا حق عليهم الضلالة اى العذاب والصرف عن طريق الثواب لان هذا هو الذى
يحق عليهم دون غيره اذ العبد لا يستحق ان يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز ان يامر انبياءه باضلالهم عن الدين كما امرهم باقامة الحد على
المستحق واجيب بان قوله هدى وهو ماض وحمله على المستقبل خلاف الظاهر وبان الهدى الى الجنة والضلال عنها لا بد ان يكون محكوما فى الازل وخلاف
حكمه محال ثم بين ما لاجله حقت عليهم هذه الفرقة الضلالة اعنى السبب القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الاسباب فقال انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله فقبلوا دعوتهم دون دعوته ولم يتاملوا فى التمييز بين الحق والباطل ثم عين ان جهلهم مركب لا بسيط فقال ويحسبون انهم
مهتدون وفيه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفى فى اصول الدين لا بد فيه من القطع واليقين ثم لما امر بالقسط وكان من جملته امر اللباس والماكول
والمشروب وايضا امر باقامة الصلوة وكان ستر العورة شرطا لصحتها فلا جرم قال يا بنى آدم خذوا زينتكم عن ابن عباس قال كان اناس من الاعراب
يطوفون بالبيت عراة حتى كانت المرأة تطوف بالبيت وهى عريانة فتعلق على سفلها سيورا مثل هذه السيور التى تكون على وجه الحمر من الذباب
وهى تقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه
وراء المسجد وان طاف وهى عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله فى ثياب اذنبنا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك تفاؤلا ليتعروا
من الذنوب كما تعروا من الثياب وقال الكلبى كان اهل الجاهلية لا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما فى ايام حجهم فقال المسلمون يا رسول
الله نحن احق بذلك فانزل الله الآية قال اكثر المفسرين المراد من الزينة لبس الثياب لقوله تعالى لا يبدين زينتهن يعنى الثياب وايضا الزينة
لا تحصل الا بالستر التام للعورات ولانه مناسب لما تقدم من ذكر اللباس والرياش ولان ظاهر الامر للوجوب وكل ما سوى اللبس غير واجب وقد
حمل الزينة على التلبس بقدر الامكان والستر ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وقيل الزينة المشط وقيل الطيب ثم ان العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب فالآية تقتضى وجوب اللبس التام عند كل صلوة ترك العمل به فى القدر الذى لا يجب ستره من الاعضاء اجماعا بقى معمولا فى الباقى
اللفظ فاذن ستر العورة واجب فى الصلوة والا فسدت صلوته قال اصحاب ابى حنيفة لبس الثوب المغسول بماء الورد على اقصى وجوه النظافة اخذ الزينة
فى صحة الصلوة واحتج بان اللام فى قوله واقيموا الصلوة ينصرف الى المعهود السابق وهو صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم قلتم انه صلى فى الثوب المغسول بماء

القبلة والمقصود م

يعظمون بذلك حجهم صح



الورد اما قوله كلوا اي اللحم والدسم واشربوا فقد قيل انهما امر باحة بالاتفاق فوجب ان يكون اخذ الزينة ايضا على الاباحة واجيب بانه لا يلزم
من ترك الظاهر في المعطوف تركه في المعطوف عليه مع ان الاكل والشرب قد يكونان واجبين ايضا في الجملة وهما يشملان جميع المطعومات والمشروبات
ويتناولان الاحوال والاوقات الا ما خصه الدليل المنفصل والعقل ايضا مؤكد لهذا المعنى لان الاصل في المنافع الحل والاباحة وفي قوله ولا
تسرفوا وجهان الاول انه يأكل ويشرب بحيث لا يتعدى الى الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا يتناول مقدارا كثيرا يضره ولا يحتاج اليه الثاني
وهو قول ابي بكر الاصم ان المراد من الاسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة فانهم اخرجوها عن ملكهم وتركوا الانتفاع بها وايضا انهم حرموا على انفسهم
في وقت الحج ما احلها الله لهم تعالى قال بعض العلماء ان حمل الاسراف على الاستكثار مما لا ينبغي اولى من حمله على المنع مما يجوز وينبغي عن ابن عباس
كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن
واقد صاحب المغازي ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم ابدان وعلم اديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه
قال وما هي قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ
يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس
طبا قيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها فانكر ذلك عليهم بقوله قل من حرم زينة الله قال ابن عباس واكثر
المفسرين هي اللباس الساتر للعورة وقال آخرون انها يتناول جميع انواع الزينة من الملابس والمراكب والحلي وكذا كل ما يستطاب ويستلذ
من المآكل والمشارب والنساء والطيب عن عثمان بن مظعون انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غلبني حديث النفس عزمت على ان اختصي فقال
مهلا يا عثمان فان خصاء امتي الصيام قال فان نفسي تحدثني بالترهب فقال ان ترهب امتي القعود في المساجد لانتظار الصلوات فقال
تحدثني نفسي بالسياحة فقال سياحة امتي الغزو والحج والعمرة فقال ان نفسي تحدثني ان اخرج مما املك فقال الاولى ان تكفي نفسك وعيالك وان ترحم
المسكين واليتيم وتعطيه افضل من ذلك فقال نفسي تحدثني ان اطلق خولة فقال ان الهجرة في امتي هجرة ما حرم الله تعالى قال فان نفسي تحدثني
ان لا اغشاها فقال ان المسلم اذا غشي اهله وما ملكت يمينه فان لم يصب وقعته تلك ولدا كان له وصيف في الجنة وان كان له ولد مات قبله
وبعده كان له قرة عين وفرح يوم القيامة وان مات قبل ان يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيامة قال فان نفسي تحدثني ان لا آكل اللحم قال
مهلا فان جبرئيل اتاني بالطيب وقال لا تتركه يوم الجمعة ثم قال يا عثمان لا ترغب عن سنتي فان من رغب عن سنتي ومات قبل ان يتوب فليس مني ولو مات قبل
ان يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي واعلم ان كل واقعة تقع فاما ان لا يكون فيها نفع ولا ضرر او تساوى ضررها ونفعها فوجب الحكم
في القسمين ببقاء ما كان على ما كان وان كان النفع خالصا وكان تركه خالص الضرر فيلحق بالقسم المتقدم وان كان النفع راجحا والضرر
مرجوحا تقابل المثل بالمثل وبقي القدر الزائد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا بقي القدر الزائد ضررا خالصا وكان تركه نفعا خالصا فبهذا
الطريق صارت هذه الآية دالة على الاحكام التي لا نهاية لها في الحل والحرمة الا ان نجد نصا خاصا في الواقعة فنقضي بتقديم الخاص على العام قال
قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان حكم ذلك القياس اما ان يكون موافقا لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضايعا لان هذا
النص مستقل به وان كان مخالفا كان ذلك القياس تخصيصا لعموم هذا النص فيكون مردودا لان العمل بالنص اولى من العمل بالقياس فاذن
القرآن واف بجميع الاحكام الشرعية والله تعالى اعلم ثم بين ان الزينة والطيبات خلقت في الحيوة الدنيا لاجل المؤمنين بالاصالة وللكفرة
بالتبعية كقوله ومن كفر فأمتعه قليلا واما في الآخرة فانها خالصة لهم فقال قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة من قرأ بالرفع فلانه
خبر بعد خبر قال ابو علي وعلى الخبر للذين آمنوا متعلق بمحذوف وهي خالصة للذين آمنوا في الحيوة يوم القيامة وعلى هذا يكون في الحيوة الدنيا
ظرفا لخالصة فيفهم من ذلك انها في غير يوم القيامة غير خالصة لهم بل يكون مشوبة بزحمة الكفار وعلى الاول يكون في الحيوة ظرفا للمحذوف
اي هي للذين آمنوا غير خالصة في الحيوة الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيامة ومن قرأ بالنصب فعلى الحال والباقي بحاله كذلك نفصل الآيات
لقوم يعلمون اي لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتى يتوصلوا به الى تحصيل العلوم النظرية ثم بين اصول الافعال المحرمة وحصرها في
ستة انواع لان الجناية اما على الفروج واشار اليها بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن واما ان يكون على العقول وهي شرب
الخمر واليها الاشارة بقوله والاثم وقيل الفواحش الكبائر والاثم الصغائر وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه وتبالغ والاثم عام لكل ذنب كأنه
خصص ولا ثم عمم واما ان يكون الجناية على النفوس والاموال والاعراض واليهن الاشارة بقوله والبغي بغير الحق ومعنى بغير الحق ان لا يقدموا
على ايذاء الناس بالقتل والقهر الا ان يكون لهم فيه حق فخرج عن ان يكون بغيا واما ان يكون الجناية على الاديان اما بالطعن في التوحيد
واليه اشار بقوله وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي لا سلطان حتى ينزل واما بالافتراء على الله وذلك قوله وان تقولوا على الله ما لا
تعلمون فان قيل الفاحشة وغيرها هي التي نهى الله تعالى عنها فيصير تقديره الآية انما حرم ربي المحرمات وهذا كلام خال عن الفائدة فالجواب
ان كون الفعل فاحشة عبارة عن اشتماله في ذاته على امور باعتبارها يجب النهي عنه فيزول الاشكال ثم سلى المكلفين بالآجال المحدودة
والانفاس المعدودة فقال لكل امة اجل عن ابن عباس والحسن ومقاتل معناه انه تعالى امهل كل امة كذبت رسولها الى وقت معين لا يعذبهم





قيل في تلك ولا يؤخر عنها والمقصود وعيد اهل مكة وقيل معناه ان اجل العمر لا يتقدم ولا يتأخر سواء الهالك والمقتول وقيل معناه ان اجل العمر لا يتقدم
ولا يتأخر واورد على القول الاول انه ليس لكل امة من الامم وقت معين لا يعذبهم في نزول عذاب الاستيصال وعلى الثاني انه كان ينبغي ان يقال
ولكل انسان او واحد اجل ويمكن ان يراد الامة هي الجماعة في كل زمان والمعلوم من حالها التفاوت في الآجال فزال السؤال وليس المراد انه تعالى
لا يقدر على تبقيته ازيد من ذلك ولا انقص ولا يقدر على ان يميته الا في ذلك الوقت لان هذا يقتضي خروجه سبحانه وتعالى عن كونه
قادرا مختارا او صيرورته كالموجب بل انه بلى المراد انه تعالى اختار ان الامر يقع على هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان اقل ما
يستعمل في تقليل الاوقات عرفا والساعة في اصطلاح اهل التنجيم جزء من اربعة وعشرين جزءا من يوم بليلته قيل ان عند حضور الاجل يمتنع عقلا
وقوع ذلك الاجل في وقت المتقدم فما معنى قوله ولا يستقدمون واجيب بان مجيء الاجل محمول على قرب حضور الاجل لقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته
ومع مقاربة الاجل يصح التقدم على ذلك الوقت تارة والتأخر عنه اخرى التأويل قد انزلنا عليكم لباسا هو لباس الشريعة يوارى سوءات الافعال القبيحة
في الظاهر وسوءات الصفات الذميمة والنفسانية والحيوانية باداب الطريقة في الباطن وريشا زينة وجمالا في الظاهر والباطن ولباس التقوى وهو
هو لباس القلب والروح والسر والخفي فلباس القلب من التقوى هو الصدق في طلب المولى يوارى به سوءات الطمع في الدنيا وما فيها ولباس الروح من
التقوى هو محبة المولى فيوارى به سوءات التعلق بغير المولى ولباس السر من التقوى هو رؤية المولى يتوارى بها رؤية غير المولى ولباس الخفي من
التقي بقاؤه بهوية المولى فيوارى بها هوية غير المولى ذلك خير لان لباس البدن بالتقوى وهو الشريعة ولباس القلب بالتقوى هو الحقيقة ذلك
من آيات الله اي نزول الشريعة والحقيقة مما يدل على المولى لا يفتننكم الشيطان بالدنيا وما فيها ولذاتها بغير الهوى فيخرجكم عن جنة الصدق في طلب
الحق كما اخرج ابويكم من الجنة وجوار الحق ينزع عنهما لباسهما من الشرع وذلك نهيهما عن شجرة المحبة ليريهما سوءاتهما من مخالفة الحق وما علما ان في
هذه الصفة ومن جملة سوءاتهما كل كمال ونقصان كان مستورا فيهما فاراهما بعد تناول الشجرة انه يريكم هو وقبيله يعني من الروحانيين الذين لا
صورة لهم في الظاهر فانهم يرون بنظر الملكوت الروحاني من الانسان بعض الافعال التي تتولد عن الاوصاف البشرية كما راوا في ادم وقالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها من حيث لا ترونهم اي انما يرونكم من حيث البشرية التي منشاها الصفات الحيوانية فانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم
لا من حيث الروحانية التي هي منشا علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم في هذا المقام وانتم ترونهم بالنظر الروحاني بل بالنور انا جعلنا الشياطين اولياء
خلقنا مستعدين لتولية امور اهل الغفلة والطبيعة واذا فعلوا فاحشة هي طلب الدنيا وجاهها قالوا انا وجدنا آباءنا على محبة الدنيا وشهواتها
والله امرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يامر بالفحشاء انما امر بالكسب الحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق
العبودية وذلك قوله قل امر ربي بالقسط كما بدأكم لطفا او قهرا تعودون اليه فاهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة واهل القهر الذين
حق عليهم الضلالة يعودون اليه جبرا واضطرارا فيسحبون في النار على وجوههم خذوا زينتكم فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن
الانكسار والخشوع وزينة نفوس العابدين آثار السجود وزينة قلوب العارفين انوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على
البساط بحكم الحرية وكلوا واشربوا في مقام العبدية كما قال ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا تسرفوا بالافراط فوق الحاجة الضرورية والتفريط في حفظ
القوة بحيث يضيع حقوق العبودية زينة الله فزين الابدان بالشرائع وآثارها وزين النفوس بالآداب وقلائدها وزين القلوب بالشواهد وانوارها
وزين الارواح بالمعارف واسرارها وزين الاسرار بالطوالع وآثارها من تصدى لطلب هذه المقامات وهي مباحة له من غير تاخير وقصور
وحظر ومنع والطيبات من الرزق ما لم يكن مشوبا بالحظوظ النفس فهذه الكرامات والمقامات لطلاب السادة في الدنيا مشوبة بشوائب الآفات
النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيامة من هذه الآفات والكدورات كما قال ونزعنا ما في صدورهم من غل الفواحش ما يقطع
على العبد طريق السلوك الى الرب ففاحشة العوام ما ظهر منها ارتكاب المناهي وما بطن خطورها بالبال وفاحشة الخواص ما ظهر منها تتبع ما للانفس فيه
نصيب ولو بذرة وما بطن الصبر على المحبوب ولو بلحظة وفاحشة الاخص ما ظهر منها ترك ادب من الآداب او التعلق بسبب من الاسباب وما بطن الركون
الى شيء في الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغي هو حب غير الله فانه وضع في غير موضعه وان يستغيثوا
بغير الله ما لم يكن فيه رخصة وحجة من الشريعة وان تقولوا بتقوى النفس هواها او بنظر العقل على الله ما لا تعلمون حقيقتها او تقولوا في معرفة الله ذوقا احوال
السائرين ما لستم به عارفين ولكل امة من السائرين الى الله والى الجنة اجل مضروب في الازل وفيه وعد للاولياء واستمالة لقلوبهم ووعيد للاعداء وسياسة لنفوسهم

يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ
ای فرزندان آدم اگر آیند شما را رسولان از شما که بیان کنند بر شما آیات مرا پس آنکه پرهیزکرد و نیکو نمود پس نیست بیمی بر ایشان و نه ایشان اندوهناک شوند و آنانکه
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ
تکذیب کردند آیات ما را و سرکشی کردند از آن آنگروه یاران آتش‌اند ایشان در آن جاویدان پس کیست ستمکارتر از آنکه دروغ گفت بر خدا دروغ را
كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ
یا تکذیب کرد آیات او را آنگروه میرسد ایشان بهره ایشان از کتاب تا چون آمدند ایشان را فرستادهای ما که بمیرانند ایشان را گفتند کجاست آنچه بودید که میخواندید

مِن دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ

الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ

أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا

ع

مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ

السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ

غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ القراءات حتى اذا اداركوا كان يعقوب اذا وقف على اذا ابتدى تداركوا بالتاء سهل مجرى كذلك ... انا قلتم وقالوا الحمد لله واتفق الكسائي
[illegible] في ثنا فلتم اخريهم لاوليهم بالامالة الشديدة ابرهيم بن حماد وحمزة وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو وابرهيم بن حماد اولهم بالامالة اللطيفة اخريهم
بالامالة الشديدة وافق ورش من طريق النجاري هبيرة في اخريهم بالامالة الشديدة فآتهم بضم الهاء رويس وكذلك كل كلمة سقطت الياء لعلة
الاولى ومن يعلمهم لا يعلمون بياء الغيبة ابو بكر وحماد لا تفتح لهم بياء التانيث والتخفيف ابو عمرو وقرأ حمزة وعلي وخلف بفتح بالتحتانية وبالتخفيف الباقون
بتاء التانيث والتشديد غواشي بالياء في الوقف يعقوب وكذلك كل كلمة سقطت الياء لاجل التنوين او لاجتماع الساكنين وهو من مذهب سهل
من طريق ابن دريد ما كنا بغير واو العطف ابن عامر الآخرون بالواو اورثتموها وبابه بادغام الثاء في التاء ابو عمرو وحمزة وعلي وهشام الوقوف
آياتي لا لان الفاء بعده لجواب الشرط ولا هم يحزنون النار ج هم الدون بآياتنا من الكتاب ط يتوفونهم لا لان ما بعده جواب اذا من دون الله ط كافرين
في النار ط اختها ط جميعا لا لما قلنا من النار ط لا تعلمون يكسبون الخياط المجرمين غواش الظالمين وسعها وجعل اولئك خبر الموصول وجه ثنا على
ان قوله لا نكلف نفسا الا وسعها معترض الجنة ج خالدون الانهار ج للعطف مع العارض هدانا الله ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى بالحق لا ابتداء
النداء بانها جئ بعد انتهاء الحمد والثناء على انتهاء عطاء تعملون ۝ التفسير لما بين احوال التكليف وان لكل احد اجلا معينا لا يتقدم ولا يتاخر
بين انهم بعد الموت ان كانوا قد قبلوا الشرائع الحقة فلا خوف عليهم ولا حزن وان كانوا متمردين وقعوا في اشد العذاب فقال يا بني آدم اما
يأتينكم واعرابه مثل ما مر في سورة البقرة فاما يأتينكم مني هدى والراجع محذوف اي من اتقى واصلح منكم وانما قال رسل منكم لان ذلك يكون
اقطع لعذرهم واقرب الى الفهم والانس ومعنى آياتي احكامي وشرائعي الدالة على صحة المبدأ والمعاد ثم فصل شان الجاحدين بقوله فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب بآياته والاول الحكم بوجود ما لم يوجد كاقوال اصناف المشركين وطوائف المبتدعة والثاني انكار حكم وجد من نبي او كتاب
ثم عن عاقبة امرهم فقال اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قيل اي العذاب المعين من سواد الوجه وزرقة العين وقال الزجاج اي انواع البلايا
المعدة لكل صنف منهم من السلاسل والاغلال وغيرها على مقدار ذنوبهم وقيل هم اليهود والنصارى يجب علينا اذا كانوا في ذمتنا ان ننصفهم ولا
نتعدى عليهم وان نذب عنهم فذلك معنى النصيب وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ان النصيب هو ما سبق لهم في حكم الله تعالى ومشيته
من الشقاوة والسعادة والختم على الكفر والشرك او على الايمان والتوحيد وقال الربيع وابن زيد يعني ما كتب لهم من الارزاق والاعمال والاعمار كانه
سبحانه بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم الا ان ذلك ليس بمانع من ان ينالهم ما قدر لهم من رزق وعمر تفضلا من الله تعالى لكي يصلحوا ويتوبوا
ويؤكد هذا التفسير قوله عقيبه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وذلك ان حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وانه ههنا جملة شرطية فدل
على ان مجيء الرسل المتوفين كالغاية لحصول ذلك النصيب يكون مقدما على حصول الوفاة وليس ذلك الا العمر والرزق ومحل يتوفونهم نصب على
الحال من الرسل قال ابن عباس هم ملك الموت واعوانه وانهم يطالبون الكفار بهذه الاشياء عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ وقال الحسن و
الزجاج ان هذا يكون في الآخرة والرسل ملائكة العذاب يتوفونهم عند حشرهم الى النار اي يستكملون عدتهم حتى لا ينفلت منهم احد في

معنى النصيب

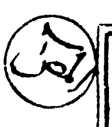


الكشاف وقعت موصولة بما في خط المصحف قلت والى رأيت النقل على العكس كما ذكرنا في المقدمة السابقة من مقدمات الكتاب يعني الالهة
الالهة التي كنتم تعبدونهم وتدعونهم في الشدائد قالوا ضلوا عنا اي غابوا وذهبوا ولم ننتفع بهم وشهدوا
على انفسهم بالاعتراف او بشهادة الجوارح عند معاينة الموت انهم كانوا كافرين ثم شرح بقية احوال الكفار وذلك قوله قال اي الله عز وجل او قال
هو من كلام خازن النار وهذا مبني على انه سبحانه لا يجوز ان يكلم الكفار وان كان كلام سبحانه ادخلوا في امم قبل اي ادخلوا في النار مع امم والاولى ان يلتزم
الاضمار والمجاز والمعنى ادخلوا كائنين في جملة امم تقدم زمانهم زمانكم في النار وفيه دليل على ان اصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة ولكن
فيهم سابق ومسبوق كلما دخلت امة لعنت اختها في الدين والعقيدة فالمشرك يلعن المشرك اليهودي اليهودي والنصراني النصراني وكذا المجوس وسائر
اديان الضلالة نظيرها فلان يلعن غيرها او التي حتى اذا اداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار وادرك بعضهم بعضا واستقر معه قالت اخراهم دخولا في
النار لاولاهم دخولا فيها او اتباعهم وسفلتهم لرؤسائهم وقادتهم والمعنيان متلازمان عندي لان المضل لا بد ان يكون مقدما على الضال في دخول
النار واللام بمعنى لاجل ولاهم وذلك لان خطابهم مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم الفاء للجزاء عذابا ضعفا اي مضاعفا وذلك عذاب الضلال
وعذاب الاضلال بالدعوة الى الباطل وتزيينه في اعينهم والسعي في اخفاء الدلائل قال ابو عبيدة الضعف مثل الشيء مرة واحدة وهو قول الشافعي
في رجل اوصى فقال اعطوا فلانا ضعف نصيب ولدي يعطى مثل نصيبه مرتين وقال الازهري العرب يريد بالضعف المثل الى ما زاد وليس بمقصور على
المثلين بدليل قوله عز من قائل فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا واقل ذلك عشرة لقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها واما الشافعي فقال لان
ذلك متيقن وما فوقه مشكوك قال الله او خازن النار لكل من القادة والاتباع ضعف اما للقادة فلما قلنا واما للاتباع فلانهم عظموهم وقلدوهم
ويجوا امرهم سئل ههنا ان تضعيف العذاب الذي يستحقه الشخص ظلم واجيب في التفسير الكبير بان عذاب الكفار مؤبد فكل ما يحصل فانه يعقبه حصول
الاخر الى غير النهاية فانه هذا لا يختص بصنف من الكفار دون صنف ولا بشخص دون شخص فالبقية البحث والصواب ان يقال معنى تضعيف عذاب
التابع والمتبوع ان ذلك العذاب زائد على مقدار ما يستحقه تلك العقيدة لو حصلت لا من جهته لان الاسم الظاهر يعود الضمير اليه على الغيبة ومن
قرأ على الخطاب فالمعنى لا تعلمون ايها المخاطبون ما لكل منكم من العذاب او لا تعلمون يا اهل الدنيا ما مقدار ذلك وقالت اولاهم لاخراهم اذا
حكم الله بان لكل منا ضعفا فما كان اي فما ثبت لكم علينا من فضل لانكم مؤاخذون بالاتباع كما نحن مؤاخذون بالاستتباع فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون يحتمل ان يكون من قول القادة وان يكون من قول الله تعالى فيهم قال في التفسير الكبير قول القادة ليس لكم علينا فضل كذب لان
الرؤساء لهم عذاب الضلال وعذاب الاضلال والاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية قول الكفار
يوم القيمة والكذب عليهم جائز عندنا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان سلمنا ان الكذب يجوز ان يصدر عنهم يوم القيمة الا ان هذا
الكلام لا يجوز ان يكون كاذبا لانهم بنوا كلامهم على حكم الله سبحانه بان لكل ضعفا ثم ذكر ما يدل على خلودهم في النار فقال ان الذين كذبوا
باياتنا وهي الدلائل الدالة على الذات والصفات والنبوات والمعاد واستكبروا عنها اي ترفعوا عن قبولها لا تفتح لهم ابواب السماء قال ابن
عباس اي لا تفتح لاعمالهم ولا لدعائهم ولا لشيء مما يريدون به طاعة الله تعالى من قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن
قوله ان كتاب الابرار لفي عليين وقال السدي وغيره لا تفتح لارواحهم ابواب السماء التي هي موضع بهجة الارواح واماكن سعادتها كما جاء
في الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ويقال لها ذلك حتى ينتهى
الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعي ذميمة فانه لا تفتح لك ابواب السماء وقيل بناء على ان الجنة في السماء معناه ولا يؤذن
لهم في الصعود الى السماء ولا يطرق لهم اليها حتى يدخلوا الجنة وقيل اي لا ينزل عليهم البركة والخير من قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الولوج الدخول وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة
الى ان طلب معنى آخر تكلف والسم بالحركات الثلث وقد قرئ بها ثقب الابرة وكل ثقب في البدن لطيف ومنه السم القاتل لنفوذه بلطفه
في مسام البدن حتى يصل الى القلب والخياط ما يخاط به قال الفراء خياط ومخيط كازار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع ولما كان جسم الجمل
اعظم الاجسام المشهودة عند العرب كما قال: لا عيب بالقوم من طول ومن عظم ؛ جسم الجمال واحلام العصافير وكان سم الابرة مثلا في ضيق
المسلك حتى قيل اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به في المضايق المشبهة باخرات الابر وقف الله تعالى دخولهم الجنة
على حصول هذا الشرط المحال ليلزم ياسهم من دخول الجنة قطعا فان الموقوف على المحال محال ومثله قول العرب لا افعل كذا حتى يشيب
الغراب ويبيض القار وقرئ الجمل وزن القمل وكذا الجمل بوزن النغر وبمعناه لانه الفلس وانما الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة
والبعير لا يناسبه واهل التناسخ اولوا الاية بان الارواح كانت في الابدان البشرية لما عصت واذنبت فانها بعد موت الابدان ترد
من بدن الى بدن ولا يزال يبقى في التعذيب حتى ينتقل من بدن الجمل الى بدن الذرة فينفذ في سم الخياط وحينئذ يصير مطهرة من تلك
الذنوب فتدخل الجنة وتصل الى السعادة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين قيل هم الكافرون المكذبون المستكبرون
المار ذكرهم وقيل يدخل فيه الفساق بشرط عدم التوبة عند المعتزلة وبشرط عدم العفو عند الاشاعرة ثم لما بين انهم لا يدخلون الجنة ذكرهم

معنى الضعف



يدخلون النار فقال لهم من جهنم مهاد اى فراش ومن فوقهم غواش هى جمع غاشية وهى كل ما يغشاك اى يجللك والمراد الاخبار عن احاطة النار
بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف والتنوين فى غواش مثلها فى جوار اعنى انها للتمكن عند بعض لانه بعد حذف يائه لم
يبق على زنة مساجد والعوض عند بعض اما عن الياء او عن اسكان الياء وكذلك نجزى الظالمين هم المشركون او الفسقة الذين ظلموا
انفسهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها وقد مر تفسيره فى آخر سورة
البقرة اعتراض بين المبتدأ وخبره وليس باجنبى والا لم يحسن وفيه تنبيه للمقصرين على ان الجنة مع عظم قدرها يحصل بالعمل السهل من غير حرج
وصعوبة فبعدا لمن فاته وسحقا ومن جعله خبرا فالعائد محذوف اى لا نكلف نفسا منهم ثم وصف اخلاق اهل الجنة فقال ونزعنا ما فى صدورهم
من غل نزع الشيء قلعه من مكانه والغل الحقد والتركيب يدور على الاخفاء ومنه الغلول كما مر فى تفسير قوله وما كان لنبى ان يغل وللآية تفسيران الاول
ازلنا الاحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فى دار الدنيا بتصفية الطباع واسقاط الوسواس ومنعه من ان يرد على القلوب فان الشيطان مشغول
بالعذاب فلا يتفرغ لالقاء الوسواس فلم يكن بينهم الا التوادد والتعاطف عن على كرم الله وجهه انى لارجو ان اكون انا وعثمان والزبير منهم الثانى
ان درجات اهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقص فالله تعالى ازال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب
الدرجة الكاملة فيكون هذا فى مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبرى بعض اهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا وليس هذا ابلغ ولا ابعد من حال اهل
الجنة فان اولياء الله تعالى فى دار الدنيا ايضا بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى ونور عنايته وهذا شأن كل منكم فقد قنع بما حصل له من نعيم الدنيا
وطيبا نفسا لا يميل طبعه الى زوجه وكل هذا نتيجة ملكة الرضا بالقضاء والتسليم لامر رب الارض والسماء فيموتون كذلك ويحشرون على ذلك وفقنا الله
لنيل هذا المقام بكرمه واولئك الكرام تجرى من تحتهم الانهار وهذه من جملة اسباب التنزه والتزهر ان اجرى على ظاهره ومن جملة السعادات لو وقعا
ان اريد بها انواع المكاشفات واصناف التجليات وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا النعيم والفوز العظيم المقيم والفوز العظيم بان يسر الاسباب
وخلق الدواعى ومنع الصوارف او بان اعطى العقل ونصب الادلة وازاح العلة وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله من قرأ بواو العطف فظاهر
ومن حذف الواو فلانها جملة بقرب معناها من معنى الاولى وكأنها بقربها فلا حاجة الى العطف المؤذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك
قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فجعلوا واسطة لهدايتنا او لطفا وتنبيها يقولون ذلك فيما بينهم سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم
به لا تقربا وتعبدا فان الجنة ليست دار التكليف ونودوا ان تلكم بانه تلكم الجنة والضمير للشأن والحديث ويجوز كونه بمعنى اى لان النداء
فى معنى القول وانما قيل تلكم لانهم وعدوا بها فى الدنيا وكانه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز ان يكون التبعيد للتعظيم ومعنى اورثتموها
صارت اليكم ميراثا كما يصير الميراث الى اهله قد يستعمل الارث ولا يراد به زوال الملك عن الميت الى الحى كما يقال هذا الفعل يورثك الشرف او
العار وقيل اعطوا تلك المنازل من غير تعب فى الحال فصار شبيها بالميراث وقيل ان اهل الجنة يرثون منازل اهل النار لما روى ان رسول الله صلى
الله عليه وآله قال ليس من مؤمن ولا كافر الا له فى الجنة والنار منزل فاذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم
فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا اهل الجنة ورثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين اهل الجنة منازلهم قالت المعتزلة قوله بما كنتم تعملون
يدل على ان الموجب للجزاء هو العمل لا التفضل وقال غيرهم لما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة بفضله وجعل العمل امارة
على ذلك والمنادى هو الله جل وعلا او الملك الموكل بذلك والله تعالى اعلم التأويل يا بنى آدم اما يأتينكم رسل الالهامات من انفسكم من
طريق قلوبكم واسراركم وفيه ان بنى آدم كلهم مستعدون لاشارات الحق والالهامات والمقامات افترى على الله كذبا بان يقول اكرمنى الله بالكرامات والمقامات ولم يعط
او كذب بمقامات اعطاها بعض اوليائه اولئك ينالهم نصيبهم من الشقاء الذى كتب لهم حتى اذا جاءتهم رسل الالهامات الالهية والواردات
الربانية بعد ان كان هائما فى تيه البشرية يتوفونهم بجذبات الالطاف الالهية عن الاوصاف البشرية قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله
من الدنيا وشهواتها وشهدوا هؤلاء المجرمون المجرمون انهم كانوا ساترين الحق بالباطل فهداهم الله تعالى ثم قال لاهل الخذلان ادخلوا
فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس وقدم الجن لان الله تعالى خلق اولا بنى الجان منهم مؤمن ومنهم كافر فلما استولى اهل الكفر منهم
بعث اليهم جندا من الملائكة وقيل رئيسهم ابليس فاستأصلوهم ثم خلق آدم وذريته منهم مؤمن ومنهم كافر كلما دخلت امة فى اعمال اهل النار
لعنت اختها المتقدمة فى تلك الاعمال لانهم سبقوها حتى اذا اداركوا فى الاعمال الموجبة للنار عذابا ضعفا لان من سن سنة فله وزرها
ووزر من عمل بها لكل ضعف لان المتأخر ايضا متقدم الذى يتلوه ويستن بسنته ولكن لا يعلمون انكم متقدمون لمتأخريكم فما كان لكم علينا من فضل
لانكم سننتم لمتأخريكم كما سننا لكم لا تفتح لهم ابواب سماء القلوب الى الحضرة ولا يدخلون جنة القربة والوصلة حتى يدخل جمل النفس المتكبرة فى سم خياط
احكام الشريعة وآداب الطريقة حتى يصير بالتربية فى ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ما سوى الله ادق من الشعر بالف مرة فيلج فى سم خياط
الفناء فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزى المجرمين الذين صار انفسهم فى جمل الاولى كالجمل لهم من جهنم المجاهدة والرياضة فراش ومن فوقهم من مخالفات
النفس وقمع الهوى لحاف فتذيبهم وتحرق انانيتهم لا نكلف نفسا الا وسعها فى نوع عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعمل حتى تيسر عليهم العبودية بحسن التوفيق
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم



حزب

ع

فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ

پس صلا در دهند کننده در میان ایشان که لعنت خدا باد بر ستمکاران آنان که باز دارند از راه خدا و بخواهند از راه کجی و ایشان با سرای آخرت کافر اند

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا

و در میان ایشان پرده ایست و بر اعراف مردانی اند که می‌شناسند هر یکی را بعلامت ایشان و آواز دهند یاران بهشت را که درود باد بر شما نرفته باشند آنجا

وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

و ایشان طمع دارند و چون برگردد دیده ایشان بجانب یاران آتش گویند که پروردگارا مگردان ما را با گروه ستمکاران

وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ

و صدا زنند یاران اعراف مردانی را که می‌شناسند ایشان را برخسار ایشان گویند که دفع نکرد از شما جمعیت شما و آنچه بودید که گردنکشی میکردید آیا اینهایند آنان

أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ

که سوگند یاد کردید که نرسد ایشان را رحمت خدا درآیید در بهشت ترسی نیست بر شما و نه شما اندوهناک شوید و گویند یاران آتش یاران

الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ

بهشت را که بریزید بر ما از آب یا از آنچه روزی کرد شما را خدا گویند که بدرستی که خدا حرام کرد اینها را بر کافران آنان که فرا گرفتند دین خود را

لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ

لغو و بازیچه و فریب داد ایشان را زندگانی دنیا پس امروز فراموش کنیم ایشان را چنانکه فراموش کردند دیدار چنین روز را و آنچه که بودند که بآیات ما انکار میکردند

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ

و هر آینه آوردیم ایشان را کتابی که ظاهر کردیم آنرا بدانش خود براستی و رحمت از برای گروهی که ایمان میآورند چشم ندارند مگر تاویل او را

يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ

روزی که بیاید تاویل او گویند آنها که فراموش کردند آنرا از پیش بتحقیق آوردند پیغمبران پروردگار ما براستی پس آیا از برای ماست از واسطها

فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ القراءة نعم

پس شفاعت کنند از برای ما یا برگردیم پس بجا آریم غیر آنچه را که بودیم میکردیم هر آینه زیان کردند نفسهای خود را و رفت از ایشان آنچه بودند که افترا می‌بستند

بكسر العين حيث كان على الباقون بالفتح موذن بغير همز البخاري عن ورش بن يزيد والشموني وحمزة في الوقف ان مخففة لعنة الله بالرفع عاصم وابو عمرو وابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون مشددة وبالنصب الوقوف حقا لانتهاء الاستفهام نعم للعطف مع الابتداء بالتاذين على التعظيم الظالمين لان الذين صفتهم عوجا لاحتمال الواو الاستيناف والحال كافرون لان ما بعده لم يدخل في التاذين ولا يجوز ان يكون حالا لتناقض حال الفئتين واتفاق الجملتين بسيماهم يطمعون اصحاب النار لان بعده جواب تلقاء الظالمين تستكبرون برحمة لتناهي الاستفهام والاقسام يحزنون رزقكم الله الكافرين الحيوة الدنيا للابتداء مع فاء التعقيب هذا وما مصدرية كما نسوا والتقدير تنساهم نسيانهم وجحودهم يجحدون يؤمنون الا تاويله بالحق لابتداء الاستفهام مع الفاء للتعقيب كنا نعمل يفترون التفسير لما شرح وعيد الكفار وثواب الابرار اتبعه المناظرات التي تدور بين الفريقين فقال ونادى وانما ذكره بلفظ الماضي لان المستقبل الذي يخبر الله تعالى عنه موجب للتحقق وقوعه كالماضي والظاهر ان هذا النداء انما يكون بعد الاستقرار في الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها قيل الجنة في اعلى السموات والنار في اسفل الارض ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء واجيب بان البعد الشديد والقرب القريب عندنا ليس من موانع الادراك ولو سلم المنع في الشاهد فلم نسلم في الغايب وهذا النداء يقع من كل اهل الجنة لكل اهل النار لان اصحاب الجنة واصحاب النار يفيد العموم لكن الجمع اذا قرن بالجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار وان في ان وجدنا مخففة من الثقيلة كما في قوله ان تلكم الجنة وكذا قوله ان لعنة الله لان النداء والتاذين في معنى القول قال ابن عباس وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب في الدنيا حقا صحيحا مطابقا للواقع فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا والغرض من هذا الاستفهام اظهار البشاشة والاغتباط وايقاع الحزن في قلب العدو وفي هذه الحكاية لطف للمؤمنين وترغيب كما في سائر الاخبار وانما حذف المفعول في وعد ربكم لدلالة المفعول في وعدنا عليه ولان كونهم مخاطبين من قبل الله تعالى بهذا الوعد يوجب مزيد التشريف وانه لا يليق الا بحال المؤمنين ويحتمل ان يكون الاطلاق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة قالوا نعم قال سيبويه نعم عدة وتصديق اي يستعمل تارة تصديقا فاذا قال قد كان كذا وكذا فقلت نعم فقد صدقت والحاصل ان نعم للتصديق في الخبر والتحقيق في الاستفهام مثبتين كانا او منفيين ولو قيل قام زيد او اقام زيد فتقول نعم كان معناه نعم قام زيد والم يقم زيد فقلت نعم كان المعنى ما قام زيد مصدقا او محققا ومن ثم قال ابن العباس لو قالوا في جواب الست بربكم نعم لكان كفرا هذا من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقول الفقهاء لو قيل اليس لي عليك دين فقلت نعم التزمت الدين بناء على العرف الطاري

بعد الوضع وكانه تكسر العين من نعم وروى عن عمر انه سئل قوما عن شيء فقالوا نعم فقال عمر اما النعم فالابل قولوا نعم وانكر هذه الرواية ابو عبيدة فأذن
مؤذن قال ابن عباس هو الملك صاحب الصور يأمر الله فينادي نداء يسمع اهل الجنة واهل النار ومعنى التأذين بالنداء والتصويت للاعلام بالصلوة
ويبغونها والظالمون في الآية قيل عام للكافر والفاسق والظاهر انهم الكفار لان الصد عن سبيل الله اي المنع عن قبول الدين الحق بالقهر او بالحيلة و
القاء الشكوك والشبهات في الدلائل وهو المراد بقوله ويبغونها عوجا وقد مر في آل عمران والكفر بالآخرة كلاهما من اوصاف الكفرة وانما قدم
بالآخرة تصحيحا لفواصل الآي او لئن دلفظة هم هنا على القياس واما في سورة هود فلما تقدم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم قال الا لعنة الله
على الظالمين ولم يقل عليهم والقياس ذلك لئلا يلتبس انهم هم ام غيرهم فكرر ليعلم انهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف اهل الجنة والنار فقال
وبينهما يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين حجاب هو السور المذكور في قوله سبحانه فضرب بينهم بسور له باب قيل اي حاجة الى ضرب هذا السور
والجنة فوق السموات والجحيم في اسفل سافلين واجيب بانه مع بعد احدهما عن الآخر لا يمتنع ان يكون بينهما سور وحجاب والاعراف لغة جمع عرف بالضم وهو
الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه والاعراف في الآية يفسر بالمكان
تارة وبغيره اخرى اما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الاعراف اعالي السور المضروب بين الجنة والنار روي ذلك عن ابن عباس
وعنه ايضا ان الاعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير فالذين هم على الاعراف من هم فيه قولان احدهما انهم اقوام يكونون في الدرجة العليا
من الثواب ثانيهما انهم في الدرجة النازلة وعلى الاول فيه وجوه فقال ابو مجلز هم ملئكة يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل له يقول الله تعالى
وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملئكة فقال الملئكة ذكور لا اناث ويرد عليه ان الرجل لغة يطلق على من يصلح ان يكون من نوعه انثى بل
يطلق على الذكر من بني آدم وقيل انهم الانبياء عليهم السلام اجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالي اظهارا لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين
مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل انهم الشهداء وعلى القول الثاني فقيل انهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم اوقفهم الله على
هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم يؤول عاقبة امرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل قال حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء
وخصصه بعضهم فقال هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن آبائهم فاستشهدوا فتساوت معصيتهم وطاعتهم وفي هذا التفسير نظر قال عبد الله بن
الحرث انهم مساكين اهل الجنة وقال قوم هم الفساق من اهل الصلوة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف واما الذين فسروه بغير المكان وهو قول
الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى وعلى معرفة اهل الجنة والنار رجال يميزون البعض من البعض اما بالالهام او بتعريف الملائكة قال الحسن والله لا
ادري لعل بعضهم الآن معنا وعلى جميع التفاسير فهم يعرفون اهل الجنة واهل النار قال قوم يعرفون اهل الجنة بكون وجوههم ضاحكة
مستبشرة وبيضة واهل النار بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وزيف بان هذا النوع من المعرفة عام لاهل المحشر فلا وجه لتخصيص اصحاب الاعراف
بذلك ويمكن ان يقال ان معرفتهم لكونهم على الاماكن المرتفعة اتم قال المحققون انهم كانوا يعرفون اهل الخير والايمان والصلوة واهل الشر والكفر
والافساد وهم كانوا في الدنيا شهداء الله على اهل الايمان والطاعة وعلى اهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجلسهم على الاعراف ليكونوا مطلعين على الكل
يشهدون على كل احد بما يليق به ثم قال ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على اهلها ثم اخبر على سبيل الاستيناف
ان اهل الاعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون كأن سائلا سأل عن حالهم او على تقدير اخرى لرجال فان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف فيكون الله تعالى
اخر ادخالهم الجنة ليطلعوا على احوال الجنة والنار ثم انه تعالى ينقلهم الى الدرجات العلى في الجنة كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان اهل
الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في وسط السماء وان ابا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتيقنون كقول ابراهيم والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ولا يخفى ما في هذا القول من حسن الادب وان قلنا اصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال لانهم يطمعون من فضل
الله واحسانه ان ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قال الواحدي التلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة
وهو في الاصل مصدر استعمل ظرفا وقد مر انه من المصادر على تفعال بالكسر لا غير فان تبيان وتلقاء وانه في الاسم كثير كتمثال وتقصار والمعنى انه كلما
وقعت ابصار اصحاب الاعراف على اهل النار تضرعوا الى الله تعالى انه لا يجعلهم من زمرتهم وفي بناء الفعل للمفعول وان لم يقل واذا ابصروا فائدة هي
ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويتحققوا ثم بين ان اصحاب الاعراف ينادون رجالا من رؤساء اهل النار واستغنى عن التصريح بهم بوصفهم
بما لا يليق الا بهم فقال ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون
عن الحق وعلى الناس وفيه تبكيت للمخاطبين وشماتة بهم ثم زادوا في التبكيت مشيرين الى فريق من اهل الجنة كانوا يستضعفونهم ويستقلون احوالهم
وربما استهزؤا بهم وانفوا من مشاركتهم في دينهم لقلة حظوظهم من الدنيا فقالوا اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اما قوله ادخلوا
الجنة الى آخر الآية فمن قول الله تعالى لاصحاب الاعراف او من قول الملئكة لهم بامره او من قول بعضهم لبعض وذلك بعد ان يحبسوا ويحبسوا
يقولوا قال المفسرون ان الرجال منهم الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمي ونظراؤهم وكانوا يقولون ان بلالا وسلمان
وعمارا وامثالهم لا يدخلهم الله الجنة ويدخلنا النار كلا والله ان الله لا يفضل علينا احدا منا ورعاننا اقسموا ان لا يجعلهم يفضل دونهم فناداهم
اصحاب الاعراف ثم ختم المناظرين بقوله ونادى اصحاب النار قال ابن عباس لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار بفرج بعد اليأس



فقالوا



فقالوا ربنا ان لنا قرابات من اهل الجنة فائذن لنا حتى نريهم ونكلمهم فامر الله بالجنة فزخرفت ثم نظر اهل جهنم الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم فنظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا اخر فنادى اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم وقالوا أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ طلبوا الماء او لا لما في بواطنهم من الاحتراق الشديد وفي الافاضة نوع دلالة على ان اهل الجنة اعلى مكانا من اهل النار قال بعض العلماء انهم سألوا ذلك مع جواز الحصول وقال اخرون بل مع الياس لانهم عرفوا دوام عقابهم ولكن الايس من الشيء قد يطلبه كما يقال في المثل الغريق يتعلق بالزبد وان علم انه لا يغنيه قوله أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قيل اي سائر الاشربة لدخوله في حكم الافاضة وقيل اي من الثمار او الطعام والمراد والقوا علينا من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا فيكون في الاية دليل على نهاية عطشهم وشدة جوعهم ثم كان لسائل ان يسأل فماذا اجابهم اهل الجنة فقيل قالوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ اي منعهم شراب الجنة وطعامها كما تمنع المكلف ما يحرم عليه وهذه نهاية الحسرة والخيبة اعاذنا الله منها ثم وصف هؤلاء الكافرين بانهم الَّذِينَ اتَّخَذُوا لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ وقد مر تفسير الوصفين في اوسط سورة الانعام وقال ابن عباس يريد المستهزئين المقتسمين وجملة الامر ان الانسان يطمع في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه فلشدة رغبته في هذه الاشياء يصير محجوبا عن طلب الدين غريقا في بحر الدنيا ومشتهياتها ثم ذكر جزاءهم يوم القيمة على سبيل الحكاية فقال فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ اي نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا قال الحسن ومجاهد والسدي والاكثرون قيل اي نعاملهم معاملة من نسي تركهم في النار كما فعلوهم في الاعراض عن آياتنا فسمي جزاء النسيان نسيانا كقوله وجزاء سيئة سيئة والحاصل انه لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلهم عن ابي الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عذابهم فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة ثم يذكرون الشراب فيستغيثون الى اهل الجنة كما في هذه الاية فيقول اهل الجنة إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ويقولون لمالك ليقض علينا ربك فيجيبهم على ما قيل بعد الف عام انكم ماكثون ويقولون ربنا اخرجنا منها فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فعند ذلك ييأسون من كل خير ويأخذون في زفير وشهيق وعن ابن عباس في صفة اهل الجنة انهم يرون الله عز وجل في كل جمعة وينزل كل واحد منهم الف باب فاذا رأوا الله تعالى دخل من كل باب ملك معهم الهدايا الشريفة وقال ان نخل الجنة خشبها الزمرد وقوائمها الذهب الاحمر وسعفها حلل وكسوة لاهل الجنة وثمرها امثال القلال اشد بياضا من الفضة والين من الزبد واحلى من العسل لا عجم فيها فهذه صفة الفريقين من القرآن والحديث فاذهب لايهما شئت والله الموفق ولما شرح الله تعالى حال الطائفتين والمناظرات الجارية بينهم لتكون حاملا للمكلف على الحذر من موجبات النار وعلى الرغبة في مستتبعات الجنة بين شرف هذا الكتاب الكريم وغاية منافعه الجليلة فقال جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ ميزنا بعضه عن بعض تمييزا يهدي الى الرشاد ويؤمن من الغلط والتخابط وانما فعلنا ذلك لا كيفما اتفق بل عَلَىٰ عِلْمٍ بما في كل فصل من تلك الفصول من الفوائد الكثيرة والمنافع العزيزة حتى جاء بريئا من كل خلل وقدح ومعجزا باقيا على وجه الدهر وقوله هُدًى وَرَحْمَةً حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه ويحتمل ان يكونا مفعولا لهما لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لان فائدته تعود اليهم ثم لما بين ازاحة العلة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب فقال هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع وكيف ينتظرون مع جحدهم وانكارهم الجواب لعلهم انما تشككوا وتوقفوا لهذا السبب انتظروه وايضا انهم كانوا جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين من حيث ان تلك الاحوال تاتيهم لا محالة قال الفراء الضمير في تأويله للكتاب اي عاقبة امره وما يؤول اليه من بيان صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد او عاقبة ما وعد وابهم على السنة الرسل من الثواب والعقاب والتأويل مرجع الشيء ومصيره من قولهم آل الشيء يؤول يَوْمَ يَأْتِي يريد يوم القيمة وانتصابه على الظرف بيقول ومعنى نَسُوهُ تركوا العمل به والايمان او انهم صاروا في الاعراض عنه بمنزلة من نسيه قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ اي ملتبسين بما هو الحق والباء للتعدية والمراد اعترافهم بثبوت الحشر واحوال القيمة واهوالها اذا عاينوها فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا منصوب باضمار ان بعد الفاء والتقدير هل يثبت لنا شفيع فيشفع أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ فنوحد الله تعالى بدلا عن الشرك ونطيعه بدلا عن المعصية وفيه دليل على ان اهل الاخرة لا تكليف لهم خلافا للنجار ومن تبعه والا لم يسألوا الرد الى دار التكليف ولم يتمنوه بل كانوا يتوبون في الحال ثم يحكم بان ذلك التمني لا يفيدهم شيئا وان مطلوبهم لا يكون البتة قال قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ اي لا ينتفعون بالاصنام التي عبدوها في الدنيا وليس تفيدهم نصرة الاوثان وان بالغوا في نصرها التأويل نادى اهل الجنة اهل القطيعة ان قد وجدنا ربنا حقا يعني قوله الا من طلبني وجدني فهل وجدتم ما وعده ربكم حقا وهو قوله ومن طلب غيري لم يجدني فاذن مؤذن العزة والعظمة على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب في غير موضع مطلوبه الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله وطلبه ويطلبون صرف وجوههم الى الدنيا وما فيها وما بينهما حجاب من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى اهل النار اهل الجنة وبين اهل الله وهم اصحاب الاعراف حجاب من الاوصاف الخلقية والاخلاق الحميدة الروحانية وسميت اعرافا لانها موطن اهل المعرفة وسموا رجالا لانهم بالرجولية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال في النساء ولا يتصرف فيهم شيء منه فالاعراف مرتبة فوق الجنان في حظائر القدس عند الرحمن يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النيران بسيماهم من آثار نور القلب وظلمته وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يعني هنيئا لكم ما انتم فيه من

الجنة واهلها

النعيم والحور والقصور ثم اخبر عن حال اهل الاعراف فقال لم يدخلوها اى الجنة ونعيمها ولم يلتفتوا الى غير المولى وهم يطمعون فى الوصول الى الحق سبحانه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ابتلاء ليعرفوا انه تعالى من بئر دركة خلصهم وباى كرامة خصصهم ومن هذا القبيل يكون ما سنح لارباب الكمالات من الخواطر النفسانية يعرفونهم بسيماهم يعنى اهل الجنة واهل النار ما اغنى عنكم جمعكم يا اهل الجنة واهل الله من الطاعات ويا اهل النار من الدنيا والشهوات وما كنتم تستكبرون عن السير فى حقيقة لا اله الا الله اهؤلاء الذين اقسمتم يعنون من المؤمنين والعلماء بعلم الظاهر فى بعض الاوقات من يقول الدناة حينئذ لاهل المحبة والمعرفة لا ينالهم الله برحمة الوصول ادخلوا الجنة يعنى الجنة المضافة اليه فى قوله ادخلى جنتى فى حظائر القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج ولا انتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ فزتم بشهود جمالنا واعلم ان اهل الله خطائر القدس وسرادق العزة انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فافهم يحكى عن ابى جعفر الابهرى انه دخل على ابى طاهر الهمدانى فقال اين كنت فانى حضرت البارحة مع الخواص على باب الله فما رايتك ثمة فقال يا ابا طاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الاخص فرايتك افيضوا علينا من الماء كانوا فى الدنيا عبيد البطون حراصا على الطعام والشراب فاتوا على ما عاشوا وحشروا على ما ماتوا وان اهل الجنة لما جوعوا بطونهم لولية الفردوس كان اشتغالهم فى الجنة بشهوات النفس المضايفة فقالوا ان الله حرمهما على الكافرين وفى الحقيقة انما حرمهما عليهم فى الازل فلم يوفقوا لما تورث الجنة هل ينظرون الا تاويله اى ما يؤول اليه عاقبة شانهم فللمؤمنين كشف الغطاء ولاهل الجحود الفرقة والانقطاع وعذاب النار اعاذنا الله تعالى منه

ع

إِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ

بدرستی که پروردگار شما خدائیست که بیافرید آسمانها و زمین را در شش روز پس جای گرفت بر عرش میپوشاند شب را بروز طلب کننده آنرا

حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا

بشتاب و آفتاب و ماه و ستارگان منقادند بفرمان او آگاه باش که مر او راست آفرینش و فرمان بزرگوارست خدا پروردگار جهانیان بخوانید پروردگار خود را بزاری

وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّٰهِ قَرِيبٌ

و در پنهان بدرستی که او دوست ندارد در گذرندگان را و فساد مکنید در زمین پس از اصلاح آن و بخوانید خدا را از بیم و امید بدرستی که رحمت خدا نزدیکست

مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتّٰى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ

از نیکوکاران و اوست آنکه میفرستد بادها را مژده دهنده در پیش رحمت خود تا چون بر دارند ابر گرانبار را راندیم آنرا

لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتٰى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

بسوی شهری مرده بجایگاه پس فرو فرستادیم بان آب را پس بیرون آوردیم بان از هر میوه همچنین بیرون آریم مردگان را شاید شما پند گیرید

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ

و زمین پاکیزه بیرون آید روئیدنی آن بفرمان پروردگارش و آنکه ناپاکست بر نیاید مگر اندکی همچنین بگردانیم آیات را برای گروهی سپاس گذار

القراءة يغشى بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب غير روح والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع ابن عامر الآخرون بالنصب الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف نشرا بالنون وسكون الشين حمزة وعلى وخلف ابو زيد عن المفضل وبضم الباء الموحدة والشين الساكنة عاصم غير ابى زيد الباقون بضم النون والشين ميت بالتشديد ابو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وحفص والمفضل تذكرون بتخفيف الكاف يزيد الآخرون بكسرها الوقوف حثيثا لمن قرأ والشمس وما بعده مرفوعات بامره والامر العالمين وخفية المعتدين للعطف مع الآية وطمعا المحسنين رحمته الثمرات تذكرون باذن ربه للابتداء مع العطف نكدا يشكرون التفسير لما بالغ سبحانه فى تقرير امر المعاد عاد على عادته الى بيان المبدأ وهو ذكر الدلائل الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم تاكيدا للمعاد والمعنى ان الذى يربيكم ويصلح شانكم ويوصل اليكم الخيرات ويرفع عنكم المكاره هو الذى بلغ كمال قدرته وعلمه وحكمته ورحمته الى حيث خلق هذه الاجسام الجسام واودع فيها انواع المنافع واصناف الفوائد وكيف يليق ان يرجع الى غيره فى طلب الخيرات و يعول على غيره فى تحصيل السعادات قال علماء الادب اصل ست سدس بدليل سداس واسداس ثم ان العرب كانوا يخالطون اليهود فالظاهر انهم سمعوا بعض اوصاف الخالق منهم فكانه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذى اسمعكم من عقلاء الناس انه بانه هو الذى خلق السموات والارض على غاية عظمتها ونهاية جلالتها فى ستة ايام قيل انه تعالى كان قادرا على ايجادها دفعة واحدة فما الفائدة فى ذكر انه خلقها فى ستة ايام فى اثناء ذكر ما يدل على وجود الصانع واجيب بانه اراد ان يعلم عباده الرفق والتانى فى الامور والصبر فيها كيلا يحمل المكلف تاخير الثواب والعقاب على التعطيل من العلماء من قال ان الشئ اذا احدث دفعة واحدة ثم انقطع الاحداث فلعله يخطر ببال بعضهم ان ذلك انما وقع على سبيل الاتفاق اما اذا احدثت الاشياء على التعاقب والتواصل مع كونها مطابقة للحكمة والمصلحة كان ذلك اقوى فى الدلالة على كونها واقعة باحداث محدث حكيم عليم قادر رحيم وايضا ثبت بالدليل انه تعالى يخلق العاقل اولا ثم يخلق السموات والارض بعده لان خلق ما لا ينتفع فى الحال يجرى الى العبث ثم ان ذلك العاقل مهما كان واجبا اذا شاهد فى كل ساعة وحين حدوث شئ اخر على سبيل التعاقب والتوالى كان ذلك اقوى فى افادة اليقين لانه يتكرر على عقله ظهور هذه الدلائل لحظة فلحظة واما تقدير المدة بستة ايام فلا يرد عليه اشكال لان السؤال يعود على اى مقدار فرض وقيل



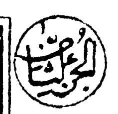
ان لعدد السبعة شرفا عظيما ولهذا اختصت ليلة القدر بالسابع والعشرين فالايام الستة للتخليق والسابع لتحصيل كمال الملك والملكوت فان قيل
كيف يعقل حصول الايام قبل خلق الشمس التي بها تقدير لان منها بطلوعها وغروبها فالجواب ان المراد خلق السموات والارض في مقدار ستة ايام كقوله ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا والمراد مقدار البكرة والعشي في الدنيا لانه لا صباح عند الله ولا مساء وعن ابن عباس ان هذه الايام ايام الآخرة كل يوم الف سنة مما
تعدون والاكثرون على انها ايام الدنيا لان التعريف بها انفع والظاهر انها الايام بلياليها لا النهار ويقول يمكن ان تحمل الايام الستة على الاطوار
الستة على الاطوار الستة التي للاجسام الهيولى والصورة والجسم البسيط ثم المركب المعدني والنباتي والحيواني والله تعالى اعلم بمراده اما قوله سبحانه
ثم استوى على العرش فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها ان استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب
الذي يلي العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لا محالة الى مخصص فلا يكون واجبا وللقائل ان يقول لم لا يجوز
ان يكون الاله تعالى نورا غير متناه ويراد استقراره على العرش لا تناهيه احاطته به من الجوانب ونفوذه في الكل لا كاحاطة الفلك الحاوي بالمحوي
ولا كنفوذ النور المحسوس في الشرف بل على نحو آخر تعوده العبادة ومنها انه تعالى لو كان في مكان وجهة لكان اما ان يكون غير متناه من كل الجهات
او متناهيا من بعضها دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاطه بجميع الاجسام حتى القاذورات ومع ذلك فالشيء الذي محل السموات اما ان يكون عين الشيء
الذي هو محل الارض او غيره وعلى الاول يلزم ان يكون السماء والارض حالين في محل واحد فهما شيء واحد لا شيئان وعلى الثاني يلزم التركيب
والتجزية في ذاته تعالى واما ان كان متناهيا من الجهات فلو حصل في جميع الاحياز فهو محال بالبديهة ولو حصل في حيز واحد فلو كان جوهرا فردا
لزم ان يكون واجب الوجود احقر الاشياء والا لزم التبعيض لان جهة الفوق منه يكون مغايرة لمقابلها وكذا الكلام فيه ان كان متناهيا من
بعض الجهات ولو جاز ان يكون الشيء المحدود من جانب وجوانب قديما ازليا فاعلا للعالم فلم لا يجوز ان يقال فاعل العالم هو الشمس او القمر او كوكب
آخر وايضا يصح على الشق المتناهي ان يكون غير متناه وعلى غير المتناهي ان يكون متناهيا لان الاشياء المتساوية في تمام الماهية كل ما صح على واحد منها
صح على الباقي فيصح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفريق والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما وللقائل ان يقول انه غير متناه
ولا يلزم من ذلك ان يكون محلا للعالم ولا حالا فيه واستصحاب الشيء للمحل غير كونه نفس المحل او مفتقرا الى المحل وحديث اختلاطه بالقاذورات تخييل
لا اصل له عند الرجل البرهاني ومنها انه لو كان الباري تعالى ازليا ومحال ان يكون ما سوى الواجب ازليا وان لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض
ظرفا لغيره ومشارا اليه بالحس وذلك باطل واعترض بان ذلك ايضا وارد عليكم في قولكم الجسم حاصل في الحيز والجهة واجيب بان مكان الجسم عندنا
عبارة عن السطح الظاهر من الجسم المحوي وهذا المعنى بالاتفاق في حق الله محال فسقط الاعتراض وللقائل ان يقول الجهة مقطع الاشارة الحسية
وهذا في حقه محال لعدم تناهيه لا يجوز ان يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو لزم هناك لزم في الاجسام ايضا بل لا بعد هناك ولا
امتداد ولو فرض فلن يلزم منه الانقسام في الخارج ومنها انه لو امتنع وجود الباري تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة
في تحققها ووجودها الى غيره فيكون ممكنا والجواب ما مر من ان استصحاب المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة لا معنى له الا الفراغ
المحض لان هذا المفهوم واحد فالاحياز باسرها متساوية في تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل
ما كان فعل الفاعل المختار فهو محدث وكل ما لا يخلو عن الحادث فهو اولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف وللقائل ان يقول ما لا يتناهى لا يعقل
له حيز معين ولو فرض لا تناهي الاحياز ايضا فافتقاره اليها ممنوع وكيف يفتقر الشيء الى ما تأخر وجوده عن وجود ذلك الشيء والمعينية بعد ذلك
لا تضر ومنها لو كان في الحيز والجهة لكان مشارا اليه بالحس ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التجزي والا كان نقطة او جوهرا فردا فلا يبعد ان
يقال ان اله العالم جزء من الف جزء من راس ابرة ملتصقة بذنب نملة او نملة وللقائل ان يقول لا نسلم ان كونه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة
يستلزم كونه مشارا اليه حسا فان العقل يعجز عن ادراكه فضلا عن الحس وباقي الكلام لا يستحق الجواب ومنها كل ذات قائمة بالنفس يشار اليها بحسب
الحس فلا بد ان يكون جانب يمينه مغايرا لجانب شماله فيكون منقسما وكل منقسم مفتقر ممكن قالوا هذا الدليل مبني على نفي الجوهر الفرد ومنها لو كان
في حيز لكان اما اعظم من العرش او مساويا او اصغر منه والثالث باطل بالاجماع والاولان يستلزمان الانقسام لان المساوي للمنقسم منقسم
كذا الزائد عليه لان القدر الذي فضل عليه مغاير لما سواه وللقائل ان يقول لا نسبة بين الجسم وبين نور الانوار ويستحيل هذه النفاذية
ومنها انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات كما زعم الخصم لزم لا تناهي الابعاد وانه محال لبرهان تناهي الابعاد وللقائل ان يقول ان براهين
تناهي الابعاد لا نسلم ولو سلم فلا بعد فيما وراء العالم الجسماني ولا امتداد ومنها انه سبحانه لو كان حاصلا في الحيز وكونه هناك اما ان يمنع من حصول
جسم آخر فيه او لم يمنع وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام في هذا المعنى ثم انه ان لم يحصل بينه وبينها مخالفة بوجه آخر صح عليه التغيرات وانه
محال وان حصل بينه وبينها مخالفة من سائر الوجوه كان ما به المشاركة مغايرا لما به المخالفة فيكون الواجب مركبا بل ممكنا وايضا ان ما به المشاركة
وهو طبيعة البعد والامتداد اما ان يكون محلا لما به المخالفة او حالا فيه او لا هذا ولا ذاك فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه والامور
التي بها حصلت المخالفة اعراضا وصفات واذا كانت الذوات متساوية في تمام الماهية وكل ما يصح على البواقي وكل ما يصح على بعض الاجسام من التفرق
والتمزق والنمو والذبول والعفونة والفساد يصح على ذاته تعالى وان كان ما به المخالفة محلا او ذوات وما به المشاركة حالا او صفة فذلك المحل ان كان

بعضها يصح على
صح



والقمر والنجوم وامر بالنظر في ملكوت السماء والغبراء بالتفكر فيها فقال او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض او لم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها
وزيناها او لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات وما بينهما الا بالحق وانه من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية فا
لمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقائقها على سبيل التفصيل والكمال ولا ريب
ان اعتقاد الفريق الثاني يكون اكمل واقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد ان جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث حصل له بهذا الطريق
اثبات الصانع اما الذي ضم الى هذه المعرفة البحث عن احوال العالم العلوي والعالم السفلي على التفصيل لمكن لا يزال ينتقل من برهان الى برهان
ومن دليل الى دليل فان يقينه يتزايد وبصيرته تتكامل الى ان نصير عالما معقولا مضاهيا لما عليه الموجود ولمثل هذه الفوائد والاغراض والغايات
انزل هذا الكتاب الكريم لا لتكثير وجوه الاعراب والاستنقاقات المؤدية الى الاطناب والاسهاب واما قوله عز من قائل الا له الخلق فالخلق عبارة
عن التقدير ويختص بكل ما هو جسم جسماني لانه مختص بقدر معين فكل ما كان بريئا عن الحجم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه اوجد بامر
كن من غير سبق مادة ومدة فعالم الخلق في تسخيره وعالم الامر في تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره وههنا مسائل ذكرها العلما
الاولى انه تعالى متكلم امر ناه مخبر مستخبر لان قوله الا له الخلق والامر دل على ان له الامر فوجب ان يكون له النهي وسائر انواع الكلام ضرورة انه لا قائل
بالفرق الثانية لا خالق الا هو لان قوله الا له الخلق بتقديم الخبر يفيد الحصر ولو سلم انه لا يفيده فلا اقل من افادة انه خالق لبعض الاشياء وح
يثبت المطلوب لان افتقار المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد في الممكنات فتكون علة الحاجة الى موجود معين فجميع الممكنات محتاجة
الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات محتاج الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات الثالثة قالت الاشاعرة كل اثر
يصدر عن فلك وملك وجني وانسي فخالقه في ذلك الاثر في الحقيقة هو الله تعالى لقوله الا له الخلق والامر ويتفرع على هذا انه لا اله الا الله والا
كان الثاني مدبرا وخالقا وانه لا تاثير للكواكب في احوال هذا العالم وان القول بالطبايع والعقول والنفوس على ما يزعم الفلاسفة على ما يزعم
الفلاسفة واصحاب الطلسمات باطل وان خالق اعمال العباد هو الله تعالى بان العلم (بالقول) يوجب العالمية والقدرة توجب القادرية كل باطل لذلك
لئلا يلزم خالق ومؤثر غير الله تعالى الرابعة كلام الله تعالى قديم لانه ميز بين الخلق وبين الامر ولو كان كلام الله مخلوقا لما صح هذا التمييز اجاب
الجبائي بانه لا يلزم من افراد الامر بالذكر عقيب الخلق ان لا يكون الامر داخلا في الخلق كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وعارض الكعبي بقوله
بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته فانه لو وجب مغايرة المعطوف (بالمعطوف) عليه لزم ان يكون الكلمات غير الله تعالى
وكل ما كان غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق وكلمات الله مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون على انه ليس المراد بهذا الامر كلام الله
تعالى بل المراد نفاذ ارادته واظهار قدرته وقال قوم لا يبعد ان يقال الامر داخل في الخلق ولكنه من حيث كونه امرا يدل على نوع آخر من الكمال والجلال
والمعنى له الخلق والايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر والتكليف في المرتبة الثانية وقال آخرون معنى قوله الا له الخلق انه ان
شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب ان يكون معناه ان شاء امر وان شاء لم يامر فيلزم منه ان يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لم يكن
ذلك الامر بحسب مشيئته بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق انه ان شاء امر وان شاء لم يامر هذا خلف اجيب بانه لو كان الامر داخلا تحت الخلق لزم
التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة في الاية دلالة على انه ليس لاحد ان يلزم غيره شيئا الا الله ففعل
الطاعة لا يوجب الثواب وفعل المعصية لا يوجب العقاب وايصال الالم لا يوجب العوض السادسة دلت الاية على ان القبيح لا يجوز ان يقبح لوجه
عائد اليه والا لم يامر الا بما حصل فيه وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر والنهي كيف شاء واراد هذا خلف السابعة اطلق الخلق والامر
فيعلم انه لو اراد خلق الف عالم بما فيه من العرش والكرسي والكواكب في اقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل
الممكنات الثامنة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان اهل السنة يقولون معنى قوله الامر صفة له فكذا الخلق صفة قائمة
به انه فلا يكون مخلوقا واجيب بان الخالق لو كان غير المخلوق فاما ان يكون قديما ويلزم من قدمه قدم المخلوق واما ان يكون حادثا فيفتقر الى
خلق آخر ويتسلسل ويمكن ان يقال الصفة قديمة والتعلق حادث التاسعة الامر يقتضي ان لا امر الا لله وقول النبي صلى الله عليه وآله اذا امرتكم
بشيء فأتوا منه ما استطعتم لا ينافي ذلك لان المؤمن لان الموجب له في الحقيقة هو امر الله تعالى العاشرة في الاية دلالة على ان لله تعالى امرا ونهيا على
عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا ان كان التكليف معلوم الوقوع لكان واجب الوقوع والا فلا فائدة في الامر به وايضا الكافر والفاسق لا
يستفيد بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعالى يعلم انه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الامر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا
لا يليق بالرحيم الحليم وايضا التكليف ان لم يكن لفائدة في الامر فهو عبث وان كان لفائدة ولا يعود الى المكلف لانه سبحانه غني عن جميع الفوائد
منحصرة في تحصيل نفع او دفع ضرر والله تعالى قادر على تحصيلها للمكلف من غير واسطة التكليف فكان توسيطه التكليف ضررا محضا والجواب ان
اول الاية دل على انه تعالى هو الخالق لكل العبيد واذا كان خالقا لهم كان مالكا لهم وتصرف المالك في ملك نفسه كيف شاء مستحسن ويحسن
منه تعالى ان يامر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لا لما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صلاحا او من كونه موجب عوض وثواب ولما بين
انه الامر والنهي الحكمة والتكليف ذكر انه يستحق الثناء والتقديس فقال تبارك الله رب العالمين وللبركة تفسيران احدهما الثبات والدوام

ولا ريب انه الواجب لذاته الدائم القائم بذاته الغني بذاته وصفاته وافعاله واحكامه عن كل ما سواه وثانيهما كثرة الآثار الفاضلة ونشأة
ان كل الخيرات والكمالات فائضة من وجوده واحسانه بل جميع الممكنات رشحة من بحار فضله وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وارشد
الى التكاليف الموصلة الى سعادة الدارين اتبعه ذكر ما يستعان به على تحصيل المطالب المآرب الدينية والدنيوية فقال ادعوا ربكم تضرعا
وخفية قال في الكشاف نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت ويحتمل الانتصاب على المصدر مثل رجع القهقرى والتضرع
التذلل وهو اظهار ذل النفس والخفية بالضم والكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار في عطف
الشيء على نفسه في قوله وادعوه خوفا وطمعا والاظهر انه على الاصل ومن انكر الدعاء لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوم الوقوع او كان مرادا
في الازل او كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فائدة فيه وايضا انه نوع من سوء الادب وعدم الرضا وقد يطلب ما ليس بنافع او فيه
من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه ما لا يخفى والحق ان الدعاء نوع من انواع العبادة ورفضه يستدعي رفض كثير من الوسايط والروابط
ولو لم يكن فيه الا معرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روي عنه صلى الله عليه وآله ما من شيء اكرم على الله سبحانه من الدعاء
الا انه لا بد فيه من الاخلاص والصون عن الرياء واليهما الاشارة بقوله تضرعا وخفية ونحن قد اطنبنا في تحقيق الدعاء وشرائطه في سورة البقرة في تفسير
قوله واذا سألك عبادي عني ثم ختم الآية بقوله انه لا يحب المعتدين اتفاق على انه ليس المحبة عند الله بمعنى شهوة النفس وميل الطبع و
لكنها عبارة عن ايصال الثواب وارادة الايصال لكنا لا نعرف تلك المحبة ما هي وكيف هي الا ان عدم العلم بالشيء لا يوجب العلم بعدم ذلك الشيء
نظيره ذلك ان اهل السنة يثبتون كونه مرئيا ثم يقولون ان تلك الرؤية لا كرؤية الاجسام والالوان ويعني بالمعتدين المجاوزين ما امروا به
فيشمل كل من خالف امر الله ونهيه وقال الكلبي وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء ويؤيده انه امر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهر الامر
الوجوب اذا فلتثني على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن النبي صلى دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه صلى خير الذكر الخفي
وخير الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وآله سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من
قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ومن هنا اختلف ارباب الطريقة ان الاولى في
العبادات الاخفاء ام الاظهار فقيل الاولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقيل الاولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء توسط الشيخ محمد بن علي
الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى في حقه الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار امنا من شائبة
الرياء فالاولى في حقه الاظهار ليحصل فائدة الاقتداء قال الشافعي اظهار التأمين افضل وقال ابو حنيفة الاخفاء افضل لانه ان كان دعاء وجب
اخفاؤه لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان كان اسما من اسماء الله تعالى فاقيل فكذلك لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية
فان لم يثبت الوجوب فلا اقل من الندبية ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله ولا تفسدوا في الارض فيدخل فيه خمسة اشياء المنع
من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الاموال بقطع الطريق والسرقة وافساد الانساب بالزنا واللواط والقذف وافساد العقول بشرب المسكرات
وافساد الاديان بالكفر والبدعة وذلك ان قوله لا تفسد وامنع عن ادخال ماهية الفساد في الوجود والمنع عن الماهية يقتضي المنع من جميع انواعه
ومعنى بعد اصلاحها بعد ان اصلح خلق الارض على الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين والمراد اصلاح الارض بسبب ارسال
الانبياء وانزال الكتب وتفصيل الشرائع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرائع يقتضي وقوع الهرج والمرج وحدوث
الفتن في الارض في الآية دلالة على ان الاصل في المضار الحرمة فان وجدنا نصا خاصا على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا به تقديما للخاص
على العام وفيها ايضا دلالة على ان كل عقد وقع التراضي به بين الخصمين فانه منعقد صحيح لان دفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فان وجدنا
نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا فيه بالبطلان عملا بالاخص فجميع احكام الله تعالى داخلة تحت عموم هذه الآية الدالة على ان الاصل
في المضار الحرمة كما كانت داخلة تحت عموم قوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق بانها كانت تدل على ان الاصل
في المنافع والملاذ الاباحة والحاصل فكل واحدة من الآيتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما بين ان الدعاء لا بد ان يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء
وبعدم المنافي وهو الافساد بالوجوه المحتملة ذكر ان فائدة الدعاء والباعث عليه احد الامرين الخوف من العقاب والطمع في الثواب واعترض
عليه بان اهل السنة يقولون التكاليف انما وردت بمقتضى الالهية والعبودية اي كونه الها لنا وكوننا عبيدا له اقتضى ان يحسن منه ان يامر عبيده
بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه في نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انها وردت لانها في نفسها مصالح فعلى القولين من اتى بها للخوف
من العقاب والطمع في الثواب لم يات بها لوجه وجوبها فوجب ان لا يصح واجيب بان المراد من الآية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض
الشرائط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرائط باسرها اي كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في جميع
اعمالكم ولا تقطعوا بانكم وان اجتهدتم انكم اديتم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندي ان غاية
التكليف من الامر غير غايته من المامور فهب ان الغاية الاولى هي المصلحة او الالهية والعبودية فلم لا يجوز ان يكون الغاية الثانية الخلاص من
العذاب والوصول الى الثواب ثم ختم الآية بقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ظاهره ان يقال قريبة وذكروا في حذف علامة التانيث



والقمر والنجوم وامر بالنظر في ملكوت السماء والغبراء بالتفكر فيها فقال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها او لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات وما بينهما الا بالحق وانه من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقائقها على سبيل التفصيل والكمال ولا ريب ان اعتقاد الفريق الثاني يكون اكمل واقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد ان جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث حصل له بهذا الطريق اثبات الصانع اما الذي ضم الى هذه المعرفة البحث عن احوال العالم العلوي والعالم السفلي على التفصيل لم يمكن لا يزال ينتقل من برهان الى برهان ومن دليل الى دليل فان يقينه يتزايد وبصيرته تتكامل الى ان تصير عالما معقولا مضاهيا لما عليه الموجود ولمثل هذه الفوائد والاغراض والغايات انزل هذا الكتاب الكريم لا لتكثير وجوه الاعراب والاشتقاقات المؤدية الى الاطناب والاسهاب واما قوله عز من قائل الا له الخلق فالخلق عبادة عن التقدير ويختص بكل ما هو جسم جسماني لانه يختص بقدر معين فكل ما كان بريئا عن الحجم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه اوجد بامر كن من غير سبق مادة ومدة فعالم الخلق في تسخيره وعالم الامر في تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره وههنا مسائل ذكرها العلماء الاولى انه تعالى متكلم آمر ناه مخبر مستخبر لان قوله الا له الخلق والامر دل على ان له الامر فوجب ان يكون له النهي وسائر انواع الكلام ضرورة انه لا قائل بالفرق الثانية لا خالق الا هو لان قوله الا له الخلق بتقديم الخبر يفيد الحصر ولو سلم انه لا يفيده فلا اقل من افادة انه خالق بعض الاشياء وح يثبت المطلوب لان افتقار المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد في الممكنات وانه علة للحاجة الى موجود معين فجميع الممكنات محتاجة الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات تحتاج الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات الثالثة قالت الاشاعرة كل اثر يصدر عن فلك وملك وجني وانسي فخالق ذلك الاثر في الحقيقة هو الله تعالى لقوله الا له الخلق والامر ويتفرع على هذا انه لا اله الا الله ولا كان الثاني مدبرا وخالقا وانه لا تاثير للكواكب في احوال هذا العالم وان القول بالطبايع والعقول والنفوس على ما يزعم الفلاسفة على ما يزعم الفلاسفة واصحاب الطلسمات باطل وان خالق اعمال العباد هو الله تعالى بالقول بان العلم يوجب العالمية والقدرة يوجب القادرية كل باطل ذلك لئلا يلزم خالق ومؤثر غير الله تعالى الرابعة كلام الله تعالى قديم لانه ميز بين الخلق وبين الامر ولو كان كلام الله مخلوقا لما صح هذا التمييز اجاب الجبائي بانه لا يلزم من افراد الامر بالذكر عقيب الخلق ان لا يكون الامر داخلا في الخلق كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وعارض الكعبي بقوله فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته فانه لو وجب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه لزم ان يكون الكلمات غير الله تعالى وكل ما كان غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق وكلمات الله مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون على انه ليس المراد بهذا الامر كلام الله تعالى بل المراد نفاذ ارادته واظهار قدرته وقال قوم لا يبعد ان يقال الامر داخل في الخلق ولكنه من حيث كونه امرا يدل على نوع آخر من الكمال والجلال والمعنى له الخلق والايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر والتكليف في المرتبة الثانية وقال آخرون معنى قوله الا له الخلق انه ان شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب ان يكون معناه ان شاء امر وان شاء لم يامر فيلزم منه ان يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لم يكن ذلك الامر بحسب مشيئته بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق انه ان شاء امر وان شاء لم يامر وهذا خلف اجيب بانه لو كان الامر داخلا تحت الخلق لزم التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة في الاية دلالة على انه ليس لاحد ان يلزم غيره شيئا الا الله تعالى ففعل الطاعة لا يوجب الثواب وفعل المعصية لا يوجب العقاب وايصال الالم لا يوجب العوض السادسة دلت الاية على ان القبيح لا يجوز ان يقبح لوجه عايد اليه والا لم يامر الا بما حصل فيه وجه الحسن ولم ينه الا عما حصل فيه وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر والنهي كيف شاء واراد وهذا خلف السابعة اطلق الخلق والامر فيعلم انه لو اراد خلق الف عالم بما فيه من العرش والكرسي والكواكب في اقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل الممكنات الثامنة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان اهل السنة يقولون معنى قوله الامر صفة له فكذا الخلق صفة قايمة به انه فلا يكون مخلوقا واجيب بان الخلق لو كان غير المخلوق فاما ان يكون قديما ويلزم من قدمه قدم المخلوق واما ان يكون حادثا فيفتقر الى خلق آخر ويتسلسل ويمكن ان يقال الصفة قديمة والتعلق حادث التاسعة له الامر يقتضي ان لا امر الا لله وقول النبي صلى الله عليه واله اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم لا ينافي ذلك لان المطاع والموجب هو في الحقيقة هو امر الله تعالى العاشرة في الاية دلالة على ان لله تعالى امرا ونهيا على عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا ان كان التكليف معلوم الوقوع لكان واجب الوقوع والا فلا فائدة في الامر به وايضا الكافر والفاسق لا يستفيد بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعالى يعلم انه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الامر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا لا يليق بالرحيم الحليم وايضا التكليف ان لم يكن لفائدة في الامر فهو عبث وان كان لفائدة ولا يعود الى المكلف لانه سبحانه غني عن جميع الفوائد منحصرة في تحصيل نفع او دفع ضرر والله تعالى قادر على تحصيلها للمكلف من غير واسطة التكليف فكان توسيط التكاليف ضررا محضا والجواب ان اول الاية دل على انه تعالى هو الخالق لكل العبيد واذا كان خالقا لهم كان مالكا لهم وتصرف المالك في ملك نفسه كيف شاء مستحسن فيحسن منه تعالى ان يامر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا الا لما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صلاحا او من كونه موجب عوض او ثواب ولما بين انه الامر والناهي الحكيم والتكليف كرر انه يستحق الثناء والتقديس فقال تبارك الله رب العالمين وللبركة تفسيران احدهما الثبات والدوام

ولا ريب انه الواجب لذاته الدائم القائم بذاته الغني بذاته وصفاته وافعاله واحكامه عن كل ما سواه وثانيهما كثرة الآثار الفاضلة والاشارات
ان كل الخيرات والكمالات فائضة من وجوده واحسانه بل جميع الممكنات رشحة من بحار فضله وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وارشد
الى التكاليف الموصلة الى سعادة الدارين ابتعه ذكر ما يستعان به على تحصيل المطالب المآرب الدينية والدنيوية فقال ادعوا ربكم تضرعا
وخفية قال في الكشاف نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت ويحتمل الانتصاب على المصدر مثل رجع القهقرى والتضرع
التذلل وهو اظهار ذل النفس والخفية بالضم او الكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار وعطف
الشيء على نفسه قوله وادعوه خوفا وطمعا لا ظهارته على الاصل ومن انكر الدعاء لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوم الوقوع او كان مرادا
في الازل او كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فائدة فيه وايضا انه نوع من سوء الادب وعدم الرضا وقد يطلب ما ليس بنافع او فيه
من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه ما لا يخفى والحق ان الدعاء نوع من انواع العبادة ورفضه يستدعي رفض كثير من الوسايط والروابط
ولو لم يكن فيه الا معرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روي عنه صلى الله عليه وآله ما من شيء اكرم على الله سبحانه من الدعاء
الا انه لا بد فيه من الاخلاص والصون عن الرياء واليهما الاشارة بقوله تضرعا وخفية ونحن بالله اطنبنا في تحقيق الدعاء وشرايطه في سورة البقرة في تفسير
قوله واذا سألك عبادي عني ثم ختم الآية بقوله انه لا يحب المعتدين اتفاق على انه ليس المحبة عند الحكماء على الله شهوة النفس وميل الطبع و
لكنها عبارة عن ايصال الثواب وارادة الايصال لكنا لا نعرف تلك المحبة ما هي وكيف هي الا ان عدم العلم بالشيء لا يوجب العلم بعدم ذلك الشيء
نظير ذلك ان اهل السنة يثبتون كونه مرئيا ثم يقولون ان تلك الرؤية لا كرؤية الاجسام والالوان ويعني المعتدين المجاوزين ما امروا به
فيشمل كل من خالف امر الله ونهيه وقال الكلبي وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء وفيه ايماء انه امر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهره
الوجوب اذ اقل ثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن النبي صلعم دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه صلعم خير الذكر الخفي
وخير الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وآله سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من
قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ومن هنا اختلف ارباب الطريقة ان الاولى في
العبادات الاخفاء ام الاظهار فقيل الاولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقيل الاولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء توسط الشيخ محمد بن علي
الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى في حقه الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار امنا من شائبة
الرياء فالاولى في حقه الاظهار ليحصل فائدة الاقتداء قال الشافعي اظهار التأمين افضل وقال ابو حنيفة الاخفاء افضل لانه ان كان دعاء وجب
اخفاؤه لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان كان اسما من اسماء الله تعالى على ما قيل فكذلك لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية
فان لم يثبت الوجوب فلا اقل من الندبية ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله ولا تفسدوا في الارض فيدخل فيه خمسة اشياء المنع
من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الاموال بقطع الطريق والسرقة وافساد الانساب بالزنا واللواط والقذف وافساد العقول بشرب المسكرات
وافساد الاديان بالكفر والبدعة وذلك ان قوله لا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الفساد في الوجود والمنع عن الماهية يقتضي المنع من جميع انواعه
ومعنى بعد اصلاحها بعد ان اصلح خلق الارض على الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين والمراد اصلاح الارض بسبب ارسال
الانبياء وانزال الكتب وتفصيل الشرايع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرايع يقتضي وقوع الهرج والمرج وحدوث
الفتن في الارض وفي الآية دلالة على ان الاصل في المضار الحرمة فان وجدنا نصا خاصا على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا به تقديما للخاص
على العام ومنها ايضا دلالة على ان كل عقد وقع التراضي به بين الخصمين فانه منعقد صحيح لان دفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فان وجدنا
نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا فيه بالبطلان عملا بالاخص فجميع احكام الله تعالى داخلة تحت عموم هذه الآية الدالة على ان الاصل
في المضار الحرمة كما كانت داخلة تحت عموم قوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق بانها كانت تدل على ان الاصل
في المنافع واللذات الاباحة والحل فكل واحدة من الآيتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما بين ان الدعاء لا بد ان يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء
وبعدم المنافي وهو الافساد بالوجوه الخمسة ذكر ان فائدة الدعاء والباعث عليه احد الامرين الخوف من العقاب والطمع في الثواب واعترض
عليه بان اهل السنة يقولون التكاليف انما وردت بمقتضى الالهية والعبودية اي كونه الها لنا وكوننا عبيدا له اقتضى ان يحسن منه ان يامر عبيده
بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه في نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انها وردت لانها في نفسها مصالح فعلى القولين من اتى بها للخوف
من العقاب والطمع في الثواب لم يأت بها لوجه وجوبها فوجب ان لا يصح واجيب بان المراد من الآية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض
الشرايط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرايط باسرها اي كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في جميع
اعمالكم ولا تقطعوا انكم وان اجتهدتم انكم اديتم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندي ان غاية
التكليف من الامر غير غاية من المامور فعند ان الغاية الاولى هي المصلحة او الالهية والعبودية فلم لا يجوز ان يكون الغاية الثانية الخلاص من
العذاب الوصول الى الثواب ثم ختم الآية بقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ظاهره ان يقال قريبة وذكروا في حذف علامة التانيث



وجوه فقيل لان تأنيث الرحمة غير حقيقي وقال الزجاج لان الرحمة والغفران والعفو والانعام بمعنى واحد ولان المراد بالرحمة الترحم والرحم وقيل
انه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب وشبه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء وقيل لانه يريد به المصدر كالنقيض
صوت العقبان والزجاجة والضعيف صوت الارنب وقيل المراد ان مكان قريب كلابن وتامر وروى الواحدي باسناده عن ابن السكيت يقول
العرب هو قريب مني وهما قريب مني وهي قريب مني في تأويل هو في مكان قريب مني قال بعض المفسرين معنى هذا القرب ان الانسان يزداد بعد اعن الدنيا
وقربا من المستقبل اي الاخرة التي هي مقام رحمة الله ويمكن ان يقال المراد به قرب الحصول سواء كان في الدنيا او في الاخرة كقوله الا ان نصر الله قريب
قالت المعتزلة ان ماهية الرحمة لما كانت حصة المحسنين وجب ان لا يحصل للكافر والفاسق منها شيء والغرض ان صاحب الكبيرة لا يكون له نصيب من
العفو واجيب بان المحسن من صدر عنه الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل من امن بالله تعالى واقر بالتوحيد والنبوة فقد احسن والدليل عليه الاجماع
على ان الصبي اذا بلغ وقت الضحوة وامن بالله ورسوله واليوم الاخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يسمى مومنا محسنا على ان قوله ما هينه
تمه نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر ايضا في رحمة الله ونعمته في الدنيا بدليل قوله ومن كفر فامتعه ثم انه سبحانه لما ذكر دلائل الالهية
وكمال العلم والقدرة من العالم العلوي اتبعه ذكر الدلائل من احوال هذا العالم وهي الاثار العلوية المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها
احوال الرياح والسحب والامطار ولما اقام الدلائل التي لا تدل الا على وجود الاله القادر العليم الحكيم الرحيم اقام الدلالة في هذه الاية على
صحة القول بالحشر والنشر ليتبين تقرير المبدأ والمعاد فقال وهو الذي يرسل الرياح الريح هواء يتحرك ومحركه لا يمكن ان يكون الا للوازم
ذاته والا لدام بدوام الذات فهو بتحريك الفاعل المختار قالت الحكماء من اسباب الريح تفع من الارض اجزاء ارضية تسخن تسخينا شديدا
فبسبب تلك السخونة يرتفع ويتصاعد فاذا وصلت الى قريب من الفلك فان الهواء الملاصق بمقعر الفلك تمنع هذه الادخنة من الصعود
بل يردها عن سمت حركتها لتحرك تلك الطبقة على الاستدارة تبعا للفلك فترجع الادخنة وتتفرق في الجوانب وبسبب تفرقها تحصل الرياح
وكلما كانت تلك الادخنة اكثر كان صعودها اقوى وكان رجوعها ايضا اشد فكانت الرياح وزيف بان صعود تلك الاجزاء الارضية انما
يكون لاجل شدة تسخينها بالعرض فاذا تصاعدت ووصلت الى الطبقة الباردة بردت فامتنع صعودها الى الطبقة العليا المتحركة بحركة الفلك
سلمنا انها تصعد الى الطبقة المتحركة بالاستدارة لكن رجوعها يجب ان يكون على الاستقامة كما هو مقتضى طبيعة الارض لكنها تتحرك يمنة ويسرة
وايضا ان حركة تلك الاجزاء لا يكون قاهرة فان الرياح اذا اصعدت الغبار الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس احد بنزولها
ونحن نرى هذه الرياح تقلع الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وايضا لو كان الامر على ما قالوا لكانت الرياح كلما كانت اشد وجب ان يكون
حصول الاجزاء الغبارية الارضية اكثر وليس كذلك لانه قد توجد الرياح العاصفة في وجه البحر وليس فيها شيء من الغبار ويمكن ان يجاب بان الحكم
بامتناع الصعود استبعاد محض وحديث الرجوع على الاستقامة مبني على ان الريح هي تلك الاجزاء الراجعة فقط وليس كذلك فان الراجع اذا خرق الهواء
تحرك واضطرب تموج شبيه ما يحدث في الماء اذا القي فيه حجر وكذا الكلام في الوجهين الباقيين وقال المنجمون قد يحدث بسبب وصول كوكب
معين الى موضع معين من البروج ريح عاصفة وزيف بانه لو كان كذلك لزم تحرك كل الهواء والجواب ان وصول الكوكب الى الموضع الفلاني
انما يوجب تحرك الهواء بتسخين او تلطيف وتكثيف يحدث في بعض المواد المستعدة لذلك فيطلب لذلك القابل مكانا اكثر او اقل مما كان عليه
فيلزم من ذلك تحرك المجاور له لاستحالة التداخل والخلاء ولا يندفع الى ان يتحرك جميع كرة الهواء بل يتموج بعض اجزاء الهواء ثم يستقر كل في
موضعه ويختلف مقدار ذلك بحسب المؤثر والمتاثر والكل يستند الى تدبير الله سبحانه وتقديره واعلم انه في هذه السورة يرسل الرياح بلفظ
المستقبل وكذا في الروم لان ما قبله ههنا ذكر الخوف والطمع وانهما يناسبا المستقبل واما في الروم فليناسب ما قبله ومن اياته ان يرسل وقال
في الفرقان ارسل الرياح بلفظ الماضي ليناسب ما قبله كيف مد الظل وما بعده وهو الذي جعل وكذا في فاطر مبني على اول السورة فاطر
السموات والارض جاعل الملائكة وهما بمعنى الماضي والله تعالى اعلم اما قوله نشرا بنون مفتوحة وشين ساكنة فانه مصدر نشر وانتصابه اما على الحال
بمعنى منتشرات واما لان ارسل ونشر متقاربان كانه قيل نشرها نشرا ومن قرأ نشرا بضمتين فلانه جمع نشور كرسول ورسل وقد تخفف كرسل
من قرأ بشرا بضم الباء الموحدة وسكون الشين فلانه مخفف بشر جمع بشير بمعنى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم
واحسنها وهذا بحسب الاغلب فان المطر قلما ينقطع عن رياح يسلطها الله تعالى على السحاب والعرب يستعمل اليدين بدل قدام واما مجاز
لان اليدين من الحيوان امامه ومن على الرجلين حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاقه من القلة لان الرافع الذي يقدر على حمل الثقيل
يزعم ان ما يرفعه قليل سحابا جمع سحابة وله انما قال ثقالا على الجمع جمع ثقيلة والضمير في سقناه يعود الى السحاب على لفظه وضمير المتكلم في سقناه
على صلة اما الذي في قوله وهو الذي فعلى طريقة الالتفات والا فالظاهر ان يقول نحن ارسلنا واعلم ان السحاب المستمطر للمياه العظيمة انما يبقى
معلقا في الهواء لانه تعالى دبر بحكمته ان يحرك الرياح تحريكا شديدا ولتلك الحركات فوائد منها ان اجزاء السحاب ينضم بعضها الى بعض ويتراكم
وينعقد السحاب الكثيف الماطر ثم يصير متفرقا ومنها ان تحرك الرياح يمنة ويسرة فيمنع الاجزاء المائية الرشية عن النزول فيبقى معلقا
في الهواء ومنها ان ينساق السحاب الى موضع علم الله احتياجهم الى نزول الامطار ومنها الرياح مقوية للزروع والاشجار ومكملة لما فيها

من النشو والنماء وهي اللواقح ومنها مبطلة لها كما في الخريف ومنها طيبة لذيذة موافقة للابدان ومنها مهلكة للحر الشديد كالسموم او البرد الشديد مشرقية ومغربية وشمالية وجنوبية وبالجملة تهب الرياح من كل جانب ولكنها مضبطة كلٌ وقد يتصعد الريح من قعر الارض فقد يشاهد غليان شديد في البحر بسبب تولد الرياح في قعره ثم لا يزال يتزايد ذلك الغليان الى ان ينفصل الريح الى ما فوق البحر وعن ابن عمر الرياح ثمان اربع منها عذاب وهو العاصف والقاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن النبي صلى الله عليه انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والجنوب وعن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلثة ايام لانتن اكثر الارض وعن السدي انه تعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب ثم انه تعالى يبسطه في السماء فينزل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك برحمته وهي المطر ومعنى لبلد ميت اي لاجل بلد ميت ليس فيه نبات ولا زرع والبلد كل موضع من الارض عامر او غير عامر خال او مسكون فانزلنا به الماء قال الزجاج وابن الانباري اي بالبلد وجاز ان يراد بالسحاب او بالسوق فالباء للسببية فاخرجنا به قال الزجاج اي بالبلد من كل الثمرات ويجوز ان يراد به بالماء قال جمهور الحكماء انه تعالى اودع في الماء قوة وطبيعة توجب حدوث الاحوال المخصوصة عند امتزاج الماء بالتراب وقال اكثر المتكلمين ان الثمار ليست متولدة من الماء وانما اجرى الله تعالى عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء والتراب كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى فالتشبيه انما وقع في اصل الاحياء اي كما احيى هذا البلد بانبات الشجر وجعل فيه الثمر كذلك نحيي الموتى بعد ان كانوا اتوا با لان من يقدر على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه كان قادرا على احداث الحيوة في بدن الميت قال كثير من المفسرين المراد انه تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر على الاجساد الرميمة يروى انه يمطر على اجساد الموتى فيما بين النفختين مطر كالمني اربعين يوما فينبتون عند ذلك احياء وعن مجاهد يمطر السماء عليهم حتى ينشق عنهم الارض كما ينشق الشجر عن النور والثمر ثم يرسل الارواح فيعود كل روح الى جسدها قال العلماء ان هؤلاء المفسرين ذهبوا الى هذا بناء على النقل وعلى اجراء العادة والا فانه تعالى قادر على خلق الحيوة في الجسم ابتداء من غير واسطة المطر كما انه يجمع بقدرته الاجزاء المتفرقة والمتمزقة غاية التفرق والتمزق ولهذا ختم الاية بقوله لعلكم تذكرون والمعنى انكم لما شاهدتم ان الارض كانت مزينة وقت الربيع والصيف والخريف بالازهار والثمار والاشجار ثم صارت وقت الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة ثم احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها قادر على احياء الاجساد بعد موتها ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمن والكافر وشبه القران بالمطر وذلك ان الارض الحرة اذا انزل بها المطر حصل فيها انواع الازهار والثمار والارض السبخة بعد نزول المطر لا يخرج منها الا النزر القليل من النبات فكذلك النفس الطاهرة النقية من الاخلاق الذميمة اذا اتصل بها انوار القران ظهرت عليها انواع المعارف والاخلاق الفاضلة والنفس الخبيثة لا ترجع من ذلك الا بخفي حنين وقيل ليس المراد من الاية تمثيل المؤمن والكافر وانما المراد ان الارض السبخة يقل نفعها وثمرتها ومع ذلك فان صاحبها لا يهمل امرها بل يتعب نفسه في اصلاحها طمعا منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن يطلب هذا النفع اليسير فلان يطلب النفع العظيم الموعود به في الدار الاخرة بالمشقة التي لا بد منها ومن تحملها اداء للطاعات كان اولى وفي الاية دلالة على ان السعيد لا ينقلب شقيا وبالعكس لانها دلت على ان الارواح قسمان منها ما يكون في اصل جوهرها طاهرة نقية مستعدة لان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ومنها ما يكون بالضد لا يقبل المعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة كالارض السبخة التي لا يتولد فيها الاشجار والازهار والثمار ومما يقوي هذا الكلام ان النفوس بذواتها مختلفة في سبيل الله فمنها قاسية قلوبهم كالحجارة او اشد قوة ومنها ما تلتذ بالشهوة دون الغضب ومنها على العكس ومنها راغبة في المال دون الجاه ومنها بالخلاف ومن الراغبين في المال من يرغب في العقار دون الاثمان والنقود ومنهم من هو بالعكس ومما يؤكد هذه المعاني قوله سبحانه باذن ربه اي بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا كاملا لو توعبني طباق نكدا والنكد الذي لا خير فيه وتقديره الا نبات البلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه وهو الضمير الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد ان كان مجرورا بارزا من قرانكدا بفتح الكاف فعلى المصدر اي ذا نكد كذلك مثل ذلك التصريف نردد الايات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان فائدة التصريف تعود عليهم وانما ختم الاية بالحث على الشكر لان الذي سبق ذكره هو ان الله تعالى يرسل الرياح النافعة فيجعلها سببا للمطر الذي هو سبب اللذات والطيبات فهذا يدل من احد الوجهين على وجود الصانع وقد مر ذكره ومن الوجه الثاني على عظيم نعمه وقد تقرر من هذا الوجه مقابلتها بالشكر والله اعلم التاويل عرف ذاته للخلق بصفات الهوية والالوهية والقادرية والخالقية والمدبرية والحكيمية والاستوائية فقال ان ربكم الله الاية وانما خص ستة ايام لان انواع المخلوقات الارواح الانسانية رب المكونات منها الملائكة والجن والشياطين والملكوت والسموات والارض ومنها العقول المفردة والمركبة والنفوس السماوية والارضية والاجرام البسيطة العلوية كالعرش والكرسي والسموات والجنة والنار والاجسام البسيطة السفلية وهي العناصر والاجسام الكثيفة المركبة من العناصر فلما خلق الانواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف في العالم وما فيه وخص العرش بالاستواء لانه مبدا الاجسام اللطيفة قابلة للفيض الرحماني والاستواء لا يشبه استواء المخلوقين كما ان علمه لا يشبه علم المخلوقين ومن اسرار الخلافة الروح يتصرف في النطفة ايام الحمل فيجعلها عالما صغيرا بدنه كالارض وراسه كالسماء والقلب كالعرش والسر كالكرسي والقلب يقسم فيض الروح الى القالب كما ان العرش يقسم فيض الاله الى سائر المخلوقات

وجه تعظيم هبوب الرياح في جهة العرب

البلد الميت يحيى الموتى بواسطة انزال المطر عليهم

والبلد الخبيث لا يخرج

ستة الايام

كما لم صفة من صفاته



يغشي اي استولى ليل ظلمات النفس وصفاتها على نهار انوار القلب بالعكس الا له الخلق بواسطة والامر بلا واسطة ادعوا ربكم تضرعا بالجوارح وخفية بالقلوب او تضرعا بأداء حقوق العبودية وخفية بطالب حقوق الربوبية انه لا يحب المعتدين الذين يطلبون منه سواه ولا تفسدوا في ارض القلوب بعد ان اصلحها الله برفع الوسايط وادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا في الاصطناع او خوفا من الاثنينية وطمعا في الوحدة او خوفا من الانفصال وطمعا في الوصال من المحسنين الذين لا يرون سواه يرسل رياح العناية فينشر سحاب الهداية حتى اذا اقلت سحابا ثقالا بامطار المحبة سقناه لكل قلب ميت فانزلنا به ماء المحبة فاخرجنا ثمرات المكاشفات والمشاهدات كذلك نخرج موتى القلوب من قبور الصدور لعلكم تذكرون ايام حيوتكم في عالم الارواح اذ كنتم في رياض القدس وحياض الانس والبلد الطيب القلب الذي يتخلق بالخلاق الحميدة كذلك نصرف الآيات الى النفوس صفاتها الى اوصاف القلب واخلاقه

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

تحقيقا فرستاديم نوح را بسوى قومش پس گفت كه اى قوم بپرستيد خدا را نيست شما را خدائى بجز او بدرستى كه من مى‌ترسم بر شما عذاب روز بزرگ را

قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ

القراءة اله غيره بالجر على الوصف حيث كان يزيد وعلى والباقون بالرفع حملا على محل من اله اني اخاف بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير ابلغكم بالتخفيف حيث كان ابو عمرو والباقون بالتشديد عباس بالاختلاس بسطة بالصاد ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد والحلواني عن قنبل وعاصم وعلي وسهل وشجاع وابن الاخرم عن ابن ذكوان والحلواني عن قالون مخير الوقوف غيره ط عظيم مبين العالمين لا يعلمون ترحمون بآياتنا عمين هودا غيره تتقون الكاذبين العالمين امين لينذركم لنا هي للاستفهام بسطة تنبيها على الانعام العام بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق الجملتين تفلحون آباؤنا للعدول مع فاء التعقيب الصادقين وغضب سلطان لان ما الاستفهام الى امر التهديد المنتظرين مؤمنين التفسير لما ذكر في تقرير المبدأ والمعاد دلائل قاهرة وبينات باهرة شرع في قصص الانبياء وفي ذلك فوائد منها التنبيه على ان اعراض الناس عن قبول الدلائل عادة معتادة فيكون فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها بيان سوء عاقبة المستكبرين وحسن عقبى المطيعين وفي ذلك تقوية قلوب المحقين وكسر قلوب المبطلين ومنها التنبيه على ان الله سبحانه لا يهمل المبطلين وان كان يمهلهم ومنها العظة والاعتبار لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث انه اخبار بالغيب لانه لم يقرأ الكتب فيكون قد عرف ذلك بالوحي لا محالة من القصص اولاها قصة آدم قدمت في اول السورة الثانية قصة نوح وهو نوح بن لملك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس قيل كان اسمه يشكر فسمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه فاهلكوا وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه وحين مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ

يا قبح نعوتب على ذلك قال الله اعتبني اذ خلفته ام عنب الكلب هذه الوجوه متكلفة فان الاعلام لا تفيد صفة في المسمى والصحيح انه اسم اعجمي
قال ابن عباس معنى ارسلنا بعثنا وقال اخرون معناه انه تعالى حمله رسالة يؤديها فالرسالة على هذا التقدير يكون متضمنة للبعث فيكون البعث كالتابع
لانه اصل ثم ان في التفسير الكبير هذا البحث مبني على مسئلة اصولية هي ان الرسول ارسل الى قوم ليعرفهم احكاما لا سبيل لهم الى معرفتها بعقولهم او الغرض
من بعثته مجرد تاكيد ما في العقول وهذا الاختلاف بتفاريع المعتزلة التي امرهم نوح بعبادة الله ثم حكم بانه لا اله الا الله ثم حذرهم عذاب يوم عظيم
هو القيامة او الطوفان ولم يذكر دليلا على هذه الدعاوى الثلث لان قوله بعد ظهور المعجزة حجة او لعله قد ذكر الحجج وما حكاها الله تعالى لانه قد علم
من القران ذم التقليد في مواضع كثيرة فيعلم ان نبي الله لا يامر قومه بالتقليد المحض وايضا قدم دلائل التوحيد والنبوة وصحة القران من اول سورة
البقرة الى ههنا غير مرة فوقع التعويل على ذلك هذا مع ان الحكم الثاني كالعلة للاول لانه اذا لم يكن لهم اله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع
والاحسان والبر واللطف حاصلا منه ونهاية الانعام يوجب غاية التعظيم ومن هنا قال بعض العلماء لا يحسن منا عبادة الله تعالى قبل العلم بانه واحد
لانا اذا جوزنا التعدد لم يتعين المنعم فيقع العبادة ضائعا والاله معناه المستحق للعبادة والا فهو في الازل غير معبود ومعنى الخوف في الاية قال بعضهم
الجزم واليقين فانه كان جازما بنزول العذاب بهم عاجلا وقال اخرون الشك لانه كان يجوز ايمانهم ومع هذا التجويز كيف يجزم بالعذاب ولعل
السمع لم يرد بعد فلهذا كان متوقفا او لعله وصف العذاب على جواز ثم انه تردد في وصف العذاب لا في نفس العذاب وقيل المراد من الخوف
التحذير وجملة قوله اني اخاف بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذر وعقابه دون الاصنام فقال الملأ من قومه اي الاشراف وصدور المجالس
الذين بهم بعض قومه في جواب نوح انا لنراك في ضلال في ذهاب عن طريق الحق والصواب مبين بين والرؤية رؤية القلب بمعنى الاعتقاد
والظن دون المشاهدة والبديهة نسبوه الى الضلال فيما ادعاه من التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد قال يا قوم ليس بي ضلالة لم يقل ضلال
ليكون ابلغ لعموم السلب كانه قال ليس بي نوع من انواع الضلال ثم لما نفى عن نفسه العيب الذي نسبوا اليه وصف نفسه باشرف الصفات واجلها
فاستدرك قائلا ولكني رسول من رب العالمين وهذا الاستدراك يسمى في علم البيان تاكيد المدح بما يشبه الذم وفي ذلك بيان فرط جهلهم
وعتوهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى بالضلال الظاهر الذي لا ضلال بعده وفيه ان مدح الانسان نفسه اذا كان في موضع
جائز ثم ذكر ما هو المقصود من البعثة وهو امران الاول تبليغ الرسالة والثاني تقرير النصيحة فقال ابلغكم الاية الجملة الاستيناف بيانا لكونه
رسولا من رب العالمين او صفة لرسول وانما جاز ان يكون صفة ولفظ الرسول غائب نظرا الى المعنى كقولنا انا الذي سمتني امي حيدره رسالات
ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او ما اوحي الي في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي وشرح مقاديره وان كان جائزا ولكن يقول نصحت
لك قال في الكشاف وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه ومعنى
الاية وابلغكم تكاليف الله ثم ارشدكم الى الاصلح الاصوب ادعوكم الى ما دعاني الله تعم واحب لكم ما احب لنفسي واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم انكم
ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان وذلك انهم لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم او اعلم ان الله يعاقبكم في الاخرة عقابا او اعلم من توحيد الله من
صفات جلاله ما لا تعلمون يكون المقصود حمل القوم على ان يرجعوا اليه في طلب تلك العلوم او عجبتم الهمزة للانكار والمعطوف محذوف والتقدير اكذبتم
وعجبتم من ان جاءكم ذكر من ربكم قال الحسن يعني الوحي الذي جاءهم به وقال اخرون الذكر المعجز كتابا او غير كتاب قيل هو الموعظة على رجل اي على لسان
قال ابن قتيبة نظيره آتنا ما وعدتنا على رسلك وقال الفراء على بمعنى مع تقول جاءنا الخبر على وجهك كلاهما جائز وقيل انه منزل على رجل ومعنى
منكم من بني نوعكم كانهم استبعدوا ان يكون لله رسول الى خلقه لاعتقادهم ان المقصود من الارسال التكليف وان التكليف لا منفعة للمعبود لتعاليه
ولا للعابد لتضرره في الحال واما في المال فالله تعالى قادر على تحصيله بدون واسطة التكليف وايضا ان العقل كاف في معرفة الحسن القبيح والا لم يعلم
حسنه ولا قبحه فان كان المكلف مضطرا اليه ترك حذرا عن الخطر وتبعه بانه لا بد من الرسول فان ارسال الملائكة اولى لشدة بطشهم ووفور
عصمتهم وطهارتهم واستغنائهم عن الاكل والشرب والنكاح وتبعه بجواز كون النبي من البشر فلعلهم اعتقدوا ان من كان فقيرا خاملا لا يصلح
للنبوة فانكر نوح عم كل هذه الاشياء لانه تعالى خالق الخلق فله بحكم الالهية ان يامر عباده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز ان يخاطبهم
بتلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك ينتهي الى حد الالجاء المنافي للتكليف ولا يجوز ان يكون ذلك الرسول ملكا لان الجنس الى الجنس
اسكن وقد مر في اول الانعام ثم بين ما لاجله بعث الرسول فقال لينذركم الاية وانه ترتيب انيق لان المقصود من البعثة الانذار والتقوى و
من التقوى الفوز برحمة الله قال الجبائي والكعبي في الاية دلالة على انه تعالى اراد من المبعوث اليهم التقوى ومن التقوى الجنة دون الكفر والعذاب
وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا فكذبوه في ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف اصروا قال بعض العلماء ما في حق العقلاء من التكذيب فبغير
الباء نحو كذبوا رسلي وكذبوه وما في حق غيرهم فبالباء نحو كذبوا باياتنا والتحقيق ان المراد بنحو ارسلنا برد اياتنا فانجيناه والذين استقروا
معه في الفلك وانجيناهم في السفينة من الطوفان قيل كانوا اربعين رجلا وامراة وقيل كانوا تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن امن وانما
قال في سورة يونس فنجيناه ومن معه في الفلك لان التشديد للتكثير ولفظة من ادل على العموم ولهذا يقع على الواحد والتثنية والجمع والمذكر
والمؤنث بخلاف الذين انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقال اهل اللغة يقال رجل عمي

بالعظيم

الضر وبرهم

ذكر

دمع وجهلهم

ومن الانداد هم

البصيرة واعمى في البصر العمي يدل على عمي ثابت على عمي حادث القصة الثالثة قصة هود وذلك قوله سبحانه والى عاد اخاهم هودا والتقدير
لقد ارسلنا نوحا الى قومه وارسلنا الى عاد اخاهم هودا وانما كان اخاهم في الدين ثم قال الزجاج معناه انه كان من ادم ومن جنسهم لا من جنس الملئكة
والجن وقيل ارادوا احدا منهم قاله الكلبي وهو من قولك يا اخا العرب لواحد منهم وخص واحدا منهم بالارسال اليهم ليكونوا اعرف بحاله في صدقه
وامانته وقيل معناه صاحبهم ونسبه هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وهودا عطف بيان لاخاهم واما عاد فهم كانوا باليمن بالاحقاف
قال ابن اسحق والاحقاف الرمل الذي بين عمان الى حضرموت واعلم ان الفاظ هذه القصة بعضها يوافق الالفاظ المذكورة في قصة نوح وبعضها يخالفها
فلنبين اسرارها والجواب عن شبهاتها لفظة لفظة واحدة واحدة واما هود فما كان حتى الى هذا الحد فلاجرم جاء بالتعقيب في قصة نوح دون قصة هود وواقعة
هود كانت مسبوقة بواقعة نوح فوقع الاقتصار على ذلك اي لعلكم تحذرون مثل ذلك العذاب العظيم الذي اشتهر خبره في الدنيا ومنها
قال الملاء من قومه ويمكن ان يقال لما اضمر رسلنا اضمر الفاء لان الداعي اليه الالفاظ لفظ ارسلنا وفي الكشاف ان هذا وارد على سبيل الاستيناف
قصة هود قال الملا الذين كفروا من قومه انما ذكر هذا الوصف ذم الملام لا غيره اما انه لم يكن في اشراف قوم نوح من يؤمن وكان في اشراف
قوم هود من امن به منهم مرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فاريد التفرقة بالوصف ومنها ان قوم نوح قالوا انا لنريك في ضلال مبين وقوم
هود قالوا انا لنريك في سفاهة اي متمكنا منها متمكن المظروف من ظرفه ذلك ان نوحا كان يخوفهم بالطوفان العام وكان يشتغل باعداد
السفينة مدة طويلة فوصفوه بضعف الراي والبعد عن السداد واما هود فما ذكر شيئا الا ان معتقدهم في عبادة الاصنام وطعن فيها فقابلوا
بمثله ونسبوه الى السفاهة وخفة العقل حيث فارق دين قومه ثم قالوا وانا لنظنك من الكاذبين في ادعاء الرسالة قيل الظن بمعنى الجزم
واليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم قال الحسن والزجاج كانوا شاكين فيعلم منه ان الشك مما يجوز في اصول الدين يوجب
الكفر ومنها قول نوح وانصح لكم وقول هود ناصح وذلك لانه كان من عادة نوح عم العود الى تجديد تلك الدعوة في كل يوم وساعة وصيغة الفعل
دالة على التجدد المستمر ولهذا قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الى اخر الايات واما هود فكان ثابتا على النصح غير مجدد اياه لحظة فلحظة
كما كان يفعل نوح ثم ان نوحا قال واعلم من الله ما لا تعلمون لانه كان يعلم من اسرار الله تعالى ما لم يصل اليه هود فلاجرم امسك هود لسانه واقتصر على
وصف نفسه بكونه امينا ثقة اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فليس من حقي ان اتي بالكذب والغش والمراد تقرير الرسالة فانها تدور
على الامانة اي انا لكم ناصح فيما ادعو اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه وفي هذين الجوابين عن مثل ذينك التخصيص مع جلالة قدرهما دليل
على ان الحكيم يجب ان لا يقابل السفهاء الا بالكلام المبني على الحلم والاغضاء ومنها ان هودا اقتصر على قوله لينذركم لما مر في قصة نوح ان فائدة الانذار
هي حصول التقوى الموجبة للرحمة فلم يكن حاجة الى الاعادة ولكنه تمم الى ذلك بما يختص بهم فقال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم
في الارض وجعلكم ملوكا فان استخلفكم فيها بعدهم وورثكم نعمهم وديارهم واموالهم واملاكهم وما يتصل بها من المنافع واذ مفعول به لا ظرف اي
اذكروا وقت جعلكم وزادكم في الخلق بسطة والخلق التقدير فلما يطلق الا على الشيء الذي له مقدار وجثة والمراد حصول الزيادة في اجسامهم زيادة
خارقة للعادة والا لم تكن في معرض الامتنان قال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا وقال اخرون تلك الزيادة هو مقدار ما
يبلغه يد الانسان اذا رفعها كانوا يفضلون على اهل زمانهم بهذا القدر ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة في القوة ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة
في القوة ومنهم من قال الخلق الخليقة وبسطتهم فيهم كونهم من قبيلة واحدة متشاركين في القوة والشدة والجلادة متناصرين متوادين فاذكروا
الاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وفيما سواهما من عطاياه والاء الله نعمه واحدها الى ونحو اني واناء كعنب واعناب قال ابن الجوزي واحدها الى
بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء استدل الطاعنون في وجوب الاعمال الظاهرة بالاية قالوا انه تعالى رتب حصول الفلاح على مجرد التذكر واجيب بان
الايات الدالة على وجوب العمل مخصصة او مقيدة والتقدير فاذكروا الاء الله واعملوا عملا يليق بتلك الانعام لعلكم تفلحون ذكرهم نعمه
عليهم ليرجعوا الى عقولهم فيعلموا ان العبادة نهاية التعظيم ولا يليق الا بمن صدر عنه نهاية الانعام وليس للاصنام على الخلق شيء من النعم لانها
جماد لا قدرة له اصلا فلم يكن للقوم جواب عن هذه الحجة الا التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم اجئتنا لنعبد الله وحده والهمزة للانكار
اختصاصه وحده بالعبادة وفي المجيء وجوه منها ان يكون لهود معتزل يتحنث فيه اي يتعبد كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحي
اليه جاء قومه يدعوهم ومنها الاستهزاء اعتقادا منهم ان الله لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك ومنها ان لا يراد به القصد
كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا تعرضت لنا بتكليف عبادة الله وحده اي منفردا عن الاصنام وهو من المعارف التي
وقعت احوالا ولا يمكن ان يكون وحده ههنا اعتراضا لانه يقول الموحد لا اله الا الله وقال الله وحده لان التقدير انهم مشركون ثم ان
قول هود فيما قبل افلا تتقون كان مشعرا بالتهديد والوعيد فلهذا استعجلوا العذاب زعما منهم انه كاذب وذلك قولهم فاتنا بما تعدنا
فاجابهم هود بقوله قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ولابد ان يحملا على معنيين متغايرين لمكان العطف اما الغضب في حقه تعالى فارادة
ايقاع السوء كما سبق مرارا واما الرجس ضد التطهير كما قال سبحانه في صفة اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا وقال القفال الرجس هو الازدياد في الكفر بالرين على القلوب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا التفسير اخص مما قوله قد

وانتصوا علمو ان هودا

وبالجحود وانا لكم

بالعباد

وقع

وتع ولا يقع العذاب بعد فيه وجوه قال بعض من يقول بان ارادة الله تعالى حادثة معناه انه تعالى احدث ارادة في ذلك الوقت وقيل اراد هو انه اخبر بنزول العذاب قيل جعل المتوقع الذي لا شك فيه بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب منك حاجة قد كان ذلك تريد انها ستكون البتة وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء اباه يبكي فقال له يا بني ما لك فقال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر ثم انكر عليهم قبيح فعالهم فقال أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ تناظرونني في شان الهة اشياء ما هي الا اسماء سَمَّيْتُمُوهَا تسموها احد أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ اي لا حجة على حقيقتها فنزل والحاصل انها اسماء بلا مسميات لانكم تسمونها الهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال سموا واحدا بالعزى مشتقا من العز وما اعطاه الله تعالى عزا اصلا وسموا اخر منها باللات من الالهية اثر وقال انما في هذه السورة وفي غيرها ما سيجيء انزل لان نزل للتكثير فيكون للمبالغة ويجري ما بعده مجرى التفصيل للجملة والله اعلم ثم انه ذكرهم وعيد الجد دا فقال فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ بسبب رحمة كانوا يستحقونها منا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اي استاصلناهم عن اخرهم وقدم مثله في الانعام وفائدة نفي الايمان عنهم في قوله وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ مع اثبات التكذيب بايات ربهم ان يكون تعريضا بمن امن منهم كمرثد بن سعد وغيره ولقد قطعنا دابر الذين كذبوا لم يكونوا مثل من امن منهم ومعنى وما كانوا مؤمنين في علم الله تعالى اي لم يكونوا يعني من المكذبين اولو بقوا لا امنوا قال في الكشاف وان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمودا والهبا فبعث الله هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وان الناس كانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج من ذلك عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما نزلوا على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم انزلهم واكرمهم كانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعوية احديهما وردة والاخرى جرادة ولما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا لاجله اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهولاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معوية الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما ويسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما الهينمة اخفاء الكلام في الدعاء وغيره ومعنى يسقينا يجعله ساقيا لنا وقوله ما يبينون الكلام اي لا يكادون يفقهون قولا من ضعفهم وسوء حالهم فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأ عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا يسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فتعبدوا الله فيها حتى ماتوا التاويل لقد ارسلنا نوح الروح الى قومه بلاد القوالب وهم القلب وصفاته والنفس وصفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة دعوة القلب والنفس وصفاتها الى الله وعبوديته ومن صفات النفس تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن نصحه والتعجب فكذبوا يعني النفس وصفاتها نوح الروح فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الشريعة واغرقنا النفس وصفاتها في بحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عمين عن روية الله والوصول اليه وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً كما اوقع التفاوت بين الشخص وشخص فيما يعود الى المباني اوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع الى المعاني قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اي مقالتكم تدل على حالتكم انه اصابكم سطوات العذاب فمن امارات الاعراض رد العبد الى شهود الاغيار وتفريقه اياه في بحار الظنون والاوهام والجدال

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً

و فرستادیم بسوی ثمود برادر ایشان صالح را گفت ای قوم پرستید خدا را نیست شما را خدائی بجز او هر آئینه آمده است شما را حجتی از پروردگار شما این است ماده شتر خدا از برای شما نشانی

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَ

پس واگذارید او را که بخورد در زمین خدا و ملاقات مکنید او را به بدی پس فرا گیرد شما را عذابی دردناک و یاد آورید وقتی را که گردانید شما را جانشینان از بعد قوم عاد و

بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ

منزل داد شما را در زمین که فرا میگرفتید از دشتان قصرها و میتراشیدید کوهها را از جهت خانه پس یاد کنید نعمتهای خدا را و حرکت مکنید در زمین

مُفْسِدِينَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا

فساد کنندگان گفتند بزرگان آنان که سرکشی کردند از قوم او مر آنهائی را که ناتوان بودند مر آنها که ایمان آورده بودند از ایشان آیا دانید که صالح

مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ

فرستاده است از پروردگار خود گفتند بدرستیکه ما بآنچه فرستاده شده با آن گرویدگانیم گفتند آنان که سرکشی کردند بدرستیکه ما بآنچه گرویده اید بدان کافرانیم

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

پس پی کردند شتر را و در گذشتند از فرمان پروردگار خود و گفتند ای صالح بیاور ما را آنچه وعده میدهی ما را اگر هستی از پیغمبران

نزل

او انواع للجنس

كانه قيل ثم

ع ۷

فَاَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاَصْبَحُوْا فِيْ دَارِهِمْ جٰثِمِيْنَ فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ وَقَالَ يٰقَوْمِ لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ

پس فرا گرفت ایشان را عذاب پس صبح کردند در خانها و منزلهای خود از نرد دهان پس روگردانید از ایشان و گفت ای قوم هر آینه رسانیدم بشما پیغام

رَبِّيْ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ لَّا تُحِبُّوْنَ النّٰصِحِيْنَ وَلُوْطًا اِذْ قَالَ لِقَوْمِهٖٓ اَتَاْتُوْنَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ اَحَدٍ مِّنَ الْعٰلَمِيْنَ

پروردگار را و پند دادم شما را و لیکن دوست نمی دارید پند دهندگان را و لوط را چون گفت مر قوم خود را که آیا می آیید بفعل زشتی که پیشی نکرده است شما را بآن هیچ کس از عالمیان

اِنَّكُمْ لَتَاْتُوْنَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُوْنِ النِّسَآءِ بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُوْنَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهٖٓ اِلَّآ اَنْ قَالُوْٓا اَخْرِجُوْهُمْ مِّنْ

هر آینه شما می آیید مردان را از غلبه شهوت از جز زنان بلکه شما گروهی زیاده روانید و نبود جواب قوم او مگر آنکه گفتند بیرون کنید ایشان را

قَرْيَتِكُمْ اِنَّهُمْ اُنَاسٌ يَّتَطَهَّرُوْنَ فَاَنْجَيْنٰهُ وَاَهْلَهٗٓ اِلَّا امْرَاَتَهٗ كَانَتْ مِنَ الْغٰبِرِيْنَ وَاَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِيْنَ

از ده خود که ایشان مردمانیند پاکیزه پس رهانیدیم او را و اهل او را الا زنش که بود از باز ماندگان و باراندیم بر ایشان باران پس بنگر که چگونه است عاقبه گناهکاران

القراءة: وقال الملأ بالواو ابن عامر. انكم بحذف همزة الاستفهام ابو جعفر ونافع وحفص. سهل أئنكم بهمزتين ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص
هشام يدخل بينهما مدة. آئنكم بالمد وبالياء ابو عمرو ويزيد. ايكم بالهمزة والياء ابن كثير ويعقوب غير يزيد. الوقوف: صالحا لئلا يظن ان صالحا صفة
لاعلم فالجملة بعده نعت له وهذا بخلاف اسم شعيب غيره من الاعلام العربية. غيره ط من ربكم ط اليم. بيوتا ط المكان في قصة هود. بسطة. مفسدين. من ربه
مؤمنون. كافرون. المرسلين. جاثمين. ناصحين. من العالمين. من دون النساء ط لمكان الاضراب. مسرفون. من قريتكم ج لاحتمال التعليل استهزاء
لا امرأته ج لاحتمال الاستيناف والاشبه انها حال. المرأة من الغابرين. مطرا ط. المجرمين. التفسير: القصة الرابعة قصة صالح مع قومه ثمود قال ابو عمرو بن
العلاء سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وانه لا ينصرف تارة بتاويل القبيلة
وينصرف اخرى بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وقيل ان ثمود اخو جديس وطسم وقد ورد
القرآن بالصرف وبمنعه جميعا قال تعالى الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود. قد جاءتكم بينة آية ظاهرة دالة على صدقي وكأنه قيل ما تلك
البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وانتصابها على الحال والعامل فيها ما في اسم الاشارة او حرف التنبيه من معنى الفعل اي اشير اليها او انبه
عليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة للايمان وهم ثمود وسبب تخصيص اولئك الاقوام بها مع انها آية لكل احد انهم عاينوها وغيرهم اخبروا
بها وليس الخبر كالمعاينة او لعله سبقت سائر المعجزات الا ان القوم التمسوا هذه المعجزة بعينها على سبيل الاقتراح فاظهرها الله تعالى لهم فلهذا
حسن التخصيص وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها حيث جاءت مكونة من عنده من غير فحل وطروقة آية من آياته كما يقول آية
الله وبيت الله وبالحقيقة هي آية تشتمل على آيات خروجها من الجبل آية وكونها لا من ذكر وانثى آية وكمال خلقها من غير تدريج ومهل آية
ان لها شرب يوم ولجميع ثمود شرب يوم آية وكذا الكلام في قوتها الماسة للماء وفي غزارة لبنها وانكر الحسن فقال انها لم تحلب قطرة لبن قط
ويروى ان جميع الحيوانات كانت تمتنع عن الورود في يوم شربها وقيل سميت ناقة الله لانه لا مالك لها سوى الله تعالى وقيل لانها حجة الله
على القوم فذروها تأكل في ارض الله اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فدعوها تأكل في ارض ربها ومما انبت منها ولا تمسوها بسوء من الضرب
والطرد وسائر انواع الاذى اكراما لآية الله فيأخذكم عذاب اليم يعني اخذ الاستئصال والاستيصال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
تفسيره كما في قصة هود وبوأكم في الارض انزلكم فيها والمباءة المنزل والارض ارض الحجر تتخذون من سهولها اي تبنون من سهولة الارض
قصورا بما تعملون من الاراضي السهلة لبنا وآجرا وجصا وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا في حال الخياطة
ويجوز ان يكون من بقدرة اكتفاء بقوله من سهولها كما أتى في موضع آخر تنحتون من الجبال بيوتا فارهين فيكون منصوبا على انه
مفعول به وقيل المراد انهم كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله يعني اني قد ذكرت لكم بعض نعم ربكم فاذكروا
انتم تمامها ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل نهي عن عقر الناقة والاولى حمله على العموم واعرابه قد مر في اوائل سورة البقرة قال الملأ الذين استكبروا
من قومه للذين استضعفوا اي المساكين الذين استحقرهم رؤساء الكفار وقوله لمن آمن منهم بدل من قوله للذين استضعفوا باعادة الجار
لشدة الاتصال والضمير في منهم اما ان يرجع الى الذين استضعفوا فيكون البدل بدل البعض ودل على ان المستضعفين فريقان مؤمنون
وكافرون واما ان يرجع الى قومه فيكون البدل بدل الكل ودل على ان الاستضعاف من شان اهل الايمان يستحقرهم المستكبرون ولا يكون
صفة ذم في حقهم وانما الذم يعود الى المستحقرين وفي الآية دلالة على ان الفقر خير من الغنى لان الاستكبار يتولد من كثرة المال والجاه والتصديق
والانقياد ينشآن من قلتهما أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل التحكم والسخرية لا للاستعلام والاسترشاد قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
جعلوا ارساله امرا بينا مكشوفا مسلما لا يدخله ريب انما الكلام في وجوب الايمان فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك قال الذين استكبروا
في جوابهم انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب كشف عرقوب البعير ثم اطلق على النحر اطلاقا لاسم
السبب على المسبب واسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم مع انه ما باشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة العظيمة انتم فعلتم كذا وانما فعله الا
واحد منهم كقوله واذ قتلتم نفسا وعتوا عن امر ربهم استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو الغلو في الباطل وامر ربهم شانه ودينه المراد امره بعقرها

من قوله فذروها ولا تمسوها والمعنى امرتهم بتركها كان هو السبب في عتوهم فان الانسان حريص على ما منع وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت
من المرسلين اطلقوا الوعد وارادوا ما وعدهم من العذاب الاليم واستعجالهم العذاب بما كان لاجل تكذيبهم لكل ما اخبر عنه من الوعد والوعيد
ولذلك علقوه بما كانوا ينكرونه وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة قال الفراء والزجاج هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض
والجبال قال الليث هي كرجفان البعير تحت الرجل وكما ترجف الشجرة اذا رجفتها الريح وهذا لا يناقض ما ورد في موضع اخر انهم اهلكوا بالطاغية
وفي اخر انهم اهلكوا بالصيحة لان الطغيان مجاوزة الحد قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فالزلزلة هي الحركة الخارجة عن الحد المعتاد ولعل التي الزلزلة
لا تنفك عن الصيحة الهائلة واصبحوا في دارهم اي في بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في اية اخرى فقال في ديارهم لانه اراد بالدار ما لكل
واحد من منزله الخاص الا انه حيث ذكر الرجفة وحد وحيث ذكر الصيحة جمع لان الصيحة كانها من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة ومعنى جاثمين
موتى لا حراك بهم قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال سكونه بالليل ومنه
المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى فتولى عنهم الفاء للتعقيب فالظاهر انه ادبر عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين قول مغتم
متحسر على ما فاته من ايمانهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي وحد الرسالة بخلاف ما مر في قصتي نوح وهود لان المراد هناك اشياء
كان يأمرهم بها قومهما بعد الايمان بالله وهاهنا وقع في اخر القصة فاراد بها مجموع ما ادى من الرسالة او اراد بذلك اداء حديث الناقة
فقط ونصحت لكم لم ال جهدا في النصيحة ولكن لا تحبون الناصحين حكاية لحال ماضية واعترض على هذا التفسير بانه كيف يصح خطاب الموتى
واجيب بانه قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يصغ اليه يا اخي كم نصحتك وكم قلت فلم تقبل مني القيت بنفسك الى التهلكة والفائدة
في مثل هذا الكلام ان يسمعه بعض الاحياء فيعتبر به ولعل القائل انما يتسلى بذلك وتزول بعض الغصة عن قلبه ويخف عليه ما نزل به وان رسول
الله صلى الله عليه وآله وقف على قليب قتلى بدر وقال يا فلان ويا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل له كيف
تكلم هؤلاء الجيف فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب تفسير اخر وهو ان يكون تولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم
حين راى العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم ما روي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا
اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن امر الله و
افسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم
مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب
لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية
الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح
عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا
وكانت في غاية العظم حتى قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعني موضع بروكها فوجدته ستين ذراعا ثم نتجت ولدا مثلها
في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة وولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا
كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك ان الماء كان عندهم قليلا فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربا لها يوما وشربا للقوم يوما
قال السدي وكانت الناقة في اليوم الذي تشرب فيه الماء تحلب فيكفي الكل فكانها كانت تصب اللبن صبا وفي اليوم الذي يشربون الماء لا تاتيهم
وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطن الوادي واذا وقع البرد كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح
يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فذبحوا تسعة نفر من ابنائهم ثم ولد للعاشر فابى ان يذبح ابنه فنبت نباتا سريعا ولما كبر الغلام
قال هل لكم في ان اعقر هذه الناقة فشد عليها فلما ابصرته شدت عليه فهرب منها الى جانب صخرة فردوها عليه فلما مرت به تناولها فعقرها
فسقطت فذلك قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر واظهروا كفرهم وقيل زينت لهم عقرها امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت
الناقة بمواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال
لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم
مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوه ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض
فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتاهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا واستبعد بعضهم ان
الغافل مع مشاهدة المعجزات والعلامات يبقى مصرا على كفره واجيب بانهم عند مشاهدة العلامات خرجوا عن حد التكليف وان يكون توبتهم
مقبولة عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الايات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم
الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان نبينا صلى الله عليه وسلم مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله
ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن وروي ان عاقر الناقة كان



يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك. القصة الخامسة قوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه تقديره ارسلنا وقت قال لقومه ويجوز ان يكون معناه واذكروا لوطا اذ قال على ان اذ بدل من المفعول به لا ظرف وانما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لان سكون وسطه قاوم احد السببين أتأتون الفاحشة أتفعلون الخصلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها قال في الكشاف الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله اي ما عملتها قبلكم قلت ومن المحتمل ان يكون الباء فيه مثلها في قولك كتبت في قوله تنبت بالدهن اي ما سبقكم ملتبسا بها من احد من العالمين من الاولى زائدة لتأكيد النفي وافادة الاستغراق والثانية للتبعيض وموقع هذه الجملة استيناف لانه انكر عليهم اولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او هو جواب سؤال مقدر كأنه قيل لم لا تأتونها فقال ما سبقكم بها من احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ويجوز ان يكون صفة الفاحشة كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني وههنا سؤال وهو انه كيف يجوز دعوى عدم السبق في هذه الخصلة ولم تزل الشهوة داعية اليها والجواب لعل متقدميهم كانوا يستقذرونها ويتنفرون عنها طبعا كسائر الحيوانات والمراد ان الاقبال بالكلية على ذلك العمل لم يوجد في الاعصار المتقدمة قال الحسن كانوا ينكحون الرجال في ادبارهم وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال عطاء عن ابن عباس استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض إنكم لتأتون الرجال بيان لما اجمله في قوله أتأتون الفاحشة وكلا الاستفهامين للانكار وفي الثاني اكثر ولهذا زيد فيه ان و مثله في النمل أتأتون الفاحشة أئنكم لتأتون الرجال تجمع بين ان واللام لموافقة آخر القصة إنا منجوك إنا منزلون وانتصب شهوة على انها مفعول له اي لا حاصل لكم على غشيانكم الرجال من دون النساء الا مجرد الشهوة او مصدر وقع حالا اي مشتهين شهوة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة الموجبة لارتكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء وختم هذه الآية بلفظ الاسم موافقة لرؤس الآيات التي تقدمت وهي العالمين الناصحين جاثمين المرسلين وفي النمل قال بل انتم قوم تجهلون اما العدول من الاسراف الى الجهل فلتغير العبارة وكل اسراف جهل وكل جهل اسراف واما العدول من الاسم الى الفعل فليتوافق ما قبلها من الآيات و وكلها افعال يبصرون تتقون يعلمون واعلم ان قبح هذا العمل كالامر المقرر في الطباع ووجوه القبح فيه كثيرة منها ان اكثر الناس يحترزون فيه عن الولد لان الولد يحمل المرء على طلب المال واتعاب النفس في وجوه المكاسب الا انه تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة حتى ان الانسان يطلب تلك اللذة ويقدم على الوقاع وح يحصل الولد شاء ام ابى وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع فوضع اللذة في الوقاع يشبه وضع الشيء الذي يشتهيه الحيوان في الفخ والغرض ابقاء النوع الانساني الذي هو اشرف الانواع فكل لذة لا تؤدي الى هذا الغرض وجب الحكم بتحريمها لما فيه من ضياع البذر ولزوم خلاف الحكمة ومنها ان الذكورة مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فانعكاس القضية يكون خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة ومنها ان الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهائم وخروج عن الغريزة الانسانية وهب ان الفاعل يلتذ بذلك العمل الا انه سعى في الحاق العار العظيم بالمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل او على الحاق الضرر به بكل طريق يقدر عليه وذلك لنفرة طبعه عن رؤيته واما حصول هذا العمل بين الرجل والمرأة فانه يوجب زيادة الالفة والمحبة كما قال خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ومنها انه تعالى اودع في الرحم قوة جاذبة للمني بحيث لا يبقى شيء منه في مجاريه واوعيته اما اذا واقع الذكر فانه يبقى شيء من اجزاء المني في المجاري فيعفن ويفسد ويتولد منه العلل والاورام في الاسافل كما يشهد به القوانين الطبية قال بعضهم والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم يقتضي حل وطء المملوك مطلقا ذكرا كان او انثى ولا يمكن تخصيص هذا العموم بقوله أتأتون الذكران من العالمين لان كلا من الآيتين اعم من الاخرى من وجه لان المملوك قد يكون ذكرا وقد لا يكون والذكر قد يكون مملوكا وقد لا يكون فتخصيص احدهما بالاخرى ترجيح من غير مرجح بل الترجيح لجانب الحل لمقتضى الاصل ولان المالك مطلق التصرف ولان شرع محمد اولى من شرع لوط واجيب بان الاعتماد على التواتر الظاهر من محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا العمل حرام قال وما كان جواب قومه بالواو وكيلا يكون التعقيب بالفاء بعد الاسم وفي النمل بالفاء فما كان وفي العنكبوت وتأتون في ناديكم المنكر فما كان فحسن تعقيب الفعل الفعل الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وفي النمل اخرجوا آل لوط ليكون ملائما لتفسير لهذه الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف فيكون قد صرح في الاولى وكني في الثانية سؤال في الكشاف يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عم من انكار الفاحشة ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤا بكلام آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشيطان من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف وارحمونا من هذا المتزهد وقيل المراد ان ذلك العمل في موضع النجاسة فمن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن الاثم يسمى

طهارة فالمراد انهم يتباعدون عن المعاصي والآثام فانجيناه واهله اي انصاره واتباعه والذين قبلوا دينه وعن ابن عباس اراد المتطهر
بمعنى التنسب بلى لبل قوله الا امرأته يقال امرأة الرجل لى زوجته ولا يقال المرأة يعنى زوجها لان المالكية حق الزوج كانت من الغابرين
وفيه التمل قدرناها من الغابرين اي كانت في علم الله من الغابرين فقدرناها من الغابرين وان قلنا بتاخرنزول الاعراف فالمعنى قدرناها
من الغابرين فصارت من الغابرين والغبور المكث والبقاء اي من الذين بقوا من ديارهم وهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وكانت كافرة
موالية لاهل سدوم وروى انها التفتت فاصابها حجر فماتت ثم وصف العذاب فقال امطرنا عليهم مطرا اي ارسلنا عليهم نوعا من المطر
عجيبا قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين
منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروى ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى
قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فانظر يا محمد صلى الله عليه وآله وكل من له اهلية الاعتبار كيف كان عاقبة المجرمين وهذه الآية وان تضمنت من
عذاب الاستيصال الا ان الخوف والاعتبار من شعار المؤمن لا ينبغي ان ينفك عنه على ان عذاب الآخرة اشد وابقى لم يؤمنوا بعد مسائل من
الشافعي ان اللواط يوجب الحد لانه ثبت في شريعة لوط فالاصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يظهر نسخ في شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف
المناسب يدل على علية الوصف للحكم فالآية تدل على ان هذا الجرم المخصوص علة لحصول هذا الزاجر المخصوص قال ابو حنيفة ان الواجب فيه التعزير لانه
فرج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول في عقوبة الفاعل قولان احدهما ان عقوبته القتل محصنا كان او لم يكن
لما روى انه صلى الله عليه وآله قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول واصحهما ان حده حد الزنى فيرجم ان كان محصنا ويجلد
ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب بالوطي فيختلف فيه البكر والثيب كالاتيان في القبل وعلى قول القتل فيه وجوه احدها يقتل بالسيف
كالمرتد والثاني وبه قال مالك واحمد يرجم تغليظا ويروى عن علي عليه السلام والثالث يهدم عليه جدار او يرمى من شاهق ليموت اخذا في عذاب
قوم لوط واما المفعول فان كان صغيرا او مجنونا او مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة بضع الرجل لا تتقوم وان كان مكلفا طائعا فيقتل بما يقتل
به الفاعل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يحد حد الزنى فيجلد ويغرب محصنا كان او لم يكن وان اتى امرأة في دبرها ولا ملك ولا نكاح فا
لاظهر انه لواط لانه اتيان في غير المأتى ويجيء في الفاعل والمفعول ما ذكرنا وقيل انه زنى لانه وطي انثى فاشبه الوطي في القبل فعلى هذا حده حد
الزنى بلا خلاف فترجم المرأة ان كانت محصنة واذا لاط بعبده فهو كالاجنبي على الاصح ولو اتى امرأته او جاريته في الدبر فالاصح القطع بمنع
الحد لانها محل استمتاعه بالجملة التأويل هذه ناقة الله معجزة الخواص ان يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر عشراء تتشعب السر وهو الخفي و
ناقة الله هي التي تحمل امانة معرفته ويعطي ساكن بلد القالب من القوى والحواس لان الواردات الالهية تذروها ترتع في رياض القدس وحياض الانس
ولا تمسوها بمخالفات الشريعة ومعارضات الطريقة فيأخذكم عذاب اليم بالانقطاع عن المواصلات الحقيقية اذ جعلكم خلفاء مستعدين
الخلافة وبوأكم في ارض القلوب تتخذون من سهولها وهي المعاملات بالصدق والاخلاص قصورا في الجنان والجنان وتنحتون من جبال اطوار
بيوتا هي مقامات السائرين الى الله فاذكروا آلاء الله النعماء والاخلاص فالاول يتضمن ترويح الظاهر والثاني يوجب ملوح السر فالترويح بوجوه المبارد
التلويح بشهود الاسرار ولا تعثوا في الارض القلب بالفساد الاستعداد الفطري الذين استكبروا هم الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة الذين استضعفوا
من اوصاف القلب والروح وتعلمون ان صالح الروح مرسل بنفخة الحق الى بلد القالب ساكنيه ليدعوهم من الاوصاف السفلية الظلمانية
الى الاخلاق العلوية النورانية فعقروا اي النفس وصفاتها ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق فاخذتهم رجفة الموت فاصبحوا في دارهم جاثمين والله اعلم

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ
و فرستادیم بسوی مدین یکی از ایشان شعیب را گفت ای قوم بپرستید خدا را نیست شما را خدائی بجز او هر آینه آمد شما را نشانه ای از پروردگار پس تمام دهید پیمانه
وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ
و ترازو را و کم مکنید مردم را چیزهاشان را و فساد مکنید در زمین پس از اصلاح آن این بهتر است برای شما اگر باشید مومنان و منشینید به هر
صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
راهی وعده وعید میدهید و باز میدارید از راه خدا هر که گروید باو و میجوئید از برای آن کجی را و یاد کنید وقتی را که بودید کم پس بسیار کرد شما را و بنگرید که چگونه بوده عاقبت
الْمُفْسِدِينَ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ قَالَ
مفسدان را و اگر بوده باشند گروهی از شما که گرویدند بآنچه فرستاده شدم بآن و گروهی نگرویدند پس شکیبائی کنید تا داوری کند خدا میان ما و اوست بهترین داوران گفت
الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ
بزرگان آنان که گردنکشی کردند از قوم او هر آینه بیرون کنیم تو را ای شعیب و آنها را که گرویدند با تو از ده ما یا برگردید در طریقه ما گفت که اگر چه باشیم اکراه کنندگان
قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ
بتحقیق بربافته ایم بر خدا دروغرا اگر برگردیم در طریقه شما پس از آنکه نجات داد خدا ما را از آن و سزاوار نیست ما را که برگردیم در آن ملت مگر آنکه بخواهد خدا

رَبُّنَا وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا

پروردگار ما فرا گرفته است پروردگار ما همه چیز را از دانش بر خدای توکل کردیم پروردگارا فیصله کن درمیان ما و میان قوم ما براستی و تو بهترین فیصله کنندگانی و گفتند بزرگان آنانکه کافر شدند

مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ

از قوم او که اگر پیروی کردید شعیب را شما آنگاه هر آیینه زیانکارانید پس فرا گرفت ایشان را عذاب پس صبح کردند در خانهای ایشان بزانو افتادگان آنانکه تکذیب کردند شعیب را گویا

لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ

که نبوده اند در آنجا آنانکه تکذیب کردند شعیب را بودند ایشان زیانکاران پس روگردانید از ایشان و گفت ای قوم تحقیق رسانیدم بشما پیغامهای پروردگار خود را و نصیحت کردم شما را پس چگونه اندوه خورم بر قوم کافران

القراءة كما مر الوقوف شعيبا غير اصل احتماله مؤمنين لعطف المنفصلين قوم العارفين اوداس الاية عوجا ج لاتفاق الجملتين مع طول الكلام وكثرة العطف المنفصلين المفسدين ج بيننا لاحتمال الواو الحال والاستيناف الحاكمين الجزء التاسع ملتنا ط كارهين قيل لا وقف لان الابتداء بقوله قد افترينا قبيح فلنا اذا كان محكيا عن شعيب كان اقبح ولكن الكلام معلق بشرط بعقبه منها الله ربنا علما توكلنا للعدول الفاتحين لخاسرون جاثمين ج ان يوصل وقف على كان لم يغنوا حال لمعنى الفعل في الجاثمين وان جعل الذين مبتدأ خبره كان لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف على فيها وجعل الذين بدلا عن الذين الاول وقف على شعيب او يستانف بكانوا ولا يخرج من نعت الخاسرين ونصحت لكم لان كيف للتعجب فيصلح للابتداء مع ان فيه فاء التعقيب كافرين والله اعلم التفسير لقصة التاسعة قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لانهم من شعيب موبه مدين بن ابراهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وذلك انه امرهم باشياء الاول عبادة الله امرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا اصل معتبر في شرائع جميع الانبياء الثاني تصديق ما ادعاه من النبوة واشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة اي معجزة دالة على نبوتي نفي الاية دلالة على ان لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغي لكل مدعي نبوة والا كان متنبئا غير ان معجزته لم يذكر في القران كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وآله فيم يحكى انه دفع الى موسى عصاه وتلك العصا من آس الجنة وايضا قال لموسى ان هذه الاغنام تلد اولادا عنقها اسود وبطنها ابيض وقد وهبتها منك فكان الامر كما اخبر وكل ذلك قبل ان يستنبأ موسى فقال اهل السنة ان هذه الامور علامات نبوة موسى وتسمى ارهاصا وقالت المعتزلة انها معجزات شعيب بناء على ان الارهاص عندهم غير جائز الثالث قوله فاوفوا الكيل الاية واعلم ان للانبياء ان يبدأوا في الموعظة بما يكون مقبلين عليه وكان قوم شعيب مشعوفين بالبخس والتطفيف وكان يقول البخس عبارة عن الخيانة بالشيء القليل وهو امر مستقبح في العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر فاوفوا الكيل والميزان قال في الكشاف لم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود لانه اراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان او الميزان مصدر كالميعاد والميلاد الرابع ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسه حقه اذا نقصه اياه ومنه قيل للمكس البخس في المثل تحسبها حمقاء وهي باخس قال تغلب ان شئت قلت باخسة وذلك يتناول الانسان والبهيمة يضرب لمن لا يعبأ به وفيه دهاء وجربزة خص ولا ثم عم ليشتمل جميع انواع الضيم كالغصب والسرقة واخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع بوجوه الاحتيال روي انهم كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا الخامس ولا تفسدوا في الارض وهذا اعم من البخس ليشمل الاموال والاعراض والنفوس وكل ما يوجب مفسدة ونبوة والمعنى بعد صلاح اهلها على حذف المضاف او كقوله بل مكر الليل والنهار تعد الاصلاح فيها يعني بعد اصلاح الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العاملين شرائعهم ذلكم الذي ذكر من الامور الخمسة خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة البركة لرغبة الناس في متاجرتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة ولا يخفى ان حاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لي في قولي ثم فصل بعض ما اجمل فقال ولا تقعدوا بكل صراط حقيقته ذلك انهم كانوا يجلسون على الطرق والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من امن بشعيب يقولون انه كذاب لا يفتنكم عن دينكم او كانوا يقطعون الطرق او كانوا عشارين وقيل انه مجاز وهم الذين تعدوا على طريق الدين ومنهاج الحق لاجل ان يمنعوا الناس عن قبوله اقتداء بالشيطان حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ودليل هذا المجاز قوله ويصدون عن سبيل الله يقال قعد بمكان كذا اي لصق به وعلى مكان كذا اي على ذلك المكان وفيه اذا حل فحروف الجر يتعاقب في مثل هذا الموضع لتقارب معانيها ومحل توعدون وما عطف عليه نصب على الحال نهاهم عن القعود على صراط الله حال الاشتغال باحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع ان صراط الحق واحد لانه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة كل منها في نفسه سبيل وكانوا اذا راوا احدا يشرع فيها اوعدوه وصدوه والضمير في به راجع الى كل صراط والتقدير توعدون من امن به وتصدون عنه فوضع الظاهر موضع الضمير زيادة في التقبيح والتفظيع وتبغونها عوجا يطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها معوجة وذلك بالقاء الشكوك والشبهات قال في الكشاف ويكون تهكما بهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى لان ذكر النعم مما يحمل على الطاعة ويبعد عن المعصية فقال واذكروا اذ كنتم اي وقت كونكم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة وكثرة القدرة والشدة بعد الضعف والذلة قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء وصاروا كثيرا في العدد والعدة والشدة ثم حذرهم سوء

عاقبة

عاقبة من افسد قبلهم من الامم وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ردعهم اولاً ثم رهبهم ثانياً واكد الترهيب بقوله وان كان طائفة الآية وفيه وعيد للكافرين ووعد للمحقين المؤمنين وحث لهم على الصبر على ما يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم بمقتضى العدل والحكمة خير الحاكمين ثم حكى جواب قوم المجوجين المستكبرين وذلك قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي لابد من احد الامرين كائن لا محالة اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر وههنا سؤال وهو ان الكفر على الانبياء محال فكيف يتصور عوده اليه وهب ان قول الكفار ليس بحجة اليس قول شعيب حجة حيث قال ان عدنا في ملتكم واجيب بان الكلام بني على التغليب وان شعيباً اراد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم لما ذكرنا ولعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيساً على العوام وشعيب اجرى كلامه على وفق ذلك كان او امر في قول العرب يخفى من فوقه سوا انه على دينهم او اريد بالملة الشريعة التي صارت منسوخة بشرعه او يطلق العود على الابتداء كقوله وان يكن الايام احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب قال شعيب في جوابهم اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير لا نعيد في ملتكم وحال كراهيتنا ثم صرح بانه لا يفعل ذلك فقال قد افترينا على الله كذباً ان فعلنا ذلك وذلك ان اصل الباب في النبوة والرسالة الصدق للتحمد والبراءة عن الكذب في العود في ملتكم بما في ذلك ومعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد ان علمنا قبحه وفساده ونصب لنا الدلالة على بطلانها اذا المراد بجزء قومه فعلى ما والمراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كما مر قال في الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاماً مستأنفاً فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر والثاني ان يكون قسماً على تقدير حذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله كذباً وما يكون لنا اي ما ينبغي لنا وما يصح ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا قال اهل السنة في الاية دلالة على ان المنجي من الكفر هو الله تعالى وكذا المعيد اليه قال الواحدي ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكثيراً ما كان يقول نبينا صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف توفني مسلماً اجابت المعتزلة بوجوه الاول ان قوله الا ان يشاء قضية شرطية اي من شاء يعيد وليس فيه بيان انه شاء ام ابى الثاني ان هذا على نوع التبعيد والاحالة كما يقال لا يفعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب الثالث لعل المراد بما لو كرهوا على العود فان اظهار الكفر عند الاكراه جائز وان كان الصبر افضل وما كان جائزاً صح ان يكون مراداً لله تعالى كما ان المسح على الخفين مراد الله وان كان غسل الرجلين افضل الرابع يحتمل ان يعود الضمير في فيها الى قريتهم كانه قال اذا اخرجتمونا من القرية حرم علينا العود فيها الا باذن الله تعالى الخامس المشية عند اهل السنة لا يوجب جواز الفعل فانه تعالى يريد الكفر من الكافر ولا يجوز فعله انما الذي يوجب الجواز هو الامر فيحتمل ان يراد بالمشية ههنا الامر فيكون القدر الا ان يأمر الله ان نعود الى شريعتكم المنسوخة فان الشرع المنسوخ لا يبعد ان يأمر الله تعالى بالعمل بها مرة اخرى السادس قال الجبائي المراد من الملة الشريعة التي لا يجوز اختلافها لتعبد فيها بالاوقات كالصوم والصلوة فمن الجائز ان يكون بعض احكام الشريعة المنسوخة باقياً فيكون المعنى الا ان يشاء الله تعالى بعض تلك الملة فيدلنا عليها ثم ان المعتزلة تمسكوا بالاية على صحة قولهم من وجهين احدهما ان قوله وما يكون لنا معناه لو شاء الله عودنا اليها لكان لنا ان نعود وذلك يقتضي ان كل ما شاء الله تعالى ويجوز كان فعله جائزاً مأذوناً فيه وما كان حراماً ممنوعاً منه لم يكن مراداً لله تعالى وثانيهما ان قوله لنخرجنك او لتعودن لا وجه للفصل بينهما فان كان العود بخلق الله كان الاخراج ايضاً بخلقه قلت للسني ان يلتزم ذلك اما قوله وسع ربنا كل شيء فوجه تعلقه بما تقدم على قول الجبائي هو ان التكليف بحسب المصالح فيكون معنى قول شعيب الا ان يشاء الله الا ان يختلف المصلحة في تلك العبادات فيكلفنا بها والعلم بالمصالح لا يكون الا بان وسع كل شيء علماً وقالت الاشاعرة وجه التعلق هو ان القوم لما قالوا لنخرجنك او لتعودن قال شعيب وسع ربنا كل شيء علماً فربما كان في علمه قسم ثالث وهو ان يبقينا في القرية مؤمنين ويجعلهم مقهورين خاسرين ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك على الله توكلنا اي لا على غيره وانتصاب علماً على التمييز في قوله وسع بلفظ الماضي لا لانه على انه تعالى كان في الازل عالماً بجميع المعلومات فلا يخرج شيء عن مقتضى علمه وهو معنى جف القلم وطوي الصحف ولزوم الاحكام وسعادة السعيد وشقاوة الشقي ويعلم من عموم كل شيء انه علم الماضي والحال والمستقبل وعلم المعدوم انه لو كان كيف يكون وهذه اقسام اربعة يقع كل منها على اربعة اوجه لانه علم الماضي كيف كان وعلم انه لو لم يكن ماضياً بل كان حالاً او مستقبلاً او معدوماً محضاً فانه كيف يكون وكذا الكلام في الاقسام الاخر فيكون المجموع ستة عشر واذا اعتبر كل منها بحسب كل جنس ونوع او صنف وشخص من الجواهر ومن الاعراض صار مبلغاً يتحير فيه عقول العقلاء بل يقف دون اول منزلة من منازلات بحاره ثم ان شعيباً لما اعرض عن الاسباب وارتقى بطريق التوكل الى مسببها ختم كلامه بالدعاء فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي احكم اقض وعن ابن عباس ما ادري ما معناه حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها تعال افاتحك اي احاكمك وجوز الزجاج ان يكون معنى الاية اظهر امرنا حتى يتضح ما بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد ان ينزل عليهم عذاباً يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين ثم اثنى على الله بقوله وانت خير الفاتحين كما قال وهو خير الحاكمين قالت الاشاعرة الاية فيه باب الخيرات وهو اشرف صفات المحدثات فلو كان موجد الايمان العبد كان خير الفاتحين هو العبد والمعتزلة يقولون لولا الطاف الله ترجح الداعية لم يوجد لمن يدعوهم لئن اتبعتم شعيباً انكم اذاً لخاسرون اي في الدين او في الدنيا لانه يمنعكم من ان تزدادوا الاموال بطريق التجبر والتطفيف فاخذتهم الرجفة قد سبق تفسيرها الذين كذبوا



ثم بما كان لم يغنوا فيها اى غنى القوم فى دارهم اذا طال مقامهم فيها والمغانى المنازل اذا كان فيها اهلها وقال الزجاج اى كان لم يعيشوا فيها مستغنين من الغنى الذى هو ضد الفقر على التفسير شبه حال المكذبين بحال من لم يكن قط فى تلك الديار كقوله كان لم تكن بين الحجون الى الصفا انيس

ولم يسمر بمكة سامر وفى الكشاف الذين كذبوا مبتدا خبره كان لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرين وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كان لم يقيموا فى ديارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفى هذا الاستيناف والابتداء والتكرير مبالغة فى رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بهم بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم قلت فى العرب قد تكون للتفخيم والتعظيم فيقول اخوك الذى ظلمنا اخوك الذى هتك اعراضنا وايضا ان القوم لما قالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين تعالى ان الذين لم يتبعوه وخالفوه هم الخاسرون وفى الاية فوائد اخر منها ان ذلك العذاب ما حدث بتخليق فاعل مختار وليس ذلك تاثير الكواكب والطبيعة والا حصل فى اتباع شعيب كما حصل فى حق الكفار ومنها ان ذلك الفاعل عليم بالجزئيات حتى يمكنه التمييز بين المطيع والعاصى ومنها يكون معجزة لشعيب حيث وقع ذلك العذاب على قوم دون قوم مع كونهم مجتمعين فى بلد واحد فتولى عنهم قد تقدم ان هذا التولى جاز ان يكون بعده قال الكلبى خرج من بينهم ولما اشتد حزنه على قومه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الالفة ولانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة للايمان عزى نفسه وقال فكيف آسى على قوم كافرين لانهم الذين اهلكوا انفسهم بسبب اصرارهم على الكفر والاسى شدة الحزن وقيل المراد لقد اعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصيحتى فكيف اسى عليكم لانكم لستم مستحقين لذلك التاويل ولا تبخسوا فيه الخساسة والدناءة والحرص والظلم من الصفات التى يجب كف النفس عنها فان الله تعالى يحب معالى الامور ويبغض سفسافها ولا تفسدوا فى الارض الطينة التى جبل الانسان عليها ولا تقعدوا بكل صراط لا تقطعوا الطريق على الطالبين بانواع الحيل والمكايد اذ كنتم قليلا فكثركم بالتناصر والتعاون فى الامور وبكثرة العدة نعمة فانه يجب ان تصرف فى اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة منكم اى الروح والقلب وطائفة لم يؤمنوا وهم النفس وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب المؤمنين تبعا للنفس الكافرة فى العذاب وانا نقة المهاجرين او لتعودن فى ملتنا اشارة الى ان كل جنس لا يميلون الا الى اشكالهم والا وحدانية من ابن نفخ اصرابه بعد اذ نجانا الله منها فى القسمة الازلية افتح بيننا احكم بيننا وبينهم باظهار حقيقة ما قدر من خاتمة الجزاء واظهار ما قدرت من خاتمة السوء فاخذ الرجفة بضارب قلوبهم تبعا لعناهم فانهم كانوا احيا الارواح فى دنيا الاشباح كان لم يغنوا فيها لان الباطل زاهق لا محالة

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا

و نفرستادیم در هیچ دهی پیغمبر را مگر گرفتیم اهل آنرا بسختی حال و بدحالی تا باشد که ایشان زاری کنند پس بدل نهادیم

مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

در جای بدی خوبی را تا که در کثرت شدند و گفتند هر آینه رسید پدران ما را سختی و بدحالی پس گرفتیم ایشانرا ناگهان و ایشان درک نمیکردند

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا

و اگر چنانچه اهل دهها ایمان آوردندی و پرهیز کردندی هر آینه بگشادیم بر ایشان برکتها از آسمان و زمین و لیکن تکذیب کردند پس گرفتیم ایشانرا بانچه بودند

يَكْسِبُونَ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى

که میکردند آیا ایمن شدند اهل دهها که در رسد ایشانرا عذاب ما در شب و ایشان در خواب باشند یا ایمن شدند اهل دهها از اینکه در رسد عذاب ما در روز

وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ

ع

و ایشان بازی کنند آیا ایمن شدند از مکر خدا پس ایمن نشود از مکر خدا مگر گروه زیانکاران آیا روشن نکرد مر آنها را که میراث گرفتند زمین را از پس

أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

اهل آن که اگر خواهیم برسانیم ایشانرا بسبب گناهان ایشان و مهر نهادیم بر دلهای ایشان پس ایشان نمیشنوند این دهها حکایت کردیم بر تو از خبرهای آن و بتحقیق آمدند بایشان پیغمبران ایشان با نشانها

فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ

پس نبودند که ایمان آرند بانچه تکذیب کردند از پیش همچنین مهر مینهد خدا بر دلهای کافران و نیافتیم مر بسیاری از ایشانرا از عهدی و اگرچه یافتیم بسیاری از ایشانرا تباه کاران

القراءة لفتحنا بالتشديد ابن عامر ويزيد اوامن بسكون الواو ابو جعفر ونافع غير ورش وابن عامر وقرا ورش بنقل حركتها الى الساكن قبلها او لم يهد بالنون حيث كان زيد عن يعقوب الباقون بالياء التحتانية رسلهم بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف يضرعون لا يشعرون يكسبون نائمون يلعبون قرءوا من نصب الواو على ان الهمزة للاستفهام ومن سكن الواو فلا وقف لان او للعطف يلعبون مكر الله ج للفصل بين الاخبار والاستخبار مع ان الفاء للتعقيب الخاسرون بذنوبهم ج للفصل بين الماضى والمستقبل وتقدير ونحن نطبع مع اتحاد القصة لا يسمعون من انبائها ج لعطف المختلفين بالبينات ج لان ضمير فما كانوا ليؤمنوا لا هل مكة وضمير جاءتهم للامم الماضية مع ان الفاء توجب الاتصال من قبل ط الكافرين من عهد ج لعطف الجملتين لفاسقين التفسير انه سبحانه لما عرفنا احوال هؤلاء الانبياء وما جرى على اممهم ذكر ما يدل على ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم

وليس مقصوراً عليهم وبين العلة التي لاجلها فعل بهم ما فعل والقرية مجتمع القوم تشمل المدينة ايضا وتقدير الكلام وما ارسلنا في قرية من نبي فكذبه
اهلها الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء قال الزجاج البأساء الشدة في الاموال والضراء الامراض في الابدان وقيل بالعكس لعلهم يضرعون اي
يتضرعون فادغم التاء في الضاد والمعنى ليحطوا اردية التعزز والاستكبار ويبتغوا نيتهم ثم بين ثم تدبيره في اهل القرى لا يجري على نمط واحد فقال
ثم بدلنا مكان السيئة وهي كل ما يسوء صاحبه الحسنة وهي ما يستحسنه الطبع والعقل اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من الفقر والضر السعة والصحة
حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفى النبات والشحم اذا كثر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كما
هو داب الاشرين يقولون هذه عادة الدهر في اهله يوم محنة ويوم منحة والمراد انهم لم ينتفعوا بتدبير الله تعالى فيهم من رخاء بعد شدة وامن
بعد خوف ورخاء بعد عناء فاخذناهم بغتة امن ما كانوا عليه ليكون ذلك اعظم في الحسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة في جميع
هذه الحكايات اعتبار من سمعها ووعاها وتعريف ان العصيان سبب الحرمان عن الخيرات وسد لجميع ابواب السعادات ولهذا قال ولو ان اهل القرى
اي جنسها او القرى المذكورة في قوله وما ارسلنا في قرية امنوا بما يجب به الايمان في باب المبدأ والمعاد واتقوا كل ما نهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض اي لآتيناهم بالخير من كل وجه او اراد القطر والنبات والمراد بفتح البركات عليهم تيسيرها عليهم كقولهم فتحت على القارئ اذا يسرت
القراءة عليه بالتلقين ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بغتة والاية بينهما اعتراض والفاء للتعقيب بعد ذلك من اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وامنوا
ان يأتيهم بأسنا ضحى فلهذا عطف الثانية بالواو واما قوله افامنوا مكر الله فتكرير لقوله افامن اهل القرى فلهذا رجع فعطف بالفاء قلت يجوز
ان يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى افعلوا ما فعلوا فامن واما من قرأ او ساكنة فمعناه اما احد الشيئين ويرجع المعنى الى قولنا افامنوا احد هذه
العقوبات واما الاضراب كما تقول انا اخرج ثم تقول او اقيم على ان المراد هو الاضراب عن الخروج واثبات الاقامة اي لا بل اقيم ومعنى بياتا قد تقدم في
اول السورة وضحى نصب على الظرف قال الجوهري ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة وتذكر على انه
المفرد كصرد لان ذلك كاللعب في انه يضر ولا ينفع ومكر الله تقدم في آل عمران بعد الاستدراج او سمي جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت
له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات يعني المذكور في الاية اللهم اجعلنا من الخائفين العاقلين لا من
الامنين الغافلين ثم لما بين حال المهلكين مفصلا ومجملا ذكر ان الغرض من القصص حصول العبرة للباقين فقال اولم يهد من قرأ بالياء ففاعله
ان لو نشاء والمعنى اولم يهد الذين يخلفون اولئك المتقدمين ويرثون ارضهم وديارهم هذا الشأن وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي بعقابها
كما اصبنا من قبلهم ومن قرأ بالنون فقوله ان لو نشاء منصوب المحل بمعنى لنبين على القراءتين على القراءة الاولى محذوف والتقدير اولم
يكشف لهم الحال والشأن المذكور واما قوله ونطبع على قلوبهم فاما ان يكون منقطعا عما قبله بمعنى ونحن نطبع واما ان يكون متصلا بما قبله قال
في الكشاف وذلك هو يرثون او ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع قال لا يجوز ان يكون معطوفا على اصبناهم وطبعنا
لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فيجري مجرى تحصيل الحاصل ولقائل ان يقول لا يلزم من المذكور وهو كونهم مذنبين ان يكونوا مطبوعين
فانه قد يذنب غير المطبوع لانه قد ينيب اولا او يكفر ثم يستمر على ذلك فيصير مطبوعا على قلبه وايضا جاز ان يراد لو نشاء لزدنا في طبعهم او لادمناه والله
سبحانه اعلم بمراده ثم اخبر عن الاقوام المذكورين تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال تلك القرى وهي مبتدأ وخبر وقوله نقص الحال والعامل معنى اسم
الاشارة او خبر بعد خبر او القرى صفة لتلك ونقص خبر وفائدة الاخبار على هذا التقدير ظاهرة واما على الاولين فيرجع الفائدة الى الحال و
الخبر الثاني كما ترجع الى الصفة في قولك هو الرجل الكريم والحاصل ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها
عليك وايضا خصصنا تلك القرى بقصص بعض انبائها لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم وكانوا اقرب الامم الى العرب فذكرنا احوالهم تنبيها
على الاحتراز عن مثل اعمالهم ثم عزى رسوله بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل اللام لتاكيد النفي
وان الايمان كان منافيا لحالهم قال ابن عباس والسدي فما كان اولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بسبب تكذيبهم يوم اخذ ميثاقهم حين
اخرجهم من ظهر آدم اقروا باللسان كرها واضمروا التكذيب قال الزجاج ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا به من قبل رؤية تلك المعجزات
وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد الاهلاك ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل
فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما كذبوا به من قبل مجيئهم وقيل ما كانوا ليؤمنوا في الزمان المستقبل بما كذبوا به في الزمان الماضي اي استمروا على التكذيب
من لدن مجيء الرسل الى ان ماتوا مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الايات كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين
الذين كتب ان لا يؤمنوا ابدا والطبع والختم والرين والكنان والغشاوة والصد والمنع واحد كما سلف قال الجبائي هو ان يسم الكفار بسمات و
علامات يعرف الملائكة بها ان صاحبها لا يؤمن وقال الكعبي انما اضاف الطبع الى نفسه لاجل ان القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند امره وامتحانه
فهو كقوله تعالى فلم يزدهم دعائي الا فرارا ثم شرح حال المكلفين فقال وما وجدنا لاكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس
يعني بالعهد قوله الست بربكم اقروا به ثم خالفوا وعن ابن مسعود هو الايمان كقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني من قال لا اله الا الله
وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفاء بالعهد وان وجدنا هي المخففة من الثقيلة اي علمنا ضمير شأن مقدر

عذاب

والمفسدين والنسيان والحديث علمنا أكثرهم لفاسقين خارجين من الطاعة والايمان معرضين ويحتمل ان يعود الضمير الى الامم المذكورين كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن نكثوه بعد كشف الضر التأويل الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء الولي يتضرع اليه عند البلاء ويتوكل عليه والعدو يعدل عن الحق ولا يرجع اليه ولو ان اهل القرى يعني صفات النفس امنوا بما يرد الى صفات القلب والروح من الطاف الحق واتقوا مشابهة النفس لفتحنا عليهم اسباب العواطف من سماء الروح وارض القلب فاخذناهم عاقبناهم بعذاب البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وعلى موافقات الطبع بياتا في صورة القهر ضحى في صورة اللطف بسطوات الجذبات وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون من اهل القهر هم الذين خسروا سعادة الدارين ومن اهل اللطف هم الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى اولئك لهم الامن وهم مهتدون

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ

وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ

مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ

فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ

بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ

وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ

وَهَارُونَ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ

تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ وَ

مَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ

القراءة حقيق على بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف مع فتح الياء حيث كان حفص ارجه باسكان الهاء الضم حمزة وعاصم غير المفضل ارجه بكسر الجيم والهاء من غير اشباع يزيد وقالون وعلي وعباس وخلف والمفضل ارجه بالهمزة ابو عمرو غير عباس وسهل ويعقوب وابن الاخرم عن ابن ذكوان وهشام غير الحلواني ارجئه بالاشباع ابن كثير والحلواني عن هشام ارجئه بكسر الهاء ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان سحار بالمبالغة حمزة وعلي وخلف وكذلك في يونس وقرأ قتيبة ونصير والدوري حمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو بالامالة الباقون ساحران لنا بحذف همزة الاستفهام ابن كثير وابو جعفر ونافع وحفص ان لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلي وخلف وابن عامر هشام يدخل بينهما مدة وقلب الهمزة ياء ابو عمرو ويزيد ابن بالياء ولا مدة سهل ويعقوب غير زيد تلقف بالتخفيف حيث كان حفص والمفضل هي تلقف بالتشديد وادغام التاء الاولى في الثانية البزي وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل امنتم بزيادة همزة الاستفهام بهمزة واحدة ممدودة حفص امنتم بزيادة همزة الاستفهام حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص امنتم بالمد وتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وابن مجاهد وابي عون عن قنبل فرعون وامنتم بالواو والخالص الهاشمي عن قنبل وامنتم بالواو وتحقيق الهمزة الاولى ابن مجاهد وابو عون

والطهر بزي

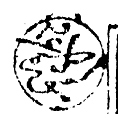
والمرندي عن قبيل لوقوف نظلموا بها ج للفصل بها للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفسدين العالمين ج وقفا على بالتشديد اي اجب على ومن قرأ مخففا جاز له الوصل على جعل حقيق وصفا لرسول وعلى بمعنى الباء الا الحق ط بني اسرائيل الصادقين مبين صلے للفصل بين الجملتين والوصل اجوز للجمع بين الحجتين للناظرين عليم لا لان ما بعده وصف لساحر من ارضكم ج لاحتمال ان بعده من تمام قول الملأ لفرعون وحده والجمع للتعظيم اوله ولعظماء حضرته وان يكون ابتداء جواب من فرعون اي فاذا تشيرون تامرون حاشرين لا لان ما بعده جواب لامر عليم العالمين المقربين الملقين القوي المخفي للعطف عظيم عصاك ج لحق المحذوف لان التقدير فالقاها فاذا هي ما يافكون وكانوا يعملون ج صاغرين لمكان حروف العطف ساجدين ج لاحتمال كون قالوا حالا باضمار قد العالمين لا للبدل وهرون لان لكم للابتداء مع اتحاد القائل اهلها ج لان سوف للتهديد مع العطف تعلمون اجمعين منقلبون ج للاية مع اتحاد القول جاءتنا ط للعدول عن المحاباة الى المناجاة المسلمين التفسير القصة السابعة من قصص هذه السورة قصة موسى ع وقد ذكر في هذه القصة من البسط والتفصيل ما لم يذكر في غيرها لان جهل قوم اعظم وافحش من جهل سائر الاقوام ولهذا كانت معجزات متقدمين من الانبياء والضمير في قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى رسل الامم المذكورين وفي قوله باياتنا دلالة على كثرة معجزاته وان النبي لابد له من اية ومعجزة بها يمتاز عن المتنبي فظلموا بها اي بتلك الايات والمراد كفرهم بها لان وضع الانكار في موضع الاقرار وايراد الكفر بدل الايمان وضع الشيء في غير موضعه او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من امن بها فانظر ايها المعتبر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين كيف فعلنا بهم وهذا اجمال ثم شرع في تفصيلها وذلك قوله وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اي اله قادر عليم حكيم وفيه ان العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الى رب يربيه حقيق على ان لا اقول من قرأ بالتشديد فحقيق اما بمعنى فاعل اي واجب على ترك القول على الله الا الحق او بمعنى مفعول اي حق على ذلك تقول العرب انا لحقيق وعلى ان افعل خبر واما قراءة العامة حقيق على مرسلة الياء ففيه وجوه احدها ان يكون على بمعنى الباء كقولهم جئت على حال حسنة وبحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط اي على كل صراط ويؤكد هذا الوجه قراءة ابي حقيق بان لا اقول اي انا خليق بذلك وثانيها ان الحق هو الدائم الثابت والحقيق مبالغة فيه وكل ما لزمك فقد لزمته وكان المعنى انا ثابت مستمر على ان لا اقول الا الحق وثالثها ان يضمن حقيق معنى حريص ورابعها ان يكون من القلب لانه يتجه عليه امن الالباس نحو قوله المعنى الى قراءة نافع وخامسها ان يكون اغراقا في الوصف ومبالغة بالصدق والمراد انا حقيق على قول الحق اي واجب عليه ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به وسادسها ان يكون على هذه هي التي تقرن بالاوصاف اللازمة الاصلية كقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها ويقال جاءني فلان على هيئته وعلى عادته وعرفته وتحققته على كذا وكذا من الصفات فمعنى الاية انه لما تحقق الا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق الدعوى الا لله القادر المختار وعلى تصديق الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم اي بمعجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله فارسل معي بني اسرائيل اي اطلقهم وخل سبيلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف ع لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم واستخدمهم في الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فيه سؤال لان احدهما لفظي وهو ان ههنا شرطين فاين جوابهما والجواب ان المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى نظيره قول القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا وثانيهما ان قوله ان كنت جئت باية وقوله فات بها كلاهما واحد في المعنى فكيف يفيد تعليق احدهما بالاخر وجوابه المنع اذ المراد ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فاحضرها لتصح دعواك ثم ان فرعون لما طالب موسى ع باقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته قلب العصا ثعبانا واظهر اليد البيضاء وذلك قوله سبحانه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ومعنى كون الثعبان مبينا ان امره ظاهر لا شك في انه ثعبان ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات وانما هو من قبيل المعجزات او المراد انه بان قول المدعي الكاذب والثعبان في اللغة الحية الضخم الذكر روي انه كان اشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا ووضع لحيه الاسفل على الارض ولحيه الاسفل على الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واخذه البطن يومئذ اربعمائة مرة وكان لم يرمنه الحدث قبل ذلك وحمل الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا والنزع في اللغة القلع والاخراج اي اخرجها من جيبه او من جناحه بدليل قوله في مواضع اخر وادخل يدك في جيبك تخرج روي انه اري فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها في جيبه وعليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها الشمس وكان موسى ع ادم شديد الادمة وقوله للناظرين يتعلق ببيضاء فانها لا يكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا من العادة اجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمعون للعجائب واعلم ان القول بجواز انقلاب العادات عن مجاريها مقام صعب مشكل ولهذا اضطرب اقوال العلماء فيه فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على القول بالفاعل المختار فجوزوا في الانسان وسائر انواع الحيوان ان يتولد دفعة واحدة من غير سابقة مادة ومدة وجوزوا في الجوهر الفرد ان يكون حيا عالما قادرا فاهما من غير حصول بنية ولا مزاج وجوزوا في الاعمى الذي بالاندلس ان يبصر في ظلمة الليل البقة التي تكون باقصى المشرق وفي سليم البصر ان لا يرى الشمس في كبد السماء من غير حائل والمعتزلة جوزوا انخراق العادات في بعض

معجزاته انواع من م

قوله موسى عن

وصار خوا وحمل على الناس م

الصور دون بعض من غير ضابط ولا قانون اللهم الا ان يحال على الشرع والطبيعيون المتفلسفون انكروا ذلك على الاطلاق وزعموا انه لا يجوز
حدوث الاشياء ودخولها في الوجود الا على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين والا لزم فتح باب الجهالات فانه اذا جاز ان ينقلب العصا
ثعبانا جاز في الشخص الذي شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد مثلا انه ليس هو الشخص الاول وهذا يوجب القدح في النبوة والرسالة فان زعم
زاعم ان هذه الامور تختص بزمان دعوة الانبياء قلنا المختص في ذلك الزمان لا يعرف الا بدليل غامض وكل من لا يقف على ذلك الدليل يقع
في تيه الاشكال والضلال مع ان زمان جواز الكرامات لا ينقرض عندكم ابدا فلا ينقضي التجويز سرمدا هذا وانما جمع بين العصا واليد مع ان
المعجز الواحد كاف لان كثرة الدلائل توجب مزيد اليقين قال بعض المحققين هما شيء واحد والمراد ان حجة موسى كانت قوية ظاهرة من حيث
ان الحجة ابطلت اقوال المخالفين كانت كالثعبان الذي يلقف ما يأفكون ومن حيث انها كانت باهرة ظاهرة في نفسها وصفت باليد البيضاء كما يقال
لفلان يد بيضاء في الامر الفلاني اي قوة كاملة ومرتبة ظاهرة والمحققون ان انقلاب العصا وغير ذلك امور ممكنة في ذواتها لان الاجسام متماثلة
في الجسمية فكل ما صح على شيء صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تأويل ونعم ان السحر كان
غالبا في ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين في ذلك فزعم اتباع فرعون ان موسى لكونه في النهاية من علم السحر اتى بتلك الصفة وانه كان يطلب
بذلك الملك والرياسة وذلك قوله سبحانه قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ولا ينافي هذا ما حكى الله تعالى في
سورة الشعراء انه قال ذلك فرعون فانه يحتمل صدوره هذا القول في تلك الحالة منه ومنهم او لعل فرعون قاله ابتداء فتلقفه الملأ منه فقالوه لغيرهم
او قالوه عنه لسائر الناس على طريق التبليغ فان الملوك اذا رأوا رأيا ذكروه للخاصة وهم يذكرونه للعامة والاظهر ان قوله فَمَاذَا تَأْمُرُونَ من كلام فرعون
اما لان الامر لا يجوز ان يكون من الادنى للاعلى او لانه من قولهم امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك برأي ولهذا فان الملأ قالوا في
جوابه أَرْجِهْ وَأَخَاهُ اي اخر امره وامر اخيه ولا تعجل بقضاء في شأنهما فتصير عجلتك حجة عليك قال الجوهري ارجئت الامر اخرته بهمز ولا بهمز وعن الكلبي
وقتادة ان المعنى احبسه وزيف بانه خلاف اللغة الا ان يقال حبسه نوع من التاخير في امره وبان فرعون ما كان يظن انه قادر على حبس موسى بعد
مشاهدة حال العصا وارسل في المدائن المدينة فعيلة من مدن بالمكان يمدن مدونا اذا قام به ولهذا اتفق القراء على همز مدائن لانه كصحائف و
قيل انها مفعلة من دنت اي ملكت وكان هذا القائل لا يهمز مدائن وقال المبرد اصلها مديونة من دانه اذا قهره وساسه فعل بها ما فعل بمخيط ومبيع
في مخيوط ومبيوع وليس المراد مدائن الارض كلها ولكن المقصود مدائن صعيد مصر وقال ابن عباس وكان رؤساء السحرة باقصى مدائن الصعيد حاشرين
جامعين يأتوك بكل سحار الباء بمعنى مع او للتعدية قيل كانوا سبعين ساحرا سوى رئيسهم وقيل بضعة وثلثين الفا وقيل سبعين الفا وقيل ثمانين
الفا وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى قرية بقرب الموصل وضعف بان المجوس من اتباع زرادشت وهو انما جاء بعد موسى
وفي الاية دلالة على كثرة السحرة في ذلك الزمان ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كان مخالفا له في الحقيقة كما ان الطب لما كان غالبا على
اهل زمن عيسى كان معجزته من جنس ذلك كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وكانت الفصاحة غالبة في عصر نبينا صلى الله عليه وسلم فلا جرم كانت معجزته العظمى
وهي القرآن من جنس الفصاحة وتحقيق السحر وسائر ما يتعلق به قد مر في سورة البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا لم يقل فقالوا بناء للكلام
على سؤال مقدر كان سائلا سئل ما قالوا اذا جاؤه فاجيب قالوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا اي جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له
لغنما يقصد الكثرة قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر لكم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم
لان الثواب انما يهنأ اذا كان مقرونا بالتعظيم روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة فقال لهم ما صنعتم
قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وفي الاية اشارة الى ان اهل السحر ليسوا قادرين على قلب
الاعيان والا فلبوا الحجر ذهبا بل قلبوا ملك فرعون الى انفسهم ولم يطلبوا منه الاجر فعلى العاقل ان لا يغتر باكاذيبهم ومزخرفاتهم ثم ان السحرة راعوا
حسن الادب بتخيير موسى وكذا قدموه في الذكر ثانيا حيث قالوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ كما هو دأب المتناظرين والمتصارعين
مع ان في قولهم وإما ان نكون نحن ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر ومن جهة تعريف الخبر
واقحام الفصل قال الفراء قد جمع بين اما وان في هذه الاية بخلاف قوله إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ لان الفعل ههنا في موضع امر بالاختيار
اعني في موضع نصب كقول القائل اختر ذا او ذا كانهم قالوا اختر ان تلقي بخلاف تلك الاية فان الامر لا يصلح هناك قال موسى للسحرة القوا ما تعبوا
فيه ازدراء بشأنهم وتلذذا بالانهم وثقة بان الامر الالهي يغلب لن يغلب فان قيل ان القاءهم الحبال والعصي معارضة المعجزة بالسحر وذلك كفر والامر
بالكفر كفر فالجواب من وجوه احدها انه انما امرهم بشرط ان يعلموا كفرا في فعلهم ان يكون حقا فاذا لم يكن كذلك فلا امر البتة كقول القائل اسقني الماء من
الجرة فهذا انما يكون امرا بشرط حصول الماء في الجرة والثاني ان موسى علم انهم جاؤا لذلك فلا بد ان يفعلوه ودفع النزاع في التقديم والتاخير الثالث
انه اذن لهم في الاتيان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد ليبحث عنها ويكشف عن ضعفها يقول له هات وقل
ومراده ان يجيب عنها ويبين لكل احد ضعفها وسقوطها فلما القوا سحروا اعين الناس قال القاضي لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لا اعينهم
فثبت انهم خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه وقال الواحدي بل المراد انهم غلبوا الاعين عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وروي انهم اتوا بالحبال



بالزيبق وجعلوا الزيبق داخل العصي فلما اثر تسخين الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض فخيل الى الناس انها تسعى واسترهبوهم اى رهبوهم
والسين زائدة كأنهم استدعوا رهبتهم وقال الزجاج استدعوا رهبة الناس فبعثوا جماعة ينادون عند القاء ذلك ايها الناس احذروا فهذا هو
الاسترهاب وجاؤا بسحر عظيم كأنهم زعموا ان ذلك سحر لا يطيقه سحرة الارض عن ابن عباس انه خيل الى موسى ان حبالهم وعصيهم حيات مثل عصا موسى
فاوحى الله عز وجل اليه ان الق عصاك وفي رواية الواحدي عنه ان المراد بالوحي ههنا الالهام وههنا اضمار والتقدير فالقاها فاذا هي تلقف قال الجوهري لقفت
الشيء بالكسر القفه وتلقفته ايضا تناولته بسرعة وما في ما يأفكون موصولة او مصدرية بمعنى ما يأفكونه اى يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه
وافكهم تسمية للمأفوك بالافك قال المفسرون لما القى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى الافق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت ما القوا من
حبالهم وعصيهم فلما اخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت في الحجم والمقدار اصلا فلعل الله سبحانه اعدم بقدرته تلك الاجرام
العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة ثم قال سبحانه وتعالى فوقع الحق قال مجاهد والحسن وقال القاضي معناه قوة الظهور بحيث لا يصح في الواقع ان يصير
لا واقعا ومع ثبوت هذا الحق زالت الاعيان التي افكوها وهي تلك الحبال والعصي وذلك قوله وبطل ما كانوا يعملون اى الذي عملوا او عملهم
فغلبوا هنالك اى حين التحدي وانقلبوا صاغرين لانه لا ذل ولا صغار اعظم في حق المبطل من دحوض حجته روي ان تلك الحبال والعصي كانت
حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسى وصارت عصا كما كانت قال بعض السحرة لبعض هذا خارج عن حد السحر وانما هو امر الهي قال المحققون انهم
لاجل كمالهم في علم السحر ميزوا السحر عن غيره فانتقلوا ببركة ذلك من الكفر الى الايمان فما ظنك بالانسان الكامل في علم التوحيد والشريعة و
الحكمة وفي قوله والقي السحرة ساجدين دليل على ان ملقيا القاهم وما ذاك الا الله سبحانه الموجد للداعي والقدرة وقال الاخفش من سرعة
ما سجدوا صاروا كأنه القاهم غيرهم لانهم لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان مقدم على السجود فكيف نقل عنهم انهم سجدوا ثم
قالوا امنا برب العالمين واجيب بانه لا يبعد انهم عند الذهاب الى السجود قالوا ذلك وانهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله في الحال شكرا على الفوز
بذلك واظهارا للخشوع والتذلل واقرارا باللسان بعد التصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا امنا برب العالمين قال فرعون اياي يعنون
فلما قالوا رب موسى قال اياي يعنون لاني انا الذي ربيته فلما زادوا وهرون زالت الشبهة وعرف الكل انهم امنوا باله السماء وكفروا بفرعون
وقيل فرقا بالذكر من جملة العالمين ليعلم ان الداعي الى ايمانهم هو موسى وهرون وقيل خصا بالذكر تعظيما وتشريفا ثم ان فرعون لما راى ان اعلم
الناس بالسحر اقر بنبوة موسى بمحضر جمع عظيم خاف ان يصير ذلك حجة عليه عند قومه فالقى في الحال شبهة في البين بعد ما انكر عليهم ايمانهم اما
الانكار فذلك قوله امنتم له من لم يذكر حرف الاستفهام فعلى انه اخبار توبيخ اى فعلتم هذا الفعل الشنيع ومن قرا بحرف الاستفهام فمعناه الاستبعاد
والانكار وفي قوله قبل ان اذن لكم دلالة على مناقضة فرعون في دعاء الالهية لانه لو كان الها لما جاز ان يأذن لهم في ان يؤمنوا بغيره وهذا
من جملة الخذلان والدحوض الذي يظهر على المبطلين اما الشبهة فقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها اى هذه حيلة
احتلتموها انتم وموسى وتواطأتم عليها لغرض لكم وهو ان تخرجوا القبط وتسكنوا بني اسرائيل وروى محمد بن جرير عن السدي في حديث عن ابن
عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ان موسى وامير السحرة التقيا فقال له موسى ارايتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به
حق فقال الساحر لاتين غدا بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاؤمنن بك وفرعون ينظر اليهما ويسمع فلذلك زعم التواطؤ فسوف تعلمون وعيد
اجمال وتفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين واختلف المفسرون هل وقع ذلك منه ام لا فمن
قائل لم يقع لانهم سألوا ربهم ان يتوفاهم من جهته لا بهذا القتل والقطع ومن قائل وقع وهو الاظهر وعليه الاكثر ومنهم ابن عباس لانه حكى عن الملأ
انهم قالوا لفرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ولو انه ترك اولئك السحرة لذكروهم ايضا وحذروه اياهم ولانهم قالوا ربنا افرغ
علينا صبرا والصبر لا يطلب الا عند نزول البلاء وقد يجاب عن الاول بانهم داخلون تحت قوله وقومه وعن الثاني بانهم طلبوا الصبر على
الايمان والثبات عليه وعدم الالتفات الى وعيده وعن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء بررة ثم حكى عن القوم انهم قالوا
عند الوعيد انا الى ربنا منقلبون اى نحن لا نبالي بالموت لانا ننقلب الى لقاء ربنا ونخلص منك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد
القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون نرجع الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون فما يقدر ان يفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما
تنقم منا قال ابن عباس ما اتينا بذنب تعذبنا عليه وما تعيب منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات الظاهرة التي لا يقدر على مثلها
الا الله تعالى وهذا من باب تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ثم لجأوا الى الله كما هو
دأب الصديقين حين نزول البلاء فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا سجال الثبات على متابعة الدين او على ما توعدنا به فرعون وتوفنا
مسلمين ثابتين على الدين الذي جاء به موسى اخبروا عن ايمانهم اولا وسألوا التوفي على الاسلام ثانيا فيمكن ان يستدل بذلك على ان الايمان
والاسلام واحد واحتجت الاشاعرة بالاية على ان الايمان والاسلام بخلق الله تعالى والا لما طلبوا ذلك منه والمعتزلة يحملون امثال ذلك
على منح الالطاف واعلم ان مبنى القصة في هذه السورة على الاختصار وفي الشعراء على التطويل فلهذا قيل هنالك يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره وانكم اذا لمن المقربين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون فلسوف تعلمون وفي كل ذلك زيادة واما قوله ههنا وارسل في المدائن

وهنالك وابعث فلان الارسال يفيد معنى البعث مع العلو فخص هذه السورة بذلك ليعلم ان المخاطب فرعون دون غيره وانما قال ههنا آمنتم
به وفي طه والشعراء آمنتم له باللام لان الضمير في هذه يعود الى رب العالمين وفي السورتين الى موسى وقيل آمنتم به واحد وقال ههنا لاصلبنكم
لانه لما افاد الترتيب كان العطف بمطلق كافيا وكثير من متشابهات هذه السور الثلث يعود الى رعاية الفواصل فتنبه التأويل فظلموا بها
بان جعلوها سحرا فوضعوها في غير موضعها عاقبة المفسدين الذين افسدوا الاستعداد بالركون الى الدنيا والذاتها حقيق على ان لا
اقول لانى قائم بحقائق الجمع فان الخلق واثار التفرقة فاذا هي ثعبان لانه اضاف العصا الى نفسه في قوله هي عصاى ويعلم منه ان كل شئ اضفته
الى نفسك وجعلته حاجاتك فانه ثعبان يبتلعك ولهذا قيل القها يا موسى فاذا هي بيضاء فيه الايدى قبل تعلقها بالاشياء كانت بيضاء نقية
نورانية لروحانية موسى كانت روحانية في جميع الاوقات ولكن ما كانت نورانيتها منظورة للناظرين الا باظهار الله تعالى في بعض الاوقات
خرق العادات على يد الجسمانية يريد ان يخرجكم لاشك ان موسى اراد ان يخرجهم من ارضهم ولكن من ارض بشريتهم الى النور الروحانية توهموا
ان التأخير وحسن التدبير يغير شيأ من التقدير ولم يعلموا ان عند حلول الحكم لاسلطان للعلم والفهم ان لنا لاجرا لم يعلموا ان اجرهم في
المغلوبية لا في الغالبية قال نعم وانكم لمن المقربين اجرى الله تعالى على هذا اللسان فرعون حقا وصدقا فصاروا مقربين عند الله قالوا يا موسى
اما ان تلقى اكرموا موسى بالتقديم والاستيذان فاكرمهم الله تعالى بالسجود والايمان بسحر عظيم اى عظيم في الاثم كما قال سبحانك هذا بهتان
عظيم في الاثم كما قال سبحانك هذا بهتان عظيم وعظمة اثم السحر لمعارضة المعجزة فاذا هي تلقف ما يأفكون فيه ان عصا الذكر اذا القيتها عند القاء
سحر سحرة صفات النفس يبتلع بفم لا النفى جميع ما سحر وابراعين الناس فوقع الحق باثبات الى الله وبطل ما كانوا يعملون من تزيين زخارف الدنيا
في العيون فغلبوا اى سحرة صفات النفس بنور الذكر وانقلبوا صاغرين ذليلين تحت اوامر الشرع ونواهيه والقى السحرة ساجدين اى صارت
صفات النفس بعد التمرد منقادة للعبودية رب موسى الروح وهرون القلب اعلم ان صفات النفس اذا تنور بنور الذكر يتبدل كفرها بالايمان
ولكن النفس بذاتها لا تؤمن ولا تتبدل ظلمتها الا عند غرقها في الواردات والمواهب الربانية كحال فرعون وايمانه عند الغرق وفي القصة
دلالة على انه تعالى قد يبدل العداوة في صورة الولاية مثل بلعام وبالعكس كالسحرة قبل ان اذن لكم هذا من جملة جهل فرعون ظن ان الايمان باذن الله
لمكر مكرتموه في المدينة مواضعة موسى الروح في مدينة القالب لتخرجوا منها اهلها وهو اللذات والشهوات البدنية لاقطعن بسكين التسويل عن الاعمال
الصالحة ثم لاصلبنكم في جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها والله اعلم ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا

فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ۞ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا
[illegible]
بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۞ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ
[illegible]
مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۞ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
[illegible]
بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا
[illegible]
بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا
[illegible]
فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا
[illegible]
وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ۞ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ
[illegible]
لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ۞ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ
[illegible]
فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۞ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ
[illegible]
مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ
[illegible]

وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى
وقوم او و آنچه ایشان بسته بودند ﴿﴾ و گذرانیدیم بنی اسرائیل را از دریا پس آمدند بر گروهی که مقیم بودند بر بتهائی که داشتند گفتند ای موسی

اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
قرار ده از برای ما خدای چنانچه مر ایشان راست خدایان گفت که شما گروهی نادانید ﴿﴾ بدرستیکه این گروه هلاک خواهند آنچه ایشان در آنند و باطل است آنچه بودند که میکردند

قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ
گفت آیا غیر خدا را میخواهم خداوند واو زیادتی داد شما را بر عالمیان ﴿﴾ و چون رهانیدیم شما را از آل فرعون میرسانیدند شما را

سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿﴾ القراءة سنقتل
از بدی عذاب میکشتند فرزندان شما را و زنده گذارند زنان شما را و درین بلائیست از پروردگار شما بزرگ

بالتخفيف ابن كثير وابو جعفر ونافع يقتلون بالتشديد بدل الخراز عن هبيرة كلمات ربك على الجمع يزيد في رواية يعرشون بضم الراء حيث كان ابن عامر وابو بكر وحماد الباقون بالكسر يعكفون بكسر الكاف حمزة وعلي وخلف الباقون بالضم انجاكم ابن عامر الآخرون انجيناكم على الحكاية يقتلون بالتخفيف الوقوف الهتك ط نساءهم ج للابتداء بان العطف لاتحاد القائل قاهرون ه واصبروا ج لما قلنا من عباده ط للمتقين ه ما جئتنا ط تعملون ه يذكرون لنا هذه ج لما ن شأن الاضافتين على التناقض ومن معه ط لا يعلمون ه بها بمؤمنين ه مجرمين ه بما عهد عندك ج لان جواب لئن منتظر مع اتحاد القائل بني اسرائيل ج لان جواب لما منتظر مع دخول الفاء فيه ينكثون ه غافلين ه باركنا فيها ط للعدول عن الحكاية وكلمة بما صبروا ط لعكسه يعرشون ه يعكفون على اصنام لهم ج لاتحاد القائل بلا عطف آلهة ط تجهلون ه يعملون ه العالمين ه سوء العذاب ج لاحتمال كون ما بعده مستأنفا او حالا نساءكم ط عظيم ه والله اعلم التفسير ان فرعون بعد وقوع الواقعة لم يتعرض لموسى ولا اخذه وحبسه لانه كان كلما رأى موسى خافه اشد الخوف الا ان قومه لم يعرفوا ذلك فحملوه على اخذه وحبسه فقالوا اتذر موسى اتتركه وقومه ليفسدوا في الارض اي يغيروا على الناس دينهم الذي كانوا عليه فيتوسلوا بذلك الى اخذ الملك ويذرك عطف على ليفسدوا وقوله والهتك مفعول معه والمراد انه اذا تركهم ولم يمنعهم كان ذلك مؤديا الى ترك مع الهته فقط ويحتمل ان يكون منصوبا على انه جواب الاستفهام والمعنى يكون منك ان تذر موسى ويكون من موسى ان يذرك والهتك قال كثير من المفسرين ان فرعون كان قد وضع لقومه اصناما صغارا وامرهم بعبادتها وسمى نفسه الرب الاعلى وقال الحسن كان فرعون يعبد الاصنام ووجه بانه لعله كان اتخذ اصناما على صور الكواكب مدبرات العالم السفلي والمخدوم الخلق في هذا العالم والمربي لهم فهو نفسه فقوله انا ربكم الاعلى اي انا مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وكل ذلك بناء على انه كان دهريا ينكر وجود الصانع ثم ان فرعون اوهم قومه انما يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته اليه لا للخوف فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم فكانه قال ان موسى انما يمكنه الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن نسعى في تقليل رهطه وشيعته وانا فوقهم قاهرون اي سنعيد عليهم ما كنا عليه من الغلبة ولئلا يتوهم العامة انه المولود الموعود من قبل الكهنة ولكنه منتظر بعد قال موسى لما وصل ما جرى بين فرعون وملائه اليه لقومه استعينوا بالله واصبروا ولا ريب ان الصبر نتيجة الاستعانة بالله فان من انه لا مدبر للعالم الا الله تعالى انشرح قلبه بنور المعرفة وعلم ان الكل بقضاء الله وقدره فيسهل عليه كل ما يصل اليه ثم لما امرهم بشيئين بشرهم باخرين فقال ان الارض يعني ارض مصر او جنس الارض فيتناول مصر بالتبعية لله يورثها من يشاء من عباده يعني بالتوريث جعل الشيء للخلف بعد السلف والعاقبة للمتقين والخاتمة الحميدة لمن هو بصدد التقوى منكم ومن القبط وهذا من الكلام المنصف لانهم علموا ان القبط لا تقوى لهم او المراد ان كل من اتقى الله تعالى وخافه فالله الغني الكريم يعينه في الدنيا والآخرة ثم انهم خافوا وفزعوا من تهديد فرعون فشكوا الى موسى مستعجلين النصر قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولده الى حين نبوته ثم اعادة ذلك عليهم في قوله سنقتل الى غير ذلك من انواع المحن والمهن فعند ذلك قال لهم موسى مصرحا بما رمز اليهم من البشارة قبل عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض ارض مصر ولا ريب ان عسى طمعا واشفاقا ومثل هذا الكلام اذا صدر عن النبي المؤيد بالمعجزات الباهرة الناظر بنور الحق افاد قوة اليقين وازال ما خامره من الضعف ثم قال فينظر كيف تعملون قال الزجاج اي يرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه شكره وكفره لوقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم قديما وانما يجازيهم على ما يقع حديثا فيتعلق الرؤية الا انه يروى عن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم يكن فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون وكيف نصب يعملون لا ينظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم حكى سبحانه ما نزل بفرعون وآله من المحن والبلايا بشوم التكذيب والتمرد فقال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اي بسني القحط فالسنة من الاسماء الغالبة غلبت عليه الجرب كالدابة والنجم وقد يراد بها في غير هذا الموضع الحال والعام قال ابو زيد والفراء بعض العرب يقول هذه سنين ورأيت سنينا فيعرب ومنه قول الشاعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا والسنون من الجوع المصحف الشاذة عن ابن عباس السنون لاهل البوادي واصحاب المواشي ونقص من الثمرات لاهل الامصار وفائدة توسيط من ان يعلم ان كل الثمرات لم ينقص وانما نقص بعضها لعلهم يذكرون فيتنبهوا ويرجعوا الى الانقياد والطاعة فان مس الضر مما

هنا امر بين من قتل الابناء لعلموا انا على ما كنا ع

يلين الاعطاف ويرق القلوب قيل عاش فرعون اربعمائة سنة لم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما
ادعى الربوبية قال القاضي في الاية دلالة على انه تعالى اراد منهم ان يتذكروا ولا يبقوا على ما هم عليه من الكفر واجيب بانه يعاملهم معاملة المختبر ولا اختبار
في الحقيقة ولا اجبار ولا يرعوي عن الكفر والطغيان الا من شاء واراده ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلهذا حكى عن فرعون وقومه
فاذا جاءتهم الحسنة قال ابن عباس اي العشب والخصب والمواشي والثمار وسعة الرزق والعافية والسلامة قالوا لنا هذه اي نحن مخصوصون
بذلك لم نزل في الرفاهية والنعمة وهكذا عادة الزمان فينا ولم يعلموا انها من الله فيشكروه عليه ويقوموا بحق نعمه وان تصبهم سيئة اضداد ما
ذكرنا يطيروا اي يتشاءموا بموسى ومن معه واصله يتطيروا فادغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما وانما عرفت الحسنة وخصت باذا ونكرت السيئة وقرنت
بان لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته وشموله واما السيئة فنوعها نادر مشكوك فيه ولهذا قيل لقد عددت ايام البلاء فهل
عددت ايام الرخاء الا انما طائرهم عند الله قال الازهري يقال للشوم طائر وطير وطيرة وعن ابن عباس طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم ومنه قول العرب
طار له سهم كذا اي حصل ووقع ذلك في حظه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير لان الفال الكلمة الحسنة والتطير عيافة الطير قال الامام فخر الدين الرازي
وذلك لان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية فيمكن الاستدلال بالاول على بعض الخفيات بخلاف الثاني ومعنى الاية ان
كل ما يصيبهم من خير او شر فهو بقضاء الله وبتقديره ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الكل من الله بمشيئته وتقديره فيقولون هذا بيمن فلان او
بشومه وقد تشاءمت اليهود بالنبي صلى الله عليه وآله في المدينة فقالوا غلت اسعارنا وقلت امطارنا مذ اتانا قال في الكشاف ويجوز ان يكون معناه
الا انما سبب شومهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم وكما حكى عنهم انهم لجهلهم اسندوا
حوادث هذا العالم لا الى قضاء الله وقدره كذلك حكى عنهم انهم لجهلهم وسفههم لم يميزوا بين المعجزة والسحر وقالوا لنبيهم مهما تاتنا به من اية وفي مهما
قولان فعن الخليل والبصريين ان اصلها ما الشرطية زيدت عليها ما المؤكدة الابهامية ثم كرهوا التكرار فجعلوا الالف من الاولى هاء وعن الكسائي
ان مه بمعنى اكفف وما للشرط كانه قيل كف ما تاتنا به ومحل مهما الرفع بمعنى اي شيء تحضرنا تاتنا به ومن اية بيان لمهما والضمير في به وكذا في بها يعود
اليه شيء ما امكن العود الى المبين الا ان الضمير ذكر تارة حملا على اللفظ وانث اخرى حملا على المعنى وسموها اية تهكما اذ لو قالوا ذلك اعتقادا
لم يردفوه بقولهم لتسحرنا بها وبقولهم فما نحن لك بمؤمنين قال ابن عباس ان القوم لما قالوا ما قالوا وكان موسى رجلا حديدا دعا عليهم فا
فارسل الله عليهم الطوفان قيل هو الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون والاصح انه المطر
واصله ما طاف وغلب من مطر او سيل ارسل الله عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت
القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع
عنهم فما آمنوا فانبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد بمثله وزعموا ان هذا الذي جزعوا منه هو خير لهم ولم يشعروا به فبعث الله
عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى
ووعدوه التوبة فارسل الله تعالى ريحا فاحتملت الجراد فالقته في البحر وقيل خرج موسى الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد
الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان كبار القردان عن ابي عبيدة وقيل الدبا
وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف وعن سعيد بن جبير
هو السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وعن سعيد بن
جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا
وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل عليهم الضفادع بعد
شهر فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم وكان احدهم اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكان يمتلئ منها مضاجعهم
فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي فشكوا الى موسى واخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد
فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي القبطي دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك
وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وقيل الدم الرعاف سلطه الله عليهم وقوله آيات مفصلات نصب على
الحال من المذكورات ومعناها انها ظاهرات لا تشكل على عاقل انها معجزات او فصل بين بعض وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايوفون بالعهد ام ينكثون
كما روي ان موسى مكث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات ولا شك ان كل واحدة من هذه معجزة في نفسها واختصاصها
بالقبطي دون الاسرائيلي معجزة اخرى فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين مصرين على الذنب والجرم ثم فصل استكبارهم واجرامهم
فقال ولما وقع عليهم الرجز اي الانواع الخمسة المذكورة من العذاب عن سعيد بن جبير انه الطاعون وهو العذاب السادس الذي كان اصابهم
فمات من القبط سبعون الف انسان في يوم واحد فتركوا غير مدفونين قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك
وهو النبوة فما مصدرية والباء يتعلق بادع تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم اي ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك او تعلق المقسم به

لا في مهما لان الباء كالنيابة فلا يعود

بي عليهم

ما يلي الاسرائيلي ماء

بالفعل فيكون بالاستعطاف اى اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة ووجه آخر وهو ان يكون
قسما مجابا بلئن فمن يكون متعلقا بالاقسام اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل
اى نخليهم وشأنهم يذهبون حيث شئت فلما كشفنا عنهم العذاب لا مطلقا ولا فى جميع الوقائع بل الى اجل هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه اذا هم
ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث وبادروه فانتقمنا منهم سلبنا النعمة عنهم بالعذاب فاغرقناهم فى اليم وهو البحر الذى لا يدرك
قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه سمى باليم لان المنتفعين به يممونه اى يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اى كان اغراقهم بسبب التكذيب بها وبانهم
كانوا عنها اى عن الآيات وقيل عن النقمة بدلالة انتقمنا اى كانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين اى معرضين غير متفكرين فان نفس الغفلة
ليست باختيار الانسان حتى يترتب الوعيد عليها ثم بين ما فعله بالمحقين بعد هلاك المبطلين فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بقتل الابناء واستحياء النساء للاستخدام فى الاعمال الشاقة مشارق الارض ومغاربها يعنى ارض مصر والشام لانها هى التى كانت تحت تصرف فرعون
وبقوله التى باركنا فيها اى بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بارض الشام وقيل المراد بجملة الارض لانه خرج من بنى اسرائيل من ملك جملتها كداود
وسليمان وتمت كلمت ربك الحسنى تأنيث الاحسن صفة الكلمة قيل يريد بالكلمة قوله فى سورة القصص ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
فى الارض ونجعلهم ائمة الى تمام الآيتين ومعنى تمت مضت واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد
الذى تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم فى الارض لان الوعد بالشئ جعله كالمعلق فاذا حصل الموعود صار تاما كاملا بما صبروا اى بسبب صبرهم
وفيه ان الصبر عنوان الظفر وضمين بالنصر والفرج ودمرنا اى اهلكنا والدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن عباس يريد المصانع
وقال غيره يعنى العمارات وبناء القصور ولعله على العموم فيتناول المعانى والاعيان وما كانوا يعرشون من الجنات كقوله وهو الذى انشأ جنات
معروشات وقيل وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره وههنا تمت قصة فرعون والقبط ثم ذكر ما جرى على بنى
اسرائيل بعد ذلك فقال وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر روى انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموا شكرا لله
فاتوا على قوم اى فمروا بقوم يعكفون يواظبون على عبادة اصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم
نزلوا بالرقة عن قتادة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ما كافة للكاف عن العمل ولهذا
دخلت على الجملة وكانهم طلبوا من موسى ان يعين لهم اصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعالى كقول الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى فتوجه الذم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم سواء اعتقد انه المعبود مقرب الى الله ونهاية التعظيم لا يليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام
وكان هذا القول لم يصدر من مشايخ بنى اسرائيل وعظمائهم كالسبعين المختارين ولكنه صدر عن عوامهم وجهلتهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم
تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآيات العظمى فوصفهم بالجهل المطلق المؤكد وعن على رضى الله عنه ان يهوديا قال اختلفتم بعد نبيكم
قبل ان يجف ماؤه فقال على رضى الله عنه اختلفنا عنه لا فيه ثم قال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم ان هؤلاء عبدة تلك التماثيل متبر اى مكسر مهلك
ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا والتبار الهلاك وباطل ما كانوا يعملون اى يتبر الله اصنامهم ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى
فيصير الى الزوال والاضمحلال وفى ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لان اشارة الى ان عبدة الاصنام ليسوا
على شئ البتة وان مصيرهم الى النار لا محالة قال اغير الله ابغيكم الها انتصب غير على الحال المقدمة التى لو تأخرت لكانت صفة كما تقول ابغيكم الها
غير الله وانتصب الها على المفعول به قال الواحدى يقال بغيت فلانا شيئا وبغيته له قال تعالى يبغونكم الفتنة والمعنى اغير المستحق للعبادة اطلب لكم
معبودا وهو فضلكم على العالمين خصكم بالنعم الجسام دون ابناء زمانكم ومعنى الهمزة الانكار والتعجب مما فرط منهم مع كونهم مغمورين فى نعم الله فان
الاله ليس شيئا يطلب ويجعل بل الاله هو الموجود بنفسه القادر على الايجاد والاعدام والاكرام والانعام والآية الباقية قد مر تفسيرها فى
البقرة والفائدة فى اعادتها ههنا التعجب والتعجيب ممن اشتغل بعبادة غير هذا المنعم وانما قيل ههنا يقتلون دون يذبحون ليناسب قوله
سنقتل ابناءهم والله اعلم بالتأويل وقال الملأ من قوم فرعون من الهوى والغضب والكبر لفرعون النفس اتذر موسى الروح وقومه من القلب
والسر والعقل ليفسدوا فى الارض البشرية ويذرك والهتك من الدنيا والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل ابناءهم يعنى
اعمالهم الصالحة نبطلها بالرياء والعجب ونستحيى نساءهم اى الصفات التى عنها تتولد الاعمال وانا فوقهم قاهرون بالمكر والخديعة والحيلة قال
موسى الروح لقومه لهم القلب والعقل والسر استعينوا بالله واصبروا اعنى جهاد النفس ومخالفتها ومتابعة الحق ان الارض لله اى ارض البشرية
يورثها من يشاء من عباده يورث ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف بصفاته ويورث ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها
فتتصف بصفاتها والعاقبة للمتقين يعنى عاقبة الخير والسعادة للاتقياء السعداء يورثها يورث ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف
بصفاته ويورث ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها اوذينا من قبل ان تأتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا
نتأذى من اوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ نتأذى من دواعى البشرية
عسى ربكم ان يهلك عدوكم النفس وصفاتها وفيه اشارة الى ان الواردات الروحانية لا يكفى لافناء النفس وصفاتها ولا بد فى ذلك من

الله او اعتقد انه

تجلی صفات الربوبیة فاذا جاءتهم الحسنة للکفر ولا یرون فضل المنعم وکذا السلوک اذا ارادوا قطیعة مثل الوصال وقال کان وکان ولکن اکثرهم
لا یعلمون لان بصائرهم مسدودة عقولهم عن شهود الحق مصدودة فارسلنا علیهم الطوفان العلم الکثیر والجراد الواردات والقمل
ای الالهامات والضفادع الخواطر والدم اصناف المجاهدات والریاضات مفصلات وقتا بعد وقت وحینا غب حین فاستکبروا عن
قبولها وکانوا قوما مجرمین فی الازل فلم یفدهم الوسایط والاسباب لما وقع علیهم الرجز وهو عذاب القطیعة فاغرقناهم فی یم الدنیا
وشهواتها وما کانوا یعرشون ای یرفعون بالتجبر والتکبر انفسهم تعریش الطائر اذا ارتفع بجناحیه علی من تحته وجاوزنا بصفات القلب
من بحر الدنیا وخلصناهم من فرعون النفس فوصلوا الی صفات الروح یعکفون علی اصنام لهم من المعانی المعقولة والمعارف الروحانیة
فاستحسنوها وارادوا العکوف علی عتبة عالم الارواح قال لهم موسی الوارد الربانی عند رکونهم الی الروحانیات انکم قوم تجهلون قدر الله
وعنایته فعلم ان هؤلاء یعنی صفات الروح متبر ما هم فیه من الرکون والعکوف علی استحلاء المعانی المعقولة وباطل ما کانوا یعملون فی غیر طلب الحق و
الوصول الی المعارف الربانیة وهو فضلکم علی العالمین من الحیوانات الجن والملک بفضیلة العبور من الجسمانیات والروحانیات والوصول الی المعارف والحقائق الالهیة

وَوٰعَدْنَا مُوسٰى ثَلٰثِينَ لَيْلَةً وَّاَتْمَمْنٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقٰتُ رَبِّهٖٓ اَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسٰى لِاَخِيهِ هٰرُونَ اخْلُفْنِى فِى
قَوْمِى وَاَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَمَّا جَآءَ مُوسٰى لِمِيقٰتِنَا وَكَلَّمَهٗ رَبُّهٗ ۙ قَالَ رَبِّ اَرِنِىٓ اَنْظُرْ اِلَيْكَ ۚ قَالَ
لَنْ تَرٰىنِى وَلٰكِنِ انْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ فَاِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهٗ فَسَوْفَ تَرٰىنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلّٰى رَبُّهٗ لِلْجَبَلِ جَعَلَهٗ دَكًّا وَّخَرَّ مُوسٰى صَعِقًا ۚ
فَلَمَّآ اَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبْتُ اِلَيْكَ وَاَنَا۠ اَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ يٰمُوسٰىٓ اِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسٰلٰتِى
وَبِكَلَامِى ۖ فَخُذْ مَآ اٰتَيْتُكَ وَكُنْ مِّنَ الشّٰكِرِينَ ۝ وَكَتَبْنَا لَهٗ فِى الْاَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَّتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَىْءٍ ۚ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَّاْمُرْ قَوْمَكَ يَاْخُذُوا بِاَحْسَنِهَا ۚ سَاُورِيكُمْ دَارَ الْفٰسِقِينَ ۝ سَاَصْرِفُ عَنْ اٰيٰتِىَ الَّذِينَ
يَتَكَبَّرُونَ فِى الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۖ وَاِنْ يَّرَوْا كُلَّ اٰيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ وَاِنْ يَّرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ
ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِاٰيٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غٰفِلِينَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰتِنَا وَلِقَآءِ الْاٰخِرَةِ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ ۚ هَلْ
يُجْزَوْنَ اِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسٰى مِنْۢ بَعْدِهٖ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهٗ خُوَارٌ ۚ اَلَمْ يَرَوْا اَنَّهٗ لَا يُكَلِّمُهُمْ
وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اِتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظٰلِمِينَ ۝ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ اَيْدِيهِمْ وَرَاَوْا اَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ۙ قَالُوا لَئِنْ لَّمْ يَرْحَمْنَا
رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ ۝ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسٰىٓ اِلٰى قَوْمِهٖ غَضْبٰنَ اَسِفًا ۙ قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى
مِنْۢ بَعْدِىٓ ۚ اَعَجِلْتُمْ اَمْرَ رَبِّكُمْ ۚ وَاَلْقَى الْاَلْوَاحَ وَاَخَذَ بِرَاْسِ اَخِيهِ يَجُرُّهٗٓ اِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ اُمَّ اِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى
وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى ۖ فَلَا تُشْمِتْ بِىَ الْاَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ۝ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِاَخِى وَاَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ
وَاَنْتَ اَرْحَمُ الرّٰحِمِينَ ۝ اِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذٰلِكَ
نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ ۝ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّاٰتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْۢ بَعْدِهَا وَاٰمَنُوٓا ۖ اِنَّ رَبَّكَ مِنْۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ القراءة ادنى انظر

وچون فرونشست از موسى خشم فراگرفت لوحها را ودر نوشتهای آن راستی بود ورحمت برای آنکه ایشان مر پروردگار را خوف دارند

بسكون الراء وفتح الياء ابن الفليح وزمعة والخزاعي عن البزي الباقون بكسر الراء وسكون الياء دكا بالمد حمزة وعلي وخلف انى اصطفيتك بفتح الياء المتكلم ابن كثير وابو عمرو برسالتي على التوحيد ابو جعفر ونافع وابن كثير الاخرون برسالاتي اياتي الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة الرشد بفتحتين حمزة وعلي وخلف الباقون بضم الراء وسكون اللام يعقوب حليهم بالكسرات وتشديد الياء حمزة وعلي الباقون مثله ولكن بضم الحاء ترحمنا ربنا وتغفر لنا الخطاب والنداء حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ورفع ربنا على الفاعلية بعدي اعجلتم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو قال ابن ام بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بفتحها ومثله يا ابن ام في طه الوقوف اربعين ليلة للعطف مع اختلاف القائل المفسدين ربه لا لان ما بعده جواب لما اليك ط فسوف تراني ج صعقا ج المؤمنين الشاكرين لكل شيء للعدول مع فاء التعقيب باحسنها الفاسقين ه بغير الحق ط بها ج لابتداء شرط اخر لبيان تعارض الاحوال مع العطف سبيلا ج لذلك سبيلا غافلين اعمالهم ط يعملون خوار سبيلا لئلا يصير الجملة صفة السبيل فان المراد ضمير العجل ظالمين ضلوا لا لان ما بعده جواب الخاسرين اسفا لما مر بعدي ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد القائل امر ربكم لان قوله والقى معطوف على قوله قال بئسما وقد اعترض بينهما استفهام اليه ط يقتلونني ز فاصلا والوصل اولى لان الفاء للجزاء اي اذا هم هموا بقتلي فلا تشمتهم بضربي الظالمين في رحمتك زلطف الاولى ان يوصل لان الواو للحال تحسينا للدعاء بالثناء الراحمين الدنيا ط المفترين وامنوا لظاهر ان والوجه الوصل لان بعده خبر والعائد محذوف والتقدير ان ربك من بعد توبتهم لغفور لهم رحيم الالواح ج لاحتمال ما بعده الحال يرهبون التفسير لما اهلك الله سبحانه اعداء بني اسرائيل سال موسى ربه ان يؤتيه الكتاب الذي وعده فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر من نفسه خلوق الفم فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك فاوحى الله تعالى اليه اما علمت ان خلوق فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لهذا السبب وقيل فائدة التفصيل انه تعالى امره بصوم ثلثين وان يعمل فيها ما يتقرب من الله ثم انزل عليه التورية في العشر وكلم فيها وقال ابو مسلم الاصفهاني من الجائز ان يكون موسى عند تمام الثلثين بادر الى ميقات ربه قبل قومه بدليل قوله في طه وما اعجلك عن قومك يا موسى فلما اعلمه الله تعالى خبر قومه مع السامري رجع الى قومه ثم عاد الى الميقات في عشرة اخرى فتم اربعون ليلة وقيل لا يمتنع ان يكون الوعد الاول لحضور المختارين معه ليسمعوا الكلام ومن فوائد الفذلكة في قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة ازالة وهم من يتوهم ان الميقات كان عشرين ثم اتمه بعشر فصار ثلثين الفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشيء قدره مقدر ام لا وانتصب اربعين على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح كن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك الى الافساد فلا تتبعه وانما جعله خليفته مع انه شريكه في النبوة بدليل واشركه في امري والشريك اعلى حالا من الخليفة لان نبوة موسى كانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعيته فكانه خليفته ووزيره وانما وصاه بالاصلاح تاكيدا واطمينانا والا فالنبي لا يفعل الا الاصلاح ولما جاء موسى لميقاتنا اللام بمعنى الاختصاص كانه قيل اختص مجيئه بوقتنا الذي حددنا له كما يقال اتيته لعشر خلون من شهر كذا وكلمه ربه للناس في كلام الله مذاهب فقيل عبارة عن هذه الحروف المؤلفة المنتظمة وقيل صفة حقيقية مخالفة للحروف والاصوات وعلى الاول فمحل تلك الحروف والاصوات هو ذات الله تعالى وهو قول الكرامية او جسم مغاير كالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة وعلى الثاني فالاشعرية قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية لانه كما لا يتعذر رؤيته عندنا مع انه ليس بجسم ولا عرض فكذا لا يمتنع سماع كلامه مع انه ليس بحرف ولا صوت وقال ابو منصور الماتريدي الذي سمعه موسى اصوات مقطعة وحروف مؤلفة قائمة بالشجرة واختلف العلماء ايضا في ان الله تعالى كلم موسى وحده ظاهر الاية او مع السبعين المختارين وهو قول القاضي لان تكليم الله موسى معجز وقد تقدمت نبوة موسى فلا بد من ظهوره هذا المعجز لغيره قال رب ارني انظر اليك اي ارني نفسك واجعلني متمكنا من رؤيتك فانظر اليك واراك عن ابن عباس ان موسى عليه السلام جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقي السبعون في اسفل الجبل وكلم الله موسى وكتب له في الالواح كتابا وقربه نجيا فلما سمع صرير القلم عظم شوقه فقال رب ارني انظر اليك قالت الاشاعرة ان موسى سال الرؤية ان موسى سال الرؤية وانه عارف بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سالها قال القاضي للمحصلين من العلماء في هذا المقام اقوال احدها قول الحسن وغيره ان موسى ما عرف ان الرؤية غير جائزة على الله تعالى وهذا لا يقدح في معرفته لان العلم بامتناع الرؤية وجوازها لا يبعد ان يكون موقوفا على السمع وزيف بانه يلزم ان يكون موسى ادون حالا من علماء المعتزلة العالمين بامتناع الرؤية على الله تعالى وبانهم يدعون العلم الضروري بان كل ما كان مرئيا فانه يجب ان يكون مقابلا او في حكم المقابل فلو لم يكن هذا العلم حاصلا لموسى كان ناقص العقل وهو محال وان كان حاصلا لا يجوز موسى عليه المقابلة كان كفرا وهو ايضا محال وثانيها طريقة ابي علي وابي هاشم ان موسى عليه السلام سال الرؤية عن لسان قومه فقد كانوا يكررون المسئلة عليه بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وزيف بانه لو كان كذلك

التسبين من حليهم بفتح الياء وسكون [illegible]

سورة طه والوعد الثاني بحضرة [illegible]

ارفع كلام الله



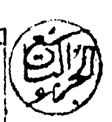
لقول موسى رب أرني ينظروا إليك ولقال الله لن يروني وبأنه لو كان محالاً لمنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا إلهاً وبأن تذكر الدليل القاطع في هذا
المقام فرض مضيق فلم يمكن تأخيره مع أنهم لو كانوا مقرين بنبوة موسى كفاهم في الامتناع عن السؤال قول موسى وإلا فلا انتفاع لهم بهذا الجواب فان
لهم أن يقولوا لا نسلم أن هذا المنع من الله بل هذا مما افتريته على الله وثالثها وهو اختيار أبي القاسم الكعبي أن موسى سأل ربه المعرفة الضرورية
بحيث يزول عنه هذه الخواطر والوساوس كما في معرفة أهل الآخرة ورد بأنه تعالى أراه من الآيات كالعصا واليد وغيرهما ما لا غاية بعدها فكيف يليق به أن
يقول أظهر لي آية تدل على أنك موجود ولو فرض أنه لا يليق بحال موسى فلم منعه الله تعالى عن ذلك ولقائل أن يقول منعه في الدنيا لحكمة عرفها الله
تعالى ولا يلزم منه المنع في الآخرة ورابعها وهو قول أبي بكر الأصم أن موسى أراد تأكد الدليل العقلي بالدليل السمعي وتعاضد الدلائل أمر مطلوب
للعقلاء وضعف بأنه كان الواجب عليه حينئذ أن يقول أريد يا إلهي أن يقوى امتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر في عقلي ولقائل أن يقول
هذا تعيين الطريق وفي الآية سؤال وهو أنه تعالى لم قال لن تراني دون لن تنظر إلي ليناسب قوله انظر إليك والجواب لأن موسى لم يطلب النظر
المطلق وإنما طلب النظر الذي معه الإدراك بدليل أرني ومن حجج الأشاعرة أنه تعالى علق رؤيته على أمر جائز هو استقرار الجبل والمعلق على الجائز
جائز ورد بأنه علق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه أي في وقت النظر وعقيبه و
استقرار الجبل حال حركته محال ومنها قوله فلما تجلى ربه أي ظهر وبان ومنه جلوت العروس إذا أبرزتها وظهر للجبل اقتداره وتصدى له أمره وإرادته
جعله دكاً أي مدكوكاً مصدر بمعنى مفعول والدك والدق أخوان ومن قرأ بالمد أراد أرضاً دكاء مستوية ومنه ناقة دكاء متواضعة السنام والدكاء
أيضاً اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة والغرض من الجميع تعظيم شأن الرؤية وأن أحداً لا يقوى على ذلك إلا بتقوية الله وتأييده وقالت
المعتزلة الرؤية أمر محال لقوله لن تراني وكلمة لن لتفيد التأبيد فلا أقل من التأكيد وأيضاً الاستدراك في قوله ولكن انظر معناه أن النظر إلي
محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر إلى الجبل لتشاهد تدكدك أجزائه وتفرق أبعاضه من عظمة التجلي وإذا لم يطق الجماد ذلك فكيف الإنسان قالت
الأشاعرة ههنا لم يبعد أن يخلق الله تعالى في الجبل حياة وعقلاً وفهماً ورؤية وأيضاً قوله وخر موسى صعقاً أي مغشياً عليه غشية كالموت دليل
استحالة الرؤية على الأنبياء فضلاً عن غيرهم روي أن الملائكة مرت عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الأنبياء فضلاً عن غيرهم وروي أن
الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم يقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة وأيضاً قوله بعد الإفاقة من
الصعقة سبحانك أنزهك عما لا يليق بك من جواز الرؤية عليك تبت إليك من طلب الرؤية بغير إذن منك وإن كان لغرض صحيح
هو تنبيه لقومه على استحالته ذلك بنص من عندك وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس وقالت الأشاعرة وأنا
أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا أو بأنه لا يجوز السؤال منك إلا بإذنك ثم لما سأل الرؤية ومنعه الله إياها أخذ في تعداد وسائر
نعمه عليه وأمره أن يشتغل بشكرها فقال يا موسى إني اصطفيتك الآية والمقصود تسلية موسى عن منع الرؤية قيل وفي هذا دليل على
جواز الرؤية في نفسها وإلا لم يكن إلى هذا العذر حاجة وإنما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لأن الملائكة قد تسمع كلام الله
تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى والغرض أنه تعالى خصه من دون الناس بمجموع أمرين الرسالة والكلام وسائر الرسل لهم الرسالة فقط وإنما كان
الكلام بلا واسطة سبباً للشرف بناء على العرف الظاهر وقد جاء في المثل لشتان بين من اتخذه الملك لنفسه حبيباً وقربه إليه بلطفه تقريباً
وبين من ضرب له الحجاب وحال بينه وبين المقصود بواب ونواب المراد بالرسالات ههنا أسفار التوراة فخذ ما آتيتك من شرف الرسالة
والكلام وكن من الشاكرين لله على ذلك بأن تشتغل بلوازمها علماً وعملاً ثم فصل تلك الرسالة فقال وكتبنا له في الألواح قيل خر موسى صعقاً
يوم عرفة وأعطاه الله التوراة يوم النحر وذكروا في عدد الألواح وفي جوهرها وطولها أنها كانت عشر ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها كانت
من زمرد جاء بها جبرئيل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزلت من السماء وعن وهب أنها كانت من صخرة صماء لينها الله
تعالى لموسى فقطعها بيده وشققها بأصابعه وقيل طولها كان عشرة أذرع والتحقيق أن أمثال هذه يحتاج إلى النقل الصحيح وإلا وجب السكوت
عنه إذ ليس في الآية ما يدل على ذلك أما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبرئيل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم
هذا النقل أيضاً كما قلنا من كل شيء مفعول كتبنا ومن للتبعيض نحو أخذت من الدراهم وموعظة وتفصيلاً بدل منه فيدخل في الموعظة
كل ما يوجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد وأراد بالتفصيل تبيين كل ما يحتاج إليه بنو إسرائيل من أقسام
الأحكام ويجوز أن يكون موعظة وتفصيلاً مفعولين لكتبنا والتقدير وكتبنا في الألواح موعظة من كل شيء وتفصيلاً لكل شيء قيل أنزلت
التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الألواح إني أنا الله
الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئاً ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذباً فإن من حلف باسمي كاذباً فلا أزكيه ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها
على إرادة القول أي وكتبنا فقلنا له خذها أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والضمير للألواح أو لكل شيء لأنه في معنى الأشياء أو للرسالات
أو للتوراة بقوة بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سئل ههنا أنه لما تعبد بكل ما في التوراة وجب كون
الكل مأموراً به فظاهر قوله يأخذوا بأحسنها يقتضي أن فيه ما ليس بأحسن ولا يجوز لهم الأخذ به وأجاب العلماء بوجوه منها أن تلك التكاليف منها

ولا تقتلوا

ساموه منها ما هو احسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان ياخذوا بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب فيكون كقوله واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال قطرب الاحسن بمعنى الحسن كلها حسن وقيل الحسن يشمل الواجب
والمندوب والمباح والاحسن الواجب والمندوب وقال في الكشاف يجوز ان يراد ياخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه كقولهم الصيف احر من
الشتاء ثم ختم الآية بالوعيد والتهديد فقال سأريكم دار الفاسقين قال ابن عباس والحسن ومجاهد يعني جهنم اي ليكن ذكر جهنم حاضرا في اذهانكم
لتحذروا ان تكونوا منهم وعن قتادة يريد مواطن الجبابرة والفراعنة الخاوية بالشام ومصر ليعتبروا بذلك فلا يفسقوا مثل فسقهم فيصيبهم مثل ما
اصابهم وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود واقرانهم يمرون عليها في اسفارهم وقيل المراد الوعد والبشارة بان الله تعالى سيورثهم ارض اعدائهم و
يؤيده ما في سأورثكم وقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ثم ذكر ما يعامل الفاسقين المتكبرين فقال سأصرف عن آياتي
الآية فاحتجت الاشاعرة بها على انه تعالى قد يمنع عن الايمان ويصرف عنه وقال الجبائي قوله سأصرف للاستقبال والمصروفون موصوفون
بالتكبر والانحراف عن الطريق المستقيم في الزمان الماضي فعلم ان المراد من هذا الصرف ليس هو الكفر وايضا الصرف مذكور على وجه العقوبة
على التكبر والاعتساف ولا يكون العقوبة عين المعاقب عليه فوجب تاويل الآية فقال الكعبي وابو مسلم الاصفهاني ان هذا الكلام تمام لما
وعد الله به موسى من النصرة والعصمة اي اصرفهم عن آياتي فلا يقدرون على منعك من تبليغها كما قال في حق نبينا صلى الله عليه وسلم بلغ ما انزل اليك
الى قوله والله يعصمك من الناس وقيل سأصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما في آياتي من العز والكرامة المعدة للانبياء والمؤمنين فيكون ذلك
الصرف مستلزما للاذلال والاهانة جاريا مجرى العقوبة على كفرهم وتكبرهم على الله تعالى وقيل ان من الآيات آيات لا يمكن الانتفاع بها الا بعد سبق
الايمان فاذا كفروا فقد صيروا انفسهم بحيث لا يمكنهم الانتفاع بما بعد ذلك فيصرفهم الله تعالى عنها وبوجه آخر ان الله تعالى اذا علم من حال بعضهم
انه اذا شاهد تلك الآيات فانه لا يستدل بها بل يستخف بها ولا يقوم بحقها فاذا علم الله تعالى ذلك صح ان يصرفهم عنها وعن الحسن ان من الكفار من يبالغ
في كفره وانتهى الى الحد الذي اذا وصل اليه مات قلبه وهي بالطبع والخذلان فالمراد بالمصروفين هؤلاء عن رسول الله صلعم اذا عظمت امتي الدنيا نزع
عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي قوله بغير الحق اما ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان الكبر
بالحق لله وحده اذ له الكمال فوق كل كمال فله اظهار العظمة والكبرياء على كل من سواه واما ان يكون صلة للفعل اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الذي
لا اصل له ومنه يعلم ان للمحق ان يتكبر على المبطل كما قيل التكبر على المتكبر صدقة والرشد طريق الهدى والحق والصواب كلاهما واحد قال الكسائي و
فرق ابو عمرو فقال الرشد بضم الراء الصلاح لقوله فان آنستم منهم رشدا وسبيل الغي ضد ما ذكرنا ثم بين ان ذلك الصرف وتعكيس القضية
انما كان لامرين كونهم مكذبين بآيات الله وكونهم غافلين عنها ومحل ذلك الرفع على الابتداء او النصب على معنى صرفهم الله ذلك الصرف بسبب
انهم كذا وكذا ثم بين ان اولئك المتكبرين مجزيون شر الجزاء وان صدر عنهم صورة الاحسان والخير فقال والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة
اي المجيء والمعاد حبطت اعمالهم ثم قال هل يجزون الا ما كانوا يعملون احتجت الاشاعرة بها على فساد قول ابي هاشم ان تارك الواجب يستحق العقاب بمجرد
ترك الواجب وان لم يصدر عنه فعل ضد ذلك قالوا الآية دلت على انه لا جزاء الا على عمل وترك الواجب ليس بعمل اجاب ابو هاشم باني لا اسمي ذلك
العقاب جزاء ورد بان الجزاء ما يجزي اي يكفي في المنع عن المنهي وفي الحث على المامور به لكن العقاب على ترك الواجب كاف في الزجر عن ذلك الترك
فكان جزاء قيل ان بني اسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه يستعيرون من القبط الحلي فاستعاروا وهامة فاغرق الله القبط فبقيت تلك الحلي في ايدي
بني اسرائيل فلهذا اضيفت اليهم على ان مجرد ملابسة الاستعارة ايضا تصحح الاضافة والحلي جمع حلي كثدي وثدي ومن كسر الحاء فللاتباع فجمع السامري
تلك الحلي وكان رجلا مطاعا فيهم ذا قدر وكانوا قد سألوا موسى ان يجعل لهم الها يعبدونه فصاغ السامري عجلا واختلف المفسرون بعد ذلك
فقال قوم كان قد اخذ ترابا من حافر فرس جبرئيل فالقاه في جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامري هذا الهكم
واله موسى وقال اكثر المفسرين من المعتزلة انه كان قد جعل ذلك العجل مجوفا ووضع في جوفه انابيب على وجه مخصوص ثم وضع التمثال على مهب
الرياح فظهر منه صوت يشبه خوار العجل وقال آخرون انه صير ذلك التمثال اجوف وخبأ تحته من ينفخ فيه من حيث لا يشعر به الناس وانما قال
سبحانه واتخذ قوم موسى مع ان المتخذ هو السامري وحده لان القوم رضوا بذلك واجتمعوا عليه فكانهم شاركوه او لان المراد باتخاذ العجل
هو عبادته كقوله ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد مضيه الى الطور قال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هارون لعموم الآية ولقول موسى في الدعاء رب اغفر
لي ولاخي ولو كان غيرهما اهلا للدعاء لاشركهم في ذلك وقال آخرون بل كان قد بقي في بني اسرائيل من ثبت على ايمانه لقوله سبحانه ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق وبه يعدلون وهل انقلب ذلك التمثال لحما ودما او بقي ذهبا كما كان قال بعضهم الى الاول لانه تعالى قال عجلا جسدا له خوار
والجسد اسم للجسم ذي اللحم والدم والخوار انما يكون للبقر لا الصورة واستبعده بعضهم وناقش في ان الجسد مختص بذي الروح ثم قال ان ذلك الصوت
لما اشبه الخوار لم يبعد اطلاق لفظ الخوار عليه وقرأ علي عم كرم الله وجهه جؤار بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح وجسدا بدل من عجلا ثم انه سبحانه احتج على
فساد كون ذلك العجل الها بقوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ومن حق الاله ان يكون متكلما هاديا الى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في
العقول من الادلة وبما انزل من الكتب قالت المعتزلة ههنا سؤال فمن كان مضلا عن الدين لا يصلح ان يكون الها قالت الاشاعرة لو صح ان الاله

وبفتحتين الاستقامة في الدين ثم بقيتم مما علمت رشدا ح

ليتحقق



بلزم ان يكون هاديا لزم ان يكون كل متكلم هاديا والحق ان الملازمة ممنوعة فان الدعوى ليست الا ان كل اله واجب ان يكون متكلما هاديا او
الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها على انه يمكن ان يقال لا متكلم ولا هادي في الحقيقة الا الله تعالى ثم ختم الآية بقوله اتخذوه وكانوا ظالمين وهذا كما قال
في البقرة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم اخبر عن عقبى حالهم بقوله ولما سقط في ايديهم معناه ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل
اختلفوا في وجه هذه الاستعارة فقال الزجاج اريد بالايدي القلوب والانفس كما يقال حصل في يده مكروه وان كان من المحال حصول المكروه في اليد
تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين قال في الكشاف ان من شان من اشتد ندمه ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها
فاصل الكلام سقط فاه في يده فحذف الفاعل وبني الفعل للمفعول كما في قولهم مر بزيد وهذا من باب الكناية لان عض اليد من لوازم الحسرة والندم

كما يقال الفعل وبني الفعول منه

وقيل كل عمل يقدم المرء عليه فذلك لاعتقاد ان ذلك العمل خير له وصواب وانه يورثه نفعا وزينة فاذا بان ان ذلك العمل كان باطلا فكانه انحط وسقط من
علو الى سفل ومنه قولهم للرجل اذا اخطأ ذلك منه سقطة ثم ان اليد آلة البطش والاخذ والنادم كانه تدارك الحالة لاجلها حصل الندم فكانه قد سقط
في يده نفسه من حيث انه بعد حصول ذلك الندم يشتغل بالتدارك والثاني وحكى الواحدي انه من السقيط وهو ما يغشى الارض بالغدوات شبه الثلج فمن
وقع في يده السقيط لم يحصل منه على شيء قط لانه يذوب بادنى حرارة فهذا مثل من خسر في عاقبته ولم يحصل على طائل من سعيه وقال بعضهم الآلة الاصلية
في اكثر الاعمال اليد والعاجز في حكم الساقط فسقوط اليد هو العجز التام كما يقال في العرف ضل يده ورجله لمن لا يهتدي الى صلاحه وقيل ان في بمعنى
على اي سقط على ايديهم فان من عادة النادم ان يطاطئ راسه ويضع على يده تحت ذقنه ثم قال تعالى ورأوا انهم قد ضلوا اي تبينوا ضلالهم كانهم ابصروه
بعقولهم قال القاضي الكلام على التقديم والتاخير لان الندم والتحير بعد تعرف الحال وتبين الخطأ والترتيب لا يصلح ولما رأوا انهم قد ضلوا وسقط في
ايديهم ويمكن ان يقال الواو لا يفيد الترتيب بل الاقدام على ما يعلم كونه صوابا او خطأ فاسد موجب للندم وقد يتكامل العلم فيظهر انه خطأ جزما ثم انهم
اعترفوا بذنوبهم وانقطعوا الى ربهم وذكروا مثل ما ذكر ابونا آدم وحواء لئن لم يرحمنا ربنا الآية ولما رجع موسى الى قومه قال بعضهم ان موسى قد عرف
خبر القوم بعد رجوعه اليهم وقال الاكثرون وهو قول ابي مسلم انه كان عارفا بذلك قبل رجوعه بدليل قوله غضبان اسفا فانه يدل على ان هاتين
الحالتين حاصلتان له عند رجوعه اليهم ولما جاء في سورة طه قد فتنا قومك من بعدك وفيه دليل ظاهر على انه تعالى اخبره بوقوع الواقعة في الميقات
والاسف الشديد الغضب وهو قول ابي الدرداء وعطاء والزجاج وعن ابن عباس والحسن انه الحزين وقال الواحدي هما متقاربان فاذا جاءك ما تكره ممن
هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فكان موسى غضبانا على قومه اسفا من فتنة ربه بئسما خلفتموني خاطب عبدة العجل او وجوه القوم
هرون والمؤمنين حيث لم يكفوا العبدة وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص محذوف والتقدير بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
ومعنى من بعدي مع قوله خلفتموني من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الانداد او من بعد ما كنت احمل القوم عليه من التوحيد والكف عن اتخاذ
اله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير الآية قوله فخلف من بعدهم خلف اي من
بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة أعجلتم امر ربكم قال الواحدي العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة في الاغلب بخلاف
السرعة فانها عمل الشيء اول وقته قال ابن عباس يعني اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين و
ذلك انهم قدروا انه لما لم يات على راس الثلاثين ليلة فقد مات وروي ان السامري قال لهم ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين
يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا وقال الكلبي اعجلتم عبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم وقال عطاء اعجلتم سخط ربكم وفي الكشاف
يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار
موسى حافظين لعهده وما وصيتكم به والقى الالواح التي فيها التوراة لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يرحم الله
اخي موسى ليس الخبر كالمعاينة لقد اخبره الله تعالى بفتنة قومه فعرف ان ما اخبره الله تعالى به حق وانه مع ذلك متمسك بما في يده وروي ان التوراة كانت سبعة
اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة قال في التفسير الكبير القاء الالواح
ثابت بالقرآن فاما انه القاها بحيث تكسرت فلا وانه جراءة عظيمة ومثله لا يليق بالانبياء واقول الجراءة تحصل بنفس الالقاء لا بالتكسر الذي لا يتعلق
باختياره فكما يجعل عذرا عن نفس الالقاء يصح ان يجعل عذرا عن التكسر واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذؤابته واعلم ان موسى عم كان
في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وقد استتبع غضبه امرين احدهما
القاء الالواح والآخر اخذ راس اخيه جارا اليه فزعم مثبتوا عصمة الانبياء انه جر براس اخيه الى نفسه ليساره ويستكشف منه كيفية الواقعة لا لاجل
الاهانة والاستخفاف ثم ان هرون خاف ان يتوهم جهال بني اسرائيل ان موسى فعل ما فعل به اهانة فقال يا ابن ام من كسرها فعلى طرح ياء المتكلم و
من فتحها فتشبيها بخمسة عشر لكثرة الاستعمال او على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وانما اضافه الى الام اشارة الى انهما واحدة على ما روي
انه كان اخاه لابيه وامه او ليكون ادعى الى العطف والرقة ولانها كانت مؤمنة فافتخر بنسبها ولانها هي التي تحملت فيه الشدائد فذكره حقها ان القوم
استضعفوني استذلوني وقهروني ولم يبالوا بي لقلة انصاري وكادوا يقتلونني حين منعتهم عبادة العجل ونهيتهم عنها فلا تشمت بي الاعداء
العابدين للعجل فانهم يحملون هذا الذي تفعل بي على الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلني مع القوم الظالمين في اشتراك العقوبة والاذلال ولا تعتقد

الى واحد منهم ولا مانى بعض هذا التفسير من التعسف والتكلف والحق ان هذا القدر من الحدة الناشئة من عصبية الدين لا يقدح فى العصمة
وغايته ان يكون من قبيل ترك الاولى فلذلك قال موسى رب اغفر لى لما اقدمت عليه من الحدة قبل جلية الحال ولاخى ان عسى فرط فى شان
الخلافة ثم اخبر عن مجازاة القوم فقال إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ الها سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ كلاهما فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فالغضب الامر بقتل
انفسهم والذلة لخروجهم من ديارهم وذل الغربة لا يخفى واعترض بان قوله سينالهم للاستقبال وقت نزول الاية كان القتل واقعا
واجيب بان هذا الكلام حكاية عما اخبر الله تعالى موسى حين الميقات من افتتان قومه وكان سابقا على وقوعهم فى الغضب والذلة قلت ويجوز
ان يكون الاتيان من تتمة قول موسى الا ان قوله وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ينبو عن ذلك الا ان يحمل على الاعتراض ولما فى هذا التفسير
من التكلف ذهب التفسير من التكلف ذهب بعض المفسرين الى ان المضاف فى الاية محذوف والتقدير ان الذين اتخذ اباؤهم العجل يعنى الذين
كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم سينالهم غضب من ربهم فى الاخرة وذلة فى الحيوة الدنيا بضرب الجزية او غضب وذلة كلاهما فى الدنيا بالقتل والجلاء كما نال بنى
قريظة والنضير والتقدير ان الذين اتخذوا العجل سينال اولادهم وكذلك نجزى المفترين اى كل مفتر فى دين الله بجزاء الغضب والذلة
قال مالك بن انس ما من مبتدع الا ويجد فوق راسه ذلة ثم قرا هذه الاية والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ظاهر الاية
يدل على ان التوبة شرط العفو وانه لا بد مع التوبة من تجديد الايمان فما اصعب شان المذنبين لكن عموم لفظ السيئات يدل على ان من اتى
بجميع المعاصى ثم تاب فان الله يغفرها فما احسن حال التائبين لغفور ستور عليهم محاء لما صدر عنهم رحيم منعم عليهم بالجنة وفيه ان الذنوب وان جلت
وعظمت الا ان عفوه وكرمه اعظم واجل ولما بين ما كان منه بعد الغضب فقال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان انه خرج على قانون
الاستعارة فكان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول الق الالواح وغير ذلك فترك النطق وقطع الاغراء ومن حكم فان المعنى سكن موسى عن الغضب فقلب
كما يقال ادخلت الخف فى رجلى وانما ادخل الرجل فى الخف وقيل السكوت بمعنى السكون وقد قرئ به اخذ الالواح التى القاها منبها على زوال الغضب لانه
اول ما تقدم من امارات الغضب وفى نسختها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ الكتابة اى فى مكتوبها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح
يتكسر واخذها موسى باعيانها بعد ما القاها او قلنا انها تكسرت اخذ ما بقى منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روى عن ابن عباس انه لما القى الالواح
تكسرت فصام اربعين يوما فاعاد الله تعالى الالواح وفيها عين ما فى الاولى هدى من الضلالة ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون ادخل اللام
فى المفعول لتقدمه فان تاخير الفعل يكسبه ضعفا ونظيره للرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت ويجوز ان يكون المراد للذين هم لاجل ربهم يرهبون
لا رياء وسمعة وجوز بعضهم ان يكون اللام صلة نحو ردف لكم التاويل ثلثين ليلة لئلا يستكثر النفس الاربعين من ضعف البشرية واتممناها
بعشر لخصوصية الاربعين فى ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى الروح لاخيه هرون القلب عند توجهه لمقام المكالمة والتجلى
كن خليفتى فى قومى من الاوصاف البشرية واصلح ذات بينهم على وفق الشريعة وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين من الهوى والطبيعة
وهذه الخلافة هى السر الاعظم فى بعثة الروح من ذروة عالم الارواح الى حضيض عالم الاشباح ولما جاء موسى لما حصل الروح على بساط القرب
وتتابع عليه كاسات الشرب اثر فيه سماع الكلام فطال لسان انبساطه عند التمكن على بساطه فقال رب ارنى انظر فقيل هيهات انت بعد فى
بعد الاثنينية وحجاب جبل الانانية فلن ترانى ببصر انانيتك وخر موسى صعقا بالانانية فكان ما كان بعد ان بان ما بان فاشرقت الارض
بنور ربها فقد كان ما كان سر الا ابوح به فظن خيرا ولا تسئل عن الخبر فلو لم يكن جبل انانية النفس بين موسى الروح وتجلى الرب لطاش فى
الحال وما عاش ولولا ان القلب خليفته عند الفناء بالتجلى لما امكنه الافاقة والروح الى الوجود ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استسعد بالتجلى فافهم
فلما افاق من غشية الانانية بسطوة تجلى الربوبية قال موسى بلا هويته سبحانك تنزيها لك من خلقك فى اتصال الخلق بك وانا اول المؤمنين
بانك لا ترى بالانانية وانما ترى بنور هويتك برسالاتى وبكلامى دون رؤيتى وكن من الشاكرين فان الشكر يبلغك الى ما سالت من الرؤية
لان الشكر يورث الزيادة هى والزيادة الرؤية للذين احسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة اى بقوة الصدق والاخلاص وبقوة واعانة منا
ساريكم دار الفاسقين الخارجين عن طلب الله الى طلب الاخرة او الدنيا ساصرف عن اياتى فبحجاب التكبر يحرم المتكبر عن رؤية الايات واتخذ قوم
موسى ان سامرى الهوى من بعد توجه موسى الروح مكالمة الحق تخذ من حلى زينة الدنيا ورعونات البشرية التى استعارها بنو اسرائيل صفات
القلب من قبط صفات النفس عجلا هو الدنيا له خوار يدعو الخلق به الى نفسه ولما سقط فى ايديهم عند رجوع موسى الروح الى قومه وهم الاوصاف
الانسانية ندمت من فعلها وعادت الى ما كانت فيه من عبودية الحق والاخلاص قالت لئن لم يرحمنا بجذبات العناية ربنا الاية غضبان مما
عبدت صفات القلب عجل الدنيا اسفا على ما فات لها من عبودية الحق اعجلتم امر ربكم بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل وانه من غير ان
يامركم ربكم وفيه اشارة الى ان اصحاب السلوك لا ينبغى ان يلتفتوا الى شىء من الدنيا فى اثناء الطلب لله الا اذا قطعوا مفاوز النفس والهوى
ووصلوا الى كعبة وصال المولى فيامرهم المولى ان يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق والقى الالواح يعنى ما لاح للروح من اللوائح الربانية عند استيلاء
الغضب الطبيعى واخذ براس اخيه القلب فانه اخو الروح يجره اليه قسرا عند استيلاء طبيعة الروحانية قال ابن ام هما من اب وام واحد ابوهما الامر
وامهما الخلق وانما نسبه الى الخلق لان فى عالم الخلق تواضعا وتذللا بالنسبة الى عالم الامر ان القوم استضعفونى يعنى ان اوصاف البشرية استذلونى

من موسى مع الغضب بين ما كان صح



بالغلبات عند غضبك كادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء وهم الشيطان والنفس والهوى ولا تجعلني مع القوم الظالمين فيه ان صفات القلب تتغير و
تتلون بلون صفات النفس ورعوناتها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما يعرض تغير صفاته كما ان النفس لا يتغير من
حيث هي عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الامارية الى اللوامية والملهمية والمطمئنة والرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت
الى طبعها رب اغفر لي ولاخي اشارة الى ان للروح والقلب استعداد دخول الجنة الالهية التي يدخلها بالسير في عالم الصفات وكذلك نجزي المفترين الذين يدعون ان الله اعطاهم قوة لا
يضرهم غلبة الهوى والدنيا وشهواتها واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل

وبرگزيد موسى از قوم خود هفتاد مرد را از براى وعده جاى ما پس چون فرو گرفت ايشان را عذاب گفت پروردگارا اگر خواستى هلاك كردى ايشان را از

واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت

و مرا نيز آيا هلاك گردانى ما را بآنچه كردند بيخردان از ما نيست آن مگر آزمايش تو گمراه كنى بدان آنرا كه خواهى و هدايت كنى آنرا كه خواهى توئى كارگذار ما پس بخش ما را و رحم كن ما را و توئى

خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء و

بهترين آمرزندگان و بنويس از براى ما در اين دنيا نيكوئى و در آخرت نيكوئى بدرستى كه ما باز آمديم بسوى تو گفت عذاب من برسانم بآن هر كه خواهم و

رحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون

رحمت من فرو گرفت هر چيزى را پس هر آينه بنويسم آنرا از براى آنان كه مى پرهيزند و مى دهند زكوة را و آنان كه ايشان بآيات ما ميگروند آنان كه پيروى ميكنند

الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل

رسول را پيغمبر امى را آنكه مى يابند او را نوشته در نزد ايشان در توريه و انجيل ميفرمايد ايشان را بمعروف و باز ميدارد ايشان را از منكر و حلال ميكند

لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه و

از براى ايشان پاكيزها را و حرام ميگرداند بر ايشان پليدها را و مى نهد از ايشان بار گرانرا و زنجيرها كه بود بر ايشان پس آنان كه گرويدند بآن و عزيز داشتند او را و

نصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا

يارى كردند او را و پيروى كردند روشنى را كه فرستاده شد با او آنگروه ايشانند رستگاران بگو اى زمره مردمان بدرستى كه من پيغمبر خدايم بسوى شما همه

ع

الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن

آنكه مر او راست پادشاهى آسمانها و زمين نيست خدائى بجز او زنده ميكند و ميميراند پس بگرويد بخدا و رسول او پيغمبر امى آنكه ايمان آورده

بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون الفرلق عدا

بخدا و كلمات او و پيروى كنيد او را شايد كه شما هدايت كرده شويد و از قوم موسى گروهيند كه راه برند بحق و با او برابرى ميكنند

اصيب بفتح الياء ابو جعفر ونافع اصارهم على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب المفضل الباقون على التوحيد الوقوف لميقاتنا ج للابتداء
بكلمة الجزاء مع فاء التعقيب اياي ط منا ج لتصدر ان النافية مع اتحاد القائل فتنتك لان ما بعده مستانف وتهدي من تشاء ط الغافرين اليك
من اشاء ط للفصل بين الجملتين تعظيما لشانها مع الاتفاق في اللفظ كل شيء للسير واختلاف الجملتين والفاء لاستيناف وعد على الخصوص يؤمنون ه
لاحتمال ما بعده النصب والرفع على المدح والجر على البدل والانجيل لان يامرهم يحتمل ان يكون مبتدا محذوف اي هو يامرهم وان يكون نعتا
اي مكتوبا امرا او بدلا عن مكتوبا او مفعولا بعد مفعول اي يجدونه امرا او يكون التقدير الامي الذي يامرهم فيكون كالبدل عن الصلة
كانت عليهم ط انزل معه لا لان ما بعده خبر فالذين المفلحون والارض لاحتمال ما بعده الابتداء والحال اي استحق ملك السموات غير مشارك ويميت
لطول الكلام والا فالفاء للجزاء اي اذا كنت رسولا فامنوا اجابة يهتدون يعدلون التفسير الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا
اخذ خيره وخياره ومن هنا سمي به فعل الحيوان فعلا اختياريا وذلك ان صدور الفعل عن الحيوان موقوف على حكمه بكون ذلك الفعل خيرا له من
تركه قال النحويون اصله واختار موسى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل فمن الافعال ما يتعدى الى المفعول الثاني بحرف واحد ثم يتسع
فيحذف الحرف من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا وكذا استغفرت الله من ذنبي واستغفرته ذنبي وجوز
بعضهم في الآية ان يراد بالقوم المعتبرون منهم اطلاقا لاسم الجنس على ما هو المقصود منهم فيكون مفعولا اول من غير واسطة ويكون سبعين
بدلا او بيانا قيل من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فصاروا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل
اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا
ابناء ما عدا العشرين ولم يجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبى فامرهم موسى ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات
ربه وللمفسرين خلاف في ان هذا الميقات عين ميقات الكلام والرؤية ام غيره الذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان امره ربه ان ياتيه في
سبعين من بني اسرائيل فلما سمعوا الكلام طلبوا الرؤية وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة في هذه
الآية والذاهبون الى الثاني حملوا القصة على ما مر في البقرة في تفسير قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك وقد ذكرنا هنالك ان منهم من قال

هذه الواقعة كانت قبل قتل الانفس توبة من عبادة العجل ومنهم من قال انها كانت بعد القتل واحتج اصحاب هذا المذهب على المغايرة بانه
تعالى ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية ثم اتبعها ذكر قصة العجل ثم ختم الكلام بهذه القصة فظاهر الحال يقتضي ان يكون هذه القصة مغايرة
لتلك القصة والاقرب الى المناسب علي ما ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل
هرون فاختار من قومه سبعين فذهبوا الى هرون فاحياه الله تعالى فقال ما قتلني احد فاخذتهم الرجفة هنالك قيل كانت موتا وقيل اخذتهم الرعدة
حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم فخاف موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى وقال رب لو اهلكتهم قبل هذا اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم بما فعل
السفهاء منا فانا هل نعلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى اهلك قوما بذنوب غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى الجحد اراد انك لا تفعل ذلك كما تقول
اتهين من يخدمك تريد انك لا تفعل ذلك قال المبرد انه استفهام استعطاف اي لا تهلكنا قيل لو كان تسفيههم لقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ناسب ان يقول اتهلكنا بما قال السفهاء فاذن التسفيه لفعل صدر عنهم كعبادة العجل وغيرها ومنه يعلم ان هذا الميقات طلب الرؤية ان هي الا فتنتك
الضمير تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد وان هي الا هند فانه الواحد ولعله يعود الى مقدر ذهني والمعنى ان الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا
فتنتك ابتلاؤك ومحنتك حين كلمتني وسمعوا كلامك وحين اسمعتهم صوت العجل تضل بها اي بالفتنة من تشاء فيفتتن وتهدي بها من تشاء فيثبت
على الحق قالت الاشاعرة في الاية دلالة ظاهرة على مذهبنا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان محنته لما كانت سببا لان ضلوا و
اهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام والضمير يعود الى الرجفة اي تضل عنها [illegible] عليهم الصبر على تلك الرجفة ولعدم الايمان
بانها من عندك من تشاء وتهدي الى الجنة بها لاضلاله وانما قلنا من تشاء او المراد بالاضلال الاهلاك اي تهلك من تشاء بالرجفة وتعصم بها
من تشاء انت ولينا يفيد الحصر اي لا ولي لنا ولا ناصر الا انت فاغفر لنا وارحمنا قيل تذكر ان قوله ان هي الا فتنتك [illegible] عظيمة فاشرك نفسه مع
قومه في طلب المغفرة والرحمة وانت خير الغافرين لان غفرانك غير متوقف على جلب نفع او دفع ضرر بل لمحض الفضل والكرم واكتب اوجب لنا في هذه
الدنيا حسنة وفي الاخرة نظيره سؤال المؤمنين من هذه الامة ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقد فسرناها في سورة البقرة واعلم
ان كونه تعالى وليا للعبد يناسب ان يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر اثار كرمه والهيته وايضا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع
يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم رتب عليه الدعاء وختم بالسبب الثاني وهو قوله انا هدنا اليك اي تبنا اليك فلا يبعد وقوع الاجابة
ولان دفع الضرر مقدم على تحصيل النفع قدم المغفرة والرحمة على طلب ايجاب الحسنة في الدارين قال الله تعالى في جواب موسى عذابي من حاله
صفته اصيب به من اشاء اذ ليس لاحد علي اعتراض في ملكي وقالت المعتزلة اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه
مفسدة وقرا الحسن من اساء من الاساءة ورحمتي من شانها انها وسعت كل شيء قالت الاشاعرة هذا من العام الذي اريد به الخاص وقال اكثر
المحققين ان رحمته في الدنيا تعم الكل ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمته واما في الاخرة فهي مختصة بالمؤمنين وذلك قوله
فساكتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم فلا موجود الا وهو مشمول بنعمته وقيل الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض وما بالذات
راجح غالب قالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير ولا حي الا وقد خلقه الله تعالى للرحمة والخير واللذة وان حصل هناك الم فله اعواض كثيرة
واعلم ان تكاليف الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة في نوعين التروك والافعال فقوله فساكتبها للذين يتقون اشارة الى التروك والتكليف
الفعلي اما مالي وهو قوله ويؤتون الزكوة واما غيره وذلك قوله والذين هم باياتنا يؤمنون فانه يشمل كل ما يجب على الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك
اتباع النبي الامي الى اخره وصف محمدا صلعم في هذه الاية بصفات تسع الاولى الرسالة الثانية النبوة فان قيل النبوة مندرجة تحت الرسالة فلم افردها بالذكر
قلنا لا بل بينهما عموم وخصوص من وجه فقد يكون رسولا ولا يكون نبيا لقوله جاعل الملئكة رسلا وقد يكون نبيا لا رسولا ككثير من الانبياء فلا يكون
احد الوصفين على الاطلاق مغنيا عن الاخر ولو سلم فذكر الاخر تتميم وتصريح لما علم ضمنا الثالثة كونه اميا قال الزجاج معناه انه على صفة امة العرب قال
صلى الله عليه وآله انا امة امية لا نكتب ولا نحسب وقيل انه منسوب الى الام اي انه على هيئته يوم ولدته لم يكتسب خطا ودراسة وكان هذا من جملة معجزات نبينا
صلعم وبيانه من وجوه الاول انه كان يقرا عليهم كتاب الله منظوما مرة بعد اخرى من غير تبديل والخطيب العرب اذا ارتجل خطبة ثم اعادها فانه لابد ان يزيد
فيها او ينقص فهذا المعنى من مدد سماوي كقوله سنقرئك فلا تنسى الثاني لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهما بانه طالع كتب الاولين ولما اتى بهذا
القران العظيم المشتمل على جلائل العلوم من غير تعلم ومطالعة عرف انه من السماء واليه الاشارة بقوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون الثالث ان تعلم الخط لا يفتقر الى فطنة الا قليلة ومع ذلك كان الخط مشكلا عليه ثم ان الله تعالى اتاه علوم الاولين والاخرين
وما لم يصل اليه احد من العالمين فالجمع بينهما بين الحالتين من الامور الخارقة للعادة كالجمع بين الضدين الصفة الرابعة الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التورية والانجيل الضمير في يجدون للذين يتبعونه من بني اسرائيل ثم ان كان المراد اسلافهم فالوجه ان يراد بالاتباع اعتقاد نبوته من حيث وجدوا
نعته في التورية اذ لا يمكن ان يتبعوه في شرايعه قبل بعثه الى الخلق ويكون المراد من قوله والانجيل انهم يجدونه مكتوبا عندهم ان نعته في الانجيل
فمن المحال ان يجدوه في الانجيل قبل نزول الانجيل وان كان المراد المعاصرين فالمعنى ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى واتى
الزكوة وامن بالله لا الذي في زمن موسى واتبع في اخر الزمان في شريعته في هذا دليل على ان نعته وصحة نبوته مكتوب في التورية والانجيل والا كان ذكر هذا



الكلام من اعظم الفواحش والمنفرات لاهل الكتاب عن قبول قوله لان الاصرار على الزور والبهتان يوجب افتضاح حال المدعي فلا يرتكبه عاقل فلما اقر
على ذلك دل على ان في نفسه الامي كانت الخامسة والسادسة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد ذكرنا تفصيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في آل عمران و
مجامع ذلك محصورة في قوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فان كل ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلا قاهرا وبرهانا باهرا
على توحيد الله وتنزيهه فانه يجب النظر اليها بعين الاحترام والاشفاق كما يليق بها السابعة ويحل لهم الطيبات قيل اي ما يستطاب طبعا لان تناول
ذلك يفيد اللذة وقيل يعني الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثامنة التي حكم الله تعالى بحلها وزيف بانه يجري مجرى قول القائل ويحل لهم المحللات
وهو تكرار ويمكن ان يجاب بان المراد ويبين لهم المحللات وفائدة العدول ان يعلم ان كل حلال مستطاب طبعا وان الاصل في كل ما يستطيبه النفس ويستلذه
الطبع الحل الا لدليل منفصل وقيل معنى ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثامنة ويحرم عليهم الخبائث قال عطاء عن ابن عباس الميتة والدم ونحوهما
من المحرمات وقيل كل ما يستخبثه الطبع فالاصل فيه الحرمة الا بدليل منفصل التاسعة ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من
الحراك لثقله وهو مثل لصعوبة تكاليفهم كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وكذا الاغلال التي كانت عليهم مثل لما في شرايعهم من الامور الشاقة كالقصاص
بتة من غير شرع الدية وكقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنايم وتحريم العروق في اللحم جعلها الله تعالى اغلالا
لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل عن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب
الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها على السارية يحبس نفسه على العبادة فالاغلال على هذا القول غير مستعارة وفي الاية دلالة على ان
الاصل في المضار والمشاق الحرمة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وهذا اصل عظيم في هذه الشريعة ثم لما وصفه بالصفات التسع اكد الايمان
به بقوله فالذين آمنوا به قال ابن عباس يعني من اليهود والاولى حمله على العموم وعزروه وقروه وعظموه قال في الكشاف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب
دون الحد لانه منع من معاودة القبيح فالمراد ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوه وعلى هذا لم يبق بينه وبين قوله ونصروه فرق كثير واتبعوا النور الذي
انزل معه وهو القرآن اي انزل مع نبوته لان نبوته ظهرت مع ظهور القرآن او يتعلق باتبعوا اي اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته واتبعوا
القرآن كما اتبعه النبي مصاحبين له في اتباعه اولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب في الدارين اعلم انه سبحانه لما قال فساكتبها للذين يتقون بين
ان من شرط نزول الرحمة لاولئك المتقين كونهم متبعين للرسول النبي الامي ثم اراد ان يحقق عموم رسالته الى المكلفين فقال قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا وانتصابه على الحال من اليكم وفيه دليل على ان محمدا صلى الله عليه وآله مبعوث الى الخلق كافة خلافا لطائفة من اليهود يقال لهم
العيسوية اتباع عيسى الاصفهاني زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول صادق لكنه مبعوث الى العرب خاصة وفساده ظاهر لانه من المعلوم بالتواتر من دينه انه كان
يدعي عموم الرسالة فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه وان لم يكن رسولا حقا فهذا يقتضي القدح في كونه رسولا الى العرب والى غيرهم وزعم
بعض العلماء انه عام دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين بقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن
المجنون حتى يفيق وايضا يمكن وجود قوم في طرف من اطراف العمارة لم يصل اليهم خبر وجوده فهم لا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته والجواب ان رفع القلم
عن الاصناف الثلثة انما حكم عليهم بهذا الاعتبار ليدخلوا تحت الخطاب وان وجود قوم كما زعمتم من المستبعدات فلا يستحق الالتفات اليه
قال بعض الاكابر ان الاية وان دلت على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل الخلق فليس فيها دلالة على ان غيره من الانبياء ما كان مبعوثا الى كلهم وقد تمسك جمع
من العلماء بالحديث المشهور اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ارسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة
شهر واحلت لي الغنائم وختم بي النبيون ورد بان مجموع هذه الامور من خواصه لا كل واحد واحد وبان آدم بعث الى كل اولاده في ذلك الزمان فيكون
مبعوثا الى كل الناس وقتئذ ولا يخفى ضعف هذا الرد لانا نعلم من دين محمد انه خاتم النبيين وحده وفي رواية اخرى واحلت لي الغنائم ولم تحل
لاحد قبلي واذا كان بعض هذه الامور من خواصه لزم ان يكون كل واحد منها كذلك وايضا ان آدم لم يكن مبعوثا الى حواء لانه عرف التكليف لا بواسطة
آدم بدليل ولا تقربا ثم لما امر رسول الله بان يقول للناس اني رسول الله اليكم اتبعه بذكر ما يدل على صحة هذه الدعوى وانها لا تتم الا بتقرير اصول
اربعة اولها اثبات ان للعالم الها حيا عالما قادرا واشار اليه بقوله الذي له ملك السموات والارض اذ لو لم يكن للعالم مؤثر او كان له مؤثر موجب
بالذات لا فاعل بالاختيار لم يمكن القول ببعثة الرسول ومحل الذي نصب او رفع على المدح او جر بدلا او وصفا لله وثانيها ان اله العالم واحد و
ذلك قوله لا اله الا هو اذ لو فرض الهان لم يكن عبادة احدهما اولى من عبادة الاخر وثالثها انه تعالى قادر على الخير والشر والبعث والحساب كما قال
يحيي ويميت وانما لم يوسط العاطف بين هذه الجمل لان كلا منها مبينة لما قبلها واذا ثبت هذه الاصول الثلثة ثبت اصل رابع وهو انه يصح من الله
تعالى ارسال الرسل ومطالبة الخلق بالتكاليف اما بالاصل الاول والثاني فلانه يحسن من المولى مطالبة عبده بطاعته وخدمته ولا سيما اذا كان
فردا منزها عن الشريك والنظير مستقلا بالامر والنهي واما بالاصل الثالث فلانه يحسن من القادر تكليف المكلف بنوع من طاعته ايصالا له الى الجزاء
والى لذة الجزاء فان تحصيل لذة الاجر بدون كونه اجرا ممتنع واشار الى هذا الاصل الرابع بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي فخص من الصفات المذكورة
هاهنا على الامية لانها اجل الاوصاف وادلها على حقيته وذلك انه لم يتفق له مطالعة كتاب ولا مصاحبة معلم لانه ما كانت مكة بلدة العلماء وما غاب عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبة طويلة يمكن التعلم فيها ومع ذلك فتح الله عليه ابواب العلم والتحقيق واظهر عليه هذا القرآن الذي اشتمل على علوم الاولين والآخرين فليس

ذلك لانه تأييد سماوي وفيض الهي ثم وصفه بقوله الذي يؤمن بالله وكلماته لان النبي صلى الله عليه وآله يجب ان يكون من آمن بالله وبكتبه وانما قيل
فآمنوا بالله ولم يقل بعد قوله اني رسول الله بل عدل الى المظهر ليمكن ان يجري عليه الصفات المذكورة ولما في طريقة الالتفات من البلاغة وليعلم ان
الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة واحترازا
عن العصبية واعلم ان الكمالات اما نظرية واشار اليها بقوله فآمنوا واما عملية واليها الاشارة بقوله واتبعوه والاولى اشارة الى التكاليف المستفادة
من افعاله فان كل فعل يصدر عنه وقد واظب عليه فلا بد ان يكون جانب فعله راجحا على تركه ثم ان ظاهر الامر للوجوب فيجب علينا اتباعه وان كان
ذلك مندوبا له الا ان يدل دليل منفصل على ان ذلك الفعل من خصائصه ومعنى الترجي لعلكم تهتدون قد مر نظائره لا سيما في اول البقرة
في قوله لعلكم تتقون ثم لما ذكر الرسول وانه يجب على الخلق متابعته ذكر ان في قوم موسى من اتبع الحق وهدى اليه فقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
اي يهدون الناس بكلمة الحق وبه يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون وهذه الامة متى حصلت وفي اي زمان كانت اختلف المفسرون في ذلك فقيل
هم اليهود الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كعبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما ولفظ الامة قد يطلق على القليل اذا كان لهم شأن
كما اطلق على الواحد في قوله ان ابرهيم كان امة وقيل انهم قوم ثبتوا على الدين الحق الذي جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف والتبديل
في زمن تفرق بني اسرائيل واحداثهم البدع ويجوز ان يكونوا اقاموا على ذلك الى ان جاء المسيح فدخلوا في دينه ويجوز ان يكونوا اهلكوا قبل ذلك
وقال السدي وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا اليه وسألوا
الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين ثم من المفسرين من قال انهم
بقوا متمسكين بدين اليهودية الى الان بناء على ان خبر نبينا لم يصل اليهم فهم موجودون ومنهم من استبعد عدم وصول الخبر اليهم مع ان
خبر هذه الشريعة طار في كل افق وتغلغل في كل نفق فقال انهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وروي عن النبي صلى الله عليه وآله ان جبرئيل ذهب به ليلة
الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبرئيل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد صلى الله عليه وآله النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا
من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا
مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت والله اعلم بالتأويل واختار موسى قومه المختار من الخلق من اختاره الله تعالى وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة فالذي اختاره الله كان مثل موسى وانا اخترتك والذين اختارهم موسى كانوا مستحقين بسوء الادب
للرجفة والصعقة وههنا نكتة هي ان تلبس موسى لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله للرؤية شعلة نار المحبة مقرونا
بحفظ الادب على بساط القرب بقوله رب ارني انظر اليك قدم عزة الربوبية واظهر ذلة العبودية وكان سؤال القوم من القلوب الساهية
اللاهية فتصاعد دخان الشوق بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قدموا الجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهارا فاخذتهم الصاعقة عقوبة
فصعقة موسى كانت صعقة اللطف مع تجلي صفة الربوبية وان صعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار صفة العزة والعظمة ولما كان موسى عليه السلام
ثابتا في مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله فرأى سفاهة القوم من آثار صفات قهره فتنة واختبارا لهم فقال ان
هي الا فتنتك تضل بها من تشاء باصبع صفة القهر وتهدي من تشاء باصبع صفة اللطف واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الرؤية كما
كتبت لمحمد صلى الله عليه وآله فساكتبها يعني حسنة الرؤية والرحمة للذين يتقون بالله عن غيره ويؤتون عن نفسها هذا المقام الزكوة الى طالبيه والذين هم بانوار شواهد الآيات با
لتحقيق لا بالتقليد يؤمنون وفي قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي اشارة الى ان في امته من يكون مستعدا لاتباعه في هذه المقامات الثلثة
ومعنى الامي انه ام الموجودات واصل المكونات كما قال عليه السلام اول ما خلق الله روحي وقال حكاية عن الله لولاك لما خلقت الكون واما اتباعه في مقام الرسالة
فبان تأخذ منه ما آتاك وتنتهي عما نهاك لما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالرسالة تتعلق بالظاهر والنبوة بالباطن فللعوام شركة مع الخواص
في الانتفاع من الرسالة وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن ادى حقوق احكام الرسالة في الظاهر يفتح له ببركة ذلك احوال النبوة في الباطن فيصيبه
حصته من الاشارات والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية وبما يؤل حاله الى ان يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولعله
يصير مأمورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال كما قال صلى الله عليه وآله علماء امتي كانبياء بني اسرائيل واما اتباعه في مقام اميته فذلك لاخص
الخواص وذلك انه صلى الله عليه وآله يرجع بالسير من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم بجذبات الوحي انزل في مقام التوحيد وهو قاب قوسين
ثم اختطف بانوار الهوية عن انانيته الى او ادنى وهو مقام الوحدة كما قال قل انما انا بشر مثلكم يوحي الي انما الهكم اله واحد فمن رجع بالسير فيما بعثه
من مقام البشرية الى ان بلغ مقام روحانيته ثم بجذبات النبوة انزل في مقام التوحيد ثم اختطف بانوار المتابعة عن انانيته الى مقام الوحدة فقد
خطى من مقام اميته مكتوبا عندهم بالحقيقة هو مكتوب عنده في مقعد صدق يأمرهم بالمعروف وهو طلب الحق وينهاهم عن المنكر وطلب ما سواه
ويحل لهم الطيبات كل ما يقرب الى الله فان الله هو الطيب ويحرم عليهم الخبائث الدنيا وما فيها ويضع عنهم اصرهم الى العهد الذي بين الله وبين
حبيبه ان لا يوصل احدا الى مقام اميته الا امته واهل شفاعته كقوله الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابرهيم فكان من هذا العهد عليهم شدة واغلال
يمنعهم من الوصول الى هذا المقام فقد وضع النبي صلعم عنهم هذا الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته واشار الى هذا المعنى بقوله فالذين آمنوا

فرد محمد على موسى عليه السلام

بِهٖ وَعَزَّرُوْهُ وَقَرَّرُوْهُ باعتقاد اختصاص هذا المقام به دون سائر الانبياء والرسل وَنَصَرُوْهُ بالمتابعة وَاتَّبَعُوا نور الوحدة الَّذِيْٓ اُنْزِلَ مَعَهٗ لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ
القلوب وَ ارض النفوس لا مدبر فيهما غيره يحيى قلب من يشاء من عباده بنور الوحدة ويميت نفسه عن صفات البشرية وكلماته هي ما اوحى اليه ليلة المعراج
بلا واسطة وَمِنْ قَوْمِ مُوْسٰٓى اُمَّةٌ يَّهْدُوْنَ بِالْحَقِّ يعني خواصهم الذين يرشدون الخلق بالكتاب المنزل بالحق على موسى وَبِهٖ يَعْدِلُوْنَ في الحكم بين العوام
فشتان بين امة غايتهم القصوى هي هداية الخلق وكان نبيهم محجوبا بحجاب الانانية عند سؤال الرؤية فاجيب بلن تراني وبين امة امية بلغوا بجذبات
انوار المتابعة الى مقام الوحدة حتى سموا امة امية قال في حقهم كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق فلهذا دعا موسى اللّٰهم اجعلني من امة محمد شوقا الى لقاء ربه فافهم

وَقَطَّعْنٰهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ اَسْبَاطًا اُمَمًا ۭ وَاَوْحَيْنَآ اِلٰى مُوْسٰٓى اِذِ اسْتَسْقٰىهُ قَوْمُهٗٓ اَنِ اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۚ فَانْۢبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا

و پراگنده کردیم ایشان را دوازده فرقه گروهان و وحی فرستادیم بسوی موسی چون طلب آب کردند از او قوم او که بزن بعصای خود سنگ را پس روان شد از آن دوازده

عَشْرَةَ عَيْنًا ۭ قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۭ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَاَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى ۭ كُلُوْا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ ۭ وَمَا

چشمه هر آینه دانست هر گروهی آبخور خود را و سایبان کردیم بر ایشان ابر را و فرود فرستادیم بر ایشان من و سلوی را بخورید از پاکیزه‌های آنچه روزی کردیم شما را

ظَلَمُوْنَا وَلٰكِنْ كَانُوْٓا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ ۝ وَاِذْ قِيْلَ لَهُمُ اسْكُنُوْا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوْا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُوْلُوْا حِطَّةٌ وَّادْخُلُوا الْبَابَ

و ستم نکردند بر ما و لیکن بودند که بر خود ستم میکردند و چون گفته شد مر ایشان را که ساکن شوید درین ده و بخورید از آن هر جا که خواهید و بگوئید حطه و در روید در را

سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيْٓـٰٔتِكُمْ ۭ سَنَزِيْدُ الْمُحْسِنِيْنَ ۝ فَبَدَّلَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِيْ قِيْلَ لَهُمْ فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاۗءِ

سجده کنان که بیامرزیم مر شما را گناهان شما را زود باشد که بیفزائیم نیکوکاران را پس تغییر دادند آنانکه ستم کردند گفتاری را بغیر آن که گفته شده بود ایشان را پس فرستادیم بر ایشان عذابی از آسمان

بِمَا كَانُوْا يَظْلِمُوْنَ ۝ وَسْـَٔــلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِيْ كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ۘ اِذْ يَعْدُوْنَ فِي السَّبْتِ اِذْ تَاْتِيْهِمْ حِيْتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ

بجهت ظلم ایشان و سؤال کن ایشان را از آن ده که بود در نزدیک دریا چون از حد در گذشتند در ماهی گرفتن در شنبه چون که می‌آمدند ماهیان ایشان در روز شنبه

شُرَّعًا وَّيَوْمَ لَا يَسْبِتُوْنَ ۙ لَا تَاْتِيْهِمْ ڔ كَذٰلِكَ ڔ نَبْلُوْهُمْ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَ ۝ وَاِذْ قَالَتْ اُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُوْنَ قَوْمَا ڔ اللّٰهُ

آشکارا و روزی که شنبه نکردند نمی‌آمدند بایشان همچنین بیازمائیم ایشان را بآنچه بودند تباه‌کاران و چون گفتند گروهی از ایشان که چرا پند میدهید گروهی را که خدا

مُهْلِكُهُمْ اَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا ۭ قَالُوْا مَعْذِرَةً اِلٰى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ ۝ فَلَمَّا نَسُوْا مَا ذُكِّرُوْا بِهٖٓ اَنْجَيْنَا الَّذِيْنَ

هلاک کننده ایشانست یا عذاب کننده ایشان عذابی سخت گفتند از بهر عذر برگرفتن بسوی پروردگار شما و شاید که ایشان پرهیزند پس چون فراموش کردند آنچه پند داده شده بودند بآن رهانیدیم آنان را که

يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوْۗءِ وَاَخَذْنَا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا بِعَذَابٍۢ بَـِٕيْسٍۢ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَ ۝ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّا نُهُوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُوْنُوْا

منع می‌کردند از بدی و گرفتیم آنان را که ستمکار بودند بعذابی سخت بجهت بودن ایشان تباه‌کاران پس چون سرکشی کردند از آنچه منع کرده شدند از آن گفتیم ایشان را که باشید

قِرَدَةً خٰسِـِٕيْنَ ۝ وَاِذْ تَاَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَنْ يَّسُوْمُهُمْ سُوْۗءَ الْعَذَابِ ۭ اِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيْعُ الْعِقَابِ ڔ

بوزینگان رانده شده و چون اعلام کرد پروردگار تو که مسلط گرداند بر ایشان تا روز قیامت کسی را که بچشاند ایشان را بدی عذاب بدرستیکه پروردگار تو زود عقوبت

وَاِنَّهٗ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ وَقَطَّعْنٰهُمْ فِي الْاَرْضِ اُمَمًا ۚ مِنْهُمُ الصّٰلِحُوْنَ وَمِنْهُمْ دُوْنَ ذٰلِكَ ۡ وَبَلَوْنٰهُمْ بِالْحَسَنٰتِ وَالسَّيِّاٰتِ

و بدرستیکه او آمرزنده مهربانست و متفرق کردیم ایشان را در زمین گروهان بعضی از ایشان نیکوکارانند و بعضی از ایشان غیر آن و آزمودیم ایشان را بنیکی‌ها و بدی‌ها

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُوْنَ ۝ فَخَلَفَ مِنْۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَّرِثُوا الْكِتٰبَ يَاْخُذُوْنَ عَرَضَ هٰذَا الْاَدْنٰى وَيَقُوْلُوْنَ سَيُغْفَرُ لَنَا ۚ وَاِنْ

شاید که ایشان باز گردند پس جانشین شدند از پس ایشان ناخلفانی که میراث بردند کتاب را فرا میگیرند متاع این دنیا را و میگویند که زود آمرزیده شود ما را و اگر

يَّاْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهٗ يَاْخُذُوْهُ ۭ اَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيْثَاقُ الْكِتٰبِ اَنْ لَّا يَقُوْلُوْا عَلَي اللّٰهِ اِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوْا مَا فِيْهِ ۭ وَالدَّارُ الْاٰخِرَةُ

بیاید ایشان را متاعی مانند آن فرا گیرند آیا گرفته نشده بر ایشان پیمان کتاب که نگویند بر خدای بجز حق و درس گویند آنچه در آنست و خانه آخرت

خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ يَتَّقُوْنَ ۭ اَفَلَا تَعْقِلُوْنَ ۝ وَالَّذِيْنَ يُمَسِّكُوْنَ بِالْكِتٰبِ وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ ۭ اِنَّا لَا نُضِيْعُ اَجْرَ الْمُصْلِحِيْنَ ۝ وَاِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ

بهتر است مر آنان را که پرهیزگاری کنند آیا پس درک نمیکنید و آنان که دست آویزند بکتاب و برپای دارند نماز را بدرستیکه ما ضایع نکنیم مزد صالحان را و چون برافراشتیم کوه را بالای ایشان

كَاَنَّهٗ ظُلَّةٌ وَّظَنُّوْٓا اَنَّهٗ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۚ خُذُوْا مَآ اٰتَيْنٰكُمْ بِقُوَّةٍ وَّاذْكُرُوْا مَا فِيْهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ۝ القراءة تغفر

گویا که آن سایبانست و گمان کردند که آن فرود آینده است بایشان بگیرید آنچه را که دادیم شما را بتوانائی و یاد گیرید آنچه را که در آنست شاید که شما پرهیزید بالتاء الفوقانية

مضمومة وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالنون وكسر الفاء خطايا كم مجموعا جمع التكسير ابو عمرو خطيئتكم بالرفع وعلى
الوحدة ابن عامر خطاياتكم بالرفع مجموعا جمع السلامة ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون مثله ولكن بالنصب الذي يليق بجمع السلامة الذين
يسبتون من الاسبات ابو زيد عن المفضل معذرة بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع بئيس مثل رئيس ابو جعفر ونافع بئس على فعل بفتح العين الاعشى
والبرجمي الباقون بئيس على فعيل تاذن بالنايين الاصفهاني عن ورش والشموني وحمزة في الوقف تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان
وسهل ويعقوب وحفص الباقون بياء الغيبة يمسكون من الامساك ابو بكر وحماد والاخرون بالتشديد الوقوف امما ط وان انفلقت الجملتان لان
اوحينا عامل اذ استسقيه دون قطعنا فان تفرقنا الاسباط لم يكن زمان الاستسقاء الحجر ط للحذف مع اتحاد الكلام اي فضرب فانبجست عينا ط والسلوى ط

بئس على فعل كنايا ابن عامر

ما رزقناكم



ما رزقناكم ط الحذف جملة اي قلنا لهم كلوا ولا تدخروا فادخروا فانقطع عنهم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وخطيئاتكم ط المحسنين يظلمون في الاحياء نفس الطالب يموت
الذين جنوه نفس محبها او في معالجة عمن ذلك دانف قلبه وقسى قلبه معالجة هذه الاعضا بمزيد الادراك فمن بعد الاحيا فهو كفارة له فيما فرط
من احيا نفسه ومعالجة قلبه طرفة عين لم يحكم على نفسه بما انزل الله في تزكيتها وتخليتها فاولئك الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق
البحر كيلا يصير ما بعده ظرفا لقوله واسئلهم فانه محال لانا ثانيهم لاحتمال تعلق كل بداي يوم لا يسبتون لا تاتيهم ايتانا كاتيانهم يوم السبت والاعراف
كل صفة مصدر محذوف اي يبلوهم بلاء كذلك فالوقف على كذلك جائز ايضا يعظون قوما لا الاول الجملة بعد صفة شديد يتقون يفسقون خاسئين
العذاب ط رحيم نصف الجزء وامّا الاحتمال كون ما بعده صفة او مستانفا دون ذلك للعطف على قطعنا فان لم تجعل الجار صفة للام كان عطفا
مع عارض يرجعون سيغفر لنا ج ياخذوه ط ما فيه ط يتقون تعقلون الصلوة على تقدير وخذ فاي لا نضيع اجرهم اثا لا نضيع اذ هم المصلحون ولا
نضيع اجر المصلحين وللوصل وجه على تقدير وضع الظاهر موضع الضمير اي انا لا نضيع اجرهم المصلحين لسبع الثالث واقع بهم تحق المحذوف ينقون
التفسير انه سبحانه ختم قصة بني اسرائيل بتعداد جمل من احوالهم تبصرة للمكلفين بعدهم ومعنى قطعناهم صيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من
بعض كيلا يتحاسدوا ويتباغضوا فيقع بينهم الفتن والهرج والاسباط اولاد الاولاد جمع سبط واصله من السبط نبت يعتلفه الابل فكان الاباء كالشجرة
والاولاد كالاغصان والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سؤال وهو ان مميز واحد العشرة الى التسعة والتسعين مفرد فهلا قيل
اثني عشر سبطا واجيب بان كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة كقوله بين رماحي مالك ونهشل ولهذا انث اثنتي عشرة وقال الزجاج
الزجاج المميز محذوف واسباطا نعت لذلك المحذوف التقدير اثنتي عشرة فرقة اسباطا وقال الفارسي والجوهري اسباطا بدل من اثنتي عشرة و
المميز كما قال الزجاج وقوله امما بدل من اثنتي عشرة لان كل اسباط كانت جماعة كثيفة العدد توم خلاف ما كانت تؤمه الاخرى وباقي الاية الى قوله
بما كانوا يظلمون قد مر تفسيره في البقرة وكذا بيان المتشابهات ثم يذكر النوع الاخر من احوالهم قوله سبحانه واسئلهم عن القرية اي عن
اهلها والبس المقصود تعرف هذه القصة من قبل اليهود لانها معلوم للرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الله تعالى ولكن المراد تقريرهم ما كانوا قد قدموا عليه
عليه من الاعتداء والفسق ليعلم ان لهم سابقة في ذلك ليس كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم اول مناكيرهم وقد يقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا
وكذا ليعرف ذلك لغيره انه محيط بتلك القصة وفيه انه اذا اعلمهم بها من لم يقرا كتابا ولم يتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحي فيكون معجزا و
الاكثرون على ان تلك القرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة من البحر وعلى شاطئه اذ يعدون
في السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا عن القرية بدل الاشتمال اي واسئلهم عن وقت
عدوانهم قال في الكشاف ويجوز ان يكون منصوبا بحاضرة او بكانت بناء على ان كان الناقصة تعمل في غير الاسم والخبر وفيه نظر اذ لا معنى لكون القرية
حاضرة البحر في زمان العدوان لانها حاضرة في جميع الاحيان وقوله اذ تاتيهم منصوب بيعدون او مجرور بدلا بعد بدل والحيتان جمع الحوت و
هو السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع وكل شيء دان عن شيء فهو شارع ودار شارعة اذا دنت من الطريق ونجوم شوارع اي دنت من المغيب
فالحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يمكنهم صيدها عن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض وقال ابن عباس ومجاهد ان اليهود امروا باليوم
الذي امرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرم عليهم الصيد فيه وباقي القصة مذكورة في البقرة وفيها دلالة على
ان من اطاع الله تعالى خفف الله عليه احوال الدنيا والاخرة ومن عصاه ابتلاه بانواع البلاء والمحن قالت الاشاعرة لو وجب عليه الاصلح على الله تعالى
لوجب ان لا يكثر الحيتان في ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وهذا الاعتراض وارد على خلق ابليس وسائر ابواب الشر النوع الثالث
قوله واذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من صلحاء اهل القرية الذين بالغوا في موعظتهم حتى ايسوا
الاخرين كانوا لا يتركون وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا لعلمهم بان عاقبة المعصية شوم والمنهمك في الفساد لا
يفلح قالوا معذرة من رفع فبتقدير هذه او موعظتنا او قولنا ابداء عذر الى الله والمعذرة مصدر كالمغفرة ومن نصب فعلى انا نعتذر معذرة
او وعظناهم معذرة الى ربكم اي اذا طولبنا باقامة النهي عن المنكر قلنا قد فعلنا فنكون بذلك معذورين ولعلهم يتقون ولانا نرجو ان يتقوا
بعض الاتقاء فيتركوا الصيد في السبت فلما نسوا يعني اهل القرية تركوا ما ذكرهم به الصالحون انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القراآت شديد من بؤس باسا اذا اشتد والظاهر ان هذا العذاب غير المسخ المتاخر لقوله فلما عتوا
تكبروا وتمردوا وابوا عن ترك ما نهوا عنه بحذف المضاف لان الاباء عن المنهي عنه يكون طاعة قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وللمرادام التكوين
والايجاد لا ان هناك قولا وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا
في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة
ادهى وامر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ في سورة البقرة الا انه يتجه ههنا بحث وهو ان اهل القرية كم فرقة كانوا فقيل فرقتان الذين
والواعظة واما الامة القائلة لم تعظون فهم المذنبة بعينها قالوا للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم بزعمكم ولا اعتراض على هذا القول
انه لو صح ذلك لكان اللائق ان يقول في الجواب معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون لان الجميع خطاب من الفرقة الناهية للفرقة العاصية والصحيح

انهم ثلث فرق فرقة مذنبة وفرقة واعظة وفرقة قالوا للواعظين لم تعظون اما المذنبة فقد هلكوا بالاتفاق واما الواعظة فقد نجوا بقي الكلام في الثالثة
نقل عن ابن عباس انه توقف فيهم وكان يقول فيهم ليت شعري ما فعل بهؤلاء وعنه ايضا انهم هلكوا وكان اذا قرئ عليه هذه الاية بكى وقال ان هؤلاء الذين
سكتوا عن النهي عن المنكر هلكوا ونحن نرى اشياء ننكرها ثم نسكت ولا نقول شيئا وعن الحسن انهم نجوا لانهم كانوا ينكرون عليهم ويحكمون بان الله
مهلكهم او معذبهم وانما تركوا الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي بحال المنهي وان النهي لا ينجع فيه سقط عنه النهي
ولعل الواعظين لم يستحكم ياسهم بعد كما استحكم ياس هؤلاء ولعلهم كانوا احرص الطائفتين في لعل الامة سئلوا عن علة الوعظ سؤال المنكرين والله تعالى
اعلم بالسرائر النوع الرابع واذ تأذن ربك هو تفعل من الايذان الاعلام والمعنى عزم ربك لان العازم على الامر يحدث به نفسه فكانه يؤذن النفس بانه يفعله
واجري مجرى فعل القسم في الجزم بالجزاء نحو علم الله وشهد الله فاجيب بجواب القسم اي حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط كقوله بعثنا عليكم
عبادا لنا اولي باس شديد بل واختلف في العائد في عليهم فقيل يرجع الى الممسوخين بناء على ان لهم نسلا وقيل الى صلحاء تلك القرية فكانه مسخ المتعدين الحق
الذل بالبقية وقال الاكثرون هم اليهود الذين ادركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى شريعته فثبتوا على الكفر واستمروا على اليهودية اما العذاب فقيل هو
اخذ الجزية كانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيمة وقيل الاستخفاف والاهانة و
قيل القتل والقتال كما وقع في زمن بختنصر وغيره وقيل الاخراج عن الاوطان كما في يهود خيبر وبني قريظة والنضير واذ قد اخبر الله تعالى بلزوم الذل والصغار
اياهم ونحن نشاهد ان الامر كذلك فهو اذن اخبار عن الغيب فيكون معجزا قيل والخبر المروي في ان اتباع الدجال هم ان صح فمعناه انهم كانوا قبل خروجه
يهود ثم دانوا باليهودية فذكروا بالاسم الاول وانما تكلف ذلك لانهم يكونون في وقت اتباع الدجال ظاهرين غالبين النوع الخامس وقطعناهم في
الارض امما فرقناهم فيها فقلما يخلو بلد منهم فلا يكاد يوجد بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا في زمن موسى يهدون بالحق او الذين
وراء الصين وعن ابن عباس ومجاهد الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وآله وآمنوا به ومنهم دون ذلك اي ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون
عنه فيجوز ان يكون فيهم بعض الصلاح وان كان ادون من صلاح الاولين الا ان قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على ان المراد بهم الكفرة الفسقة
الباقية على الخير والرشاد ومحل دون ذلك رفع على انه صفة مرفوع محذوف كما قلنا وبلوناهم عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بالحسنات الخصب والعافية
والسيئات بالجدب والشدائد لعلهم يرجعون لان كلا من الحالتين تدعو الى الطاعة والانابة النعم بالترغيب والنقم بالترهيب فخلف من بعدهم
خلف ظاهره يدل على ان الاول ممدوح والثاني مذموم فالمراد فخلف من اولئك الصلحاء خلف قال الجوهري الخلف القرن بعد القرن فقال هؤلاء
خلف سوء لناس لاحقين بناس اكثر منهم قال الاخفش وقد يحرك ومنهم من يقول خلف سوء من ابيه بالتسكين وخلف صدق من ابيه بالتحريك قال لبيد
ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب والخالف الردي من القول ثم سكت الفا ونطق خلفا اي سكت عن الف كلمة ثم تكلم غلطا
ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي ولا يعملون بها ياخذون عرض هذا الادنى
اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر وفي الاشارة بقوله هذا الادنى تحقير و
تخسيس واراد بالدنو القرب لانه عاجل او دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشى في تحريف الاحكام والنعوت ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا واسناد الفعل اما الى الجار والمجرور واما الى الاخذ الدال عليه ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه
الواو للحال اي يرجون المغفرة جزما وهم مصرون والمراد الاخبار عن اصرارهم على الذنوب وقال الحسن هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا
وانهم لا يشبعون منها ثم بين نكثهم عهدهم فقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي التورية ومحل ان لا يقولوا على الله الا الحق رفع عطف بيان
للميثاق المذكور في التورية وهو ان لا يحرفوا الكلم عن مواضعه ولا يقبلوا الرشى او لا يصروا على الذنب مع الجزم بالغفران فان خلاف كل ذلك
خروج عن ميثاق الكتاب افتراء على الله عليه ما ليس بحق ويجوز ان يكون ان لا يقولوا مفعولا لاجله ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة والقول
ولا يقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا عطف على الم يؤخذ لانه تقرير كانه قيل اخذ عليهم الميثاق وقرؤا ما فيه
اي انهم ذاكرون لما اخذ عليهم لانهم قد قرؤه ودرسوه والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى والمحارم ثم لما ذكر حال
من ترك التمسك بالتورية اتبعها حال من تمسك به اعتصم به فقال والذين يمسكون الاية والتشديد للتكثير في افراد اقاموا الصلوة مع ان
التمسك بالكتاب مشتمل على كل عبادة اظهار لمزية الصلوة واشعار بانها عماد الدين النوع السادس واذ نتقنا قال ابو عبيدة اصل النتق قلع
الشيء عن موضعه والرمي به ومنه امرأة ناتق اذا كثر ولدها لانها ترمي باولادها رميا والمعنى واذ قلعنا الجبل من اصله وجعلناه فوقهم كانه ظلة و
هي كل ما اظلك من سقف وحائط وظنوا انه واقع بهم علموا او تيقنوا انه ساقط عليهم وقيل قوي في نفوسهم انه يقع بهم ان خالفوا روي انهم ابوا ان يقبلوا
احكام التورية فرفع الله الطور عليهم على راسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى
الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون
هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التورية الا
اهتز وانفض لها راسه خذوا على ارادة القول اي قلنا لهم او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه

المسترشدين لا سؤال ع



واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي او من التعريض للثواب والعقاب خذوا ما آتيناكم من الآيات العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما انتم عليه من الاباء التاويل لما شاء الله كان خاضرة البحر هي قرية الجسد الحيواني على شاطئ بحر البشرية واهل قرية الجسد الصفات الانسانية صنف وهي كصفات الروح وصنف تابعة كصفات النفس الامارة بالسوء وكل قد نهوا عن صيد حيتان الدواعي البشرية في سبت محارم الله فلم يهملك الحرمة الا الصفات الانسانية اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا لان الانسان حريص على ما منع فتهيج الدواعي في المحرمات دون المحللات بما كانوا يفسقون اي بما كان من طبيعة النفس وصفاتها من الخروج عن امر الله لانها امارة بالسوء واذ قالت امة منهم صفات القلب او الصفات الروح لم تعظون قوما الله مهلكهم بالمخالفات عند استيفاء اللذات الشهوات او معذبهم عذابا شديدا وهو المسخ بتبديل الصفات الانسانية الى الصفات الحيوانية قالوا معذرة الى ربكم لا نتخلف هكذا امرنا بالمعروف ناهين عن المنكر فنقضي ما علينا ليعلم انا ما قصرنا من وصافنا الروحانية الملكية ولعل النفس وصفاتها يتقون فتتصف بالمامورية والاطمينان فانها قابلة لذلك بعذاب بئيس هو ابطال استعداد قبول الفيض الالهي ليبعثن عليهم على الارواح والقلوب الذين يتبعون النفس وصفاتها من يسومهم وهو الشيطان المنظر الى يوم القيامة سوء العذاب عذاب البعد عن الله وعذاب ذلة الخدمة للنفس والشيطان وقطعناهم فرقنا الارواح والقلوب في ارض الاجساد منهم الصالحون قابلون لفيض نور الله ومنهم دون ذلك في القبول وبلوناهم بالحسنات والسيئات وهي المعاصي لعلهم يرجعون الى الحق وذلك ان السير الى الله يتم بقدم الطاعة وبقدم ترك المعصية ومن هنا قيل خطوتان وقد وصلت او بلوناهم بالحسنات ليرجعوا الينا بقدم الشكر والسيئات ليرجعوا بقدم الصبر او بلوناهم بكثرة الطاعات والعجب بها كما كان حال ابليس وبكثرة المعاصي والندامة عليها كما كان حال آدم فخلف من بعدهم الارواح والقلوب لما سلكوا طريق الحق ووصلوا الى مقعد صدق خلف هم النفوس الامارة بالسوء ورثوا الكتاب وهو ما الهم الله تعالى الارواح والقلوب من المواعظ والحكم والمعاني والاسرار وورثت النفوس وجعلوها ذريعة العرض الدنياوية وتحصيل المال والجاه واستيفاء اللذات ويقولون سيغفر لنا مثل هذه الزلات لانا واصلون كاملون كما هو مذهب اهل الاباحة وسيغفر لنا اذا استغفرنا وهم يستغفرون باللسان لا بالقلب اذ نتقنا الجبل فيه ان الانسان لو وكل الى الطبعه ونفسه لا يقبل شيئا من الامور الدينية والتمايعان على القبول بامر ظاهر او باطن وفيه ان على رؤس اهل الطلب جبل امر الحق وهو امر التحويل فيحولهم بالقدرة الى ان ياخذ واما ايتهم الله تعالى بقوة منه لا بقوتهم وارادتهم وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ

القراءة ذريتهم على التوحيد حمزة وخلف وابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون على الجمع يقولوا بياء الغيبة في الحرفين ابو عمرو يلهث ذلك بالاظهار حفص والاصفهاني عن ورش والحلواني عن قالون والنقاش عن ابي ربيعة عن قنبل يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون بضم الياء وكسر الحاء من الالحاد ولقد ذرانا مظهرا ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ورش وعاصم غير الاعشى ذرانا بغير همز ابو عمرو ويزيد

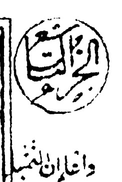


الاعشى اذ ذرياتنا بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بالهمز او قوفا انفسهم لان التقدير وقال
الست بربكم مع تمام الكلام بربكم فصلا بين السؤال والجواب بلى لان شهدنا يصلح ان يكون من قولهم فيتوقف على شهدنا ويتعلق ان يقولوا في
اي فعلنا ذلك لئلا يقولوا ويصلح ان يكون شهدنا من قول الملائكة اي قيل للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا فيكون منفصلا من جملة
ومتصلا بان يقولوا غافلين للعطف من بعدهم لابتداء الاستفهام وانحاء القائل المبطلون يرجعون الغاوين موثر لان قوله فمثله مثل
فيه حتم كمثل الكلب لابتداء الشرط مع ان الجملة تفسير المثل او نتركه يلهث بآياتنا يتفكرون يظلمون المهتدي للعطف لان التفصيل من الجملة
ابلغ في التنبيه الخاسرون والانس والوصل اولى لان الجملة بعده صفة لكثير لا يفقهون بها ج لان العطف صحيح ولكن الوقف لامهال
فرصة الاعتبار وكذا الثانية ولهذا كرر لفظة لهم في اول كل جملة لا يسمعون بها اضل الغافلون فادعوه بها ص لعطف المتفقتين في اسمائه يعملون
يعدلون لا يعلمون وعطف املي على سنستدرجهم احسن من جعله مستانفا فتوقف على املي لهم متين التفسير لما شرح قصة موسى على اقصى الوجوه
ذكر ما يجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين وفي الاية للمفسرين قولان احدهما ما روى مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب قال سئل عنها رسول
الله صلعم فقال صلعم ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره
فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون قال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلعم ان الله اذا خلق العبد
للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل
النار فيدخله النار وهذا القول ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي وابن عباس
اما المعتزلة واصحاب النظر والمعقولات فانهم فسروا الاية بانه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب آبائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة
فاخرجها الله تعالى الى ارحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب في عقولهم من
دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته وكانه قررهم وقال الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا
بوحدانيتك وباب التمثيل باب واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب نظيره فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
وقال الشاعر امتلأ الحوض فقال قطني وهذا القول الثاني غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون في نفسه انما الكلام في صحة القول الاول
والمنكرون طعنوا فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل فالمعنى واذ اخذ ربك من ظهور بني آدم وعلى هذا
فلا يذكر الله تعالى انه اخذ من ظهر آدم شيئا ويمكن ان يجاب بانه تعالى علم ان الشخص الفلاني يتولد من آدم ومن فلان فلان آخر فعلى الترتيب الذي
علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض فثبت اخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقرآن وثبت اخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر فوجب المصير
اليهما معا صونا للاية والخبر عن الطعن ومنها ان اولئك الذر ان لم يكونوا عقلاء لم يمكن اخذ الميثاق منهم وان كانوا عقلاء وجب ان يتذكروا
تلك الحالة في هذا الوقت وبهذا الدليل بعينه يبطل التناسخ ويحتمل ان يجاب بالفرق وذلك انا اذا كنا في ابدان اخرى وبقينا فيها سنين
ودهورا امتنع في مجرى العادة نسيانها واما اخذ هذا الميثاق فانما حصل في اسرع زمان فلم يبعد حصول النسيان فيه ومنها ان جميع الخلق من اولاد
آدم جمع عظيم وجم غفير وصلب آدم على صغره لن يتسع لذلك المجموع على ان البنية شرط لحصول الحيوة والعقل والفهم فكل واحد من اولئك
الذر لها بنية وان كانت صغيرة والمجموع يبلغ مبلغا عظيما في الحجم والمقدار واجيب بان البنية عندنا ليست شرطا في الحيوة والعقل ومن
الجائز ان يكون كل من الذر جوهرا فردا ومنها ان فائدة اخذ الميثاق ان يكون حجة عليهم في ذلك الوقت وفي الدنيا والاجماع منعقد
على انهم بسبب ذلك لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب على انهم ادون حالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الطفل فكيف يتوجه
على الذر واجيب بانه لا يسئل عما يفعل وان المعتزلة اذا ارادوا تصحيح القول بوزن الاعمال وانطاق الجوارح قالوا لا يبعد ان يكون لبعض الملائكة
في تمييز السعداء من الاشقياء في وقت اخذ الميثاق لطف وقيل ان الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيمة ومنها انه تعالى قال ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكون اولئك الذر ناسا احياء ينافي كون الانسان مخلوقا من الماء والطين
والجواب لم لا يجوز ان يخرج الله تعالى من صلب آدم ذرة من الماء ثم منها ذرة اخرى وهلم جرا الى آخر نسلها ثم يعدم الكل ثم يحييها فيحصل الحيوة
للانسان اربع مرات اولها وقت الميثاق وثانيها في الدنيا وثالثها في القبر ورابعها في القيمة ويحصل له الموت ثلث مرات بين كل حيوتين
واحد ولا ينافي هذا حكاية قول الكفرة ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين لاحتمال ان ذلك بناء على حسب ظنونهم اما قوله ان تقولوا فالتقدير
واشهدهم على انفسهم بكذا لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا المشهود له غافلين من قرأ بياء الغيبة فلان الكلام على الغيبة
وهو قوله بني آدم من ظهورهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا ومن قرأ على الخطاب فلانه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله الست بربكم
وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون في المعنى او يقولوا يعني الكفار انما اشرك آباؤنا اشركوا فقلدناهم في ذلك الشرك فكان الذنب لسلفنا فكيف
تعذيبنا على هذا الشرك وهو معنى قوله افتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل ان الله تعالى لما اخذ عليهم الميثاق امتنع منهم التمسك بهذا العذر وعند المعتزلة
معناه اشهدناهم كراهة ان يقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لاسلافنا لان نصب الادلة على التوحيد قائم فلا عذر معهم في الاعراض عنه



والاقبال على التقليد والاقتداء بالاباء وقال في الكشاف المراد ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم
الذين كانوا في عهد رسول الله من اخلافهم المقتدين بآبائهم لان الآيات السابقة في شأن اليهود وكذلك قوله واتل عليهم اي على اليهود
نبأ الذي آتيناه آياتنا اما قوله وكذلك اي ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا الى الحق
ويعرضوا عن الباطل نفصلها او يرجعوا الى ما اخذ الله عليهم من الميثاق في التوحيد ولبعض العلماء في الآية قول ثالث وهو ان الارواح البشرية موجودة
قبل الابدان والاقرار بوجود الاله من لوازم ذواتها وحقائقها وهذا العلم ليس مما يحتاج في تحصيله الى كسب وطلب وهو المراد باخذ الميثاق عليهم
لكنها بعد التعلق بالابدان يشغلها التعلق عن معلومها فربما يتذكر بالتذكر واتل عليهم على بني آدم او اليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود
ومجاهد نزلت في بلعم بن باعوراء وذلك ان موسى ع قصد بلده الذي هو فيه وغزا اهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان
مجاب الدعوة وعنده اسم الاعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليهم فاستجيب له ووقع موسى ع وبنوا اسرائيل بدعائه في التيه فقال
موسى يا رب باي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ثم دعا موسى ع ان ينزع عنه الاسم الاعظم و
الايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فهذه قصته ويقال ايضا انه كان نبيا من انبياء الله تعالى
فلما دعا عليه موسى ع انتزع الله تعالى منه الايمان فكان كافرا وهذا بعيد لانه سبحانه قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وفيه انه تعالى لا يشرف
عبدا من عبيده بالرسالة الا اذا علم امتيازه عن سائر عبيده بمزيد الشرف والفضل ومن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر وقال عبد الله
ابن عمرو وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابو روق نزلت في امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى يرسل رسولا في ذلك
الوقت فرجا ان يكون فلما ارسل الله محمدا صلى الله عليه وآله حسده ثم مات كافرا ولم يؤمن بالنبي ص وهو الذي قال فيه النبي ص ولقد كان يسلم وذلك
انه يوحد الله تعالى في شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السماء والارض واحوال الآخرة والجنة والنار وقيل نزلت في ابي عامر الراهب الذي
سماه النبي ص بالفاسق وكان يترهب في الجاهلية فلما جاء الاسلام خرج الى الشام وامر المنافقين باتخاذ مسجد الضرار واتى قيصر واستنجده على النبي صلى الله
عليه وآله فمات هناك طريدا وحيدا وقيل نزلت في منافقي اهل الكتاب وكانوا يعرفون النبي ص عن الحسن والاصم وروى عكرمة عن ابن عباس قال رجل هو
رجل اعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيها وكانت له امرأة يقال لها البسوس وكان له منها ولد وكانت له محبة فقالت اجعل لي منها دعوة قال لك واحدة
فماذا تأمرين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه وارادت شيئا آخر فدعا الله عليها ان
يجعلها كلبة نباحة فذهب فيها دعوتان وجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة يعيرنا بها الناس فادع الله ان يردها
الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلاث وبها يضرب المثل فيقال اشأم من البسوس وقيل هو عام
فيمن عرض عليه الهدى فاعرض عنه وهو قول قتادة وعكرمة وابي مسلم ومعنى قوله آتيناه آياتنا عند الاكثرين علمناه حجج التوحيد وفهمناه
ادلته حتى صار عارفا بها فانسلخ منها فخرج من محبة الله تعالى الى معصيته ومن رحمته الى سخطه يقال لكل من فارق شيئا بالكلية انه انسلخ
منه وقال ابو مسلم آتيناه آياتنا فانسلخ منها اي آتيناها فلم يقبل وعري منها وتباعد كما هو شأن كل كافر لم يؤمن بالادلة واقام على الكفر و
القول الاول اولى لان الانسلاخ يدل على انه كان الشيء مقصودا فيه ثم خرج منه لا على انه لم يوجد فيه اصلا وايضا ثبت بالاخبار ان الآية نزلت
في انسان كان عارفا بدين ثم خرج من المعرفة الى الكفر والغواية وذلك قوله فاتبعه الشيطان اي ادركه ولحقه وصار قرينا له او اتبعه الشيطان خطواته
او كفار الانس وغواتهم اي الشيطان جعل كفار الانس اتباعا له فكان من الغاوين في علم الله تعالى او فصار منهم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار بها
اي بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض اصل الاخلاد اللزوم على الدوام فكانه قيل لزم الميل الى الارض ومنه اخلد فلان بالمكان اذا لزم
الاقامة به قال ابن عباس معناه مال الى الدنيا وقال مقاتل رضي بالدنيا وقال الزجاج سكن الى الدنيا قال الواحدي فهؤلاء فسروا الارض بالدنيا
لان ما في الدنيا من الضياع والعقار كلها ارض وسائر امتعتها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وبها يكمل ويقوى ومعنى
واتبع هواه انه اعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات ثم انه لو جرى الكلام على ظاهره لقيل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ الا ان قوله
ولكنه اخلد الى الارض لما دل على هذا المعنى لا جرم اقيم مقامه قالت الاشاعرة لفظة لو تدل على ان الله تعالى قد لا يريد الايمان ويريد الكفر
وقال الجبائي معناه ولو شئنا لرفعناه باعماله بان نخترمه ونزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى تسلم له الرفعة لكنا عرضناه بزيادة التكليف لمنزلة زائدة
فابى ان يستمر على الايمان او المراد لو شئنا لرفعناه بان نحول بينه وبين الكفر قهرا وجبرا الا ان ذلك ينافي التكليف فلا جرم تركناه مع اختياره وقال
صاحب الكشاف في معناه ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد
ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب
ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ثم وضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله وارذلها في معنى هذا
المعنى ومحل قوله ان تحمل عليه النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين ويجوز ان يكون تفسيرا للمثل كما مر قال الليث هو
هو ان الكلب يحوه اذا ناله الاعياء عند شدة الحر فانه يدلع لسانه من العطش وكل شيء يلهث فانما يلهث من اعياء او عطش الا الكلب اللاهث فانه

وربما لا يتذكر



يلهث في جميع احواله لا لحاجة وضرورة بل لطبيعة الخبيسة فبعض الانسان هذا الكلب ان شد عليه وهيج لهث وان ترك لهث ايضا لاجل ان ذلك

الفعل القبيح لطبيعة اصلية له عن ابن عباس الكلب منقطع الفواد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه قيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره

وجعل يلهث كما يلهث الكلب فيكون هذا وجه التمثيل ما وقع بجميع الكلاب وانما وقع بالكلب اللاهث واخس الحيوانات هو الكلب واخس الكلاب هو

اللاهث وان الرجل العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا فذلك انما تكون لاجل انه يورد عليهم انواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه ومناقبها

ولا شك انه عند ذكر تلك الكلمات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن من قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حالته

شبيهة بحال ذلك الكلب الذي اخرج لسانه ابدا من غير حاجة ولا ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخبيسة وايضا هذا الحريص الضال ان وعظته فهو ضال وان لم

تعظه فهو ضال لاجل ان ذلك الضلال والخسار عادة اصلية وطبيعة ذاتية له كما ان ذلك الكلب ان شد عليه لهث وان ترك لهث ثم عمم التمثيل جميع

المكذبين الضالين فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وقال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم وداعيا يدعوهم

الى طاعة الله ثم لما جاءهم من لا يشكون في صدقه فردوا بانه كذبوه وقيل هم اليهود قرأوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية وذكروا القران المعجز وما

فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاقصص القصص يريد قصص المكذبين او قصص بلعم الذي

هو نحو قصص المكذبين لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذ ساروا نحو سيرته ثم ذكر تاكيدا اخر في باب التحذير فقال ساء مثلا القوم ولا

بد من تقدير مضاف لمناسبة التمييز المخصوص بالذم فيصير التقدير ساء مثلا مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم وفي ساء ضمير مبهم يفسره المنصوب

بعده وظاهر الاية يقتضي كون المثل مذموما فقيل كيف يتصور ذلك مع ان الله تعالى ذكره والجواب ان الذم انما يتوجه الى ما افاده المثل من تكذيبهم

بآيات الله واعراضهم عنها حتى صاروا في ذلك بمنزلة الكلب اللاهث اما قوله وانفسهم كانوا يظلمون فاما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل

في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم

المفعول للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها ثم بين ان الهداية والضلال بتقديره فقال من يهد الله فهو المهتدي

وهو محمول على اللفظ من حيث ان من مفرد اللفظ ومن حيث ان اهتدى مطاوع هدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون وانه محمول على المعنى

لان من معناه ههنا الجمع ولان الخسار ليس مطاوع الاضلال بل الضلال مطاوع له والخسار لازم اللازم ولا يخفى ان ظاهر الاية موافق لمعتقد الاشاعرة

ان الهداية والضلال بل جميع الاعمال بخلق الله تعالى والمعتزلة اولوها بان المراد من يهد الله الى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا ومن يضلله عن

طريق الجنة وقال بعضهم التقدير من يهده الله فقبل هداه فهو المهتدي ومن يضلل بان لم يقبل فهو الخاسر وقيل من يهده الله بالالطاف

وزيادة الهدى فهو المهتدي ومن يضلله عن ذلك بانقدام منه بسوء اختياره فاخرج لهذا السبب تلك الالطاف من ان يؤثر فيه فهو الخاسر ويتعقب بالعلم

والداعي وبان الاصل عدم الاضمار وبان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله عند المعتزلة في حق جميع الكفار وبالاية بعدها وهي قوله

ولقد ذرانا الى اخره وذلك انه بين انه خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم وقد علم ذلك في الازل وخلاف مقدوره ومعلومه محال وايضا العاقل لا

يريد الكفر والجهل الموجبين لدخول النار فحصول ذلك على خلاف قصده واجتهاده لا يكون الا من قبل غيره ولا يتسلسل بل ينتهي الى مسبب الاسباب

لا محالة لا يقال العبد انما يسعى في تحصيل ذلك الاعتقاد الباطل لانه اشتبه الامر عليه وظنه اعتقادا صحيحا لانا نقول على هذا التقدير انما وقع في هذا

الجهل لاجل جهل متقدم ولا يتسلسل بل ينتهي الى جهل حصل ابتداء فيتوجه الالزام قالت المعتزلة الايات الدالة على انه سبحانه اراد من العبد الطاعة

والعبادة والخير فقط كثيرة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وايضا انه قال في معرض الذم لهم قلوب لا يفقهون بها الى اخره ولو كانوا

مخلوقين النار غير قادرين على الايمان لم يحسن ذمهم وايضا لو خلقهم للنار لما كان له نعم على الكفار لان منافع الدنيا باسرها لا اعتداد بها في جنب

العذاب الدائم لكن القران مملوء من انه تعالى منعم على جميع الخلائق وايضا مذهبكم يوجب ان لا يكون للمدح والذم والثواب والعقاب والترغيب

والترهيب فائدة ولو خلقهم للنار لوجب ان يخلقهم في النار ابتداء لانه لا فائدة في ان يستدرجهم الى النار بخلق الكفر فيهم ايضا الاية متروكة

الظاهر لان لام الاختصاص لا يفيد فيها الا اذا قدر ولقد ذرانا هم لكي يكفروا فيصيروا الى جهنم فيجب تاويلها على قوله وما خلقت الجن والانس الا

ليعبدون لان ظاهره يصح من غير حذف وعلى هذا وجب تاويل الاية بان اللام فيها لام العاقبة كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا

او يقال انه جعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم كانهم مخلوقون للنار كقولهم ما خلق فلان الا لكذا اذا كان غريقا في بعض الامور والجواب

اجمالا الاية لا يسئل عما يفعل وتفصيلا بان النعم وان قلت فهي في نفسها نعمة وبان الوسايط معتبرة وبان حمل اللام على العاقبة تجوز لا يصار اليه

الا لضرورة في تصحيح المعنى وههنا لا ضرورة فقد تعاضدت الدلائل العقلية كالعلم والداعي والنقلية كآيات كثيرة على ان الكل من الله فوجب

المصير الى طرف الجبر ولا سيما ان ما قبل هذه الاية وهو قوله من يهد الله فهو المهتدي وما بعدها وهو قوله والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم

يدل على ما قلنا وايضا الارتياب ان اولئك الكفار كانت لهم قلوب يفقهون بها مصالح الدنيا وكذا اعين مبصرة واذان سامعة فالمراد انهم ما كانوا

يفقهون ويبصرون ويسمعون ما يرجع الى مصالح الدين ثم انه تعالى كلفهم تحصيل الدين مع عدم القابلية كيف وان الكفار بلغوا في عداوة الرسول

صلى الله عليه وسلم وشدة البغض بحيث [illegible] مبلغا لا يمكنه [illegible] العلم الضروري حاصل بان حصول الحب والبغض في القلب ليس باختيار الانسان



بل هو حالة حاصلة في القلب كره الانسان او اراد وهي مثبتة للقول بالجبر وروى الشيخ احمد البيهقي في كتاب مناقب الشافعي ان علي بن ابي
طالب عليه السلام خطب الناس فقال واعجب ما في الانسان قلبه فيه مواد من الحكمة واضدادها فان سنح له الرجاء اذله الطمع وان هاج به الطمع
اهلكه الحرص وان ملكه الياس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اشتد الرضى نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن
وان اصابته المصيبة قتله الجزع وان وجد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلاء وان اجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر
وكل افراط له مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة القضاء والقدر لان اعمال الجوارح مربوطة باحوال القلوب وكل حالة من احوال القلب
فانها مستندة الى حالة اخرى حصلت قبلها واذا وقف الانسان على هذه الحالة علم انه لا خلاص من الاعتراف بالجبر وذكر الامام الغزالي
في الاحياء فصلا ثم قال فان قلت اني اجد من نفسي اني ان شئت الفعل فعلت وان شئت الترك تركت فيكون فعلي حاصلا بي لا بغيري اجبنا
وقلنا هب انك وجدت من نفسك ذلك الا انا نقول وهل تجد من نفسك انك ان شئت ان تشاء شيئا شئت وان شئت ان لا تشاء
لم تشأ ما اظنك تقول ذلك لانه لذهب الامر فيه الى ما لا نهاية له فلا مشيئتك بك ولا حصول فعلك بعد حصول مشيئتك بك وانما انت مضطر
في صورة مختار والله تعالى اعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم في معرض الذم وفيه دليل على ان محل الفقه هو القلب
واقول ليس المراد بالقلب ههنا اللحم الصنوبري بل اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة وبالروح اما
قوله اولئك كالانعام بل هم اضل فتقريره ان الانسان يشاركه سائر الحيوانات في القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة وفي منافع الحواس
الخمس الظاهرة وفي احوال التخيل والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية التي تهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فاذا
لم تحصل هذه الغاية للانسان صار في درجة الانعام بل اضل وادون لان الذي اعرض عن اكتساب الفضائل مع القدرة على تحصيلها من حيث
النوع كان اخس حالا ممن لم يكتسبها مع العجز عنها وقيل وجه الاضلية ان الانعام مطيعة لله والكافر غير مطيع فقال مقاتل الانعام تعرف ربها
وتبصر منافعها ومضارها فتسعى في تحصيلها ودفعها وهؤلاء الكفار اكثرهم معاندون مصرون وقيل انها تفر ابدا الى اربابها ومن يقوم
بمصالحها والكافر يهرب عن ربه الى الاصنام وقيل انها لا تضل اذا كان معها مرشد والكافر يضل بعد ارسال الرسل وانزال الكتب اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة وقال عطاء انهم الغافلون عما اعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم نبه بقوله ولله الاسماء الحسنى على ان الموجب لدخول
جهنم هو الغفلة عن ذكر الله سبحانه والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره وكل من له ذوق وجد من نفسه ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن الذكر واقبل على
الدنيا وقع في نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة ومن طلب الى طلب ومن ظلمة الى ظلمة فاذا انفتح على قلبه باب الذكر خلص
من نيران الآفات وخسران الحسرات الى معرفة رب الارض والسموات وهذا اللفظ مذكور في ثلاثة مواضع اخر اولها في بني اسرائيل وفي طه وفي اخر الحشر ومعنى
حسن الاسماء حسن معانيها ومفهوماتها لانها اسماء دالة على معاني الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين عدم افتقاره تعالى الى غيره وثبوت افتقار
غيره اليه وقد عرفت في تفسير البسملة ان اسماء الله تعالى لا تكاد تنحصر بحسب السلوب والاضافات فكل من كان وقوفه على اسرار حكمه في مخلوقاته اكثر كان
علمه باسماء الله الحسنى اكثر ولان نقول ان من تقسيمات اسماء الله ما يقوله المتكلمون من ان صفات الله انواع ما يجب عليه وما يجوز وما يستحيل ومنها ان يقال
ان اسماء الله اما ان يجوز اطلاقها على غيره كالرحيم والكريم وان كان معناها في حق الله مغايرا لمعناها في حق غيره واما ان لا يجوز نحو الله والرحمن وقد
يقبل القسم الاول بقيود مخصوصة فيصير من القسم الثاني مثل يا ارحم الراحمين ويا اكرم الاكرمين ويا خالق السموات والارضين ومنها ان يقال
من الاسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا الله يا رحمن يا حي يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا مميت وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب
ان يقال يا محيي يا مميت يا ضار يا نافع ومنها ان يقال اول ما يعلم من صفات الله تعالى كونه محدثا للاشياء مرجحا لوجودها على عدمها وذلك انما يعلم
بواسطة الاستدلال بوجود الممكنات عليه وذلك المرجح اما ان يرجح على سبيل الوجوب او على سبيل الصحة والاول باطل والا لزم
دوام العالم بدوامه والثاني هو المعني بكونه قادرا ثم انا بعد هذا نستدل بكون افعاله محكمة متقنة على كونه عالما ثم نقول ان القادر العالم يمتنع
ان لا يكون حيا فظهر ان العلم بصفاته تعالى وباسمائه ليس واقعا في درجة واحدة بل العلم بها علوم مترتبة يستفاد بعضها من بعض ومنها ان يقال
ان الاسماء الحسنى لا يكون الا لله تعالى لان كل الشرف والجلال لمن يستلزم وجوب الوجود وكل نقص وخساسة فانه يعقب الامكان وكل اسم لا يفيد
في المسمى صفة كمال وجلال فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن هنا اختلف في انه هل يطلق عليه اسم الشيء ام لا وقد مر تحقيق ذلك في تفسير البسملة
وفي الانعام في قوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله اما قوله فادعوه بها ففيه دليل على ان الانسان لا يجوز ان يدعو ربه الا بتلك الاسماء
الحسنى بعد ان عرف معانيها ويكون مستحضرا لامرين عزة الربوبية وذلة العبودية كما انه في قوله عند التحريمة الله اكبر يشير الى انه لا نسبة لكبريائه
وعظمته الى ما سواه من الروحانيات والجسمانيات والعلويات والسفليات وانما هو اكبر من هذه الاشياء وذروا الذين يلحدون في
اسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه يقال قد الحد في الدين ولحد وقال غيره من اهل اللغة الالحاد العدول
عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر قال الواحدي الاجود قراءة العامة ولا يكاد يسمع لاحد بمعنى ملحد والالحاد
في اسماء الله تعالى يقع على ثلاثة اوجه الاول اطلاق اسمائه المقدسة على الاصنام كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان

واكبر من ان قوله
اكبر من فضل
الاسلام

المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمى نفسه بالرحمن والثانى ان يسموه بما لايجوز عليه كما سمع من البدوى قالوا يجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه بالجيم نبا على ان النحوه مدح الثالث ان يابوا تسمية بعض اسمائه الحسنى كالرحمن مثلا قال بعض العلماء ان ورود الاذن فى بعض الاسماء لايجوز اطلاق سائر الالفاظ المشتقة منه عليه فلا يجوز ان يقال يا معلم وان ورد وعلم آدم الاسماء وكذا فى حق الانبياء لايجوز ان يقال ان آدم عاص او غاو وان ورد وعصى آدم ربه فغوى ثم اوعد الملحدين فى اسمائه بقوله سيجزون ما كانوا يعملون ثم اخبر ان كثيرا من الثقلين مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا امة يهدون بالحق وقد مر مثل هذه الآية فى قصة موسى فعن قتادة وابن جريج وابن عباس ان المراد فى الآية امة محمد صلى الله عليه وآله وروى الربيع ان النبى صلعم كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها وعن الربيع بن انس ان النبى صلعم قرأ هذه الآية فقال ان من امتى قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبى هم الذين آمنوا من هذا الكتاب وقال الجبائى هم العلماء والدعاة الى الدين فى كل حين ثم عاد ذكر المكذبين وما عليهم من الوعيد فقال والذين كذبوا باياتنا قال ابن عباس يريد اهل مكة والظاهر انه عام والاستدراج استفعال من الدرجة ومنه درج الصبى اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شىء ومعنى الآية سنقربهم الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك كلما اقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من ابواب الخير فيزدادون بطرا وانهماكا فى الغى والفساد ثم ياخذهم اغفل ما يكونون واملى لهم الطيل لهم مدة عمرهم ان كيدى متين عن ابن عباس يريد ان مكرى شديد والمتين من كل شىء هو القوى يقال متن متانة واحتجت الاشاعرة بالفاظ الاستدراج والاملاء والكيد فى مسئلة القضاء والقدر قال بعض المجبرة سنستدرجهم الى الكفر مع انه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا آخر وحملها المعتزلة على ان المراد سنستدرجهم الى العقوبات اما فى الدنيا او فى الآخرة وزيف بان هذا الاستدراج والامهال مما يزيد الكافر به كفرا وعتوا واستحقاقا للعقاب فلو اراد به الخير لاماته قبل ان يصير مستوجبا لتلك الزيادات من العقوبة بل كان يجب فى حكمته ورعايته للاصلح ان لا يخلقه ابتداء او يميته قبل التكليف فلما خلقه والقاه فى ورطة التكاليف وامهله ومكنه من المعاصى مع علمه بان كل ذلك لا يفيده الا مزيد استحقاق العقاب علمنا انه ما خلقه الا للنار قال ولقد ذرانا لجهنم الآية التأويل واذ اخذ ربك لم يقل ربكم لان فى الآية غموضا لا يطلع عليه غيره صلعم وغيره من الانبياء عليهم من خواص امته ليعلم وانه تعالى لم يكلم احدا وهو معدوم لعدم الآية ادم كلهم وهم غير موجودين واجابوه وهم معدومون يجرى بالجود لا بالوجود فهذا بدايتهم والى هذا ينتهى نهايتهم بان يكون الله تعالى سمعهم وابصارهم والسنتهم انما اشرك اباؤنا بان رضوا بالاثنينية وما رجعوا الى الوحدة بالفناء فى الله بما فعل المبطلون الذين ابطلوا استعداد الرجوع الى الوحدة لله ولعلهم يرجعون بهذه الدلالات من ابد الى لا نهاية وهو مقام الوحدة فانسلخ منها اى وقع فى حرج هذه العلية عن ذكر طلب الحق ومحبته فادركه هزء الشيطان وجعله من الهالكين ليعلم ان المعصوم من عصمه الله وان السالك بل الواصل ينبغى ان لا يأمن مكر الله فلا يفتح على نفسه ابواب الشهوة والنزهة ولا يميل الى حب المال والجاه ولقد ذرانا لجهنم كثيرا هم مظاهر القهر فادعوه بها بان تتصفوا بصفاته بالنيات الصالحات وبالاعمال الزاكيات ثم تتخلقوا بها بالاحوال بتصفية مرآة القلب ومراقبته عن النعت بما سوى الله تعالى والذين كذبوا باياتنا بان لم يوافق اقوالهم افعالهم سنستدرجهم ينحطون عن مراتبهم بالتدريج والله اعلم

للنار حكى ان بعضا منهم مخلوقون صح

اَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ اِنْ هُوَ اِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ اَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِى مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا خَلَقَ

آیا اندیشه نکنند که نیست در رفیق ایشان از دیوانگی نیست او مگر ترساننده ظاهر آیا نمی نگرند در حقیقت آسمانها و زمین و هرچه آفرید

اللّٰهُ مِنْ شَىْءٍ وَاَنْ عَسٰى اَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ اَجَلُهُمْ فَبِاَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ مَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلَا هَادِىَ لَهُ وَ

خدا از چیزها و آنکه شاید بوده باشد که نزدیک رسیده است اجل ایشان پس بکدام حدیث بعد از آن ایمان آرند هرکرا گمراه کرد خدا پس نیست راهنمائی مر او را و

يَذَرُهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ اَيَّانَ مُرْسٰهَا قُلْ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا اِلَّا هُوَ

وا میگذارد ایشان را در گمراهی ایشان کور دلان سوال میکنند ترا از قیامت که کی است برپا شدن آن بگو که دانش آن نزد پروردگار من است معلوم نیست زمان آن مگر او را

ثَقُلَتْ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَا تَاْتِيكُمْ اِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَاَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّٰهِ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ

سنگین است در آسمانها و زمین در نمی رسد شما را مگر ناگهان سوال میکنند ترا گویا که تو آگاهی از آن بگو جز این نیست که علم آن در نزد خداست ولکن بیشتر مردم

لَا يَعْلَمُونَ قُلْ لَا اَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا اِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ وَلَوْ كُنْتُ اَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ

نمیدانند بگو که مالک نیستم از برای خود سود و نه زیان مگر آنچه خواهد خدا و اگر بودمی که میدانستم غیب را هر آینه بسیار جمع کردمی از خیر و نرسیدی مرا

السُّوءُ اِنْ اَنَا اِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ اِلَيْهَا

بدی نیستم من مگر ترساننده و مژده دهنده مر گروهی را که ایمان آرند اوست آنکه آفرید شما را از یک نفس و گردانید از آن جفت او را تا آرام گیرد بسوی آن

فَلَمَّا تَغَشّٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا اَثْقَلَتْ دَعَوَا اللّٰهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ اٰتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّٰكِرِينَ

پس چون مباشرت کرد او را بر داشت باری سبک پس گذشت بآن مدتی پس چون سنگین شد خواندند خدا پروردگار خود را که اگر بدهی ما را فرزندی صالح هر آینه میباشیم از سپاس گذاران

فَلَمَّا اٰتٰهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا اٰتٰهُمَا فَتَعٰلَى اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ اَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ

پس چون داد ایشان را فرزند صالح قرار دادند برای او انبازان در آنچه داد ایشان را پس برتر است خدا از آنچه شریک قرار میدهند آیا شریک قرار میدهند آنچه را که نمی آفریند چیزی را و ایشان

ع

يُخلَقُونَ وَلَا يَستَطِيعُونَ لَهُم نَصرًا وَلَا أَنفُسَهُم يَنصُرُونَ وَإِن تَدعُوهُم إِلَى الهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُم سَوَاءٌ عَلَيكُم أَدَعَوتُمُوهُم أَم أَنتُم

آفریده میشوند و نتوانا نیستند از برای ایشان یاری دادن و نه خویشتن را یاری کنند و اگر بخوانی ایشانرا بسوی راستی متابعت نکنند شما را یکسانست بر شما چه بخوانید ایشانرا یا

صَامِتُونَ إِنَّ الَّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمثَالُكُم فَادعُوهُم فَليَستَجِيبُوا لَكُم إِن كُنتُم صَادِقِينَ أَلَهُم أَرجُلٌ

خاموش باشید بدرستی که آنهائی را که میخوانید از غیر خدا بنده گانند مانند شما پس بخوانید ایشانرا پس باید که جواب دهند شما را اگر هستید راستگویان آیا ایشانراست

يَمشُونَ بِهَا أَم لَهُم أَيدٍ يَبطِشُونَ بِهَا أَم لَهُم أَعيُنٌ يُبصِرُونَ بِهَا أَم لَهُم آذَانٌ يَسمَعُونَ بِهَا قُلِ ادعُوا شُرَكَاءَكُم ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا

که راه روند بآنها آیا ایشانراست دستها که بگیرند بآن یا ایشانراست چشمها که ببینند بآن یا ایشانراست گوشها که بشنوند بآن بگو که بخوانید انبازان خود را پس مکر سازید بمن پس

تُنظِرُونِ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَالَّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَستَطِيعُونَ

زمان مدهید مرا بدرستی که صاحب من الله است که فرستاد کتاب را و او دوست میدارد نیکوکاران را و آنانکه میخوانید ایشانرا از غیر او نتوانا نیستند

نَصرَكُم وَلَا أَنفُسَهُم يَنصُرُونَ وَإِن تَدعُوهُم إِلَى الهُدَى لَا يَسمَعُوا وَتَرَاهُم يَنظُرُونَ إِلَيكَ وَهُم لَا يُبصِرُونَ

یاری شما را و نه خویشتن را یاری کنند و اگر بخوانید آنها را بسوی راستی نشنوند و بینی که بنگرند بسوی تو و ایشان نبینند

القراءة فبأى بتليين الهمزة حيث كان الاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف يذرهم بالياء مرفوعا ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير عباس والمفضل ويذرهم بالياء مجزوما عباس حمزة وعلى وخلف الباقون بالنون مرفوعا ان انا الا بالمد ابو نشيط شركا بكسر الشين وسكون الراء ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد الاخرون شركاء على الجمع يتبعوكم مخففا نافع الباقون بالتشديد يبطشون بضم الطاء يزيد قل ادعوا بكسر اللام للساكنين وكذا بابه حمزة وعاصم وسهل ويعقوب وعباس الاخرون بالضم للاتباع كيدون بالياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل والحلوانى عن هشام فى الوصل ينظرون بالياء فى الحالين يعقوب وافق سهل وعباس فى الوصل ان ولى الله بياء واحدة مشددة ابو زيد عن المفضل وشجاع وعباس اذا قرأ بالادغام الكبير وليى بثلث ياءات روبس والبرجمى الباقون بياءين اولاهما مشددة مكسورة والثانية مفتوحة الوقوف من جنة ط مبين ه من شىء لا لان التقدير وفى ان عسى اجلهم ط لا يؤمنون ه فلا هادى له ط لمن قرأ ويذرهم بالرفع على الاستيناف ومن جزم فلا وقف لانه معطوف على موضع فلا هادى له يعمهون ه مرسيها ط عند ربى ج لاختلاف الجملتين الا هو ط والارض ط بغتة ط عنها ط لا يعلمون ه ما شاء الله ط من الخير ج لاحتمال ان يفسر السوء بالجوع فيكون معطوفا على جواب لو واحتمال ان يفسر بالجنون الذى نسبوا اليه فيكون ابتداء نفى يؤمنون ه اليها ج لاجل الفاء مع ترتب جزاء لذلك الشاكرين ه فيما آتيهما ج لابتداء التنزيه ووجه الوصل تعجيل التنزيه يشركون ه وهم يخلقون ه والوصل اولى للعطف ينصرون ه لا يتبعوكم ط صامتون ه صادقين ه يمشون بها لا لان ام عاطفة مع انها فى معنى ابتداء استفهام للانكار والثانية والثالثة كذلك يسمعون بها ط تنظرون ه الكتاب ز والوصل اولى لئلا يكون الواو عاطفة الصالحين ه ينصرون ه لا يسمعوا ط لا يبصرون ه التفسير انه تعالى لما بالغ فى تهديد الملحدين المعرضين عن آيات الغافلين عن التأمل فى بيناته عاد الى الجواب عن شبهاتهم فقال اولم يتفكروا اذ علم ان الرؤية بالبصر حالة مخصوصة بالانكشاف والجلاء ولها مقدمة هى تقليب الحدقة الى جهة المرئى كذلك الرؤية بالبصيرة وهى المسماة بالعلم واليقين متعينة بالوضوح والانارة ولها مقدمة هى تقليب حدقة القلب الى الجوانب طلبا لذلك وهذه الحالة تسمى بنظر العقل والفكرة وفى اللفظ محذوف والتقدير اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة وهى حالة من الجنون كالجلسة كان جهال اهل مكة ينسبونه الى الجنون لوجهين احدهما انه كان يغشاه حالة عجيبة عند الوحى شبيهة بالغشى بتربد وجهه وتغير لونه والثانى ان فعله وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والدعاء الى الله تعالى كان مخالفا لفعلهم عن الحسن وقتادة ان النبى صلعم قام ليلا على الصفا يدعو فخذا فخذا من قريش يا بنى فلان يحذرهم بأس الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون واطبع على الصبا فامرهم الله تعالى بالتفكر والتدبر فى امره وذلك انه صلعم كان يدعوهم الى عبادة الله وحده ويقيم عليهم الدلائل القاطعة بالفاظ فصيحة عجز الاولون والآخرون عن معارضتها وكان حسن الاخلاق طيب العشرة مرضى السيرة مواظبا على اعمال حسنة صار بسببها قدوة العقلاء العالمين ومن المعلوم بالضرورة ان مثل هذا الانسان لا يمكن وصفه بالجنون وانما هو نذير مبين ارسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤمنين ولما كان النظر فى امر النبوة مفرعا على دلائل التوحيد قال اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض اى فى مدلولاتها والملكوت الملك العظيم وفى عدم النظر دلالة على وجوب الاستدلال لانها العقل الى سبيل وقد مر فى هذا الكتاب كيفية دلالة السموات والارض على وجود الصانع ولا سيما فى سورة البقرة عند قوله ان فى خلق السموات والارض ثم قال وما خلق الله من شىء اى مما يقع عليه اسم الشىء من اجناس غير محصورة والغرض التنبيه على ان الدلالة على التوحيد ليست مقصورة على السموات والارض بل كل ذرة من ذرات هذا العالم فيها برهان باهر ودليل قاهر على الوحدانية لانها مختصة بحيز معين من الاحياز المتناهية وببعد معين من الابعاد وبموضع معين من الاوضاع وكذا الكلام فى لونها وشكلها وطبعها وطعمها وساير صفاتها وكل واحد من هذه الاختصاصات لا بد له من مخصص ولا بد من الانتهاء الى الواجب واحد فى ذاته وفى جميع اعتباراته وان عسى هى مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير للشان وفى ان يكون ضمير الشان ايضا والمعنى اولم ينظروا فى ان الشان والحديث عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم الموت الى القيمة واذا كان احد هذين

الاهتمام بشأنه مما وجب على العاقل المسارعة الى هذا الفكر والنظر سعيا في تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم اما قوله فبأي حديث
بعده يؤمنون فمتعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون
بعد وضوح الحق وبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا ولا دلالة فيه على الحدوث لان لفظ الحديث مرادف الكلام ولو سلم فانه محمول على الالفاظ
والكلمات ولا نزاع في حدوثها قوله من يضلل الله قد سبق تفسير مثله ثم لما تكلم في النبوة والتوحيد والقضاء والقدر اتبعه الكلام في المعاد
فقال يسألونك عن الساعة وايضا لما ذكر اقتراب الاجل بين ان وقت الساعة مكتوم عن الافهام ليصير ذلك حاملا المكلفين على المسارعة الى التوبة و
اداء الفرائض ومن السائل عن ابن عباس انهم اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وعن قتادة انهم قريش قالوا يا محمد ان
بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة قال في الكشاف الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيامة ساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها
او على العكس لطولها كما يقال للحبشي ابو البيضا او لانها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق وايان استفهام عن الزمان ويختص بالامور
العظام نحو ايان مرسيها وايان يوم الدين ولا يقال ايان نمت وكسر همزته لغة سليم وعن ابن جني ان اشتقاقه من اي فعلان منه واي فعل من
اويت اليه لان البعض آو الى الكل وانكر ان يكون اشتقاقه من اين لانه للزمان واين للمكان ولقلة فعال في الاسماء وكثرة فعلان فيها وقال
الاندلسي اصله اي اوان حذفت الهمزة مع الياء الاخيرة فبقي ايوان فادغم بعد القلب قيل اصله اي ان بمعنى اي حين فخفف بحذف الهمزة فاتصلت
الالف والنون بالياء ورد بان انا لا يستعمل الا بلام التعريف والمرسى بمعنى الارساء والاثبات والرسو الثبات والاستقرار ولعله لا يطلق الا على
ما فيه ثقل ومنه رسا الجبل وارست السفينة ولا اثقل من الساعة على الخلائق قل انما علمها اي علم وقت ارسائها واثباتها واقرارها عند
ربي قد استأثر به لم يخبر احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل بكاد يخفيها من نفسه ليكون ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى وقت الموت
لذلك لا يجليها لا يظهرها لوقتها اي للخبر عن وقتها قيل حينها احد الا هو والحاصل انه لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاخبار والاعلام
الا هو ثقلت في السموات والارض قال الحسن اي ثقل مجيئها على اهل السموات لانشقاق السماء وتكوير الشمس وانتثار النجوم وعلى اهل
الارض لان في ذلك اليوم فناؤهم وهلاكهم او ثقل هذا اليوم على الخلائق بما فيه من الشدائد والاهوال او ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين
عليهم اي اشكل واشتبه حتى صار ثقيلا على الافهام لا تأتيكم الا بغتة الا فجاءة على حين غفلة منكم وهذه الجمل مؤكدات ومبينات لما تقدم
ولهذا فصل العاطف عن النبي ص ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل
يخفض ميزانه ويرفعه وروى الحسن عن النبي ص انه قال والذي نفس محمد بيده ليقومن الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى يحول
الساعة بينه وبين ذلك ثم كرر يسألونك للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله كأنك حفي عنها فكان السؤال الاول عن وقت قيام
الساعة والسؤال الثاني عن كنه ثقل الساعة وشدتها ومهابتها ولهذا اختص باسم الله في قوله قل انما علمها عند الله لان اعظم اسماء الله مهابة
هو الله واما الرب فيدل على التربية والرحمة دون الهيبة والعزة وفي الحفي وجوه فقيل انه البار اللطيف عن بمعنى الباء اي كانك بار بهم لطيف
العشرة معهم وهذا قول الحسن وقتادة والسدي والضمير عائد الى قريش لانها ادعت القرابة وجعلوها وسيلة الى ان يخبرهم بالساعة والمعنى
انك لا تكون حفيا بهم ما داموا على كفرهم ولو اخبرت بوقتها وامرت بالاخبار عنها لكنت مبلغا القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك
وعلى هذا القول جاز ان يكون عنها متعلقا بيسألونك اي يسألونك عنها كانك حفي اي عالم بها فحذف قوله بها لطول الكلام او لانه
معلوم وقيل عنها متعلق بحفي وحفي فعيل من حفي فلان بالمسئلة اي استقصى والمعنى كانك بليغ في السؤال عنها لان من اكثر السؤال
علم وهذا التركيب يفيد المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفى في المسئلة اذا الحف وقيل المراد كانك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني
انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مختص بذلك العلم او لا يعلمون ان القيامة حق
وانما يقولون ان هي الا حياتنا الدنيا او لا يعلمون السبب الذي لاجله خفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق ثم امر نبيه باظهار ذلة العبودية
حتى لا ينسب اليه نقص ولا يعاب من قبل عدم العلم بالغيب فقال قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وفيه ان قدرته قاصرة
وعلمه قليل وكل من كان عبدا كان كذلك والقدرة الكاملة والعلم المحيط ليس الا لله تعالى واحتجت الاشاعرة بالآية في مسئلة خلق
الاعمال قالوا الايمان نفع والكفر ضرر فوجب ان لا يحصلا الا بمشيئة الله تعالى واجابت المعتزلة بان المراد لا املك لنفسي من النفع والضر الا
قدر ما شاء الله ان يقدرني عليه ويمكنني منه وظاهر الآية وان كان عاما الا انها مخصوصة بصورة النزول قال الكلبي ان اهل مكة قالوا
يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتري فتربح وبالارض التي تريد ان تجدب فترتحل عنها الى ما قد اخصبت فانزل الله
هذه الآية فالمراد بالخير في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير هو جلب منافع الدنيا وخيراتها من الخصب والارباح والا
وقيل المراد ما يتصل بامر الدين يعني لو كنت اعلم الغيب لكنت اعلم ان الدعوة الى الدين الحق تؤثر في هذا ولا تؤثر في ذلك لكنت
اشتغل بدعوة هذا دون ذاك وقال بعضهم لما رجع ص من غزوة بني المصطلق جاء في الطريق ريح ففرت منها فاخبر ص بموت رفاعة و
كان فيه غيظ المنافقين وقال انظروا اين ناقتي فقال عبد الله بن ابي لقومه الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا

يعرف ابن ابي قحافة فقال صلى الله عليه وآله ان ناسا من المنافقين قالوا اكيف وناقتي في هذا الشعب قد تعلقت بزمامها بشجرة توجد وها على ما قال فنزلت
اما قوله وما مسني السوء فمعناه لكان حالي على خلاف ما هي عليه من المغلوبية في بعض الحروب والخسران في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدابير
ان انا الا عبد مرسل للنذارة والبشارة وما من شأني ان اعلم الغيب قوله لقوم يؤمنون اما ان يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير
وهو للكافرين محذوفا للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر او يتعلق بالوصفين جميعا الا ان المؤمنين لما كانوا هم المنتفعين بهما خصوا بالذكر
كقوله هدى للمتقين واعلم ان اكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو الاصل لان العابد يعبد
معبوده خوفا من عقابه اولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا يؤيده قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيث تقدم النفع على الضر فذلك لسابقة
لفظ تضمن معنى نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل ويقدم الخير
على السوء في قوله لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وفي الرعد تقدم ذكر الطوع في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي الفرقان تقدم
قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبأ تقدم البسط في قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقس على هذا ثم رجع الى تقرير امر التوحيد
وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة المروي عن ابن عباس انها نفس آدم وقد تقدم مثل ذلك في اول سورة النساء
قال مجاهد كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث فذلك
قوله فلما آتاهما صالحا ولدا سويا جعلا يعني آدم وحواء له شركاء والمراد تسميته بعبد الحرث هذا تمام القصة وقد زيفها النقاد لوجوه منها انه تعالى
قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع لا التثنية ومنها قوله ايشركون ما لا يخلق شيئا الى اخر الآيات وفي ذلك تصريح بان المراد الاصنام
ولو كان المراد ابليس لكان ايشركون ما لا يخلق شيئا وهو يخلق ومنها ان آدم عم كان عالما بجميع الاسماء فكيف ضاقت عليه الاسماء ام كيف لم
يعرف ان اسم ابليس كان حارثا ام كيف لم يتنبه لغدر ابليس بعد ان جرى عليه منه ما جرى ومنها انه اراد بذلك اسم علم او اسم صفة والاول لا يستلزم
محذورا لان اسماء الاعلام لا يفيد في المسميات فائدة فلا يلزم الاشراك والثاني يوجب الكفر الصريح ولا قائل بامكان نسبته الى آدم فعند ذلك
ذكر العلماء في تأويله وجوها احدها ان هذا مثل فكانه تعالى يقول هو الذي خلقكم اي كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها
انسانا يساويه في الانسانية ليسكن اي تلك النفس فذكر بعد ما انث حملا على المعنى ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويطمئن اليها فكان التذكير
احسن لطباق المعنى فلما تغشاها اي جامعها لانه اذا علاها صار كالغاشية لها حملت حملا خفيفا قالوا يريد به النطفة والحمل بالفتح ما كان في البطن او
على رأس الشجرة وبكسر الحاء ما حمل على الظهر او على الدابة فمرت به اي استمرت وقضت على ذلك الحمل من غير ازلاق وقيل فقامت وقعدت به من
غير ما ثقل وقيل المراد بالخفة انها لم تلق ما تلقاه بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى فلما اثقلت كان وقت ثقل حملها ودنت ولادتها
دعوا اي الزوج والزوجة الله ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه او ولدا
ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة لنكونن من الشاكرين لنعمائك فلما آتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء ومن قرأ شركا فعلى حذف
المضاف اي ذوي شرك وهم الشركاء ايضا والمراد احدثا لله اشراكا في الولد لانهم تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبائع وتارة الى الكواكب وتارة
الى الاوثان والاصنام وثانيها ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل قصي والمعنى هو الذي خلقكم من نفس قصي
وجعل من جنسها زوجة عربية قرشية فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد قصي وعبد الدار
العزى وعبادهم
والضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وثالثها سلمنا ان الآية وردت في قصة آدم الا انه لم لا يجوز ان يكون قوله
جعلا واردا بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد ثم قال فتعالى الله عما يشركون اي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون
بالشرك وذلك انهم كانوا يقولون ان آدم عم كان يعبد الاصنام ويرجع في طلب الخير ودفع الشر اليها ونظيره ان ينعم رجل على رجل بوجوه
كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم ان ذلك المنعم عليه يقصد ايذاءك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم فعلت في حق فلان كذا او
احسنت اليه بكذا وكذا ثم انه يقابلني بالشر والاساءة فانه بريء من ذلك فغرضه من قوله انه يقابلني بالشر والاساءة انه بريء من ذلك فغرضه
من قوله انه يقابلني بالشر النفي والتبعيد او نقول لم لا يجوز ان يكون قوله جعلا له على حذف المضاف اي جعل اولادهما له شركاء وكذا فيما
آتاهما اي آتى اولادهما عبر عنهم بلفظ التثنية مرة لكونهم صنفين او نوعين ذكورا واناثا وبلفظ الجمع اخرى وهو قوله فتعالى الله عما يشركون سلمنا
ان الضمير في جعلا وفي آتاهما لآدم وحواء الا انهما كانا عزما ان يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته ثم بدا لهما فكانا ينتفعان به في مصالح
الدنيا فاريد بالشرك هذا فاما قال تعالى عما يشركون لان حسنات الابرار سيئات المقربين ونقول انما سمياه عبد الحرث اعتقادا انهما
الفدر وعلى هذا
انه انما سلم من الآفات ببركة دعائه وقد يسمى المنعم ومنه قول بعض العلماء انا عبد من علمني حرفا فلما حصل الاشراك في لفظ العبد عوتبا
عليه عبادة المنعم
معاتبين بذلك والله تعالى اعلم ثم اقام الحجة على ان الاوثان لا تصلح للالهية فقال ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون اعتبر
اللفظ اولا فوحد والمعنى ثانيا فجمع وانما جمع بالواو والنون بناء على معتقدهم انهم عقلاء واحتج الاشاعرة بها في مسألة خلق الاعمال
فانها تدل على ان غير الله لا يخلق ثم بين ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فقال ولا يستطيعون



لهم نصرا او هو المعونة على العدو ولا انفسهم ينصرون ولا يدفعون عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرهم لم يقدروا على دفعه والحاصل
ان الاصنام لا ينصر من اطاعها ولا ينتقم ممن عصاها بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم ثم ذكر انها كما لا ينفع ولا يضر فكذلك لا علم
لها بشيء من الاشياء وانها لا يصح منها اذا دعيت الى الخير والصلاح الاتباع ولا ينفصل حال من يخاطبهم ممن يسكت عنهم فقال وان تدعوهم الى
الهدى لا يتبعوكم ويجوز ان يكون المراد وان يطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبكم كما يجيبكم الله بدليل
قوله بعد فادعوهم فليستجيبوا لكم ثم قوى هذا الكلام بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون واعرابه شبيه بما تقدم في اول
سورة البقرة في قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم وانما عطف الاسمية على الفعلية لان هؤلاء المشركين اذا وقعوا في مهم ومعضلة
تضرعوا الى تلك الاصنام واذا لم يحدث تلك الواقعة بقوا ساكتين صامتين فقيل لهم لا فرق بين احداثكم دعاءهم وبين ان تستمروا على صمتكم
ثم اكد بيان انها لا تصلح للالهية بقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فسئل انه كيف يحسن وصف الجمادات بانها عباد
واجيب بعد تسليم اختصاص العباد بالعقلاء بان ذلك ورد على معتقدهم انها عقلاء وفيه ايضا نوع من الاستهزاء اي قصارى امرهم ان
ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم قبلتموها الهة لكم وارباباً ثم بين عدم التفاضل بقوله
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في انها الهة ولام الامر للتعجيز فانه اذا ظهر لكل عاقل انها لا تقدر على الاجابة ظهر انها لا تصلح للعبودية
وانها والعبا سواء بل هم اخس وادون بدليل قوله الهم ارجل يمشون بها الاية وذلك ان كل ما من شأنه ان يكون له هذه الاعضاء و
الالات فاذا كان فيها قوى محركة ومدركة كان هو افضل ممن خلا اعضاؤه عن هذه القوى فكيف يليق بالافضل الاكرم الاشرف خدمة
المفضول الخسيس الادنى وانما قلنا كل ما من شأنه ان يكون له هذه الاعضاء لان من جل عن ثبوت هذه الاعضاء والجوارح له فعدم هذه
الاشياء بالنسبة اليه فضيلة وكمال فان القادر القاهر من غير افتقار الى الة وعدة كان اشرف ممن يفتقر في افعاله الى الالات فضلا عمن لا
فعل له البتة فلا يرد اعتراض بعض اغمار المتشبهة ان الله تعالى لو لم تكن له هذه الاعضاء لكان عدمها دليلا على عدم الالهية ثم انهم كانوا يخوفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهتهم كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فقال عز من قائل لنبيه قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون امر
من الكيد المكر فلا تنظرون نهي من الانظار الامهال والخطاب لهم ولشركائهم جميعا وهذا قول واثق بعصمة الله ان لا يبالي بغير الله
كائنا من كان ثم اتى امرهم بالتبري حثه على التولي فقال ان وليي اي ناصري عليكم الله الاية وفيه ان الواجب على كل عاقل عبادة الذي يتولى
تحصيل منافع الدارين اما الدينية الاخروية فبسبب انزال الكتاب المشتمل على العلوم الجمة واما الدنيوية فهو المراد بقوله وهو يتولى الصا
الصالحين اي من عادته ان ينصرهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم وفي ذلك ياس المشركين ان يضروه كيدهم يحكى ان عمر بن عبد العزيز
كان لا يدخر لاولاده شيئا فقيل له في ذلك فقال اما ان يكون ولدي من الصالحين فوليه الله ولا حاجة له الى مالي واما ان يكون من
المجرمين وقد قال تعالى فلن اكون ظهيرا للمجرمين ومن رده الله لم اشتغل باصلاح مهمه انا اقول وفي التقريب بالاية الثانية نظر لانها
حكاية كلام موسى عليه السلام الا ان يقال التقريب بالنظير ثم اعاد وصف الاصنام بمثل الصفات المذكورة فقال والذين تدعون من دونه
الاية قال الواحدي انما اعيد هذا المعنى لان الاول مذكور على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وبين من لا يجوز كانه قيل الاله المعبود
يجب ان يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون صالحة للالهية وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا لا سماع سمع
ولا سماع اجابة وتريهم تحسبهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر
اليه وهم لا يبصرون لا بد ان يكون المرئي وقيل الضمير في قوله وان تدعوهم الى اخر الاية يعود الى المشركين المار ذكرهم في قوله قل ادعوا والمراد انهم
بلغوا في الجهل والحماقة الى انك لو دعوتهم واظهرت انواع الحجة والبرهان لم يسمعوا بعقولهم البتة وتراهم الى الناس واليك ينظرون ولكنهم لشدة
اعراضهم عن قبول الحق لم ينتفعوا بذلك النظر فكأنهم عمي بصيرة كقوله في موضع اخر فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والتأويل
او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض لارباب العقول والاستدلال لتحصيل الايمان ولارباب القلوب اللوائح والكشف لحصول الايقان والعيان
وما خلق الله من شيء يعني عالم الملك المخلوق من مادة بخلاف عالم الملكوت الذي ابدع من غير شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم يعني اجل
فنائهم عما سوى الحق فان لم يؤمنوا بطريق النظر استدلالا فبأي حديث بعده اي بعد النظر يؤمنون يسئلونك عن الساعة التي يظهر الله تعالى
فيها اثار صفة القهارية لافناء عالم الصورة فلا يبقى منه داع ولا مجيب فهو يجيب بنفسه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لاستكثرت من الخير من الجود
الالهية ودفع الحاجات البشرية خلقكم من نفس واحدة هي الروح وخلق منها زوجها وهي القلب ليسكن اليها لان القلب بين اصبعين من اصابع
الرحمن فكان الروح يتمتع من القلب بنسائم نفحات الطاف الحق حملت حملا خفيفا في البداية بظهور ادنى اثر من اثار الصفات البشرية في القلب الروحاني
فلما اثقلت كثرت اثار الصفات خاف الروح والقلب على انفسهما من تبدل الصفات الروحانية الاخروية النورانية بالصفات النفسانية
الدنيوية الظلمانية فدعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا قابلا للعبودية لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا اي الروح
والقلب له شركاء اي جعلا وجه النفس الى الدنيا ونعيمها فصارت عبد البطن وعبد الخميصة وعبد الدرهم والدينار ولا يستطيعون

التقريب ومنه المذكور على جهته

يريد الغنم

لهم نصرا اي لا يستطيع الدنيا ومن بينها الروح والقلب في النفس تفويته وتزيينه الا بالله ولا انفسهم ينصرون للبقاء والدوام

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

پیشه گیر درگذشتن را و بفرمای به نیکویی و روگردان از نادانان و اگر برسد بتو از دیو وسوسه پس پناه بر بخدا که اوست شنونده دانا

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ

هر آینه آنانکه پرهیزگاری کردند هرگاه برسید ایشان را وسوسه از شیطان یاد کردند خدا را پس ایشان بینا شدند و برادران ایشان میکشند ایشان را در گمراهی پس کوتاهی نکنند

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ

و چون نیاوردی بایشان آیتی گفتند چرا فراهم نیاوردی آنرا از خود بگو که من پیروی میکنم آنرا که وحی کرده میشود بمن از پروردگارم این بینشهاست از پروردگار شما و راهنمایی و رحمت مر گروهی را

يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً

که میگروند و چون خوانده شود قرآن پس گوش دهید او را و ساکت شوید شاید که شما رحم کرده شوید و یاد کن پروردگارت را در نفس خود بزاری و پنهانی

وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ

و جز آواز بلند از گفتار در بامدادان و عصرها و مباش از بیخبران هر آینه آنانکه نزد پروردگار تواند سر نمیکشند از پرستش او و تسبیح میکنند او را و مر او را سجده میکنند

القراءات طيف بسكون الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون طائف على وزن فاعل يمدونهم من الامداد ابو جعفر ونافع الاخرون بفتح الياء وضم الميم من المد. العفو وامر مدغما ابو عمرو وقرئ بغير همز حيث كان يزيد والشموني وحمزة في الوقف. الوقوف الجاهلين ه بالله ط عليم ه مبصرون ج لان قوله واخوانهم مبتدأ الا ان المعنى يقتضي الوصل لبيان اختلاف حالي الفريقين لا يقصرون ه اجتبيتها ط من ربي ج لاختلاف الجملتين بلا عطف مع اتحاد المقول يؤمنون ترحمون من الغافلين يسجدون ه سجدة. التفسير لما ذكر فساد طريقة عبدة الاصنام وبين النهج القويم والصراط المستقيم ارشد الى مكارم الاخلاق العفو الفضل وكل ما اتى من غير كلفة واعلم ان الحقوق التي تستوفى من الناس اما ان يجوز ادخال المساهلة فيها وهو المراد بقوله خذ العفو ويدخل فيه التخلق مع الناس بالتي هي احسن ترك الغلظة والفظاظة ومن هذا الباب ان يدعو الخلق الى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم واما ان لا يجوز دخول المساهلة فيها وذلك قوله وأمر بالعرف وهو المعروف والعارفة وانه كل امر عرف انه لا بد من الاتيان به وان يكون وجوده خيرا من عدمه فلو اقتصر في هذا القسم على الاخذ ولم يبذل في ذلك وسعه كان راضيا بتغيير الدين وابطال الحق ثم اذا امر بالمعروف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما اقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء فلهذا قال واعرض عن الجاهلين قال عكرمة لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل ما هذا فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال اهل العلم تفسير جبرئيل مطابق للفظ الاية فانك اذا وصلت من قطعك فقد عفوت عنه واذا اعطيت من حرمك فقد امرت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمك فقد اعرضت عن الجاهل يروى عن جعفر الصادق عليه السلام ليس في القرآن العزيز آية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الاية ولبعض المفسرين في تفسير الاية طريق آخر قالوا خذ العفو اي ما اتوك به عفوا فخذه ولا تسأل ما وراء ذلك فنسخت بآية الزكاة وامر بالمعروف اي باظهار الدين الحق وهذا غير منسوخ واعرض عن الجاهلين اي المشركين وهذه منسوخة باية القتال والحق ان تخصيص خذ العفو بالمال تقييد للمطلق من غير دليل ولو سلم فايجاب الزكاة بالمقادير المخصوصة لا ينافي ذلك لان اخذ الزكاة مامور بان لا يأخذ كرائم اموال الناس وان لا يشدد الامر على المزكي وايضا لا يمتنع ان يؤمر النبي بان لا يقابل سفاهة المشركين بمثلها ولكن يقاتلهم واذا كان الجمع بين الامرين ممكنا فلا حاجة الى التزام النسخ قال ابن زيد لما نزل قوله واعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كيف يا رب والغضب فنزل وإما ينزغنك من الشيطان نزغ اي عرض ونخس النزغ نازغا كما قيل جد جده عن ابي زيد نزغت ما بين القوم اي افسدت ما بينهم واصله الازعاج بالحركة الى الشر واكثر ما يكون ذلك عند الغضب نزغ الشيطان وسوسته في القلب بما يسول للانسان من المعاصي وعلاجه ودفعه انما يكون بالاستعاذة وهي الاستخلاص عن حول الشيطان وقوته الى حول الرحمن وقوته والاعراض عن مقتضى الطبع والاقبال على اوامر الشرع عن معاذ بن جبل قال استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى عرف الغضب في وجه احدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لو لم يجز على النبي الاقبال على وسوسة الشيطان لم يؤمر بالاستعاذة والجواب ان كلمة ان لا يفيد وقوع الشرط ولو سلم فمن اين علم انه قبل تلك الوسوسة منه ولو سلم فمحمول على ترك الاولى ثم ختم الاية بقوله انه سميع عليم ليعرف ان القول اللساني بدون المعارف الحقيقية عديم الفائدة وكانه تعالى قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فاني سميع واحضر معنى الاستعاذة في ضميرك فاني عليم ثم بين ان حال المتقين قد تزيد على حال النبي في باب وسوسة ابليس فان النبي لا يكون له الا النزغ الذي هو كابتداء الوسوسة واما المتقون فقد يمسهم الشيطان وذلك قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف قال الفراء الطائف والطيف كالخاطر وجوز بعضهم ان يكون مصدرا كالعافية ولكنه بلا تاء والاصح انه اسم فاعل من طاف يطوف ومن طاف به الخيال يطيف طيفا ومن قرأ طيفا فهو اما مصدر لمسه ومن الشيطان واما مخفف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كميت قال في الكشاف



وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم نزغ من الشيطان و
المام بوسوسته ومفعول تذكروا محذوف اي تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد واعلم ان الغضب انما يهيج بالانسان اذا استقبح من
المغضوب عليه عملا من الاعمال ثم اعتقد في نفسه كونه قادرا وفي المغضوب عليه كونه عاجزا هذا اذا كان واقفا على ظلمات عالم الاجسام فيغتر بظواهر
الامور واما اذا انكشف له نور من عالم العقل عرف ان المغضوب عليه انما اقدم على ذلك العمل لان الله تعالى خلق فيه داعية جازمة وقد علم منه
تلك الحالة في الازل ومتى كان كذلك فلا سبيل له الى تركها فيفتر غضبه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب وايضا انه كما اساء
في العمل فقد تجاوز الله عنه وان الله اقدر عليه منه اذا امضى الغضب كان شريكا للسباع الموذية واذا اثار العفو كان مضاهيا للانبياء والاولياء
مستاهلا للثواب الجزيل وانه ربما انقلب الضعيف قويا وبالجملة فالمراد من قوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان ما ذكرنا من الاعتقادات والمراد
من قوله تذكروا الامور التي تفيد ضعف تلك الاعتقادات اما قوله واخوانهم فالضمير فيه يرجع الى الشيطان وجمع لان المراد به الجنس كقوله اولياؤهم
الطاغوت والضمير المرفوع في يمدون يرجع الى الاخوان لان شياطين الانس يعضدون شياطين الجن على الاغواء والاضلال او الى الشياطين
الذين لبسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم اي يكونون مددا لهم في الغي ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين والضمير المجرور يعود الى الجاهلين
فيكون الخبر جاريا على ما هو له قال في الكشاف والاول الوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا قال الواحدي عامة ما جاء في التنزيل مما يحمد
ويستحب امددت على افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وامددناهم بفاكهة اتمدونن بمال وما كان بخلافه فانه يجيء على مددت قال ويمدهم في
طغيانهم يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة ووجه الغي الاستهزاء والتهكم نحو فبشرهم بعذاب اليم اما قوله ثم لا يقصرون فالاقصار الكف عن الشيء
قال ابن عباس اي لا يمسك الغاوي عن الضلال والمغوي عن الاضلال ومعنى ثم تبعيد عدم الاقصار عن المدد فانه يجب على العاقل اذا اقبل
على غي ان يمسك عنه سريعا الا ان يتمادى فيه ويتهالك ولهذا قيل الرجوع الى الحق اولى من التمادي في الباطل ثم ذكر نوعا واحدا من اغوائهم فقال
واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها ثم كانوا يطلبون آيات معينة ومعجزات مخصوصة على سبيل التعنت كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا ثم انه صلى الله عليه وسلم ما كان يأتيهم بها فعند ذلك قالوا لولا اجتبيتها اي اجتبيتها بمعنى جبيتها لنفسك اي جمعتها وجبى اليه فاجتباه اي اخذه والمعنى هلا
افتعلتها وجئت بها من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى وكانوا ينسبونه الى السحر او المراد هلا اخذتها او اقترحتها على
الهك ومعبودك ان كنت صادقا في ان الله يجيب دعائك ويسعف باقتراحك عند هذا امر رسوله ان يذكر في الجواب انما اتبع ما يوحى الي من ربي
ولست بمفتعل الآيات او لست بمقترح لها ثم بين ان عدم الاتيان بتلك المعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القرآن على
وفق دعواه معجزة بالغة قاصرة كافية في تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من التعنت فقال هذا يعني القرآن بصائر اطلاق لاسم المسبب وذلك
ان فيها حججا بينة تفيد للقلوب بصيرة وكشفا وهدى للمستدلين الواصلين بالنظر والاستدلال الى درجة العرفان فالبصائر لاصحاب
عين اليقين والهدى لارباب علم اليقين والرحمة لغيرهم من الصالحين المقلدين والجمع لقوم يؤمنون ولما عظم شان القرآن بتلك الآيات
علم المكلفين ادبا حسنا في بابه فقال واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا والانصات السكوت للاستماع قال العلماء ظاهر الامر للوجوب فمقتضاه
ان يكون الاستماع والسكوت واجبا وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وهو قول الحسن واهل الظاهر وعن ابي هريرة كانوا يتكلمون في
الصلوة فنزلت وقال قتادة كان الرجل يأتي وهم في الصلوة فيسألهم كم صليتم كم بقي وكانوا يتكلمون في الصلوة لحوائجهم فنزلت ثم صار سنة
في غير الصلوة ان ينصت لقوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الامام لما روي عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلوة المكتوبة وقرأ اصحابه وراءه رافعين اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار
وجماعة نزلت في الانصات عند الخطبة يوم الجمعة وزيف بان اللفظ عام فكيف يجوز قصره على قراءة القرآن في الخطبة نفسها بناء على انها
قرآن او على الخطبة لاشتمالها عليه واجيب ان كلمة اذا لا يفيد العموم بدليل انه اذا قال لزوجته اذا دخلت الدار فانت طالق فانها لا تطلق مرة ثانية بدخول
الدار مرة اخرى وبدليل ان الشافعي اوجب على الماموم ان يقرأ الفاتحة ورد بان الماموم انما يقرأ الفاتحة في حال سكتة الامام كما قال
ابو سلمة للامام سكتتان فاغتنم القراءة فيهما سكتة يعني سكتة بين التكبير الى ان يقرأ واخرى بين القراءة الى ان يركع واعترض بان سكوت
الامام واجب ام لا والاول باطل بالاجماع وعلى الثاني يجوز ان لا يسكت وح يلزم ان يحصل قراءة الماموم مع قراءة الامام فيفضي الى ترك
الاستماع وايضا فهذا السكوت ليس له حد محدود والماموم مختلفون ببطوء القراءة وسرعتها فربما لا يتمكن الماموم من تمام قراءة الفاتحة في مقدار
سكوت الامام فيلزم المحذور المذكور وايضا الامام في هذا السكوت يصير كالتابع للماموم وذلك غير جائز قال الواحدي الانصات هو
ترك الجهر عند العرب وان كان يقرأ في نفسه اذا لم يسمع احد واورد عليه ان غايته توجيه هو ان الانصات مع قراءة الامام ممكن لكن امكان
حصول الاستماع عبارة عن كونه بحيث يحيط بذلك الكلام المسموع على الوجه الكامل ولعل الانصات ان الاستماع على تقدير الانصات المفسر
ممكن ان يحصل مع قراءة الامام هذا وقد سلم كثير من الفقهاء عموم اللفظ الا انهم جوزوا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وذلك
ههنا قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب ذهب الامام مالك وهو القول القديم للشافعي انه لا يجوز للماموم قراءة الفاتحة

مع قراءته موقوف ان الاستماع عام

فيكون الخبر جاريا على من هو له والضمير للاخوان والمراد الشياطين

في الصلوة



في الصلوة الجهرية عملا بمقتضى هذا النص ويجب عليه القراءة في الصلوات السرية لان الاية لا دلالة لها على هذه الحالة وثمة للاية
تفسير اخر وهو ان الخطاب في الاية مع الكفار وذلك ان كون القران بصائر وهدى ورحمة لا يظهر الا بشرط مخصوص وهو ان النبي اذا
قرأ عليهم القران عند نزوله استمعوا له وانصتوا ليقفوا على مراتبه ومعانيه فيعترفوا باعجازه ويستغنوا بذلك عن طلب سائر المعجزات
ومما يؤكد هذا التفسير قوله في اخر الاية لعلكم ترحمون والترجي تماما يناسب حال الكفار لا حال المؤمنين الذين حصل لهم الرحمة جزما في
قوله ورحمة لقوم يؤمنون ويمكن ان يجاب بان الاطماع من الكريم واجب فلم يبق الفرق وقيل المراد باستماع القران العمل بما فيه ثم امر نبيه
وامته بتبعيته بالذكر العام قرانا كان او غيره على سبيل الدوام وذلك ان استماع القران كان كالذكر الخفي فقال واذكر ربك في نفسك وفي
الاية فوائد الاول تخصيصه اسم الرب دون الاله وغيره تنبيها على ان سبب الذكر هو التربية والانعام وليدل على الطمع والرجاء والثاني ذكر الذكر
في النفس ليكون ادخل في الاخلاص بعد عن الرياء وقيل ذكره في النفس هو ان يكون عارفا بمعاني الاسماء التي يذكرها بلسانه قال بعض المتكلمين الذكر
النفساني هو الكلام النفسي الذي يثبته الاشاعرة الثالث والرابع قوله تضرعا وخيفة اي متضرعا وخائفا فالتضرع لاظهار ذلة العبودية والخوف العقاب
وهو مقام المذنبين واما خوف الجلال وهو مقام العارفين فاذا كوشفوا بالجمال عاشوا واذا كوشفوا بالجلال طاشوا واما خوف الخاتمة فلخوف
السابقة فانها علة الخاتمة الخامس قوله ودون الجهر من القول والمراد ان يقع ذلك الذكر متوسطا بين الجهر والاخفاء قال ابن عباس هو
ان يذكر ربه على وجه يسمع نفسه انما اخر هذا عن الذكر القلبي لان الخيال يتأثر من الذكر اللساني فيوجب قوة في النفس ولا يزال يتزايد في ذلك
الى ان يجري الذي على لسانه بل يسري في جميع اعضائه وجوارحه واركانه فيصير بنا معتقدا لا خاليا عن التكلف بريا من التعسف السادس قوله بالغدو
والاصال والغدو مصدر غدا يغدو والمراد وقت الغدو كما يقال دنا الصباح اي وقته وقيل انه جمع غدوة واما الاصال فانها جمع الاصيل وهو
الوقت بعد العصر الى المغرب وقد يقال اشتقاقه من الاصل واليوم بليلته انما يبتدئ في الشرع من اول الليل فسمي اخر النهار اصيلا لكونه
ملاصقا لما هو الاصل في اليوم الثاني وخص هذان الوقتان بالذكر لان الغدو عندها ينقلب الحيوان من النوم الذي هو كالموت الى اليقظة
التي هي كالحيوة والعالم يتحول من الظلمة التي هي طبيعة عدمية الى النور الذي هو طبيعة وجودية والاصال الامر بالضد وهذان النوعان
من التغير العجيب دليلان قاهران باهران على وجود صانع قدير وحكيم خبير فوجب ان يكون المكلف فيهما مشتغلا بالذكر والخضوع ويمكن
ان يكون المراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان السابع قوله ولا تكن من الغافلين وفيه اشارة الى ان الذكر القلبي يجب ان
يداوم عليه ولا يزال الانسان يستحضر جلال الله وكبريائه بحسب الطاقة البشرية ليتنور جوهر النفس ويستعد لقبول الاشراقات القدسية
فيضاهي سكان حظائر الجبروت الذين مدحهم الله بقوله ان الذين عند ربك ومعنى دنو الشرف والقرب من عنايته والطاقة لا يستكبرون
عن عبادته فيغرمون على ذلك ويسبحونه يبرئونه وينزهونه عن كل سوء وهذا يرجع الى المعارف والعلوم وله يسجدون بحضرته بغاية الخضوع
والاستكانة وهذا يعود الى اعمال الجوارح وفي هذا الترتيب ليدل على ان الاصل في الطاعة والعبودية اعمال القلوب ويتفرع عليه اعمال
الجوارح والمقصود من الايذان الملائكة مع غاية طهارتهم ونهاية عصمتهم وبراءتهم عن بواعث الشهوة والغضب ودواعي الحقد والحسد
يواظبون على العبودية والطاعة فالانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الطبيعة وكدورات الزلات البشرية اولى بان يداوم على
ذكر معبوده وينجذب بما امكن الى العالم العقلي ومقره الاصلي ويتصفى مرآة قلبه عن اصداء الهواجس ويتنقش بالجلال القدسية والمعارف
الحقيقية والله ولي التوفيق التاويل وأمر بالعرف وهو طلب الحق لانه معروف العارفين واعرض عن الجاهلين الذين يطلبون غير الله
من الشيطان نزغ في طلب غير الله فاستعذ بالله من طلب غير الله ان الذين اتقوا هم ارباب القلوب فان التقوى من شان القلب
كما قال عم التقوى ههنا واشار الى صدره طائف من الشيطان نزغ من العمل الشيطان يراه القلب بنور التقوى ويعرفه فيذكره انه يفسد
ويكدر صفاه فيجتنبه واخوانهم يعني اخوان القلوب وهم النفوس الامارة واذا لم تأتهم اي لم تأت القلوب باية من الله لتمنع النفوس عن
تكذيبها في لوازم النفوس للقلب لولا اختلقتها من خاصية قلبيتك لتزكية النفوس قل انما اتبع الهام الحق فلا اقدر على تزكية النفوس
الا بقوة الالهام الرباني فاستمعوا باذانكم الظاهرة وانصتوا بالسنتكم الباطنة لعلكم ترحمون بالاسماع بالسمع الحقيقي وذلك قوله كنت له
سمعا وبصرا فبي يسمع فمن سمع القران من باريه فقد سمع من قاريه وهذا سر الرحمن علم القران فهو المستعد للخطاب واذكر ربك في نفسك
بان تبدل اخلاقها باخلاق الله تضرعا في البداية وهو من باب التكلف وخيفة في الوسط ودون الجهر من القول في النهاية وهو مقام الفنا
فان افشاء سر الربوبية كفر في غدو الازل واصال الابد فان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ولهذا قال في الازل فاذكروني اذكركم
ومن هنا قال يوسف الحسين الرازي ما قال احد الله الا الله ولا تكونن من الغافلين الذين لا يعلمون ان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ان الذين عند
ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم افنوا اخلاقهم في اخلاقه ويسبحونه ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وله يسجدون
في الوجود والعدم من الازل الى الابد منه المبداء واليه المنتهى الله حسبي ۵۵۵۵

سورة الانفال مدنية الا سبع ايات من قوله واذ يمكر بك الى قوله يحشرون وحروفها ٥٢٩٤ وكلماتها ١٢٣١ واياتها خمس وسبعون

اما خوف تم

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشنده مهربان

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ

سؤال کنند ترا از حال غنیمتها بگو که غنیمتها از برای خدا و پیغمبر است پس پرهیز کنید از خدا و باصلاح آرید کار میان خود را و فرمان برید خدا و رسول او را اگر باشید

مُؤْمِنِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

گرویدگان جز این نیست که مؤمنان آنها اند که چون یاد کرده شود خدا بترسد دلهای ایشان و چون خوانده شود بر ایشان آیات او بیفزاید ایشان را ایمان و بر پروردگار ایشان توکل کنند

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ

آنان که برپا دارند نماز را و از آنچه روزی کردیم ایشان را بدهند آن گروه ایشانند مؤمنان براستی مر ایشانراست پایها نزد پروردگار ایشان و آمرزش

وَرِزْقٌ كَرِيمٌ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ

و روزی فراوان چنانچه برون آورد ترا پروردگار تو از خانه ات بحق و براستی که طایفه از مؤمنان هر آینه ناخوش دارند خصومت کنند ترا در حق

بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّٰهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ

پس از آنکه ظاهر شد گویا که رانده شوند بسوی مرگ و ایشان می نگرند و چون وعده داد شما را خدا یکی از دو طایفه که آن از برای شماست و دوست داشتید

أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ

که صاحب حشمت نباشد بوده باشد از برای شما و میخواهد خدا که ثابت کند حق را بسخنان خود و ببرد دنباله کافران را تا پایدار کند حق را و برطرف کند

الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ

باطل را و هر چند ناخوش داشته باشند گناهکاران چون ناله کردید بپروردگار خود پس مستجاب کرد از برای شما که من یاری کنم شما را بهزار از فرشتگان از پی هم آیندگان و نگردانید او را

إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

مگر مژدگانی و تا ساکن شود بآن دلهای شما و نیست یاری مگر از نزد خدا براستی که خدا غالب و داورست

القراءات مردفين بفتح الدال ابو جعفر وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون بالكسر الوقوف عن الانفال ط والرسول ج لعطف المختلفين مع الفاء ذات بينكم ص مؤمنين يتوكلون لاحتمال جعل الذين مبتداء والاصل ان يكون الوقف على ينفقون ويكون الثناء بجفنهم الايمان منصرفا الى قوله هم المؤمنون حقا ط كريم ج لما يجئ في التفسير بالحق لطول الكلام لكارهون لا ينظرون الكافرين المجرمون ج لاحتمال كون اذ متعلقا بمحذوف وهو اذكر وبقوله ويحق مردفين قلوبكم ط لابتداء النفي مع احتمال الحال عند الله ط حكيم التفسير روى عكرمة عن ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا فله كذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنيمة جاء الشبان يطلبون نفلهم وقالت الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا تحت الرايات ولو انهزمتم كنا ردءا لكم فانزل الله تعالى يسئلونك عن الانفال فقسمها بينهم بالسواء وعن عبادة بن الصامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم احدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستولت طائفة على العسكر والنهب فلما نفى الله العدو ورجع الذين طلبوهم قالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم وقال الذين احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما انتم باحق به منا نحن احدقنا برسول الله لا ينال العدو منه غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن اخذناه واستولينا عليه فهو لنا فنزلت الآية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسواء وعن سعد بن ابي وقاص لما كان يوم بدر قتل اخي عمير فقتلت سعيد بن العاص فاخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض اي في المقبوض من الغنائم فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه الان قد صار لي فاذهب فخذه والنفل بالتحريك الغنيمة وجمعه الانفال وهي الاموال المأخوذة من الكفار قهرا قال الازهري هو ما كان زيادة على الاصل فسميت الغنائم بذلك لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل لهم الغنائم وصلوة التطوع نافلة لانها زيادة على الفرض وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي زيادة على ما سأل والضمير في يسئلونك عائد الى جمع معينين من الصحابة لهم تعلق بالغنائم كما قررنا وحسن العود وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة الحال عليهم ولفظ السؤال وان كان مبهما الا ان تعيين الجواب يدل على ان المراد ثم سألوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها قال الزجاج انما سألوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بان الاية دلت على انها مسبوقة بالتنازع والتنافس فسألوا عن كيفية قسمتها لا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة ان المراد من هذا السؤال الاستعطاء اي يطلبون منك الغنائم وقال في الكشاف النفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه وقال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد به وهذا التفسير يشهد به سبب نزول سعد بن ابي وقاص في اعطاء السيف اياه وعن ابن عباس في بعض الروايات ان المراد بالانفال ما شذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة او عبد او متاع فهو الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث

يشاء وعن مجاهد ان الانفال الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس وعلى هذا فالقوم انما سألوا عن الخمس فنزلت الاية ثم امر بالشروع في الجواب
فقال قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما يقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في
قسمتها مفوضا الى رأي احد قال مجاهد وعكرمة والسدي انها منسوخة بقوله واعلموا انما غنمتم الاية وضعف بان جعل اربعة اخماسها ملكا
للغانمين لا ينافي كون الحكم فيها لله والرسول ولو فسر الانفال بالخمس او بالسلب فلا اشكال ثم حثهم على ترك المنازعة وعلى المواخاة والمصافاة
فقال فاتقوا الله اي عقابه ولا تقدموا على معصيته واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الاموال واصلحوا ذات بينكم اي التي هي بينكم
من الاحوال حتى يكون احوال الفة ومودة وموافقة لما كانت الاحوال ولتعلقها بالبين قيل لها ذات البين كما ان الاسرار لما كانت مضمرة في الصدور
ثم ختم الاية بقوله ان كنتم مؤمنين اي كاملي الايمان موقوف على التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين الكاملين
فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت لذكره استعظاما لجلاله وحذرا من اليم عقابه وقد تطمئن القلوب بعد ذلك
اذا تذكر كمال رأفته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فيفزع
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا قالت العلماء زيادة الايمان يكون على احد ثلاثة انحاء الاول بقوة الدليل وكثرته فان كل دليل فهو مركب
لا محالة من مقدمات ولا شك ان النفوس مختلفة في الاشراق والانارة والاذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة فكل من كان جزمه بالمقدمات
اكثر ودوم كان علمه بالنتيجة اكمل واتم وكذا من سنح له على المطلوب دليلان كان علمه اتم ممن لا يجد على المطلوب سوى دليل واحد ولذا يورد
العلماء دلائل متعددة على مدلول واحد ولله در القائل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد الثاني بتعدد التصديق وتجدده فان المعلوم
ان من صدق انسانا في شيئين كان تصديقه ازيد من تصديق من صدقه في شيء واحد بمعنى الاية انهم كلما سمعوا آية متجددة اتوا
باقرار جديد الثالث ان يقال الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل كما ينبئ عنه ظاهر الاية لانه لما ذكر الامور الخمسة قال اولئك
هم المؤمنون فدل ذلك على ان كل الخصال داخلة في مسمى الايمان ويؤيده ما رواه ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا كان الايمان عبارة عن مجموع الاركان الثلاثة
فبسبب التفاوت في العمل يظهر التفاوت في الايمان وان لم يكن التفاوت في الاقرار والاعتقاد متصورا اما قوله وعلى ربهم يتوكلون فيفيد
الحصر اي لا يتوكلون الا على ربهم وهذه الصفات مرتبة على احسن جهات الترتيب فالاولى الفزع من عقاب الله والثانية الانقياد لتكاليفه
والثالثة الانقطاع بالكلية عما سواه ثم لما فرغ من اعمال القلوب وهي الخشية والتسليم والتوكل شرع في وصفهم باعمال الجوارح وذكر منها راسها
وسنامها وهما الصلوة والصدقة ثم عظمهم بقوله اولئك هم المؤمنون حقا وفي اولئك وفي توسيط الفصل وتعريف الخبر وايراد حقا من
المبالغات ما لا يخفى وحقا صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة قبله وقال الفراء معناه اخبركم بذلك اخبارا حقا وقيل
انه منوط بما بعده اي حقا لهم درجات واعلم ان الائمة اتفقوا على ان الرجل المؤمن يجوز له ان يقول انا مؤمن ثم اختلفوا في انه هل يجوز
لان التصديق والاقرار كلاهما محقق والثاني مذهب اصحاب الشافعي واجابوا عن الاية بانه لا نزاع في ان الموصوف بالصفات المذكورة
مؤمن حقا انما النزاع في ان القائل انا مؤمن هل هو موصوف بتلك الصفات جزما ام لا واما حديث الشك فبني على ان الايمان عبارة عن الاركان
الثلاثة ولا ريب ان كون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في حصول تلك الماهية فاذن
النزاع لفظي على انا لا نسلم ان الاستثناء لاجل الشك وانما هو لزوال العجب لعدم القطع بحسن الخاتمة ولنوع من الادب ففيه تفويض الامر الى علم الله
وحكمه كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وانه تعالى منزه عن الشك والريب عن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن انت قال الايمان ايمانان
فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله
انما المؤمنون فوالله لا ادري أمنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا
ويحكى عن ابي حنيفة انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فقال هلا اقتديت
به في قوله اولم تؤمن قال بلى قيل وكان لقتادة ان يقول ولكن ليطمئن قلبي وفيه ما فيه ثم اخبر عن مآل حالهم فقال لهم درجات عند ربهم
اي سعادات روحانية متفاوتة في الصعود والارتفاع ولكن استغراق كل واحد في سعادته الخاصة به يمنعه عن التألم من حال من فوقه كما قال
سبحانه ونزعنا ما في صدورهم من غل ومغفرة وتجاوز عن سيئاتهم ورزق كريم هو نعم الجنة المقرون بالدوام والتعظيم والكرم اسم جامع
لكل ما يحمد ويستحسن في بابه نقله الواحدي عن اهل اللغة فالله سبحانه موصوف بانه كريم لانه محمود في كل ما يحتاج اليه والقرآن كريم لانه يوجد فيه بيان
كل شيء وقال اني ألقي الي كتاب كريم وقال من كل زوج كريم وقل لهما قولا كريما قال بعض العارفين المغفرة ازالة الظلمات الحاصلة من الاشتغال
بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفته ومحبته قوله عز من قائل كما اخرجك يقتضي شيئا شبه به هذا الاخراج وذكروا فيه
وجوها الاول ان المشبه به خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا الحال كحال اخراجك والمعنى ان حالهم في كراهة ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم
في كراهة خروجك للحرب وذلك انه لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا

الانفال

تنبيها على ان كمال الايمان

ترغيباً لهم في القتال فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة يا رسول الله لو اعطيت هؤلاء ما سميته لهم بقي خلق كثير بغير شيء فنزلت قل الانفال لله والرسول يصنع فيها ما يشاء فامسك المسلمون عن الطلب وفي انفس بعضهم شيء من الكراهة الثاني ان ينتصب الكاف على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي ثبت الحكم واستقر بان الانفال لله وان كرهوا ثباتاً مثل اخراج ربك اياك الى القتال وان كرهوا وتخصيص هذا المشبه به بالذكر من بين سائر احكام الله ان القصة واحدة ووجه جعل الاخراج مشبهاً به كونه اقوى في وجه الشبه لان مدار القصة عليه وقيل التقدير هو ان الحكم بكونهم مؤمنين حق كما ان حكم الله باخراجك من بيتك لاجل القتال حق الثالث قال الكسائي الكاف متعلق بما بعده وهو قوله يجادلونك في الحق والتقدير كما اخرجك ربك من بيتك على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه والبيت بيته صلى الله عليه واله بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فلها به اختصاص كاختصاص البيت بساكنه ومعنى بالحق اي اخراجاً ملتبساً بالحكمة والصواب وان فريقاً من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهة بعضهم ثم بين الكراهة بقوله يجادلونك ويجوز ان يكون الجملة بدلا او خبراً بعد خبر روي ان قريشاً اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعهم اربعون راكباً منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد صلى الله عليه واله لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل فرمى بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير على ما قيل في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير فمضى بهم الى بدر ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر فاحسنا الكلام ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك احد من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وارجع الى التفسير قوله في الحق اي في تلقي النفير بعد ما تبين اي بعد اعلام النبي صلى الله عليه وسلم بانهم هم المنصورون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال كأنما يساقون الى الموت المتيقن لمشاهدة اسبابه من قلة العدد والعدد والعير والنفير وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي تتمنون ان يكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة من انزال الملائكة واسر الكفرة وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين اي يستأصلهم والدابر الآخر يعني انكم تريدون العاجل وسفساف الامور والله يريد معاليها وما يرجع الى تقوية الدين وشتان ما بين المرادين وقوله ليحق الحق متعلق بمحذوف اي لاظهار الاسلام وابطال الكفر فعل ما فعل وانما قدر المحذوف متأخراً ليفيد معنى الاختصاص اي ما فعل ذلك الا لتحقيق الحق وابطال الباطل وقيل يتعلق بيقطع فان قيل الحق حق لذاته والباطل باطل في ذاته وما ثبت للشيء لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل قلنا المراد اظهار كون الحق حقا والباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلائل وتارة بتقوية رؤساء الباطل فان قيل اليس في الكلام تكرار قلنا لا اذ المراد بالاول تثبيت ما وعد في هذه الواقعة من الظفر بالاعداء والمراد بالثاني اعلاء الاسلام ومحق الكفر والحاصل ان الاول جزئي اي انتم تريدون العير والله يريد اهلاك النفير والثاني كلي يشمل هذه القضية وغيرها من القضايا التي تحصل في ضمنها اعلاء كلمة الله وقمع كلمة الكفر احتجت الاشاعرة بقوله كما اخرجك ربك وقوله ليحق الحق على ان الاعمال والعقائد كلها بخلق الله وتكوينه ولا يمكن ان يقال



المراد من اظهار الحق وضع الدلائل عليه لان هذا المعنى حاصل بالنسبة الى المسلم والكافر وقيل هذه الواقعة بعد هافلا يبقى للتخصيص
فائدة والمعتزلة تمسكوا بالاية على ابطال قول من يقول انه لا باطل ولا كفر الا والله مريد له لان ذلك ينافي ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل
واجيب بان اللام في الحق ينصرف الى المعهود السابق اي في هذه القضية فلم قلتم انه كذلك في جميع الصور ولو كره المجرمون اي الكافرون او
المشركون كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وفي موضع اخر ولو كره المشركون وقوله اذ تستغيثون بدل من قوله اذ
يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق واستغاثتهم انهم لما علموا انه لابد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبيه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه
سينجز لك ما وعدك ويروى انه لما اصطف القوم قال ابو جهل اللهم اولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله يده بالدعاء المذكور ومعنى
تستغيثون تطلبون الاغاثة بقول الواقع في بلية اغثني اي فرج عني فاستجاب لكم اي باني ممدكم بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال وفتحها
من اردفته اياه اذا اتبعته متعدى الى مفعولين او من اردفته اذا اتبعته اي جئت بعده متعديا الى مفعول واحد ومعنى الاول جاعلين
بعضهم او مجعولين بعضهم تابعا لبعض او انفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم او للملائكة اخرى ومعنى الثاني تابعين بعضهم لبعض او للمؤمنين
يقدمونهم على ساقتهم يحفظونهم او لغيرهم من الملائكة واختلف في قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبرئيل في خمسمائة ملك على الميمنة
وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت
يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا
قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط
فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي داود المازني
تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد
ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا وقد اجبنا عن هذه الشبهة في تفسير سورة ال عمران وكذا تفسير قوله وما
جعله الاية وقد مر هنالك وقد بقي علينا ان المشابه فنقول حذف لكم هيهنا لان المخاطبين معلومون في قوله فاستجاب لكم وقدم قلوبكم
واخر به في ال عمران ازدواجا بين الخطابين ثم ان قصة بدر مقدمة على قصة احد فقيل في الانفال ان الله عزيز حكيم ليستقر الخبر وجعل في ال عمران
صفة لان الخبر قد سبق والله اعلم التاويل كثرة السؤال توجب الملال ولما سئلوا ليكون لهم الانفال فاجيبوا على خلاف ما تمنوا وقيل الانفال
لله والرسول قطعا لطريق الاعتراض والسؤال واصلحوا ذات بينكم من الاخلاق الردية والهمم الدنية واطيعوا الله ورسوله بالتسليم والايثار
زادتهم ايمانا بحسب مزيد الانوار كما اخرجك ربك يشير الى انه اخرج المؤمن الحقيقي عن اوصاف البشرية الى مقام العبدية بجذبات العناية كما اخرجك
من وطن وجودك بالحق وهو تجلي صفات الجمال والجلال وان فريقا هم القلب والروح لكارهون للفناء عند التجلي لان البقاء محبوب عند
كل ذي وجود يجادلونك اي الروح والقلب في مجئ الحق بعد ما تبين محبته كانهم ينظرون الى الفناء ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى
الموت واذ يعدكم الله ايها السائرون احدى الطائفتين اما الظفر بالاعداء وهي النفوس واما غير الواردات الروحانية وغنائم الاسرار
الربانية وتودون ان غير ذات الشوكة اي اردتم ان لا تجاهدوا واعدوا النفس ذات المكر والحيلة والهوى واستحليتم الواردات والشواهد
الغيبية وذلك ان السير قسمان سير السالكين على اقدام الطاعات وتبديل الصفات النفسانية الى صفات الروحانية وسير المجذوبين على
اجنحة عنقاء الجذبات الى ورا قاف الانانية فكان موسى من السالكين الى ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان مقامه مع الله المكالمة
وكان محمد من المجذوبين وكان سيره على جناح جبرئيل الى سدرة المنتهى ومنها على رفرف الجذبة الالهية الى قاب قوسين او ادنى فكان
مكانه المشاهدة فمن العناية ان لا يكل الله السائر الى ما يوافق طبعه وهواه كما قال ويريد الله ان يحق الحق بكلماته اي بجذباته ويقطع دابر الكافرين النفوس
الامارة بالسوء اذ تستغيثون ربكم يعني استغاثة الروح والقلب من النفس عند استيلاء صفاتها بالف من الملئكة هم الصفات الملكية والروحانية الالتي لكم
بتبديل الاخلاق وما النصر باهلاك النفس وصفاتها الا بتجلي صفة القهارية ان الله عزيز لا يصل اليه الا بعد فناء الوجود حكيم في كل ما يفعل بمن يفعل والله اعلم

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ

چون فراگرفت شمارا پینکی ایمنی از قبل او و میفرستاد بر شما از آسمان آب را تا پاک کند شمارا بآن و ببرد از شما پلیدی شیطان را و تا ببندد بر دلهای شما

وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا

و پایدار کند بآن قدمهارا چون وحی میفرستاد پروردگار تو بسوی فرشتگان که من با شمایم پس ثابت بدارید آنهارا که گرویده اند زود باشد که بیفکنم در دلهای آنان که کافر شده اند

الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

ترس را پس بزنید بالای گردنها و بزنید از ایشان هر دست و پائی را این بجهت آنست که ایشان خصومت کردند خدارا و رسول او را و هر که نزاع کند خدارا و رسول او را



فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ

بدرستی که خدا سخت عقوبت است این است پس بچشید آنرا و بدرستی مر کافرانراست عذاب آتش ای زمره آنهائی که گرویده اید چون دیدید آنهارا که

كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ

کافر شدند پاینده پس مگردانید باینان پشتهارا و هر که بگرداند در آنروز پشت خود را مگر گردیده از بهر کارزار یا جای گزیده بسوی طائفه پس بدرستیکه

بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ

بازگشته بخشم از خدا و منزلش دوزخ است و بد جایگاهیست پس کارزار نکردید بآنها ولکن کارزار کرد خدا و نیفکندی وقتی که افکندی

وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ إِنْ

ولکن خدا افکند و تا بیازماید مومنانرا از او بیازمایش نیکو بدرستی که خدا شنونده داناست این است و خدا ضعیف کننده کید کافرانست اگر

تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

طلب گشایش کنید پس بتحقیق آمد شمارا گشایش و اگر باز ایستید پس آن بهتر است شمارا و اگر باز گردید باز گردیم و هرگز بی نیاز نکند شمارا طائفه شما چیزی اگرچه زیاد باشد و بدرستیکه خدا با گروندگانست

القراءات يغشاكم النعاس ابن كثير وابو عمرو ويغشيكم النعاس من باب الافعال ابو جعفر ونافع الباقون يغشيكم النعاس من التفعيل وينزل من
الانزال ابن كثير وسهل ويعقوب وابو عمرو الاخرون بالتشديد ردفا لاما له حمزة وعلي وخلف ويحيى موهن من الافعال كيد بالنصب ابن
عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وسهل ورويس موهن من الافعال كيد بالجر للاضافة حفص الباقون موهن بالتشديد كيد بالنصب
وان الله بالفتح ابن عامر وابو جعفر ونافع وحفص والمفضل الباقون بالكسر الوقوف الاقدام لتعلق اذ بمحذوف هو اذكر الذين امنوا ط كل بنان ط
ورسوله ج العقاب ه النار ه الادبار ج جهنم ط المصير ه قتلهم ص لعطف المتفقتين رمى ج لاحتمال ان يكون الواو مقحمة واللام متعلقا بما قبله واحتمال
ان يكون عاطفة على ولكن الله رمى وعلى محذوف اي لتستبين او ليبلي حسنا ط عليم ه الكافرين ه الفتح ج للفصل بين الجملتين المتضادتين مع العطف خير
لكم ج لذلك نعد ج كثرت ط لمن قرأ وان بالكسر المؤمنين ه التفسير قال في الكشاف اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في عند الله
من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وامنة مفعول لاجله ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من عند الله ولما كان غشيان النعاس و
كذا اغشاؤه وتغشيته متضمنا معنى نعستم كان فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا كما هو شرط انتصاب المفعول له والمعنى اذ تنعسون لامنكم او
يغشيكم النعاس فتنعسون امنا وجوز على قراءة الاغشاء والتغشية ان يكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا امنة وجوز ان ينتصب
الامنة على انها للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنة على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على
الحقيقة او على ان المراد انه انامكم في الوقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة
له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل وقد والتخييل مر فوائد هذا النعاس في سورة ال عمران ومن نعم الله تعالى عليهم في تلك الواقعة انزال
المطر عليهم وكان فيه فوائد احدها تحصيل الطهارة والثانية اذهاب رجز الشيطان وقيل هو الجنابة التي اصابتهم لانها من تخييل الشيطان ولا
تكرار لان الاولى عام وهذه خاص وقيل المراد المني لانه شيء مستخبث مستقذر وعلى هذا يكون في الاية دلالة على نجاسة المني لقوله والرجز فاهجر وقيل
المراد وسوسة الشيطان اليهم وتخويفه اياهم من العطش وذلك ان المشركين سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
على غير ماء فناموا فاحتلم اكثرهم فتمثل لهم ابليس في صورة انسان فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى
الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا
من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ اصحاب رسول الله الحياض على عدوة
الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى تثبت عليه الاقدام وكانت هذه ثالثة الفوائد
واشار اليها بقوله ويثبت به اي بالماء الاقدام وقيل الضمير عائد الى الربط الذي يدل عليه قوله وليربط على قلوبكم والمراد من تثبيت الاقدام
الصبر في مواطن القتال وذلك ان من كان قلبه ضعيفا فر فلما ربط الله على قلوبهم اي قواها ثبتت اقدامهم ومعنى على ان القلوب امتلات
من ذلك الربط حتى كانه علاها وارتفع فوقها وقال الواحدي يشبه ان يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما وقع فيها من اليقين روي
ان المطر نزل على الكافرين ايضا ولكن الموضع الذي نزل الكفار فيه كان موضع التراب فعظم الوحل وصار مانعا لهم من المشي والاستقرار فقوله
ويثبت به الاقدام يدل بمفهومه على ان حال الاعداء كان بخلاف ذلك ومن جملة النعم قوله اذ يوحي ربك وهو بدل ثالث من اذ يعدكم او
منصوب بيثبت او باذكر اني معكم الخطاب للملائكة والمراد اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقيل الخطاب للمؤمنين لان المقصود من
هذا الكلام ازالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار وفيه نبوة لقوله فثبتوا الذين امنوا وفي هذا التثبيت وجوه احدها انه
مفسر لقوله سالقي فاضربوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب على قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة
وثانيها ان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما يقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال فالالهام من الملائكة كالوسوسة من الشياطين و

وثالثها ان الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال عرفوهم وكانوا يعدونهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق اعالي الاعناق التي هي المذابح
لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزّا للرأس من الجسد وقيل اراد ضرب الهام لان الرؤس فوق الاعناق والبنان الاصابع سميت بذلك
لان بها صلاح احوال الانسان التي يريد ان يقيمها من ابن بالمكان اي اقام به والمراد بقي الاطراف من اليدين والرجلين ثم اختلفوا فمنهم
من قال المراد ان يضربوهم كما شاؤا لان ما فوق العنق هو الرأس وهو اشرف الاعضاء والبنان عبارة عن اضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس
تنبيها على كل الاعضاء او يوجهوا الضرب اما واقع على مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ومنهم من قال الاول اشارة الى القتل وقطع
البنان عبارة عن اثناء الاتهام فعدوا الجادبين ليعجزوا عن القتال وجوز في الكشاف ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة
ما يثبتونهم به اي قولوا لهم قول سالقي او يكون واردا على الاستيناف كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قول سالقي فالضاربون
على هذا هم المؤمنون ذلك العقاب العاجل من الضرب والقتل وقع عليهم بانهم شاقوا بسبب مشاقتهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان
الذي نزل بهم في ذلك اليوم شيء يسير وقد ريز ري في جنب ما اعد الله لهم ولامثالهم في الاجل فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب اي له والكاف في ذلك للرسول او لكل من له اهلية الخطاب وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع تقديره
ذلكم العذاب المعجل من القتل والاسر او العذاب ذلكم اي الزموه فذوقوه او هو كقولك زيدا فاضربه قال في الكشاف وان للكافرين عطف
على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا ما عجل لكم مع الاجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع
ضمير الخطاب قلت ويجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر اي وان للكافرين عذاب النار حق او بالعكس اي والحكم والشأن ان للكافرين
وفي ذكر الذوق اشارة الى ان عذاب الدنيا شيء قليل بالنسبة الى عذاب الآخرة قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا قال الازهري اصل الزحف ان يزحف الصبي على استه قبل ان يقوم شبه بزحف الصبي مشي الطائفتين تمشي كل فئة مشيا رويدا
الى الفئة الاخرى تتدانى للضراب فانتصابه على الحال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم ويجوز ان يكون حالا من الذين كفروا
والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم
قليل فلا تفروا فضلا عن حالة المداناة والمساواة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين وهم المؤمنون اي اذا ذهبتم اليهم للقتال فلا تنهزموا
ومعنى فلا تولوهم الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم او هو تقدمة نهي عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر
الفا وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه ثم بين ان الانهزام محرم الا في حالتين فقال الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه
منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب او متحيزا الى فئة منحازا الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعلى هذا
انتصب متحرفا ومتحيزا على انه استثناء مفرغ من اعم العام ووجه صحته مع انه ليس في الكلام نفي ظاهرا هو انه في معنى النفي كانه قيل ومن لا يقدم
او لا يعطف عليهم في حال من الاحوال الا في حال التحرف او التحيز ويجوز ان يكون الاستثناء تاما على ان الموصوف محذوف والتقدير ومن
يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لانه من حاز يحوز فعل بيرفاعل بايام ولو كان متفعلا لقيل متحوز عن ابن عمر خرجت
سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم
والعكرة الكرة وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف في غيرها من الصورتين من اكبر الكبائر واحتج القاضي بالآية على القطع بوعيد الفساق من اهل
الصلوة واجيب بانه مشروط بعدم العفو وعن ابي سعيد الخدري والحسن وقتادة والضحاك ان هذا الحكم مختص بيوم بدر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان حاضرا بنفسه ولانه تعالى وعدهم النصرة ولانه كان اول جهاده فناسب التشديد ولهذا منع من اخذ الفداء واكثر المفسرين على انه عام في
جميع الحروب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال اكثر المفسرين ان المؤمنين لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر وكان
القائل يقول قتلت واسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بسلبهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه
هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وربط عليها ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد
جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسئلك ما وعدتني فاتاه جبرئيل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى
الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا فنزلت وما رميت
انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى اثبت الرمية للرسول صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها فوق حد تاثير القوى البشرية
قال حكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض كانه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحصاة فانهزمنا
وعن سعيد بن المسيب عن ابيه قال اقبل ابي بن خلف يوم احد الى النبي صلى الله عليه وسلم يريده فاعترض له رجال من المؤمنين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلوا سبيله
فاستقبله مصعب بن عمير اخو بني عبد الدار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة ابي من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته فسقط ابي
عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من اضلاعه فاتاه اصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما اعجزك انما هو خدش فقال والذي
نفسي بيده لو كان هذا الذي بي باهل ذي المجاز لماتوا اجمعين فمات الى النار قبل ان يقدم مكة فانزل الله في ذلك وما رميت اذ رميت ولكن

اوعن مفصلهم

او النصب والنظم عليكم ذلكم

البشرية

الله رمى وقيل نزلت في خيبر حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوس فرمى منها بسهم فاقبل السهم يهوى حتى قتل كنانة بن ابي الحقيق وهو على فراشه والصحيح الاقوى هو الاول كيلا يدخل في اثناء القصة كلام اجنبي نعم لا يبعد ان يدخل تحته سائر الوقايع لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا وليعطيهم عطاء جميلا فعل ما فعل ما فعله الا لذلك قال القاضي ولولا ان المفسرين اجمعوا على ان معنى البلاء ههنا النعمة والا لكان يحتمل المحنة اي الذي فعله تعالى يوم بدر كان كالسبب في حصول تكاليف شاقة عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لكلامكم عَلِيمٌ بضمائركم وهذا يجري مجرى التحذير والترهيب كيلا يغتر العبد بظواهر الامور ذَٰلِكُمْ الغرض ذلكم وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ اعرابه كما مر في قوله وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ قال ابن عباس ينبئني رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اني قد اوهنت كيد عدوك حتى قتلت جبابرته واسرت اشرافهم قال السدي والكلبي والحسن كان المشركون حين خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر على الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله تعالى خطابا لهم على سبيل التهكم إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وقال عكرمة قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فنزلت وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل هو خطاب للمؤمنين الذين استغاثوا الله وطلبوا النصر ثم خاطب الكفار بقوله وَإِن تَنتَهُوا اي عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ واسلم وَإِن تَعُودُوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وجوز بعضهم ان يكون الخطاب في الجميع للمؤمنين اي ان تكفوا عن المنازعة في امر القتال او عن طلب الفداء فهو خير لكم وان تعودوا الى المنازعات نعد الى ترك نصرتكم ثم ختم الاية بقوله وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وتقديره على قراءة الفتح ولان الله مع المؤمنين كان ذلك التاويل إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ امَنَةً تغليب الحال الى ضده بامر التكوين كما قال للنار كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كذلك قال للخوف كن امنا على محمد واصحابه فكان وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ من سماء الروح ماء الالهام الرباني لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ من درن الصفات النفسانية والحيوانية وَيُذْهِبَ عَنكُمْ وساوس الشيطان وهواجس وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ بالصدق والاخلاص والجد والتوكل واليقين وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ على طريق الطلب أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا فيه ان التثبيت من الله لا من غيره وكان القاء الرعب في قلوبهم وغير ذلك إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا اذا لقيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها فلا تنهزموا فيقعوا عن صراط الطلب لَا تُحَرَّفُوا الا قلبا متحرفا لتهيئة اسباب القتال مع النفس او راجعا الى الاستمداد من الروح وصفاتها او الى ولاية الشيخ والى حضرة الله تعالى مستمدا في قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة فانها تورث المشاهدة فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ نفي القتل عن الصحابة بالكلية واحاله الى نفسه فقال ولكن لم ينف الرمي عن النبي بالكلية حيث قال إِذْ رَمَيْتَ لان الله تعالى كان قد تجلى له بالقدم وكان يده يد الله كما كان حال عيسى لما تجلى له بصفة الاحياء كان يحيي الموتى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ لينجيهم والى متابعته الى ان يبلغوا هذا المقام إِن تَسْتَفْتِحُوا اي تفتحوا ابواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ما سوى الله في طلب التجلي فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ بالتجلي فانه تعالى متجلي في ذاته ازلا وابدا وانما التغير في احوال الخلق فهم عند انغلاق ابواب قلوبهم محرومون وعند انفتاح ابوابها محظوظون وَإِن تَنتَهُوا عن طلب غير الله فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا الى طلب الدنيا وزخارفها نعد الى خذلانكم ونكلكم الى انفسكم ودواعيها وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ لا يقوم شيء من الدنيا والاخرة وما فيهما مقام شيء مما اعد لاهل الله وخاصته يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ

ای زمره کسانی که ایمان آورده اید طاعت کنید خدا و رسول را و بر مگردید از او و شما میشنوید

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ

و مباشید چون کسانی که گفتند شنیدیم و ایشان نشنیده اند بدرستی که بدترین جنبندگان در نزد خدا کران و گنگانند آنانکه درک نکنند و اگر میدانست خدا در ایشان

خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا

خوبی هر آینه میشنوانید ایشان را و اگر میشنوانید هر آینه برگشتندی رو گردانیده ای زمره آنانی که گرویده اید پاسخ دهید مر خدا و مر پیغمبر را وقتی که خواند شما را با آنچه زنده کند شما را و بدانید

أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

بدرستی که خدا واسطه است در میان مرد و دلش و اینکه بسوی او باز گردید و بپرهیزید از بلائی را که نمیرسد آنها را که ستم کردند از شما تنها و بدانید که خدا

شَدِيدُ الْعِقَابِ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ

سخت عقوبت است و یاد کنید خدا را چون بودید شما کم ناتوانان در زمین می ترسیدید که در ربایند شما را مردمان پس جای داد شما را و قوت داد شما را بیاری خود

وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

و روزی کرد شما را از پاکیزها شاید که شما سپاس گذارید ای زمره آنان که گرویده اید خیانت مکنید خدا و رسول را و خیانت مکنید امانتهای خویش را و شما میدانید

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن

و بدانید که جز این نیست که مالهای شما و فرزندان شما از مایش است و بدرستی که خدا در نزد اوست مزدی بزرگ ای زمره آنان که گرویده اید اگر

تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ

بپرهیزید خدا را گردانید از برای شما جدا و در گذراند از شما گناهان شما را و بیامرزد شما را و خدا صاحب زیادتی بزرگ است و چون مکر میکردند به تو

الذين

الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين القراءات ولا تولوا

آنان که کافر شدند تا ثابت کردانند ترا یا بکشند ترا یا بیرون کنند ترا و مکر میکنند ایشان و مکر کند خدا و خدا بهترین مکر کنندگانست بالادغام تسمعون

للاية والعطف لا يسمعون لا يعقلون لا سمعهم ط معرضون ط لما يحييكم ج لعطف المتفقين مع اعتراض الظرف تحشرون خاصة لما فر العقاب تشكرون تعلمون

فتنة لا للعطف عظيم ويغفر لكم ط العظيم او يخرجوك ط ويمكر الله ط الماكرين التفسير انه سبحانه بعد ان ذكر نحوا من قصة بدر والغنائم ادب المؤمنين احسن تاديب فامرهم بطاعته وطاعة رسوله في قسمة الغنائم وغيرها ثم قال ولا تولوا عنه فوحد الضمير لان التولي انما يصح في حق الرسول بان يعرضوا عنه وعن قبول قوله وعن معونته في الجهاد او لان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وكقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي لا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعون لم يبين انهم ماذا يسمعون لانه يعلم من مساق الكلام في السورة ان المراد وانتم تسمعون دعاءه الى الجهاد او المراد انتم تسمعوا الامر المذكور او وانتم تصدقون بدليل قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فلا يصح دعوى السماع منهم وتحقيق ذلك ان الانسان لا يمكنه ان يقبل التكليف ويلتزمه الا بعد ان يسمعه فجعل السماع كناية عن القبول ثم اكد التكاليف المذكورة بقوله ان شر الدواب اي ان شر من يدب على الارض وان شر البهائم والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة الا انه ذكر في معرض الذم كقولك لمن لا يفهم الكلام هو شيء وجسد والثاني مذكور في معرض التشبيه بالبهائم بل جعلهم شرها لجعلهم وعدولهم عن الانتفاع بالحواس كقوله بل هم اضل ومعنى عند الله اي في حكمه وقضائه ثم قال ولو علم الله فيهم اي في هؤلاء الصم البكم خيرا لاسمعهم عن ابن جريج المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب وقيل بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن بكم عمي عما جاء به محمد صلعم لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وروي انهم سئلوا النبي ان يحيي لهم قصي بن كلاب وغيره من امواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا وهو انتفاعهم بقول هؤلاء الاموات لاحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه يقول تعالى علم منهم انهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد والتعنت وانهم لو اسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولا عرضوا عنه على عادتهم المستمرة واعلم ان معلومات الله تعالى على اربعة اقسام جملة الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا فكيف يكون حاله والاولان علم بالواقع والاخران الباقيان علم بالمقدر ومن هذا القبيل قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ فعبر عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده واورد على الاية انها على صورة قياس شرطي فاذا حذفنا الحد الاوسط بقي النتيجة لو علم الله فيهم خيرا لتولوا ولكن كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فيكون التولي منتفيا لا لاجل انتفاء علم الله الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير فيهم لكن انتفاء التولي خير من الخيرات فاول الكلام يقتضي نفي الخير عنهم واخره يقتضي حصول الخير فيهم وهذا تناقض والجواب المنع من ان الحد الاوسط مكرر لان المراد بالاسماع الاول اسماع التفهم والزام القبول والمراد بالاسماع الثاني صورة الاسماع فحسب وايضا كلمة لو في المقدمة الثانية هي التي تجيء للمبالغة بمعنى ان كقولهم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فاذن لا تعلق لاحدى الجملتين بالاخرى فلا قياس واستدلت الاشاعرة بالاية على ان صدور الايمان عن الكافر محال لان الصادق قد اخبر انهم على تقدير الاسماع معرضون وخلاف علمه وخبره محال وقال في الكشاف لو علم الله فيهم خيرا اي انتفاعا باللطف للطف بهم حتى يسمعوا المصدقين ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وتزييف هذا التفسير سهل ثم علم المؤمنين ادبا اخر فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم فوحد الضمير كما مر والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض عن ابي هريرة ان النبي صلعم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وقد يتمسك الفقهاء بهذا الخبر على ان ظاهر الامر للوجوب والا فلم توجه اللوم ثم قيل ان هذا مما اختص به رسول الله صلعم وقيل ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلوته ثم الاصل لا يمكن ان يحمل على نفس الحيوة لان احياء الحي محال فذكروا فيه وجوها قال السدي هو الاسلام والايمان لان الايمان حيوة القلب والكفر موته بدليل قوله يخرج الحي من الميت اي المؤمن من الكافر وقال قتادة يعني القرآن لان فيه العلم الذي به الحيوة الحقيقية والاكثرون على انه الجهاد لان وهن احد العدوين سبب حيوة الاخر ولان الجهاد سبب حصول الشهادة التي توجب الحيوة الدائمة لقوله بل احياء عند ربهم وقيل انه عام في كل حق وصواب فيدخل فيه القرآن والايمان والجهاد وكل اعمال البر والطاعة والمراد لما يحييكم الحيوة الطيبة كما قال فلنحيينه حيوة طيبة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اختلف الناس فيه بحسب اختلافهم في مسئلة الجبر والقدر فنقل الواحدي عن ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المطيع ومعصيته فالسعيد من اسعده الله والشقي من اضله الله والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ويخلق فيها القصود والدواعي والعقايد حسب ما يريد وتقريره لك من حيث العقل وجوب انتهاء جميع الاسباب اليه ثم ختم الاية بقوله وانه اليه تحشرون ليعلم انهم مع كونهم مجبورين خلقوا مثابين معاقبين اما للجنة واما للنار لا يتركون مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله

البزي وابن فليح الوقوف م

سماع م



بينه وبين الايمان فهو عاجز وامر العاجز سفه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وانه تعالى امر بالاستجابة لله وللرسول فلو لم يكن الاجابة ممكنة فكيف
يأمر بها ولو كان الامر بغير المقدور جائزا لكان القرآن حجة للكفار على الرسول لا له عليهم فاذن لا يمكن حمل الآية على ما قاله اهل الجبر فتأويلها
ان الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت يدل عليه قوله وانه اي وان الشان او وان الله اليه تحشرون والمقصود الحث على الطاعة
قبل نزول سلطان الموت او انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه تسمية للشيء باسم محله فكانه قيل بادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا
على طول البقاء فان الاجل يحول دون الامل اذ المراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون في قلوبكم من الضعف و
الجبن فان الله مقلب القلوب من حالة العجز والجبن الى القوة والشجاعة وقد يبدل بالامن خوفا وبالخوف امنا وبالذكر نسيانا وبالنسيان
ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل و
المعنى بادروا الى الاعمال وانتم تعقلون ولا تأمنوا زوال العقول التي عند ارتفاعها يبطل التكليف فلا يقدر على الكفر والايمان وعن الحسن
ان الغرض التنبيه على انه تعالى مطلع على بواطن العبد وضمائره وان قربه من عبده اشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة قيل هو العذاب وقيل افتراق الكلمة وقيل اقرار المنكر بين اظهرهم وقوله لا تصيبن اما ان
يكون جوابا للامر وجاز دخول النون المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لان فيه معنى النهي كقولك انزل عن الدابة لا تطرحك وان شئت
لا تطرحنك وعلى هذا من في منكم للتبعيض وقيل الجواب محذوف والمعنى ان اصابتكم لا تصيب بعضكم وهم الظالمون حال كونهم خاصة
ولكنها تعم الظالمين وغيرهم لانه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم المالكية او لاشتمال ذلك على نوع من الصلاح واما ان يكون نهيا بعد امر ومن للبيان
كانه قيل احذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تصيبنكم تلك العقوبة خاصة على ظلمكم كان الفتنة نهيت عن ذلك الاختصاص على طريق الاستعارة
وهكذا ان جعلت الجملة الناهية صفة للفتنة على ارادة القول اي واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط
عن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها
وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل روي ان الزبير كان يساير النبي ص يوما اذ اقبل علي فضحك اليه الزبير فقال رسول الله ص
كيف حبك لعلي ع فقال يا رسول الله ص بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله ثم ختم الآية بقوله
واعلموا ان الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ انتم وانتصابه على انه مفعول به
اي وقت انتم قليل يستوي فيه الواحد والجمع مستضعفون في الارض ارض مكة قبل الهجرة تخافون ان يتخطفكم الناس يستلبونكم لكونهم اعداء
لكم فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون
اي نقلكم من الشدة الى الرخاء ومن البلاء الى النعماء والآلاء حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم ان تشتغلوا بالمنازعة في الانفال
ثم منعهم من الخيانة في الامانة يروى ان رسول الله ص حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير
على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله ص الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة
مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه
ان حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فشد نفسه على سارية من
سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له
قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر
دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال ص يجزيك الثلث ان تتصدق به وقال السدي كانوا يسمعون من النبي ص شيئا فيفشونه
ويلقونه الى المشركين فنهاهم الله عن ذلك وقال ابن زيد نهاهم الله ان يخونوا كما صنع المنافقون يظهرون الايمان ويسرون الكفر وعن
جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فعلم النبي ص خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا
حذركم فنزلت وقال الزهري والكلبي نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة خروج النبي ص اليها حكاه الاصم قال القاضي والاقرب
انها في الغنائم فالخيانة فيها خيانة الله لانها عطيته وخيانة الرسول لانه القيم بقسمتها وخيانة للمؤمنين الغانمين فلكل منهم فيها حق قال و
يحتمل ان يراد بالامانة كل ما تعبد به وكان معنى الآية ايجاب اداء التكاليف باسرها في الغنيمة وغيرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص
واخلال ومعنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام فاذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب
وخان المشتار السبب والكرب حبل قصير يوصل بالرشاء ويكون على العراقي سمي كربا لانه يكرب من الدلو اي يقرب منه واشتار العسل
اذا اجتناه وجمعه وتخونوا يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق ومعنى الآية على الوجه العام لا
تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به وامانتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله او تعلمون
انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عمدا لا سهوا وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن ثم لما كان الداعي الى الخيانة هو



الاموال والاولاد ولعل ما فرط من ابى لبابة كان بسبب المال نبه الله سبحانه على انه يجب على العاقل ان يحترز عن المضار المتولدة من ذلك الحب فقال إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ اى انها سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم والعذاب او هى محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون على حدوده فى ذلك الباب وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ فعليكم ان تزهدوا فى الدنيا وما يتعلق بها وتنوطوا هممكم بما يفضى الى السعادات الروحانية الباقية ويمكن ان يتمسك بالآية فى بيان ان الاشتغال بالنوافل لكونه مفضيا الى الاجر العظيم عند الله وهو افضل من الاشتغال بالنكاح لادائه الى الفتنة ثم رغب فى التقوى التى توجب الاعراض عن محبة الاموال والاولاد عن النهالك فى شأنهم فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ فى ارتكاب الكبائر والاصرار على الصغائر يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا فارقا بينكم وبين الكفار فى الاحوال الباطنة بالاختصاص بالمعرفة والهداية وانشراح الصدر وازالة الغل والحسد والمكر وسائر الاخلاق الذميمة والاوصاف السبعية والبهيمية وفى الاحوال الظاهرة باعلاء الكلمة والاظهار على اهل الاديان كلهم وفى احوال الآخرة بالثواب الجزيل والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ يستر عليكم فى الدنيا صغائر كم ان فرطت منكم وَيَغْفِرْ لَكُمْ فى دار الجزاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فاذا وعد بشئ وفى به احسن الايفاء ومن عظيم فضله انه يتفضل به من غير واسطة وبدون التماس عوض وكل متفضل سواه فانه لا يتفضل الا بعد ان يخلق الله فيه داعية التفضل وبعد ان يمكن المتفضل عليه من الانتفاع بذلك وبعد ان يكون قد تصور فيه ثوابا او ثناء او حمله على ذلك رقة طبع او عصبية او لا فلا فضل فى الحقيقة الا لله سبحانه فلهذا وصفه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ذكر رسوله نعمته عليه وذلك دفع كيد المشركين عنه حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم وفيما اتاح له من حسن العاقبة والمعنى واذكر وقت مكرهم فان ابن عباس ومجاهدا وقتادة وغيرهم من المفسرين ان قريشا اجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقالوا هذا من نجد لا بأس عليكم به فقال ابو البخترى من بنى عبد الدار رأيى ان تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتشدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رأيا فتفرقوا على رأى ابى جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله وامره ان لا يبيت فى مضجعه واذن الله فى الهجرة فامر عليا فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ومعنى ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك وليسجنوك لانه لا يقدر على الحركة وهو اشارة الى رأى البخترى وقوله او يقتلوك اشارة الى رأى ابى جهل وقوله او يخرجوك اى من مكة اشارة الى رأى هشام وانكر القاضى حديث ابليس فى القصة وتصويره نفسه بصورة الانس قال لان ذلك التغير ان كان من فعل ابليس فذلك لا يليق بحكمة الله تعالى لان اقدار ابليس على تغيير صورة نفسه اعانة له على الاغواء والتلبيس هذا ما حكى عن القاضى ويتفرع عليه ان هذا الاعتراض وارد على خلق ابليس نفسه وعلى خلق سائر اسباب الشرور والآثام وقد اجبنا عن امثال ذلك مرارا فقد عرفت تفسير المكر فى سورة آل عمران والحاصل انهم احتالوا فى ابطال امر محمد والله نصره وقواه فضاع فعلهم وظهر صنع الله فيكون الاخير فى مكرهم فكيف قال والله خير الماكرين واجيب بان المراد انه اقوى الماكرين او المراد انه لو قدر فى مكرهم خير لكان الخير فى مكره اكثر او المراد انه فى نفسه خير لنا دبل ان شر من دب فى الوجود هم الصم عن استماع كلام الحق بسمع القلب والقبول البكم عن كلام الحق والكلام مع الحق والاصم لا بد ان يكون ابكم فلذلك خصهما بالذكر الذين لا يعقلون انهم لماذا خلقوا فلا جرم يؤول حالهم من ان يكونوا خير البرية الى ان يكونوا شر الدواب استجيبوا الله انه تعالى يطلب المحبة من العبد الاجابة كما يطلب العبد المحتاج منه الاجابة فالاستجابة لله اجابة الارواح للشهود واجابة القلوب للشواهد واجابة الاسرار للمشاهدة واجابة الخفى للفناء فى الله والاستجابة للرسول بالمتابعة لما يحييكم بالفناء عنكم والبقاء به واتقوا ايها الواصلون فتنة ابتلاء النفوس بحظوظها الدنيوية والاخروية لا تصيبن النفوس الظلمة فقط بل تصيبن ظلمتها الارواح النورانية والقلوب الربانية فتجذبها من حظائر القدس ورياض الانس الى حضائض صفات الانس واعلموا ان الله شديد العقاب يعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ما سواه واذكروا اذ انتم ايها الارواح والقلوب قليل لم يشايعه لكما الصفات والاخلاق الروحانية مستضعفون من غلبات صفات النفس لاعواز التربية بالبان آداب الطريقة ولانعدام جريان احكام الشريعة عليهم الى اوان البلوغ تخافون اى تخافون ان تسلبكم النفوس وصفاتها والشيطان واعوانه فآواكم الى حظائر القدس وايدكم بالواردات الربانية ورزقكم من المواهب الطاهرة من لوث الحدوث يا ايها الذين آمنوا يعنى الارواح والقلوب المنورة بنور الايمان المستسعدة بسعادات العرفان لا تخونوا الله فيما آتيكم من المواهب فتجعلوها شبكة لاصطياد الدنيا ولا تخونوا الى الرسول بترك السنة والقيام بالبدعة وتخونوا اماناتكم التى هى محبة الله وخيانتها بتبديلها بمحبة المخلوقات وانتم تعلمون انكم تبيعون الدين بالدنيا والمولى

ذكروا م

بفعل الله فهو اعانة للكفار على المكر ولذا كان مم

بالاولى فتنة يخبركم الله بها للتمييز الموافق والتصديق من الزنديق يا ايها الذين آمنوا بهذه المقامات والكرامات ان تتقوا الله من غير الله يجعل لكم فرقانا يفيض عليكم من سبحات جماله وجلال القدم ما تفرقون به بين الحدوث والقدم ويكفر عنكم سيئات وجودكم الفاني ويغفر لكم بستركم بانوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم وهو البقاء بالله بعد الفناء فيه اذ يمكر بك ايها الروح في اسفل سافلين الطبيعة او بعد موتك بانعدام آثارك او يخرجوك من عالم الارواح والله خير الماكرين بمن يصلح حال الصلاح البتة

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ

و چون خوانده شود بر ایشان آیات ما گویند که شنیدیم ما اگر خواهیم هر آینه بگوئیم مانند این نیست این مگر افسانهای پیشینیان و چون گفتند خداوندا

إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ

اگر هست این آن حق از نزد تو پس ببار بر ما سنگ از آسمان یا بیار بر ما عذاب دردناک و نباشد خدا که عذاب کند ایشانرا

وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

و حال آنکه تو در میان ایشانی و نباشد خدا عذاب کننده ایشان و ایشان استغفار کنند و چیست ایشانرا که عذاب نکند خدا ایشانرا و ایشان باز میدارند از مسجد الحرام

وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً

و نباشند دوستان او نیست دوستان او مگر پرهیزگاران ولیکن بیشتر ایشان نمیدانند و نباشد نماز ایشان در نزد خانه مگر صفیر زدن و دست بر هم زدن

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا

پس بچشید عذاب را بآنچه بودید که کافر میشدید بدرستیکه آنانکه کافر شدند خرج میکنند مالهای خود را که باز دارند از راه خدا پس خرج خواهند کرد آنرا

ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

پس باشد بر ایشان پریشانی پس مغلوب شوند و آنانکه کافر شدند بسوی جهنم گرد آورده شوند تا جدا کند خدا پلید را از پاک

وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

و گرداند پلید را بعضی از آن بر بعضی پس درهم پیچد همه را پس بگرداند آنرا در جهنم آن گروه ایشانند زیانکاران بگو مر آنانرا که کافر شدند

ع ١٩

إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ

اگر دست کشند بخشیده شود ایشانرا آنچه گذشته و اگر بازگردند پس بتحقیق گذشت طریقه پیشینیان و کارزار کنید با ایشان تا نباشد

فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ

فساد و باشد دین همه آن برای خدا پس اگر باز ایستادند پس بدرستیکه خدا بآنچه میکنند بیناست و اگر روگردانیدند پس بدانید که خدا یار شماست خوب یاریست و خوب



النَّصِيرُ القراءة بما تعملون بصير بتاء الخطاب يعقوب لو نشاء مثل هذا الا ان الابتداء بان هذا الا اساطير الاولين تبيع الاولين اليم وانت فيهم يستغفرون وما كانوا اولياءه ط لا يعلمون وتصدية تكفرون عن سبيل الله يغلبون لان ما بعده مبتدا يحشرون لتعلق اللام في جهنم ط الخاسرون سلف لابتداء الشرط مع العطف الاولين كله لله بصير موليكم ط النصير ج التفسير لما حكى مكرهم في ذات محمد صلى الله عليه وآله حكى مكرهم في دينه روي ان النضر بن الحرث خرج الى الحيرة تاجرا واشترى احاديث كليلة ودمنة وقصة رستم واسفنديار وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين فيقرأ عليهم ويقول هذا مثل ما يذكره محمد من قصص الاولين ولو شئت لقلت مثل قوله وهذا منه ومن امثاله صلف تحت الراعدة لانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة ويروى عن النضر وعن ابي جهل على ما في الصحيحين ان احدهما قال ما معناه اللهم ان كان هذا هو الحق الآية وهذا اسلوب من العناد بليغ لان قوله هو الحق وبالفصل وتعريف الخبر تهكم لمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق ومعنى حجارة من السماء الحجارة المسومة للعذاب اي ان كان القرآن هو المخصوص بالحقية فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بنوع آخر من جنس العذاب الاليم ومراده نفي كونه حقا فلذلك علق بحقيته العذاب كما لو علق بامر محال نحو كقول القائل ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وعن معوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلعم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له ثم شرع في الجواب عن شبهتهم فقال وما كان الله ليعذبهم اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم بعذاب الاستيصال والنبي بين اظهرهم غير مستقيم عادة تعظيما لشان النبي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال قتادة والسدي المراد نفي الاستغفار عنهم اي لو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وقيل اللفظ عام الا ان المراد بعضهم وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلعم من المستضعفين المؤمنين نحو كقولك قتل اهل البلد وانما قتله واحد منهم او اثنان وقيل وصفوا بصفة اولادهم والمعنى وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفي علم الله ان لهم اولادا يؤمنون بالله ويستغفرونه وفي علم الله ان فيهم من يؤل امره الى الايمان كحكيم بن حزام والحرث بن هشام وعدد كثير ممن آمن يوم الفتح وقبله وبعده وفي الآية دلالة على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب قال ابن عباس كان فيهم امانان نبي الله

والاستغفار اما النبي فقد مضى واما الاستغفار فهو باق الى يوم القيمة ثم بين انه يعذبهم اذا خرج الرسول من بينهم فقال وما لهم الا يعذبهم الله وأي
شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة فيلحقهم هذا العذاب الموعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة بدليل
قوله وهم يصدون اي كيف يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية والاولون قالوا ان اخراجهم
رسول الله صلعم والمؤمنين من الصد وعن ابن عباس هذا العذاب عذاب الآخرة والذي نفاه عنهم هو عذاب الدنيا وكانوا يقولون نحن ولاة البيت
والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فنفى الله استحقاقهم الولاية بقوله وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فضلا
عن مشرك ولكن اكثرهم لا يعلمون كان فيهم من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر بعض اسباب
سلب الولاية عنهم فقال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء فعال كالثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق
تفعلة من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل فيكون في الاصل معتل اللام او من صد يصد مضاعفا اي صاح فقلبت الدال الاخيرة
ياء كالتقضي في التقضض وانكر هذا الاشتقاق بعضهم وصوبه الازهري وابو عبيدة قال جعفر بن ربيعة سألت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن
المكاء والتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقيل هو ان يجعل بعض اصابع اليمين وبعض اصابع الشمال في الفم ثم يصفر به وقيل التصويت تشبه صوت
المكاء بالتشديد وهو طائر معروف عن ابن عمر كانوا يطوفون بالبيت عراة فهم مشبكون بين اصابعهم فيها يصفرون ويصفقون فالمكاء والتصدية
على هذا نوع عبادة لهم فلهذا وضعا موضع الصلوة بناء على معتقدهم وفيه ان من كان المكاء والتصدية صلوته فلا صلوة له كقول العرب
ما لفلان عيب الا السخاء اي من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال مجاهد ومقاتل كانوا يعارضون النبي صلعم في الطواف والصلوة عند
المسجد الحرام يستهزؤن به ويخلطون عليه فجعل المكاء والتصدية صلوة لهم كقولك زرت الامير فجعل جفائي صلتي اي اقام الجفاء
مقام الصلة ثم خاطبهم على سبيل المجازاة بقوله فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر او عذاب الآخرة بما كنتم تكفرون بسبب
كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة ولما شرح احوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية اتبعها شرح احوالهم في الطاعات المالية
فقال ان الذين كفروا ينفقون اموالهم الآية قال مقاتل والكلبي نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا حجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن
اسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب كلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير وابن
ابزى نزلت في ابي سفيان بن حرب استأجر يوم احد الفين من الاحابيش والاحبوش جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وانفق عليهم
اربعين اوقية اثنان واربعون مثقالا كذا في الكشاف وقال محمد بن اسحق عن رجاله لما اصيبت قريش يوم بدر فرجع فلهم الى مكة و
رجع ابو سفيان بعيره مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وسفيان بن امية في رجال من قريش اصيب منهم اباؤهم وابناؤهم
واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان بن امية في رجال من قريش اصيب اباؤهم وابناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كان
له في تلك العير تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي افلت على حربه لعلنا ان ندرك
منه ثارنا بمن اصيب منا فانزل الله تعالى الآية ومعنى ليصدوا عن سبيل الله ان غرضهم في الانفاق كان هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله
وان لم يكن عندهم كذلك ثم اخبر عن الغيب على وجه الاعجاز فقال فسينفقونها اي سيقع منهم هذا الانفاق ثم تكون عاقبة انفاقها ندما
وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك كقوله كتب الله لاغلبن
انا ورسلي ومعنى ثم في الجملتين اما التراخي في الزمان لما بين الانفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من الامتداد واما التراخي في
الرتبة لما بين بذل المال وعدم حصول المقصود من المباينة ثم قال والذين كفروا اي الكافرون منهم ولم يقل ثم يغلبون والى جهنم يحشرون
لان منهم من اسلم وحسن اسلامه فذكر ان الذين بقوا على الكفر لا يكون حشرهم الا الى جهنم دون من اسلم منهم ثم بين الغاية والغرض
فيما يفعل بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم فقال ليميز الله الخبيث اي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب وهم المؤمنون ويجعل
الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم وفرط الازدحام يقال ركم الشيء يركمه اذا جمعه والقى بعضه على بعض
اولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال اي ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة
رسول الله صلعم والمؤمنين من المال الطيب الذي انفقه المهاجرون والانصار في نصرته فيركمه فيضم تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض
فيلقيه في جهنم ويعذبهم بها كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم على هذا فاللام في قوله ليميز الله يتعلق بقوله ثم تكون عليهم حسرة قاله
في الكشاف ولا يبعد عندي ان يتعلق بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا ولما بين ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية
ارشدهم الى الطريق المستقيم وما يتبعه من الصلاح فقال قل للذين كفروا اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة
الرسول وقتاله بالدخول في السلم والاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي ولو كان المراد خطابهم بهذا القول لقيل ان تنتهوا
يغفر لكم وقد قرأ بذلك ابن مسعود وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او سنة الذين تحزبوا

ان اولياؤه

على انبيائهم من الامم فاهلكوا او غلبوا كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي واستدل كثير من العلماء منهم اصحاب ابي حنيفة بالاية على ان الكفار ليسوا
مخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفر باطل بالاجماع وبعد زواله لا يؤمر بقضاء العبادات الفائتة بل ذهب ابو حنيفة الى ان المرتد
اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالعود الى الردة واختلفوا في ان الزنديق تقبل توبته ام لا
والصحيح انها مقبولة لشمول الاية جميع الكفار لقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر ولانه مكلف بالرجوع ولا طريق له الا التوبة فلو لم تقبل لزم تكليف
ما لا يطاق ثم امر بقتالهم ان اصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الاية وقد مر تفسيره في سورة البقرة الا انه زاد هاهنا لفظة كله في قوله ويكون الدين
كله لله لان القتال هاهنا مع جميع الكفار وهنالك كان مع اهل مكة فحسب فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير فيثيبهم على توبتهم
واسلامهم ومن قرأ بتاء الخطاب اراد فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم
ينتهوا فاعلموا ان الله موليكم ناصركم ومتولي اموركم يحفظكم ويدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير فثقوا بولايته ونصرته التاويل
قالوا قد سمعنا وما سمعوا في الحقيقة والا لم يقولوا لو نشاء لقلنا فان كلام المخلوق لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف استخرج الله منهم
عقيب دعويهم لقلنا مثل هذا قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر ليعلم ان من هذا حاله كيف يكون مثل القران مقاله ولو
كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا له ومتعنا بروحه وانواره واسراره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لانه رحمة للعالمين والرحمة
تنافي العذاب ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم يعني اكثر المتقين لا يعلمون انهم اولياؤه لان الولي قد لا يعرف انه ولي ان الذين
كفروا ينفقون كذلك داب كفار النفوس ينفقون اموال الاستعداد الفطري في غير طلب الله وانما تصرفها في استيفاء اللذات والشهوات
فستندم حين لا ينفع الندم ثم يغلبون لا يظفرون بمشتهيات النفس عاجلها وآجلها والذين كفروا من الارواح والقلوب التابعة للنفوس
الى جهنم البعد والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطيبة التي لا تركن الى الدنيا ولا تنخدع بانخداع النفوس
فيركمه جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفوس الخبيثة فيلقي الجميع في جهنم القطيعة قل للذين كفروا من الارواح والقلوب اي استتروا
النور الروحاني بظلمات صفات النفس ان ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم ما سلف تلك الظلمات بنور الفرقان والرشاد وقاتلوا كفار النفوس
حتى لا يكون افة مانعة عن الوصول ويكون الدين كله لله ببذل الوجود وفقد الموجود لنيل الوجود وكرامة الشهود والله تعالى اعلم

ع واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان
و بدانید که بدرستی که هر چه غنیمت گرفتید از چیزی پس بدرستی که مر خدا راست پنج یک آن و از برای پیغمبر و از برای صاحبان خویشی و یتیمان و درویشان و راه گذریان اگر هستید
كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير اذ انتم بالعدوة الدنيا
گرویده اید بخدا و آنچه فرستادیم بر بنده خود در روز جدائی روزی که بهم رسیدند دو طائفه و خدا بر همه چیزی تواناست وقتی که شما بکناره نزدیکتر
وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا
و ایشان بکناره دورتر بودند و کاروان زیرتر از شما و اگر وعده کردید هر آینه اختلاف کردید در وعده و لیکن تا بگذارد خدا فرمانی را که شدنی بود
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا
تا گمراه شود آنکه گمراه شود از حجت و زنده ماند آنکه زنده شود از حجت و بدرستی که خدا هر آینه شنونده داناست چون نمود ایشان را خدا بتو در خواب تو کم
ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم
و اگر نمودی ایشان را بسیار هر آینه بد دل شدید و خلاف کردید در کار و لیکن خدا سلامت داد بدرستی که او داناست بآنچه در سینه هاست و چون نمود ایشان را
ع اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا ايها الذين
چون بیکدیگر رسیدید در نظر شما کم و کم نمود شما را در نظرهای ایشان تا بگذارد خدا کاری را که کرده شده و بسوی خدا گردد کارها ای گروه آنانی که
آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
گرویده اید چون دیدید گروهی را پس ثابت باشید و یاد کنید خدا را بسیار شاید که رستگار شوید و فرمان برید خدا و پیغمبر او را و خصومت مکنید
فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء
پس بد دل شوید و برود صولت شما و صبر کنید بدرستی که خدا با صبر کنندگانست و مباشید چون کسانی که بیرون رفتند از منزلهای شان بنخوت و نمودن
الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب
مردم و باز دارند از راه خدا و خدا بآنچه میکنند احاطه کرده و چون آراسته ساخت شیطان کردارهای شان را و گفت که غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا
بر شما امروز از مردمان و من یاورم از برای شما پس چون برابر شدند دو گروه برگشت بر پاشنه خود و گفت من بیزارم از شما که من میبینم آنچه
ع ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن
که شما نمیبینید بدرستی که من میترسم خدا را و خدا سخت عقوبت است چون میگفتند منافقان و آنان که در دلهاشان ناخوشی بود فریب داد اینها را دین اینها



يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَإِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ القراءة بالعدوة بالكسر في الحرفين ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حي بياءين ابو جعفر و
متوكل كرد بر خدا پس هر آئينه خدا غالب داورست نافع وخلف وسهل ويعقوب والبزي ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام
البزي وابن فليح وتذهب بالجزم للجزاء عن هبيرة واذ زين وبابه مدغما ابو عمرو وعلي وحمزة في رواية خلاد وابن سعدان وابي عمر وهشام اني ارى
اني اخاف بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ترائت الفئتان بالامالة نصير الوقوف وابن السبيل ط لتعلق حرف الشرط بمحذوف يدل
عليه ما قبلها تقديره واعلموا واعتقدوا وهذه الاقسام ان كنتم الجمعان ط قدير اسفل منكم ط في الميعاد لا لعطف لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حي عن
بينة ط عليهم لا لتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور مفعولا ط الامور تفلحون للآية وللعطف واصبروا ط الصابرين ج لمد ذكر عن سبيل الله ط محيط جار
لكم ط اخاف الله ط العقاب دينهم ط حكيم التفسير لما امر سبحانه بالقتال في قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة اعاد حكم الغنيمة ببيان
اوفى واشفى فقال وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ الذي فزتم به من اموال الكفرة قهرا وقوله من شيء بيان ما اي من كل ما يقع عليه اسم الشيء حتى المخيط و
الخياط وقوله فان لله بالفتح مبتدأ محذوف الخبر وروي الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر قال في الكشاف والمشهور اكد واثبت للايجاب كانه
قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم كان
اقوى لايجابه من النص على واحد عن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام
للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة واعلم ان الآية تقتضي اخذ الخمس من الغنائم واختلفوا في كيفية قسمة ذلك الخمس على اقوال اشهرها
ان ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون للغانمين بالاتفاق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد
واما الخمسة الباقية فواحد منها كان لرسول الله يصرف الآن الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر
والمساجد وارزاق القضاة والائمة الاهم فالاهم وواحد لذوي القربى يعني اقارب رسول الله من اولاد هاشم والمطلب من عبد مناف
دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف ايضا لما روي عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم كان عثمان من بني عبد شمس وجبير من بني
نوفل انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم
وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين
اصابعه يستوي في هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا ان الذكر مثل حظ الانثيين وثلاثة اخماس الخمس الباقيات لليتامى والمساكين وابن السبيل
هذا عند الامامين ابي حنيفة والشافعي الا ان ابا حنيفة قال ان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون
لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء فعلى مذهب الامامين معنى قوله سبحانه فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ فان لرسول الله خمسه كقوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وعن ابي العالية ايجاب سهم آخر لله وانه يقسم الخمس على ستة اسهم الذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل
ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الخمس فيضرب بيده فيأخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلاثة وهم
اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع ابا هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى
فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة شيئا وروي
عن زيد بن علي انه قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة لما روي عن علي عليه السلام انه قيل له ان الله
تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر من بعده وعند مالك ابن انس الامر في الخمس
مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان راى اعطى بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم
فذلك نعلم هذا يكون معنى قوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة
تفضيلا لها على غيرها كقوله وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ وحاصل الآية ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا
علما يتضمن العمل والطاعة ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة ويوم الفرقان يوم بدر لانه
فرق فيه بين اهل الحق واهل الباطل والجمعان فريقاهما والذي نزل عليه يومئذ الآيات والملائكة والنصر والتأييد وَاللّٰهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ فبذلك نصر القليل على الكثير اذ اسم بدل من يوم الفرقان والعدوة بالكسر والضم شط الوادي اي جانبه وحافته وقال ابو
عمرو هي المكان المرتفع والدنيا تانيث الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلب الواو ياء فيه على القياس لان فعلى من بنات الواو
يقلب ياء كالعليا واما القصوى تانيث الاقصى فانه كالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا ايضا قليلا والعدوة القصوى مما يلي مكة والركب
يعني الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبر للمبتدأ اي مكانا اسفل من مكانكم
والفائدة في ذكر مراكز الفرق الثلث تصوير وقعة بدر وما دبر الله سبحانه فيها من عجيب صنعه وكمال رأفته ونصرته حتى كان ما كان وذلك ان
العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان ماكان فيه الماء وكانت ارضا لا باس بها واما العدوة الدنيا ففي خبار رخوة تسوخ فيها الاقدام

ولاماء بها وكانت العير وراء ظهورهم والعدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وحدتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحروب بعيالهم واثقالهم ليبعثهم الذب عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ انتم واهل مكة على موضع تتلاقون فيه ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ فبطلكم قلتكم وكثرتكم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من هيبة الرسول والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما تيسر بتوفيق الله وتسبيبه ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ﴾ اى ليظهر ﴿أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ مقدرا وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ﴿لِيَهْلِكَ﴾ بدل من ليقضي بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام وذلك ان وقعة بدر كان فيها من الآيات والمعجزات ما الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة اى لا شك في كفره وعناده كما لا يبقى شك المسلمين في حقية دين الاسلام وفي قوله ﴿لِيَقْضِيَ﴾ ﴿لِيَهْلِكَ﴾ دلالة على ان افعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهر مذهب الاشاعرة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ الدعاء ﴿عَلِيمٌ﴾ بنياتكم ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ﴾ منصوب باذكر او بدل آخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يريكهم ﴿فِي مَنَامِكَ﴾ اى في رؤياك ﴿قَلِيلًا﴾ اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه وكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل في منامك اى في عينك في اليقظة لان العين موضع النوم وفيه تكلف ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا﴾ على ما هم عليه ﴿لَفَشِلْتُمْ﴾ والفشل الجبن والخور ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ امر الحرب والاقدام ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ عصم من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ يعلم ما سيحدث فيها من موجبات الاقدام والاحجام ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ يبصركم اياهم ﴿إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ نصب على الحال لان الرؤية رؤية العين لا القلب وقد استوفت الاراءة مفعوليه فلن يتعدى الى ثالث ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ الحكمة في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهرة مع ان في ذلك تصديقا لرؤيا النبي واما في تقليل المؤمنين في اعينهم فالحكمة في ذلك ان يجترئ الكفار عليهم قلة مبالاة بهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغي ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ فعل ما فعل من التقليل ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فيه ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح ان يكون زادا للمعاد ثم علم المؤمنين آداب اللقاء في الحروب فقال ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ الفئة الجماعة ولا يقال للقاء اسم قد غلب في القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ونحو ذلك والامر بالثبات في القتال لا ينافي الرخصة في التحرف والتحيز ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في مواطن الحرب ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان العبد لا يجوز ان يفتر عن ذكر ربه في اى شغل وعمل كان ولو ان رجلا اقبل من المغرب الى المشرق ينفق امواله لله والآخر من المشرق الى المغرب ضاربا بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله اعظم اجرا وقيل المراد من هذا الذكر ان يدعو على العدو اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ونحو ذلك ولا يبعد الحمل على العموم ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائر ما يامر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾ منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويظهر التقدير ان في قوله ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ على قراءتين والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيته على وفق المشية بالريح وهبوبها هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا حذرهم التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم باحد بمخالفتهم رسول الله احتج نفاة القياس بالآية لان القول به يفضي غالبا الى النزاع المنهي عنه وكذا القائلون بان النص لا يجوز تخصيصه بالقياس قال اهل السير ان اهل مكة حين نفروا لحماية العير اتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور تعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين طربين مرائين باعمالهم كاطعام الطعام ونحوه فقال ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ الآية وصفهم باوصاف ثلاثة اولها البطر وهو الطغيان في النعم ويقال ايضا شدة المرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها الى مرضاته وعرف حق الله فيها فذاك هو الشكر وان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة على ابناء الزمان فذاك هو البطر وثانيها رئاء الناس وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية فساد الطوية وهو اظهار الجميل مع قبح النية وفساد الطوية او هو اظهار الطاعة مع ابطان المعصية كما ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اى يمنعون عن قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم قال الواحدي معناه وصدا عن سبيل الله ليكون عطفا للاسم على الاسم او يكون الكل احوالا على تأويل مرائين صادين او بطرين مرائين ويصدون واعترض عليه في التفسير الكبير بانه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس ليصح كون الكلمة معطوفا على جنسها وكان من الواجب عليه ان يذكر السبب الذي لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم ذكر السبب فقال ان ابا جهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والرئاء فذكرا بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيها واما الصد فانما حصل في زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو جعلنا قوله ويصدون عطفا على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات التي اخترعها الاماما ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فيه زجر عن التصنع والافتخار ويعلم منه ان المعصية مع الانكسار اقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار ﴿وَإِذْ زَيَّنَ﴾ اى اذكر اذ زين او هو معطوف على ما قبله من النعم واقربها قوله واذ يريكهم وفي هذا التزيين وجهان احدهما ان الشيطان زين بوسوسته من غير ان يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسن والاصم وفي الكشاف زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول

اذ يريكهم

بطرين

معناه اذكر اذ زين

الله ثم وسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان
وتبرأ منهم اى بطل كيده حين نزلت جنود الله وثانيهما انه ظهر في صورة انسان وذلك ان المشركين حين ارادوا المسير الى بدر ذكروا الذي بينهم
وبين بني كنانة من الحرب فلم يأمنوا ان يأتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم
في جند من الشيطان معه رايته وقال لا غالب لكم اليوم من الناس اي لا غالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لا غالب اياكم لانتصب
كما يقال لا ضاربا زيدا واني جار لكم اي مجيركم من بني كنانة ومن كل عدو يفرض من البشر ومعنى الجار ههنا الدافع عن صاحبه انواع الضرر كما
يدفع الجار عن الجار فلما تراءت الفئتان اى التقى الجمعان بحيث رأت كل واحدة الاخرى نكص على عقبيه والنكوص الاحجام عن الشيء اي
رجع وقال اني بريء منكم قيل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا
ترون الملائكة ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رأى ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة
الا ما رأى يوم بدر انما قوله اني اخاف الله فقد قيل انه لما رأى جبرئيل خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خافهم لانه ظن ان لو
التي انظر اليه قد حضر قال قتادة صدق في قوله اني ارى ما لا ترون وكذب لعنه الله في قوله اني اخاف الله وقوله والله شديد العقاب
يجوز ان يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز ان يكون اعتراضا وظرفه اذ يقول او لا ظرف له واذ يقول منصوب باذكر على انه كلام مبتدأ
منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف والمنافقون قوم من الاوس والخزرج بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين
وان يراد قوم من قريش اسلموا وما قوي الاسلام في قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلعم قال اولئك نخرج مع قومنا فان
كان محمد في كثرة خرجنا اليه وان كان في قلة اقمنا في قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا جميعا مع المشركين يوم بدر غر هؤلاء دينهم قال ابن
عباس معناه انه خرج ثلثمائة وثلثة عشر الى زهاء الف وما ذلك الا لانهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد ان هؤلاء يسعون في قتل انفسهم رجاء
ان يحيوا احياء بعد الموت ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله يكل امره اليه ويثق بفضله فان الله عزيز غالب يسلط الضعيف على القوي
الكثير حكيم يوصل العذاب الى اعدائه والرحمة الى اوليائه التأويل واعلموا يا اهل الجهاد الاكبر انما غنمتم عند رفع الحجب من انوار المشاهدات
واسرار المكاشفات فلكم اربعة اخماسه تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الاغيار وتنفقون خمسها في الله مخلصا وللرسول متابعا ولذي
القربى يعني الاخوان في الله مواصلا واليتامى يعني اهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين الذين
تمسكوا بايدي الارادة بباب الارشاد كم وابن السبيل يعني الصادر والوارد من الصدق والارادة مراعيا جانب كل طائفة على حسب صدقهم
وارادتهم واستعدادهم ان كنتم وصلتم في متابعة الرسول الى الايمان بالله عيانا وبما انزلنا على عبدنا في سر فاوحى الى عبده ما اوحى
يوم الفرقان الذي فيه الرحمن علم القرآن يوم التقى الجمعان جمع الصفات الانسانية وجمع الاخلاق الربانية فصار لمحمد صلعم مع الله خلوة لا
يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل والله على كل شيء قدير فيقدر على ان يوصلكم في متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الفناء عن الوجود
والبقاء بالمعبود اذ انتم ايها الصادقون في الطلب بالعدوة الدنيا نازلة وهم بالعدوة القصوى اي الارواح باقصى عالم الملكوت بارزة
والركب اسفل منكم يعني الهياكل والقوالب في اسفل سافلين الطبيعة ولو تواعدتم ايها الارواح والنفوس والاجساد لاختلفتم في الميعاد
لما بينكم من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضي امرا كان مفعولا وهو ايصال كل شخص الى رتبته التي استعد لها
فيهلك من هلك عن بينة عن حجة ثابتة عليه ويحيى من حي عن بينة له فالاشقياء يبقون في سجين الطبيعة ونار القطيعة واما السعداء
فارواحهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر كما قال ارجعي الى ربك ونفوسهم مع الملائكة المقربين كما قال فادخلي في عبادي
وابدانهم في جنات النعيم كما قال وادخلي جنتي وان الله لسميع لمن دعاه للوصول والوصال بالغدو والاصال عليم بمن يستحق الاذلال
او بنا اهل الاجلال اذ يريكهم في منامك قليلا مع كثرتهم في الصورة ليدل على قلتهم في المعنى لفشلتم على عادة الطبع الانسان ولكن الله
سلم عن الخوف البشري ويقللكم في اعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معناكم ومددكم بالملئكة اذا لقيتم فئة
هي النفس وهواها والشيطان واعوانه والدنيا وزينتها فاثبتوا على ما انتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم وصاغهم وتركوا الدنيا ودارها لبلا وزادوا العباد ليتباهوا بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم فظنوا انهم بلغوا مبلغ الرجال وانه لا يضرهم التصرف في الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعهم في نفي الرياء والعجب اذ هو
طريق اهل الملامة فلما تراءت الفئتان فئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والواردات الربانية حتى تقاعدت النفوس لما نكص على
عقبيه وهو [illegible] كما قال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون لانه يرى منظر الروحانية تجلي الانوار الربانية من
القلوب لو [illegible] قال اني اخاف الله وفيه اشارة الى انه غير منقطع الرجاء من رحمة الله انه ارحم الراحمين
ولو ترى اذ [illegible] يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك

اى من نزول لم

وفئة النفوس وصفاتها وامداد الله من الارواح و القلوب

بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ع وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ع يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين

القراءات تتوفى بتاء التأنيث شامي الباقون بالياء كهر ولا يحسبن بتاء الغيبة ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل الاخرون بتاء الخطاب انهم بالفتح ابن عامر السلم بكسر السين ابو بكر وحماد ترهبون بالتشديد رويس الباقون بالتخفيف من الارهاب وان يكن منكم بالياء التحتانية ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتاء الفوقانية وعلم مبنيا للمفعول حيلة ضعفا بالمد جماعا يزيد وقرأ حمزة وعاصم غير المفضل وخلف لنفسه ضعفا بفتح الضاد الآخرون بالضم فان يكن منكم مائة بالتحتانية عاصم وحمزة وعلي وخلف الوقوف كفروا لا لان فاعل تتوفى الملائكة وما قيل ان المتوفى هنا الله غير صحيح لاختلال النظم وفساد المعنى لان الكفار لا يستحقون ان يتوفاهم الله بلا واسطة وادبارهم لحق الاضمار اي يقولون ذوقوا الحريق للعبيد ه لتعلق الكاف فرعون لا للعطف من قبلهم ط بذنوبهم ط العقاب بانفسهم لا للعطف ان على عليم للكاف من قبلهم ط بآيات ربهم ج لاختلاف الجملتين من انباء آل فرعون لان الواو يصلح للاستيناف والحال ظالمين لا يؤمنون ة لاحتمال الوصف واحتمال النصب او الرفع على الذم لا يتقون يذكرون على سواء ط الخائنين لا سبقوا ط لمن قرأ انهم بالكسر لا يعجزون من دونهم لاحتمال الجملة بعده الوصف والاستيناف لا تعلمونهم ج لذلك يعلمهم ط لا تظلمون على الله ط العليم حسبك الله ط بين قلوبهم الاول بينهم حكيم من المؤمنين على القتال ط مائتين لابتداء الشرط مع العطف لا يفقهون ضعفا ط مائتين باذن الله ط الصابرين التفسير لما شرح احوال هؤلاء الكفار في حياتهم شرح احوالهم حين وفاتهم وجواب لو محذوف وترى في معنى الماضي لخاصية لو وكذا يتوفى لخاصية اذ

واذ نصب على الظرف قال في الكشاف ويمكن ان يكون مفعولا به والمعنى لو رايت او عاينت او شاهدت وقت قبض الملائكة ارواح الكفار
لرايت امرا فظيعا يضربون وجوههم وادبارهم قال مجاهد يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكني وفي تخصيص العضوين بالضرب نوع
من الخزي والنكال وعن ابن عباس المراد ما اقبل منهم وما ادبر وذلك ان المشركين كانوا اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم
بالسيف واذا ولوا ضربوا ادبارهم فلاجرم قابلهم الله بمثله في وقت خروج ومعنى عذاب الحريق مقدمة عذاب النار نفسها في الاخرة
تبشرهم بذلك عن ابن عباس ان معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار قوله ذلك بما قدمت ايديكم الاية قد مر تفسيرها
في اخر ال عمران ويحتمل ان يكون هذا حكاية كلام الملائكة ولما بين سبحانه ما انزل باهل بدر من الكفار عاجلا واجلا ذكر ان هذه سنة
في فرق الكفرة كلهم فقال كدأب ال فرعون يريد ان عادتهم وعملهم الذي داوموا عليه كعادة ال فرعون فجوزي هؤلاء بالقتل و
السبي كما جوزي اولئك بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي انزله بهم فقال ذلك بان الله لم يك حذف النون
لكثرة الاستعمال ومعنى الاية ان ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم يستقم في حكمته وتدبيره ان يغير نعمة على قوم حتى يغيروا ما بهم
من الاحوال والاخلاق والغرض ان ال فرعون ومشركي مكة قد فتح عليهم ابواب الخيرات وازال الموانع وسهل السبل ومن عليهم بانزال
الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فلاجرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن وان الله سميع
للاقوال عليم بالاحوال يجزي كل فريق بما يستاهله ثم ذكر مرة اخرى قوله كدأب ال فرعون وفي التكرير بعد التأكيد فوائد استنبطها
العلماء منها ان الثاني كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعله في حال الموت والثاني لما بعد الموت
قلت ويشبه ان يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت انسب منها ان الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله احدا من فعله وهو ضرب
الملائكة وجوههم وادبارهم عند نزع ارواحهم والثاني اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد في
الاول كدأب ال فرعون فيما فعلوا وفي الثاني كدأب ال فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون في الاول ومفعولون في الثاني ومنها ان المراد بالاول
كفرهم بالله وبالثاني تكذيبهم الانبياء لان التقدير كذبوا الرسل بردّ ايات ربهم ومنها ان يجعل الضمير في كفروا وكذبوا لكفار قريش اي
كفروا بايات الله كدأب ال فرعون وكذبوا بايات ربهم كدأب ال فرعون ومنها ان الاول اشارة الى انهم انكروا دلائل الالهية فكان لازمه
الاخذ والثاني اشارة الى انهم انكروا دلائل التربية والاحسان فكان لازمه الاهلاك والاغراق ثم ختم الاية بقوله وكل كانوا ظالمين اي وكل واحد
من غرقى القبط وقتلى قريش وممن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي وظالمين غيرهم بالايذاء والايحاش فلاجرم دمرهم الله بسبب ظلمهم
ثم خص من الظلمة شرهم فقال ان شر الدواب الاية جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم واشار الى هذا
بقوله فهم لا يؤمنون وشر المصرين الناكثون للعهود واشار اليهم بقوله الذين عاهدت منهم ومن للتبعيض ومفعول عاهدت محذوف
اي الذين عاهدتهم وهم بعض اولئك الكفرة يعني الاشراف الذين معهم يليق المعاهدة ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لفائدة الاستمرار
وان من شانهم نقض العهد في كل مرة من مرات المعاهدة ومعنى ثم تبعيد النقض عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم واعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا قد نسينا واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا واعانوا عليه يوم الخندق وهم لا يتقون عاقبة
الغدر وما فيه من العار والنار ثم امر رسوله بالمخاشنة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال فاما تثقفنهم تصادفنهم
وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم في الحرب من خلفهم والتشريد التفريق مع الاضطراب اي ففرق عن محاربتك من وراءهم وقال
عطاء معناه اكثر فيهم القتل حتى يخافك غيرهم والضمير في لعلهم يذكرون لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة لن يجسر عليه احد
بعدهم اتعاظا بحالهم واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق
مستو قصد اي اخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك تقطع ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك
وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة قال في الكشاف الجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على
طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم والعداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا قلت ويحتمل ان يكون حالا من
المنبوذ اي حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كناية عن تحقير شان العهد اذ ذاك وعن انكشاف حاله في النبذ
قال اهل العلم ان اثار نقض العهد اذا ظهرت فاما ان يظهر ظهورا محتملا او ظهورا مقطوعا به وعلى الاول وجب الاعلام به كما هو مذكور في
الاية وذلك ان قريظة عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى تظاهرهم على رسول الله فحصل لرسول الله صلى
الله عليه واله خوف الغدر منهم به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب اما اذا ظهر نقض العهد ظهورا
قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد ثم بين حال من فاته في يوم بدر ولم يتمكن من
التشفي والانتقام كيلا يبقى حسرة فقد كان فيهم من بلغ في اذيته مبلغا عظيما فقال لا تحسبن من قرأ بتاء الخطاب فمفعوله الاول الذين
كفروا والثاني سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون كلا من المكسورة والمفتوحة تعليل له الا ان المكسورة على طريقة الاستيناف

او هذا البناء ٤

كان سائل اسئل ما لهم لا يحسبوا سابقين فاجيب بما اجيب المفتوحة تعليل صريح والجار محذوف اي لانهم لا يعجزون الله من الانتقام منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم اعجزت فلانا وعجزته جعلته او وجدته عاجزا والمراد لا يحسبنهم انهم لما تخلصوا من الاسر والقتل يوم بدر فقد تخلصوا من العقاب عاجلا واجلا ومن قرأ بالياء التحتانية فذكر فيه وجوها منها ان فاعله الذين كفروا ومفعوله سبقوا على ان الاصل ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن اياته يريكم البرق ويؤيده قراءة ابن مسعود انهم سبقوا ومنها ان الفعل وقع على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في موضع الحال ومنها ان المفعول الاول محذوف للعلم به والتقدير ولا يحسبنهم او ولا يحسبن انفسهم الذين كفروا سبقوا ومنها ان فاعله محذوف اي لا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا ثم انه لما اتفق لاصحاب النبي صلعم في قصة بدر ان قصدوا الكفار بلا آلة وعدة امرهم الله ان لا يعودوا لمثله وان يتأهبوا للقتال الاعداء فقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة عن عكرمة هي الحصون وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلعم قرأ هذه الاية على المنبر ثم قال الا ان القوة الرمي قالها ثلث مرات فقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله والاصح انها عامة في كل ما يتقوى به في الحرب من آلة وعدة وقوله صلعم القوة الرمي كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور جزء شريف من جملة المقصود ومن رباط الخيل هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصال وفصيل والظاهر انه بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل فلا ريب ان ربط الخيل من اقوى الات الجهاد روي عن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشتري به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ولقد علمت على توقي الردى ان الحصون الخيل لا مدر القرى وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها اولى بالربط لتفيد النسل وقيل هي الفحول لانها اقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر ما لاجله امر باعداد هذه الاشياء فقال ترهبون به اي بما استطعتم عدو الله وعدوكم لان الكفار اذا علموا تأهب المسلمين للقتال لجبروا عليهم وخافوهم وربما يدعوهم ذلك الى الانقياد والطاعة واخرين من دونهم يريد بالاولين اهل مكة وبالاخرين اليهود على قول ولكنه لا يتجاوب قوله لا تعلمونهم الله يعلمهم والمنافقين على قول واعترض عليه بانهم لا يرهبون لانخراطهم في سلك المسلمين ظاهرا واجيب بان المنافق خائف فكلما اشتدت شوكة المسلمين ازداد المنافقون في انفسهم خوفا وغما وربما يدعوهم ذلك الى الاخلاص وعن السدي هم اهل فارس وعن ابن جريج عن سليمان ابن موسى هم كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن وقيل المراد بالاخرين اعداء المرء من دينه فان المسلم قد يعاديه مسلم اخر ثم رغبهم في الانفاق في باب الجهاد فقال وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم اي ثوابه وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا خص المصالح ان مال الاعداء اليها فقال وان جنحوا للسلم الاية جنح له واليه جنوحا اذا مال وانما قيل فاجنح لها لان السلم يؤنث تانيث نقيضها وهي الحرب وبتاويل الخصلة او الفعلة عن ابن عباس ومجاهد ان الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله او بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاولى ان يقال انها ثابتة فليس بحتم ان يقاتل المشركون ابدا اذ يجابوا الى الهدنة ابدا وانما الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام ودونه فاذا رأى الصلاح في الصلح فذاك والمصلحة قد تظهر عند ضعف المسلمين اما لقلة العدد او لقلة المال وبعد العدو وقد يكون مع القوة لطمع اسلامهم او قبولهم الجزية اذا خالطوا المسلمين او بان يعينوه على قتال غيرهم واما مدة المهادنة فاذا لم يكن بالمسلمين ضعف ورأى الامام الصلاح في المهادنة فقد قال الشافعي يهادن اربعة اشهر فما دونها لقوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر وذلك كان في اقوى ما كان رسول الله صلعم منصرفه من تبوك وان كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بحسب الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله صلعم حين صالح اهل مكة بالحديبية على وضع القتال عشر سنين لا انهم نقضوا العهد قبل كمال المدة وان انقضت المدة والحاجة باقية استانف العقد ثم قال وتوكل على الله اي فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونا لك على السلامة وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من بني قريظة والنضير وعن مجاهد نزلت فيهم انه هو السميع للاقوال العليم بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما امكن ثم ذكر حكما من احكام المهادنة فقال وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك محسبك وكافيك الله والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان الحكم فيه يبنى على الظاهر كما ان اصل الايمان مبني على الظاهر ولا تنافي بين هذه الاية وبين ما تقدم من قوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم لان هذه المخادعة محمولة على امور خفية تدل على الغل والنفاق وذلك الخوف محمول على امارة قوية تدل على كونهم قاصدين للشر واثارة الفتنة ثم اكد كون الله تعالى كافيا له بقوله هو الذي ايدك بنصره اي من غير واسطة اسباب معتادة وبالمؤمنين اي بواسطة الانصار ثم بين انه كيف ايده بالمؤمنين فقال والف بين قلوبهم قال جمع من المفسرين هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك اشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله تعالى ذلك بلطيف صنعه والاولى حمله على العموم والتاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلعم من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغائن في الامور المستحقرة لم تكد يأتلف اهواؤهم ولا ينتظم شملهم ثم ائتلف قلوبهم على اتباع رسول الله حتى بذلوا دونه المهج والارواح والاموال فليس ذلك الا من مقلب القلوب والاحوال



والتحقيق في الباب ان المحبة لا تحصل الا عند تصور حصول خير من المحبوب ثم ان كان سبب انعقاد المحبة امرا سريع التغير كالمال او الجاه او
اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال فان المعشوق يريد العاشق لماله والعاشق يحب المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية
فمهما حصل مرادهما كانا متحابين ومتى لم يحصل عادا متباغضين وان كان سبب انعقاد المودة كمالا حقيقيا روحانيا دائما لم يتصور لها تغير وزوال
ثم ان العرب كانوا قبل مقدم النبي صلعم مقبلين على المفاخرة والتسابق في المال والجاه والتعصب للتفرق فلا جرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين
اخرى فلما جاءهم النبي صلعم ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على تحصيل السعادة الابدية الروحانية توحد مطلبهم و
صاروا اخوانا متراحمين متحابين في الله ولله انه عزيز حكيم اي قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعي فاعل لكل ما يفعل على وجه الاحكام
والاتقان او على حسب المصالح على اختلاف القولين في مسئلة الجبر والقدر قال القاضي لولا الطاف الله تعالى ساعة فساعة لما حصلت هذه
الاحوال ونظيره انه يضاف علم الولد وادبه الى ابيه لاجل انه لم يحصل ذلك الا بمعونة الاب وتربيته واجيب بانه عدول عن الظاهر والآية صريحة في
ان العقائد والارادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبي على دينك ووفقني لما يقربني اليك انك
قادر على ما تشاء ولا يكون الا ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه بالنصر والكفاية عند مخادعة الاعداء وعده النصر والكفاية على الاطلاق فقال
يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك منصوب لانه بمنزلة زيدا في قولك حسبك وزيدا درهم قال الفراء وليس بكثير من كلامهم ان يقولوا حسبك و
اخيك بل المستعمل ان يقال حسبك وحسب اخيك باعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجرورا لقيل وحسب من اتبعك ومعنى الآية كفاك
وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا وجوز ان يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذي ايدك بنصره
وبالمؤمنين ويؤكده ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اسلم مع النبي صلعم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فصاروا اربعين
فانزل الله تعالى الآية ثم بين سبحانه ان كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد في الجهاد فقال يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال والتحريض
في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشيء وذكروا في اشتقاقه انه من الحرض وهو الاشراف على الهلاك من شدة الشيء كانه ينسبه الى الهلاك لو
تخلف عن المأمور او كانه يأمره ان يبالغ فيه في تحصيله حتى يدنو من التلف في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون عدة من الله وبشارة
بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم بعون الله وتأييده واعترض عليه بانه يلزم منه ان لا يغلب قط مائتان من الكفار عشرين
من المؤمنين ويمكن ان يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك ان الخلف لعله يكون من فقدان الشرط وهو الصبر قال بعض العلماء هذا خبر في معنى
الامر كقوله والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن بدليل قوله الآن خفف الله عنكم والنسخ بالامر اليق منه بالخبر وبدليل قوله والله مع
الصابرين وفيه ترغيب في الثبات على الجهاد يعني الآية ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر
لا يحصل الا لكونه شديد الاعضاء قويا جلدا شجاعا غير جبان ولا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وعند حصول هذه الامور كان يجب الواحد
ان يثبت للعشرة لما سبق من وعد النصر في قوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وانما كرر النسبة مرتين لان السرايا التي كانت يبعثها
رسول الله صلعم كان لا ينقص عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فورد على وفق الواقعة واما في الكرة الثانية فانما كررت النسبة
للطباق وليكون فيه بشارة واشارة الى ان عدد عسكر الاسلام سيؤول من العشرات والمئات الى الالوف والله اعلم بمراده ثم بين السبب في الغلبة
فقال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة واللذة عندهم في هذه الحيوة العاجلة
وايضا انهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستغيثونه ويتوقعون منه انجاز ما وعد من النصر والتأييد ووجه آخر
وهو ان اهل العلم والمعرفة يكون لهم في اعين الناس هيبة وحشمة ويكونون في انفسهم اقوياء اشداء لما تجلى عليهم من انوار المعرفة والبصيرة
يعرف ذلك اصحاب العلوم وارباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الاول ضج
المهاجرون وقالوا يا رب نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة وعدونا في اهليهم وقال الانصار شغلنا بعدونا وواسينا اخواننا وعن
ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلعم بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب واراد
قتالهم فمنعهم جهينة وبعث رسول الله صلعم عبد الله بن انيس الى خالد بن سفيان في جماعة فابتدر عبد الله فقال يا رسول الله صفه لي فقال
انك اذا رأيته ذكرت الشيطان ووجدت لذلك قشعريرة وبلغني انه جمع لي فاخرج اليه فاقتله فلما خرجت نحوه فلما دنوت منه وجدت القشعريرة
فقال لي من الرجل قلت له من العرب سمعت بك وبجمعك ومشيت معه حتى اذا تمكنت منه قتلته بالسيف اسرعت الى رسول الله صلعم وذكرت اني
قتلته فاعطاني عصا وقال امسكها فانها آية بيني وبينك يوم القيمة وقال عكرمة انما امر الرجل ان يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون
قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس ايما رجل فر من ثلثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والحاصل ان الجمهور ادعوا ان قوله
الآن خفف الله عنكم ناسخ لحكم الآية المتقدمة وانكر ذلك ابو مسلم الاصفهاني قال لان لفظ الآية ورد على الخبر سلمنا انه بمعنى الامر لكن لم قلتم ان
التقدير ليكن العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز ان يكون المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين فليشتغلوا بمدافعتهما
واذا كان الشرط غير حاصل في حق هؤلاء لقوله وعلم ان فيكم ضعفا فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضي ورود التثقيل قبله



لان مثل هذا الكلام قد يقوله العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الايتين والناسخ يجب ان يكون بعد المنسوخ بزمان هذا حاصل
قول ابي مسلم وهو انما يستحق الجواب لو لم يحصل قبلها طباق على حصول هذا النسخ والله تعالى اعلم ومعنى قوله وعلم ان فيكم ضعفا ظهر معلومه
فلا يبقى لهشام حجة في مذهبه انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة
في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك الظاهر ان المراد الضعف الانساني المذكور في قوله وخلق الانسان ضعيفا التاويل يضربون
في وجوههم وادبارهم لان الكافر ذاهب عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له الم من جهة الخلف ويقبل على الاخرة ولا نور له يبصر به ما امامه
فيحصل له تالم من قدام ذلك بان الله لم يك مغيرا لاستعداد الاحسن تقديمهم واستعدادهم ما اعطاهم بضده حتى يغيروا بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نعم الاستعداد
الفطري الذين عاهدت منهم بالروح في الازل لان نوره وصفته غالب على ظلمة النفس وصفاتها فتشرد بالروح بهم من خلفهم اي بالغ في
تبديل صفات النفس وتزكيتها بحيث يؤثر نور تبديلها في لطفات ائته وانها فانبذ اليهم على سواء اظهر عداوتك معهم وجاهدهم
انهم لا يعجزون اي النفوس الكافرة تحت تصرفه فلا تقنطوا من رحمته في صلاح حالهم من قوة الروح وغلبات صفاتها واعدوا لهم مداومة
الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق المراقبة لئلا يلتفت الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الله والشيطان
وعدوكم النفس والهوى واخرين من دونهم من نفوس شياطين الانس لا تعلمونهم انهم عدوكم من الاخيار والاصدقاء والاقرباء الله يعلمهم
انهم عدو لكم كقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وما تنفقوا من شيء من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة
يوف اليكم فوائد من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا والف بين قلوبهم بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو انفقت
ما في الارض وجودك من السعي والجد والاجتهاد لما بين الروح النوراني والنفس الظلماني من التضاد ولكن الله الف بين الروح
وبين القلب القالب ليكون الشخص الانساني طلسما على كنز وجوده لم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله اعلم ما كان لنبي ان يكون

لَهُ اَسْرٰى حَتّٰى يُثْخِنَ فِي الْاَرْضِ تُرِيْدُوْنَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّٰهُ يُرِيْدُ الْاٰخِرَةَ وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ لَوْلَا كِتٰبٌ مِّنَ اللّٰهِ
مر او را اسيران تا بسيار کشد در زمين مي خواهيد شما خواسته دنيا را و خدا مي خواهد اخرت را و خدا غالب دانا است اگر نبودي نامه از خدا
سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيْمَا اَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ فَكُلُوْا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلٰلًا طَيِّبًا وَّاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ يٰاَيُّهَا النَّبِيُّ
پيشي گرفته هر آينه رسيدي شما را در آنچه گرفتيد عذابي بزرگ پس بخوريد از آنچه غنيمت برديد حلال و پاك و بترسيد از خدا بدرستيکه خدا آمرزنده مهربان است اي پيغمبر
قُلْ لِّمَنْ فِيْ اَيْدِيْكُمْ مِّنَ الْاَسْرٰى اِنْ يَّعْلَمِ اللّٰهُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ خَيْرًا يُّؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا اُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ع
بگو مر کسي را که در دستهاي شما است از اسيران اگر بداند خدا در دلهاي شما خوبي بدهد شما را بهتر از آنچه گرفته شد از شما و بيامرزد شما را و خدا آمرزنده مهربان است
وَاِنْ يُّرِيْدُوْا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ فَاَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَهَاجَرُوْا
و اگر خواهند خيانت کردن تو را پس بتحقيق خيانت کردند خدا را از پيش پس دست داد ترا و خدا داناي حکمت کار است بدرستيکه آنان که ايمان آوردند و سفر کردند
وَجٰهَدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَالَّذِيْنَ اٰوَوْا وَّنَصَرُوْا اُولٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَالَّذِيْنَ
و کوشش کردند بمالهاي خود و نفسهاي خود در راه خدا و آنان که جاي دادند و ياري کردند آن گروه بعضي از ايشان دوستان بعضي اند و آنان
اٰمَنُوْا وَلَمْ يُهَاجِرُوْا مَا لَكُمْ مِّنْ وَّلَايَتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتّٰى يُهَاجِرُوْا وَاِنِ اسْتَنْصَرُوْكُمْ فِي الدِّيْنِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ اِلَّا عَلٰى
که گرويدند و سفر نکردند نباشد شما را از ولايت ايشان از چيزي تا هجرت کنند و اگر طلب ياري کنند شما را در دين پس بر شما است ياري دادن مگر بر
قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيْثَاقٌ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ اِلَّا تَفْعَلُوْهُ تَكُنْ
گروهي که در ميان شما و در ميان ايشان پيمان است و خدا بآنچه ميکنيد بينا است و آنان که کافر شدند بعضي از ايشان دوستان بعضي اند اگر نکنيد آن را باشد
فِتْنَةٌ فِي الْاَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيْرٌ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَهَاجَرُوْا وَجٰهَدُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَالَّذِيْنَ اٰوَوْا حزب
فتنه در زمين و تباهي بزرگ و آنان که گرويدند و سفر کردند و کوشش کردند در راه خدا و آنان که جاي دادند
وَّنَصَرُوْٓا اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ حَقًّا لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّرِزْقٌ كَرِيْمٌ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْۭ بَعْدُ وَهَاجَرُوْا وَجٰهَدُوْا مَعَكُمْ فَاُولٰٓئِكَ
و ياري کردند آن گروه ايشانند مومنان براستي مر ايشان را است آمرزش و روزي بزرگ و آنان که گرويدند از بعد و سفر کردند و جهاد کردند با شما پس آن گروه
مِنْكُمْ وَاُولُوا الْاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ اَوْلٰى بِبَعْضٍ فِيْ كِتٰبِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ القراءة ان تكون
از شمايند و صاحبان قرابت بعضي از ايشان سزاوارترند ببعضي در کتاب خدا بدرستيکه خدا بهر چيزي داناست بالتاء الفوقانية
ابو عمرو وسهل ويعقوب يزيد اسارى يزيد والمفضل الاخرون اسرى من الاسارى يزيد وابو عمرو المفضل الباقون من الاسرى
من ولايتهم بكسر الواو حمزة الباقون بفتحها الوقوف في الارض لتفقد بالاستفهام اي تريدون الاخرة ط حكيم عظيم واتقوا الله رحيم و
يغفر لكم ط رحيم منهم ط حكيم اولياء بعض ط حتى يهاجروا ج ميثاق بصير اولياء بعض كبير حقا ط كريم منكم ط في كتاب الله عليم التفسير هذا حكم اخر
من احكام الجهاد ومعنى ما كان ما صح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشاعته من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة والمعنى حتى يذل الكفر

واضعافه واعزازا لاسلام واظهاره باشاعة القتل في الكفرة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب
فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك فاستبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم
واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا
بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروى انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد
واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن
محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وروى انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد
عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله
كان الاثخان في القتل احب الي واعلم ان الطاعنين في عصمة الانبياء تمسكوا في هذا المقام بوجوه الاول ما كان لنبي تصريح في النهي وقد حصل
الاسر بدليل قل لمن في ايديكم من الاسرى الثاني انهم امروا بالقتل يوم بدر بدليل قوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية واجيب بان
قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا لكن بشرط سبق الاثخان وقد ثبت ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما
ترتب لان الاثخان امر غير مضبوط فظنوا ان ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطأوا في الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الاعناق
تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الاسر بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم باخذ الفداء معصية والا لم يتوجه الذم في قوله
تريدون عرض الدنيا اي حطامها سمي بذلك لانه سريع الزوال كالعرض فيهم الجوهر والله يريد الآخرة اي ثوابها او ما هو سبب الجنة
وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل في اعدائه وترجيح الآخرة على الفداء والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه ويقهرونهم ويلجئونهم
الى القتل او الفداء بعد الاسر لكنه حكيم لا يرخص في اخذ الفداء الا بعد الاثخان في القتل الاعداء والجواب ان كل ذلك محمول على الاولى
وكذا الكلام في قوله لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطأ في الاجتهاد لانهم نظروا
في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وحصول اولادهم مسلمين وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم
اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوي سلطانهم انزل الله بعد
ذلك في الاسارى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم ان مقتضى الايتين مختلفا
والامر ليس كذلك فان كلتيهما تدل على انه لا بد من تقديم الاثخان على الفداء وعن سعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق بانه سيحل لكم الغنائم
وكان رأيي لو قدمت من الخلل يوجب تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا الا بعد تاكيد الحجة
والتقدم اليه وحاصل هذا القول يرجع الى ترك الاولى وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين انما يعاتب على ترك
الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين وانما يعاتب على ترك الاولى لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث على فعل الاولى وعن
بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعاقب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم ان لا يكونوا مكلفين والجواب ان عدم العقاب على الذنب لا يوجب
عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان استحقاق مس العذاب حاصلا
روى انهم امسكوا عن الغنائم وعن اخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت فكلوا والفاء للتسبيب ومعنى الاية قد ابحت لكم الغنائم فكلوا
وحلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا واتقوا الله فيما يستقبل فلا تقدموا على شيء لم تؤمروا به ان الله غفور لما فرط
منكم من ترك الاولى رحيم ومن ذلك رخص لكم فيما رخص من اخذ الفداء ثم قال لاستمالة قلوب الاسارى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
من الاسارى ان يعلم الله ان يظهر معلومه ان في قلوبكم خيرا هو الايمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله في جميع التكاليف والتوبة
عن الكفر وعن جميع المعاصي ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول والتوبة عن محاربته يؤتكم في الدنيا خيرا مما اخذ منكم من المنافع العاجلة
ويغفر لكم في الآخرة او المراد بالخير ايضا الثواب وبالمغفرة ازالة العقاب ثم انا قد نعلم ان كل من خلص من الاسارى من فقد آتاه الله في الدنيا خيرا
لدلالة الاية على ذلك اجمالا اذ ذلك الخير ان كان دينيا فلا شك ان كلهم قد وجد ذلك لان قليل الدنيا مع الايمان اعظم من كثير الدنيا
مع الكفر وان كان دنيويا فتفصيل ذلك غير معلوم الا ما روى عن بعضهم كالعباس روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا
فتوضأ لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وانا ارجو المغفرة
وقال ابن عباس نزلت الاية في العباس وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس اسير يوم بدر ومعه عشرون اوقية من
من الذهب اخرجها ليطعم الناس وكان احد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم يبلغه التوبة حتى اسر فقال العباس كنت مسلما



الا انهم استكرهوني فقال ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا قال العباس وكلمت رسول الله صلى الله عليه وآله ان يترك لي ذلك الذهب على فقال اما شئ خرجت به تستعين به علينا فلا قال وكلفني الرسول فداء ابن اخي عقيل بن ابي طالب عشرين اوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد اتكفف قريشا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي فان حدث في حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي ثم قال وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه ان نعمهم لما اطلقهم من الاسر عهد معهم ان لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء فقد خانوا الله من قبل في كفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن اي المؤمنين منهم يوم بدر قتلا واسرا فذاقوا وبال امرهم فسيمكن المؤمنين منهم مرة اخرى ان اعادوا الخيانة والله عليم باحوالهم حكيم فيجازيهم على حسب اعمالهم واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله انما ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة فمن المؤمنين من وافقه في الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه في ذلك ومنهم من هاجر بعد هجرته فذكر في خاتمة هذه السورة احكام هذه الاصناف واحوالهم مع ذكر انصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار ايضا فقال ان الذين امنوا ويدخل فيه الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والانقياد لجميع التكاليف وهاجروا فارقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران في طلب مرضاة الله وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم وضياعهم وبقيت في ايدي الاعداء واحتاجوا الى الانفاق في تلك الغربة والسفرة وفي الغزوات والمحاربات واما المجاهدة بالانفس فيكفي في وصف ذلك انهم اقدموا على قتال اهل بدر من غير الة ولا عدة والاعداء في غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على انهم ازالوا اطماعهم عن الحيوة وبذلوا ارواحهم في سبيل الله وكانوا اول الناس اقداما على هذه الافعال والتزاما لهذه الخصال ولهذه المسابقة اثر عظيم في تقوية الدين لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وذلك ان غيرهم يقتدي بهم ويتقوى دواعيهم بما يرون منهم والمحن يخف على القلوب بالمشاركة ولان المهاجرين لهم سابقة قدم في الاسلام ذكر الله تعالى الانصار بعدهم فقال والذين اووا ونصروا اي الذين انزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم ماوى ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض اطبق جم غفير من المفسرين كابن عباس وغيره على ان المراد بهذه الولاية الارث كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين الرازي رح هذا التفسير لانه يستلزم النسخ واستلزام النسخ محذور منه ما امكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث دون يطلق الارث كقولهم السلطان ولي من لا ولي له وقال سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم فان المراد ان المهاجرين والانصار يعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة وتناصر وانهم يد واحدة على الاعداء وان حب كل واحد لغيره جار مجرى حبه لنفسه اما قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا فمن حمل الولاية على الارث فظاهر ومن حملها على المحبة والتعظيم توجه ان يقال هو كما تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كالتجارة والقصارة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا قال المفسرون لا يجوز ان يكون المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والا لم يصح عطف وان استنصروكم عليه لان الشئ لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر واجيب بان لو حملناها على التعظيم زال الاشكال وحصل التغاير لان اهل الايمان قد ينصر بعضهم بعضا في بعض الاحوال مع انهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال والتعظيم كما انه قد ينصر المرء عبده ولا تعظيم جعل الله تعالى حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل ان يهاجروا واثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين لانهم لا يبدؤن بالقتال ثم قال والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهي المسلمين عن موالاتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارث بعضهم بعضا وفيه ان المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا في عداوة محمد صلى الله عليه وآله صارت هذه الجهة موجبة لاحتمال بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض وان كان واحد منهم في نهاية الانكار لصاحبه وذلك من ادل الدلائل ان تلك العداوة ليست لاجل الدين ولكنها محض الحسد والعناد ومن حمل الولاية في هذه الايات بمعنى الارث استدل بذلك على ان الكفار في التوارث على اختلاف مللهم كاهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي واليهودي يرث النصراني وبالعكس ثم قال الا تفعلوه اي ما امرتكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غير المهاجرين الا في حالة الاستنصار ومن عدم موالاة الكفرة اصلا تكن فتنة اي تحصل مفاسد عظيمة في الارض من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر ووقوع الهرج والمرج ثم كرر تعظيما لشان المؤمنين والثناء عليهم قوله والذين امنوا وهاجروا الاية فوصفهم بانهم هم المؤمنون حقا ولهم مغفرة ورزق كريم وقد تقدم تفسير مثله في اول السورة والحاصل ان هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم اعرضوا عن اللذات الجسمانية

فتركوا

تركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على انه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف اللاحقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال والذين آمنوا من بعد نقل الواحدي عن ابن عباس ان المراد بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل بعد نزول الآية وقيل بعد يوم بدر والاصح ان المراد الذين هاجروا بعد الهجرة الاولى فاولئك منكم الحقهم بالاولين تشريفا للآخرين وتعظيما لشأن ولولا كون القسم الاول اشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله واولوا الارحام اي ذووا القرابات بعضهم اولى ببعض اي احق بهم واجدر في كتاب الله اي في حكمه وقسمته او في اللوح او في القرآن وهو آية المواريث وهذه الآية ناسخة للتوارث بالهجرة والنصرة اما الذين فسروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية مخالفة للولاية بسبب الميراث بين الله تعالى في هذه الآية ان ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم اعني ازالة وهم من يجعل الولاية هناك بمعنى الارث وقد تمسك اصحاب ابي حنيفة بهذه الآية في توريث ذوي الارحام وهم ذووا قرابة ليست بسهام فرض ولا عصوبة او كل قريب ليس من اصحاب الفرض والعصبات وانهم عشرة اصناف الجد ابو الام وكل جد وجدة ساقطين واولاد البنات وبنات الاخوة واولاد الاخوات وبنوا الاخوة للام وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات والخلاف في انه اذا لم يوجد ذو فرض وعصبة فهل يورث ذووا الارحام او يوضع المال في بيت المال فقدمهم ابو حنيفة على بيت المال للآية وعكس الشافعي قال ان الآية مجملة في الشيء الذي حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال في كتاب الله كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الاولوية مقيدة باحكام آية الميراث فلا يبقى حجة في توريث ذوي الارحام و اعلم انه سبحانه قال في اول الآيات وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وفي براءة تقديمهم في سبيل الله لان في هذه السورة تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله تريدون عرض الدنيا وفي قوله لمسكم فيما اخذتم اي من الفداء وفي قوله فكلوا مما غنمتم وفي براءة تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفي قوله لمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ثم انه حذف من الآية الثانية باموالهم وانفسهم اكتفاء بما في الآيتين قبلها والله اعلم ثم ختم السورة بقوله ان الله بكل شيء عليم والمراد ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها حكمة وصواب وصلاح وليس فيها عيب وعبث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب نظيره ان الملائكة لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها قال مجيبا لهم اني اعلم ما لا تعلمون التأويل ما كان لنبي الروح ان يكون له نفس ما سورة وقوى موجهة الى تدبير امور المعاش والدعوة الى الله وان كان متصرفا بالحق حتى يثخن في ارض البشرية فيقتل القوى والنفوس المطبعة بسيف الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي يتحنث في غار حراء تريدون عرض الدنيا فيه اشارة الى ان الانسان اذا وكل الى نفسه وطبعه يكون مائلا الى الدنيا راغبا فيها والله يريد الآخرة منكم اي ليس الانسان من سجيته وطبعه ان يميل الى الآخرة انما هو بتوفيق الله وبعنايته الازلية لولا كتاب من الله سبق بان الانسان لا يكون بخلا بعوالم الارواح بالكلية وانما يكون متوسطا بين العالمين مراعيا للطرفين لمسكم فيما اخذتم من وراء النفس لما سوده وهو التفاتها الى تدبير البدن عذاب عظيم هو عذاب القطيعة والبعد عن عالم القربة فكلوا مما غنمتم من فوائد الجهاد الاكبر من الانوار والاسرار عند رفع الاستار حلالا طيبا نفوسكم عن لوث محبتها فكل ما يشغل المرء من الالتفات الى الله فهو شرك وصنم واتقوا الله عما سواه ان الله غفور يستر بانوار وجوده ظلمات وجودكم رحيم بكم حيث يغنيكم عنكم ويبقيكم به يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من النفوس المأسورة التي اسرت في الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الذكر عليها ان يعلم الله في قلوبكم خيرا من الطلبان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من اللذات الفانية واسبابها وذلك هو البقاء الحقيقي واللذة السرمدي وان يريدوا خيانتك بنقض الميثاق لما جبلت النفوس عليه من طموح الى الزخارف الدنيوية فقد خانوا الله من قبل بالتجاوز عن حدود الشريعة و رسوم الطريقة فامكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم باحوالها حكيم فيما دبر من امر جهادها وتزكيتها والذين آووا ذكر الله ومحبته في القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم اولئك بعضهم اولياء بعض في المرافقة والموافقة في الطلب والسير الى الله والذين آمنوا بان الطلب حق ولم يهاجروا عن اوطانهم واوطان وجودهم المجازي وان استنصروكم تمسكوا باذيال ارادة الواصلين منكم فعليكم النصر بان تدلوهم على طريق الحق بمعاملتكم وسيركم ليقتدوا بكم وباحوالكم الا على قوم اي الا على بعض احوالكم مما صالحتم عليه نفوسكم بعد ما جاهدتموها واسرتموها وامنتم شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح في اوان الجهاد فاولئك منكم يشير الى ان اللاحقين اذا دخلوا في زمرة المنقطعين الواصلين فهم منهم وانهم ذووا رحم الوصول لانه ليس عند الله صباح ولا مساء ولهذا قال امتي كالمطر لا يدرى اوله خير ام آخره

سورة التوبة مدنية حروفها ١٠٨٧٠ كلماتها ٢٤٩٧ آياتها مائة وتسع وعشرون غير آيتين من آخرها

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ

بیزاریست از خدا و رسول او بسوی آنها که عهد بستید از مشرکان پس بگردید در زمین در چهار ماه و بدانید که شما عاجز کنندهٔ

مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ

نیستید خدا را و آنکه خدا رسوا کننده کافرانست و اعلامیست از خدا و رسول او بسوی مردمان در روز حج اکبر که خدا بیزار است از مشرکان و

السابقين

ع ٧



وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا

الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ

اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ

فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ

فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ

رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ كَيْفَ

وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ اشْتَرَوْا

بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ

هُمُ الْمُعْتَدُونَ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ

لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ

فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ

صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا

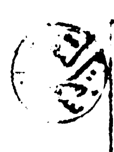
يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

القراءات ورسوله بالنصب ح وزيد الباقون بالرفع أئمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة الباقون أيمة بهمزة ثم ياء
لا إيمان بكسر الهمزة ابن عامر الباقون بالفتح جمع يمين يعملون بياء الغيبة عباس مخير الوقوف من المشركين ط معجزي الله لا للعطف الكافرين من
المشركين لا للعطف ورسوله ط حين لكم ج لابتداء الشرط مع الواو معجزي الله ط أليم لا للاستثناء مدتهم ط المتقين مرصد ج سبيلهم ط رحيم مأمنه
لا يعلمون المسجد الحرام ج لأن ما الجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم ط المتقين ولا ذمة قلوبهم ج فاسقون ج لأن ما بعده يصلح وصفا واستينافا
يعملون ولا ذمة ط المعتدون في الدين ط يعلمون أيمانهم لا لتعلق لعلهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون أول مرة ط أتخشونهم ج لأن ما
بعده مبتدأ مع الفاء مؤمنين مؤمنين لا للعطف قلوبهم ط من يشاء ط حكيم وليجة ط بما تعملون التفسير قد عد في الكشاف من أسماء هذه السورة
براءة وذلك واضح والتوبة لأن فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لأنها تقشقش من النفاق أي تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لأنها تبحث عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم و
تدمدم عليهم وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب والله ما تركت أحدا إلا نالت منه وعن ابن عباس ما زالت تقول
ومنهم حتى حسبنا أن لا تدع ولا للعلماء خلاف في سبب سقاط التسمية من أولها فعن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان في ذلك
فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع كذا وكان براءة من أواخر القرآن نزولا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين موضعها



وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقرنت بينهما وكأنه اراد بالمشابهة ما روي عن ابي بن كعب في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود
فوضعت احديهما بجنب الاخرى واستبعد جمع من العلماء هذا القول لانا لو جوزنا في بعض السور ان لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي
لجوزنا مثله في سائر السور وفي آيات السورة الواحدة وذلك يفضي الى تجويز الزيادة والنقصان في القرآن على ما يقوله الامامية و
وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا في ان الانفال مع التوبة سورتان ام سورة واحدة لانهما مائتان وست آيات فهما بمنزلة احدى الطوال
وكلتاهما وردتا في القتال والمغازي فلما كان هذا الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتب البسملة تنبيها
على قول من يرى انهما واحدة فعلوا عملا يدل على ان هذا الاشتباه حاصل وفيه انهم لم يتسامحوا بهذا القدر من التنبيه دل على انهم كانوا في غاية الاحتياط
في ضبط الدين وحفظ القرآن عن التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على ان البسملة آية من كل سورة والا جاز ان كتبها
ههنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سألت علي بن ابي طالب عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة نزلت بالسيف
ونبذ العهود وذكر سفيان بن عيينة هذا المعنى واكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا فقيل له اليس ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل الحرب
بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم ولهذا قال في آخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى
ومما يؤكد شبهة من زعم انهما سورة واحدة ان ختم الانفال وقع بايجاب ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار
بالكلية وقوله بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ تأكيد لذلك الكلام وتقرير له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهي خبر مبتدأ محذوف ومن لابتداء
الغاية متعلق بمحذوف والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون
براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها وهي الجار والمجرور كما قلنا والخبر محذوف كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بني تميم في الدار وكان قد اذن الله في
معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم وكانه قيل للمسلمين اعلموا ان
الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين روي انهم كانوا عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا
الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ آمنين اين ساروا والاشهر هي الحرم لقوله
فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ والسياحة الضرب في الارض والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الاقلال من الطعام والشراب و
منه قيل للصائم سائح لتركه المطعم والمشرب والمعنى في هذا الامر اباحة الذهاب مع الامان وازالة الخوف روي ان فتح مكة كان سنة ثمان من
الهجرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب بن اسيد الوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في تلك السنة في الموقف المسلمون والمشركون
ونزلت هذه السورة سنة تسع وكان قد امر فيها ابا بكر على الموسم فلما نزلت السورة اتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل
له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال
امير او مأمور قال مأمور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبرئيل عليه السلام قال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم
وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة
ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي
عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن الرماح وضرب بالسيوف
استدلت الامامية بهذه القصة على تفضيل علي كرم الله وجهه وعلى تقدمه واجاب اهل السنة بانه امر ابا بكر على الموسم وبعث عليا خلفه
لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلي على خلف ابي بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر واما قوله لا يبلغ عني الا رجل مني فذلك لان
المتعارف بين العرب انه اذا عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا او عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو او رجل من ذوي قرابته كاخ او عم
فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهد فازيلت علتهم بتوليته ذلك عليا وقيل لما خص ابا بكر بتولية
امر الموسم خص عليا بهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب ولنرجع الى التفسير قال ابن الانباري في الكلام اضمار والتقدير فقل لهم
سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً واختلفوا في الاشهر الاربعة فعن الزهري
ان براءة نزلت في شوال والمراد منها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من
ربيع الآخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او سميت حرما على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذي
القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة قال
المفسرون هذا تأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اكثر من اربعة اشهر حطت الى اربعة ومن كانت مدته اقل رفعت اليها والمقصود
من هذا التأجيل ان يتفكروا لانفسهم ويحتاطوا في الامر ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا احد امور ثلاثة الاسلام او قبول الاسلام

او قبول الجزية او السيف فيصير ذلك حاملا لهم على قبول الاسلام ظاهرا والى هذا المعنى اشار بقوله واعلموا ان هذا الامهال ليس لعجز ولكن
لمصلحة ولطف ليتوب من تاب فيه ضرب من التهديد كانه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما امكنكم من اعداد الالات والادوات فانكم لا تفوتون
الله وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب وقوله مخزي الكافرين من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع
الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم اراد ان يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال واذان وارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطأ الزجاج في قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو ايضا مخبرا عنه بالاول وهو الى الذين عاهدتم لكنه غير مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله الى الناس والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطا
بمعنى الايمان والاعطاء ومنه اذان الصلوة امر الله تعالى بهذا الاعلام يوم الحج الاكبر وهو الجمع الاعظم الذي حضر فيه المؤمن والمشرك والمعاهد
الناكث وغير الناكث ليصل الخبر الى جميع الاطراف ويشتهر كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان يحج في السنة الاتية فامر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف
غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه اعظم اعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال عليه السلام الحج عرفة وهو قول عمر وابن سعيد
ابن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن علي عليه السلام وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فقال اما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس في رواية عطاء هو يوم النحر وافقه قول الشعبي والسدي
والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وذلك ان معظم افعال الحج من الطواف والحلق والرمي والنحر يقع فيه ومثله ما روي عن علي عليه السلام ان رجلا اخذ
بلجام دابته فقال ما يوم الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتي يعني يوم النحر وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة
الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر ايام منى كلها وهو قول سفيان الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر ايامه
كلها كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دامت اياما كثيرة وعلى هذا القول فقد وصف الحج بالاكبر
لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد انهم هذا وقد حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا و
التقدير بان الله بريء من المشركين وقوله ورسوله بالرفع مبتدأ محذوف الخبر اي ورسوله بريء ايضا كذلك او هو معطوف على المنوي في بريء
اي بريء هو ورسوله وجاز العطف من غير تاكيد بالمنفصل لمكان المفصل وقرئ بالجر على الجوار او على ان الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم
لفي سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله وبين قوله ان الله بريء ان المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة
من العهد وبالثاني البراءة التي هي نقيض الموالاة ولهذا لم يصف المشركين ثانيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها على ان الموجب لهذه البراءة
هو كفرهم وشركهم ولهذا اتبعه قوله فان تبتم اي عن الشرك فهو خير لكم وفيه ترغيب في التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة وان توليتم
اعرضتم عن التوبة او بقيتم على التولي عن الاعراض عن الايمان والوفاء فاعلموا انكم غير فائتين اخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه
واعلموا انكم غير معجزي الله ليس بتكرار لان الاول للمكان والثاني للزمان وبشر يا محمد او يا من له اهلية الخطاب وفيه من التهكم والتهديد
ما فيه كيلا يظن ان عذاب الدنيا لما فات وزال خلصوا عن العذاب بل العذاب الشديد معد لهم يوم القيامة اما قوله الا الذين عاهدتم فقال
الزجاج انه استثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال
في الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم
ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم وقيل استثناء من قوله الا الذين عاهدتم ومعنى لم ينقصوكم شيئا المجهزاي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا
اليهم اي ادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ثم ختم الاية بقوله ان الله يحب المتقين
يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين ولا يجعل الوفي كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قوله الانصار كرشي وعيبتي اي انهم بطانتي وموضع سري وامانتي وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانشد لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه الاتلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا
فقال عليه السلام لا نصرت ان لم انصركم ومعنى ناشد محمدا اذكر له الحلف والعهد لانه كان بين عبد المطلب وبين
خزاعة حلف قديم الاتلد الاقدم ثم بين حكم انقضاء اجل الناكثين فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم اي التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا
وانسلاخ الشهر تكامله جزءا فجزءا الى ان ينقضي كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المتزمن عن زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه فكلاهما
ظرف فاقتلوا المشركين يعني الناقضين حيث وجدتموهم من حل او حرم وفي اي وقت كان وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم امنعوهم
من التصرف في البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي في كل ممر ومجتاز
ترقبونهم هنالك وانتصابه على الظرف كما مر في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة ان حصلوا اعلى
شرائطها فخلوا سبيلهم المراد من التخلية الكف عنهم او اطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام او عن التصرف في مهماتهم ان الله غفور
رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر وقال الشافعي انه تعالى اباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر و



واقامة الصلوة وايتاء الزكوة فما لم يوجد احد هذه الامور ولم يوجد هذا المجموع فوجب ان يبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلوة يقتل
ولعل ابا بكر استدل بمثل ذلك على جواز قتال مانعي الزكوة وحمل اكثر الائمة الاقامة والايتاء ههنا على اعتقاد وجوبهما والاقرار بذلك وان
كان عدولا عن الظاهر عن الحسن ان اسيرا نادى بحيث يسمع النبي صلعم اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد ثلثا فقال صلعم عرف الحق لاهله فارسلوه
قال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهير القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلوة والزكوة عبارة عن تطهير القوة العملية عما لا ينبغي ولا ريب
ان كمال السعادة منوط بهذا المعنى جعلنا الله من اهلها لما اوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على ان حجة الله تعالى
قد قامت عليهم وان ما ذكره الرسول قبل ذلك من انواع الدلائل والبينات كفى في ازاحة عللهم فيتجه ذلك ان احدا من المشركين لو طلب الدليل و
الحجة لم يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام او بالجزية او بالقتل فازال الله تعالى بكمال رأفته هذه الشبهة فقال وان احد من المشركين استجارك الاية
قال علماء العربية ارتفع احد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك وهو الجمع بين المفسر والمفسر والغرض في الكلام
على الابهام ثم التفسير من حيث ان من مظان وقوع الفعل بعده وايضا ذكر الفاعل ههنا اهم لما بينا ان ظاهر الدليل يقتضي اباحة دم المشرك
فقدم ليدل على مزيد العناية بصون دمه عن الاهدار ومعنى استجرت فلانا اي طلبت منه ان يكون جارا لي محاميا وحافظا من ان يظلمني ظالم ومنه
يقال اجاره الله من العذاب اي انقذه والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انسلاخ الاشهر [illegible] بينه فاستامنك ليسمع ما تدعوا
اليه من التوحيد والقران فامنه حتى يسمع كلام الله سماع تدبر وتامل ثم ابلغه داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه ان المقصود
من شرع القتال قبول الدين والاقرار بالتوحيد وان النظر في دين الله من اعلى المقامات فان الكافر الذي هو مهدر الدم لما اظهر من نفسه
كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مأمنه اما زمان مهلة النظر فليس في الاية ما يدل على التعيين
ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فمتى ظهر على المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال امهل وترك ومتى ظهر عليه كونه معرضا
عن الحق دافعا للزمان بالاكاذيب لم يلتفت اليه وابلغ المأمن وقيل ان بقي المدة اربعة اشهر وهو الصحيح عن مذهب الشافعي والمذكور في الاية
كونه طالبا لسماع القران الا انه الحق به كونه طالبا لسماع الدلائل وجواب الشبهات لانه تعم علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال
في اخر الاية ذلك بانهم قوم لا يعلمون فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفي سماع كلام الله وجوه قيل اراد جميع القران لان تمام
الدلائل والبينات فيه وقيل اراد سماع سورة براءة لانها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلائل وانما خص القران
بالذكر لانه الكتاب الحاوي لمعظم جميع الدلائل واعلم ان الامان قد يكون عاما يتعلق باهل اقليم او بلدة او ناحية وهو عقد المهادنة ويختص
بالامام وقد مر في تفسير قوله نعم وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقد يكون خاصا يتعلق بافراد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن احاد المسلمين
ايضا وهذا مقصود الاية وانه ثابت غير منسوخ روي عن سعيد بن جبير ان رجلا من المشركين جاء الى علي عم فقال ان اراد الرجل منا
ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالاية وعن السدي هو منسوخ بقوله فاقتلوا
المشركين وشرط الامان الاسلام والتكليف فيصح من العبد والمرأة والفاسق ونحوه قال يسعى بذمتهم ادناهم وعن ام هانئ قالت اجرت رجلين
من احمائي فقال صلعم امنا من امنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح امان المكره على عقد الامان وينعقد الامان بكل لفظ يفيد
الغرض صريحا كقوله اجرتك او لا تخف او كناية كقوله انت على ما تحب او كن كيف شئت مثل الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة روي عن عمر
انه قال والذي نفسي بيده لو ان احدكم اشار باصبعه الى مشرك فنزل على ذلك ثم قتله لقتلته هذا ولو دخل الكافر بلادنا بلا سبب اما اذا
دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا دخل لسماع الدلائل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا راى الامام مصلحة في دخول التجار وحكم
الامان اذا انعقد عصمة المؤمن من القتل والسبي فان قتله قاتل ضمن بما يضمن به الذمي ولا يتعدى الامان الى ما خلفه في دار الحرب
من اهل ومال واما الذي معه منهما فان وقع التعرض له فانه اتبع الشرط والا فالارجح ان لا يتعدى الامان الى ذلك وقد بقي في الاية مسئلة اصولية
هي ان المعتزلة استدلوا بالاية على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة ويتبع ذلك ان يكون كلامه محدثا لان دخول هذه
الحروف في الوجود على التعاقب والجواب بان هذه المسموعة فعل الانسان وليست التي خلقها الله تعالى اولا عندكم فعلمنا ان هذا المسموع
ليس كلاما بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها هي الدالة على الكلام النفسي فلهذا اطلق عليها انها كلام الله كما ان الجبائي قال ان كلام
الله شيء مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قارئ وزعم بعض الناس حين راوا انه تعالى جعل كلامه مسموعا ان هذه الحروف
والاصوات قديمة لئلا يلزم قدم كلامه تعالى وفيه ما فيه ثم اكد المعاني المذكورة من اول السورة الى ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد
كيف يكون للمشركين عهد المرفوع اسم كان وفي خبره ثلثة اوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثاني للمشركين وعند على هذين ظرف للعهد
او ليكون او للجار وهو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين او متعلق بيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت لهؤلاء
عهد وهم اضداد لكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في الوفاء منهم ولا تتوانوا في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام
الذين لم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال فما استقاموا لكم في ما وجهان احدهما ان يكون زمانية وهي المصدرية



على التحقيق اى استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم الثاني شرطية اى ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين
فيه اشارة الى ان الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من اعمال المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال كيف وحذف الفعل لكونه معلوما اى كيف
يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اى يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك ان الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تصورها في نفسه كمالا
فانه يريد ان يظهر ذلك لغيره فاطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها لا يرقبوا لا يراعوا فيكم ولا ينظروا بكم الّا ولا ذمة قال في الصحاح الال
العهد والقرابة ووجه ذلك في الكشاف بان اشتقاقه من الال وهو الجوار وهو الانين لانهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وسميت به القرابة
لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفي الصحاح ايضا ان الال بالكسر من اسماء الله عز وجل وفي الكشاف انه قرئ ايلا بمعناه وقيل
جبرئيل جبر ال من ذلك قيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندي على ما يوجبه اللغة يدور على معنى الحدة
من ذلك الالة الحربة واذن مؤللة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل امر لزمك وكان
بحيث لو ضيعته لزمتك مذمة قال ابو عبيدة الذمة ما يتذمم به اى ما يجتنب فيه الذم قال في الكشاف يرضونكم كلام مبتدأ في وصف حالهم
من مخالفة الظاهر والباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام
الجميل ثم قال سبحانه واكثرهم فاسقون عن ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض هؤلاء الكفار قد اسلم وتاب فلهذا لم يحكم بالفسق على الكل والظاهر
انما اراد ان اكثرهم فساق في دينهم لا يتحرزون عن الكذب ونقض العهد الذي هو مذموم في جميع الاديان والنحل اشتروا استبدلوا بآيات الله
بالقرآن او بالاسلام ثمنا قليلا هو اتباع الاهواء فصدوا عن سبيله فصرفوا عنه غيرهم وعدلوا هم انفسهم قال مجاهد اراد الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم وقيل لا يبعد ان يراد طائفة من اليهود الذين اعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القرآن كالامر
المختص باليهود ولانه وصفهم بقوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ولو اراد المشركين كان تكرارا واولئك هم المعتدون المتجاوزون حدود الله
في دينه وما يوجبه العهد والعقد ثم قال فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فان كان هذا في اليهود وما ذكره قبل في الكفار فلا تكرار
وان كان كلاهما في الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثاني قوله فاخوانكم اى فهم اخوانكم في الدين فلم يكن من التكرار في شيء
قال ابن عباس حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة ونفصل الآيات نبينها لقوم يعلمون لانهم هم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة
تقبل البعث على التامل في احكام المشركين وعلى المحافظة على مواردها وان نكثوا يعني هؤلاء التائبين ايمانهم من بعد عهدهم اى من
بعد اسلامهم حتى يكونوا مرتدين او المراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض الخيط من بعد ابرامه وطعنوا في دينكم ثلبوه و
عابوه فقاتلوا ائمة الكفر هي جمع امام واصلها ائممة كمثال وامثلة نقلت حركة الميم الى الهمزة وادغمت الميم في الميم وهو من وضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على ان من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو عريق في الكفر مقتدى فيه لا يشق كافر غباره وقيل خص
سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم اكد عرض القتال بقوله لعلهم ينتهون ليعلم ان الباعث على قتالهم هو ردهم الى طاعة معبودهم
رحمة عليهم لا امر نفساني وداع شهواني ووسط بين الامر بالقتال وبين الحامل عليه قوله انهم لا ايمان تنبيها على العلة الفاعلية للقتال
اثبت لهم الايمان اولا في الظاهر حيث قال وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم في الحقيقة لان ايمانهم ليست مما يعد ايمانا اذ لم يوفوا بها وبهذا
تمسك ابو حنيفة في ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو لم تكن
منعقدة لم يتصور نكثها ومن قرأ لا ايمان لهم بالكسر اى لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث فظاهر قال العلماء اذا
طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة
ثم شرع في ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال الا تقاتلون قال اهل المعاني اذا قلت الا تفعل كذا فانما يستعمل ذلك في فعل
يتبين وجوده واذا قلت لست تفعل فانما تقول ذلك في فعل تحقق وجوده والفرق ان لا ينفى بها المستقبل فاذا دخلت عليها الالف صار
تحضيضا على فعل ما يستقبل وليس مستعمل في نفي الحال فاذا دخلت عليها الالف صار لتحقيق الحال قال ابن اسحق والسدي والكلبي نزلت في
كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين هاجر او من المدينة يريد اليهود
هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا ابا سفيان عليه يوم الاحزاب وقيل هم قريش يوم الحديبية بان يدخلوه مكة ثم يخرجوه قبل
ان يتم عمرته استخفافا به وعلى هذا اريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد وهم بدؤكم اول مرة بالقتال يعني يوم بدر لانهم حين سلم العير
قالوا لا ننصرف حتى نستاصل محمدا ومن معه او المراد انهم قاتلوا حلفاءه من خزاعة او المراد ان الرسول جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم
به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة والبادي اظلم والحاصل ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء
للقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وان يوبخ من فرط فيها ثم زاد في التوبيخ فقال اتخشونهم تقريرا للخشية وتقوية لداعية القتال منهم كما اذا قلت
للرجل اتخشى خصمك لانه يستنكف ان ينسب الى كونه خائفا من خصمه ثم بين ما يجب ان يكون الامر عليه قائلا فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين
يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا الله لانه [illegible] بل لا قدرة الا له ولا يكون الا بارادته وفي الفاء نوع

تعليل لان الاستفهام في معنى النهي كانه قيل لا تخشوهم لان الله احق بالخشية واحرى بالطاعة وفيه نوع مجازاة كانه قيل ان صح انكم مؤمنون فلا تخشوا
الا الله ثم زاد في تاكيد الامر بالقتال فقال قاتلوهم ورتب عليه خمس نتائج الاولى قوله يعذبهم الله بايديكم اي بالقتل والاسر والاغتنام
الاموال وهذا لا ينافي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لانه اراد هناك عذاب الاستيصال قالت الاشاعرة في الاية دلالة على ان الله تعالى
يد خالق الوجود من الافعال كلها من الله يظهرها على ايدي العباد واعترض الجبائي بانه لو كان كذلك لجاز ان يقال كذب الله انبياءه على لسان
الكفرة واجيب بان الامر كذلك عندنا الا انا لا نقوله رعاية للادب كما لا يقال يا خالق الخنافس والحشرات وكما انكم لا تقولون يا مسهل اسباب
الزنى واللواط ويا دافع الموانع عنها الثانية ويخزهم قيل هو الاسر وقيل المراد ما نزل بهم من الذل والهوان حين شاهدوا انفسهم مقهورين
في ايدي المؤمنين وهو قريب من الاول وهو هو وقيل هو عذاب الاخرة الثالثة وينصركم عليهم اورد عليه ان النصر يستتبع الخزي فما الحاجة
الى افراده بالذكر والجواب ان المغايرة كافية في افراد كل من المتلازمين بالذكر على انه من المحتمل ان يحصل لهم الخزي من جهة المؤمنين
الا ان المؤمنين يحصل لهم انه لسبب آخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال الرابعة ويشف صدور قوم مؤمنين هم خزاعة وعن
ابن عباس بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج
قريب الخامسة ويذهب غيظ قلوبهم قيل شفاء الصدور واذهاب غيظ القلب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب ان القلب اخص من الصدر
كقوله يا دارمية بالعلياء فالسند وشفاء الصدر اشارة الى الوعد بالفتح ولا ريب ان الانتظار شاق وان كان مع التيقن بالموعود فاذهاب غيظ
القلب اشارة الى الفتح وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم واعجازه ثم قال ويتوب الله على من يشاء وهو
ابتداء كلام للاخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول
التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فاصدق واكن اما ان التوبة كيف تقع جزاء المقاتلة فذلك من قبل الكفرة واضح فان القتال
قد يصير سببا لتوبة بعضهم عن الكفر واما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان شاقا على بعضهم فاذا اقدم صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة
عن تلك الكراهة وايضا ان حصول النصر والظفر امر عظيم والعبد اذا شاهد توالي النعم لم يبعد ان يصير ذلك داعيا له الى ان يتوب عن
جميع الذنوب قد يصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطريق الحلال فينتهي عن الحرام وايضا الانسان حريص على ما منع فاذا انفتح
عليه ابواب الخيرات الدنيوية فربما يصير ذلك سببا لانقباضه عن الدنيا واعراضه عنها وهذا هو احد الوجوه التي ذكروها في تفسير قوله تعالى
حكاية عن سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يعني حصول هذا الملك لا ينبغي للنفس الا اشتغال بالدنيا والله عليم بكل
ما يجري في ملكه وملكوته حكيم مصيب في افعاله واقواله واحكامه وتدبيره عن ابن عباس ان قوله الا تقاتلون الاية ترغيب في فتح مكة لان
النتائج المذكورة مشاكلة لتلك الاحوال واستبعده الحسن لان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة بسنة ثم بين ان ليس الغرض من ايجاب القتال
نفس القتال وانما المقصود ان يؤتى به انقيادا لامر الله ولكي يظهر المخلص من المنافق فقال ام حسبتم الاية وقد مر مثل هذا في آل عمران
عند قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة والوليجة
البطانة يعني الحبيب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل وهو الرجل يكون في القوم وليس منهم قال الواحدي يقال هو وليجة يستوي الواحد
والجمع ومعنى الاية لا تحسبوا ان تتركوا على ما انتم عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تمييز المجاهدين المخلصين الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا
حبيبا من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ثم ختم الاية بقوله والله خبير بما تعملون ليعلموا انه لم يزل عالما بالاشياء لا يخفى عليه شيء في
الارض ولا في السماء فيجدوا في استقامة السيرة ويجتهدوا في نقاء السريرة التاويل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من النفوس
المشركة التي اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا نهادنها الروح والقلب اوان الطفولية لاستكمال القالب وتربيته فسيحوا في ارض البشرية
اربعة اشهر هي مدة كمال الاوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية واذان من الله ورسوله الى الصفات الناسوتية
يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الجمال والحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب ان زيارة كعبة الوصال حرام على مشركي الصفات الناسوتية
فان تبتم عن الناسوتية بافنائها في اللاهوتية فهو خير لكم من قيامكم بالناسوت وان توليتم وكنتم الى غير الله فاعلموا انكم غير معجزي الله
عن التصرف فيكم اما لاهل السعادة فبالجذبات الازلية واما لاهل الشقاوة فبا لهم عذاب القطيعة الا الذين عاهدتم انتم ايتها القلوب والارواح
من مشركي النفوس على النوافق في العبودية ثم لم ينقصوكم شيئا من وظائف الشريعة ولم يظاهروا عليكم احدا من الشيطان والدنيا فاتموا اليهم عهدهم
بالمداراة والرفق الى اوان طلوع قمر العناية ونجم الجذبة والهداية فاذا انسلخ الاشهر الحرم استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف الاربعة فاقتلوا
النفوس المشركة بسيف النهي عن الشهوات حيث وجدتموهم في الطاعة بان تكلفوها اياها وفي المعصية بان تزجروها عنها وخذوهم بآداب الطريقة
واحصروهم احبسوهم في حصار الحقيقة واقعدوا لهم كل مرصد راقبوهم في الاحوال كلها فان تابوا رجعوا الى الطلب الحق واقاموا الصلوة اداموا
حق العبودية واتوا الزكوة تزكت عن الاخلاق الذميمة فخلوا سبيلهم اتركوا التشديد عليهم بالرياضات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول
الى الحقيقة فان النهاية هي الرجوع الى البداية وان احد من مشركي صفات النفس استجارك يا قلب ترك ما هو المخصوص من الصفات الذميمة

المنافقين المجاهدين صح



فاجره حتى يسمع كلام الله حتى يلهم بالهام ثم ابلغه مامنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس تجذب النفس بجميع صفاتها ذلك بانهم قوم لا يعلمون الله واسراره فلا يميلون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون لمشركي النفوس ثبات على العهد وقد جبلت ميالة الى السفليات وغايتها بعد اصلاح حالها ان تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على اهل الدنيا والاخرة وهو مقام اهل الله وخاصته الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال فيثبتها الله على العهد بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا لهم بشرطها في متسع من الشريعة لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يحفظوا حقوق الخيسة فان الارواح والقلوب والنفوس مزدوجة في عالمي الامر والخلق يرضونكم بالاعمال الظاهرة وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص اشتروا به الالات توصلهم الى الله ثمنا قليلا من متاع الدنيا ومصالحها فصدوا عن سبيله قطعوا طريق الحق على الارواح والقلوب فاخوانكم في الدين رفقاؤكم في طلب الحق فارعوا حقوقهم فان لنفسك عليك حقا لقوم يعلمون ان السير الى الله من اعظم المقامات واهم المهمات وطعنوا في دينكم انكروا مذهب السلوك ائمة الكفر النفوس وهموا باخراج الرسول يعني الواردات الغيبية بانسداد روزنة القلب اول مرة في اوان الطفولية اتخشونهم في فوات حظوظها فالله احق ان تخشوه بفوات حقوقها ويذهب غيظ قلوبهم يعني وحشة الارواح والقلوب وكدورتها ويتوب الله على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل التمادي في الباطل من حاجة الى رياضة شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم فيما يدبر لكل منها ام حسبتم ايها النفوس الامارة ان تتركوا بلا رياضة ولم يتخذوا اولياء من الشيطان والدنيا والاخرة ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم

بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ

وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً

عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ۝ خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى

الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَ

عَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ

كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ

جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا

يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ



القراءة

القراءة مسجد الله ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع يبشرهم خفيفا حمزة وعشيراتكم على الجمع ابو بكر وحماد وحبلة وضاقت ونحوها بامالة حمزة رحبت ثم مظاهرا ابو جعفر ونافع وابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى الوقوف بالكفر ط اعمالهم ج لعطف المختلفين خالدون ه المهتدين ه في سبيل الله ط عند الله ط والظالمين ه لئلا يشتبه بالوصف وانفسهم لا لان ما بعده خبر الذين عند الله ط الفائزون ه مقيم لان ما بعده حال ابدا ط عظيم ه على الايمان ط الظالمون ه بامره ط الفاسقين ه كثيرة لعطف الظرف على الظرف حنين لا لان اذ ظرف نصركم مدبرين ج للاية والعطف كفروا ط الكافرين ه من يشاء ط رحيم ه نصف الجزء وهذا ان شاء ط حكيم ه التفسير انه سبحانه بدأ بالسورة بذكر البراءة من المشركين وبالغ في ايجاب ذلك بتعداد فضائحهم وقبائحهم ثم اراد ان يحكي شبهاتهم التي كانوا يحتجون بها في ان هذه البراءة غير جائزة مع الجواب عنها قال المفسرون لما اسر العباس يوم بدر اقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم واغلظ علي له القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي عليه السلام الكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ردا عليهم ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني مسجد الحرام ومن قرأ على الجمع فاما ان يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام ايضا الذي هو اشرفها وهذا آكد لان طريقه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك واما ان يراد المسجد الحرام وجمع لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد او لان كل بقعة منه مسجد قال الفراء العرب قد يضع الواحد مكان الجمع كقولهم فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد اما لزومه والاكثار من اتيانه للصلوة و الاعتكاف فيه ولا شك انه ليس للمشرك ذلك واما مرمته وتزيينه وفرشه ولبس المشرك هذا ايضا لانه يجري مجرى الانعام على المسلمين ولا ينبغي ان يكون للكافر منة على اهل الاسلام ولان دخوله المسجد يؤدي الى تلويث المسجد اما لكونه نجسا في الحكم واما لانه قلما يحترز من النجاسات ومارواه انه صلى الله عليه وآله انزل وفد ثقيف في المسجد وهم كفار وشد ثمامة بن اثال الحنفي على سارية من سواري المسجد محمول على تعظيم شانه وكان ذلك قبل ان يكون ذلك بحضرته وهو في المسجد وقوله شاهدين على انفسهم حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر به وفي تفسير هذه الشهادة اقوال اصحها انهم اقروا على انفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبي والقرآن وطعنا قال السدي هي ان النصراني اذا قيل له ما انت قال نصراني واليهودي يقول يهودي وعابد الوثن وقيل هي قولهم في طوافهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وعن ابن عباس انه قال المراد انهم يشهدون على محمد بالكفر وانما جاز هذا التفسير لقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم ثم بين تعالى ما هو الحق في هذا الباب فقال اولئك حبطت اعمالهم الصادرة عنهم كاكرام الوالدين وبناء الربط واطعام الجائع لانه لا يفيد مع الكفر طاعة لان الكفر يوجب عقاب الابد ولهذا قال وفي النار هم فيها خالدون ولافادة هذا التركيب الحصر احتج الاشاعرة به على خلاص صاحب الكبيرة ثم وصف من له استيهال عمارة المسجد فقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر لان من لم يعرف المبدأ والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوى ذكر الرسول تنبيها على انه واسطة وان التوجه الحقيقي من الله والى الله ولهذا ورد في الحديث المصلي يناجي ربه وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفي هذه التهمة ترك ذكره وقيل دل عليه بقوله واقام الصلوة وآتى الزكوة لانهما معلومتان من افعاله ص ولما في الصلوة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلوة لا ريب فيها عمارة المسجد الحضور فيه واما ايتاء الزكوة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوائف الفقراء والمساكين لاخذ الزكوة ولان ايتاء الزكوة واجب وبناء المسجد واصلاحه نفل والانسان ما لم يفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكوة فالظاهر انه لم يشتغل بعمارة المسجد ثم قال ولم يخش الا الله ليعلم انه لو اتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامرا له فعلى المؤمن ان يختار في جميع الاحوال رضا الله على غيره فان ذلك لو ضره في العاجل فسينفعه في الآجل وفي ادخال كلمة انما في صدر الاية تنبيه على ان من لم يكن موصوفا بالصفات المذكورة لم يكن من اهل عمارة المسجد وان المسجد يجب صونه عن غير العبادة فقد روي عن النبي ص انه قال يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه الحديث في المجلس يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وآله قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره ومن عمارة المسجد تعظيمها والدرس فيها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح فعن انس عن النبي ص من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه وفي قوله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين حسم لاطماع الكفار في الانتفاع باعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم المستعقب لصلاح حالهم في الدارين دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باهتداء المشركين ومعنيهم وفيه ان المؤمن يجب ان لا يغتر بالله عز وجل هذا وقد مر ان بعض الائمة ذهبوا الى ان عسى من الله الكريم واجب وقال بعضهم ان الرجاء راجع الى العباد ثم انه قال اجعلتم سقاية الحاج ومعناه هبوا ان عمارة المسجد وسقي الحجيج يوجب لكم نوعا من الفضيلة الا ان هذه الاعمال في مقابلة الايمان بالله والجهاد شيء نزر قال المفسرون انها نزلت في مناظرة جرت بين الفريقين الا انهم اختلفوا فقيل كافر ومؤمن لقوله كمن آمن وقصته ما مر ان العباس بن عبد المطلب حين اسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر

المسجد الحرام ونسقي الحاج وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت اليهود لهم انتم
افضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله اولئك اعظم درجة وهذا يقتضي ان يكون للمفضول ايضا درجة وقصته ما روي عن النعمان بن بشير
قال كنت عند منبر رسول الله صلعم فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال الآخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد
الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة ولكني اذا صليت دخلت
فاستفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله الآية ويروى عن الحسن والشعبي ان طلحة قال انا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو اشاء
بت فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي عم ما ادري ما تقولان لقد صليت ستة اشهر قبل الناس وانا
صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن سيرين قال علي عم للعباس بعد ان كان اسلم الا تهاجر الا تلحق بالنبي صلعم فقال الست في افضل من الهجرة الست اسقي
حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الآية فقال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال النبي صلعم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها
خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير مضاف اي اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن او
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من آمن ثم كان لسائل ان يسأل ما بال احد الفريقين لا يشبه بالآخر فالجواب انه قال مستأنفا
لا يستوون عند الله ثم صرح بالمفضول فقال والله لا يهدي القوم الظالمين اي المشركين ان الشرك لظلم عظيم واي ظلم اشنع من وضع
اخس الموجودات وهو الاصنام مقام اشرفها وهو الله سبحانه وانما لم يهدهم الله لعدم قابلية وقع في استعدادهم الفطري وذلك لكونهم مظاهر
القهر ثم صرح بالفريق الفاضل فقال الذين آمنوا الآية ثم من قال ان الفريقين المتناظرين كافر ومؤمن اورد عليه ان قوله اعظم
درجة يوجب ان يكون للمفضول ايضا درجة ولكنه ليس للكافر درجة واجيب بان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرونه لانفسهم من الدرجة
والفضيلة نظيره قوله ذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم او المراد انهم اعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فضلا
عن الكافر او المراد ترجيح الايمان والهجرة والجهاد على السقاية والعمارة ولا شك انهما من اعمال الخير وموجبان للثواب لولا الكفر وفي قوله عند
الله تشريف عظيم كقوله ومن عنده لا يستكبرون وكذا في قوله واولئك هم الفائزون لدلالته على اختصاصهم بالفوز ثم فسر الفوز بقوله يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات والتنكير فيها يفيد انها وراء وصف الواصف قال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة
بالتعظيم فالتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال والجنات اشارة الى حصول المنافع العظيمة وقوله لهم
فيها نعيم اشارة الى خلوص تلك المنافع عن شوائب الكدورات ثم عبر عن دوامها بثلاثة الفاظ مؤكدات اولها مقيم وثانيها خالدين وثالثها
ابدا وقال اهل التحقيق الفرح بالنعمة قد يكون من حيث ان المنعم خصصه بها كالسلطان اذا اعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد يكون
حسية وقد يكون عقلية فقوله يبشرهم ربهم اشارة الى اعلى المراتب وهو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به
وقوله برحمة منه ورضوان اشارة الى المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله جنات الى آخره اشارة
الى المرتبة السفلى وهم الواقفون عند ساحات مواقع اللذات الحسيات وفي تخصيص الرب بالمقام اشارة الى ان الذي رباكم في الدنيا
بالنعم التي لا نهاية لها يبشركم بخيرات دائمة وسعادات باقية لا حصر لها ويجوز ان يكون الرحمة اشارة الى رضاء العبد بقضائه فيسهل عليه الغموم
الآفات والرضوان اشارة الى رضاه عن العبد فيكون كقوله ارجعي الى ربك راضية مرضية ثم اكد المعاني المذكورة بقوله ان الله عنده
اجر عظيم وفي تصديره بالجملة الاسمية بان وفي لفظ عنده وتفخيمه وتنكير اجر ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى قال الكلبي لما امر رسول الله صلعم بالهجرة
الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده
فيقولون ننشدك الله ان تدعنا الى غير شيء فنضيع فيرق فيجلس معهم ويدع فنزل فيهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الى الآيتين و
ذكروا في وجه النظم ان هذه الآية جواب عن شبهة اخرى قالوها وهي انه كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار وبينهم وبين المسلمين قرابات و
مواصلات ومعاملات فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الآباء والابناء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا اختاروا وهو في الاصل طلب المحبة
ثم ان النهي كان يحتمل ان يكون نهي تنزيه لا تحريم فلما ازال ذلك الوهم ختم الآية بقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قال ابن عباس يريد
انه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبي صلعم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب ويبغض في الله حتى يحب في الله اقرب الناس
وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا
يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين
فنزلت قل ان كان آباؤكم الآية فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه وابوه او اخوه او بعض اقربائه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم
رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عز وجل عن موالاتهم قال الواحدي عشيرة الرجل اهله
الادنون وهم الذين يعاشرونه من قرأه على الوحدة فلان العشيرة اسم جمع ومن قرأ على الجمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة قال الاخفش
لا يكاد العرب يجمع عشيرة على عشيرات وانما يجمعونها على عشائر والقرآن حجة عليه والاقتراف الاكتساب والتركيب يدور على الدنو و

ابن الله في الشيء ويدخله تحت ملكه والترتيب المذكور في الآية في غاية الحسن لان اعظم الاسباب الداعية الى المخالطة القرابة التي القرينة
ثم انه يتوسل بتلك المخالطة الى ابقاء الاموال المكتسبة ثم الى التجارات المثمرة وفي آخر المراتب الرغبة في الاوطان التي بنيت
لاجلها فبين تعم انه يجب تحمل هذه المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما وذكر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية اولى عنده من
طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا انتظروا بما تحبون حتى يأتي الله بامره عن الحسن هو عقوبة عاجلة او آجلة
وقيل يعني القتال وعن ابن عباس هو فتح مكة وفيه بعد لما روي ان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين
عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما اوجب ترك مصالح الدنيا لاجل الدين اراد ان يبين ان كل من اعرض عن
الدنيا لاجل مصالح دينه فان الله تعم يراعي مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لهذا مثلا فقال لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة قال الواحدي النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع الموطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها
وامتناعها من الصرف لانه على صيغة منتهى الجموع ولا ها كمساجد والمواطن الكثيرة غزوات الرسول صلعم وهي على ما في الصحاح تسع عشرة منها
غزوة بدر وقريظة والنضير واحد وغزوة خندق وذات الرقاع وغزوة بني المصطلق وغزوة انمار وغزوة ذي القرد وخيبر والحديبية
والفتح ويوم حنين اي وفي يوم حنين واستبعد صاحب الكشاف عطف الزمان على المكان فقال معناه في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين وجوز ان
يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين عم قال على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر اي ونصركم يوم حنين
لان قوله اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا
كثيرا في جميعها وجوز ان يكون اذ منصوبا باضمار اذكر قلت ولعله لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد في عطف الزمان على المكان و
ما جعل بدلا عن الزمان لا يلزم ان يكون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطايف
قال المفسرون لما فتح رسول الله صلعم مكة وقد بقيت ايام شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد
عسكر رسول الله صلعم حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر الفا عشرة آلاف من الذين حضروا مكة والفان من الطلقاء
الاسارى الذين اعتقهم رسول الله صلعم وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وبالجملة كانوا عددا كثيرين وكان هوازن وثقيف اربعة
آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلعم وهي المراد من قوله اذ اعجبتكم وقيل قالها ابو بكر
وقيل رسول الله صلعم وهو بعيد لانه كان في الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا واسبابها ثم قال فلم تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع
الحاجة اي لم يعطكم الكثرة شيئا يدفع حاجتكم ولم يفدكم وضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور
في موضع الحال اي متلبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا في الارض ذات الطول والعرض
موضعا يصلح لفراركم اليه فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين اي انهزمتم انهزاما قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا
واكببنا على الغنايم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلعم ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث والذي
لا اله الا هو ما ولى رسول الله صلعم دبره قط لقد رأيته وابو سفيان آخذ بالركاب والعباس آخذ بلجام الدابة وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب وطفق يركض بغلته نحو الكفار لا يبالي وكانت بغلته شهباء ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا
فنادى يا اصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملئكة عليهم ثياب بيض وهم على خيول بلق واخذ رسول الله صلعم بيده كفا من الحصباء فرماهم بها وقال شاهت
الوجوه فما زال جدهم مدبرا وحدهم كليلا ولم يبق منهم احد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه ثم انزل الله
سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله صلعم حين وقع الهرب وانزل
جنودا لم تروها يعني الملائكة ستة عشر الفا او ثمانية آلاف على اختلاف الروايات وعن سعيد بن المسيب قال حدثني رجل كان في المشركين يوم
حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا
فرجعنا وركبوا اكتافنا واختلفوا في قتال الملائكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا في هذا اليوم لتكثير السواد ولالقاء الخواطر
الحسنة في قلوب المؤمنين ثم قال وعذب الذين كفروا اي بالقتل والاسر واخذ الاموال وسبي الذراري احتجت الاشاعرة بانزال السكينة
وهي طمأنينة السكون والثبات وبقوله وعذب على ان الدواعي والافعال كلها بخلق الله تعم ثم ختم الله بقوله وذلك جزاء الكافرين واعلم ان
الحنفية تمسكوا في مسئلة الجلد مع التغريب بقوله تعم الزانية والزاني فاجلدوا قالوا الفاء للجزاء والجزاء اسم للكافي وكون الجلد كافيا يمنع
ان يكون غيره مشروعا معه واجاب الشافعية بانه تعالى قال في هذه الآية وذلك اي الاخذ والاسر جزاء الكافرين مع ان العذاب العاجل
جزاء مع انه غير كاف لان العذاب الآجل باق اما قوله ثم يتوب الله من بعد ذلك اي يسلم ناس منهم روي ان ناسا منهم جاؤا تائبين فاسلموا
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل و
الغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون يعني العساكر الفقراء ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا

التوبة

نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرتهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان
بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى
لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا ثم انه سبحانه اجاب عن شبهة اخرى لهم وذلك ان عليا عليه السلام حين
قرأ عليهم براءة ينبذ اليهم عهدهم قال اناس يا اهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال تعالى يا ايها
الذين امنوا انما المشركون نجس قال في الكشاف هو مصدر كالقذر ومعناه ذوو نجس وقال الليث انه صفة يستوي فيه الواحد وغيره رجل نجس
وقوم نجس وامرأة نجس قلت ويجوز ان يجعل المصدر نعتا للمبالغة في الوصف واختلف في تفسير كون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة
كالكلاب والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا توضأ وهو قول الهادي من ائمة الزيدية واما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة ابدانهم و
احتج القاضي على ذلك بما روي انه صلى الله عليه وسلم شرب من اوانيهم وبانه لو كان نجس العين لما تبدلت النجاسة بسبب الاسلام واولوا الاية بان معناها انهم
لا يغتسلون عن الجنابة ولا يتوضؤن عن الحدث او انهم بمنزلة الشيء النجس في وجوب الاجتناب والاحتراز او ان كفرهم الذي هو صفتهم
بمنزلة النجاسة المتصفة بالشيء فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهي السنة التاسعة من الهجرة التي وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين
واختلفوا في هذا النهي فعن ابي حنيفة واصحابه ان المراد ان لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلونه في الجاهلية والدليل عليه قول علي عليه السلام
في النداء الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعي المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقاس مالك سائر المساجد على المسجد
الحرام في المنع وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على
المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع
المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال انهم اذا لم يحضروا الموسم لم يحصل للمسلمين ما
كان لهم في قدومهم عليهم من الارفاق والمكاسب فلهذا خافوا الفقر ثم وعدهم الله ازالة الفقر بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله
اي من تفضله بوجه اخر قال عكرمة انزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله لهم اخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل اغناهم
عن الفيء وعن مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش وحملوا الطعام الى مكة فكان ذلك اعود عليهم واعلم ان هذا اخبار بالغيب وقد وقع
فكان معجزا ومعنى ان شاء تعليم وارشاد وان لا يفتر المسلمون بذلك فيتركوا التضرع الى الله والالتجاء اليه وليعلم ان حصول ذلك لا يكون
في كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا ضابط الامور ورابط الاسباب ولهذا اختتم الاية بقوله ان الله عليم اي باحوالكم حكيم لا
يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب التأويل ما كان للمشركي النفوس الامارة ان يعمروا مساجد الله وهي القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد
وتتبع الهوى حبطت اعمالهم التي صدرت عنهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب من امن بالله واليوم الاخر صدق بان المقصود والمعبود هو
الله وعمل لنيل السعادات الاخروية وادام المناجاة مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الدنية ولم يخف فوات الحظوظ
الدنيوية وانما تخاف فوات الحقوق الالهية سقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال
الموجبة لعمارة القلوب اذا كانت مشوبة بالرياء والهوى لا يستوون عند الله الطالبون والبطالون والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين يضعون الاعمال الصالحة في غير موضعها الذين امنوا اي القلوب المؤمنة وهاجروا اي الارواح المهاجرة الى القوالب وجاهدوا
في سبيل الله الجهاد الاكبر باموالهم وانفسهم ببذل الموجود والوجود جميعا يبشرهم ربهم بعد الخلاص عن حجب الوجود بتجلي صفات
لطفه وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده اجر عظيم اي من وصل الى مقام العندية فالله العظيم اجره لا تتخذوا اباءكم الاية فيها اشارة
الى ان من اثر محبة الخالق على المخلوق فقد ابطل الاستعداد الفطري لقبول الفيض الالهي ويوم حنين اي حين حنت نفوسكم شوقا الى لقاء ربها وحسبتم انكم
تبلغونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم ارض الوجود ثم اعرضتم عن الطلب اذ احتجبتم بحجب العجب بين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم انزل الله
سكينته وهي واردات ترد على الارواح والقلوب فتسكن الى ربها على رسوله الروح وعلى القلوب المؤمنة وانزل جنودا من المواهب الربانية ومن
المتمردة باستعمالها في احكام الشريعة واداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين اي علاج النفوس المتمردة باستعمالها في احكام الشريعة واداب الطريقة
وذلك جزاء الكافرين اي علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج بجذبة ارجعي انما المشركون النفوس العابدة للدنيا والشيطان
والهوى فلا يقربوا القلب بعد عامهم هذا وهو حالة البلوغ وجريان قلم التكليف على الانسان نهي القلوب عن اتباع النفوس وامرها بقتالها
ومنعها عن طوافها لئلا تنجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس واوصافها الذميمة وان خفتم عيلة حظوظا يستلذ بها عند اتباع النفس فسوف
يغنيكم الله بعد انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحقي فضله حكيم فيما يرى من
قتال النفوس قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين
کارزار کنید با آنانکه نگروند بخدا و نه بروز واپسین و حرام ندانند آنچه را که حرام کرده خدا و رسول او و دین نگیرند دین حق را از آنان
اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
که داده شد ایشان را کتاب تا بدهند جزیه را از دست و ایشان ذلیل باشند و گفتند یهود که عزیر پسر خداست و گفتند ترسایان که مسیح

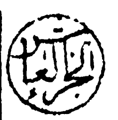
ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين

القراءة عزير ابن بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلي وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهئون بالهمزة عاصم غير الخزاز الآخرون يضاهون بحذف الهمزة ان يطفوا وليواطوا بحذف الهمزة فيهما يزيد وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة اثنا عشر بسكون العين يزيد و الخزاز انما النسي بالتشديد ورش من طريق البخاري وحمزة في الوقف الباقون بما بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد علي وحمزة غير العجلي وحفص وخلف لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد العجلي والوقف ورويس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد الوقوف صاغرون ه ابن الله ط بافواههم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف من قبل ط قاتلهم الله ج يؤفكون ه ابن مريم ج لاحتمال الجملة بعده ان يكون حالا واستينافا واحدا ج لان ما بعده يصلح ابتداء ووصفا الا هو ط يشركون ه الكافرون ه كله لا لتعلق لو بما قبله المشركون ه عن سبيل الله ط في سبيل الله لا لتعلق الفاء اليم لا اي يوم وظهورهم ط تكنزون ه حرم ط تقاتلونكم كافة ط المتقين ه فيحلوا ما حرم الله ط اعمالهم ط الكافرين ه التفسير انه لما ذكر شبهات المشركين واجاب عنها باجوبة صحيحة اراد ان يبين احكام اهل الكتاب المفصولة عنهم من المشركين في الحكم لان الواجب في المشركين القتال الى الاسلام والواجب في اهل الكتاب القتال او الجزية الى الاسلام واعلم انه تعالى ذكر صفات اربعة وامر بقتال من اتصف بها بقوله من الذين اوتوا الكتاب فدل ذلك على ان اهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله فاورد عليه ان القوم يقولون نحن نؤمن بالله واجيب بان ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بان كل من نازع في صفة من صفات الله لو كان منكرا لله لزم ان يكون اكثر المتكلمين كذلك فالاشعري من اهل السنة اثبت البقاء صفة والقاضي انكره وعبد الله بن سعيد اثبت القدم صفة والباقون انكروه والقاضي اثبت لله ادراك المطعوم وادراك الروائح والحرارة والبرودة والاستاذ ابو اسحق انكره والقاضي اثبت للصفات سبعة احوال معللة بالصفات وغيره انكره وعبد الله بن سعيد زعم ان كلام الله في الازل ما كان امرا ولا نهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والآخرون انكروه وقوم من قدماء الاشاعرة اثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهي والاستخبار والخبر والنداء والمشهور ان كلام الله واحد واختلفوا في ان خلاف المعلوم هل هو مقدور لله واما اختلافات المعتزلة وساير الفرق فاكثر من ان تحصى ههنا واجيب بان المجسم خالف في الذات لانه يقول ان الاله جسم والبرهان على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني واما الخلاف في المسائل المذكورة فراجع الى الصفة وظهر الفرق نعم انا نكفر الحلولية

والحرمية القائلين بان كلام الله تعالى في كل لسان وفي كل جسم كتب فيه القرآن كما تكفر النصارى القائلين بان اقنوم الكلمة حلت في عيسى الصفة
الثانية انهم لا يؤمنون باليوم الآخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسماني والقرآن دل على ان اهل الجنة ياكلون ويشربون وبالذين
يتمتعون اما السعادات الروحانية فتتفق عليها الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي لا يحرمون ما حرم الله في القرآن والرسول
في سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال ابو روق اي لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوها واتوا باحكام توافق شهواتهم الصفة الرابعة ولا
يدينون دين الحق اي لا يعتقدون صحة دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذ ذلك دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله
ثم ذكر غاية القتال فقال حتى يعطوا الجزية فعلة من جزى يجزي اذا قضى ما عليه قال الواحدي هي ما يعطي المعاهد على عهده وقال في الكشاف سميت
جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من عليهم بالاعفاء عن القتل ومعنى عن يد ان اريد بها يد المعطي اي عن
مواتية غير ممتنعة يقال اعطى بيده اذا انقاد واصحب او المراد حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد احد وان اريد بها يد الآخذ
فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية اي بسببها كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يتناهون في السمن بسببهما او المراد عن انعام عليهم لان
قبول الجزية منهم بدلا عن ارواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل ان من اليهود موحدة فما وجه ايجاب الجزية عليهم والجواب انه اذا ثبت وجوب الجزية على بعضهم
لزم القول به في حق الكل لعسر الامتياز ولوجود الصفات الباقية فيهم اما مقدار الجزية فعن انس قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل محتلم دينارا وقسم عمر على
فقرائهم في المدينة اثني عشر درهما وعلى الاوساط اربعة وعشرين وعلى اهل الثروة ثمانية واربعين فذهب الشافعي الى ان اقل الجزية دينار ولا
يزاد على الدينار الا بالتراضي وذهب ابو حنيفة الى تقسيم عمر والمجوس سبيلهم سبيل اهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي انه صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية
من مجوس هجر وذلك لان لهم شبهة كتاب معنى ذلك ان كتبهم وهي الصحف التي نزلت على ابراهيم عليه السلام قد رفعت الى السماء لاحداث احدثوها وليس
المقصود من اخذ الجزية تقرير الكفرة على كفرهم بدينار واحد حتى يصير موجبا للطعن وانما الغرض حقن دمائهم وامهالهم مدة لعلهم يتفكرون في كتابهم
فيعرفون صدق محمد ونبوته وادعاهم اليه وايضا فيهم حرمة انبيائهم وحرمة كتابهم وحرمة آبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والانجيل واما
قوله وهم صاغرون فمعناه انه لا بد مع اخذ الجزية من الحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه ان طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل فاذا امهل الكافر مدة
وهو يشاهد عز الاسلام وذل الكفر ويسمع الدلائل فالظاهر ان مجموع ذلك يحمل على الانتقال الى الاسلام وفسر الصغار في الآية باخذ الجزية
على سبيل الاهانة بان يكون الذمي قائما والمسلم الذي ياخذ الجزية قاعدا ويامره بان يخرج يده من جيبه ويحني ظهره ويطاطئ راسه فيصب ما معه
في كفة الميزان وياخذ المستوفي بلحيته ويضرب في لهزمتيه وهذه الهيئة مستحبة على الاصح لا واجبة وقيل الصغار هو نفس اخذ الجزية والجزية تسقط
بالاسلام عند ابي حنيفة دون الشافعي وانها تؤخذ عند ابي حنيفة في اول السنة وعند الشافعي في آخرها ولا تؤخذ من فقير لا كسب له ولا من امرأة
وخنثى ولا صبي ولا مجنون وعبد ولا من سيد بسبب عبده وتجب على الزمن والعسيف والشيخ الفاني والراهب والاعمى على الاصح من قولي الشافعي لان الجزية
بمنزلة الكراء يستوي فيه المعذور وغيرهم قال الشافعي في احد قوليه العاجز عن الكسب يعقد له الذمة بالجزية فاذا تم الحول اخذناها ان ايسر والا فهي في
ذمته الى ان يوسر وهكذا في كل حول ولا يصح عقد الذمة الا من الامام او نائبه الذي فوض اليه لانه من الامور الكلية وكيفية العقد ان يقول
اقررتكم او اذنت لكم في الاقامة في دار الاسلام على ان تبذلوا كذا وتنقادوا لاحكام الاسلام التي يراها الامام ولا يقر اهل الكتاب بالجزية في ارض
الحجاز لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا اليهود من الحجاز قال الشافعي هو مكة والمدينة ومخاليفها اي قراها وما روي انه صلى الله عليه وسلم اوصى بان يخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة
العرب محمول على انه اراد الحجاز جمعا بين الحديثين وقد بقي في الآية نكتة ذكرها بعض العلماء في ان المسلم لا يقتل بالذمي قال لان قوله قاتلوا اشتمل
على اباحة دمهم وعلى عدم وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية علمنا ان المجموع انتفى عند انتفاء الجزية ولكن انتفاء
المجموع يكفي فيه انتفاء احد اجزائه واحد الجزئين وهو وجوب قتلهم مرتفع بالاتفاق فيبقى الآخر وهو عدم وجوب القصاص بقتلهم والجزية كما كان وللقائل ان يقول
لا نزاع في الاحتمال ولكن ما الدليل على عدم وجوب القصاص وانت بصدد اثباته ولما حكم في الآية المتقدمة ان اهل الكتاب لا يؤمنون بالله
شرع في اثبات تلك الدعوى فقال وقالت اليهود عزير ابن الله الآية العلم مبتدأ والابن خبره ومن اسقط التنوين من عزير فلانه اسم
عجمي زائد على ثلاثة احرف فيمتنع من الصرف كعازر وقيل منصرف لكونه عربيا وكان الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم ولكنه اسقط التنوين للساكنين
على مذهب بعضهم او لان الابن وقع صفة والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن في هذا الوجه عبد القاهر باستلزامه احتمال توجه الذم الى الخبر دون
الوصف وقد يحصل التسليم لكونه ابن الله ومعلوم ان ذلك كفر وهذا قول ناس من اليهود بالمدينة وما هو بقول كلهم الا انه جاء على عادة العرب في
ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان يركب الخيول ويجالس الملوك ولعله لم يركب ولم يجالس الا واحدا عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم
ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وعنه ايضا ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله التوراة و
نسخها من صدورهم فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فانذر قومه فلما جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا هذا
ابن الله وقال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع ولا
عبرة بانكار اليهود قول الله اصدق وقد قال في الكشاف الدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم

على التكذيب

على الكذب واما النصارى فلا شك انهم يقولون ذلك وحكى الواحدي في سبب ذلك ان اتباع عيسى كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع حرب بينهم وبين
اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جمعا من اصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان
دخلوا الجنة ودخلنا النار واني احتال فاضلهم فعرقب فرسه واظهر الندامة مما كان يصنع ووضع على راسه التراب وقال نوديت من السماء ليس لك توبة الا
ان تتنصر وقد تبت فادخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج تعلم الانجيل فصدقوه واحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه
نسطور وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله
وعلم رجلا آخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم انت خالصتي
فادع الناس الى نحلتك ولقد رايت عيسى في المنام فرضي عني واني غدا اذبح نفسي لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فهذا هو السبب في وقوع
هذا الكفر في طوائف النصارى والاقرب ان لفظ الابن قد وقع في الانجيل على سبيل التشريف حيث قال انك انت الابن الوحيد كما وقع لفظ
الخليل في حق ابراهيم وقال المسيح للحواريين احبوا اعداءكم وبركوا على لاعنيكم واحسنوا الى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي
في السماء الذي اشرق شمسه على الصالحين والفجرة ثم ان القوم لاجل عداوة اليهود ولاجل ان يقابلوا غلوهم الفاسد في احد الطرفين بغلو فاسد في الطرف
الآخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية والله تعالى اعلم بحقيقة الحال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال ثم قال سبحانه ذلك قولهم بافواههم وفائدة
هذا التخصيص ان كل قول فانما يقال بالفم انه قول لا يعضده برهان بل البرهان دال على نقيضه لا نصيب له الا الثبات لفظ الذي هو عبارة عن الحاجة والتهوع والمصاحبة
واتخاذ الصاحبة فاما هو لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة لا يجاوز الحناجر ولا يؤثر معناها في القلب بل لا معنى لها حتى يؤثر نظيره قوله
وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم او نقول ان الانسان قد يختار مذهبا ولكن لا يصرح به لا بلسانه فاذا نطق به فذلك هو الغاية في اختياره واذا
ساعده عليه دليل كان نهاية في الحسن والتاثير فالمراد بالقول المذهب وانهم يصرحون به لا يخفونه البتة او انه مذهب لا يساعده دليل فلا تاثير له في القلوب
ويحتمل ان يراد انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى وقعت في الافواه والالسنة يضاهون من قرا بغير همز فظاهر لانه من ضاهى يضاهي مضاهاة اي شاكل
ومن قرا بالهمز فلمجيء ضاهأت لقولهم ضاهيت على نغير ومنه المرأة التي شاكلت الرجال في انها لا تحيض من جعل ضهيأ فعلاء بزيادة الهمزة كما في غرقئ البيض
السفلي لمجيء ضهياء ممدودا بمعناه فلا ثبت في هذا الثاني عنده ولا بد من تقدير مضاف اي يضاهي قولهم قول الذين فحذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه
مقامه فانقلب مرفوعا لفقد الجار والمعنى ان قول هؤلاء المعاصرين للنبي من اهل الكتاب يشبه قول قدمائهم اي انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي
قول اهل الكتاب قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير في يضاهون للنصارى فقط اي يشاكل قول النصارى المسيح ابن الله قول اليهود عزير
ابن الله لان اليهود اقدم منهم ثم قال على عادة محاورات العرب تعجبا وتشنيعا على سبيل الانكار قاتلهم الله انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اي هم
احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم ولمن ضل عن الطريق اين تذهب ثم وصفهم بضرب
اخر من الاشراك فقال اتخذوا احبارهم ورهبانهم قال اهل المعاني الحبر العالم الذي يعبر عما يرد بالحسن والراهب الذي ظهرت آثار الرهبة من قلبه على
وجهه ولباسه لكن في عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود من ولد هرون والرهبان بعلماء النصارى من اصحاب الصوامع واختلفوا في معنى اتخاذهم اياهم
اربابا بعد الاتفاق على انه ليس المراد انهم جعلوهم آلهة العالم فقال اكثر المفسرين المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم نقل ان عدي بن حاتم كان نصرانيا
فانتهى الى النبي وهو يقرا سورة براءة فلما وصل الى هذه الآية قال عدي انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه فقلت بلى فقال
فتلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل فقال انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان وكانوا
ياخذون باقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله قال العلماء انما لم يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلافا لما عليه الخوارج لان الفاسق وان كان يقبل
دعوة الشيطان الا انه يلعنه ويستخف به بخلاف اولئك الاتباع المعظمين لمتبوعيهم قال الامام فخر الدين الرازي ره قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء
قرات عليهم آيات كثيرة من كتاب الله في مسائل كانت تلك الآيات مخالفة لمذهبهم فيها ولم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الي كالمتعجب
يعني كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع ان الرواية عن سلفنا وردت بخلافها ولو تاملت حق التامل وجدت هذا ساريا في عروق الاكثرين قلت لعلهم
توقعوا الحسن ظنهم بالسلف لانهم دينا وتقوى من تلك الاى على ما لم يقف عليه الخلف وقيل في تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم
وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى الحلول والاتحاد وقد يساعدهم الشيخ في ذلك اذا كان مزورا طالبا للدنيا وقد يرضى بسجودهم له تعظيما واجلالا مع ان
السجود عبادة لا يليق الا بالله واذا كان هذا مشاهدا في هذه الامة فكيف بالامم السالفة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة ولا لبس فيه ولعل
السبب في افراد المسيح بالذكر ان قولهم فيه اشنع من قولهم في الاحبار والرهبان او لان القول بالهية المسيح مخصوص باحد الفريقين فلو قيل اتخذوا احبارهم
والمسيح ابن مريم اربابا لاوهم اشتراك الفريقين في اتخاذ المسيح ربا وما امروا الضمير للمتخذين والذي امرهم بذلك ادلة العقل والكتب السماوية وفي القران
حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز ان يكون الضمير للاحبار والرهبان اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا
بان يكونوا مربوبين ثم نزه نفسه عن مقالتهم فقال لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ثم ذكر نوعا اخر من قبائح افعال اهل الكتاب وهو سعيهم في ابطال امر محمد
وجدهم في اخفاء الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال يريدون ان يطفئوا نور الله اي يبطلوا الثابت بالدليل المشبه بالنور لاشتراكهما في الاهتداء
بهما وذلك ان دين محمد مؤيد بالمعجزات الباهرة التي بمثلها ثبت نبوة موسى وعيسى لا سيما بالقران وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والانقياد



لطاعته وصرف النفس عن الامور الفانية والترغيب في السعادات الباقية ثم الهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة ارادوا ابطال هذه الدلائل
فكانوا كمن يريد ابطال نور الشمس الذي هو اشد الانوار المحسوسة بسبب ان ينفخ فيه ولا ريب ان ذلك سعي باطل وكيد زاهق ولهذا قال ويأبى
الله الا ان يتم نوره اي لم يرد الله الا ذلك لان الاباء يفيد زيادة على عدم الارادة وهي المنع والامتناع فكانه قيل وان ارادوا ظلمنا ابيناه
استدح بذلك ولا يجوز ان يمتدح بانه يكره الظلم لان ذلك يستوي فيه القوي والضعيف وفيه وعد بمزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة
ثم اكد ذلك المعنى بقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى وبكثرة الدلائل والمعجزات ودين الحق وهو اشتماله على امور يظهر لكل احد كونه موصوفا
بالصواب مطابقا للحكمة ومؤديا الى الصلاح للدنيا والآخرة ثم بين غاية امره وتمام حكمه فقال ليظهره على الدين كله اي ليجعل الرسول او
دين الحق غالبا على اهل الاديان كلهم او على كل دين عن ابي هريرة انه قال هذا وعد من الله بان يجعل الاسلام غالبا على جميع الاديان و
تمام هذا انما يظهر عند خروج عيسى وقال السدي ذلك عند خروج المهدي لا يبقى احد الا دخل في الاسلام او ادى الخراج قلت قد دخل في
عصرنا من الملوك الكفرة ومن اشياعهم في الاسلام ما لا يعد ولا يحصى وازدياد ذلك كل يوم دليل ظاهر على ان الكل سيدخلون في
الاسلام وقد جاء في الحديث زويت لي الارض فاريت مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقيل ليظهر الاسلام
على غيره في جزيرة العرب وهذا التخصيص وجهه ضيق العطن وقيل ليظهر الرسول على جميع شرائط الدين حتى لا يخفى عليه شيء من مدارك
الاحكام وقيل ليظهره بالحجة والبرهان لان غلبة الكفار في بعض الاقطار ظاهرة ولقائل ان يقول ان المسلمين في تلك البلاد وان
قلوا غالبة على الكفار وان كثروا بدليل انهم لا يمنعونهم من اظهار شعائر الاسلام والتزام احكامه قوله هو الذي ارسل فيه مدح منه تعالى
لنفسه من جهة انه هو القادر على بداء مثل هذا الامر العظيم ومن جهة انه هو الغالب على ايصاله الى حيث شاء واراد من غير معاند
ولا منازع ومن جهة انه هو المعطي لمثل هذه النعمة التي لا يوازيها نعمة وهي نعمة الهدى في الاسلام وقوله ولو كره الكافرون في الآية الثانية
ولو كره المشركون اما متساويا الدلالة تنبيها على ان اليهود والنصارى ايضا مشركون واما تخصيص بعد تعميم ولعله رغم لانف
مشركي قريش ثم لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق اراد ان يصفهم بالطمع والحرص
فقال يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان الآية وفيه تنبيه على ان مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر تحصيل
حطام الدنيا قال الامام فخر الدين الرازي ولعمري ان من تامل في احوال اهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الآيات كأنها ما انزلت
الا في شانهم وشرح احوالهم فترى الواحد منهم يدعي انه لا يلتفت الى الجنة ولا يعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه في الطهارة والعصمة
مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك ويتحمل الذل والدناءة في تحصيله وفي قوله كثيرا دلالة على ان
هذه الطريقة طريقة بعضهم لا كلهم فان العالم لا يخلو عن المحق واطباق الكل على الباطل واثبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم انه كما ان اجماع
هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك في سائر الامم وعبر عن اخذهم اموال الناس بالاكل تسمية للشيء باسم ما هو اعظم مقاصده
وايضا من اكل شيئا فقد ضمه الى نفسه ومنعه من الوصول الى غيره كما لو اخذه ولهذا فان من اخذ اموال الناس فاذا طولب بردها
قال اكلتها وما بقيت فلا قدرة لي على ردها وفي تفسير الباطل وجوه منها انهم كانوا ياخذون الرشى في تخفيف الاحكام والمسامحة
في الشرائع وفي اخفاء بعث محمد وتاول الدلائل الدالة على نبوته ومنها انهم كانوا يوعدون عند عوامهم الحمقى انه لا سبيل الى الفوز
بمرضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في ذاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها انهم قالوا لا طريق
الى تقوية دينهم الا اذا كان اولئك الفقهاء اقوياء عظماء اصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المزورون في زماننا هذا اما قوله
ويصدون عن سبيل الله فمعناه يمنعون في المنع من متابعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم عند العوام لو اقروا بدينه ثم قال سبحانه
والذين يكنزون الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه ناقة كناز مكتنزة اللحم واكتنز الشيء اجتمع قيل
المراد بقوله والذين الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد اراد ان يصفهم بالامتناع من اخراج الواجبات عن اموالهم وقيل المقصود
مانعوا الزكوة من المسلمين ووجه النظم انه لما كان حال من امسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعى في اخذ مال غيره
بالباطل والحديث عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا انا بابي ذر فقلت له ما انزلك هذه البلاد فقال كنت بالشام فاختلفت
انا ومعوية في هذه الآية فقال معوية نزلت في اهل الكتاب قلت نزلت فينا وفيهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الى عثمان ان اقدم
المدينة فلما قدمت المدينة انحرف الناس عني كانهم لم يروني من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا قلت
اني والله لا ادع ما كنت اقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رايت ابا ذر يقول بشر الكانزين برضف يوم يحمى عليه في نار جهنم فيوضع
على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت
ما رايت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ما عسى يصنع بي قريش واختلف علماء الصحابة في هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال
الذي لم يؤد زكوته عن عمر بن الخطاب ان مالا ادي زكوته ليس بكنز وقال ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل
مال لم يؤد زكوته فهو كنز وان كان فوق الارض قال جابر اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس

قوله «ولا ينفقونها في سبيل الله» يريد الذين لا يؤدون زكوة اموالهم قال القاضي ويندرج فيه سائر الحقوق من الكفارات والديون ونفقة
الحج والجهاد والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات واروش الجنايات وقال الاقلون كل مال كثير فهو مذموم سواء اديت زكوته
او لم تؤد حجة الاولين قوله تعالى «لها ما كسبت» «ولا يسألكم اموالكم» وقوله كل امرئ احق بكسبه نعم المال الصالح ما اديت زكوته فليس بكنز
وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى ولم تزك فهو كنز وان كان ظاهرا وقد كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الاغنياء كعثمان بن عفان و
عبد الرحمن بن عوف وكان يعدهم من اكابر المؤمنين وقد ندب الى اخراج الثلث والاقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لكان يأمر
المريض بتصدق الكل بل الصحيح في حال الصحة حجة الاقلين عموم الآية وما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة
قالها ثلثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وقوله من ترك صفراء وبيضاء كوي بها وتوفي
رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان وعن علي عليه السلام كل مال زاد على اربعة آلاف فهو كنز
اديت منه الزكوة او لم تؤد ومن المعقول ان الله تعالى خلق الاموال لدفع الحاجات فاذا حصل للمرء منه ما زاد على قدر حاجته ومنع منه
الغير كان مانعا من ظهور حكمة الله ودافعا لوجوه الاحسان الى عبيده وقد رام طائفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا كان هذا
قبل ان يفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما وجب عليه ثم
يعاقبه وقال اهل التحقيق النهي عن جمع المال محمول على التقوى لان تزايد المال لا حد له يقف هناك فيجر الى تضييع العمر في تحصيله
واخرى في حفظه ولانه كلما ازدادت لذته بذلك فيشتد حرصه لا ينقطع البتة وقد يفضي الى الطغيان والخذلان كقوله تعالى «ان الانسان
ليطغى ان رآه استغنى» ولو لم يكن في الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى بها منقبة وفخرا وكل ما يلهيك عن الله ولم
يكن في سبيل الله فعدمه خير من وجوده واما ظاهر الفتوى فهو ان صاحب المال الكثير لا عتب عليه اذا ادى منه حقوقه هذا ومن
حمل الآية على وعيد مانعي الزكوة في النقود قاس الزكوة في المواشي عليه وقد ورد ايضا في الحديث ما من صاحب ابل او بقر او غنم وهو
مشهور ولا ريب ان الاصل المعتبر في الاموال هو النقد وسائر الامتعة انما تحصل بهما وتدور عليهما ولمن اوجب الزكوة في الحلي المباح
الاستدلال بالآية لان الذهب والفضة يشملهما ومن لم يوجب الزكوة فيه خصص عموم الآية بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا زكوة في الحلي المباح ولم يصححه
ابو عيسى الترمذي وبتقدير ان يصح حملوه على اللآلي لقوله تعالى «وتستخرجون حلية تلبسونها» ولقائل ان يقول لو حملنا الحلي في الحديث على
اللآلي لم يبق لتقييد المباح فائدة ثم انه تعالى ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال «ولا ينفقونها» فقيل الضمير عائد الى المعنى وهو الكنوز او
الاموال ولان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودراهم ودنانير فهو كقوله «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» وقيل الى اللفظ
اي ولا ينفقون الفضة وحذف الذهب لانه داخل في الفضة من حيث كونهما جوهرين ثمينين نفيسين مقصودين بالكنز فاغنى ذكر
احدهما عن الآخر كقوله «واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها» «ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا» واما لان التقدير والذهب كذلك
كما ان معنى قوله «فاني وقيار بها لغريب» وقيار كذلك ثم قال «فبشرهم بعذاب اليم» تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم ولو قيل البشارة
هي الخبر الذي يؤثر في القلب فيتغير بسببه لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح او من الغم كان حقيقة «يوم يحمى عليها» معناه ان النار يحمى عليها
اي يوقد عليها نار ذات حمى وحر شديد من قوله «نار حامية» ولو قيل يوم يحمى اي الكنوز كقولك حميت الحديد لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل
مع ان الاحماء للنار لانه مسند الى الجار والمجرور وبعد حذف النار كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير
«فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم» ذكر العلماء في تخصيص هذه الاعضاء بالكي وجوها منها ان حصول الاموال يقصد به فرح
في القلب يظهر اثره في الوجه وشبع ينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم فعورضوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه
الاعضاء يعظم تألمها لكونها مجوفة ولما في داخلها من الاعضاء الشريفة ومنها انهم يكوون على الجهات الاربع اما من قدام فعلى الجبهة واما
من خلف فعلى الظهر واما من اليمين واليسار فعلى الجنبين ومنها ان المراد وقوع الكي على كل الاعضاء لانها اما في غاية النظافة ومثاله الجبهة
واما في غاية الصلابة ومثاله الظهر واما متوسطة ومثاله الجنبان ومنها الجمال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين والانسان انما طلب
المال للجمال والقوة فعورض بازالتهما ومنها قول ابي بكر الوراق خصت بالذكر لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جبينه واذا قعد بجنبه
تباعد وتجافى عنه وولى عليه ظهره وانا اقول يحتمل ان يراد بالجباه قدام لتشخص حين لم يقدم لنفسه خيرا وبالظهور جهة الخلف حين خلف
ما اعقبه الحسرات وبالجنبين اليمين والشمال حين لم يصرف المال في مرضات الله وانفقه في معصيته وسخطه وهذا بالتأويل اليق
ثم الذي جعل كيا هو كل المال او القدر الزكوي الظاهر انه الكل لانه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شائعا في كل المال فناسب ان
يعذب بكل الاجزاء ثم قال «هذا ما كنزتم» والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم «لانفسكم» وفيه توبيخ واشعار بانهم عورضوا بنقيض ما
قصدوا واكد ذلك بقوله «فذوقوا ما كنتم تكنزون» ما مصدرية او موصولة والمعنى عرفوا وبال كونكم كانزين او وبال المال الذي كنتم
تكنزونه ثم ذكر نوعا آخر من قبائح اعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال «ان عدة الشهور» الآية وذلك انه تعالى لما حكم في كل وقت
بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات بسبب النسيء والكبيسة كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك ذما



ذكرهم واعلم ان المعالم الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية الهلالية لقوله سبحانه قل هي مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة عن
اثني عشر شهرا قمريا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال ابو علي الفارسي لا يجوز ان يتعلق قوله في كتاب الله
بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبي وهو الخبر اعني اثنا عشر بل قوله في كتاب الله ويوم خلق الثاني بدل من الاول وهو من عند والتقدير ان
عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والارض وفائدة الابدالات تقرير الكلام في الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك العدد
واجب عند الله وثابت في علمه في اول ما خلق الله العالم ويجوز ان يكون في كتاب الله صفة اثني عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله
وعلى هذا لا يجوز ان يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم متعلق به ولا يتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب
يكون مصدرا بمعنى المفعول اي فيما اثبته في ذلك اليوم اللهم الا اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا في
كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ وقيل القرآن منها اربعة حرم ثلثة سرد اي مسرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد
فرد وهو رجب ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذي كان عليه ابراهيم واسمعيل وقد توارثته العرب منهما وكانوا
يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه واخيه تركه فلا تظلموا فيهن اي في الاشهر الاربعة انفسكم بان تجعلوا حرامها حلالا
عن عطاء تالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن الحسن مثله لانه فسر الدين القيم بانه الثابت
الذي لا يزول وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم
اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه ان لبعض الاوقات اثرا في زيادة الثواب والعقاب كما للامكنة و
كانت الحكماء يختارون لاجابة الدعاء اوقاتا مخصوصة وفيه فائدة اخرى هي ان الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه من ذلك
على الاطلاق شاق عليه فخص بعض الازمنة والامكنة بمزيد التعظيم ليسهل عليه الاتيان بها فيهما ولا يمتنع عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو امر
مطلوب في نفسه وان جره ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الالفة والاعتياد او الاعتقاد ان الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه
السالفة فذلك هو المطلوب الكلي ولا ريب ان تخصيص ذلك من الشارع اقرب الى اتحاد الآراء ولطائف الكلمة وقيل الضمير في قوله فيهن عائد
الى اثني عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الافساد مدة عمره والمراد المنع من الشيء على ما يجي قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى
الاربعة لقربها ولما ذكرنا ان لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب ان يخص بالمنع من الظلم ولان العرب تختار فيما بين الثلثة الى العشرة ضمير
الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة تختار ضمير الواحدة قال حسان لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة
دما ويقال لثلث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال عز من قائل وقاتلوا المشركين وظاهره الا انه يدل على اباحة القتال
في جميع الاشهر لان الامر الوارد عقيب الحظر يدل على الاباحة ومعنى كافة جميعا لانهم اذا اجتمعوا ازدحموا فكف بعضهم بعضا و
على المصدر عند بعضهم لانه مثل العاقبة والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز ان يثنى ويجمع ويعرف باللام كقولك
قاموا معا وقاموا جميعا وفي وجه التشبيه في قوله كما يقاتلونكم كافة قولان فعن ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تحابوهم بترك القتال
كما انهم يستحلون قتال جميعكم وقيل قاتلوهم باجمعكم غير متفرقين في مقاتلة الاعداء ومقابلتهم فعلى الاول يكون كافة حالا من
المفعول وعلى الثاني يكون حالا من الفاعل وفي قوله واعلموا ان الله مع المتقين حث لهم على التقوى وعلى الجهاد بضمان النصرة و
المعونة ثم شنع الظلم المنهي عنه في الاية المتقدمة واكد النهي عنه بقوله انما النسيء وهو مصدر نسأه اذا اخره كالنذير والنكير قال قطرب اصله
الزيادة من قولهم نسأت المرأة اذا حبلت لزيادة الولد فيها ورد بانه يقال لها ذلك لتاخر حيضها وقيل هو بمعنى منسوء كقتيل بمعنى
مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤول المعنى الى ان الشهر زيادة في الكفر وهذا الحمل غير صحيح ويمكن ان يجاب بان المراد ان
العمل الذي بسببه يصير الشهر الحرام مؤخرا زيادة في الكفر احتج الجبائي ههنا بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان وايضا
اطلق الكفر على هذا العمل فتركه يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار واجيب بان الزيادة راجعة الى الكفر و
انما سمي هذا العمل كفرا لانه يؤل الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس وفي قوله يضل به الذين كفروا بحث مشهور بين المعتزلة
وغيرهم ان اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز او بالحقيقة وقد مر مرارا قوله يحلونه عاما الضمير فيه عائد الى النسيء قال الواحدي
اي يحلون التاخير عاما وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا في الشهر الحرام ويحرمونه التاخير عاما آخر وهو الذي
يتركون الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا اصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلثة اشهر متوالية من
غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم في شهر منها او في المحرم حرب غارة اخروا تحريم ذلك الشهر الى شهر آخر قال الواحدي واكثر العلماء على
ان هذا التاخير كان من المحرم الى صفر وروي انه حدث في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني
مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول
ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والاكثرون على انهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا انهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص ذلك قوله

قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله اى من القتال وترك الاختصاص قال اهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه لان كل واحد
منهم يطأ حيث يطأ صاحبه ومنه الايطاء فى الشعر من هذا وهو ان يأتى فى القصيدة بقافيتين لفظهما ومعناهما واحد قال ابن عباس انهم
ما احلوا شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا آخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا آخر من الحرام لاجل ان يكون عدة
الحرم اربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى فهذا هو المراد بالمواطأة وللآية تفسير آخر وهو ان يكون المراد بالنسيء كبس بعض السنين القمرية بشهر
حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك ان السنة القمرية اعنى اثنى عشر شهرا قمرية هى ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس من يوم على ما
عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهى عبارة عن عود الشمس من اية نقطة تفرض من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة
وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا قليلا فالسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بعشرة ايام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة
تقريبا وبسبب هذا النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا فى الشتاء مرة وفى الصيف اخرى وكذا فى الربيع
والخريف فكان يشق الامر عليهم اذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الاطراف فكان يختل اسباب تجاراتهم ومعايشهم فلهذا السبب
اقدموا على الكبس بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفى
فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا فى السنة الثانية شهرا ثم فى الخامسة ثم فى
السابعة ثم فى العاشرة ثم فى الثالثة عشرة ثم فى السادسة عشرة ثم فى الثامنة عشرة وذلك ترتيب بهرتوج عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصنعة
من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لاجل اعيادهم فالشهر الزائد هو الكبيس سمى بالنسيء لانه المؤخر والزائد مؤخر عن مكانه وهذا
التفسير يطابق ما روى انه صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع وكان فى جملة ما خطب الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض
السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر
الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسيء الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة فى نفس الامر فكانت
حجة ابى بكر قبلها فى ذى القعدة التى سموها ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم فى هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها
ثلثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بان عدة الشهور اثنا عشر شهرا اى لا ازيد ولا انقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على
هذا التفسير ويلزمهم ايضا ما لزمهم فى التفسير الاول من تغيير الاشهر الحرم عن اماكنها فيجوز ان يكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله
يحلونه عاما اى يحلون النسيء من عام الكبس ويحرمونه عاما اى فى غير سنة الكبس ومعنى قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله ما روى انه
كان يقوم فى الموسم منهم خطيب يقول انا النسيء لكم فى هذه السنة شهر وكذا افعل فى كل سنتين او ثلث حتى يأتى حجكم وقت الادراك فنسمى
المحرم ويجعله كبيسا ثم انه متى انتهت النوبة الى الشهر الحرام فيكون حرم عليهم فاحله اذا رأى فيه مصلحتهم واحل الآخر وباقى الآية قد مر
تفسير مثله مرارا والله تعالى اعلم التأويل قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الآخر اى لا يعملون للآخرة ولا يحرمون
ما حرم الله من حب الدنيا فانها رأس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب من النفوس الملهمة با
الواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهى مخالفتها على خلاف طبعها عن يد عن حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت اليهود النفس عزير
القلب ابن الله وذلك اذا انعكس عن مرآة القلب انوار الواردات الى النفس المظلمة تنورت كما ان اليهود لما سمعت التورية والعلوم
التى هم عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك ان الروح ربما يتجلى للقلب فى صفة
الربوبية والخلافة مقرونا بصفة ابداع الحق وبتشريف اضافة ونفخت فيه من روحى يضاهئون قول الذين كفروا من قبل وهم
النفوس الكافرة الذين اتخذوا احبارهم اى قلوبهم ورهبانهم اى ازواجهم اربابا والمسيح ابن مريم وهو الخفى وذلك ان الخفى هو
اول مظهر للفيض الالهى الذى منه التربية ثم الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من قصر نظرها الى ان يرى الكل من الحق
فان رؤية ذلك من شأن القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما رأى يريدون اى النفوس ان يطفئوا نور الله الذى رش على الارواح فى
بدء الخلق بافواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذى ارسل رسوله وهو الفيض النورانى المرشش بالهداية الى الله وطلب الحق لهم
فى طلب الحق على طلب غيره ان كثيرا من احبار القلوب ورهبان الارواح ليأكلون اى يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون
الذهب والفضة حرصا وطمعا فى الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها فى سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد عن الله بقدم ترك
الدنيا ومع الهوى يحمى عليها فى نار جهنم الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم امتنعوا بذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم
حيث لا يتجافى جنوبهم عن مضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا حق التواضع والخشوع فيقال لهم هذا الذى اصابكم من الم الحرمان
وعذاب القطيعة بسبب ما كنزتم فذوقوا الآن الم كى نار الحرص لانكم لم تذوقوا فى الدنيا حيث كنتم فى منام الغفلة منها اربعة حرم فيه
اشارة الى ان الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه وعياله يجب ان يجعل اوقات عمره اثلاثا ثلثا لطلب المعاش وترتيب مصالح
الدنيا وثلثا للطاعات التى ينتفع بها فى الآخرة وثلثا من ذلك حرام ان يقع فى خاطره غير المولى ومن استغنى عن المواقع فيحرم
عليه صرف لحظة فى غير طلب الحق والى هذا المعنى اشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على من لم يكن هكذا كان فى سلوكه

الحزب العاشر ع ١٢

اعوجاج ثم ذكر من شان النفوس المشركة انها ان قبلت على طاعة اخرها عن وقتها وهو النسيء الموجب لازدياد كفرها لانها قد خالفت الشرع من حيث تركها الطاعة باختيارها ومن حيث ذلك انها اعتقدت انها التاخير مما لا باس به **يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَا لَكُمْ**

اِذَا قِيْلَ لَكُمُ انْفِرُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اثَّاقَلْتُمْ اِلَى الْاَرْضِ اَرَضِيْتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْاٰخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا

که چون گویند شمارا که بیرون روید در راه خدا درنگ کنید در زمین آیا خوشنود شدید بزندگانی دنیا از آخرت پس نیست بهره زندگانی دنیا

فِي الْاٰخِرَةِ اِلَّا قَلِيْلٌ اِلَّا تَنْفِرُوْا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا وَّيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوْهُ شَيْئًا وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ

در جنب آخرت مگر کمی اگر که بیرون نروید عذاب کند شمارا عذابی دردناک و بدل آورد ازشما گروهی غیراز شمارا و ضرر نرسانید اورا چیزی و خدا بر همه

شَيْءٍ قَدِيْرٌ اِلَّا تَنْصُرُوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ اِذْ اَخْرَجَهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ثَانِيَ اثْنَيْنِ اِذْ هُمَا فِي الْغَارِ اِذْ يَقُوْلُ لِصَاحِبِهٖ لَا

چیز تواناست اگر یاری نکنید اورا پس تحقیق که یاری کرد اورا خدا وقتی که بیرون کردند اورا کافران دوم دو وقتی که هر دو بودند در غار چون گفت یار خود را که

تَحْزَنْ اِنَّ اللّٰهَ مَعَنَا فَاَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِيْنَتَهٗ عَلَيْهِ وَاَيَّدَهٗ بِجُنُوْدٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا السُّفْلٰى وَكَلِمَةُ

اندوه مخور که خدا با ماست پس فرو فرستاد خدا اطمینان خود را بر او و یاری کرد او را بلشکری که ندیدید شما آنرا و گردانید سخن آنان را که کافر شدند پست و سخن

اللّٰهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ اِنْفِرُوْا خِفَافًا وَّثِقَالًا وَّجَاهِدُوْا بِاَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ

خدا آن بلند پایه است و خدا غالب داناست بیرون روید سبک و گران و کوشش کنید با مالهای خود و نفسهای خود در راه خدا این بهتر است

لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيْبًا وَّسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوْكَ وَلٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُوْنَ

مر شمارا اگر میدانید اگر بودی کالای نزدیک و سفری آسان هرآینه پیروی کردندی ترا ولیکن دشوار است برایشان سفر دور و زود سوگند خورند

بِاللّٰهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُوْنَ اَنْفُسَهُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ اِنَّهُمْ لَكٰذِبُوْنَ عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ لِمَ اَذِنْتَ

بخدا که اگر توانستیم هرآینه بیرون شدیم با شما هلاک مینمایند نفسهای خود را و خدا میداند که ایشان هرآینه دروغ گویانند درگذشت خدا از تو چرا اذن دادی

ع ١٣

لَهُمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِيْنَ لَا يَسْتَاْذِنُكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ

ایشانرا تا ظاهر شود مر ترا آنانکه راست گفتند و بدانی دروغ گویانرا دستوری نخواهند از تو آنان که میگروند بخدا و روز

الْاٰخِرِ اَنْ يُّجَاهِدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌۢ بِالْمُتَّقِيْنَ اِنَّمَا يَسْتَاْذِنُكَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَ

واپسین که کوشش کنند با مالهای خود و نفسهای خود و خدا داناست به پرهیزکاران جز این نیست که دستوری خواهند از تو آنانکه نمیگروند بخدا و

الْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوْبُهُمْ فَهُمْ فِيْ رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُوْنَ وَلَوْ اَرَادُوا الْخُرُوْجَ لَاَعَدُّوْا لَهٗ عُدَّةً وَّلٰكِنْ

روز واپسین و در شک است دلهای ایشان پس ایشان در شک خود متردد میشوند و اگر اراده میکردند بیرون رفتن را هرآینه مهیا کردندی برای آن سامانی ولیکن

كَرِهَ اللّٰهُ انْۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيْلَ اقْعُدُوْا مَعَ الْقٰعِدِيْنَ لَوْ خَرَجُوْا فِيْكُمْ مَّا زَادُوْكُمْ اِلَّا خَبَالًا وَّلَاَوْضَعُوْا

ناخوش داشت خدا برانگیختن ایشان را پس باز داشت ایشان را و گفته شد بنشینید با نشستگان اگر بیرون روندی در شما نیفزایندی شمارا مگر تباهی و هرآینه بشتابندی

خِلٰلَكُمْ يَبْغُوْنَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيْكُمْ سَمّٰعُوْنَ لَهُمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌۢ بِالظّٰلِمِيْنَ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوْا

میان شما جویندی شما را فتنه و در شما جاسوسان ایشان است و خدا داناست بستمکاران تحقیقا جستند فتنه را از پیش و برگردانیدند

لَكَ الْاُمُوْرَ حَتّٰى جَآءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ اَمْرُ اللّٰهِ وَهُمْ كٰرِهُوْنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّقُوْلُ ائْذَنْ لِّيْ وَلَا تَفْتِنِّيْ اَلَا فِي الْفِتْنَةِ

برتو کارها را تا که آمد حق و هویدا شد فرمان خدا و ایشان کراهت داشتند

سَقَطُوْا وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌۢ بِالْكٰفِرِيْنَ القراءة وكلمة الله بالنصب يعقوب الباقون من الاخرة فقليل شيئا قدير معنا العطف

افتادند و بدرستی که جهنم هرآینه فرا گیرنده است بکافران

انزل على نصره مع عوض الظرف السفلى الا المتوقف وكلمة بالنصب العليا حكيم في

سبيل الله تعلمون الشقة معكم لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال لكاذبون عنك لحق الاستفهام مع نصبا الكلام معنى الكاذبين و انفسهم بالمتقين يترددون القاعدين الفتنة لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال لهم بالظالمين كارهون ولا تفتني سقطوا بالكافرين

التفسير لما شرح معايب هؤلاء الكفار عاد الى الترغيب في مقاتلة الروم باسرها انها نزلت في غزوة تبوك سنة عشر وذلك انه لما رجع عن الطائف قام بالمدينة اياما فامرهم بغزو الروم فاستثقل الناس لكون الزمان زمان عسرة والقحط ولبعد المسافة ولزيادة احتياج الى الاستعداد ولشدة الحر وللخوف من عسكر الروم ولوجود اسباب الرفاهية بالمدينة لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روي ان رسول الله ما خرج في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة واصل النفر الخروج الى مكان لامر هاج عليه واسم ذلك القوم الذين يخرجون النفير واصل اثاقلتم تثاقلتم كما قلنا في فادارأتم ومعناه تباطأتم وانما عدي بالى لتضمين معنى الميل والاخلاد كقوله اخلد الى الارض اي مال الى الدنيا وشهواتها وقيل المراد ملتم الى الاقامة بارضكم والبقاء فيها ومعنى الاستفهام في ما لكم الانكار وقرئ اثاقلتم على الاستفهام للانكار ايضا فيكون جواب اذا فعلا اخر مدلولا عليه باثاقلتم نحو ملتم وذلك لان جواب اذا عامل في اذا والاستفهام لا يعمل ما بعده فيما قبله ويجوز على هذا ان يكون اذا لمجرد الظرفية والعامل فيه ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم ومن في الاخرة للبدل كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض

يخلفون



يتخلفون كانه قيل قد ذكرنا الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وبينا انواع فضائحهم التي تحمل العاقل على مقاتلتهم ولو لم يكن فيه
الا طاعة المعبود المستلزمة لثواب الآخرة لكفى به باعثا فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة اي في جنبها وفي مقابلتها الا قليل ويجوز
ان يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهي الزائل الى غير المتناهي الباقي والظاهر ان هذا التثاقل لم يصدر من جميع المخاطبين لاستحالة
الحباق هذه الامة على المعصية والضلالة لكن الامة ربما اعطى للاكثر حكم الكل واطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما رغبهم في الجهاد
بعوض الثواب عليهم رغبهم فيه بعوض العقاب فقال الا تنفروا ورتب عليه ثلث خصال الاولى قوله يعذبكم عذابا اليما قيل هو عذاب
الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر وقال الحسن الله اعلم بالعذاب الذي كان ينزل عليهم و
قيل هو عذاب الآخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بالعذاب المطلق الشامل للدارين الثانية قوله ويستبدل قوما
غيركم يعني قوما آخرين خيرا منهم واطوع قيل هم اهل اليمن عن ابي روق وقيل ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل يحتمل ان يراد بهم الملائكة
وقال الاصم معناه انه يخرجكم من بين اظهركم وهو المدينة والاصح ابقاء الآية على الاطلاق الثالثة قوله ولا تضروه شيئا قال الحسن
الضمير لله ومعناه انه غني عنهم في نصرة دينه بل في كل شيء وقال الآخرون الضمير للرسول لان الله وعده ان يعصمه ووعد الله كائن لا محالة
وفي قوله والله على كل شيء قدير تنبيه على انه قادر على نصرة رسوله باي وجه اراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف امره كائنا
من كان عن الحسن وعكرمة ان الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح انها خطاب لمن استنفرهم رسول الله
فلم ينفروا فلا نسخ قال الجبائي في الآية دلالة على ابطال مذهب المرجئة من ان اهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضي فيها دلالة على
وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول او لا كقوله تعالى ما لكم اذا قيل لكم ولم ينص على ان القائل هو الرسول ومن قال ان الضمير في
قوله لا تضروه عائد الى الرسول فجوابه ان خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم اولها ثم رغبهم في الجهاد بطريق آخر فقال الا تنصروه فقد
نصره الله وهذا كالتفسير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل ان الله نصره وقواه حال ما لم تكن معه
رجل واحد لا اقل من الواحد فعلم انه لما اوجب لنصره وقتئذ فلن يخذله بعد ذلك وقوله اذ اخرجه الذين كفروا اي الجاؤه الى الخروج
ظرف لنصره وثاني اثنين نصب على الحال ومعناه احد اثنين لانه اذا حضر اثنان فكل واحد منهما ثان للآخر وواحد منهما وقوله
اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه واذ يقول بدل ثان والغار نقب عظيم في الجبل والمراد به ههنا نقب في اعلى ثور وهو جبل في
يمنى مكة على مسيرة ساعة واعلم انا قد ذكرنا في سورة الانفال ان قريشا ومن بمكة تعاقدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل واذ يمكر بك الذين
كفروا فامره الله تعالى ان يخرج هو وابو بكر الصديق الى الغار وامر عليا ان يضطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل ابو بكر يلتمس
ما في الغار فقال له الرسول ما لك فقال له الرسول ما لك فقال بابي انت وامي الغيران ماوى السباع والهوام فان كان فيه شيء كان
لابي بكر فخرق عمامته وسد الجحرة وبقي جحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذي الرسول فلما طلب المشركون الاثر وقربوا
بكى ابو بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله
فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون له قد اخذ الله ابصارهم عنه استدل اهل السنة بالآية على
افضلية ابي بكر وغاية اتحاده ونهاية صحبته وموافقة باطنه ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه في مثل تلك الحالة وانه كان ثاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وفي العلم لقوله ما صب في صدري شيء الا وصببته في صدر ابي بكر وفي الدعوة الى الله لانه صلى الله عليه وسلم عرض الايمان اولا
على ابي بكر فآمن ثم عرض ابو بكر الايمان على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة اخرى من اجلة الصحابة وكان لا يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم
في الغزوات وفي اداء الجماعات وفي المجالس والمحافل وقد قام في مرضه مقامه في الامامة ولما توفي دفن بجنب رسول الله فكان ثاني
اثنين من اول الامر الى الآخر ولو قدرنا انه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك السفر لزم ان لا يقوم بامره ولا يكون وصيه الا ابو بكر وان لا يبلغ
ما حدث في ذلك الطريق من الوحي والتنزيل الا ابو بكر وقوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يقتضي الدوام والتكرار فهو لا يحزن
قبل الموت وعنده وبعده ولا شك ان من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون قال الحسين بن الفضل من انكر صحبة غير ابي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مبتدعا ومن انكر صحبة ابي بكر فانه يكون كافرا لانه
خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه اجابت الشيعة بان كونه ثاني اثنين ليس اعظم من كون الله رابعا لكل ثلثة في قوله ما يكون من
نجوى ثلثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر ومؤمن وكون الصاحبية موجبة للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر
قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك وكما احتمل ان يقال انه عليه السلام استخلصه لنفسه في هذا السفر لاجل الشفقة
احتمل ان يكون ذلك لاجل انه خاف ان يدل الكفار عليه او يوقفهم على اسراره لو تركه ثم ان حزنه لو كان حقا لم ينه عنه فهو ذنب
وخطاء سلمنا دلالة الآية على فضل ابي بكر الا ان اضطجاع علي عليه السلام على فراشه اعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس اجاب اهل



السنة بأن كون الله رابعا لكل ثلاثة أمر مشترك وكونه ثانيا في اثنين تشريف زائد اختص الله أبا بكر به على أن المعتبر هناك بالعلم
والتدبير وههنا بالصحبة والمرافقة فأين أحدهما من الآخر. الصحبة في قوله قال له صاحبه مقرونة بما يقتضي الإهانة والإذلال
وهو قوله أكفرت وفي الآية مقرونة بما يوجب التعظيم والإجلال وهو قوله لا تحزن إن الله معنا قالوا والعجب أن الشيعة إذا
حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبرئيل واستنكروا أن يقال وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذي ذكروه مدفوع بما روي
أن أبا بكر هو الذي اشترى الراحلة للرسول وأن عبد الرحمن بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر هما اللذان كانا يأتيانهما بالطعام مدة مكثهما
في الغار وذلك ثلاثة أيام وقيل بضعة عشر يوما وروي أن جبرئيل عليه السلام أتاه وهو جائع فقال هذه أسماء قد أتتك بحيسة ففرح بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر به أبا بكر ولو كان أبو بكر قاصدا له لصاح بالكفار عند وصولهم إلى باب الغار ولقال ابنه وابنته نحن نعرف
مكان محمد وكون حزنه معصية معارض بقوله تعالى لموسى ولا تخف إنك أنت الأعلى وقول الملائكة لإبراهيم لا تخف وبشروه ثم إنا
لا ننكر أن اضطجاع علي عليه السلام على فراش الرسول طاعة وفضيلة إلا أن صحبة أبي بكر أعظم لأن الحاضر أعلى حالا من الغائب ولأن عليا
ما تحمل المحنة إلا ليلة وأبو بكر مكث في الغار أياما وإنما اختار عليا للنوم على فراشه لأنه كان صغيرا لم يظهر عنه بعد دعوة بالدليل و
الحجة ولا جهاد بالسيف والسنان بخلاف أبي بكر فإنه قد دعا جماعة إلى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال وكان غضب
الكفار على أبي بكر أشد من غضبهم على علي عليه السلام ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا إيلام فعرفوا أن المضطجع هو. ثم زعم أهل السنة أن الضمير في
قوله فأنزل الله سكينته عليه عائد إلى أبي بكر لا إلى الرسول لأنه أقرب المذكورين فإن التقدير إذ يقول محمد لصاحبه أبي بكر ولأن
الخوف كان حاصلا لأبي بكر والرسول كان آمنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه إزالة الخوف عن غيره
بقوله لا تحزن ولناسب أن يقال فأنزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن واعترض بأن قوله وأيده عطف على فأنزل
فوجب اتحاد الضميرين في حكم العود وأجيب بأن قوله وأيده معطوف على قوله فقد نصره والتقدير إلا تنصروه فقد نصره في واقعة
الغار وأيده في واقعة بدر والأحزاب وحنين بالملائكة والظاهر أن الحزن لا يبعد أن يكون شاملا للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا من حيث البشرية
كقوله وزلزلوا أو يكون في الكلام تقديم وتأخير والتقدير فأنزل الله سكينته عليه إذ يقول أو يكون فأنزل معطوفا على نصره
والمراد بالسكينة ما ألقي في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنه منصور لا محالة كقوله في قصة حنين ثم أنزل الله سكينته
على رسوله وقوله وجعل يعني يوم بدر وسائر الوقائع كلمة الذين كفروا وهي دعوتهم إلى الكفر وعبادة الأصنام السفلى وكلمة
الله وهي دعوته إلى الإسلام أو كلمة التوحيد لا إله إلا الله هي العليا وفي توسيط كلمة الفصل أعني هي تأكيد فضل كلمة الله في
العلو وأنها المختصة بالعلاء دون سائر الكلم قال الفراء لا أحب قراءة نصب الكلمة لأن الأجود حينئذ أن يقال وكلمته هي العليا
ألا ترى أنك تقول أعتق أبوك غلامه ولا تقول أعتق أبوك غلام أبيك قلت وفي الرفع أيضا الاستئناف وما في الجملة الاسمية
من الثبات والله عزيز حكيم قاهر غالب لا يفعل إلا الصواب ثم لما توعد من لا ينفر مع الرسول وضرب له من الأمثال ما وصف
عقبه بالأمر الجزم فقال انفروا خفافا وثقالا قال المفسرون أي خفافا في النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا
لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا و
مراضا والصحيح التعميم وأن المراد انفروا سواء كنتم على الصفة التي يخف عليكم الجهاد معها أو على ضدها قال الأكثرون ظاهر هذا الأمر
يقتضي تناول جميع الناس حتى المرضى والعاجزين ويؤيده ما روي عن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال ما أنت إلا
خفيف أو ثقيل فرجع إلى أهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله ليس على الأعمى حرج وقال مجاهد إن أبا أيوب شهد بدرا
مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوات المسلمين ويقول قال الله انفروا خفافا وثقالا فلا أجدني إلا خفيفا أو ثقيلا وعن صفوان بن عمرو
كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر الله إليك
فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا ألا إنه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت
إحدى عينيه فقيل إنك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع
وعن أنس قال قرأ أبو طلحة هذه الآية فقال ما أسمع الله عذر أحدا فخرج مجاهدا إلى الشام حتى مات وقال السدي جاء المقداد بن الأسود
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عظيما سمينا وشكا إليه وسأله أن يأذن فنزلت فيه انفروا خفافا وثقالا فاشتد شأنها على الناس حتى نسخها
الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وقيل لا حاجة إلى التزام النسخ لأن هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك
بالاتفاق ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم خلف من النساء والرجال أقواما فذلك يدل على أن هذا الوجوب ليس على الأعيان لكنه من فروض الكفايات
فمن أمره الرسول بأن يخرج لزمه ذلك ومن أمره أن يبقى لزمه أن يبقى ولقائل أن يقول لا نزاع في الضعفاء والمرضى ثم قال وجاهدوا بأموالكم
وأنفسكم وفيه إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بالنفس إن لم يكن مال زائد على أسباب الجهاد أو بالمال بأن يستنيب من يغزو عنه
إن لم يكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء ذلكم خير لكم يعني أنه خير في نفسه وأنه خير من القعود لما فيه من الراحة

والدعة والنعيم العاجل وانما قال ان كنتم تعلمون لان ما يحصل من الخيرات في الجهاد لا يدرك الا بالتأمل ولا يعرفه الا المؤمن الذي عرف بالدليل ان وعد الله حق ثم نزل في المتخلفين من غزوة تبوك من المنافقين لو كان عرضا قريبا قال الزجاج اي لو كان المدعو اليه محذوف فدلالة لما تقدم عليه والعرض ما عرض من منافع الدنيا ومنه قولهم الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر والمراد بالقريب سهولة مأخذه وسفرا قاصدا اي وسطا بين القرب والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد اي ذو قصد لان كل احد يقصده والشقة المسافة الشاقة الشاطة ووصف المسافة البعيدة بالبعد مبالغة نحو جد جده ومحصول الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا لاتبعوك طمعا في الفوز بتلك المنافع ولكن لطال السفر فكانوا كالآيسين من الفوز بالغنيمة ثم اخبر انه سيجيئهم اذا رجعوا من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريقة اقامة العذر واما عندما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما اخبر فكان معجزا وبالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلام المتخلفين والقول مقدر في الوجهين اي سيحلفون بالله قائلين لو استطعنا وقوله لخرجنا ساد مسد جوابي القسم ولو جميعا قيل في الآية دلالة على ان قوله انفروا خطاب للمستطيعين والا لما امكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا في التخلف قال الجبائي فيها دليل على ان الاستطاعة قبل الفعل والا لما كذبهم الله تعالى فان من لم يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عند من يجعل الاستطاعة مع الفعل وقال الكعبي نبه عليه فان قيل لم لا يجوز ان يراد انهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولا يراد نفس القدرة قلنا ان من لا راحلة له يعذر في ترك الخروج فمن لا قدرة له اولى وايضا الظاهر من الاستطاعة قوة البدن واذا اريد به المال فلانه يعين على ما يفعله الانسان بقوة البدن واجيب بان المعتزلة سلموا ان القدرة على الفعل الا بوقت واحد فان الانسان الجالس في مكان لا يكون قادرا في هذا الزمان على ان يفعل فعلا في مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله في المكان الملاصق لمكانه فالقوم الذين تخلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا وعندهم فيلزمهم ما الزموه علينا فوجب المصير الى تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فيسقط السؤال ولقائل ان يقول انهم ان كانوا غير قادرين على القتال الا انهم كانوا قادرين على الاشتغال باسباب القتال فيعود السؤال قال في الكشاف يهلكون بدل من سيحلفون او حال بمعنى موقعها في الهلاك بحلفهم الكاذب او حال من ضمير لخرجنا اي لخرجنا معكم وان القينا انفسنا في التهلكة وانما جاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم بقي الحلف بالله ليفعلن او لا فعلن فالغيبة على الاخبار والتكلم على الحكاية قلت وفي الوجه الاخير نظر للزوم بناء اول الكلام على التكلم وآخره على الغيبة ولعل الصحيح ان لو قيل لخرجنا معكم نهلك انفسنا والله تعالى اعلم ثم بين ان ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله عفا الله عنك فان العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله لم اذنت لهم فانه استفهام في معنى الانكار وبيان لما كني عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن ميمون شيئان فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون والذي عليه المحققون انه محمول على ترك الاولى وقوله عفا الله عنك انما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير فيقدمون امثال ذلك بين يدي الكلام يقولون عفا الله عنك ما صنعت في امري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وقال الله الاعز حق وبعد حصول العفو من الله تعالى يستحيل ان يكون قوله لم اذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لا سيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء في الآية دلالة على جواز الاجتهاد لانه اذن لهم من تلقاء نفسه من غير ان يكون من الله في ذلك اذن والا لم يعاتب ومنع والا كان عاصيا بل كافرا لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله ولا ريب انه لا يكون بمجرد التشهي فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هي قوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ولا يمكن ان يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحي والا كان ترك ذلك كبيرة فتعين ان يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد فيكون الخطاء واقعا في الاجتهاد لا في النص ويدخل تحت قوله ومن اجتهد واخطأ فله اجر واحد وفي الآية دلالة على وجوب الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار بظواهر الامور قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له في سورة النور في قوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم قال ابو مسلم يحتمل ان يريد بقوله لم اذنت لهم الاذن في الخروج لا في القعود فقد يكون الخروج غير صواب لكونهم عينا للمنافقين واذا كان هذا محتملا فلا يتعين الآية لرخصة الاذن في القعود وقال القاضي هذا بعيد لان سياق الآية يدل على ان الكلام في القاعدين في بيان حالهم ثم ذكر انه ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوا لان الاستئذان من علامات النفاق فقال لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا اي في ان يجاهدوا وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد وكانوا بحيث لو امرهم بالقعود شق عليهم ذلك الا ترى ان علي بن ابي طالب لما امره الرسول بان يبقى في المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى ان قال له الرسول انت مني بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفي مضمر كاضمار الجار والتقدير في ان لا يجاهدوا لان سياق الآية يدل على ذم من يستأذن في القعود وعلى هذا يمكن ان يكون معناه كراهة ان



يجاهدوا وفي قوله والله عليم بالمتقين رمز الى انهم من جملة المتقين وان لهم ثوابهم ثم بين الذين من شانهم الاستيذان فقال
انما يستاذنك الآية وفيه ان الشاك في امر الدين وفي اصوله لا في بعض مسائله غير مؤمن بالله تعالى وفيه ان محل الريب واليقين هو
القلب وان الايمان ليس مجرد الاقرار باللسان والا لم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله فهم في ريبهم يترددون ان الشاك متردد
بين النفي والاثبات غير حاكم باحد الطرفين وتقديره ان الاعتقاد اما ان يكون جازما او لا والجازم ان كان غير مطابق فهو
الجهل وان كان مطابقا فاما بضرورة او نظر فهو العلم والا فهو اعتقاد المقلد وغير الجازم ان كان احد الطرفين راجحا عنده فالراجح
هو الظن والمرجوح هو الوهم وان تساوى الطرفان فهو الريب او الشك فلهذا كانت الحيرة والتردد من شان صاحبه كما ان الثبات
والاستقرار من شان المستبصر قال المفسرون وان المستاذنين هم المنافقون وكانوا تسعة وثلثين رجلا ثم نعى على المنافقين سوء فعالهم
فقال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد والزمان شديد
فتركهم العدة دليل على انهم ارادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الى انهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة ولكن
كره الله انبعاثهم اي انطلاقهم فثبطهم والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذي هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو ارادوا
الخروج يعطي معنى نفي الخروج فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى صرفهم عن ذلك كما يقول ما احسن الى زيد ولكن
اساء الي ومثل هذا يسمى في علم البديع مستغرق الاستدراك وقد يقال تاكيد الذم بما يشبه المدح وههنا سؤال وهو ان خروجهم
مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله في اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب انه كان مفسدة
لقوله عقيب ذلك لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء لتمكنهم من استعلام
الصواب بطريق الوحي وكذا على قول ابي مسلم فيما يوهم انه اذن لهم في الخروج فقوله تعالى في هذه السورة فان رجعك الله الى
طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا وقوله في سورة الفتح سيقول لك المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم الى قوله
قل لن تتبعونا واما عندنا فانما خطا الرسول في اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم مصلحة لانه اذن لهم قبل تمام التفحص وكمال
التدبر ولانه لو لم ياذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء انفسهم وكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم فكان لا يقع الحاجة الى
اظهار نفاقهم بوجوه اخر دالة على هتك استارهم وكشف اسرارهم قال معتزلة البصرة في الاية دلالة على انه تعالى موصوف بصفة الكراهة
كما انه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى كره الله انه اراد عدم ذلك الشيء وزيف بان العدم لا يصلح ان يكون متعلق
الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيلا للحاصل ويمكن ان يجاب بان الارادة صفة تقتضي ترجيح احد طرفي
الممكن على الاخر سواء في ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم غير حاصل الا بارادة العدم فكيف يكون تعلق الارادة
تحصيلا للحاصل وايضا عدم الشيء المخصوص ليس عدما محضا اما قوله وقيل اقعدوا فيحتمل ان يكون قد جعل القاء الله في قلوبهم
كراهة الخروج امرا بالقعود ويحتمل ان يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة او قول بعضهم لبعض لما ارادوا الاجماع على التخلف
او هو قول الرسول كانه غضب عليهم حين استاذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا هذه اللفظة وقالوا
قد اذن لنا فلهذا عوتب بقوله لم اذنت لهم اي لم ذكرت هذه اللفظة التي امكنهم ان يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله
مع القاعدين ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم الجثوم في البيوت رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال
المفسرون لما خرج رسول الله صلعم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن ابي عسكره على ذي جدة اسفل من ثنية الوداع
ولم يكن باقل العسكرين فلما سار رسول الله صلعم تخلف عنه عبد الله بن ابي فيمن تخلف من المنافقين واهل الريب فانزل الله تعالى
يعزي نبيه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فيكون استثناء متصلا من اعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على
ان التقدير ما زادوكم خيرا الا خبالا ضعيف والخبال في اللغة الفساد ومنه المخبل للمعتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبي الا شرا
وقال يمان الا مكرا وقال الضحاك الا غدرا وقيل الا خبثا وقيل هو الاضطراب في الراي وذلك بتزيين امر لقوم وتقبيحه لاخرين
حتى يختلفوا ويتفرق كلمتهم قالت المعتزلة دلت الاية على انه كره انبعاثهم لاشتماله على هذا الخبال والشر فهو دليل على انه تعالى
لا يريد الا الخير والصلاح وللقائل ان يقول اثبات حكم كلي بحكم جزئي غير معقول واعلم انه سبحانه عد من مفاسد خروجهم ثلثة
الاول قوله ما زادوكم الا خبالا والثاني ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة قال في الكشاف زيدت الف في الكتابة لان الفتحة كانت تكتب الفا
قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قبل نزول القران وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحها الفا اخرى ونحو
او لاذبحنه في النمل ولا اوضعوا لا ثالث لهما ولا رابع لهما في القران وفي الايضاع قولان لاهل اللغة فقال الاكثر هو متعد يقال
وضع البعير اذا عدا واوضعه الراكب اذا حمله على العدو وعلى هذا يكون في الاية حذف والتقدير ولا اوضعوا ركائبهم وقال الاخفش
وابو عبيد انه جاء لازما ويقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روي ان النبي صلعم افاض من عرفة وعليه السكينة

واوضع



والوضع في ذا اي مجرى اسرع قال الواحدي والاية تشهد للاخفش وابي عبيد وعلى القولين المراد في الاية السعي بين المسلمين بالتقريب
والنميمة والمبالغة في الاول اكثر لان الراكب اسرع من الماشي ومعنى خلالكم اي فيما بينكم والخلل الفرجة فيما بين الشيئين ويبغونكم
الفتنة اي يبغون لكم قال الاصمعي يقال ابغني كذا وابغ لي اي اطلبه لاجلي ومعنى الفتنة هنا افتراق الكلمة والتشويش في المقاصد
فعند ذلك يحصل الانهزام اسرع فالحاصل من النوع الاول يحصل اختلاف الاراء ومن الثاني المشي بالنميمة لتسهيل ذلك الغرض
واما النوع الثالث فذلك قوله وفيكم سماعون لهم قال ابن مجاهد وابن زيد اي عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال
قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد الفاعل والقابل وقع الاثر على اكمل الوجوه لا محالة واعترض على هذا
القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة دينهم واجيب بان ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام اولمن جبل على الجبن
والفشل اولمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة او هيبة وقلما يخلو الاقوياء من ضعيف سخيف واهل الحق من مبطل منافق
ولهذا ختم الاية بقوله والله عليم بالظالمين الذين ظلموا انفسهم بكفرهم ونفاقهم وغيرهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بقوله
كبذا اهل النفاق قديما وحديثا فقال لقد ابتغوا الفتنة من قبل اي من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج هو ان اثني عشر رجلا من
المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي صلعم وقيل المراد ما فعله عبدالله بن ابي يوم احد حين انصرف عن النبي صلعم
مع اصحابه ومعنى الفتنة في تشتيت شمل المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة بعد الالفة فسلمهم الله منه وقلبوا لك الامور
حرفوها ودبروا كل الحيل والمكايد ومنه فلان حول قلب اذا كان ذا تحول مصايد المكايد حتى جاء الحق الذي هو القرآن وظهر
امر الله غلب دينه وشرعه وهم كارهون رد الله مكرهم في نحرهم واتى بضد مقصودهم ولما كان الامر كذلك في الماضي فكذا يكون
الحال في المستقبل لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة
وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت احتمل ان يكون قد ذكره على سبيل السخرية او على سبيل الجد بان
كان يغلب على ظن ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل لا تفتني لي لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت
معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء
الروم ولكني اعينك بمالي فاتركني فاعرض عنه النبي صلعم وقال قد اذنت لك فنزلت الاية فقال رسول الله صلعم لبني سلمة وكان الجد
منهم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال النبي صلعم واي داء ادوى من البخل بل سيدكم الابيض الفتى
الجعد بشر بن البراء بن معرور الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكليف
المستتبع لشقاء الدارين ولهذا ختم الاية بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اما في الدنيا فلاحاطة اسبابها بهم من البغي عليهم
بالنفاق وافشاء الاسرار وهتك الاستار وتحقير المقدار واما في الاخرة فلان مآلهم الى الدرك الاسفل من النار التأويل ايها
الارواح والقلوب المؤمنة ما اصابتكم وبلواكم اذا قيل لكم بالالهام الرباني اخرجوا من الدنيا وما فيها في طلب الله والسير اليه اثاقلتم
الى ارض الدنيا وشهواتها الا تنفروا من سجن الدنيا وقيود شهواتها يعذبكم عذابا اليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية
وغلبات الاوصاف السبعية والشيطانية وبالم البعد عن الحضرة الربانية ويستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب العاشقة
الصادقة بل من العقول الكاملة المفارقة الا تنصروا رسول الوارد الرباني فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا اي النفوس الامارة
الكافرة من ارض القبول ثاني اثنين ثاني النفس الملهمة اذ هما في غار العدم وكلمة الله هي العليا بجعل النفس المطمئنة بجذبة
ارجعي واصلة الى مقام العندية انفروا ايها الطلاب خفافا مجردين من علائق الاهل والاولاد والاموال وثقالا متلبسين بها
او خفافا مجذوبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية وجاهدوا ابتدى ببذل الاموال والانفس وقدم انفاق المال لان
بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبرة ومن صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لان الحاصل من
المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا هو الدنيا ونعيمها و
سفرا قاصدا هو تتبع شهوات النفس وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من الدنيا والعقبى وسيحلفون يعني
ابناء النفوس لخرجنا معكم يا اهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فهم في ريبهم يترددون بين اوصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية بلا داعية الخروج الى الانوار الروحانية لاعدوا له
عدة وهي متابعة الانبياء فثبطهم حبسهم في سجن البشرية ما زادوكم الاخبالا فيه اشارة الى ان قعود اهل الطبيعة في حبس
البشرية صلاح لارباب القلوب واصحاب السلوك لانهم لو خرجوا عن بشرية صادقة وعزيمة صالحة ما زادوهم الا تشويشا وتفرقة
لاقوالهم وافعالهم واحوالهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني ان صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح في شهواتها حتى جاء الحق
وهو العقل القابل لاوامر الشرع وظهر امر الله وهو التكليف ومنهم من صفات النفس من يقول وهو الهوى ائذن لي في القعود



عن الارتقاء فی مدارج المعارف والمشارع ولا تفتنی یا روح بتکلیفی ما لیس من شانی وذلک ان الهوی مرکب الجبر تستعمله الروح فی تصاعده الی ذروة الکمال والوصال الا فی الفتنة سقطوا ای ان فتنة الهبوط هی الفتنة بالحقیقة وان جهنم البعد والقطیعة لمن لوازم کفار النفس

إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ

وصفاتها اعاذنا الله عنها — اگر رسد ترا نیکوئی بد کند ایشان را و اگر رسد ترا مصیبتی گویند بدرستیکه فرا گرفتیم کار خویش از پیش و برگردند و ایشان شادان باشند

قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ

بگو نرسد بما الا آنچه نوشت خدا برای ما او خداوند ماست و بر خدای پس باید اعتماد کنند گروندگان بگو چشم نمیدارید برای ما مگر یکی از دو نیکوئی

وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا

و ما چشم میداریم بشما که برساند بشما خدا عذابی از نزد خود یا بدستهای ما پس چشم دارید که ما با شما چشم دارندگانیم بگو نفقه کنید بطوع

أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا

یا بکره نپذیرند از شما بدرستیکه شما هستید گروه تباهکاران و منع نکرده است ایشان را که پذیرند از ایشان نفقات ایشان الا آنکه ایشان کافر شدند بخدا و برسول او و نیایند

يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

بنماز مگر و ایشان کاهلان باشند و نفقه نکنند مگر و ایشان کارهان باشند پس بشگفت نیاورد ترا اموال ایشان و نه فرزندان ایشان بدرستیکه میخواهد خدا

لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ

تا عذاب کند ایشان را بآن در زندگانی دنیا و هلاک شود نفسهای ایشان و ایشان کافرانند و سوگند میخورند بخدا که ایشان از شمایند و نیستند ایشان از شما ولکن ایشان

قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ

گروهی میترسند اگر یابند پناهی یا غارهائی یا سوراخی هر آینه روی گردانیدندی بدان و ایشان شتابندگان و از ایشان کسی است که عیب میکند در دادن صدقات

فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا

پس اگر بدهند ایشان را از آن راضی شوند و اگر نه دهند ایشان را از آن ناگاه ایشان خشم گیرند و اگر ایشان راضی شدندی بدانچه داد ایشان را خدا و رسول او و گفتندی بس است ما را

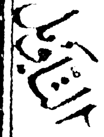
اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ

خدا زود بدهد ما را خدا از فضل خود و رسول او بدرستیکه ما بسوی خدا رغبت کنندگانیم

القراءة هل تربصون باظهار اللام وتشدید التاء البزی وابن فلیح وقراءة حمزة وعلی وهشام مدغما خفیا لا یجتمع ساکنان الباقون باظهار اللام وتخفیف التاء لن تقبل بالیاء التحتانیة حمزة وعلی وخلف الباقون بالفوقانیة مدخلا بضم المیم وسکون الدال سهل ویعقوب الباقون بالدال المشددة المفتوحة یلمزک بضم المیم سهل ویعقوب الاخرون بکسرها سوی عباس فانه مخیر الوقوف تسؤهم لا لابتداء شرط اخر مع واو العطف فرحون لتناهی الابتداء لفظا مع الاتحاد معنی هو مولینا لا لابتداء اخبار من الله او الحکایة عنهم المؤمنون الحسنیین للاستیناف بعد تمام الاستفهام بایدینا والوصل اصح لان الفاء جواب نتربص متربصون منکم فاسقین کارهون ولا اولادهم کافرون لمنکم یفرقون یجمحون الصدقات للشرط مع الفاء یسخطون ورسوله الی قوله راغبون لان الکل یتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف ای لکان خیرا لهم التفسیر هذا نوع اخر من خبث ضمائر المنافقین عن ابن عباس الحسنة فی یوم بدر والمصیبة فی یوم احد والاولی حمله علی العموم اذ معلوم من حال المنافقین انهم کانوا فی کل حسنة وعند کل مصیبة بالوصف الذی ذکر الله تعالی ومعنی اخذنا امرنا ای امرنا الذی نحن موسومون به من التیقظ والتحرز وحسن الرای والتدبیر من قبل ای من قبل ما وقع ویتولوا ای عن مقام التحدث بذلک الی اهالیهم او اعرضوا عن الرسول وهم فرحون مسرورون ثم امر نبیه بان یقول فی جوابهم لن یصیبنا الا ما کتب الله لنا قیل ای فی اللوح المحفوظ من خیر او شر او خوف ورجاء او شدة او رخاء وفائدته انه اذا علم الانسان ان الذی وقع امتنع ان لا یقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال زال عنه ما زعم النفس وهانت علیه المصائب وقیل ای فی عاقبة امرنا من الظفر بالعدو واظهار دین الله علی کل الادیان فیکون المقصود ان احوال المسلمین وان کانت مختلفة فی الغم والسرور والدولة والمحنة الا ان العاقبة یکون لهم والظفر یقع من جانبهم فلا معنی لفرح المنافقین فی الحال وقال الزجاج معناه لن یصیبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة علیکم او الشهادة وعلی هذا القول یقع ما فی الآیة الثانیة کالمکرر هو مولینا لا یتولی امورنا الا هو یفعل بنا ما یرید من اسباب التهانی والتعازی لا اعتراض لاحد علیه وعلی الله فلیتوکل المؤمنون فیه تنبیه علی ان المؤمن یجب ان لا یعلق الرجاء الا برب الارباب فانهم یتعلقون بالوسائط والاسباب ثم امرهم بجواب ثان فقال هل تربصون بنا الا احدی الحسنیین التربص التمسک بما ینتظر به مجیء حینه ومنه تربص بالطعام اذا تمسک به الی حین زیادة سعره والحسنی تأنیث الاحسن وهی صفة الحالة او الخصلة او العاقبة یعنی النصرة او الشهادة وفی الاولی احراز الغنیمة والظفر بالاعداء وفی الثانیة ابقاء الذکر والفوز بنعیم الآخرة ونحن نتربص بکم ان یصیبکم الله بعذاب من عنده قارعة مثل قارعة عاد وثمود وقیل عذاب الله یشمل عذاب

الذين اووا بيننا يعني القتل بان يظهر نفاقكم ويامر بقتلكم كالكافر الحربي فتربصوا امر للتهديد نحو ذق انك انت العزيز الكريم ثم
ذكر انهم ان تولوا شيئا من صورة البر لم يكن له قدر عند الله ولا ينتفعون به في الآخرة والغرض ان اسباب الذل والهوان مجتمعة عليهم
في الدنيا والآخرة عن ابن عباس نزلت في الجد بن قيس حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود وهذا مالي اعينك به ولا يبعد ان
يكون السبب خاصا والحكم عاما وانفقوا لفظه امر ومعناه خبر كقوله فيما يجيء استغفر لهم او لا تستغفر لهم ومعناه انفقوا او لا تنفقوا
لن يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظرها ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير عزة اسيئي
بنا او احسني لا ملومة كأنه يقول امتحني لطف محلك عندي وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت
في الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب احدهما مقام الآخر اذا دل الكلام عليه فيعدل عن الاصل لافادة المبالغة وانتصب طوعا
او كرها على الحال ومعناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين من جهتهما وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان
الزام الله اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل ان يراد طائعين من غير اكراه من رؤسائكم او ملزمين من جهتهم وذلك ان
رؤساء اهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق اذا رأوا فيه مصلحة ومعنى لن يتقبل منكم ان الرسول لا يقبله منكم او انه لا يقع مقبولا
عند الله ثم علل عدم القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين قال الجبائي فيه دليل على ان الفسق يحبط الطاعات واجيب بان الفسق ههنا
بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه وما منعهم ان يقبل منهم الآية علل
منع القبول بامور ثلثة اولها الكفر بالله وبرسوله وثانيها ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى قال المفسرون معناه انه ان كان في جماعة
صلى وان كان وحده لم يصل وفيه انه يصلي للناس لا لله وفيه انه غير معتقد للصلوة ووجوبها فلهذا لزم منهم الكفر وثالثها ولا ينفقون
الا وهم كارهون وذلك انهم لا ينفقون رغبة في ثواب الله وانما ينفقون لاجل المصالح الدنيوية فهم في حكم الكارهين وان
انفقوا مختارين يعدون الانفاق مغرما ومنعه مغنما خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ادوا زكوة اموالكم طيبة بها نفوسكم قيل الكفر بالله
سبب مستقل في منع القبول فكيف ضم اليه الامرين الآخرين والجواب انها امارات ويجوز توارد الامارات المتعددة على شيء واحد
وبوجه آخر اطلق كفرهم اولا ثم قيده بعدم اعتقادهم وجوب الصلوة والزكوة وبعبارة اخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من
انواع كفرهم هذين تفظيعا لشأن تارك الصلوة والزكوة قال في الكشاف وقرأت في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن
ان يقول كسلت كأنه ذهب الى هذه الآية وان الكسل من صفات المنافقين قال بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الآية وهو ان شيئا من اعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر هو ان يصرف ذلك الى
تأثيره في تخفيف العقاب ولقائل ان يقول لو لم يكن مقبولا بوجه لم يكن له في التخفيف ايضا اثر وقيل في الآية دلالة على ان
الصلوة لازمة للكفار والا لم يكن الاتيان بها على وجه الكسل مانعا من تقبل طاعاتهم كما ان قيامهم وقعودهم وسائر تصرفاتهم
على وجه الكسل ليس مانعا من التقبل بالانفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الآخرة اراد ان يبين ان ما يظنونه من منافع
الدنيا فهو ايضا في الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول او لكل احد فلا تعجبك الآية
ونظيره ولا تمدن عينيك وانما قال فلا تعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط اي ان يكن فيهم ما ذكرنا من الاتيان
بالصلوة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤه وهذا بخلاف ما سيجيء في الآية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور المرء
بالشيء مع نوع من الافتخار واعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه وانه من البعيد في حكم الله ان يزيل ذلك الشيء عنه ويحصله لغيره كقوله
ما اظن ان تبيد هذه ابدا ولا شك ان هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس في ذلك الشيء وانقطاعها عن الله ومن جهة
استبعاد انه في قدرة الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمقصود من الآية زجر الناس
عن الانصباب الى الدنيا والمنع من التهالك في حبها فان المسكن الاصلي هو الآخرة لا الاولى وقوله انما يريد الله ليعذبهم اعرابه كما
مر في قوله يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدي وقتادة في الآية تقديم وتأخير والتقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة
الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة كأنهم نظروا الى ان المال والولد لا يكونان عذابا بل هما من نعم الله تعالى على عباده
واورد عليه انهما لا يكونان عذابا في الآخرة ايضا فان تكلفوا وقالوا اراد بذلك انهما سبب العذاب فقد استغنوا عن التقديم
والتأخير لانهما قد يكونان سببا للعذاب في الدنيا ايضا وبوجه آخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان في الدنيا لا محالة
فاي فائدة في ذكرها واعلم ان الاموال والاولاد قد يكونان سببا للتعذيب في الدنيا والآخرة وذلك ان كل من كان حبه للشيء اشد
كان خوفه عن فواته اكثر وحزنه على فواته اعظم وصاحب المال ابدا اما في خوف فوات المال واما في حزن فواته واما في تعب
حفظه وتثميره ثم ان الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر ماله انصب بكليته اليه ويفضي الى طغيانه وقساوة قلبه الى ان ينسى حب الله
وذكر الآخرة ثم انه ان بقي عليه ذلك الى آخر عمره صعب عند الموت عظم اسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى جحيم وغمه

الحشر يكون حلاله حسابا وحرامه عذابا فثبت ان حصول المال سبب لعذاب الدارين الا من يتصرف فيه بالحق وقليل ما يكون نادرا وكذا الكلام في الولد وهذا المعنى وان كان عاما للكل الا ان المنافقين لهم وجوه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله واليوم الآخر علم انه خلق للآخرة لا للدنيا فيفتر حبه للامور الدنيوية بخلاف المنافق الذي اعتقد ان لا سعادة الا هذه الخيرات العاجلة وايضا ان النبي صلعم كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون في ذلك فائدة اخروية وكانوا في اشق تكليف وكانوا مبغضين للنبي صلعم مع انهم كانوا مضطرين الى بذل المال وبعث الاولاد الى خدمته وكانوا خائفين من افتضاحهم واظهار نفاقهم وتعريض اولادهم واموالهم للنهب والسبي وكثير منهم كان لهم اولاد اتقياء مخلصون كحنظلة بن ابي عامر غسيل الملائكة وكعبد الله بن عبد الله شهيد بدر وكان عند الله بمكان وهم خائفون كثيرا كانوا يرتقبون طريقا بانهم في النفاق ويقدحون فيهم والاذى اذا صار هكذا تأذى الاب بسببه لاجل هذه المعاني ذكر بعض العلماء ان التقدير يريد الله ان يزيد في اموالهم ليعذبهم اما قوله وتزهق انفسهم اي تخرج وهم كافرون فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى اراد منهم الكفر واورد الجبائي عليه ان المريض اذا قال للطبيب اريد ان تدخل علي في حال مرضي لم يلزم منه كونه مريدا للمرض نفسه والجواب ان امثال هذه موكولة الى قرائن الحال ففي قول المريض لا ريب ان المطلوب هو دخول الطبيب وكون الدخول واقعا في تلك الحالة من ضرورات كونه مريضا وهو طبيبه وفي الآية ليس المراد زهوق الروح فقط لان المسلم والمنافق في ذلك سيان فالمراد وقوع الزهوق في حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال في الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمه الى ان يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ومن قبائح افعال المنافقين ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم اي على دينكم ثم قال وما هم منكم اي ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم اكد نفاقهم بقوله لو يجدون ملجأ مفرا يتحصنون فيه [illegible] على انفسهم منكم لفروا اليه لفارقوكم فلا تظنوا ان موافقتهم اياكم في الدار والمسكن من صميم القلب المغارات جمع مغارة وهو الموضع الذي يغار الانسان فيه اي يستتر والمدخل بالتشديد مفتعل من الدخول ادغمت التاء في الدال لقرب مخرجهما والمدخل تفعل من الادخال ومعناه المسلك الذي يندس بالدخول فيه قال الكلبي وابن زيد نفقا كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا مكانا على احد هذه الوجوه مع انها شر الامكنة لولوا اليه يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى عنه اذا انصرف وهم يجمحون اي يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شيء ومنه الفرس الجموح لا يرده اللجام والحاصل انهم من شدة تأذيهم وتنفرهم من الرسول والمسلمين صاروا بهذه الحالة قال بعض العلماء انه تعالى ذكر ثلاثة اشياء والاقرب حملها على المعاني المتغايرة فالملجأ الحصون والمغارات الكهوف في الجبال والمدخل السرب تحت الارض كالآبار والله تعالى اعلم ومن جملة قبائحهم قوله ومنهم من يلمزك الآية قال الزجاج لمزت الرجل الزه والمزه بكسر الميم وضمها اذا عبته وفرق الليث فقال اللمز العيب في الحضور والهمز العيب في الغيبة واعلم ان العيب في الصدقات يحتمل وجوها الاول في اخذها بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء افقرهم وان شاء اغناهم الثاني ان يقال هب انك تأخذ الزكوات الا ان ما تأخذه كثير فوجب ان تقنع باقل من ذلك الثالث هب انك تأخذ هذا الكثير الا انك تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب قد وقع في قسمة الصدقات وفي تفريقها وهذا هو الذي دلت الاخبار على انهم ارادوه عن ابي سعيد الخدري بينا يقسم رسول الله صلعم يقسم غنائم حنين قال له ابن ذي الخويصرة راس الخوارج اعدل يا رسول الله فقال ويلك من يعدل اذا لم اعدل فنزلت وعن الكلبي هو ابو الجواظ قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلعم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله صلعم احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقيل هم المؤلفة قلوبهم ثم بين ان عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب انفسهم لا للدين فقال فان اعطوا منها رضوا وذلك ان رسول الله صلعم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون ومعنى اذا هم يسخطون فهم يسخطون وفائدته ان يعلم ان الشرط مفاجئ للجزاء ومهجم عليه ثم ارشدهم الى ما هو صلاحهم في نفس الامر فقال ولو انهم رضوا الآية ورتبه على اربع مراتب الاولى الرضا بما آتاهم الله ورسوله لعلمهم بانه تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكلما كان حكما له وقضاء منه كان حقا وصوابا ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر اثر ذلك الرضا على لسانه وهو قولهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال ولنا الرضا والتسليم وذكر الحسب الثالثة انه نزل من هذه المرتبة العالية كان واثقا بان الله لا يهمله وسيعوضه من فضله في غنيمة اخرى الرابعة الرغبة الى الله بان المقصد الحقيقي والمقصود الاصلي من الايمان والطاعة والمال والمنال يروى ان عيسى عليه الصلوة والسلام مر بقوم يذكرون الله فقال لهم الذي يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال اصبتم ومر على قوم آخرين يذكرون فقال ما الذي يحملكم عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال اصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بذكره فقال انتم المحقون التأويل ان تصبك يا روح حسنة من على لطف الحق تحزن النفس



وصفاتها فيها نظر الروح عليها وان تصبك مصيبة من الموانع والقواطع اخذنا نصيبنا من المراتع الحيوانية لما خافنا في السير الى العالم الروحاني قل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا لا علينا فان الفترات والوقفات للتربية لا للرد وانظر وقل هل تربصون بنا ايها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين لاحشاء والعواطف الربانية والوقفة والفترة الموجبة لحسن التربية بعذاب من عنده هو الابتلاء بالمصائب من الخوف والجوع وغيرهما او بايدينا بالمنع من المخالفات وبكثرة الرياضات والمجاهدات طوعا او كرها اي نفاقا لن يتقبل منكم لان اعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل القلب بدون الجوارح مقبولا لقوله نية المؤمن ابلغ من عمله وباقي الايات اشارات الى ان من امارات النفاق عدم الرضا بقسمة الخلاق وحال انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك هم الخاسرون

القراء اذن خير كلاهما بالرفع والتنوين الا نافع وبالرفع الم تعلموا بتاء الخطاب جبلة عن المفضل الباقون بياء الغيبة ان نعف نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم غير المفضل الباقون على البناء للمفعول بياء الغيبة في الاول وبتاء التانيث في الثاني الوقوف وابن السبيل اي فرض الله فريضة من الله حكيم هو اذن آمنوا منكم اليم ليرضوكم لاحتمال الواو الحال والاستيناف مؤمنين خالدا فيها العظيم بما في قلوبهم استهزءوا لاحتمال ان للتعليل تحذرون ونلعب تستهزءون بعد ايمانكم مجرمين من بعض كيلا تصير الجملة صفة لبعض المنافقين وهي لكلهم ايديهم فنسيهم الفاسقون فيها حسبهم لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود في تمام الجزاء ولعنهم الله لذلك مقيم بناء على تعلق الكاف واولادا خاضوا والآخرة الخاسرون التفسير ان المنافقين لما لمزوا الرسول في قسمة الصدقات بين لهم الله سبحانه مصرفها كيلا يبقى لهم طعن اذ وجدوا فعله موافقا لحكم الله فقال انما الصدقات الآية وفي تصدير الكلام بانما دلالة على انه لا حق لاحد في الصدقات الا لهؤلاء ويؤيده ما روي انه قال لرجل ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع في الراس وداء في البطن ولنتكلم في تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثاني الفقراء والمساكين ولا شك ان كلا من الصنفين محتاجون

ع٤

القاء النصف

... انما ... في انهما مت او بالدلالة واحدهما اسوء حالا نعن ابي يوسف ومحمد والجبائي انهما واحد حتى
او اوصى لزيد وللفقراء والمساكين بمال كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائي انه تعالى ذكرهما باسمين ليؤكد امرهم في الصدقات
والفائدة ان يصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كسائرهم وعند الشافعي الفقير اسوء حالا لانه تعالى اثبت الصدقات لهؤلاء
الاصناف دفعا لحاجاتهم فالذي وقع الابتداء بذكره يكون اشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشتقاق
الفقير لشدة الحاجة قوله تعالى تظن ان يفعل بها فاقرة جعل الفاقرة كناية عن اعظم انواع الشر والدواهي وروي انه صلعم كان يتعوذ
من الفقر وانه سال المسكنة في قوله اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فكانه سال التوسط الحال ولهذا ماتوفي
رسول الله صلعم ترك اشياء معلومة ومع انه تعالى اجاب دعائه ظاهرا فانه مسكينا وتقييده تعالى المسكين بقوله ذا متربة يدل على ان المسكين
قد لا يكون كذلك وقال تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بانه الذي لا يجد شيئا كاهل الصفة والمسكين بانه
الطواف الذي يسال الناس في الغالب انه يحصل له منهم شيء وقريب منه قول من قال سمي مسكينا لانه الدائم السكون الى الناس ولما كان
المسكين هو السائل لما قلنا فالمحروم في قوله سبحانه وفي اموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان واتفق الناس على ان
الفقير ضد الغني ولم يقل احد ان الغني والمسكنة ضدان فلعل التي هو ضد التمسكن وقال ابو حنيفة المسكين اسوء حالا لقوله تعالى او
مسكينا ذا متربة وقد تقدم الكلام عليه لانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة له ولا فاقة اعظم من الجوع ونقل الاصمعي عن ابي عمرو بن
العلاء ان الفقير الذي له ما ياكل والمسكين هو الذي لا شيء له وقال يونس قلت لاعرابي افقير انت قال لا والله بل مسكين وقيل سمي مسكينا
لانه يسكن حيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل واجيب بانه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذي المتربة وهو الفقير بعينه وانما النزاع
في المسكين المطلق والروايات معارضة بامثالها والله اعلم الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال ابن
عمر وابن الزبير والشافعي يعطى هؤلاء اجور امثالهم لانها اجرة للعمالة وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من
الثمانية والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله صلعم ابى ان يبعث ابا رافع عاملا على الصدقات
وقال اما علمت ان مولى القوم منهم وفائدة التعدية بعلى التسليط والولاية يقال فلان على بلدة كذا اذا كان واليا عليها واختلفوا في ان
الامام هل له حق لانه هو العامل في الحقيقة او لا حق له لخروجه عن الاصناف والجمهور على ان العامل ياخذ نصيبه وان كان غنيا
لان ذلك اجرة عمله وعن الحسن انه لا ياخذ الا مع الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم اشراف من الاحياء اعطاهم رسول
الله صلعم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم ابو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن اعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال العلماء
لعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع في الجملة صرف الاموال الى المؤلفة والا فلم يكن ما اعطاهم من الصدقات ويروى ان ابا بكر الصديق اعطى
عدي بن حاتم لما جاءه بصدقاته وصدقات قومه ايام الردة والذي استقر عليه راي الائمة ان المؤلفة ثلثة اقسام ضعيف النية في
الاسلام وشريف باعطائه يتوقع اسلام نظرائه والمتالف على جهاد من يليهم من الكفار ومانعي الزكوة حيث يكون ذلك اهون على الامام من
بعث جيش فيعطى كل واحد منهم ما راى الامام باجتهاده هذا كله اذا كانوا مسلمين فاما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون فيه
باعطاء مال والذين يخاف شرهم فيتالفون لدفع الشر بالمال فلا يعطون شيئا من الزكوة وكان النبي صلعم يعطيهم من خمس الخمس والان لا
يعطون اصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تالفهم ولانه ليس في الاية دلالة على ان المؤلفة يجوز ان يكونوا من الكفار فلا ينبغي ان
يقال ان حكم الاية منسوخ الصنف الخامس قوله وفي الرقاب قال الزجاج تقديره وفي فك الرقاب وللائمة في تفسيره اقوال فعن ابن عباس
انهم المكاتبون وهو مذهب الشافعي قال اذا عجزوا عن اداء النجوم بان لا يكون لهم شيء او لا يفي ما في ايديهم بنجومهم صرف اليهم او الى سادتهم
باذنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك واحمد واسحق المراد انه يشترى به عبيد فيعتقون وعن ابي حنيفة واصحابه وهو قول سعيد بن
جبير انه لا يعتق من الزكوة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي ان يكون له فيه مدخل
وذلك ينافي كونه تاما فيه وقال الزهري سهم الرقاب نصفه للمكاتبين المسلمين ونصفه يشترى به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم
اسلامهم فيعتقون قال المفسرون انما عدل عن اللام الى في لان الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا
وفي الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبرة في الصفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكوة ففي الرقاب
يوضع نصيبهم في تخليص رقابهم عن الرق او الاسر ولا يدفع اليهم وفي الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف المال
الى عدة ما يحتاج اليه في الغزو وفي ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال في الكشاف انما عدل للايذان بانهم ارسخ
في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان يجعلوا مصبا للصدقات وتكرير في في قوله وفي سبيل
الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين الصنف السادس الغارمون قال الزجاج اهل الغرم لزوم ما يشق و
[illegible] لازما وفلان مغرم بالنساء وسمي الدين غرما لانه شاق لازم والغارمون المدينون والدين



ان حصل بسبب معصية لم يدخل في الاية لان المعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الاية سواء حصل
بسبب نفقات ضرورية او لاصلاح ذات البين وان كان متمولا او للضمان ان اعسر هو والاصيل وكل داخل في الاية روى الاصم في
تفسيره انه صلى الله عليه وسلم لما قضى بالغرة في جنين قالت العاقلة لا نملك الغرة يا رسول الله فقال لحمل بن مالك اعنهم بغرة من صدقاتهم وكان
حمل على الصدقة يومئذ وانما يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شيء وان قدر على بعض اعطى الباقي الصنف السابع قوله في سبيل الله
يعني الغزاة قال الشافعي يجوز له ان ياخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك واحمد واسحق وابي عبيد وقال ابو
حنيفة لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا وظاهر لفظ الاية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء انهم
اجازوا صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان كلها في سبيل الله الصنف الثامن ابن
السبيل وهو المسافر لا لاجل معصية يعطى ما يبلغه المقصد او موضع ماله ان كان له في الطريق مال قال الشافعي ويدخل في المسافر
الشاخص من وطنه ومن بلد كان مقيما به منشئا للسفر والغريب المجتاز ببلدنا والله اعلم ولنذكر طرفا من احكام هذه الاصناف
الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكوة الواجبة في قوله انما الصدقات لقوله في موضع اخر خذ من اموالهم صدقة ولقوله عم ليس
فيما دون خمسة اوسق صدقة واختلفوا في الصدقة المندوبة فمنهم من قال يدخل والفائدة ان تعلم ان مصارف جميع الصدقات
ليست الا هؤلاء الاصناف والاقرب اختصاص الاية بالواجبة لدخول لام التمليك في الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا
الزكوة تدل على الحصر في الاصناف الثمانية والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه اخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى
ولان الصدقات ينصرف الى معهود سابق وهو الصدقات الواجبة في قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات الحكم الثاني في الاية دلالة
على ان الزكوة انما يتولى اخذها الامام او نائبه لانه تعالى جعل للعاملين سهما منها والعامل هو الذي نصبه الامام لاخذ الزكوات
ويتاكد هذا النص بقوله خذ من اموالهم صدقة فالقول بان المالك يجوز له اخراج زكوة الاموال الباطنة بنفسه انما يعرف بدليل
اخر كقوله وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب ان يجوز دفعه اليه ابتداء واذا كان الامام جائرا فالتفريق
بنفسه افضل الحكم الثالث مذهب ابي حنيفة انه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول عمر وابن حذيفة
وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وابي العالية والنخعي لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم ان يكون كل
جزء من اجزائها كصدقة زيد مثلا موزعا على كل واحد منهم ولان الرجل الذي لا يملك الا عشرين دينارا فاخرج نصف دينار
لو كلفناه ان يقسمه على اربعة وعشرين ليوقع كل ثلثة منها الى ثلثة من كل صنف صار كل قسم حقيرا صغيرا غير منتفع به في مهم
معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فخبرتهم بها كان احب الي وقال الشافعي لا بد من صرفها
الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز احتجوا عليه بان الله تعالى ذكر هذه القسمة في نص الكتاب
ثم اكدها بقوله فريضة من الله وهو في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء في قوة قوله فرض الله الصدقات
لهم وهذا كالزجر عن مخالفة الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى لم يرض بقسمة ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسمتها
بنفسه ثم ختم الاية بقوله والله عليم اي بمقادير الانصباء والمصالح حكيم لا يفعل الا ما هو الاصوب الاصلح وكل هذه المؤكدات
دليل على وجوب الاحتياط في صرف الزكوة ومن ههنا قال الشافعي لا بد في كل صنف من ثلثة لانه تعالى ذكر اكثر الاصناف
بلفظ الجمع واقل الجمع ثلثة فان دفع نصيب الفقراء الى اثنين غرم للثالث اقل متمول على الاقيس لا الثلث لان التفضيل في افراد الصنف
جائز للمالك لان العدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف لانهم محصورون
فيسهل التسوية بينهم الحكم الرابع العامل والمؤلفة قلوبهم مفقودان في زماننا فبقي ان يصرف الزكوة الى الاصناف الستة
الباقية كما لو فقد بعض الاصناف في بلد فانه يصرف الى الباقين ولا يؤمر بالنقل الى بلد وجد فيه جميعها والاحوط رعاية
التسوية بينهم على ما يقوله الشافعي اما اذا لم يفعل ذلك فانه مجزية عند سائر الائمة اما الحكمة في ايجاب الزكوة فهو ان المال
محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على المشتهيات والمارب لكن الاستغراق في
حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التاهب للاخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال اخراج طائفة منه كسرا للنفس
ومنعا من انصبابها بالكلية اليه فايجاب الزكوة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم اي عن دنس الاستغراق في حب المال وايضا ان كثرة الاموال يوجب القوة والقدرة والشدة وتزايد تلك
اللذات يدعو الانسان الى تحصيل الاموال المتزايدة فيصير المسئلة دورية لا مقطع لها ولا اخر فاثبت الشرع لها مقطعا
واخرا وهو صرف طائفة من المال في طلب مرضاة الله ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلماني الذي لا اخر له ويفضي في الاغلب
الى الطغيان وقساوة القلب وايضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها في التعظيم لامر الله وعملية وكمالها في الشفقة



على خلق الله فاوجب الله الزكوة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محبا الى الخالق وامدوا له بالدعا
والهمة وايضا المال سمي مالا لكثرة ميله الى كل احد فهو غاد ورائح سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا انفقه لوجه الله بقي
بقاء لا يمكن زواله وفي انفاق المال تشبيه بالمجردات والمفارقات وليس الغنا الا عن الشيء لا به لان الاستغناء عن الشيء صفة
الحق والاستغناء بالشيء صفة المخلوقين العاجزين ففي الامر بالزكوة نقل للانسان من درجة ادنى الى درجة اعلى وايضا
للانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح في الاستغراق في بحار معرفة الله وبذل البدن في العبودية لله والصلوة لله فكيف
يليق به ان لا يبذل المال في ابتغاء مرضاته وايضا اذا فضل له المال عن قدر الحاجة وحضر انسان اخر محتاج فههنا حصل سببان
كل واحد منهما يوجب تملك ذلك المال اما في حق المالك فهو انه سعى في اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه به واما في حق الفقير فالاحتياج
الموجب للتعلق به فلما وجد هذان السببان المتدافعان اقتضت حكمة الشارع رعاية كل منهما بقدر الامكان ورجح جانب
المالك لان له حق الاكتساب وحق التعلق فابقى عليه الكثير وامر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين الامرين وجمعا بين
المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فلا معطل في الوجود وايضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا
انه القاها في ايديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا يملك ملأ بطنه وكم من غافل يأتيه الدنيا عفوا صفوا وليس يستبعد
ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة مما في الخزائن الى المحتاجين من عبيدي وايضا ان الاغنياء لو لم يلتزموا اصلاح
مهمات الفقراء فربما حملهم شدة الحاجة على تحصيل المال من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها او على اللحاق باعداء المسلمين
وقال صلعم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وكان الله تعم يقول للغني اعطيتك المال فشكرت فصرت من الشاكرين
فاخرج من يدك نصيبا منه حتى تصبر على فقدان المال فصرت من الصابرين ويقول للفقير ما اعطيتك الاموال الكثيرة فصبرت
فصرت من الصابرين ولكني اوجبت على الغني ان يصرف اليك طائفة من المال لتشكرني فتكون من الشاكرين وايضا اراد الله سبحانه
ان يكون الغني منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغني بما قبله منه ليحصل الخلاص في الدنيا من الذم والعار
وفي الاخرة من عذاب النار ثم حكى نوعا اخر من فضائح المنافقين وهو انهم كانوا يقولون لرسول الله صلعم على وجه الطعن والذم
هو اذن عن ابن عباس كانوا يؤذون النبي صلعم ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فانما
نخاف ان يبلغه ما تقولون فانما محمد اذن سامعة فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فانما محمد
اذن سامعة فنزلت الاية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت في رجل من المنافقين يقال له نافل بن الحرث وكان رجلا
احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذي قال فيه النبي صلعم من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نافل بن الحرث وكان
ينم حديث النبي صلعم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا
وقال السدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت فارادوا ان يقعوا في النبي صلعم وعندهم
غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال
والله ان ما يقول محمد حق وانكم لشر من الحمير ثم اتى النبي صلعم فاخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر انهم كذبة
وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الايتان قال علماء اللغة الاذن الرجل الذي
يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ومثله قولهم للربيئة عين ومنه
ايذاؤهم النبي صلعم بانهم يقولون له هو اذن وذلك انهم قصدوا به المذمة وانه ليس بذكاء ولا بعد غور بل هو سليم القلب سريع
الاغترار بكل ما يسمع ويجوز ان يراد بالايذاء انواع اخر سوى هذا القول اي يؤذونه بالغيبة والنميمة وسائر انواع الاذية
ويقولون في وجه الاعتذار عن ذلك هو اذن يقبل كلما يسمع فنحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا فيرضى ثم انه سبحانه اجاب
عن قولهم فقال قل اذن خير لكم بالاضافة كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ويجوز الاضافة هو المدلول كأنه قيل
نعم هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويؤيده قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه عطف
الخاص على العام اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه اذن خير بانه يؤمن بالله اي يقربه ويعترف
بوحدانيته لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين يسلم لهم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم لا لكونه من اهل الغرة
والبله وهو رحمة للذين آمنوا منكم باللسان دون الجنان لانه يجري امركم على الظاهر ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم فان الله
هو الذي يتولى السرائر ولهذا ختم الاية بقوله والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم واما من قرأ اذن خير بالرفع فيهما فعلى ان اذن
خبر مبتدأ محذوف وخير كأنه اي هو اذن هو خير والمعنى هو اذن موصوف بالخيرية في حقكم لانه يقبل معاذيركم ويتغافل عن
جهالاتكم فتحفظ بذلك دماؤكم واموالكم وقيل التقدير قل اذن واعية سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم

ذكر بعده ما يدل على فساد هذا الطعن وهو قوله يؤمن بالله الى اخره ووجه ثالث ذكره صاحب النظم واستحسنه الواحدي وهو ان قوله اذن وان كان رفعا في الظاهر لكنه نصب في الحقيقة على الحال وتأويله قل هو اذن ناخر لكم ثم ذكر ان من قبائح المنافقين اقدامهم على الايمان الكاذبة فقال يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه اي كان من الواجب ان يرضوا الله تعالى بالاخلاص والتوبة لا باظهار ما يسترون خلافه وانما لم يقل يرضوهما تعظيما لله بالافراد بالذكر او المراد والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك او وقع الاكتفاء بذكر الله لان رضى الله ورضى رسوله شيء واحد كما يقال احسان زيد واجماله نعشني ومعنى ان كنتم مؤمنين اي بزعمكم ثم وبخهم بقوله الم يعلموا وذلك انه يقال ذلك لمن بولغ في تعليمه مدة ثم لم يظهر عليه اثر العلم والرشد وكان النبي صلى الله عليه وسلم طال مكثه فيهم وكثر تحذيره عن المعصية وترغيبه في الطاعة والضمير في قوله انه للشان وفائدته مزيد التعظيم والتهويل والمحادة المخالفة لان كلا منهما في حد غير حد صاحبه كالمشاقة لان كلا منهما في شق اخر وقال ابو مسلم هي من الحد بمعنى السلاح ثم ذكر في الجزاء فقوله فان له بالفتح اي فحق ان له نار جهنم وقيل ان مكرر للتاكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على انه وجواب من محذوف وهو هلك قال الزجاج يجوز كسر ان على الاستئناف بعد الفاء ولكن القراءة بالفتح ونقل الكعبي في تفسيره انه قرا بالكسر قال السدي قال بعض المنافقين والله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا فانزل الله تعالى يحذر المنافقون وقال مجاهد كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى ان لا يفشى علينا سرنا فنزلت والضمير في عليهم وفي تنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم وكانها تخبرهم بما في قلوبهم وتذيع عليهم اسرارهم قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحي لانه غير قائل به واجيب بانهم عرفوا ذلك بالتجربة او كفرهم كان كفر عناد او كانوا شاكين في صحة نبوته والشاك في امر خائف من وقوعه او هذا الخبر في معنى الامر اي ليحذر المنافقون عن ابي مسلم انهم اظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا اجابهم الله بقوله استهزؤا وتهددهم بقوله ان الله مخرج ما تحذرون مظهر ما تحذرون من نفاقكم او محصل انزال السورة لان الشيء اذا حصل بعد عدمه فكان فاعله اخرجه من العدم الى الوجود قوله ولئن سألتهم الاية عن ابن عمر ان رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رايت مثل هؤلاء القراء ارغب بطونا اي اوسع ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء يعني رسوله واصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وانت منافق ثم ذهب ليخبر رسول الله فوجد القران قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انما كنا نلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر رايت عبد الله بن ابي يسير قدام رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ابالله ورسوله كنتم تستهزءون ما يلتفت اليه ولا يزيد عليه وقال الحسن وقتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب قال الواحدي اصل الخوض الدخول في مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى اطلق على كل دخول فيه تلويث واذى اي كنا نخوض في الباطل كما يخوض الركب لقطع الطريق ثم امر نبيه بان يقول في جوابهم ابالله اي بتكاليفه او باسمائه او بقدرته حيث استبعدتم ظفر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه على فتح قصور الشام وآياته يعني القران ورسوله كنتم تستهزءون تعييبا باعتذارهم فجعلوا كانهم معترفون بوقوع الاستهزاء منهم فاوقع الانكار على الاستهزاء بالله بان ولي الاستفهام الذي يفيد التقرير المستهزأ به ولم يقل اتستهزءون بالله ثم قال لا تعتذروا ونقل الواحدي عن ائمة اللغة ان معنى الاعتذار محو اثر الذنب وقطعه من قولهم اعتذر المنزل اذا درس واعتذرت المياه اذا انقطعت ومنه عذرة الجارية لانها تعذر اي تقطع والعذر سبب لقطع اللوم نهاهم الله عن الاعتذار بالخوض واللعب لان الشيء الذي يوجب الكفر لا يصلح للعذر ثم بين ذلك بقوله قد كفرتم اي صرحا بعد ايمانكم اي بعد الايمان الذي اظهرتموه وفيه ان الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله صريح لان العمدة الكبرى في الايمان هو التعظيم لامر الله ولشرايعه ان نعف عن طائفة منكم ذكر المفسرون انهم كانوا ثلاثة استهزأ اثنان وضحك الثالث ولما كان ذنب الضاحك اخف لانه لم يوافق القوم في الكفر فلا جرم عفا الله عنه وفيه اشارة الى انه من خاض في عمل باطل فعليه ان يجتهد في التقليل ويحذر من الانهماك فانه يرجى لبركة ذلك القليل ان يعفو الله عنه الكل قال الزجاج الطائفة في اللغة الجماعة لانها الذي يمكنه ان يطيف بالشيء ثم يجوز ان يسمى الواحد بالطائفة قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين واقله الواحد وروى الفراء باسناده عن ابن عباس انه قال طائفة الواحد فما فوقه ووجهه بان من اختار مذهبا فانه ينصره ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد ان يسمى طائفة بهذا السبب والبناء للمبالغة وقال ابن الانباري العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ثم علل كونه معذبا للطائفة الثانية بانهم كانوا مجرمين اي مصرين مستمرين على الجرم ويجوز ان يكون سبب العفو عن الطائفة الاولى

احداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق ويجوز ان يراد بالعذاب العذاب العاجل ومن قرأ ان يعف على البناء للمفعول والتذكير فلانه مستند الى الظرف كما تقول سير بالدابة دون سيرت وقرئ بالتانيث ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم

طائفة ثم ذكر جملة احوال المنافقين وان اماثهم في ذلك كذكورهم فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى في صفة النفاق واريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم فصل ذلك المجمل

ببيان مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال يأمرون بالمنكر وهو كل قبيح عقلا او شرعا واعظم ذلك الاخلاص في الايمان وينقضون ايديهم عن كل واجب كصدقة او زكوة او انفاق في سبيل الله وهذا اولى من توجيه الذم بتركه وقبض الايدي كناية

عن الشح والبخل كبسطها في الكرم والسخاء نسوا الله اغفلوا امره وتركوا ذكره وذلك ان النسيان الحقيقي لا يتوجه عليه الذم فنسيهم جازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته وهذا على سبيل المزاوجة والطباق وانما جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان

من نسي شيئا لم يذكره فدل بذكر الملزوم على اللازم ثم قال ان المنافقين هم الفاسقون وفيه دليل على انهم هم الكاملون في الفسق وان على المسلم ان يحترز عما يكسبه هذا الاسم ثم بين مآل حال اهل النفاق والكفر فقال وعد الله الاية ومعنى خالدين فيها مقدرين

الخلود فيها قاله في الكشاف ويحتمل ان يراد مستأهلين للخلود هي حسبهم كافيهم في الجزاء والايلام ومع ذلك فقد لعنهم الله ليكون العذاب مقرونا بالاهانة والطرد ولهم عذاب مقيم نوع اخر من العذاب الدائم سوى عذاب النار او عذاب عاجل لا ينفكون

عنه من النفاق والخوف من افتضاحهم ثم شبه المنافقين بالكفار الذين كانوا قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن الخيرات فقال ملتفتا من الغيبة الى الخطاب كالذين من قبلكم اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم

فعلى الاول محل الكاف رفع وعلى الثاني نصبه ثم وصف اولئك الكفار بانهم كانوا اشد قوة اى جسامة من هؤلاء المنافقين واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم وهو ما خلق للانسان اى قدر له من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصيب اى اثبت فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم قيل ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرة ثم

ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم تكريره في حق الاولين ثالثا واجيب بانه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم عن سعادة الاخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ فلما قرر تعالى هذا الذم عاد فشبه حال المنافقين بحالهم فيكون

ذلك نهاية في المبالغة قال جار الله نظيره ان تقول لبعض الظلمة انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب وانت تفعل مثل فعله واما قوله وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك المقدمة ومعنى كالذي

كالخوض الذي خاضوه او كالفوج الذي خاضوا وقيل اصله كالذين فحذف النون ثم بين ان اولئك الكفار لم يحصل لهم الا حبوط الاعمال في الدنيا فبسبب الفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف واما في الاخرة فلانهم هلكوا وبادوا

وانتقلوا الى العقاب الدائم وخسران الدارين فهؤلاء المنافقون المشاركون لهم في هذه الاعمال والفضائح مع ضعفهم هم وقلة عددهم وعددهم اولى بخسار الدارين وخسار الامرين التاويل انما الصدقات وهي صدقات مواهب الله كما قال ما من

يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة على من يشاء من عباده للفقراء وهم الاغنياء بالله الذين فنوا عنهم وبقوا به والمساكين الذين لهم بقية اوصاف الوجود فلو سفينة القالب في بحر الطلب قد خرقها لخضر المحبة وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا و

العاملين عليها وهم ارباب الاعمال كما كان الفقراء والمساكين ارباب الاحوال والمؤلفة قلوبهم الذين يتالف قلوبهم بذكر الله وفي الرقاب الذين يريدون ان يتخلصوا عن رق الموجودات الى حرية العبودية لموجدها والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم والغارمين الذين

استقرضوا من مراتب المكونات اوصافها وطبائعها وخواصها وهم محبوسون في سجن الوجود فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص عن حبس الوجود وفي سبيل الله المجاهدون والجهاد الاكبر مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل

المسافرون عن اوصاف الطبيعة وعالم البشرية السائرون الى الله على اقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله اوجبها على ذمة كرمه كما قال الا من طلبني وجدني والله عليم بطالبيه حكيم في معاونتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقولون

هو اذن داوا محامده بنظر المذمة والعيب قل اذن خير لكم اى سامعة خير لكم لان له مقام السامعية يسمع ما يوحى اليه يومن بالله عيانا ويومن للمؤمنين لان فوائدها انه تعود اليهم كما تعود الى نفسه ورحمة للذين امنوا لانهم يهتدون بهداه والذين يؤذون رسول الله

باقوالهم وافعالهم واحوالهم يحذر المنافقون والحذر لا يغني عن القدر ان نعف عن طائفة اظهارا للفضل والرأفة نعذب طائفة اظهارا للقهر والعزة ولكن اظهارا للطف بلا سبب واظهارا للقهر لا يكون الا بسبب انهم كانوا مجرمين وبعضهم من بعض لان

ارواحهم كانت في صف واحد في الازل فعاملاتهم من نتائج خصوصيات ارواحهم نسوا الله ولو ذكروه قبل الاتيان بالمعاصي لم يفعلوا ما فعلوا ولو ذكروه بعد الاتيان لاستغفروا فغفر لهم هي حسبهم لانها نصيبهم في الازل كانوا اشد منكم قوة بالاستعداد

الفطري وضيعوها في الاستمتاع العاجل فخسروا اسراً لمال العلم برجعوا أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ

وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ۚ أَتَتْهُمْ

وعاد وثمود و قوم ابراهیم و اصحاب شعیب و اهل شهرهای نگون شده آمد بر ایشان

رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ

وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ

اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ

مَا قَالُوا وَلَقَدْ

قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ۚ

فَإِن

يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ

بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَ

بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

القراءة والمؤتفكات وبابه بغير همز ابو عمرو وغير شجاع وورش ويزيد والحلواني عن قالون والاعشى وحمزة في الوقف الوقوف

والمؤتفكات ط بالبينات لابتداء النفي مع فاء التعقيب يظلمون من بعض لما مر ورسوله ط سيرحمهم الله ط حكيم عدن ط اكبر العظيم واغلظ

عليهم ط جهنم المصير ما قالوا لم ينالوا من فضله ج خيرا لهم والآخرة ولا نصير من الصالحين معرضون يكذبون علام الغيوب لاحتمال

النصب والرفع على الذم وكونه بدلا من الضمير في نجواهم فيسخرون منهم ط سخر الله منهم لاتمام الجزاء مع اختلاف النظم اليم التفسير لما

شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم الزائل بين ان اولئك الكفار من هم فذكر ست طوائف

سمع العرب اخبارهم لان بلادهم وهي الشام قريبة من بلادهم وقد بقيت آثارهم مشاهدة ولهذا صدر الكلام بحرف الاستفهام

للتقرير فاولهم قوم نوح وقد اهلكوا بالاغراق وثانيهم قوم عاد واهلكوا بالريح العقيم وثالثهم ثمود واخذوا بالصيحة ورابعهم

قوم ابراهيم سلط الله عليهم البعوض وكفى شر ملكهم وهو نمرود ببعوضة واحدة سلطها على دماغه وخامسهم اصحاب مدين

قوم شعيب اخذتهم الرجفة وسادسهم اصحاب المؤتفكات قوم لوط امطر الله عليهم الحجارة بعد ان جعل مدائنهم عاليها

سافلها والائتفاك الانقلاب سميت مدائنهم بذلك لان الله تعالى قلبها عليهم ويمكن ان يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب احوالهم

من الخير الى الشر ثم قال اتتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات ولا بد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فاهلكهم الله فما كان الله

ليظلمهم قالت المعتزلة اي ما صح منه الظلم ولكنهم استحقوا ذلك بسبب كفرهم وقد مر الكلام في امثال ذلك ثم بين ان شأن المؤمنين

في الدنيا والآخرة بخلاف المنافقين فقال والمؤمنون الآية قال بعض العلماء انما قال ههنا اولياء بعض وهناك من بعض لان

نفاق اتباع المنافقين حصل بسبب التقليد لاكابرهم وبمقتضى الطبع والعادة بخلاف الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة

في الاستدلال والتوفيق والهداية واقول كون بعض المنافقين من بعض يوجب اشتراكهم في امر من الامور وبالجملة كالدار وحكم من
الاحكام الشرعية او سنة وطريقة وهذا هو المقصود ولكنه يحتمل ان يكون تكليفا او بطريق النفاق لان سبب انعقاد غرض من
الاغراض الدنيوية العاجلة فذكر الله تعالى اشتراكهم في ذلك بلفظ منهم لمكان الاحتمال المذكور واما اشتراك المؤمنين في
الدين فلما كان سببه الاخلاص والعصبية للدين والاجتماع على ما يفضي الى سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة
فصرح الله تعالى بذلك ثم وصفهم باضداد صفات المنافقين فقال يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان
بالنسبة الى غيرهم قال ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهاتان لهم في انفسهم وهما بازاء قوله في صفة المنافقين ولا ياتون
الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم بالطاعة على الاطلاق فقال ويطيعون الله ورسوله اي في كل
ما يأتون ويذرون ثم ذكرنا اعد لهم من الثواب على سبيل الاجمال فقال اولئك سيرحمهم الله والسين يفيد المبالغة في انجاز الوعد بالرحمة
كما يؤكد الوعيد بها اذا قلت سانتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ثم ختم الاية بقوله ان الله عزيز
حكيم وفيه ترغيب للمؤمنين وترهيب للكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده في عباده من رحمة او عقوبة والحكيم هو
الذي يدبر عباده على ما هو فوق ما يقتضيه العدل والصلاح ثم فصل ما اجمل من الرحمة بقوله وعد الله المؤمنين الاية وقد كثر
كلام اصحاب الاثار في معنى جنات عدن فقال الحسن سالت عمران بن الحصين وابا هريرة عن ذلك فقالا على الخبير سقطت سالنا
رسول الله فقال هو قصر في الجنة من اللؤلؤ وفيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت
سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون
لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن من القوة ما ياتي على ذلك اجمع وعن ابن عباس انها دار الله لم ترها عين
ولم يخطر على قلب بشر وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة اي وسطها قال الازهري وبطنان الاودية المواضع التي يستنقع
فيها السيل واحدها بطن وقال عطاء عن ابن عباس هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والانبياء
والشهداء وائمة الهدى وسائر الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب الريح من تحت العرش
فيدخل عليهم كثبان المسك الابيض وقال عبد الله بن عمرو ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج وله خمسة الاف باب على كل باب
خمسة الاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وفي هذه الاخبار دلالة على ان عدن علم ويؤيده قوله جنات عدن التي وعد
الرحمن عباده بالغيب ولو لم يكن علما لم يوصف بالمعرفة ولا ريب ان اصله صفة من قولك عدن بالمكان اذا اقام به ومنه المعدن للمكان
الذي يخلق فيه الجوهر وعلى هذا فالجنات كلها جنات عدن الا ان يغلب الاسم على بعضها ورضوان من الله اي شيء يسير من رضاه
اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وكرامة وكل خطب مع رضا المولى هين وكل نعيم مع سخطه منغص وفيه دليل على ان السعادات
الروحانية اعلى حالا واشرف من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على ان الاعتراف بالسعادات
الجسمانية واجب من حيث الشرع ذلك الموعود والرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا في الحديث ان الله عز
وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل
من ذلك قالوا اي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ثم عاد مرة اخرى الى شرح احوال المنافقين فقال يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم قال الضحاك اي جاهد الكفار واغلظ على المنافقين لان المنافق لا يجوز محاربته في ظاهر الشرع وضعف
بان الفسق باباه وقيل المراد بهؤلاء المنافقين هم الذين عرفهم الله حالهم فصاروا اكسائر الكفرة فجاز قتالهم وزيف بانه وان علم حالهم
بالوحي الا انه مامور بان يحكم بالظاهر وان القوم كانوا يظهرون الاسلام فكيف يجوز قتالهم والصحيح ان الجهاد بذل المجهود في حصول
المقصود وهو شامل للسيف واللسان فالمراد جاهد الكفار بالسيف والمنافقين واغلظ عليهم في الجهادين جميعا عن ابن مسعود
ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه بان يكرهه ويبغضه ويتبرأ منه وحمل الحسن جهاد
المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها واعترض عليه بان اقامة الحدود واجبة على كل فاسق منافقا او لا ولان الغالب
ممن يقام عليه الحد في زمن رسول الله صلعم كونه منافقا قال الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله صلعم الى تبوك وكانوا اذا خلا
بعضهم الى بعض سبوا رسول الله صلعم واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله صلعم فقال رسول الله صلعم يا اهل
النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا ما قالوا شيئا من ذلك فانزل الله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وعن
قتادة عن رجلين اقتتلا رجل من جهينة ورجل من غفار فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن ابي يا بني الاوس انصروا
اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك ياكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى
بها رجل من المسلمين الى نبي الله صلعم فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قال فنزلت الاية اما قوله وهموا بما لم ينالوا فهو الفتك برسول



الله صلى الله عليه وسلم عند مرجعه من تبوك وذلك انه تواثق خمسة عشر رجلا منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان
عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح
فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بردعا مر بن قيس لرده على الجلاس بن سويد وقد
مر في تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما عابوا
الا ان اغناهم كقول القائل ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش
لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا بالغنائم وجمعوا الاموال وروي انه قتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا
فاستغنى ثم استعطف قلوبهم بعد صدور هذه الجنايات العظيمة عنهم فقال فان يتوبوا يك يعني ذلك الرجوع خيرا لهم وكان الجلاس
ممن تاب فحسنت توبته وان يتولوا يعرضوا عن التوبة يعذبهم عذابا اليما في الدنيا بالقتل والسبي واغتنام الاموال وقيل بما ينالهم
عند الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر واما عذاب الآخرة فمعلوم وما لهم في الارض يحتمل ارض الدنيا وارض القيامة ثم
بين ان هؤلاء كما ينافقون الرسول والمؤمنين فكذلك ينافقون ربهم فيما يعاهدونه عليه فقال ومنهم من عاهد الله يروى عن ابي
امامة الباهلي ان ابا ثعلبة بن حاطب الانصاري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير
من كثير لا تطيقه ثم قال مرة اخرى فقال اما ترضى ان تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسيل معي الجبال فضة وذهبا
لسالت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاوتين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة
مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة
ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر
فقال يا ويح ثعلبة ثلاثا وانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم و
كتب لهما كيف يأخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما ادري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا واخبرا السلمي فنظر
الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد ان ناخذ هذا منك قال بلى خذوه فان
نفسي بها طيبة فاخذوها منه ثم رجعا على ثعلبة فقال اروني كتابكما ثم قال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رأيي فانطلقا حتى
اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة ثم نزلت الآية وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقارب ثعلبة فخرج اليه وقال
ويحك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله قد منعني ان اقبل منك
صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله
وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم اتى ابا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله وانا اقبلها فقبض ابو بكر وابى ان يقبلها ثم جاء
بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وكذا في خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفاء اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واقول وما ذاك الا
بشؤم اللجاج والاصرار قال بعض العلماء المعاهدة اعم من ان يكون باللسان وبالقلب وقال المحققون انه لا بد من التلفظ بها لما روي
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عفا عن امتي ما حدثت به نفوسها ما لم يتلفظوا به ولان قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
ظاهر مشعر بالقول اللساني والمراد بالفضل ايتاء السؤال بطريق التجارة او الاستغنام ونحوها واصل لنصدقن لنتصدقن ادغمت التاء
في الصاد والمتصدق المعطي لا السائل كقوله وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ومعنى قوله ولنكونن من الصالحين عن ابن عباس
انه اراد الحج ولعل المراد اخراج كل ما يجب اخراجه اذ لا دليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلاث فقال فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا
وهم معرضون فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعي والتولي نقض العهد والاعراض اراد به الاحجام عن تكاليف الله وان ذلك منهم عادة
معتادة ولترتب هذا الذم على منع الصدقة ولاطلاق لفظ البخل عليه وهو في عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة
الملتزمة في قوله لنصدقن هي الصدقة الواجبة وان الرجل قد عاهد بانه يقوم بما يلزمه من الانفاقات الواجبات ان وسع الله عليه دون
ما يلزمه الانسان بالنذر من المندوبات اذ لا دليل في الآية على ذلك مع ان سبب النزول يأباه فان قيل الزكاة لا تلزم بسبب الالتزام وانما
تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا ان قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن في وقته الذي يليق به وفي الآية دلالة
على ان الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما ثم انه لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويؤكده قوله سبحانه فاعقبهم نفاقا
عن الحسن وقتادة ان اعقب مسند الى ضمير البخل اي اورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وباعثا عليه وكذا ان اول
ان جعل عائدا الى التولي او الاعراض وضعف بان حاصل هذه الامور كونه تاركا لاداء الواجب وذلك لا يمكن جعله مؤثرا في



حصول النفاق في القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو امر وجودي والعدم لا يؤثر في الوجود ولان هذا الترك قد يوجد في حق

كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولانه لو اوجب حصول الكفر في القلب لاوجبه سواء كان الترك جائزا شرعا او محرما فسبب اختلاف

الاحكام الشرعية لا يخرج السبب عن كونه مؤثرا ولان البخل والتولي والاعراض هو بعينه خلاف ما وعدوا الله به فيصير تقدير الاية ان التولي

اوجب النفاق بسبب التولي وهذا كلام كما ترى فلم يبق الا ان يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على ان خالق الكفر في القلوب هو

الله ومن معنا قال الزجاج معناه انهم لما ضلوا في الماضي فالله تعالى يضلهم عن الدين في المستقبل ومما يؤكد القول بان الضمير في اعقبهم لله

ان الضمير في قوله الى يوم يلقونه عائد الى الله وللمعتزلة ان يقولوا النفاق وان سلم انه وجودي لكنه امر شرعي ولا يبعد جعل شيء عدمي

امارة عليه وايضا الترك المقرون بالتولي والاعراض لا نسلم انه لا يحصل معه النفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بجعل الشارع

كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم ان البخل هو بعينه اخلاف الوعد والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله لكن

من اين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق ولم لا يجوز ان يراد فاعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث الغم في قلوبهم وضيق الصدر وبما

ينالهم من الذل والخوف ويراد فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا ولاهل السنة ان يقولوا هذا

عدول عن الظاهر مع ان الدلائل العقلية دالة على وجوب انتهاء الكل الى مشية الله وتقديره بعض ما قلناه قال العلماء ظاهر الاية يدل على

ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فعلى المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه وذهب الحسن البصري ان نقض العهد يوجب النفاق لا محالة

تمسكا بهذه الاية وبقوله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان

وقال عطاء بن ابي رباح حدثني جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذكر قوله ثلث من كن فيه فهو منافق في المنافقين خاصة الذين

حدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه وائتمنوا على سره فخانوه ووعدوه ان يخرجوا معه الى الغزو فاخلفوه ونقل ان عمرو بن عبيد فسر الحديث

فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه ورسوله واذا وعد اخلف كما ذكره الله فيمن عاهد واذا ائتمن على دين الله خان في

السر وكان قلبه على خلاف لسانه ونقل ان واصل بن عطاء ارسل الى الحسن رجلا فقال ان اخوة يعقوب حدثوه في قولهم فاكله الذئب

فكذبوا ووعدوه في قولهم وانا له لحافظون فاخلفوه وائتمنهم ابوهم على يوسف فخانوه فهل تحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن

في مذهبه قال اهل التفسير قوله الى يوم يلقونه يدل على ان ذلك المعاهد يموت وكان كما اخبر فيكون اخبارا بالغيب ومعجزا قال الجبائي

هذا اللقاء لا شك انه ليس بمعنى الرؤية لان الكفار لا يرونه بالاتفاق فدل على ان اللقاء في القران ليس بمعنى الرؤية وضعف

بانه لا يلزم من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الرؤية كون كل لقاء ورد في القران كذلك كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ثم

وبخهم على التجاهل وعدم العلم بعلم الله واحاطته بضمائرهم وتناجيهم فقال الم يعلموا الاية والسر ما ينطوي عليه الصدور والنجوى

النجوى ما يكون بين اثنين واكثر مع الاخفاء عن غيرهم والتركيب يدل على التخليص كان صاحب النجاء كان المتناجيين تخلصا عن

غيرهما وصا خاصوا نجيا ومعنى الاية كيف يتجرؤن على النفاق الذي الاصل فيه الاستسرار والتناجي فيما بينهم مع انه تعالى يعلم ذلك

من حالهم كما يعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لانه العالم بجميع المعلومات على اي وجه يفرض عن ابن عباس ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحثهم على ان يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي ثمانية

الاف جئتك بنصفها فاجعلها في سبيل الله وامسكت نصفها لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت

فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امراتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم وقيل صولحت احديهما على

ثمانين الفا وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال اجرت الليلة

الماضية نفسي من رجل لارسال الماء الى نخيله فاخذت صاعين من تمر امسكت احدهما لعيالي واقرضت الاخر ربي فامر رسول

الله صلى الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة واما ابو عقيل فانه جاء بصاعه ليذكر

مع سائر الاكابر والله غني عن صاعه فانزل الله سبحانه الذين يلمزون المطوعين اي المتطوعين فادغمت والتطوع التنفل وهو

الطاعة لله بما ليس بواجب الجهد بالضم والفتح شيء قليل يعيش به المقل قال الليث وقال الفراء الضم لغة اهل الحجاز والفتح لغة غيرهم

وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبي الاول في العمل والثاني في القوة سخر الله منهم خبر لا

دعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان هذا من قبيل المشاكلة او المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال

الاصم المراد انه تعالى تكلفهم انفاق المال مع انه لا يثيبهم عليها وانما توجه الذم على المنافقين في هذا اللمز لان الحكم بالرياء لمن يعطي

الكثير كعبد الرحمن وعاصم حكم على بواطن الامور وذلك مما استاثر الله به ورسوله وايضا لمز الفقير على جهد المقل سفه لانه لما

لم يقدر الا عليه فقد بذل كل ما امكنه مع غاية اشفاقه وان قدر على الاكثر من فلسلم يكن ممنوعا وسعي الانسان في ان يضم نفسه الى

اهل الخير والدين خير له من ان يضم نفسه الى اهل الكسل والبطالة ولولم تكن فيه الا الثقة بالله والدخول في زمرة من يؤثرون على

انفسهم لو كان بهم خصاصة يكفى به منقبة وفضلا التاويل بعضهم اولياء بعض لان التعارف فى عالم الارواح يوجب الى فهم
فى عالم الاشباح يامرون بالمعروف الحقيقى اى بطلب المطلوب هو الله لقوله فاحببت ان اعرف وينهون عن المنكر وهو ما
يقطع العبد عن الله ويقيمون الصلوة الحقيقية ويؤتون الزكوة يعنى ما فضل عن كفافهم الضرورى ويطيعون الله ورسوله
بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس والهوى ومساكن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان الطيبات للطيبين يا ايها النبى
يعنى القلب الذى له نبأ من مقام الانباء جاهد النفوس الكافرة بسيف الصدق والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين
يدعون الارادة فى الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم فى المواخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى يتمرن نفوسهم والاماوهم
جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهى التى يوجب الانكار والاعتراض عن الشيخ وهموا بما لم ينالوا اى ثبتوا لانفسهم مرتبة الشيخوخة
قبل اوانها وما نقموا الا ان الشيخ رباهم ببيان فضل الله عن حكمة الولاية فلم يحتملوا لضيق حوصلة الهمة ومرتبة الطريقة اعظم من مرتبة
الشريعة فلهذا يكون عذابهم اليما فى الدنيا والاخرة كما قال الجنيد لو اقبل صديق الى الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر
مما ناله ومنهم من عاهد الله باستعداده الفطرى لئن اتانا من فضله جعلنا متمكنين من اكتساب الكمال لنصدقن لنصرفن كل ما اعطانا
فيما اعطى لاجله الى يوم يلقونه اى يلقون جزاء النفاق وان الله علام الغيوب يعلم ما توسوس به انفسهم وهو غيب عن الخلق
ويعلم ما يستكن فى قلوبهم وهو غيب من نفوسهم ولهذا قال الغيوب سخر الله منهم ذكره بلفظ الماضى ليعلم ان سخرية المنافقين نتيجة

سخرية الله بهم اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ اَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِيْنَ مَرَّةً فَلَنْ يَّغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَفَرُوْا
فى الازل — آمرزش خواه براى ايشان آمرزش مخواه براى ايشان اگر آمرزش خواهى براى ايشان هفتاد مرتبه پس هرگز نيامرزد خدا ايشان را اين آنست كه ايشان كافر شدند

بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِيْنَ فَرِحَ الْمُخَلَّفُوْنَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُوْلِ اللّٰهِ وَكَرِهُوْا اَنْ يُّجَاهِدُوْا
بخدا و رسول او و خدا راه ننمايد گروه تباه كاران را شاد شدند ... برخلاف رسول خدا و ناخوش داشتند كه جهاد كنند

بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَقَالُوْا لَا تَنْفِرُوْا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ اَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوْا يَفْقَهُوْنَ فَلْيَضْحَكُوْا قَلِيْلًا
بمالهاى خود و نفسهاى خود در راه خدا و گفتند بيرون مرويد در گرما بگو آتش دوزخ سخت تر است در گرمى اگر باشند كه دريابند پس بايد كه اندك خندند

وَّلْيَبْكُوْا كَثِيْرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ فَاِنْ رَّجَعَكَ اللّٰهُ اِلٰى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَاْذَنُوْكَ لِلْخُرُوْجِ فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوْا
و بسيار گريند ... پس اگر باز گرداند ترا خدا بسوى گروهى از ايشان پس دستورى خواهند از تو براى بيرون رفتن پس بگو هرگز بيرون نياييد

مَعِىَ اَبَدًا وَّلَنْ تُقَاتِلُوْا مَعِىَ عَدُوًّا اِنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُوْدِ اَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوْا مَعَ الْخَالِفِيْنَ وَلَا تُصَلِّ عَلٰٓى اَحَدٍ مِّنْهُمْ
با من هميشه و كارزار نكنيد ... پس بنشينيد با بازماندگان و نماز مكن بر احدى از ايشان

مَّاتَ اَبَدًا وَّلَا تَقُمْ عَلٰى قَبْرِهٖ اِنَّهُمْ كَفَرُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَمَاتُوْا وَهُمْ فَاسِقُوْنَ وَلَا تُعْجِبْكَ اَمْوَالُهُمْ وَاَوْلَادُهُمْ اِنَّمَا
كه بميرد هرگز و بايست بر گور او ... و بايد كه بشگفت نيارد ترا مالهاى ايشان و فرزندان ايشان

يُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يُّعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ اَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كٰفِرُوْنَ وَاِذَآ اُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ اَنْ اٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَجَاهِدُوْا
ميخواهد خدا كه عذاب كند ايشان را ... و چون فرستاده شود سوره كه ايمان آريد بخدا و جهاد كنيد

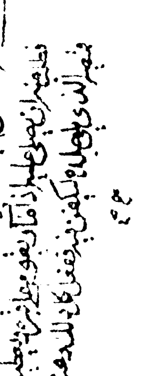
مَعَ رَسُوْلِهِ اسْتَاْذَنَكَ اُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوْا ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ الْقٰعِدِيْنَ رَضُوْا بِاَنْ يَّكُوْنُوْا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ
با رسول او دستورى خواهند از تو خداوندان توانگرى از ايشان و گفتند بگذار ما را تا باشيم با نشستگان راضى شدند بانكه باشند با زنان ...

عَلٰى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ لٰكِنِ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهٗ جَاهَدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ وَاُولٰٓئِكَ لَهُمُ الْخَيْرٰتُ
بر دلهاى ايشان پس ايشان در نمى يابند ليكن رسول و آنانكه گرويدند با او جهاد كردند بمالهاى خود و نفسهاى خود و ...

وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ اَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ القراءة
و ايشانند رستگاران آماده ساخته است خدا براى ايشان بهشتها كه ميرود از زير آنها نهرها جاويد باشند در آنجا اينست پيروزى بزرگ

معى ابدا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وحفص والمفضل معى عدوا بالفتح حفص لوقوف اولا تستغفر لهم فلن يغفر الله
لهم ورسوله الفاسقين فى الحر الآن المعنى لو كانوا يفقهون حرارة النار لما قالوا لا تنفروا فى الحر ولو وصل لا وهم ان جهنم
لا يكون نارها اشد حرا اذا لم يفقهوا ذلك يفقهون كثيرا الان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مصدرا محذوف اى يجزون بما
يكسبون معى عدوا الخالفين على قبره فاسقون واولادهم كافرون القاعدين لا يفقهون وانفسهم الخيرات لابتداء وعد
الفلاح على العظيم بدليل تكرار اولئك مع اتفاق الجملتين المفلحون خالدين فيها العظيم التفسير عن ابن عباس ان عبد الله
الاولى فى المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار لهم فنزل استغفر لهم الاية ومن المفسرين من قال
انهم طلبوا من الرسول ان يستغفر لهم وان الله نهاه عنه والنهى عن الشئ لا يدل على ان المنهى اقدم على ذلك الفعل ثم ان الدليل

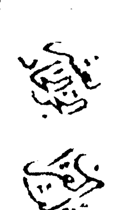
قد يدل على ان ما اشتغل بالاستغفار لان المنافق كافر وقد ظهر في شرعنا ان الاستغفار للمنافق يجري مجرى اغرائه على فعله ولانه يلزم ان يكون النبي غير مجاب الدعوة وانا كثير الدعاء ومن الفقهاء من قال التخصيص بالعدد المعين يدل على ان الحال فيما وراء ذلك العدد بخلافه ولما روي انه لما نزلت الآية قال لازيدن على السبعين فنزل سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم فكف عنه فلولا انه فهم بدليل الخطاب ان الامر فيما وراء السبعين بالخلاف لم يقل لازيدن على ذلك واجيب بانه اراد اظهار الرحمة والرأفة بامته ودعا لهم الى الترحم بعضهم لبعض لا انه فهم منه ذلك وقد قال لعم فلن يغفر الله لهم وارد فيه بقوله ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله فليس لخصوص هذا العدد يفيد بل للنفي وانما هو كقول القائل لمن يسأله حاجة لو سألتني سبعين مرة لم اقضها ولهذا بين العلة لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وهي كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم في الزيادة على السبعين وذكر بعضهم لتخصيص السبعين وجها هو ان السبعة عدد شريف لان عدد السموات والارضين والبحار والاقاليم ونجوم السيارة والاعضاء وايام الاسبوع فضرب السبعة في عشرة لان الحسنة بعشر امثالها وقيل خص بالذكر لانه كبر على حمزة سبعين تكبيرة وكانه قال ان تستغفر لهم سبعين مرة بازاء تكبيراتك على حمزة هذا وقد مر في تفسير قوله قل انفقوا طوعا او كرها ان هذا امر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لا وانتصاب سبعين على المصدر كقولك ضربته عشرين ضربة ثم ذكر نوعا آخر من قبائح افعالهم فقال فرح المخلفون قيل انهم احتالوا ان يتخلفوا وكان الاولى ان يقال فرح المتخلفون واجيب بانهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك واريد بخلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان او المجاهدون لما لم يوافقوهم في القعود فكانهم خلفوهم او اطلق عليهم المخلفون باعتبار انهم سيصيرون ممنوعين من الخروج في الآية الآتية فان رجعك الله الى قوله ولن تقاتلوا معي عدوا ومعنى بمقعدهم بقعودهم قاله مقاتل او بموضع قعودهم وهو المدينة قاله ابن عباس خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار واقاموا قاله قطرب والزجاج فانتصابه على انه مفعول له اي قعدوا لاجل خلافه او على الحال مثل فارسلها العراك اي مخالفين له وقال الاخفش ويونس الخلاف بمعنى الخلف اي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان جهة الامام التي يقصدها الانسان تخالفها جهة الخلف وكرهوا ان يجاهدوا كيف لا يكرهون وليس فيهم باعث الايمان وداعي الاخلاص ومعهم صارف الكفر والنفاق وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين اموالهم وارواحهم في الله المؤثرين ذلك على الدعة والخفض واعلم ان الفرح بالمعاصي كراهية الذهاب لا ينبئ بذلك للتوكيد ولعل المراد انهم فرحوا الى الاقامة لانهم بالمدينة ... الوا وكرهوا الخروج الى الغزو لانه يعرضهم للضرر بالقتل والاسر وقالوا لا تنفروا في الحر قال ابن عباس ... ان يكون في دار اخرى وبعد هذه الحيوة حيوة اخرى وهذه المشقة منقضية ... عنه ولبعضهم ... احقاب يتلقيت بعدها مساءة يوم ان لها شيء الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب وفي هذا استجهال عظيم لهم ثم قال فليضحكوا وهو خبر الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره ومعنى فليضحكوا قليلا اي ضحكا قليلا او زمانا قليلا وليبكوا كثيرا روي ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ثم عرف نبيه وجه الصلاح في سائر الغزوات فقال فان رجعك الله الى طائفة منهم اي ان ردك الى المدينة الرجع متعد مثل الرد والرجوع لازم وانما قال طائفة لان منهم من تاب عن النفاق وندم او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المخالفين من المنافقين فاستأذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا فاسقاطهم عن ديوان الغزاة جزاء على تخلفهم لما فيه من الذم والطرد وصلاحه لامر الجهاد لما في استصحابهم من المفاسد المذكورة في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ويعني باول مرة غزوة تبوك وانما لم يقل اول المرات معرفا مجموعا لان المعنى ان فضلت المرات مرة كانت هذه اولها نظيره هو افضل رجل يعني ان عد الرجال رجلا رجلا كان هو افضلهم وانما لم يقل اولى مرة لان اكثر اللغتين تذكير النساء ولا يكاد يقال هي كبرى امرأة فاقعدوا مع الخالفين كقوله وقيل اقعدوا مع القاعدين والخالف من يخلف الرجل في قومه وعن الاصمعي انه الفاسد من خلف اللبن والنبيذ اذا فسد وعن الفراء معناه المخالف قال قتادة ذكر لنا ان الخالفين الذين مردوا بالقعود كانوا اثني عشر رجلا عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لما توفي عبد الله بن ابي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلوة عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلوة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى عدو الله عبد الله القائل يوم كذا وكذا كذا اعدد ايامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا اكثرت عليه قال اخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه فعجبت من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله اعلم قال فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل على احد منهم مات ابدا الآية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله قال المفسرون وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله بن ابي قال وما



يغني

يغني عنه قميصي وصلوتي من الله والله اني كنت لارجو ان يسلم به الف من قومه وكان كما قال وقيل لعل السبب فيه انه لما طلب من
الرسول قميصه الذي مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول انه انتقل الى الايمان لان ذلك الوقت وقت يتوب فيه الكافر فرغب ان يصلي عليه
وذكر من اسباب ذلك ان العباس عم رسول الله صلعم اخذ اسيرا ببدر ولم يجدوا له قميصا وكان طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها
ان المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لا ننقاد لمحمد ولكنا ننقاد لك فقال لا ان لي في رسول الله صلعم اسوة حسنة فشكر رسول الله صلعم صنيعه
ومنها انه كان لا يرد السائل لقوله تعالى واما السائل فلا تنهر ومنها ان ابنه عبد الله كان من الصالحين فالرسول اكرمه لمكان ابنه
ومنها اظهار الرافة والرحمة كما مر قوله مات صفة لاحد وابدا ظرف لقوله لا تصل وانه يحتمل تابيد النفي ونفي التابيد والظاهر الاول
لان القرائن تدل على منعه من ان يصلي على احد منهم منعا كليا دائما قال الزجاج معنى قوله ولا تقم على قبره ان رسول الله صلعم كان اذا
دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع ههنا منه وقال الكلبي معناه لا تقم باصلاح مهمات قبره وانهم كفروا تعليل للنهي ويرد عليه
ان الكفر حادث ونهي الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم واجيب بان العلة ههنا بمعنى الامارة المعرفة للحكم قال في الكشاف
وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة وانما وصفهم
بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون عدلا في دينه والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح في جميع الاديان
اما قوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم فقد سبق مثله في هذه السورة بتفاوت الفاظ فوجب علينا ان نذكر سبب التفاوت
ثم فائدة التكرار فنقول والله تعالى اعلم بمراده انما ذكر النهي ههنا بالواو وهنالك بالفاء لانه لا تعلق له ههنا بما قبله وهو موهم
على حال الفسق خلاف ما هنالك وانما قال ههنا واولادهم بدون لا لان المراد هنالك الترقي من الادون الى الاعلى وان اعجاب
اولئك الاقوام باولادهم فوق اعجابهم باموالهم كقولك لا تعجبني امر التائب ولا امر المتوب وههنا اراد المعية فقط اما اكتفاء بما
سبق هنالك واما لان هؤلاء اقوام اخرون لم يكن عندهم تفاوت بين الامرين وقيل انه هنالك لما علق الثاني بالاول تعلق
الجزاء بالشرط اكد معنى النهي بتكرار لا وانما قال ههنا ان يعذبهم لانه اخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الارادة بما هم فيه وهو
العذاب واما في الاية المتقدمة فالمفعول محذوف وتقديره وقيل الفائدة فيه التنبيه على ان التعليل في احكام الله محال وانه لم يرد حرف
التعليل فمعناه ان وانما حذف الحيوة ههنا اكتفاء بما ذكر هنالك وقيل تنبيها على ان الحيوة الدنيا لا تستحق ان تسمى حيوة لخستها
واما فائدة التكرير فهي المبالغة في التحذير من الاموال والاولاد لانها جذابة للقلوب فتحتاج الى صارف قوي ويحتمل ان يكون
الاولى في قوم والثانية في اخرين وقيل الثانية في اليهود والاولى في المنافقين ثم عاد الى توبيخ المنافقين فقال واذا انزلت
سورة اي بتمامها ويجوز ان يراد بعضها كما يقع القران والكتاب على بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان امنوا
ان هي المفسرة لان انزال السورة في معنى القول وقال الواحدي تقديره بان امنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال بالجهاد لا يفيد
الا بعد الايمان واولوا الطول ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا قال ابن العباس والحسن وقال الاصم الرؤساء والكبراء المنظور
اليهم وخصوا بالذكر لان الذم لهم الزم اذ لا عذر لهم في القعود مع القاعدين مع اصحاب الاعذار من الضعفة والزمنى والخوالف النساء
اللواتي تخلفن في البيت وجوز بعضهم ان يكون الخوالف جمع خالف وكان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف ثم قال وطبع
على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم وقد مر البحث فيه وقال الحسن الطبع بلوغ القلب في الكفر الى حد كانه مات عن الايمان وقالت
الاشاعرة هو حصول داعية الكفر المانعة من الايمان والطبع في اللغة الختم وهو التاثير في الطين ونحوه ومنه الطبع للسجية التي جبل
عليها الانسان فهم لا يفقهون اسرار حكمة الله في الجهاد وفي الذهاب من السعادة وما في التخلف من الشقاء وفي قوله لكن
الرسول نكتة هي انه ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا
بها قوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهاد على الاجمال فقال واولئك لهم الخيرات وهي شاملة لمنافع الدارين وقيل هي الحور
لقوله فيهن خيرات حسان وقوله واولئك هم المفلحون المراد منه الخلاص من المكان ثم فصل ما اجمل فقال اعد الله الاية وقيل
الخيرات الفلاح في الدنيا وهذه في الاخرة والفوز العظيم عبارة عن تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية التاويل لما تؤثر استغفار الرسول
في حقهم لقصور في القابل لا لتقصير في الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جزاء بما كانوا يكسبون من رين القلوب وكدورة الارواح
بظلمة الصفات الحيوانية وهم كافرون مستورو القلوب بحجاب حب الاموال والاولاد لهم الخيرات لما سعوا سعي العبودية نالوا خيرات الربوبية
هم المفلحون المتخلصون عن حجب صفات النفس ذلك الفوز العظيم اذ لا حجاب اعظم من حجاب النفس

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا
وآمدند تقصير كنندگان از اهل باديه تا دستوري دهند ايشان را ونشستند آنانكه بدروغ داشتند
اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ
خدا ورسول او زود برسد بآنانكه كافر شدند از ايشان عذابي دردناك نيست برضعيفان ونه بر آنانكه ناخوش باشند ونه بر آنانكه



لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله

بر ایشان آنچه نفقه کنند تنگی چون نیک خواهند خدا و رسول او را نیست بر نیکوکاران از راه و خدا

غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم

آمرزگار مهربانست ونه بر آنانکه چون آیند بتو تا برنشانی ایشان را گفتی نمی یابم آنچه برنشانم شما را

عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون انما السبيل

بر آن برگردند و چشمهای ایشان ملو بود از اشک اندوه که نیابند آنچه نفقه کنند جز این نیست که راه

على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع

بر آنهاست که دستوری می طلبند از تو و ایشان توانگرانند خوشنود شدند بآنکه باشند با زنان و کودکان و مهر نهاد

الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا

خدا بر دلهای ایشان پس ایشان نمیدانند عذر خواهند از شما چون بازگردید بسوی ایشان بگو

تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم

عذر مخواهید باور نداریم شما را بدرستیکه خبر داد ما را خدا از اخبار شما و زود باشد که ببیند خدا عمل شما

ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون

و رسول او پس بازگردانند بسوی داننده نهان و آشکار پس آگاه کند شما را بآنچه کرده اید

سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم

زود سوگند خورند بخدای شما چون بازگردید بسوی ایشان تا برگردید از ایشان پس برگردید از ایشان بدرستیکه ایشان

رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم

پلیدند و جایگاه ایشان دوزخ است پاداش بآنچه ایشان می اندوختند سوگند خورند شما را تا راضی شوید از ایشان

فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الاعراب اشد كفرا

پس اگر راضی شوید از ایشان پس بدرستیکه خدا راضی نشود از گروه تباهکاران اهل بادیه سخت ترند در کفر

ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم

و نفاق و سزاوارترند که ندانند حدهای آنچه فرستاد خدا بر رسول خود و خدا دانای محکم کار است

ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة

و از اهل بادیه کسی است که میگیرد آنچه انفاق میکند تاوان و چشم میدارد بشما حادثها بر ایشان است حادثه

السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق

بد و خدا شنوای داناست و از اهل بادیه کسی است که ایمان آورده است بخدا و روز جزا و میگیرد آنچه نفقه میکند

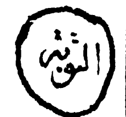
قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته

نزدیکیها نزد خدای را و دعاهای رسول بدان که آن نزدیکی است ایشان را زود درآورد ایشان را خدا در رحمت خود

ان الله غفور رحيم القراءة المعذرون من الاعذار يعقوب وقتيبة والباقون بالتشديد

بدرستیکه خدا آمرزنده مهربان است

دائرة السوء بضم السين وكذلك في الفتح ابو عمرو وابن كثير الاخرون بفتحها قربة بضم الراء نافع عبر قالون الاخرون باسكانها وكلاهما بمعنى الوقوف ورسوله ط اليم ه لله ورسوله ط من سبيل ط رحيم ه لا للعطف ما ينفقون ه ط اغنياء ج لاحتمال ان يكون رضوا مستانفا او وصفا مع الخوالف لا لان الواو للعطف والحال لا يعلمون ه الجزء الحادى عشر وثلث القران اليكم من اخباركم ط يعلمون ه لتعرضوا عنهم ط عنهم ط رجس ز لاختلاف الجملتين مع شدة اتصال المعنى في تمام الوعيد جهنم ج لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مفعولا مطلقا لمحذوف اي يجزون جزاء يكسبون ه لترضوا عنهم ج ط لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الفاسقين ه على رسوله ط حكيم ه الدوائر ط

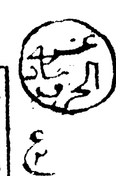


دائرة السوء عليهم ط الرسول ط لهم ط في رحمته ط رحيم ۵ التفسير لما شرح احوال منافقي المدينة
شرع في احوال المنافقين من اهل البدو فقال وجاء المعذرون من قرأ بالتخفيف فهو من اعذر اذا اجتهد
في العذر وبالغ فيه ومنه قولهم من انذر فقد اعذر فكانه تعالى فصل بين اصحاب العذر وبين الكاذبين
فالمعذرون هم الذين اتوا بالعذر ثم هم اسد وغطفان قالوا ان لنا اتباعا وعيالا وان بنا جهدا فائذن
لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا
فقال صلى الله عليه وآله وسلم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار ومن قرأ بالتشديد ففيه وجهان الاول
ان يكون من التعذير وهو التقصير في الامر والتواني فيه وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له
الثاني وقد ذكره الفراء والزجاج وابن الانباري انه من الاعتذار والاصل فيه المعتذرون ادغمت
التاء في الذال بعد نقل حركتها الى العين والاعتذار قد يكون بالكذب كقوله تعالى يعتذرون اليكم
اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا وقد يكون صحيحا كقول القائل ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اي
جاء بعذر صحيح فاذا اخذنا بقراءة التخفيف كان المعذرون صادقين واذا اخذنا بقراءة التشديد و
فسرناها بالمعتذرين احتمل الامران ومن المفسرين من رجح جانب صدقهم لانه تعالى ميزهم من الكاذبين
بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ومنهم من مال الى انهم كاذبون روى الواحدي باسناده
عن ابي عمرو انه قال ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل وهم الذين عناهم الله بقوله وجاء المعذرون وتخلف
اخرون لا بعذر ولا لشبهة عذر جراءة على الله وهم الذين ارادهم الله بقوله وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله
في ادعائهم الايمان سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي
العقبى بالنار وانما قال منهم لعلمه بان بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب ثم ذكر ان تكليف
الجهاد ساقط عن اصحاب الاعذار الحقيقية فقال ليس على الضعفاء وهم الذين في ابدانهم ضعف في اصل
الخلقة او لهرم ولا على المرضى ويدخل فيه اصحاب العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض
يمنعه من التمكن من المحاربة ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون في الغزو وعلى انفسهم حرج قيل هم
مزينة وجهينة ومن عدده وفيه دليل على انه لا يحرم عليه الخروج اذا امكنه الاعانة بمقدار القدرة كحفظ
متاع المجاهدين وتكثير سوادهم وانما يكون ذلك منه طاعة مقبولة اذا لم يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم ثم
انه شرط في جواز القعود النصح لله ورسوله ليخرج عن بعدهم عن القاء الارجاف واثارة الفتن ويقدموا
على اصلاح مهمات بيوتهم وبالجملة على كل ما له مدخل في طاعة الله ورسوله وموافقة السر العلن
كما يفعل المولى الناصح بصاحبه ثم قال ما على المحسنين اي المعذرين الناصحين من سبيل العقاب
والمؤاخذة قال بعض اهل الظاهر كداود والاصفهاني وغيره ان المحسن هو الاتي بالاحسان وراس
الاحسان وسنامه هو قول لا اله الا الله فهذا يدل على ان المكلف اذا تكلم بهذه الكلمة برئت ذمته
نفسه وماله الا بدليل منفصل كما ان السلطان لو قال لاهل مملكته تكاليفي عليكم كذا وكذا وبعد
ذلك لا سبيل لاحد على احد كان ذلك دليلا على انه لا تكليف عليهم فيما وراء ذلك لان باب
النفي لا نهاية له فلا ينضبط الا بهذا الطريق وعلى هذا لو ورد في القرآن الف تكليف واقل واكثر كان ذلك
تنصيصا على ان التكاليف محصورة فيها وفيما وراءها ليس لله على الخلق تكليف وامر ونهي وبهذا الطريق
يصير الشريعة مضبوطة ويكون القرآن وافيا ببيان التكاليف والاحكام ولا حاجة الى التمسك بالقياس
لان هذا النص دل على ان الاصل براءة الذمة فان كان القياس مفيدا للبراءة ايضا فضايع وان كان

يعيد شغل الذمة صار مخصصًا لعموم النص وانه لا يجوز لان النص اقوى من القياس ولما ذكر
ذكر الضعفاء والمرضى والفقراء بين قسمًا رابعا وهم الذين لا يجدون الراحلة وان قدروا
على الزاد فقال وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ اى على المركوب قلت قال فى الكشاف
هو حال من الكاف فى اتوك باضمار قد اى اذا ما اتوك قائلا لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا
وجوز ان يكون واسطة بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت ويحتمل ان يكون بدلا من اتوك قال
مجاهد هم ابناء مقرن ومعقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى الاشعرى واصحابه اتوا
رسول الله صلى الله عليه واله ليستحملونه ووافق منه غضبا فقال مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ فَتَوَلَّوْا
وهم مدبرون يبكون فدعاهم واعطاهم ذودا عن الذمى فقال ابو موسى الست حلفت يا رسول
الله صلى الله عليه واله فقال اما انى ان شاء الله لا احلف بيمين فارى غيرها خيرا منها وكفرت
عن يمينى وقيل هم البكاؤن ستة نفر من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
ابن كعب وعلبة بن زيد وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن معقل اتوا رسول الله صلى الله
عليه واله فقالوا يا نبى الله ان الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك فاحملنا على الخفاف المرقوعة
والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقوله تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
كقولك تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ دمعًا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كانها فائضة
ومن للبيان والجار والمجرور فى محل النصب على التمييز حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا اى على ان لا يجدوا إِنَّمَا
السَّبِيلُ اى سبيل الخطاب والعتاب فى امر الغزو والجهاد عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ فى التخلف وَهُمْ
أَغْنِيَاءُ ثم قال على سبيل الاستيناف رَضُوا كانه قيل ما لهم استاذنوا وهم قادرون على الاستعداد
فقيل رضوا بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ومن جملة اسباب الاستيذان أَنْ طَبَعَ اللَّهُ
تعالى عَلَى قُلُوبِهِمْ قال اهل العلم لما قال فى الاية الاولى وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ قال هناك
وطبع ليكون المجهول منفيا على المجهول بخلافه فى هذه الاية ثم ان العلم فوق الفقه وكان انسب بالمقام
الذى جرى فيه ذكر الله اما قوله قل لا تعتذروا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ فانه علة المنع من الاعتذار لان غرض المعتذر
ان يصير عذره مقبولا فاذا علم بان القوم يكذبونه وجب عليه تركه وقوله قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ علة لانتفاء التصديق
وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ يعنى رؤية وقوع اى سيقع انكم هل تبقون على الحالة التى تظاهرونها ام لا وفى قوله ثُمَّ
تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ تخويف شديد وفيه انه مطلع على بواطنهم الخبيثة وضمائرهم المملوءة من
النفاق والكذب وانما لم يقل فى هذه الاية وَالْمُؤْمِنُونَ كما فى الاية التى تجئ لان هذه فى المنافقين
ولا يطلع على ما فى باطنهم الا الله ثم رسوله باطلاع الله اياه   بنبوته كما قال قد نبأنا الله من اخباركم والاية الاخرى فى المؤمنين وعباداتهم ظاهرة للكل وختم اية المنافقين بقوله ثُمَّ تُرَدُّونَ
لانه وعيد فقطعه عن الاول بخلاف اية المؤمنين حيث وصلها بالواو لانه وعد والله اعلم ثم ذكر ان
منافقى الاعراب سيؤكدون اعذارهم بالايمان الكاذبة مثل ما حكى تعالى عن منافقى المدينة فقال
سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ اى لاجلكم اذا انقلبتم اى رجعتم اليهم ولم يذكر المحلوف عليه والظاهر انهم حلفوا على انهم ما
قدروا على الخروج ولكن بين غرضهم من الحلف فقال لتعرضوا عنهم ارادوا الصفح والعفو فامر الله المؤمنين باعطاء
طلبتهم ولكن على سبيل المقت لا الصفح وكذا قال ابن عباس اراد ترك الكلام والسلام وقال مقاتل قال

الا اتيت الذى هو خير منها

رسول الله صلعم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وكانوا ثمانين رجلا منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير ثم بين علة الاجتناب
عنهم فقال انهم رجس فكانهم نجس العين فلا سبيل الى تطهيرهم بالعقاب والتوبيخ وفي امثالهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة
المعاتبة المعاودة وبشرة الاديم ظاهره الذي عليه الشعر اي انما يعاد الى الدباغ من الاديم ما سلمت بشرته يضرب لمن فيها مراجعة
ومستعتب اي اذا لم يكن المعاتبة نافعة فيهم فتركها هو الصواب ومأواهم جهنم منقلبهم النار عتابا وتوبيخا ثم بين انهم طلبوا اعراض
الصفح بقوله يحلفون لكم لترضوا عنهم نهاهم عن الرضى بقوله فان ترضوا عنهم الاية ذلك ان ارادة المؤمن يجب ان تكون موافقة
لارادة الله واي فائدة في رضى المؤمنين اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم ثم عدد مثالب الاعراب وارادتهم جمعا معينين كانوا
يوالون منافقي المدينة قال اهل اللغة رجل عربي اذا كان نسبه الى العرب ثابتا وجمعه عراب كالمجوسي والمجوس واليهودي واليهود فالاعرابي
اذا قيل له يا اعرابي فرح واذا قيل للعربي يا اعرابي غضب وذلك ان من استوطن القرى العربية فهو عرب ومن نزل البادية فهو اعرابي
ولهذا لا يجوز ان يقال للمهاجرين والانصار اعراب وانما هم عرب قال صلعم لا تؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا ولا اعرابي مهاجرا قيل
انما سمي العرب عربا لان اولاد اسمعيل عم نشأوا بالعرب وهي من تهامة فنسبوا الى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم
فهو منهم وقيل لان السنتهم معربة عما في ضمائرهم لما في لسانهم من الفصاحة والبلاغة يحكى عن بعض الحكماء انه قال حكمة الروم في
ادمغتهم وذلك لانهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند في اوهامهم وحكمة يونان في افئدتهم وذلك لكثرة ما لهم
من المباحث العقلية وحكمة العرب في السنتهم وذلك لحلاوة الفاظهم وعذوبة عباراتهم وانما حكم على الاعراب بانهم اشد
كفرا ونفاقا لانهم يشبهون الوحوش سئل بعض الحكماء ما بال اهل البادية لا يحتاجون الى الطبيب فقال كما لا يحتاج حمر الوحش
الى البياطرة ولاستيلاء الهواء الحار عليهم الموجب لكثرة الطيش والخروج عن الاعتدال وان من اصبح وامسى مشرقا عليه انوار
النبوة ومشرفا باستماع مواعظه وآدابه كيف يكون مساويا للمنشأ كما شاء من غير سياسة سائس ولا تأديب مؤدب وان شئت فقابل
الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ولهذا قال ان الجفاء والقسوة في الفدادين اي الاكادين لانهم يفدون اي يصيحون وقوله واجدر
اي اولى واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله اي مقاديرها كالفرائض واحكامه وما ينتهي اليه الادلة العقلية والسمعية والله عليم
بما في قلوب اهل البدو والحضر واصحاب الوبر والمدر حكيم في كل ما قدر من الشرائع وما يتبعها من الجزاء ثم نوع جنس الاعراب فقال
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما هو مفعول ثان ليتخذ لانه بمعنى الجعل والاعتقاد والزعم اي يعتقد ان الذي ينفقه في
سبيل الله غرامة وخسران وقد عرفت ان اصل الغرم اللزوم كانه اعتقد انه لزمه لامر من خارج كتقية او رياء للناس مما ينبث من
النفس والمغرم اما مصدر او موضع ويتربص بكم الدوائر نوب الزمان وتصاريفه ودوله وكانها لا تستعمل الا في المكروه تشبيها
بالدائرة التي تحيط بما في ضمنها بحيث لا يوجد منها مخلص ثم خيب الله ظنونهم بالاسلام وذويه بان دعا عليهم بقوله عليهم دائرة
السوء وانها جملة معترضة كقوله غلت ايديهم والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه الدائرة للملابسة كقولك رجل صدق قال في
الكشاف وهو ذم للدائرة لان من دارت عليه ذام لها وبالضم اسم بمعنى البلاء والعذاب والمراد انهم لا يرون في محمد ودينه الا
ما يسوءهم والله سميع لاقوالهم عليم بنياتهم قيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ثم ختم الكلام بذكر الصالحين منهم فقال ومن
الاية والمعنى انهم يعتقدون ما ينفقونه سببا لحصول القربات عند الله وسببا لحصول القربات عند الله وسببا الصلوات
الرسول عليهم لانه كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى ثم انه تعالى شهد لهم ولامثالهم
بصحة ما اعتقدوه فقال على طريق الاستيناف مؤكدا بحرفي التنبيه والتحقيق الا انها قربة لهم ثم فسر القربة بقوله سيدخلهم
والسين لتحقيق الوعد قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه اخذت امه بجادا وهو كساء مخطط فشقته بنصفين فردته
باحدهما وازرته بالثاني وبعثته الى رسول الله صلعم فكان فائدة والله اعلم التأويل الناس ثلاثة المقصرون المعذرون المعترفون
بتقصيرهم والقاعدون الكذابون والناصحون المخلصون في الطلب لكن فيهم الضعفاء والمرضى والفقراء فلا حرج عليهم في
القعود عن طلب الكمال بالظواهر مع اشتغال البواطن في الطلب بقدر الاستعداد ولا على الذين اذا ما اتوك بطريق المتابعة
لتحملهم على جناح الهمة النبوية وتوصلهم الى مقامات لم يكونوا بالغيها بجناحي البشرية والروحانية قلت لا اجد ما احملكم
عليه ترضعا ودلالا واستبراء لولوا واستبراء الهمم كما قيل لموسى لن تراني زيادة لشوقه وهم اغنياء لهم الاستعداد الكامل فلم
يستعملوها في طلب الكمال كسلا وميلا الى اللذات العاجلة الاعراب اشد كفرا اي في عالم الانسانية وهو النفس وحضرها هو
قالبه والكفر والنفاق للنفس مقتضى الذات كما ان الايمان للقلب لذاته بالفطرة وقد يصير القلب كافرا بسراية النفس مؤمنة
بسراية القلب لكن النفس يكون اشد كفرا من القلب الكافر كما ان القلب يكون اشد ايمانا من النفس المؤمنة حدود ما انزل الله على
رسوله يعني الواردات النازلة على الروح فان القلب حضرة الروح كما ان المدينة حضرة الرسول صلعم ومن النفوس من يعتقد ما



يصرف من اوقاته فى طلب الكمال ضايع وخسارة ينتظر بالقلب لاشتغاله وفترة عليهم دائرة السوء باستيلاء القلب عليها و

قهرها بما يخالف هواها والله سميع يجيب هذا الدعاء عليهم بمن ينبغى ان يسمع فى حقه وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا

عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا

بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ خُذْ مِنْ

أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَقُلِ اعْمَلُوا

فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا

وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ

إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن

يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ

عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً

فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ حَكِيمٌ القراءة من تحتها بزيادة من ابن كثير الباقون بحذفها و بالنصب

الظرف و الانصار بالرفع يعقوب الاخرون بالجران صلوتك على

التوحيد حمزة وعلى وخلف وعاصم عن ابى بكر وحماد الباقون على الجمع بكسر التاء علامة للنصب مرجون بواو ساكنة

بعد الجيم ابو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وعاصم سوى ابى بكر وحماد الباقون بالهمزة المضمومة بعد الجيم الذين اتخذ بغير واو

ابو جعفر ونافع وابن عامر اسس بنيانه مجهولا فى الحرفين ابن عامر ونافع جرف بسكون الراء ابن عامر وحمزة وخلف ويحيى

وحماد الباقون بالضم هار بالامالة ابو عمرو وحمزة وفى رواية ابن سعدان وابى عمرو وعلى عن ليث وابن حمدون وحمدويه

والنجارى عن ورش وابن ذكوان عن ابن مجاهد والنقاش ويحيى وحماد الى ان قرأها يعقوب الباقون الا ان تقطع فعلا

ماضيا ومضارعا بحذف التاء من التفعل ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل وسهل وروليس تقطع مضارعا

مجهولا من التقطيع الوقوف باحسان لا لان قوله رضى الله عنهم خبر والسابقون ابدا العظيم منافقون لمن قدر ومن اهل المدينة

قوم مردوا ومن وصل وقف على اهل المدينة تقديره مردوا على النفاق ومن قال ومن اهل المدينة قوم احتمل ان يجعل

لا تعلمهم صفة للقوم ثم يقف لا تعلمهم نحن نعلمهم عظيم لاحتمال التقدير ومنهم اخرون وان يكون معطوفا على

منافقون وعلى قوم المقدر سيئا عليهم رحيم وصل عليهم لهم عليم الرحيم والمؤمنون تعملون يتوب عليهم حكيم

من قبل الحسنى لكاذبون ابدا ان تقوم فيه ان يتطهروا المطهرين فى نار جهنم الظالمين قلوبهم حكيم التفسير

لما ذكر الاعراب المخلصين بين ان فوق منازلهم منازل اعلى واجل وهي منازل السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان قال ابن
عباس السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبي هم الذين بايعوا بيعة
الرضوان بالحديبية ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين في
الذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير يعلمهم القران والظاهر ان الاية عامة في كل من سبق في الهجرة والنصرة
قال اهل السنة لا شك ان ابا بكر اسبق في الهجرة او هو من السابقين فيها وقد اخبر الله تعالى عنهم بانه رضي عنهم ولا شك ان
الرضاء معلل بالسبق الى الهجرة فيدوم بدوامه فدل ذلك على صحة امامته والا استحق اللعن والمقت قال اكثر العلماء كلمة
من في قوله من المهاجرين والانصار للتبعيض وانما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم امنوا وفي عدد المسلمين في مكة
والمدينة قلة وفيهم ضعف فقوي الاسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم وقد قيل من سن سنة حسنة
فله اجرها واجر من عمل بها وقيل للتبيين ليتناول المدح جميع الصحابة وروي عن حميد بن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب
القرظي الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان بينهم فقال لي ان الله تعالى قد غفر لهم واوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم
قلت له في اي موضع اوجب لهم الجنة قال سبحان الله الا تقرا قوله تعالى والسابقون الاولون الى اخر الاية اوجب جميعهم الرضوان
وشرط على التابعين شرطا لم يشترط عليهم وهو الاتباع بالاحسان وذلك ان يقتدوا بهم في اعمالهم الحسنة لا السيئة او
باحسان في القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوءا ويحفظوا لسانهم عن الاغتياب والطعن في حقهم قال العلماء معنى رضاء الله
عنهم قبول طاعاتهم ثم عاد الى شرح احوال المنافقين فقال ومن حولكم هو خبر ومن الاعراب بيان او حال ومنافقون
مبتدأ ومن اهل المدينة عطف على الخبر او خبر لمبتدأ اخر بناء على ان التقدير ومن اهل المدينة قوم مردوا والتركيب يدل على
الملابسة والبقاء على هيئة واحدة فمن ذلك صرح ممرد وغلام امرد وارض مرداء لا نبات فيها وتمرد اذا عتا فان من لم يقبل
قول غيره ولم يلتفت اليه بقي كما كان على هيئته الاصلية من غير تغير فمعنى مردوا على النفاق تمهروا وتمرنوا وبقوا عليه حذاقا
معودين الى حيث لا تعلمهم انت بنفاقهم مع وفور حدسك وقوة ذكائك ثم قال سنعذبهم مرتين قال ابن عباس هما العذاب
في الدنيا بالفضيحة والعذاب بالقبر روى السدي عن ابي مالك انه صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان انك منافق
حتى اخرج ناسا وفضحهم وقال مجاهد هما القتل والسبي وعذاب القبر وقال قتادة بالزبانية وعذاب القبر وقال محمد بن اسحق
هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام والمسلمين ثم عذابهم في القبور وقال الحسن باخذ الزكوة من اموالهم وبعذاب القبر
قيل احد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والادبار والاخر عند البعث يوكل بهم عنق من نار ثم يردون الى عذاب عظيم هو
الدرك الاسفل من النار قال الكلبي ومن حولكم جهينة ومزينة واشجع واسلم وغفار ومن اهل المدينة عبد الله بن ابي
وجد بن قيس ومعتب بن قشير وابو عامر الراهب واضرابهم ثم قال واخرون وهو معطوف على منافقون او مبتدأ
اعترفوا صفته وخلطوا خبره وعسى الله جملة مستانفة وقيل خلطوا حال باضمار قد وعسى الله خبر وللمفسرين خلاف
في انهم قوم من المنافقين تابوا عن نفاقهم او قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك لا للكفر والنفاق ولكن للكسل ثم ندموا على
ما فعلوا عن ابن عباس في رواية الوالبي نزلت في قوم كانوا قد تخلفوا ثم ندموا وقالوا نكون في الكن والظلال مع النساء ورسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد روي انهم كانوا ثلثة ابو لبابة مروان بن المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم
حين بلغهم ما نزل في المتخلفين ايقنوا بالهلاك واوثقوا انفسهم على سواري المسجد وقالوا والله لا نطلق انفسنا حتى يكون رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت هذه عادته كلما قدم من سفر فراهم
موثقين فسال عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذي تطلقهم وترضى
عنهم فقال رسول الله وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم فنزلت هذه الاية فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا
رسول الله هذه اموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزل خذ من اموالهم
صدقة الاية والاعتراف هو الاقرار بالشيء عن معرفة والمراد انهم اقروا بذنوبهم وهذا كالمقدمة للتوبة لان الاعتراف بالذنب
لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضي والعزم على تركه في الحال وفي الاستقبال خلطوا عملا صالحا واخر سيئا اي
خلطوا كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن وهذا ابلغ من قولك خلطت لانك جعلت في الاول كلا منهما مخلوطا
ومخلوطا به كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون الواو بمعنى الباء من قولك بعت الشاة شاة ودرهما
اي شاة بدرهم وذلك ان الواو للجمع والباء للالصاق فهما متقاربان ويجوز ان يقال الخلط ههنا بمعنى الجمع قال اهل السنة فيه
دليل على نفي القول بالمحابطة لانه لو لم يبق العملان لم يتصور اختلاطهما وفي قوله عسى الله ان يتوب عليهم دليل على وقوع

الماء باللبن

التوبة التي اخبر بحصولها مقدمتها وهي الاعتراف عنهم وفيه دليل على قبول توبتهم لان عسى من الكريم اطماع واجب وفائدته ان يكون
المكلف على الطمع والاشفاق فلا يتكل ولا يهمل وفيه ان التوبة بخلق الله وقالت المعتزلة معناه ان يتوب ان يقبل التوبة ورد بانه
عدول عن الظاهر مع ان الدليل العام وهو وجوب انتهاء الكل الى مشيته وتكوينه يعضد ما قلناه ثم قال سبحانه خذ من
اموالهم صدقة عن الحسن كانوا يقولون ليس المراد من هذه الاية الصدقة الواجبة وانما هي صدقة كفارة الذنب الذي صدر
عنهم وبهذا يحصل النظم بينها وبين ما قبلها كما مر وقال اكثر الفقهاء المراد بها الزكوة ووجه النظم انهم لما اظهروا التوبة و
الندامة امروا باخراج الزكوة الواجبة تصحيحا لدعواهم ومما يدل على ذلك ان الامر ظاهر في الوجوب وايضا التطهير والتزكية يناسب
الواجبة لا التطوع وفي قوله من اموالهم دلالة على ان القدر المأخوذ بعض تلك الاموال وتعيين ذلك البعض انما عرف من السنة
وفي اضافة المال اليهم دليل على ان المال مالهم ولا شركة للفقير فيه فتكون الزكوة متعلقة بذمته حتى لو تلف النصاب بعد
الوجوب بقي الحق في ذمة المالك وهو قول الشافعي وقوله تطهرهم وتزكيهم التاء فيهما للخطاب اي تطهرهم ايها الاخذ وتزكيهم
بواسطة تلك الصدقة وقيل التاء في تطهرهم للتانيث والضمير للصدقة وفيه نوع انقطاع للمعطوفين قال العلماء المعطوفان
متغايران لا محالة فالتزكية مبالغة في التطهير او هي بمعنى الانماء كانه تعالى جعل النقصان سببا للانماء والزيادة والبركة او
المراد بالتزكية تعظيم شانهم والاثناء عليهم قال ابو حنيفة ظاهر الاية يدل على ان الزكوة طهرة للاثام فلا تنفر الا حيث يمكن
حصول الاثام وذلك لا يعلم الا في حق البالغ العاقل دون الصبي والمجنون وقال الشافعي تجب الزكوة في مالهما لانه لا يلزم من
انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وصل عليهم قال ابن عباس معناه ادع لهم ومن هنا قال الشافعي السنة للامام اذا اخذ
الصدقة ان يدعو للمتصدق ويقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال اخرون بظاهر اللفظ لما روي عن عبد
الله بن ابي اوفى قال كان ابي من اصحاب الشجرة وكان النبي صلعم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على ال فلان فاتاه ابي بصدقته
فقال اللهم صل على ال ابي اوفى واكثر الائمة الان على انه لا يحسن الصلوة لغير النبي على غيره الا تبعا واطلق بعضهم كالغزالي
امام الحرمين لفظ الكراهة وقالوا السلام ايضا في معنى الصلوة واما الشيعة فانهم يذكرون الصلوة والسلام في حق ال الرسول ايضا
كعلي واولاده ع وهم على العموم من القرشيين بنو هاشم والمطلب دون بني امية وبني نوفل وغيرهم قالوا لولا انها كانت جائزة في
حق من يؤدي الزكوة فكيف يمنع ذكرها ولا يحسن في اهل بيت الرسول ولان الكل اجمعوا على جوازها بالتبعية فما الفرق واما
السلام فلا كلام عليه لانه جائز في حق جمهور المسلمين فكيف لا يجوز في ال الرسول ان صلوتك سكن لهم والسكن ما يسكن اليه المرء
وتطمئن به نفسه وذلك لان دعاءه يستجاب البتة فيستبشرون بها وكيف لا ويفيض اشراق نفسه عليهم بتوجهه اليهم والترحم
لهم احتج مانعو الزكوة بها في زمان ابي بكر فقالوا الوجوب مشروط بحصول السكن ولا سكن ورد عليهم بسائر الايات روي
ان رسول الله صلعم لما حكم بصحة توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا
لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت الم يعلموا يعني غير التائبين وقيل معناه الم يعلم التائبون قبل ان يتاب عليهم وتقبل
صدقاتهم ان الله يقبل التوبة الصحيحة ويقبل الصدقات الصادرة عن خلوص النية وفائدة توسط هو ان يعلم ان الالهية
هي الموجبة لقبول التوبة لاستغنائه عن طاعة المطيعين ومعصية المذنبين فاذا انتقل العبد من حالة المعصية الى حالة الطاعة
وجب على كرمه قبول توبته وفيه ايضا ان قبول التوبة ليس الى الرسول ففي قوله عن عباده دون من اشارة الى البعد الذي يحصل
للعبد عن الله بسبب العصيان او الى تبعيده نفسه عن الله هضما وانكسارا وفي اضافة اخذ الصدقات الى الله بعد ان امر
الرسول بالاخذ تشريف عظيم لهذه الطاعة وانها من الله بمكان وانه يربيها كما يربي احدنا فلوه حتى ان اللقمة تكون عند
الله اعظم من احد وقد جاء هذا المعنى في الحديث ثم امر نبيه بان يقول للتائبين او لغير التائبين ترغيبا لهم في التوبة اعملوا وفيه نوع
تهديد وتخويف فسيرى الله عملكم وقد مر تفسير مثله عن قريب الحاصل انه كانه قيل لهم اجتهدوا في العمل فان له في الدنيا حكما وهو
ان يراه الله ورسوله والمؤمنون وفي الاخرة حكما وهو الجزاء وبوجه اخر كانه قيل ان كنت من المحققين فاعمل لله وان كنت من
الظاهريين فاعمل للفوز بثناء الخلق وهم الرسول والمؤمنون فانهم شهداء الله يوم القيمة والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية
ولا شك ان رؤية الله تعم شاملة لافعال القلوب والجوارح جميعا اما رؤية الرسول والمؤمنين فلا تشمل افعال القلوب
الا باراءة الله واطلاعه وافشائه واعلم انه تعالى قسم المتخلفين الى ثلثة اقسام منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثاني
التائبون المعترفون بذنوبهم والثالث الذين بقوا موقوفا امرهم وذلك قوله واخرون واعرابه كاعراب قوله واخرون
اعترفوا ومعنى مرجون من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه قوله ارجه واخاه كما مر وبه سميت المرجئة لانهم لا يجزمون بغفران
ذنب التائب ولكن يؤخرونها الى مشية الله ويقولون انهم مرجون لامر الله وقال الاوزاعي لانهم يؤخرون العمل

شهداء

او مؤخرون

عن الايمان وقال ابن عباس نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال بن امية امر رسول الله صلعم اصحابه ان لا يسلموا عليهم
ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا
امرهم الى الله واخلصوا نياتهم فقبلت توبتهم ونزل فيهم وعلى الثلثة الذين خلفوا كما سيجيء وقال الحسن هم قوم من المنافقين
حذرهم الله بهذه الاية ان لم يتوبوا وقوله اما يعذبهم التشكيك فيه راجع الى العباد اي ليكن امرهم على الخوف والرجاء وكان
يقول ناس هلكوا ان لم ينزل الله لهم عذرا ويقول آخرون عسى الله ان يغفر لهم قال الجبائي جعل امرهم بين التعذيب
والتوبة فدل ذلك على انتفاء القسم الثالث وهو العفو من غير التوبة واجيب بانه لا يجوز ان يكون المنفصلة مانعة الجمع فقط
ولما ذكر اصناف المنافقين وبين طرائقهم المختلفة قال والذين اتخذوا كانه قال ومنهم الذين اتخذوا في الكشاف ان محله الرفع
على الابتداء وخبره محذوف اي وفيمن وصفنا هؤلاء الاقوام قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير كانوا اثني عشر
رجلا بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وروي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلعم ان يأتيهم فاتاهم فصلى
فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا كذلك واعلم انه سبحانه حكى ان الباعث لهم على هذا العمل كان امورا
اربعة الاول الضرار وهو المضارة والثاني الكفر بالنبي صلعم وبالاسلام وذلك انهم ارادوا تقوية اهل النفاق والثالث التفريق
بين المؤمنين لانهم ارادوا ان لا يحضروا مسجد قباء فيقل جماعتهم ولا سيما اذا صلى النبي في مسجدهم فيؤدي ذلك الى اختلاف
الكلمة وبطلان الالفة والرابع قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله وقوله من قبل يتعلق بحارب اي من قبل بناء مسجد الضرار
وقال في الكشاف انه متعلق باتخذوا والمراد من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف قال الزجاج الارصاد الانتظار وقال ابن قتيبة الانتظار
مع العداوة قال الاكثرون انه الاعداد والمراد من حارب ابو عامر الراهب والد حنظلة الذي غسلته الملائكة وسماه رسول الله
الفاسق وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما ظهر رسول الله صلعم عاداه لانه زالت رياسته وقال لرسول
الله صلعم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا
الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا و
اصحابه من المدينة فبنوا مسجدا وانتظروا ابا عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد ثم اخبر الله تعالى عن نفاقهم بقوله وليحلفن ان اردنا
اي ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المسلمين قال المفسرون انهم لما بنوا مسجدهم وافق
ذلك غزوة تبوك فاتوا رسول الله وقالوا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ونحن نحب ان
تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فقال صلعم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من الغزوة سألوه
اتيان المسجد فنزل لا تقم فيه ابدا الاية فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر
بالشام بقنسرين وقال الحسن هم رسول الله ان يذهب الى ذلك المسجد فناداه جبرئيل لا تقم فيه ولا ريب ان النهي عن القيام
فيه يستلزم النهي عن الصلوة فيه ثم بين علة النهي فقال لمسجد اسس على التقوى من اول يوم اي من ايام وجوده احق ان
تقوم فيه والمعنى لو كان القيام في غيره جائزا لكان هذا اولى لاشتماله على الخيرات الكثيرة فكيف اذا كان غيره مشتملا
على المفاسد الكثيرة من الضرار وغيره قالت الشيعة في هذا المقام ان المسجد اذا كان مبنيا على التقوى من اول يوم كان اولى
بالصلوة فيه فالامام اولى بان يكون متقيا من اول عمره وما ذاك الا علي كرم الله وجهه لانه لم يكفر بالله طرفة عين واختلفوا
في هذا المسجد فقيل مسجد رسول الله صلعم بالمدينة عن ابي سعيد الخدري سألت رسول الله صلعم عن المسجد الذي اسس على
التقوى فاخذ الحصباء وضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلعم وصلى
فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة قال في الكشاف وهذا اولى لان الموازنة
بين مسجدي قباء اوقع وقال القاضي كل مسجد بني على التقوى فانه يدخل فيه كما لو قال قائل لرجل صالح احق ان تجالسه لم
يكن ذلك مقصورا على واحد وايضا كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى وجه الله او بمال غير طيب فهو
لاحق بمسجد الضرار ثم ذكر لمسجد التقوى وصفا آخر وذلك قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا فقيل انه التطهر من
الذنوب بالتوبة والاستغفار والاخلاص كما ان اهل مسجد الضرار وصفوا باضداد هذه الامور من الضرار و
الكفر والتفريق ولان طهارة الباطن اشد تاثيرا من طهارة الظاهر في القرب من الله وقيل انه التطهر بالماء وذلك انهم كانوا
لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وروي انها لما نزلت مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى وقف على
باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم

بيان



فقال عم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قالوا اتشكرون فى الرخاء قالوا نعم فقال عم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله صلعم نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبى عم رجال يحبون ان يتطهروا وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا باجمعهم ومحبتهم للتطهر ايثارهم والحرص عليه ومحبة الله الرضاء عنهم والاحسان اليهم كما يفعل المحب بالمحبوب ثم بين انه لا نسبة بين الفريقين وان بينهما بونا بعيدا فقال لمستفهما على سبيل التقرير افمن اسس بنيانه وهو مصدر كالغفران واريد به المبنى والمعنى ان من اسس بناء دينه على قاعدة توبة محكمة وهى تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس دينه على ضد ذلك والشفا هو الشفير له الشفه والجرف هو ما اذا سال السيل وانحفر الوادى يبقى على طرف المسيل طين واه مشرف على السقوط ساعة فساعة فذلك الموضع الذى هو بصدد السقوط جرف والهار والهائر هو ايضا المتصدع الذى اشفى على التهدم والسقوط قال الليث الهار مصاب هار الجرف يهور اذا انصدع عن خلفه وهو ثابت بعد فى مكانه فاذا سقط فقد انهار وقال فى الكشاف انه مقصور عن فاعل كخلف عن خالف والفه ليست بالف فاعل انما هى عينه واصله هور على فعل ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل فلكونه على شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما يسقط فى قعر جهنم يروى انه حفرت بقعة من مسجد الضرار فرأى الدخان يخرج منه ثم ذكر ان بنيانهم ذلك سبب لازدياد ريبهم فقال لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى كونه سببا للريبة فى قلوبهم وجوه منها ان هدمه صار سببا لازدياد شكهم فى نبوته ومنها انهم تخربهم ظنوا انه لاجل الحسد فارتفع امانهم عنه وصاروا مرتابين فى انه هل يتركهم على ما هم فيه او يامر بقتلهم ونهب اموالهم فلا يزول تلك الريبة الا ان تقطع قلوبهم اجزاء متفرقة اما بالموت واما بالسيف واما بالبلاء فتضمحل اثارها عنها والمقصود ان هذا الشك يبقى فى قلوبهم ابدا ويموتون على النفاق قال فى الكشاف يجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او فى القبر او فى النار وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم



التاويل والسابقون الاولون الذين سبقت لهم العناية الازلية والسابقون الاولون عند الخروج من العدم وهم اهل الصف الاول من الجنود المجندة او السابقون فى جواب الست بربكم الاولون فى استماع هذا الخطاب والسابقون فى استحقاق المحبة عند اختصاصهم بتشريف يحبهم فى الازل الاولون باداء حق المحبة فى سر يحبونه او السابقون عند تخمير طينة ادم فى مستودعاتهم بيد القدرة الاولون باستكمال تصرف القدرة فى كمال الاربعين صباحا والسابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى مقام الوصال الاولون بالوصول الى سرادقات الجلال وهذا السبق مخصوص بالنبى عم وبامته كما قال نحن الاخرون السابقون من المهاجرين عن الاوطان البشرية والانصار لهم فى طلب الحق والذين اتبعوهم باحسان بذلوا جهدهم فى متابعتهم بقدر الامكان رضى الله عنهم باعطاء الاستعداد لكاملية ورضوا عنه بايفاء حقوقها وممن حولكم من اعراب صفات النفس منافقون ومن اهل مدينة القلب صفات النفس بعضها منافق كالقوة الشهوية للوقاع فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لا حقيقة لانها لا تتبدل بالكلية بل تميل الى الشهوة اذا خليت وطباعها ولهذا قال عم وان اخوف ما اخاف على امتى النساء ومنها كافرة كالقوة الشهوية فى طلب الغذاء فانها باقية على طلبها ما دام البدن باقيا لاحتياجه الى بدل ما يتحلل ومنها مسلمة كالقوة الغضبية والشيطانية من الكبر والحسد والكذب والخيانة فانها يحتمل ان تتبدل باضدادها من التواضع والمحبة والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم تتبدل بالكلية ولم تكن مغلوبة بانوار صفات القلب عند استنارة النفس بنور الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم يتبدل بالكلية ولم تكن مغلوبة بانوار بعض النفاق كما قال عم اربع من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها لا تعلمهم نحن نعلمهم يعنى ان هذه الافعال لا يعرفها ارباب العلوم الظاهرة وانما يعرفها اصحاب الكشوف الباطنة سنعذبهم مرتين مرة باحكام الشريعة ومرة باداب الطريقة ثم يردون بجذبات اللطف الى عذاب عظيم هو الفطام عن الكونين والفناء فى الله او بجذبات القهر الى اسفل جحيم البعد والبقاء فى عالم الطبيعة واخرون يعنى القلب وصفاته اعترفوا بذنوبهم بثبوت صفات النفس والتلوث بها خلطوا عملا صالحا هو صدق التوجه واخر سيئا هو مطاوعة النفس والهوى فى بعض الاوقات عسى الله ان يوفقهم للرجوع الى طريق الحق بالكلية والاعراض عما سواه خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها عن دنس حب الدنيا وتزكيهم بالاخلاق الفاضلة فان حب الدنيا راس كل خطيئة وتاخذ الصدقات فيه ان المعطى يجب ان لا ينظر الا الى الله ولا يمن على الفقير اصلا وسرور

التوبة

باقدام اعمالكم الى الله الذي يعلم ما غاب منكم من نتائج اعمالكم وما يجتمع عنه من التقدير الازلي وما تشاهدون بالعيون والقلوب في عالمي الملك والملكوت وآخرون مرجون اخرت توبتهم ليترددوا بين الخوف والرجاء فيطيروا بجناحي القبض والبسط الى ان يصلوا الى سرادقات الهيبة والانس والله عليم بتربية عباده حكيم فيما يفعل من القبول والرد والذين اتخذوا في عالم الطبيعة من مزبلة النفس مسجدا ضرارا لارباب الحقيقة وكفرا باحوالهم لمن حارب الله هم اهل الاباحة من مدعي الفقر لا تقم يا رسول الروح اسس على التقوى هو مسجد القلب جبل على العبودية والطاعة من اول يوم من الميثاق رجال يحبون ان يتطهروا هم الاوصاف الحميدة والملكات المزكات عن دنس الطبيعة ولوث الحدوث ثم ميز بين اهل السعادة والشقاوة فقال افمن اسس بنيانه اي جبل على الخير ومافيه رضى الله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة لانهم جبلوا على الشقاء الا ان تقطع قلوبهم عنها واعن طباعهم وذلك محال ولا يزال يسري من مزبلة النفس وسخ وظلمة الى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم عنها واعن طباعهم وذلك محال ولا يزال يسري من مزبلة النفس وسخ وظلمة الى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرٰى مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ اَنْفُسَهُمْ وَاَمْوَالَهُمْ بِاَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُوْنَ

تسكين الرياضة فتزول عنها تلك الملكات — بدرستيكه خدا خريد از گروندگان نفسهاى ايشانرا و مالهاى ايشانرا باآنكه مر ايشانرا باشد بهشت كارزار ميكنند

فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ فَيَقْتُلُوْنَ وَيُقْتَلُوْنَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرٰىةِ وَالْاِنْجِيْلِ وَالْقُرْاٰنِ وَمَنْ اَوْفٰى بِعَهْدِهٖ مِنَ اللّٰهِ

در راه خدا پس ميكشند و كشته ميشوند وعده كرده بر آن حق است در توريت و انجيل و قرآن و كيست كه وفاكننده تر بعهد خويش از خدا

فَاسْتَبْشِرُوْا بِبَيْعِكُمُ الَّذِيْ بَايَعْتُمْ بِهٖ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ اَلتَّآئِبُوْنَ الْعٰبِدُوْنَ الْحٰمِدُوْنَ السّٰٓئِحُوْنَ

پس شاد شويد به بيع خود كه بيع كرديد بآن و اينست آن رستگارى بزرگ توبه كنندگان عبادت كنندگان حمد كنندگان روزه داران

الرّٰكِعُوْنَ السّٰجِدُوْنَ الْاٰمِرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّاهُوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحٰفِظُوْنَ لِحُدُوْدِ اللّٰهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ مَا كَانَ

ركوع كنندگان سجده كنندگان امر كنندگان بنيكوئى ونهى كنندگان از بدى وحفظ كنندگان مرحدود خدا را ومژده ده گروندگانرا نبود

لِلنَّبِيِّ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَنْ يَّسْتَغْفِرُوْا لِلْمُشْرِكِيْنَ وَلَوْ كَانُوْٓا اُولِيْ قُرْبٰى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ اَنَّهُمْ اَصْحٰبُ الْجَحِيْمِ وَمَا كَانَ

مر پيغمبر را و آنانكه گرويدند آنكه آمرزش خواهند مرمشركانرا واگر چه باشند خداوند خويشى از پس آنكه روشن گرديد مر ايشانرا بدرستيكه ايشان ياران دوزخند ونبود

اسْتِغْفَارُ اِبْرٰهِيْمَ لِاَبِيْهِ اِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَّعَدَهَآ اِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهٗٓ اَنَّهٗ عَدُوٌّ لِّلّٰهِ تَبَرَّاَ مِنْهُ اِنَّ اِبْرٰهِيْمَ لَاَوَّاهٌ حَلِيْمٌ

آمرزش خواستن ابراهيم مر پدر خويش را مگر از سبب وعده كه وعده داده بود او را پس چون روشن شد او را بدرستيكه دشمن خدا است بيزار شد از او بدرستيكه ابراهيم آه كننده بردبار

وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ اِذْ هَدٰىهُمْ حَتّٰى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَّا يَتَّقُوْنَ اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ اِنَّ اللّٰهَ لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ

ونبود خدا كه گمراه كند قومى را پس آنكه راه نمود ايشانرا تا روشن كند ايشانرا آنچه را كه پرهيز كنند بدرستيكه خدا بهر چيز دانا است بدرستيكه خدا مر او راست پادشاهى آسمانها

وَالْاَرْضِ يُحْيٖ وَيُمِيْتُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا نَصِيْرٍ لَقَدْ تَّابَ اللّٰهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهٰجِرِيْنَ وَالْاَنْصَارِ

و زمين زنده ميكند و ميميراند و نيست مر شما را از جز خدا هيچ دوستى و نه يارى بدرستيكه توبه قبول كرد خدا بر پيغمبر و هجرت كنندگان و يارى دهندگان

الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُ فِيْ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيْغُ قُلُوْبُ فَرِيْقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ اِنَّهٗ بِهِمْ رَءُوْفٌ رَّحِيْمٌ وَّ

آنانكه پيروى كردند او را در هنگام دشوارى از پس آنكه نزديك بود كه ميل كند دلهاى گروهى از ايشان پس توبه قبول كرد بر ايشان بدرستيكه او بايشان مهربان است و

عَلَى الثَّلٰثَةِ الَّذِيْنَ خُلِّفُوْا حَتّٰٓى اِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْاَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ

بر سه كس آنكه واپس گذاشته شدند تا چون تنگ شد بر ايشان زمين با فراخى خود و تنگ شد

عَلَيْهِمْ اَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوْٓا اَنْ لَّا مَلْجَاَ مِنَ اللّٰهِ اِلَّآ اِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوْبُوْا اِنَّ اللّٰهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ

بر ايشان نفسهاى ايشان و گمان كردند آنكه نيست پناهى از خدا مگر بسوى او پس توبه قبول كرد بر ايشان تا باز آيند بدرستيكه خدا اوست توبه پذير مهربان اى آنانكه

اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَكُوْنُوْا مَعَ الصّٰدِقِيْنَ

گرويديد بترسيد از خدا و باشيد با راستگويان

القراءات فيقتلون مبنيا للمفعول ويقتلون مبنيا للفاعل حمزة وعلي وخلف الآخرون على العكس يقتلون بالتشديد ابو عون عن قنبل ابرهام وكذلك ما بعده هشام يزيغ بياء الغيبة حمزة وحفص والمفضل الباقون بتاء التانيث خلفوا بالتخفيف وفتح اللام روى ابن عباس الباقون بالتشديد مجهولا الوقوف الجنة ويقتلون والقران ط بايعتم به ط العظيم لحدود الله ط المؤمنين ه الجحيم ه اياه ج منه ط حليم ه ما يتقون ط عليم ه والارض ط ويميت ط نصير ه تاب عليهم ط رحيم ه ط للعطف على النبي خلفوا ط الا اليه ط ليتوبوا ط الرحيم ه الصادقين ه التفسير لما شرح فضائح المنافقين وقبائحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكر اقسامهم وفرع على كل قسم ما كان لائقا به عاد الى بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله ليلة العقبة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك

ع

ع



فيما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى الاية قال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم فاغلى ثمنهم وقال جعفر الصادق ع والله ما لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها واعلم ان هذا الاشتراء وقع مجازا عن الجزاء لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والعبد وما يملكه لمولاه ولهذا قال الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها والمراد بانفسهم نفوس المجاهدين وباموالهم التي ينفقونها في سبيل الجهاد وعلى انفسهم واهليهم وعيالهم على الوجه المشروع وههنا نكتة هي ان قيم الطفل له ان يبيع مال الطفل من نفسه بشرط رعاية الغبطة ففي هذه الاية البائع والمشتري هو الله وفيه تنبيه على ان العبد كالطفل الذي لا يهتدي الى مصالح نفسه وانه تعالى هو المراعي لمصالحه حتى يوصله الى انواع الخيرات واصناف السعادات ويوجه آخر الانسان بالحقيقة عبارة عن الجوهر المجرد الذي هو من عالم الارواح وهذا البدن وما يحتاج اليه من ضروريات المعاش كالالات والوسائط لتحصيل الكمالات الموصلة الى الدرجات العاليات فالبائع هو جوهر الروح القدسي والمشتري هو الله واحد العوضين الجسد البالي والمال الفاني والعوض الاخر الجنة الباقية والسعادات الدائمة فالربح حاصل والخسران زائل ولهذا قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وفي قوله يقاتلون معنى الامر كقوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وهو كالتفسير لتلك المبايعة فيقتلون ويقتلون اي انهم يقاتلون الكفار فلا يرجعون عنهم حتى يصيروا مقتولين ومن قرأ بتقديم المجهول فمعناه ان طائفة منهم اذا صاروا مقتولين لم يصد ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بقدر الامكان ومن العلماء من خصص هذا الوعد بجهاد السيف لظاهر قوله يقاتلون والمحققون ان كل انواع الجهاد يدخل فيه لان الجهاد بالحجة والدعوة الى دلائل التوحيد اكمل اثرا من القتال ولهذا قال ص لعلي ع لان يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولان الجهاد بالسيف لا يحسن الا بعد تقديم الجهاد بالحجة ولان الانسان جوهر شريف فمتى امكن ازالة الصفات الرذيلة مع ابقاء ذاته الشريفة كان اولى من افناء ذاته الا ترى ان جلد الميتة لما كان منتفعا به من بعض الوجوه حث الشرع على ابقائه فقال هلا اخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم به قوله وعدا عليه قال الزجاج انه منصوب بمعنى قوله بان لهم الجنة كانه قيل وعدا فهو مصدر مؤكد وكذا قوله حقا وهو نعت للمصدر المؤكد وما الذي حصل في التوراة والانجيل والقران قيل وعد المجاهدين على الاطلاق وقيل ذكر هذا البيع لامة محمد وقيل الامر بالقتال ومن اوفى استفهام بمعنى الانكار اي لا احد اوفى بما وعد من الله لانه الغني عن كل الحاجات القادر على كل المقدورات وفي الاية انواع من التوكيدات فاولها قوله ان الله اشترى واذا كان المشتري هو الاله الواجب لذاته المتصف بجميع الكمالات المفيض لكل الخيرات فما ظنك به ومنها انه عبر عن ايصال الثواب بالبيع والشرى حتى يكون حقا مؤكدا ومنها انه قال بان لهم الجنة بحرف التحقيق وبلام التمليك دون ان يقول بالجنة ومنها قوله وعدا وانه لا يخلف الميعاد ومنها قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا ومنها قوله حقا وهو تاكيد للتحقيق ومنها قوله في التوراة والانجيل والقران وانه يجري مجرى الاشهاد لجميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة ومنها قوله ومن اوفى بعهده من الله وفيه تنبيه على انه لا يكذب لا يخلف البتة ومنها قوله فاستبشروا والبشارة الخبر الصدق الاول ومنها قوله وذلك هو الفوز ثم وصف الفوز بالعظيم واعلم ان هذه الخاتمة تقع على ثلثة اوجه احدها ذلك الفوز بغير هو وانه في ستة مواضع في براءة موضعين وفي النساء والمائدة والصف والتغابن وما في النساء بزيادة واو والاخر ذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك في ستة مواضع اخرى براءة موضعين ويونس والمؤمن والدخان والحديد وما في براءة احدهما بزيادة الواو وهو خاتمة هذه الاية وكلمة في المؤمن وسبب هذا الاختلاف ان الجملة اذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة اما بواو العطف واما بكناية تعود من الثانية الى الاولى واما باشارة فيها اليها وربما جمع بين الشيئين منها والثلثة للدلالة على المبالغة وقد جمع في هذه الخاتمة بين الثلثة لغاية التوكيد والمبالغة لانه ذكر الكتب الثلثة فكل رابطة في مقابلة كتاب واحد وكذلك في المؤمن وقع الثلثة في مقابلة ثلثة ادعية فاغفر وقهم وادخلهم قال ابو القاسم البلخي لا بد من حصول الاعواض على الالام للاطفال والبهائم قياسا على ما اثبته الله تعالى للمكلفين من العوض على الم القتل وهو الجنة ثم ذكر ان حكم سائر المؤمنين كذلك فقال التائبون قال الزجاج انه مبتدا محذوف الخبر اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل التائبون رفع على البدل من الضمير في يقاتلون وقيل مبتدا خبره العابدون وما بعده اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال اما تفسير هذه الاوصاف فقد قال ابن عباس والحسن التائبون هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا عن النفاق وما الاخرون الى التعميم ليشمل المعاصي بعينها اذ لا دليل على التخصيص والعابدون قال ابن عباس الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقال الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء والعبادة لا شك انها عبادة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع وقال قتادة هم قوم اخذوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم والحامدون

هم الذين يقومون بحق شكر نعم الله ويجعلون اظهار ذلك عادة لهم وذلك ان الحمد ذكره من كان قبل آدم لقول الملائكة ونحن
نسبح بحمدك وذكره اهل الدنيا يقولون في كل يوم سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين ويذكره من يكون بعد خراب الدنيا لقوله
وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والسائحون قال عامة المفسرين هم الصائمون لقوله سياحة امتي الصيام ثم قيل هذا
صوم الفرض وقيل الذين يديمون الصيام قال الازهري انما قيل للصائم سائح لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه
فيكون ممسكا عن الاكل والشرب كالصائم وقيل اصل السياحة الاستمرار على الذهاب كالماء الذي يسيح والصائم مستمر على
فعل الطاعة وترك المنهي من الاكل والشرب والوقاع وقال اهل المعنى الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب انفتحت عليه ابواب
المعاني والحكم وتجلت له انوار المعارف والحقائق فيحصل له سياحة في عالم العقول وقيل السائحون طلاب العلم ينتقلون
من بلد الى بلد في طلب العلم في مظانه وكانت السياحة في بني اسرائيل قاله عكرمة عن وهب بن منبه لا ريب ان للسياحة اثرا
عظيما في تكميل النفس لانه يلقى انواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله فيصير ذلك ملكة له وقد
ينتفع بالمشاهد والزيارات للاحياء والاموات ويستفيد ممن هو فوقه ويفيد من هو دونه ويكتسب التجارب في معرفة الاحوال
والاخلاق والسير والآثار الراكعون الساجدون يعني المصلين قال بعض العلماء انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلوة
لان سائر هيئات المصلي موافقة للعادة كالقيام والقعود وانما الفصل بين المصلي وغيره بالركوع والسجود وقيل اولى مراتب
التواضع القيام واوسطها الركوع وغايتها السجود فخصا بالذكر تنبيها على ان المقصود من الصلوة نهاية الخضوع ثم قال الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر ومعناهما مذكور فيما مر الا ان ههنا بحثا آخر وهو انه لم ادخل الواو في قوله والناهون
والحافظون دون سائر الاوصاف واجيب بان النسق يجيء بالواو وبغيرها كقوله غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب او المراد ان الموصوفين بالصفات الستة هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ويكون فيه ترغيب في الجهاد
لان رأس المعروف الايمان بالله ورأس المنكر الكفر به والجهاد يوجب حصول الايمان وازالة الكفر او النهي عن المنكر اصعب اقسام
التكاليف لافضائه في الاغلب الى الخصومة وثوران الغضب فادخل عليه الواو تنبيها على هذه المخالفة والمباينة ولبعض النحويين
جواب عام يشمل هذه الآية وما في الكهف في قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وما في الزمر في قوله في ذكر الجنة وفتحت
ابوابها وما في التحريم في قوله ثيبات وابكارا وذلك انهم سموا هذه الواو واو الثمانية قائلين ان السبعة نهاية العدد
ولهذا اكثر ذكرها في القرآن والاخبار والثمانية تجري مجرى استئناف كلام فلهذا فصل بالواو واما قوله والحافظون
لحدود الله فكاجمال بعد تفصيل وذلك ان التكاليف اما ان يتعلق بمصالح الدين وهي باب العبادات من الصلوة والزكوة
والصوم والحج والجهاد والاعتاق والنذور ونحوها او بمصالح الدنيا وهي المعاملات وانها اما لجلب المنافع او لدفع المضار
والمنافع اما ان يكون مقصودة بالاصالة او بالتبعية فالمقصودة بالاصالة هي المنافع الحاصلة من طرق الحواس الخمس
وهي المذوقات ويدخل فيها كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبائح والضحايا والملموسات ويدخل فيها باب احكام
الوقاع فمنها ما يفيد حله كباب النكاح والرضاع وما يتبعها من المهر والنفقة والسكنى واحوال القسم والنشوز ومنها ما
يوجب ازالته كالطلاق والخلع والايلاء والظهار واللعان ومن احكام الملموسات البحث عما يحل لبسه واستعماله وعما
لا يحل كالاواني الذهبية وغيرها والمبصرات وهو باب ما يحل النظر اليه وما لا يحل والمسموعات وهو باب ما يحل سماعه
وما لا يحل والمشمومات وقد قيل انه ليس للفقهاء فيه مجال ويحتمل ان يقال ان منها جواز استعمال الطيب في بعض الاوقات
ومنعه في بعضها كحالة الاحرام ومنها ما يكره كاكل البصل والثوم للمصلي بالجماعة في المسجد المنافع المقصودة بالتبعية هي
الاموال والبحث عنها اما من جهة الاسباب المفيدة للملك كالارث والهبة والوصية واحياء الموات والالتقاط واخذ
الفيء والغنائم والزكوات وكالبيع بيع العين بالعين او هو السلم او بالعكس كما اذا اشترى شيئا في الذمة او بيع الدين بالدين
وهو بيع الكالي بالكالي المنهي عنه الا عند تقاص الدينين او من جهة الاسباب المفيدة للمنفعة كالاجارة والجعالة وعقد
المضاربة او من جهة الاسباب التي توجب عجز المالك التصرف فيه كالوكالة والوديعة او من جهة الاسباب التي تمنع المالك
التصرف في ملكه كالرهن والاجارة والتفليس واما دفع المضار والمضرة اما في النفس وهو كتاب الجراح او في الدين وهو كتاب
الجهاد وباب الارتداد واحكام البغاة واما في النسب وهو باب احكام الزنى والقذف واللعان واما في العقل كباب تحريم
الخمر واما في المال والضرر فيه اما على سبيل الاعلان والجهار وهو الغصب وقطع الطريق او على سبيل الخفية وهو السرقة
وههنا باب آخر وهو ان كل احد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه عن نفسه لضعفه فلهذا السبب
نصب الله الامام لتنفيذ الاحكام وقد يكون للامام نواب هم الامراء والقضاة وليس قول الغير مقبولا الا بحجة وهي



الشهادة والايمان تحصل من ذلك كتاب ادب القضاء وباب الدعاوى والبينات فهذا ما امكن من ضبط معاقد تكاليف
الله تعالى واحكامه وحدوده وكلها منوطة باعمال الجوارح دون اعمال القلوب التي لا يطلع عليها الا الله تعالى ولكن قوله و
الحافظون لحدود الله يشمل ذلك اجمع بل رعايته اهم من رعاية احوال الظواهر ثم ختم الآية بتكرير البشارة وفيه من كمال
العناية ما فيه ولما بين من اول السورة الى ههنا وجوب اظهار البراءة من المنافقين والكفرة الاحياء اراد ان يبين وجوب
البراءة من امواتهم ايضا وان كانوا اقارب فقال ما كان للنبي ومعناه النهي اي ما صح له وما استقام وما ينبغي له ذلك ثم علل
المنع بقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فطلب غفرانهم جار
مجرى طلب اخلاف وعد الله ووعيده وفيه حط لمرتبة نبيه حيث يدعو بما لا يستجاب له وهذه العلة لا تختلف بان يكونوا من
الاباعد او من الاقارب فلهذا بالغ فيه بقوله ولو كانوا اولي قربى روى الواحدي باسناده عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال
لما حضر ابا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ص وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وابن ابي امية يا ابا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء
كلمهم به انا على ملة عبد المطلب فقال النبي ص لاستغفرن لك ما لم انه عنه فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون ما
يمنعنا ان نستغفر لآبائنا ولذوي قراباتنا قد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين فنزلت
ما كان للنبي الآيتان وقيل عن ابن عباس لما افتتح ص مكة سئل اي ابويه احدث به عهدا اي آخرهما موتا فقيل امه فزار ص
قبرها ثم قام باكيا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل
عليه ما كان للنبي الآية وقال بعضهم كصاحب الكشاف والحسين بن الفضل هذا اصح لان هذه السورة من آخر القرآن نزولا
وكانت وفاة ابي طالب بمكة في اول الاسلام ويمكن ان يوجه الاول بانه عم لعله بقي يستغفر الى حين نزول الآية ثم اعتذر
عن استغفار ابراهيم لابيه بانه صدر عن موعدة وعدها اياه وذلك ان اباه كان وعد ابراهيم ان يؤمن فكان يستغفر له
بناء على ذلك الوعد فلما تبين لابراهيم انه عدو لله اما باصراره على الكفر او بموته على ذلك او بطريق الوحي تبرأ منه وترك
الاستغفار ويجوز ان يكون الواعد ابراهيم عم ويوافقه قراءة الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة وذلك في قوله
لاستغفرن لك وعده ان يستغفر له رجاء اسلامه وقيل المراد من استغفار ابراهيم لابيه دعاؤه له الى الاسلام الموفق
للغفران وكان يتضرع الى الله تعالى ان يرزقه الايمان وقيل المقصود النهي عن صلاة الجنازة فكان قوله ولا تصل على
احد منهم في حق المنافقين خاصة وهذه في حق الكافرين عامة ثم ختم الآية بقوله ان ابراهيم لأواه حليم قال اهل
اللغة اواه فعال مأخوذ من حروف اوه كلمة يقولها المتوجع وذلك ان الروح القلبي يختنق عند الحزن في داخل القلب
ويشتد حرارته فاذا تكلم صاحبها خرج ذلك النفس المختنق فخفف بعض ما به عن النبي ص انه قال الأواه الخاشع المتضرع
والحلم ضد السفه ووصفه بهما لشدة الرأفة والشفقة والخوف والوجل فبين ان ابراهيم مع هذه العادة تبرأ من ابيه
حين انقطع رجاؤه منه فانتم بهذا المعنى اولى ثم ان المسلمين خافوا ان يؤاخذوا بما سلف منهم من الاستغفار للمشركين
فانزل الله وما كان الله ليضل قوما اي عن طريق الجنة ويحكم عليهم بالضلال او يخذلهم او يوقع الضلالة في قلوبهم حتى
يكون منهم الامر الذي يستحق به العقاب بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ما يجب عليهم ان يحترزوا عنه والحاصل
ان الله لا يسمي قوما ضلالا بعد اذ سماهم مهتدين ما لم يقدموا على شيء مبين حظره واما قبل العلم والبيان فلا يؤاخذهم كما
لم يؤاخذ بشرب الخمر والربا قبل تحريمهما وفي الآية تشديد عظيم حيث جعل المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض المحظورات داخلا
في حكم الضلال ثم قال ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت والمراد ان من كان عالما قادرا
هكذا لم يحتج الى ان يفعل العقاب قبل البيان وازاحة العذر قالت المعتزلة وفيه دليل على انه يقبح من الله الابتداء بالعقاب
واجيب بان له ذلك بحكم المالكية غاية ما في الباب انه لا يعاقب الا بعد ازاحة العذر عادة وفي قوله ان الله له ملك السموات
والارض فائدة اخرى هي انه لما امر بالبراءة من الكفار بين غاية قدرته ونهاية نصرته لمن اراد استظهارا للمسلمين كيلا
يضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار كانه قال وجب عليكم ان تقبلوا الى حكمي وتكلوا الي لاني الحكم وانتم عبيدي
ثم عاد الى بقية احكام الكفار فقال لقد تاب الله على النبي الآية ولنبين تفسيره ببيان على اسئلة مع جواباتها فالسؤال الاول
ان قبول التوبة دليل سبق الذنب والنبي معصوم والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه تحملوا اعباء ذلك السفر الطويل فكان
اللائق بحالهم ان يثني عليهم والجواب انه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار لانه لا ينفك عن هفوة اما من
باب الكبائر واما من باب الصغائر واما من باب ترك الاولى والافضل كما اشير الى ذلك في حق النبي ص بقوله عفا الله عنك

إذ أذنت لهم ولعله قد وقع في قلوب المؤمنين نوع نفرة من تلك السفرة لما عاينوا المتاعب لا أقل من الوساوس و
الهواجس فأخبر الله سبحانه أن تلك الشدائد صارت مكفرة لجميع الزلات التي صدرت عنهم في ذلك السفر بل في مدة عمرهم و
صارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالإخلاص ويجوز أن يكون ذكر الرسول لأجل تعظيم شأن المهاجرين والأنصار لا لأنه
صدر عنه ذنب السؤال الثاني ما المراد بساعة العسرة فالجواب قد يستعمل الساعة في معنى الزمان المطلق والعسرة تعذر
الأمر وصعوبته والمراد الزمان الذي صعب عليهم الأمر جدا في ذلك السفر كانوا في عسرة من الظهر يتعقب العشرة على بعير
واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والإهالة الزنخة المتنة وقد بلغت منهم الشدة إلى أن اقتسم
التمرة اثنان ثم إلى أن مصها جماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الإبل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من
حرارة القيظ كما قال المنافقون لا تنفروا في الحر وقال أبو مسلم يجوز أن يراد بساعة العسرة جميع الأحوال والأوقات العسرة
التي مرت عليهم في غزواتهم كما ذكر الله تعالى في غزوة الخندق وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر الثالث ما معنى
كاد تزيغ وكيف إعرابه والجواب لها استعمالان كاد زيد يخرج زيد ومعنى الأول كاد زيد خارجا أي قارب الخروج ومعنى الثاني
كاد الشأن يكون كذا يعني قارب الشأن هذا الخبر وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله أي ليس الشأن ذلك ولكن ضده
والزيغ الميل عن الجادة قيل قارب بعضهم أن يميل عن الإيمان وقيل هم بعضهم عند تلك الشدة بالمفارقة ثم حاسبوا أنفسهم فصبروا
وثبتوا وندموا وقيل ما كان إلا حديث نفس بلا عزيمة ومع ذلك خافوا أن يكون معصية الرابع ذكر التوبة في أول الآية
فلم كررها في قوله ثم تاب عليهم الجواب لأنه عاد الضمير في عليهم إلى الفريق فلا تكرار وإن عاد إلى النبي ص والمهاجرين والأنصار جميعا
فالتكرير للتوكيد مع رعاية دقيقة هي أن التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه ذلك أنه بدأ بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييبا
لقلوبهم ثم ذكر الذنب ثم أردفه بذكر التوبة ليدل على أن العفو عفو متأكد كما يقول السلطان عند كمال الرضى عفوت عنك
وإليه الإشارة بقوله ص إن الله يغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وقال ابن عباس في تفسير قوله ثم تاب عليهم يريد ازداد
عنهم رضى ثم أكد هذه المعاني بقوله إنه بهم رؤوف رحيم فيشبه أن يراد بالرأفة إزالة الضرر وبالرحمة إيصال المنفعة
أو الأول رحمة سابقة والثاني لاحقة الخامس الثلاثة الذين خلفوا من هم الجواب هم المرجون لأمر الله كما مر سموا مخلفين
كما سموا مرجئين أي مؤخرين عن أبي لبابة وأصحابه حيث يتب عليهم بعد أولئك وقيل لأنهم خلفوا عن الغزو ومثله قراءة
من قرأ بالتخفيف أي خلفوا الغازين وقيل الخلف من خلوف الفم أي فسدوا وقرأ جعفر الصادق ع خالفوا حتى إذا ضاقت
عليهم الأرض مع سعتها وهو مثل للحيرة في الأمر وضاقت عليهم أنفسهم أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور وظنوا أي علموا
وتيقنوا أن لا ملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره كقوله ص أعوذ بك منك وقيل الظن معناه الأصلي وهو الرجحان وذلك
أنهم ما كانوا قاطعين بأن ينزل الله في شأنهم قرآنا وإن سلم أنهم قطعوا بذلك إلا أنهم جوزوا أن يكون المدة قصيرة وجواب
إذا محذوف والتقدير حتى إذا كان كذا وكذا تاب عليهم وحسن حذفه لتقدم ذكره عن كعب بن مالك قال لما قفل رسول الله
سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما كان ذكرني في الطريق وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه إلا حسن برديه
والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما أعلم إلا فضلا وإسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس لم يكلمنا أحد
من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة إذا أنا بنداء من ذروة سلع
وهو جبل بالمدينة أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وتتابعت البشارة
فلبست ثوبي وانطلقت إلى رسول الله ص فإذا هو جالس في المجلس وحوله المسلمون فقام إلي طلحة بن عبيد الله فهرول إلي حتى صافحني
وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله ص وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية سئل أبو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق
عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه السادس قد عرفنا فائدة قوله تاب عليهم ثم تاب عليهم فما فائدة قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا
الجواب معناه رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم أو تاب عليهم في الماضي ليتوبوا في المستقبل
إذا فرطت منهم خطيئة علما منهم بأن الله تواب ولو عاد في اليوم مائة مرة أو تاب عليهم ليرجعوا إلى حالهم وعادتهم في الاختلاط
بالمؤمنين أو تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة وثوابها لأن الانتفاع بها لا يحصل إلا بعد توبة الله عليهم وقالت الأشاعرة
المقصود بيان أن فعل العبد مخلوق لله تعالى حتى إنه لو لم يتب عليهم لم يتوبوا وأيضا قالوا الآية دالة على أن قبول التوبة
غير واجب عقلا لأن توبة هؤلاء قد حصلت في أول الأمر ثم إنه ص لم يلتفت إليهم وتركهم خمسين يوما ويمكن أن يجاب بأن
شرائط التوبة من الإخلاص والنصح وغير ذلك لعلها لم تكن حاصلة من أول الأمر فلهذا تأخر القبول دليله قوله تعالى حتى إذا

وكاد يخرج

ثم عفوت عنك

على من تاب عليهم



ضاقت الاية ثم حث سبحانه المؤمنين على ملازمة سيرة التقوى والانضمام في زمرة اهل الصدق لا النفاق فقال يا ايها الذين
امنوا الاية قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فوجب على المؤمنين ان يكونوا مع الصادقين لا بمعنى ان يكونوا على
طريقتهم وسيرتهم لان ذلك عدول عن الظاهر بل بمعنى المصاحبة والكون مع الشئ مشروط بوجود ذلك الشئ فلا بد من
وجود الصادقين ثم انه ثبت بالتواتر من دين محمد صلعم ان التكاليف المذكورة في القران متوجهة على المكلفين الى يوم القيمة
فلا يكون هذا الامر مختصا بالكون مع الرسول واصحابه في الغزوات بل اعم من ذلك ثم ان الصادق لا يجوز ان يكون متمثلا
في الامام المعصوم الذي يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما يقوله الشيعة لان كون كل واحد من المؤمنين مع ذلك الصادق
بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين اهل الحل والعقد في كل حين والمراد انهم اذا اجمعوا على شئ كانوا
صادقين فيه محقين ويجب على الباقين ان يكونوا معهم ظاهرا وباطنا قال اكثر المفسرين الصادقون هم الذين صدقوا في دين
الله وفيما عاهدوا عليه من الطاعة فيه قولا وعملا وقيل اي كونوا مع الثلثة المذكورين في الصدق والثبات وعن ابن عباس
الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اي وافقوا المهاجرين والانصار في الصدق وقيل الخطاب للذين ... ردوا انفسهم على السواري
وفي الاية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ومن خصائص الصدق ما روي ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلعم وقال اني
اريد ان اومن بك الا اني احب الخمر والزنى والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء كلها ولا طاقة لي بتركها
فان قنعت مني بترك واحد امنت بك فقبل ذلك وشرط له الصدق ثم اسلم فلما خرج من عند رسول الله صلعم عرضوا عليه الخمر
فقال ان شربت فان سئلني رسول الله صلعم عن شربها وكذبت فقد نقضنا العهد وان صدقت اقام الحد علي فتركها ثم عرض
عليه الزنى فجاءه ذلك الخاطر فتركه وكذا في السرقة فعاد الى رسول الله صلعم وقال ما احسن ما فعلت لما منعتني عن الكذب
انسد ابواب المعاصي علي وتاب عن الكل ومن فضائل الصدق ان الايمان منه لا من سائر الطاعات ومن معايب الكذب ان
الكفر منه لا من سائر الذنوب ومن مثالب الكذب ابتلاء ابليس مع تمرده وكفره استنكف منه حتى استثنى في قوله لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم المقتضي لقبح الكذب هو كونه كذبا عند الاشاعرة وكونه مفضيا الى المفاسد عند
المعتزلة والله اعلم التاويل ان الله اشترى في التقدير الازلي ولهذا بشرهم لا ببذل النفس والمال في الجهاد الاصغر وفي الجهاد
الاكبر وانه كما اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اشترى من اوليائه الصديقين قلوبهم وارواحهم بان
لهم التائبون عما سوى الله العابدون المتوجهون اليه على قدم العبودية الحامدون له على ما وفقهم لنعمة طلبه السائحون السائرون
اليه بقدمي الصبر والشكر او التنزيه والتولي الراكعون اي الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بوجده الساجدون
الساقطون على عتبة الوحدة بلاهم الامرون بالمعروف الحقيقي الناهون عما سواه والحافظون لحدود الله لئلا يتجاوزوا
عن طلبه الى طلب غيره ما كان للنبي فيه ان الاجتهاد ليس سببا لنيل المراد وان الهداية من مواهب الربوبية لا من مراتب العبودية
ان ابراهيم لاواه الاواه هو المتبري من المخلوقات لكثرة نيل المواهب والكرامات فيكون لضعف البشرية تواه بموالاتهما
وورد له وان الحق ضاق عليه نطاق الخالق فيتاوه عند تنفس القلب المضطر من الخلق الى الحق حليم عما اصابه من الخلق لحق فلا
رجوع له من الحق الى الخلق بحال من الاحوال ولهذا قال لجبرئيل حين سئله الك حاجة اما اليك فلا وما كان الله ليضل قوما
ليردهم بالمكر الى الانانية البعد بعد اذ هديهم الى الوحدانية والفردانية بالتوحيد والتفريد حتى يبين لهم ما يتقون من
افات البشرية ودواعيها فالدنيا فهي راس كل خطيئة فان لم يحترزوا عنها وقعوا بالاستدراج الى حيث رجوعها نعوذ بالله من
الحور بعد الكور او نقول ان الله لم يعم بعد اذ هديهم بالافناء عن الوجود الى البقاء بالجود لا يردهم الى البقاء وهو الاثبات
بعد المحو والصحو بعد السكر فسماه المشايخ الاثبات الثاني حتى يبين لهم ما يتقون من الاعمال والاحوال رعاية لتلك
الاحوال ان الله له ملك السموات القلوب وارض النفوس يحيي بنور ربوبيته من يشاء ويميت عن صفات بشريته من يشاء وما
لكم من دون الله من ولي فلا يشغلنكم طلب الملك عن المالك فان طالب الملك لا يجد الملك ولا المالك وطالب المالك
يجد الملك ولا المالك وطلب المالك يجد الملك والمالك جميعا لقد تاب الله على النبي التوبة فضل من الله ورحمة فقدم
ذكر النبي صلعم على المهاجرين ليكون وصول فضله اليهم بعد العبور على النبي تحقيقا لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الذين
اتبعوه في ساعة عسرة الدنيا وترك شهواتها او نقول لقد تاب الله اي فاض انوار عرفانه على نبي الروح ومهاجري صفاته
الذين هاجروا معه من مكة عالم الروح الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه في ساعة عسرة رجوعه
الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه في ساعة رجوعه الى عالم العلو بالعسرة لانهم من عالم
السفل وعلى الثلثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع وما تبعوا الروح عند رجوعه الى عالمه ابتداء حتى اذا ضاقت عليهم

التأويل



ارض البشرية شوقا الى تلك الحضرة وضاقت عليهم انفسهم تحننا الى تلك السعادات وتحققهم بنور اليقين ان لو يقوى السعد
لا ملجأ لهم من عذاب البعد عن الله الا الفرار اليه ثم تاب عليهم بجذبة العناية ليتوبوا ولو وكلهم الى طبيعتهم ما سلكوا طريق الحق ابدا
مع الصادقين الذين صدقوا ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا
يوم الميثاق والله اعلم
نبود اهل مدينه و آنكه پيرامون ايشانند از اعراب كه خلاف كنند از رسول خدا و نبايد كه رغبت كنند
بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ
بنفسهاى ايشان از نفس او اين بسبب آنست كه ايشان نرسد بايشان تشنگى و نه رنج و نه گرسنگى در راه خدا و نه پاى نهند جاى را كه بخشم آورد
الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة
كافران را و نيابند از دشمن نيلى مگر كه نوشته شود ايشان را بآن كار نيكو بدرستيكه خدا ضايع نميكند مزد نيكوكاران را و نفقه نكنند نفقه كردن
صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون
خرد و نه بزرگ و نه برند وادى را مگر نوشته شود ايشان را تا جزا دهد ايشان را خدا به نيكوترين آنچه بودند كه ميكردند و نبود مر گروندگان را
لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
تا بيرون روند همه پس چرا بيرون نرفتند از هر گروهى از ايشان گروهى تا فقيه شوند در دين و تا بيم كنند قوم خويش را چون باز گردند بسوى ايشان تا شايد ايشان
يحذرون يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان
بپرهيزند اى آنكه گرويده‌ايد كارزار كنيد با آنان كه نزديك‌اند بشما از كافران و بايد كه يابند در شما درشتى و بدانيد كه
الله مع المتقين واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم
خدا با پرهيزكاران است و چون فرستاده شود سورتى پس بعضى از ايشان كسى كه گويد كدام يك از شما افزود او را اين سوره ايمان پس اما آنان كه گرويدند پس بيفزود ايشان را
ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اولا
ايمان و ايشان شادى ميكنند و اما آنانكه در دلهاى ايشان شك و نفاق است بيفزود ايشان را پليدى با پليدى ايشان و مردند ايشان و حال آنكه كافر بودند آيا نمى‌بينند
يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم
كه ايشان مبتلا ميشوند در هر سال يكبار يا دوبار پس توبه نميكنند و نه ايشان پند ميگيرند و چون فرستاده شود سوره نگرد بعضى از ايشان
الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من
بسوى بعضى آيا مى‌بيند شما را هيچ كس پس بازگردند بگردانيد خدا دلهاى ايشانرا بسبب آنكه ايشان گروهى‌اند كه نمى‌فهمند بتحقيق آمد شما را رسولى از
انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا
نفسهاى شما دشوار است بر او آنچه برنج افتيد حريص است بر شما بمؤمنان مهربان مشفق پس اگر روگردانند پس بگو بس است مرا خدا نيست خدائى مگر
هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم القراءة موطيا ونحوه بالياء يزيد والشموني وفي الوقف غلظة بفتح
او بر او توكل كردم و او پروردگار عرش عظيم است
العين المفضل الباقون بكسرها او لا يرون بتاء الخطاب للمؤمنين حمزة و
يعقوب الباقون على الغيبة الوقوف عن نفسه ط صالح ط المحسنين لا للعطف يعملون كافة ط يحذرون غلظة ط المتقين
ايمانا ج يستبشرون ه كافرون ه يذكرون ه الى بعض ط لحق المحذوف اى يقولون هل يريكم ثم انصرفوا لا يفقهون عزيز
على تأويل عليه شفاعة ما عنتم والصحيح الوصل لان المعنى شديد عليه ما اثمتم ولا وقف في الآية الى قوله رحيم حسبي الله
والاصح الوصل على جعل الجملة حالا اى يكفيني الله غير مشارك في الالوهية الا هو العظيم **التفسير** لما امر بموافقة النبي واصحابه
في جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين اكد ذلك المعنى بالنهي عن التخلف عنه فقال ما كان لاهل المدينة
اى لا يستقيم ولا يجوز لهم وللاعراب الذين كانوا حول المدينة قد ذكرنا عن ابن عباس انهم مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار
وكان المراد المعروفين منهم لان اللفظ عام ومعنى ولا يرغبوا ولا ان يرغبوا يقال رغبت بنفسي عن هذا الامر اى بخلت
بها عليه ولا اتركها له والمراد انه لا يصح لهم ان يرغبوا عن صحبة رسول الله بسبب صلاح انفسهم وبقائها بل عليهم
ان يصحبوه على البأساء والضراء وان يرضوا لانفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه لان نفسه اعز نفس عند الله فاذا تعرضت
مع كرامتها للخوض في شدة وجب على سائر الانفس ان لا يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وفي هذا النهي مع التهييج توبيخ عظيم لا
يخفى ان الجهاد لا يجب على كل فرد بعينه للاجماع وان اصحاب الاعذار من الضعفاء والمرضى ونحوهم مخصوصون بالعقل و
بالنقل فبقي ما وراءها من الصورتين داخلا تحت عموم الآية ثم ذكر ترغيبا يجري مجرى علة المنع من التخلف فقال
ذلك بانهم اى النهي الدال عليه بقوله ما كان لهم بسبب انهم متأثرون على انواع المتاعب واصناف الشدائد بل على جميع

ع ٥

التفسير



الحركات والسكنات مدة الذهاب والاياب الظماء شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التي
تظهر ضمور البطن والموطئ مصدر كالمورد ومكانه وعلى التقديرين الضمير في يغيظ عائد الى الوطئ الصريح او المقدر ثم الوطئ
يجوز ان يكون حقيقة فيراد به الدوس بالاقدام وبحوافر الخيول وباخفاف الابل ويجوز ان يكون مجازا فيراد به الايقاع
والاهلاك قال ابن الاعرابي غاظه وغيظه واغاظه بمعنى ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم
ويلحق بهم ضررا من قتل واسر وغنيمة او هزيمة والمراد انهم لا يتصرفون في ارض الكفار تصرفا يغيظهم ولا ينالون منهم شيئا الا
كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيته وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة
عند الله وكذا القول في طرف المعصية ولكن بالضد فما اعظم بركة الطاعة وما اشد شؤم المعصية وبهذه الاية استشهد
اصحاب ابي حنيفة ان المدد الذي يلحق بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطئ ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم وقال
الشافعي لا يشاركون الغانمين في الغنيمة وان شاركوهم في الثواب لان الغنيمة من خواص المحاربين ومن قد تعلق خطره قال
قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان المسلمون
قلة فلما كثروا نسخه الله بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم التخلف اذا دعاهم الرسول وامرهم قال العلماء
وكذلك غيره من الائمة والولاة اذا عينوا طائفة لانا لو سوغنا للمندوب ان يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدي الى
تعطيل الجهاد قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة قال المفسرون يريد تمرة فما فوقها وعلاقة سوط وما ارفع منها مثل
ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم وهذا شايع في استعمال العرب يقولون
لا تصل في وادي غيرك وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال والوادي كل منعطف بين جبال واكام يكون منفذا للسيل
الا كتب لهم ذلك الانفاق والقطع او ذلك العمل الصالح المعهود في الاية المتقدمة ثم ذكر غاية الكتب فقال ليجزيهم اي اثبت
في صحائفهم لاجل الجزاء جزاء احسن من اعمالهم واجل وقيل الاحسن من صفة العمل اي يجزيهم على الاحسن وهو الواجب و
المندوب دون المباح واعلم انه سبحانه عدد اشياء بعضها ليس من اعمال المجاهدين وهو الظماء والنصب والمخمصة وبعضها
من اعمالهم وهي الوطئ والنيل والانفاق وقطع الارض فقسم هذا الباقي قسمين فضم شطرا منه الى ما ليس من اعمالهم تنبيها على
انه في الثواب جار مجرى عملهم ولهذا صرح بذلك فقال الا كتب لهم به عمل صالح اي جزاء عمل صالح واكد ذلك بقوله ان الله
لا يضيع اجر المحسنين ثم اورد الشطر الباقي لغرض اخر وهو الوعد باحسن الجزاء واقتصر ههنا على قوله الا كتب لهم لان
هذا القسم من عملهم فلم يحتج الى التصريح بذلك اكتفاء بما تقدم او لان الضمير عائد الى المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى اعلم
بمراده ثم قال وما كان المؤمنون وفيه قولان احدهما انه من بقية احكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ في عيوب المنافقين
كان المسلمون اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويتركونه بالمدينة وحده فنزلت الاية قال ابن عباس
والمعنى انه لا يجوز للمؤمنين ان ينفروا باسرهم الى الجهاد بل يجب ان يصيروا طائفتين احداهما الملازمة لخدمة الرسول والاخرى
النافرة الى الغزو ثم ههنا احتمالان لانه قال محرضا فلولا نفر اي هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين فذهب
الاكثر الى ان الضمير في ليتفقهوا عائد الى الفرقة الباقية في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهم اذا بقوا في خدمته شاهدوا الوحي والتنزيل
وضبطوا ما حدث من الشرائع وعلى هذا فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة واقام طائفة ليتفقه
المقيمون في الدين ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون معاصي الله عند ذلك وبهذا الطريق يتم امر
الدين بهاتين الطائفتين والا ضاع احد الشقين والاحتمال الاخر ما روي عن الحسن ان الضمير يعود الى الطائفة النافرة وتفقههم
هو انهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين وان العدد القليل منهم من غير زاد ولا سلاح كيف يغلبون الجم الغفير من الكفار
فيتنبهون لما في صنع الله في اعلاء كلمته فاذا رجعوا الى قومهم انذروهم بما شاهدوا من دلائل الحق فيحذروا اي يتركوا الكفر
والشرك والنفاق القول الثاني انه ليس من بقية احكام الجهاد وانما هو حكم مستقل بنفسه ووجه النظم ان الجهاد امر يتعلق
بالسفر وكذلك التفقه اما في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فوجوبه ظاهر لمن ليس بحضرته حتى يصل اليه ويستفيد من خدمته لان الشريعة ما
كانت مستقرة بل كانت تتجدد كل يوم شيئا فشيئا واما في زماننا فلا ريب انه متى عجز عن التفقه الا بالسفر وجب عليه وان امكنه
في الحضر فلا شك ان للسفر بركة اخرى يعرفها كل من زاول الاسفار وحاول الاخطار ومعنى ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة في الدين
ويتجشموا للمتاعب في اخذها وتحصيلها والفقه في الاصطلاح هو العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من دلائلها التفصيلية
والظاهر ان المراد في الاية اعم من ذلك بحيث يشمل علوم الشرع كلها من التفسير والحديث واصول الدين واصول الفقه ومقدمات
كل من ذلك وغاياتها بحسب الامكان النوعي والشخصي وفي قوله ولينذروا قومهم اشارة الى ان الغرض الاصلي من التعلم هو الانذار

والارشاد



والارشاد لا ما يتبوأ به علماء السوء من الاغراض الفاسدة كالمطاعم والملابس والمفاخر اعاذنا الله تعالى بفضله من فتح الشر
وفساد الطوية وجعلنا ممن لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا القائلون بان خبر الواحد حجة قالوا اوجب الله تعالى
ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلاثة يكون اثنين او واحدا ثم انه اوجب العمل باخبارهم بقوله ولينذروا و
اجيب بان ايجاب الانذار لا يدل على وجوب العمل لان الشاهد الواحد يلزمه اداء الشهادة وان لم يلزم القبول ورد بان قوله
لعلهم يحذرون ايجاب العمل باخبارهم ثم ارشد سبحانه الى ترتيب القتال فقال يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم
اي يقربون منكم مبتدئا من الاقرب منتقلا الى الابعد والقتال واجب مع كافة الكفرة باية القتال ولكن هذه الاية اخص
لان الغرض منها الترتيب ما لم يدع الى قتال الابعد قبل دفع الاقرب ضرورة فلا يكون هذه منسوخة باية القتال على ما
نقل عن الحسن وانما وجب الابتداء بالغزو من المواضع القريبة لان قتال الكل دفعة متعذر وللاقرب ترجيح ظاهر كما في
الدعوة وكما في سائر المهمات مثلا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يبتدأ بالجمع الحاضرين ثم ينتقل الى الغائبين وايضا
المؤنة في قتال الاقربين من النفقة والدواب تكون اقل والقتال معهم يكون اسهل للوقوف على احوالهم وعدد عسكرهم والفرقة
المجاهدة اذا تجاوزوا من الاقرب الى الابعد فقد عرضوا الذراري للفتنة وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز
ثم غزا الشام ويروى ان اعرابيا جلس على المائدة وكان يمد يده الى الجوانب البعيدة من تلك المائدة فقال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك فثبت
بهذه الوجوه ان الابتداء بالاقرب فالاقرب واجب ما لم يضطر الى العدو لضرورة وقوله وليجدوا فيكم غلظة اي شدة
نظيره قوله واغلظ عليهم ومن قرأ بفتح الغين فهو المصدر كالسخطة وهي لفظة جامعة للجرأة والصبر على القتال و
لشدة العداوة والعنف في القتل والاسر كل ذلك فيما يتصل بالدعوة الى الدين اما باقامة الحجة واما بالسيف اما فيما
يتصل بالبيع والشرى والمجالسة فلا وليكن تقوى الله سبحانه على ذكر منه في موارده ومصادره ولهذا ختم الاية بقوله
واعلموا ان الله مع المتقين فان قتله قتله الله وان تركه تركه الله وان كسر عدوه وال الامر الى اخذ الغنيمة رعى
فيه حدود الله ثم حكى بقية من فضائح اعمال المنافقين فقال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اي يقول بعض المنافقين
فقال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اي يقول بعض المنافقين لبعض انكارا واستهزاء بالمؤمنين المعتقدين زيادة
الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به او يقولونه لقوم من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان والمقول ايكم مرفوع
بالابتداء وخبره زادته هذه ايمانا ثم انه تعالى حكى انه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة امران احدهما ازدياد الايمان وقد
مر معناه في اول سورة الانفال والثاني الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما بثواب الآخرة واما بالعزة والنصرة في الدنيا
والمراد انهم يفرحون بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث انه يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل للمنافقين الذين
لهم عقائد فاسدة واخلاق ذميمة امران اولهما زيادة الرجس على الرجس لان تكذيب سورة بعد تكذيب مثلها انضمام
كفر الى كفر او لان حصول حسد وغل ونفاق عقيب امثالها ازدياد ملكة ذميمة عقيب اخرى وثانيهما بقاؤهم على
تلك العقائد والاعمال الى ان ماتوا لان الملكة الراسخة لا تزول الى ان مات صاحبها واسناد زيادة الرجس الى السورة
اسناد حقيقي عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر والايمان في العبد فلا يبعد احداث السورة فيهم
الرجس واسناد مجازي عند المعتزلة لانهم يقولون انهم احدثوا الرجس من عند انفسهم حين نزول السورة بدا اهل
ان الاخرين سمعوا السورة وازدادوا ايمانا والتحقيق فيه ان النفس الطاهرة النقية عن درن الدنيا باستيلاء حب الله و
الآخرة اذا سمعتها صار سماعها موجبا لازدياد رغبتها في الآخرة ونفرتها عن الدنيا واما النفس الحريصة المنهمكة على لذات
الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب الآخرة وعشق المولى اذا سمعتها مشتملة على تعريض النفس للقتل والمال للنهب بسبب
الجهاد ازدادت نفرتها عنها وانكارها عليها وكل بقدره ثم عجب من حال المنافقين فقال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او
مرتين قال ابن عباس اي يمتحنون بالمرض ثم لا يتوبون من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض كما يتعظ المؤمن وانه عند ذلك
يتذكر ذنوبه وموقفه بين يدي ربه فيزيده ذلك ايمانا وخوفا وقال مجاهد بالقحط والجوع وقال قتادة بالغزو والجهاد فان تخلفوا
وقعوا في السنة الناس باللعن والخزي وان ذهبوا وهم على حالة النفاق عرضوا انفسهم للقتل واموالهم للنهب من غير فائدة وقال مقاتل
كانوا يجتمعون على ذكر الرسول بالطعن فيخبره جبرئيل فيوبخهم بذلك فيعظهم فما كانوا يتعظون ثم ذكر نوعا اخر من مخازيهم فقال
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض اي سورة مشتملة على ذكرهم او اعم من ذلك والنظر نظر الطعن والاستهزاء او الازدراء
بالوحي قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم لان
نظر التغامز دال على ما في الباطن من الانكار الشديد او ارادوا ان كان من ورائكم احد فلا تخرجوا والا فاخرجوا للتخلص من



هذا الايذاء وسماع الباطل ثم انصرفوا اى من مكان الوحى الى مكانهم او عن استماع القرآن الى الطعن فيه ومعنى صرف
الله قلوبهم قال ابن عباس منعهم عن كل رشد وخير وقال الحسن طبع الله قلوبهم وقال الزجاج اضلهم الله قالت الاشاعرة
هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان والمنع منه وقالت المعتزلة هو دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الانشراح
او اخبار بانه صرفهم عن الالطاف التى يختص بها من آمن بها والمراد صرف قلوبهم بما اورثهم من الغم والكمد قالوا ومعنى
قوله لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا وعند الاشاعرة هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد بن اسحاق انه قال لا تقولوا انصرفنا
من الصلوة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم لكن قولوا قضينا الصلوة كان مقصوده التفاؤل باللفظ الوارد فى الخير وفى
الشرف فانه تعالى قال فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ثم لما امر رسوله فى هذه السورة بتبليغ تكاليف
شاقة يعسر تحملها ختم السورة بما يهون الخطب فى تحملها فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم اى من جنس البشر لا الملك لان
الجنس الى الجنس اميل وبه الف وانس والخطاب للعرب المقصود ترغيبهم فى نصرته والقيام بخدمته لان كل ما يحصل له من
الدولة والرفعة فان ذلك سبب لعزهم وفخرهم لانه من ابناء جلدتهم او الخطاب لاهل الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون اهل الحرم اهل
الله وخاصته وكانوا يخدمونهم ويقومون باصلاح مهامهم فكانه قيل لهم كنتم قبل مقدمه مجتهدين فى خدمة اسلافه فلم
تتكاسلون فى خدمته مع انه لا نسبة له فى الشرف الى آبائه والمقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارة نسبه كانه قيل هو من
عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف وتعرفون كونه حريصا على دفع الآفات عنكم وايصال الخيرات اليكم فارسال
من هذه حاله وصفته يكون من اعظم نعم الله عليكم وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اى من اشرفكم وافضلكم وتنسب هذه القراءة
الى النبى والوصى واهل البيت ع ثم وصفه بما يستتبع المجانسة والمناسبة من النتائج وذلك قوله عزيز عليه ما عنتم العزة
الغلبة والشدة والعنت المشقة والوقوع فى المكروه والاثم وما مصدرية اى شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم
المكروه واولى المكاره بالدفع عقاب الله وهو انما ارسل لدفع هذا المكروه حريص عليكم الحرص يمتنع ان يتعلق بذواتهم
فالمراد حريص على ايصال الخيرات اليكم فى الدارين فالصفة الاولى لدفع الآفات وايصال الخيرات والسعادات فلا تكرار و
قال الفراء الحريص الشحيح والمعنى انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين انه رحمة للعالمين فقال بالمؤمنين اى منكم ومن
غيركم رؤف رحيم قال ابن عباس لم يجمع الله لنبى اسمين من اسمائه الا له وحاصل هذه الخاتمة ان هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من
العز والشرف فذلك عائد اليكم وانه كالطبيب الحاذق وكالاب الشفيق واذا عرفت ان الطبيب حاذق والاب مشفق فالعلاج والتاديب
منهما احسان واجمال وان كان صعبا مؤلما فاقبلوا ما امركم به من التكاليف وان كانت شاقة لتفوزوا بسعادة الدارين ثم قال لرسوله
فان لم يقبلوها بل اعرضوا وتولوا فاتركهم ولا تلتفت اليهم وارجع فى جميع امورك الى الله الذى بالحق ارسلك فهو كافيك و
هو رب العرش العظيم فلا يخرج عن قبضة قدرته وتصرفه شئ لانه محيط بالعرش وبما يحويه العرش والله اعلم التأويل ما كان
لاهل المدينة الغالب فهو النفس والهوى والقلب ومن حولهم من الاعراب لصفات النفسانية والقلبية ان يتخلفوا عن رسول
الروح السائر اليه ولا يبذلوا وجودهم عند بذل وجوده بالفناء فى الله ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ من ماء الشهوات ولا نصب
من انواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا فى طلب الله ولا يطؤن موطئا من مقامات الفناء يغيظ الكفار
النفس والهوى ولا ينالون من عدو الشيطان والنفس والدنيا بلاء ومحنة وفقرا وحزنا وغير ذلك من اسباب الفناء الا
كتب لهم به عمل صالح من البقاء بالله بقدر الفناء فى الله ولا ينفقون نفقة صغيرة هى بذل الصفات ولا كبيرة هى بذل الذات
فى صفات الله وفى ذاته ولا يقطعون واديا من اودية الدنيا والآخرة والنفس والهوى والقلب والروح احسن ما كانوا يعملون
لان علمهم بقدر معرفتهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق فهمهم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم وما كان المؤمنون لينفروا فى السير
الى الله وبالله وفى الله فلولا نفر من كل قوم وقبيلة فرقة طائفة هم خواصهم واهل الاستعداد الكاملون ليتعلموا السلوك
ويخبروا بذلك قومهم لعلهم يحذرون من غير الله قاتلوا الذين يلونكم من كفار النفس والهوى وصفاتها وليجدوا فيكم غلظة عزيمة
صادقة فى ترك شهواتها وما نوا وهم كافرون اى لموت قلبهم لتراكم ظلمة النفاق كل حين ثم اخبر عن موت القلب بقوله
اولا يرون انهم يفتنون والفتنة موجبة لانتباه القلب الحى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى قلب حى هل يريكم
من احد فى مقام الانكار والنفاق اى هل يرى محمد انكارنا على رسالته والقرآن فان هو رسول الله ما نبوة رسالته ثم انصرفوا عن
هذا الحسبان لان قلوبهم مصروفة ولذا ليس لهم فقه القلب لان ذلك من امارات حيوة القلب من انفسكم تسكين للقوم لئلا ينفروا عنه و
اشارة للخواص الى ان البشر لهم استعداد الوصول والوصال فان لم يكن بالاستقلال فبالمتابعة فاتبعونى يحببكم الله ومن
قرأ من انفسكم اى اشرفكم فلانه اول جوهر خلقه الله تعالى اول ما خلق الله تعالى روحى ولاختصاصه بالخلاص عن تعلق الكونين

وبلوغه إلى قاب قوسين أو أدنى وتحليه بحلية فأوحى إلى عبده ما أوحى ولعلو همته ما زاغ البصر وما طغى ولرؤيته سر
لقد رأى من آيات ربه الكبرى بالمؤمنين رؤوف رحيم فمن رأفته أمر بالرفق كما قال إن هذا الدين متين فادخلوا
فيه بالرفق ومن رحمته قيل له فبما رحمة من الله لنت لهم وههنا نكتة وهي أن رأفته ورحمته لما كانت مخلوقة اختصت
بالمؤمنين فقط وكانت رحمته تعم ورأفته للناس عامة إن الله بالناس لرؤوف رحيم ونكتة أخرى
هي أن رحمته عامة للعالمين لقوله وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وأما رحمته
المضمومة إلى الرأفة فخاصة بالمؤمنين وكان الرأفة إشارة إلى ظهور أثر
الدعوة في حقهم فالمؤمنون أمة الدعوة والإجابة جميعا وغيرهم
أمة الدعوة فقط حسبي الله لأن المقصود من التبليغ قد
حصل لك وهو وصولك إلى الله أعرضوا عن
دعوتك وأقبلوا والله المستعان

تم الربع الثاني من التفسير المسمى غرائب القرآن
ورغائب الفرقان والحمد لله
على نواله والصلوة
على نبيه المصطفى
محمد و
آله



سورة يونس مكية الا ثلث آيات قوله تعالى فان كنت في شك الى آخرهن حروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبع وستون كلماتها الف وثمانمائة واثنان وثلثون آياتها مائة وتسع

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خدای بخشاینده مهربان

الر تلك آيات الكتاب الحكيم ﴿١﴾ اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم

این است آیتهای کتاب با حکمت . آیا باشد مر مردمان را عجبی که وحی فرستادیم بر مردی از ایشان که بترسان مردمان را و مژده ده آنان را که گرویدند که مر ایشان راست

قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ﴿٢﴾ ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة

سابقه خوب نزد پروردگارشان گفتند کافران بدرستیکه این جادوییست آشکار بدرستیکه پروردگار شما خدایست که آفرید آسمانها و زمین را در شش

ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون ﴿٣﴾ اليه

روز پس مستولی شد بر عرش تدبیر میکند کار را نیست هیچ شفیعی مگر پس از دستوری او آنست خدا پروردگار شما پس بپرستید او را آیا پس پند نمیگیرید بسوی او

مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا

بازگشت شما همه وعده داده است خدا حق بدرستیکه او نخست آفرید خلق را پس باز میگرداند او را تا جزا دهد آنانکه گرویدند و کردند کارهای شایسته بعدالت و آنانکه کافر شدند

لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ﴿٤﴾ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا

مر ایشان راست شربتی از آب جوشان و عذابی دردناک بسبب آنکه کافر شدند او آنست که گردانید آفتاب را روشنایی و ماه را روشنی و مقرر داشت منزلها تا بدانید

عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴿٥﴾ ان في اختلاف الليل والنهار وما

شمار سالها و حساب را نیافرید خدا آنرا مگر بحق تفصیل میدهد آیتها را برای جمعی که میدانند بدرستیکه در اختلاف شب و روز و آنچه

خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ﴿٦﴾ ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا

آفرید خدا در آسمانها و زمین هر آینه آیتهاست برای جمعی که میپرهیزند بدرستیکه آنانکه امید نمیدارند ملاقات ما را و راضی شدند بزندگانی دنیا و آرمیدند

بها والذين هم عن آياتنا غافلون ﴿٧﴾ اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون ﴿٨﴾ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

بآن و آنانکه ایشان از آیتهای ما بیخبرانند ایشان جایگاه ایشان آتش است بسبب آنچه کسب میکردند بدرستیکه آنانکه گرویدند و کردند کارهای شایسته

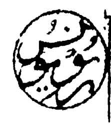
يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم ﴿٩﴾ دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها

راه نماید ایشان را پروردگار ایشان بسبب ایمان ایشان نهرها در بهشتهای با نعمت خواندن ایشان در آن سبحانک اللهم است و درود ایشان در آن

سلام وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ﴿١٠﴾

سلام است و آخر خواندن ایشان آنکه الحمد لله رب العالمین

القراءة الر بالامالة وكذلك ما بعده ابو عمرو وخلف وحمزة وعلي والخزاز عن هبيرة والنجاري عن ورش ويحيى وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان لساحر بالالف ابن كثير وعاصم وحمزة وعلي وخلف الآخرون لسحر حقا انه بالفتح يزيد ضياء بالهمز حيث كان ابن مجاهد وابو عون عن قنبل نفصل بالياء ابن كثير وعمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والعجلي الباقون بالنون واطمانوا بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف الوقوف الر ج في الحكيم ط عند ربهم ط مبين ٥ يدبر الامر ط اذنه ط فاعبدوه ط تذكرون ٥ جميعا ط حقا ط الا من قرا انه بالفتح بالقسط ط يكفرون ٥ والحساب ط الا بالحق ط لمن قرا نفصل بالنون ومن قرا بالياء امكن ان يجعل نفصل حالا يعلمون ٥ يتقون ٥ غافلون ٥



لان اولئك خبران بايمانهم ط للحذف تقديره يهديهم ربهم بايمانهم الى دار البقاء مع اتحاد المقصود وتمام الموعود النعيم سلام ط لان
الجملتين وان اتفقتا فقد اعترضت جملة معطوفة اخرى لان قوله واخر دعويهم معطوف على دعويهم الاول العالمين التفسير اتفقوا
على ان قوله الر ليس باية وعلى ان طه اية ولعل الفرق ان الر لا يشاكل مقاطع الآى التى بعده عن ابن عباس الر معناه انا الله ارى وقيل لا
رب غيرى وقيل الرحيم اسم الرحمن تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات وفى التبعيد للتعظيم والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتمالها
عليها او وصف بصفة من تكلم به ومنه قولهم للقصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل ويحكم بان محمدا صادق لان
القران اظهر معجزاته وابقاها وقيل بمعنى مفعول اى حكم فيه بجميع المامورات والمنهيات وقيل بمعنى المحكم والاحكام المنع من الفساد وذلك
انه لا يمحوه الماء ولا يحرقه النار ولا يغيره الدهور ويحتمل ان يقال الكتاب الحكيم هو القران او اللوح المحفوظ او التورية والانجيل لان جميع
الكتب الالهية متوافقة فى الاصول ويجوز ان يكون تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من ايات القران واعلم انه سبحانه لما ختم السورة
المتقدمة بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدى وذلك انه حروف القران من جنس
الحروف التى يتلفظون بها فلولا انه معجز لعارضوه وناقضوه ولما بين بهذا الطريق ان محمدا رسول حق من عند الله انكر على كفار قريش
تعجبهم من كونه رسولا فقال اكان للناس عجبا نصب على انه خبر كان واسمه ان اوحينا وفائدة اللام فى قوله للناس مع تقديمه هى انهم جعلوه
لهم اعجوبة يتحدثون بها ثم ان تعجبهم اما ان يكون من جعل البشر رسولا او من تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالوحى والنبوة فقد روى انهم كانوا يقولون
العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب وكلا الامرين ليس بعجب اما الاول فلان الجنس الى الجنس اميل ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما الثانى فلان الفقر واليتم
لا يوجب فى النبوة قدحا لان الله غنى عن العالمين وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر فى الاستنباء كونه متصفا
بالصدق والامانة والتقوى وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك قبل بعثته اليد الطولى وكان يدعى محمد الامين وان فى قوله ان انذر الناس هى المفسرة
لان الايحاء فيه معنى القول او مخففة من الثقيلة وقد عملت فى ضمير شان مقدر معناه انه اى ان الشان قولنا انذر الناس وقوله بشر
الذين امنوا انهم اى بان لهم والانذار اخبار مع تخويف والانعام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين ويحتمل ان يراد بالناس الكفار
فقط ويمكن ان يكون تعجبهم عائدا الى الانذار والتبشير وليس ذلك بعجب بل المنكر فى العقول تعطيل الاعمال وان يترك الانسان سدى وارسال
الرسل امر ما اخلى الله تعالى المكلفين عنه شيئا من الازمنة وبه يتم المالكية والامر والنهى والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار
على التبشير لان الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغى والتبشير ترغيب فى فعل ما ينبغى والتخلية مقدمة على التحلية ومعنى قدم صدق سابقة
فضل ومنزلة رفيعة اى سبق لهم عند الله خير قال احمد بن يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانبارى كناية عن العمل الذى لا يقع فيه
تاخير ولا ابطاء والسبب فى اطلاق القدم على السابقة ان السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها
تعطى باليد واضافة القدم الى صدق لاجل المبالغة وللتنبيه على انها من السوابق العظيمة اى القدم التى يصدق ويحق ان يسمى قدما واما
عبارات المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هى الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب ومنهم من قال شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم اما قوله قال الكافرون
فقال القفال فيه اضمار والتقدير فلما انذرهم قالوا ذلك ثم من قرا الساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى النبى صلى الله عليه وسلم ومن قرا السحر فهو اشارة
الى القران وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بانهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن ههنا جوز بعضهم ان يكونوا ارادوا به المدح اى انه لكمال
فصاحته يتعذر الاتيان بمثله جار مجرى السحر ثم لما انكر عليهم تعجبهم من الامور المذكورة وهى الواسطة اراد ان يقيم البرهان عليها
باثبات المعاد وذلك فى ايتين متواليتين وقد مر فى الاعراف تفسير قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى
على العرش فلا حاجة الى الاعادة ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وجلاله وانه لا يخرج امر من الامور عن قضائه وتقديره فقال يدبر الامر ما
من شفيع الا من بعد اذنه وانما فقد العاطف لانها كالتفسير والتفصيل لما دل عليه قوله ان ربكم الله الخ والامر الشان اراد به احوال الخلق
واحوال ملكوت السموات والارض والعرش والمعنى انه يقضى ويقدره بمقتضى الحكمة ويفعل ما يفعله المصيب فى افعاله الناظر فى ادبار
الامور وعواقبها لئلا يدخل فى الوجود ما لا ينبغى قال الزجاج ان الذين خوطبوا بهذه الاية كانوا يقولون ان الاصنام شفعاؤنا عند الله
فرد الله عليهم بانه ليس لاحد ان يشفع اليه فى شئ الا بعد اذنه لانه اعلم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم ان يسئلوه ما لا يعلمون انه صواب
وصلاح ففى قوله يدبر الامر اشارة الى استقلاله فى التصرف فى جانب المبدأ وفى قوله ما من شفيع اشارة الى استقلاله فى طرف المعاد ويمكن
ان يقال المراد انه خلق العالم على احسن الوجوه واقربها من الاصلح مع انه ما كان هناك شفيع يشفع فى تحصيل المصالح فدل ذلك على انه محسن
الى عباده مريد للخير والراحة بهم كامل العناية باحوالهم قال ابو مسلم الشفيع معناه الثانى من الشفع الذى يخالف الوتر اى خلق السموات
والارض وحده ولا حى معه ولا شريك يعينه ثم خلق الملائكة والثقلين والمراد انه لم يدخل فى الوجود احد الا من بعد ان قال له كن حتى
كان وحصل ثم اشار الى المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال ذلكم الله ربكم الذى ليس اهل منكم للعبادة بازاء النعم الجسام

باثبات المبدء بين غاية



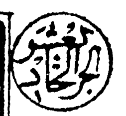
من خلق السموات والارض وما فيها وعليها فاعبدوه وحده افلا تذكرون فيه تنبيه على وجوب الاعتبار والنظر في الدلائل الدالة على عظمته وجلاله ثم شرع في اثبات المعاد فقال اليه مرجعكم اي رجوعكم جميعا مجموعين وتقديم الجار والمجرور للاختصاص والمعنى لا ترجعون في العاقبة الا الى جزائه وحكمه فاستعدوا للقائه ثم اكد ذلك بقوله وعد الله حقا وفيه تاكيدان كما مر ثم قال انه يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو استيناف فيه معنى التعليل كانه قال ان الذي قدر على الابداء يقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله وننشئكم فيما لا تعلمون يعني انه سبحانه لما كان قادرا على انشاء ذواتكم اولا ثم على انشاء اجزائكم حال حيوتكم ثانيا شيئا فشيئا من غير ان تكونوا عالمين بوقت حدوثه وبوقت نموه وجب القطع بانه لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرقة ومن قرأ انه بالفتح فعلى حذف لام التعليل اي لانه وعلى انه منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم اعادته ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق ثم ذكر غاية الاعادة وحكمتها فقال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات قال المفسرون في الاية اضمار والتقدير انه يبدؤ الخلق ليامرهم بالعبادة ثم يميتهم ثم يعيدهم ليجزي وانما حسن هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه ولان الاعادة لا يكون الا بعد الاماتة والاعدام وقوله بالقسط اي بالعدل متعلق بيجزي اي يجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او يجزيهم بقسطهم وبما لم يظلموا انفسهم حين امنوا وعملوا صالحا وهذا اوجه لحسن الطباق بقوله بما كانوا يكفرون وفي قوله والذين كفروا من غير ان يدخل لام العاقبة في الجملة كما ادخلها في الاولى دليل على انه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء التعذيب لغرض وقوعهم في طريق القهر والحميم الماء الذي اسخن بالنار حتى انتهى حره قالت الاشاعرة في الاية دلالة على عدم منزلة بين المنزلتين على ما يقول بها المعتزلة واجيب بان عدم الذكر لا يدل على العدم ورد بان الفساق اكثر من اهل الطاعة فكيف يجوز طي ذكرهم واعلم ان للعلماء في اثبات المعاد طريقين الاول طريقة القائلين بالحسن والقبح العقليين والثاني طريقة من يقول لا يجب على الله شيء اصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد اما الفريق الاول فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها انه تعالى خلق الخلق واعطاهم عقولا وقدرا فيجب في حكمته ان يرغبهم في الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا الترغيب والزجر لا يمكن الا بربط الثواب على الفعل والعقاب على الترك هذا في المامورات وبالعكس في المنهيات ثم ذلك الثواب المرغب والعقاب المرهب غير حاصل في الدنيا فلا بد من دار اخرى هي دار الاخرة ليحصل فيها ذلك والا لزم ان يكون الله تعالى كاذبا في قوله ليجزي الاية فان قيل لم لا يكفي في الترغيب والردع ما اودع الله في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات فلا يحتاج الى الوعد والوعيد ولئن سلم فلم لا يجوز ان يكون الغرض من الترغيب والترهيب نظام العالم لانه يفعل ذلك ولا يلزم منه الكذب على الله لانهم يخصصون اكثر عمومات القران ثم انهم زعموا انه لا كذب سلمنا انه يفعل لكن لم لا يجوز ان يكون الثواب والعقاب هو ما يصل الى الانسان في دار الدنيا من الراحات والالام فالجواب ان العقل وان كان يدعو الى فعل الخير وترك الشر الا ان الهوى والنفس يدعوان الى الانهماك في الشهوات الجسمانية واذا حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح وما ذاك الا ترتيب الوعد والوعيد على الاعمال وتجويز الخلف في ذلك مناف للغرض واخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد ما دام في الدنيا فهو في العمل وقد ترى ازهد الناس واعلمهم مبتلى بالافات والبليات وافسقهم واجهلهم في اتم اللذات والمسرات ومنها ان صريح العقل يوجب في حكمة الحكيم ان يفرق بين المحسن والمسيء والمظلوم والظالم وان لا يجعل من كفر به وعصاه كمن امن به واطاعه وليس هذه التفرقة في الدنيا كما قيل كم عالم عالم اعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا فلا بد من دار اخرى يظهر فيها التفاوت ومنها انه كلف عبيده بان يعبدوه والحكيم اذا امر عبده بشيء فلا بد ان يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال باداء تكليفه والناس جبلوا على طلب اللذات والتبادر الى تحصيل اسباب الراحات فلو لم يكن لهم زاجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن وحينئذ لا يتفرغ المكلف لاداء ما امر به فان قيل لم لا يكفي في نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا ان لم يكن السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا ولا خوف له من المعاد فحينئذ يقدم على انواع الظلم والايذاء لان الداعية النفسانية قائمة ولا وازع له في الدنيا ولا في الاخرة ومنها انه تعالى خلق هذا العالم وخلق فيه الناس والعبث لا يليق بالحكيم الرحيم فوجب ان يقال انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك في الدنيا لان لذات هذا العالم الجسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الالم وازالة الالم امر عدمي وكان هذا حاصلا قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فائدة وايضا ان اللذات العاجلة مشوبة بالالام بل اللذة في الدنيا كالقطرة من البحر فعلمنا ان للراحة دار اخرى فان قيل اليس انه يعذب اهل النار لا لمصلحة وفائدة لهم قلنا الفرق ان ذلك الالم استحقوه على اعمالهم وهذا الالم الحاصل في الدنيا غير مستحق فوجب ان يعقبه خيرات عظيمة والا فينافي كونه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين ومنها انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان اخس من جميع الحيوانات لانها تشاركه في اللذات الحسية لان الروث في مذاق الجعل كاللوز في فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقل هو سبب تألمه وتاذيه في اغلب الاحوال لانه يتفكر في الاحوال الماضية فيتاسف ويتامل في الاحوال الاتية فيخاف فلو لم يكن للانسان معاد به يكمل حاله ويظهر سعادته كان عقله سببا لشقائه وخسته دون شرفه ومزيته ومنها ان ايصال النعم اما ان يكون مشوبا بالافات او خالصا عنها فلما انعم الله تعالى علينا في الدنيا بالمرتبة الاولى وجب ان ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار اخرى اظهارا لكمال القدرة والرافة والحكمة فهنالك ينعم على المطيعين ويعفو عن المذنبين ويزيل

العموم



الغموم والهموم والآفات والمخافات ومما يقوي هذا الكلام ان الانسان دائما في الترقي من حين كونه جنينا في بطن امه الا ان يخلص من ذلك السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى ان ينتقل من تناول اللبن والشد لوثوقه في المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة والمشي والعدو والى ان يصير اميرا نافذ الحكم على الخلق او عالما مشرفا على حقائق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء ان يكون حاله بعد الموت اشرف واعلى من اللذات العاجلة المشوبة بالآلام ومنها طريقة الاحتياط فانا اذا امنا بالمعاد وتاهبنا له فان كان هذا المذهب حقا فقد نجونا وهلك المنكر وان كان باطلا لم يضرنا هذا الاعتقاد غايته ذلك فوات بعض اللذات الزائلة المشوبة بالمنغصات ومنها ان احوال الانسان من صباه الى هرمه شبيها بحال الارض من الربيع الى الشتاء ثم انا نرى الارض في الربيع الثاني يعود الى تلك الحيوة فلم لا يعقل مثل ذلك في الانسان ومنها ان الانسان انما يتولد من نطفة تولدت من الاغذية الكائنة من الاجزاء العنصرية المتفرقة في مشارق الارض ومغاربها فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع ان يجتمع مرة اخرى على مثال الاجتماع الاول ومنها ان النظر في تغيرات العالم ادى الى اثبات صانع حكيم قادر قاهر والعقل يحكم بان هذا الحكيم لا يليق به ان يترك عبيده مهملا يكذبون عليه ويجورون فلا بد من ان يكون له امر ونهي ووعد ووعيد من غير تجويز خلف فيهما كما مر ولا يتحقق جميع ذلك الا في دار الجزاء واما الفريق الآخر الذين لا يعللون افعال الله تعالى برعاية المصالح فانهم يقولون المعاد امر جائز الوجود لان تعلق النفس بالبدن لما كان في المرة الاولى جائزا فالمرة الثانية ايضا جائزة ثم ان الله العالم قادر مختار عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات فلا يعجزه تمييز اجزاء بدن زيد وان اختلطت باجزاء التراب والبحار عن اجزاء بدن عمرو واذا ثبت هذا الامكان وقد دل الدليل على صدق الانبياء وعلى ان القرآن كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقرآن مشحون بآيات البعث والجزاء فوجب علينا القطع بالمعاد الجسماني اما شبهة المنكرين فمن ذلك انهم قالوا الدار الآخرة ان كانت شرا من هذه فالتبديل سفه وان كانت مثلها فعبث وان كانت خيرا منها فاما ان يقال انه قادر على خلق ذلك الاجود اولا ثم تركه وفعل الارذل فذلك سفه او يقال انه ما كان قادرا ثم حدثت له القدرة فذلك انتقال من العجز الى القدرة ومن الجهل الى الحكمة فهو محال على القديم والجواب ان كلا من الدارين خير في وقتها فالاولى لتحصيل الكمالات النفسانية الممكنة للنوع الانساني من قبيل العلم والعمل والاخرى للرحمة والجزاء ومن ذلك انهم قالوا حركات الافلاك مستديرة والمستديرة لا ضد لها وما لا ضد له لا يقبل الفساد والجواب ما ذكرنا في كتبنا الحكمية من ان كل جسم مركب وكل مركب ينحل لا محالة ولئن سلمنا انها ازلية فحركاتها غير ازلية لان الحركة عبارة عن الانتقال من حال الى حال وهذه الهيئة تقتضي المسبوقية بالغير فكان الجمع بين الازل والحركة محالا ولئن سلم ان الحركة ازلية فلم لا يجوز ان يكون بعض اوضاع الافلاك مقتضيا لاعادة المعدومات من الاشخاص الانسانية ومن ذلك انهم قالوا الانسان عبارة عن هذا البدن ذي الاجزاء لا كيف كانت بل بشرط وقوعها على تاليف مخصوص لان اجزاء البدن كانت موجودة قبل هذا الانسان والموجود مغاير للمعدوم فاذا مات الانسان وتفرقت اجزاؤه فقد عدمت تلك الصورة والاعراض وعود المعدوم محال والجواب ان الانسان ليس عبارة عن هذا الجسد وانما هو النفس سواء كانت جوهرا مجردا مفارقا او جسما مخصوصا لطيفا باقيا في جميع احوال البدن من الصبى الى الهرم مصونا عن التحلل والتبدل وهو الذي يسميه المتكلمون بالاجزاء الاصلية ومن ذلك انهم قالوا اذا قتل الانسان واغتذى به انسان آخر لزم ان يعاد تلك الاجزاء في بدن كل واحد من الشخصين وذلك محال واجيب بعين ما مر وهي ان الاجزاء الاصلية لا تصير جزءا من انسان آخر فهذه خلاصة ما وصل اليه العقول من امر المعاد والله تعالى اعلم بحقائق الامور ثم عدد بعض نعمه على المكلفين فقال هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وهو اجوف واوي مهموز اللام قلبت واوه ياء لكسرة ما قبلها ومن قرأ بهمزتين بينهما الف فمحمول على القلب لانه قدم اللام على العين فوقع حرف العلة على الطرف فانقلبت همزة كما في كساء وهو اما ان يكون جمع ضوء كحوض وحياض او مصدر ضاء يضوء مثل قام قياما وصام صياما ولا بد من تقدير مضاف اي جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور الا ان يحمل على المبالغة فجعل نفس الضياء والنور كما يقال للرجل الكريم انه كرم وجود والضياء اقوى من النور ولا خلاف بين العقلاء ان ضوء الشمس كيفية قائمة بها لذاتها واما نور القمر فقد ذهب جمهور الحكماء الى انه مستفاد من الشمس وبذلك يقع اختلاف احواله من الهلالية الى البدرية كما بينا في تفسير قوله تعالى يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ قال في الكشاف اي قدر مسيره منازل او قدره ذا منازل والمنزل المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون واساميها مشهورة الشرطين البطين الثريا الخ وهي كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فنزل القمر كل ليلة منزلا يقرب احدها وذلك انهم قسموا دور الفلك وهو اثنا عشر برجا على ثمانية وعشرين عدد ايام دور القمر فاصاب كل برج منزلان وثلث فسموا كل منزل بالعلامة التي وقعت في التسمية بحذائه ثم ذكر بعض منافعها العائدة على المكلفين فقال لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وقد ذكرنا السنة الشمسية والسنة القمرية وكيفية دوران احديهما على الاخرى في تفسير قوله تعالى إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ الآية فلا حاجة الى التكرار ثم اشار الى سائر منافعها وخواصها بقوله مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا

المعتبرة بالحالة المنتقل عنها والازلية تنافي المسبوقية



الامتلبسا بالحق والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها بالليل وبحركة الشمس ينفصل السنة الى
الاربعة وبالفصول ينتظم مصالح هذا العالم ويتحصل معايش الخلائق وبحركة القمر يحصل الشهور وباختلاف حالة في زيادة النور و
نقصانه يختلف احوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التي يرشد اليها التامل والتدبر ولهذا قال يفصل الايات لقوم يعلمون
لانهم هم الذين ينتفعون بهذه الدلائل وقيل المراد بالعلم ههنا العقل الذي يعم الكل ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار
وقد مر تفسيره في سورة البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض الاية ومعنى قوله وما خلق الله في السموات والارض كقوله وما خلق الله
من شيء وقد مر في اخر الاعراف وانما خص كونها ايات بالمتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى التدبر والنظر قال القفال من
تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا مخلوقة لبقاء الناس وان خالقها وخالقهم ما اهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من امر
ونهي ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة دالة على صحة القول بالمبدأ والمعاد ثم شرع في شرح احوال من
لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا عن ابن عباس ومقاتل والكلبي معناه لا يخافون البعث كقوله وهم
من الساعة مشفقون واستبعد الاكثرون تفسير الرجاء بالخوف قالوا انه بمعنى الطمع اي لا يطمعون في حسن لقائه كما يامله السعداء او لا يتوقعونه
اصلا لانهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية فارغون عن التوجه نحو السعادات الباقية ورضوا مع ذلك بالحيوة
الدنيا الحسية الخسيسة واطمانوا بها سكنوا اليها سكون العاشق الى معشوقه وهذه غاية الانهماك والاستغراق في اللذات الجسمانية والذين هم
عن اياتنا غافلون فلا يعتبرون بالايات لا ينظرون في الدلائل الموصلة الى حقيقة المبدأ والمعاد فلم يقبلوها بالتقليد ولم ينظروا اليها بعين
الاجتهاد اولئك ماويهم النار فيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله بما كانوا يكسبون وفيه ان الاعمال السابقة هي المؤثرة في حصول العذاب
الجسماني وهو النار المحسوسة والعذاب الروحاني وهو نار البعد من المالوفات والقطيعة من السعادة الباقيات فيكون مثاله مثال من
اخرج من مجالسة معشوقه فالقي في بئر ظلمانية لا الف بها ولا مونس بل يكون فيها انواع الموذيات واصناف الموحشات نعوذ بالله من تلك
الحالات هذا حال من لا يؤمن بالمعاد فلا يعمل له واما حال الذي يؤمن به فذلك قوله ان الذين امنوا استكملوا من جهة القوة النظرية
وعملوا الصالحات استكملوا من قبل القوة العملية او صدقوا بقولهم ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذي جاءت به الانبياء والكتب
من عند الله واشتغلوا قلوبهم وارواحهم بتحصيل المعرفة ثم جوارحهم بالخدمة حتى تكون عيونهم مشغولة بالاعتبار واذانهم باستماع
كلام الله والسنتهم بذكر الله وسائر اعضائهم بطاعة الله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم قال اكثر المفسرين معناه يهديهم الى الجنة ثوابا لهم
على ايمانهم واعمالهم الصالحة ومعنى قوله بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهذا التفسير يوافق قوله تعالى يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ولقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله الصالح في صورة حسنة فيقول له انا عملك
فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى الاية
ان ايمانهم يهديهم الى ربهم لما من الالطاف ولوامع من الانوار بحيث يزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات فتؤدي الى حصول المثوبات
ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة عن الفوائد الروحانية
الحاصلة في الدنيا بعد الايمان قال القفال فعلى هذا الوجه كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم ويجري من تحتهم الانهار الا انه حذف الواو
وجعل قوله تجري خبرا مستانفا منقطعا عما قبله والتحقيق في تقرير هذا الوجه ان العلم نور والجهل ظلمة والروح كاللوح والعلوم والمعارف كالنقوش
ولكن حالها بالضد من النقوش الجسمانية تكدر اللوح وتوارد النقوش المعنوية وتكاثرها يزيد لوح الروح لمعانا واشراقا حتى انه يقوى بها
على تحصيل المعارف الباقية بسهولة فليس فهم الرجل المنتهي للعلوم والحقائق كفهم المبتدي فالانسان اذا امن بالله فقد اشرق روحه
بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت له ملكة التوجه الى الاخرة والاعراض عن الدنيا ولا يزال تتزايد اشراقات هذه الاعمال
والملكات فيرتقي في معارجها لحظة فلحظة ولما كان لا نهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلا نهاية لمراتب هذه الهداية وفي
قوله يهديهم ربهم بايمانهم دليل لمن قال ان العلم بالمقدمتين لا يوجب العلم بالنتيجة ولكنهما تعدان الذهن لحصول الفيض من الجواد المطلق
ومعنى تجري من تحتهم الانهار انهم يكونون في البساتين على مواضع مرتفعة كالسرر والارائك والانهار تجري من بين ايديهم دعواهم
فيها قال بعض المفسرين اي دعاؤهم ونداؤهم كما يدعو القانت بقوله اللهم اياك نعبد وقيل الدعاء العبادة كقوله واعتزلكم وما تدعون
من دون الله وانما يكون هذه عبادتهم لا على سبيل التكليف بل على سبيل الالهام والعادة لابتهاجهم بذكر الله وقيل الادعاء بمعنى التمني
والمعنى ان اهل الجنة يدعون في الدنيا والاخرة تنزيه الله من المعايب والاقرار له بالالهية قال القفال اصله من الدعاء لان الخصم يدعو
خصمه الى من يحكم بينهما وقيل اي طريقتهم وسيرتهم وذلك لان المدعي للشيء مواظب عليه فيمكن ان يجعل الدعوى كناية عن الملازمة و
ان لم يكن في قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى وقيل ان تمنيهم كقوله لهم ما يدعون اي ما يتمنونه ويقول العرب ادع علي ما شئت
اي تمن فكان تمنيهم في الجنة ليس الا تسبيح الله وتقديسه لقد كانوا في الدنيا يدعون في الحروب من يسكنون اليه ويستنصرونه فيقولون

فان تزاحم النقوش الجسمانية م

يا الله فلان فاخبر الله تعالى عنهم انهم في الجنة يذكرون الله سكونهم بتحميده وتحيتهم فيها سلام اى يحيى بعضهم بعضا بالسلام وقيل هى تحية الله والملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وآخر دعويهم ان الحمد لله اى ان المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان قال اهل الظاهر من المفسرين في سبب تخصيص هذه الاذكار باهل الجنة ان قوله وقوله سبحانك اللهم علم بين اهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك منهم ثم الحمد لله رب العالمين قال القاشانى انه وعد المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل اهل الجنة الجنة ووجدوا تلك المواعيد قالوا سبحانك اللهم اى ننزهك عن الخلف في الوعد وقيل الهم الله بنى آدم في الجنة بعد انقراض الدنيا ما افتخر به الملائكة قبلهم في قولهم ونحن نسبح بحمدك ويمكن ان يقال ان لكل انسان معراجا بحسب قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله تعالى قال سبحانك واذا ارتقى منها الى الذات قال اللهم فاذا عجز عن ذلك المقدار واحترق في اوايل تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فافاض الخير على جميع المحتاجين ويدفع المخاوف والمكاره عنهم بكل ما امكنه وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهدوا آثار نعمة الله عليهم بالاستفاضة والافاضة اختتموا الكلام بقولهم الحمد لله رب العالمين على هدايته ودوامهم في العروج والنزول ما داموا في الدنيا فيكون كذلك حالهم في العقبى لقوله كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون التأويلات وفيه اشارتان احديهما من الحق للخلق الى حبيبه محمد عليه السلام كانه قال بآلائى عليك في الازل وانت في العدم وبلطفى عليك في الوجود وبرحمتى وهدايتى لك من الازل الى الابد الثانية من الحق لنبيه عليه السلام يقول بانسك معى حين خلقتك وحدك ولم يكن ثالث وبلبيك الذى اجبتنى به حين دعوتك للخروج من العدم فقلت ياسين اى يا سيد فقلت لبيك وسعديك والخير كله بيديك ومرجوعك منك الى حين قلت لنفسك بجذبة ارجعى الى ربك تلك اى هذه الآيات المنزلة عليك آيات الكتاب الحكيم الذى وعدتك في الازل وانزلته لك ولامتك والحاكم على الكتب كلها فلا ينسخه كتاب وهو ينسخ الشرائع والاحكام والكتب كلها الى رجل منهم لما راى فيه من وجوه قبول الوحى دون غيره ويحتمل ان يكون معنى للناس عهد الله قدم صدق محمد لانه اول من خرج من العدم الى الوجود وهو العناية الازلية سبقت رحمتى غضبى لساحر مبين صدقوا في انهم مسحورون الا انه سحرهم سحرة صفات فرعون النفس ان ربكم هو الذى خلق السموات سموات ارواحكم وارض نفوسكم من ستة انواع هى الروح والقلب والعقل والنفس الحيوانى والنفس النباتى والصورة الجسدانية ثم استوى على عرش القلب يدبر امر السعادة والشقاوة يقلبه كيف يشاء اليه مرجعكم جميعا فرجعوا مقبولين بجذبات العناية التى صورتها خطاب ارجعى الى ربك وحقيقتها الجذبة الالهية ونتيجتها عزوف النفس عن الدنيا واستواء الذهب والمدر عندها ورجوع المردودين بغير الاختيار بالسلاسل والاغلال ومن نتايجه تعلقات الدنيا واستيلاء صفات النفس بالقسط اى لكل بحسب كماله ونقصانه جعل شمس الروح ضياء يستنير بها قمر القلب اذا وقع في مواجهتها واذا وقع في مقابلة ارض النفس نكسف ولهذا سمى قلبا لتقلب احواله بين الروح والنفس وتلك الاحوال هى منازله ومقاماته لتعلموا عدد سنين المقامات وحساب الكشوف والمشاهدات ان في اختلاف ليل صفات البشرية ونهار صفات الروحانية وما خلق الله في سموات الروحانية وارض البشرية من الاوصاف والاخلاق وتبدل الاحوال لآيات دالة على التوحيد لقوم يتقون الاخلاق الذميمة والذين هم عن آياتنا غافلون وان لم يركنوا الى الدنيا وتمتعاتها كالرهابين والبراهمة وبعض الفلاسفة والله تعالى اعلم

وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

واگر تعجيل كند خدا از براى مردمان شر را تعجيل ايشان بخير هرآينه رانده شده بود بسوى ايشان اجل ايشان پس واميگذاريم آنانرا كه اميد ندارند لقاى ما را در زياده روى ايشان كه حيران ميشوند

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

و چون مس كند انسانرا ضرر بخواند مارا خوابيده بر پهلو يا نشسته يا ايستاده پس چون دفع كرديم از او ضررش را ميگذرد گويا كه نخوانده ما را بسوى ضررى كه مس كرده او را همچنين آراسته شد از براى مسرفان آنچه بودند ميكردند

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ

وبتحقيق هلاك كرديم اهل زمانها را از پيش شما چون ستم كردند و آمد ايشانرا رسولان ايشان با معجزات و نه بودند كه ايمان آورند همچنين جزا ميدهيم گروه گناهكارانرا

ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ

پس گردانيديم شما را جانشينان در زمين از بعد ايشان تا ببينيم چگونه ميكنيد

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

و چون خوانده شود بر ايشان آيتهاى ما روشنها ميگويند آنانكه اميد نميدارند ملاقات ما را بيار قرآنى جز اين يا بدل كن آنرا بگو نسزد مرا كه بدل كنم آنرا از پيش خود پيروى نميكنم مگر آنچه وحى كرده ميشود بسوى من بدرستيكه من ميترسم اگر نافرمانى كنم پروردگار خود را از عذاب روز بزرگ

قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

بگو اگر ميخواست خدا نميخواندم آنرا بر شما و نه اعلام كرده بود شما را بآن پس درنگ كردم در ميان شما عمرى پيش از آن آيا پس نمى يابيد بعقل

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ

پس كيست ستمكارتر از آنكه بربست بر خدا دروغ را يا تكذيب كرد آيتهاى او را بدرستيكه رستگار نميشوند گنهكاران

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ

و ميپرستند از غير خدا آنچه ضرر نميرساند ايشانرا و نه نفع ميدهد ايشانرا و ميگويند اينها شفيعان مااند نزد خدا بگو آيا خبر ميدهيد خدا را بآنچه نميداند در آسمانها



وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ

ونه در زمین منزه است او و برتر است از آنچه شریک میدانند ۝ و نبودند مردمان مگر امت واحد پس اختلاف کردند و اگر نبودی کلمه که پیشی یافته از پروردگار تو هر اینه

بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ

میان ایشان در آنچه در آن خلاف میکردند ۝ و میگویند چرا فرستاده نشد بر او آیتی از پروردگار او پس بگو جز این نیست که غیب مر خدای راست پس منتظر باشید بدرستیکه من با شما از منتظرانم

القراءة لقضي إليهم مبنيا للفاعل أجلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الآخرون مبنيا للمفعول ورفع أجلهم وبدله بضم اللام وسكون الياء روى خلف عن الكسائي والأخبار عنه وعن غيره الإشمام لكن بفتح الياء وكذلك في أخاف أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ونفسي إن بفتح الياء وأبو عمرو وأبو جعفر ونافع لا أدريكم بلام الابتداء فعلا ماضيا مثبتا روى أبو ربيعة عن البزي وقنبل وحمزة وعلي وأبو عمرو وخلف وورش من طريق النجاري والخزاز عن هبيرة وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيى طريق أبي حمدون بالإمالة فعلا ماضيا منفيا بلا الباقون مثله ولكن بالتفخيم تشركون بتاء الخطاب كذلك في النحل والروم حمزة وعلي وخلف الباقون بالياء الوقوف أجلهم لا لأن ما بعده مستقبل إلى نحن نذر يعمهون ه وقائما ط مستمر يعملون ه ظلموا لا ط لأن الواو للحال ليؤمنوا ط المجرمين ه يعملون ه بينات لا لأن ما بعده جواب إذا أو بدله ط نفسي ج ط لأن إن النافية لها صدر الكلام ولكن القائل متحد إلى ط ج كمثل ما قلنا عظيم ط به قبل الوصل أولى للفاء ولشدة اتصال المعنى من قبله ط تعقلون ه بآياته ط المجرمون ه عند الله ط في الأرض ط يشركون ه فاختلفوا ط يختلفون ه من ربه ج لا ابتداء مع الفاء فانتظروا ج لاحتمال الابتداء أو التعليل المنتظرين ه التفسير إنه سبحانه ابتدأ في هذه السورة بذكر الشبهات القوم فالأولى أنهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة فأزال ذلك التعجب بالإنكار وبالدلائل الدالة على صحة المبدأ والمعاد فكأنه قيل إنه ما جاء إلا بدليل التوحيد والإقرار بالمعاد فليس للتعجب معنى ثم شرع في شبهة أخرى وهي أنهم كانوا يقولون أبدا اللهم إن كان محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فأجابهم بقوله ولو يعجل الله الآية وقال القاضي لما ذكر الوعيد على عدم الإيمان بالمبدأ والمعاد ذكر أن ذلك العذاب من حقه أن يتأخر عن هذه الحيوة الدنيا وإلا نافى التكليف قال القفال لما وصفهم فيما مر بالغفلة أكد ذلك بأن من غاية غفلتهم أن الرسول متى أنذرهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى أنه لا مصلحة في تعجيل إيصال الشر إليهم فلعلهم يؤمنون أو يخرج من أصلابهم من يؤمن كانوا عند نزول الشدائد يدعون الله بكشفها كما يجيء في الآية التالية وفي الرخاء كانوا يستعجلون النبي بالعذاب فقال ما معناه ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما يعجل لهم الخير ويجيبهم إليه لأميتوا وأهلكوا قال في الكشاف أصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعارا بسرعة إجابته لهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل منه لهم وقيل التعجيل معناه طلب العجلة إلا أن الاستعجال أشهر وأظهر فمعنى الآية لو أراد الله عجل الشر للناس كما أرادوا عجلة الخير لهم وقيل هما متلازمان فكل معجل يلزمه الاستعجال إلا أنه تعالى وصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها لأن اللائق به التكوين واللائق بهم الطلب وسمى العذاب في الآية شرا لأنه أذى وألم في حق المعاقب به ثم إن قوله ولو يعجل كان متضمنا معنى نفي التعجيل فيمكن أن يكون قوله فنذرهم معطوفا على منوي كأنه قيل ولكن لا يعجل فنذرهم إلزاما للحجة أو لمصالح أخرى ثم بين أنهم كاذبون في استعجال الشر ولو أصابهم ما طلبوه أظهروا العجز والطيش فقال وإذا مس الإنسان الضر أي هذا الجنس دعانا لجنبه اللام في معنى الوقت كقولك جئته لشهر كذا وإن شئت قلت في موضع الحال لأن الظرف والحال متناسبان فيصح عطف أحدهما على الآخر وتأويل أحدهما بالآخر دعانا مضطجعا أو قاعدا أو قائما أو وقت اضطجاعه وقعوده وقيامه والمراد أنه يدعو الله في جميع أحواله لا يفتر عن الدعاء ثم إن خص الضر بالمرض احتمل أن يراد أنه يدعو الله حين كان مضطجعا غير قادر على القعود أو قاعدا غير قادر على القيام أو قائما لا يطيق المشي والمضطر إلى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها أو يراد أن من المضرورين من هو أسوأ حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضراء قال بعض المفسرين الإنسان ههنا هو الكافر ومنهم من بالغ فقال كل موضع في القرآن ورد فيه ذكر الإنسان فالمراد به الكافر وهذا شبه تحكم لورود مثل قوله تعالى هل أتى على الإنسان إلا أن يساعده نقل صحيح والأصح عند العلماء العموم لأن الإنسان خلق ضعيفا لا يصبر على اللأواء ولا يشكر عند النعماء إلا من عصمه الله وقليل ما هم وهم الذين نظرهم في جميع الأحوال على المقدر المؤجل للأمور بحسب إرادته ومشيئته فلا جرم إن أصابتهم السراء شكروا وإن أصابتهم الضراء صبروا فأفنوا إرادتهم في إرادته ورضوا بقضائه قال الزجاج في الآية تقديم وتأخير والتقدير وإذا مس الإنسان الضر لجنبه أو قاعدا أو قائما دعانا وضعف بأن تعديد أحوال الدعاء أبلغ من تعديد أحوال الضر لأنه إذا كان داعيا على الدوام ثم نسي ذلك في وقت الرخاء كان أعجب ومعنى مر مضى على طريقته التي كان عليها قبل مس الضر ومر عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع إليه معنى كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخففت وحذف ضمير الشأن كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من تتبع الشهوات والمزين هو الله تعالى أو النفس أو الشيطان تفرع على مسئلة الجبر والقدر وقد مر مرارا قال العلماء سمي الكافر مسرفا لأنه أتلف في الدنيا من الاستعداد الشريف من النفس الإنسانية والأموال النفيسة في الأمور الخسيسة الزائلة من الأصنام التي هي أحقر من كل شيء

وعن النبي

ومن الشهوات الفانية التي لا اصل لها ولا دوام والمسرف في اللغة هو الذي ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ما قلنا ثم ذكر ما يجري
مجرى الردع والزجر لهم عن البقاء الشبهة والاغاليط فقال ولقد اهلكنا القرون وقد مضى تفسير القرن في اول الانعام ولما ظرف لاهلكنا والواو
في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالدلائل والحجج على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا اما ان يكون
عطفا على ظلموا او يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي وان الله قد علم منهم انهم يصرون على الكفر والسبب في هلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله
باصرارهم كذلك اي مثل ذلك الجزاء وهو الاستيصال الكلي نجزي كل مجرم وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم رسول الله صلعم ثم خاطب
الذين بعث اليهم رسول الله صلعم بقوله ثم جعلناكم خلائف اي استخلفناكم في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون خيرا او شرا استعير
النظر للعلم الحقيقي الذي لا يتطرق اليه شك يعني به العلم الذي يتعلق به الجزاء كما مر في الاعراف قال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا
لينظر الى اعمالنا فاروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار ثم حكى نوعا ثالثا من شبهاتهم فقال واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا اي لا يؤمنون بالمعاد لان كل من كان مؤمنا بالمعاد فانه يرجو ثواب الله ويخاف عقابه وانتفاء اللازم دليل انتفاء الملزوم طلبوا
من الرسول احد امرين اما الاتيان بقران غير هذا القران مع بقاء هذا القران على حاله واما تبديل هذا القران بنسخ بعض الايات ووضع
اخرى مكانها فامره الله تعالى ان يقول في جوابهم ما يكون لي اي ما ينبغي وما يحل ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي فنفى عن نفسه احد القسمين
الذي هو اسهل واقل ليلزم منه نفي الاصعب الاكثر بالطريق الاولى ثم اكد الجواب بقوله ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما اتبع الا ما يوحى الي ان نسخت اية تبعت
النسخ وان بدلت اية مكان اية تبعت التبديل وقد تمسك بهذا نفاة القياس ونفاة جواز الاجتهاد واجيب بان رجوعهما ايضا الى الوحي ونقل
عن ابن عباس ان قوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم منسوخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وضعف
بان النسخ انما يكون في الاحكام والتعبدات لا في ترتيب العقاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل ان يكون على سبيل السخرية
فقد روي عن مقاتل والكلبي انهم خمسة نفر من مشركي مكة وهم المستهزءون في قوله انا كفيناك المستهزئين ويحتمل ان يكون على سبيل التجربة والامتحان
حتى انه ان فعل ذلك علموا انه كاذب وارادوا ان هذا القران مشتمل على ذم الهتهم فطلبوا قرانا اخر لا يكون كذلك ثم اكد كون هذا القران من
عند الله سبحانه وانه غير مستند الى ارادته فقال لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم الله به على لساني ومن قرا بلام الابتداء
فمعناه ما تلوته انا عليكم ولاخبركم الله به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فرآني اهلا لذلك دون غيري وقرئ ولا ادرأتكم به بالهمزة
ووجهه ان يكون الهمزة مقلوبة من الالف ويكون من الدرء الدفع ومعنى ثم جعلته داريا اي لو اجعلكم بتلاوته خصماء تدرءونني بالجدال
وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا اي بعضا معتبرا من العمر وهو اربعون سنة من قبله افلا تعقلون فيه قدح في صحة عقولهم لان ظهور مثل
هذا الكتاب العظيم المشتمل على علوم الاولين والآخرين المعجز للثقلين عن معارضته على من عرفوا حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء
لا شك فيه انه من قبيل الوحي والمدد السماوي كان ذلك انكارا للضروريات وافتراء على الله فلهذا قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
الاية وفيه ان هذا القران لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول الى الله لم يكن احد اظلم منه ثم قبح الله اصنامهم معارضة لهم بنقيض مقصودهم
من الالتماس فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان لم يعبدوه ولا ينفعهم ان عبدوه ومن حق المعبود ان يكون مثيبا معاقبا وفيه
اشعار بانها جماد والمعبود لا بد ان يكون اكمل من العابد واذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا يليق العبادة الا به ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله قد ذكرنا وجه ذلك في اوايل سورة البقرة في قوله ولا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ثم انكر عليهم معتقدهم بقوله قل اتنبئون الله
بما لا يعلم والمراد انه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات المحيط بجميع المعلومات وهذا مجاز مشهور
يقول ما علم الله ذلك مني والمقصود انه ما وجد منك ذلك قط وفي قوله في السموات ولا في الارض تاكيد اخر لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو
منتف معدوم قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اما ان يكون من تمام ما امر النبي صلعم ان يقول لهم او ابتداء كلام من الله تعالى تنزيها
لنفسه عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركون هم به ثم بين ان عبادة الاصنام بدعة وان الناس يعني العرب او البشر كلهم كانوا على
على الدين الحق فاختلفوا وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة في قوله كان الناس امة واحدة والمقصود ههنا تقبيح صورة الشرك و
عبادة الاصنام من دون الله في اعينهم وتنفير طباعهم عن مثل هذا الامر المستحدث الفظيع ولولا كلمة سبقت من ربك من بناء امر الثواب
والعقاب على التكليف لا على الالجاء والقسر ومن تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة او من قوله سبقت رحمتي غضبي لقضي بينهم عاجلا وليميز المحق
من المبطل ثم ذكر نوعا رابعا من اغاليطهم فقال ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه وقد مر تفسيره في الانعام في قوله لولا نزل عليه اية
من ربه كانهم لم يعتدوا بالقران اية فاقترحوا غيره تعنتا فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فانتظروا نزول ما اقترحتموه هذا امر فيه تهديد
ووعيد والله ورسوله اعلم واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في اياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا
يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها



رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

بادی سخت وبیاید ایشان را موج از هر جا ودانند که ایشان احاطه کرده شد بایشان خوانند خدا را خالص گردانندگان برای او دین را اگر نجات دهی ما را ازین هر آینه باشیم از شکرگذاران

فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ

چون نجات داد ایشان را ناگاه ایشان ستم میکنند در زمین بغیر حق ای مردمان نیست ستم شما مگر بر خودهاتان در مایه تعیش دنیا پس بسوی ماست بازگشت شما پس آگاه گردانیم شما را

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ

بآنچه میکردید جز این نیست مثل زندگانی دنیا بچون آبیست که فرو فرستادیم آنرا از آسمان پس آمیخت بان رستنی زمین از آنچه میخورند مردمان و چهارپایان

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا

تا چون گرفت زمین پیرایش را و زینت یافت و گمان بردند اهلش که ایشان قدرت دارندگانند بر آنها آمد آنرا امر ما شبی یا روزی پس گردانیدیم او را کرده شده

كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ

گویا که نبود در زمان پیش همچنین تفصیل میدهیم آیتها را از برای قومی که اندیشه میکنند وخدا میخواند بسوی سرای سلامت وراه مینماید کسی را که بخواهد بسوی راه راست

مُسْتَقِيمٍ ۞ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ وَ

راست از برای آنها که نیکی کردند بهشت و زیادتی و نپوشد رویهاشان را گرد و نه خواری آنها اهل بهشتند در آن جاودانهاشند و

الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ

آنانکه کسب کردند بدیها را جزای بدی بمثل آنست و درپوشد ایشان را خواری نباشد ایشان را از خدا هیچ نگهدارنده گویا پوشانیده شد رویهاشان پارهٔ از شب

مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا

تیره آن گروه اهل آتشند ایشان در آن جاودانیان و روزیکه حشر کنیم همه ایشان را پس گوییم برای آنانکه شرک آوردند بجای خود باشید شما و انبازان شما پس جدا کنیم

بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۞ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ۞ هُنَالِكَ

میان ایشان و گفت انبازان ایشان که نبودید ما را میپرستیدند پس کافیست خدا گواه میان ما و شما که بودیم از پرستیدن شما هر آینه بیخبران آنجا

تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ القراءة يمكرون بياء الغيبة سهل

بیازماید هر نفس آنچه پیش فرستاده و بازگردانیده شوند بسوی خدا که خداوند ایشان است بحق و گم شد از ایشان آنچه افترا میکردند ودوح الباقون بالتاء الفوقانية

ينشركم بالنون ابن عامر ويزيد الباقون يسيركم من التسيير متاع بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع قطعا بسكون الطاء ابن كثير

وعلي وسهل ويعقوب الاخرون بفتحها تتلوا بتائين من التلاوة حمزة وعلي وخلف وروح وروى عن عاصم نبلو بالنون ثم

الباء الموحدة كل نفس بالنصب الباقون بتاء التانيث كل بالرفع الوقوف اياتنا ط مكرا ط تمكرون ه والبحر ج في الفلك ج ط للعدة

مع ان جواب اذا منتظر احيط بهم ط لان قوله دعوا بدل من ظنوا لان دعاؤهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو متلبس به وان جعل
جوابا
دعوا عن سؤال سائل فما صنعوا كان الوقف على الدين ج لاحتمال اضمار القول وجعل الدعاء في معنى القول الشاكرين بغير
الحق ط على انفسكم ط الا لمن جعله متعلقا ببغيكم تعملون ه والانعام ط عليها ج لان ما بعده جواب اذا بالامس ط يتفكرون ه السلام
مستقيم ه وزيادة ط ولا ذلة ط الجنة ج ط خالدون ه بمثلها ط لا لان قوله وترهقهم معطوف على محذوف اي يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم
ذلة عاصم ج ط لان الكاف لا تتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنى لان رهق الذلة سواد الوجه المعبر عنه بقوله كانما مظلما ط
اصحاب النار ج ط خالدون ه شركاؤهم ج ط للعدول مع فاء التعقيب تعبدون ه لغافلين ه يفترون ه نصف الجزء التفسير لما بين في
الاية المتقدمة انهم يطلبون الايات الزائدة عنادا ومكرا ولجاجا اكد ذلك بقوله واذا اذقنا روي انه سبحانه سلط القحط على اهل
مكة سبع سنين ثم رحمهم وانزل الامطار النافعة ثم انهم اضافوا تلك المنافع الى الاصنام وقيل نسبوها الى الانواء فقابلوا نعم الله
بالكفران فذلك مكرهم وهو احتيالهم في دفع ايات الله بكل ما يقدرون عليه من القاء شبهة او تخليط في المناظرة وفي تخصيص الاذاقة
بجانب الرحمة دليل على ان كثيرا من الرحمة قليل بالنسبة الى رحمته الواسعة وفيه ان الانسان لغاية ضعفه الفطري لا يطيق ادنى الرحمة كانه
لا يطيق ادنى الالم الذي يمسه قال في الكشاف معنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم وهذا ايضا من جملة الضعف انه نسي ما عهد
من الضر الشديد اذا الثانية للمفاجاة وقع مقام الفاء في جواب الشرط كما مر في قوله اذا هم يقنطون وفائدتها ان يعلم انهم فاجاوا وقوع
المكر منهم في وقت الاذاقة وسارعوا اليه لم يلبثوا قدر ما ينفضوا من رؤسهم غبار الضر ولهذا قال سبحانه قل الله اسرع مكرا
يقدر على ايصال الجزاء مكرهم اليهم قبل ان يرتد اليهم طرفهم ولكنه يمهلهم لاجل معلوم ليتضاعف خبثهم مع كونه محفوظا بانه قوله ان
رسلنا يكتبون ما تمكرون وقد مر تحقيق هذا في تفسير قوله ويرسل عليكم حفظة واعلم ان مضمون هذه الاية قريب من مضمون
قوله واذا مس الانسان الضر الا ان هذه زائدة عليها بدقيقة هي انهم بعد الاعراض عن الدعاء يطلبون الغوائل ويقابلون الرحمة بالمكر

وللحذر عنه



والحذيفة ولا يرفعون راسا براس ثم ضرب لاجل وصفهم به مثلا حتى ينكشف المقصود تمام الانكشاف فقال هو الذي يسيركم ومن قراه
ينشركم فكقوله فانتشروا في الارض قال بعض العلماء المسير في البحر هو الله سبحانه وتعالى واما في البر فالمراد من التسيير التمكين والاقدار والحق
ان جميع الافعال والحركات مستندة الى احداث الله تعالى غاية ذلك ان اثار اقداره واحداثه في البحر اظهر كما مر في تفسير قوله والفلك التي
تجري في البحر قال القفال هو الله الهادي لكم الى السير في البحر طلبا للمعاش وهو المسير لكم لاجل انه هيا لكم اسباب ذلك السير حتى في انتهاء الغاية
والغاية مضمون الجملة الشرطية بكمالها فالقيود المعتبرة في الشرط ثلثة اولها الكون في الفلك وثانيها جري الفلك بهم بالريح الطيبة
والتفنن في جرين للفلك على انها جمع كما مر وثالثها فرحهم بها والقيود المعتبرة في الجزاء ثلثة ايضا اولها جاءتها اي الفلك والريح الطيبة تلقتها
ريح عاصف اي ذات عصوف كلابن لذات اللبن ولان لفظ الريح مذكر والعصوف شدة هبوب الريح وثانيها وجاءهم الموج من كل مكان
اي من جميع جوانب احيان الفلك والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر وثالثها وظنوا انهم احيط بهم اي غلب على ظنونهم الهلاك واصله ان العدو
اذا احاط بقوم او بلد فقد سدوا من المنافذ فجعل احاطة العدو بالشخص مثلا في الهلاك وقرئ في الفلكي الاية قال في الكشاف وانما التفت في
قوله وجرين بهم الى الخبر من الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح قال الامام فخر
الدين الرازي الانتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبة في هذه الاية دليل المقت والتبعيد كما ان عكس ذلك في قوله اياك نعبد دليل الرضا
والتقريب قلت هذا وجه حسن اما قوله دعوا الله مخلصين فقد قال ابن عباس تركوا الشرك ولم يشركوا به من الهتهم شيئا واقروا لله بالربوبية
والوحدانية وقال الحسن ليس هذا اخلاص الايمان لكن لاجل العلم بانه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطراري
وقال ابن زيد هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا جاء الضر الا لم يدعوا الا الله وعن ابي عبيدة ان المراد من ذلك الدعاء
قولهم اهيا شراهيا تفسيره يا حي يا قيوم يحكى ان رجلا قال لجعفر الصادق ع ما الدليل على اثبات الصانع فقال اخبرني عن حرفتك فقال
التجارة في البحر قال صف لي كيف حالك فقال ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح من الواحها وجاءت الرياح العاصفة فقال
جعفر الصادق ع هل وجدت في قلبك تضرعا ودعاء فقال نعم قال جعفر فالهك هو الذي تضرعت اليه في ذلك الوقت لئن انجيتنا من هذه انشده
كما مر في الانعام يبغون في الارض بغير الحق البغي قصد الاستعلاء بالظلم من قولك بغى الجرح اذا ترقى الى الفساد واصله الطلب فلهذا
اكد المعنى بقوله بغير الحق قال في الكشاف انما زاد هذا القيد احترازا من استيلاء المسلمين على ارض الكفرة بهدم دورهم واحراق زروعهم كما
فعل رسول الله ص ببني قريظة قلت ويحتمل ان يراد بغير شبهة حق عندهم كقوله يقتلون النبيين بغير الحق من قرا متاع بالنصب فما
قبله جملة تامة اي انما بغيكم وبال على انفسكم وهو مصدر مؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ومن قرا بالرفع فاما على ان المقدر
هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام او على انه خبر وقوله على انفسكم صلة اي انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم بغي بعضكم على
بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها والبغي من منكرات المعاصي قال ص اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة
وروي اثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم
على انفسكم اي لا يتهيا لكم بغي بعضكم على بعض الا اياما قلائل هي مدة حيوتكم مع قصرها وسرعة انقضائها ثم الينا وعدنا من المجازاة
مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون وهو في هذا الموضع وعيد بالعقاب كقول الرجل في معرض التهديد ساخبرك بما فعلت ثم ذكر مثلا
لمن يبغي في الارض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها فقال انما مثل الحيوة الدنيا اي صفتها العجيبة الشان كماء انزلناه من السماء فاختلط
به اي اشتبك بسبب هذا الماء نبات الارض فيحتمل ان يراد ان نباته ثم وصوله الى حد الكمال كليهما بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان نباته الى
حد الكمال كليهما بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان النبات كان في اول بروزه ومبدا حدوثه غير مهتز ولا مترعرع فاذا نزل المطر عليه اهتز وربى
حتى اختلط بعض الانواع ببعض وتكاثف حتى اذا اخذت الارض زخرفها قال الجوهري الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور وازينت
اصله تزينت فادغم واجتلبت لذلك همزة الوصل وهذا كلام في نهاية الفصاحة وفيه تشبيه الارض بالعروس التي تاخذ الثياب الفاخرة
من كل لون فتلبسها ثم تتزين بجميع الاقسام المعهودة لها من حمرة وبياض ونحوها وظن اهلها اي غلب على ظنونهم او تيقنوا انهم
قادرون عليها متمكنون من تحصيل ريعها اتيها امرنا باهلاكها واستيصالها وضربها ببعض العاهات ليلا او نهارا اي حين غفلتهم
بالنوم او حين اشتغالهم وتقلبهم في طلب معايشهم فجعلناها اي زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن
اي كان الشان لم يلبث زرعها بالامس اي في زمان قريب يقال غني بالمكان بالكسر يغنى بالفتح اذا اقام به والامس مثل في الوقت القريب هذا
والصحيح عند علماء البيان ان هذا التشبيه من التشبيه المركب قال في الكشاف شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بحال
نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه وقيل المراد ان عاقبة هذه الحيوة التي
ينفقها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات التي حين عظم الرجاء به وقع الياس منه لان الغالب ان المتمسك بالدنيا اذا اطمان بها
عظمت رغبته فيها وانتظم امره بعض الانتظام اتاه الموت وتلخيصه انه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة محمودة فكذلك المغتر بالدنيا المحب لها لا يحصل



عاقبة محمودة ويحتمل ان يكون هذا مثلا لمن لا يؤمن بالمعاد فان الارض المزينة اذا زال حسنها فانه يعود رونقها مرة اخرى فكذا النشور كذلك نفصل
الآيات نذكر واحدة منها بعد الاخرى لتكون كثرتها وتواليها سببا لقوة اليقين موجبا لزوال الشك لقوم يتفكرون في احوال الآفاق و
الانفس ثم لما نفر المكلفين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة بقوله والله يدعوا الى دار السلام ومثله ما روي عن النبي ص
انه قال سيد بنى دارا ووضع مائدة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل ورضي عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم ياكل ولم يرض عنه
السيد فالله السيد والدار دار السلام والمائدة الجنة والداعي محمد ص وعنه ص ما من يوم طلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان بحيث يسمع
كل الخلائق الا الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم والله يدعوا الى دار السلام واتفقوا على ان دار السلام هو الجنة واختلفوا في سبب التسمية
فقيل لان السلام هو الله والجنة داره فالاضافة للتشريف وانما اطلق اسم السلام عليه تعالى لانه سلم من الفناء والتغير ومن جميع سمات النقص
والحدوث من الظلم والعجز والجهل وهو القادر على تخليص المضطرين عن المكاره والآفات فكفى بدار اضافها الله الى نفسه فضلا وشرفا و
بهجة وسرورا وقيل سميت دار السلام لان من دخلها سلم من الآفات والمخافات وقيل لفشو السلام بينهم تحيتهم فيها سلام والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم واعلم ان الدعوة عامة ولكن الهداية خاصة فلذلك قال ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم ومن هنا ذهب اهل السنة الى ان الهداية والضلالة والخير والشر كلها بمشيئة الله تعالى وارادته وقالت المعتزلة المراد ويهدي من يشاء
اجابة تلك الدعوة ويعنون ان من اجاب الدعاء واطاع واتقى فان الله يهديه اليها والمراد من الهداية الالطاف ثم قسم اهل الدعوة الى قسمين
وبين حال كل طائفة فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولابد من تفسير هذه الالفاظ الثلاثة فعن ابن عباس احسنوا اي ذكروا كلمة لا اله
الا الله وذهب غيره الى ان المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا تليق الا بهم واما الحسنى فقال في الكشاف المراد
المثوبة الحسنى قال ابن الانباري العرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها ولذلك ترك موصوفها واما الزيادة
فحملها اهل السنة على رؤية الله لان اللام في الحسنى للعهد وبين المسلمين من المنافع التي اعدها الله تعالى لعباده فالزيادة عليها تكون مغايرة لها
فما هي الا الرؤية وقالت المعتزلة الزيادة يجب ان يكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد
بها ما يزيد على المثوبة من التفضل كقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وزيف بان الزيادة اذا كان المزيد عليه مقدرا بمقدار معين
وجب ان يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره اعطيتك عشرة امنان من الحنطة وزيادة اما اذا كان غير مقدر كما لو قال اعطيتك الحنطة
وزيادة لم يجب ان يكون الزيادة من جنس المزيد عليه المذكورة في الآية لفظة الحسنى وهي الجنة وانها مطلقة فالزيادة عليها شيء مغاير لكل
ما في الجنة وعن علي ع الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد مغفرة
من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة هي ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم هذا شان
المنافع الحاصلة لهم واما انها منافع خالصة عن الكدورات فافاد ذلك بقوله ولا يرهق اي لا يغشى وجوههم قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا
اثر هوان وكسوف بال ثم اشار الى كون تلك المنافع الخالصة امنة من الانقطاع بقوله اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وهذا معنى قول
علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم ثم بين حال الفريق الآخر بقوله والذين اي وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها اي جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها ومن جوز العطف على عاملين مختلفين جوز ان يكون التقدير
وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل على ان المراد بالزيادة في الآية المتقدمة التفضل لانه دل بترك الزيادة
على السيئة على عدله فناسب ان يكون قد دل هناك باثبات الزيادة على المثوبة على فضله ويرهقهم ذلة لانهم حين ماتوا ناقصين خالين
عن الملكات الحميدة كان شعورهم بذلك سببا لذلهم وهوانهم على انفسهم وهذا على قاعدة حكماء الاسلام ان الجهل سواد وظلمة كما ان
العلم والمعرفة بياض ونور ومنه قول الشبلي رح كل بيت انت ساكنه غير محتاج الى السرج ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من عذابه وسخطه
او ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق انه لا عاصم من الله لاحد في الدنيا ولا في الآخرة الا باذن الله الا ان هذا المعنى
في الآخرة اظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم بالغ في الكشف عن سواد وجوههم فقال كانما اغشيت اي البست وجوههم قطعا
من الليل من قرأ بسكون الطاء فمعناه البعض والطائفة ومظلما صفته ومن قرأ بفتحها على انه جمع قطعة فمظلما حال من الليل والعامل
فيه ما معنى الفعل في من الليل او اغشيت لان قوله من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاء العامل الى الموصوف كافضائه الى الصفة قاله
في الكشاف واعلم ان جمعا من العلماء ذهبوا الى ان المراد بقوله والذين كسبوا السيئات هو الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر
بدليل قوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة
ولقوله بعدها ويوم نحشرهم والضمير عائد الى هؤلاء ثم انه وصفهم بالشرك وقال الآخرون اللفظ عام يتناول الكافر والفاسق الا ان الآيات
المذكورة مخصصة ثم شرح بعض احوال المشركين في القيمة فقال ويوم نحشرهم منصوب باضمار اذكر او ظرف متعلق بتبلوا اي في يوم كذا
تبلوا كل نفس وحاصل الكلام انه يحشر العابد والمعبود ليسئلوا فيتبرأ المعبود من العابد بخلاف ما كانوا يزعمون من قولهم هؤلاء شفعاؤنا

عند الله وفيه اشارة الى ان الممكن لا نسبة له الى الواجب الحق فاذا اتخذ الممكن معبودا برئ من ذلك في مقام لا ينفع الا الصدق قال في الكشاف مكانكم اى الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما نفعل بكم وعند ابى على هو اسم من اسماء الافعال وحركته حركة بناء وهو كلمة وعيد عند العرب ثم انتم تاكيد الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم ثم قطعنا الوصل التى كانت بينهم في الدنيا قيل عين الكلمة واو لانه من زال يزول وانما قلبت ياء لان وزن الكلمة فيعل اى زيولنا مثل بيطرة اصل اعلال سيد قيل هى من زلت الشئ ازيله فعينه على هذا ياء والوزن فعل ونظيره زيلنا قولهم ادى الخطاب للاعراب لان حكم الله ما بينه سيكون كالكائن وقال شركاؤهم في صحة هذه الاضافة وجوه منها انهم جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها انهم متشاركون في الخطاب في قوله مكانكم ومنها انهم اثبتوا هذه الشركة والشركاء قيل هم الملائكة لقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل كل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب مشتمل على التهديد وانه لا يليق بالملائكة المقربين فان قيل كيف ينطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحيوة والعقل والنطق ثم هل يبقيهم او يفنيهم الكل محتمل ولا اعتراض لاحد عليه قيل يخلق فيهم الكلام تهديد بحق العابد بل يكون تهديدا في حق المعبودين قالت المعتزلة لا انه لا ذنب للمعبودين ومن لا ذنب له لم يقبح من الله تهديده وتخويفه قالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل ما قول الشركاء ما كنتم ايانا تعبدون وهم كانوا عبدوهم فالمراد انكم ما عبدتمونا بامرنا وارادتنا فوقولهم فكفى بالله شهيدا الاية ومن اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها ولا شعور وقيل ان ذلك الموقف الدهشة والحيرة فذلك الكذب يجرى مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين وقيل انهم ما اقاموا لاعمال الكفار وزنا فجعلوها كالعدم وقيل المراد بالشياطين حيث امروهم باتخاذ الانداد ومن جوز الكذب في القيمة فلا اشكال وهنالك اى في ذلك المقام وفي ذلك الموقف وفي ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل ومن قرأ بالنون فالمعنى نفعل بها فعل الخابر او نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما اسلفت من الشر ومن قرأ تتلوا ففي معناه تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذى يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر وردوا الى الله موليهم الحق الصادق ربوبيته وضل عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او ما كانوا يختلقون من شفاعة الالهة والحاصل انهم يرجعون عن الباطل ويعترفون بالحق حين لا ينفعهم ذلك التاويل واذا اذقنا الناس رحمة ذوق توبة وانابة وذوق كشف شهود من بعد ضراء وهى الفسوق والاخلاق الذميمة والاوصاف اذا لهم مكر في آياتنا باظهارها ... اهلها بشرب النفس وطلب الجاه والقبول قل الله اسرع مكرا انه يستدرجهم عن تلك المقامات الى دركات البعد من حيث لا يشعرون وهو الذى يسيركم في البر البشرية والبحر الروحانية او في بر العبودية وبحر الربوبية حتى اذا كنتم في تلك جنابات العناية وجرين بهم بهبوب نسيم شهود الجمال وفرحوا بالوصول والوصال جاءتها نكباء تجلى صفات الجلال وجاءهم موج البلايا والمحن من كل مكان النعم البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل فلما انجاهم فيه اشارة الى ارباب الطلب وصلوا بجذبات الحق الى شهود الجمال واستغراق لجج بحر الجلال ستقبلهم عواصف العزة والكبرياء فيستدرجهم الى البغى وهو الطلب في ارض سوى الحق بغير الحق كماء انزلناه من سماء القلب الى ارض البشرية فاختلط به الصفات المولدة من ارض البشرية مما يأكل الناس والانعام من الصفات الحميدة الانسانية والذميمة البهيمية اتيها حكمنا الازلى ليلا او عند استيلاء ظلمات صفات النفس او نهارا عند بقاء ضوء الفيض الروحانى لكن بامتزاج القوة الخيالية والوهمية وقع في ورطة العقائد الباطلة كالبعض الفلاسفة والمبتدعة والله يدعوا الى دار السلام وهى مقام الفناء لان صاحبه يسلم عن آفات الحجب في مقام العلم والمعرفة لان صاحبه يسلم عن آفة الانانية والجهالة ويهدى من يشاء بجذبات العناية الى صراط مستقيم يؤدى الى السير بالله في الله للذين احسنوا الحسنى فالاحسان ان تعبد الله كانك تراه والحسنى هى شواهد الحق والنظر اليه الزيادة الجنة وما فيها من النعيم هى ما زاد على النظر من انشاء الناسوتية في اللاهوتية والله ولى التوفيق

قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع

بگو كيست كه روزى دهد شما را از آسمان و زمين يا كيست كه مالك است گوشها

والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله

و ديدها را وكه بيرون مى آورد زنده را از مرده و بيرون مى آورد مرده را از زنده وكه تدبير ميكند كارها را پس زود باشد كه گويند خدا است پس بگو آيا پس نمى پرهيزيد پس آن خدا

ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون

پروردگار شما است بحق پس چيست بعد از حق مگر گمراهى پس كجا بر گردانيده ميشوند همچنين لازم شد كلمه پروردگار تو بر آنانكه فسق ورزيدند بدرستيكه ايشان نمى گروند

قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من

بگو آيا از شريكان شما كيست كه مى آفريند خلق را پس باز مى آرد او را بگو خدا مى آفريند خلق را پس باز مى آرد او را پس كجا بر گردانيده ميشويد بگو آيا از انبازان شما

يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع

كه هدايت كند بسوى حق بگو خدا راه مينمايد مر حق را آيا پس كسيكه راه مينمايد بسوى حق سزاوارتر است بپيروى كردن يا آنكه هدايت نمى يابد مگر آنكه راه نموده شود پس چيست شما را چگونه حكم ميكنيد

فقط وهذا الخطاب

وضاع عنهم



أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله

بيشتر ايشان مگر گمان را بدرستيكه گمان كفايت نميكند از حق چيزي را بدرستيكه خدا دانا است بآنچه ميكنند ونباشد اين قرآن كه بدروغ بسته شود از غير خدا

ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة

وليكن تصديق آن چيزيست كه پيش اوست وتفصيل آن كتاب نيست شكي در آن از پروردگار جهانيان يا ميگويند بربست بدروغ آنرا بگو پس بياوريد سوره

مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك

مانند آن وبخوانيد هر كه را توانيد از غير خدا اگر هستيد راستگويان بلكه تكذيب كردند آنچه احاطه نكردند بدانش آن وهنوز نيامده است ايشان را تأويلش

كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم

تكذيب كردند آنانكه پيش از ايشان بودند پس بنگر چگونه بود انجام ستمكاران واز ايشان كسيست كه ميگرود بآن واز ايشان كسيست كه نميگرود بآن وپروردگار تو داناتر

بالمفسدين فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون القراءة كلمات ربك

بتبهكاران پس اگر تكذيب كردند ترا پس بگو مر مراست كردار من ومر شما راست كردار شما بيزاريد از آنچه ميكنم ومن بيزارم از آنچه شما ميكنيد وكذلك في آخر السورة

على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر لا يهدي مثل يرمي حمزة وعلي وخلف يهدي بسكون الهاء وتشديد الدال أبو جعفر ونافع غير ورش وعباس أبو عمرو غير عباس بإشمام الفتحة قليلا يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم غير يحيى وجبلة ورويس يهدي بكسرتين والتشديد يحيى يهدي بفتحتين والتشديد ابن كثير وابن عامر وورش وسهل ويعقوب غير رويس الوقوف يدبر الأمر ط الله ج تتقون ج ربكم الحق ج لا مع الفاء إلا الضلال ج تصرفون ط لا يؤمنون ثم يعيده ط الأولى ط تؤفكون إلى الحق ط للحق ط أن يهدى ج ط لما مر فما لكم ص لتوالي الاستفهامين الثاني تحكمون ط إلا ظنا ط شيئا ط يفعلون العالمين افتراه ط صادقين تأويله ط الظالمين لا يؤمن به ط بالمفسدين عملكم ج لأن أنتم مبتدأ والعامل واحد تعملون التفسير لما بين فضائح عبدة الأوثان أكدها بالحجج اللامعة والبراهين القاطعة من أحوال الرزق والخلق والموت والحياة والإبداء والإعادة والإرشاد والهداية وقد بنى الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب إلى المسئول ليكون أبلغ في إلزام الحجة وأوقع في النفوس فالحجة الأولى قوله قل من يرزقكم من السماء والأرض بإنزال الأمطار النافعة الموجبة لتولد الأغذية النباتية والحيوانية في الأرض بعد رعاية شرائط تربيتها وإنمائها وحفظها من العاهات أم من يملك السمع والأبصار خص الحاستين بالذكر لما في خلقهما وتسويتهما من الفطرة العجيبة وكان علي رضي الله عنه يقول سبحان من بصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم ولما في تحصينهما من الآفات في المدة الطويلة وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء مزيد قدرة ورأفة ومن يخرج الحي من الميت كالحيوان الماشي والطائر من النطفة والبيضة وقد مر سائر الأقوال في سورة الأنعام ومن يدبر الأمر عمم بعدما خصص لأن أقسام تدبيره تعالى في العالم العلوي والعالم السفلي وعالمي الغيب والشهادة أمور لا نهاية لها وذكر كلها كالمتعذر فسيقولون الله وفيه دليل على أنهم كانوا يعبدون الأصنام بناء على أنها شفعاؤهم وأنها تقربهم إلى الله زلفى ولكنهم كانوا مخطئين في هذا الاعتقاد فلهذا ختم الآية بقوله فقل أفلا تتقون الله الذي اعترفتم بأنه فياض جميع الخيرات فكيف أشركتم بعبادته الجمادات التي لا تقدر على نفع أو ضر فذلكم الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة ربكم الحق الثابت ربوبيته بالوجدان والبرهان فماذا بعد الحق ما مزيدة وما نافية واستفهامية ومجموع ماذا كلمة واحدة معناها أي شيء بعد الحق إلا الضلال والمراد أنه لما ثبت وجود الواجب الحق كان ما سواه ممكنا لذاته باطلا دعوى الإلهية لأن واجب الوجود يجب أن يكون واحدا في ذاته وفي صفاته وفي جميع اعتباراته وإلا لزم افتقاره إلى ما انقسم إليه فلا يكون واجبا هف محال ولهذا ختم بقوله فأنى تصرفون كيف تستجيزون العدول عن هذا الحق الظاهر من يقعون في الضلال إذ لا واسطة بين الأمرين فمن تخطى أحدهما وقع في الآخر كذلك أي كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمت ربك وتفسير الكلمة أنهم لا يؤمنون على أنه بدل أي حق عليهم انتفاء الإيمان وقد علم الله منهم ذلك في الأزل أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل على حذف اللام احتجت المعتزلة بمثل قوله تعالى فأنى تصرفون أن الصارف لو كان هو الله تعالى لم يصح منه هذا التعجب والإنكار وقالت الأشاعرة قد تعلق علمه تعالى بأنهم لا يؤمنون كما قال حقت كلمت ربك وتعلق خبره بأنهم لا يؤمنون وقدرته لم يتعلق بخلق الإيمان فيهم بل بخلق الكفر فيهم وأثبت ذلك في اللوح المحفوظ وأشهد عليه ملائكته وأنزله على أنبيائه وأشهدهم عليه فلو حصل الإيمان لبطلت هذه الأشياء فينقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وقدرته عجزا وإرادته عبثا وإشهاده باطلا الحجة الثانية قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وإنما قال ثم يعيده مع أن الخصم لا يعترف به لأنه تقدم في هذه السورة دلائل الإعادة بحيث لا يتمكن العاقل من دفعها إذا تأمل وأنصف فبني الأمر على ذلك وإنما أمر نبيه أن ينوب عنهم في الجواب بقوله قل الله الآية تنبيها على أن هذا المعنى بلغ في الوضوح إلى حيث لا حاجة فيه إلى إقرار الخصم المكابر فكأنه قيل لهم إن لم يدعهم لجاجهم أن ينطقوا بكلمة الحق فقوله فأنى تؤفكون كقوله فأنى تصرفون وقد مر في المائدة الحجة الثالثة الاستدلال على وجود الصانع بالخلق أولا ثم بالهداية ثانيا عادة مطردة في القرآن فحكى عن الخليل الذي خلقني فهو يهدين وعن موسى ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى



وامر محمدا به سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والسر فيه ان المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح ودلتا
العلوم والمعارف فيه بارشاد الحق سبحانه اذ الطرق المنحرفة كثيرة والظنون والاغاليط غير محصورة فتحصيل الوسط الحقيقي لا يمكن الا
بتوفيقه وهدايته ولا مدخل في ذلك بالاستقلال للملك والنبي وجني فضلا عن الاصنام التي هي في ادنى مراتب الوجود لانها
جمادات لا شعور لها هذا تقرير الحجة الثالثة وقال الزجاج يقال هديت للحق والى الحق بمعنى فجمع بين العبارتين ويقال هدى
بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وسائر القرآآت اصلها يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء
او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الهاء لاتباع ما بعدها قيل هذه الشركاء جمادات فكيف قال في حقها الا ان يهدى واجيب بوجوه
منها ان المراد بها في الاية رؤساؤهم واشرافهم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا والمراد ان الله سبحانه هو الذي يهدي الخلق الى
الدين الحق بالدلائل النقلية وبما مكنهم منه من الدلائل العقلية واما هؤلاء الدعاة والرؤساء فانهم لا يقدرون على ان يهدوا غيرهم الا اذا
هديهم الله ومنها انهم لما اتخذوها الهة وصفهم الله تعالى بصفة من يعقل كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ومنها ان ذلك بالفرض
والتقدير يعني انها لو كانت بحيث يمكنها ان تهتدي فانها لا تهدي غيرها الا ان يهدى ومنها ان البنية عندنا ليست بشرط في صحة الحيوة
والعقل فيصح من الله تعالى ان يجعلها حية عاقلة ثم انها تشتغل بهداية الغير ومنها ان المراد من الهدى النقل والحركة يقال هديت المراة
الى زوجها اي نقلت اليه فالمعنى لا ينتقل الى مكان الا اذا نقل اليه ثم عجب من مذهبهم الفاسد باستفهامين متواليين فقال فما لكم كيف
تحكمون ثم بين ما بنوا عليه مذهبهم فقال وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي في اقرارهم بالله لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه
من سلافهم او في قولهم للاصنام انها الهة او شفعاء وعلى هذا فالمراد بالاكثر الجميع ان الظن في معرفة الله وفيما يجب تحقيقه لا يغني
من الحق وهو العلم والتحقيق شيئا من الغناء والمعنى ان الظن لا يقوم مقام العلم في شيء من الاحوال ثم اوعدهم على اتباعهم الظن وتقليد
الاباء بقوله ان الله عليم بما يفعلون وتمسك نفاة القياس بالاية ظاهر من قبل ان القياس لا يفيد الا الظن واجيب بان التمسك
بالعمومات لا يفيد الا الظن وهذه الاية من العمومات فلم يجب اتباعها بزعمكم وما افضى ثبوته الى نفيه كان متروكا ولما فرغ من دلائل
التوحيد شرع في اثبات النبوة فقال وما كان هذا القران ان يفترى اي افتراء من دون الله وكلمة ان بمعنى اللام اي ما ينبغي له وما
استقام ان يكون مفترى والحاصل ان وصفه ليس وصف شيء يمكن ان يفترى به على الله لانه معجز لا يقدر البشر على اتيان مثله
وانما القادر عليه هو الله تعالى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب المنزلة لاعجازه دونها فهو عيار عليها شاهد بصحتها
ونفس هذا التصديق ايضا معجز لان اقاصيصه موافقة لما في كتب الاولين مع انه لم يتعلم قط ولم يتلمذ ولان بشارته جاءت في تلك
الكتب على وفق دعواه ولانه يخبر عن الغيوب المستقبلة فيقع مطابقا فظهر ان القران معجز من قبل اشتماله على الغيوب الماضية والمستقبلة
اما انه معجز من جهة اشتماله على العلوم الجمة فذلك قوله وتفصيل الكتاب اي يبين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع كقوله كتاب الله
عليكم قال في الكشاف هو قوله لا ريب فيه من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب
كائنا من رب العالمين ويجوز ان يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراضا كقولك زيد لا شك فيه
كريم والمعنى ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه ثم اعاد بيان اعجازه مرة اخرى فقال منبها على
سبيل الانكار ام يقولون افتريه قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم فانتم
مثلي في العربية والفصاحة وادعوا من استطعتم من دون الله اي لا تستعينوا بالله وحده ثم استعينوا بكل من سواه ان كنتم صادقين
انه افتراه قال بعض العلماء هذه الاية في سورة يونس وهي مكية فلعل المراد بالسورة المتحدى بها هذه السورة والاصح ان التحدي
واقع على اقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يمكن الاتيان بمثل القران صحيح الوجود في الجملة لم يتحد العرب به لكنهم تحدوا بذلك فدل على
ان القران محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدي واجيب بان القران يقال بالاشتراك على الصفة القديمة
القائمة بذات الله وعلى هذه الحروف والاصوات المحدثة والتحدي انما وقع بهذه لا بتلك بل كذبوا اي سارعوا الى التكذيب بما لم
يحيطوا بعلمه وهو القران ولما يأتهم تاويله ومعنى التوقع فيه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء
وكذبوا به بعد التدبر وتكرير التحدي عليهم واستيقان عجزهم عنه بغيا وحسدا وعنادا وانما حملهم على التكذيب اولا واخرا وجوه
منها انهم وجدوا في القران اقاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا اساطير الاولين وخفي عليهم ان الغرض منها
بيان قدرة الله تعالى على التصرف في هذا العالم ونقل الامم من العز الى الذل وبالعكس ليعرف المكلف ان الدنيا ليست مما يبقى
فنهاية كل حركة سكون وغاية كل سكون ان لا يكون كقوله عز من قائل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها انهم كلما
سمعوا حروف التهجي في اوائل السور ولم يفهموا منها شيئا ساء ظنهم بالقران فاجاب الله تعالى عنه بقوله هو الذي انزل عليك
الكتاب الى قوله واخر متشابهات الاية ومنها انهم راوا القران يظهر شيئا فشيئا فاتهموا النبي وقالوا لولا انزل عليه القران

جمل

جملة واحدة ومنها انهم وجدوا القران مملوا من حديث الحشر والنشر وكانوا فاقد القول المحسوس فاستبعدوا ذلك ثم وجدوا فيه تكاليف كثيرة من الصلوة والصيام والزكوة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان اله العالم غني عنا وعن طاعاتنا كذلك كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات انبيائهم قال اهل التحقيق في الاية دلالة على ان من كان غير عارف بوجوه التاويل قد يقع في الكفر والبدعة لان ظواهر النصوص قد يتعارض فيفتقر هنالك الى ان تطبيق التنزيل على التاويل وقيل معنى بالغيوب من الايات ان القران كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب من جملتها احوال الاخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقوله ولما ياتهم تاويله اشارة الى تكذيبهم قبل ان يمتحنوا غيوبه هل يطابق الواقع ام لا ثم ختم الاية بقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين والمراد انهم طلبوا الدنيا واعرضوا عن الاخرة فلم يبق عليهم الدنيا وفاتتهم الاخرة فبقوا في خسران الدارين وقيل المقصود عذاب الاستيصال الذي نزل بالمكذبين قبلهم ثم قسم طوايف الامم فقال ومنهم من يؤمن به اي بالقران وبالرسول اي يصدقه في نفسه ويعلم انه حق لكنه يعاند ومنهم من يشك فيه لا يصدق به لا ظاهرا ولا باطنا ويمكن ان يقال المراد به قسمتهم في الاستيصال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من يبقى على الكفر فيكون الاية كالعذر في تبقيتهم وعدم استيصالهم وربك اعلم بالمفسدين فيجازيهم على حسب مراتبهم في التكذيب ويعلم طوياتهم هل يتوبون او يصرون ثم بين اختصاص كل مكلف بافعاله وبنتايج اعماله من الثواب والعقاب فقال وان كذبوك فقل لي عملي اي جزاء عملي على الطاعة والايمان وتبليغ الرسالة ولكم عملكم قال مقاتل والكلبي هي منسوخة باية القتال والتحقيق ان اية القتال لا يدفع شيئا من مدلولات هذه فلا نسخ والله اعلم التاويل قل من يرزقكم اي من ينزل من سماء النفس مطر الهوى ويخرج من ارض النفس نبات الافعال والاعمال ومن ينزل من سماء القلب مطر انوار فيض الروح ويخرج من ارض النفس نبات الصفات البشرية والحيوانية او ينزل من سماء الروح مطر فيض الروح ويخرج من ارض القلب نبات الاوصاف الحميدة او ينزل من سماء القدرة مطر تجلي الصفات والفيض الرباني ويخرج من ارض الروح الحكمة والاخلاق الالهية او ينزل من سماء الذات مطر تجلي الصفات ويخرج من ارض الوجود نبات الفناء في الله وثمرات البقاء بالله امن يملك السمع والابصار فيكون سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ومن يخرج الحي من الميت النفس من القالب والقلب من النفس والروح من القلب وبالعكس ومن يدبر امر الانسان بالتربية من التراب الى ان يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها من الله فقل لمن بلغ نظره الى هذه المراتب العلية وانها عتبة باب التوحيد والمعرفة افلا تتقون ما بالله عن غيره لتخلوا بيت الوحدة كذلك حقت كلمة ربك هي ما جرى القلم في الازل على الذين خرجوا عن قبول فيض النور حين رش على الخلق من نوره وتفصيل الكتاب تفصيل الجملة التي هي مكتوبة عنده في ام الكتاب هو علمه القايم بذاته وربك اعلم بالمفسدين الذين فسدوا استعدادهم الفطري والله اعلم ومنهم من يستمعون اليك

افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم

آيا پس تو میشنوانی کران را اگرچه باشند که نیابند بعقل و از ایشان کسیست که نگاه میکند بتو آیا پس تو راه مینمائی کوران را اگرچه باشند که نه بینند بدرستیکه خدا ظلم نمیکند

الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر

مردمان را چیزی و لیکن مردمان بنفسهای شان ظلم میکنند و روزیکه حشر کند ایشان را گویا درنگ نکردند مگر ساعتی از روز شناخت یکدیگر را میکنند میان خویش بتحقیق زیان کردند

الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد

آنانکه تکذیب کردند ملاقات جزای خدا را و نبودند راه یابندگان و اگر بنمائیم ترا بعضی از آنچه وعده میدهیم ایشان را یا بمیرانیم ترا پس بسوی ماست بازگشت ایشان پس خدا گواه است

على ما يفعلون ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد

بر آنچه میکنند و از برای هر امتی رسولیست پس چون آمد رسول ایشان حکم کرده شود میان ایشان بعدالت و ایشان ستم کرده نشوند و میگویند کی میشود این وعده

ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة

اگر هستید راستگویان بگو مالک نیستم از برای نفس خود ضرری و نه نفعی مگر آنچه خدا خواست از برای هر امتی اجلیست چون آمد اجل ایشان پس واپس نمانند ساعتی

ولا يستقدمون قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به الان

و نه پیشی توانند گرفت بگو خبر دهید اگر آید شما را عذاب او بشب یا بروز چه چیز را شتاب میکنند از آن گناهکاران آیا پس چون واقع شد ایمان آوردید بآن اکنون

وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبؤنك احق هو قل اي

و بدرستیکه بودید که بآن شتاب میکردید پس گفته شود مر آنانرا که ستم کردند بچشید عذاب جاوید را آیا جزا داده میشوید مگر بآنچه بودید کسب میکردید و خبر میپرسند از تو که آیا حق است آن بگو آری

وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي

بحق پروردگار من که آن حق است و نیستید شما عاجز کنندگان و اگر باشد از برای هر نفسی که ستم کرده آنچه در زمین است هر آینه فدا دادی آنرا و پوشیده داشتند پشیمانی را چون دیدند عذاب را و حکم کرده شد

بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قُلْ
و بسوی او باز گردانیده شوید ای مردمان بحقیقت آمد بشما پندی از پروردگار شما و شفای مر آنچه در سینهاست و هدایت و رحمتی از برای گروندگان بگو
بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ
بکرم خدا و برحمتش پس بآن پس باید شاد شوند آن بهتر است از آنچه جمع میکنند بگو خبر دهید که آنچه را فرو فرستاد خدا برای شما از روزی پس گردانیدید از آن حرامی و حلالی بگو آیا خدا
أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
رخصت داد شما را یا بر خدا دروغ می بندید و چیست گمان آنانکه می بندند بر خدا دروغ را روز قیامت بدرستیکه خدا هر آینه صاحب کرمست بر مردمان ولکن بیشتر ایشان
لَا يَشْكُرُونَ
شکر نمیکنند

القراءة آفانت بتليين الهمزة ونحوه الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ولكن الناس بالتخفيف والرفع حمزة وعلى وخلف يحشرهم بالياء حفص الباقون بالنون نرينك ونتوفينك بالنون الخفيفة رويس الآن بوزن عالان بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وزمعة حمزة فى الوقف بلى انه بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع فليفرحوا بتاء الغيبة تجمعون بتاء الخطاب ابن عامر ويزيد وقرأ زيد على ضده وقرأ رويس كليهما على الخطاب الباقون على الغيبة فيهما الوقوف اليك ط لا يعقلون اليك ط لا يبصرون يظلمون بينهم ط مهتدين يفعلون رسولهم ج ط لا يظلمون صادقين ما شاء الله ط اجلهم ط ولا يستقدمون المجرمون امنتم به ط تستعجلون الخلد ج ط للاستفهام مع ان القائل واحد يكسبون احق هو ط لمعجزين لافتدت به ط العذاب ج ط للعطف على اسروا دون راوا يظلمون والارض ط لا يعلمون ترجعون للمؤمنين فليفرحوا ط يجمعون وحلالا ط يفترون القيمة ط لا يشكرون نصف السبع التفسير ان الانسان اذا قوى بغضه لانسان آخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة الى طلب مقابحه فى كلامه معرضة عن جهات محاسنه فيه نظيره كان العمى فى الاذن معنى ينافى حصول ادراك الصوت والعمى فى العين امر ينافى حصول ادراك الصورة فكذلك حصول هذا البغض الشديد يضاد وقوف الانسان على محاسن من يعاديه فبين الله سبحانه ان فى اولئك الكفار بلغت حالهم فى النفرة والعداوة الى هذا الحد يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يسمعون ولا يقبلون وينظرون اليك يعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا ينتصرون ولا يصدقون قال اهل المعانى المستمع الى القرآن كالمستمع الى النبى بخلاف النظر فكان فى المستمعين كثرة فجمع ليطابق اللفظ المعنى ووحد ينظر حملا على اللفظ اذ لم يكثروا كثرتهم ثم قال افانت تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم او تقدر على هداية العمى لا سيما اذا اقترن بفقد البصر فقد البصيرة انما يقدر على ردهم الى حالة الكمال خالق القدر والقوى وحده وهذا الحصر انما يفهم من قوله افانت والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول فان الطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج اصلا اعرض عنه ولم يستوحش من ذلك لان التقصير من المزاج لا من الصنعة والحذق ثم اكد عدم قابليتهم فى الفطرة مع اشارة الى ما يلحقهم من الوعيد يوم القيمة بقوله ان الله لا يظلم الآية فسرها المعتزلة بان المراد من نفى الظلم انه ما الجأ احدا الى هذه القبائح والمنكرات ولكنهم باختيار انفسهم اقدموا عليها واجاب الواحدى عنه بانه انما نفى الظلم عن نفسه لانه يتصرف فى ملك نفسه فلا اعتراض عليه وانما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب والتحقيق انه نفى الظلم عنه لان وقوع فريق القهر ضرورى ونسب الظلم اليهم لخصوص وقوعهم فى الطريق وفيه دقة ثم ذكر وعيد الكفار فقال ويوم نحشرهم اى واذكر يوم نحشرهم كان لم يلبثوا فى محل النصب على الحال اى مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وقوله يتعارفون حال اخرى او بيان لقوله كان لم يلبثوا لان التعارف لا يبقى مع طول العهد ويجوز ان يكون قوله ويوم نحشرهم متعلقا بيتعارفون والمراد باللبث قيل لبثهم فى الدنيا وقيل فى القبور استقلوا المدة لطولها اما لانهم ضيعوا اعمارهم فى الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم واستقصروها للدهش والحيرة او لطول وقوفهم فى الحشر او لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا لذات الدنيا واستحقروها واما التعارف فقد قيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطاء والكفر وقيل يعرف كل واحد اهل معرفته والجمع بين ذلك وبين قوله ولا يسئل حميم حميما ان هذا تعارف توبيخ وتضليل يقول كل فريق لصاحبه انت اضللتنى يوم كذا وانهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع المعرفة وانما حذف جميعا فى هذه الآية اكتفاء بما فى الآية السابقة ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا ولان الآية سيقت هناك لبيان حشر العابدين والمعبودين فاكد بقوله جميعا ليشمل الفريقين صريحا والله اعلم قد خسر استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم وفيه شهادة من الله على خسرانهم وجوز فى الكشاف ان يكون على ارادة القول اى يتعارفون بينهم قائلين ذلك ثم اكد خسرانهم بقوله وما كانوا مهتدين اى الى غاية مصالح هذه التجارة لانهم اعطوا الكثير الشريف الباقى وقنعوا بالقليل الخسيس الفانى كمن رأى زجاجة خسيسة فيظنها جوهرة نفيسة فاشتراها بكل ما له فاذا عرضها على الناقد خاب سعيه وفات امله ثم سلى رسوله فقال واما نرينك وجوابه محذوف وقوله فالينا مرجعهم جواب نتوفينك والمعنى واما نرينك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان تدركه فنحن نريكه فى الآخرة لان مرجع الكل الينا ولقد صدق الله وعده فاراه فى هذه الدار خزيهم وقهرهم بالقتل والاسر والاستيلاء عليهم والاستعلاء على ديارهم واموالهم والذى سيريه فى الآخرة اكثر وادوم



يدل عليه لفظ ثم لتبعيد الرتبة في قوله ثم الله شهيد على ما يفعلون ولا يخفى نتيجة هذه الشهادة من السخط والعقاب ويحتمل ان يراد بانطاق
جوارحهم يوم القيمة جعل ذلك بمنزلة شهادة الله ثم بين انه ما اهمل امة من الامم من رسول في وقت من الاوقات فقال ولكل امة رسول
وزمان الفترة محمول على ضعف دعوة النبي المتقدم ووقوع موجبات التخليط في شرعه فاذا جاء رسولهم فبلغ فكذبه قوم وصدقه آخرون
وقضي بينهم بالقسط اي حكم وفصل بالعدل فانجي الرسول والمصدقون وعذب المكذبون فهذه الآية نظيرة قوله وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا ويحتمل ان يقال المراد ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول ينسبون اليه ويدعون به فكانه تعالى يقول انا شهيد
على اعمالهم ومع ذلك فاني احضر في موقف القيمة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بالكفر والايمان فاذا جاء رسولهم وشهد لهم او
عليهم قضي بينهم والمراد منه المبالغة في اظهار العدل والنصفة فيكون الآية كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ثم ذكر شبهة
اخرى من شبهات الكفرة وذلك انه كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب كانوا يقولون متى هذا الوعد
استبعادا لنزوله وقدحا في نبوته وهذا مما يؤكد القول الاول في الآية المتقدمة لانه لا يجوز ان يقولوا متى هذا الوعد عند حضورهم في دار
الآخرة لحصول اليقين والمعرفة وايضا قوله ان كنتم صادقين لفظ الجمع موافق لقوله ولكل امة رسول ثم امره ان يجيب بما يحسم مادة الشبهة
وهو قوله قل لا املك لنفسي ضرا من مرض وفقر ولا نفعا من صحة وغنى الا ما شاء الله قال العلماء انه استثناء منقطع اي ولكن ما شاء
الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب ثم بين ان احدا لا يموت الا بالقضاء وان لعذاب كل طائفة امدا محدودا لا يتجاوز
فلا وجه للاستعجال فقال لكل امة اجل الآية وقد مر تفسير الآية في اوائل الاعراف الا انه ادخل الفاء ههنا في الجزاء لانه بنى الشرط على
الاستثناء والبيان بخلاف ما هنالك فانه جعل الشرط مرتبا على قوله ولكل امة اجل فلم يحسن الجمع بين الفائين ثم زيف رايهم في استعجال
العذاب مرة اخرى فقال قل ارأيتم اي اخبروني ان اتيكم عذابه بياتا اي في حين الغفلة والراحة او نهارا حين الاشتغال بطلب المعاش في اوائل الاعراف
ماذا يستعجل اي شيء يستعجل منه اي من العذاب المجرمون وانما لم يقل ماذا يستعجلون منه لدلالته على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام
لان حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه وان ابطا مجيئه فضلا عن ان يستعجله ومن للبيان او للابتداء والمعنى ان العذاب كله مر المذاق موجب
للنفار فاي شيء يستعجلون منه وليس منه يوجب الاستعجال والمراد التعجب كانه قيل اي شيء هائل شديد يستعجلون وقيل الضمير في منه لله تعالى وجواب
الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطاء فيه وماذا الجملة مفعول ارأيتم ويجوز ان يكون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك
ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارأيتم ويجوز ان يكون اعتراضا وجواب الشرط ثم اذا ما وقع آمنتم به والمعنى ان اتيكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين
لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء آلآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب
آلآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون على جهة التكذيب والانكار وقوله ثم قيل عطف على قيل المضمر قبل آلآن والحاصل ان الذي تطلبونه ضرر
محض عار عن المنفعة والعاقل لا يطلب مثل ذلك فلما قلنا انه ضرر محض لانه اذا وقع العذاب فاما ان تؤمنوا وايمان الياس غير مقبول و
اما ان لا تؤمنوا فيحصل عقيب ذلك عذاب آخر اشد وهو دوم ويقال على سبيل الاهانة ذوقوا عذاب الخلد فان قلتم الهنا انت الغني عن الكل
فكيف يليق برحمتك هذا الوعيد والتهديد اجيبتم هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فالجزاء مرتب على العمل ترتب المعلول على العلة كما يقوله
الحكيم او ترتب الاجر الواجب عند المعتزلة او بحكم الوعد المحض عند اهل السنة وتفسير الكسب مذكور في البقرة في قوله لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ثم حكى عنهم انهم بعد هذه البيانات استفهموا تارة اخرى عن تحقيق العذاب فقال ويستنبئونك احق هو وهو استخبار على جهة الاستهزاء
والانكار اي احق ما تعدنا به من نزول العذاب في العاجل وهذا السؤال جهل محض لانه تقدم ذكره مع الجواب مرة واحدة فلا وجه لاعادته
ولانه قد تبين بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم القطع بصحة كل ما يخبر عنه ووقوعه قيل المراد احق ما جئتنا به من القرآن والشرع
وقيل اي ما تعدنا من البعث والقيمة فامره الله تعالى ان يجيبهم بقوله قل اي وربي ومعناه نعم ولكنه مستعمل مع القسم البتة وفائدة
هذا القسم في جوابهم ان يكون قد جرى الكلام معهم على الوجه المعتاد بينهم استمالة لقلوبهم ومن الظاهر ان من اخبر عن شيء واكده بالقسم فقد
اخرجه عن حد الهزل وادخله في باب الجد فقد يكون هذا القدر مقنعا اذا لم يكن الخصم الدا ثم اكد مضمون المقسم عليه بقوله وما انتم بمعجزين
فائتين العذاب والغرض التنبيه على ان احدا لا يدافع نفسه عما اراد الله وقضى ثم زاد في التاكيد بقوله ولو ان لكل نفس الآية وقد مر مثله
في آل عمران والمائدة وقوله ظلمت صفة لنفس وما قوله واسروا الندامة فقد قيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب اي اظهروا الندامة
لضعفهم وليس هناك تجلد والمشهور انه الاخفاء وسببه انهم بهتوا حين عاينوا وقيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب ما سلبهم قواهم
فلم يطيقوا صراخا ولا بكاء واخفوا الندامة من سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا التروي في اول ما يرون العذاب
اما عند مخالطة النار اياهم فلا يبقى هذا التماسك او اراد بالاخفاء الاخلاص لان من اخلص في الدعاء اسره وفيه تهكم بهم وباخلاصهم لانهم
اتوا به في غير وقته وقضي بينهم بالقسط وقيل اي بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال
العقوبة عليهم وقيل بين الظالمين من الكفار والمظلومين منهم فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب بعضهم

الا ان لله

وان اشرك كلهم في العذاب ثم ذكر في تبيين انه جميع ما قرر بحكم المالكية والقدرة على الاحياء والاماتة والابداء والاعادة وقيل في وجه النظم انه لما ذكر حديث الافتداء بين انه ليس للظالم شئ يفتدي به فان كل الاشياء ملكه وملكه وقيل انه لما اقسم على حقية ما جاء به النبي وكان دليلا اقناعيا اراد ان يصححها بالبرهان النير فذكر ان كل ما في هذا العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور وعلوي وسفلي بسيط ومركب فهو ملكه فلكونه قادرا على جميع الممكنات يقدر على ايصال الرحمة الى اوليائه والعذاب الى اعدائه ولكونه منزها عن النقايص الآفات يكون بريئا عن الخلف في الوعد والايعاد وفي تصدير الكلام بكلمة الاتنبيه للغافلين وايقاظ للنائمين وتقريع للناظرين الى الاسباب الظاهرة القائلين البستان للامير والدار للوزير والغلام لزيد والجارية لعمرو ولا يعلمون ان كلها عواري وودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع واعلم ان الطريق الى اثبات نبوة الانبياء بامور احدها اظهار المعجزة على يده مطابقا للدعواه وقد قرره الله سبحانه في هذه السورة على احسن الوجوه حيث قال وما كان هذا القرآن ان يفترى الى تمام الاية والثاني ان نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما هو فكل من جاء ودعا الخلق الى ذلك وادعى الرسالة وكان لنفسه قوة تكميل الناقصين غلب على ظننا انه النبي الحق فاشار سبحانه الى هذا الطريق بقوله قل يا ايها الناس الاية فوصف القرآن بصفات اربع الاولى كونه موعظة والمراد بها الزجر عما لا ينبغي كالطبيب ينهى المريض عما يضره الثانية كونه شفاء لما في الصدور لحصول العقايد الحقة والاخلاق الحميدة فيها بدل اضدادها كالطبيب يعيد الصحة بدل المرض والاخلاط المحمودة بدل الاخلاط الفاسدة بالمعالجات الصائبة والادوية النافعة الثالثة حصول الهدى بسبب ذلك لانه اذا زالت الملكات الردية التي طبيعتها الظلمة وصارت مرآة النفس مصقولة محاذية لعالم القدس انطبع فيها نقش الملكوت وتجلى لها قدس اللاهوت الرابعة كونه رحمة للمؤمنين وذلك بان تصير النفس بالغة الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية بحيث تفيض انوارها على ارواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم وانما خص المؤمنين بهذه الرحمة لان كل روح لم يتوجه الى خدمة ارواح الانبياء المطهرين لم ينتفع بانوارهم كما ان كل جرم لم يقع في مواجهة قرص الشمس لا يستضئ بنورها والحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن العقايد الفاسدة والاخلاق الردية بتحصيل اضدادها وهي الطريقة والهدى عبارة عن ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهي الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة في الكمال والاشراق الى حيث يصير مكملة للناقصين وهي النبوة ولما ارشد سبحانه الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية الروحانية ذكر انها هي التي يجب ان يكمل الفرح بحصولها دون السعادات الفانية الجسمانية فقال قل بفضل الله وبرحمته قال في الكشاف اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتقرير والتاكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة الآخر عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح وجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي بمجيئها فليفرحوا وعلى هذا يكون قل اعتراضا ومن قرأ بتاء الخطاب فمعناه على ما نقل عن زيد بن ثابت فبذلك فلتفرحوا يا اصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار ونسبت هذه القراءة الى النبي وهو الاصل والقياس لانه دل على الامر بالفرح واشد تحريضا عليه انما قلنا انه الاصل لان حكم الامر في المخاطب والغائب واحد الا انه خفف امر المخاطب بحذف اللام وبحذف حرف المضارعة لكثرة الاستعمال فاضطر الى همزة الوصل ومن قرأ يجمعون بتاء الخطاب فانه عنى المخاطبين والغائبين جميعا الا انه غلب الخطاب كما يغلب التذكير وكانه اراد المؤمنين وفيه حث لهم على ترجيح الجواذب العقلية الروحانية على الدواعي النفسانية الجسدانية لانه لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الالام والمعنى العدمي لا يستحق الفرح به وبتقدير ان تكون صفات ثبوتية الا ان النفرة بالامها اقوى من الانتفاع بلذاتها فلا نسبة للذة الوقاع مثلا الى الم القولنج وساير الالام القوية وايضا ان مداخل اللذات الجسمانية معظمها البطن والفرج ومداخل الالام كل جزء من اجزاء البدن وايضا اللذات الجسمانية لا بقاء لها مثلا لا اذا زال الم الجوع زال الالتذاذ بالاكل وكل ما لا بقاء له لا يشتد فرح العاقل بحصوله ولو لم يحصل في لذة الاكل والوقاع الا اتعاب الحواس والجوارح في تعهد مباديها ولواحقها لكفى ومن المعلوم ان الفرح الحاصل بحدوث الولد لا يعادل الحزن الواقع عند موته ولهذا قال المعري ان حزنا في ساعة الموت اضعاف سرور في ساعة الميلاد فتبين بهذه الوجوه ان الفرح انما يجب ان يكون بالروحانيات الباقيات لا بالجسمانيات الزائلات اما المفسرون فقد قالوا فضل الله الاسلام ورحمته ما وعد عليه عن ابي بن كعب ان رسول الله تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام ومثله ما روي عن ابي سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من اهله ثم اشار الى طريق ثالث في اثبات النبوة فقال قل ارأيتم الاية وتقريره انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وبحرمة بعضها فان كان هذا لمجرد التشهي فذلك طريق باطل مهجور بالاتفاق لادائه الى التنازع والتشاجر واختلاف الآراء وافتراق الاهواء وان كان لانه حكم الله فيكم فبم عرفتم ذلك فان كان بقول رسول ارسله اليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة والا كان افتراء على الله وفي الاية ايضا اشارة الى فساد طريقتهم في شرايعهم واحكامهم من تحريم السوائب والبحائر وقولهم هذه انعام وحرث حجر وغير ذلك فما انزل الله في محل النصب او الرفع بالابتداء والله اذن لكم وقل مكرر للتاكيد والرابط محذوف ومجموع المبتدأ والخبر متعلق بارأيتم والمعنى اخبروني الذي انزل الله لكم من رزق فجعلتم

منه حراماً وحلالاً قل آلله اذن لكم في تحريمه وتحليله ام على الله تفترون وعن الزجاج ان ما في ارأيتم ما انزل بمعنى الاستفهام منصوب بانزل وانه مع
صلته مفعول ارأيتم معناه اخبروني وعلى هذا يكون قل آلله كلاماً مستأنفاً ومعنى انزل خلق وانشأ كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج وذلك ان كل ما في الارض من زرع اوضرع فانه بسبب الماء النازل من السماء قال في الكشاف ويجوز ان يكون الهمزة في آلله للانكار وام
منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريراً للافتراء ثم قال وما ظن الذين يعني اي شيء ظنهم في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو في صورة الاستعلام
ولكن المراد تعظيم وعيد من يفتري على الله حيث ابهم امره وكفى به زاجراً للمفتي في الاحكام بغير علم فليتق الله وليصمت ان الله لذو فضل
على الناس اذ انعم عليهم بالعقل ورحمهم بارسال النبي وتعليم الشرائع ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة بجحد نبيهم ومخالفة الانبياء وبل فا
نسمع الصم صم اذان القلوب فانت تهدي العمي عمي ابصار البصائر ويوم نحشرهم حشر العوام خروج اجسادهم من القبور الى المحشر والخواص
خروج ارواحهم الاخروية من قبور اجسامهم الدنيوية بالسير السلوك وحشر الاخص خروجهم من قبور الانانية الروحانية الى الهوية الربانية كما
قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار لانه لا نسبة لمدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم يعرفون
تفاوت مقامات كل صنف من هؤلاء واما نرينك بعض الذي نعدهم بشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن او نتوفينك فنبلغك
اقصى المراتب مقامات المحمود فالينا مرجعهم رجوعاً اضطرارياً بالاختيار ثم الله شهيد على ما يفعلون من خسارة الدارين ولكل امة
رسول في الظاهر من الانبياء وفي الباطن من الهام الحق لكل امة اجل في استكمال السعادة والشقاوة بياتاً اي في الازل او نهاراً اي يظهر
الان ما قدر لكم في الازل قل اي وربي انه لحق اي اقسم بربك الذي يربيك ان وقوع الامور الاخروية حق لانك عبرت على الجنة والنار ليلة
المعراج فاثبت بانشاء الاستعدادات الا ان لله ما في سموات الارواح وارض القلوب والنفوس الا ان وعد الله لاهل السعادة ولاهل الشقاوة
في الازل حق هو يحيي قلوب بعضهم بالمعرفة ويميت قلوب آخرين بالجهل ويحيي بالنور ويميت بالظلمة ويحيي بصفة الجمال (ويميت بصفة الجلال) يا ايها الناس
يا اهل النسيان قد جاءتكم موعظة هي خطاب الست بربكم وهو داء العشق وشفاء مرض لمالك الداء وهو توفيق اجابة بلى لما في الصدور وهو
القلب فاستعادة صدق الصدق وهدى عناية خاصة اذ الدعوة عامة والهداية خاصة ورحمة لاتصال امداد الفيض لتبلغ غاية
الكمال وتفوز بالوصول والوصال قل بفضل الله وهو اسماع الخطاب وبرحمته وهو الابقاء على مدلول الخطاب فليفرحوا هو خير مما يجمع اهل
الدنيا في دنياهم ما انزل الله لكم من رزق القلوب والارواح فضلا عن النفوس والاشباح من الواردات والشواهد فجعلتم منه حراماً
على انفسكم وحلالاً على غيركم اي حدثت انفسكم بان تحصيل هذه السعادات ونيل تلك الكرامات ليس من شاننا وانما هو من شان
الانبياء وخواص الاولياء قل آلله اذن لكم ان تعرضوا عن هذه المقامات وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا وزخارفها ام
على الله تفترون بان الدعوة اختصت بهم دوننا ان الله لذو فضل على الناس بتسوية الاستعداد الفطري وما تكون في

شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال
امرى و نخوانى از آن هيچ خواندنى و نكنيد هيچ كارى مگر آنكه باشيم بر شما گواهان هنگامى كه شروع ميكنيد در آن و پنهان نمى ماند از پروردگار تو هم وزن
ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
ذره در زمين و نه در آسمان و نه كوچكتر از آن و نه بزرگتر مگر در كتاب روشن آگاه باشيد كه دوستان خدا نباشد ترسى بر ايشان و نه ايشان
يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم
اندوهناك ميشوند آنانكه گرويدند و بودند كه پرهيزكارى ميكردند مر ايشانراست بشارت در زندگانى دنيا و در آخرت نيست تبديلى مر سخنان خدا را اينست كاميابى بزرگ
ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعاً هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون
و نبايد اندوهگين كند ترا گفتار ايشان بدرستيكه عزت مر خدا راست همه او شنواى داناست آگاه باشيد بدرستيكه مر خدا راست هركه در آسمانها و در زمين است و پيروى نميكنند آنانكه ميخوانند
من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً
از غير خدا شريكان را پيروى نميكنند ايشان مگر گمان را و نيستند ايشان مگر آنكه دروغ ميگويند اوست آنكه گردانيد براى شما شب را تا آرام گيريد در آن و روز را بينش
ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم
بدرستيكه در آن هر آينه نشانهاست براى گروهى كه ميشنوند گفتند گرفت خدا فرزندى منزه است او بى نياز مراو راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمين است نيست نزد شما
من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم
هيچ حجتى بدين آيا ميگوئيد بر خدا آنچه نميدانيد بگو بدرستيكه آنانكه مى بندند بر خدا دروغ را رستگار نميشوند بهره اندكى است در دنيا پس
الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون القراءة شان بغير همز حيث كان ابو عمرو غير شجاع والاعشى
بسوى ماست بازگشت ايشان پس بچشانيم ايشانرا عذاب سخت بسبب آنكه كافر ميشدند يزيد فيهما الاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف يعزب بالكسر حيث كان
علي الباقون بالضم ولا اصغر ولا اكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف وسهل ويعقوب والمفضل الاخرون بالنصب الوقوف تفيضون فيه ط مبين ط



يحزنون ج لان الذين يصلح صفة للاولياء ويصلح نصبا او رفعا على المدح فيوقف على يتقون ط او مبتدأ خبره لهم البشرى فلا توقف على
يتقون وفي الآخرة ط لكلمات الله ط العظيم ط لانه لو وصل لاوهم ان الضمير عائد الى اولياء وقول الاولياء لا يحزن الرسول قولهم
لئلا توهم ان قوله ان العزة مقول للكفار جميعا ط العليم الارض ط شركاء ط يخرصون مبصرا ط يسمعون سبحانه ط الغني ط وما في
الارض ط بهذا ط لا يعلمون لا يفلحون ط يكفرون التفسير لما بين فساد طريقة الكفار في عقايدهم واحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل
احد بما في قلبه من الدواعي والصوارف والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال وما تكون يا محمد في شأن اي امر من الامور واصله الهمز بمعنى
القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده قال ابن عباس اي في شأن من اعمال البر وقال الحسن في شأن الدنيا وحوائجها وما في وما
يكون وما تتلو نافية والضمير في منه لله عز وجل اي نازل من عنده واما للشأن لان تلاوة القرآن شأن من شؤون رسول الله ﷺ
بل هو معظم شأنه ولهذا افرد بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكال واما للقرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له لانه قيل وما تتلو
من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن ثم عمم الخطاب فقال ولا تعملون ايها المكلفون من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين
رقباء والجمع للتعظيم او لان المراد الملائكة الموكلون اذ تفيضون فيه الافاضة الشروع في العمل على جهة الانصباب والاندفاع ومنه قوله فاذا
افضتم من عرفات قيل شهادة الله علمه فيلزم انه لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب ان الشهادة علم خاص لا يلزم منه امتناع تقدم
العلم المطلق على الشيء كما لو اخبرنا الصادق ان زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين ثم ازداد في التعميم فقال وما يعزب
عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب ومنه كلأ عازب اي بعيد والرجل العزب لبعده عن الاهل ومعنى مثقال ذرة قد مر في قوله ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وذلك في سورة النساء والمقصود انه لا يغيب عن علمه شيء اصلا وان كان في غاية الحقارة وانما قال ههنا في الارض ولا في السماء خلاف
ما في سورة سبأ وهو المعهود في القرآن لان الكلام سيق لشهادته على شؤون اهل الارض فناسب ان يقدم ذكر ما في الارض هذا بعد تسليم
ان الواو يفيد الترتيب ثم بالغ في تعميم علمه فقال ولا اصغر من ذلك ولا اكبر من قرأ بالنصب على نفي الجنس او بالرفع على الابتداء ليكون كلاما
برأسه فلا اشكال واما من جعل منصوبه معطوفا على لفظ مثقال لانه في موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف او جعل مرفوعه معطوفا على
محل مثقال لانه فاعل يعزب ورد عليه الاشكال وهو انه يصير تقدير الآية لا يعزب عنه شيء في الارض ولا في السماء الا في كتاب فيلزم منه ان
يكون ذلك الشيء الذي في الكتاب خارجا عن علم الله وانه محال ويمكن ان يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم اوجده الله تعالى ابتداء
من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم اوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد ولا شك ان هذا
القسم الثاني متباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة واجب الوجود فالمراد من الآية انه لا يبعد عن مرتبة وجوده شيء في الارض ولا
في السماء الا هو في كتاب مبين وهو كتاب اثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد على زعم من يزعم انه تعالى غير عالم بالجزئيات ونقول
ان الاستثناء منقطع بمعنى لكن هو في كتاب مبين وذكر ابو علي الجرجاني صاحب النظم ان الا بمعنى الواو وعلى ان الكلام قد تم عند قوله ولا اكبر
ثم وقع الابتداء بكلام آخر فقال الا في كتاب اي وهو ايضا في كتاب مبين والعرب تضع الا موضع واو النسق كثيرا ومنه قوله اني لا يخاف لدي
المرسلون الا من ظلم يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني الذين ظلموا ثم انه لما بين احاطته بجميع الاشياء
وكان في ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين اتبعها تفصيل حال كل فريق فقال الا ان اولياء الله الآية والتركيب يدل على القرب
فكانهم قربوا منه تعالى لاستغراقهم في نور معرفته وجماله وجلاله قال ابو بكر الاصم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق
عبوديته والدعوة اليه وقال المتكلمون ولي الله من يكون آتيا بالاعتقاد الصحيح والمبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة الواردة
في الشريعة وعنوا بذلك قوله تعالى في صفتهم الذين آمنوا وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية وكانوا يتقون وهو اشارة الى كمال حال
القوة العملية وههنا مقام آخر وهو ان يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ويكون الولي متقيا في كل الاحوال اما في موقف العلم فلان
تقدسه تعالى عن ان يكون مقصودا على ما عرفناه ويكون كامل صفة واما في مقام العمل فان عبوديته وعبادته قاصرة عما يليق بكبريائه وجلاله
فيكون ابدا في الخوف والدهشة واما نفي الخوف والحزن عنهم فتقدم تفسيره في اوائل سورة البقرة وعن سعيد بن جبير ان رسول الله ﷺ سئل من
اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني ان مشاهدتهم تذكر امر الآخرة لما فيهم من آثار الخشوع والاخبات والسكينة وعن عمر ؓ سمعت
النبي ﷺ يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله
اخبرنا منهم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم
لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية يحكى ان ابرهيم الخواص كان في البادية ومعه واحد
يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له فجلس في موضع فجاءه السباع ووقفوا بالقرب منه والمريد تسلق على
رأس شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما اصبح وزالت تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على يده فاظهر
الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ تحملنا البارحة ما تحملناه بسبب قوة الوارد الغيبي



فما غاب عن تلك الموارد فانا اضعف خلق الله ثم اخبر الله سبحانه عنهم بان لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فقيل بشراهم في الدنيا ما
بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان في كتابه كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات وقيل هي عبارة عن محبة الناس لهم وعن ذكرهم اياه بالثناء الحسن عن ابي ذر رض قلت لرسول الله صلعم ان الرجل يعمل العمل لله
ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن والدليل العقلي عليه ان الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا لكل احد
اذا انصف ولم يحسده ولا كمال للعبد اعلى واشرف من كونه مستغرق القلب في معرفة الله معرضا عما سواه ونور الله مخدوم بالذات ففي اي
قلب حصل كان مخدوما بالطبع لما سوى الله وقيل هي الرؤيا الصالحة وعنه صلعم الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة و
سبب تخصيص هذا العدد ان النبي صلعم استنبئ بعد اربعين سنة الى كمال عمره وهو ثلث وستون سنة وكان ياتيه الوحي لا بطريق المنام ستة
اشهر ونسبة هذه المدة الى ثلث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد الى ستة واربعين واما ان الرؤيا الصادقة توجب البشارة
فلانها دليل صفاء القلب واتصال النفس الى عالم القدس والاطلاع على بعض ما هنالك ومن عطاء البشرى في الدنيا هي البشارة عند الموت
تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها الى احوالهم في الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا خلف
لمواعيده وقد مر مثله في الانعام ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام
يقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج قال القاضي لا تبديل لكلمات الله يدل على انها قابلة للتبديل لان كل ما يقبل العدم امتنع ان يكون قديما
ومحل المنع ظاهر فان نفي شيء عن شيء لا يلزم منه امكانه له كقول الموحد لا شريك لله ثم سلى رسوله عن صنيع الفريق المكذبين فقال ولا
يحزنك ما يقولون كما ازال الحزن عنه في الاخرة بقوله الا ان اولياء الله ازال الحزن عنه في الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم اي تكذيبهم لك
وتهديدهم بالحذم والاموال وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وبالجملة كل ما يتكلمون به في شانك من المطاعن والقوادح ثم استانف
قوله ان العزة لله كانه قيل ما لي لا احزن فقيل لان العزة لله جميعا ان الغلبة والقهر له ولحزبه كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقرئ ان بالفتح لا
على انه بدل فان ذلك يؤدي الى ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزنه ذلك وهذا كفر بل لان التقدير لان العزة
على صريح التعليل وكان رسول الله صلعم واثقا بوعد الله تعالى في جميع الاحوال وانه كان قد يقع في بعض الحروب والوقائع انكسار وهزيمة فان
الامور بخواتيمها ثم اكد الوعد بقوله هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون فيكفيك شرهم ثم زاد في التاكيد مع اشارة
الى فساد عقيدة المشركين فقال الا ان لله من في السموات ومن في الارض فخص ذوي العقول اما للتغليب واما لان الاية مسيقة لبيان
فساد عقايد اهل الشرك فذكر ان العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان كلهم عبيد له ولا يصلح احد منهم لان يكون شريكا له فما وراءهم
مما لا يسمع ولا يعقل كالاصنام والجمادات لا يكون ندا له ثم اكد هذا المعنى بقوله وما يتبع ما نافية ومفعول يدعون محذوف اي لا يتبع
الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة انما هي اسماء لا مسميات لها لان شركة الله في الربوبية محال وانما حذف لانه احد
المكررين لدلالته فالاول مفعول يدعون والثاني مفعول يتبع ويجوز ان يكون ما استفهامية بمعنى اي شيء يتبعون وشركاء على
هذا نصب بيدعون ولا حاجة الى الاضمار ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل لله ما يتبعه الذين يدعون من
دون الله شركاء اي له شركاؤهم ثم زاد في التاكيد فقال ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقد مر مثله في سورة الانعام
ثم ذكر طرفا من اثار قدرته مع اشارة الى بعض نعمه فقال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه طلبا للراحة والنهار مبصرا اسناد الابصار
باعتبار صاحبه اي جعله مضيئا لتهتدوا به في حوائجكم وهذان طرف من منافع الليل والنهار ان في ذلك لايات لقوم يسمعون
سماع تامل وتدبر وقبول ثم حكى نوعا اخر من اباطيلهم فقال قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه وقد مر في البقرة ولما نزه نفسه عن اتخاذ
الولد برهن على ذلك بقوله هو الغني وتقريره ان الغنى التام يوجب امتناع كونه ذا اجزاء وحصول الولد لا يتصور الا بعد انفصال جزء منه
يكون كالبذر بالنسبة الى النبات وايضا انما يحتاج الى الولد والى توليد المثل الذي يقوم مقامه من يكون بصدد الانقضاء والانقراض
فالازلي القديم لا يفتقر الى الولد ولا يصح له مثل وايضا الغني لا يفتقر الى الشهوة ولا الى اعانة الولد ولو صح ان يتولد منه مثله لصح ان يكون
هو ايضا متولدا من مثله ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان المدعى هو الصحة لا الوقوع ثم بالغ في البرهان فقال له
ما في السموات وما في الارض واذا كان الكل ملكه وعبيده فلا يكون شيء منها ولدا له لان الاب يساوي الابن في الطبيعة بخلاف المالك
ثم زيف دعواهم الفاسدة فقال ان عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة بهذا القول قال في الكشاف والباء حقها ان تتعلق بقوله
ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان
اقول كانه نظر الى ان استعمال الباء بمعنى في اكثر منه بمعنى على ثم وبخهم على القول بلا دليل ومعرفة فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون
ثم اوعدهم على افترائهم فقال قل ان الذين يفترون الاية ثم بين ان ذلك المفتري ان فاز بشيء من المطالب العاجلة والمارب الخسيسة



من باستظاهره وغرض زايل فذلك متاع قليل في الدنيا ثم لابد من الموت والرجوع الى حكم الله ثم حصول الشقاء المؤبد والعذاب الاليم عاذنا الله منه التاويل وما تكون في شان من النبوة وما تتلو من شان النبوة من قران وما تعملون يا امة محمد من عمل من اعمال الامة النبوة من قبول القران ورده من مثقال ذرة بما اظهر من حركة في ارض البشرية بعمل من اعمال الخير والشر ولا في السماء اى في سماء القلوب بالنيات الصالحة والفاسدة ولا اصغر من الحركة وهو القصد دون الفعل ولا اكبر من النية وهو العمل الا ان اولياء الله الذين هم اعداء النفوس لا خوف عليهم من تمنى النظر بنفوسهم ولا هم يحزنون على ما فاتهم من شهوات النفوس للعداوة القائمة بينهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا بالوقايع والمبشرات وفي الاخرة بكشف القناع عن جمال العزة لا تبديل لكلمات الله لاحكامه الازلية حيث قال للولي كن لنا وللعدو كن عدوا ولا يحزنك يا رسول القلب قول مشركي النفوس في تزيين شهوات الدنيا ولذاتها في نظرك ان العزة لله جميعا يعز من يشاء في الدنيا وفي الاخرة جميعا فلا يمنعه نعيم الدنيا عن نعيم الاخرة بل بما يعينه على الاخرة كما جاء في الحديث الرباني وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى فان افقرته يفسده ذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض اى القلوب السماوية والنفوس الارضية ان يتبعون الا الظن اى يظنون انهم يتبعون شركاء الدنيا والهوى باختيارهم لا باختيارنا هو الذي جعل لكم ليل البشرية لتسكنوا فيه تعبا للمجاهدات وتزول عنكم الملالة والكلالة ونهار الروحانية مضياء وبصيرة يبصر بها مصالح السلوك والترقي في المقامات لقوم يسمعون حقايق القران بسمع القلوب الواعية ثم اخبر عن الشبهات التي تقع في اثناء السلوك قالوا اى مشركو النفوس عند تجلي الروح بالخلافة في صفة الربوبية معترفا بتجلي صفة ابداع الحق ومبدعية الروح مع كمال قربه واختصاصه بالحق عند بقاء تصرفات الخيال حتى يثبت الابوة والنبوة بين الله وبين العبد اذ النبوة اخص التعلقات بالوالد وهذا الكشف في الابتداء هو مبدأ ضلالة اليهود والنصارى له ما في السموات الروحانية من الكشوف والاحوال وما في الارض البشرية من الوهم والخيال وما ينشأ من الشبهات والالفات ان الذين يفترون هم النفوس الامارة بالسوء لا يفلحون لا يظفرون بكشف الحقايق ثم ننبئهم لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاحسوا بالالم والله اعلم

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ

بر قومش را ای قوم من اگر هست که عظیم آمده باشد بر شما قایم و پند دادن من بآیتهای خدا پس بر خدا است توکل من پس گرد آورید کار خود را و انبازان را پس نباید که باشد

أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ

کار شما بر شما پوشیده باندوه پس گذارش و امید بوی دهید مهلت مرا پس اگر اعراض کردید پس نخواستم از شما مزد نیست مزد من مگر بر خدا و فرموده شدم که باشم از

الْمُسْلِمِينَ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

مسلمانان پس تکذیب کردندش پس رهانیدیم او را و هر که بود با او در کشتی و کردیم ایشانرا جانشینان و غرق کردیم آنهارا که تکذیب کردند بآیتهای ما پس بنگر چگونه بود انجام کار

الْمُنْذَرِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى

بیم داده شدگان پس برانگیختیم از بعد او رسولان بسوی قومشان پس آمدند ایشانرا با بینها پس نبودند که بگروند بآنچه تکذیب کردند آنرا از پیش همچنین مهر مینهیم بر

قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ

دلهای تعدی کنندگان پس برانگیختیم از بعد ایشان موسی و هرون را بسوی فرعون و جماعتش بآیتهای ما پس سرکشی کردند و بودند گروهی گنهکاران

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ

پس چون آمد ایشانرا حق از نزد ما گفتند بدرستیکه این هر آینه سحریست آشکار گفت موسی آیا میگوئید مر حق را چون آمد شما را آیا سحر است این و رستگار نمیشوند جادوگران

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي

گفتند آیا آمدی ما را تا برگردانی ما را از آنچه یافتیم بر آن پدران خود را و باشد مر شما را بزرگی در زمین و نیستیم مر شما را گروندگان و گفت فرعون بیاورید نزد من

بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ

هر ساحر دانا را پس چون آمدند ساحران گفت مر ایشانرا موسی بیندازید آنچه شما اندازندگانید پس چون انداختند گفت موسی آنچه آوردید بدان سحر است بدرستیکه خدا باطل سازد آن

إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ

بدرستیکه خدا اصلاح نمیدهد کار فساد کنندگان را و ثابت میکند خدا حق را بکلماتش و اگرچه ناخوش دارند گنهکاران پس ایمان نیاورد بموسی مگر فرزندانی از قومش بر ترسی

مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ

از فرعون و گروه ایشان که عذاب کند ایشانرا و بدرستیکه فرعون هر آینه غالب است در زمین و بدرستیکه او از اسراف کاران و گفت موسی ای قوم من اگر هستید ایمان آورده بخدا

فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ

پس بر او توکل کنید اگر هستید از منقادان پس گفتند بر خدا است توکل ما پروردگارا مگردان ما را فتنه مر گروه ستمکاران و نجات ده ما را برحمت خود از

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ

گروه کافران و وحی کردیم بسوی موسی و برادرش که جای گیرید مر قومشانرا بمصر خانها و بگردانید خانهای خود را قبله و برپا دارید نماز را و مژده ده



الْمُؤْمِنِيْنَ وَقَالَ مُوْسٰى رَبَّنَا اِنَّكَ اٰتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَاَهٗ زِيْنَةً وَّاَمْوَالًا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيْلِكَ رَبَّنَا

گروندگان را و گفت موسی ای پروردگار ما بدرستیکه تو دادهٔ فرعون و جماعتش را آرایشی و مالها در زندگانی دنیا ای پروردگار ما تا گمراه کنند از راه تو ای پروردگار ما

اطْمِسْ عَلٰٓى اَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْا حَتّٰى يَرَوُا الْعَذَابَ الْاَلِيْمَ قَالَ قَدْ اُجِيْبَتْ دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيْمَا وَلَا تَتَّبِعٰٓنِّ

ناچیز کن بر مالهای ایشان و سخت گردان بر دلهای ایشان پس ایمان نیارند تا ببینند آن عذاب دردناک را گفت بتحقیق اجابت کرده شد دعای شما پس راست باشید و از پی مروید

سَبِيْلَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ وَجٰوَزْنَا بِبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ الْبَحْرَ فَاَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُوْدُهٗ بَغْيًا وَّعَدْوًا حَتّٰٓى اِذَآ اَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ

راه آنان را که نمیدانند و گذرانیدیم بنی اسرائیل را از دریا پس از پی رسید ایشان را فرعون و لشکرهاش از روی ستم و تعدی تا چون دریافتش غرق گفت

اٰمَنْتُ اَنَّهٗ لَآ اِلٰهَ اِلَّا الَّذِيْٓ اٰمَنَتْ بِهٖ بَنُوْٓا اِسْرَآءِيْلَ وَاَنَا مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ اٰلْئٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِيْنَ

ایمان آوردم که نیست الهی مگر آنکه ایمان آوردند بدو فرزندان یعقوب و من از منقادانم اکنون و بتحقیق نافرمانی کردی پیش و بودی از تباه کنندگان

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيْكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُوْنَ لِمَنْ خَلْفَكَ اٰيَةً وَاِنَّ كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ اٰيٰتِنَا لَغٰفِلُوْنَ القراءة وشركاؤكم بالرفع يعقوب ان

پس امروز برهانیم ترا بموضع بلند با بدن تو تا باشی برای آنکه بعد از تو آید نشانه و بدرستیکه بسیاری از مردمان از نشانهای ما بیخبرانند اجری بفتح الياء حيث كان ابو جعفر و

نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص يكون لكما بياء الغيبة حماد ويزيد وزيد الباقون بتاء التأنيث المدينة ابو عمرو وان تبوءا ابا اليا

الخزاز وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الاخرون بالهمز ليضلوا بضم الياء حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل ولا تتبعان بتخفيف النون

ابن عامر غير الحلواني عن هشام تتبعان خفيفة التاء والنون ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفي كلتا القراءتين خففت النون ثم

كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية الباقون والحلواني عن هشام تتبعان بتشديدهما في الحالين آمنت انه بكسر الهمزة على الاستئناف

بدلا من آمنت حمزة وعلي وخلف الاخرون بالفتح ننجيك من الانجاء سهل ويعقوب وقتيبة الاخرون بالتشديد الوقوف نبأ نوح م لئلا

يوهم ان اذ ظرف لقوله اتل بل التقدير واذكر اذ قال ولا تنظرون من اجر ط على الله لا لان التقدير وقد امرت من المسلمين بآياتنا ج للفاء

ولان امر النظر للعبرة يقتضي التثبت للنظر المنذرين من قبل ط المعتدين مجرمين مبين لما جاءكم لا بناء على ان التقدير اتقولون

للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام في قوله اسحر يستحق الابتداء وسيجيء له مزيد بيان هذا ط للفصل بين الاخبار والاستخبار الساحرون

في الارض ط بمؤمنين عليم ملقون ما جئتم به ط لمن قرأ السحر مستفهما السحر ط سيبطله ط المفسدين المجرمون ان يفتنهم ط في الارض ج لاتصال الكلام

المسرفين مسلمين توكلنا ج ط للعدول مع اتحاد القائل الظالمين لا للعطف الكافرين ج واقيموا الصلوة ط لان قوله وبشر خطاب

لمحمد وان اريد به موسى فلابد من العدول المؤمنين الدنيا لا لتعلق قوله ليضلوا بقوله آتيت ربنا تكرار للالحاح

والتضرع عن سبيلك ج لابتداء النداء مع اتحاد القائل الاليم لا يعلمون وعدوا ط الغرق لا لان قال جواب المسلمين المفسدين

آية ط لغافلون التفسير لما بالغ في تقرير الدلائل والبينات والجواب عن الشبهات شرع في قصص الانبياء المتقدمين لان نقل الكلام

من اسلوب الى اسلوب اقرب الى انشراح الصدور ودفع الملال مع ان في ذكرها تسلية للرسول وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوائد

التي سنذكرها في الاعراف معنى كبر ثقل وشق كقوله وانها لكبيرة وفي مقامي وجوه منها انه زيادة كقولك فعلت كذا لمكان فلان

اي لاجله وكقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي ربه ومثله قولهم فلان ثقيل الظل ومنها انه اراد به المكث اي شق عليكم مكثي بين اظهركم

مدد طوال الف سنة الا خمسين عاما ولا شك انه من الفطرة ويدعي الى خلافها ولا سيما اذا تكرر الدعاء كان ذلك موجبا للتنفر والثقل وخاصة

اذا كان تلك الطريقة مقتضاة للنفس والطبيعة الداعيتين الى اللذات العاجلة ومنها ان يكون المقام بمعنى القيام لانهم كانوا يقومون على اقدامهم

في الوعظ والتذكير ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود وجواب الشرط اما قوله

فعلى الله توكلت اي ان شق بعضكم لي تحملكم على الاقدام على ايذائي وانا لا اقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله فان ذلك هجيري قديما

وحديثا واما قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت اعتراض كقولك ان كنت انكرت علي شيئا فالله حسبي فاعمل ما تريد ولا

يحسن ان يقال ان الفاء الثانية عاطفة للاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فاجمعوا امركم اعزموا عليه من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه

قاله الفراء وقال ابو الهيثم اجمع امره اي جعله جمعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على امر

واحد فقد جمعه اي جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اي عزمت عليه

والفصيح جمعت الامر والمراد بالامر وجوه مكرهم وكيدهم وانتصب شركاءكم على المفعول معه اي مع شركائكم ومن قرأ بالرفع عطفا

على الضمير المتصل وانما يحسن ذلك من غير تأكيد بالمنفصل للفصل والمراد بالشركاء اما منهم على مثل قولهم ودينهم واما الاصنام و

حسن اسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم انه قال في اول الامر فعلى الله توكلت ليدل على

انه واثق بوعد الله جازم بان تهديدهم اياه بالقتل لا يضره ثم اورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا كيدهم كأنه قال حصلوا

كل ما تقدرون عليه من الاسباب المؤدية الى مطلوبكم غير مقتصرين على ذلك بل ضامين الى انفسكم شركاءكم الذين تزعمون ان حالهم

ربع



يقوي بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا آخر فقال ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال ابو الهيثم اي مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم اي التبس
وقال الليث يقال هو في غمة من امره اذا لم يهتد له وقال الزجاج اي ليكن امركم الذي اجتمعتم عليه ظاهرا منكشفا اي تجاهروني بالاهلاك ويحتمل ان يراد
بهذا الامر العيش والحال اي اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة حالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة ثم زاد
قيدا آخر فقال ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وحكموا بصحته وامضائه وعن القفال ان فيه تتميما والمعنى
القوا الي ما استقر عليه رايكم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام بقوله ولا تنظرون اي عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير امهال
ومعلوم ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن بلغ في التوكل الغاية القصوى ثم بين ان كل ما اتى به فان ذلك فارغ من الطمع الدنيوي والغرض الخسيس
فقال فان توليتم اعرضتم عن نصحي وتذكيري فما سألتكم من اجر فما كان عندكم ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع او غرض عاجل ان اجري ليس
اجري الا على الله اي ما نصحتكم الا لوجهه ولا ينبغي لي هو وفي الآية نكتة كانه اراد انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله
فعلى الله توكلت الى آخره ولا بانقطاع الاجر منهم وذلك قوله فان توليتم الآية وامرت ان اكون من المسلمين اي سواء قبلتم دين الاسلام
او لم تقبلوه فانا مامور بان اكون على دين الاسلام او مامور بالاستسلام لكل ما اتى من قبل هذه الدعوة فكذبوه بقوا على تكذيبهم
الى آخر المدة المتطاولة فنجيناه ومن معه في الفلك قد ذكرنا في الاعراف الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك وجعلناهم خلائف يخلفون
الهالكين بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لشان اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ثم بعثنا من بعده من بعد نوح
رسلا كهود وصالح وابرهيم ولوط وشعيب فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحات والمعجزات الباهرات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الآية
قد مر تفسيرها في اواسط الاعراف الا انه زيد ههنا لفظة به فقيل لتناسب ما قبله فكذبوا باياتنا وكذلك في الاعراف راعى المناسبة لان
ما قبله ولكن كذبوا فبغير الباء ثم بعثنا من بعدهم بعد الرسل والامم باياتنا يعني الآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين
كفارا ذوي آثام ولذلك اجترؤا على رد الآيات اما قوله أسحر هذا فليس بمقول القول لانهم قطعوا في قولهم ان هذا لسحر مبين بانه
سحر فما استفهموا ولكن الوجه فيه ان يقال ان القول ههنا بمعنى الطعن والعيب كالذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ومنه قولهم فلان يخاف
القالة اي مطاعن الناس فكانه قال تعيبون الحق وتطعنون فيه ثم انكر عليهم قولهم فقال أسحر هذا ويقال مفعول يقولون محذوف وهو
قولهم ان هذا لسحر مبين ويقال جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا منكرين لما جاءهم أجئتما بالسحر
تطلبان به الفلاح ولا يفلح الا ان حاصل صنيعهم تخييل وتمويه قالوا أجئتنا لتلفتنا التركيب يدل على الالتواء ومنه الفتل والالتفات
افتعال من اللفت وهو الصرف في اللي وتكون لكما الكبرياء في الارض اي الملك والعز في ارض مصر قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب
من امر الدنيا وايضا فالنبي اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد امته اليه فصار اكبر القوم وقيل لان الملوك موصوفون بالكبر
والحاصل انهم عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بامرين التمسك بالتقليد هو عبادة آبائهم الاصنام والحرص على طلب الدنيا والجد في بقاء
الرياسة ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا ثم صرحوا بالتكذيب قائلين وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا المعارضة
وقد مرت تلك القصة في الاعراف اما قوله ما جئتم به فمعناه الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله
قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب لكلام الذي سبق كانهم قالوا لموسى ما جئت به سحر فقال موسى بل ما جئتم به
السحر فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا عادت عادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت رجلا فيقول له من الرجل ولو قال من رجل لم يقع في
وهمه انه يسئل عن الرجل الذي ذكره ومن قرأ آلسحر بالاستفهام فما استفهامية مبتدأ وجئتم به خبره كانه قيل اي شيء جئتم به ثم قال على وجه
التوبيخ آلسحر اي هو سحر او السحر جئتم به ان الله سيبطله باظهار المعجزة عليه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يؤيده بجميل الخاتمة ويحق الله
الحق يثبته بكلماته بمواعيده او بما سبق من قضائه او باوامره فما آمن لموسى اي في اول امره الا ذرية من قومه قال ابن عباس لفظة الذرية
يعبر بها عن القوم على وجه التحقير ولا ريب ان المراد ههنا ليس هو والاهانة فالمراد التصغير بمعنى قلة العدد وقيل المراد اولاد من اولاد قوم كانه
دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف من فرعون ان يصرفهم عن دينهم بتسليط انواع البلاء عليهم
وقيل ان الذرية اقوام كان آباؤهم من قوم فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل وقيل الذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه
امرأة خازنه وماشطته فالضمير في قومه على هذا لفرعون وعوده الى موسى اظهر لانه اقرب المذكورين ولما نقل ان الذين آمنوا به كانوا
من بني اسرائيل والضمير في ملئهم اما لفرعون على جهة التعظيم لانه ذو اصحاب يأتمرون له او المراد آل فرعون بحذف المضاف او للذرية
يعني اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم يدل على ذلك قوله ان يفتنهم اي يعذبهم فرعون
ثم اكد اسباب الخوف بقوله وان فرعون لعال لغالب في الارض ارض مصر وانه لمن المسرفين في القتل والتعذيب او المجاوزين الحد لانه من جنس
العبيد فادعى الربوبية العليا وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا اخصوه بتفويض اموركم اليه
ان كنتم مسلمين قال العلماء المؤخر في مثل هذه الصورة مقدم في المعنى نظيره ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة والمراد ان كانت بك

توة فان ضربك بذا ضربه فكانه قيل لهم في حال اسلامهم ان كنتم منقادين لتكاليف ربكم بالاخلاص مصدقين له بالتحقيق عارفين بانه
الواجب الوجود لذاته وما سواه محدث مخلوق فهو تحت حكمه وتدبيره ففوضوا جميع اموركم اليه وحده فقالوا امتثالا لموسى عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا
ثم اشتغلوا بالدعاء قائلين رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً اي موضع فتنة لهم والمراد بالفتنة تعذيبهم اوصرفهم عن دينهم او المراد لا تفتن بنا فرعون
وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار ذلك شبهة لهم في انا لسنا على الحق ويجوز ان يكون الفتنة بمعنى المفتون اي لا تجعلنا مفتونين بان
تمكنهم من صرفنا عن الدين الحق ولما قدموا التضرع الى الله في ان يصون دينهم عن الفساد اتبعوه سؤال عصمة انفسهم فقالوا وَنَجِّنَا الاية
وفي ذلك دليل على ان عنايتهم بمصالح الدين فوق اهتمامهم بمصالح النفس وهكذا يجب ان يكون عقيدة كل مسلم والله الموفق وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا تبوّأ بالمكان اتخذه مباءة ومرجعا مثل توطنه اذا اتخذه وطنا واختلف المفسرون في البيوت فمنهم من ذهب
الى انها المساجد كقوله في بيوت اذن الله ان ترفع فالمراد من قوله وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ان يجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة
وهي جهة بيت المقدس او الكعبة على ما نقل عن ابن عباس قال الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع العدول عنه بامر الله تعالى في ايام
نبينا عم بعد الهجرة ومنهم من قال انها مطلق البيوت ثم قيل المراد واجعلوا دوركم قبلة اي صلوا في بيوتكم وقيل المراد اجعلوا بيوتكم متقابلة
اما السبب في اتخاذ هذه البيوت فان يصلوا في بيوتهم خفية خيفة عن الكفرة كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة او المقصود الجمعية
واعتضاد البعض بالبعض وقيل على التفسير الاول لما اظهر فرعون العداوة الشديدة امر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم
الاعداء وتكفل ان يصونهم عن شرهم وانما ثنى الخطاب اولا ثم جمع لان اختيار المكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء فخوطب موسى وهرون
بذلك ثم جعل الخطاب عاما لهما ولقومهما لان استقبال القبلة واقامة الصلوة واجب على الجمهور ثم خص موسى عم بالتبشير في قوله وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
لان الغرض الاصلي من جميع العبادات هو هذه البشارة فلم تكن لائقة الا بحال موسى الذي هو الاصل في الرسالة وفيه تعظيم لشان البشارة
والمبشر قال الضعيف مؤلف الكتاب قد سنح في خاطري وقت هذه الكتابة ان الخطاب في قوله وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ لنبينا عم على طريقة الالتفات
والاعتراض ومضمون البشارة انه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون سائر الامم فانهم امروا باتخاذ موضع يرجعون
اليه بنية للعبادة والله اعلم بمراده ثم ان موسى عم لما بالغ في اظهار المعجزات القاهرة ورأى القوم مصرين على الجحود والانكار اخذ يدعو
عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب الدعاء عليه فلهذا قال موسى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا
فالزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب واثاث البيت والاموال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق عن ابن عباس كانت لهم
من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة قالت الاشاعرة اللام في قوله لِيُضِلُّوا لام التعليل كان موسى عم قال يا
رب انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا ففيه دلالة على انه تعالى سبب لضلالهم واراد منهم ذلك واللام هي اسبابه ثم شرع في
الدعاء عليهم بالطمس على اموالهم والطمس المحو والتسخير كما مر في سورة النساء في قوله سبحانه مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا وبالشد على قلوبهم وهو معناه
الاستيثاق والختم وقالت المعتزلة قوله لِيُضِلُّوا دعاء بلفظ الامر الغائب دعا عليهم بثلثة امور بالضلال وبالطمس وبالشد كانه لما علم
بالتجربة وطول الصحبة ان ايمانهم كالمحال او علم ذلك بالوحي اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره فالمراد ليثبتوا على
ما هم عليه من الضلال وليطبع الله على قلوبهم كما يقول الاب المشفق لولده اذا لم يقبل نصحه استمر على غيك سلمنا ان قوله ليضلوا امر
دعاء عليهم لكن اللام فيه للعاقبة كقوله لدوا للموت سلمنا ان اللام للتعليل لكنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها
ليضلوا ولم لا يجوز ان يكون لا مقدرة اي لئلا يضلوا كقوله يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا اي لا تضلوا او يكون حرف الاستفهام مقدرا
في ليضلوا على سبيل التعجب واما قوله تعالى فَلَا يُؤْمِنُوا فاما ان يكون معطوفا على قوله ليضلوا على التفاسير كلها وما بينهما اعتراض واما ان يكون
جوابا لقوله واشدد ويجوز ان يكون دعاء بلفظ النهي معطوفا على اشدد قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا اضاف الدعوة اليهما لان موسى كان
يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان الا انه خص موسى بالذكر في الاية الاولى لاصالته في الرسالة والمعنى ان دعاءكما مستجاب
وما طلبتما كائن ولكن في وقته فَاسْتَقِيمَا فاثبتا على ما انتما عليه من التبليغ والانذار زيادة في الزام الحجة وَلَا تَسْتَعْجِلَا فقد لبث نوح في قومه
الف سنة الا قليلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة يدعوهم الى الله وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ان الاستعجال
لا يفيد اجابة الدعاء فقد يستجاب الدعاء ولكن يظهر الاثر بعد حين وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ قد مرت تلك القصة في اوائل سورة البقرة
في قوله وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ الاية ومعنى قوله فَأَتْبَعَهُمْ لحقهم يقال تبعه حتى اتبعه البغي الافراط في الظلم والعدو مجاوزة الحد وفي الاية
سؤال هو ان فرعون تاب ثلث مرات احدها قوله آمنت وثانيها انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وثالثها وانا من المسلمين فلم
يقبل توبته والجواب من وجوه الاول انه ايمان اليأس وانه لا يقبل لان الالجاء ينافي التكليف الثاني انها لم تكن مقرونة بوجود الصانع ومثل
هذا الاعتقاد الفاحش لا يزول ظلمته الا بنور الحجة القطعية الرابع ما روي ان بعض بني اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل
فاراد الايمان بذلك العجل الذي امنوا بعبادته في ذلك الوقت وكانت هذه الكلمة سببا لزيادة الكفر انما من اكثر الدهرية يميلون الى

بالاخلاص وانما كانت لدفع البلية الحاضرة والمحنة النازلة الثالث ان ذلك التوحيد كان مبنيا على محض التقليد والمخذول كان من الدهرية المنكرين

التجسيم والتشبيه لذلك عبدوا العجل وكأنه ما آمن إلا بالإله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول السادس لعل الإيمان إنما يتم بالإقرار
بوحدانية الله تعالى وبنبوة موسى كما أنه لو قيل ألف مرة لا إله إلا الله لم يصح إيماننا إلا إذا قرن به محمد رسول الله تعالى إلى الناس كافة السابع
يروى أن جبرئيل عليه السلام أتى فرعون بفتيا ما قول الأمير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمه فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون
فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته أن يغرق في البحر ثم إن فرعون لما غرق دفع جبرئيل إليه
خطه فعرفه فأما قوله الآن فالمشهور من الأخبار أنه قول جبرئيل وقيل إنه قول الله سبحانه والتقدير أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين
أدركك الغرق وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين في مقابلة قوله وأنا من المسلمين يروى أن جبرئيل أخذ يملأ فاه بالطين حين قال
آمنت لئلا يتوب غضبا عليه والأقرب عند العلماء أن هذا الخبر غير صحيح لأنه إن قال ذلك حين بقاء التكليف لم يجز على جبرئيل أن يمنعه من التوبة
بل يجب أن يحثه عليها وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا ولو منعه لكانت التوبة ممكنة لأن الأخرس قد يتوب بأن يعزم بقلبه على ترك
المعاودة إلى القبيح ولو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضاء بالكفر كفر وكيف يليق به سبحانه أن يقول لموسى وهرون
فقولا له قولا لينا ثم يأمر جبرئيل بمنعه عن الإيمان ولو قيل إن جبرئيل فعل ذلك من تلقاء نفسه كان منافيا لقوله وما نتنزل إلا
بأمر ربك لا يسبقونه بالقول وإن كان قال ذلك بعد زوال التكليف لم يكن لما فعل جبرئيل فائدة اللهم إلا أن يقال إنه دس حال البحر
في فيه وقت لا ينفعه بيانا لغضب الله على الكافر قوله فاليوم ننجيك ببدنك فيه أقوال منها أن معناه نخرجك من البحر ونخلصك مما
وقع فيه قومك من قعر البحر لكن بعد أن تغرق قوله ببدنك في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن فالكعب بقاه
الماء إلى الساحل كأنه ثور وأما المراد ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو عريانا بالست الا بدنا وفيه نوع تهكم كأنه قيل ننجيك
لكن هذه النجاة إنما يحصل لبدنك لا لروحك كما يقال نعتقك فنخلصك من السجن لكن بعد أن تموت وقيل ننجيك ببدنك أي نلقيك
بنجوة من الأرض وهي المكان المرتفع وقيل ببدنك أي بدرعك قال الليث البدن الدرع القصير الكمين عن ابن عباس قال كان عليه درع
من الذهب يعرف بها فأخرجه الله من الماء مع ذلك الدرع ليعرف فإن صحت هذه الرواية كانت معجزة لموسى قوله لتكون لمن خلفك آية فقيل إن قوما
اعتقدوا في إلهيته وزعموا أن مثله لا يموت فأظهر الله تعالى أمره بأن أخرجه من الماء بصورته حتى يشاهدوه وتزول الشبهة عن قلوبهم
وكان مطرحه على ممر من بني إسرائيل فلهذا قيل لمن خلفك وقيل إنه تعالى أراد أن يشاهده الخلق على ذلك الذل والإهانة بعدما سمعوا
منه قوله أنا ربكم الأعلى ليكون ذلك زجرا للعابرين عن مثل طريقته ويعرفوا أنه كان بالأمس في نهاية الجلالة ثم آل أمره إلى ما رأوا فلا
يجترؤا على نحو ما اجترأ عليه وقيل المراد ليكون طرحك بالساحل وحدك دون المغرقين آية من آيات الله للأمم الآتية ثم زجر هذه الأمة عن
ترك النظر في الدلائل وحثهم على التأمل والاعتبار فقال وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون التأويل واتل عليهم نبأ نوح الروح
إذ قال لقومه وهم القلب والسر والنفس وصفاتها يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي في الأخلاق الحميدة الروحانية ودعائي إلى الله بآياته
الواضحة فما سألتكم من أجر من حظ من حظوظ مشاربكم الدنيوية ما حظي إلا من مواهب الله وشهود جماله وجعلناهم خلائف خلفاء
الله في أرضه يأتي التأويل كما مر في الأعراف وهكذا في قصة موسى ولا يفلح الساحرون لأن الفلاح هو الخلاص عن قيد الوجود المجازي
ويحق الله الحق أي الذكر بكلماته وهي لا إله إلا الله ولو كره أهل الهوى والنفوس الأمارة فما آمن لموسى القلب إلا صفاته أو بعض صفات
فرعون النفس بتبديل أخلاقها الذميمة بالأخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها أن يصرفهم
إلى خلالها الطبيعية التي جبلت عليها وأوحينا إلى موسى القلب وهرون السر أن هيئا الصفاتكما بمصر عالم الروح مقامات ومنازل لا في
عالم النفس السفلي واجعلوا تلك المقامات متوجهة إلى طلب الحق وأقيموا الصلوة أديموا العروج من المقامات الروحانية إلى المواصلات
الربانية ليضلوا عن سبيلك ليكون عاقبة أمرهم أن ينقطعوا ويقطعوا أبناء الملأ عن السير في طلبك ربنا اطمس على أموالهم بمحقها في
حقيرها في نظرهم واشدد طريق النظر إلى الدنيا وما فيها على قلوبهم واجعل همتهم عليه في طلبك والنظر إليك فقط حتى يروا العذاب الأليم
فإن النفس وصفاتها لا يؤمنون بالآخرة وطلب الحق حتى يذيقهم ألم الفطام عن الدنيا ومشتهياتها سبيل الذين لا يعلمون طريق الوصول
إلى الله ولا يعرفون قدره وجاوزنا ببني إسرائيل هم القلب والسر وصفاتهما البحر بحر الروحانية الملكوتية فأتبعهم فرعون النفس وصفاتها
بعد الفطام عن شواغلها للملك بغيا وعدوا حتى إذا هبت رياح اللطف وتموجت بحار الفضل واستغرق موسى القلب وصفاته في لجج بحر
الوصال وبلغت أمواج مواجه إلى ساحل البشرية أدرك فرعون النفس الغرق فتمسك بعروة تلك الغرق قال آمنت وهذا من مآثر جذبة فرعون
النفس من عالم الروح أنه لم يتمسك بحبل التوحيد المعرفة بيد الصدق والاستقلال لم يقل آمنت بالله الذي لا إله إلا هو وإنما تمسك بيد
الاضطراب والتقليد فقال لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ننجيك ببدنك أي نخلصك مع قالبك من بحر الضلالة لتكون دليلا
على كمال قدرتنا وعلى عنايتنا وأن من تبع خواص عبادنا نجعله من أهل النجاة والدرجات بعد أن كان من أهل الهلاك والدركات
والله حسبنا ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن

ع ١٠

رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ‎ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتٰبَ

پروردگار تو حکم میکند میان ایشان روز قیامت در آنچه بودند در آن اختلاف میکردند ‎ پس اگر باشی در شک از آنچه فرو فرستادیم بسوی تو پس بپرس از آنها که میخوانند کتاب را

مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ‎ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰتِ اللّٰهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخٰسِرِينَ

پیش از تو هرآینه آمد ترا حق از پروردگارت پس مباش از شک کنندگان ‎ و مباش البته از آنها که تکذیب کردند آیتهای خدا را پس خواهی بود از زیانکاران

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ‎ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتّٰى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ‎ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ

هرآینه آنانکه لازم شد بر ایشان کلمهٔ پروردگار تو ایمان نخواهند آورد ‎ و اگر آید بایشان هر آیتی تا آنکه ببینند عذاب دردناک را ‎ پس چرا نبود قریه که ایمان آورد پس

فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنٰهُمْ إِلٰى حِينٍ ‎ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ

پس نفع کرده بودی او را ایمانش مگر گروه یونس چون ایمان آوردند دفع کردیم از ایشان عذاب رسوائی را در زندگانی دنیا و برخوردار کردیم ایشان را تا وقتی ‎ و اگر خواستی پروردگار تو

لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتّٰى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ‎ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ

ایمان آوردندی هر که در زمین است همهٔ ایشان تمام ‎ آیا پس تو اکراه میکنی مردمان را تا باشند گروندگان ‎ و نیست هیچ نفسی را که ایمان آرد مگر بدستوری خدا

وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ‎ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيٰتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا

و میگرداند ناپاکی را بر آنها که نمی‌یابند ‎ بگو بنگرید که چیست در آسمانها و زمین و کفایت نمیکند آیتها و بیم کنندگان از گروهی که

يُؤْمِنُونَ ‎ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ‎ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا

ایمان نمی‌آرند ‎ پس آیا انتظار میبرند مگر مانند روزهای آنانکه گذشتند از پیش ایشان ‎ بگو پس منتظر باشید بدرستیکه من با شما از منتظرانم ‎ پس میرهانیم رسولان خود را

وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ‎ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ

و آنها که گرویدند ‎ همچنین ثابت است بر ما که برهانیم گروندگان را ‎ بگو ای مردمان ‎ اگر باشید در شک ‎ از دین من پس نمی‌پرستم ‎ آنها را که می‌پرستید

مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلٰكِنْ أَعْبُدُ اللّٰهَ الَّذِي يَتَوَفّٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ‎ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا

از غیر خدا ‎ ولیکن میپرستم خدای را که میمیراند شما را ‎ و فرموده شدم که باشم از گروندگان ‎ و اینکه راست کن روی خود را برای دین حق گرای و مباش

تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ‎ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظّٰلِمِينَ ‎ وَإِنْ يَمْسَسْكَ

البته از شرک آرندگان ‎ و مخوان از غیر خدا ‎ آنچه نفع نرساند ترا و ضرر نرساند ترا ‎ پس اگر کردی پس بدرستیکه تو در این هنگام خواهی بود از ستمکاران ‎ و اگر برساند ترا

اللّٰهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

خدا بضرری پس نیست دفع کننده مر آنرا الا او ‎ و اگر خواهد بتو خیری پس نیست منع کننده مر فضل او را ‎ میرساند آنرا بهر که خواهد از بندگان خویش ‎ و اوست آمرزنده مهربان

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدٰى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بگو ای مردمان ‎ بتحقیق آمد شما را حق از پروردگار شما ‎ پس هر که هدایت یافت پس جز این نیست که هدایت می‌یابد برای نفع خود ‎ و هر که گمراه شد پس جز این نیست که گمراه میشود بر ضرر خود ‎ و نیستم بر شما

بِوَكِيلٍ ‎ وَاتَّبِعْ مَا يُوحٰى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتّٰى يَحْكُمَ اللّٰهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحٰكِمِينَ ‎ القراءة بوانا مثل انشانا ويجعل بالنون يحيى وحماد الاخرون

کارگذار ‎ و پیروی کن آنچه وحی فرستاده میشود بسوی تو و صبر کن تا آنکه حکم کند ‎ خدا و اوست بهترین حکم کنندگان

باليا التحتانية ثم ننجي من الانجاء نصر وروح ويزيد ننجي المؤمنين من الانجاء ايضا علي وسهل ويعقوب وحفص والمفضل الاخرون بالتشديد فيهما الوقوف الكتاب ج للابتداء بالنفي مع الفاء العلم ط يختلفون من قبلك ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى الممترين لا للعطف الخاسرين لا يؤمنون لا لتعلق لو بما قبلها الاليم يونس ط حين جميعا ط مؤمنين باذن الله ط اي وهو يجعل لا يعقلون والارض ط للفصل بين الاستخبار والاخبار لا يؤمنون من قبلهم ط من المنتظرين كذلك ج لاحتمال ان يراد ننجيهم كانجاء الرسل ويكون الوقف على امنوا والتقدير ننجي المؤمنين لا انجاء كذلك ٭ حقا علينا اعتراض المؤمنين لا يتوفكم لاحتمال ان يراد وقد امرت المؤمنين لا للعطف حنيفا ج للعطف مع زيادة نون التاكيد المؤذن بالاستيناف المشركين ولا يضرك ج للابتداء بالشرط مع الفاء الظالمين لا هو ج للعطف مع حق الفصل بين المتضادين لفضله ط من عباده ط الرحيم من ربكم ج لنفسه ج عليها ج للعطف مع النفي بوكيل ط يحكم الله ج لاحتمال العطف والاستيناف الحاكمين التفسير لما ذكر ما وقع عليه العلم في واقعة فرعون وجنوده اراد ان يذكر ما وقع عليه العلم في واقعة بني اسرائيل فقال ولقد بوانا اي اسكناهم مسكن صدق واسكان صدق فيكون المبوء اسم مكان او مصدرا والعرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق ليعلم ان كل ما يظن به من الخير ويطلب منه فانه يصدق ذلك الظن يوجد فيه فيكون المعنى منزلا صالحا مرضيا والمراد بنى اسرائيل اما اليهود الذين كانوا في زمن موسى ثم تبوءوا الصدق الشام ومصر وما يليهما فانها بلاد كثيرة الخصب غزيرة الارزاق ومع ذلك نفذا وثمة بالله جميعا كانت تحت تصرف فرعون وقومه من الناطق والصامت فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا وكانوا على طريقة واحدة حتى قرءوا التورية فتاولوها بضد المقصود منها وبدلوا الاتفاق بالاختلاف واحدثوا المذاهب المتعددة

وامّا

سورة يونس

واما اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والى هذا ذهب جم غفير من المفسرين عن ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو قينقاع انزلناهم منزل الصدق
ما بين المدينة والشام ورزقناهم من طيبات تلك البلاد رطبا وتمرا الذين في غيرها فبقوا على دينهم ولم يظهر فيهم الاختلاف حتى جاءهم
سبب العلم وهو القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم فاختلفوا في نعته وصفته وامن به قوم وبقي على الكفر اخرون بالجملة فالله تعالى يقضي بين
المحقين منهم والمبطلين في يوم الجزاء لان دار التكليف ليست بدار القضاء ولما بين كيفية اختلاف اليهود في شان كتابهم او في شان رسولهم
حقوق حقيقته وحقيقة ما انزل عليه بقوله فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ والشك في اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض ومنه شك الجوهر في العقد شكه بالرمح
خرقه وانتظمه والتشكك الفرقة من الناس والشكائك البيوت المصطفة والشاك يضم الى ما يتوهمه شيئا اخر خلافه والخطاب فيه للرسول
في الظاهر والمراد امته كقوله يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ والدليل عليه قوله بعد ذلك قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي ولانه لو كان
شاكا في شانه لكان غيره بالشك اولى ويمكن ان يقال الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة ولكن ورد على سبيل الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك
مثلا والقضية الشرطية لا اشعار فيها البتة بوقوع الشرط ولا وقوعه بل المراد استلزام الاول للثاني على تقدير وقوع الاول وقد يكون من
محالين كقول القائل ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين وفيه من الفوائد الارشاد الى طلب الدلائل لاجل مزيد اليقين وطمأنينة القلب
الطمانينة وفيه استمالة الامة والحث لهم على السؤال عما كانوا منه في شك وفيه ان اهل الكتاب من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة
مثلك فضلا عن غيرك فيكون الغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى الرسول لا بالشك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عنده ولا اشك
ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل الخطاب في قوله فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ يعني
لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا وقيل الخطاب لكل سامع يتاتى منه الشك من المسئول عنه فالمحققون منهم مؤمنوا
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء لانهم
اذا بلغوا حد التواتر وقراوا اية من التوراة والانجيل يدل على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل الغرض لان تلك الاية لما بقيت مع توفر دواعيهم
على تحريفها كانت من اقوى الدلائل والظاهر ان المقصود من السؤال معرفة حقيقة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وقيل
السؤال راجع الى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ثم انه سبحانه لما بين الطريق المزيل للشك شهد بحقيته فقال لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
ثم ان فرق المكلفين بعد المصدقين اما متوقفون في صدقه واما مكذبون فنهى الفريقين مخاطبا في الظاهر لنبيه فقال فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ
وَلَا تَكُونَنَّ الاية والمراد اثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية وانتفاء التكذيب وفيه من التهييج والبعث على اليقين والتصديق ما فيه ثم لما
زجر كل فريق عما زجر بين ان له عبادا قضى عليهم بالشقاء وعبادا ختم لهم بالحسنى فلا يتغيرون عن حالهم البتة اما الاولون فاشار اليهم بقوله
إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ الاية وقد مر مثله في هذه السورة وقالت المعتزلة ان عدم ايمان هذا الفريق الى حين وقوع الباس سوء ابتهم على الكفر مكتوب
عند الله وثبت عليهم قوله في الازل بما يجري عليهم لكنها كانت مقدورة ومرادة وقالت الاشاعرة كلمته حكمه وارادته وخلقه فيهم الكفر وقد مرت
هذه الابحاث مرارا كثيرة واما الاخرون فذلك قوله فَلَوْلَا كَانَتْ اي فهلا حصلت قَرْيَةٌ وَاحِدَةٌ آمَنَتْ تابت من الكفر واخلصت الايمان
قبل معاينة العذاب فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا لوقوعه في وقت الاختيار والتكليف دون اوان الياس والاضطرار إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ هو استثناء منقطع اي
ولكن قوم يونس لان اول الكلام جرى على القرية وان كان المراد اهلها وقيل ان لولا في هذا المقام بمعنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من
القرى الهالكة الا قوم يونس يروى ان يونس صلى الله عليه وسلم بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا كما سيجيء في سورة الانبيا
فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب
الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلثون غامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى تغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا
المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى
بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود
بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم
فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم ومتعوا
بالايمان والاعمال الصالحة وبالخيرات الدنيوية الى حين انقضاء اجالهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت
وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ثم بين ان الايمان وضده كلاهما بمشية الله وتقديره فقال وَلَوْ
شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا قالت الاشاعرة هذه القضية تفيد الشمول والاحاطة لكنه ما حصل ايمان اهل الارض
بالكلية فدل هذا على انه تعالى ما اراد ايمان الكل واول المعتزلة المشية بمشية الالجاء والقسر حيث ان الكلام في الايمان الذي كان يطلبه
النبي منهم وهو الايمان المنوط به التكليف لا الايمان القسري الذي لا ينتفع به المكلف فلو حمل الايمان المذكور في الاية وكذا المشية
على الايمان الالجاء ومشية القسر لم ينتظم الكلام ثم ذكر ان القدرة القاهرة والمشية النافذة ليست الا للحق سبحانه وتعالى فقال أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ

لا وصفا لرسولهم

سقاوم لا كنائبهم

نا وفي الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الكلام في المكره من هو وما هو الا الله الواحد وحده فحمل المعتزلة
هذا الاكراه على الالجاء ومعناه ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وحمل الاشاعرة الاكراه على الايمان ومعناه انه قادر
على خلق الايمان والكفر فيهم لا انت بدليل قوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس اي الكفر والفسق على الذين لا يعقلون
وفسر المعتزلة الاذن بمنح الالطاف والرجس بالخذلان لان الرجس هو العذاب والخذلان سببه خصصوا النفس بالنفس المعلوم ايمانها والذين
لا يعقلون يعني المصرين على الكفر واستدلت الاشاعرة بقوله وما كان لنفس على انه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع لان الاذن
عبارة عن الاطلاق في الفعل ورفع الحجر واذا كان اصل الشرع وهو الايمان باذن الله فما ترتب عليه اولى اجابت المعتزلة بان المراد بالاذن
التوفيق والتسهيل والالطاف ولما بين ان الايمان لا يحصل الا بمشيئة الله امر بالنظر والاستدلال بالسماوية والارضية حتى لا يتوهم ان الحق
هو الجبر المحض فقال قل انظروا ماذا في السموات والارض اي شيء فيهما من الايات والعبر ثم ذكر ان التفكر والتدبر في هذه الدلائل لا ينفع في
حق من حكم الله عليه في الازل بالشقاء فقال وما تغني يحتمل ان يكون ما نافية اي لا تفيد هذه الايات والنذر وهي جمع نذير بمعنى
او مصدر في حق المحكوم عليهم بعدم الايمان وان يكون استفهامية للانكار بمعنى اي شيء يغني عنهم ثم قال فهل ينتظرون والمراد ان الانبيا
المتقدمين كانوا يتوعدون كفار زمانهم بايام مشتملة على انواع العذاب بوقائع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم وكذلك كان
يفعل الكفار المعاصرون للرسول ثم قال سبحانه قل فانتظروا وفيه تهديد ووعيد بانه سينزل بهم مثل ما نزل باولئك من الاهلاك
بعد نجاة الرسول واتباعه كما حكى بتلك الحال الماضية بقوله ثم ننجي رسلنا الاية قالت المعتزلة حقا علينا المراد به الوجوب بالاستحقاق
اذ لا يحسن تعذيب الرسول والمؤمنين وقالت الاشاعرة انه حق بحسب الوعد والحكم فان العبد لا يستحق على خالقه شيئا ثم امر رسوله باظهار
الدين الصحيح بين طريقته وطريقة المشركين فقال قل يا ايها الناس والمعنى يا اهل مكة ان كنتم لا تعرفون ديني فاعلموا اني بريء عن اديانكم
الباطلة ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق اولا وعلى الاعادة ثانيا كما مر مرارا ولان الموت اشد
الاحوال مهابة في القلوب فكان اقوى في الزجر والردع ولانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقائع النازلة بالامم الخالية فكانه قال اعبد
الله الذي وعدني باهلاككم وانجائي وفي الاية اشارة الى انهم لن يوافقهم في دينهم كيلا يشكوا في امره ويقطعوا اطماعهم عنه ولما ذكر انه
لا يعبد الا الله بين انه مامور بالايمان والمعرفة فقال وامرت ان اكون اي بان اكون من المؤمنين ثم عطف عليه قوله وان اقم وجهك
ولا تدع نظرا الى المعنى كانه قيل لكن مؤمنا ثم اقم ولا تدع او المراد وامرت بكذا واوحي الي ان اقم قال في الكشاف قد سوغ سيبويه ان
يوصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان
على المصدر لان غيرهما من الافعال في معناهما اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه قال المحققون
الوجه ههنا وجه العقل والمراد توجيه ... كليته الى طلب الدين كمن يريد ان ينظر الى شيء نظرا تاما فانه يقيم وجهه في مقابلته لا يصرفه عنه ثم اكد الامر
بالنهي عن ضده فقال ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت اي فان دعوت من دون الله ما لا
ينفعك ولا يضرك وكنى عنه بالفعل ... اختصارا واذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سئل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل
من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال الى ما سوى مدبر الكل وضع للشيء في غير موضعه ثم صرح بانه مبدا الكائنات
ومنتهى الحاجات لا غيره فقال وان يمسسك الله الاية وقد مر تفسير مثلها في اول سورة الانعام قال الواحدي وان يردك بخير من القلب
واصله وان يرد بك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالاخر جاز كل واحد منهما واقول في تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر
دليل على ان الخير يصيبك عنه سبحانه بالذات والشر بالعرض ثم ختم السورة بما يستدل به على قضائه وقدره في الهداية والضلال فقال يا ايها
الناس الاية وفسرها الاشاعرة بان من حكم له في الازل بالاهتداء فسيقع له ذلك ومن حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة في دفعه كما مر في
سورة الانعام قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه الاية وقالت المعتزلة المراد انه بين الشريعة وازاح العلة فلطفهم وقطع المعذرة
فمن اختار الهدى فما نفع باختياره الا نفسه ومن اثر الضلال فلا يعود وباله الا على نفسه يروى عن ابن عباس ان الاية منسوخة باية
القتال ولا يخفى ضعفه ثم امر باتباع الوحي والتنزيل وان وصل اليه بسبب الاتباع مكروه فليصبر فيه الى ان يحكم الله وهو خير الحاكمين ولبعضهم
في الصبر شعر ساصبر حتى يعجز الصبر عن صبري واصبر حتى يحكم الله في امري ساصبر حتى يعلم الصبر انني صبرت على شيء امر من الصبر التاويل



ولقد بوانا بني اسرائيل يعني متولدات الروح العلوي من القلب والسر دون النفس لانها من البنات لا من البنين مبوا صدق مقعدا
منزلا عليا في العالم النوراني ورزقناهم من الطيبات من الفيض الرباني الفائض على الروح لان الروح مستو على عرش القلب كل
ما فاض من صفة الرحمانية على الروح يفيض الروح على القلب والسر فما اختلف القلب والسر حتى جاءهم دعوة النبي فمن قبلها صار مقبولا ومن
ردها كان مردودا وبوجه اخر مبوا صدق بين الاصبعين من اصابع الرحمن فما اختلفوا حتى ادركهم علم الله الازلي بالسعادة والشقاوة
فان كنت في شك خلق الانسان ضعيفا فاذا انفتح عليه ابواب الكرامات وهبت رياح السعادات فربما ظن انه مما يخادع به الاطفال

فالابد هل هو من كرامة الاجتباء او من خاتمة الابتلاء فكان النبي من خصوصية انما انا بشر مثلكم يرتع في هذه الرياض باختصاص يوحى الي يسقي بكاسات المناولات من تلك الحياض فيشك عند سكره انها من شهود التلوين او من كشوف التمكين فادركته العناية الازلية فاكرم بخطاب لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن بل كان هذا النبي في التكوين فما كان ممتريا ولهذا قال والله لا اشك لا اسئل لا مثل ايام الذين خلوا من انه كل ميسر لما خلق له قل فانتظروا واظهروا ما قدر لكم ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم بالفناء عن النفس وصفاتها حنيفا طاهرا عن لوث الالتفات الى ماسوا واقم الصلوة طرفي النهار

سورة هود مكية غير اية فيها قوله اقم الصلوة طرفي النهار وحروفها سبعة الاف وخمسمائة وست كلماتها الف وسبع مائة وخمس وعشرون واياتها مائة وثلث وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشنده مهربان

الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ۝ الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير ۝ وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير ۝ الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ۝ الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ۝ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ۝ وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ۝ ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۝ ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ۝ ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيات عني انه لفرح فخور ۝ الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير ۝ فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل ۝ ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ۝ فالم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون ۝ من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ۝ اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ۝ افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ۝ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين ۝ الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها

هود

ع

ع

نعماء



عِوَجًا وَهُم بِالْاٰخِرَةِ هُمْ كٰفِرُوْنَ ۞ اُولٰٓئِكَ لَمْ يَكُوْنُوْا مُعْجِزِيْنَ فِي الْاَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ اَوْلِيَآءَ يُضٰعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ

کج و ایشان بآخرت ایشان کافران ۞ ایشان نباشند عاجز کنندگان در زمین و نباشد مر ایشان را از جز خدا هیچ دوستان مضاعف کرده شود برای ایشان عذاب

مَا كَانُوْا يَسْتَطِيْعُوْنَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوْا يُبْصِرُوْنَ ۞ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ خَسِرُوْا اَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَ ۞ لَا جَرَمَ اَنَّهُمْ

نمی‌توانستند شنیدن و نمی‌دیدند ۞ ایشان آنانند که زیان کردند بخویش و گم شد از ایشان آنچه دروغ می‌بستند ۞ ناچار بدرستیکه ایشان

فِي الْاٰخِرَةِ هُمُ الْاَخْسَرُوْنَ ۞ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَاَخْبَتُوْا اِلٰى رَبِّهِمْ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ۞

در آخرت ایشان زیانکاران ۞ بدرستیکه آنها که گرویدند و کردند کارهای شایسته و آرمیدند بسوی پروردگار شان آنگروه اهل بهشت اند ایشان در آن جاوید اند

مَثَلُ الْفَرِيْقَيْنِ كَالْاَعْمٰى وَالْاَصَمِّ وَالْبَصِيْرِ وَالسَّمِيْعِ هَلْ يَسْتَوِيٰنِ مَثَلًا اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ ۞ القراءة وان تولوا باظهار النون وتشديد

مانند آن دو گروه چون کور و کر و بینا و شنوا است آیا برابر باشند در صفت آیا پند نمی‌گیرید ۞ التاء البزی وابن فليح فانى اخاف بفتح الياء

ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير عنى انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو والوقوف الركوع خبيره لا بناء على انه يتعلق بما قبله

الا الله ط وبشيرا للعطف فضله ج كبير مرجعكم ج لاحتمال الحال والاستيناف قدير منه ط ثيابهم لا بناء على ان عاملهين قوله يعلم

يعلنون الصدور الجزء الثانى عشر مستودعها ط مبين على ط مبين ما يحبسه ليقولن منه ج لحذف جواب لئن اى ليباسن

وقيل جوابها انه والاول اوجه كفور عنى ط فخور لا للاستثناء الصالحات ط كبير ملك نذير وكيل ط لان ام استفهام تفريع افتريه ط صادقين

الاهو ط للاستفهام مع الفاء مسلمون يبخسون الا النار زينا على ان ليس بمنزلة حرف النفى والوصل اوجه لان ليس فعل ماض وهو مع ما

عطف عليه المجموع جزاء يعملون ورحمة ط يؤمنون به موعده ط لاختلاف الجملتين مع الفاء لا يؤمنون كذبا ط على ربهم الثانى ج لان

ما بعده يحتمل ان يكون من قول الاشهاد او ابتداء اخبار الظالمين لا عوجا ط من اولياء م لئلا يوهم ان ما بعده صفة اولياء العذاب ط

يبصرون يفترون الاخسرون الى ربهم لا لان ما بعده خبر ان الجنة ج خالدون والسميع ط مثلا ط تذكرون التفسير الر ان كان اسما للسورة

فما بعده خبره وان كان واردا على سبيل التعديد وكان معناه انا الله ارى فقوله كتاب خبر مبتدأ محذوف اى هذا الكتاب والاشارة اما

الى هذا البعض واما الى مجموع القرآن ومعنى احكمت نظمت نظما رصينا من غير نقض ونقص وجعلت حكيمة من حكم بالضم اذا صار حكيما او منعت من الفساد

والبطلان من قولهم حكمت الدابة وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح اى لم ينسخ بكتاب سواه كما نسخ سائر الكتب وذلك لاشتماله على

العلوم النظرية والعملية والظاهرية والباطنية وعلى اصول جميع الشرائع فلا محالة لا يتطرق اليه تبديل وتغيير ثم فصلت كما يفصل القلائد

بالفرائد من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص لكل معنى من هذه المعانى فصل انفرد به وجعلت فصولا سورة سورة وآية

آية وفرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها تكاليف العباد وبين ما يحتاجون اليه فى اصلاح المعاش والمعاد ومعنى ثم التراخى

فى الحال كقولك فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل واحكمت صفة كتاب من لدن صفة ثانية او خبر بعد خبر وصلة لاحكمت وفصلت اى من

عنده احكامها وتفصيلها وفى قوله حكيم خبير لف ونشر لان المعنى احكمها حكيم وفصلها خبير عالم بمواقع الامور احتج الجبائى بقوله احكمت

ثم فصلت على كون القرآن محدثا لان الاحكام والتفصيل يكون بجعل جاعل وكذا بقوله من لدن لان القديم لا يصدر من القديم واجيب

بانه لا نزاع فى حدوث الاصوات والحروف وانما النزاع فى الكلام النفسى قوله ان لا تعبدوا الا الله مفعول له اى لاجل ان لا ويكون ان

مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل ثم قيل للنبى قل لهم لا تعبدوا وجوز فى الكشاف ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله

محكيا عن لسان النبى يغرى منه على اختصاص الله بالعبادة كانه قال ترك عبادة الله مثل فضرب الرقاب الضمير فى منه لله عز وجل حالا من

نذير وبشير اى انى لكم نذير من جهته ان لم تخصوه بالتعبد وبشير ان خصصتموه بذلك ويجوز ان يكون منه صلة للنذير اى انذركم منه من

عذابه ويكون صلة البشير محذوفا اى ابشركم بثوابه ثم عطف على قوله ان لا تعبدوا قوله وان استغفروا اى اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم

ثم بين الشئ الذى به يطلب ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه فالتوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار وما كان آخرا فى الحصول

كان اولا فى الطلب فلهذا قدم الاستغفار على التوبة وقيل استغفروا اى توبوا ثم قال توبوا اى اخلصوا التوبة واستقيموا عليها وقيل

استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا من آنف الذنوب وقيل استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة وقيل الاستغفار ان يطلب من الله

الاعانة فى ازالة ما لا ينبغى والتوبة سعى الانسان فى الطاعة والاستعانة بفضل الله مقدم على الاستعانة بسعى النفس ثم رتب على الامتثال

امرين الاول التمتع بالمنافع الدنيوية الى حين الوفاة كقوله فلنحيينه حيوة طيبة سؤال كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولولا ان يكون

الناس امة واحدة وقول النبى الدنيا سجن المؤمن البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء واجيب بان المراد انه لا يهلكهم بعذاب الاستيصال

او يرزقهم كيف كان والجواب الثانى ان الانسان اذا كان مشغولا بطاعة الله مستغرقا فى نور معرفته وعبادته كان مبتهجا فى نفسه مسرورا

فى ذاته هينا عليه ما فاته من اللذات العاجلة قانعا بما يصيبه من الخيرات الزائلة الثانى قوله ويؤت فى الآخرة كل ذى فضل فضله اى جزاء

فضله ذلك الشخص مقتضاه يعنى الجزاء المرتب على عمله بحسب تزايد الطاعات فى تهيئة الحسن فضله التشريفية ويجوز ان يعود الضمير فى فضله



الى الله تعالى وفيه تنبيه على ان الدرجات في الجنة تتفاضل بحسب تزايد الطاعات ثم اوعد على مخالفة الامر فقال وان تولوا اى تتولوا فحذفت احدى التائين
والمعنى ان تعرضوا عن الاخلاص في العبادة وعن الاستغفار والتوبة فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة الموصوف بالعظم لثقل
ايه ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ثم بين كبر عذاب ذلك اليوم بقوله الى الله مرجعكم اى لا حكم في ذلك اليوم الا لله ولا رجوع الا الى جزائه
وهو مع ذلك كامل القدرة نافذ الحكم فما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله وفيه من التهديد ما فيه ولكن الاية تتضمن البشارة من وجه
اخر وذلك ان الحاكم الموصوف بمثل هذه العظمة والقدرة والاستقلال في الحكم اذا راى عاجزا مشرفا على الهلاك فانه يرحمه ولا يقيم لعذابه
وزنا اللهم لا تخيب رجاءنا فانك واسع المغفرة ثم ذكر ان التولي عن الاوامر المذكورة باطنا كالتولي عنها ظاهرا فقال الا انهم يثنون يقال ثنى
صدره عن الشيء اذا ازور عنه وانحرف وطوى عنه كشحا قال المفسرون وههنا اضمار اى يثنون صدورهم ويريدون ليستخفوا منه اى
من الله ثم كرر كلمة الا تنبيها على وقت استخفائهم وهو حين يستغشون ثيابهم اى يريدون الاستخفاء في وقت الاستغشاء الثياب
قال الكلبي ثني صدورهم كناية عن نفاقهم لما روى ان طائفة من المشركين منهم الاخنس بن شريق قالوا اذا اغلقنا ابوابنا وارخينا ستورنا و
استغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد فكيف يعلم بنا وعلى هذا لا حاجة الى الاضمار وقيل انه حقيقة وذلك ان بعض الكفار
كان اذا مر به رسول الله ثنى صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام رسول الله وما يتلو من القران وليقول في نفسه
ما يشتهي من الطعن ثم استأنف قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون تنبيها على انه لا فائدة لهم في الاستخفاء لانه تعالى عالم بالسرائر كما انه عالم با
الظواهر ثم اكد كونه عالما بكل المعلومات بكونه كافلا لارزاق جميع الحيوانات ضامنا لمصالحها ومهامها فضلا وامتنانا وكرما واحسانا
فقال وما من دابة الاية والمستقر مكانها من الارض والمستودع ما قبل ذلك من الامكنة من صلب او رحم او بيضة وقال الفراء مستقرها
حيث تأوي اليه ليلا او نهارا ومستودعها موضعها الذي يموت فيه وقد مر تمام الاقوال في سورة الانعام واستدل الاشاعرة بالاية على
ان الحرام رزق لانها تدل على ان ايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله بحسب الوعد عندنا او بحسب الاستحقاق عند المعتزلة فربما
نرى انسانا لا ياكل من الحلال طول عمره وقد سماه الله تعالى رزقا ثم ختم الاية بقوله كل في كتاب مبين اى كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها
ومستودعها ثابت في علم الله او في اللوح المحفوظ وقد ذكرنا فائدته في قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين يروى ان موسى عم عند نزول
الوحي عليه تعلق قلبه باهله فامره الله تعالى ان يضرب بعصاه صخرة فانشقت فخرجت ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري
مجرى الغذاء لها فسمع الدودة يقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني ثم ذكر دلائل قدرته بقوله وهو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء قال الاحبار خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء
يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ووضع العرش على الماء وقال ابو بكر الاصم هذا كقولك السماء على الارض وليس ذلك على سبيل
كون احدهما ملتصقا بالاخر وعلى هذا فيكون الان ايضا عرشه على الماء وقال في الكشاف المراد انه ما كان تحت العرش سوى الماء وفيه دليل على ان
العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وعلى ان الملائكة خلقت قبل العرش والماء ليعتبروا بهما والا لزم ان يكون خلقهما قبل ان يعتبر
بهما عبثا اذ لا يتصور عود نفعهما اليه تعالى وقال ابو مسلم العرش البناء اى بناؤه للسموات كان على الماء وقال حكماء الاسلام المراد بالماء
تحركه شبه سيلان الماء اى وكان عرشه يتحرك وبالجملة مقصود الاية بيان كمال قدرته في امساك الجرم العظيم على الصغير اما قوله ليبلوكم فالمعتزلة
قالوا اللام للتعليل وذلك انه خلق هذا العالم الكبير لاجل مصالح المكلفين وان يعاملهم معاملة المختبر المبتلي لاحوالهم كيف يعملون فيجازي
كل فريق بما يستحقه والاشاعرة قالوا ان احكامه غير معللة بالمصالح ومعناه انه فعل فعلا لو كان يفعله من يجوز عليه رعاية المصالح لما فعله
الا لهذا الغرض وانما علق فعل البلوى لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق الى العلم فهو ملابس له كالنظر والاستماع في قولك انظر
ايهم احسن وجها واستمع ايهم احسن كلاما قال في الكشاف الذين هم احسن عملا هم المتقون وانما خصهم بالذكر وطرح ذكر من وراءهم من الفساق
والكفار تشريفا لهم قلت ويجوز ان يقال ان احسن بمعنى حسن ليشمل الخطاب جميع المكلفين ثم لما كان الابتلاء يتضمن حديث البعث اتبع
ذلك قوله ولئن قلت الاية والاشارة في قوله ان هذا الا سحر الى البعث اى هو باطل كبطلان السحر او الى القران لانه الناطق بالبعث
فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث قال القفال معناه ان هذا القول خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن
لذات الدنيا واجتذابهم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم ومن قرأ ساحر فالاشارة الى النبي ثم بين انه متى اخر عنهم العذاب الذي
توعدهم الرسول به اخذوا في الاستهزاء وقالوا ما الذي يحبسه عنا فقال ولئن اخرنا عنهم العذاب الاية والامة اشتقاقها من الام وهو القصد
واراد بها الوقت المقصود لايقاع الموعود وقيل هي في الاصل الجماعة من الناس وقد يسمى الحين باسم ما يحصل فيه كقولك كنت عند فلان
صلوة العصر اي في ذلك الحين فالمراد الى حين ينقضي امة معدودة من الناس وقال في الكشاف اى جماعة من الاوقات والعذاب عذاب
الاخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبرئيل المستهزئين ومعنى ما يحبسه اى شيء يمنعه من النزول استعجالا له على جهة الاستهزاء
والتكذيب فاجابهم الله بقوله الا يوم ياتيهم وهو متعلق بخبر ليس اى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم ياتيهم واستدل به على جواز تقديم

فانشقت فخرجت منها
صخرة ثانية ثم خرج ...
نسخ

خبر ليس على الدليل لانه اذا جاز تقديم معمول الخبر عليها فتقديم الخبر عليها اولى والا لزم للتابع مزية على المتبوع ثم قال وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به
يستهزؤن اراد يستعجلون ولكنه وحاق بلفظ الماضي لانه جعله كالواقع ثم حكى ضعف حال الانسان في حالتي السراء والضراء فقال ولئن
اذقنا الانسان الاية واختلف المفسرون فقيل الانسان مطلق بدليل صحة الاستثناء في قوله الا الذين امنوا ولان هذا النوع مجبول
على الضعف والنقص والعجلة وقلة الثبات وقيل المراد الكافر والاستثناء منقطع واللام للعهد لتقدم ذكر الكافر ولان وصف الياس والكفران
والفرح المفرط بالامور الزائلة والفخر بها لا يليق الا بالكافر وذلك انه يعتقد ان السبب في حصول تلك النعم من الامور الاتفاقية فاذا زالت
استبعد حدوثها مرة اخرى فيقع في الياس الشديد وعند حصولها كان ينسبها الى الاتفاق فلا يشكر الله بل يكفره واذا انتقل من مكروه
الى محبوب ومن محنة الى منحة اشتد فرحه بذلك وافتخر بها لذهوله عن السعادات الاخروية والروحانية فيظن انه قد فاز بغاية الاماني ونهاية
المقاصد اما المؤمن فحاله على العكس لذلك استحق وعد الله بالمغفرة والاجر الكبير اما تفسير الالفاظ فالاذاقة والذواق اقل ما يوجد به
الطعم وفيه دليل على ان الانسان لا يصبر عن اقل القليل ولا علية وفيه ان جميع نعم الدنيا في قلة الاعتبار وسرعة الزوال يشبه حلم النائمين
وخيالات المبرسمين والرحمة النعمة من صحة او امن او جدة ونزعها سلبها واليؤس والكفور بناء للمبالغة والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه
والضراء مضرة كذلك تاثر الواحد لانها اخرجت مخرج الاحوال الظاهرة نحو حوراء وعوراء والسيئات يريد بها المصائب التي ساءته ثم
سلى نبيه بقوله فلعلك تارك قال ابن عباس ان رؤساء مكة قالوا ان كنت رسولا فاجعل لنا جبال مكة ذهبا او ائتنا بالملائكة ليشهدوا
لك فخاطب الله سبحانه نبيه بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك واختلفوا في ذلك البعض عن ابن عباس ان المشركين قالوا ائتنا
بكتاب ليس فيه شتم الهتنا حتى نتبعك ونؤمن بك وقال الحسن طلبوا منه ان يترك قوله ان الساعة اتية واجمع المسلمون على انه لا يجوز على
الرسول ان يترك بعض ما اوحى الله اليه لانه ينافي المقصود من الرسالة المعتبر فيها الامانة والوفاء واولوا الاية بان امثال هذه التهديدات لعلها
سبب عدم التقصير في اداء الوحي فلهذا احوط بها او لعله كان ﷺ بين محذورين احدهما ترك اداء شئ من الوحي وثانيهما انهم كانوا يلقونه
بالطعن والاستهزاء فنبه بالاية على ان تحمل الضرر الثاني اهون واذا وقع الانسان بين مكروهين وجب ان يختار اسهلهما والعرب يقول لغيره
اذا اراد ان يزجره لعلك تفعل كذا اي لا تفعل وانما قال وضائق ولم يقل وضيق به صدرك دلالة على انه ضيق حادث لانه ﷺ كان افسح الناس
صدرا ومعنى ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم
بين ان حاله مقصور على النذارة لا يتخطاها الى انزال المقترحات والذي اسله هو القادر على ذلك حفيظ عليه وعلى كل شئ ومن كمال قدرته
انزال القران المعجز لدهماء المصاقع واشار الى ذلك بقوله ام يقولون الاية وقد مر مثله في سورة يونس عن ابن عباس السور العشر من اول

مكية وبعض السور

القران الى ههنا واعترض عليه بان هذه السورة المتقدمة عليها مدنية فكيف يمكن ان يشار الى ما لم ينزل بعد فالاولى ان يقال ان التحدي
وقع بمطلق السور التي تظهر فيها قوة تركيب الكلام وتاليفه تحداهم اولا بمجموع القران في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل
هذا القران لا ياتون بمثله ثم بعشر سور في هذه الاية وذلك ان العشرة اول عقد من العقود ثم بسورة في يونس وفي البقرة وهذا
كما يقول الرجل لصاحبه اكتب كما اكتب فاذا عجز قال اكتب عشرة اسطر مثل ما اكتب فاذا ظهر عجزه قال في اخر الامر قد اقتصرت منك على سطر
واحد مثله ثم اذا اراد ان بالغ فقال قد جوزت لك ان تستعين بكل من تريد فاذا ظهر عجزه حال الانفراد وحال الاجتماع والتعاون تبين عجزه
عن المعارضة على الاطلاق لهذا قال فان لم يستجيبوا الى معارضة القران والى الايمان لكم اي لك وللمؤمنين لان رسول الله ﷺ والمؤمنين
كانوا يتحدونهم او الجمع لتعظيم رسول الله ﷺ فاعلموا انما انزل بعلم الله اي ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من النظم المعجز والاشتمال على العلوم الجمة النافعة
والغائبة ومعنى الامر راجع الى الثبات اي اثبتوا على ما انتم عليه من العلم واليقين بشان القران ودوموا على التوحيد الذي استفدتم من
القران او دلكم على ذلك عجز الهتهم عن المعارضة والاعانة ثم ختم الاية بقوله فهل انتم مسلمون وفيه نوع من التهديد كانه قيل للمسلمين اذا
تبينتم صدق قول محمد ﷺ وازددتم بصيرة وطمانينة وجب عليكم الزيادة في الاخلاص والطاعة وتفسير اخر وهو ان يكون الضمير في لم يستجيبوا
لمن في من استطعتم والخطاب في لكم للمشركين وكذا في قوله فاعلموا وفي انتم والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا
انه منزل من عند الله وان توحيده واجب ثم رغبهم في اصل الاسلام وهددهم على تركه بقوله فهل انتم بعد لزوم الحجة مسلمون ثم اوعد من كانت همته
مقصورة على زينة الحيوة الدنيا وكان مائلا عن الدين جهلا وعنادا فقال من كان يريد الاية عن انس انهم اليهود والنصارى وقيل المنافقون
كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنائم فكان ﷺ يسهم لهم فيها وقال الاصم هم منكروا البعث وقال اخرون هي عامة في الكافر والمسلم المرائي
وقال القاضي المراد من كان يريد بعمل الخير الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا و
هو ما ينالون من الصحة والكفاف وسائر اللذات والمنافع عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال اذا كان يوم القيمة يدعى برجل جامع للقران
فيقال له ما عملت فيه فيقول يا رب قمت فيه اناء الليل والنهار فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب
المال فيقول الله الم اوسع عليك فماذا عملت فيه فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل



ثم يؤتى بمن قتل في سبيل الله فيقول قاتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جرئ قال ابو هريرة ثم ضرب رسول الله
ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك الثلثة اول خلق تسعر بهم النار يوم القيمة روي ان ابا هريرة ذكر هذا الحديث عند معوية فبكى معوية حتى
ظننا انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الايتان ثم بين ان بين طالب الدنيا وحدها و
بين طالب السعادات الباقية تفاوتا بينا فقال افمن كان والمعنى امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة
عند الله ولا يقاربونهم ونظيره اذا اتاك العلماء والجهال فاذنت للجهال للدخول قبل العلماء فيقول الجهال ثم العلماء كلا وحاشا تريد ان العلماء
ينبغي ان يدخلوا اولا ثم الجهال ويمكن ان يقال التقدير امن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا فحذف الخبر للعلم به مثله امن زين له
سوء عمله فراه حسنا امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما واعلم ان اول هذه الاية يشتمل على الفاظ اربعة مجملة الاول ان هذا الذي وصفه
بانه على بينة من هو الثاني ما المراد بالبينة الثالث ما معنى يتلوه اهو من التلاوة ام من التلو الرابع الشاهد من هو وللمفسرين فيها اقوال
احسنها ان معنى البينة البرهان العقلي الدال على صحة الدين الحق والذي هو على البينة مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله سلام واضرابه ومعنى
يتلوه يعقبه وتذكير الضمير العايد الى البينة بتاويل البيان والبرهان والمراد بالشاهد القران وشاهد منه اي من الله ومن القران المقدم ذكره
في قوله ام يقولون افتريه ومن قبله كتاب موسى اي ويتلو ذلك البرهان من قبل القران كتاب موسى وهو التورية حال كونها اماما
او اعني اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم والحاصل ان المعارف اليقينية المكتسبة اما ان يكون طريق
اكتسابها بالحجة والبرهان واما ان يكون بالوحي والالهام واذا اجتمع على بعض المطالب هذان الامران واعتضد كل واحد منهما بالاخر
كان المطلوب احق ثم اذا توافقت كلمة الانبياء على صحته بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق ثم انه حصل في تقرير صحة هذا الدين هذه الامور
الثلثة جميعا البينة وهي الدلائل العقلية اليقينية والشاهد وهو القران المستفاد من الوحي وكتاب موسى المشتمل على الشرايع المتقدمة
عليه المتاح لاقتداء الخلف به وعند اجتماع هذه الامور لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة هذا الدين شك وارتياب وقيل امن كان محمد
والبينة القران ويتلوه يقرءه شاهد هو جبرئيل نزل بامر الله وقرء القران على محمد او شاهد منه هو لسانه او شاهد هو بعض محمد يعني
علي بن ابي طالب او يتلوه اي يعقب ذلك البرهان شاهد من النبي هو صورته ومخايله فان من نظر اليه بعقله تفرس منه انه ليس بمجنون ولا
وجهه وجه كذاب ولا كاهن وقيل الكائن على البينة هم المؤمنون والبينة القران ويتلوه يعقب القران شاهد من الله هو محمد او الانجيل
لانه يعقبه في التصديق والدلالة على المطلوب وان كان موجودا قبله او ذلك الشاهد كون القران واقعا على وجه يعرف المتامل فيه اعجازه
لاشتماله على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة الى غير ذلك من المزايا التي قلما يخبر عنها الا الذوق السليم ثم مدح الكائن على البينة بقوله اولئك
يؤمنون به اي بالقران ثم اوعد غيرهم بقوله ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن تحزب معهم كاليهود والنصارى والمجوس فالنار موعده
فلا تك في مرية في شك منه من القران او من الموعد ولما ابطل بعض عادات الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا وذلك قوله من كان يريد الحيوة
الدنيا ومن انكارهم نبوة محمد صلعم وذلك قوله افمن كان على بينة اراد ان يبطل ما كانوا يعتقدون في اصنامهم انها شفعاء من تشفع بهم فقال
ومن اظلم ثم قال اولئك يعرضون لم يحمل عليهم العرض لانهم مخصوصون بالعرض فان العرض عام ولكن فائدة الحمل ترجع الى المعطوف واراد انهم
يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد ومعنى عرضهم على ربهم انهم يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال والمراد عرضهم على من
يوبخ ويبكت بامر الله من الانبياء والمؤمنين او اراد انهم يحبسون في المواقف ويعرض اعمالهم على الرب قال مجاهد الاشهاد الملائكة الحفظة
وقال قتادة هم الناس كما يقال على رؤس الاشهاد اي الناس وقيل هم الانبياء كقوله ولنسئلن المرسلين والاشهاد اما جمع شاهد كصاحب
واصحاب وجمع شهيد كشريف واشراف قال ابو علي وهذا ارجح لكثرة ورود شهيد في القران ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف اذا جئنا من
كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والفائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة وباقي الاية قد مر تفسير مثلها في الاعراف
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض انه لم يكن يمكنهم ان يهربوا من عذابنا لانه سبحانه قادر على جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالنسبة الى
القريب والبعيد والضعيف والقوي وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم ويمنعونهم من عقابه جمع تعالى بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع
الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا ومن عذاب الاخرة وقيل هذا من كلام الاشهاد والمراد انه تعالى لو شاء عقابهم
في الدنيا لعاقبهم ولكنه اراد انظارهم وتاخيرهم الى هذا اليوم يضاعف لهم العذاب من قبل الكفر والصد اي الضلال والاضلال ما كانوا
يستطيعون السمع يريد ما هم عليه في الدنيا من صمم القلوب وعمى البصائر ثم ان الاشاعرة قالوا ان ذلك بخلق الله تعالى حيث صيرهم عاجزين
ممتنعين عن الوقوف على دلائل الحق ويوافقه ما روي عن ابن عباس انه قال انه تعالى منع الكافرين من الايمان في الدنيا وذلك قوله ما كانوا
يستطيعون الاية وفي الاخرة كما قال يدعون الى السجود فلا يستطيعون وقالت المعتزلة المراد استثقالهم لاستماع الحق ونفورهم عنه كقول
القائل هذا الكلام مما لا استطيع ان اسمعه وهذا الشخص لا استطيع ان ابصره والمراد بالاولياء الاصنام كانه قال الذين سموه اولياء ليسوا
في الحقيقة باولياء ثم نفى كونهم اولياء بانهم لا يسمعون ولا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا

بوعيد اعلم انه سبحانه وصف الكفار في هذه الايات بصفات كثيرة الاولى فمن اظلم ممن افترى الثانية اولئك يعرضون اى في موقف الذل والهوان الثالثة بيان الخزي في الفضيحة في قوله ويقول الاشهاد الرابعة اللعنة عليهم الخامسة الصد عن سبيل الله السادسة سعيهم في القاء الشبهات وذلك قوله ويبغونها عوجا السابعة كونهم كافرين بالاخرة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار اولئك لم يكونوا التاسعة وما كان لهم من دون الله من اولياء العاشرة مضاعفة العذاب لهم الحادية عشرة والثانية عشرة ما كانوا يستطيعون الاية الثالثة عشرة اولئك الذين خسروا انفسهم وقد مر في الانعام الرابعة عشرة ضل عنهم ما كانوا يفترون وقد سبق في يونس الخامسة عشرة لا جرم قال الفراء انها بمنزلة قولنا لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال النحويون لا حرف نفي وجرم اى قطع معناه لا قطع قاطع انهم في الاخرة هم الاخسرون وقال الزجاج لا نفي لما ظنوا انه ينفعهم وجرم معناه كسب المعنى لا ينفعهم ذلك وكسب لهم ذلك الفعل خسار الدارين قال الازهري وهذا من احسن ما قيل في هذه اللغة قوله في وعد المؤمنين واخبتوا الى ربهم معناه اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع من الخبت وهي الارض المطمئنة وفيه اشارة الى ان الاعمال لا بد فيها من الاحوال القلبية الموجبة للالتفات عما سوى الله وقيل المراد اطمئنانهم وتصديقهم كل ما وعد الله به من الثواب في ضده وقيل المراد كونهم خائفين من وقوع الخلل في بعض تلك الاعمال ثم ضرب للفريقين مثلا وهو اما تشبيهان بان شبههما تارة بالاعمى والبصير واخرى بالاصم والسميع واما تشبيه واحد والواو لعطف الصفة على الصفة فيكون قد شبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين البصر والسمع لا شك ان الفريق الكافر هو الذي وصفه بالصفات الست عشرة واما الفريق المؤمن فقيل المراد به قوله افمن كان على بينة وقيل المذكورون في قوله ان الذين امنوا ثم انكر تساويهما في الاحكام والمراتب بقوله هل يستويان مثلا اى تشبيها وفي قوله افلا تذكرون تنبيه على ان علاج هذا العمى هذا الصمم ممكن بتبديل الاخلاق وتغيير الاحوال بتيسير الله تعالى وتوفيقه الر الالف اشارة الى الله واللام الى جبرئيل والراء الى الرسول يعني ما انزل الله على لسان جبرئيل الى الرسول كتاب مبين من لدن حكيم خبير كقوله وعلمناه من لدنا وراس العلم اللدني ان تقول لامتك يا محمد ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا ربكم مما ضاع من عمركم في غير طلب الله ثم توبوا ارجعوا اليه بقدم السلوك لتكون التوبة تخلية لكم بعد التزكية بالاستغفار يمتعكم متاعا حسنا هو الترقي في المقامات العلية الى اجل مسمى هو حين انقضاء المقامات وابتداء درجات الوصول ويؤت كل ذي فضل فضله اى يؤت كل ذي صدق واجتهاد في الطلب درجات الوصول فان المشاهدات بقدر المجاهدات والحاصل ان المتاع الحسن مراتب السائرين الى الله وايتاء الفضل في درجات السائرين في الله عذاب يوم كبير هو عذاب الانقطاع عن الله الكبير الا انهم يستغشون ثياب الجسمية على وجه الروح كان يعلم ما يسرون من حرمان النور المرشش ومن نقص الحرمان تحت ثياب القالب وما يعلنون من نفي الصدود انه عليم بذات الصدور اى بما في الصدور من القلوب الملائمة وما من دابة في الارض الا على الله رزقها لان كل حيوان له صفة مخصوصة مزاج مخصوص غذاؤه ان يكون ملائما لمزاجه فعلى ذمة كرم الله انه كما خلق اجسادها على الامزجة المتعينة يخلق غذاؤها موافقا للمزاج كل منها ثم يهديها الى ماهو اوفق لها ويعلم مستقرها في العدم كيف تلد دها استعداد للصور المختصة بها ومستودعها الذي يؤول اليه عند ظهور ما فيها بالقوة الى الفعل ليبلوكم فان العالم بما فيه محل الابتلاء ويحك السعداء والاشقياء ولترتيب للاشقياء موتا عن الطبيعة باستعمال الشريعة ومزاولة الطريقة ليحيوا بالحقيقة فان الحيوة الحقيقية بان يكون بعد الموت عن الطبيعة ليقولن الذين كفروا ستروا حسن استعدادهم الفطري بتعلق الشهوات الفانية ان هذا الا سحر مبين اى كلام مموه لا اصل له ولئن اخرنا عنهم عذاب البعد الى الحين ظهور ذوق العذاب فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا



وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهٖۤ اِنِّیْ لَكُمْ نَذِیْرٌ مُّبِیْنٌ اَنْ لَّا تَعْبُدُوْۤا اِلَّا اللّٰهَ اِنِّیْۤ اَخَافُ عَلَیْكُمْ عَذَابَ یَوْمٍ اَلِیْمٍ فَقَالَ الْمَلَاُ الَّذِیْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَوْمِهٖ مَا نَرٰىكَ اِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرٰىكَ اتَّبَعَكَ اِلَّا الَّذِیْنَ هُمْ اَرَاذِلُنَا بَادِیَ الرَّاْیِ وَمَا نَرٰى لَكُمْ عَلَیْنَا مِنْ فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كٰذِبِیْنَ قَالَ یٰقَوْمِ اَرَءَیْتُمْ اِنْ كُنْتُ عَلٰى بَیِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّیْ وَاٰتٰىنِیْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهٖ فَعُمِّیَتْ عَلَیْكُمْ اَنُلْزِمُكُمُوْهَا وَاَنْتُمْ لَهَا كٰرِهُوْنَ وَیٰقَوْمِ لَاۤ اَسْـَٔلُكُمْ عَلَیْهِ مَالًا اِنْ اَجْرِیَ اِلَّا عَلَى اللّٰهِ وَمَاۤ اَنَا بِطَارِدِ الَّذِیْنَ اٰمَنُوْا اِنَّهُمْ مُّلٰقُوْا رَبِّهِمْ وَلٰكِنِّیْۤ اَرٰىكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُوْنَ وَیٰقَوْمِ مَنْ یَّنْصُرُنِیْ مِنَ اللّٰهِ اِنْ طَرَدْتُّهُمْ اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ وَلَاۤ اَقُوْلُ لَكُمْ عِنْدِیْ خَزَآىِٕنُ اللّٰهِ وَلَاۤ اَعْلَمُ الْغَیْبَ وَلَاۤ اَقُوْلُ اِنِّیْ مَلَكٌ وَّلَاۤ اَقُوْلُ لِلَّذِیْنَ تَزْدَرِیْۤ اَعْیُنُكُمْ لَنْ یُّؤْتِیَهُمُ اللّٰهُ خَیْرًا اَللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا فِیْۤ اَنْفُسِهِمْ اِنِّیْۤ اِذًا لَّمِنَ الظّٰلِمِیْنَ قَالُوْا یٰنُوْحُ قَدْ جٰدَلْتَنَا فَاَكْثَرْتَ

جدلنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ۝ قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ۝ ولا ينفعكم نصحي

إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون ۝ أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي

إجرامي وأنا بريء مما تجرمون ۝ وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون

واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ۝ ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من

قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ۝ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه

عذاب مقيم ۝ حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول و

من آمن وما آمن معه إلا قليل ۝ وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ۝ وهي تجري بهم في موج

كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ۝ قال سآوي إلى جبل يعصمني

من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ۝ وقيل يا أرض ابلعي ماءك و

يا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ۝ ونادى نوح ربه فقال

رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ۝ قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا

تسئلن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ۝ قال رب إني أعوذ بك أن أسئلك ما ليس لي به علم

وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ۝ قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم

ثم يمسهم منا عذاب أليم ۝ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن

العاقبة للمتقين ۝ القراءة إني لكم بكسر الهمزة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والآخرون بفتحها بادئ بالهمزة أبو عمرو وبتصيير الراء بالياء أبو عمرو

غير شجاع ويزيد والأعشى والأصبهاني عن ورش و حمزة في الوقف فعميت بضم العين مشددا حمزة وعلي وخلف وحفص أنلزمكموها بالنون

بضدهما أنلزمكموها باختلاس ضمة الميم عباس أجري إلا بالفتح أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص ولكني أريكم بالفتح حيث كان

أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ونصحي إن أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بأعينا مدغما حيث كان عباس من كل بالتنوين حيث كان حفص والمفضل

مجريها بفتح الميم بالإمالة حمزة وعلي وخلف وحفص مجريها بالضم وبالإمالة أبو عمرو والباقون بالضم مفخما يا بني بفتح الياء عاصم اركب

معنا مظهرا عاصم حمزة عمل على أنه فعل غير بالنصب علي وسهل ويعقوب الآخرون عمل غير بالرفع فيهما تسئلن بالنون المشددة المكسورة لا أنها

النون المخففة في نون الوقاية بعد حذف ياء المتكلم في الحالين ابن عامر وقالون بإثبات الياء في الوصل أبو جعفر ونافع غير قالون بفتح

النون المشددة ابن كثير تسئلني بغير نون التأكيد وإثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب الباقون بغيرها في الحالين إني أعظك إني أعوذ

بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو الوقوف مبين لا إلا الله ط أليم الرأي ج كاذبين فعميت عليكم ط كارهون ما لا ط

آمنوا ط تجهلون طردتهم ط تذكرون خيرا ط أنفسهم ج الظالمين الصادقين بمعجزين أن يغويكم ط ترجعون ط افتريته ط تجرمون يفعلون

للآية والعطف ظلموا ج لاحتمال التعليل مغرقون سخروا منه ط تسخرون ط يعلمون لا لأن ما بعده مفعول مقيم التنور لا لأن ما بعد

جواب او ومن امن ط قليل ط ومرسيها ط رحيم لكافرين من الماء ط رحم ج لاتفاق الجملتين مع اختلاف العامل المغرقين الظالمين الحاكمين
من اهلك ج عملك ط الجاهلين علم ط الخاسرين معك ط اليم الباس ج ط لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف هذا ط وعلى قوله فاصبر ا
حسن للابتداء بان المتقين التفسير لما اورد على الكفار انواع الدلائل اكدها بالقصص على عادته من التفنن في الكلام والنقل من اسلوب
الى اسلوب في الموعظة فبدأ بقصة نوح ومعنى اني لكم اى متلبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم فلما اتصل به الجار فتح ومن كسر فعلى
ارادة القول وان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اى ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله ويكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير ووصف
اليوم باليم مجاز لوقوع الالم فيه فيكون مجازا وكذا لو جعل الوصف للعذاب وفي الجر بالجوار ثم حكى انه طعن اشراف قومه في نبوته من ثلث جهات
الاولى انه بشر مثلهم الثانية انه لم يتبعه الا الاراذل يعنون اصحاب الحرف الخسيسة كالحياكة وغيرها قالوا ولو كنت صادقا لاتبعك الاكياس من الناس
والاشراف منهم والاراذل جمع ارذل وقيل جمع الارذال جمع رذل وهو الدون من كل شيء في منظره وحالاته ومعنا بادي الرأي ويقرأ بادئ الرأي وهو
نصب على الظرف اى اتبعوك في ابتداء حدوث الرأي من غير روية او معناه ظاهر الرأي من قولك بدا الشيء اذا ظهر ومنه البادية للبرية لظهورها و
بروزها للناظر وهذا تفسير من قرأ بغير همز وعلى هذا فالمراد انهم اتبعوك في الظاهر وباطنهم بخلافه او اتبعوك وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف
المضاف فلم يقم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يتعلق بادي الرأي بقوله اراذلنا اى كونهم كذلك امر ظاهر لكل من يراهم عيانا ويتأكد هذا التأويل
بما نقل عن مجاهد انه قرأ الا الذين هم اراذلنا اى العين انما استرذلوا المؤمنين لاعتقادهم ان المرتبة عند الله سبحانه بالمال والجاه ولم يعلموا
ان ذلك مبعد من الحق لا مقرب منه وان الانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على الاخرة فكيف يجعل قلة المال طعنا في النبوة وفي
متابعة النبي الشبهة الثالثة وما نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في كيفية رعاية المصالح ولا في قوة الجدل بل نظنكم كاذبين خطاب
لنوح ولمن امن به تبعية او خطاب للاراذل كانهم نسبوهم الى الكذب في ادعاء الايمان ثم حكى ما اجاب به نوح قومه وهو ان حصول المساواة
في صفة البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة وذلك قوله ارأيتم ان كنت على بينة برهان من ربي وآتاني بايتاء البينة تلك البينة
رحمة وعلى هذا البينة هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة وقيل بالعكس فعميت خفيت واخفيت البينة او كل من
البينة والرحمة اى صارت مظلمة مشتبهة في عقولكم والبينة يوصف بالابصار والعمى مجازا باعتبار نتيجتها كان دليل القوم
ان كان بصيرا اهتدوا وان كان عميا بقوا خابطين متحيرين ثم قال انلزمكموها اى انكرهكم على قبول البينة وانتم لها كارهون والمراد
انا لا نقدر على ايصال حقيقة البينة اليكم وانما يقدر على ذلك من هو قادر على الايجاد والاعدام وتغيير الاحوال وتبديل الاخلاق ثم انه ذكر
لا يطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المجيب غنيا او فقيرا وما انا بطارد الذين امنوا عن ابن جريج انهم قالوا ان
احببت يا نوح ان نتبعك فاطردهم فانا لا نرضى بمشاركتهم فلم يبذل ملتمسهم وعلل ذلك بقوله انهم ملاقوا ربهم فيعاقب من طردهم
او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من الايمان الصحيح او النفاق بزعمكم والمراد انهم معتقدون لقاء ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون
لقاء ربكم او انهم خير منكم او قوما تسفهون حيث تسمون المؤمنين اراذل ثم اكد عدم طردهم بقوله ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني
من عقابه ان طردتهم لان العقل والشرع توافقا على انه لا بد من تعظيم المؤمن البر المتقي ومن اهانة الكافر الفاجر فكيف يليق بنبي الله ان
يقلب هذه القضية سؤال ان كان طرد المؤمن لطلب مرضاة الكافر معصية فكيف فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نهي عنه بقوله ولا تطرد
الذين يدعون ربهم الجواب انه لم يكن ذلك طردا مطلقا وانما عين لاجلهم اوقاتا مخصوصة ولاشراف قريش اوقاتا اخرى فعوتب على ذلك القدر
احتجت المعتزلة بالاية على عدم الشفاعة للفساق اذ لو كانت جائزة لكانت في حق نوح اولى فلم يقل من الذي يخلصني من عذابه واجيب
بانه مخصوص باثبات العفو ثم ذكر انه كما لا يسألهم مالا فانه لا يدعي ان عنده خزائن الله حتى يجحدوا ان له فضلا عليهم من هذه الجهة ولا اعلم
الغيب حتى اصل به الى ما اريده لنفسي ولاتباعي واطلع على الضمائر ولا اقول اني ملك نعظم بذلك عليكم بل طريقي الخضوع والتواضع وعدم
الاستنكاف عن مخالطة الفقراء وقد مر في الانعام سائر ما يتعلق بالاية ومعنى تزدري تعيب وتحقر والازدراء افتعال من زرى عليه
اذا عابه في قوله تعالى الله اعلم بما في انفسهم دلالة على انهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى النفاق اني اذا اى ان قلت شيئا من
ذلك لمن الظالمين لنفسي وان قلت ان الله لن يؤتيهم خيرا مع انه لا وقوف على باطنهم ثم ان قومه وصفوه بكثرة الجدال قائلين يا
نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا قال اهل المعاني اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جادل فلان فاكثر تريد انه اعطى عطية
اقل فاكثر بل تريد ان الوصف مقارن للموصوف وفي الاية دلالة على ان الجدال في تقرير دلائل التوحيد من دأب اكابر الانبياء ثم استعجلوا العذاب
الذي كان يتوعدهم به فاجاب بان ذلك ليس الي وانما هو بمشية الله وارادته ولا يعجزه عن ذلك احد وقوله ولا ينفعكم نصحي كقول القائل
لامرأته انت طالق ان دخلت الدار ان اكلت الخبز لم يقع الطلاق الا اذا دخل الدار فاكل الخبز وهذا قال الفقهاء المؤخر في اللفظ مقدم في
المعنى فكانه قيل ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لم ينفعكم نصحي واحتجاج الاشاعرة بالاية ظاهر واجاب المعتزلة بانه لا يلزم من
فرض امر وقوعه ولعل نوحا انما قال ذلك ايسهم من الايمان لانه تعالى نبأه ان التكليف على الاختيار والا لم يكن للنصح فائدة ولتشبث الخصم بالجبر ولزم افحام النبي

ومن الجائز ان يراد بالاغواء التعذيب من غوى الفصيل اذا بشم فهلك ويراد به الخيبة كقوله فسوف يلقون غيا اى خيبة من خير الاخرة او يراد به منع الالطاف وقد تقدم امثال ذلك مرارا ثم اشار الى المبدأ والمعاد بقوله هو ربكم واليه ترجعون ثم انكر الله سبحانه عليهم في قولهم انما ادعى نوح انه اوحى اليه مفترى فقال ام يقولون افتراه فامره بان يجيب بكلام منصف هو قوله ان افتريته فعلى اجرامي اى عقاب جرمي وهو الافتراء وانا بريء مما تجرمون اى من اجرامكم وهو اسناد الافتراء الى وههنا اضمار كانه قيل لكني ما افتريته فالاجرام وعقابه عليكم وانا بريء منه واكثر المفسرين على ان هذه الاية من تمام قصة نوح وعن مقاتل انها من قصة محمد وقعت في اثناء قصة نوح قوله سبحانه واوحي الى نوح انه لن يؤمن اقناط له من ايمانهم الذي كان يتوقعه منهم بدليل قوله الا من قد امن فان قد للتوقع وقوله فلا تبتئس تسلية له اى لا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك فقد حان وقت الانتقام منهم قال اكثر المعتزلة انه لا يجوز ان ينزل الله عذاب الاستيصال على قوم يعلم ان فيهم من يؤمن او في اولادهم من يؤمن بدليل دعاء نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى قوله الا فاجرا كفارا علل الاهلاك بمجموع الامرين فدل ذلك على انهما لو لم يحصلا لم يجز الاهلاك وذهب كثير منهم الى الجواز فليس كل خبر معلوم بواجب الوقوع نعم كلما يقع يجب ان يكون على الوجه الاصلح ومذهب الاشاعرة في هذا المعنى ظاهر فله ان يفعل في ملكه ما يشاء ثم عرفه وجه اهلاكهم والحكمة في وجه خلاص من امن فقال واصنع الفلك وهو امر ايجاب على الاظهر لانه لا سبيل الى صون روحه عن الهلاك في الطوفان الا بذلك وصون النفس واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقيل امر اباحة كمن اراد ان يتخذ الانسان لنفسه دارا يسكنها والانصاف ان الامر ظاهر الوجوب وان قطعنا النظر عن فائدته وغايته وقوله باعيننا ووحينا في موضع الحال اى متلبسا بذلك والسبب فيه ان اقدامه على صنعة السفينة مشروط بامرين احدهما انه لا يمنعه اعداؤه عن ذلك العمل واشار اليه بقوله باعيننا وليست العين بمعنى الجارحة لانه منزه عن الجوارح والاعضاء فالمراد بها الحفظ والحياطة والكلاءة لان العين آلة الحفظ والحراسة والثاني ان يكون عالما بكيفية تركيب الاخشاب وتحتها عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر وقيل المراد عين الملك الذي كان يعرفه كيفية اتخاذ السفينة ثم قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا اى في شانهم وعلل عدم الخطاب بقوله انهم مغرقون اى انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد جف القلم عليهم بذلك فلا فائدة للشفاعة وقيل لا تخاطبني في تعجيل عقابهم فانهم يغرقون في الوقت المعين لذلك فلا فائدة في الاستعجال فلكل امة اجل وقيل المراد بالذين ظلموا امرأته واعلة وكنعان ابنه ثم حكى الحال الماضية بقوله ويصنع الفلك والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه يحتمل ان يكون هذا جوابا لما وقوله قال ان تسخروا استيناف على تقدير سؤال سائل كانه قيل ماذا قال نوح ويحتمل ان يكون سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا قيل كانوا يقولون يا نوح كنت نبيا فصرت نجارا ولو كنت صادقا في دعواك لكان الهك يغنيك عن هذا العمل الشاق وقيل انهم ما رأوا السفينة قبل ذلك فكانوا يتعجبون ويسخرون وقيل انها كانت كبيرة وكان يصنعها في مفازة بعيدة عن الماء فكانوا يقولون هذا من باب الجنون وقيل طالت مدته وكان ينذرهم الغرق وليس منه عين ولا اثر فغلب على ظنونهم كونه كاذبا فيسخرون منه فاجابهم بقوله ان تسخروا منا في الحال فانا نسخر منكم في المستقبل اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة او ان حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن الجهل بحقيقة الامر والبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الاغمار وسمي جزاء السخرية سخرية كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم هددهم بقوله فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه في الدنيا وهو عذاب الغرق ويحل عليه عذاب مقيم في الاخرة كلازم لزوم الدين الحال للغريم ومن موصولة او استفهامية وقد مر في الانعام روي ان نوحا اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلث مائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلثين وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون الاسفل للوحوش والسباع والهوام والاوسط للدواب والانعام والاعلى للناس ولما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة قوله حتى اذا جاء امرنا هي غاية لقوله ويصنع الفلك اى كان يصنعها الى ان جاء وقت الامر بالاهلاك وفار التنور اى نبع الماء منه بشدة وسرعة تشبيها بغليان القدر والتنور هو الذي يخبز فيه فقيل هو مما استوى فيه العربي والعجمي وقيل معرب لانه لا يعرف في كلام العرب نون قبل راء عن ابن عباس والحسن ومجاهد هو تنور نوح وقيل كان لادم وحواء حتى صار لنوح وموضعه بناحية الكوفة قال مجاهد والشعبي عن علي انه في مسجد الكوفة وقد صلى فيه سبعون نبيا وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة قاله مقاتل وقيل بالهند روي ان امرأته كانت تخبز فاخبرته بخروج الماء من ذلك التنور فاشتغل في تلك الحال بوضع الاشياء في السفينة وكان الله تعالى جعل هذه الحالة علامة لواقعة الطوفان ويروى عن علي ايضا ان المراد بالتنور وجه الارض كقوله وفجرنا الارض عيونا وعنه ايضا انه كرم الله وجهه ان معنى فار التنور طلع الصبح وقيل معناه اشتد الامر كما يقال حمي الوطيس والمراد اذا رأيت الامر يشتد والماء يكثر فاركب في السفينة وذلك قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين والزوجان شيئان يكون احدهما ذكرا والاخر انثى من قرأ بالاضافة فمعناه احمل من كل صنفين بهذا الوصف اثنين ومن قرأ بالتنوين فالمراد احمل من كل شيء زوجين واثنين للتاكيد ولا يبعد ان يكون النبات داخلا فيه لاحتياج الناس اليه واهلك معطوف على مفعول احمل وكذا ومن امن وقوله الا من سبق عليه القول قال الضحاك اراد ابنه وامرأته



قدر الله لهما الكفر اذ علم منهما ذلك ثم قال وما آمن معه الا قليل اي نفر قليل عن مقاتل انهم ثمانون وبهم سموا قرية ثمانين بناحية الموصل لانهم
لما خرجوا من السفينة بنوها وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم
رجال ونصفهم نساء وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وقيل في بعض الروايات ان ابليس
دخل معه السفينة وفيه بعد لانه رجيم مارد فلا يؤثر الغرق فيه قوله سبحانه حكاية عن نوح واهله وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها الاية فيه بحثان الاول
ان الركوب يتعدى بنفسه يقال ركبت الدابة والبحر والسفينة اي علوتها فما الفائدة في زيادة لفظة في قال الواحدي فائدته ان يعلم انه امرهم بان يكونوا
في جوف الفلك لا على ظهره الثاني قوله بسم الله اما ان يتعلق بقوله اركبوا حالا من الواو اي مسمين الله وقائلين باسم الله مجريها ومرسيها مصدران حذف
منهما الوقت المضاف كقولهم جئتك خفوق النجم ومقدم الحاج ويراد مكانا الاجراء والارساء او زمانهما وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او
بالقول المقدر وعلى التقادير يكون مجموع قوله وقال اركبوا الى قوله ومرسيها كلاما واحدا واما ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها كلاما آخر
من مبتدأ وخبر اي باسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فجرت واذا اراد ان
ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها وكان نوح امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان اجراءها
وارساءها بذكر اسم الله او بامره وقدرته وجوز في الكشاف ان تكون هذه الجملة في موضع الحال عن ضمير الفلك فلا تكون جملة مستأنفة
ولكن فضلة من تتمة الكلام الاول كأنه قال اركبوا فيها مقدرين ان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى يقال رسا الشيء يرسو اذا ثبت والارساء غيره
يروى انها سارت لاول يوم من رجب لعشر مضين منه فسارت ستة اشهر ثم استوت على الجودي يوم العاشر من المحرم ويروى انها مرت بالبيت
طافت به سبعا فاعتقها الله من الغرق البحث الثالث قوله ان ربي لغفور رحيم كيف ناسب مقام الاهلاك واظهار العزة والجواب كأن
القوم اعتقدوا انهم نجوا ببركة ايمانهم وعلمهم فنبههم الله تعالى بهذا الذكر على ان الانسان في كل حال من احواله لا ينفك عن ظلمات الخطاء والزلل فيحتاج
الى مغفرة الله ورحمته وفي الاية اشارة الى ان العاقل اذا ركب في سفينة الفكر ينبغي ان يكون قد تبرأ من حوله وقوته وقطع النظر عن الاسباب
وربط قلبه وعلق همته بفضل واهب العقل فيقول بلسان الحال باسم الله مجريها ومرسيها حتى تصل سفينة فكره الى ساحل الايمان وتخلص
عن امواج الشبه والظنون والاوهام قال في الكشاف وهي تجري بهم متصل بمحذوف كأنه قيل فركبوا فيها يقولون باسم الله وهي تجري وهم
فيها في موج كالجبال في التراكم والارتفاع فلعل الامواج احاطت بالسفينة من الجوانب فصارت كأنها في داخل تلك الامواج واختلف
المفسرون في قوله ونادى نوح ابنه فالاكثرون على انه ابن له في الحقيقة لئلا يلزم صرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز عن غير ضرورة ومن استبعد
في كون ولد النبي كافرا كعكسه عرض على هذا القول بانه كيف ناداه مع كفره وقد قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا واجيب بانه
كان منافقا وظن نوح انه مؤمن او ظن انه كافر الا انه توقع منه الايمان عند مشاهدة العذاب بدليل قوله ولا تكن مع الكافرين ولعل شفقة
الابوة حملته على ذلك النداء وعن محمد بن علي الباقر والحسن البصري انه كان ابن امرأته ويؤيده ما روي ان عليا عليه السلام قرأ ونادى نوح ابنها
ويؤكد هذا الظن قوله ان ابني من اهلي دون ان يقول انه مني وقيل انه ولد على فراشه لغير رشده واليه الاشارة بقوله تعالى فخانتاهما ورد
هذا القول بانه يجب صون منصب الانبياء عن مثل هذه الفضيحة لقوله الخبيثات للخبيثين وفسر ابن عباس تلك الخيانة بان امرأة
نوح كانت تقول زوجي مجنون وامرأة لوط دلت الناس على ضيفه قوله وكان في معزل هو مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده اي كان
في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن السفينة وعن قومها او كان في معزل عن دين ابيه وقيل في معزل عن الكفار ولهذا ظن نوح انه يريد مفارقة
الكفرة ولكن قوله ولا تكن مع الكافرين لا يساعد هذا القول قوله يا بني بكسر الياء لاجل الاكتفاء به عن ياء الاضافة وبفتحها الاكتفاء
به عن الالف المبدلة من الياء ويجوز ان يكون الياء والالف ساقطتين من اللفظ فقط لالتقاء الساكنين ثم حكى اصرار ابنه على الكفر بان
قال سآوي الى جبل فاجاب نوح بانه لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم واعترض عليه بان معنى من رحم من رحمه الله وهو معصوم فكيف
يصح استثناؤه من العاصم واجيب بان من فاعل في المعنى لا مفعول والمراد نوح لانه سبب الرحمة والنجاة كما اضيف الاحياء الى عيسى عليه السلام او الرحيم
الذي مر ذكره في قوله ان ربي لغفور رحيم وهو عاصم لا معصوم وهو استثناء مفرغ والتقدير لا عاصم اليوم لاحد من امر الله الا من رحم
او العاصم بمعنى ذي العصمة كلابن وتامر والعصمة المعتصم او المضاف محذوف والتقدير لا عاصم قط الا مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني
السفينة او هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم وحال بينهما الموج اي بسبب هذه الحيلولة خرج من ان يخاطبه نوح
فصار من جملة المغرقين قوله سبحانه وقيل يا ارض الاية مما اختص بها البلاغة حتى صارت مثلا وللائمة من علماء المعاني فتكلموا فيها وفي وجوه
محاسنها فلا علينا ان نورد ههنا بعض ما استفدنا منهم فنقول النظر فيها من اربع جهات من جهة علم البيان ومن جهة علم المعاني ومن جهتي الفصاحة
المعنوية واللفظية اما من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فالقول فيه انه عز سلطانه
اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء
فغاض وان نقضي امر نوح وهو انجاؤه واغراق قومه كما وعدناه فقضي وان نسوي السفينة على الجودي وهو جبل بقرب الموصل فاستوت

بسم الله

وابقينا

وابقينا الظلمة غرقى بني الكلام على تشبيه الارض والسماء بالمامور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وعلى تشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ
في تكون المقصود تصويرا للاقتدار وان السماء والارض مع عظم جرمهما تابعتان لارادته ايجادا واعداما وتغييرا وتصريفا كانهما عقلاء مميزون
قد احاط علمهما بوجوب الامتثال والاذعان لخالقهما فاستعمل قيل بدل اريد مجازا اطلاقا للمسبب على السبب فان صدور القول انما يكون بعد ارادته
وجعل قرينة المجاز خطاب الجماد بقوله يا ارض ابلعي ويا سماء والخطاب ايضا على سبيل الاستعارة للشبه المذكور وهو كون السماء والارض
كالمامورين المنقادين وايضا استعار الغور للماء في الارض البلع الذي هو اعمال القوة الجاذبة في المطعوم للشبه بين الغور والبلع وهو
الذهاب الى مقر خفي وجعل قرينة الاستعارة نسبة الفعل الى المفعول وفي جعل الماء مكان الغذاء ايضا استعارة لانه شبه الماء بالغذاء
لتقوي الارض بالماء في الانبات للزروع والاشجار تقوي الاكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة ابلعي لكونها موضوعة للاستعمال
في الغذاء دون الماء ثم امر الجماد على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره وخاطب في الامر دون ان يقول ليبلع ترشيحا لاستعارة النداء لان
كون مخاطبا من صفات الحي كما ان كونه مناديا من صفاته ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض
باتصال الملك بالمالك اختار ضمير الخطاب دون ان يقول ليبلع ماءها لاجل الترشيح المذكور ثم اختار مستعير الاحتباس المطر الاقلاع
الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ثم امر على سبيل الاستعارة وخاطب في الامر لمثل ما تقدم في ابلعي من ترشيح استعارة
النداء ثم قال وغيض الماء غاض الماء قل ونضب وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا فلم يصرح بالفاعل
سلوكا لسبيل الكناية لان هذه الامور لا يتأتى الا من قادر قهار فلا مجال لذهاب الوهم الى غيره في صدر الاية ليستدل من ذكر الفعل
وهو اللازم على الفاعل وهو الملزوم وهذا شان الكناية ثم ختم الكلام بالتعريض لانه ينبئ عن الظلم المطلق وعن علة قيام الطوفان واما
النظر فيها من جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة منها وجهة كل تقديم وتاخير فيما بين جملها فذلك انه اختير يا للنداء لانها اكثر استعمالا
ولدلالتها على تبعيد المنادى الذي يستدعيه مقام العزة والهيبة ولهذا لم يقل يا ارضي بالاضافة تهاونا بالمنادى ولم يقل يا ايتها الارض
للاختصار مع الاحتراز عن تكلف التنبيه لمن ليس من شانه التنبيه واختير لفظ الارض والسماء لكثرة دورانهما مع قصد المطابقة واختير
ابلعي على ابتلعي لكونه اخصر ولمجيء حظ التجانس بينه وبين اقلعي وافرد قيل ماءك بلفظ المفرد لما في الجمع من الاستكثار المنافي عنه مقام
العزة والاقتدار وكذا في افراد الارض والسماء ولم يحذف مفعول ابلعي لئلا يلزم تعميم الابتلاع لكل ما على الارض ولما علم اختصاص الفعل به
واقتصر عليه لحذف من اقلعي حذرا من التطويل وانما لم يقل ابلعي ماءك فبلعت لان عدم تخلف المامور به عن امر المطاع معلوم واختير
غيض على غيض المشددة للاختصار ولمثل هذا عرف الماء والامر دون ان يقال ماء الطوفان وامر نوح للاستغناء عن الاضافة بالتعريف
العهدي ولم يقل سويت لتناسب اول القصة وهي تجري بهم من بناء الفعل للفاعل ولان استوت اخصر لسقوط همزة الوصل ثم قيل بعدا
لقوم دون ان يقال ليبعد القوم من بعد بالكسر يبعد بالفتح اذا هلك للتاكيد مع الاختصار ودلالة لام الملك على ان البعد حق لهم
وقول القائل بعدا له من المصادر التي لا يستعمل اظهار فعلها ثم اطلق الظلم ليتناول ظلم انفسهم وظلمهم غيرهم واما ترتيب الجمل فقدم النداء
على الامر ليتمكن الامر الوارد عقيب النداء كما في نداء الحي وقدم نداء الارض لابتداء الطوفان منها بدليل قوله وفار التنور ثم بين نتيجة
البلع والاقلاع بقوله وغيض الماء ثم ذكر مقصود القصة وهو قوله وقضي الامر اي انجز الموعود من هلاك الكفرة وانجاء المؤمنين ثم بين حال
استقرار السفينة بقوله واستوت على الجودي وكان جبلا منخفضا فكان استواء السفينة عليه دليلا على انقطاع مادة الماء ثم ختمت
القصة بالتعريض قيل كيف يليق بحكمة الله تعالى تغريق الاطفال بسبب اجرام الكفار واجيب على اصول الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل وعلى
اصول المعتزلة بانه يعوض الاطفال والحيوانات كما في ذبحها واستعمالها في الاعمال الشاقة وقد روي جمع من المفسرين انه سبحانه اعقم
ارحام نسائهم قبل الغرق باربعين سنة فلم يغرق الا من بلغ اربعين وهذا مع تكلفه لا يتمشى في الجواب عن اهلاك سائر الحيوانات والظاهر ان
القائل في قوله وقيل بعدا هو الله تعالى لتناسب صدر الاية ويحتمل ان يكون القائل نوحا واصحابه لان الغالب ممن يسلم من الامر الهائل
بسبب اجتماع قوم الظلمة انه يقول مثل هذا الكلام ولانه جار مجرى الدعاء عليهم فجعله من كلام البشر اليق واما النظر في الاية من جهة الفصاحة
المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتادية لها بالغ وجه اتمه واما من جهة الفصاحة اللفظية فهي كالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة
وكالعذبات سلسة على الاسلات ولعل ما تركنا من لطايف هذه الاية بل كل اية اكثر مما ذكرنا والله تعالى اعلم بمراده من كلامه ونادى
نوح ربه اي اراد ان يدعوه فقال رب ان ابني من اهلي بعض اهلي سواء كان من صلبه او ربيبا له وان وعدك اي كل ما تعد به الحق الثابت الذي
لا شك في انجازه وقد وعدتني ان تنجي اهلي وانت احكم الحاكمين اعلمهم او اعدلهم لانه لا فضل للحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز ان يكون
من الحكمة كدارع قال يا نوح انه ليس من اهلك اي من اهل دينك او من اهلك الذين وعدتهم الانجاء معك ثم صرح بان العبرة
بقرابة الدين والعمل الصالح لا بقرابة النسب فقال انه عمل غير صالح من قرا على لفظ الفعل فمعناه عمل عملا غير صالح وهو الاشراك والتكذيب
ومن قرا على لفظ الاسم فللمبالغة كما يقال فلان كرم وجود اذا غلب عليه الكرم والجود وفي قوله غير صالح دون ان يقول فاسد تعريض



بل يصرح بانه انما نجا من نجا بالصلاح ويحتمل على هذه القراءة ان يعود الضمير في انه الى سؤال نوح اى ان سؤالك هذا المتضمن لسؤال انجاء ابنك
عمل غير صالح وقيل المراد ان هذا الابن ولد زنا وقد عرفت سقوطه ثم نهاه عن مثل هذا السؤال ووبخه عليه بقوله فلا تسئلن ما ليس لك به
علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين قال المحققون الظاهر ان ابنه منافقا فلذلك اشتبه امره على نوح وحمله شفقة الابوة اولا على دعوته
الى ركوب السفينة فلما حال بينهما الموج لجأ الى الله في خلاصه من الغرق فعوتب على ذلك لانه لما وعده الله انجاء اهله واستثنى منهم من سبق
عليه القول كان عليه ان يتوكل على الله حق توكله ويعلم ان كل من كان من اهله ومؤمنا فانه يخلص من الغرق لا محالة ولما لم يعلم لم يصبر الى ان يتبين الحال
توجه اليه العتاب على ترك الاولى فلذلك تنبه ورجع الى الله قال رب انى اعوذ بك ان اسئلك فيما يستقبل من الزمان ما ليس لى به علم
تأدبا بادابك واتعاظا بعظتك والا تغفر لى ما فرط منى عن الخطأ في باب الاجتهاد ومن قلة الصبر على ما يجب عليه الصبر وهذا التضرع
مثل تضرع ابيه وابينا ادم في قوله ربنا ظلمنا الاية فلذلك عفى عنه وقيل يا نوح اهبط اى من السفينة بعد استوائها على الجبل وانزل من
الجبل الى الفضاء متلبسا بسلام منا بسلامة من المهالك والوعيد بل من جميع الافات والمخافات لانه لما خرج من السفينة كان خائفا من
عدم الماكول والملبوس وسائر جهات الحاجات لانه لم يبق في الارض شئ يمكن ان ينتفع به من النبات والحيوانات وقيل اى مسلما عليك
مكرما والبركات الخيرات النامية الثابتة وفسرها في هذا المقام بانه وعده بان جميع اهل الارض من الاشخاص الانسانية يكون من نسله
اما لانه لم يكن في السفينة الا من هو من ذريته واما لانه لما خرج من السفينة مات من لم يكن من اهله وبقي النسل والتوالد في ذريته دليله قوله تعالى
وجعلنا ذريته هم الباقين فنوح ادم الاصغر وقيل لما وعده السلامة من الافات وعده ان موجبات السلامة والراحة تكون في التزايد
والثبات لا عليك وحده بل وعلى امم ممن معك ان كان من للبيان فالمراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات وهم اصل
الامم التى انشعبت منهم وان كان لابتداء الغاية فالمعنى على امم ناشئة ممن معك الى اخر الدهر هذا شان الامة المؤمنة ثم ذكر حال الامة الكافرة
المتوالدة فقال امم وهو رفع على الابتداء والخبر محذوف اى وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم في الاخرة منا عذاب اليم عن ابن
عباس رض هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وخصص بعضهم الامم المتمتعة بقوم هود وصالح ولوط و
شعيب تلك اشارة الى قصة نوح وهو مبتدأ والجمل بعدها اخبار وقوله ولا قومك للمبالغة كقول القائل لا يعرف هذه المسئلة لا
انت ولا قومك لا اهل بلدك والمراد تفاصيل القصة والا فجملها اشهر من ان يخفى ومعنى من قبل هذا اى من قبل هذا الايحاء والعلم
الذى كسبته بالوحى او من قبل هذا الوقت وكان هذه القصة اعيدت في هذه السورة تثبيتا للنبي على اذى قومه لذلك ختمت بقوله
فاصبر كما صبر نوح ان العاقبة للمتقين التأويل بل ما نريك الا بشرا مثلنا اى مخلوقا محتاجا مثلنا وفيه ان النفس بنظرها السفلي يرى الروح
العلوى سفليا فلهذا لا تنظر الى النبى ولا ترى نبوته الحميدة بل تراه بنظر الكذب والسحر والجنون الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى والاراذل
من اتباع الروح البدن وجوارحه الظاهرة فان الغالب على الخلق ان البدن يقبل دعوة الروح ويستعمل الجوارح بالافعال الشرعية و
لكن النفس الامارة يكون على كفرها ولا تخلي البدن ان يشتغل بالاعمال الشرعية الدينية الا لغرض فاسد ومصلحة دنيوية كما هو المعتاد لاكثر
الخلق وما انا بطارد الذين امنوا امر طبع النفس ان يتأذى من استعمال البدن وجوارحه في التكاليف الشرعية فيقول للروح ان ترد
او من بك فتخلو باخلاقك فامنع البدن وجوارحه في التكاليف من ينصرني من الله من يمنعني من قهره ان منعت البدن من الطاعة فاقتصر على
مجرد ايمان النفس وتخلقها باخلاق الروح كما هو معتقد اهل الفلسفة والاباحة يقولون ان اصل العبودية معرفة الربوبية وجمعية الباطن
والتحلى بالاخلاق الحميدة افلا تذكرون ان جمعية الباطن ونوره من نتايج من استعمال الشرع والظلمة في الطبع وانما بعث الانبياء ليخرجوا الخلق من
ظلمات الطبع الى نور الشرع في الظاهر فالنور في الشرع والظلمة في الطبع وانما ظلمات الطبع الى نور الشرع لن يؤتيهم الله خيرا اى استعداد
لتحصيل الدرجات العلوية وانهم مخلوقون من السفليات الله اعلم بما في نفس كل جارحة من استعداد تحصيل الكمال وانا برئ مما تجرمون
من التكذيب وفيه ان ذنوب النفس لا يؤثر في صفاء الروح ولا يتكدر بها ما كان الروح متبريا من ذنوب النفس متاسفا على ما هي
النفس وتتبع هواها واوحى الى نوح الروح انه لن يؤمن من قومك هم القلب وصفاته والسر والنفس وصفاتها والبدن وجوارحه الا من قد
امن من خواص العباد وهم القلب وصفاته والسر صفات النفس والبدن وجوارحه فاما النفس فانها لا تؤمن ابدا اللهم الا نفوس الانبيا
وخواص الاولياء فانها تسلم احيانا دون الايمان فلا تبتئس بما كانوا يفعلون لان اعمال الشر لنفوس السعداء كالجسد للاكسير ينقلب ذهبا
مقبولا عند طرح الروح عليها فكذلك ينقلب اعمال الشر خيرا عند طرح التوبة عليها اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا تبتئس
على نفوس الاشقياء لان اعمالها حجة الله على شقاوتهم وبتلك السلاسل يسحبون في النار على وجوههم واصنع الفلك يعني يا نوح الروح
سفينة الشريعة بنظرنا لا بنظرك فان نظرك يتبع الحواس يبصر ظاهرها ويغفل عن اسرارها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فان الظلم من شيم
النفوس انهم مغرقون في بحر الدنيا وشهواتها وكلما مر عليهم ملا ثم النفس وهواها ويغفل عن اسرارها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فان الظلم
وصفاتها سخروا منه من استعمال الاركان الشرعية انهم لم يفهموا حقايقها حتى اذا جاء امرنا وهو حد البلوغ والركون في سفينة الشريعة وفار



في القاف النور في الشرع

ماء الشهوة من تنور القالب قلنا احمل السفينة الشريعة من كل صفة وزوجها كالشهوة وزوجها العفة والحرص وزوجها القناعة والبخل وزوجها السخاء الغضب وزوجه الحلم وكذا الحقد مع السلامة والعداوة مع المحبة والكبر مع التواضع التاني مع العجلة واهلك وهم صفات الروح الا النفس ومن آمن وهم القلب والسر في قوله تعم وقال اركبوا فيها بسم الله اشارة الى ان من ركب سفينة الشرع بالطبع في تقليد الآباء والمعلم لم يحصل له النجاة الحقيقية كما ركب بلبيس بالطبع في سفينة نوح وانما النجاة لمن ركب بامر الله وذكره مجريها من الله ومرسيها الى الله كقوله وان الى ربك المنتهى في موج من الفتن كالجبال ونادى نوح الروح ابنه كنعان النفس المتولد بينه وبين القالب وكان في معزل من معرفة الله وطلبه ساوي الى جبل العقل يعصمني من الماء الفتن لا عاصم اليوم اى في انبع ماء الشهوات من ارض البشرية ونزل ماء عملات الدنيا وزينتها من سماء القضاء فلا يتخلص منه الا من رحمه الله بالاعتصام بسفينة الشريعة ابلعي ماء شهواتك واقلعي عن انزال مطر الآفات وغيض ماء الفتن ببركة الشرع وقضي الامر بما كان مقدرا من طوفان الفتن للابتلاء والتربية واستوت سفينة الشريعة على الجودي وهو مقام التمكين بعد مقامات التلوين وان وعدك الحق وهو نوح الروح عند هبوطه الى العالم السفلي من الرجوع الى العالم العلوي ما بعد انه ليس من اهلك وكان للروح بعد بنين ثلثة من المؤمنين وهم القلب والسر والعقل وواحد كافر وهو النفس فنفي عن النفس اهلية الدين والملة لانها خلقت للامارية اهبط من سفينة الشريعة عند مفارقة الجسد والخلاص من طوفان الفتن وامم سنمتعهم هم النفوس متعت بالحظوظ الدنيوية ثم يمسهم في الآخرة عذاب البعد عن المالوفات فاصبر على تربية الروح والنفس ان العاقبة لمن اتقى طوفان فتن الدنيا والنفس والهوى

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ

و فرستادیم بقوم عاد برادر ایشان هود را گفت ای قوم من بپرستید خدا را نیست مر شما را هیچ خدایی جز او نیستید شما مگر افترا کنندگان ای قوم من نمی طلبم از شما بران مزدی نیست

أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ

مزد من مگر بر آنکه بیافرید مرا آیا پس نمی یابید بعقل و ای قوم آمرزش خواهید از پروردگار خود پس رجوع کنید بسوی او تا فرستد آسمان بر شما باران پی در پی و بیفزاید شما را

قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ۝ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ

قوت بر قوت شما و اعراض مکنید گناهکاران گفتند ای هود نیاوردی بما حجتی روشن و نیستیم ما گذارنده خدایان خود را از گفتار تو و نیستیم مر ترا گروندگان

إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي

نمیگوییم مگر آنکه رسانیده اند بتو بعض خدایان ما بدی گفت بدرستیکه من گواه میگیرم خدا را و گواه باشید که من بیزارم از آنچه شریک میگیرید از جز او پس کید کنید مرا

جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

همه پس مهلت مدهید مرا بدرستیکه من توکل کردم بر خدا که پروردگار من و پروردگار شماست نیست هیچ جنبنده مگر او گیرنده است موی پیشانی او را بدرستیکه پروردگار من بر راه راست

فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ

پس اگر اعراض کنید پس بتحقیق رسانیدم بشما آنچه فرستاده شدم بآن بسوی شما و جانشین گرداند پروردگار من گروهی را غیر شما و زیان نرسانید او را چیزی بدرستیکه پروردگار من بر همه چیز نگاهبانست

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

و چون آمد فرمان ما نجات دادیم هود را و آنانکه ایمان آوردند با او برحمتی از ما و رهانیدیم ایشانرا از عذاب درشت و آن قوم عاد انکار کردند آیتهای پروردگار خود را

وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا

و نافرمانی کردند پیغمبران او را و پیروی کردند فرمان هر گردنکش عنادکننده را و پی آورده شدند درین دنیا لعنت و روز قیامت آگاه باشید بدرستیکه عاد کافر شدند به پروردگار خود آگاه باشید دوری

لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ

مر عاد را که قوم هود بودند و بسوی ثمود برادر ایشان صالح را گفت ای قوم بپرستید خدا را نیست شما را هیچ خدایی جز او او آفرید شما را از زمین و عمر داد شما را

فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ

در آن پس آمرزش خواهید از او پس رجوع کنید بسوی او بدرستیکه پروردگار من نزدیکست اجابت کننده گفتند ای صالح بدرستیکه بودی در میان ما امید داشته پیش ازین آیا نهی میکنی ما را از آنکه بپرستیم

آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن

پدران ما و بدرستیکه ما در شکیم از آنچه میخوانی ما را بسوی آن بگمان افکننده گفت ای قوم خبر دهید اگر باشم بر حجتی از پروردگار خود و داده باشد مرا از نزد خود رحمتی پس

يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۝ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ

که یاری کند مرا از خدا اگر نافرمانی کنم او را پس نمیافزایید مرا جز زیانکاری و ای قوم این ناقه خداست مر شما را نشانه پس بگذارید او را بخورد در زمین خدا

وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۝ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ

و مرسانید او را به بدی پس فرا گیرد شما را عذابی نزدیک پس پی کردند او را پس گفت برخوردار شوید در خانهای خود سه روز این وعده ایست غیر دروغ

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ وَأَخَذَ

پس چون آمد فرمان ما نجات دادیم صالح را و آنانکه ایمان آوردند با او برحمتی از ما و از رسوائی آن روز بدرستیکه پروردگار تو اوست توانای غالب و گرفت

ع ٥

ع ٦

الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم الا بعدا لثمود القراءة

لا از آنکه ستمکردند فریاد مهلک پس گشتند در خانهاشان برجای ماندگان گویا که نبودند در آنجا آگاه باشید بدرستیکه ثمود کافر شدند پروردگار خودرا آگاه باشید دوری باد مر ثمود را

بفتح الياء ابو جعفر ونافع والبزي عن الخزاعي اشهد بالفتح ابو جعفر ونافع فان تولوا بالتشديد البزي وابن فليح يستخلف بالجزم الخزاز
عن هبيرة الباقون بالرفع يومئذ بفتح الميم وكذلك في المعارج ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وعلي والشموني والبرجمي وعباس الآخرون بالجر الا
ان ثمود غير منصرف حيث وقع غير الاعشى حمزة وحفص وسهل ويعقوب الباقون بالتنوين والوقف بالالف لثمود بالتنوين في الوصل علي
الوقوف هود ط غيره ط مفترون ه اجرا ط فطرني ط تعقلون ه مجرمين ه بمؤمنين ه بسوء ط تشركون ه لا لا تنظرون ه وربكم ط بناصيتها ط مستقيم ه
به اليكم ط للاستيناف الا لمن قرأ ويستخلف بالجزم غيركم ج لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال شيئا ط حفيظ ه منا ج لحق المحذوف اي
وقد نجيناهم غليظ ه عنيد ه يوم القيمة ط ربهم ط هود ه صالحا م لما مر في الاعراف غيره ط اليه ط مجيب ه مريب ه تخسير ه قريب ه ايام ط مكذوب ه
يومئذ ط العزيز ه جاثمين ه لا للكاف التشبيه فيها ط ربهم ط لثمود ه التفسير قد مر في الاعراف تفسير قوله والى عاد الآية ومعنى قوله ان انتم الا
مفترون انكم كاذبون في قولكم ان هذه الاصنام تحسن عبادتها مع انها لا حس لها ولا شعور ثم قال مثل قول نوح يا قوم لا اسئلكم
عليه اجرا لان النصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع افلا تعقلون ان نصح من لا يطلب الاجر الا من الله لا يكون من التهمة في شيء قيل انما قال
في قصة نوح مالا ودونا اجرا لذكر الخزائن بعده ولفظ المال بها اليق وحذف الواو من يا قوم لانه اراد الاستيناف والبدل دون العطف و
يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد مر مثله في اول السورة وقال الاصم لان القوم المراد سلوه ان يغفر لكم ما تقدم لكم من امركم ثم اعزموا
على ان لا تعودوا الى مثله ثم قصد استمالتهم وترغيبهم في الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا حراصا على جمع الاموال من وجوه العمارة
والزراعة مفتخرين بها وبما من البطش والقوة فقدم اليهم في باب الدعوة الى الدين والترغيب فيما كانت هممهم معقودة به ليحصل في ضمن
الغرض الكلي والمقصود الاصلي وهو الفوز بالسعادات الاخروية وكانه انما خص هذين النوعين من السعادات الدنيوية لان الاول اصل جميع
النعم والثاني اصل في الانتفاع بتلك النعم وقيل المراد بالقوة الزيادة في المال وقيل في النكاح وروي انه حبس عنهم القطر بشوم التكذيب ثلث
سنين واعقم نساؤهم فوعدهم انهم ان امنوا احيا الله بلادهم ورزقهم المال والولد المدرار الكثير الدر كما مر في اول الانعام عن الحسن بن علي
انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فقال عليك بالاستغفار حتى انه ربما استغفر في يوم
واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع
قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ثم قال هود ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين
على الاجرام والآثام مجددا لهود وقالوا ما جئتنا ببينة كما قالت قريش لرسول الله ص لولا انزل عليه آية من ربه ولم يثبتهم منه معجزة
ولكن العلماء قالوا اظهار الدعوة مع اولئك الاقوام من غير مبالاة وتوانيه من الاذاية قوله عن قولك حال من الضمير كانه قيل وما نترك
آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين لا يصدق مثلنا مثلك بل ثم زعموا ان بعض آلهتهم اعتراه بسوء اي غشاه واورثه
الخبل والجنون لانك كنت تسبها وذلك قولهم ان نقول اي ما نقول الا اعتراك والاغواء ما نقول شيئا الا هذا القول فمن تكلم
بكلام المجانين والمراد ان الاصنام كافاته على سوء فعله بسوء الجزاء فاظهر نبي الله الجلادة والثقة بالله فيما هو بصدده وتبرأ منهم ومن آلهتهم
فاشهد الله وذلك شهادة صحيح واشهدهم اياه وهذا كالتهاون وقلة المبالاة بهم كقول الرجل لمن نوى قطعه بالكلية اشهد علي اني لا احبك
تهكما به ثم قوله فكيدوني الآية في آخر سورة الاعراف في قوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل وكانوا
اذا اسروا الاسير فارادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته فكان علامة لقهره قالت المعتزلة هذا دليل التوحيد لدلالته على انه لا اله
الا هو وقوله ان ربي على صراط مستقيم دليل العدل والاشاعرة قالوا معناه مثل ان ربك لبالمرصاد اي لا يخفى عليه شيء ولا يفوته
هارب فان تولوا فقد ابلغتكم كقول القائل ان اكرمتني الآن فقد اكرمتك فيما مضى والمراد فان تتولوا فانا غير معاتب ولا مقصر لاني
قد قضيت حق الرسالة وفي قوله ويستخلف اشارة الى عذاب الاستيصال وانه يخلف بعدهم من هو اطوع منهم وانه لا ينقص من ملكه شيئا
ان ربي على كل شيء حفيظ يحفظ اعمال العباد حتى يجازيهم عليها او يحفظني عن شركم وكيدكم او يحفظني من الهلاك والذين آمنوا معه قيل كانوا
اربعة آلاف برحمة منا اي بفضل وامتنان او بسبب ما هم فيه من الايمان والعمل الصالح ونجيناهم من عذاب غليظ اطلق التنجية اولا ثم قيدها
على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ سموم تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فيقطعهم عضوا عضوا ويحتمل ان يراد بالثانية
التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه ولما ذكر قصتهم خاطب محمدا واشار الى قبورهم وآثارهم بقوله وتلك عاد فانظروا واعتبروا
ثم استأنف وصف احوالهم بجملة فقال جحدوا بآيات ربهم فلم يلتفتوا من المعجزات الى صدق الانبياء ولم يرتقوا من الممكنات الى وجود الخالق
بالذات وعصوا رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وصح الجمع لان عصيان رسول واحد يتضمن عصيان كلهم لا نفرق بين احد من رسله
واتبعوا امر كل جبار عنيد طاغ والرؤساء وكبرائهم المتمردة والمعاندة ولهذا جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين وفي تكرير الا والنداء

القصة

نكات بكثير الاستغفار

على تفظيع شأنهم وانهم كانوا مستأهلين للدعاء عليهم بالهلاك ويحتمل ان يراد البعد من رحمة الله في الاخرة وقوله قوم هود عطف بيان لعاد
اما للتأكيد لمزيد التقرير واما لان عادا عادان القديمة التي هي قوم هود والاخرى هي ارم قوله في قصة ثمود هو انشأكم تقديم الضمير للحصر
لم ينشئكم الا هو ومعنى الانشاء من الارض ان الكل مخلوق من صلب آدم وهو مخلوق من الارض ويمكن ان يقال ان الانسان مخلوق من
المني وهو يحصل من الغذاء والغذاء ينتهي الى النبات ثم الى الارض وقيل ان من بمعنى في واستعمركم من العمارة اي جعلكم عمار الارض
وامركم بالعمارة فمنها واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار فعمروا الاعمار الطوال
مع ما كان فيهم من الظلم فسأل نبي من الانبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي
وقيل من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقيل من العمرى ومعناه اعمركم الله فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم او جعلكم معمرين
دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانه اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها للوارث ومعنى كونه قريبا تقدم في قوله واذا
سألك عبادي عني فاني قريب وذلك في البقرة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا عن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك الله على جميعنا
وقيل كنا نظن بك الرشد والصلاح و كمال العقل واصابة الرأي وقيل كنت تعطف على فقيرنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فقطعنا
املك من الانصار والاحباب واهل الموافقة في الدين فكيف ظهرت العداوة والبغضاء ثم اضافوا الى هذا الكلام التمسك بالتقليد ومتابعة الاباء
ثم صرحوا بالتوقف والريب في امره ومريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة وهو من الاسناد المجازي واعلم ان
قوله وانا لفي شك بنون الوقاية ههنا على الاصل واما في سورة ابراهيم فانما قالوا انا بغير نون الوقاية لقوله بعده تدعوننا على الجمع
فكان اجتماع النونات مستكرها فاجابهم هو بقوله ان كنت على بينة الاية وبناء امره على الفرض والتقدير لان خطاب المخالف على هذا الوجه اقرب
الى القبول كانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة فمن يمنعني من عذاب الله ان عصيته في اوامره فما تزيدونني غير تخسير
اي على هذا التقدير تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تحملونني عليه الا ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون والمعنى الاول
اقرب لانه كالدلالة على ان متابعتهم لا تزيده الا خسران الدارين ويا قوم هذه ناقة الله قد مر تفسيره في الاعراف معنى عذاب قريب عاجل
لا يستأخر الا ثلاثة ايام وغير مكذوب فيه فحذف الحرف واجرى الضمير مجرى المفعول به او من باب الاتساع اي غير مكذوب او من باب المجاز كان
الوعد اذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او المكذوب مصدر كالمجلود وصف به قوله فلما جاء امرنا بالفاء وفي قصة هود بالواو لمكان التعقيب
ههنا بدليل قوله عذاب قريب ومثله في قصة لوط لقوله اليس الصبح بقريب واما في قصة هود فانه قال ويستخلف بلفظ المستقبل ومثله في قصة
شعيب سوف تعلمون من يأتيه بحرف التسويف فلم يكن الفاء مناسبا واعتبر هذا المعنى في سائر المواضع كما في سورة يوسف قال ولما
جهزهم بالواو اولا لان التعقيب لم يكن مرادا ثم قال فلما جهزهم لمكان التعقيب والله اعلم ومن خزي يومئذ معطوف على محذوف والتقدير نجينا صالحا
ومن معه من العذاب النازل بقومه ومن الخزي الذي لزمهم ويتعلق بمعطوف محذوف اي ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم
من عذاب غليظ والمعنيان كما قلنا هنالك والقراءات في يومئذ لان الظرف المضاف الى اذ يجوز بناؤه على الفتح والتنوين في اذ عوض من
المضاف اليه اعني الجملة والتقدير يوم اذ كان كذا وكسر الذال للساكنين ان ربك هو القوي العزيز القادر الغالب فمن قدرته نجى المؤمن
من الكافر ومن عزته وقهره اهلك الكفار بالصيحة التي سمعوها من جانب السماء اما بواسطة جبرئيل واما لاحداثها في سحاب مع برق شديد
محرق وانما يصير الصيحة سببا للهلاك لان التموج الشديد في الهواء يوجب تأذي صماخ الانسان وتمزق غشاء الدماغ بذلك والاعراض
النفسانية ايضا اذا قويت اوجبت الموت تمام القصة مذكور في سورة الاعراف وقوله الا ان ثمود الاخر شبيه بما مر في قصة هود والتأويل
كما مر في سورة الاعراف والله اعلم

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا اِبْرٰهِيْمَ بِالْبُشْرٰى قَالُوْا سَلٰمًا ۭ قَالَ سَلٰمٌ فَمَا لَبِثَ اَنْ جَاۗءَ بِعِجْلٍ حَنِيْذٍ

وبتحقیق آمدند فرستادگان ما ابراهیم را بمژده فرزند گفتند سلام گفت سلام پس درنگ نکرد که آورد گوساله بریان

فَلَمَّا رَآٰ اَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ اِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَاَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيْفَةً ۭ قَالُوْا لَا تَخَفْ اِنَّآ اُرْسِلْنَآ اِلٰى قَوْمِ لُوْطٍ ۭ وَامْرَاَتُهٗ

پس چون دید دستهای ایشان نمیرسد بآن ناخوش گرفت ایشان را و دردل گرفت از ایشان ترسی گفتند مترس بدرستیکه ما فرستاده ایم بسوی قوم لوط وزن او

قَاۗىِٕمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنٰهَا بِاِسْحٰقَ ۙ وَمِنْ وَّرَاۗءِ اِسْحٰقَ يَعْقُوْبَ قَالَتْ يٰوَيْلَتٰٓى ءَاَلِدُ وَاَنَا عَجُوْزٌ وَّھٰذَا بَعْلِيْ شَيْخًا ۭ

ایستاده بود پس خندید پس بشارت دادیم اورا باسحق و از پس اسحق یعقوب گفت ای وای عجبا فرزند آورم و من پیرزنم و این شوهر منست پیر مرد

اِنَّ ھٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيْبٌ قَالُوْٓا اَتَعْجَبِيْنَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ رَحْمَتُ اللّٰهِ وَبَرَكٰتُهٗ عَلَيْكُمْ اَهْلَ الْبَيْتِ ۭ اِنَّهٗ حَمِيْدٌ مَّجِيْدٌ فَلَمَّا ذَهَبَ

بدرستیکه این چیزیست عجب گفتند آیا تعجب میکنی از امر خدا رحمت خدا و برکتهای او بر شما اهل خانه بدرستیکه او ستوده بزرگوار است پس چون رفت

عَنْ اِبْرٰهِيْمَ الرَّوْعُ وَجَاۗءَتْهُ الْبُشْرٰى يُجَادِلُنَا فِيْ قَوْمِ لُوْطٍ ۭ اِنَّ اِبْرٰهِيْمَ لَحَلِيْمٌ اَوَّاهٌ مُّنِيْبٌ يٰٓاِبْرٰهِيْمُ اَعْرِضْ عَنْ ھٰذَا ۚ

از ابراهیم ترس و آمد اورا مژده فرزند سخن میکرد با ما درباره شفاعت قوم لوط بدرستیکه ابراهیم بردبار ناله کننده بازگشت کننده است ای ابراهیم روی بگردان ازین شفاعت

اِنَّهٗ قَدْ جَاۗءَ اَمْرُ رَبِّكَ ۚ وَاِنَّهُمْ اٰتِيْهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُوْدٍ وَلَمَّا جَاۗءَتْ رُسُلُنَا لُوْطًا سِيْۗءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَّقَالَ

بدرستیکه آمد فرمان پروردگار تو و ایشان آینده است بایشان عذابی که رد کرده نشود و چون آمدند رسولان ما لوط را محزون شد بسبب ایشان و تنگ شد بایشان از طاقت و گفت

الطول ١٢

ع ٧

هذا يوم عصيب ﴿ وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر

این روز سخت است و آمدند او را قوم او شتابان و از پیش بودند که میکردند بدیها گفت ای قوم من این دختران من ایشان پاکیزه‌ترند

لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد ﴿ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم

برای شما پس بترسید از خدا و رسوا مکنید مرا در مهمانان من آیا نیست از شما مردی راه یافته گفتند بتحقیق دانسته که نیست ما را در دختران تو هیچ حقی و هر آینه تو میدانی

ما نريد ﴿ قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد ﴿ قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك

آنچه را میخواهیم گفت کاش مرا بودی بشما قوتی یا جای گیرم بسوی رکنی سخت گفتند ای لوط بدرستیکه ما رسولان پروردگار توایم هرگز نرسند بتو پس ببر اهل خود را

بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب

بپاره‌ای از شب و باید که ملتفت نشود از شما احدی مگر زن تو بدرستیکه رسیدنی است او را آنچه رسید ایشان را بدرستیکه وعده‌گاه ایشان صبح است آیا نیست صبح نزدیک

فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ﴿ مسومة عند ربك وما هي من

پس چون آمد فرمان ما گردانیدیم بالای آن را زیر آن را و باراندیم بر آن سنگها از سنگ گل بر هم نهاده شده نشان کرده نزد پروردگار تو و نیست آن از

الظالمين ببعيد ﴿ القراءة سلم بكسر السين بلا الف فيهما حمزة وعلي ويعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص الآخرون بالرفع سيئ بهم وبابه

ستمکاران دور کفر بحمهولا ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي ورويس الآخرون سيئ مثل قيل تخزوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب

وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل ضيفي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو فاسر وبابه بهمزة الوصل ابو جعفر

ونافع وابن كثير وعباس من طريق الموصلي وحمزة في الوقف ان شاء لين الهمزة الا امرأتك بالرفع ابن كثير وابو عمرو الباقون بالنصب الوقوف

سلاما ط حنيذ ط خيفة ط قوم لوط ط باسحق ط لا من قرأ يعقوب بالرفع يعقوب ط شيخا ط عجيب ط اهل البيت ط مجيد ط قوم لوط ط منيب ج عن هذا ج

لاحتمال التعليل امر ربك ج للابتداء بان مع اتصال المعنى مردود ط عصيب ج للعطف ولاختلاف النظم السيئات ط ضيفي ط رشيد ط من حق ج

لما نريد ط شديد ط الا امرأتك ط اصابهم ط الصبح ط بقريب ط منضود لا لان ما بعده صفة حجارة عند ربك ط ببعيد ط التفسير الرسل ههنا

الملائكة واجمعوا على ان الاصل فيهم جبرئيل ثم اختلفوا فقيل كان معه اثنا عشر ملكا على احسن ما يكون من صورة الغلمان وقال الضحاك

كانوا تسعة وقال ابن عباس كانوا ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وهم الذين ذكر الله تعالى في سورة الحجر ونبئهم عن ضيف ابرهيم وفي الذاريات

هل اتيك حديث ضيف ابرهيم والاكان البشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط ومعنى سلاما سلمنا عليك سلاما ومعنى سلام امر

سلام امركم سلام او سلام عليكم ولان الرفع يدل على الثبات والاستقرار والنصب يدل على الحدوث لمكان تقدير الفعل قال العلماء

ان سلام ابرهيم كان احسن اقتداء بقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وانما صح وقوع سلام مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصها بالاضافة الى

المتكلم اذ اصله سلمت سلاما فعدل الى الرفع لافادة الثبات ومن قرأ سلم فمعناه السلم ايضا قال الفراء سلم وسلام كحل وحلال وحرم وحرام وقال ابو علي

الفارسي يحتمل ان يراد بالسلم خلاف الحرب قالوا مكث ابرهيم خمس عشرة ليلة لا يأتيه ضيف فاغتم لذلك فجاءته الملائكة فرأى اضيافا لم ير مثلهم فما لبث ان

خا او في اللبث

في ان جاء بعجل او فما لبث مجيئه بعجل هو ولد البقرة حنيذ مشوي في حفرة من الارض بالحجارة المحماة وهو من فعل اهل البادية معروف ومعناه

محنوذ كطبيخ بمعنى مطبوخ وقيل الحنيذ الذي يقطر دسما كقوله بعجل سمين يقول حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا فلما راى

ايديهم لا تصل اليه الى العجل او الطعام نكرهم اي انكرهم واستنكر فعلهم واوجس اضمر منهم خيفة لانه ما كان يعرف انهم ملئكة وكان من عادة

العرب انه اذا نزل بهم الضيف لم يتناول طعامهم توقعوا منه المكروه والشر وقيل انه كان ينزل في طرف من الارض بعيد عن الناس فلما امتنعوا

من الاكل خاف ان يريد به شرا وقيل انه كان يعرف انهم ملئكة الله لقولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط لم يقولوا لا تخف انا ملئكة بل ذكروا

سبب الارسال وهو اهلاك قوم لوط وعلى هذا فانما خاف ان يكون نزولهم لامر انكره الله او لتعذيب قومه والاحتمال الاول وهو انه كان لا يعرف

انهم ملائكة اقرب بدليل احضاره الطعام واستدلاله بترك اكلهم على توقع الشر منهم وانما ذكروا سبب الارسال ايجازا واختصار الدلالة الارسال

على كونهم رسلا لا اضيافا وانما اتوه على صورة الاضياف لتكونوا على صفة يحبها لانه كان مشعوفا بالضيافة وبم عرف الملئكة خوفه قيل بالتغير في

وجهه او بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملئكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرأته وهي سارة بنت هاران بن ناحور ابنة عم ابرهيم

قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم او كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وهم قعود فضحكت قال العلماء لابد للضحك من سبب فقيل سببه السرور بزوال الخيفة

وقيل بهلاك اهل الخبائث وعن السدي ان ابرهيم قال لهم الا تاكلون قالوا انا لا ناكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله على اوله

وتحمدوه في آخره فقال جبرئيل لميكائيل حق لمثل هذا الرجل ان يتخذه ربه خليلا فضحكت امرأته فرحا بهذا الكلام وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا

ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب ففرحت بموافقة قولهم لقولها فضحكت وقيل طلب ابرهيم منهم معجزة دالة على انهم من الملئكة

فدعوا ربهم باحياء العجل المشوي فطفر ذلك العجل المشوي الى مرعاه فضحكت سارة من طفرته وقيل ضحكت تعجبا من قوم اتاهم العذاب وهم غافلون

وقيل تعجبت من خوف ابرهيم مع كثرة خدمه وحشمه من ثلثة انفس وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي فبشرناها باسحق فضحكت سرورا وعن مجاهد

وعكرمة ضحكت اي حاضت ومنه ضحكت الطلعة اذا انشقت يعني استعدادها العلوق الولد من قرأ يعقوب بالرفع فعلى الابتداء والخبر محذوف
اي يعقوب مولود او موجود من بعد اسحق ومن قرأ بالنصب فعلى العبارة المتروكة كأنه قيل ووهبنا لها اسحق ومن بعد اسحق يعقوب قول من المحتمل ان يكون
يعقوب مجرورا بالعبارة الموجودة اي وبشرناها بيعقوب من بعد اسحق وقيل الوراء ولد الولد ووجهه ان يراد بيعقوب اولاده كما يقال هاشم ويراد
اولاده يا ويلتى كلمة تلهف قد مرت في المائدة في يا ويلتى اعجزت وشيخا نصب على الحال والعامل فيه ما في هذا من معنى التنبيه والاشارة هذا يعني ان
تولد ولد من هرمين لشيء عجيب عادة فان الملائكة تعجبها منكرين عليها بقولهم على سبيل الاستيناف رحمت الله وبركاته عليكم يا اهل البيت خليل
الرحمن المقصودات رحمته عليكم متكاثرة وبركاته فيكم متواترة وخوارق العادات في اهل بيت النبوة غير عجيب ويحتمل ان يكون انتصاب اهل البيت على الاختصاص
وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم ثم اكدوا ازالة التعجيب بقولهم انه حميد محمود في افعاله
مجيد ذو الكرم الكامل فلا يليق به منع الطالب عن مأموله فلما ذهب عن ابرهيم الروع الخوف الذي لحقه حين نكر اضيافه وجاءته البشرى البشارة
بحصول الولد يجادلنا في قوم لوط في معناهم وفي شأنهم وهو جواب لما على حكاية الحال او لان لما ترد المضارع الى الماضي عكس ان ويحتمل ان يكون جواب
لما محذوفا وما عليه دليل يجادلنا اي اجترأ على خطابنا او قال كذا ثم ابتداء فقال يجادلنا او قيل معناه اخذ يجادلنا ولا بد من حذف مضاف اي يجادل
رسلنا لا بمعنى مخالفة امر الله فان ذلك لا يكون معصية بل سعيا في تأخير العذاب عنهم رجاء ايمانهم وتوبتهم يروى انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
فقال اراءيتم لو كان فيها خمسون من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال فان كان فيها رجل واحد مسلم
اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله قال الاصوليون ان ابرهيم كان يقول ان امر الله
ورد باتصال العذاب ومطلق الامر لا يوجب الفور والملائكة يدعون الفور اما للقرائن او لان مطلق الامر يستدعي ذلك فهذه هي المجادلة او لعل
ابرهيم كان يدعي ان الامر مشروط بشرط لم يحصل بعد وهم لا يسلمون وبالجملة فان العلماء يجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالنصوص وليس يوجب القدح
في واحد منهم فكذلك ههنا ولذلك مدحه بقوله ان ابرهيم لحليم غير عجول في الامور اواه كثير التأوه من الذنوب منيب راجع الى الله في كل ما يسنح
له ومن هذه الصفات دل على رقة القلب والشفقة على خلق الله حتى حملته على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع العذاب عنهم ولما عرفت الملائكة ان العذاب قد
حق عليهم قالوا يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك باهلاكهم وانهم اتيهم لاحق بهم عذاب غير مردود فلا راد لقضائه فلا ينفع فيهم
جدال ولا دعاء ولما جاءت رسلنا المذكورون لوطا سيء بهم اصله سوئ لانه من ساءه يسوءه نقيض سره يسره نقلت الكسرة الى الفاء وابدلت
العين ياء ومن قرأ سيء بابدال العين ياء مكسورة فلكراهة اجتماع الواو والهمزة وضاق بهم ذرعا قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة واصله
ان البعير يذرع بيديه في سيره على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع
والطاقة وربما قالوا ضقت بالامر ذرعا وقال هذا يوم عصيب اي شديد من العصب الشد كأنه ربد اشتد لما فيه من الامور عن ابن
عباس انطلقوا من عند ابرهيم الى لوط وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بني ادم في غاية الحسن لم يعرف لوط انهم ملائكة
الله فساءه مجيئهم واغتم لذلك لانه خاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم وقيل سبب المساءة انه لم يكن قادرا على القيام بحق ضيافتهم لانه
ما كان يجد ما ينفق عليهم وقيل السبب ان قومه منعوه عن ادخال الضيف داره وقيل عرف انهم ملائكة جاؤا لاهلاك قومه فرق قلبه على قومه والصحيح
هو الاول يروى انه تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه
القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته
فاخبرت بهم قومها فذلك قوله وجاءه قومه يهرعون اليه قال ابو عبيدة يستحثون اليه كأنه يحث بعضهم بعضا وقال الجوهري الاهراع الاسراع
واهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يرعد من حمى او غضب او فزع وقيل انما لم يسم فاعله للعلم به والمعنى اهرعهم خوفه او حرصه ثم
بين ان اسراعهم انما كان لاجل العمل الخبيث فقال ومن قبل كانوا يعملون السيئات الفواحش مرنوا عليها فلذلك جاؤا مجاهرين لا يكفهم حياء
وقيل معناه وكان لوط قد عرف عادتهم في ذلك العمل قبل ذلك اراد ان يقي اضيافه ببناته فقال هؤلاء بناتي عرضهن ارادة بناته من صلبه وعن مجاهد
وسعيد بن جبير اراد نساء امته لان النبي كالاب لامته واختير هذا القول لان عرض البنات لحفظ الضيفان على الفجار لا يليق بذوي المروات ولان اللواتي
من صلبه لا يكفي للجمع العظيم ولما روي انه لم يكن له الا ابنتان واقل الجمع ثلثة والقائلون بالقول الى لو بناتهن انما دعاهم الى التزوج بهن بعد الايمان
او مع الكفر فلعل تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا كما في اول الاسلام زوج رسول الله صلعم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع بن عبد
العزى وهما كافران فنسخ بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقيل ان بناته كن
اكثر من ثنتين ويجوز ان يكون قد عرض البنات عليهم لا بطريق الجد بل طمعا منهم ان يستحيوا منه ويرقوا له واطهر بمعنى طاهرات لانه لا طهارة في نكاح
الرجال فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق اضيافي فان اخزاء الضيف والجار يورث
للمضيف العار والشنار والضيف يستوي فيه الواحد والجمع ويجوز ان يكون مصدرا اليس منكم رجل رشيد صالح او مصلح مرشد يمنع او يمنع عن مثل
هذا العمل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من شهوة ولا حاجة لان من احتاج الى شيء فكانه حصل له فيه نوع حق ولذلك قالوا وانك

الاول قالوا انما دعى القوم



لتعلم ما نريد ويجوز ان يراد انهن لسن لنا بازواج فلا حق لنا فيهن من حيث الشرع ومن حيث الطبع ام يراد انك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ونحن لا
نؤمن البتة فلا يتصور لنا حق فيهن قال لوط لو ان لي بكم قوة وجوابه محذوف اي لفعلت بكم وصنعت وبالغت في دفعكم قال اهل المعاني حذف الجواب ابلغ
لان الوهم يذهب الى انواع كثيرة من الدفع والمنع والمراد لو ان لي ما اتقوى به عليكم فسمي موجب القوة بالقوة ويحتمل ان يريد بالقوة القدرة والطاقة او آوي
انضم الى ركن شديد حام منيع شبه الركن من الجبل في شدته وقوله او آوي عطف على الفعل المقدر بعد لو والحاصل انه تمنى دفعهم بنفسه او بمعاونة غيره
قال ذلك من شدة القلق والحيرة في الامر النازل به ولهذا قالت الملائكة وقد رقت عليه وحزنت له ان ركنك لشديد وقال النبي صلعم رحم الله اخي لوطا كان
يأوي الى ركن شديد فما بعث نبي بعد ذلك الا في ثروة من قومه ويحتمل ان يريد بالركن الشديد حصنا يتحصن به فيأمن من شرهم ويحتمل انه لما شاهد
سفاهة القوم واقدامهم على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استدرك وقال بل الاولى ان آوي الى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله روي
انه اغلق بابه لما جاؤا فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك وهذه جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا
كانوا رسل الله لم يصل الاعداء اليه ولن يقدروا على ضرره فامر الملائكة ان يفتح الباب فدخلوا فاستأذن جبرئيل ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه
وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال سبحانه ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان في بيت لوط
سحرة ثم بين نزول العذاب ووجه خلاص لوط واهله فقال فاسر باهلك الباء للتعدية ان كانت الهمزة للوصل من سرى او زائدة ان كانت للقطع والاسراء
بقطع من الليل عن ابن عباس اي في آخر الليل بسحر وقال قتادة بعد طائفة من الليل وقيل نصف الليل كانه قطع بنصفين ولا يلتفت منكم احد اي لا ينظر
الى ما وراءه الا امرأتك اكثر القراء على النصب فاعترض بان الفصيح في مثله هو البدل لان الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير فصيح فاجاب
جار الله بان الرفع بدل من احد على القياس والنصب مستثنى من قوله فاسر لا من قوله لا يلتفت وزيف بان الاستثناء من اسر يقتضي كونها غير مسري بها و
الاستثناء من لا يلتفت احد يقتضي كونها مسريا بها لان الالتفات بعد الاسراء فيكون مسريا بها غير مسري بها ويمكن ان يجاب بان اسر وان كان مطلقا في اللفظ
الا انه في المعنى متصل مقيد بعدم الالتفات لان المراد اسر باهلك اسراء لا التفات فيه الا امرأتك فانك تسري بها اسراء مع الالتفات فاستثن على هذا ان شئت
من لا يلتفت ولا تناقض وبعضهم كابن الحاجب جعل الا امرأتك في كلتا القراءتين مستثنى من لا يلتفت ولم يستبعد اجتماع القراء على قراءة غير الاقوى ويمكن ان يقال
انما اجتمعوا على النصب ليكون استثناء من اسر لو جعل استثناء من لا يلتفت لزم ان تكون مأمورة بالالتفات لان القائل اذا قال لا يقم منكم الا
زيد كان ذلك امرا لزيد بالقيام اللهم الا ان يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا يلتفت منكم احد لكن امرأتك تلتفت فيصيبها ما اصابهم وان
كان هذا الاستثناء منقطعا كان التفاتها موجبة للمعصية قال في الكشاف وروي انه امر ان يخلفها مع قومها فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف
الروايتين يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القراءات كلها وروي انها لما سمعت هدة العذاب اي صوتها التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وقد
قيل المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الاصدقاء والاموال والامتعة فعلى هذا يصح الاستثناء من غير شائبة التناقض كانه امر
لوطا ان يخرج بقومه ويترك هذه المرأة فانها هالكة من الهالكين ثم امرهم بقطع العلائق واخبر ان امرأته تبقى متعلقة القلب بها يروى انه قال لهم
متى موعد هلاكهم فقيل له ان موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا باهلاكهم جعلنا اي جعل
رسلنا عاليها سافلها روي ان جبرئيل ادخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء حتى سمع اهل السماء نهيق الحمر ونباح الكلاب وصياح
الديوك لم يتبدد لهم طعام ولم يتكسر لهم اناء ثم قلبها دفعة وضربها على الارض ثم امطر عليهم حجارة من سجيل وهو معرب سنك گل كانه مركب من حجر وطين
وهو في غاية الصلابة وقيل سجيل اي مثل السجل وهي الدلو لعظمه او مثلها في تضمن الاحكام الكثيرة وقيل اي مرسلة عليهم من اسجلته اذا ارسلته وقيل
اي مما كتب الله ان يعذب بها وكتب عليه اسماء المعذبين من السجل وقد سجل لفلان وقيل من سجين اي من جهنم فابدلت النون لاما وقيل انه اسم
سماء الدنيا ومعنى منضود موضوع بعضها فوق بعض في النزول يأتي على سبيل المتابعة والتلاصق ونضد في السماء نضدا معدا لاهلاك الظلمة وفي السماء
معادنها وقيل جبال مخصوصة كقوله من جبال فيها من برد مسومة معلمة للعذاب او ببياض وحمرة عن الحسن والسدي عليها امثال الخواتيم وقال ابن جريج كان عليها
سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال الربيع مكتوب على كل حجر اسم من يرمى به وقال ابو صالح رأيت منها عند ام هانئ حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع
ومعنى عند ربك اي في خزائنه لا يتصرف في شيء منها الا هو او مقرر في علمه اهلاك من اهلك بكل واحد منها وما هي اي تلك الحجارة من الظالمين
اي من كل ظالم ببعيد وهو وعيد لاهل مكة عن رسول الله صلعم انه سأل جبرئيل عن هذا فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو بصدد سقوط الحجر
عليه ساعة فساعة وقيل الضمير لتلك القرى اي وليست ببعيدة من ظالمي اهل مكة يمرون بها في مسايرهم الى الشام وقيل المراد انها وان كانت في السماء الا انها اذا هوت
منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمى فكانها بمكان قريب والله تعالى اعلم بمراده والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب اصلوتك تأمرك
ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني
منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

اسروا نسخة

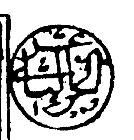
حتى سمع اهل السماء

وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ۞ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۞ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۞ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۞ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ۞ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ۞ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ۞ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۞ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۞

القراءة انى بالفتح اريكم بالامالة ابو جعفر و نافع و ابو عمرو و البزي و كذلك روى عن اهل مكة انى اخاف شقاقى ان بفتح الياء فيهما ابو جعفر و نافع و ابن كثير و ابو عمرو و صلواتك كما مر فى سورة التوبة فى قوله ان صلوتك سكن تونيقى بالفتح ابو عمرو و ابن عامر و ابو جعفر و نافع ارهطى بالفتح ابو جعفر و نافع و ابن كثير و ابن عامر و ابو عمرو و بعدت ثمود بالاظهار ابن كثير و ابو جعفر و نافع و خلف و يعقوب و عاصم غير الاعشى الوقوف شعيبا ط غيره ط محيط ه مفسدين ه مؤمنين ه للابتداء بالنفى مع الواو و بحفيظ ما نشاء ط الرشيد ه حسنا عنه ط ما استطعت ط الا بالله ط انيب ه نصف الجزء صالح ط ببعيد ه اليه ط ودود ه ضعيفا ج لان لوط للابتداء مع الواو لرجمناك ز لحق النفى و كون الواو للحال اوجه بعزيز ه من الله ط للفصل بين الاستخبار و الاخبار و اتحاد المقصود وجه للوصل ظهريا ط محيط عامل ط تعلمون لا كاذب ط للفصل بين الخبر و الطلب رقيب ه جاثمين لا فيها ط ثمود ه مبين لا لتعلق الجار فرعون ج للنفى مع الواو للعطف و للحال برشيد ه النار ط المورود ه القيمة ط المرفود ه وحصيد ه امر ربك ط تتبيب ه ظالمة ط شديد ه التفسير نقص المكيال يشتمل معنيين بان ينقص الايفاء من القدر الواجب و يزيد فى الاستيفاء على القدر الواجب فيلزم فى كلا الحالين نقصان حق الغير ثم علل النهى بقوله انى اريكم بخير اى بثروة و سعة تغنيكم عن التطفيف او بنعمة من الله حقها ان تشكر لتزداد لا ان تكفر فتزال و انى اخاف عليكم عن ابن عباس انه فسر الخوف بالعلم و قال آخرون انه الظن الغالب لانه كان يجوز اصرارهم و انتهاءهم و العذاب المحيط المهلك استيصالا كانه احاط بهم بحيث لا ينفلت منهم احد و زيادة اليوم لاجل المبالغة و لاسناد المجازى باعتبار ما هو واقع فيه و اشتمل عليه ذلك اليوم قيل هو عذاب الاستيصال فى الدنيا و قيل عذاب الآخرة و الاظهر العموم قوله اوفوا المكيال الى قوله اشياءهم قد مر تفسير مثله فى الاعراف و قوله و لا تعثوا فى الارض مفسدين مضى تفسيره فى اوائل البقرة بقى فى الآية سؤال و هو انه سبحانه نهى اولا عن النقص ثم امر بالايفاء فهل فيه فائدة سوى التاكيد للتقرير و الجواب بعد تسليم ان النهى عن الشئ امر بضده هو ان النهى عن النقص فى المبايعة و ان كان يفيد تصريحه تعييرا و توبيخا لكنه يوهم النهى عن اصل المبايعة فلدفع هذا الخيال امر بايفاء الكيل فيفيد بالحقيقة اصل المبايعة مع التصريح بالنعت المستحسن فى العقول لزيادة الترغيب فيه و ثم فائدة اخرى من قبل تقييد الايفاء بالقسط ليعلم ان ما جاوز العدل ليس بواجب بل هو فضل و مروءة لا تنقص عن حد و انما الواجب شئ من الايفاء بقدر ما يخرج عن العهدة بيقين كما ان غسل الوجه لا يحصل باليقين الا عند غسل شئ من الرأس بقية الله قيل ثواب الله و قيل طاعته و رضاه كقوله و الباقيات الصالحات خير و قيل اى ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم بشرط ان تؤمنوا لان شيئا من الاعمال لا ينفع مع الكفر و ان كنتم مصدقين لى فيما انصح لكم و لا ريب ان الامانة تجر الرزق لاعتماد الناس و اقبالهم عليه فينفتح له ابواب المكاسب و الخيانة تجر الفقر لنفر الناس عنه و عن معاملته و صحبته قالت المعتزلة فى اضافة البقية الى الله دليل على ان الحرام لا يسمى رزق الله و قريء تقية الله بالتاء الفوقانية اى تقواه الصارفة عن المعاصى و القبائح و ما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم لاجازيكم انما انا مبلغ ناصح و قد اعذر قوله اصلواتك قيل اى دينك و ايمانك لان الصلوة عماد الدين فعبر عن الشئ باسم معظم اركانه و قيل المراد الاتباع لان اصل الصلوة و منه المصلى للذى يتلو السابق و المعنى دينك اى اتباعه يأمرك بذلك و الاظهر ان المراد بها الاعمال المخصوصة يروى ان شعيبا عم كان كثير الصلوة فكان قومه اذا رأوه يصلى تغامزوا و تضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلوتك تامرك السخرية و الهزء فكان الصلوة التى يداوم عليها ليلا و نهارا هى من باب الجنون و الوساوس و معنى تامرك بتكليفك ان نترك على حذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره و قوله ان نفعل معطوف على ما فى ما يعبد اى تامرك صلوتك بترك ما يعبد آباؤنا و بترك ان نفعل فى اموالنا ما نشاء روى انه كان ينهاهم عن قطع اطراف الدراهم كما كان يامرهم بترك التطفيف و الاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير انك لانت الحليم الرشيد قيل انه مجاز و المراد نسبته الى غاية السفاهة و الغواية فعكسوا تهكما به و قيل حقيقة و انه كان معروفا فيما بينهم بالحلم و الرشد فكانهم قالوا له انك لمعروف بهذه السيرة فكيف تنهانا عن دين الفناه و سيرة تعودناها ثم اشار عم الى ما آتاه الله من العلم و الهداية و النبوة و الكرامة و الرزق الحلال الحاصل من غير بخس و لا تطفيف وجواب الشرط محذوف اكتفى عنه بما ذكر فى قصتى نوح و صالح و المعنى ارأيتم ان كنت على حجة واضحة و يقين من ربى و قادنا الى بعد هذه السعادات الروحانية السعادات الدنيوية من الخيرات و المنافع الجليلة هل يسعنى مع هذه الاكرامات ان اخون فى وحيه و لا آمركم بترك الشرك و بفعل الطاعة و الانبياء لا يبعثون الا لذلك و ما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه يقال خالفنى فلان الى كذا اذا قصده و انت مول عنه فالمعنى لا اجعل نفعلى مخالفا لقولى فلا استقكم الى شهواتكم التى نهيتكم عنها ان اريد الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالموعظة و النصيحة و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر ما استطعت ما اللمدة ظرفا للاصلاح

ع

ن نترك تامرك لم



اى مدة استطاعتى لاصلاحكم وابدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته منه او المضاف محذوف اى الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا
للاصلاح نفسه بعمل المصدر المعرف كقوله ضعيف النكاية اعداءه اى الا ان اصلح ما استطعت صلاحه من فاسدكم ثم بين ان كل ما ياتى ويذر فوقوعه
بتسهيل الله وتاييده فقال وما توفيقى الا بالله والتوفيق ان يوافق ارادة العبد ارادة الله تعالى عليه توكلت اخصه بتفويض الامور اليه لانه مبدأ المبادئ
واليه انيب لانه المعاد الحقيقى وفى ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم منه ثم اوعدهم بقوله لا يجرمنكم شقاقى لا يكسبنكم خلافى ان يصيبكم مثل
ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم صالح من الصيحة وما قوم لوط منكم ببعيد لم يقل ببعيدة حملا على لفظ القوم لانه مؤنث ولا ببعيدين حملا على
معناه ولكنه على تقدير مضاف اى وما اهلاكهم ببعيد لانهم اهلكوا فى عهد قريب من عهدهم او المراد وما هم بشئ بعيد او بزمان او مكان بعيد
وجوزوا ان يستوى فى بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوهما ان ربى رحيم
ودود يجوز ان يكون بمعنى فاعل او مفعول كقوله يحبهم ويحبونه وهذا حث لهم على الاستغفار والتوبة وتنبيه على ان سبق الكفر والمعصية
لا ينبغى ان يمنعهم عن الايمان والطاعة ولما بالغ خطيب الانبياء فى التقرير والبيان قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اما لقلة الاعتبار وقالوا تهكما
واستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادرى ما تقول كانهم جعلوا كلامه تخليطا وهذيانا لا ينفعهم كثير منه وقيل لانه كان الثغ وانا
لنريك فينا ضعيفا عن الحسن مهينا اى لا عزة لك فيما بيننا ولا قوة فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وفسر بعضهم الضعيف بالاعمى
لان العمى سبب الضعف ولانه لغة حمير وزيف هذا القول اما عند من جوز العمى على الانبياء فلان لفظ فينا يأباه لان الاعمى فيهم وفى غيرهم
واما عند من لا يجوزه كبعض المعتزلة فلان الاعمى لا يمكنه الاحتراز من النجاسات وانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من النبوة كان اولى ثم
ذكروا انهم انما لم يوقعوا به المكروه ولم يوقعوا به الشر لاجل رهطه والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة والرجم شر القتل وهو الرمى بالحجارة
او المراد الطرد والابعاد ومنه الشيطان الرجيم ثم اكدوا المذكور بقولهم وما انت علينا بعزيز وانما العزيز علينا رهطك لا خوفا من شوكتهم
ولكن لانهم من اهل ديننا فالكلام واقع فى فاعل العزة لا فى الفعل وهو العزة ولذلك قال فى جوابهم ارهطى اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت
علينا لم يصح هذا الجواب انما لم يقل اعز عليكم منى ايذانا بان التهاون بنبى الله كالتهاون بالله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه اى
امر الله او ما جئت به وراءكم ظهريا منسوبا الى الظهر والكسر من تغييرات النسب اى جعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر غير ملتفت اليه ثم وصف الله
تعالى بما يتضمن الوعيد فى حقهم فقال ان ربى بما تعملون محيط ثم زاد فى الوعيد والتهديد بقوله اعملوا على مكانتكم وقد مر تفسير مثله فى الانعام
قال فى الكشاف الاستيناف بقوله سوف تعلمون وصل خفى تقديرى وانه افخم من الوصل بالفاء وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه
ثم بالغ فى التهديد بقوله وارتقبوا انتظروا عاقبة الشقاق انى معكم رقيب راقب كالضريب بمعنى الضارب او مراقب كالعشير والنديم او
مرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع وباقى القصة على قياس قصة صالح واخذ الصيحة واخذت الصيحة كلتا العبارتين فصيحة لمكان الفاصلة
الا انه لما جاء فى قصة شعيب مرة الرجفة ومرة الظلة ومرة الصيحة ازداد التانيث حسنا بخلاف قصة صالح وانما دعا عليهم بقوله كما بعدت ثمود لما روى الكلبى عن
ابن عباس قال لم يعذب الله امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب اخذتهم من فوقهم قوله سبحانه
بآياتنا وسلطان مبين قال فى التفسير الكبير الآيات اسم للقدر المشترك بين العلامات المفيدة للظن وبين الدلائل التى تفيد اليقين والسلطان اسم لما يفيد
القطع وان لم يتأكد بالحس والسلطان المبين مخصوص بالدليل القاطع الذى يعضده الحس وقال فى الكشاف يجوز ان يراد ان الآيات فيها سلطان مبين
لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وقوله الى فرعون متعلق بارسلنا فاتبعوا امر فرعون اى شانه وطريقه او امره اياهم
بالكفر والجحود وتكذيب موسى وما امر فرعون برشيد اى ليس فى امره رشد انما هو غى وضلال وفيه تعريض بان الرشد والحق فى امر موسى ثم ان قوم عدلوا
عن اتباعه الى اتباع من ليس فى امره رشد قط فلا جرم كما كان فرعون قدوة لهم فى الضلال فكذلك يقدمهم اى يتقدمهم يوم القيمة الى النار وهم على اثره
يجوز ان يراد بالرشد الاحماد وحسن العاقبة فيكون المعنى وما امر فرعون بحميد العاقبة ثم فسره بانه يقدم قومه اى كيف يرشد امر من هذه عاقبته ويقدم
قدمه بالتخفيف والتشديد بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش مثله اقدم ومنه مقدم العين وانما قال فاوردهم بلفظ الماضى تحقيقا للوقوع والورد المورد
المورود الذى ورده شبه فرعون بمن يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم نعى عليهم بقوله وبئس الورد الذى يردونه النار لان الورد
انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده وتذكير بئس لتذكير الورد وان كان هو عبارة عن النار كقولك نعم المنزل دارك ولو قلت نعمت جاز نظرا
الى الدار وفى تشبيه النار بالماء نوع تهكم بهم واتبعوا فى هذه حذف صفته فى هذه الآية اكتفاء بما مر فى قصة عاد وبئس الرفد المرفود اى بئس العطاء المعطى
ذلك وقيل الرفد العون والمرفود المعان وذلك ان اللعنة فى الدنيا رفدت اى اعينت وامدت باللعنة فى الآخرة قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان
لعنة من الله والملائكة واللاعنين فى الدنيا ولعنة فى الآخرة ذلك الذى ذكرنا او ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة نقصه عليك خبر بعد خبر ثم استأنف
فقال منها قائم وحصيد اى ومنها حصيد والمراد بعضها باق كالزرع القائم على ساقه وبعضها عافى الاثر كالزرع المحصود وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا عن ابن عباس وما نقصناهم فى الدنيا من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ انفسهم حيث استخفوا بحقوق الله
فما اغنت فما قدرت ان ترد عنهم آلهتهم التى يدعون يعبدون وهى حكاية حال ماضية بامر الله حين جاء وما زادوهم يعنى آلهتهم غير تتبيب تخسير

خسر وتبيب غيره وتعس في الخسران كانوا يعتقدون في الاصنام انها معين في الدنيا على تحصيل المنافع ودفع المضار وتستشفعهم عند الله في الآخرة
فلم ينفعهم في الدنيا حين جاءهم عذاب الله وسيورثهم ذلك الاعتقاد عذاب النار في الآخرة فهم في خسران الدارين ثم بين ان عذابه غير مقصور
على اولئك الاقوام ولكنه يعم كل ظالم سيوجد فقال وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك فالاخذ مبتدأ وكذلك خبره وقوله وهي ظالمة حال
من القرى باعتبار اهلها ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ وهو تحذير من وخامة عاقبة كل ظلم على الغير او على النفس فعلى العاقل ان يبادر
الى التوبة ولا يغتر بالامهال التأويل ولا تنقصوا مكيال المحبة وميزان الطلب فمكيال المحبة عداوة ما سوى الله وميزان الطلب التسليم لحكم الشريعة
والطريقة اني اراكم بخير هو حسن الاستعداد الفطري واني اخاف عذاب فساد الاستعداد في طلب غير الحق بالقسط في تعظيم امر الله والشفقة على خلق
الله ولا تبخسوا الناس اشياءهم حقوق النصيحة وحسن العشرة في الله ولله ولا تعثوا في الارض وجودكم مفسدين بقية الله بقاؤكم بفنائكم خير لكم مما فاتكم
بابقاء المكيال والميزان رزقا حسنا نورا اناما طلبن بما صلاح الامور الاستعدادات ان ساعد التوفيق وما معاملة قوم لوط من معاملتكم ببعيد لان
الكفر كله ملة واحدة وما امر فرعون برشيد لان فرعون النفس امارة بالسوء اذا اخذ القرى قرى الاجساد منها قائم قابل التدارك ما فات ومنها ما هو حصيد
بفوات الاستعداد والله تعالى اعلم بالصواب ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا
لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد
آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون
خبير فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا
تنصرون واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فلولا
كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين
وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل
عليه وما ربك بغافل عما تعملون القراءة وما يؤخره بالياء يعقوب المفضل الباقون بالنون يوم يأتي باثبات الياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو
جعفر ونافع وابو عمرو وعلي في الوصل الآخرون بحذف الياء لا تكلم بتشديد التاء البزي وابن فليح سعدوا بضم السين حمزة وعلي وخلف وحفص قيل انه
على حذف الهمزة من اسعد والا فسعد لازم ولكنه قد جاء المسعود الآخرون بفتحها وان كلا بالتخفيف ابن كثير ونافع وابو بكر وحماد الباقون بالتشديد
لما مشددة ابن عامر وعاصم ويزيد وحمزة وكذلك في الطارق الباقون بالتخفيف زلفا بضمتين يزيد الآخرون بفتح اللام فؤادك وبابه بغير همز الاصبهاني
عن ورش وحمزة في الوقف يرجع مجهولا نافع وحفص والمفضل تعملون خطابا وكذلك في آخر النمل ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص الباقون
على الغيبة الوقوف الآخرة ط مشهود ه معدود ط باذنه ج فمنهم شقي وسعيد ه وشهيق ه لا ربك ط يريد ه شاء ربك ط لان التقدير يعطون عطاء مجذوذ ه هؤلاء ط من قبل ط منقوص ه فاختلف فيه
بينهم ط مريب ه اعمالهم ط خبير ه ولا تطغوا ط بصير ه النار لا لان ما بعده من تمام جزاء ولا تركنوا ينصرون ه من الليل ط السيئات ط للذاكرين ه المحسنين ه منهم لان التقدير
وقد اتبع مجرمين ه مصلحون ه مختلفين لا رحم ربك ط خلقهم ط اجمعين ه فؤادك ج اذ التقدير وقد جاءك للمؤمنين ه مكانتكم ط عاملون ه للعطف وانتظروا ج اي فانا
منتظرون ه وتوكل عليه ط يعملون ه التفسير ان في ذلك الذي قصصنا عليك من احوال الامم لآية لعبرة لمن خاف اي لمن هو اهل لان يخاف عذاب الآخرة
كقوله هدى للمتقين لان انتفاعه يعود اليهم قال القفال في تقرير هذا الاعتبار انه اذا علم ان هؤلاء عذبوا على ذنوبهم في الدنيا وهي دار العمل
فلان يعذبوا عليها في الآخرة التي هي دار الجزاء اولى واعترض عليه في التفسير الكبير بان ظاهر الآية يقتضي ان العلم بان القيامة حق كالشرط في حصول الاعتبار
بظهور عذاب الاستيصال في الدنيا والقفال جعل الامر على العكس قال والاصوب عندي ان هذا تعريض لمن زعم ان اله العالم موجب بالذات لا فاعل
مختار وان هذه الاحوال التي ظهرت في ايام الانبياء مثل الغرق والخسف والصيحة انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واذا كان كذلك فلا يكون حصولها
دليلا على صدق الانبياء اما الذي يؤمن بالقيامة ويخاف عذابها فيقطع بان هذه الوقائع ليست بسبب الكواكب واتصالاتها فيستفيد مزيد
الخشية والاعتبار اقول هذا نظر عميق ولا اظهر مما ذكرت اولا ومثله في القرآن كثير ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ان في ذلك لقوم يذكرون ثم لما كان
لعذاب الآخرة دلالة على يوم القيامة اشار اليه بقوله ذلك يوم مجموع اي يجمع لما فيه من الحساب والثواب والعقاب الناس وهو اسم المفعول على فعله لاجل
افادة الثبات وان حشر الاولين والآخرين فيه صفة له لازمة نظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل
وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه الخلائق فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به والفرق بين هذا الوصف والاول ان هذا يدل على حضور الناس
فيه مع اطلاع البعض منهم على احوال الباقين من المحاسبة والمسائلة لتبين بحيث لا يعرف كل واحد الا واقعة نفسه والجمع المطلق لا يفيد هذا المعنى وانما



فسر اليوم بانه مشهود فيه لا انه مشهود في نفسه لان سائر الايام يشركه في كونها مشهودا فيه دون غيره كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه
دونها وما نؤخره الا لاجل معدود اي لانتهاء اجل معدود اي لانقضاء مدة معلومة عند الله وقوع الجزاء بعدها وفيه فائدتان احدهما ان وقت القيامة متعين لا يتقدم ولا
يتاخر والثانية ان ذلك الاجل متناه وكل متناه فانه يفنى لا محالة وكل آت قريب ثم ذكر بعض اهوال ذلك اليوم فقال يوم يات بحذف الياء والاكتفاء عنها
بالكسر كثير في لغة هذيل وفاعل ياتي يعني الله كقوله او ياتي ربك اي امره وحكمه دليله قراءة من قرا وما يؤخره بالياء وقوله باذنه وقيل المراد الشيء المهيب
الهائل المستعظم فحذف ذكره بتعيينه ليكون ابلغ في التخويف وقيل فاعله ضمير اليوم والمراد اتيان هوله وشدائده كيلا يصير اليوم ظرفا لاتيان اليوم وانتصاب
يوم بلا تكلم او باذكر مضمرا او بالانتهاء المقدر اي ينتهي الاجل يوم ياتي وذا التاء محذوف من لا تكلم والايات الدالة على التكلم في ذلك اليوم مع الآيات
الدالة على نفي التكلم كقوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وكقوله هذا يوم لا ينطقون محمولة على اختلاف المواطن والازمنة او نفي العذر الصحيح
المقبول واثبات العذر الباطل الكاذب ثم قسم اهل الموقف المجموعين للحساب او الافراد العامة التي دلت عليها نفس فقال فمنهم شقي وسعيد اي
ومنهم سعيد ولا خلاف في ان الشقاء والسعادة مقترنان بالعمل الفاسد والعمل الصالح ويترتب عليهما الجنة والنار في الآخرة وانما النزاع في ان العمل سبب للشقاء
مثلا كما هو مذهب المعتزلة او الشقاء سبب العمل كما هو مذهب اهل السنة فيختلف تفسير الشقاء بحسب المذهبين فهو عند المعتزلة الحكم بوجوب النار
لاساءته وعند السني جري القلم عليه في الازل بانه من اهل النار وانه يعمل عمل اهل النار والتحقيق في المسئلة قدمناه مرارا قيل قد بقي ههنا قسم آخر
ليسوا من اهل النار ولا من اهل الجنة كالمجانين والاطفال فهم اصحاب الاعراف وتخصيص القسمين بالذكر لا يدل على نفي الثالث اما قوله في صفة
اهل النار لهم فيها زفير وشهيق ففيه وجوه قال الليث وكثير من الادباء الزفير استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار
الروح فيه ولهذا ترتفع صدره وينتفخ جنباه والشهيق اخراج ذلك الهواء بجهد شديد من الطبيعة وكلتا الحالتين يدل على كرب شديد وغم عظيم
والحاصل انهم جعلوا الزفير بمنزلة ابتداء نهيق الحمار والشهيق بمنزلة آخره وقال الحسن ان لهب جهنم يرفعهم بفورته حتى اذا وصلوا الى اعلى دركات جهنم
وطمعوا في ان يخرجوا منها ضربتهم الملائكة بمقامع من حديد وردتهم الى الدرك الاسفل من النار فارتفاعهم في النار هو الزفير وانحطاطهم
مرة اخرى هو الشهيق وقال ابو مسلم الزفير ما يجتمع في الصدر من النفس عند البكاء الشديد فينقطع النفس والشهيق هو الصوت الذي يظهر عند
اشتداد الكربة والحزن وربما يتبعها الغشية وربما يحصل عقيبه الموت وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وقيل الزفير الصوت الشديد
والشهيق الصوت الضعيف وعن ابن عباس لهم فيها بكاء لا ينقطع وحزن لا يندفع وقال اهل التحقيق توجه ميلهم الى الدنيا ولذاتها زفير وضعفهم عن الاستسعاد
بكمالات الروحانيات شهيق ثم ان قوما ذهبوا الى ان عذاب الكفار منقطع وله نهاية واستدلوا على ذلك بالقرآن والحديث والمعقول اما القرآن فقوله سبحانه
خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي مدة بقائهما الا ما شاء ربك وفيه سندان الاول ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات والارض
المتناهية بالاتفاق الثاني استثناء المشية ويؤكد هذا النص قوله لابثين فيها احقابا واما الحديث فما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على
جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا واما المعقول فهو ان العقاب ضرر خال عن النفع لانه في حق الله تعالى ولا في حق
المكلف فيكون قبيحا وايضا الكفر جرم متناه ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لا نهاية له ظلم والجمهور من الامة على ان عذاب الكافر دائم واجابوا عن الاية بان المراد
سموات الآخرة وارضها المشار اليها بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ولا بد لاهل الآخرة مما يظلهم ويقلهم فهما السماء والارض واذا علق حصول
العذاب للكافر بوجودهما لزم الدوام وايضا القرآن قد ورد على استعمالات العرب وانهم يعبرون عن الدوام والتابيد بقولهم ما دامت السموات
والارض ونظيره قولهم ما اختلف الليل والنهار وما اقام ثبير وما لاح كوكب ويمكن ايضا ان يقال حاصل الاية يرجع الى شرطية هي قولنا ان دامت السموات والارض
دام عقابهم فاذا قلنا لكن السموات والارض دائمة لزم دوام عقابهم وهو المطلوب وان قلنا لكنهما لم تدم فانه لا ينتج مطلوب الخصم لان استثناء نقيض المقدم لا ينتج
شيئا وبعبارة اخرى دلت الاية على انه كلما وجدت السموات والارض وجد عقابهم فلو قلنا لكنهما لم توجد لم يلزم منه ان لا يوجد عقابهم لان الاية لا تدل الا على حصول العقاب
دهرا طويلا ومدة مديدة واما انه هل يكون له آخر ام لا فذلك انما يستفاد من دليل آخر كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واما الاستدلال
بالاستثناء فقد ذكر ابن قتيبة وابن الانباري والفراء ان هذا الاستثناء لا ينافي عدم المشية كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وعزيمتك قد يكون
على ضربه البتة وتعلم انك لا ترى غير ذلك ورد بالفرق فان معنى الاية الحكم بخلودهم فيها الا المدة التي شاء الله فالمشية قد حصلت جزما فللقائل ان يقول
المانع ههنا في معنى الاستقبال مثل ونادى اصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا فلم يبق فرق وقيل الا بمعنى سوى اي سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود الدائم
كانه ذكر في خلودهم ما ليس عند العرب اطول منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له وقال الاصم وغيره المراد الا مكثهم في الدنيا او في البرزخ او في الموقف وقيل
الاستثناء يرجع الى قوله لهم فيها زفير وشهيق كانهم يصيرون في آخر الامر الى الخمود والجمود وقيل فائدة الاستثناء ان يعلم اخراج اهل التوحيد من النار والمراد الا
من شاء ربك هذا التاويل مما يليق بقاعدة الاشاعرة واكده بقوله ان ربك فعال لما يريد فكانه تعالى يقول اظهرت القهر والقدرة والرحمة لاني
فعال لما اريد وليس لاحد علي حكم البتة واما المعتزلة فكانهم لا يرضون بهذا ويقولون ان الاستثناء الثاني لا يساعد لحصول الاجماع على ان احدا من
اهل الجنة لا يدخل النار فالصواب ان يقال انه استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة فان اهل النار ينقلون الى الزمهرير
والى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله واهل الجنة ينقلون الى العرش والى ما هو اعلى حالا من الجنة كقوله ورضوان من الله اكبر ثم قال لو انه ختم اية الوعيد

بقوله

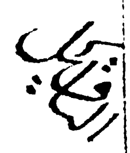
قوله ان ربك فعال لما يريد دلالة الوعد بقوله عطاء غير مجذوذ رعاية للمطابقة كانه قال انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل
الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له والجذ القطع واما الجواب عن الحديث فقد قال في الكشاف ان صح فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير
فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول يحتمل ان يكون لا لف بسبب عدم الاحساس بالعذاب او يكون سبب الالتذاذ بالمالوف فيكون خلو اشارة الى
هذا المعنى واما الجواب عن المعقول فهو ان السير في الله ومبداه من عالم التكليف لما كان غير متناه فعذاب البعد عنه ايضا يجب ان يكون غير متناه او نقول
لا نهاية لنوره فلا غاية لظلمة الغافل عنه والمنكر له او نقول اوضح الاشياء الوجود الواجب فاذا كان الشخص ذاهلا عنه كان مسلوب الاستعداد بالكلية فلا
يكون انسانا في الحقيقة فلا يتصور له عروج من عالم الطبيعة والعبارات في هذا المقام كثيرة والمعنى واحد يدركه من وفق له دخلوا لاجله ولما فرغ من
اقاصيص عبدة الاصنام وبيان احوال الاشقياء والسعداء سلى رسول الله صلعم بشرح احوال الكفرة من قومه في ضمن نهي له عن الامتراء في سوء مغبتهم قائلا
فلا تك حذف النون لكثرة الاستعمال في مرية في شك مما يعبد ما مصدرية او موصولة اي من عبادة هؤلاء او من الذي يعبده هؤلاء المشركون والمراد النهي عن
الشك في سوء عاقبة عبادتهم ثم علل النهي مستانفا فقال ما يعبدون الا كما يعبد كالذي يعبده اباؤهم او كعبادة ابائهم والحاصل انهم شبهوا بابائهم في
لزوم الجهل والتقليد وانا لموفوهم نصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية او من ازالة العذر وازاحة العلة بارسال الرسول وانزال الكتاب او نصيبهم
من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم وفي الكشاف غير منقوص حال من النصيب ليعلم انه تام كامل اذ يجوز ان يوفي بعض الشيء كقولك وفيته شطر حقه
قلت هي مغالطة لان قول القائل وفيته شطر حقه التوفية تعود الى الشطر فلو قيل غير منقوص كان كالمكرر وعاد السؤال فالصواب ان يقال انه حال موكدة
او صفة تقوم مقام المصدر اي توفية غير مبخوسة ولا تعثوا في الارض اي افسادا ثم اورد نظيرا لانكارهم نبوة محمد صلعم فقال ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
امن به قوم وكفر به قوم اخرون كما اختلف في القرآن والغرض ان انكار الحق عادة قديمة للخلق ولولا كلمة سبقت من ربك هي ان رحمتي سبقت غضبي او هي
ان دار الجزاء الاخرة لا الدنيا او هي ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستيصال لقضي بينهم بين قوم موسى او بين قومك بتمييز المحق من المبطل بسبب
الانجاء والاهلاك يعد من جملة التسلية ايضا وانهم يعني قوم موسى او قومك لفي شك منه من كتابهم او من القرآن او من امر المعاد والقضاء والجزاء ثم جمع الاولين والاخرين
في حكم توفية الجزاء ثوابا او عقابا فقال وان كلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي ان الكل يعني ان جميع المختلفين فيه ومن قرأ بالتخفيف فعلى اعمال
المخففة اذ لا يلزم من التخفيف ابطال العمل كما في لم يكن ولم يك ومن قرأ لما مخففا فاللام هي الداخلة في خبر ان وما مزيدة للفصل بين لام ان وبين لام جواب
القسم المقدر كما فصلوا بالالف بين النونات في قولهم اضربنان ويمكن ان يكون ما نكرة اي لخلق او جمع والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح
وايمان وجحود ومن قرأ لما مشددا فاصله لمن ما فقلبت النون ميما فاجتمع ثلث ميمات فحذفت الاولى وابقاء الساكنة لاتصال اللام ويجوز ان يكون
اصله لما بالتنوين كما في قراءة الزهري وسكنها بن رقم فحذف فبقي لما مدد ومعناه ملومين اي مجموعين قراءة ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى
الا كما في الطارق ولا يخفى ما في الاية من موكدات توفية الجزاء وان شيئا من الحقوق لا يضيع عنده منها ان ومنها لام خبر ان ومنها كل ومنها ما المزيدة ومنها القسم
ومنها لام القسم ومنها نون التاكيد ومنها لفظ التوفية ومنها ربك فان من يربيك يقدر على توفية حقك ومنها الجمع المضاف ومنها ختم الاية بقوله انه بما يعملون
خبير فانه اذا كان عالما بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات كان عالما بعمل كل احد وبمقدار جزاء عمله وقادرا على ايصال ذلك اليه ثم ان كرم حق وصدق
وقد اخبر عن التوفية مع الموكدات لا يكون فيقع وعده ووعيده لا محالة ثم امر نبيه لتعبده باستقامة بكلمة جامعة للعقائد والاعمال قائلا فاستقم كما امرت
عن جعفر الصادق عم معناه افتقر الى الله بصحة العزم يعني او ثوق به والتوكل عليه ومن تاب معك عطف على الضمير في فاستقم وصح للفصل وهو ابتداء
اي من تاب معك فليستقم ومفعول معه ثم كما امر بالاستقامة على جادة الحق نهى عن الانحراف عنها فقال ولا تطغوا الطغيان مجاوزة الحد وقال ابن عباس
يريد تواضعوا للحق ولا تتكبروا على الخلق وخصص بعضهم الطغيان بالتجاوز عن حدود القرآن بتحليل حرامه وتحريم حلاله وهذه الاية اصل عظيم في الشريعة
فيكون الترتيب في الوضوء واجبا كما ورد في القرآن وكذا القول في الحدود والكفارات ونصاب الزكوة واعداد الركعات وغيرها من جميع الامورات المهمات
ويجب الاحتياط في المسائل الاجتهادية وفي القياسات وكذا في الاخلاق والملكات وفي كل حالة طرفان افراط وتفريط فهما مذمومان والمحمود هو الوسط
وهو الصراط المستقيم المامور بالاستقامة والثبات عليه ولا ريب ان معرفته صعبة وبتقدير معرفته فالعمل به والبقاء عليه اصعب ولهذا قال ابن عباس ما نزلت
على رسول الله آية في القرآن اشد ولا اشق من هذه حتى اذا قال اصحابه لقد اسرع فيك الشيب فقال صلعم شيبتني هود واخواتها هذه الاية منها ثم لما كان الركون
الى السوء له دخل عظيم في تغيير العقائد وتبديل الاخلاق نهى عن مخالطة من يضع الشيء في غير موضعه فقال ولا تركنوا اي لا تميلوا بالمحبة والهوى الى الذين
ظلموا قال المحققون الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الابواب
فاما مداخلتهم لدفع ضرر او اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون واقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم
بالكلية اليس الله بكاف عبده وفي قوله فتمسكم النار اشارة الى ان الظلمة اهل النار بل هم في النار او كالنار اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار
ومصاحبة النار توجب لا محالة مس النار وقوله وما لكم من دون الله من تتمة الجزاء وقال في الكشاف الواو للحال من اولياء من انصار اي لا يقدر على
منعكم من عذاب الله الا هو ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو ايضا وفيه ... ثم بعد النصرة من الظلم قال اهل التحقيق الركون الميل اليسير
وقوله الى الذين ظلموا اي الذين حدث منهم الظلم فلم يقل ولا تميلوا الى الظالمين ليدل على ان قليلا من الميل الى من حدث منه شيء من الظلم

مخففا و بحذف الاولى

يوجب هذا العقاب فاذا كان هذا حال من ركن الى من ظلم فكيف يكون حال الظالم في نفسه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا للظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارى على باب هؤلاء ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت ثم من انواع الاستقامة اقامة الصلوة تنبيها على شرفها فقال واقم الصلوة قيل تمسك بعض الخوارج بهذه الآية على ان الواجب من الصلوة ليس الا الفجر والعشاء لانهما طرفا النهار وهما الموصوفان بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا يكون ليلا غاية ما في الباب ان هذا يقتضي عطف الصفة على الموصوف وهو كثير في كلامهم ولئن سلم وجوب صلوة اخرى الا ان قوله ان الحسنات يذهبن السيئات يشعر بان اقامة الصلوة طرفي النهار كفارة لترك سائر الصلوات وجمهور الامة على بطلان هذا القول واستدلوا بالآية على وجوب الصلوات الخمس لان طرفي النهار منصوب على الظرف لاضافتهما الى الوقت فيكتسب المضاف حكم المضاف اليه كقولك اتيته نصف النهار والطرفان هما الغدوة والعشية وفيهما الفجر والظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وزلفا جمع زلفة كظلم وظلمة اي ساعات من الليل وهي القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وقرئ زلفا بسكون اللام نحو بسرة وبسر وزلفى فيمن قرأ بضمتين نحو بسر وبسر في بسرة او هما زلفا اي قربا فيكون معطوفا على الصلوة اي اقم الصلوة واقم زلفا اي صلوات يتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل وبالجملة فصلوة الزلف المغرب والعشاء وقيل ان طرفي النهار لا يشمل الا الفجر والعصر وبه استدل على مذهب ابي حنيفة ان التنوير بالفجر افضل وتاخير العصر افضل لان الامة اجمعت على ان نفس الطرفين هما وقت الطلوع والغروب لا يصلح لاقامة الصلوة فكل وقت كان اقرب الى الطرفين كان اولى باقامة الصلوة فيه حملا للمجاز على ما هو اقرب الى الحقيقة ما امكن هذا ما ذكره فخر الدين الرازي في تفسيره ولقائل ان يقول هذا لا يتمشى في صلوة الفجر لان الطرف الاول للنهار في الشرع هو طلوع الصبح الصادق والتنوير يبعد الصلوة منه لا يقربه ولا ادري كيف ذهب عليه هذا المعنى مع افراط عصبيته للشافعي واستدل ايضا لابي حنيفة على مذهبه في وجوب الوتر ان اقل الجمع ثلثة فيجب اقامة الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في ثلث زلف من الليل اي ثلث ساعات ذهب منها ساعتان للمغرب والعشاء فتعين ان يكون الساعة الثالثة للوتر واذا وجب عليه وجب علينا لقوله فاتبعوه وللمانع ان يمنع ان اقل الجمع ثلثة اشياء ثم ان كل ساعة لاجل صلوة ثم ان كل ما يجب على النبي صلى الله عليه وسلم يجب على الامة لان الاتباع هو الاتيان بمثل فعله اعم من ان يكون على تلك الجهة ام لا ان الحسنات يذهبن السيئات قال المفسرون نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها واصاب منها كل ما يصيب الرجل من زوجته سوى الجماع ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت فقيل له هذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي انه قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات قال ابن عباس الصلوات الخمس كفارات لسائر الذنوب ما لم تكن كبيرة وقيل المراد ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن مجاهد الحسنات قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد يحتج بالآية على ان المعصية لا تضر مع الايمان الذي هو رأس الاعمال الحسنة ذلك المذكور من قوله فاستقم الى ههنا ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين وارشاد للمسترشدين ثم امر بالصبر على التكاليف المذكورة امرا ونهيا ونص على ان الاتيان بها احسان وان جزاءه يحصل لا محالة فقال واصبر الآية ثم عاد الى احوال الامم الخالية وبين ان السبب في حلول عذاب الاستيصال بهم امران الاول انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد وذلك قوله فلولا اي فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ذوو خير وفضل وذلك ان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار البقية مثلا في الجودة يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا وجوز في الكشاف ان يكون من البقوى كالتقية في التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه الا قليلا استثناء متصل لان في تخصيصهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون ناس ناهون الا قليلا ومن في ممن انجينا للبيان اي هم الذين انجيناهم قال في الكشاف لان النجاة انما هي للناهين وحدهم ولقائل ان يقول اذا كان النهي عن المنكر فرض كفاية لم يلزم ان ينحصر النجاة في الناهين فيحتمل ان يكون من للتبعيض ويجوز على ما في الكشاف ان يكون الاستثناء منقطعا معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد ولو جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا القليل من الناجين منهم كما يقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن اقول لم لا يجوز ان يكون المراد من استثناء الصلحاء منهم انه لا حاجة لهم الى التحضيض كانك قلت حضض قومك على القراءة الا الصلحاء فانهم لا يحتاجون الى ذلك لانهم مواظبون عليها على ان في جعل الاستثناء منقطعا شبه تناقض لان اول الكلام يدل على انه لم يكن فيهم ناه وآخره يدل على ان القليل منهم قد نهوا فتامل في هذا المقام فانه من مزلة الاقدام السبب الثاني في نزول العذاب قوله واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اي عنوا بما خولوا فيه من النعم والترف من حيث الرياسة والثروة واسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك مما يتعلق بامر الدين فهذه الجملة معطوفة على مدلول الجملة التحضيضية اي ما كان من القرون ناس كذا واتبع الظالمون كذا ويجوز ان يكون في الكلام اضمار والواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم والمترف الذي ابطرته النعمة وصبي مترف منعم البدن وقوله وكانوا مجرمين اما معطوف على اتبع اي كانوا مجرمين بذلك او على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر ثم بين انه ما ينبغي له سبحانه ان يهلك القرى بظلم قال اهل السنة اي بظلم ما اي بسبب مجرد الشرك والحال انهم مصلحون في المعاملة والعشرة فيما بينهم وذلك ان حقوق الله تعالى مبنية على المساهلة بخلاف حقوق العباد وهذا كما قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ويؤكد هذا التفسير ان عند الا-

الاستيصال

الاستيصال انما نزل بقوم لوط وشعيب كما حكى الله عنهم من ايذاء الناس والافساد في الارض وقالت المعتزلة قوله بظلم حال من الفاعل والمعنى استحال في
الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون في العمل تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين ظلم ثم ذكر ان الكل بمشيئته وارادته
فقال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة قد مر ان المعتزلة يحملون هذه المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر وقد مر مرارا ولا يزالون مختلفين في الاديان
والاخلاق والافعال فمنهم من انكر العلوم كلها حتى الحسيات والضروريات وهم السوفسطائية ومنهم من سلم استنتاج العلوم كلها والمعارف لم يثبت
لهذا العالم الجسماني مبدأ اصلا وهم الدهرية ومنهم من تثبت له مبدأ موجبا بالذات وهم الفلاسفة على ما اشتهر منهم ولهذا المقام تحقيق ليس ههنا
موضع بيانه ومنهم من انكر النبوات وهم البراهمة ومنهم من اثبتها وهم المسلمون والمجوس واليهود والنصارى وفي كل واحد من هذه الطوائف اختلافات
لا يكاد يدخل تحت الحصر وانما لم يحمل الاختلاف في الاية على الاختلاف في الالوان والالسنة والارزاق والاعمار بل حملناه على الاختلاف في الاديان
وما يتعلق بها لانه يبعد عن ذلك ما قبل الكلام وهو قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة وما بعده وهو قوله الا من رحم ربك قالت المعتزلة الا
ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على الدين الحق وقال اهل السنة جميع الالطاف التي فعلها في حق المؤمن فهي مفعولة ايضا في حق الكافر وهذه
الرحمة امر مختص بالمؤمن مرجح لجانب الايمان وصدوره منه فاذن الايمان بخلق الله وتكوينه وكذا ضده ثم قال ولذلك خلقهم فاختلف العلماء في المشار
اليه بذلك قالت المعتزلة قالوا ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان منه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق لحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل لسوء
اختياره او ولما ذكر من الرحمة خلقهم الاشاعرة قالوا ولاجل ما ذكر من الاختلاف خلقهم لما صح في الحديث انه خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق
لها اهلها والله الدلائل الدالة على ان الكل بايجاده وتخليقه وان خلاف معلومه محال والى هذا اشار بقوله وتمت كلمة ربك اي علمه وارادته وقوله للملئكة
لاملأن جهنم الاية وفرق المعتزلة بين معلومه ومراده ثم ذكر طرفا من فوائد القصص المذكور في السورة فقال وكلا اي كل نبأ نقص عليك وقوله من انباء
الرسل بيان لكل وما نثبت بدل من كلا والمراد وكل نوع من الاقتصاص على انه مصدر على الاساليب المختلفة نقص وما نثبت مفعول ومعنى تثبيت
فؤاده زيادة اليقين والطمأنينة لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم او المعنى تثبيت قلبه على اداء الرسالة وتحمل الاذى من قومه اسوة بسائر الانبياء
وجاءك في هذه السورة او في هذه الانباء الحق وهو البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدأ والوسط والمعاد وموعظة وهي الدلائل المقنعة الموقعة
للتصديق بقدر الامكان والاول للخواص انفع والثاني للعوام انجع وذكرى للمؤمنين وهي الارشاد الى الاعمال الصالحة النافعة في الاخرة المحصلة لما
هنالك من السعادة فان حسن هذا الدين معلوم لمن رجع الى نفسه وعمل بمقتضى تذكره وفكره واعلم ان المعارف الالهية لا بد لها من قابل وفاعل
وقابلها القلب انه ما لم يكن مستعدا لم يحصل له الانتفاع بسماع الدلائل وورودها عليه فلهذا السبب قدم ذكر اصلاح القلب وعلاجه وهو تثبيت
الفؤاد ثم عقبه بذكر المؤثر الفاعل وهو مجيء هذه السورة بل اية منها وهي قوله فاستقم كما امرت مشتملة على الحق والموعظة والذكرى وهذا ترتيب
في غاية الحسن ثم امر بالتهديد لمن لم يؤثر فيهم هذه البيانات من اهل مكة وغيرهم فقال وقل للذين لا يؤمنون اعملوا وقد مر تفسير مثله في هذه
السورة وفي الانعام وانتظروا ما يعدكم الشيطان انا منتظرون ما وعدنا الرحمن من الغفران والاحسان وعن ابن عباس انتظروا بنا الدوائر فانا منتظرون
بكم العذاب كما حل بنظرائكم ثم ختم السورة باية مشتملة على جميع المطالب من امر المبدأ والوسط والمعاد وقد سبق تقريره في اخر البقرة في تفسير لله ما في السموات



فلا حاجة الى الاعادة التأويل ما دامت السموات والارض اي ما دامت سموات الارواح والقلوب وارض النفوس البشرية الا ما شاء ربك من الاشقياء و
ذلك ان اهل الشقاء صنفان شقي واشقى فالشقي بالمعاصي سعيد بالتوحيد فيخلص من النار اخرا والاشقى هو الكافر يبقى فيها مخلدا ومن اهل الجنة سعيد
يبقى خالدا فيها واسعد هم الذين يترقون الى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهنالك مقام الوحدة التي لا انقطاع له كما قال عطاء غير مجذوذ لموفوهم
نصيبهم الذي قدر لهم في الازل من الشقاء ولولا كلمة سبقت من ربك باستكمال الشقاء لقضي بينهم بالهلاك عاجلا لفي شك منه اشارة الى الضلال
وقوله مريب اشارة الى الاضلال وان كلا اي كل واحد من الضالين والمضلين فاستقم امر التكوين ولذلك قال كما امرت اي في الازل وفي قوله
ومن تاب معك اشارة الى ان النفوس جبلت على الاعوجاج فيحتاج الى الرجوع من الطريق المنحرف الى الصراط المستقيم الى من اختص بالاستقامة بسبب
التكوين كالنبي ان الحسنات يذهبن السيئات يعني ان الاعمال الصالحة في الاوقات المعدودة تزيل ظلمات الاوقات المصروفة في قضاء الحوائج النفسانية
الضرورية وذلك ان تعلق الروح النوري العلوي بالجسد الظلماني السفلي موجب لخسران الروح كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا
انوار العمل الصالح فيرقيه من حضيض البشرية الى ذروة الروحانية بل الى الوحدة الربانية فيندفع عنه ظلمة الجسد السفلي مثاله القاء الحبة في الارض
فانه من خسران الحبة الا ان يتداركها الماء وسائر الاسباب فيربيها الى ان يصير الواحدة الحبة الى سبعمائة وما زاد ذلك ذكرى للذاكرين من التدارك عظة
للذاكرين الذين يريدون ان يذكروا الله في جميع الاحوال فانهم اذا حافظوا على هذه الاوقات فكانهم حافظوا على جميعها لان الانسان خلق
ضعيفا ليس يقدر على صرف جميع الاوقات في محض العبودية والعبادة فلولا كان من القرون صورته التخصيص وحقيقته السؤال ليجاب بانه لم يكن كذلك لانك
فاعل مختار فعال لما تريد خلقت خلقا للاقرار وخلقت خلقا للانكار ولا اعتراض لاحد عليك يؤيده قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
طالبة للحق متوجهة اليه ولا يزالون مختلفين منهم من يطلب الدنيا ومنهم من يطلب العقبى ومنهم من يطلب المولى وهم المشار اليهم بقوله الا من رحم ربك ولذلك اي لطلب
الله خلقهم ليس لاستعداد ولان رحمته سبقت غضبه لكن وقع التوفيق في طريق الفهم ضروريا في الوجود وهو قوله وتمت كلمة ربك اي جرى القلم بالضرورة وما يثبت به



فوارك التثبيت عنه والتشكيك منه بعد مفاتيح ابواب اللطف والقهر وقل للذين لا يؤمنون لطلب الحق ووجدانه اعملوا في طلب المقاصد من باب
القهر انا عاملون في طلب الحق من باب لطفه وانتظروا نتائج اعمالكم انا منتظرون ثمرات اعمالنا ولله غيب السموات والارض اي ما غاب عنكم مما اودع
من لطفه في سموات القلوب ومن قهره في ارض النفوس واليه يرجع امر اهل السعادة والشقاوة ومظاهر اللطف والقهر فاعبده ايها الطالب للحق فانك
مظهر اللطف وتوكل عليه في الطلب لا على طلبك فانك ان طلبته بك لم تجده وما ربك بغافل في الازل عما تعملون الى الابد والله حسبي

سورة يوسف مكية وقيل فيما بين مكة الى المدينة وقت الهجرة وهي سبعة الاف ومائة وستة وستون حرفا والف وسبعمائة وست وسبعون كلمة وآياتها مائة واحد عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

ع ١١

الر تلك آيات الكتاب المبين ⁕ انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ⁕ نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت
من قبله لمن الغافلين ⁕ اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ⁕ قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين ⁕ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها
على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم ⁕ لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ⁕ اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا

ع ١٢

ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين ⁕ اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ⁕ قال قائل منهم لا
تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين ⁕ قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون
ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ⁕ قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون ⁕ قالوا لئن اكله
الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون ⁕ فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
وجاؤا اباهم عشاء يبكون ⁕ قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين
وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ⁕ وجاءت سيارة فارسلوا واردهم
فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ⁕ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ⁕ القراءات

يا ابت بفتح التاء والوقف بالهاء يزيد وابن عامر وقرأ ابن كثير ويعقوب بكسر التاء والوقف بالهاء الباقون بالكسر في الحالين احد عشر بسكون العين يزيد
وابن عباس والخزاز في ساجدين بفتح الياء الاعشى والبرجمي يا بني بفتح الياء كان حفص المفضل الباقون بكسرها رؤياك بالامالة على غير قتيبة وليث وقرأ
ابو عمرو بالامالة اللطيفة وقرأ يزيد وابو عمرو غير شجاع وورش من طريق الاصبهاني والاعشى وحمزة في الوقف بغير همزة آيات السائلين على التوحيد ابن
كثير الاخوين آيات على الجمع يخل لكم بالادغام شجاع من طريق ابي غالب ابو شعيب غيابات وما بعده على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون غيابة على التوحيد
لا تامنا بغير اشمام ضمة النون يزيد والحلواني عن قالون الاخوين بالاشمام الذئب وما بعده بغير همز ابو عمرو وغير شجاع واوقية ويزيد والاعشى وورش
وخلف وعلي وحمزة في الوقف يرتع ويلعب بالياء فيهما وبالجزم عاصم وحمزة وعلي وخلف بكسر العين في الاول ابو جعفر ونافع بالنون فيهما وبالجزم ابن عامر وابو
عمرو وبكسر العين ابن كثير سوى الهاشمي وابي ربيعة عن قنبل فانهما نرتعي بالكسر مع الياء بعده نرتع ونلعب بالجزم فيهما مع النون في الاول والياء في الثاني
يعقوب غير روح ليحزنني ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرأ نافع ليحزنني ان بفتح الياء ايضا ولكن من باب الافعال بل سولت وبابه مدغما حمزة
وعلي وهشام يا بشرى بالامالة غير مضافة حمزة وعلي وخلف وحماد والخزاز عن هبيرة يا بشرى بغير امالة ولا اضافة عاصم غير حماد والخزاز الباقون يا
بشراي بالاضافة الى ياء المتكلم الوقوف المبين ط كوفي ابصار وغيرهم لا يقفون عليها لانهم يجعلون انا جواب معنى القسم في الر القرآن والوصل
اصح لان الواو للحال الغافلين ساجدين كيدا ط مبين واسحق ط حكيم للسائلين عصبة ط مبين ج والعربية توجب الوقف ان قبل الا ابتداء
به صالحين فاعلين لناصحون لحافظون غافلون لخاسرون في غيابت الجب لاحتمال ان يكون جواب المحذوف والواو زائدة واوحينا للاستيناف
تقديره فعلوا وامضوا عليه وان يكون الواو مقحمة والجواب اوحينا لا يشعرون يبكون ط فاكله الذئب لابتداء النفي مع واو العطف صادقين كذب ط امرا ط
جميل ط تصفون دلوه ط غلام ط بضاعة ط يعملون ه معدودة ج لاحتمال الواو الحال الزاهدين التفسير قال في الكشاف تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب
المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند
الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا يشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد بين فيها ما سالت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روي
ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف قول مدار هذه التفاسير على ان ابان
الشيء وابان هو بنفسه انا انزلناه اي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف يعني هذه السورة في حال كونه قرآنا عربيا والقرآن اسم جنس يقع على
كله وعلى بعضه وقوله قرآنا عربيا يسمى حالا موطئة لان المراد وصفه بالعربية احتج الجبائي بانزال القرآن وبكونه عربيا وآيات على انه محدث لان
هذه من اوصاف المحدثات واجيب بانه لا نزاع في حدوث الالفاظ وانما النزاع في الكلام النفسي ومعنى لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه
ولا يلتبس عليكم لانه بلغتكم قال الجبائي فيه دليل على انه اراد من المكلفين كلهم ان يعقلوا توحيده وامر دينه واجيب بان الآية لا تدل الا انه انزل
هذه السورة واراد منهم معرفة كيفية هذه القصة ولا دلالة فيه على انه اراد من الكل الايمان والعمل الصالح قال اهل اللغة القصص اشتقاقه من قص

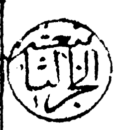
سورة يوسف

اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا ومثله التلاوة لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية ثم ان كان القصص مصدرا بمعنى الاقتصاص فيكون احسن مثله لاضافته الى المصدر ويكون المفعول اي المقصوص محذوفا وهو الوحي لدلالة اوحينا اليه عليه ويكون هذا القرآن بايحائنا اياه اليك على هذا فالحسن يرجع الى المنطوق لا الى القصة وحسن المنطوق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب لان هذه الحكاية مقتصة في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولم يبلغ شيء منه الى حد الاعجاز وان اريد بالقصص المقصوص كما يراد بالنبأ المنبأ والخبر المخبر فالحسن يرجع الى المنطوق لا الى القصة وحسن المنطوق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب ولان هذه الحكاية القصة ولا سيما فيما يرجع الى صلاح حال المكلف في الدارين ووجه حسنها اشتمالها على الغرائب والعجائب والنكت والعبر وان الصبر مفتاح الفرج وان ما قضى الله كائن لا محالة لا يرده كيد كائد ولا حسد حاسد يروى ان اصحاب رسول الله صلعم ملوا ملة فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل نزل احسن الحديث كتابا متشابها ثم انهم ملوا فقالوا يا رسول الله لو قصصت فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص كل ذلك يؤمرون بالقرآن وان كنت هي المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة والمعنى وان الشان كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين عن هذه القصة وعن الدين والشريعة اذ قال بدل الاشتمال من احسن القصص لان الوقت يشتمل على القصص فاذا قص وقته فقد قص المقصوص او منصوب باضمار اذكر ويوسف ليس عربيا على الاصح اذ لا سبب فيه بعد التعريف الا العجمة فهو اسم عبراني ومن ظن انه من اسف يوسف بناء على انه قرئ بكسر السين وبفتحها فوجد فيه وزن الفعل ايضا فقد اخطأ لان القراءة المشهورة تاباه ولن يكون الاسم عربيا تارة واعجميا اخرى وفي هذا الخلاف وفي يونس ايضا عن النبي صلعم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم قال النحويون التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة وهي للتانيث لانها قد تقلب هاء في الوقف ويجوز الحاق التاء بالمذكر نحو حمامة ذكر والكسرة فيه لمناسبة الياء التي هي بدل منها والفتحة اما فتحة الياء فيمن يفتحها او الفتحة الباقية بعد حذف الالف من يا ابتا اني رأيت هو من الرؤيا التي تختص بالمنام لا من الرؤية التي تشمل اليقظة بدليل قول يعقوب لا تقصص رؤياك ولان ذلك لو كان في اليقظة لكانت آية عظيمة ولم تخف على احد من قرأ احد عشر بسكون العين فلكراهة توالي المتحركات فيما هو في حكم كلمة وكذا الى تسعة عشر الا اثنى عشر لئلا يلتقي ساكنان قال في الكشاف روى جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلعم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف فسكت رسول الله صلعم فنزل جبرئيل فاخبره بذلك فقال النبي صلعم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها واقول ان اكثر هذه الاسماء ليست مما اشتهر عند اهل الهيئة فان صح الخبر فهي من العلوم التي تفرد بها الانبياء وافراد الشمس والقمر من الكواكب بعد ذكرها دليل على شرفهما كقوله وملائكته وجبرئيل وميكائيل وانما كرر الفعل لطول الكلام او على تقدير سؤال كانه قيل له كيف رايتها فقال رايتهم لي ساجدين والظاهر ان هذه السجدة كانت بمعنى وضع الجبهة اذ لا مانع من حملها على الحقيقة لكنها كانت على وجه التواضع وانما اجريت الكواكب مجرى العقلاء في عود الضمير اليها لان السجود من شان العقلاء كقوله للاصنام وتريهم ينظرون اليك وعند الفلاسفة هم احياء ناطقة فلا حاجة الى العذر عبر ابوه رؤياه بان اخوته يسجدون له وهم احد عشر وكذا ابواه وهما الشمس والقمر وقيل هما ابوه وخالته لان امه لم تدخل مصر وتوفيت قبل ذلك وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة اذ تحول الفرد هي الهالة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن اثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومسير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون قال علماء التعبير ان الرؤيا الردية تظهر اثرها عن قريب كيلا يبقى المؤمن في الغم والحزن والرؤيا الجيدة يبطئ اثرها ليكون بهجة المؤمن ادوم قوله فيكيدوا منصوب باضمار ان جوابا للنهي واللام في لك لتاكيد الصلة مثل نصحت لك قال في الكشاف ضمن الكيد معنى الاحتيال ليفيد معنى الفعلين فيكون ابلغ في التخويف وقيل متعلق بالمصدر الذي بعده ثم انه وصل بهذه النصيحة شيئا من تعبير رؤياه فقال وكذلك اي ومثل اجتبائك لهذه الرؤيا الشريفة يجتبيك ربك لامور عظام والاجتباء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته خصص الحسن الاجتباء بالنبوة قال في الكشاف ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك اقول لعل ادخاله في حكم التشبيه ليس بعيدا وفي تاويل الاحاديث للناس فيما يرونه في منامهم سمي التعبير تاويلا لانه ياول امره الى ما راه في المنام او يؤول امر ما راه في المنام الى ذلك والاحاديث اسم جمع للحديث وليس جمع احدوثة لانها التي يتحدث بها الناس ومنها انه تبيين معاني كتب الله وسنن الانبياء لا المفسر والمحدث يحدثان عن الله ورسوله فيقولان قال الله كذا وقال الرسول كذا ومنها ان الحديث بمعنى الحادث والمراد كيفية الاستدلال بالحادث على القدم سبحانه واما اتمام النعمة فمن فسر الاجتباء بالنبوة فسر الاتمام بالسعادات الدنيوية والاخروية من المال والجاه والعلوم والاخلاق الفاضلة ومن فسر ذلك بالدرجات العالية فسر هذا بالنبوة ولان اتمام النعمة عليه مشبه باتمامها على ابرهيم واسحق ومن المعلوم ان الامتياز بينهما وبين قرابتهما لم يكن الا بالنبوة وقد يفسر اتمام النعمة على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه فيكون وجه التشبيه انجاءه من السجن والمحنة كانجائهما من النار والذبح والمراد بآل يعقوب نسله قيل يعقوب علم ان يوسف واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب اعترض بما فرط منهم في حق يوسف واجيب بان ذلك قبل النبوة وقيل اتمام اتمام النعمة وصل نعمة الدنيا بنعم الآخرة وذلك

ابن الكريم

قال نعم

لان الاتمام المطلق في حق البشر ليس الا بالنبوة



انه جعلهم ملوكا وانبياء وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك لان اباء الجد في حكم الاب ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم لا يضع الشيء الا
في موضعه فلا يجعل الرسالة الا في نفس قدسية وجوهر مشرق قيل حكم يعقوب بوقوع هذه الامور دليل على جزمه بها فكيف خاف بها على يوسف حتى قال و
اخاف ان ياكله الذئب الجواب لعل جزمه بذلك كان مشروطا بعدم كيد اخوته ولعل قوله اخاف ان ياكله الذئب كيلا يتهاونوا في حفظه فان
الوسائط والاسباب مدخلا عظيما في وجود الاشياء وحصولها لقد كان في يوسف اي في قصته وحديثه واخوته آيات للسائلين لمن سئل عن تلك القصة
وعرفها او آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سئلوه من اليهود عنها فاخبرهم بها من غير سماع العلم وفيه انه صلى الله عليه وسلم يجب ان يصبر على بغي قومه الى ان يظهر امره
كما فعل يوسف يروى ان اسامي اخوته يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وزبالون ويشجر ودينة وهؤلاء من ليا بنت خالة يعقوب ودان ونفتالي
وجاد واشر وهم من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ظرف لكان او منصوب باضمار
اذكر ليوسف في لام الابتداء تحقيق لمضمون الجملة واخوه اي لابيه وامه عنوا بنيامين احب اذا كان افعل التفضيل مستعملا بمن لم يتصرف فيه ونحن
عصبة الواو للحال والعصبة العشرة فصاعدا لان الامور تعصب بكفايتهم اي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما ابنا صغيران لا كفاية فيهما ولا
ولا منفعة ونحن جماعة تكفي مهماته ونقوم بمصالحه ان ابانا لفي ضلال مبين ارادوا ضلالا لا اخلاصا وهو البعد عن طريق الصلاح المعاش وحسن
المعاشرة مع الاولاد ولم يعلموا ان المحبة امر يتعلق بالقلب ليس لله فيه تكليف لعل يعقوب تفرس في يوسف ما اوجب اختصاصه بمزيد البر
من بينهم لذا قالوا انهم قالوا لما تشاوروا في امره اقتلوا يوسف قيل الامر بالقتل شمعون او دان ورضي به الباقون فجعلوا جميعا امرين والظاهر انه قال
ذلك بعضهم بذلك الجزم بدليل انه لم يقع القتل ولقولهم او اطرحوه فكان بعضهم اشار الى القتل وبعضهم الى الطرح ومهما صدر امر من بعض القوم
صح اسناده اليهم كقوله واذ قتلتم نفسا وانتصب ارضا على الظرف كالظروف المبهمة اي ارضا مجهولة بعيدة عن العمارة يخل لكم وجه ابيكم يخلص
محبته لكم سليمة عن التنازع فيها وكان ذكر الوجه لتصوير الاقبال عليهم بالكلية ويجوز ان يراد بالوجه الذات والمراد يفرغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا
مجزوم لانه معطوف على جواب الامر من بعده من بعد قتله او اطراحه او من بعد يوسف اذ اقتل او غرب قوما صالحين تائبين الى الله او الى ابيهم
بعذر تمهدونه بما جنيتم عليه او المراد صلاح دنياهم وانتظام امورهم وتفرغهم لمهماتهم بعد يوسف بفراغ البال قال قائل منهم هو يهوذا وكان
احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن ابرح الارض لا تقتلوا يوسف لان القتل عظيم ولا سيما قتل الاخ وخاصة اذا كان القاتل والمقتول من
اولاد الانبياء والقوه في غيابت الجب سمي البئر جبا لانها قطعت قطعا ولم يحصل فيها شيء سوى القطع للارض والغيابة غور البئر وما غاب
منها عن عين الناظر واظلم من اسفلها ومن قرأ على الجمع فلان للجب اقطارا ونواحي يلتقطه بعض السيارة اي الرفقة السائرة قال ابن عباس اي
المارة والالتقاط تناول الشيء من الطريق ونحوه يستعمل في الانسان وغيره ومنه اللقيط للمنبوذ ان كنتم فاعلين ان لم يكن بد من فعل الامر
هذا الامر بعينه هو الراي ثم ان يعقوب كان خائفا على يوسف من كيدهم وكان يظهر امارات ذلك على صحايف اعماله واقواله فلذلك قالوا
ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ما وجدنا منافي بابه سوى النصح والاشفاق على الاطلاق ارسله معنا غدا يرتع ويلعب من قرأ بالجزم
فمن الرتعة كالامنة وهي الخصب والسعة ومن قرأ بالكسر فعلى حذف الياء من يرتعي مستعارا من ارتعاء الابل والماشية واللعب ترك ما ينفع الى ما لا
ينفع فمن قرأ بالياء فلا اشكال لان الصبي لا تكليف عليه ومن قرأ بالنون قال كان لعبهم الاستباق والانتضال بدليل قوله انا ذهبنا نستبق سمي لعبا
لانه في صورته او اللعب قد يطلق على استعمال المباحات لاجل انشراح الصدر قال صلى الله عليه وسلم لجابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك قال اني ليحزنني لام الابتداء
للتاكيد او لتخصيص المضارع بالحال واخاف ان ياكله الذئب اصله الهمز ولهذا قال بعضهم انه مشتق من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة قيل كان
ارضهم مذابة فلذلك قال اخاف وقيل راى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره فلقنهم العذر كما جاء في امثالهم البلاء موكل بالمنطق
قوله انا اذا جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط حلفوا له ان كان ما خافه حالهم انهم رجال كفاة وحماة فهم اذن لخاسرون عاجزون او مستحقون
للدعاء عليهم بالخسار والمراد ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا وخسرناها كان يعقوب قد اعتذر اليهم بامرين احدهما ان ذهابهم
به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من حفظ الذئب فلم يجيبوا عن الاول لانه هو الذي كان يغيظهم فلم يعبؤا بذلك الكلام فخصوا
الجواب بالثاني وههنا اضمار والتقدير فاذن لهم وارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا عزموا على ان يجعلوه في غيابت الجب قيل هو بئر بيت المقدس
وقيل ارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ثم انه كان جواب لما محذوف وفي الاية اضمار اخر كما تقدم في الوقوف
قال السدي ان يوسف لما برز مع اخوته اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة حتى كادوا يقتلوه
فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها
من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع
الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا حتى يؤنسوك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي
فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام وروي انه عليه السلام لما القي في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا
غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من امري فرجا ومخرجا وحكي ان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه

اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبرئيل فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه في صغر السن كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك بالغا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المنسي المغير للهيئات والاشكال يروى انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به القيتموه في غيابت الجب وقلتم لابيه اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يراد وهم لا يشعرون انا انبأناه بالوحي وازلنا الوحشة عن قلبه فيتعلق الجملة بقوله واوحينا روي ان امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة وما ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية عن مقاتل انما جاؤا عشاء لئلا يظهر امارة الخجل والكذب على وجوههم ولما سمع صوتهم يعقوب فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو وفي الرمي وقيل ننتضل وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لشدة محبتك ليوسف فيه دليل لمن زعم ان الايمان هو التصديق ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وجاؤا على قميصه نصب على الظرف اي فوق قميصه لا على الحال المتقدمة لان حال المجرور لا يتقدم عليه بدم كذب اي ذي كذب او دم هو الكذب بعينه مبالغة يروى انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها ويروى ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم (احكم) من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلث آيات آية ليعقوب على كذبهم وآية حين القاه البشير على وجهه فارتد بصيرا وآية على براءة يوسف حين قد من دبر ولما تبين يعقوب بالآيات المذكورة او بالوحي انهم كاذبون قال على سبيل الاضراب بل سولت قال ابن عباس بل زينت لكم انفسكم امرا في شانه وهو تفعيل من السول الامنية قال الازهري واصله مهموز غير ان العرب استثقلوا فيه الهمزة وقال في الكشاف سولت سهلت من السول بفتحتين وهو الاسترخاء والتنكير في امرا للتعظيم فصبر جميل لا بد من تقدير مبتدأ او خبر اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي الحديث انه الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق لقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل اي لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت يحكى انه سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب تشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي ثم الحق بهن ان الصبر على ما وصفوه من هلاك يوسف لا يمكن الا بمعونة الله تعالى فقال والله المستعان على ما تصفون فالفريقان كقوله اياك نعبد واياك نستعين ويعلم من الآيات ان الصبر ان كان لاجل الرضا بقضاء الله تعالى او لاستغراقه في شهود نور الحق بحيث يمنعه من الاشتغال بالشكاية عن البلاء فذلك صبر جميل والا فلا واعترض بان هذا الصبر كان فيه اعانة الظالمين واهمال التخليص المظلوم من المحن والشدائد والترتيبة فكيف جاز صبر يعقوب حتى لم يبالغ في التفتيش والتنقير ولو بالغ لظهر عليه الامر لشهرته وعظم قدره واجيب بان الله سبحانه لعله منعه عن الطلب تشديدا للمحنة عليه ولعله ان بالغ في البحث لقدموا على قتله او علم ان الله تعالى يصون يوسف وسيعظم امره بالآخرة فلم يرد هتك ستر اولاده والقائهم في السنة الناس كقول القائل فاذا رميت يصيبني سهمي فكان الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى ثم شرع في حكاية خلاص يوسف فقال وجاءت سيارة عن ابن عباس قوم يسيرون من مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا واردهم رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء ومعنى الوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم فادلى دلوه ارسلها في البئر قال الواحدي فاذا نزعها واخرجها قيل دلاها بدلو قال يا بشرى التقدير وظهر يوسف فقال الوارد يا بشرى كانه ينادي البشرى ويقول تعالي فهذا اوانك ومتى قال الوارد بهذا الكلام قال جمع من المفسرين حين رأى يوسف متعلقا بالحبل وقال آخرون لما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به قال السدي كان للوارد صاحب يقال له بشرى فناداه يا بشرى كما تقول يا زيد والاكثرون على انها بمعنى البشارة فقال ابو علي يحتمل ان يكون مناديا مضموما مثل يا رجل وان يكون منصوبا مثل يا رجلا كانه جعل ذلك النداء شايعا في جنس البشرى ومن قرأ بالاضافة فنصبه ظاهر والضمير في واسروه اما عائد الى الوارد واصحابه اي اخفوه من الرفقة لئلا يدعوا المشاركة في الالتقاط او في الشرى ان قالوا اشتريناه وطريق الاخفاء انهم كتموه من الرفقة او قالوا ان اهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر واما عائد الى اخوة يوسف بناء على ما روي عن ابن عباس انهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولعل الوجه الاول اولى بدليل قوله بضاعة وهي نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واصل البضع القطع والبضاعة قطعة من المال للتجارة والله تعالى اعلم والله عليم بما يعملون فيه وعيد اما للوارد واصحابه حيث استبضعوا ما ليس لهم او لاخوة يوسف وذلك ظاهر وفيه ان كيد الاعداء لا يدفع شيئا مما علم الله من حال المرء والضمير في قوله وشروه اما ان يعود الى الوارد واصحابه اي باعوه بثمن قليل لان الملتقط للشيء متهاون به وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده قال اهل اللغة زهد فيه معناه رغب عنه وزهد عنه معناه رغب فيه واما ان يعود الى الاخوة والمعنى باعوه والى الرفقة والمعنى اشتروه وهكذا الضمير في وكانوا ان عاد الى الاخوة فقلة رغبتهم في يوسف ظاهر والا لم يفعلوا به ما فعلوا وان عاد الى الرفقة فذلك انهم اعتقدوا انه ابق فخافوا اعطاء الثمن الكثير عن ابن عباس ان اخوته عادوا الى الجب بعد ثلثة ايام يتعرفون خبره فلما لم يروه في الجب ورأوا آثار السيارة طلبوهم فلما رأوا يوسف قالوا هذا عبد ابق منا فقالوا لهم فبيعوه منا فباعوه منهم ولعلهم عرفوا



انه ولد ليعقوب فكرهوا اشتراءه خوفا من الله ومن ظهور تلك الواقعة الا انهم مع ذلك اشتروه بالاخوة بثمن بخس اي مبخوس ناقص عن القيمة او ناقص
العيار وقال ابن عباس البخس هنا الحرام لان ثمن الحر حرام دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية و
هي الاربعون عن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين اخذ كل واحد من الاخوة درهمين الا يهوذا فانه لم ياخذ شيئا ويروى
ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق والظاهر ان الضمير في فيه عائد الى يوسف ويحتمل ان يعود الى الثمن البخس اي اخذوا لانه ثمن ما ليس بعبد
فيه قال النحويون قوله فيه ليس من متعلقات الزاهدين لان الالف واللام فيه موصول وزاهدين صلته وكما لا يتقدم نفس الصلة فكذا ما هو
متعلق به فلا يتعلق به مثلا وكانوا زيدا من الضاربين فهو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فيه والله تعالى اعلم التاويل تلك آيات الكتاب دلالات كتاب
المحبوب الى المحب للهداية الى طريق الوصال ولهذا كانت احسن القصص لانها اتم قصص القرآن مناسبة ومشابهة باحوال الانسان انتقال يوسف القلب
لابيه يعقوب الروح اني رأيت احد عشر كوكبا هن الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة اي المدركة والحافظة والمتخيلة والمتوهمة والحس المشترك مع المفكرة
ولكل من هذه اضاءة اي ادراك للمعنى المناسب له وهم اخوة يوسف القلب لانهم تولدوا بازدواج يعقوب الروح وزوج النفس والشمس والقمر الروح والنفس
رأيتهم لي ساجدين وهذا مقام كمالية الانسان ان يصير القلب سلطانا يسجد له الروح والنفس والحواس والقوى وكذلك يجتبيك ربك على سائر
المخلوقات وهذا كمال حسن يوسف ويعلمك من تاويل الاحاديث العلم اللدني المختص بالقلب ويتم نعمته عليك بان يتجلى لك ويستوي لانه القلب
عرش حقيقي للرب وعلى آل يعقوب اي متولدات الروح من القوى والحواس كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم السر واسحاق الخفي وبهما يستحق القلب القبول
فيض التجلي وهنالك لله الطاف خفية لا يسع الانسان فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل آيات للسائلين عن طريق الوصول الى الله ليوسف واخوه بنيامين
الحس المشترك فان له اختصاصا بالقلب احب الى ابينا منا لان القلب محل عرش الروح ومحل استوائه عليه والحس المشترك بمثابة الكرسي للعرش اقتلوا
يوسف القلب بسكين الهوى وسم الميل الى الدنيا او اطرحوه في ارض البشرية يخل لكم وجه ابيكم يقبل الروح بوجهه الى الحواس والقوى لتحصيل شهواتها
وتكونوا بعد موت القلب قوما صالحين للتنعم الحيواني والنفساني قال قائل منهم هو يهوذا القوة المفكرة لا تقتلوا يوسف القلب والقوه في غيابة الجب
القالب وسفل البشرية يلتقطه بعض سيارة الجواذب النفسانية يرتع في ملاعب الدنيا وانا له لحافظون من فتنة الدنيا وآفاتها لئن اكله الذئب
الشيطان انا اذا لخاسرون لان خسران جميع اجزاء الانسان في هلاك القلب وربحها في سلامة القلب وهم لا يشعرون فيه اشارة الى ان من
خصوصية تعلق الروح بالقالب يتولد منهما القلب العلوي والنفس السفلية والحواس والقوى فيحصل التجاذب فان كانت الغلبة للروح سعد وان
كانت للنفس شقي وجاؤا اباهم عشاء اي في النصف الاخير من مدة العمر يبكون نستبق نتشاغل باللهو في ايام الشباب وتركنا يوسف القلب مهملا معطلا عن
الاستكمال فاكله ذئب الشيطان وجاؤا على قميصه اي قالب القلب بدم كذب هو آثار الملكات الرديئة زعموا انها قد سرت الى القلب وزالت نور
الايمان عنه بالكلية قال يعقوب الروح بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل على ما قضى الله وقدر والله المستعان على ما تصفون من رين القلب وموته
وجاءت سيارة هي هبوب نفحات الطاف الحق فارسلوا واردهم وارد من واردات الحق فادلى دلوه جذبة من جذبات الرحمن قال يا بشرى فيه اشارة
الى ان الجذبة بشارة في تعلقها بالقلب كما ان للقلب بشارة في خلاصه من جب الطبيعة كما قال يحبهم ويحبونه والله عليم بحكمة البشارتين
بما يعملون من شراه بثمن بخس هو الحظوظ الفانية في ايام معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لانهم ما عرفوا قدره وانما ميلهم الى استجلاب المنافع
الدنيوية العاجلة والله اعلم وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض
ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين
وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد
همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه
من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد
من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى
قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة
امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ
وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب
السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه
هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين القراءة هيت لك بضم التاء وفتح الهاء ابن كثير هيت بكسر الهاء وفتح التاء
ابو جعفر ونافع وابن ذكوان والرازي عن هشام مثله ولكن بالهمز الحلواني عن هشام مثل هذا ولكن بضم التاء البخاري عن هشام الباقون هيت لك
بفتحتين وسكون الياء المخلصين بفتح اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وعلي وخلف ربي احسن بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن

زهدوا فيه ل

في المرتع البهيمي ويلعب

ع ٣

ان كيدكن

ع ٣



كثير من قبل ومن دبر بالاختلاس عباس قد شغفها ادغمها ابو عمرو وعلى وحمزة وخلف وهشام وقالت اخرج بكسر التاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم
الآخرون بالضم للاتباع حاشا لله وما بعده فى الحالين بالالف ابو عمرو ورب السجن بفتح السين على انه مصدر يعقوب الباقون بالكسر لو توقف ولنعلمه
فى الارض بناء على ان الواو مقحمة واللام متعلقة بمكنا او هى عطف على محذوف قبله اى ليتمكن ولنعلمه والاظهر انها تتعلق بمحذوف بعده اى ولنعلمه
من تاويل الاحاديث كان ذلك التمكن الاحاديث لا يعلمون وعلما المحسنين هيت لك الظالمون همت به نقد قيل بناء على ان قوله وهم جواب لولا
وليس بصحيح لان جواب لولا لا يتقدم عليه وانما جوابه محذوف وهو تحقق ما هم به كذا قال السجاوندى اقول لو وقف للفرق بين الهمين لم يبعد وهم
بها ج برهان ربه ط والفحشاء ط المخلصين لدى الباب ط اليم عن نفسى ط بذلك الاية عليه وقفا ولعل لو وقف عليه حسن كيلا يظن عطف وشهد على راودتنى او
على جملة هى راودتنى من اهلها ج على تقدير وقال ان كان من الكاذبين الصادقين من كيدكن ط عظيم عن هذا سكتة للعدول عن مخاطبه الى مخاطبة لذنبك ج
لاحتمال التعليل الخاطئين عن نفسه ج لان قد لتحسين الابتداء مع اتحاد القائل حبا ط مبين عليهن بشرا ط كريم فيه ط فاستعصم ط لاحتمال القسم لصاغرين
اليه للشرط مع الواو الجاهلين كيدهن ط العليم حين التفسير قد ثبت فى الاخبار ان الذى اشتراه اما من الاخوة او من الوارد بن ذهبوا به الى مصر وباعه فاشتراه
العزيز واسمه قطفير او اطفير ولم يكن ملكا ولكنه كان يلى خزائن مصر والملك يومئذ الريان ابن الوليد رجل من الوارد بن ذهبوا به الى مصر
من العماليق وقد امن بيوسف ومات فى حيوة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب ولم يؤمن بيوسف وروى ان العزيز اشتراه ابن سبع عشرة سنة واقام
فى منزله ثلث عشرة واستوزره بعد ذلك ريان بن الوليد ثم اتاه الله الحكمة والعلم ابن ثلث وثلثين وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك فى
ايام فرعون وموسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والمعنى ولقد جاءكم
اباءكم وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجى نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا
فابتاعه قطفير بذلك المبلغ ومعنى اكرمى مثواه اجعلى منزله ومقامه عندنا كريما اى حسنا مرضيا وفى هذه العبارة دلالة على انه عظم شان يوسف كما يقال
سلام على المجلس العالى وقال فى الكشاف المراد تعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة فى صحبتنا ساكنة فى كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك والمراد من نزل به
الرجل به من انسان رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده واللام فى لامراته متعلق بقال ثم بين الغرض من الاكرام فقال عسى ان ينفعنا بكفاية
بعض مهماتنا او نتخذه ولدا لان قطفير كان لا يولد له ولد او كان حصورا وعن ابن مسعود افرس الناس ثلثة العزيز حين قال لامراته اكرمى مثواه
فتفرس فى يوسف ما تفرس والمراة التى اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وروى انه سئله عن نفسه فاخبره بنسبه
فعرفه ثم قال وكذلك اى كما انعمنا عليه بالانجاء من الجب وعطف قلب العزيز عليه مكنا له فى ارض مصر حتى يتصرف فيها بالامر والنهى و
لنعلمه قد مر فى الوقوف ما يتعلق به وفى اوائل السورة معنى تاويل الاحاديث والمراد من الاية حكاية اعلاء شان يوسف فى الكمالات الحقيقية واصولها القدرة
واشار اليها بقوله مكنا والعلم واشار اليه بقوله ولنعلمه ولا ريب ان ابتداء ذلك كان حين القى فى الجب كما قال واوحينا اليه لتنبئنهم وكان يترقى فى ذلك
الى ان بلغ حد الكمال وصار مستعدا للدعوة الى الدين الحق وللارسال الى الخلق والله غالب على امره اى على امر نفسه لا منازع له ولا مدافع او على امر يوسف
لم يكله الى غيره ولم ينج كيد اخوته فيه ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ثم انه سبحانه بين وقت استكمال امره فقال
ولما بلغ اشده قيل فى الاشد ثمانى عشرة سنة وعشرون وثلث وثلثون واربعون الى ثنتين وستين اتيناه حكما وعلما فالحكم الحكمة العملية والعلم
الحكمة النظرية وانما قدمت العملية لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية ثم الى العلم اللدنى بخلاف اصحاب الافكار و
الانظار والاول هو طريقة يوسف لانه صبر على البلاء والمحن ففتح عليه ابواب المكاشفات وقيل الحكم النبوة لان النبى حاكم على الخلق والعلم علم الدين و
قيل الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على النفس الامارة قاهرة لها فتنفيض الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس و
التحقيق فى هذا الباب ان استكمال النفس الناطقة انما يتيسر بواسطة استعمال الالات الجسدانية وفى اوان الصغر تكون الرطوبات مستولية عليها ف
فيضعف تلك الالات فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن نضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت الالات صالحة لان
يستعملها النفس الانسانية فى تحصيل المعارف واكتساب الحقائق فقوله ولما بلغ اشده اشارة الى اعتدال الالات البدنية وقوله اتيناه حكما
وعلما اشارة الى استكمال النفس الناطقة وقوة لمعان الاضواء القدسية فيها قال فى الكشاف وكذلك نجزى المحسنين فيه تنبيه على انه كان محسنا
فى عمله متقيا فى عنفوان امره وان الله اتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه واعترض عليه بان النبوة غير مكتسبة والحق ان الكل بفضل الله ورحمته
ولكن للوسائط والمعدات مدخل عظيم فى كل ما يصل الى الانسان من الفيوض والاثار فالانوار السابقة تصير سببا للاضواء اللاحقة وهلم جرا
عن الحسن من احسن عبادة ربه فى شبيبته اتاه الله الحكمة فى اكتهاله ثم ان يوسف كان فى غاية الحسن والجمال فلما شب طمعت فيه امراة العزيز وذلك قوله
وراودته والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب ضمنت معنى الخداع اى فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه حتى يزله عن الشئ الذى يريد ان يخرجه
من يده وقد يختص بمحاولة الوقاع فيقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هى عن نفسه اذا حاول كل منهما الوطى والجماع وانما قال التى هو فى بيتها ولم
يقل زليخا قصدا الى زيادة التقرير مع استهجان اسم المراة وغلقت الابواب لا ريب ان التشديد يدل على التكثير لان غلق متعد كنفسه
هو فتح والمفسرون رووا ان الابواب كانت سبعة وقالت هيت لك هذه اللغة فى جميع القراءات اسم فعل بمعنى هلم الا عند من قرا هيت لك بضم



مكسورة بعدها همزة ساكنة ثم تاء مضمومة فانها بمعنى تهيأت لك يقال هاء يهيء مثل جاء يجيء بمعنى تهيأ قال النحويون هيت جاء بالحركات الثلثة فالفتح للخفة والكسر لالتقاء الساكنين والضم تشبيها بحيث واذا بين باللام نحو هيت لك فهي صوت قائم مقام المصدر كاف له اي لك اقول هذا واذا لم يبين باللام فهو صوت قائم مقام مصدر قائم مقام الفعل ويكون اسم فعل ومعناه اما خبر اي تهيأت واما امر اي اقبل وقد روي الواحدي باسناده عن ابي زيد قالت هيت لك بالعبرانية هيتالج اي تعال عربه القران وقال الفراء انها لغة لاهل حوران سقطت الى مكة فتكلموا بها وقال ابن الانباري هذا وفاق بين لغة قريش واهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم في القسطاس ولغة العرب والفرس في السجيل ولغة العرب والترك في الغساق ولغة العرب والحبشة في ناشئة الليل ثم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام اجاب يوسف عم بثلثة اجوبة الاول قال معاذ الله وهو من المصادر التي لا يجوز اظهار فعلها اي اعوذ بالله معاذا وفيه اشارة الى ان حق الله تعم الثاني انه والضمير للشان ربي اي سيدي ومالكي بزعمهم واعتقادهم والا فيوسف كان عالما بانه حر والحر لا يصير عبدا بالبيع او المراد الله ربي اي الذي ربى احسن مثواي حين قال اكرمي مثواه وفي هذا اشارة الى ان حق الخلق ايضا يمنع عن ذلك العمل وقيل اراد بقوله ربي الله تعم لانه مسبب الاسباب الثالث قوله انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيئ واراد الذين يزنون لانهم ظلموا انفسهم وفيه اشارة الى الدليل العقلي فان صون النفس عن الضرر واجب وهذه اللذة قليلة يتبعها الخزي في الدنيا وعذاب في الاخرة فعلى العاقل ان يحترز عنها فما احسن نسق هذه الاجوبة قوله سبحانه ولقد همت به وهم بها لا اشك ان الهم لغة هو القصد والعزم لكن العلماء اختلفوا فقال جم غفير من المفسرين الظاهرين تلك الهمة بلغت حد المخالطة فقال ابو جعفر الباقر عم باسناده عن علي بن ابي طالب عم انه هم طمعت فيه وانه طمع فيها حتى هم ان يحل التكة وعن ابن عباس انه حل الهميان اي السربال وجلس منها مجلس الجامع وعنه ايضا انها استلقت له وقعد هو بين شعبها الاربع وروي ان يوسف حين قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقال اخرون ان الهمة ما كانت لاميلة النفس ولم يخرج شيء منها من القوة الى الفعل ولكن كانت داعية الطبيعة وداعية العقل والحكمة متجاذبين اما الاولون فقد فسروا برهان ربه بان المرأة قامت الى صنم لها مكلل بالدر والياقوت في زاوية من زوايا البيت فسترته بالثوب فقال يوسف لم فقالت استحيي من الهي هذا ان يراني على المعصية فقال يوسف تستحيين من صنم لا يسمع ولا يعقل ولا استحيي من الهي القائم على كل نفس بما كسبت فوالله لا افعل ذلك ابدا وعن ابن عباس انه مثل له يعقوب عاضا فاه على اصابعه قائلا اتعمل عمل الفجار وانت مكتوب في زمرة الانبياء والى هذا ذهب عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين وقال سعيد بن جبير مثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل صيح يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فلم يبصر ثم فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعم لجبرئيل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في زمرة الانبياء وقيل راى تمثال العزيز واما الاخرون فما سلموا شيئا من هذه الروايات وعلى تقدير التسليم فتوارد الدلائل على المطلوب الواحد غير بعيد وكذا ترادف الزواجر فهو عم كان ممتنعا عن ذلك العمل بحسب النظرية برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم وبحسب ما اعطاه الله من النفس القدسية المطهرة النبوية لكنه انضاف الى ذلك البرهان هذه الزواجر تكميلا للالطاف وتتميما للعناية قالوا ولو ان ادنى الزناة واشطرهم ادنى لقي ما لقيه نبي الله مما ذكروا لما بقي عنده عرق ينبض وعضو يتحرك فكيف احتاج النبي الى جميع هذه الزواجر والمؤكدات حتى ينتهي عن امضاء العزيمة قالوا والهم يتعلق بالمعاني فانتصب على اضمار قد هم بمخالطتها ونحن نقول هم بدفعها لولا ان عرف برهان ربه وهو ان الشاهد سيشهد له انه ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلعله لو اشتغل بان يدفعها امكن ان يتمزق قميصه من قبل فكانت الشهادة عليه لا له فلذلك ولى هاربا عنها وفي قوله همت بها فائدة اخرى هي ان ترك المخالطة بها ما كان لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته عليهن بل لاجل ان دلائل دين الله منعه عن ذلك العمل وكيف يظن بيوسف معصية والله قد ادعى البراءة بقوله هي راودتني عن نفسي وبقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والمرأة اعترفت بذلك حين قالت النسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت الان حصحص الحق وزوج المرأة صدقه فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وشهد له شاهد من اهلها كما يجيء وشهد له الله تعم فقال كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا او السوء مقدمات الجماع من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك ثم اكد الشهادة بقوله انه من عبادنا والاضافة للتشريف كقوله وعباد الرحمن ثم زاد في التاكيد فوصفه بالمخلصين اي هو من جملة من اتصف في طاعاته بصفة الاخلاص او من جملة من اخلصه الله تعم بناء على قراءة فتح اللام وكسرها ويحتمل ان يكون من للابتداء لا للتبعيض اي هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم عم فكل هذه الدلائل تدل على عصمة يوسف عم وانه بريء من الذنب ولو كان قد وجدت منه زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما في ادم وذي النون وغيرهما ولما استحق هذا الثناء والله اعلم بحقائق الامور وقوله واستبقا الباب اي تسابقا اليه على حذف الجار او ضمن الفعل مثل واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا وانما وحد الباب لانه اراد البراني لا جميع الابواب التي غلقتها روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر لانها اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق طولا والفيا سيدها الذي صادفا بعلها وهو قطفير وانما لم يقل سيدهما لان

(Margin:) يمنع عن هذا العمل

(Margin:) ديوان

(Margin:) لا يتعلق بالاعيان وانما م

ملك



لان ملك يوسف لم يكن ملكا فى الحقيقة روى انهما الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة ثم انه كان للسائل ان يسئل فما قالت المرأة
اذ ذاك فقيل قالت ما جزاء هى استفهامية او نافية معناه اى شئ جزاؤه اوليس جزاؤه الا ان يسجن او العذاب الاليم بالكرب ربما فسر العذاب الاليم بالضرب بالسياط
جمعت بين غرضين تنزيه ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا فى ان يواتيها طوعا ثم انها لحبها يوسف راعت فى تخويفه
فذكرت السجن اولا ثم العذاب لان المحب لا يريد ايلام المحبوب ما امكن وانها لم يصرح بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا بل قصدت العموم ليندرج يوسف فيه وفى قولها
الا ان يسجن اشعار بان ذلك السجن غير دائم بخلاف قول فرعون لموسى لاجعلنك من المسجونين ففيه اشعار بالتابيد قال يوسف هى راودتنى عن نفسى وانما
صرح بذلك لانها عرضته للسجن والعذاب فوجب عليه الدفع عن نفسه ولولا ذلك لكتم عليها قال سبحانه وشهد شاهد من اهلها قال جمع من المفسرين الشاهد
ابن عم المرأة وكان رجلا حكيما اتفق فى ذلك الوقت انه كان مع العزيز فقال قد سمعت الجلبة من وراء الباب وشق القميص الا انا لا ندرى ايكما قدام صاحبه
فان كان شق القميص من قدام فانت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلف فالرجل صادق وانت كاذبة فلما نظروا الى القميص ورأوا الشق من خلفه قال
ابن عمها انه من كيدكن وعن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ان الشاهد ابن خال لها وكان صبيا فى المهد وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه تكلم اربعة وهم صغار
ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وعن مجاهد الشاهد هو القميص المشقوق من خلفه وضعف بان القميص لا يوصف بالشهادة
ولا بكونه من الاهل واعترض على القول الاول بان العلامة المذكورة لا تدل قطعا على براءة يوسف لاحتمال ان الرجل قصد المرأة
وهى قد غضبت عليه ففر فعدت خلفه كى تدركه وتضربه ضربا وجيعا واجيب بان هناك امارات اخر منها ان يوسف كان عبدا لهم والعبد لا يمكنه ان يتسلط
على مولاه الى هذا الحد ومنها قرينة الحال كتزين المرأة فوق المعتاد وما شوهد من احوال يوسف فى مدة اقامته عندهم واعترض على القول الثانى بان
شهادة الصبى امر خارق للعادة فتكون حجة قطعية فلم يبق للاستدلال بحال القميص ولا لكونه من اهلها فائدة وايضا لفظ الشاهد لا يقع فى العرف الا على من تقدم
معرفته بالواقعة والجواب ان تعيين الطريق فى الاخبار والاعلام غير لازم وكون الشاهد من اهلها ادخل فى اثبات الحجة عليها والزم لها والشاهد ههنا
مجاز وجه حسنه انه ادى مؤدى الشاهد حيث ثبت به قول يوسف وبطل قولها قال فى الكشاف التنكير فى قبل ودبر معناه من جهة يقال لها قبل ومن
جهة يقال لها دبر اما الضمير فى قوله فلما رأى وفى قوله قال انه من كيدكن فقيل انه للشاهد الذى هو ابن عمها كما ذكرنا اى ان قولك وهو ما جزاء من اراد باهلك سوءا
وان هذا الامر هو الذى اقتضى لى هذه الريبة من عملكن ان كيدكن عظيم قال بعض العلماء انا اخاف النساء اكثر مما اخاف الشيطان لان الله تعالى
يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم واقول لا شك ان القرآن كلام الله الا ان هذا حكاية قول الشاهد فلا يثبت
ما ادعاه ذلك العالم ولو سلم فالمراد ان كيد الشيطان ضعيف بالنسبة الى ما يريد الله تعالى امضاءه وتنفيذه وكيد النساء عظيم بالنسبة الى كيد الرجال فانهن
يغلبنهم ويسلبن عقولهم اذا اعرضن انفسهن عليهم ولهذا قال ما هو التسلط على الشيطان ثم قال الشاهد يوسف اى يا يوسف حذف حرف النداء اعرض
عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفرى يا امرأة لذنبك فى الاستغفار اما من الزوج او من الله تعالى لانهم كانوا يثبتون الاله الاعظم ويجعلون الاصنام
شفعاء لهذا قال يوسف لصاحبى السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار انك كنت من الخاطئين من المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا
اذنب متعمدا والتذكير للتغليب قيل الضمير فى رأى وفى قال لزوج المرأة وانه كان قليل الغيرة فلذلك اكتفى منها بالاستغفار قاله ابو بكر الاصم
وقال نسوة هى اسم مفرد لجمع المفرد المرأة وتانيثه غير حقيقى ولذلك حسن حذف التاء من فعله وقد يضم نونها قال الكلبى هن اربع فى مدينة مصر
امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وزاد مقاتل امرأة الحاجب الفتى الغلام الشاب والفتاة الجارية قد شغفها اى خرق حبه
شغاف قلبها والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب وحبا نصب على التمييز وحقيقته شغفه اصاب شغافه كما يقال كبده اذا اصاب كبده
وكذا قياس سائر الاعضاء وقرئ بالعين المهملة اى احرقها مع تلذذ من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران وقال ابن الانبارى هذا من الشعف وهو رؤس
الجبال اى ارتفع محبته الى اعلى المواضع من قلبها انا لنراها فى ضلال مبين فى الخطاء عن طريق الصواب فلما سمعت بمكرهن اغتيابهن وسوء قالتهن فيها وانما سمى
الاغتياب بالمكر لاشتراكهما فى الاخفاء وقيل انها اسرت اليهن كتمان سرها فافشينه فسمى مكرا ارسلت اليهن تدعوهن وقيل اردن بذلك ان يتوسلوا
الى رؤية يوسف فلهذا سمى مكرا وقيل كن اربعين امرأة واعتدت وهيات لهن متكأ موضع اتكاء واصله موتكا لانه من توكات ابدلت الواو تاء ثم ادغمت و
المراد هيات لهن نمارق يتكئن عليها كعادة المترفات ولعلها قصدت بذلك تهويل يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات فى ايديهن
السكاكين توهمهن انهن يثبن عليه وقيل المتكأ مجلس الطعام لانهن كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث على هيئة المنعمات ولذلك نهى ان ياكل الرجل
متكئا وانهن لسكاكين يعالجن بها ما ياكلن بها وقيل اراد بالمتكأ الطعام على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له متكأ وقال مجاهد
هو طعام يحتاج الى ان يقطع بالسكين لان القاطع متكئ على المقطوع بالة القطع وقرئ متكا مضموم الميم ساكن التاء مقصورا وهو الاترج فلما رأينه اكبرنه
اعظمنه وهبن ذلك الجمال وكان احسن خلق الله الا ان نبينا صلى الله عليه وسلم كان املح قيل كان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه ربه وما كان احد يستطيع وصفه وقيل كان يرى تلألؤ
وجهه على الجدران وقد ورث الجمال من جدته سارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التى عرج بى الى السماء فقلت لجبرئيل من هذا فقال يوسف
فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقال الازهرى اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت اى اكبرن المرأة اى دخلت فى الكبر بالحيض وذلك
حيضهن مما بان المرأة اذا رعبت سقطت ولدها فحاضت وقيل فالمراد حضن دهشة وقيل اكبرنه لما راين عليه من نور النبوة وسيما الرسالة واثار

فحبسوه ودخل معه اي مصاحباً له في الدخول السجن فتيان غلامان للملك الاكبر خبازه وشرابيه نقلاً عن ائمة التفسير واستدلالاً لا برؤياهما المناسبة لحرفتهما رفع الى الملك انهما ارادا سمه في الطعام والشراب فامر بادخالهما السجن ساعة اذ دخل يوسف قال احدهما اني اراني اي في المنام لقولهما نبئنا بتأويله وهو حكاية حال ماضية اعصر خمراً اي عنباً تسمية للشيء باسم ما يؤل اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب والضمير في قوله بتأويله يعود الى ما قصا عليه وقد يوضع علامة الضمير موضع اسم الاشارة كانه قيل نبئنا بتأويل ذلك انا نراك من المحسنين عبارة الرؤيا وكان اهل السجن يقصون عليه رؤياهم فيئولها لهم او نراك من العلماء عرفا ذلك بالقرائن او من المحسنين في طاعة الله وطلب مرضاته ففرج عنا الغمة بتأويل ما رأيناه ان كانت لك يد في تأويل الرؤيا وعن قتادة وكان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا ما احسن وجهك وما احسن خلقك من انت يا فتى فقال انا يوسف صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي ومجاهد انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل كرم عليه ثلثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اراني وفوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا يأتيكما طعام الى آخره هذا ليس بجواب لهما ظاهراً وانما قدم هذا الكلام لوجوه منها ان احد التعبير لما كان هو المصلوب كان في سماعه كراهة ونفرة اراد ان يقدم قبل ذلك ما يوثق بقوله ويخرجه عن معرض التهمة والعداوة واراد ان يبين علو مرتبته في العلم وانه ليس المعبرين الذين يعبرون عن ظن وتخمين ولهذا قال السدي اراد لا يأتيكما طعام ترزقانه في النوم يبين لكما ان تأويل الرؤيا ليس مقصوراً على شيء دون غيره وقيل انه محمول على اليقظة وانه على ادعى معرفة الغيب كقول عيسى وانبئكم بما تأكلون اي اخبركما قبل ان يأتيكما انه اي طعام هو واي لون هو وكم هو وكيف يكون عاقبته اهو ضار ام نافع وان فيه سماً ام لا فيه وروي ان الملك كان اذا اراد قتل انسان صنع له طعاماً مسموماً فارسله اليه ثم قال ذلكما اي هذا التأويل والاخبار بالمغيبات من قبيل الوحي والالهام لا من التكهن والتنجيم التي يكثر فيهما وقوع الخطاء ثم بين انه وملته مشرفة الى انه رسول من عند الله ونبههما على ان الاشتغال بمصالح الدنيا حتى ان الرجل الذي سيصلب لعله يسلم فلا يموت على الكفر فقال اني تركت اي رفضت بل ما كنت قط ويجوز ان يكون قبل ذلك غير مظهر للتوحيد خوفاً منهم لانه كان يختلط بهم وانما كرر لفظة هم تنبيهاً على انهم مخصوصون في ذلك الزمان بانكار المعاد وتعريضاً بان اهل السجن بعد معاينة الآيات الشاهدة على براءته لا يصدقون الا عمي بنكر الجزاء اشد انكار والمراد باتباع ملة آبائه الاتباع في الاصول التي لا يتبدل بتبدل الشرائع ومعنى التنكير في قوله من شيء الرد على كل طائفة خالفت الملة الحنيفية من عبدة الاصنام والكواكب وغيرهم ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس لانه يشكرون نعمة الله الايمان او نعمة اعطاء القدرة والاختيار الايمان فلا ينظرون في الدلائل وهذا يناسب اصول المعتزلة وعن بعضهم انا لا نشكر الله على الايمان بل الله يشكرنا عليه كما قال فاولئك كان سعيهم مشكوراً يا صاحبي السجن اراد يا صاحبيّ في السجن كقوله يا سارق الليلة خصهما بهذا النداء لانهما دخلا السجن معاً وارادهما ساكني السجن كقوله اصحاب النار فسبب التعبير انهما استفتياه من بين الساكنين ثم انكر عليهم عبادة الاصنام فقال ءارباب متفرقون في العدد والجهة وفيما يتبعها من اختلاف الاعراض والابعاض خير ام فرض خيرهم الله الواحد القهار لان وحدة المعبود تستدعي توحيد المطلب وتفريد المقصد وكونه قهاراً غالباً غير مغلوب من وجه يوجب حصول كل ما يرجى منه من ثواب وصلاح اذا تعلقت ارادته بذلك فلا يصلح للمعبودية الا هو ولا يصلح حقيقة الالهية في غيره فلذلك قال ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها اي سميتم الالهة بتلك الاسماء انتم وآباؤكم والخطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر كانه لا يعبدون الا اسماء فارغة عن المسميات ما انزل الله بها بتسميتها من سلطان اي حجة ثم لما نفى معبودية الغير بين ان لا حكم في امر الدين والعبادة الا له في الحكم فقال ان الحكم الا لله ثم ذكر ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت بالبراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مبدأ المبادي والمعاد الحقيقي فيتخذون غيره معبوداً ويجعلون لغيره من الاصنام والاجرام بالاستقلال فعلاً وتأثيراً ثم شرع في اجابة مقترحهما وهو تأويلها فقال اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه سيده خمراً يروى انه قال له ما رأيت من الكرم وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلثة فانها ثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلثة ايام ثم تخرج فتصلب فتأكل الطير من راسك قوله قضي الامر قال في الكشاف ما وحد الامر وهما امران مختلفان استفتيا فيهما لان الامر المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا لاجله فكانهما استفتياه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك استدلالاً لا برؤياهما فقال ان ذلك الذي ذكرته من امر التأويل كائن لا محالة صدقتما او كذبتما وقيل عكساً رؤياهما فلما علم الخباز ان تأويل رؤياه شر انكر كونه صاحب تلك الرؤيا فقال يوسف ان الذي حكمت به لكل منكما واقع لا بد منه ومن هنا قالت الحكماء ينبغي ان لا يقص الرؤيا ولا يعبر عن وجهها فان الفال على ما جرى وقال يوسف للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك اي اذكرني عند الملك اني مظلوم من جهة اخوتي اخرجوني وباعوني ثم اني مظلوم من جهة النسوة اللاتي حبسنني والضمير في ظن ان كان للرجل الناجي فلا اشكال لانهما ما كانا مؤمنين بنبوة يوسف بل كانا حسني الاعتقاد فيه وكان قوله لم يفد في حقهما الا مجرد الظن وان عاد الى يوسف فيرد عليه انه كان قاطعاً بنجاته فما المعنى للظن واجيب بانه انما ذكر ذلك التعبير بناء على الاصول المقررة في ذلك العلم فكان كالمسائل الاجتهادية والاصح انه قضى به ذلك على سبيل البت والقطع لقوله ذلكما مما الآيات لقوله ذلكما مما علمني ربي فالظن على هذا بمعنى اليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اما الضمير في قوله فانساه الشيطان فمن الناس من قال انه يعود الى الرجل الناجي اي انساه الشيطان ذكر يوسف لسيده او عند سيده فاضافة الذكر الى الرب للملابسة لاجل انه فاعل او مفعول او المضاف

محذوف تقديره فانساه ذكر اخباره وتدبره واسند الانساء الى الشيطان مجازا لان الانساء عبارة عن ازالة العلم عن القلب والشيطان لا قدرة له على ذلك والا لازال معرفة الله من قلوب بني آدم وانما فعله القاء الوسوسة واحضار الهواجس التي هي من اسباب النسيان ومنهم من قال الضمير راجع الى يوسف والمراد بالرب هو الله تعالى اي الشيطان انسى يوسف ان يذكر الله تعالى وعلى القولين عوتب باللبث في السجن بضع سنين والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة لانه من القطع العدد والبضع القطع ومثله العضب والاكثرون على ان المراد به في الآية سبع سنين وعن ابن عباس كان قد لبث خمس سنين وقد اقترب خروجه فلما تضرع الى ذلك الرجل لبث بعد ذلك سبع سنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن وعن مالك انه لما قال له اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال طول البلاء انساني ذكر المولى فقلت كلمة فويل لاخوتي قال المحققون الاستعانة بغير الله في دفع الظلم جائز فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فحرسه فنام وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله ولا خلاف في جواز الاستعانة بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق الا ان يوسف انما عوتب على قوله اذكرني عند ربك لوجوه منها انه لم يقتد بالخليل جده حين وضع في المنجنيق فلقيه جبرئيل في الهواء وقال هل من حاجة فقال اما اليك فلا ومنها انه اتبع ملة آبائه ومنها انه قال ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وهذا يقتضي نفي الشرك على الاطلاق وتفويض الامر بالكلية الى الله سبحانه فقوله اذكرني عند ربك كالمناقض لهذا الكلام ومنها انه قال عند ربك ومعاذ الله انه زعم انه الرب بمعنى الاله الا ان اطلاق هذا اللفظ على غير الله لا يليق بمثله وان كان رب الدار ورب الغلام مستعملا في كلامهم ومنها انه لا يقترن بكلامه انشاء الله ولما دنا فرج يوسف اراه الله في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاضطرب الملك بسببه لان فطرته قد شهدت بان استيلاء الضعيف على القوي منذر بنوع من انواع الشر الا انه لم يعرف تفصيله والشيء اذا علم من بعض الوجوه عظم الشوق الى تكميل تلك المعرفة ولا سيما اذا كان صاحبه ذا قدرة ومكنة فبهذا الطريق امر الملك بجمع الكهنة والمعبرين وقال يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ثم انه تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه فاعجز الله اولئك الملأ عن جواب المسئلة وعماه عليهم حتى قالوا اضغاث احلام ونفوا عن انفسهم كونهم عالمين بتأويلها واعلم ان الله سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك ومطالعة اللوح المحفوظ الا ان المانع لها عن ذلك في اليقظة هو اشتغالها بتدبير البدن وبما يرد عليها من طريق الحواس وفي وقت النوم يقل تلك الشواغل فتقوى النفس على تلك المطالعة فاذا وقعت الروح على حالة من تلك الاحوال فان بقيت في الخيال كما شوهدت لم يحتج الى التأويل وان نزلت آثار مخصوصة مناسبة لذلك الادراك الروحاني الى عالم الخيال فهناك يفتقر الى المعبر ثم منها ما هي منتسقة منتظمة يسهل على المعبر الانتقال من تلك المتخيلات الى الحقائق الروحانية ومنها ما يكون مختلطة مضطربة لا يضبط تحليلها وتركيبها للتشويش وقع في ترتيبها وتأليفها فهي المسماة بالاضغاث وبالجملة فالاضغاث ما يكون مبدأها تشويش القوة المتخيلة لفساد وقع في القوى البدنية او لورود امر غريب عليها من خارج لكن القسم المذكور قد يعد من الاضغاث من حيث انها تعسر على المعبر تأويلها ولنشتغل بتفسير الالفاظ اما الملك فريان بن الوليد ملك مصر وقوله اني ارى حكاية حال ماضية وسمان جمع سمينة وسمين وسمينة يجمع على سمان كما يقال رجال كرام ونسوة كرام قال النحويون اذا وصف المميز فالاولى ان يوقع الوصف صفة للمميز كما في الآية دون العدد لانه ليس بمقصود بالذات فلهذا قيل سمان بالجر ليكون وصفا للبقرات ويحصل التمييز للسبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن ولو نصب جعل تمييز السبع بجنس البقرات ولم يعلم من الوصف ان المميز بالجنس موصوف بالسمن والعجف هو الهزال الذي ليس بعده هزال والنعت اعجف وعجفاء وهما لا يجمعان على فعال ولكنه حمل على سمان لانه نقيضه وقوله سبع عجاف تقديره بقرات سبع عجاف فحذف للعلم به كما في قوله واخر يابسات التقدير وسبعا اخر ولا تضاف المعنى الى هذا العدد وانما لم يقل سبع عجاف على الاضافة لان التمييز لا يقع بالوصف وحده وقولهم ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب لانه وصف جرى مجرى الاسم ولا يجوز ان يكون قوله واخر مجرورا عطفا على سنبلات لان لفظ الاخر يأباه ويبطل مقابلة السبع بالسبع واراد بالملأ الاعيان من العلماء والحكماء واللام في للرؤيا للبيان كما قلنا في وكانوا فيه من الزاهدين او لان عمل العامل فيما تقدم عليه يضعف فيعضد باللام كما يعضد اسم الفاعل بها وان تأخر معموله او لان قوله للرؤيا خبر كان كقوله هو لهذا الامر اي متمكن منه مستقل به وتعبرون خبر آخر او حال او تضمن تعبرون معنى تنتدبون لعبارة الرؤيا والفصيح عبرت الرؤيا بالتخفيف وقد يشدد واشتقاقها من العبر بالكسر فالسكون وهو جانب النهر فيقال عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وعبرت الرؤيا اذا تأملت ناحيتها فانتقلت من احد الطرفين الى الآخر والاضغاث جمع ضغث وهو الحزمة من انواع النبت والحشيش مما طال ولم يقم على ساق والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والصيغة للجمع لكن الواحد قد يوصف كما يقال رمح اقصاد وبرمة اعشار فالمراد هي حلم اضغاث احلام وقد يطلق الجمع ويراد به الواحد كقولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم وان لم يركب الا فرسا واحدا ولم يلبس الا عمامة واحدة ويجوز ان يكون قد قص عليهم احلام اخر واللام في الاحلام اما للعهد كأنهم ارادوا المنامات الباطلة او للجنس وارادوا انهم غير متبحرين في علم تأويل الرؤيا ولما اعضل على الملأ تأويل رؤيا الملك تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه المصلوب وتذكره قوله اذكرني عند ربك وذلك قوله سبحانه وادكر واصله اذتكر فقلبت التاء دالا لتناسب الدال كلاهما دال الا انه مهملة وادغمت بعد امة اي بعد حين كانها حصلت من اجتماع ايام كثيرة وقرئ بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بوزن عمه معناه انا انبئكم بتأويله انا اخبركم بمن عنده علمه فارسلون اليه لاسئله والخطاب للملك والجمع للتعظيم او له وللملأ حوله والمعنى مرني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن



السجن الى المدينة وههنا اضمار والمراد فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق اي البليغ الكامل في الصدق ووصفه بهذه الصفة لانه عرف
احواله من قبل وفيه انه يجب على المتعلم تقديم ما يفيد المدح لمعلمه وانما اعاد عبارة الملك بعينها لان التعبير يختلف باختلاف العبارات وقوله لعلي ارجع فيه
نوع من حسن الادب لانه لم يقطع بانه يعيش الى ان يعود اليهم وعلى تقدير ان يعيش فربما عرض له ما يمنعه عن الوصول اليهم من الموانع التي لا تحصى كثرة و
كذا في قوله لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيخلصوك او يعلموا اقوالك فيكون فيه نوع شك لانه رأى عجز سائر المعبرين وقيل كرر لعل مراعاة
لفواصل الاي والا كان مقتضى النسق لعلي ارجع الى الناس فيعلموا ومثله في هذه السورة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون
قال يوسف في جواب الفتوى تزرعون سبع سنين وهو خبر في معنى الامر يفيد المبالغة في ايجاب ايجاد المامور به قال في الكشاف والدليل على كونه
في معنى الامر قوله فذروه في سنبله واقول يمكن ان يكون قوله تزرعون اخبارا عما سيوجد منهم في زمن الغيث والمطر لان الزرع يلزم بزوال الامطار
عادة وقوله فما حصدتم ارشاد لهم الى الاصلح لهم في ذلك الوقت دأبا بتسكين الهمزة وتحريكها مصدر دأب في العمل اذا استمر عليه والانتصاب على
الحال اي تزرعون ذوي دأب وعلى المصدر والحال فعلها اي تدأبون دأبا ثم امرهم بان يتركوه في السنابل الا القدر الذي يأكلونه في الحال
لئلا يقع فيه السوس ثم يأتي من بعد ذلك فيه دليل على ان تزرعون بمعنى الامر سبع سنين شداد على الناس يأكلن ما قدمتم لهن
الاسناد مجازي لان الآكلين اهل تلك السنين لا السنون الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخبأون والاحصان جعل الشيء في الحصن كا
لاحراز جعل الشيء في الحرز ثم اخبر انه يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت وفيه يعصرون العنب
والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بالسنين المجدبة ثم بشرهم بالبركة
في العام الثامن فقال المفسرون انه قد عرف ذلك بالوحي عن قتادة زاده الله علم سنة وقيل عرف استدلالا فليس بعد انتهاء الجدب الا الخصب والجواب انه لا
يلزم من انتهاء الجدب الخصب والخير الكثير فقد يكون توسط الحال وايضا في قوله وفيه يعصرون نوع تفصيل لا يعرف الا بالوحي ولما رجع الشرابي الى الملك وعرض
عليه التعبير استحسنه فقال ائتوني به فجعل الله سبحانه علمه سببا لخلاصه من المحنة الدنيوية فيعلم منه ان العلم سبب الخلاص من المحن الاخروية ايضا فلما جاءه الرسول
وهو الشرابي فقال اجب الملك قال يوسف ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ما شأنهن وما حالهن ان ربي اي الله العالم
بخفيات الامور او العزيز الذي رباه بكيدهن عليم وعلى الاول اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه او اراد
الوعيد اي هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وكيدهن ترغيبهن اياه في مواقعة سيدته او تقبيح صورته عند العزيز حتى يرضى بسجنه ومن لطائف الاية
انه اراد فسئل الملك ان يسأل عما بالهن الا انه راعى الادب فاقتصر على سؤال الملك عن كيفية الواقعة فان ذلك مما يهيجه على البحث والتفتيش ومنها انه
لم يذكر سيدته بسوء بل ذكر النسوة على التعميم ومع ذلك لم يصرح بذنبهن ايضا فوصفهن بتقطيع الايدي فقط لا بالترغيب في الخيانة عن النبي صلى الله عليه وسلم
لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد
عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان
كان لحليما ذا اناة قال العلماء ان الذي عمله يوسف هو اللائق بالحزم والعقل لانه لو خرج في الحال فربما بقي في قلب الملك من تلك التهمة اثر ولعل
الحساد يتسلقون بذلك الى تقبيح امره عنده وفي هذا التأني والتثبت تلاف لما صدر منه في قوله للشرابي اذكرني عند ربك قال الملك بعد
احضار النسوة ما خطبكن ما شأنكن العظيم اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن او الى زليخا قيل الخطاب لزليخا والجمع للتعظيم وقيل خا
خاطبهن جميعا لان كل واحدة منهن راودت يوسف لنفسها او لاجل امرأة العزيز قلن حاش لله تعجبا من عفته ونزاهته قالت امرأة العزيز حين عرفت انه لا
بد من الاعتراف الان حصحص الحق وضح وانكشف وتمكن في القلوب من قولهم حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة والاستقرار على الارض وقال الزجاج
اشتقاقه من الحصة اي بانت حصة الحق من حصة الباطل اما قوله سبحانه ذلك ليعلم الى تمام الآيتين ففيه قولان الاول وعليه الاكثرون انه حكاية
قول يوسف قال الفراء ولا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به والاشارة الى الحادثة الحاضرة
بقوله ذلك لاجل التعظيم والمراد ما ذكر من رد الرسول والتثبت في اظهار البراءة وعن ابن عباس انه لما دخل على الملك قال ذلك والاظهر انه قال ذلك
في السجن عند عود الرسول اليه ومحل بالغيب نصب على الحال من الفاعل اي وانا غائب عنه او من المفعول اي وهو غائب عني او على الظرف اي بمكان
الغيب وهو الاستتار وراء الابواب المغلقة وقيل هذه لو ثبتت لوقعت في حق العزيز فكيف قال ذلك ليعلم الملك واجيب بانه اذا خان وزيره
فقد خان الملك من بعض الوجوه او اراد ليعلم الله لان المعصية خيانة او المراد ليعلم الملك اني لم اخن العزيز او ليعلم العزيز اني لم اخنه وليعلم
ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وفيه تعريض بامرأته الخائنة وبالعزيز حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه فكانه خان
حكم الله وفيه تأكيد لامانته وانه لو كان خائنا لم يهد الله كيده ولا يخفى ان هذه الكلمات من يوسف مع الشهادة الجازمة والاعتراف الصريح من المرأة
دليل على نزاهة يوسف عليه السلام من كل سوء قال اهل التحقيق انه لما راعى حرمة سيدته في قوله ما بال النسوة اللاتي دون ان يقول ما بال زليخا ارادت ان
يكافيه على هذا الفعل الحسن فلا جرم ازالت الغطاء واعترفت بان الذنب كله منها فنظيره ما يحكى ان امرأة جاءت بزوجها الى القاضي وادعت عليه
المهر فامر القاضي بان يكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اداء الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فاني مقر بصداقها في دعواها فقالت المرأة لما

اكرمنى الى هذا الحد فاشهدوا انى بريئة منه من كل حق لى عليه ولما كان قول يوسف ذلك ليعلم جاريا مجرى تزكية النفس على الاطلاق فى هذه الواقعة وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم اتبع ذلك قوله وما ابرئ نفسى ان النفس اى هذا الجنس لامارة بالسوء مبالغة الى القبائح راغبة فى المعاصى وفيه ان تلك الجناية ما كانت بخط النفس وشرهها ولكن كان بتوفيق الله تعالى وتسهيله وصرفه الا ما رحم ربى بالعصمة كالملائكة او المراد انها امارة بالسوء فى كل وقت الا وقت رحمة ربى او الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة القول الثانى انه حكاية قول المرأة اى يوسف ما كان حاضرا فى ذلك المجلس المعنى وان كنت احلت عليه الذنب عند حضوره ولكنى ما احلته عليه فى غيبته حين كان فى السجن وان الله لا يهدى فيه تعريض بانها لما اقدمت على المكر لا جرم طهره الله تعالى وما ابرئ نفسى من الخيانة مطلقا فانى قد خنته حين قلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا اوحين اودعته السجن ثم انها اعتذرت عما كان منها فقالت ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى كنفس يوسف ان ربى غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت قال المحققون النفس الانسانية شئ واحد فاذا مالت الى العالم العلوى كانت مطمئنة واذا مالت الى العالم السفلى والى الشهوة والغضب سميت امارة وفى هذا ان غالب احوالها الالتفات الى العالم الحسى وقرارها فيه فلا جرم اذا خليت وطباعها انجذبت الى هذه الحالة فلهذا قيل انها من حيث هى امارة بالسوء واذا كانت منجذبة مرة الى العالم العلوى ومرة الى العالم السفلى سميت لوامة ومنهم من زعم ان النفس المطمئنة هى الناطقة العلوية والنفس الامارة منطبعة فى البدن مجبولة على الشهوة والغضب وسائر الاخلاق الرذيلة وتمسكت الاشاعرة بقوله الا ما رحم ظاهر لانه دل على ان صرف النفس عن السوء بخلق الله وتكوينه وحملت المعتزلة على منح الالطاف والله اعلم بالحقائق وفى التأويلات لما ادخل يوسف القلب سجن الشريعة دخل معه غلامان لملك الروح هما النفس والبدن فان الروح العلوى لا يعمل عملا فى السفل الدنيوى الا من مشرب النفس فهى صاحب شرابه والبدن يهيئ من الاعمال الصالحة ما يصلح لغذاء الروح فان الروح لا يبقى الا بغذاء روحانى كما ان الجسم لا يبقى الا بغذاء جسمانى وانما حبسا فى سجن الشريعة لانهما متهمان بجعل سم الهوى والمعصية فى شراب ملك الروح وطعامه وفى رؤياهما دلالة على انهما من الدنيا واهل الدنيا نيام فاذا ماتوا انتبهوا انا نريك من المحسنين الذين يعبدون الله كانهم يرونه انى تركت ملة قوم فيه اشارة الى ان القلب مهما ترك ملة النفس والهوى والطبيعة علمه الله علم الحقيقة اما احدكما فيسقى ربه اى سيده باقداح المعاملات والمجاهدات شراب المكشوفات والمشاهدات وهى باقية فى خدمة ملك الروح ابدا واما الآخر وهو البدن فيصلب بجذع الموت فتأكل طير اعوان ملك الموت من رأسه الخيالات الفاسدة قضى فى الازل هذا الامر اذكرنى عند ربك يعنى ان القلب المسجون فى بدء امره يلهم النفس بان تذكره المعاملات المستحسنة الشرعية عند الروح ليتقوى بها الروح وينتبه عن نوم الغفلة الناشئة من الحواس الخمس ويسعى فى استخلاص القلب عن اثر الصفات البشرية بالمعاملات الروحانية مستمدا من الالطاف الربانية ثم ان الشيطان بوساوسه ومحادثات النفس انساهما القلب والشيطان انسى القلب ذكر الله حين استغاث بالنفس ليذكره عند الروح ولو استغاث بالله لخلصه فى الحال فلبث فى السجن بضع سنين اشارة الى الصفات البشرية السبع التى بها القلب محبوس وهى الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة والغضب والكبر ارى سبع بقرات سمان هن الصفات المذكورة ياكلهن سبع عجاف هن اضدادها وهى القناعة والسخاوة والعفة والغبطة والشفقة والحلم والتواضع يا ايها الملأ يعنى الاعضاء والجوارح والحواس والقوى افتونى فيما رأيت فى غيب الملكوت وما نحن بتأويل الاحلام اى ليس التصرف فى الملكوت وشواهدها من شأننا فارسلون فيه ان النفس اذا ارادت ان تعلم شيئا مما يجرى فى الملكوت ترجع بقوة المتفكرة الى القلب فتستخبر عنه فالقلب ترجمان بين الروحانيات والنفس فيما يفهم من لسان القلب الغيبى ايها الصديق لانه مصدق فيما يرى من شواهد الحق ويصدق فيما يوحى للخلق ما كذب الفؤاد ما رأى حدثنى قلبى عن ربى فان الكشاف ارجع الى الناس اى الى الاجزاء الانسانية تزرعون سبع سنين اشارة الى تربية الصفات البشرية السبع بالعادة والطبيعة فى اوان الطفولية فذروه فى سنبله اى ما حصلتم من هذه الصفات فذروه فى مكانه ولا تستعملوه الا قليلا مما تعيشون به الى اوان البلوغ وظهور نور العقل فى مصباح السر فى زجاجة القلب كأنها كوكب درى ثم اذا ايد نور القلب العقل بانوار تكاليف الشرع وشرف بالهام الحق فى اظهار فجور النفس وتقويها فتزكيها عن هذه الصفات وتحليها بالصفات الروحانية السبع فكان السبع العجاف كالسبع السمان وانما سمى ما هو من عالم الارواح عجافا للطافتها وما هو من عالم الاجسام سمانا لكثافتها الا قليلا مما تحصنون به الانسان حيوة قالبه ثم يأتى من بعد ذلك عام اى بعد غلبات الصفات البشرية تظهر مقام فيه يتدارك السالك جذبات العناية فيه يغاث العبد من معاملاته وينجو من حبس وجوده وحجب انانيته ولما اخبر القلب بنور الله ما رآه الروح فى عالم الملكوت وتأويله استحق قرب الروح وصحبته فاستدعى حضوره على لسان رسول النفس فرده اليه وقال سله ما بال النسوة لان الاوصاف الانسانية لما رأين جمال القلب المنور بنور الله قطعن ايديهن من ملاذ الدنيا وشهواتها وآثرن السعادة الاخروية على الشهوات الفانية ليعلم انى لم اخنه بالغيب اى القلب المنظور نظر العناية لما غاب عن حضرة الروح لاشتغاله بتربية النفس والقالب ما خانه بالالتفات الى الدنيا ونعيمها وان الله لا يهدى كيد الخائنين الذين يبيعون الدين بالدنيا ثم قال اظهارا للعجز عن نفسه وللفضل من ربه وما ابرئ نفسى ان النفس جبلت على الامارية ولكن اذا رحمها ربها بفضله وبغيرها فاذا تنفس صبح الهداية صارت لوامة نادمة على فعلها والندم توبة واذا طلعت شمس العناية صارت ملهمة فالهمها فجورها وتقويها واذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية اشرقت الارض بنور ربها وصارت النفس مطمئنة مستعدة لجذبة ارجعى الى ربك راضية



مرضية إن ربي غفور رحيم لنفس تابت ورجعت إليه رحيم لمن أحسن بالعبد وعبادته والله حسبنا ونعم الوكيل وقال الملك ائتوني به
أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وكذلك مكنا
ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون
وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي
الكيل وأنا خير المنزلين فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون وقال لفتيانه
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل
فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد
كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله
على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت
وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه
لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون القراءات حيث نشاء بالنون ابن كثير الآخرون بياء الغيبة إني أوفي بفتح ياء المتكلم نافع
غير إسمعيل لفتيانه خير حافظا حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الباقون لفتيته خير حفظا يكتل بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون
تؤتوني بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو عمرو ويزيد وإسمعيل في الوصل الوقوف لنفسي أمين الأرض ج لانقطاع النظم مع اتصال
المعنى عليم في الأرض لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال حيث يشاء المحسنين يتقون منكرون من أبيكم ج لحق الاستفهام مع اتحاد القائل
المنزلين ولا تقربون لفاعلون يرجعون لحافظون من قبل ط لانتهاء الاستفهام إلى الإخبار حافظا ص الراحمين إليهم ط لتمام جواب لما ما نبغي ط لأن ما بعده جملة مستأنفة
موضحة للاستفهام فيما بعد البناء لاحتمال العطف والاستئناف على ونحن نمير كيل بعير ط يسير بكم ج قال الله قيل يسكت بين الفعل والاسم لأن القائل يعقوب
لا الله سبحانه والأحسن أن يفرق بينهما بقوة النغمة فقط لئلا يلزم الفصل بين القائل والمقول وكيل متفرقة ط من شيء ط إلا لله ط توكلت ج المتوكلون أبوهم ط
لأن جواب لما محذوف أي سلموا بإذن الله قضاها ط لا يعلمون التفسير الأظهر أن هذا الملك هو الريان لا العزيز لأن قوله أستخلصه لنفسي يدل على أنه قبل
ذلك ما كان خالصا له وقد كان يوسف قبل ذلك للعزيز وفي قول يوسف اجعلني على خزائن الأرض دلالة أيضا على ما قلنا والاستخلاص طلب خلوص الشيء من
شوائب الاشتراك ومن عادة الملوك أن ينفردوا بالأشياء النفيسة روي أن جبرئيل دخل على يوسف في السجن وقال قل اللهم اجعل لي من عندك فرجا
ومخرجا وارزقني من حيث لا أحتسب فقبل الله دعاءه وأظهر هذا السبب في تخليصه فجاءه الرسول وقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لأهله وكتب
على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه فلما كلمه احتمل أن يكون ضمير الفاعل ليوسف وللملك
وهذا أولى لأن مجالس الملوك لا يحسن ابتداء الكلام فيها لغيرهم يروى أن الملك قال له أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات
فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك بعينها فتعجب من وفور علمه وحدسه وكان قد علم
من حاله ما علم من نزاهة ساحته وعدم مسارعته في الخروج من السجن وقد وصفه الشرابي من جهة في الطاعة والإحسان إلى سكان السجن فأوجب عظم
اعتقاده فيه فعند ذلك قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ويندرج في المكانة كمال القدرة والعلم أما القدرة فظاهرة وأما العلم فلأن كونه متمكنا
من أفعال الخير يتوقف على العلم بأفعال الخير وبأضدادها وكونه أمينا متفرع على كونه حكيما لأنه لا يفعل الفعل لداعي الشهوة وإنما يفعله لداعي الحكمة قال
المفسرون لما حكى يوسف رؤيا الملك وعبرها بين يديه قال له الملك فما ترى أيها الصديق قال أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا و
تبني الخزائن والأهراء وتجمع الطعام فيها فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد من قبلك فقال الملك ومن لي
بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الأرض اللام للعهد أي خزائن أرض مصر والخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء أي
حفيظ للأمانات وأموال الخزائن عليم بوجوه التصرف فيها على وجه الغبطة والمصلحة وقيل حفيظ لوجوه أياديكم عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة و
الشفقة قال الواحدي هذا الطلب خطيئة منه وكانت عقوبته أن أخرته سنة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني
على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك أخره الله تعالى عنه سنة وقال آخرون إن التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه لأن النبي يجب عليه رعاية
الأصلح لأمته بقدر الإمكان وقد علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضيق فأراد السعي في إيصال النفع إلى المستحقين ودفع الضرر عنهم وإذا علم النبي أو العالم أنه
لا سبيل إلى دفع الظلم عن الناس إلا بالاستعانة من كافر أو فاسق فله أن يستظهر به قيل إن مجاهدا قد زعم أن الملك كان قد أسلم وقيل كان الملك
يصدر عن رأيه فكان في حكم التابع لا المتبوع ووصف نفسه بالحفظ والعلم على سبيل المبالغة لم يكن لأجل التمدح ولكن للتوصل إلى الغرض المذكور
وكذلك مثل ذلك التقريب والإنجاء من السجن مكنا ليوسف في الأرض أرض مصر وهي أربعون فرسخا في أربعين يتبوأ منها حيث يشاء وقرئ نشاء على التفنن

سورة يوسف

والمراد استقلاله بالتقلب لتصرف فيها بحيث لا ينازعه احد نصيب برحمتنا من نشاء فيه ان الكل من الله وبتيسيره وقالت المعتزلة تلك المملكة لما لم
يتم الا بامور فعلها الله صارت كانها من قبل الله تعالى وعلقوا ايضا المشيئة بالحكمة ورعاية الاصلح والاشاعرة نافتوا في هذا القيد ولا نضيع
اجر المحسنين لان اضاعة الاجر يكون للعجز او للجهل او للبخل والكل ممتنع في صفته تعالى ولاجر الآخرة خير من اجر الدنيا او خير في نفسه وفي قوله للذين
آمنوا وكانوا يتقون اشارة الى ان يوسف كان في الزمان السابق من المحسنين من المتقين ففيه دلالة على نزاهة يوسف من كل سوء قال سفيان بن عيينة
المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق يروى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي
فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته
فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واسلم على يديه الملك وكثير من الناس
وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الرأي رأيك قال
فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس
واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا فذلك قوله سبحانه وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
لم يعرفوه لان طول العهد ينسي ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم حين فارقوه صبيا بعدا مسافته ثم رأوه ملكا مهيبا جالسا على
السرير في زي الفراعنة ويحتمل ان يكون بينه وبينهم مسافة وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لان اثر تغيير الهيئات عليهم كان اقل لانه
فارقهم وهم رجال ولم يتغيروا لانهم عما هو عادتهم ولان همته كانت معقودة بهم بمعرفتهم ويحتمل ان يكون عرفهم بالوحي عن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا
له ولما جهزهم بجهازهم هو ما يحتاج اليه في كل باب منه جهاز العروس والميت قال الليث جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز السفر قال وسمعت
اهل البصرة يقولون الجهاز بالكسر قال الازهري القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة قال ائتوني باخ لكم من ابيكم قال العلماء لا بد من كلام يجر
هذا الكلام فروي انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم وما شأنكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد وجئنا نمتار
فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا
واحد فقال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون قالوا
قالوا انا ببلاد لا يعرفنا احد قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت
القرعة شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وقيل كانوا عشرة فاعطاهم عشرة احمال فقالوا ان لنا شيخا كبيرا واخا آخر بقي معه ولا بد لهما
من حملين اخوين فاستدل الملك بقيامه عند ابيه على زيادة محبته اياه وكونه فائقا في الجمال والادب فاستدعى منهم احضاره وقيل لعلهم لما ذكروا اباهم
قال يوسف فلم تركتموه وحيدا فريدا فقالوا لم يبق عنده واحد فقال لهم لم اختصصتموه بهذا المعنى لاجل نقص في جسده قالوا لا بل لزيادة محبته فقال
ان اباكم رجل عالم حكيم ثم انه خصه بمزيد المحبة مع انكم فضلاء ادباء فلا بد ان يكون هو ازيد عليكم في الكمال والجمال فائتوني به لاشاهده والاول اقول
المفسرين والاخوان محتملان ولما طلب منهم احضار الاخ جمع لهم بين الترغيب [margin: والترهيب] فالاول قوله الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين المضيفين وكان
قد احسن ضيافتهم اوزاد لكل من الاب والاخ الغائب حملا والثاني فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون مجزوم على النهي او داخل في
حكم الجزاء كانه قيل فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون ذلك لا نتواني وسعنا
في هذا الباب او لقادرون على ذلك وقال لفتيانه لغلمانه ولفتيته قراءتان وهما جمع فتى كالاخوان والاخوة في اخ فتعلة للقلة وفعلان هذا العمل
من الاسرار توجب كتمانه عن العدد الكثير وفعلان للكثرة ووجهه انه قال اجعلوا بضاعتهم في رحالهم والرحال عدد كثير فناسبه الجمع الكثير من
الغلمان الكيالين والبضاعة ما قطع من المال للتجارة والرحال جمع رحل والمراد به ههنا ما يستصحبه الرجل معه من الاثاث والاكثرون على انه امر بوضع
بضاعتهم في رحالهم على وجه لا يعرفون بدليل قوله لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم
الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل امر بوضعها على وجه عرفوها والمعنى لعلهم يعرفون حق ردها اما السبب الذي لاجله امر يوسف
بذلك فقيل ليعلموا كرم يوسف فيبعثهم ذلك على المعاودة وقيل خاف ان لا يكون عند ابيه من البضاعة ما يعودهم الى الرجوع او اراد به التوسعة
على ابيه لان الزمان كان زمان قحط او لان اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته لؤم او اراد ان يرجعوا ليعرفوا سبب الرد لولا انهم اولاد الانبياء فاحترزوا
ان لا يكون ذلك على سبيل السهو او اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم عيب ولا منة فلا يثقل على ابيه ارسال اخيه وقيل يرجعون متعمدا لما
لعلهم يردونها فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل ارادوا قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم لان انذار المنع بمنزلة المنع يؤيده قراءة من قرأ نكتل
بالنون اي نرفع المانع ونأخذ من الطعام ما نحتاج اليه ويحتمل ان يراد بانه منع والحال انهم اذا طلبوا الطعام لابيهم وللاخ المتخلف فلعله منع من ذلك ونقويه
هذا الاحتمال قراءة الغيبة اي يكتل اخونا فينضم اكياله الى اكيالنا قال هل آمنكم عليه ثمنوا كونهم حافظين له فقال يعقوب انكم ذكرتم مثل هذا

الكلام



الكلام في يوسف فهل يكون امني الان الا كامني فيما قبل يعني كما لم يحصل الامان وقتئذ فكذا الان والظاهر ان ههنا اضمارا والتقدير نتوكل على الله
فيه ودفعه اليهم وقال فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين او حافظا نصب على التمييز واحتمل الثاني الحال نحو لله دره فارسا وهو ارحم الراحمين ارجو ان لا
يجمع على مصيبتين وقيل انه تذكر يوسف فقال والله خير حافظا اي ليوسف لانه كان يعلم انه حي ولما فتحوا متاعهم هو عام في كل ما يستمتع به ويجوز ان
يراد به ههنا الطعام او الاوعية اما قوله ما نبغي فالبغي بمعنى الطلب وما نافية او استفهامية المعنى ما نطلب شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او ما نريد منك
بضاعة اخرى او اي شيء نطلب وراء هذا نستظهر بالبضاعة المردودة الينا ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فلا يصيبه شيء مما نخافه
ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائد على اوساقنا باعرنا فاي شيء نبغي وراء هذه المباغي ويجوز ان يكون البغي بمعنى الكذب والتزيد في القول على
ان ما نافية اي لا نكذب فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما
اكرمنا تلك الكرامة قال في الكشاف فعلى هذا التفسير لا يكون قوله ونمير معطوفا على معنى قوله هذه بضاعتنا وانما يكون قوله هذه بضاعتنا بيانا
لصدقه فيتم قوله ونمير معطوفا على ما نبغي او يكون كلاما مبتدأ اي وينبغي ان نمير كما يقول سعيت في حاجة فلان ويجب او ينبغي ان اسعى وجوز ان يراد ما نبغي
وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا ثم بينوا كونهم مصيبين في رأيهم بقولهم هذه بضاعتنا نستظهر لها في تمير اهلنا الى اخره ويقي
ماره اي طعام ذلك كيل يسير ذلك المكيل لاجلنا قليل نريد ان نضاف اليه ما يكال لاجل اخينا وقال مقاتل ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك القدر
سهل على الملك لا يتعاظمه وقيل يطول مقامنا بسببه اختاره الزجاج وجوز في الكشاف ان يكون هذا من كلام يعقوب يعني ان حمل بعير شيء يسير لا
يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا تعطوني ما اثق به من عند الله وهو الحلف لتأتنني به الا ان يحاط بكم استثناء من اعم العام
في المفعول له ويقع مثل هذا الاستثناء في الاثبات اذا استقام المعنى نحو قرأت الا يوم كذا وان شئت قدرته بالنفي اي لا تمتنعون من الاتيان به لعلة
من العلل الا لعلة واحدة هي ان يحاط بكم اي تهلكوا جميعا قاله مجاهد وتغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به قاله قتادة على ما نقول من طلب الموثق واعطائه
وكيل مطلع رقيب قال جمهور المفسرين انما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد خوفا عليهم من اصابة العين وههنا مقامان الاول ان الاصابة بالعين حق واليه ذهب
كثير من الائمة لما روي ان رسول الله صلعم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة اي جامعة للشر من
لمه اي جمعه والمراد ملمة والتغيير للمزاوجة وعن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلعم في اول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت اليه اخر النهار
فرأيته معافى فقال ان جبرئيل عم اتاني فرقاني وقال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من كل عين وحاسد الله يشفيك قال فافقت
وروي انه دخل رسول الله صلعم بيت ام سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا يا رسول الله اصابته العين قال افلا تسترقون له من العين حق ولو كان شيء
يسبق القدر لسبقت العين القدر وقالت عائشة كان يأمر العائن ان يتوضأ ثم يغتسل منه المعين المقام الثاني في الكشف عن حقيقته قال
الجاحظ يمتد من العين اجزاء فيتصل بالشخص المستحسن فيؤثر ويسري فيه كتأثير اللسع والسم والنار واعترض الجبائي وغيره بانه لو كان كذلك لاثر في غير
المستحسن كتأثيره في المستحسن واجيب بان المستحسن ان كان صديقا فيحصل للعائن عند ذلك الاستحسان خوف شديد من حصوله وعلى التقديرين
يسخن الروح ويتحصن في داخل القلب فيحصل في الروح الباصرة كيفية سخنة مؤثرة فلهذا السبب امر النبي صلعم العائن بالوضوء ومن اصابته العين
بالاغتسال منه وقال ابو هاشم وابو القاسم البلخي لا يمتنع ان صاحب العين اذا شاهد الشيء واعجب كانت المصلحة له في تكليفه ان يغير الله
ذلك الشخص حتى لا يبقى قلب المكلف معلقا به وقال الحكماء ليس من شرط المؤثر ان يكون تاثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة بل قد يكون التاثير
نفسانيا محضا او وهميا كالماشي على الجذع او تصوريا كما في الحركات البدنية وقد يكون للنفوس خواص عجيبة تتصرف في غير ابدانها
بحسبها فمنها المعجز ومنها السحر ومنها الاصابة بالعين اما الجبائي وغيره ممن انكر العين فقد قالوا ان اولاد يعقوب اشتهروا بمصر وتحدث الناس
بكمالهم وجمالهم وهيبتهم فلم يأمن يعقوب ان يخافهم الملك الاعظم على ملكه فيحبسهم وقيل انه كان عالما بان ملك مصر ولده الا ان الله تعالى لم ياذن له
باظهاره وكان غرضه ان يصل بنيامين اليه في غيبتهم قال ابراهيم النخعي واعلم ان العبد يجب عليه ان يسعى باقصى الجهد والقدرة ولكنه بعد
السعي البليغ يجب ان يعلم ان كل ما يدخل في الوجود فهو بقضاء الله وقدره وان الحذر لا يغني عن القدر فلهذا قال يعقوب وما اغني عنكم من الله من شيء
فقوله الاول مبني على رعاية الاسباب والوسائط وقوله الثاني الى اخر الاية اشارة الى الحقيقة وتفويض الامر بالكلية الى مسبب الاسباب وقد صدقه الله
تعالى في ذلك بقوله ما كان يغني عنهم من الله من شيء قال ابن عباس ما كان ذلك التفرق يرد قضاء قضاه الله تعالى وقال الزجاج وابن الانباري لو سبق في
علم الله ان العين تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وقال اخرون ما كان يغني عنهم رأي يعقوب شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم
من اضافة السرقة وحذف الاخ وتضاعف المصيبة على الاب الا حاجة استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي اظهار الشفقة و
النصيحة والخوف من اصابة العين او من حسد اهل مصر او من قصد الملك ثم مدحه الله تعالى بقوله وانه لذو علم يعني علمه بان الحذر والتوقي لما علمناه وحسن
اثاره واشار الى كونه عاملا بعلمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب او لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة في العلم وقيل المراد باكثر الناس المشركون لا
يعلمون ان الله تعالى كيف ارشد اولياءه الى العلوم التي تنفعهم في الدنيا والاخرة التاويل لما تبين للملك الروح قدر يوسف القلب امانته وصدقه وحسن
استعداده في الاصطفاء من بين صنف البشر ليكون خالصا له في كشف حقائق الاشياء وليعلم انه خلق لصلاح جميع رعايا مملكته روحانيه وجسمانيه



كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد بني آدم مضغة ان صلحت صلح بها سائر الجسد وان فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب فالقلب اختصاص آخر
بالله دون سائر المخلوقات قال سبحانه لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن اجعلني على خزائن ارض الجسد فان الله تعالى في كل عضو من
الاعضاء خزائن من اللطف ان استعمله الانسان فيما خلق ذلك العضو لاجله وخزائن من القهر ان استعمله تصدى الى حفظ الخزائن عليم باستعمالها
فيما ينفعهما دون ما يضرهما نصيب برحمتنا فيه ان اصابة اللطف من تلك الخزائن دون القهر موكولة الى مشية الله تعالى وجاء اخوة يوسف
هم الاوصاف البشرية فعرفهم يوسف القلب لانه ينظر بنور الله وهم له منكرون لبقائهم في الظلمة وحرمانهم عن النور ولما جهزهم بجهازهم يوسف القلب
لما التجأت اليه الاوصاف البشرية بدل صفاتها التي هي النفسانية بالصفات الحميدة الروحانية فاستدعى منهم احضار بنيامين السر لان السر لا
يحضر مع القلب الا بعد التبدل بل الملكوت واذا حضر معه يوفي باوفى الكيل ما يوف له الاوصاف البشرية اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فيه ان بضاعة
كل عمل من الاعمال التي يجيء بها الاوصاف البشرية الى حضرة يوسف مردودة اليها لان القلب مستغن عنها وانما الاوصاف البشرية محتاجة اليها
لان النفس بها تتأدب وتتزكى بها كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان تربية القلب بالاعمال القلبية كالنيات الصالحة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نية المؤمن
خير من عمله وكالعزائم الخالصة والاخلاق الحميدة والتوكل والاخلاص ثم كمال تربية القلب بالتحلية وتجلي صفات الحق وتمكنه ذاته لعلهم يرجعون
من صفة الامارية الى المامورية والاطمينان فيستحق بجذبة ارجعي الى ربك ودنت لبنا فوائد ما ترجع الى يوسف القلب ثمرة اهلنا الاعضاء والجوارح
تحصل لهم قوة زائدة على الطاعة بواسطة رسوخ الملكية له وتحفظ اخانا من الحوادث النفسانية والوساوس الشيطانية ونزداد بواسطة حضور
السر عند القلب كيل بعير من الفوائد الربانية ذلك كيل يسير لمن يسره الله لنا ثم يتم مع الفوائد الربانية الا ان يحاط بكم الا ان يغالب عليكم
الاحكام الازلية لا تدخلوا من باب واحد لا تفرغوا الى القلب بنوع واحد من المعاملات فللاشياء مدخل في التقريب لان الكل موكول الى
مسبب الاسباب ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل
اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير
وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد
في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان
لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل
فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا
فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما

ع

استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح
الارض حتى ياذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا
وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل
عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم القراءة اني انا اخوك بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع نرفع درجات من نشاء بالاضافة
وبالياء الغيبة في الفعلين سهل ويعقوب بالنون وبالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون وعلى الاضافة فلما استيأسوا وبابه بالالف
ثم الياء ابو ربيعة عن البزي وحمزة في الوقف ان شاء لين الهمزة الباقون بياء ثم همزة على الاصل لي ابي بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو
وفي ابن كثير في ابي الوقوف يعملون لسارقون تفقدون زعيم سارقين كاذبين فهو جزاؤه الظالمين من وعاء اخيه ليوسف شاء الله لان ما
بعده مستانف لنشاء عليم من قبل مكانا ج تصفون مكانه ج الثلثة لانقطاع النظم مع اتصال المعنى المحسنين عنده لتعلق اذا بما قبلها الظالمون
نجيا يوسف للابتداء بالنفي مع فاء التعقيب يحكم الله لي لاحتمال ما بعده الابتداء او الحال الحاكمين سرق ج لانقطاع النظم مع اتحاد القائل
حافظين اقبلنا فيها لاختلاف الجملتين والابتداء بان لصادقون امرا جميل جميعا الحكيم التفسير روي انهم لما اتوه باخيهم بنيامين انزلهم واكرمهم
ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا
فاجلسه معه على مائدته ثم امر ان ينزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا ثاني له فاتركوه معي فآواه اليه اي انزله في المنزل الذي كان ياوي اليه
فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح ولما راى تاسفه لاخ هلك قال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك
لكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال اني انا اخوك قال وهب اراد اني اقوم لك مقام اخيك في الايناس وعدم التوحش
وقال ابن عباس وسائر المفسرين اراد تعريف النسب لان ذلك اقوى في ازالة الوحشة ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة فلا
تبتئس فلا تغتم من البؤس الشدة والضرر اراد نهيه عن اجتلاب الحزن بما كانوا يعملون من دواعي الحسد والاعمال المنكرة التي اقدموا عليها يروى
ان بنيامين قال ليوسف انا لا افارقك فقال له يوسف قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك ولا سبيل الا
بان اشهرك بامر فظيع وانسبك الى ما لا يحسن قال انا راض بما رضيت قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك قد سرقته فذلك قوله سبحانه ولما



جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه والسقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع كان يسقى بها الملك والدواب ثم جعلت صاعا يكال
به وكان مستطيلا من ذهب وفضة مموهة بالذهب ومرصعا بالجواهر قوله ثم أذن مؤذن نادى مناد ومعناه راجع إلى الإيذان والإعلام إلا
أن التشديد يفيد التكثير والتصويب للنداء أيتها العير أراد أصحاب العير كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والعير الإبل التي عليها الأحمال لأنها
تعير أي تذهب وتجيء قيل هي قافلة الحمير كأنها جمع عير وأصلها فعل بالضم كسقف فعل به ما فعل ببيض لأجل الياء كما في بيض ثم كثر في الاستعمال حتى قيل
لكل قافلة عير وههنا سؤال وهو أنه كيف جاز لنبي الله أن يرضى بنسبة قوم إلى السرقة وهم برآء وأجاب العلماء بأنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم لأنهم
لما فقدوا السقاية غلب على ظنونهم أنهم أخذوها أو المؤذن ذكره على سبيل الاستفهام أو المراد أنهم سرقوا يوسف من أبيهم أو المراد أن فيكم سارقا
وهو الأخ الذي خفي التلبيس ههنا فلا ذنب لأن الخصم رضي بأن يبقى في حفظه ذلك ثم إن إخوة يوسف قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك
قيل صواع اسم للصاع والسقاية وصف ولمن جاء به أي بالصواع حمل بعير من طعام جعلا لمن حصله وأنا به زعيم كفيل هو من قول المؤذن وفيه أن الكفالة كانت
صحيحة في شرعهم أيضا إذا كان معلوما فكان حمل بعير كان عندهم شيئا معلوما كوسق مثلا إلا أن هذه كفالة مال لرد السرقة وهو كفالة ما لم يجب لأنه لا يحل
للسارق أن يأخذ شيئا على رد السرقة ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم قالوا تالله التاء بدل من الواو وضعفت عن التصرف في سائر الأسماء
وجعلت فيما هو أحق بالقسم وهو اسم الله عز وجل حلفوا على أمر تعجبين أحدهما أنهم علموا أن إخوة يوسف ما جاؤوا لأجل الفساد في الأرض بالنهب والغصب
ونحو ذلك حتى روي أنهم دخلوا وأفواه دوابهم مشدودة خوفا من أن يتناول زرعا أو طعاما لأحد في الطرق والأسواق وكانوا مواظبين على أنواع الطاعات
ورد المظالم حتى حكي أنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وثانيهما أنهم ما وصفوا قط بالسرقة قالوا أي أصحاب يوسف فما جزاؤه قال في الكشاف الضمير
للصواع والمضاف محذوف أي فما جزاء سرقته إن كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة قلت ويحتمل أن يعود إلى السارق وكان حكم السارق في
آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا في الجزاء حتى قالوا جزاؤه من وجد في رحله أي جزاء الرق قال الزجاج وقوله فهو جزاؤه زيادة في البيان
أي فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كما تقول حق السارق القطع جزاؤه للتقرير ما ذكر من استحقاقه ويجوز أن يكون مبتدأ وباقي الكلام جملة شرطية
مرفوعة المحل بالخبرية على أن الأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فيكون الضمير الثاني عائدا إلى المبتدأ والأول إلى من ولكنه وضع المظهر مقام
المضمر للتأكيد والمبالغة وجوز في الكشاف أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤول عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه
أما قوله كذلك أي مثل ذلك الجزاء نجزي الظالمين فيحتمل أن يكون من بقية كلام إخوة يوسف وأن يكون من بقية كلام أصحاب يوسف والله أعلم ثم قال لهم المؤذن ومن معه لا بد من تفتيش
أوعيتكم فانصرف بهم إلى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه لنفي التهمة والوعاء كل ما إذا وضع فيه شيء أحاط به قال قتادة كان لا ينظر في وعاء إلا
استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى إذا لم يبق إلا أخوه قال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فنظر ثم استخرجها أي السقاية
أو الصواع لأنه يذكر ويؤنث من وعاء أخيه فأخذوا برقبته وحكموا برقبته ثم قال سبحانه كذلك أي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه إياه
وأوحينا إليه والكيد مبدؤه السعي في الحيلة والخديعة ونهايته إلقاء الإنسان من حيث لا يشعر في أمر مكروه لا سبيل له إلى دفعه وقد سبق فيما تقدم
أن أمثال هذه الألفاظ في حقه تعالى محمولة على النهايات لا على البدايات وما هذا الكيد قيل هو أن إخوة يوسف سعوا في إبطال أمره والله تعالى نصره
وقواه وقيل الكيد يستعمل في الخير أيضا والمعنى كفعلنا بيوسف من الإحسان إليه ابتداء فعلنا به انتهاء وقيل تفسير هذا الكيد هو قوله ما كان
ليأخذ أخاه في دين الملك لأن حكم الملك في السارق أن يضرب ويغرم مثلي ما سرق فما كان يوسف قادرا على حبس أخيه عنده بناء على دين الملك
وحكمه إلا أن يشاء الله وهو أن الله كاده فأجرى على لسان إخوته أن جزاء السارق هو الاسترقاق حتى توسل بذلك إلى أخذ أخيه وحكم هذا
الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى بعض الأغراض الدينية والدنيوية ثم مدحه على الهداية إلى هذه الحيلة كما مدح إبراهيم على ما حكى عنه
من الدلائل التوحيدية والبراهين الحسية الكوكب ثم القمر ثم الشمس فقال نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم فوقه أرفع درجة منه في علمه
ثم إن أطلق على الله تعالى أنه ذو علم كان هذا العام مخصوصا لأنه لا عليم فوقه وإن قيل إنه عالم بلا علم كما يقوله بعض المعتزلة كان النص باقيا على عمومه
وإن قلنا إن الكل بمعنى المجموع كان المعنى وفوق جميع العلماء عليم هو دونه في العلم وهو الله تعالى والميل إلى هذا التفسير لأن قوله ذو علم مشعر بكون علمه
زائدا على حقيقته ووصفا نعم غير زائد وفي هذا البحث طول وفي الزمن كفاية روي أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء
وأقبلوا عليه قالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنيامين بنو راحيل هم الذين
لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فعند ذلك قالوا إن يسرق فقد سرق أخ
له من قبل يعنوا به يوسف واختلف في تلك السرقة فعن سعيد بن جبير أن جده أبا أمه كان يعبد الوثن فأمرته أمه بأن يسرق تلك الأوثان ويكسرها فلعله
يترك عبادتها وقيل سرق عناقا من بيته ودجاجة ودفعها إلى مسكين وقيل كانت لإبراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها الأكابر من ولده فورثها إسحاق ثم وقعت إلى ابنته
عمة يوسف فحضنت يوسف إلى أن شب فأراد يعقوب أن ينتزعه منها وكانت تحبه حبا شديدا فشدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه ثم زعمت أنه قد سرقها
وكان في شرعهم استرقاق السارق فتوسلت بهذه الحيلة إلى إمساكه عند نفسها وقيل إنهم كذبوا عليه وبهتوه حسدا وغيظا فأسرها يوسف قال الزجاج
وغيره الضمير يعود إلى الكلمة والجملة كأنه قيل فأسر الجملة في نفسه ولم يبدها لهم ثم فسرها بقوله قال أنتم شر مكانا والمعنى أنه قال هذه الجملة على سبيل الخفية

يوسف

وطعن الفارسي في هذا الوجه فقال اي هذا النوع من الاضمار على شريطة التفسير غير مستعمل والحق ان القرآن حجة على غيره وقيل الضمير عائد الى الاجابة
اي اسر يوسف اجابتهم في تلك الوقت الى وقت اخر وقيل يعود الى المقالة والتسرية اي لم يبين يوسف تلك التسرية كيف وقعت وانه ليس فيها ما يوجب
الذم والعار وعن ابن عباس انه قال عوقب يوسف ثلث مرات عوقب بالحبس لاجل همه بها وبالحبس الطويل لقوله اذكرني عند ربك وبقولهم فقد سرق
اخ له من قبل لقوله انكم لسارقون ومعنى شر مكانا شر منزلة في السرق لانكم سرقتم اخاكم من ابيكم على التحقيق وقلتم اكله الذئب والله اعلم بما تصفون
المراد انه يعلم اني لست بسارق في التحقيق ولا اخي والله اعلم بان الذي وصفتموه هل يوجب تمام الا قال ابن عباس لما قال يوسف هذا القول
غضب يهودا وكان اذا غضب صاح لم يسمع صوته حامل الا وضعت وقام شعره على جلده فلا يسكن حتى يضع بعض آل يعقوب يده عليه فقال لبعض
اخوته اكفوني اسواق اهل مصر وانا اكفيكم الملك فقال يوسف لابن صغير له مسه فمسه فذهب غضبه وهم ان يصيح فركض يوسف رجله على الارض
لهيانه شديد وجذبه فسقط فعند ذلك قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او في القدر وهو احب اليه منا فخذ احدنا مكانه
استعبادا او رهنا حتى نبعث لفدائه اليك فلعل العفو والفداء كان جائزا ايضا عندهم انا نراك من المحسنين الينا لو فعلت ذلك او من
المحسنين الينا بانواع الكرامة ورد البضاعة الى رحالنا او ارادوا الاحسان الى اهل مصر حين اعتقهم بعد ما اشترى رقابهم بالطعام قال يوسف
معاذ الله من ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا اي اذا اخذنا غيره لظالمون في مذهبكم لان استعباد غير من وجد الصواع
في رحله ظلم عندكم او اراد ان الله امرني واوحى الي باخذ بنيامين فلو اخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه حيث
لم يقبل الشفاعة اي يئسوا والزيادة للمبالغة خلصوا اعتزلوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا مصدر والمضاف محذوف اي ذوي
نجوى والمراد انهم تناجي في انفسهم لاستجماعهم لذلك وانه فاعلهم فيه بجد واهتمام كما يقال رجل جور ورجال عدل وصفة لموصوف محذوف اي
فوجا نجيا بمعنى مناجيا بعضهم لبعض كالعشير بمعنى المعاشر وقيل كان تناجيهم الجواب في تدبير امرهم على اي وجه يذهبون وما ذا يقولون لابيهم
في شان اخيهم فعند ذلك قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في القدر وهو شمعون لانه كان رئيسهم او في العقل والراي وهو يهودا
قوله ما فرطتم اما ان يكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم توفوا بعهد ابيكم واما ان يكون مصدرية محله الرفع على الابتداء وخبره
الظرف المتقدم ومن قبل تفريطكم اي وقع من قبل تقصيركم في حقه او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل
واما ان يكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في شان يوسف من الجناية ومحل الموصول الرفع او النصب على الوجهين فلن
ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب
من الاسباب ثم انه بقي ذلك الكبير في مصر وقال للغير من الاخوة ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق فقالوا بناء على ما شاهدوا من استخراج الصواع
من وعائه او ارادوا انه سرق في قول الملك واصحابه كقول قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد اي في زعمك او لاعتقادك والمراد ان ابنك حكم
عليه بانه سارق والطلاق اسم احد الشبيهين على الاخر جائز والقوم ما كانوا حينئذ امناء فلا يبعد منهم الكذب وعن ابن عباس انه قرأ سرق مشددا
مبنيا للمفعول اي نسب الى السرقة وعلى هذا فلا اشكال ومما يدل على انهم بنوا الامر على الظاهر قوله وما شهدنا الا بما علمنا اي الا بقدر ما تيقناه
من رؤية الصواع في وعائه وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين فان الغيب لا يعلمه الا الله وعن عكرمة ان الغيب الليل معناه لعل الصواع دس في وعائه
بالليل من حيث لا يشعر او ما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق قاله مجاهد والحسن وقتادة او ما علمنا انا اذا قلنا ان شرع بني اسرائيل هو استرقاق
السارق واخذ اخونا بتلك الحيلة ثم بالغوا في ازالة التهمة فقالوا واسأل القرية التي كنا فيها الاكثرون على انها مصر وقيل قرية على باب مصر وقع فيها
التفتيش اي ارسل الى اهلها فاسألهم عن كنه القصة واسأل اصحاب العير التي اقبلنا فيها وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل قوما من اهل صنعا
وقال ابن الانباري ان يعقوب كان من اكابر الانبياء فلا يبعد ان يحمل سؤال القرية على الحقيقة بان ينطق الله الجمادات لاجل معجزة فالمراد سل القرية والعير
والجدران والحيطان فانها تجيبك بصحة ما ذكرنا وقيل ان الشيء اذا ظهر ظهورا تاما فقد يوصف عنه السماء والارض وجميع الاشياء ويراد انه ليس للشك
فيه مجال ثم زادوا في تاكيد نفي التهمة فقالوا وانا لصادقون وليس غرضهم اثبات صدقهم فان ذلك يجري مجرى اثبات الشيء بنفسه ولكن الانسان
اذا ذكر الدليل القاطع على صحة الشيء فقد يقول بعده انا صادق فتامل فيما ذكرته لم يحصل لك الشك وههنا اضمار التقدير فرجعوا الى ابيهم فقالوا
له ما قال لهم اخوهم فعند ذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وقد مر تفسيره في اول السورة ولكن المفسرين زادوا اشياء اخر فقيل
المراد انه تخيل اليكم انه سرق وما سرق وقيل اراد سولت لكم انفسكم اخراج بنيامين والمصير الى مصر طلبا للمنفعة فعاد من ذلك شر وضرر والحتم
علي في ارساله معكم ولم تعلموا ان قضاء الله ربما جاء على خلاف تقديركم وقيل ارادوا فتواهم وتعليمهم والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ
برقبته واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز على يعقوب السعي في اخفاء حكم الله تعالى واجيب بان ذلك الحكم لعله كان مخصوصا بما اذا كان
المسروق منه مسلما وكان الملك في ظن يعقوب كافرا ولما طال بلاؤه وعظمت محنته علم بحسن الظن والرجاء انه سبحانه سيجعل له فرجا ومخرجا عما قريب ولعله
علم بالوحي ان يوسف حي وكان بنيامين والكبير الذي قال فلن ابرح الارض قد بقيا في مصر فلذلك قال عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بالثلثة
الغائبين جميعا انه هو العليم بحالي الحكيم في كل ما يفعله من الابتلاء والابلاء التأويل لما دخل الاوصاف البشرية ومعهم السر على يوسف القلب

كانه لم تعلموا ع

الربع



اي القلب السر اليه لانه اخوه الحقيقي بالمناسبة الروحانية فلا تبتئس اذ وصلت بي بما كانوا يعملون معك في سفارتهم لان السر مهما كان رفيقا
من قلب مقارنا للاوصاف كان محروما عن كمالات هو مستعد لها فلما جهزهم جهز القلب الاوصاف بما يلائم احوالها جعل السقاية وهي مشربة
كان منها شربه في رحل اخيه لانهما رضيعا لبان واحد انكم لسارقون سرقتم في الاول يوسف القلب وشربه بثمن بخس من متاع الدنيا و
شهواتها وسرقتم في الآخر مشربة ليست من مشاربكم وبيانه ان من ادعى الشرب من مشارب الرجال وهو طفل بعد اخذ بالتربية واسترد منه و
لمن جاء به حمل بعير من علف الدواب ومراتع الحيوانات لانه ليس مستحقا للشرب من مشارب الملوك لقد علمتم انا من المقبولين المقبلين على يوسف القلب
لا نريد الافساد في ارض الدنيا كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها وما كنا سارقين اذ اخذنا يوسف القلب والقيناه في غيابت
الجب البشرية بل سعينا في ان ينال مملكة مصر العبودية ليكون عزيزا فيها ونحن اذلاء له جزاؤه من وجد في رحله اي لكل شارب مشرب ولكل
شرب فدية فمن شرب مشرب الآخرة الدنيا وشهواتها فدية الشارب من شرب المحبة بذل الوجود كذلك نجزي الظالمين الذين
وضعوا صواع الملك في غير موضعه طمعا في ان يكونوا حريف الملك في شربه كذلك كدنا ليوسف اي كما كدنا الاوصاف البشرية في الابتداء
يوسف القلب في جب البشرية كدنا بهم عند قسمة الانوار من خزائن الملك فجعلنا قسمتهم من مراتع الحيوانات ياكلون كما تاكل الانعام وقسمة
بنيامين السر من مشربة الملك وفوق كل ذي علم عليم اشارة الى علم التعلق عليم يجذبه من المصعد الذي يصعد اليه بالعلم المخلوق الى مصعد لا يصعد
اليه الا بالعلم القديم وهو السير في الله بالله الى الله وهذا صواع لا يسعه وعاء الانسانية ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فيه اشارة الى ان
السر والقلب مع انهما مخصوصان بالحظوظ الاخروية والروحانية فانهما قابلان للاسترقاق من الشهوات الدنياوية والنفسانية ولما رأت الاوصاف
البشرية عزة القلب عرفت اختصاص البشرية ارادت ان تفدي نفسها وسيلة الى يعقوب الروح فقالت فخذ احدنا مكانه قال معاذ الله ان
ان نقبل بالتهمة والمخالطة الا من وجدنا متاعنا عنده من الصدق والمحبة والاخلاص عنده اي لا يكون صحبتنا بالكراهية والنفاق وانما يكون بعلة
الجنسية فلما استيأسوا من صحبة القلب خلصوا عن الاوصاف الذميمة المتناجي قال كبيرهم وهو العقل الم تعلموا ان اباكم وهو الروح قد اخذ عليكم موثقا
من الله يوم الميثاق لا تعبدوا الا الله فلن ابرح ارض فناء القلب حتى يأذن لي ابي ... والحاصل ان صفة العقل المتخلصة عن الاوصاف البشرية خرجت عن
اوامر النفس وتصرفاتها وصارت محكومة لاوامر الشرع متسلمة لاحكام الحق ارجعوا الى ابيكم الروح على اقدام العبودية وبذل الاخلاق ان ابنك
سرق لانه وجد في رحله مشربة المحبة التي بها يكال الحب على وفده وما كنا للغيب حافظين عند ارتحالنا من الغيب الى الشهادة حافظين لانه جعل السقاية
في رحله في غيبتنا واسئل اهل الملكوت مصر وارواح الانبياء والاولياء قال بل سولت فيه ان للنفس تزيينات وللاوصاف البشرية خباثات يتاذى بها
يعقوب الروح لكن عليه ان يصبر على امضاء احكام الله وتنفيذ قضائه عسى الله ان ياتيني بهم فيه ان متولدات الروح من القلب والاوصاف وغيرها وان
تفرقوا بتباعد اعن الروح في الجسد للاستكمال فان الله يجذبها اليه بجمعهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر انه هو العليم بافراده
بما في التفريق والجمع من الفوائد وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف
حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا
الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون قالوا أئنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر
المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصي
هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون
قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا
تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا
على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل
رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت
وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين القراءة مزجاة بالامالة حمزة وعلي وخلف حزني بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن
عامر وابو عمرو قالوا انك على الخبر او على حذف حرف الاستفهام ابن كثير ويزيد ائنك بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وهشام يدخل بينهما مدة
اينك بهمزة ثم ياء نافع غير قالون وسهل ويعقوب غير يزيد اينك بهمزة ممدودة ثم ياء ابو عمرو ويزيد وقالون من يتقي بالياء في الحالين ابن مجاهد
وابو عون عن قنبل الباقون بغير ياء اني اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ربي انه بالفتح ابو جعفر وابو عمرو اذا بالفتح ايضا عندهم
اخوتي ربي بفتح الياء ايضا يزيد والبخاري عن ورش وقالون غير الحلواني والله اعلم الوقوف كظيم الهالكين لا تعلمون ولا تيأسوا من روح الله الكافرون تصدق

علينا المتصدق فيه جاهلون لانت يوسف اخي زيتجيل الشكر مع اختلاف الجملتين علينا لاحتمال انه ابتداء اخبار من الله وان كان من قول يوسف
جاز او وقف نعم لاتحاد القائل مع الابتداء وان المحسنين خاطئين الوصل لاختلاف الجملتين نفيا واثباتا او خبرا او دعاء لكم لاحتمال الاستيناف
والحال وضح الراحمين بانه يصير جواب لطول الكلام واعتراض الجواب مع اتفاق الجملتين اجمعين نقعد دون القديم بصير الاحتمال ان يكون ما بعده جوابا
لما وقوله الفاه حالا لا باضمار قد ما لا تعلمون خاطئين اي لو تيم امنين سجدا ج من قبل لتمام الجملة لفظا دون المعنى حقا للتمام بيان الجملة الاولى
وابتداء جملة عظمى اخوتي لما يشاء الحكيم الاحاديث نحو حذف حرف النداء مع اتصال الكلام والاخرة ج لانقطاع النظم مع اتصال الثناء بالدعا
الصالحين والتفسير لما سمع يعقوب ما سمع من حال ابنه ضاق قلبه جدا وتولى عنهم اي اعرض عن بنيه الذين جاؤا بالخبر وفارقهم وقال يا اسفى على يوسف
الاسف اشد الحزن والالف فيه بدل من ياء الاضافة ونداء الاسف كنداء الويل وقد مر في المائدة والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف لا يتكلف جنسه
وهو من الفصاحة اللفظية وكيف تأسف على يوسف دون اخيه والاخ الذي قام بمصر والرزء الاحدث اشد الجواب لان الحزن الجديد يذكر
العتيق والاسى يجلب الاسى ولان رزاه بيوسف كان اصل تلك الرزايا فكان الاسف عليه اسفا على الكل ولانه كان عالما بحيوة الاخوين دون
حيوة يوسف وابيضت عيناه من الحزن اي من البكاء الذي كان سببه الحزن قال الحكماء اذا كثر الاستعبار اوجب كدورة في سواد العين واثاله كان
سبب الحزن الى البياض فتكون منها العمى لا يلام الطبقات ولاسيما القرنية وانصباب الفضول الرديئة اليها قال مقاتل لم يبصر ست سنين حتى
كشف الله تعالى بقميص يوسف قال اخرون لم يبلغ حد العمى وكان يدرك ادراكا ضعيفا او المراد بالبياض غلبة البكاء كان العين ابيضت من بياض
ذلك الماء روي انه لم يجف عين يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول
الله صلعم انه سئل جبرئيل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله
ساعة قط ونقل ان جبرئيل عم دخل على يوسف حين ما كان في السجن فقال ان بصر ابيك ذهب الحزن عليك فوضع يوسف يديه على راسه وقال ليت امي لم
تلدني فلم اكن حزنا على ابي قال اكثر اهل اللغة الحزن والحزن لغتان بمعنى وقال بعضهم الحزن بالضم فالسكون البكاء والحزن بفتحتين ضد الفرح فقد روي
يونس عن ابي عمرو قال اذا كان في موضع النصب فتحوا كقوله تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا واذا كان في موضع الجر والرفع ضموا كقوله من الحزن و
قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله قال هو في موضع رفع بالابتداء قيل كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ واجيب بان المنهي من الجزع هو
الصياح والنياحة وضرب الخد وشق الثوب لا البكاء ونفثة المصدور فقد بكى رسول الله صلعم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون ومما يدل على ان يعقوب عم امسك لسانه عن النياحة وعما لا ينبغي قوله وهو كظيم فعيل
بمعنى مفعول اي مملو من الغيظ على اولاده من غير اظهار ما يسوءهم او مملو من الحزن مع سد طريق نفثة المصدور من كظم السقاء اذا شده على ملائه
او بمعنى الفاعل اي الممسك لحزنه غير مظهر اياه والحاصل انه غرق ثلثة اعضاء شريفة منه في بحر المحنة فاللسان كان مشغولا بذكر يا اسفا و
العين كانت مستغرقة في البكاء والقلب كان مملوا من الحزن ومثل هذا اذا لم يكن بالاختيار لم يدخل تحت التكليف فلا يوجب العقاب يروى ان
ملك الموت دخل على يعقوب فقال له جئتني لتقبضني قبل ان ارى حبيبي قال لا ولكن جئت لاحزن لحزنك واشجو لشجوك عن النبي صلعم لم تعط امة من
الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفا وضعف هذه
الرواية فخر الدين الرازي في تفسيره وقال من المحال ان لا يعرف امة من الامم ان الكل من الله وان الرجوع لا محالة اليه واقول هذا نوع من المكابرة
فان منكري المبدأ والمعاد اكثر من ان يحصى والوادي على ان المراد من لا اعطاء الارشاد الى هذا الذكر وخصوصا عند المصيبة وقد اخبر النبي صلعم
ان هذا مما خصت هذه الامة به والله اعلم قالوا الا ظهر انهم ليسوا اولاده الذين تولى عنهم وانما هم جماعة كانوا في الدار من خدمه واولاد
اولاده تالله تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لعدم الالباس لعدم الالباس اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون قال ابن عباس
والحسن ومجاهد وقتادة اي لا تزال تذكر وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتور والفتؤ اخوان قال ابو زيد ما فتئت اذكره اي ما زلت
لا يتكلم به الا مع الجحد حتى تكون حرضا وصف بالمصدر للمبالغة والحرض نسا في الجسم والعقل للحزن والحب حتى يكون كالا لا كالاحياء ولا كالاموات
ارادوا انك تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تشفي على الهلاك او تهلك فاجابهم بقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله قالت العلماء
اذا اسر الانسان حزنه كان هما واذا لم يقدر على اسراره فذكره لغيره كان بثا فالبث اصعب اخف اسرا الانسان حزنه كان هما ولو لم يقدر على اسراره فذكره
لغيره كان بثا فالبث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس يعني اني لا اذكر الحزن القليل الا مع الله ملتجيا اليه وداعيا
له فخلوتي وشكايتي وهذا مقام العارفين الصديقين كقول نبينا صلعم اعوذ بك منك ويحتمل ان يكون هذا معنى توليه عنهم اي تولى عنهم
الى الله والشكاية اليه يحكى انه دخل على يعقوب جار له وقال له ضعف جسمك ونحف بدنك وما بلغت سنا عاليا فقال الذي لكثرة غمومي
فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي
وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت اي غضبت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الى الانبياء
ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم ان حال يعقوب في تلك الواقعة



كانت مختلفة فتارة كانت مستغرقة في بحار معرفة الله وتارة كان يستولي عليه الحزن والاسف فلهذا كانت هذه الحادثة بالنسبة اليه
كالقاء ابرهيم في النار وكابتلاء اسحق بالذبح وكان شغل همه بيوسف بغير اختيار منه وكذا تأسفه عليه ما روي انه عوتب على ذلك فلان حسنات
الابرار سيئات المقربين وبالحقيقة كانت واقعة يعقوب امرا خارق العادة اراد الله تعالى ابتلاءه بذلك وتمادى اسفه وحزنه والا فمع غاية شهرته و
شدة محبته وقرب المسافة بينه وبين ابنه كيف خفي حال يوسف ولم لم يبعث يوسف اليه رسولا بعد تملكه وقدرته ولم زاد في حزن ابيه بحبس
اخيه عنده اما قوله واعلم من الله ما لا تعلمون فمعناه اعلم من رحمته واحسانه ما لا تعلمون فارجو ان ياتيني الفرج من حيث لا احتسب قيل انه رأى ملك
الموت في المنام فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا نبي الله ثم اشار الى جانب مصر وقال اطلبه ههنا وقيل انه كان قد رأى
امارات الرشد والكمال في يوسف فعلم ان رؤياه صادقة لا تخطئ وقال السدي اخبره بنوه بسيرة الملك وكمال حاله في اقواله وافعاله فطمع انه ابنه و
علم ان بنيامين لا يسرق وسمع ان الملك ما آذاه فغلب على ظنه ان الملك هو يوسف وقيل اوحى الله تعالى اليه انه سيلقى او سيلقى ابنه ولكنه ما عين
الوقت فلذلك قال ما قال ثم دعا بنيه على سبيل التلطف فقال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وهو طلب الشيء بالحاسة كالسمع والبصر و
مثله التجسس بالجيم وقد قرئ بهما وربما يخص الجيم بطلب الخبر في الشر ولا تيأسوا من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرئ بالضم اي من رحمته
التي يحيى بها العباد قال الاصمعي الروح ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والهزة فكل ما يهتز الانسان بوجوده ويلتذ
به فهو روح انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لان هذا اليأس دليل على انه اعتقد ان الله تعالى غير قادر على كل المقدورات
او غير عالم بجميع المعلومات او ليس بجواد مطلق ولا حكيم لا يفعل العبث في البعث وكل واحدة من هذه العقائد كفر فضلا عن جميعها اللهم انا
لا نيأس من روحك فافعل بي ما انت اهله ثم ههنا اضمار والتقدير فتقلبوا وحيث امرهم وعادوا الى مصر فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز
اي الملك القادر المنيع مسنا واهلنا الضر الفقر والحاجة الى الطعام وعنوا باهلهم من خلفهم وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة
عنها من زجيته اذا دفعته قال سبحانه الم تر ان الله يزجي سحابا ومنه قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل قال الكلبي هي من لغة
العجم وقيل لغة القبط والاصح انها عربية لوضوح اشتقاقها قيل كانت بضاعتهم الصوف والسمن وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل
والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بنقص لانها لم يكن عليها صورة يوسف وكانت دراهم مصر ينقش عليها صورته فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق
علينا واعلم انهم طلبوا المسامحة بما بين الثمنين وان يسعر لهم بالردي كما يسعر بالجيد فاختلف العلماء في انه هل كان ذلك منهم طلب الصدقة
فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا على الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون ارادوا بالتصدق التفضل بالاغماض عن رداءة البضاعة
او بايفاء الكيل والصدقات محظورة على الانبياء كلهم وقوله ان الله يجزي المتصدقين يمكن تنزيله على القولين لان كل احسان يبتغى به وجه الله فان ذلك
لا يضيع عنده والصدقة العطية التي ترجى بها المثوبة عند الله ومن ثم لم يجوز العلماء ان يقال الله تعالى متصدق واللهم تصدق علي بل يجب ان يقال
اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني كان يعقوب امرهم بالتحسس من يوسف واخيه والمتحسس يجب عليه ان يتوسل الى مطلوبه بجميع الطرق كما قيل الغريق
يتعلق بكل شيء فبدؤا بالعجز والاعتراف بضيق اليد واظهار الفاقة فرق الله تعالى قلبه وارفضت عيناه فعند ذلك قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف و
قيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي
فشدت يداه ورجلاه ورمي في النار ليحرق فنجاه الله تعالى وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا
فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم
كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته
علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب
بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وقوله هل علمتم استفهام يفيد تعظيم الواقعة ومعناه ما اعظم الامر الذي ارتكبتم من يوسف وما اقبح ما اقدمتم
عليه كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وفيه تصديق لقوله سبحانه لتنبئنهم بامرهم هذا واما فعلهم باخيه فتعريضهم اياه للغم بافراده عن اخيه لابيه
وامه وايذاؤهم له بالاحتقار والامتهان وقوله اذ انتم جاهلون جار مجرى الاعتذار عنهم كانه قال انما اقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال ما كنتم
في اوان الصبى وزمان الجهالة والغرة ازالة للخجالة عنهم فان مطية الجهل الشباب نصحا لهم في الدين اي هل علمتم قبحه فتبتم لان العلم بالقبح يدعو
الى التوبة غالبا فآثر كما هو عادة الانبياء حق الله على نفسه في المقام الذي يشفي الغيظ وينفث المصدور ويدرك ثار الموتور وقيل انما نفى
العلم عنهم لانهم لم يعملوا بعلمهم ولما كلمهم بذلك قالوا ائنك لانت يوسف عرفوه بالخطاب الذي لا يصدر الا عن حنيف مسلم من سنخ ابرهيم
او بتبسمه فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم او رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء كان ليعقوب وسارة مثلها قال
انا يوسف صرح بالاسم تعظيما لما جرى عليه من ظلم اخوته كانه قال انا الذي ظلمتموني على اشنع الوجوه والله اوصلني الى اعظم المناصب انا ذلك العاجز
الذي قصدتم قتله ثم صرت كما ترون ولهذا قال وهذا اخي مع انهم كانوا يعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا ايضا كان مظلوما كما كنت ثم صار
منعما عليه من الله وذلك يعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا ايضا كان مظلوما قوله قد من الله علينا اي بكل خير دنيوي واخروي وبالجمع بعد التفرق

انه اي ان الشأن من يتق عقاب الله ويصبر عن معاصيه وعلى طاعته فان الله لا يضيع اجر المحسنين اراد اجرهم فاكتفى لترتبط بالعموم ومن قرأ يتقي باثبات الياء
فوجهه ان يجعل من بمعنى الذي يجوز على هذا الوجه ان يكون قوله ويصبر في موضع الرفع الا انه حذف ضمة الراء للتخفيف او للمشاكلة وفي الآية دليل
على براءة ساحة يوسف وتنزاهة جانبه من كل سوء والا لم يكن من المتقين الصابرين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اعتراف منهم بتفضيله عليهم بالتقوى
والصبر وسيرة المحسنين وصفة المحسنين ولا يلزم من ذلك ان لا يكونوا انبياء وان اختص هو به بعضهم لان الانبياء متفاوتون في الدرجات تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض وان كنا وان شأننا انا كنا لخاطئين قال ابو عبيدة خطأ واخطأ بمعنى واحد وقال الاموي المخطئ من اراد الصواب
فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ ويصيب والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي قال ابو علي الجبائي انهم لم يعتذروا عن ذلك الذي فعلوا بيوسف لانه
وقع منهم قبل البلوغ ومثل ذلك لا يعد ذنبا وانما اعتذروا من حيث انهم اخطأوا بعد ذلك حين لم يظهروا لابيهم ما فعلوه ليعلم انه حي وان
الذئب لم يأكله واعترض عليه فخر الدين الرازي بانه يبعد من مثل يعقوب ان يبعث جمعا من الصبيان من غير ان يبعث معهم رجلا بالغا عاقلا فالظ
انه وقع ذلك منهم بعد البلوغ سلمنا لكن ليس كل ما لا يجب الاعتذار عنه لا يحسن الاعتذار عنه ولما اعترفوا بفضله عليهم وبكونهم متعمدين للاثم
قال يوسف لا تثريب عليكم لا تأنيب ولا توبيخ وقيل لا اذكر ذنبكم وقيل لا مجازاة لكم عندي على ما فعلتم وقيل لا تخليط ولا افساد عليكم واشتقاقه
من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كالتجليد والتقريد لازالة الجلد والقراد وذلك لانه اذا ذهب منه الثرب كان
في غاية الهزال والعجف فصار مثلا للتقريع الممض وقوله اليوم اما ان يتعلق بالتثريب او بالاستقرار المقدر في عليكم اي لا اثربكم
اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره ثم ابتدأ فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم ليكون عقاب الدارين زائلا عنهم والاصل في الدعاء ان يقع على
لفظ المستقبل فاذا وقعوه بلفظ الماضي فذلك للتفاؤل ويحتمل ان يكون اليوم متعلقا بالدعاء فيكون فيه بشارة بتعجيل غفران الله لتجدد
توبتهم وحده وتعالى في ذلك اليوم يروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك
فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن
بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم وعن رسول الله صلعم انه اخذ يوم الفتح بعضادتي باب الكعبة فقال لقريش ما ترونني فاعلا
بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال صلعم اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال عطاء الخراساني طلب الحوائج الى الشباب
اسهل منها الا الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم
عن ابيهم فقالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا كقولك جاء البناء محكما ومثله فارتد بصيرا والمراد
يأت الي وهو بصير دليله قوله وأتوني باهلكم اجمعين قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة اوحى الله اليه ان فيه عافية كل
مبتلى وشفاء كل سقيم وقال الحكماء لعله علم ان اباه ما كان اعمى وانما صار ضعيف البصر من كثرة البكاء فاذا القي عليه قميصه سار منشرح الصدر
بقوي روحه وزال ضعفه وروي ان يهوذا حمل القميص وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم فافرحه كما احزنته فحمله وهو حاف حاسر من مصر الى
كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا عن الكلبي كان اهله نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق دخل قوم يوسف مصر وهم ثلثة وتسعون بين
رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلهم نحو من ستمائة الف ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر فصل من البلد فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه
وفصل اليه كتاب اذا نفذ واذا كان فصل متعديا كان مصدره الفصل قال ابوهم لمن حوله من قومه اني لاجد لحاسة الشم ريح يوسف قال مجاهد
هبت ريح فصفقت القميص ففاحت رائحة الجنة في الدنيا فعلم يعقوب انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال اهل التحقيق ان الله تعالى اوصل
اليه ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجيء اوان الروح والفرج من مسيرة ثمان ومنع من وصول خبره اليه مع قرب البلدين في مدة ثمانين سنة او اربعين
عند الاكثرين وكلاهما معجزة ليعقوب خارقة للعادة وذلك يدل على ان كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فانه في زمان الاقبال سهل
وقوله لولا ان تفندون جواب محذوف اي لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف
وتغير العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن ذات رأي فتفند في الكبر قالوا اي بعض الحاضرين عنده تالله انك لفي ضلالك القديم اي فيما كنت فيه
قدما من البعد عن الصواب في افراط محبة يوسف كما قال بنوه ان ابانا لفي ضلال مبين وقيل لفي شقائك القديم بما بكا على يوسف من الاحزان
قال الحسن انما قالوا هذه الكلمة الغليظة لاعتقادهم ان يوسف قد مات فلما ان جاء ان صلة اي فلما مثل فلما ذهب عن ابراهيم الروع قيل هو مع
الفعل في محل الرفع بفعل مضمر اي فلما ظهر ان جاء البشير وهو يهودا القاه طرحه البشير او يعقوب على وجهه فارتد بصيرا اي انقلب من العمى الى البصر
او من الضعف الى القوة قال الم اقل لكم جوز في الكشاف ان يكون مفعوله محذوفا وهو قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله لا تيأسوا من روح الله ويكون
قوله اني اعلم كلاما مستأنفا والظاهر ان مفعوله قوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون وذلك انه كان قال لهم انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله
ما لا تعلمون روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن
تمت النعمة ثم ان اولاده اخذوا يعتذرون اليه فوعدهم الاستغفار قال ابن عباس والاكثرون اراد ان يستغفر لهم في وقت السحر لانه ارجى الاوقات
اجابة وعن ابن عباس في رواية اخرى اخر الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة وقيل اخر ليتعرف حالهم في الاخلاص وقيل استغفر لهم في الحال وعدهم



بدوام الاستغفار في الاستقبال فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وروي انه قام الى الصلوة في وقت السحر فلما
فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين
وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى جهدوا وظنوا انهم هلكوا نزل جبرئيل فقال ان الله قد اجاب
دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة والخلاف للناس في نبوتهم مشهور يحكى انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه
بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي ويتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال
يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فاجابه يوسف وقال ابه بكيت حتى ذهب بصرك الم تعلم ان
القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك ومعنى آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن ابي اسحق كانت امه باقية الى
ذلك الوقت وقيل ماتت الا ان الله تعالى احياها ونشرها من قبرها تحقيقا لرؤيا يوسف وقيل المراد بابويه ابوه وخالته لان امه ماتت في النفاس باخيه
بنيامين حتى قيل بنيامين بالعبرية ابن الوجع ولما توفيت امه تزوج ابوه بخالته فسماها الله تعالى احد الابوين لان الخالة تدعى اما لقيامها مقام الام و
لان الخالة ام كما ان العم اب فكيف قد اجتمع ههنا الامران قال السدي كان دخولهم على يوسف قبل دخولهم مصر كانه حين استقبلهم نزل لاجلهم
في خيمة او بيت هناك فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال ادخلوا مصر فعلى هذا جاز ان يكون الاستثناء عائدا الى الدخول وعن ابن عباس ادخلوا
مصر اي اقيموا بها وقوله ان شاء الله آمنين تعلق بالدخول المكيف بالامن فكانه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم واقامتكم ان شاء الله وجواب الشرط
بالحقيقة محذوف والتقدير ادخلوا مصر امنين ان شاء الله دخلتم امنين اراد الامن على انفسهم واموالهم واهليهم بحيث لا يخافون احدا وكانوا فيما
سلف يخافون ملك مصر او اراد الامن من القحط والشدة او من تعييره اياهم بالجرم السالف ورفع ابويه على العرش استويا على السرير الذي كان يجلس
عليه وخروا له سجدا لسائل ان يقول السجود لا يجوز لغير الله فكيف سجد له يوسف ايضا تعظيم الابوين تالي تعظيم الله سبحانه فمن اين جاز
سجدة ابويه له والجواب عن ابن عباس في رواية عطا ان المراد خروا لاجله سجدا لله فكانت سجدة الشكر لله سبحانه وكذا التاويل في قوله والشمس
والقمر رأيتهم لي ساجدين اي انها سجدت لله تعالى لاجل طلب مصلحتي واعلاء منصبي واحسن من هذا ان يقال انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا
لله شكرا على لقائه او يراد بالسجدة التواضع التام على ما كانت عادتهم في ذلك الزمان من التحية ولعلها ما كانت الا انحناء دون تعفير الجبهة
واعترض على هذا الوجه بان لفظ الخرور يأباه واجيب بان الخرور قد يعنى به المرور قال تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم يمروا وقيل الضمير
عائد الى اخوته فقط ورد بان قوله هذا تاويل رؤياي من قبل ينبو عنه واجيب بان التعبير لا يلزم ان يكون مطابقا للرؤيا من كل الوجوه
فيحتمل ان يكون السجدة في حق الاخوة التواضع التام وفي حق ابويه مجرد ذهابهما من كنعان الى مصر ففيه تعظيم تام للولد وانما قيل انما سجد الابوان لئلا
تحمل الانفة اخوته على عدم السجود فيصير سببا لثوران الفتن واحياء الاحقاد والضغاين او لعله تعالى امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعرفها
الا الله تعالى ورضي بذلك يوسف موافقة لامر الله ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان يوسف لما رأى سجودهم اقشعر جلده ولكن لم يقل شيئا و
كان الامر بتلك السجدة كان من تمام التشديد والبلية والله اعلم وقد احسن بي اي احسن بي واليه بمعنى اذ اخرجني من السجن لم يذكر اخراجه من البئر
لانه نوع تثريب للاخوة وقد قال لا تثريب عليكم ولانه لم يكن نعمة لانه بعده صار عبدا وصار مبتلى بالمرأة ولان هذا الاخراج اقرب واشمل وجاء بكم
من البدو اي من البادية سمي المكان باسم المصدر لظهور الشخص فيه من بعيد وكان يعقوب وولده بارض كنعان اهل مواش ينتقلون في المياه و
الصحاري قال ابن الانباري بدا موضع معروف هنالك وروي عن ابن عباس ان يعقوب كان قد تحول اليه وسكن فيه ومنه قدم الى يوسف وعلى
هذا كان يعقوب وولده اهل الحضر والبدو نقصد هذا الموضع الذي يقال له بدا والمعنى جاء بكم من قصد بدا ذكره الواحدي في البسيط قال الجبائي
والكعبي والقاضي انه تعالى اخبر عن يوسف انه اضاف الاحسان الى الله ونسب النزغ الى الشيطان وهو الافساد والاغراء ففيه دليل على ان الخير من الله
دون الشر واجيب بانه انما راعى الادب والا فليس فعل الشيطان الا الوسوسة واما صرف الداعية الى الشر فلا يقدر عليه الا الله تعالى فان العاقل لا يريد
ضرر نفسه ان ربي لطيف لما يشاء فاذا اراد حصول امر هيأ اسبابه وان كان في غاية البعد عن الاوهام انه هو العليم بالوجه الذي يسهل به الصعاب
الحكيم في افعاله حتى يجيء على الوجه الاصوب والنحو الاصلح يحكى ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب و
خزائن الحلي والثياب والسلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني
جبرئيل قال او ما تسئله قال انت ابسط اليه مني فسئله قال جبرئيل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني ثم ان يعقوب
اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة فلما
تم امره وعلم انه لا يدوم له قال رب قد آتيتني من الملك شيئا من ملك الدنيا او من ملك مصر لانه كان دون ملك فوقه وعلمتني من تاويل الاحاديث بعضا
من ذلك لانه لا يمكن ان يحصل في العمر المتناهي والاستعداد المعين المحصور سوى المتناهي من السعادات الدنيوية والكمالات الاخروية فاطر السموات
والارض منادى ثان او صفة المنادى الاول اي مبدعهما على النحو الافضل من مادة سابقة كالدخان او من عدم محض انت وليي في الدنيا والآخرة

لا انبوى اصلاح مهماتى فى الدارين غيرك ولما قدم النداء والثناء كما هو شرط الادب الحسن ذكر المسئلة فقال توفنى مسلما اراد الوفاة على حال الاسلام والختم بالحسنى كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون والحقنى بالصالحين من آبائى او على العموم قيل الصلاح اول درجات المؤمنين فالواصل الى الغاية وهى النبوة كيف يليق به ان يطلب البداية والجواب ان اراد الالحاق بالآباء فظاهر وان اراد العموم فكذلك لان طلب الصلاح غير الالحاق باهل الصلاح غير فان اجتماع النفوس المشرقة بالانوار الالهية له اثر عظيم وفوائد جمة كالمرايا المستنيرة المتقابلة التى تتعاكس اضواؤها وتتكامل انوارها الى حيث لا يطيقها العيون الضعيفة هذا مع ان الختم على الصلاح نهاية مراتب الصديقين وههنا بحث للاشاعرة وهو ان التوفى على الاسلام والالحاق باهل الصلاح لو لم يكن من فعل الله تعالى كان طلبه من الله جاريا مجرى قول القائل افعل يا من لا يفعل وهل هذا الا كتشنيع المعتزلة علينا اذا كان الفعل من الله فكيف يجوز ان يقول للمكلف افعل مع انه ليس بفاعل اجاب الجبائى والكعبى بان المراد الطف بى بالاقامة على الاسلام الى ان اموت فالحقنى بالصلحاء ورد بانه عدول عن الظاهر مع ان كل ما فى مقدور الله من الالطاف فقد فعله فى حق الكل سؤال آخر الانبياء يعلمون انهم يموتون على الاسلام البتة فما الفائدة فى الطلب الجواب العلم الاجمالى لا يغنى عن العلم التفصيلى ولا سيما فى مقام الخشية والرهبة وقال فى التفسير الكبير المطلوب ههنا حالة زائدة على الاسلام الذى هو ضد الكفر وهى الاستسلام لحكم الله والرضا بقضائه وعن قتادة وكثير من المفسرين انه تمنى الموت واللحوق بدار البقاء فى زمرة الصلحاء ولم يتمن الموت نبى قبله ولا بعده قال اهل التحقيق لا يبعد من الرجل العاقل اذا كمل عقله ان يعظم رغبته فى الموت لوجوه منها ان مراتب الموجودات ثلث المؤثر الذى لا يتأثر وهو الاله تعالى وتقدس والمتأثر الذى لا يؤثر وهو عالم الاجسام فانها قابلة للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة والاعراض المتضادة ويتوسطهما قسم ثالث هو عالم الارواح لانها تقبل الاثر والتصرف من العالم الالهى ثم اذا اقبلت على عالم الاجسام تصرفت فيه واثرت فللنفوس فى التأثير والتأثر مراتب غير متناهية لان تاثيرها بحسب تأثرها مما فوقها والكمال الالهى غير متناه فاذن لا ينفك النفس من نقصان ما والناقص اذا حصل له شعور بنقصانه وذاق لذة الكمال بقى فى القلق والم الطلب ولا سبيل له الى دفع هذا القلق والالم الا بالموت فيحصل تمنى الموت ومنها ان سعادات الدنيا ولذاتها سريعة الزوال مشرفة على الفناء والالم الحاصل عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها ثم انها مخلوطة بالمنغصات والاراذل من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما كانت حصة الاراذل اكثر فلا جرم تمنى العاقل موته ليتخلص من هذه الآفات ومنها ان اللذات الجسمانية لا حقيقة لها لان حاصلها يرجع الى دفع الالام وقد قررنا هذا المعنى فيما سلف ومنها ان مداخل اللذات الدنيوية ثلثة لذة الاكل ولذة الوقاع ولذة الرياسة ولكل منها عيوب فلذة الاكل مع انها غير باقية بعد البلع فان المأكول يختلط بالبصاق المجتمع فى الفم ولا شك انه شئ منفر ثم يصل الى المعدة يستحيل الى ما ذكره منفر فكيف يعد من اللذات ومن ثمة قالت العقلاء من كانت همته ما يدخل فى جوفه كانت قيمته ما يخرج من بطنه هذا مع اشتراك الحيوانات الخسيسة فيها وايضا اشتداد الجوع حاجة والحاجة نقص وآفة وكذا الكلام فى لذة النكاح وعيوبها مع ان فيها احتياجا الى زيادة المال والنفقة للزوج والولد وما يلزمهما والاحتياج الى المال يلقى المرء فى مهالك الاكتساب ومهاوى الانتجاع ولذة الرياسة ادنى عيوبها ان كل واحد يكره بالطبع ان يكون خادما مأمورا ويحب ان يكون مخدوما آمرا فسعى الانسان فى الرياسة سعى فى مخالفة كل من سواه ولا ريب ان هذا امر صعب الحصول ممتنع المرام واذا ناله كان على شرف الزوال فى كل حين وآن لان كثرة الاسباب توجب حصول الاثر فيكون دائما فى الحزن والخوف فاذا تأمل العاقل فى هذه المعانى علم قطعا انه لا صلاح فى اللذات العاجلة ولكن النفس جبلت على طلبها والرغبة فيها فيكون دائما فى بحر الآفات وغمرات الحسرات فيحب تمنى زوال هذه الحيوة وقد سبق منا فى تمنى الموت كلام آخر فى سورة البقرة فى تفسير قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فليتذكر قال اهل السير لما توفى يوسف تخاصم اهل مصر وتشاحوا فى دفنه كل يحب ان يدفن فى محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأى ان عملوا له صندوقا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه فى النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا فيه شرعا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ثم بقى يوسف هناك الى ان بعث الله موسى فاخرج عظامه من مصر ودفنها عند قبر ابيه والله تعالى اعلم بحقائق الامور التأويل ان يعقوب الروح لا يتأسف على فوات شئ من المخلوقات الا على يوسف القلب لانه مرآة جمال الحق لا يشاهد الحق الا فيها فلذلك ابيضت عيناه فى انتظارها فلامه على ذلك الاوصاف البشرية بقولهم تفتؤ تذكر يوسف وانه من اهل السلوة فى شغف من اهل العشق الذين لا يخلون من التحلى ولا بد للمحب من ملامة الخلق فاول ملامة آدم عم حين قالت الملائكة لاجله أتجعل فيها من يفسد فيها بل اول ملامة هو الله تعالى حين قالوا له أتجعل فيها ولذلك اول محب ادعى المحبة وهو قوله يحبهم واعلم من الله ما لا تعلمون من حاله وكماله اذهبوا فتحسسوا فيه ان الواجب على كل مسلم ان يطلب يوسف قلبه وبنيامين سره وان ترك لطف الله واليأس عن وجدانه كفر فلما رأت الاوصاف البشرية آثار العزة من رب العزة على صفحات احوال يوسف القلب حين وصلوا بتيسير احكام الشريعة وتدبير آداب الطريقة الى سرادقات حضرة القلب قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا وهم القوى الانسانية الضر البعد عن الحضرة الربانية وجئنا ببضاعة مزجاة من الاعمال البدنية فاوف لنا الكيل بافاضة سجال العواطف واسباغ ظلال العواطف انتم جاهلون اذ كنتم على صفة الظلومية والجهولية لقد آثرك الله علينا بالقلب والصدق والشوق والمحبة والوصول والوصال وان كنا لخاطئين فى الاقبال على استيفاء الحظوظ الحيوانية التى تضر القلب والسر والروح لا تثريب عليكم اليوم لانه تصدر منها ما تصدر بحكمة من الله

تعالى وتربية القلب وان كان مضراً له ظاهراً كما ان صنيع اخوة يوسف في البداية صار سبباً لرفعة منزلته في النهاية اذهبوا بقميصي وهو نور جمال الله
ولما فصلت عير واردات لطائف القلب هبت نفحات الطاف الحق انك لفي ضلالك القديم شعر يا عاذل العاشقين دع فئة + اضلها الله كيف
يرشدها + فارتد بصيرا لان الروح كان بصيرا في بدو الفطرة ثم عمي لتعلقه بالدنيا وتصرفه فيها ثم صار بصيرا بوارد من القلب شعر +
ورد البشير بما اقر الاعينا + وشفى النفوس من فنون غايات المنى + والقلب في بدو الامر كان محتاجا الى الروح في الاستكمال فلما كمل وصلح لقبول
فيضان الحق بين اصبعين ونال مملكة الخلافة بمصر القرب في النهاية صار الروح محتاجا اليه لاستنارته بانوار الحق وذلك ان القلب بمثابة
المصباح في البداية له الترتيب قبول النار ولكن الزيت يحتاج الى المصباح وتركيبه في النهاية ليقبل بواسطته النار ادخلوا مصر ان شاء الله
لانه لا يصل الى الحضرة الاحدية الا بجذبة المشيئة امنين من الانقطاع والانفصال وخروا له سجدا لما راوه وعرفوه انه عرش الحق تعالى فالتجلي
للعرش كان في الحقيقة لرب العرش هذا تاويل رؤياي من قبل اني كنت نائما في يوم العدم اذ اخرجني من سجن الوجود ولم يقل من الجب لانه لا يخرج من جب البشرية
ما دام في البدن والطبيعة اتيتني الملك ملك الوصال والوصول فاطر سموات عالم الارواح وارض البشرية توفني مسلما من قيد الوجود المجازي والحقني
مع الباقين بل بفضلك وكرمك ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكأين من اية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله او تأتيهم
الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا
فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون القراءة سبيلي بفتح الياء ابو
جعفر ونافع نوحي بالنون وكسر الحاء حفص الاخرون بالياء وفتح الحاء يعقلون على الغيبة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وابن كثير والاعشى والبرجمي
والباقون بتاء الخطاب كذبوا مخففا عاصم وحمزة وعلي وخلف ويزيد الباقون بالتشديد فنجي بضم النون وكسر الجيم المشددة وفتح الياء ابن عامر
وعاصم وسهل ويعقوب فعلى هذا يكون فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وعن الكسائي مثل هذا ولكن بسكون الياء وخطأ علي عليه بناء على انه فعل مستقبل
من الانجاء والنون لا يدغم في الجيم ومن التنجية والنون المتحركة لا يدغم في الساكن واقول ان كان فعلا ماضيا من التنجية والنون المتحركة لا يدغم
كما في القراءة الاولى ولكن سكن الياء للتخفيف لم يلزم منه خطأ الاخرون قرءوا بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء فعلا مضارعا من الانجاء
على حكاية الحال الماضية الوقوف اليك ج لابتداء النفي مع واو العطف يمكرون بمؤمنين اجر للعالمين معرضون مشركون لا يشعرون ومن اتبعني
المشركين القرى ط من قبلهم اتقوا ط تعقلون نصرنا ط لمن قرأ فنجي بالتخفيف ولا وقف على من نشاء ومن قرأ فنجي مشددة وصله بما قبله ووقف على من نشاء المجرمين
الالباب ط يؤمنون التفسير ذلك الذي ذكر من نبأ يوسف هو من اخبار الغيب وقد مر تفسير مثل هذا في اخر قصة زكريا في سورة ال عمران ومعنى اجماع
الامر العزم عليه كما مر في سورة يونس في قصة نوح وارادوا بهم على القاء يوسف في البئر وهو المكر بعينه وذلك مع سائر الغوائل من المجيء على قميصه بدم
كذب ومن شراهم اياه بثمن بخس قال اهل النظم ان كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التعنت فاعتقد رسول الله
انه اذا ذكرها لهم اصروا على كفرهم فنزل وما اكثر الناس اي اكثر خلق الله المكلفين واكثر اهل مكة قاله ابن عباس ولو حرصت جوابه مثل ما تقدم
اي ولو حرصت فما هم بمؤمنين والحرص طلب الشيء باقصى ما يمكن من الاجتهاد ونظير الاية قوله انك لا تهدي من احببت وما تسألهم عليه على
ما تحدثهم به من اجر كما يسأل القصاص ان هو الا ذكر وعظة من الله للعالمين عامة على لسان رسوله وكأين من اية الاكثرون على انه لفظ مركب من كاف
التشبيه واي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية والتمييز عن
الكاف لا عن اي كما في مثلك رجلا والاكثر ادخال من في تمييزه وقد مر في سورة البقرة في تفسير قوله سبحانه ان في خلق السموات والارض الى مواضع
التفصيل بعض الايات السماوية والارضية الدالة على توحيد الصانع وصفات جلاله ومن جملة الايات قصص الاولين واحوال الانبياء الماضين ومعنى
يمرون عليها انهم يشاهدونها وهم عنها معرضون لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء خبره يمرون والمراد ما يرون من اثار الامم
الهالكة وغير ذلك من العبر والحاصل ان جملة العالم العلوي والعالم السفلي محتوية على الدلائل والبينات على وجود الصانع ونعوت كماله ولكن
الغافل يتعامى عن ذلك وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وذلك انهم كانوا مقرين بالاله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لكنهم كانوا يثبتون له شريكا في المعبودية هو الاصنام ويقولون هم الشفعاء وكان اهل مكة يقولون الملائكة بنات الله وعن الحسن هم
اهل الكتاب يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه احتجت الكرامية بالاية على ان الايمان عبارة عن مجرد الاقرار
اذ لو كان كذلك لما اجتمع مع الشرك غاشية عقوبة تغشاهم وتغمرهم قل يا محمد هذه سبيلي التي هي الدعوة الى الايمان سبيلي وسيرتي وقوله ادعوا الى الله

تفسير لسبيلي وعلى بصيرة حال من ادعو وعامله. انا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعوا عاملة في انا و
من اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدا معطوفا عليه من اتبعني وعلى بصيرة خبرا مقدما فيكون ابتداء اخبار بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وتشهي وقل
سبحان الله تنزيها عما اشركوا وما انا من المشركين لا شركا جليا ولا شركا خفيا قال وما ارسلنا من قبلك وفي الانبياء قبلك بغير من لان قبلا اسم للزمان
السابق على ما اضيف اليه ومن يفيد استيعاب الطرفين وفي هذه السورة اريد الاستيعاب قوله الا رجالا رد على من زعم ان الرسول ينبغي ان يكون
ملكا او يمكن ان يكون امرأة مثل سجاح المتنبئة وقوله من اهل القرى خصهم بالاستنباء لما في اهل البادية من الغلظ والجفاء فبما رحمة من الله لنت لهم قال صلعم
من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل افلم يسيروا في الارض فينظروا الى مصارع الامم المكذبة انما قال افلم يسيروا بالفاء بخلاف ما في الروم والملائكة لاتصاله
بقوله وما ارسلنا من قبلك فكان الفاء انسب من الواو ولدار الاخرة موصوف محذوف اي ولدار الساعة والحال الاخرة لان للناس حالين حال الدنيا
وحال الاخرة وبيان الخيرية قد مر في الانعام وانما خصت ههنا بالحذف لتقدم ذكر الساعة قال في الكشاف حتى غاية المحذوف دل عليه الكلام والتقدير
فتراخى نصر اولئك الرجال حتى اذا استيأسوا عن النصر او عن ايمان القوم وظنوا انهم قد كذبوا فيه وجوه لقرائتي التخفيف والتشديد وذلك ان عود الضمير في
الفعلين الى الرسل والى المرسل اليهم الدال عليهم ذكر الامم السابقين ذكرهم في افلم يسيروا واما وجوه التخفيف فمنها فظن الرسل انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم
حين حدثتهم بانهم ينصرون وكذبهم رجاؤهم لقولهم رجاء صادق وكاذب والمراد ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله قد
تطاولت وتمادت حتى توهموا ان لا نصر لهم في الدنيا قال ابن عباس ظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا بشرا
الا ترى الى قوله وزلزلوا والعلماء حملوا قول ابن عباس على ما يخطر بالبال شبه الوسواس وحديث النفس على ما هو عادة البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد
الجانبين على الاخر فلا لان الرسل اعرف الناس بالله وبانه من معاده مبرأ عن وصمة الاخلاف ومنها وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من النصر
والظفر ومنها وظن المرسل اليهم انهم قد كذبوا من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم واما قراءة التشديد فان كان
الظن بمعنى اليقين فمعناه ايقن الرسل ان الامم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان فحينئذ دعوا عليهم فهنالك نزل عذاب الاستئصال او كذبوهم فيما وعدوهم
من العذاب او النصرة عليهم ان كان بمعنى الحسبان فالمعنى توهم الرسل ان الذين امنوا بهم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان وهذا تاويل عائشة
قالت وعد الله محمدا شيئا الا وعلم انه سيوفيه ولكن البلاء لم يزل بالانبياء حتى خافوا من ان يكذبهم الذين كانوا قد امنوا بهم لقد كان في قصصهم
قصص الرسل اضافة المصدر الى الفاعل ويحسن ان يعود الضمير لاخوة يوسف له لاختصاص هذه السورة بهم عبرة نوع من الاعتبار وهي العبور من الطرف
المعلوم الى الطرف المجهول ووجه الاعتبار على العموم ان يعلم انه لا خير الا في العمل الصالح والتزود بزاد التقوى فان الملوك الذين عمروا البلاد وقهروا
العباد ثم لم يراعوا حق الله في شيء من ذلك ماتوا وانقرضوا وبقي الوزر والوبال عليهم وعلى الخصوص ان الذي قدر على اعزاز يوسف بعد القائه في الجب
واعلاء شانه بعد حبسه في السجن واجتماعه باهله بعد البعاد قادر على اظهار محمد واعلاء كلمته والكل مشترك في الدلالة على صدق محمد لان هذا
النوع من القصص الذي اعجز حملة الاحاديث ورواة الاخبار ممن لم يطالع الكتب ولم يخالط العلماء دليل ظاهر وبرهان باهر على انه بطريق الوحي والتنزيل ومما
يكون دليلا واعتبارا لاولي الالباب واصحاب العقول الذين يتاملون ويتفكرون لا الذين يمرون ويعرضون على ان الدليل دليل في نفسه للعقلاء وان لم
ينظر فيه مستدل نظيره كما ان الرئيس الحقيقي من له اهلية الرياسة وان كان في نهاية الخمول ما كان مدلول القصص هو المقصوص والقران حديثا يفترى لظهور
اعجازه ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنة والاجماع
والقياس وقيل تفصيل كل شيء من واقعة يوسف مع ابيه واخوته قال الواحدي وعلى التفسيرين فهو ليس على عمومه لان المراد به الاصول والقوانين وما يؤول اليهما
وهدى في الدنيا ورحمة في الاخرة لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بذلك التاويل من انباء الغيب لان هذا الترتيب في السلوك لا يعلمه الا اولو
يلج ملكوت السماء الغواصون في بحر بطن القران وما كنت لديهم بالصورة ولكن كنت حاضرا بالمعنى وما اكثر الناس وهم صفات الناسوتية وما تسئلهم
عليه وما تسئلهم عليه من اجر لان اللاهوتية غير محتاجة الى الناسوتية وان دعتها الى الاستكمال لانها كاملة في ذاتها مكملة لغيرها وكاين من
اية في سموات القلوب وارض النفوس تمر الاوصاف الانسانية عليها وهم عنها معرضون لاقبالها على الدنيا وشهواتها وما يؤمن اكثر الصفات الانسانية
بطلب الله وتبديل صفاتها الا وهم مشركون في طلب الدنيا وشهواتها وطلب الاخرة ونعيمها او وما يؤمن اكثر الخلق بالله وطلبه الا وهم مشركون برؤية الاشياء
والطلب منها لا من الله فكل من يرى السبب فهو مشرك وكل من يرى المسبب فهو موحد كل شيء هالك في نظر الموحد الا وجهه او وما يؤمن اكثر الناس بالله و
بقدرته وايجاده الا وهم مشركون في طلب الحاجة من غير الله غاشية حجب بشرية تقهر ارادتهم وتسلب اختيارهم كما قيل العشق عذاب الله او تاتيهم
الساعة ساعة الانجذاب الى الله هذه سبيلي لان طريق السير والسلوك مختص بي وبامتي الا رجالا لا من اهل قرى الملكوت دون مدن الملك
والاجساد او الرجال من القرى والشبان يعبر عن عالم الارواح بالقرى لبساطتها والقرى اقل اجزاء من المدن افلم يسيروا في ارض البشرية على
قدم الشريعة والطريقة ليصلوا الى فضاء عالم الحقيقة وظنوا انهم قد كذبوا في ابطاء النصر ابتلاء للرسل والله حسبي ونعم الوكيل

سورة الرعد مكية وقيل مدنية سوى انه نزلت بجحفة قوله وهم يكفرون حروفها ثلثة الاف خمسمائة وستة كلماتها ثمانمائة وخمس وخمسون اياتها ثلث واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم



المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴿١﴾ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴿٢﴾ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴿٣﴾ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴿٤﴾ وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿٥﴾ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴿٦﴾ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴿٧﴾ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ﴿٨﴾ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ﴿٩﴾ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴿١٠﴾ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ﴿١١﴾

ع ٨

القراءة وزرع ونخيل صنوان وغير بالرفع فيهن ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص والمفضل الآخرون بالجر فيهن عطفا على أعناب يسقى بالياء المثناة من تحت على تقدير يسقى كلها والتغليب ابن عامر وعاصم ويزيد ورويس الباقون بتاء التأنيث لقوله جنات ويفضل على الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون على التكلم يفضل إذا بهمزتين واحدة على أنه يقلب الثانية ياء والباقي كما مر نافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد إذا بالمد والباقي مثله زيد وقالون ذا الهمزة واحدة أنا بهمزتين ابن عامر هشام يدخل بينهما مدة إذا الهمزة واحدة آينا بالهمزة ممدودة ثم بياء فيهما ابن كثير مثله ولكن بالمد أبو عمرو إذا أنا بهمزتين فيهما عاصم وحمزة وخلف هادي وواقي وال بالياء في الوقف يعقوب ابن كثير غير ابن فليح وزمعة وروى ابن شنبوذ عن قنبل بالياء في الوقف وعن البزي بغير ياء المتعالي بالياء في الحالين ابن كثير ويعقوب وافق سهل وعباس في الوصل الوقوف المر كوفي آيات الكتاب ط لا يؤمنون والقمر ط مسمى ط توقنون ط وأنهارا ط النهار ط يتفكرون ه بماء واحد لمن قرأ ونفضل بالنون في الأكل ط يعقلون ه جديد ط بربهم ج في أعناقهم ج النار ج خالدون ه المثلات ط ظلمهم ج لشديد العقاب ه ربه ط هاد ه وما تزداد ط بمقدار ه المتعال ه بالنهار ه من أمر الله ط ما بأنفسهم ط فلا مرد له ج لاختلاف الجملتين وال ه التفسير تلك الآيات التي في هذه السورة آيات السورة العجيبة الكاملة في بابها والذي أنزل إليك من ربك أي القرآن كله هو الحق الذي لا محيد عنه والمراد أنه لا يختص الحقية في هذه السورة وحدها ثم أخذ في تفصيل الحق فبدأ بالدلالة على صحة المبدأ والمعاد فقال الله مبتدأ خبره الذي والموصول صفة المبتدأ وقوله يدبر الأمر يفصل الآيات خبر بعد خبر والعمد بفتحتين جمع عمود وهو ما يعمد به الشيء شبه الاسطوانة وقوله ترونها كلام مستأنف على سبيل الاستشهاد أي أنتم ترونها مرفوعة بلا عماد وقال الحسن في الآية تقديم وتأخير تقديره رفع السموات ترونها مرفوعة بغير عمد وفيه تكلف وقيل ترونها صفة للعمد ثم زعم من تمسك بالمفهوم أن للسموات عمدا لكنا لا نراها وما تلك العمد قال بعض الظاهريين هي جبل من زبرجد محيطة بالدنيا يسمى جبل قاف ولا يخفى سقوط هذا القول لأن كل جسم لو كان محتاجا يلزم أن يكون معتمدا على شيء فذلك الجبل أيضا كان معتمدا على شيء ويتسلسل وقال بعض من ترقى من حضيض الصورة إلى ذروة عالم المعقول إن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه الذي أوقفها في العالي ونحن لا نرى ذلك التدبير ولا نعرف كيفية ذلك الإمساك أما قوله كل يجري لأجل مسمى فعن ابن عباس أن للشمس مائة وثمانين منزلا في مائة وثمانين يوما ثم إنها تعود مرة أخرى إلى واحد واحد منها في أمثال تلك الأيام ويجموع تلك الأيام سنة تامة أقول إن صح هذا عنه فلعله أراد بها عدها في دائرة نصف النهار وتنازلها عنها في أيام السنة أو أراد نزولها في فلكها الخارج المركز من الأوج إلى الحضيض ثم صعودها من الحضيض إلى الأوج فإن لها بحسب كل جزء من تلك الأجزاء في كل يوم من أيام السنة تعديلا خاصا زائدا أو ناقصا كما برهن عليه أهل النجوم وأما القمر فسيره في منازله شهورا وقال سائر المفسرين المراد كونهما متحركين إلى يوم القيامة وبعد ذلك ينقطع الحركة وينتهي المسير كقوله وأجل مسمى عنده واللام للتاريخ كما يقول كتبت لثلث خلون وإنما قال في سورة لقمن إلى أجل مسمى موافقة لقبيل ذلك ومن يسلم وجهه إلى الله والقياس لله كما في قوله أسلمت وجهي لله يدبر الأمر إجمال بعد التفصيل أي أمر العالم العلوي والعالم السفلي من أعلى العرش إلى ما تحت الثرى بحيث لا يشغله شأن عن شأن لأن تدبيره لعالم الأرواح كتدبيره لعالم الأشباح وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف بالنسبة إلى قدرته أحوال شيء من ذلك في الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وتبديل الصور والأعراض وتغيير الأشكال والأوضاع يفصل الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته ويحتمل أن يراد بتدبير الأمر تدبير عالم الملكوت ويكون معنى تفصيل الآيات إنزال الكتب وبعث الرسل وتكليف العباد الذي هو أثر ذلك العالم في العالم السفلي ويجوز أن يكون تدبير الأمر إشارة إلى القضاء وتفصيل الآيات إشارة إلى القدر وقوله لعلكم بلقاء ربكم توقنون على التقادير إشارة إلى إثبات المعاد لأن المفرد بتدبيره وتقديره على الإنهاج المذكورة لا بد أن يعترف باقتداره على الإعادة والجزاء ولما ذكر الدلائل السماوية أتبعها الدلائل الأرضية فقال وهو الذي مد الأرض قال الأصم أي بسطها إلى ما لا يدرك منتهاها وهذا الامتداد الظاهر للحس لبصر لا ينافي كونها كرية لتباعد أطرافها وجعل فيها رواسي أي جبالا ثوابت في أحيازها غير منتقلة عن أماكنها وكيفية تكون الجبال على بسيط الأرض لا يعلم تفصيلها إلا الله وزعمت الفلاسفة أن القادر من تأثير السموات في الأجزاء الأرضية القابلة لذلك الأثر بعد امتزاجها بالأجزاء المائية وغيرها وفي تعين على ذلك تزو

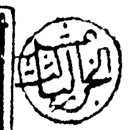
انا بهمزتين

بيداء بدل اينا بهمزتين ثم بالصحيح

تفسير



الامطار وهبوب الرياح وهذا ان صح فعلم اجمالي وزعم بعضهم ان البحار كانت في جانب الشمال مدة كون حضيض الشمس هناك وحين انتقل الحضيض الى الجنوب انجذبت المياه الى ذلك الجانب لان الشمس تصير في الحضيض اقرب الى الارض فتوجب شدة السخونة الجاذبة للرطوبات فصار الطين اللزج حجرا وحدثت الجبال والاغوار بحسب المواضع المرتفعة والمنخفضة وباعانة من السموات والآثار العلوية وبالجملة فالاسباب تنتهي لا محالة الى مسبب لا سبب له وهو الله سبحانه ومن الدلائل الدالة على وجود الصانع ووحدانيته جريان الانهار العظيمة على وجه الارض الكائنة فيها من احتباس الابخرة واكثر ذلك انما يتكون في الجبال فلذا قرن الجبال بالانهار في القرآن كثيرا كقوله وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا وقد يحصل فيها معادن الفلزات ومواضع الجواهر ومكامن الاجساد المائعة من النفط والقير والكبريت وغيرها وكل ذلك دليل على وجود فاعل مختار ومدبر فيها ثم يحدث على الارض بتربية المياه وتغذيتها انواع النبات فلذلك قال وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وللمفسرين فيه قولان الاول انه حين مد الارض خلق فيها من جميع الثمرات انواعها زوجين زوجين ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت فيكون كل زوجين بالنسبة الى ذلك النوع كآدم وحواء بالاضافة الى الانسان القول الثاني انه اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاختلاف الصنفي ووصف الزوجين بالاثنين للتأكيد مثل نفخة واحدة او لقوله يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ فقد مر تفسيره في الاعراف وانما ذكر هذا الانعام في اثناء الدلائل الارضية لان النور والظلمة انما يحدثان في الجو الذي يسميه الحكماء كرة النسيم كرة البخار وليس فيما وراء ذلك ضياء ولا اظلام فتعاقب الليل والنهار من جملة الاحداث السفلية وان كان سببها طلوع الشمس وغروبها في الافق ويحتمل ان يقال ان هذا دليل سماوي وانه سبحانه عاد مرة اخرى الى الدليل السماوي ثم الى الدليل الارضي وذلك قوله وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ اي بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومثلا صغيرة طيبة الى سبخة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على خلافها ففي هذا دلالة ظاهرة على انها بجعل فاعل مختار موقع لافعاله على حسب ارادته وكذا الكروم والزروع والنخيل الكائنة في هذه القطع مختلفة الانواع مخالفة الثمار في اللون والطعم والشكل وهي تسقى بماء واحد فدل على ذلك ان هذه الاختلافات لا تستند الى الطبيعة فقط ولكنها بتقدير العزيز العليم وانما ذكر الزرع بين الاعناب والنخيل لانها كثيرا ما تكون كذلك في الوجود كقوله جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان واصلهما واحد وعن ابن الاعرابي الصنو المثل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه فمعنى الآية على هذا ان اشجار النخيل قد يكون متماثلة وقد لا يكون والاكل الثمر الذي يؤكل قال الزجاج وعن غيره انه عام في جميع المطعومات وانما ختم الآية السابقة بقوله إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وهذه بقوله لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ لان المقام الاول يحتاج الى التفكر لان الفلاسفة يسندون الحوادث السفلية الى الآباء الاثيرية والامهات العنصرية لكن العاقل اذا تفكر في اختصاص كل ممتزج بحيز معين وشكل معين وطبيعة وخاصية تخالف تعين لغيره علم ان كل هذه الاختلافات لا تستند الى اشعة كواكب معدودة ولا الى طبائع عناصر محصورة كما اشير الى ذلك بقوله وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ الآية ولئن سلم ان الاتصالات الفلكية واختلافات القوى والقوابل قد يرتقي الى حد يظهر منها هذه الآثار فلا بد لكل مسبب من الانتهاء الى مسبب لا سبب فوقه وليس ذلك الا الله وحده فهذا مقام لا يحتاج الاعلام عقل بل فاقد حس والحاصل ان التفكر في الآيات يوجب عقلية ما جعلت الآيات دليلا عليه فهو الاول المؤدي الى الثاني والله ولي التوفيق ثم عاد سبحانه الى ذكر المعاد فقال وَإِنْ تَعْجَبْ قال ابن عباس ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك بعد ما كانوا حكموا انك من الصادقين فهذا اعجب او ان تعجب عبادتهم الاصنام بعد الدلائل الدالة على التوحيد او ان تعجب يا محمد فقد عجبت في موضع العجب لانهم اعترفوا بانه تعالى رفع السموات بغير عمد وسخر الشمس والقمر على وفق مصالح العباد واظهر الغرائب والعجائب في عالم الخلق ثم انكروا الاعادة التي هي اهون واسهل قال المتكلمون موضع العجب هو الذي لا يعرف سببه وذلك في حقه تعالى محال فالمراد وان تعجب فعجب عندك قولهم وان سلم ان المراد عجب عند الله كما قرئ في الصافات بل عجبت بضم التاء فتأويله انه محمول على النهاية لا على البداية اي منكر عند الله ما قالوه فان الانسان اذا تعجب من شيء انكره قال في الكشاف أَئِذَا كُنَّا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا انتصب بما دل عليه قوله أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ وهو نبعث ونحشر ثم حكم عليهم بامور ثلاثة الاول أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يعني اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم وذلك ان انكار البعث لا يكون الا عن انكار القدرة او عن انكار العلم بان يقال انه موجب بالذات لا فاعل بالاختيار فلا يمكنه ايجاد الحيوان الا بواسطة الابوين وتأثير الطبائع والافلاك او انكار العلم بان يقال انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع عن العاصي او تمييز اجزاء بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو او انكار الصدق كما اذا قيل انه اخبر عنه ولكنه لا يفعل لان الكذب جائز عليه كما يكذب احدنا بناء على مصلحة عامة او خاصة وكل واحدة من هذه العقائد كفر فضلا عن جميعها والثاني أُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ قال الاصم المراد بذلك كفرهم وذلتهم وانقيادهم للاصنام يقال للرجل هذا غل في عنقه للعمل الرديء اذا كان لازما له وهو مصر على فعله وقال آخرون هو من جملة الوعيد ولا بد من تجوز على القولين اما على الاول فظاهر واما على الثاني فلان المراد انه سيحصل هذا المعنى والظاهر انه حاصل في الحال ويؤيد القول الثاني قوله إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ والاول قوله إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا والثالث أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وربما يستدل الاشاعرة بان الصيغة للحصر فيدل على ان اهل الكبائر لا يخلدون في النار ويمكن ان يمنع في افادتها الحصر ثم انه صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب الآخرة وكانوا ينكرون البعث لذلك كما تقدم ويخوفهم تارة اخرى بعذاب الدنيا فيستعجلونه زعما منهم بانه كلام لا اصل له والى هذا اشير بقوله وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ بالعذاب والعقوبة التي تسوءهم قبل تمام الحسنة وهي العافية والاحسان اليهم



ضَلٰلٍ وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلٰلُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْاٰصَالِ قُلْ مَنْ رَّبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
قُلِ اللّٰهُ قُلْ اَفَاتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُوْنِهٖٓ اَوْلِيَاۤءَ لَا يَمْلِكُوْنَ لِاَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَّلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْاَعْمٰى وَالْبَصِيْرُ اَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمٰتُ
وَالنُّوْرُ اَمْ جَعَلُوْا لِلّٰهِ شُرَكَاۤءَ خَلَقُوْا كَخَلْقِهٖ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَّهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَاۤءِ مَاۤءً فَسَالَتْ اَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا
فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوْقِدُوْنَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاۤءَ حِلْيَةٍ اَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهٗ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَاَمَّا
الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاۤءً وَاَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْاَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ لِلَّذِيْنَ اسْتَجَابُوْا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنٰى وَالَّذِيْنَ
لَمْ يَسْتَجِيْبُوْا لَهٗ لَوْ اَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْاَرْضِ جَمِيْعًا وَّمِثْلَهٗ مَعَهٗ لَافْتَدَوْا بِهٖ اُولٰۤئِكَ لَهُمْ سُوْۤءُ الْحِسَابِ وَمَاْوٰىهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ اَفَمَنْ
يَّعْلَمُ اَنَّمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ اَعْمٰى اِنَّمَا يَتَذَكَّرُ اُولُوا الْاَلْبَابِ الَّذِيْنَ يُوْفُوْنَ بِعَهْدِ اللّٰهِ وَلَا يَنْقُضُوْنَ الْمِيْثَاقَ وَ



الَّذِيْنَ يَصِلُوْنَ مَآ اَمَرَ اللّٰهُ بِهٖٓ اَنْ يُّوْصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُوْنَ سُوْۤءَ الْحِسَابِ وَالَّذِيْنَ صَبَرُوا ابْتِغَاۤءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ
وَاَنْفَقُوْا مِمَّا رَزَقْنٰهُمْ سِرًّا وَّعَلَانِيَةً وَّيَدْرَءُوْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ اُولٰۤئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنّٰتُ عَدْنٍ يَّدْخُلُوْنَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
اٰبَاۤئِهِمْ وَاَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيّٰتِهِمْ وَالْمَلٰۤئِكَةُ يَدْخُلُوْنَ عَلَيْهِمْ مِّنْ كُلِّ بَابٍ سَلٰمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ وَالَّذِيْنَ يَنْقُضُوْنَ
عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِيْثَاقِهٖ وَيَقْطَعُوْنَ مَآ اَمَرَ اللّٰهُ بِهٖٓ اَنْ يُّوْصَلَ وَيُفْسِدُوْنَ فِي الْاَرْضِ اُولٰۤئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوْۤءُ الدَّارِ اَللّٰهُ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاۤءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوْا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا فِي الْاٰخِرَةِ اِلَّا مَتَاعٌ وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَوْلَآ اُنْزِلَ
عَلَيْهِ اٰيَةٌ مِّنْ رَّبِّهٖ قُلْ اِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَّشَاۤءُ وَيَهْدِيْٓ اِلَيْهِ مَنْ اَنَابَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَتَطْمَىِٕنُّ قُلُوْبُهُمْ بِذِكْرِ اللّٰهِ اَلَا بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَىِٕنُّ
الْقُلُوْبُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ طُوْبٰى لَهُمْ وَحُسْنُ مَاٰبٍ

القراءة كباسط مثل يصطر وقد مر في البقرة ام هل يستوي بياء تحتانية حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الاخرون بتاء التانيث يوقدون على الغيبة حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون على الخطاب اما للكفرة في قوله قل افاتخذتم واما للمكلفين على العموم كما في القراءة الاخرى الضمير يعود الى الناس المعلوم من سياق الكلام الوقوف لتفاوت الاختلاف الفاعل مع اتفاق اللفظ من حيث المعنى لان للسبيل الله لاحتمال الواو الحال والاستيناف الحال للاية وانقطاع النظم دعوة الحق ط بالغ ط ضلال والاصال والارض ط قل الله ط والاضر ط والبصير للعطف والتوبيخ لاحتمال ان يكون هذا الاستفهام بدلا عن الاول عليهم ط القهار رابيا مثله ط والباطل ط جفاء لاتفاق الجملتين مع كون اما للتفصيل في الارض ط الامثال الحسنى لانقد وابه الحساب جهنم المهاد نصف الجزء اعمى ط الالباب الميثاق للعطف سوء الحساب الدار لا لان قوله جنات عدن بدله من عقبى من كل باب لحق المحذوف اي فاتلين الاد عقبى الدار ط في الارض سوء الدار ويقدر ط الدنيا متاع من يشاء اناب بذكر الله الاذكر ط القلوب ماب التفسير لما خوف عباده بانزال ما لا مرد له اتبعه دلائل تشبه اللطف من بعض الوجوه والقهر من بعضها وهي البرق والسحاب والرعد الصاعقة وقد مر في اول سورة البقرة تفسير هذه الالفاظ الحكماء في مباحث وتها وانتصاب خوفا وطمعا اما على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع والتقدير ذا خوف وطمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين اما على انه مفعول له على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع وانما وجب تقدير المضاف ليكون فعلا لفاعل الفعل المعلل كما هو شرط نصب المفعول له ومعنى الخوف من وقوع الصواعق او الطمع في نزول الغيث وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر اما بحسب الزمان واما بحسب المكان نحو البلاد ويطمع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي عن الرعد فقال ملك من الملئكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب فعلى هذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك الموكل المسمى بالرعد وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك وعن النبي صلعم ان الله ينشئ السحاب فينطق احسن النطق ويضحك احسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق وهذا غير مستبعد من قدرة الله خصوصا عند من لا يجعل البنية شرطا في الحيوة وقيل المضاف محذوف اي يسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له او متلبسين بسبحان الله والحمد لله وعن علي عم سبحان من سبحت له وكان رسول الله صلعم يقول اذا اشتد الرعد اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقيل معنى تسبيح الرعد ان هذا الصوت المخصوص بطوله ومهابته يدل على وجود اله قهار كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده قال في الكشاف ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم اما قوله والملائكة من خيفته اي ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله نقد ذكر جمع من المفسرين انه عنى بهؤلاء الملائكة اعوان الرعد فانه سبحانه جعل له اعوانا قال ابن عباس انهم خائفون من الله لا كخوف ابن ادم فان احدهم لا يعرف من على يمينه ومن على يساره ولم يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء وقال الحكماء انما تتم الاثار العلوية بقوى روحانية فلكية فللسحاب روح معين من الارواح الفلكية يدبره وكذا القول في الرياح وفي سائر الاثار وهذا هو المراد بالملائكة في الاية قوله ويرسل الصواعق قد عرفت انها نار تتولد في السحاب وتنزل بقوة شديدة فربما غاصت في البحر واحرقت الحيتان ووجه الاستدلال بها على الصانع ان النار حارة يابسة وطبيعة السحاب يغلب عليها الرطوبة والبرودة للاجزاء المائية فيه وحصول الضد من الضد لا يكون بالطبع وانما يكون بتدبير القادر المختار وتسخيره ولما بين دلائل كمال العلم في قوله والله يعلم ودلائل كمال القدرة في هذه الايات قال وهم يجادلون في الله لان انكار المدلول بعد وضوح الدليل جدال بالباطل وعناد محض ويحتمل ان يكون الواو للحال اي يصيب بها من يشاء في حال جدالهم ويؤكده ما روي عن ابن عباس في رواية ابي صالح وابن جريج وابن زيد ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد بن ربيعة اقبلا يريدان رسول الله صلعم فقال رجل من اصحابه يا رسول الله صلعم هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد



الله بخير الهدى . فاقبل حتى قام عليه فقال يا محمد ما لي ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال تجعل لي الامر بعدك قال لا ليس ذلك الي انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما ذا تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال اوليس ذلك لي اليوم وكان اوصى الى اربد بن ربيعة اذا رايتني اكلمه فدر عليه من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ويراجعه ويجادل في الله فقوله في الخبر عن ربك امن نحاس هو ام من حديد فدار اربد خلف النبي صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى اربد وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صائف صاح فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لاملانها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال رسول الله يمنعك الله عن ذلك وابنا قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وخرج وهو يقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله اليه ملكا فلطمه بجناحيه فاذراه في التراب وخرجت على ركبته غدة في الوقت عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول اغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم مات على ظهر فرسه وانزل الله الاية في هذه القصة قوله وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ معناه شديد المكر والكيد لاعدائه والمماحلة شدة المماكرة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث اللهم اجعل لي القران لنا شافعا مشفعا ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا ومنه سنة المحل لشدتها وصعوبة امرها واما عبارات المفسرين فقال مجاهد وقتادة شديد القوة ابو عبيدة شديد العقوبة الحسن شديد النقمة وقيل شديد الحقد ومعناه راجع الى ارادة ايصال الشر الى مستحقه مع اخفاء تلك الارادة عنه ثم اثنى على نفسه بالحقية وشهد على الاصنام بالبطلان فقال له دَعْوَةُ الْحَقِّ فاضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما يضاف الكلمة الى الحق والمراد انه سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة اذا اراد فهو حقيق بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا فائدة في دعائه وعن الحسن الحق هو الله والمعنى له دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب ولهذا اجاب النبي صلى الله عليه وسلم في الكافرين حين دعا عليهما وعن ابن عباس دعوة الحق قول لا اله الا الله وقيل الدعوة العبادة فان عبادته هي الحق والصدق وقد سلف تحقيق الحق في اول هذا الكتاب في تفسير البسملة وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ اي الالهة الذين يدعوهم او يعبدهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء الا استجابة كاستجابة الماء من بسط يديه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر به والحاصل ان الكفار وذلك الطالب كليهما مشتركان في الخيبة لاشتراكهما في دعاء الجماد وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلا جرم لا يبلغ طلبته ثم اكد خيبتهم بقوله وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ في ضياع وذهاب عن المنفعة لانهم ان دعوا الله لم يجبهم لحقارة امرهم عنده وان دعوا الالهة لم يستطع اجابتهم ثم زاد في الثناء فقال وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فان كان السجود بمعنى وضع الجبهة فذلك ظاهر في المومنين لانهم يسجدون له طوعا اي بسهولة ونشاط وكرها اي على تعب واصطبار ومجاهدة واما في حق الكفار فمشكل ووجهه ان يقال المراد حق له ان يسجد لاجله جميع المكلفين من الملائكة والثقلين فعبر عن الوجوب بالوقوع وان كان بمعنى الانقياد والخضوع والاعتراف بالعبودية وترك الامتناع عن نفوذ مشيئته فيهم فلا اشكال ونظيره قوله وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وقد مر في ال عمران اما قوله وَظِلَالُهُمْ فقد قال جمع من المفسرين كمجاهد والزجاج وابن الانباري لا يبعد ان يخلق الله للظلال افهاما تسجد بها لله وتخضع له كما جعل للجبال افهاما حتى اشتغلت بتسبيحه فظل المومن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لغير الله كرها ويسجد لله طوعا وقال اخرون المراد من سجود الظلال تقلصها وامتدادها بحسب ارتفاع الشمس وانحطاطها فهي منقادة مستسلمة لما اتاح الله لها في الاحوال وتخصيص الغدو والاصال بالذكر لغاية ظهورها وازديادها في الوقتين ومعنى الغدو والاصال قد مر في اخر الاعراف واعلم انه سبحانه ذكر اية السجدة في النحل بعبارة اخرى فقال وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ لانه تقدم ذكر ما خلق الله على العموم ولم يكن فيه ذكر الملائكة ولا الانس بالتصريح فعمم ليشمل الانس وصرح بالملائكة وقال في الحج أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ بتكرير من لانه تقدم ذكر المومنين وسائر الاديان فقدم ذكر من في السموات تعظيما لهم ولها وذكر من في الارض لانهم هم الذين تقدم ذكرهم واما في هذه السورة فقد تقدم العلويات من الرعد والبرق ثم ذكر الملائكة وتسبيحهم ثم انجر الكلام الى ذكر الاصنام والكفار فبدا في اية السجدة بذكر من في السموات لذلك وذكر الارض تبعا ولم يذكر من فيها استخفافا بالكفر واصنامهم فتبين انه ورد كل اية بما لائق بمقامها والله تعالى اعلم بمراده ثم اخبر عن التنبيه بسؤال التقرير ردا على عبدة الاصنام فقال قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وهذه حكاية لاعترافهم لانهم كانوا يعترفون بانه الاله الاعظم وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره استيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت وذلك قوله قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ ويجوز ان يكون تلقينا لما ليسوا منكرين له والهمزة في افاتخذتم للانكار والمعنى ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ جمادا ان عجزة عن تحصيل المنافع والمضار لانفسهم فضلا عن غيرهم وموضع الانكار انهم جعلوا ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من العلم والاقرار سبب الاشراك ثم جعلوا مع ذلك اخس الاشياء مكان اشرف الذوات وهذا جهل لا مزيد عليه فلهذا شبههم بالاعمى وشبه جهالاتهم بالظلمات وانكر ان يكون شيء منها مساويا لنقيضه فقال قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ جمع الظلمات ووحد النور لان السبل المنحرفة غير محصورة والصراط المستقيم واحد ثم اكد الانكار المذكور بقوله أَمْ جَعَلُوا والمراد بل جعلوا لله شركاء خالقين مثل خلقه فتشابه الخلق اي خلق الله وخلقهم عليهم اي ليس لهذه الشركاء خلق مثل خلق الله حتى يشتبه الامر عليهم بل ليس لهم خلق اصلا بل كل ما سوى الله عاجز عن الخلق بدليل قوله قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ

التوحيد لفهمنا أن المتوحد بالربوبية الذي لا يغالب وما عداه مربوب مقهور قالت المعتزلة للعبد فعل وتأثير ولكنا لا نقول إنه يخلق كخلق الله
لأن العبد يفعل لجلب منفعة أو دفع مضرة والله تعالى منزه عن ذلك وأجيب بأن المخالفة من بعض الوجوه لا يقدح في المماثلة من وجه آخر فلو كان فعل
العبد كالتحريك مثلاً وإنما يقدر به لكان مثلاً للتحريك الواقع بقدرة الله تعالى وهذا الإشكال وارد أيضاً على من يثبت للعبد كسباً ثم ضرب
مثلاً آخر للحق وذويه والباطل ومنتحليه فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية أي مياهها والوادي الفضاء المنخفض عن الجبال والتلال الذي يجري
فيه السيل وقيل الوادي اسم للماء من ودى إذا سال والمعنى سالت مياه قال الفارسي لا نعلم فاعلاً جمع على أفعلة إلا هذا وكأنه حمل على فعيل فجمع على أفعلة
كجريب وأجربة كما أن فعيلاً حمل على فاعل فجمع على أفعال مثل يتيم وأيتام وشريف وأشراف كأصحاب وأنصار في صاحب وناصر وقال غيره نظيره ناد وأندية
ومعنى التنكير في أودية أن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض قال في الكشاف معنى بقدرها بمقدارها
الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم بدليل قوله وأما ما ينفع الناس وقال الواحدي معناه سالت مياه الأودية بقدر الأودية فإن صغر الوادي قل الماء
وإن اتسع كثر الماء والزبد هو الأبيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل ونحوه ومعنى رابيا قال الزجاج طافياً فوق الماء وقال غيره زائداً بسبب انتفاخه من
ربا يربو إذا زاد ثم قال سبحانه إظهاراً للكبرياء كما هو ديدن الملوك ومما توقدون عليه من لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء
أو للتبعيض بمعنى وبعضه زبد مثله أراد به الأجساد المنطرقة الذائبة والإيقاد على الشيء قسمان أحدهما أن لا يكون ذلك الشيء في النار كالآجر في قوله فأوقد لي
يا هامان على الطين والثاني أن يكون في النار كأنواع الفلز ولهذا قال هاهنا بزيادة لفظة في النار قال في الكشاف فائدة قوله ابتغاء حلية أو متاع
مثل فائدة قوله بقدرها لأنه جمع بين الماء والفلز في النفع في قوله وأما ما ينفع الناس أي وأما ما ينفعهم به من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بالفلز
وهو اتخاذ الحلي من الذهب والفضة واتخاذ سائر أثاث البيت والأمتعة من الحديد والنحاس والرصاص والأسرب وما يتركب منها والمتاع كل ما يتمتع به
كذلك يضرب الله الحق والباطل أي يضرب الأمثال للحق والباطل ومثله في أوائل البقرة فاختصر الكلام بأن حذف الأمثال من الأول والحق والباطل
من الثاني تأكيد للمقصود مع رعاية الاختصار ثم شرع في تتميم المثل قائلاً فأما الزبد فيذهب جفاء نصب على الحال وهو اسم لما ينفيه السيل تقول جفأ
الوادي بالهمزة جفاء إذا رمى بالقذر والزبد وكذلك القدر إذا رمت بزبدها عند الغليان وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض حاصل المثل أن
الوادي إذا جرى طفا عليه زبد وذلك الزبد يبطل ويبقى الماء النافع في العيون والآبار والأنهار وكذا الأجساد المنطرقة إذا أذيبت لأجل اتخاذ الحلي
أو سائر الأمتعة انفصل عنها خبث وزبد فيبطل ويتلاشى ويبقى ذلك الجوهر المنتفع به زماناً متطاولاً وتطبيق المثل على الحق والباطل أنه سبحانه أنزل
من سماء الوحي ماء بيان القرآن فسالت أودية القلوب بقدرها فإن كل قلب إنما يحصل فيه من أنوار علم القرآن ما يليق بذلك القلب على قدر استعداده ثم إنه
يختلط بذلك البيان شكوك وشبهات ولكنها بالآخرة تضمحل ويبقى العلم واليقين فزبد السيل والفلز مثل للباطل في سرعة اضمحلاله والانتفاع من
المنتفع والماء والفلز الصافي مثل للحق في البقاء والانتفاع به ثم ذكر أحوال السعداء وتبعات الأشقياء فقال للذين استجابوا لربهم أي فيما دعاهم
من التوحيد والنبوة والتكاليف الحسنى أي المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له مبتدأ خبره الجملة الشرطية بعده وقيل إن الكلام متصل بما
قبله أي يضرب الله الأمثال للحق من الفريقين قوله الحسنى صفة لمصدر استجابوا أي الاستجابة الحسنى وقوله لو أن لهم كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير
المستجيبين ومن ذلك قوله أولئك لهم سوء الحساب قال الزجاج لأن كفرهم أحبط أعمالهم وقال غيره سوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي هو أن يحاسب الرجل
بذنبه كله لا يغفر منه شيء وقال الحكماء هو ظهور [illegible] الملكات الرديئة والهيئات التي تمكنت على النفس ولم يكن قبل ذلك له شعور بها لاشتغاله بعالم الحس
ومأواهم جهنم لأنهم أقبلوا على الدنيا وأعرضوا عن المولى فلا جرم إذا ماتوا فارقوا معشوقهم فأدركهم الحرمان والخذلان والاحتراق بنار الفراق ثم أنكر بعد هذه
البيانات أن يستوي بين الناظر البصير والجاهل الضرير فقال أفمن يعلم أنما أي أن الذي أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى القلب إنما يتذكر أي لا
ينتفع بالأمثال إلا أولوا الألباب الذين يعبرون من القشر إلى اللباب ثم وصفهم بقوله الذين يوفون بعهد الله ويجوز أن يكون نصباً على المدح
وأن يكون مبتدأ خبره أولئك أما عهد الله فعن ابن عباس هو المذكور في قوله وإذ أخذ ربك من بني آدم وقيل هو كل ما قام عليه دليل عقلي أو سمعي من
الأفعال والتروك ولا عهد أوكد من العهد بدليل أن من حلف على الشيء فإنما يلزمه الوفاء به إذا ثبت بالدليل جوازه ولا ينقضون الميثاق تأكيد للوفاء
بالعهد بعين آخر يلزم الأول كقولك لما وجب وجوده لزم أن يمتنع عدمه وقيل الوفاء بعهد الله إشارة إلى ما كلف الله العبد به ابتداء وعدم نقض الميثاق
أراد به ما التزمه العبد بالنذر وقيل الوفاء بالعهد عهد الربوبية والعبودية والميثاق أعم لشموله كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله و
من سائر المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد والوفاء بالعهد أمر مستحسن في العقول والشرائع كلها قال صم من عاهد الله فغدر كانت فيه خصلة من النفاق
والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل أفرد لما بينهم وبين العباد بالذكر فقيل المراد صلة الرحم وقيل هو موازرة النبي صم ومعاونته ونصرته في الجهاد وقيل
رعاية جميع حقوق الناس بالشفقة عليهم والنصيحة لهم في كل حال وكل حين ومن ذلك عيادة المريض وشهود الجنائز ومراعاة الرفقاء والجيران والخدم
ومن يطيف حتى الهرة والدجاجة ويخشون ربهم وإن أتوا بكل ما قدروا عليه في باب التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله خوفاً من وعيده كله و
يخافون خصوصاً سوء الحساب ويلزم ذلك أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا وقيل الخشية نوعان خشية الجلال كالعبد إذا حضر بين يدي السلطان
ومن تلك خشية الملائكة يخافون ربهم من فوقهم وإلى هذا أشار بقوله ويخشون ربهم وخشية أن يقع في العبادة خلل ونقص يوجب فسادها

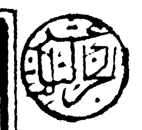
المنطرقة الذائبة

او نقصان

او نقصان ثوابها واليه الاشارة بقوله ويخافون سوء الحساب والذين صبروا عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى المصائب ابتغاء وجه ربهم لا
لاجل ان يقال ما اورعه وما ازهده وما اصبره وغير ذلك من الاغراض الفاسدة وانما يصبر على التكاليف لانها احكام المعبود الحق ويصبر على الرزايا
لانها قسمة قسام متصرف في ملكه كيف يشاء او لانه مشغوف بالمقدر والقاضي لا بالقدر والقضاء وقد يرضى العاشق بالضرب والايلام لالتذاذه بالنظر الى
وجه معشوقه فهكذا العارف يصبر على البلايا والمحن لاستغراقه في بحر العرفان وفيضان انوار المعروف عليه واقاموا الصلوة ولا يمتنع دخول النوافل فيها كقوله
ما زال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يتناول النفل لانه في السر افضل والفرض لانه في الجهر افضل كما مر في اواخر
سورة البقرة ويدرءون بالحسنة السيئة اي يدفعون بالتوبة وهي الخصلة الحسنة المعصية قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها او
قيل لا يقابلون الشر بالشر وانما يقابلونه بالخير كما روي عن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن عباس يدفعون بالحسن
من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم يروى ان شقيق بن ابرهيم البلخي دخل على عبد الله بن المبارك متنكرا فقال من اين انت قال من بلخ فقال وهل تعرف
شقيقا فقال نعم فقال كيف طريقة اصحابه فقال اذا منعوا صبروا واذا اعطوا شكروا فقال عبد الله هكذا طريقة كلابنا وانما الكاملون الذين اذا منعوا
شكروا واذا اعطوا اثروا وقيل المراد لانه انهم اذا راوا منكرا امروا بتغييره اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة التي ارادها الله تعالى ان يكون مرجع
اهلها والعقبى مصدر كالعاقبة ومثله البشرى والقربى ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل والمعنى اولئك لهم ان يعقب اعمالهم الدار التي هي الجنة
ومعنى جنات عدن تقدم في سورة براءة ومن صلح معطوف على فاعل يدخلونها ويجوز ان يكون مفعولا معه قال ابن عباس يريد من صدق بما صدقوا
به وان لم يعمل مثل اعمالهم قال الزجاج بين ان الانساب لا ينفع اذا لم يحصل معها اعمال صالحة قال الواحدي والاول اصح لان الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره
بحضور اهله معه في الجنة فلو دخلوها باعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ويمكن ان يوجه قول الزجاج بان المقصود بشارة المؤمن بان اهل الصلاح
من اصوله وفصوله وازواجه يجتمعون في دار الثواب فقد يمكن ان يكونوا جميعا في الجنة ولا يجتمعون في موضع وللقائل ان يقول الدخول اعم من الاجتماع
ولا دلالة للعام على الخاص فصح اعتراض الواحدي والاباء جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم وليس في الاية ما يدل على التمييز بين زوجة
وزوجة ولعل الاولى من مات عنها او ماتت عنه ويؤيده ما روي عن سودة انه لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت دعني يا رسول الله احشر في زمرة نسائك
قال ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها الف باب مصاريعها من ذهب يدخل عليهم الملائكة من كل باب يقولون لهم سلام عليكم بما
صبرتم على امر الله وقال ابو بكر الاصم من كل باب من ابواب البر كباب الصلوة وباب الزكوة وباب الصبر يقولون نعم ما اعقبكم الله بعد الدار الاولى
وهذا يناسب قول حكماء الاسلام ان لكل مرتبة من مراتب الكمالات جوهرا قدسيا وروحا علويا يختص بتلك الصفة فبعد المفارقة يفيض على
النفس الكاملة من ملك الصبر كمال مخصوص ومن ملك الشكر كذلك وعلى هذا القياس وقد يستدل بالاية على ان الملك افضل من البشر والا فلم يكن دخولهم
على المؤمنين موجبا لتحيتهم واكرامهم ويمكن ان يجاب بان وجه التكريم هو مجيئهم باذن الله ومن عنده لا مجرد المجيء والباء في قوله بما صبرتم يتعلق
بالسلام والمعنى انما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم او بدل صبركم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول
السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم اتبع احوال السعداء احوال الاشقياء وقد مر تفسيره في اول البقرة على ان الضد قد يعلم من الضد لسهولته
وقد مر انفا وقوله سوء الدار كان العاقبة لا يطلق الا على العاقبة الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين لان غير الحميدة لا يستاهل لان يكون عاقبة
وقال في الكشاف المراد سوء عاقبة الدنيا ولا حاجة الى هذا الاضمار بناء على ما قلنا قال ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها ذكر اهل النظم انه لما
بين سوء حال الناقضين كان لقائل ان يقول لهم قد فتح الله عليهم ابواب الرزق في الدنيا فاجاب بقوله الله يبسط الرزق والمراد ان الدنيا دار
امتحان لا دار جزاء فقد يتفق ان يكون الجاهل الكافر رخي البال والعالم المؤمن ردي الحال ولا تعلق لهذا المعنى بالكفر والايمان وللحصر اي هو وحده يوسع
الرزق على من يشاء كاهل مكة ويقدر اي يضيق ومعناه انه يعطيه بقدر الضرورة وسد الرمق لا يفضل منه شيء وفرحوا يعني اهل مكة واضرابهم بما بسط
لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح تحدث بنعمة الله واظهار لفضله عليهم وما الحيوة الدنيا ونعيمها في جنب نعيم الاخرة الا متاع شيء نزر يتمتع به اياما
قلائل ثم تعقبه له حسرات لا نهاية لها ومثل هذا لا يوجب الفرح بل لا يجوزه ثم حكى نوعا اخر من قبائح الكفرة فقال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
اية من ربه وقد مر مثله في هذه السورة وذكرنا انه ليس بتكرار محض الا ان قوله في جوابهم قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب اقبل على الحق
وحقيقته دخل في نوبة الخير فيه غموض واجيب بانه يجري مجرى التعجب كانه قيل ما اعظم عنادكم بعد ما انزلت من الايات الباهرة ان الاضلال والهداية
من الله والمراد لا تشتغلوا بطلب الايات ولكن تضرعوا الى الله في طلب الهداية فان الذي اضله الله لا يهتدي ولو راى الايات والذي هداه يراه معجزة وقال الجبائي المعنى
ان الله يضل من يشاء عن طريق الصواب ويهدي اليه اقواما اخرين فلولا انكم تستحقون العقاب لهداكم الى الثواب بانزال ما اقترحتموه وقيل المراد انه تعالى
انزل ايات ظاهرة ولكن الاضلال والهداية من الله فلو شاء لهداكم فلا فائدة في تكثير المعجزات الذين امنوا بدل ممن اناب وتطمئن قلوبهم
عن ابن عباس يريد اذا سمعوا القران خشعت قلوبهم واطمانت والاطمينان بايات الوعد لا ينافي الوجل من ايات الوعيد حيث قال اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم او المراد ان علمهم بكون القران معجزا يوجب حصول الطمانينة لهم بانه سبحانه واحد لا شريك له صادق في وعده ووعيده وبان
محمدا نبي حق الا بذكر الله تطمئن القلوب التحقيق فيه ان الانسان متوسط الرتبة بين عالم الارواح وعالم الاجسام فاذا توجه الى عالم الجسد تشتت

على الطاعات وعن المحرمات وقيل يتعلق بمحذوف اي هذا الصبر لكم بما صبرتم في مقابلة عقبى الدار

التركيب





الى التعرف به فيظهر له هناك امور ضرورية في التعيش دونها اليسر باموره من خرط القتاد فهو موزع فكره ويضطرب احواله اما اذا توجه الى عالم الروح فانه يزول
الاضطراب ويتوحد المطلب بحصول الاستغراق في بحر العرفان والاستنارة بنور الايقان ومن وقع في لجة البحر لا يبالي بما يجري انا الغريق فما خوفي
من البلل وقيل ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على النحاس انقلبت ذهبا صافيا ابا فابا على كر الدهور فاكسير جلال الله اذا وقع في القلب السليم كيف لا يقلبه
جوهرا صافيا نورانيا امنا من التغير والزوال الذين آمنوا مبتدأ خبره طوبى لهم وجوز في الكشاف ان يكون بدلا على حذف المضاف اي قلوب الذين
آمنوا وطوبى مصدر طاب يطيب كبشرى وواوه منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها واللام للبيان مثل سقيا لك والمعنى لطيب لهم على الدعاء والخبر عن ابن عباس
معناه فرح وقرة عين وعن الضحاك غبطة لهم وعن قتادة حسنى لهم وعن الاصم خير وكرامة وعن الزجاج عيش طيب والكل متقارب والعبارة الجامعة ان اطيب الاشياء في كل الامور حاصل
لهم وقيل طوبى شجرة في الجنة حكاه الاصم ان اصلها في دار النبي عليه السلام وفي دار كل مؤمن منها غصن روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده تنبت الحلي
والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة وعن بعضهم ان طوبى هي الجنة بالحبشية والمآب المرجع التأويل هو الذي يريكم برق انوار الجلال فيغلب
عليكم خوف الانقطاع واليأس ويريكم برق اضواء الجمال فيغلب عليكم طمع الوصل ورجاء الاستيناس وينشئ السحاب الثقال وهو الاتصال الثقال بمطر
القبول والاقبال ويسبح الرعد وهو الملك المخلوق من نور الهيبة والجلال فيقع الهيبة في قلوب الخلق كلهم حتى الملائكة فيسبحون من خيفته ويرسل صواعق
القهر فيصيب بها من يشاء من اهل الخذلان فيحرق حسن استعدادهم في قبول الايمان ومن نتايج ذلك انهم يجادلون في ذات الله وفي صفاته كاهل الفلاسفة الذين
لا يتابعوا الانبياء والشرايع وكبعض المتكلمين من اهل الاهواء والبدع له دعوة الحق اي دعوته حق لمن دعاه فيستجيبه كما قالتا السموات والارض اتينا
طائعين وايضا له دعاة يدعون الخلق بالحق الى الحق والذين يدعون من دونه اي بغير الحق لا يستجيبون لهم بشيء اذ لا تأثير في الخلق فمثلهم كمن يبسط
يده الى الماء اراءة الى الحق انه يريد شربه وما هو ببالغه فلا يستجابون على الحقيقة وان استجيبوا في الظاهر لانهم استجابوا لهم على المحك كما دعوا الى الحق
بالهوى يدل عليه قوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض من الملائكة وارواح الانبياء والاولياء والصلحاء طوعا
ومن ارواح الكافرين والمنافقين والشياطين كرها بالتذليل والتسخير تحت الاحكام والتقدير وظلالهم اي نفوسهم فان النفوس ظلال الارواح
وليس السجود من شأنها لانها امارة بالسوء الا ما رحم ربي فانها تسجد بتبعية الروح معنى آخر ولله يسجد من في سموات القلوب من الارواح والعقول طوعا
ومن في ارض النفوس من صفات النفس والقوى الحيوانية والسبعية والشيطانية كرها وظلالهم وهي آثارها ونتايجها آخر ولله يسجد الارواح في الحقيقة
وظلالهم وهي اجسامهم بالتبعية وهذا السجود بمعنى وضع الجبهة وخص الوقتان بالذكر لان آثار القدرة فيهما اكثر وان اريد الانقياد والتسخير
احتمل ان يراد بالوقتين وقتا الانتباه والنوم ففي الاول يطلع شمس الروح من افق الجسد وفي الثاني يغرب فيه انزل من سماء القلوب ماء المحبة فسالت
اودية النفوس فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاخلاق الذميمة النفسانية والحيوانية او انزل من سماء الارواح ماء مشاهدة انوار الجمال فسالت اودية
الارواح فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاوصاف البشرية او انزل من سماء الاسرار ماء كشوف الجمال فسالت اودية الارواح فاحتمل السيل زبدا رابيا
من الانانية الروحانية او انزل من سماء الجبروت ماء تجلي صفات الالوهية فسالت اودية الاسرار بقدرها فاحتمل السيل زبد الوجود المجازي ومما
يوقدون عليه من البقاء في نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فلا تبقي ولا تذر وهي التذكية بالفناء ابتغاء حلية وهي التحلية بالبقاء الحقيقي
او متاع وهو التمتع بزبد مثله مثل زبد البشرية وهو زبد المعرفة والتوحيد فاما الزبد في الاحوال كلها فيذهب جفاء بالفناء واما ما ينفع الناس
من البقاء بالله فيمكث في ارض الوحدة المستعدة لقبول الفيض الالهي للذين استجابوا لربهم الحسنى وهي العناية الازلية التي هي الاستجابة من نتايجها
كقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى والذين لم يستجيبوا له حين دعاهم للوصول والوصال لو حصل لهم ما في ارض البشرية من انواع اللذات
والحظوظ واضعافها لجعلوه فداء العذاب القطيعة وانفقوا مما رزقناهم اي انفصلوا عما سواه ليتصلوا به سرا بالانقطاع عما يشغل بواطنهم
وعلانية بالانفصال عما يشغل ظواهرهم ويدرؤن بالاعمال والاحوال الحسنة في صدق الطلب الاحوال السيئة من الوقائع والفترات والملائكة
يدخلون عليهم تبركا وتيمنا بهم تبعا لهم من كل باب دخلوها بالاستقلال على اقدام السير بالله الى الله سلام عليكم بما صبرتم عن غير الله وعلى
صدق الطلب الا بذكر الله تطمئن القلوب القلوب اربعة قلب قاس كقلوب الكفار والمنافقين فاطمينانه بالدنيا وشهواتها رضوا بالحيوة الدنيا
واطمأنوا بها وقلب ناس وهو قلب المسلم المذنب كقوله فنسي ولم نجد له عزما فاطمينانه بالتوبة فتاب عليه وهدى وقلب مشتاق وهو قلب المؤمن
فاطمينانه بذكر الله كما في الآية وقلب حاضر وهو قلب الانبياء وخواص الاولياء فاطمينانه بالله وصفاته كقول الخليل عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي اي بتجلي
صفات الاحياء واذا صار القلب مطمئنا انعكس نور الاطمينان من مرآة قلبه على نفسه فتصير مطمئنة ايضا فتستحق بجذبات العناية لخطاب ارجعي ثم
اشار الى ان الاطمينان ثمرة غرس شجرة الايمان والعمل الصالح في ارض القلب فقال الذين آمنوا الآية فالاشارة بطوبى الى حقيقة شجرة لا اله الا الله
ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ولم يكن الا في قلب النبي عليه السلام وبتبعيته في قلوب المؤمنين ولهذا قال عليه السلام طوبى شجرة اصلها في داري وفرعها على اهل الجنة
فانهم في اهل الجنة فانهم من اهل الجنة كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون
بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى
بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او

من صفات القلب

تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا
ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض
أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحيوة
الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم
وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن
الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا
ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم
أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب
وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من
أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم
الكافر لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

ع ٤ ع ٥

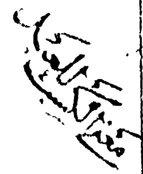
القراءة متابي وعقابي ومابي بالياء في الحالين يعقوب والسرندي عن قنبل وافق سهل وعباس في الوصل بل زين ونحوه بالادغام علي وهشام وصد بالضم
الصاد وكذلك في حم المؤمن عاصم وحمزة وعلي وخلف ويعقوب الباقون بفتحها ويثبت مخففا من الاثبات ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم الاخرون با
لتشديد من التثبيت الكافر لمن على التوحيد ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير والباقون الكفار على الجمع الوقوف بالرحمن لا الا هو لانقطاع النظم مع اتحاد
القائل متاب الموتى ط لان جواب لو محذوف وفاء لكان هذا القرآن جميعا ط في الموضعين وعد الله ط الميعاد ج اخذتهم ج للاستفهام مع الفاء عقاب بما كسبت
لحق الخبر المحذوف في التقدير لمن لا ينفع ولا يضر ولان قوله وجعلوا يصلح استئنافا او حالا باضمار قد شركاء ط سموهم ط لحق الاستفهام من القول ط عن السبيل
ط هاد ه اشق لاتفاق الجملتين مع النفي في الثانية واق ه المتقون ط لان التقدير فيما يتلى عليك مثل الجنة والوصل وجه بدونه في التفسير الانهار ط وظلها ط اتقوا ق
قد قيل والوصل اجوز لان الجمع بين بيان الحالين ادل على الانتباه النار ه بعضه ط ولا اشرك به ط ماب ه عربيا ط العلم لا لان ما بعده جواب واق ه وذرية ط باذن الله
كتاب ه ويثبت ج والوصل اجوز لتمام مقصود الكلام الكتاب ه الحساب ه اطرافها ط لحكمه ط الحساب ه جميعا ط كل نفس ط الدار ه مرسلا ط وبينكم للعطف الكتاب ه التفسير عن ابن
عباس والحسن ارسلنا الانبياء قبلك في امة قد خلت من قبلها امم وقال آخرون معنى التشبيه كما ارسلنا الى امم وآتيناهم كتبا يتلى عليهم كذلك آتيناك
هذا الكتاب انت تتلو عليهم فلم [illegible] غيره وقال في الكشاف معناه مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسال
ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء ثم ذكر مقصود الارسال فقال لتتلوا اي لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي
اوحينا اليك وهم يكفرون حال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن للمفسرين خلاف في تخصيص لفظ الرحمن بالمقام فقال جار الله كفرهم بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته
كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال مثل هذا القرآن بالمعجز المصدق لسائر الكتب عليهم وعن ابن عباس في رواية الضحاك نزلت في
كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل لهم ان الرحمن الذي انكرتم معرفته هو ربي لا اله الا هو الواحد القهار المتعالي
عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب رجوعي فيثيبني على مصابرتكم وقيل نزلت في صلح الحديبية حين ارادوا كتاب الصلح فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعلي عم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا
كان اهل الجاهلية يكتبون فانزل الله الآية وعلى هاتين الروايتين كان الذم متوجها على كفرهم باطلاق هذا الاسم على غير الله تعالى لا على جحودهم او اشراكهم
روي ان اهل مكة قعدوا في فناء الكعبة فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهم الاسلام فقال له رؤساؤهم كابي جهل وعبد الله بن امية المخزومي سير لنا جبال
مكة حتى ينفسح المكان علينا واجعل لنا فيها انهارا نزرع فيها واحي لنا بعض اموتنا لنسئلهم احق ما تقول ام باطل فقد كان عيسى يحيي الموتى او سخر لنا
الريح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان ولست باهون على ربك منه فنزل قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها و
ازيلت عن مراكزها او قطعت به الارض اي وقع به السير في البلاد فوق المعتاد شبه طي الارض او شققت عن مراكزها فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى
بعد احيائهم به لكان هذا القرآن قال الراوي لما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذا الوحي قال والذي نفسي بيده لقد اعطاني ما سألتم ولو
شئت لكان ولكنه خيرني بين ان تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين ان يكلكم الى ما اخترتم لانفسكم ثم ان كفرتم يعذبكم عذابا لا يعذبه احدا من
العالمين فاخترت باب الرحمة وقال الزجاج معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى اي تنبيههم لما آمنوا به كقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الآية وقال في الكشاف هذه الآية لبيان تعظيم شان القرآن ومعنى تقطيع الارض تصدعها كقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرايته خاشعا متصدعا ونقل في الكشاف عن الفراء ان الآية متعلق بما قبلها والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ويبدلون هذا الكلام وهو قوله ولو
ان قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض ثم قال ردا عليهم بل لله الامر جميعا قال اهل السنة يعني ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ولا اعتراض لاحد عليه
وقالت المعتزلة القدرة على الآيات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه ولان يلجئهم الى الايمان لا انه ينافي امر التكليف

تفسير
ارسلناك كما
المراد هم



الاخبار قالوا وبعضده قوله أفلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله مشيئة الالجاء لهدى الناس جميعا او لو يشاء لهداهم الى الجنة او المراد نفي العموم لا عموم
النفي وذلك انه ما شاء هداية الاطفال والمجانين اجاب اهل السنة بان كل هذا خلاف الظاهر ومعنى أفلم ييأس افلم يعلم وهذه لغة قوم من النخع وقال الزجاج
انه مجاز لان اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون نظيره استعمال الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمنهما اياهما ويؤيده قراءة علي ع وابن عباس وجماعة
افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل ان قراءتهم اصل والمشهورة تصحيف وقع من جهة ان الكاتب كتبه مستوى السينات وهذا القول سخيف جدا والظن
بأولئك الثقات الحفظة غير ذلك وبهذا قال في الكشاف هذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء بآمنوا معناه افلم يقنط من ايمان هؤلاء الكفرة
الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ثم اوعد الكافرين بقوله ولا يزال الذين كفروا يعني عامة الكفار تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم
قارعة داهية تقرعهم من السبي والقتل وتحل القارعة قريبا من دارهم فيتطاير اليهم شرارها حتى يأتي وعد الله وهو اسلامهم او موتهم او القيامة وقيل خاصة
في اهل مكة وكان رسول الله صلعم لا يزال يبعث السرايا حول مكة فتغير عليهم وتختطف منهم وعلى هذا احتمل ان يكون قوله او تحل خطابا اي تحل انت يا محمد
قريبا من دارهم بجيشك كما في الحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان قد وعده الله الفتح عموما وخصوصا وكان كما وعد وكان معجزا ان الله لا يخلف
الميعاد وقد مر البحث عليه في اول سورة ال عمران ثم ازداد في الوعيد فقال ولقد استهزئ الى الاية والاملاء الامهال وقد مر هناك ثم الاستفهام في قوله
فكيف كان عقاب للتقرير والتهديد ثم اورد على المشركين ما يجري مجرى الحجاج والتوبيخ والتعجب من عقولهم فقال افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت معنى القائم الحفيظ
والرقيب اي الله العالم بكل المعلومات القادر على كل الممكنات كمن ليس كذلك وجوز في الكشاف ان يقدر الخبر بحيث يمكن عطف وجعلوا عليه التقدير
افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء فيكون قوله لله من وضع الظاهر مقام الضمير وذكر السيد صاحب حل العقد انه يجوز ان يجعل الواو
الواو في قوله وجعلوا لله للحال ويضمر للمبتدأ خبر يكون المبتدأ معه جملة مقررة لانكار ما يقاربها من الحال والتقدير افمن هو قائم على كل نفس موجود و
الحال انهم جعلوا له شركاء فاقيم الظاهر مقام المضمر كما قلنا تقريرا للالهية وتصريحا بها وانه هو الذي يستحق العبادة وحده وهذا كما تقول معطي الناس
ومغنيهم موجود ويحرم مثلي ثم زاد في المحاجة فقال قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم وانما يقال ذلك في الشيء المستحقر
الذي لا يستحق ان يلتفت اليه فيقال سمه ان شئت يعني انه اخس من ان يسمى ويذكر ولكنك ان شئت ان تضع له اسما فافعل وقيل المراد سموهم بالالهة
على سبيل التهديد قال في الكشاف ام في قوله ام تنبئونه منقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان تعرف اقول وذلك لانه لا شيء
محض اذ لو كان الشريك هو موجودا وهو ارضي لتعلق علم العالم الذات المحيط بجميع السفليات ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم وقد مر في اول يونس
ثم اكد هذا المعنى بقوله ام بظاهر من القول اي بل انسمونهم شركاء بظاهر من الكلام من غير ان يكون له حقيقة كقوله ما تعبدون من دونه
الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج من عجائب الاساليب التي اختص بها القرآن الكريم المعجز فلله دره شان التنزيل ثم بين طريقهم فقال بل زين للذين
كفروا مكرهم قال الواحدي معنى بل ههنا كما يقال دع ذكر الدليل فانه لا فائدة فيه انه كذا وكذا والكلام في ان المزين هو الله تعالى او غيره قد مر في
اول سورة ال عمران وكذا البحث فيمن قرأ وصدوا بضم الصاد واما من قرأ بالفتح فيحتمل ان يكون لازما اي اعرضوا عنه ويحتمل ان يكون متعديا اي
صرفوا غيرهم والخلاف في قوله ومن يضلل الله تقدم في مواضع منها اواخر الاعراف ثم عاد الى الايعاد فقال لهم عذاب في الحيوة الدنيا من القتل والقتال
واللعن والذم لا المصائب والامراض لانها قد تصيب المؤمنين ايضا ولانها مأمور بالصبر عليها والعقاب لا يكون كذلك ولعذاب الاخرة اشق لانه
اشد وادوم وما لهم من الله اي من عذابه من واق من حافظ او ما لهم من جهة الله واق اي دافع ومانع من رحمته بل انما يمنع رحمته منهم باختياره وحكمه ثم عقب
الوعيد بالوعد فقال مثل الجنة وتقديره عند سيبويه فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج انه تمثيل
للغائب بالشاهد ومعناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار وقيل ان فائدة الخبر ترجع الى قوله اكلها دائم كانه قال مثل الجنة التي وعد المتقون
تجري من تحتها الانهار كما تعلمون من حال جناتكم الا ان هذه فان اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم ايضا والمراد انه لا حر هناك ولا برد ولا
شمس ولا قمر ولا ظلمة وقد مر هذا البحث في سورة النساء في قوله وندخلهم ظلا ظليلا قيل في الاية دلالة على ان حركات الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقول
ابو الهذيل واتباعه قال القاضي وفيها دليل على ان الجنة لم تخلق بعد والا انقطع اكلها لقوله تعالى كل من عليها فان كل شيء هالك الا وجهه قال
ولم ننكر ان تحصل الان في السموات جنات تتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم الا ان جنة الخلد خاصة انما تخلق بعد الاعادة
واجيب بانا نخصص عموم كل شيء هالك بالدليل الدال على ان الجنة مخلوقة وهو قوله اعدت للمتقين ثم ذكر عقائد الفرق في شان القرآن المتلو فقال
والذين اتيناهم الكتاب قيل اراد بالكتاب القرآن يعني ان المسلمين يفرحون بما انزل اليك من الشرائع والعلوم ومن الاحزاب الجماعات من اليهود و
النصارى وغيرهم من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام المطابقة لشرائعهم وعقائدهم وانما انكروا ما يختص بالاسلام من
نعت الرسول وغيره قاله الحسن وقتادة واعترض عليه بان اهل الاسلام فرحهم بنزول القرآن معلوم ولا فائدة في ذكره ويمكن ان يقال المراد زيادة الفرح
والاستبشار بما فيه من العلوم والفوائد وانهم يتلقون نزول الوحي بالبشر والطلاقة لا بالتثاقل والجهالة وقيل الكتاب التورية والانجيل والمراد من
اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب ومن اسلم من النصارى وعددهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلثون بارض الحبشة فرحوا بالقرآن لانهم
امنوا به وصدقوه والاحزاب بقية اهل الكتاب المشركون قاله ابن عباس وقال مجاهد اراد ان اليهود والنصارى كلهم يفرحون بما انزل اليك لانه مصدق

الا معهم ومن سائر الكفرة من ينكر بعضه واعترض بانهم كلهم لا يفرحون بكل ما انزل الى رسولنا وقوله بما انزل يفيد العموم واجيب بالمنع من ان ما يفيد
العموم لصحة الاستثناء ولصحة ادخال كل عليه ولا نكير في ادخال بعض ولا نقض كما يعرف في علم اصول الفقه ثم امر نبيه بان يصرح بطريقته فقال قل انما امرت ان
اعبد الله ما امرت الا بعبادته وعدم الاشراك به وهو يندرج فيه جميع وظائف العبادة ثم ذكر انه مع كماله مكمل فقال اليه ادعو خصه بالدعاء الى عبوديته
دون غيره كائنا من كان ثم ختم بذكر المعاد فقال واليه مآب لا مرجع الا اليه ومن تأمل في هذه الالفاظ عرف انها مع قلتها مشتملة على حاصل علوم
المبدأ والوسط والمعاد ثم ذكر بعض فضائل القرآن واوعد على الاعراض عن اتباعه فقال وكذلك انزلناه الضمير يعود الى ما في قوله بما انزل اليك والى
القرآن في قوله ولو ان قرآنا ووجه التشبيه كما انزلنا الكتب على الانبياء بلسانهم كذلك انزلنا اليك هذا القرآن وقال في الكشاف معناه ومثل
ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا انتصب على الحال اي حكمة مترجمة بلسان
العرب وقيل سمي حكما لانه حكم على جميع المكلفين بقبوله والعمل به او لانه اشتمل على اصول الاحكام والشرائع فجعل نفس الحكم مبالغة روي ان الكفار
كانوا يدعون رسول الله صلعم الى امور ليوافقهم فيها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فاوعد على ذلك وعن ابن عباس الخطاب له والمراد
امته وقد مر الوجوه في مثله في اوائل سورة البقرة قال الكلبي عيرت اليهود رسول الله صلعم وقالت ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان
نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء فانزل الله تعالى ولقد ارسلنا الآية ومعناه ان الرسل كانوا من جنس البشر لا من جنس الملك وما كان لهم نقص من
قبل الازواج والاولاد فقد كان لسليمان ثلثمائة امرأة منكوحة وسبعمائة سرية ولداود مائة وذرية يعقوب اكثر من ان يحصى وكانوا يقترحون الآيات
فاجاب الله تعالى عنه بقوله وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله ولا بد لكل نبي من معجز واحد والزائد على ذلك ليس باصل النبوة وتعيين المعجز
الواحد مفوض الى مشيئته سبحانه ولا حكم لاحد عليه وكان رسول الله صلعم يخوفهم بنزول العذاب وظهور نصرة الاسلام وذويه وكانوا يكذبونه
ويستبطئون موعوده فاجيبوا بقوله لكل اجل كتاب اي لكل وقت حكم مكتوب وحادث معين لا يتأخر ذلك الحكم او الحادث عنه ولا يتقدم عليه
وقيل هذا على القلب اي لكل مكتوب وقت معين والتحقيق انه لا حاجة الى ارتكاب القلب لان المعية يقتضي التلازم وكانوا ينكرون النسخ في الشرائع
وفي التكاليف فنزل يمحو الله ما يشاء ويثبت اي يثبته فاستغنى بالصريح عن الكناية والمحذوف هاهنا الكناية ونحوها وفي الآية قولان الاول
انها عامة وانه سبحانه يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود وقد رواه جابر
عن رسول الله صلعم والذاهبون اليه كانوا يدعون ويتضرعون الى الله في ان يجعلهم سعداء ان كانوا اشقياء وهذا الابتناء في تراجع القلم لان المحو والاثبات
ايضا من جملة ما قضي به الثاني انها خاصة في بعض الاشياء فقيل اراد نسخ حكم واثبات آخر مكانه ولقد مر تمام البحث في النسخ في البقرة في قوله ما ننسخ من آية وقيل
يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره واعترض الاصم عليه بانه ينافي قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها واجاب القاضي بان المراد صغائر الذنوب وكبائرها ورد بان هذا اصطلاح المتكلمين والمفهوم اللغوي اعم فيتناول المباحات
ايضا وقيل يمحو بالتوبة ما يشاء من الكفر والمعاصي ويثبت بدلها الحسنة كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل يثبت في اول السنة احكام تلك السنة
فاذا مضت السنة محيت وكتب كتاب آخر للمستقبل وقيل يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس ويمحو الدنيا ويثبت الآخرة اما قوله وعنده ام الكتاب اي اصله
فقيل هو اللوح المحفوظ عن النبي صلعم كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح المحفوظ واثبت فيه احوال جميع الخلق الى يوم القيامة فعلى هذا عند الله كتابان احدهما اللوح
المحفوظ وانه لا يتغير وثانيهما الذي يكتبه الملائكة على الخلق وهو محل المحو والاثبات روى ابو الدرداء عن النبي صلعم ان الله سبحانه في ثلث ساعات بقين من
الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وقيل هو علم الله تعالى المتعلق بجميع الموجودات والمعلومات وانه لا يتغير ولا يتبدل
بتغير المتزمنات وتبدلها وقد مر تحقيقه في مواضع ولما بين كيفية انطباق الحوادث على وفقه قال واما نرينك يعني كيفما دارت الحال اريناك مصارعهم
وما وعدناهم من العذاب او توفيناك قبل ذلك فليس يجب عليك الا التبليغ وما حسابهم وما جزاؤهم الا علينا والبلاغ بمعنى التبليغ كالسلام والكلام ثم
ذكر ان آثار حصول تلك المواعيد وامارتها قد ظهرت وقرب ان تباشير الظفر قد طلعت ولاحت فقال اولم يروا انا نأتي الارض يعني اتيان القهر والغلبة
بدليل ننقصها من اطرافها والارض ارض مكة كان المسلمون ينالون من اهاليها ونواحيها بالبعوث والسرايا والجيوش والان صارت الارض اعم واشمل و
لله الحمد على اعلاء شان المسلمين زاده الله علوا فلا يزال ينقص شيء من ديار الكفر ويزيد في بلاد الاسلام ونقل عن ابن عباس ان المراد بنقص اطراف الارض
موت اشرافها وكبرائها وعلمائها وصلحائها قال الواحدي اللائق بالمقام هو القول الاول وقد يوجه الثاني بانه اراد انهم اذا شاهدوا هذه التغيرات فما
الذي يؤمنهم ان يقلب الله عليهم الامر فيجعلهم اذلة مغلوبين بعد ان كانوا اعزة غالبين ثم اكد هذا المعنى بقوله والله يحكم لا معقب لحكمه نصب على الحال
والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وذلك انه يعقبه بالرد والابطال فكانه قيل والله يحكم نافذ الحكم وهو سريع الحساب عن ابن عباس هو سريع
الانتقام فيعاقبهم في الدنيا ثم سلى نبيه صلعم بقوله وقد مكر الذين من قبلهم برسلهم كنمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى فلله المكر جميعا قال
الواحدي لان مكر جميع الماكرين بتخليقه وارادته ولانه لا يضر الا باذنه ولا يؤثر الا بتقديره وقالت المعتزلة انه جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره في الآخرة
وقيل اراد فلله جزاء مكر الماكرين قال الواحدي والقول الاول اظهر بدليل قوله يعلم ما تكسب كل نفس يريد ان اكتسابها باسرها معلومة لله تعالى وخلاف
معلومه ممتنع الوقوع فلا يقدر العبد على خلاف معلومه وناقضت المعتزلة بانه اثبت لكل نفس كسبا فدل على انه مقدور العبد واجيب بان المقتضي للفعل





عنده ما هو مجموع القدرة والداعي وهذا معنى قولهم الكسب حاصل للعبد ثم ختم الآية بوعيد الخوارج فقال وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ومن قرأ على الجمع فظاهر ومن قرأ على التوحيد فالمراد به الجنس عن ابن عباس ان المراد ابو جهل وعن عطاء ان المراد المستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون ثم ذكر حاصل شبههم مع الجواب القاطع فقال ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا والمراد من هذه الشهادة انه اظهر المعجزات على وفق دعواه ولا شهادة اعلى من هذه لان الشهادة القولية انما لا تفيد الا غلبة الظن وهذه تفيد القطع بصحة نبوته ثم عطف على اسم الله ومن عنده علم الكتاب اي الذي حصل عنده علم القرآن وفهم معانيه واشتماله على دلائل الاعجاز من النظم الانيق والاسلوب العجيب الفائق لقوى البشر فمن علم هذا الكتاب على هذا الوجه شهد بانه معجز باهر وان الذي ظهر هذا المعجز عليه نبي حق ورسول صدق وعن الحسن وسعيد بن جبير والزجاج ان الكتاب هو اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ الا هو يعني الله عز وجل شهيدا ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده على من الجارة واعترض على هذا القول بان عطف الصفة على الموصوف بعيد لا يقال شهد بهذا زيد والفقيه وانما يقال زيد الفقيه وقيل المراد شهادة اهل الكتاب من الذين آمنوا برسول الله كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري لانهم يشهدون بنعته في كتبهم والاعتراض ان اثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب على امثالهما لكونهم غير معصومين لا يجوز وقال الزجاج لا يستشهد الله تعالى الا بمن يستشهد على صحة حكمه بغيره وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله وعن سعيد بن جبير ان السورة مكية وابن سلام واصحابه آمنوا بالمدينة بعد الهجرة والله اعلم بمراده. التأويل وهم يكفرون بالرحمن يعني ان الصفة الرحمانية اقتضت ايجاد جميع الموجودات وافاضة جميع النعم كما ان صفة القهارية كانت مقتضية للوحدة بان لا يكون معه شيء ولا نعمة اجل من بعثة الرسل ففيه صلاح حال الدارين فلما جحدوا الرسول فقد جحدوا الرحمن وهذا سبب تخصيص هذا الاسم بالمقام كقوله ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ولله الامر بان يقول في الجواب هو ربي الذي رباني لا اله الا هو لا يستحق العبادة الا هو ولا افوض امري الا اليه واليه مرجعي كما كان منه مبدئي ولو ان قرآنا سيرت به جبال النفوس او قطعت به ارض البشرية او كلم به موتى القلوب الميتة بلا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم بالرحمن قارعة من الاحكام الازلية تقرعهم في انواع المعاملات التي تصدر عنهم موجبة للشقاوة او تحل قريبا من دارهم فابتليهم بان تصدر تلك المعاملة ممن يصحبهم [illegible] حتى يأتي وعد الله بقدرك الشقاوة الازلي ومن امارات الشقاوة الاستهزاء بالانبياء والاولياء ثم اخذتهم اي امسكتهم لئلا يخرجوا عن مقام الشقاوة لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالبعد والحجاب عبودية النفس بالهوى ولعذاب الآخرة بانواع الحسرات والتعذيب بالهيئات والملكات الموجبة للدركات اكلها دائم هي مشاهدات الجمال ومكاشفات الجلال وظلها اي انهم في ظل معاملاتهم واحوالهم التابعة لتمسكهم بوجودهم على الدوام والذين آتيناهم الكتاب هم السر والروح والقلب الذين يفهمون اسرار القرآن ومن الاحزاب النفس والهوى والقوى من ينكر بعضه لثقل التكليف عليهم وللجهل بفوائده ولئن اتبعت اهواء المخالفين بالشركة في الطلب من بعد ما جاءك من العلم وهو طلب الوحدة بسبب الانانية وجعلنا لهم ازواجا وذرية فيه ان الرسل جذبتهم العناية في البداية فرقوا من حضيض الحيوانية الى اوج الروحانية ثم الى معارج النبوة والرسالة في النهاية فلم يبق فيهم من دواعي البشرية ما يزعجهم الى الازدواج بالطبيعة والركون الى الاولاد بخصائص الحيوانية بل رغبهم الله سبحانه في ذلك على وفق الشريعة بخصوص الخلافة باظهار صفة الخالقية ومثله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام يمحو الله ما يشاء لاهل السعادة من افاعيل اهل الشقاوة ويثبت لهم من حسنات اهل السعادة وبالعكس لاهل الشقاوة وعنده ام الكتاب الذي قدر فيه ان لا خاتمة كل من الفريقين واما نرينك بالكشف بعض مقاماتهم كما اخبر عن العشرة المبشرة بانهم في الجنة وعن غيرهم بانهم في النار انا نأتي ارض البشرية فننقص منها بالازدياد في الاوصاف الروحانية

سورة ابراهيم عليه السلام مكية غير آيتين الم تر الى الذين بدلوا الآيتين حروفها ثلاثة آلاف واربعمائة وثلاثون كلمها ثمانمائة وخمس آياتها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ۝ الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد ۝ الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد ۝ وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ۝ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ۝ واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ۝ واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ۝ وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد ۝ الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب ۝ قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ۝ قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

ع ١٥

التفسير

وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝

القراءة الله الذي بالرفع على الابتداء في الحالين ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل وقرأ يعقوب الخزاعي عن ابن فليح بالرفع اذا ابتدأ وبالخفض اذا وصل الباقون بالجر مطلقا وعيدي بالياء في الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل الوقوف الحميد ط لمن قرأ الله بالرفع وما في الارض ط شديد لا بناء على ان الذين صفة الكافرين عوجا ط بناء على ما قلنا او على ان الذين منصوب او مرفوع على الذم اي اعني الذين او هم الذين وان جعل الذين مبتدأ خبره اولئك في ضلال فلا وقف على عوجا ولكن تقف على شديد الا انه بعيد ليبين لهم ط لان قوله فيضل حكم مبتدأ خارج عن تعليل الارسال ويهدي من يشاء ط الحكيم بايام الله ط شكور كفرتم لشديد جميعا لا لان ما بعده جزاء حميد وثمود ط لمن لم يعطف وجعله مستأنفا ومن عطف وقف على من بعدهم ط الا الله ط مريب الارض ط تنصلا بين الاستخبار والاخبار مستمى ط لتقدير همزة الاستفهام في يريدون مبين من عباده باذن الله ط المؤمنون سبلنا ما آذيتمونا ط المتوكلون في ملتنا ط من بعدهم ط وعيد عنيد لا لان ما بعده وصف صديد لا لذلك بميت ط غليظ

التفسير كون السورة مكية او مدنية انما يفيد في الاحكام لتعرف المنسوخ من الناسخ وفي غير ذلك المكية والمدنية سيان قوله الر كتاب اي السورة المسماة بالر كتاب انزلناه اليك لغرض كذا وان كان الر مذكورا على جهة التعديد فقوله كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هذا القرآن او هذه السورة كتاب والظلمات استعارة لطرق الضلال ومظانه والنور مستعار للحق واللام في لتخرج للغرض عند المعتزلة وللغاية عند الحكيم وان شئت فقل للعاقبة واللام في الناس للجنس المستغرق ظاهر ففيه دليل على ان دعوته عامة ومعنى اخراج النبي صلى الله عليه وسلم اياهم من الظلمات الى النور انه سبحانه جعل انزال الكتاب عليه دعوته اياهم به الى الحق واستنهاضهم ثم لا مطمع ولكن باذن ربهم اي بتسهيله وتيسيره وكل ميسر لما خلق له والحاصل ان المراد من الاذن معنى يقتضي ترجيح جانب الوجود على جانب العدم ومع حصول الرجحان فقد حصل الوجوب عند المحققين ولك ان تعبر عن ذلك المعنى بالداعية الايمان احتج بالآية من قال ان معرفة الله تعالى لا يمكن الا بالتعليم الذي عبر عنه بالاخراج من الظلمات الى النور واجيب بان معنى الاخراج التنبيه واما المعرفة فانما تحصل من الدليل وقوله الى صراط مستقيم بدل من قوله الى النور بتكرير العامل الجار وجوز في الكشاف ان يكون على جهة الاستئناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط الحميد وفي ذكر الوصفين تأكيد لحقية الصراط واستنارته لان العزيز هو القادر الغالب والحميد هو الكامل في صفات الحمد من العلم والغنى وغير ذلك ولا ريب ان من هذه صفته كان سبيله الذي نهجه لعباده مفضيا الى صلاح حالهم دينا ودنيا اذ لا حاجة الى ارتكاب عبث او قبيح قال بعض العلماء انما قدم ذكر العزيز لان الصحيح ان اول العلم بالله العلم بكونه قادرا غالبا وهو معنى العزيز ثم بعد ذلك العلم بكونه غنيا عن الحاجات والنقائص وهو معنى الحميد ثم اثنى على نفسه بتحقيق الحقيقة صراطه وبيان انه منزه عن العبث فقال الله الذي مبتدأ وخبر او المبتدأ محذوف تقديره هو الله ومن قرأ بالجر فعلى انه عطف بيان للوصفين بناء على ان لفظ الله جار مجرى اسم العلم وقد سبق هذا البحث مشبعا في تفسير البسملة من سورة الفاتحة ثم خص الاية بوعيد من لا يعترف بربوبيته ولا يقر بوحدانيته وذلك قوله وويل للكافرين وهو دعاء عليهم بالهلاك والثبور وكل متوقف في الكشاف وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل انهم يولولون من العذاب يقولون يا ويلاه الذين يستحبون اي يؤثرون ويختارون لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون ذلك الشيء عنده احب من الاخر وذلك ان الانسان قد يحب الشيء ولكنه يكره كونه محبا له اما اذا احب الشيء وطلب كونه محبا له واحب تلك المحبة فذلك نهاية المحبة وهذا شان محبة اهل الدنيا للدنيا ولكنها ادنى مراتب الضلال وقوله ويصدون عن سبيل الله اشارة الى الضلال وقوله ويبغونها عوجا اراد به الاضلال بالقاء الشكوك والشبهات عند اجتماع هذه الخصال الثلاث الضلال فلهذا وصف ضلالهم بالبعد عن الحق لانه وقع عنه في الطرف الاخر بينهما غاية الخلاف ويمكن ان يكون اسنادا مجازيا باعتبار ان صاحبه بعيد عن طريق الحق ثم لما من على المكلفين بانزال الكتاب وارسال الرسول ذكر ان من كمال تلك النعمة ان يكون ذلك الكتاب [illegible] احتج ابو هاشم بالآية على ان اللغة اصطلاحية وضعها البشر واحد او جماعة ثم حصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال قال لو كانت توقيفية والتوقيف انما يكون بالوحي والوحي موقوف على لغة سابقة لقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغتهم لزم الدور واجيب بان الاية تخص برسول له قوم ولا قوم لآدم فينتهي التوقيف اليه فيندفع الدور وتمسك طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الاية في ان محمدا رسول الله لكن الى العرب لا الى قوم وهم الذين عرفوا فصاحة القرآن واعجازه فيكون القرآن حجة عليهم لا على غيرهم والجواب سلمنا ان قومه هم العرب ولكن قوم النبي اخص من اهل دعوته فقد يكون اهل دعوته الناس كافة بل الثقلين كما في حق نبينا صلى الله عليه وسلم لان التحدي وقع بالفريقين في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن وانما يكون ادعى الى الاسلام لسان قوم الرسول اولا اليهم ليبين لهم فيفقهوا عنه ما يدعوهم اليه ثم بوسيلة التراجم في كل امة من امم دعوته مقام الاصل ويكفي التطويل في يوم اللبس والتخليط ودفع للمفسر الثواب الجزيل في التعلم والتعليم والارشاد والاجتهاد وقالت المعتزلة ان مقدمة هذه الآيات وهي قوله لتخرج الناس ووسطها وهو قوله ليبين لهم فان فائدة التبيين انما يظهر لو كان المكلف قادرا ومختارا واخرها وهو قوله الحكيم فان الحكمة تنافي خلق الكفر والقبائح يدل على صحة مذهب الاعتزال وقالت الاشاعرة قوله باذن ربهم وقوله فيضل الله من يشاء وقوله العزيز لانه لا يجامع ان يكون لغيره قدرة وتصرف يؤيد مذهبنا وقد حققنا مسألة الجبر والقدر وما يختص هذا الموضع قول الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فان لم يكن النسق مشاكلا للاول فالرفع على الاستئناف هو

عالما والعلم بكونه

لا انه ارسل اليهم فقبل الرسول

...ان الغرم

الصحيحة كقوله يبين لكم وقرئ بالرفع تعطفه في الاية فقوله فيضل بالرفع على الاستيناف كانه قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليكون بيانه لهم

تلك الشرايع بلغتهم فهوها واعتقادهم وامع ذلك فان تمسّك الضال والهادي هو الله والبيان لا يوجب حصول الهداية الا اذا جعله الله واسطة وسببا المقصود من بعثة الانبياء

من بعثة نبينا هو اخراج الناس من الظلمات الى النور اراد ان يبين ان الغرض من ارسال جميع الانبياء لم يكن الا ذلك وذكر لذلك مثالا وخص موسى بالذكر

لان امته اكثر الامم سوى امة محمد صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث ولكثرة معجزاته القاهرة ومعنى ان اخرج ان اخرج لان الارسال فيه معنى القول ويجوز ان يكون ان ناصبة والتقدير بان

اخرج ومعنى التذكير بايام الله الانذار بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم ويقال ايام العرب لحروبها وملاحمها وعن ابن عباس ايام الله نعماؤه من تظليل الغمام و

انزال المن والسلوى وبلاؤه اهلاك القرون والايام التي كانوا تحت تسخير فرعون والمراد عظهم بالترغيب والترهيب ان في ذلك التذكير والتنبيه

دلائل لكل صبّار على الضراء شكور على السراء وذلك ان فائدة الايات انما تعود عليهم حيث ينتفعون بها ولما امر الله موسى بالتذكير حكى عنه انه ذكرهم ولم

يقل ههنا يا قوم كما ذكر في المائدة اقتصارا على ما ذكره هناك وقوله عليكم ان كان صلة للنعمة بمعنى الانعام فقوله اذ انجاكم ظرف للانعام ايضا وان كان

مستقرا بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم جاز ان ينتصب اذ انجاكم بعليكم وفي الوجهين جاز ان يكون اذ بدلا من النعمة اي اذكروا وقت انجائكم وهو بدل

الاشتمال وباقي الاية قد مر في اول البقرة ومن جملة النعم قوله واذ تأذن اي واذكروا حين اذن ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وتنزاح معه الشبهات

وقد تقدم في اواخر الاعراف ان فيه معنى القسم ولذلك جلبت اللام الموطئة في الشرط والنون المؤكدة في الجزاء وقد سلف منا في هذا الكتاب ان

الشكر بالحقيقة عبارة عن صرف العبد جميع اقسام ما انعم الله تعالى به عليه فيما اعطاه لاجله ولا شك ان المكلف اذا سلك هذا الطريق كان دائما في مطالعة

اقسام نعم الله وفي ملاحظة دقائق لطفه وصنعه وفي اعمال الجوارح في الاعمال الصالحة الكاسبة لانوار الملكات المحمودة وشغل النفس بمطالعة النعم يوجب مزيد

محبة المنعم وقد يترقى العبد من هذه الحالة الى ان يصير حبه للمنعم شاغلا له عن رؤية النعم ويصدر منه الاعمال الصالحة بطريق الاعتياد حتى يصير التطبع

طباعا والتكلف خلقا وهذا معنى مزيد الشكر مزيد الانعام وقد يفيض عليه بحكم وعد الله الذي هو الحق والصدق سجال مواهبه الدينية والدنيوية

لانه مهما صار طبعا منقادا للواجب الوجود سبحانه تجلى فيه نور الوجوب فلا غرو ان لا عجب ينقاد لذلك النور كثير من الممكنات وينفتح عليه باب التصرف

في الخلق بالحق للحق وان كان حال المكلف بضد ما قلنا ظهر عليه اضداد تلك الاثار لا محالة وذلك قوله ولئن كفرتم يعني كفران النعم ان عذابي لشديد

ثم ان منافع الشكر ومضار الكفران لا يعود الا الى صاحبه وعليه والله تعالى غني عن ذلك كله فقال ان تكفروا انتم الاية وذلك لانه واجب الوجود في جميع صفاته

وان يكون كذلك الا اذا كان غنيا عن الحاجات متصفا بكل الكمالات اهلا للحمد وان لم يكن حامد قوله الم يأتكم يحتمل ان يكون خطابا من موسى لقومه والغرض

تخويفهم بمثل هلاك من تقدم من القرون فيكون داخلا تحت التذكير بايام الله واحتمل ان يكون مخاطبة من الله على لسان موسى لقومه يذكرهم امر القرون

الاولى قال ابو مسلم والاكثرون على انه ابتداء مخاطبة لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم تحذيرا لهم عن مخالفته وقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ان كان جملة من

مبتدا وخبر وقع الجموع اعتراض وان كان قوله والذين من بعدهم معطوفا على قوم نوح فقوله لا يعلمهم الا الله وحده اعتراض ثم ان عدم العلم اما ان يكون

راجعا الى صفاتهم بان يكون احوالهم اخلاقهم ومدد اعمارهم غير معلومة واما ان يكون فيما بين القرون اقوام ما بلغنا اخبارهم كما روي عن ابن عباس

بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن

العباد ونظير الاية قوله وقرونا بين ذلك كثيرا منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قال القاضي وعلى هذا الوجه لا يمكن القطع بمقدار السنين

من لدن ادم عليه السلام الى هذا الوقت لانه لو امكن ذلك لم يبعد تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام انهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات اتوا بامور

احدها فردوا ايديهم في افواههم وفيه قولان احدهما ان المراد باليد والفم الجارحتان وعلى هذا فيه احتمالان الاول ان الكفار ردوا ايديهم في افواههم

فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ قاله ابن عباس وابن مسعود وهو الاظهر او وضعوا الايدي على الافواه ضحكا

واستهزاء كمن غلبه الضحك او وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء ان قولوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث قاله الكلبي

او اشاروا بايديهم الى السنتهم والى ما تكلموا به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق وهذا قول

قوي لعطف قوله وقالوا على قوله فردوا الاحتمال الثاني ان يكون الضمائر راجعة الى الرسل والمراد ان الرسل لما ايسوا عنهم سكتوا ووضعوا

ايدي انفسهم على افواه انفسهم ارادوا انهم لا يعودون الى ذلك الكلام البتة او يكون الضميران الاخيران راجعين الى الرسل والمعنى ان الكفار اخذوا ايدي

الرسل ووضعوها على افواههم ليسكتوا ويقطعوا كلامهم او يكون الضمير الاخير فقط عائدا الى الرسل والمراد ان الكفار لما سمعوا وعظ الانبياء وكلامهم

اشاروا بايديهم الى افواه الرسل تكذيبا لهم وردا عليهم او وضعوا ايديهم على افواه الانبياء منعا لهم من الكلام فهذه جملة الاحتمالات على القول الاول

القول الثاني ان ذكر اليد والفم توسع ومجاز ثم انه مسلم ان المراد باليد ما نطقت به الرسل بافواههم من الحجج لانه لا يدل الوحي من اجل النعم لانهم اذا كذبوا

الايات لم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل ونقل محمد بن جرير عن بعضهم انه يقال للرجل اذا امسك عن الجواب رد يده في فيه

بمعنى لانهم انهم سكتوا عن الجواب ونيف بانهم قد اجابوا بالتكذيب فقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به والمراد بما زعمتم ان الله ارسلكم به وكانهم في اول الامر

حاولوا اسكات الانبياء وفي المرتبة الثانية صرحوا بالكفر ثم بنوا امرهم على الشك فقالوا ان ردوا انا كافرون برسالتكم وان نزلنا عن هذا المقام فلا اقل

من انا نشك في صحة نبوتكم ومع كمال الشك لا مطمع في الاعتراف بنبوتكم ثم انه سبحانه حكى جواب الرسل وذلك قولهم افي الله شك فاطر السموات والارض

ادخل همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وان وجود الله لا يحتمل الشك قال الضعيف المذنب المفتقر الى عفو ربه الكريم مؤلف الكتاب الحسن محمد المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله احواله في الدارين انه كان من عقيدتي ان العلم بوجود الواجب في الخارج من جملة الى البديهيات وكان يستبعد ذلك كثير من اقراني واصحابي لما رأوا ان الائمة مما زالوا يبرهنون على ذلك في الكتب الكلامية والحكمية فكتبت قد كتبت لاجلهم رسالة في الالهيات مشتملة على دلائل تجري مجرى المنبهات على ذلك المعنى فان الضروريات قد ينبه عليها وان لم يحتج في الاثبات الى البرهان والان اريد ان اذكر بعض تلك المنبهات في هذا المقام لانها مقررة لقوله سبحانه أفي الله شك فاقول وبالله التوفيق المفهوم بالنظر الى ذاته والى الخارج اما ان يكون واجب الوجود فقط او واجب العدم فقط او ممكن الوجود والعدم فقط او واجب الوجود والعدم معا او واجب الوجود وممكن الوجود والعدم معا او واجب العدم وممكن الوجود والعدم معا او واجب الوجود وواجب العدم وممكن الوجود والعدم جميعا فهذه اقسام سبعة لذاته والعقل الصريح لا يشك في استحالة خمسة اقسام منها في الخارج الاول واجب العدم لذاته فقط الثاني واجب الوجود لذاته وواجب العدم في ذاته معا الثالث واجب الوجود لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته الرابع واجب العدم لذاته وممكن الوجود والعدم في ذاته ثم نقول ان العقل كما لا يشك في استحالة الوجود الخارجي لهذه الاقسام الخمسة ينبغي ان لا يشك في وجود الواجب لذاته فقط في الخارج لانه لو لم يكن موجودا في الخارج كان معدوما في الخارج فان كان عدمه لذاته كان من القسم الثاني من الممتنعات وان كان لغيره كان من القسم الثالث منها وكلاهما محال اذ المفروض خلافه فذلك فثبت كونه موجودا في الخارج بالضرورة وهو المطلوب لهذه طريقة شديدة تيسرت لنا من غير احتياج الى الدور والتسلسل ويرد عليهما المنوع المشهورة وجه ثان الموجود في الخارج اما واجب او ممكن وهذه قضية اتفقوا على ضروريتها لانه ان كان مستغنيا عن المؤثر في وجوده الخارجي فواجب والا فممكن فنقول ان كانت القضية حقيقية حتى يكون المعنى ان الموجود في الخارج هذان النوعان فقد ثبت وجود الواجب في الخارج بالضرورة وهو المطلوب ان كانت القضية منفصلة ولا محالة تكون مانعة الخلو فقط اما كونها مانعة الخلو فلاستحالة العقل رفعهما معا في الخارج ضرورة ثبوت موجود ما في الخارج بالضرورة واما انها ليست مانعة الجمع فلان الممكن موجود بالضرورة ولا منافاة بين وجود الواجب ووجود الممكن بالضرورة والا لم يستدل العقلاء من وجود الممكن على اثبات الواجب بل يستدلون منه على نفيه واذا كان الجمع بين الواجب والممكن ممكنا في الوجود والممكن موجود بالضرورة مع انه مفتقر في وجوده الى مؤثر موجد فلان يكون الواجب موجودا يكون اولى بالضرورة لاستغنائه عن المؤثر وكون ذاته كافية في ايجاب الوجود له وهذه مقدمة جلية مكشوفة لمن تأمل في مفهوم واجب الوجود اذ لا معنى لواجب الوجود الا انه موجود يوجد بنفسه من تلقاء نفسه ومع قطع النظر عما سواه ولهذا قال المحققون ان الوجود يقع على الواجب وعلى الممكن بالتشكيك بمعنى انه في الواجب اول واولى منه في الممكن وجه ثالث طبيعة الواجب وطبيعة الممكن من حيث ذاتيهما يشتركان في صحة وجودهما الخارجي بالضرورة ويفترقان في ان الواجب بذاته كافية في ايجاب الوجود له والممكن لا يكفي فيه ذلك بل يحتاج في ايجاب وجوده الخارجي الى الغير ولا ريب ان الاول اقرب الى طبيعة الوجوب من الثاني لان الموقوف على مقدمات اكثر اعسر وجودا والثاني واقع بالضرورة فالاول اولى بكونه ضروري الوقوع وجه رابع نسبة كل محمول الى موضوعه لا يخلو في نفس الامر من ان يكون بالوجوب وبالامكان او بالامتناع فنسبة الوجود الخارجي الى المهيات الخارجية من حيث ذواتها لا يخلو من احد الامور الثلثة لكن نسبته اليها بالامتناع ظاهرة الاستحالة فهي اما بالامكان او بالوجوب ولا شك ان نسبة الوجود الى ذات الموجود اولى من نسبته الى غيره اذ الاصل عدم الغير فكل ما دل البرهان على ان وجوده من غيره لتغيره او نقص يحكم عليه بانه ممكن الوجود وما لم يدل البرهان فيه على ذلك بل يدل على وجوب وجوده بجميع صفاته الكمالية فهو واجب الوجود ومن شك في وجود ما وجوده من تلقاء نفسه ويكون متصفا بجميع الكمالات بعد مشاهدة ما وجوده من غيره وهو عرضة للنقائص والزوال كان هذا لا انه يحج الحكمة وجه خامس نقص الامكان نقص لا نقص فوقه لاستتباعه العجز والافتقار وصحة العدم عليه الذي لا اضعف مثله والوجود المتصف به متحقق بالضرورة فالوجود الذي يجوز العقل الصريح متصفا بصفة الوجوب كيف لا يكون متحققا ومن يشتبه عليه مثل هذا الجلي فلا يلومن الا نفسه وجه سادس مقتضى ذات الشيء اقرب ايجابا له عند العقل من مقتضى كل ما يغايره لكن الوجود الذي مقتضاه الامكان ثابت في الخارج مع ان ثبوته في الخارج مقتضى الغير فالوجود الذي مقتضاه الوجوب ثابت بالطريق الاولى وجه سابع الوجود الممكن ثابت بالضرورة وليس ثبوت ذلك الموجود من تلقاء نفسه والا كان وجودا واجبا لانا لا نعني بالوجود الواجب الا هذا فاما ان يكون من وجود واجب هو المطلوب او من وجود مثله وما لم يكن ثابتا في نفسه لم يتصور منه افادة مثله فاذن حصل لنا وجود ممكن موصوف بالثبوت لا في نفسه وموصوفا بكونه مفيدا لوجود مثله فاذا صح هذان الوصفان للوجود الممكن المفتقر فكيف لا يصحان للموجود الواجب الغني بل نسبتهما الى الثاني اولى من نسبتهما الى الاول بحكم الفهم الصحيح وجه ثامن كون الشيء موجودا في نفسه اقرب واقبل عند العقل من كونه موجدا لغيره اذ ليس كل من له وجود في نفسه يكون موجدا لغيره وكل موجد لغيره موجود في نفسه واذا كان اتصاف الوجود الممكن مع ضعفه بابعد الامرين عن القبول واقعا فكيف لا يكون اتصاف الوجود الواجب مع قوته باقربهما من القبول واقعا وجه تاسع انجذاب النفوس السليمة وغير السليمة من الانبياء والاولياء والحكماء وسائر العقلاء من اخوان الصفا واخدان الوفا وارباب البدع والاهواء الى وجود واجب متى رجعوا الى انفسهم وطالعوا ملكوت السموات والارض وتاملوا في الاحوال الواردة عليهم من كشف كرب او هجوم نعمة اجلى دليل على وجود رب جليل منزه عن سمات النقص والافول في حيز الامكان مفيض للخيرات مدبر للممكنات ولهذا قال رب السموات والارضين عن الظلمة المعاندين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم اخبر



انهم يعبدون من دون الله اصنامهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله انه لم يكن جحدهم وعنادهم عن تحقيق وصدق وانما كانوا مكابرين في الظاهر ابتلاء من
الله وشقاء منهم فالحاصل ان المؤمن والمشرك والمقر والجاحد سواء في انه يشهد فطرته بوجود صانع للعالم واجب في ذاته وصفاته ولا ادل من ذلك
على انه ضرورية الوجود وجه عاشر هو الاستدلال بالآفاق كل موجود سوى الواجب فله ظهور في الخارج لكنه اذا اعتبر في نفسه لم يكن له
ذلك من تلقاء نفسه فكان فقيرا في نفسه وذلك القول له في افق الامكان واذا كان ما مقتضى ذاته الافول طالعا فما مقتضى ذاته الطلوع اولى بان
يكون طالعا وجه حادي عشر هو الاستدلال بالانفس من تامل في ذاته وفرض شخصه في هواء طلق لا يحس فيه بمتضاد وتغفل الحواس عن افعالها وجد شيئا هو
هو وبذلك يصح انيته وهو نفسه الناطقة التي نسبتها الى بدنه نسبة الملك الى المدينة يتصرف فيها كيف تشاء ومهما انقطعت علاقتها عن البدن مات صاحبه
وانخرط في سلك الجمادات فكما ان البدن لضعفه وخسته مفتقر في قوامه وقيامه الى مدبر يدبره ويقيمه فجميع العالم الجسماني بل الممكنات باسرها لخستها وفقرها
يستند لا محالة الى ما هو اشرف منها وذات ما وجوده من تلقاء نفسه هو الواجب الحق تعالى شانه ولولاه لفسد نظام العالم ولم يكن من الوجود عين ولا اثر
وجه ثاني عشر هو انور الوجوه واظهرها وهو الاستدلال بالنور على النور لا شك ان نورا يعني به ما هو ظاهر في نفسه مظهر لغيره فنقول ان كان
ظهوره في نفسه بنفسه فهو المطلوب والا فيحتاج الى ما يظهره لا يمكن ان لا يكون ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهورا
لغيره فننقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فهو المطلوب والا فيحتاج الى ما يظهره وما يظهره لا يمكن ان لا يكون
ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهورا لغيره فننقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه
فذاك والا احتاج الى ما يظهره ولا بد ان ينتهي في طرف الصعود الى ما يكون ظهوره في نفسه بنفسه الا لم يتناه الامر في طرف النزول الى الظاهر
المفروض ولا نهاية لما لا نهاية له محال من اي جانب فرض لا ينتقض بصورة اليومية نقضا علينا بناء على انها مسبوقة بموجودات لا يتناهى فان لا
تناهيها في جانب الازل محال عندنا وكنا قد كتبنا في بعض كتبنا بيان استحالة ذلك فان نقلنا الكلام الى فيض الواجب قلنا الفيض الواقع
في الزمان الحال مسبوق بافاضات غير متناهية لا محالة قلنا لو سلمنا ذلك لكنه لا يستحيل في الواجب لان وجوده واوصافه المعتبرة كلها مقتضيات
ذاته ومقتضى ذات الشيء يدوم بدوام الشيء ويستحيل انفكاكه عنه فلا نهاية فيضانه تابعة لا مسبوقية بغيره وكون وجوده من ذاته ولا يلزم من
كون مطلق الفيض ازليا ان يكون الفيض المخصوص ازليا واذا ثبت وجوب انتهاء الظاهر المفروض الى ما هو ظاهر في نفسه بنفسه ثبت المطلوب
وهو وجود نور الانوار تعالى شانه وبهر برهانه وهو نهاية الممكنات في جانب الازل وبدايتها في جانب الابد فهو قديم ازلي ولان وجوده مقتضى ذاته
فلا يزول فهو الباقي الدائم هذا ما سنح من المنبهات لهذا الضعيف ثبتها في هذا الكتاب الشريف ليبقى ان شاء الله على وجه الدهر وينظر
فيها من هو من اهلها في كل عصر والله المستعان قال بعض العقلاء من لطم على وجه صبي لطمة يدل على وجود الصانع المختار وعلى حصول التكليف
وعلى ثبوت دار الجزاء وعلى ضرورة بعثة النبي اما الاول فلان الصبي يصيح ويقول من الذي ضربني وما ذاك الا لشهادة فطرته على ان هذه اللطمة لما حدثت
بعد عدمها وجب ان يكون حدوثها لاجل فاعل مختار ادخلها في الوجود واذا كان هذا حال الحادث مع حقارته فكيف الحال في جميع الحوادث الكائنة
في العالم العلوي والعالم السفلي واما دلالتها على وجوب التكليف فلان ذلك الصبي ينادي ويصيح ويقول لم ضربني ذلك الضارب وفيه دلالة على
ان الافعال الانسانية داخلة تحت التكليف وان الانسان ما خلق حتى يفعل اي شيء اشتهى واما دلالتها على الجزاء فلانه يطلب الجزاء على تلك اللطمة ولا
يتركه ما امكنه واذا كان الحال في هذا العمل القليل كذلك فكيف يكون الحال في جميع الاعمال واما وجوب النبوة فلانهم يحتاجون الى انسان يبين لهم ان
العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية كم هي ولا فائدة في بعثة النبي الا تبيين الشرائع والاحكام ومما يدعو العاقل الى الاعتراف بالمبدأ والمعاد
انه لو قدرنا انهما ثم بان ان الامر على خلافه فلا ضرر فيه البتة اما اذا انكر الصانع والتكليف والجزاء وكانت هذه الامور في الخارج ثابتة محققة ففي انكارها
اعظم المضار فيلزم على العاقل ان يعترف بهذه الامور اخذا بالاحوط ثم ان الرسل بعد التنبيه على وجود الصانع ذكروا فائدة الدعوة وغايتها وذلك
ثلاث الاولى قوله يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم من ذنوبكم استدل بالآية من جوز زيادة من في الاثبات وذلك لقوله تعالى في موضع آخر ان الله
يغفر الذنوب جميعا واجيب بانه لا يلزم من غفران جميع الذنوب لامة محمد عليه السلام غفران جميع الذنوب لغيرهم فالوجه ان يكون من للتبعيض تمييزا بين
الفريقين ويؤيد ما ذكرنا استقراء الآيات فانها ما جاءت للكافرين الا مقرونة بمن كما في هذه الآية في سورة نوح وفي سورة الاحقاف وقال في خطاب المؤمنين في
سورة الصف يغفر لكم ذنوبكم بغير من وقيل اراد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم وقيل من للبدل اي ليكون المغفرة
بدلا من الذنوب ضعفه انه لم يوجد له في اللغة نظير وعن الاصم انه اراد انه يغفر لكم بعض الذنوب التي هي الكبائر فاما الصغائر فلا حاجة الى
غفرانها لانها مغفورة وزيفه القاضي بان الصغيرة انما تكون مغفورة من الموحد من حيث يزيد ثوابه على عقابها فاما من لا ثواب له اصلا فلا
يكون شيء من ذنوبه صغيرة ولا كبيرة مغفورا وقيل المراد ان الكافر قد ينسى بعض ذنوبه في حال توبته وايمانه فلا يكون المغفور منها الا ما ذكره وتاب
منه وقال الامام فخر الدين الرازي في الآية ولا نزاع في انه تعالى قد يغفر ذنب اهل الايمان من غير توبة لانه وعد بغفران بعض الذنوب مطلقا من غير
اشتراط التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانعقاد الاجماع على انه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول في الايمان فوجب ان يكون ذلك
البعض هو ما عدا الكفر من الذنوب لقائل ان يقول لا نسلم انه لم يشترط التوبة في الآية لان قوله يدعوكم اي الى الايمان معناه آمنوا ليغفر لكم فكانه

في خطاب مع

لانها مع

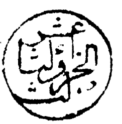
قيل ان الايمان شرط غفران بعض الذنب فلم لا يجوز ان يكون ذلك البعض هو الكفر الغاية الثانية قوله ويؤخركم الى اجل مسمى عن ابن عباس اي يمتعكم
في الدنيا باللذات والطيبات الى الموت الطبيعي ولا يعاجلكم بعذاب الاستيصال وقد مر تحقيق الاجل في اول الانعام ثم شرع في حكاية شبه الكفار والقا
ثلث الاولى قولهم ان انتم الا بشر مثلنا وذلك لاعتقادهم ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية فيمتنع ان يبلغ التفاوت بينهم الى هذا
الحد مع اشتراك الكل في ضروريات البشرية من الحاجة الى الاكل والشرب والوقاع وغير ذلك الثانية التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا الثالثة انكارهم دلالة المعجزة على الصدق وعلى تقدير التسليم زعموا انهم ما اتوا بمعجزة اصلا لاعتقادهم
ان معجزاتهم من جنس الامور المعتادة فاقترحوا فأتونا بسلطان مبين اي برهانا باهرا ومعجزة قاهرة ثم ان الانبياء سلموا انهم بشر مثلهم ولكنهم وصفوا انفسهم
من عند الله بطريق المنة والعطية وبهذا استدل من جعل النبوة محض العطاء من الله اجاب المخالف بانهم لم يذكروا فضائلهم النفسانية والجسمانية
تواضعا منهم ولانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لها لخصائص فيهم واما الشبهة الثانية فانما لم يذكروا الجواب عنها لان صحة النبوة تهدم
قاعدة التقليد اما الشبهة الثالثة فجوابها وما كان لنا اي ما صح منا ان نأتي باية اقترحتموها من تلقاء انفسنا وانما ذلك امر يتعلق بمشية الله
والظاهر ان الانبياء لما اجابوا عن شبهاتهم بما اجابوا فالقوم اخذوا في السفاهة والتخويف فعند ذلك قالت الانبياء وعلى الله فليتوكل المؤمنون
الى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون قال علماء المعاني الاول لاستحداث التوكل والثاني للسعي في ابقائه وادامته وقيل معنى الاول ان الذين
يطلبون المعجزات يجب عليهم ان يتوكلوا في حصولها على الله لا علينا فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ومعنى الثاني ابداء التوكل على الله في
دفع شر الكفار وسفاهتهم وفي قولهم وقد هدانا سبلنا اشارة الى ما سهل الله عليهم من طريقة التكميل والارشاد وتحمل اعباء الرسالة والصبر
على متاعبها فان تأثير نفوسهم في عالم الارواح كتأثير الشمس في عالم الاجسام بالاضاءة والانارة وقد عرفوا بالنفوس المشرقة بالانوار الالهية وبالوحي
الصريح انه تعالى يعصمهم من كيد الاعداء ومكر الحساد وفي قولهم ولنصبرن على ما اذيتمونا دليل على ان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات ومنبع السعادات
اما قول الكفار للرسل او لتعودن في ملتنا فقد مر البحث عليه في سورة الاعراف في قصة شعيب قال صاحب الكشاف العود ههنا بمعنى الصيرورة
حلفوا ان يخرجوهم البتة الا ان يصيروا كافرين مثلهم فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين اجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه او اضمر
القول عن النبي صلى الله عليه وسلم من اذى جاره ورثه الله داره ذلك الذي قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم حق لمن خاف مقامي يريد
موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة وهو موقف الحساب والمقام مصدر اي خاف قيامي عليه بالحفظ والمراقبة كقوله افمن هو قائم
على كل نفس او قيامي بالعدل والصواب مثل قائما بالقسط او المقام مقحم اي خافني مثل سلام الله على المجلس العالي وخاف وعيد قال الواحدي
هو اسم من الايعاد التهديد به قال المحققون الخوف من الله مغاير للخوف من وعيد الله كما ان حب الله مغاير لحب ثواب الله وهذه فائدة عطف احد الخوفين
على الاخر قوله واستفتحوا الضمير اما للرسل والمعنى استنصروا الله على اعدائهم او استحكموا الله وسألوا القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة
واما للكفرة بناء على ظنهم انهم على الحق والرسل على الباطل وعلى الاول يكون في الكلام اضمار التقدير فنصروا وفازوا بالمقصود وخاب كل جبار
عنيد معاند واصل العنود الميل من العند للناحية والجانب كان كلا من المتعاندين في جانب اخر وقيل الجبار هو المتكبر اشارة الى ان فيه
خلق الاستكبار والعنيد اشارة الى الاثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه مجانبا للحق منحرفا عنه واصل الكلام على الاول واستفتح الرسل وخاب
الكفرة بان سبب خيبتهم عن السعادة الحقيقية تجبرهم وعنادهم من ورائه اي من بين يديه يقال الموت وراء كل احد وذلك ان قدام وخلف
كلاهما متوار عن الشخص فصح اطلاق لفظ وراء على كل واحد منهما وقال ابو عبيدة هو من الاضداد لان احدهما ينقلب الى الاخر وهذا وصف حاله
في الدنيا او في الاخرة حين يبعث ويوقف قال جار الله قوله ويسقى معطوف على محذوف تقديره يلقى في جهنم ما يلقى ويسقى من ماء صديد اي
من ماء بيانه او صفته هذا والصديد ما يسيل من جلود اهل النار واشتقاقه من الصد لانه يصد الناظر عن رؤيته او تناوله وقيل يخلق الله
في جهنم ما يشبه الصديد في النتن والغلظ والقذارة يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه اي لم يقارب الاساغة فضلا عن الاساغة قيل ليس
المراد بالاساغة مجرد حصول المشروب في الجوف لان هذا المعنى حاصل لاهل النار بدليل قوله يصهر به ما في بطونهم وانما المراد جريان المشروب في الحلق
بالاستطابة وقبول النفس لا بالكراهة والتأذي قلت يحتمل ان يراد بالاساغة مجرد الحصول ولا ينافيه قوله يصهر به لانه دال على الحصول لقوله قبله يصب
من فوق رؤسهم الحميم ويأتيه الموت من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة وقيل المراد ان موجبات الموت احاطت به من
جميع الجهات ومع ذلك فانه لا يموت فيها ولا يحيى ثم اخبر والعياذ بالله ان العذاب في كل وقت يرى من اكره والاوقات المستقبلة يكون اشد وانكى مما
قبله فقال ومن ورائه عذاب غليظ عن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد قال في الكشاف يحتمل ان يكون اهل مكة استفتحوا اي استمطروا
والفتح المطر في سني القحط التي سلطت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل
سقياه ماء اخر وهو صديد اهل النار وعلى هذا التفسير يكون قوله واستفتحوا كلاما مستأنفا منقطعا عن حديث الرسل واممهم التأويل
بسم الله اي باسم الذات وهو الاسم الاعظم ابتدأت بخلق عالم الدنيا باظهار الصفات الرحمانية التي هي للمبالغة لاشتراك الحيوان والجماد والمؤمن
والكافر فيه الرحيم وبخلق عالم الاخرة باظهار الصفة الرحيمية لاختصاصها بالمؤمنين خاصة قوله الر اي بالائي وبلطفي انزلت القران انزلناه اليك لتخرج

الناس بالدلالة نوره من ظلمات عالم الطبيعة والكثرة الى نور عالم الروح والوحدة باذن ربهم الذي يربيهم هو لا انت وفي قوله الى صراط الآيات اشارة الى ان الفعل هو طريق الوصول الى من احتجب بحجب العزة واستتر باستار مظاهر القهر واللطف وفي الاختتام بقوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض اشارة الى ان بقي في تعالمه وهي المكونات لم يصل الى صفاته لم يصل الى ذاته ومن وصل الى ذاته بالخروج عن انانيته الى هويته انتفع بصفاته وافعاله وويل للكافرين من شدة الم الانقطاع عن الله ثم اخبران الكافر الحقيقي هو الذي قنع بالايمان التقليدي فاقبل على الدنيا واعرض عن المولى فضل وافل لا بلسان قومه اي يتكلم معهم بلسان عقولهم ولقد ارسلنا بواسطة جبرئيل الجذبة موسى القلب بآيات عصا الذكر واليد البيضاء من الصدق والاخلاص ان اخرج قومك وهم الروح والسر والخفي من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي وذكرهم بايام الله التي كان الله ولم يكن معه بشيء وهو يجيئهم بلاهم ان في ذلك المذكور لآيات في نفي الوجود لكل صبار بالله مع الله عن غير الله شكور لنعمة الوجود الحقيقي ببذل الوجود المجازي ولئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم في القرب اليكم لازيدنكم في محبتي لكم لازيدنكم في الخلعة لازيدنكم في الوصول لازيدنكم في التجلي ولئن شكرتم في التجلي لازيدنكم في الفناء عنكم ولئن شكرتم في الفناء لازيدنكم في البقاء ولئن شكرتم في البقاء لازيدنكم في الوحدة ولئن كفرتم نعمتي في المقامات كلها ان عذابي بقطيعتي لشديد وقال موسى القلب ان تكفروا انتم ايها الروح والسر والخفي بالاعراض عن الحق والاقبال على متابعة النفس ومن في ارض البشرية من النفس الهوى والطبيعة يدعوكم من المكونات الى الملكوت ليغفر لكم بصفة الغفارية من ذنوبكم التي اصابتكم من حجاب عالم الخلق ويؤخركم في التخلق باخلاقه الى اجل مسمى هو وقت الفناء في الذات وعلى الله فليتوكل المتوكلون للتوكل مقامات فتوكل المبتدي قطع النظر عن الاسباب في طلب المرام ثقة بالمسبب وتوكل المنتهي قطع تعلق ما سوى الله والاعتصام به ذلك لمن خاف مقامي هو مقام الوصول الى ان هذا مقام الاخص واما خوف الخواص فعن مقام الجنة وخوف العوام عن مقام النار وخاف وعيد القطيعة واستبصر القلب والروح من امر الله على النفس والهوى ومن ورائه اي قدام النفس في متابعة الهوى جهنم الصفات الذميمة ويسقى من ماء صديد هو ما يتولد من الصفات والاخلاق من الافعال الرذيلة يسقى من ماء صديد هو ما يتولد من الصفات يسقى منه صاحب النفس الامارة يتجرعه بالتكلف ولا يكاد يسيغه لانه ليس من شربه ويأتيه اسباب الموت من كل مكان من كل فعل مذموم ومن ورائه عذاب غليظ هو عذاب القطيعة والبعد والله اعلم بالصواب

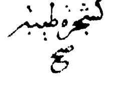
مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۞ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ۞ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۞ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۞ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۞ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۞ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۞ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ

القراآت الرياح على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون على التوحيد خالق السموات والارض بلفظ اسم الفاعل حمزة وعلي وخلف الباقون بلفظ الفعل سلطانا باسكان الياء حيث كان ابو عمرو لي عليكم بفتح الياء حفص بمصرخي بكسر الياء حمزة الآخرون بالفتح اشركتمون بالياء في الحالين سهل ويعقوب وافق ابو عمرو ويزيد وقتيبة واسمعيل في الوصل البوار ماله ابو عمرو وعلي ليضلوا بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بضمها لعبادي الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة وعلي ويعقوب الاعشى الباقون بالفتح من كل ما بالتنوين زيد وعباس الباقون بالاضافة الوقوف عاصف بناء على ان ما بعده مستانف كانه قال هل يقدرون من اعمالهم هل يقدرون من اعمالهم على شيء ط البعيد بالخلق جديد لا لان ما بعده يتم معنى الكلام بعزيز من شيء ط لهديناكم ط محيص ط فاستجبتم لي ج لاختلاف الجملتين انفسكم ط لابتداء النفي بمصرخي ط لان من قال ان ما للابتداء بقوله اني كفرت تنبيه على ان الكفر بالاشراك واجب كالايمان من قبل ط اليم باذن ربهم ط سلام في السماء لا

ربهما ههنا كرر في السبع الرابع من قرابها وفي الآخرة لتكرار اسم الله تعالى في الفعلين مع ان كليهما مستقل بخلاف قوله ويفعل الله لانه في المعنى
بيان قوله ويضل الله ما يشاء البوار لا جهنم ج لان ما بعده يصلح استئنافا او حالا من فاعل احلوا او من مفعوله او من كليهما يصلونها ط القرار
ثم سبيله ط الى النار ه ولا خلال ه رزقا لكم ج بامره ج الانهار ج دائبين ج والنهار ج تحسن هذه الوقوف مع العطف لتفصيل النعم تنبيها على الشكر
سألتموه ط لابتداء الشرط مع تمام الكلام لا تحصوها ط كفار ه التفسير لما ذكر في الآيات المتقدمة انواع عذاب الكفار اراد ان يبين غاية خسرانهم
وبيان خيبتهم فقال مَثَلُ الَّذِينَ وارتفاعه عند سيبويه على الابتداء والخبر محذوف اي فيما يتلى او نقص عليكم مثلهم وقوله اعمالهم
كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم وقال الفراء المضاف محذوف اي مثل اعمال الذين كفروا وانما جاز حذفه
استغناء بذكره ثانيا وقيل المثل صفة فيها غرابة فاخبر عنه بالجملة المراد صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله
غير مخزون ويجوز ان يكون اعمالهم بدلا والخبر كرماد وحده والمراد باعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء
الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين واغاثة المظلومين شبهها في حبوطها لبنائها على غير اساس التوحيد والايمان برماد طيرته
الريح في يوم عاصف قال الزجاج جعل العصف لليوم وهو لما فيه يعني الريح مجازا كقولك يوم ماطر قال الفراء وان شئت قلت في يوم ذي
عصوف وفي يوم عاصف الريح فحذف لذكره مرة وقيل المراد من اعمالهم عبادتهم الاصنام ووجه خسرانهم انهم اتعبوا ابدانهم فيها دهرا طويلا
ثم لم ينتفعوا بذلك بل تضرروا به وقوله مما كسبوا على شيء القياس عكسه كما في البقرة لان على من صلة القدرة ولان مما كسبوا صفة
لشيء ولكنه قدم في هذه السورة لان الكسب يعني العمل الذي ضرب له المثل هو المقصود بالذكر ولهذا اشار اليه بقوله ذلك هو الضلال
البعيد اي عن الحق والثواب ثم كان لسائل ان يسئل كيف يليق بحكمته اضاعة افعال المكلفين فقال الم تر ان الله خلق السموات والارض
بالحق مستتبعة للفوائد والحكم دالة على وجود الصانع القدير فحبوط الاعمال انما يلزم من كفر المكلفين وكونها غير مبنية على قاعدة الايمان والاخلاص
لا من انه سبحانه يمكن ان يوجد في افعاله عبث وخلل وسهو ثم بين كمال قدرته واستغنائه عن الظلم والقبائح وعن عمل كل عامل فقال ان يشأ
يذهبكم وقد مر مثله في سورة النساء وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فان قيل الغرض من
الآية اظهار القدرة وزجر المكلفين عن المعصية وذلك تمام بقوله ان يشأ يذهبكم فما فائدة قوله ويأت بخلق جديد وهل فيه دليل على ان الفناء
لا يوجد بدون القبض قلنا على تقدير تسليمه لا ينحصر الفائدة فيه بل لعل الفائدة هي تاكيد التخويف فان التألم من تصور العدم المجرد ليس كالتألم
من تصور عدمه مع اقامة غيره مقامه على ان الاذهاب لا يلزم منه الاعدام فيكون شبيها بعزل شخص ونصب غيره مقامه وللحكيم ان يستدل بقوله
يذهبكم على ان مادة الجوهر لا تعدم وانما تعدم الصور والاعراض والجواب ان الاذهاب ههنا بمعنى الاعدام ولو سلم فلا يلزم من عدم وقوع الاعدام
ههنا امتناعه في جميع الصور وفيه انه الحقيق بان يخشى عقابه ويرجى ثوابه فلذلك اتبعه احوال الآخرة فقال وبرزوا بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع
مثل وسيق ونادى والتركيب يدل على الظهور بعد الخفاء ومنه امرأة برزة اذا كانت تظهر للناس وبرز فلان على اقرانه اذا فاقهم ومعنى بروزهم لله
وهو سبحانه لا يخفى عليه شيء انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله
فاذا كان القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او المضاف محذوف اي برزوا لحساب الله وحكمه قال ابو بكر الاصم قوله وبرزوا
لله هو المراد من قوله ومن ورائه عذاب غليظ وعلى قواعد الحكماء النفس اذا فارقت الجسد زال الغطاء وكشف الوطاء وظهرت عليها آثار الملكات
والهيئات التي كان يمنعها عن الشعور بها اشتغالها بعالم الحس فذلك هو البروز لله فان كانوا من السعداء برزوا لموقف الجمال بصفاتهم القدسية
وهيئاتهم النورية فما اجل تلك الاحوال ويا طوبى لاهل النوال وان كانوا من الاشقياء برزوا لموقف الجلال باوصافهم الذميمة وهيئاتهم المظلمة
فما اعظم تلك الفضيحة وما اشنع تلك الهيئة كتب الضعفؤ بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ومثله علمؤا بني اسرائيل
والضعفاء العوام والاراذل للذين استكبروا سادتهم واشرافهم الذين استنكفوا عن عبادته تعالى فضلوا واضلوا قال الفراء اكثر اهل اللغة على
ان التبع جمع تابع كخدم وخادم وحرس وحارس وجوز الزجاج ان يكون التبع مصدرا اي ذوي اتباع اما في الكفر وفي الامور الدنيوية فهل انتم
مغنون هل يمكنكم دفع عذاب الله عنا ومن في من عذاب الله للتبيين وفي من شيء للتبعيض والمعنى هل مدفعون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب
الله او كلاهما للتبعيض بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله قالوا لو هدانا الله لهديناكم عن ابن عباس لو ارشدنا الله
لارشدناكم قال الواحدي معناه انهم انما دعوهم الى الضلال لان الله اضلهم ولو هداهم لدعوهم الى الهدى وقال في الكشاف لعلهم قالوا
ذلك مع انهم كذبوا فيه كقولهم يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم واعترض عليه بان هذا خلاف مذهبه لانهم لا يجوزون
صدور الكذب عن اهل القيامة كما مر في اوائل الانعام في قوله والله ربنا ما كنا مشركين وجوز ايضا ان يكون المراد لو كنا من اهل اللطف
فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وزيف بان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله وقيل لو هدانا الله
طريق النجاة من العذاب لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة يؤكد هذا التفسير قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا واعرابه كقوله
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم ارادوا قنطهم من رفع العذاب بالكلية او ارادوا ان عتاب الضعفاء لهم وتوبيخهم اياهم نوع



من الجزع ولا فائدة فيه ولا في الصبر جوز في الكشاف ان يكون قوله سواء علينا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا نظيره في وصل كلام انسان
بكلام انسان آخر قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص المنجى والمهرب مصدر كالمغيب والمحيض او مكان كالمبيت والمصيف ولما ذكر مناظرة شياطين
الانس اتبعها مناظرة شيطان الجن ومعنى قضي الامر قطع وفرغ منه وذلك حين انقضاء المحاسبة والاكثرون على انه بعد الحساب ودخول الاشقياء
النار والسعداء الجنة وعند اهل السنة هو بعد خروج الفساق من النار فليس بعد ذلك الا الدوام في الجنة او في النار يروى ان الشيطان
يقوم عند ذلك خطيبا في النار فيقول ان الله وعدكم وعد الحق وعن النبي صلعم اذا جمع الله الخلق وقضى بينهم يقول الكافرون قد وجد المسلمون من
يشفع لهم فمن يشفع لنا ما هو الا ابليس هو الذي اضلنا فياتونه ويسألونه فعند ذلك يقول هذا القول ووعد الحق من اضافة الموصوف الى صفته
مثل مسجد الجامع وتاويله وعد اليوم الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال وفي الاية اضماران الاول وعدكم وعد الحق فوفى لكم بما وعدكم
الثاني ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم الوعد ووجه الاضمار الاول دلالة الحال عليه لانهم كانوا يشاهدون وليس وراء العيان بيان ووجه
ولان ذكر نقيضه وهو اخلاف الوعد من الشيطان يغني عنه ووجه الثاني ايضا مثل ذلك ثم ذكر طريق وسوسته اعتذارا منهم فقال وما كان
لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم قال النحويون هذا الاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس
السلطان فالمراد لكن دعائي اياكم الى الضلال بوسوستي ويمكن ان يوجه الاستثناء بالاتصال لان قدرة الانسان على حمل الغير على عمل من الاعمال
تارة يكون بالقسر وتارة بتقوية الداعية في قلبه بالقاء الوساوس اليه فهذا نوع من انواع التسلط فلا تلوموني ولوموا انفسكم لانكم ما سمعتم
مني الا الدعاء والتزيين وكنتم سمعتم دلائل الله وشاهدتم مجيء انبيائه فكان من الواجب عليكم ان لا تغتروا بقولي ولا تلتفتوا اليه قالت المعتزلة
في الاية دلالة على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما
يزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه وقول الشيطان وان لم يصلح للحجة الا ان عدم انكار الله تعالى
عليه حجة هذا مع ان اول كلام اللعين مبني على الانصاف والصدق فكذا ينبغي ان يكون آخره قال المحققون الشيطان الاصلي هو النفس وذلك
ان الانسان اذا احس بشيء او ادركه ترتب على شعوره بكونه ملائما له او بكونه منافرا له ويتبع هذا الشعور الميل الجازم الى الفعل او الى الترك
وكل هذه الاشياء من شان النفس الانسانية ايضا جوهر علوي مجرد فلا يبعد وصول اثر احدهما الى الآخر وذهب بعض الحكماء الى ان كل روح
من الارواح البشرية فانه ينتسب الى روح معين من الارواح السماوية وانها تتولى ارشاد الارواح الانسانية الى مصالحها بالالهامات الحسنة في حالتي
النوم واليقظة هذا اذا كانت خيرة فاما اذا كانت شريرة فانها توسوسها بالخواطر الى الاعمال القبيحة والفحشاء كانوا يسمونها آمر تلك الارواح بالطباع التام وذكر بعض
العلماء احتمالا آخر وهو ان النفوس البشرية اذا فارقت ابدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الابدان وكملت فيها فاذا حدثت نفس
اخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة في بدن مشاكل لبدن تلك النفس المفارقة حدث بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلق فتصير
تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن وتعضدها على احوالها وافعالها فاذا كان هذا المعنى في ابواب الخير والبر كان الهاما
وان كان في باب الشر كان وسوسة ثم حكى الله سبحانه عن الشيطان انه قال ما انا بمصرخكم قال ابن عباس ما انا بمغيثكم ولا منقذكم قال ابن الاعرابي
الصارخ المستغيث والمصرخ المغيث صرخ فلان اذا استغاث وقال وا غوثاه واصرخته اي اغثته وعاب النحويون على حمزة انه قرأ وما انتم بمصرخي
لان ياء الاضافة لا يكون الا مفتوحة حيث قبلها الف نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء وحاصل ما عابوا عليه انه لم يوجد له نظير في استعمال العرب
لكنك تعلم ان القرآن حجة على غيره قوله اني كفرت بما اشركتمون ان كانت ما مصدرية فالمعنى اني كفرت اي انا جاحد وما كان لي رضى باشراككم في
الدنيا مع الله في الطاعة وفي التدبير والتصرف في هذا العالم وان كانت موصولة على ما قال الفراء من ان ما في معنى من كقوله سبحان ما سخرهن
لنا فالمراد اني كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالله الذي اشركتمونيه ووجه نظم الكلام على هذا التفسير ان ابليس كانه يقول لا تاثير لوسوستي في
كفركم بدليل اني كفرت بالله قبل ان كفرتم وما كان كفري بسبب وسوسة اخرى والا لزم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الوقوع في الكفر شيء
آخر سوى الوسوسة وهذا التفسير يناسب اصول الاشاعرة واما قوله ان الظالمين لهم عذاب اليم فالاظهر انه كلام الله ويشمل ابليس ومن تابعه من
الثقلين وليس ببعيد ان يكون من بقية كلام ابليس قطعا لاطماع اولئك الكفار عن اعانته ثم شرع في احوال السعداء وقال وادخل على لفظ
الماضي لتحقيق الوقوع وقوله باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره وقرأ الحسن وادخل على لفظ المتكلم قال في الكشاف
فعلى هذا يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وقد تقدم معنى قوله تحيتهم فيها سلام في اول سورة يونس ثم لما
بين احوال السعداء وكان قد ذكر احوال اضدادهم اراد ان يذكر لكل من الفريقين مثلا قال في الكشاف كلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة
وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا او ضرب بمعنى جعل اي جعل الله كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة وقال حل العقد اظن ان الوجه ان يجعل
قوله كلمة عطف بيان وقوله كشجرة مفعول ثان عن ابن عباس الكلمة الطيبة هي قول لا اله الا الله محمد رسول الله والشجرة الطيبة شجرة في الجنة وعن
ابن عمر هي النخلة وقيل الكلمة الطيبة كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار
كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وقيل لا حاجة بنا الى تعيين تلك الشجرة والمراد ان الشجرة الموصوفة ينبغي لكل عاقل ان يسعى في تحصيلها



وادخارها للنفس سواء كان لها وجود في الدنيا او لم يكن اما صفات الشجرة فالاولى كونها طيبة ويشمل طيب المنظر والشكل والرائحة وطيب
الفواكه المتولدة منها وطيب منافعها الثانية ثابتة اصلها ثابت راسخ امن من الانقطاع ولا شك ان الشيء الطيب انما يكمل الفرح بحصوله اذا امن انقراضه وزواله
والثالثة وفرعها في السماء اعني جهة العلو وهكذا تاكيد لرسوخ اصله فان الاصل كلما كان اقوى وارسخ كان الفرع اعلى واشمخ ومن فوائد ارتفاع
الاغصان بعدها عن عفونات الارض ونقاؤها عن الاقذار قال في الكشاف فرعها اعلاها وراسها ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس
له الصفة الرابعة تؤتي اكلها كل حين اي تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها وعن ابن عباس الحين ستة اشهر لان من حملها الى صرامها ستة
اشهر وقال مجاهد وابن زيد سنة لان الشجرة من العام الى العام تحمل الثمرة ولا سيما النخلة اذ تركوا عليها الثمر بقي من السنة وقال الزجاج الحين الوقت
طال ام قصر والمراد انه ينتفع بها في كل وقت بعرض ليلا ونهارا صيفا وشتاء باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه قال المحققون معرفة الله تعالى اولا
في مجنيه وطاعته هي الشجرة الطيبة ولا الذ منها لا هي لان المدركات المحسوسة انما تصير مدركة لملاقاة شيء من المحسوس شيئا من الحاس اما نور معرفة الله و
اشراقها فانما ينفذ ويسري في جميع جواهر النفس حتى انه يكاد يتحد بها ثم ان سائر اللذات منقطعة متناهية ولذة المعرفة لا يكاد ينتهي الى حد وان عروق هذه
الشجرة ثابتة راسخة في جوهر النفس الناطقة ولها شعب واغصان صاعدة في هواء العالم الروحاني يجمعها التعظيم لامر الله ومنشاؤها القوة النظرية وغايتها
الحكمة العملية باقسامها واصولها وفروعها واغصان ثابتة في فضاء العالم الجسماني ومبدؤها القوة العملية وفائدتها الحكمة الخلقية التي يجمعها الشفقة على
خلق الله عموما وخصوصا واثر رسوخ شجرة المعرفة في القلب يكون نظره للاعتبار فاعتبروا يا اولي الابصار وسمعه للحكمة الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه ونطقه بالصدق والصواب قولوا قولا سديدا وكذا الكلام في سائر القوى والاعضاء وهذه المراتب لا تكاد تنحصر مراتب الاستعداد
واذا صار جوهر النفس كاملا بحسب هذه الفضائل فقد يكون مكملا لغيره وذلك قوله تؤتي اكلها كل حين وفي قوله باذن ربها اشارة الى ان النظر في جميع
هذه المراتب يجب ان يكون على المفيض لا على الفيض وعلى المنعم لا على النعمة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون المبدأ وعرفانه والمعاد واتيانه فيحنوا
الكمال على النقصان واثر العرفان للمعروف لا للعرفان فيكون ح جوهر نفسه كلمة طيبة كما قال في حق عيسى كلمة من الله واذا عرفت الكلمة الطيبة والشجرة
الطيبة سهل عليك معرفة ضديهما فالكلمة الخبيثة كلمة الشرك او كل كلمة قبيحة او كل نفس شريرة والشجرة الخبيثة الباطل او كل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل
والثوم ونحو ذلك ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي من استقرار مصدر كالثبات والنبات وعن
قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان يلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيمة
قلت وذلك ان الباطل لا قرار له ولا يوافقه فيه من هو بصدد الاعتبار فهو مضمحل زائل والحق نقيض ذلك بل الباطل لا يستقر صاحبه عليه
ولا يحصل له منه برد اليقين وكذا النفس الخبيثة لا يكون لها طمانينة ولا وقار بل تراها ابدا تسعى في الطرق المضلة والسبل المنحرفة كالذي استهوته
الشياطين في الارض حيران ولما شبه حال الفريقين بما شبه بين مآل حالهما فقال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت اي الذي ثبت بالحجة
والبرهان وتمكن في قلب صاحبه بحيث لم يكن للتشكيك فيه مجال هذا في الحيوة الدنيا فلا جرم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كاصحاب الاخدود والذين نشروا
بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد ويثبتهم في الاخرة انهم اذا سئلوا في القبور لم يتلعثموا واذا وقفوا بين يدي الجبار لم يبهتوا وعن ابن عباس
من دام على الشهادة في الحيوة الدنيا يثبته الله عليها في قبره ويلقنه اياها وقد ورد في حديث سؤال القبر عن البراء بن عازب مثل ذلك والسبب العقلي
يوجب رسوخ الملكة بحيث لا يزول بتبدل الاحوال وتقلب الاطوار وانما فسر الاخرة ههنا بالقبر لان الميت ينقطع بالموت عن احكام الدنيا
ويدخل في احكام الاخرة يعني لانه يثبت الله الذين امنوا بالله وبمحمد بالايمان بسبب ما امنوا به في الدارين او يثبتهم الله فيهما بسبب القول الثابت
على القول الثابت وقيل معنى الاية يثبتهم الله على الثواب والكرامة بسبب القول والكرامة الثابتة التي كان يصدر عنهم حال ما كانوا في الحيوة الدنيا
ويصدر عنهم حال ما يكونون في الاخرة ويرد عليه ان الاخرة ليست دار عمل وان كان قوله في الحيوة الدنيا متعلقا بقوله يثبت اي يثبتهم
على الثواب في الدارين بسبب القول ورد عليه ان الدنيا ليست دار ثواب ويمكن ان يناقش في هذا الايراد لقوله سبحانه من عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ويضل الله الظالمين الذين وضعوا الباطل موضع الحق والشرك بدل التوحيد في الدارين فلا جرم اذا
سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري ويفعل الله ما يشاء من التثبيت والاضلال ولا اعتراض لاحد عليه او من منح الالطاف ومنعها كما يقتضيه الحكمة
ثم عجب من ظالمي مكة بقوله الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله اي شكر نعمته كفرا اي وضعوا مكان الشكر الكفر او بدلوا نفس النعمة كفرا اي سلبوا النعمة
فلم يبق معهم الا الكفر وذلك انه تعالى اسكنهم حرمه ووسع عليهم معايشهم واكرمهم بمحمد صلعم فلم يقوموا بشكر تلك النعم فضربهم بالقحط سبع سنين و
وقتلوا يوم بدر وبقي الكفر طوقا في اعناقهم واعناق من تابعهم وذلك قوله واحلوا قومهم دار البوار اي الهلاك وقوله جهنم عطف بيان و
بئس القرار اي المقر مقصد رسمي به قوله ليضلوا من قرأ بضم الياء فاللام للغرض او للعاقبة ومن قرأ بفتحها فاللام للعاقبة لان العاقل لا يريد
ضلال نفسه ولكنه قد يريد ضلال الغير لمصلحة دنيوية وانما حسن استعمال اللام لاجل العاقبة من حيث انها تشبه الغاية والغرض من قبل
حصولها في اخر المراتب والمشابهة احد الامور المصححة للمجاز قل تمتعوا امر تهديد ووعيد به نقل جار الله ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر
مامورون به قد امرهم امر مطاع هو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار وانما يبقى عيش الكفار

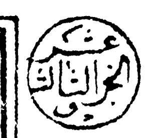


تمتعاً لأن امهالهم في الدنيا على أي وجه يفرض يكون أسهل مما أعد لهم في الدنيا الآخرة من العقاب ومن الذي نزل فيهم روي عن عمر أنه قال هم من الأفجرين من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فتمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الأيهم وأصحابه ولما أمر الكافرين بالتمتع بنعيم الدنيا لهذا بدأ أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بحث المؤمنين على خلاف ذلك وهو الإقبال على ما ينفعهم في الآخرة فقال قل لعبادي الذين آمنوا المقول محذوف لأن جواب قل يدل عليه التقدير قل لهم أقيموا الصلوة وأنفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوز بعضهم أن يكون المذكور هو المقول بناء على أنه أمر غائب محذوف اللام وإنما حسن الحذف لأن الأمر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز والخلال المخالة أراد انفقوا أموالكم في الدنيا حتى تجدوا ثواب ذلك الإنفاق في هذا اليوم الذي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مصادقة وإنما ينتفع بالإنفاق لوجه الله ونفي المخالة في هذه الآية وفي قوله في البقرة لا بيع فيه ولا خلة لا ينافي إثباتها في قوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين لأن المنفية هي التي سببها ميل الطبيعة ورغبة النفس والمثبتة هي التي يوجبها الاشتراك في الإيمان والعمل الصالح ولما ختم أحوال المعاد عاد إلى المبدأ فأخبر الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وقد مر في أول البقرة والمراد من السماء جهة العلو وقيل نفس السماء وزيف بأن الإنسان ربما كان واقفاً على قلة جبل عال ويرى الغيم أسفل منه وإذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ماطراً عليه وسخر لكم الفلك كقوله في أواسط البقرة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقد مر ومعنى بأمره بتيسيره وتسييره لأنه خلق موادها وألهم صنعتها وجعل الماء بحيث يسهل على وجهه جريها ولأن الملك لعظيم قلما يوصف بأنه فعل وإنما يقال إنه أمر بكذا ومنهم من حمل الأمر على الظاهر أي بقوله كن وسخر لكم الأنهار وجه المنة فيها أن البحر قلما ينتفع به في العمارة والزراعة لعمقه وملوحته ففجر الله الأنهار والعيون والآبار الصالحة للانتفاع بها كما لا يخفى وسخر لكم الشمس والقمر أي صيرهما تحت تصرفه وتسخيره بحيث يعود انتفاع ذلك عليكم من التسخين والترطيب والإضاءة والإنارة لا أنهما مسخران للإنس وقوله دائبين نصب على الحال والدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة مطردة أي يدأبان في سيرهما وإنارتهما وسائر منافعهما وخواصهما وهكذا معنى التسخير في قوله وسخر لكم الليل والنهار أي قد رهذين العرضين المتنافيين لراحة الإنسان ولمعاشه ولما فصل طرفاً من النعم أجمل الباقية منها بقوله وآتاكم من كل ما سألتموه أي بعض جميع ما سألتموه ومن قرأ بالتنوين فما إما نافية والجملة نصب على الحال أي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه أو موصولة بمعنى وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه وطلبتموه بلسان الحال ثم بين أن نعم الله على عبيده غير متناهية فقال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها أي لا تقدرون على تعدادها لكثرتها بل لعدم تناهيها قال الواحدي النعمة ههنا اسم أقيم مقام المصدر كالنفقة بمعنى الإنفاق ولهذا لم يجمع ومن تأمل في تشريح الأبدان فيعرف في أعضاء الحيوان وأجزائها من العروق الدقاق والأوردة والشرايين وفي كل واحد من الأعضاء البسيطة والمركبة ووقف على منافعها عرف بعض فوائد نعم الله تعالى على عباده وإذا جاوز الأنفس إلى الآفاق وسبر فكره في أحوال الأجسام السفلية والعلوية ووقف من بديع صنعها وعظم منفعتها على ما يقتضيه منه العجب ثم اعتبر الملك إلى الملكوت وقع في أودية الحيرة والدهشة وتلاشى عقله عند تلك سرادقات العزة والهيبة قال الحكيم إذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها أما التي قبلها فكالحرث والطحن والزرع وغير ذلك من الآلات المعينة والأسباب الفاعلية والقابلية حتى ينتهي إلى الأفلاك والعناصر وأما التي بعدها فكالقوى المعينة على الجذب والإمساك والهضم والدفع وكالأعضاء الحاملة لتلك القوى وكسائر الأمور النافعة في ذلك الباب خارجة من البدن أو داخلة فيه فإنها لا تكاد تنحصر وإذا كانت نعم الله تعالى في تناول لقمة واحدة تبلغ هذا المبلغ فكيف فيما جاوز ذلك هذا إذا كنت في عالم الأجسام فإذا تخطيت لعالم الأرواح وجلت بطرف عقلك في مبادي القدس وحظائر الإنس وصادفت بعض ما هنالك من الكرامات واللذات فلعلك تعرف حق النعمة إذ تغرق في لجة المنة أو تغرف من بحر المنحة والنعم هنالك على وفق الاستعداد وإدراك النعم بمقدار الفهم والرشاد فإن كنت من أهلها فذاك وإلا فلم لا تنفك لأن الإنسان أي هذا الجنس لظلوم بظلم النعمة بإغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وذلك أنه مجبول على النسيان والملالة فلا بد أن يقع في إغفال شكر النعم أو أن ينسيها أو في كفران النعمة إذا ملها وقيل ظلوم في الشدائد بالشكاية والجزع كفار في السعة بجمع ويمنع واعلم أنه ختم الآية في هذه السورة بما ختم وختمها في النحل بقوله إن الله لغفور رحيم وكأنه قال إن كنتم ظلوماً فأنا غفور وإن كنتم كفاراً فأنا رحيم فلا أقابل تقصيركم إلا بالتوقير ولا أجازي جفاءكم إلا بالوفاء تلك صفتك في الأخذ وهذه صفتي في الإعطاء التأويل وبرزوا من القشور الفانية لله جميعاً من القوى والضعيف فقال الضعفاء وهم المقلدة للذين استكبروا من المتبوعين إني كفرت بما أشركتمون من قبل يعني حين لا ينفع نفساً إيمانها وأدخل فيه إشارة إلى أن الإنسان إذا خلي وطباعه لا يدخل الجنة لأنه خلق ظلوماً جهولاً لأسفلي الطبع وإنما يدخله الله بفضله وعنايته جنات القلوب تجري من تحتها أنهار الحكمة خالدين فيها بإذن ربهم أي بعنايته والألم يبق فيها ساعة كالم يبق آدم تحيتهم أهل القلوب السلامة قلوبهم وتحيتهم على أهل النفوس لمرض قلوبهم ليسلموا من شر نفوسهم وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ألم تر أي ألم تشاهد بنور النبوة كيف ضرب الله مثلاً للاستعداد الإنساني القابل للفيض الإلهي دون سائر المخلوقات فإنه كلمة طيبة هي كلمة التوحيد كشجرة طيبة عن لوث الحدوث مثمرة ثمار شواهد أنوار القدم أصلها ثابت في الحضرة

لاالمبنة فانما صفة فانه بذاتها وفرعها في سماء القلوب تؤتي اكلها من انوار المشاهدات والمكاشفات كل حين بتقرب العبد الى ربه وبتقرب الرب تعالى اليه ويضرب الله الامثال للناس لمن نسي العهد الاول لعلهم يتذكرون الحالة الاولى فيسعون في تداركها ومثل كلمة تتولد من خباثة اجتثت من فوق ارض البشرية ما لها من قرار لانها من الاعمال الفانية لا من الباقيات الصالحات يثبت الله الذين آمنوا يمكنهم في مقام الايمان بملازمة كلمة لا اله الا الله والسير في حقايقها في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لان سير اصحابها الاعمال ينقطع بالموت وسير ارباب الاحوال لا ينقطع ابدا الا احلوا قومهم ارواحهم وقلوبهم ونفوسهم وابدانهم ان لوا ابدانهم جهنم البعد ونفوسهم الدركات وقلوبهم العمى والصمم والجهل وارواحهم العلوية اسفل سافلين الطبيعة فبدلوا نعم الاخلاق الحميدة كفرا لاوصاف الذميمة الله الذي خلق سموات القلوب وارض النفوس وانزل من سماء القلوب ماء الحكمة فاخرج به ثمرات الطاعات رزقا للارواح لكم وسخر لكم فلك الشريعة لتجري في بحر الطريقة بامر الحق لا بالهوى والطبع وكذا الارباب الطلب من سفن انكسرت بنكباء الهوى وسخر لكم انهار العلوم الدينية وشمس الكشوف وقمر المشاهدات وليل البشرية ونهار الروحانية ومعنى التسخير في الكل جعلها اسبابا لاستكمال النفس الانسانية وآتاكم من كل ما سألتموه من سائر الاسباب المعينة على ذلك فجميع العالم بالحقيقة تبع لوجود الانسان وسبب لكماليته وهو ثمرة شجرة المكونات فلذلك قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لان مخلوقاته غير محصورة وكلها مخلوق لاستكمال الانسان ان الانسان الظلوم بانساد استعداده كفار لا يعرف قدر نعمة الله في حقه

وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ
اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي
فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا
لِيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ
رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي
وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلٰوةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غَافِلًا
عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ
وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ
نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللّٰهِ
مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتُ وَبَرَزُوا لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللّٰهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ هٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ



القراءة ابراهام بالالف هشام والاخفش عن ابن ذكوان انى اسكنت بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ومن عصانى بالامالة على
دعائى بالياء فى الحالين ابن كثير ويعقوب وقرأ ابو عمرو ويزيد وورش وحمزة وسهل والبرجمى والخزاز عن هبيرة واحمد بن فرج عن ابى عمرو
عن اسمعيل بالياء فى الوصل والباقون والهاشمى عن ابن فليح بغير ياء فى الحالين نؤخرهم بالنون عباس والمفضل فى رواية ابى زيد الاخرون
بالياء التنزيل بفتح الاول ورفع الاخر على الباقون بكسر الاول ونصب الاخر القهار مثل البوار قطر بكسر القاف وسكون الطاء والراء
مكسورة منونة آن على انه اسم فاعل زيد عن يعقوب والوقف على قرأة آن بالياء الوقوف الاصنام ط من الناس ج منى ج فصلا بين النقيضين مع اتحاد
الكلام رحيم المحرم لا لان قوله ليقيموا يتعلق بقوله اسكنت وكلمة ربنا تكرار يشكرون و ما نعلن ط وما فى السماء ط واسحق ط الدعاء ه ومن ذريتى ز
قد قيل والوصل اولى للعطف وربنا تكرار دعاء الحساب ط الظالمون ط الابصار لا لان ما بعده حال طرفهم ج لاحتمال ان قوله وافئدتهم يكون
من صفات اهل المحشر وان يكون من صفة الكفار فى الدنيا هواء ط قريب لان قوله نجب جواب اخرنا الرسل ط زوال لا للعطف على اقسمتم الامثال
وعند الله مكرهم ط الجبال ه رسله ط انتقام ط فان انتقامه لا يختص بوقت التقيد باذكر يوم القهار ج الاصفاد ج للاية ولان الجملة بعد من
صفات المجرمين النار لا لتعلق لام كى ما كسبت ط الحساب الالباب التفسير قصة ابرهيم يحتمل ان يكون مثالا للكلمة الطيبة وان يكون
دعاء الى التوحيد وانكار الا العبادة الاصنام وان يكون تعديدا لبعض نعمه على عبيده فان وجود الصالحين ولا سيما الانبياء والمرسلين
رحمة فيما بين العالمين كما قال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا وذلك بدعاء ابرهيم ومن نسله ص وعلى نبينا ص حكى الله سبحانه عنه
طالب امور منها قوله رب اجعل هذا البلد آمنا وقد مر فى البقرة الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك لا ريب ان فى مكة مزيد امن
ببركة دعائه حتى ان الناس مع شدة العداوة بينهم كانوا يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا وكان الخائف اذا التجأ بمكة امن وللوحوش هناك
استيناس ليس فى غيرها وانما قدم طلب الامن على سائر المطالب لانه لولاه لم يفرغ الانسان لشئ آخر من مهمات الدين والدنيا ومن هاهنا جاز
التلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه وسئل بعض الحكماء ان الامن افضل ام الصحة فقال الامن دليله ان شاة لو انكسر رجلها فانها تصح بعد زمان ثم انها
تقبل على الرعى والاكل ولو انها ربطت فى موضع وربط بالقرب منها ذئب فانها تمسك عن العلف ولا تتناول شيئا الى ان تموت فدل على ذلك
على ان الضرر الحاصل من الخوف اشد من الالم الحاصل للجسد ومنها قوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام قال جار الله اهل الحجاز يقولون
جنبنى بالتشديد واهل نجد جنبنى واجنبنى وفائدة الطلب ان الاجتناب حاصل للتثبت والادامة لا اقل من هضم النفس واظهار الفقر والحاجة
والتماس العصمة من الشرك الخفى اما قوله وبنى فقيل اراد بنيه من صلبه وانهم ما عبدوا صنما ببركة دعائه وقيل اولاده واولاد اولاده ممن كانوا
موجودين حال دعوته وقال مجاهد وابن عيينة لم يعبد احد من ولد ابرهيم صنما وهو التمثال المصور وانما عبدت العرب الاوثان يعنى
احجارا مخصوصة كانت لكل قوم زعموا ان البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار
ولذلك استحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وضعف هذا الجواب بانه اذا عبد غير الله فالوثن والصنم سيان على انه سبحانه
وصف الهتهم بما ينبئ عن كونهم مصورين كقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم الآيات الى قوله وتريهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون وقيل ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده بدليل قوله فمن تبعنى فانه منى اى من اهلى ومن ديني ومنه ان من لم يتبعه فى دينه فانه
ليس من اهله كقوله لابن نوح انه ليس من اهلك وقيل انه وان عمم الدعاء الا انه اجيب فى البعض كقوله ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين قالت الاشاعرة
ولم يكن الايمان والكفر بخلق الله تعالى لم يكن لالتماس التبعيد عن الكفر معنى وحمله المعتزلة على منح الالطاف اما قوله رب انهن اضللن كثيرا فاتفقوا
على ان نسبة الاضلال اليهن مجاز لانهن جمادات فهو كقولهم فتنتهم الدنيا وغرتهم اى صارت سببا للفتنة والاغترار بها قوله فمن تبعنى اى على الملة
الحنيفية فانه منى اى هو بعضى لفرط الاختصاص بى ومن عصانى فانك غفور رحيم قال السدى معناه ومن عصانى ثم تاب وقيل ان هذا الدعاء كان
قبل ان يعلم ان الله لا يغفر الشرك وقيل المراد انك قادر على ان تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الاسلام وقيل المراد ان يمهلهم حتى يتوبوا
وقيل ومن عصانى فيما دون الشرك فاستدل الاشاعرة بإطلاقه من غير اشتراط التوبة على انه شفاعة فى اسقاط العقاب عن اهل الكبائر واذا ثبت
هذا فى حق ابرهيم ص ثبت فى حق نبينا بالطريق الاولى ثم اراد ان يعطف الله بدعائه قلوب الناس كلهم او جلهم على اسمعيل ومن ولد منه بمكة وان
يرزقهم من الثمرات فمهد للدعاء مقدمة فقال ربنا انى اسكنت من ذريتى اى بعضهم بواد غير ذى زرع اى لم يكن فيه شئ من زرع قط كقوله
قرآنا عربيا غير ذى عوج اى لا يوجد فيه اصلا ولم يوجد ذلك فيه فى زمن من الازمان وقد سبق فى سورة البقرة قصة مجئ ابرهيم باسمعيل
وامه هاجر الى هنالك وفى قوله عند بيتك المحرم دليل على انه دعا هذه الدعوة بعد بناء البيت لا فى حين مجيئه بهما ومعنى كون البيت محرما
ان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لاجل حرمته وانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشئ المحرم الذى حقه ان يجتنب
وقيل سمى محرما لانه حرم على الطوفان اى منع منه كما سمى عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه او حرم على المكلفين ان يقربوه بالدماء والاقذار
ولانه امر الصائرين اليه ان يحرموا على انفسهم اشياء كانت تحل لهم من قبل ربنا ليقيموا الصلوة اى ما اسكنتهم بهذا الوادى الفقر الا لاقامة
الصلوة عند البيت وعمارته بالذكر وا[...] افئدة من الناس من للتبعيض اى افئدة من افئدة الناس قال مجاهد لو قال افئدة





الناس ويحتمل علية فارس والروم والترك والهند وعن سعيد بن جبير لو قال افئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه اراد افئدة المسلمين
وجوز في الكشاف ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم وعلى هذا فانما يحصل التبعيض من تنكير افئدة فكانه قيل افئدة ناس
ومعنى تهوي تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا وقيل تنحط وتنحدر الاصمعي هوى يهوي هويا بفتح الهاء اذا سقط من علو الى سفل وفي هذا
الدعاء فائدتان احدهما ميل الناس الى تلك البلدة للنسك والطاعة والاخرى نقل الامتعة اليهم للتجارة وفي ضمن ذلك يتسع معايشهم و
يكثر ارزاقهم ومع ذلك فقد صرح بها فقال وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ فلا جرم اجاب الله دعائه فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء وقيل اراد
ان يحصل حواليها القرى والمزارع والبساتين ثم ختم الاية بقوله لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ليعلم ان المقصود الاصلي من منافع الدنيا وسعة الرزق
هو التفرغ لاداء العبادات واقامة لوظائف الشرعية ثم اثنى على الله سبحانه تمهيدا لدعوة اخرى وتعريضا ببقية الحاجات فقال رَبَّنَا إِنَّكَ
تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ على الاطلاق لان الغيب والشهادة بالاضافة الى العالم بالذات سيان وقيل ما نخفي من الوجد بسبب الفرقة بيني وبين اسمعيل
وما نعلن من البكاء والدعاء او اراد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا فقال الى الله اكلكم قال المفسرون وَمَا يَخْفَى
عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم ويحتمل ان يكون من كلام ابرهيم ومن للاستغراق اي لا يخفى على
الذي يستحق العبادة لذاته شيء ما في اي مكان يفرض الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبر السن وفي حال الشيخوخة اسمعيل واسحق ذكره اولا كونه
تعالى عالما بالضمائر والسرائر ثم حمده على هذه الموهبة لان المنة بالولد في حال وقوع الياس من الولادة اعظم لانها تنتهي الى حد الخوارق فكانه رمز
الى انه طلب الله سبحانه ان يهبهما بعدما ولهذا ختم الاية بقوله إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ وهو من اضافة الصفة الى مفعولها اي مجيب الدعاء او
الى فاعلها بان يجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله تعالى ويحتمل ان يكون قوله إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رمزا الى ما كان
قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن
مائة وثنتي عشرة سنة وقيل اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة ثم ختم الادعية
بقوله رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ اي مديما وَمِن ذُرِّيَّتِي اي واجعل بعض ذريتي كذلك لانه علم باعلام الله تعالى انه يكون في ذريته
كفار وذلك قوله سبحانه لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ عن ابن عباس اي عبادتي وحمله على تقبل الادعية السابقة والاية غير
بعيد رَبَّنَا اغْفِرْ لِي طلب المغفرة لا يوجب سابقة الذنب لان مثل هذا انما يصدر عن الانبياء والاولياء في مقام الخوف والدهشة على
ان ترك الاولى لا يمتنع منهم وحسنات الابرار سيئات المقربين اما قوله وَلِوَالِدَيَّ فاعترض عليه بانه كيف يستغفر لابويه وهما كافران واجيب
بانه قال ذلك بشرط الاسلام وزيف بما ان قوله تعالى إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مستثنى من الاشياء التي يؤتسى فيها بابرهيم
لو كان استغفاره مشروطا باسلام ابيه لكان استغفارا صحيحا فلم يحتج الى الاستثناء وقيل اراد بوالديه آدم وحواء والصحيح في الجواب انه استغفر
في الجواب انه استغفر له بناء على الجواز العقلي والمنع التوقيفي بعد ذلك لانهما بينهم يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ اي يثبت مستعار من قيام القائم على الرجل
ومثله قولهم قامت الحرب على ساقها او اسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او المضاف محذوف مثل واسئل القرية ثم عاد الى بيان
الجزاء والمعاد لان دعاء ابرهيم قد انجر الى ذكر الحساب فقال وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا ان كان الخطاب لكل مكلف وللنبي والمراد امته فلا اشكال
وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فمعناه التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله الا عالما بجميع المعلومات او المراد لا تحسبه يعاملهم معاملة الغافل عما يفعلون
ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم قلت لانه لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم
لزم ان يكون غافلا عن الظالم او عاجزا عن الانتقام او راضيا بالظالم وكل ذلك مناف لوجوب الوجود المستلزم لجميع الكمالات إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ
فِيهِ الْأَبْصَارُ اي ابصارهم كقولهم واشتعل الراس وشخص بصر الرجل اذا بقيت عينه مفتوحة لا تطرف وانما ذلك انما يكون عند غاية الحيرة
وسقوط القوة مُهْطِعِينَ مسرعين قاله ابو عبيدة والغالب من حال من يبقى بصره شاخصا من شدة الخوف ان يبقى واقفا فبين الله تعالى ان حالهم بخلاف
هذا المعتاد لانهم مع شخوص ابصارهم يكونون مسرعين نحو ذلك البلاء وقال الحسن ابن يحيى المهطع الذي ينظر في ذل وخضوع وقيل هو الساكت مُقْنِعِي
رُءُوسِهِمْ رافعيها وهذا ايضا بخلاف المعتاد لان الغالب ممن يشاهد البلاء انه يطرق راسه لكيلا يراه لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ الطرف تحريك الاجفان
على الوجه الذي خلق وجبل عليه وسمي العين بالطرف تسمية بفعلها اي لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم والمراد دوام الشخوص المذكور وقيل
لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ والهواء الخلاء الذي لم يشغله الاجرام وصف قلوب الجبان به لانه لا قوة فيه ويقال للاحمق ايضا قلبه
هواء والمعنى ان قلوب الكفار خالية يوم القيمة عن جميع الخواطر والافكار لعظم ما نالهم وعن كل رجاء وامل لما تحققوه من العذاب والاظهر ان هذه الحالة
لهم عند المحاسبة لتقدم قوله يوم يقوم الحساب وقيل هي عند ما يتميز السعداء من الاشقياء وقيل عند اجابة الداعي والقيام من القبور وعن ابن جريج
اراد ان افئدة الكفار في الدنيا صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ مفعول ثان لانذر و
اليوم يوم القيمة واللام في العذاب للعهد السابق من شخوص الابصار وغيره او للمعلوم وهو عذاب النار ومعنى اخرنا امهلنا الى امد وحد من الزمان
قريب يعني يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او لم تكونوا على اضمار القول اي فيقال لهم



بذلك واقسامهم اما بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا واما بلسان المقال اشرا وبطرا وجهلا وسفها وما لكم من زوال جواب القسم وقيل
ما لنا من زوال على حكاية لفظ المقسمين لجاز من حيث العربية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء ولا تنتقلون الى
دار اخرى هي دار الجزاء كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ثم زادهم توبيخا بقوله وسكنتم استقررتم في مساكن الذين ظلموا
انفسهم بالكفر والمعاصي وهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة والبيان والعيان كيف فعلنا بهم من اصناف العقوبات
وضربنا لكم الامثال قال جار الله اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي الغرائب كالامثال المضروبة لكل ظالم وقال غيره المراد ما ورد في القرآن
من دلائل القدرة على الاعادة والابداء وعلى العذاب المعجل والمؤجل ثم حكى مكر اولئك الظلمة فقال وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم
الذي استفرغوا فيه جهدهم وقيل الضمير عائد الى قوم محمد كما قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك وقيل المراد ما نقل ان نمرود حاول
الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط قوائمه الاربع نسورا كان قد جوعها ورفع من الجوانب الاربعة على التابوت عصيا اربعا وعلق
على كل واحدة منها قطعة من اللحم ثم انه جلس مع صاحب في ذلك التابوت فلما بصرت النسور بذلك اللحم تصاعدت في جو الهواء ثلاثة ايام
وغابت الارض عن عين نمرود ورأى السماء بحالها فعكس تلك العصا التي عليها اللحوم فهبطت النسور الى الارض وضعف هذه الرواية
لا يكاد يقدم عاقل على مثل هذا الخطر وعند الله مكرهم ان كان مضافا الى الفاعل فالمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فيجازيهم عليه باعظم
منه وان كان مضافا الى المفعول فمعناه وعنده مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون اما قوله
وان كان مكرهم لتزول فمن قرأ بكسر اللام الاولى ونصب الثانية فوجهان احدهما ان يكون ان مخففة من الثقيلة فزوال الجبال مثل
لعظم مكرهم وشدته اي وان الشأن كان مكرهم معدا لذلك وثانيهما ان يكون ان نافية واللام المكسورة لتأكيد النفي كقوله وما كان الله
ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه الثابتة على حالها ابد الدهر ومن
قرأ بفتح اللام الاولى ورفع الثانية فان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى كما مر ثم انه سبحانه اكد كونه مجازيا لاهل المكر على مكرهم بقوله
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله قال جار الله قدم المفعول الثاني وهو الوعد على المفعول الاول ليعلم انه غير مخلف الوعد على الاطلاق
ثم قال رسله تنبيها على انه اذا لم يكن من شأنه اخلاف الوعد فكيف يخلفه رسله الذين هم صفوته والمراد بالوعد قوله انا لننصر رسلنا كتب الله
لاغلبن انا ورسلي ونحوهما من الآيات قوله والله عزيز ذو انتقام قد مر في اول آل عمران يوم تبدل الارض قال الزجاج انتصابه يوم على البدل
من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والاظهر انتصابه باذكر كما مر في الوقوف ومعنى قوله والسموات اي وتبدل السموات قال اهل اللغة التبديل التغيير
وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل
الى شكل وتفسير ابن عباس يناسب الوجه الثاني قال هي تلك الارض وانما تغير فتسير عليها جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا
امت وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تبدل
الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهذا القول يناسب مذهب الحكماء في ان الذوات
لا يتطرق اليها العدم وانما يعدم صفاتها واحوالها نعم جوزوا انعدام الصور مع انقاء جواهرها عندهم وتفسير ابن مسعود يناسب الوجه الاول
قال يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي عليه السلام تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء
كالصحائف وقيل لا يبعد ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة وبرزوا لله قد ذكرناه في السورة وتخصيص الواحد القهار بالموضع لتعظيم
الهول وانه لا مستغاث ولا مستند الى غيره ولا حكم يومئذ لاحد الا له يتفرد بحكمه ويقهر ما سواه ومن نتايج قهره قوله وترى المجرمين يومئذ
مقرنين قرن بعضهم مع بعض لاتحاد الجنسية علة الضم او مع الشياطين الذين اضلوهم قالت الحكماء هي الملكات التي تمكنوا العقائد الفاسدة
التي اكتسبوها في تعلق الابدان وقوله في الاصفاد اي القيود اما ان يتعلق بمقرنين واما ان يكون وصفا مستقلا اي مقرنين مصفدين
وقيل الاصفاد الاغلال والمعنى قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وحظ العقل فيه ان الملكات الحاصلة في جوهر النفس انما تحصل
بتكرير الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء سرابيلهم جمع سربال وهو القميص من قطران هو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ
به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته وقد يبلغ حرارته الجوف ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون
منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل فيجمع عليهم اللذع والحرقة والاشتعال والسواد والنتن على ان
التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين والوجه العقلي فيه ان البدن بمنزلة القميص للنفس وكلما يحصل للنفس من الالام
الغموم فانما يحصل بسبب هذا البدن فلهذا البدن للذع وحرقة في جوهر النفس بنفوذ الشهوة والحرص والغضب وسائر اخلاق الملكات
الرديئة فيه ومن قرأ من قطر آن فالقطر النحاس والصفر المذاب والآني المتناهي حره قال ابن الانباري وتلك النار لا تبطل ذلك السربال
ولا تفنيه وكما لا يهلك النار اجسامهم والاغلال التي كانت عليهم وتغشى وجوههم النار خص الوجه بالذكر لانه اعز موضع في ظاهر البدن
واشرفه ويعبر به عن الكل قوله ليجزي اللام متعلقة بتغشى او بجميع ما ذكر وقيل بفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله كل نفس ما كسبت قال الواحدي اراد



نفوس الكفار لان ما سبق لا يليق الا بهم ويحتمل ان يراد كل نفس بما كسبت ويجزى على ما فعلت لطيفة لانه تعالى اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم ثم اشار الى القرآن او الى ما في السورة والى ما مر من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى ههنا فقال هذا بلاغ كفاية للناس في التذكير والموعظة لينصحوا ولينذروا به هذا البلاغ ثم رمز الى استكمال القوة النظرية بقوله وليعلموا انما هو اله واحد والى استكمال القوة العملية بقوله وليذكر اولوا الالباب لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى استكمال النفس بحسب القوتين والله ولي التوفيق التأويل واذ قال ابرهيم الروح رب اجعل بلد القلب آمنا من وسوسة الشيطان وهواجس النفس وآفات الهوى واجنبني وبني هم الفؤاد والسر والخفي ان نعبد الاصنام وهو كل ما سوى الله فصنم النفس الدنيا وصنم القلب العقبى وصنم الروح الدرجات العلى وصنم السر العرفان والقربات وصنم الخفي الركون الى المكاشفات والمشاهدات وانواع الكرامات ومن عصاني فانك غفور رحيم فيه نكتتان احديهما لم يقل ومن عصاك اشارة الى ان عصيان الله لا يستحق المغفرة والرحمة والثانية لم يقل فانا اغفره وارحم عليه لان عالم الطبيعة البشرية يقتضي المكافاة وانما المغفرة والرحمة من شان الغني المطلق اني اسكنت من ذريتي هم صفات الروح والعقل والسر والخفي بواد غير ذي زرع وهو وادي القلب عند بيتك المحرم على ما سوى الله وهو كعبة العقل القلب حرام ان يكون بيتا لغير الله لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن وفيه انه توسل في اجابة الدعاء بمحمد فكانه قال ان ضيعت هاجر واسمعيل فقد ضيعت محمدا وفي قوله ليقيموا الصلوة اشارة الى انه لولا تعلق الروح بالجسد حلول بارض القالب لم يمكن استكمال الروح بالاعمال البدنية وانه لولا غرض هذا الاستكمال لم يحصل له التعلق فاجعل افئدة الصفات الناسوتية تهوي الى الصفات الروحانية وارزقهم من ثمرات الصفات اللاهوتية لعلهم يشكرون بهذه النعم التي ليس ينالها الملائكة المقربون وفي هذا سر عظيم لا يمكن افشاؤه ربنا انك تعلم ما نخفي من حسن الدعاء وما نعلن من ظاهر القصد وما يخفى على الله من شيء في ارض المعاملات الصورية ولا في سماء القلوب من الغيوب على الكبر بعد تعلق الروح بالقالب اسمعيل السر واسحق الخفي مقيم الصلوة دائم العروج فان الصلوة معراج المؤمن ربنا اغفر لي استر لي واعني بصفة مغفرتك ولوالدي من الآباء العلوية والامهات السفلية لئلا يحجبوا عن رؤيتك يوم يقوم الحساب بكمالية كل نفس ونقصانها لا يكون في حساب الكاملين لا في حساب الناقصين لا تحسبن الله غافلا في الازل بل الكل بقضائه وقدره وانما يؤخرهم ليبلغوا الى ما قدر لهم من الاعمال فانها مودعة في الاعمار وانذر الناس يصل كل من اهل الشقاوة والسعادة الى مقاصدهم ما لكم من زوال فيه من لطائفه هب لنا سجنه زعموا ان نفوسهم لا تزال تتعلق بالابدان وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بان مثل ابدانهم متمكنين في ظلمات الاخلاق الذميمة وعند الله مكرهم وان كان مكرهم بحيث يؤثر في ازالة الجبال عن اماكنها ولكنه لا يحرك شعرة الا باذن الله بقضائه يوم تبدل الارض ارض البشرية بارض القلوب فيضمحل ظلماتها بانوار القلوب وتبدل سموات الاسرار بسموات الارواح فان شموس الارواح اذا طلعت الكواكب الاسرار تمحق انوار كواكبها ويطفؤه اشعة شموسها بل تبدل ارض الوجود المجازي عند اشراق تجلي انوار هويته محقا بانوار الوجود الحقيقي كما قال واشرقت الارض بنور ربها وبرزوا لله الواحد القهار فان شموس الارواح يصير مضمحلة في تجلي نور الالوهية وترى المجرمين يوم التجلي مقرنين في قيود الصفات الذميمة لا يستطيعون البروز لله سرابيلهم من قطران المعاد ظلمات النفوس لانهم محجوبون بها عن الله وتغشى وجوههم نار الحسرات والقطيعة هذا بلاغ للناس الذين نسوا عالم الوحدة وليندروا به قبل الممات فان لا بد يا الموت لا ينفع وليعلموا انما هو اله واحد فيعبدوه ولا يتخذوا الها غيره من الدنيا والهوى والشيطان وليذكر اولوا الالباب عالم الشهود بخواص قلوبهم الحي

سورة الحجر مكية بالاجماع وحروفها الفان وسبعمائة وواحد وستون وكلماتها ستمائة واربع وخمسون وآياتها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل

اين است آيتهاى كتاب خدا و قرآنيت روشن · بسا كه آرزو كنند آنانكه كافر شدند كه مسلمان · واگذار ايشان را تا بخورند و برخوردار شوند و غافل سازد

فسوف يعلمون وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون وقالوا

پس زود باشد كه بدانند · و هلاك نكرديم هيچ ديهى را · مگر مر او را كتابى بود دانسته · پيشى نگيرد هيچ گروهى · از مدت خود و پس نمانند · و گفتند

يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة

اى آنكه فرو فرستاده شد · بر او قرآن هر آئينه تو ديوانه · چرا نمى آرى · فرشتگان را · اگر هستى از راستگويان · نمى فرستيم فرشتگان را

الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين

مگر براستى و نباشند · از مهلت دادگان · بدرستيكه ما فرو فرستاديم ذكر را و بدرستيكه ما مر او را نگاه دارندگانيم · و بتحقيق فرستاديم پيغمبران را پيش از تو در گروههاى پيشينيان

وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت

و نمى آيد ايشان را هيچ رسولى · مگر بودند كه بدان استهزا ميكردند · همچنين در مى آريم آنرا · در دلهاى گناهكاران · ايمان نمى آورند بدان · و بدرستيكه گذشت

سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن



قومٌ مسحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم

إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء

موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر

معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين وإنا لنحن نحيي ونميت

ع

ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وإن ربك هو يحشرهم إنه

حكيم عليم ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار

السموم وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت

فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين

قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ

مسنون قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى

يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لأزينن لهم

في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي

ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل

باب منهم جزء مقسوم إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على

سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم

القراءة ربما بفتح الباء مخففة ابو جعفر ونافع وعاصم غير الشموني وربما بضم الباء خفيفة الشموني الباقون بالفتح والتشديد ما ننزل بالنون الملائكة بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد ما تنزل بضم التاء وفتح الزاي المشددة الملائكة بالرفع ابو بكر وحماد الباقون مثله ولكن بفتح التاء ما تنزل بالادغام البزي وابن فليح سكرت خفيفة ابن كثير فتحنا بالتشديد يزيد الريح على التوحيد حمزة وخلف صراط علي بكسر اللام ورفع الياء على النعت يعقوب الآخرون على جار ومجرور وعيون بكسر العين حمزة وعلي وابن كثير وابن ذكوان والاعشى ويحيى وحماد الباقون بضمها نبئ عبادي مثل نبئنا عبادي اني بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو والآخرون بالاسكان الوقوف الجزء الرابع عشر الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ° مسلمين ° يعلمون ° معلوم ° وما يستأخرون ° لمجنون ° ط لان التحضيض له صدر الكلام الصادقين ° منظرين ° لحافظون ° الاولين ° يعرجون ° مسحورون ° للناظرين ° لا رجيم ° لا مبين ° موزون ° برازقين ° خزائنه ز لاتفاق الجملتين مع الفصل بين معنيين الجمع في التقدير والتفريق في التنزيل فاسقيناكموه ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال بخازنين ° الوارثون ° المستأخرين ° يحشرهم ط عليم ° مسنون ° ج لاتفاق الجملتين مع تقدم المفعول في الثاني السموم ° مسنون ° ساجدين ° اجمعون ° لا ابليس ط الساجدين ° مسنون ° رجيم ° الدين ° يبعثون ° من المنظرين لا المعلوم ° اجمعين لا المخلصين ° مستقيم

الغاوين اجمعين ابواب مقسوم وعيون طه لازالة الغول بعد امنين متقابلين بمخرجين الرجيم الاليم التفسير قال جار الله تلك اشارة الى ما تضمنته
السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم وقال آخرون الكتاب والقرآن المبين هو الكتاب الذي وعد الله محمدا صلعم المعنى
تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا مفيدا للبيان اما قوله ربما يود فذكر السكاكي ان فيه سبع لغات اخرى بعد المشهور
رب بالراء مضمومة والباء مخففة مفتوحة او مسكنة وربت بالراء مفتوحة والباء كذلك اي مفتوحة مخففة او مشددة وانما دخلت على المضارع مع
انه مختص بالماضي لان المترقب في اخبار الله بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود وما هذه كافة لانها تكف رب عن العمل فيهيئها بعد ذلك
للدخول على الفعل وقيل انها بمعنى شيء اي رب شيء يوده الذين كفروا ورب للتقليل فاورد عليه ان تمنيهم يكثر ويتواصل فما معنى التقليل واجيب
بانه على عادة العرب اذا ارادوا التكثير ذكروا لفظا وضع لاجل التقليل كما اذا ارادوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود اظهار الترفع والاستغناء
عن التصريح بالتعريض فيقولون لمن يعاتبه منهم على ما فعلت لعلك تندم على فعلك وان كان العلم حاصلا بكثرة الندم ووجوده بغير شك اراد
ولو كان الندم قليلا او مشكوكا فيه لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من الغم القليل كما يحذرون من الكثير ومن الغم
المظنون كما من المتيقن يعني الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة كان جديرا بالمسارعة اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقوله لو كانوا
مسلمين اخبار عن ودادتهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل لو كنا مسلمين جاز من حيث العربية كقولك حلف بالله لافعلن وحينئذ يكون
هذه الودادة قال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما وعلى هذا فقد قيل في وجه التقليل
ان العذاب يشغلهم عن كثرة التمني فلذلك قلل وقال الضحاك هي عند الموت اذا شاهدوا امارات العذاب وقيل اذا اسودت وجوههم روي
عن النبي صلعم اذا كان يوم القيامة اجتمع اهل النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة فيقال الكفار لهم الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد
صرتم معنا في النار فيغضب الله لهم فيأمر لكل من كان من اهل القبلة بالخروج فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ثم قرأ رسول الله صلعم الآية
وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال ما يزال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الملائكة والانبياء حتى انه تعالى في آخر
الامر يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فهنالك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ظاهره امر لرسول الله صلعم بان يخليهم وشأنهم و
احتجت الاشاعرة به على انه سبحانه وتعالى قد يصد عن الايمان ويفعل بالمكلف ما يكون له مفسدة في الدين وقالت المعتزلة ليس هذا اذنا
وتجويزا وانما هو تهديد ووعيد وقطع طمع النبي صلعم عن ارعوائهم وفيه انهم من اهل الخذلان ولا يجيء منهم الا ما هم فيه ولا زاجر لهم ولا واعظ الا
معاينة ما ينذرون به حتى لا ينفعهم الوعظ وفي الآية تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين
ومعنى يلههم الامل يشغلهم الرجاء عن الايمان والطاعة [illegible] لهيا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه والهاه غيره
عن انس ان النبي صلعم خط خطا وقال هذا الانسان وخط الى جنبه خطا وقال هذا اجله وخط خطا بعيدا منه فقال هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جاءه الاقرب فسوف يعلمون سوء صنيعهم
مزيد تاكيد للتهديد ثم ذكر ما هو نهاية في الزجر والتهديد فقال وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب اي مكتوب معلوم وهو اجلها الذي
كتب في اللوح قال جار الله قوله ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وذكر السكاكي في المفتاح ان هذا
سهو لان الفصل بين الموصوف والصفة لا يجوز ولكن الجملة حال من قرية ومثل هذا جائز ولو كان ذو الحال نكرة محضة كقولك جاءني رجل
وعلى كتفه سيف لعدم التباس الحال بالوصف لان الفاصلة بالواو وكيف وقد تخللت الفاصلة في الآية بكلمة الا وذو الحال في حكم المعرفة
اذ التنكير في وما اهلكنا من قرية من القرى من قبيل افادة الاستغراق قال قوم المراد بهذا الهلاك عذاب الاستئصال الذي كان ينزله الله بالمكذبين
المعاندين من الامم السالفة وقال آخرون اراد الموت والاول اقرب لانه في الزجر ابلغ وكأنه قيل ان هذا الامهال لا ينبغي ان يغتر به العاقل
فان لكل امة وقتا معينا في نزول العذاب لا يتأخر وقيل اراد مجموع الامرين قال صاحب النظم اذا كان السبق واقعا على شخص فمعناه جاز وخلف
كقولك سبق زيد عمرا اي جازه وخلفه وانه قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان فعلى العكس كقولك سبق فلان عام كذا معناه مضى قبل اتيانه
ولم يبلغه فمعنى الآية انه لا يحصل اجل امة قبل وقته ولا بعده كما في كل حادثة وقد مر بحث الاجل في اول سورة الانعام وانث الامة اولا ثم ذكرها
آخرا في قوله وما يستأخرون حملا على اللفظ والمعنى وحذف متعلق يستأخرون وهو عنه للعلم به ولما بالغ في تهديد الكفار شرع في تعديد بعض شبههم
ومطاعنهم في النبي فالاولى انهم كانوا يحكمون عليه بالجنون لانهم كانوا يسمعون منه ما لا يوافق طباعهم ولا يطابق اهواءهم وانما نادوه بيا ايها الذي
نزل عليه الذكر مع انهم كانوا لا يقرون بنزول الوحي عليه تعكيسا للكلام استهزاء وتهكما او ارادوا يا ايها الذي نزل عليه الوحي في زعمه
واعتقاده وعند اصحابه واتباعه الثانية لو ما تأتينا بالملائكة لوما حرف تحضيض مركب من لو المفيدة للتمني ومن ما المزيدة فافاد المجموع الحث على
الفعل الداخل هو عليه والمعنى هلا تأتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك ويعضدوك على انذارك والمراد هلا تأتينا بالملائكة للعذاب
ان كنت من الصادقين في ان تكذيبك يقتضي التعذيب العاجل فاجاب الله سبحانه عن شبههم بقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق قالت المعتزلة اي
تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة والغاية الصحيحة ولا حكمة في ان يأتيكم عيانا فان ذلك امر تكليف يؤول الى الاضطرار والالجاء ولا فائدة نعود
[illegible] على الكفر [illegible] عبثا ولا حكمة [illegible] لانهم [illegible] عذاب الاستئصال [illegible]



كانوا اذاً منظرين فان التكليف يزول عند نزول الملائكة وقد علم الله من المصلحة ان لا يهلك هذه الامة ويمهلهم لما علم من ايمان بعضهم او ايمان اولادهم وقالت الاشاعرة الآجال لا تحول الا بالوحي والعذاب قال صاحب النظم لفظ اذن مركبة من اذ وهي بمعنى حين ومن ان الدال على مجيء فعل بعدها فخففت الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها وكانه قيل وما كانوا منظرين حين ان كان ما طلبوا وقال غيره اذن جواب وجزاء تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم ثم انكر على الكفار استهزاءهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر فقال على سبيل التوكيد انا نحن نزلنا الذكر ثم دل على كونه منزلا من عنده فقال وانا له لحافظون لانه لو كان من قول البشر او لم يكن اية لم يبق محفوظا من التغيير والاختلاف وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس والقول الاول اوضح ووجه حفظ القران قيل هو جعله معجزا مباينا لكلام البشر حتى لو زادوا فيه شيئا ظهر ذلك للعقلاء ولم يخف فلذلك بقي مصونا عن التحريف وقيل حفظ بالدرس والبحث ولم يزل طائفة يحفظونه ويدرسونه ويكتبونه في القراطيس باحتياط بليغ وجد كامل حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له لحن في حرف من كتاب الله لقال له بعض الصبيان اخطأت ومن جملة اعجاز القران وصدقه انه سبحانه اخبر عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف وكان كما اخبر بعد سبعمائة سنة فلم يبق للموحد شك في اعجازه وههنا نكتة هي انه سبحانه تولى حفظ القران ولم يكله الى غيره فبقي محفوظا على مر الدهور بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيون والاحبار فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف ثم ذكر ان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء كذلك والغرض تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وفي الكلام اضمار التقدير ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه ومعنى في شيع الاولين في امم واتباعهم وقد مر معنى الشيعة في اخر الانعام قال جار الله معنى ارسلنا فيهم جعلناهم رسلا فيما بينهم قال الفراء اضافة الشيع الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وبجانب الغربي قوله وما يأتيهم حكاية حال ماضية وانما كان الاستهزاء بالرسل عادة الجهلة في كل قرن لان الفطام عن المألوف شديد وكون الانسان متبع الامر من مثله واقل حالا منه في المال والجاه والقبول اشد على النفس والسبب الكلي فيه هو الخذلان وعدم التوفيق من الله سبحانه ووقوعهم مظاهر القهر في الازل قوله كذلك نسلكه السلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط وقالت الاشاعرة الضمير في نسلكه يجب عوده الى اقرب المذكورات وهو الاستهزاء الدال عليه يستهزءون واما الضمير في قوله لا يؤمنون به فيعود الى الذكر لانه لو عاد الى الاستهزاء وعدم الايمان بالاستهزاء حق وصواب لتوجه اللوم على الكفار ولا يلزم من تعاقب الضمائر عودها على شيء واحد وان كان الاحسن ذلك والحاصل ان مقتضى الدليل عود الضمائر الى الاقرب الا اذا منع من اعتباره مانع وقال بعض الادباء منهم قوله لا يؤمنون به تفسير للكناية في قوله نسلكه اي نجعل في قلوبهم ان لا يؤمنوا به فتدل الاية على ان الكفر والضلال والاستهزاء ونحوها من الافعال كلها بخلق الله وايجاده وقالت المعتزلة الضميران يعودان الى الذكر لانه شبه هذا السلك بعمل اخر قبله وليس الا تنزيل الذكر والمعنى مثل ذلك الفعل نسلك الذكر في قلوب المجرمين ومحل لا يؤمنون به نصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه والحاصل انا نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول نظيره ما اذا انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية واعترض بان النون انما يستعمله الواحد المتكلم اظهارا للعظمة والجلال ومثل هذا التعظيم انما يحسن ذكره اذا فعل فعلا يظهر له اثر قوي كامل اما اذا فعل بحيث يكون منازعا عنه ومدافعا لما فعله فانه يستقبح ذكره على سبيل التعظيم والامر ههنا كذلك لانه تعالى سلك استماع القران وتحفيظه وتعليمه في قلب الكافر لاجل ان يؤمن به ثم انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به فصار فعل الله كالهدر الضائع وصار الشيطان كالغالب المدافع فكيف يحسن ذكر النون المشعر بالتعظيم في هذا المقام اما قوله وقد خلت سنة الاولين فقيل اي طريقتهم التي بينها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهذا يناسب تفسير المعتزلة وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم وقيل قد مضت سنة الله في الاولين بان يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا قول الزجاج ويناسب تفسير الاشاعرة ثم حكى اصرارهم على الجهل والتكذيب بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا اي هؤلاء الكفار فيه يعرجون يتصاعدون لقالوا انما سكرت ابصارنا هو من سكر الشراب او من سكر السبق في سكرت النهر اذا سددته وحبسته عن الجري والتركيب يدل على قطع الشيء من سننه الجاري عليه ومنه السكر في الشراب لانه ينقطع عما كان عليه من المضاء في حال الصحو يعني الا انه حيرت ابصارنا ووقع بها من فساد النظر ما يقع بالرجل السكران او حبست عن تعلقها بحيث لا ينفذ نورها ولا تدرك الاشياء على حقائقها وعن ابن عباس المراد لو ظل المشركون يصعدون في تلك المعارج وينظرون الى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة الذين هم من خشية ربهم مشفقون لشكوا في تلك الرؤية وبقوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا سائر المعجزات من انشقاق القمر وما خص به النبي صلى الله عليه وسلم من القران المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس ان ياتوا بمثله قال في الكشاف ذكر الظلول يعني انه قال فظلوا ولم يقل فباتوا ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما سكرت ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار وقيل الضمير في فظلوا للملائكة اي لو رأوا الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ان السحرة سحرونا وجعلونا بحيث نشاهد هذه الاباطيل التي لا حقيقة لها وههنا سؤال وهو انه كيف جاز من جمع عظيم ان يصيروا شاكين فيما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار الواضح واجيب بانهم قوم مخصوصون لم يبلغوا مبلغ التواتر وكانوا قليلة العدد فجاز تواطؤهم على المكابرة والعناد لاسيما اذا جمعهم غرض معتبر كدفع حجة او غلبة خصم ولما اجاب عن شبه منكري النبوة بما اجاب وكان القول بالنبوة مفرعا

على القول بالصانع المختار لا على الاتصالات فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا قال اثنى عشر عند اهل النجوم وذلك انهم قسموا نطاق الفلك الثامن عندهم
باثني عشر قسما متساوية ثم اخذوا يسمون كل قسم باسم صورة مبتدئين من اول الحمل بصفة صور تخيلوها ثم يقطع الفلك فصار الفلك ايضا منقسما باثني عشر
قطعة كل منها تشبه ضلعا من اضلاع البطيخ يسمى برجا ولا شك ان هذه البروج مختلفة الطباع كل ثلثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الاربعة
فالحمل يسمى الحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان
والعقرب والحوت مثلثة مائية ثم ان كانت اجزاء الفلك مختلفة في الماهية على ما يجوزه المتكلمون او كانت متساوية في تمام الماهية مختلفة في التاثير
كما يقول به الحكيم فعلى التقديرين يكون اختصاص كل جزء بطبيعة معينة او بتاثير معين مع تساوي الكل في حقيقة الجسمية دالا على صانع حكيم ومدبر
قدير الدليل الآخر قوله وزيناها اي الشمس والقمر والنجوم للناظرين بنظر الاعتبار والاستبصار قال المنجمون ان الكواكب الثابتة كلها على الفلك
الثامن وهذه الآية لا تنافي ذلك لانه على ما يمكن ان يستولي الوهم لانه سواء كانت في سماء الدنيا او في سموات اخر فوقها فلا بد ان يكون ظهورها في السماء الدنيا
فتكون السماء الدنيا مزينة بها والآية لا تدل الا على هذا القدر ونظير هذه الآية قوله تعالى في حم السجدة وزينا السماء الدنيا بمصابيح ومثله
في سورة الملك الدليل الثالث قوله وحفظناها اي البروج والسماء من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن
من استرق وجاز ان يكون محفوظا اي الا ممن استرق وعن ابن عباس يريد الحفظة البشرية فاتبعه اي ادركه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب
شعلة نار ساطع وقد يسمى الكوكب شهابا لاجل لمعانه وبريقه قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون
اخبار الغيوب عن الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلعم منعوا من السموات كلها وهذا هو المراد بحفظ السموات
كما لو حفظ احدنا منزله ممن يتجسس ويخشى منه الفساد والاستراق السعي في استماع الكلام مستخفيا قال الحكماء ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس
فاذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها واشتعل لدهنيته فيحدث منها انواع النيران من جملتها الشهب فلا ريب انها كانت موجودة قبل مبعث النبي صلعم
الا انها لم تكن مسلطة على الشياطين وانما انقض كونها رجوما للشياطين في زمن عيسى عم ثم اسئلة كيف يجوز ان يشاهد هؤلاء الجن واحدا كان
او اكثر من جنسهم يسترقون السمع فيحرقون ثم انهم بعد ذلك يعودون لمثل صنيعهم والجواب اذا جاء القضاء عمي البصر فاذا قيض الله لطائفة منهم
الحرق لطغيانها قدر له من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي الى الهلاك والبوار آخر وقد ورد في الاخبار ان ما بين
كل سماء مسيرة خمسمائة عام فهؤلاء الجن ان قدروا على خرق السماء ناقض قوله سبحانه هل ترى من فطور وان لم يقدروا فكيف يمكنهم استماع اسرار
الملائكة من ذلك البعد ولم يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الارض واجيب بانا سلمنا ان بعد ما بين ذلك القدر الا ان ثخن الفلك لعله قدر
قليل وقد روى الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب قال بينا النبي صلعم جالس في نفر من اصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون
في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم فقال النبي صلعم لا يرمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر
في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح اهل السماء وسبح كل سماء حتى ينتهي الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا
يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الخبر الى هذه السماء ويتخطف الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون اخر الشياطين
مخلوقون من نار فكيف يحترق بالنار والجواب ان الاقوى قد يبطل الاضعف وان كان من جنسه آخر ان هذا الرجم لو كان من معجزات النبي صلعم
فكيف يبقى بعده والجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض منه ابطال الكهانة آخر ان الشهب قد يحدث بالقرب من الارض والا لم يمكن الاحساس
بها فكيف تمنع الشياطين من الوصول الى الفلك حين الاستراق واجيب بان البعد عندنا غير مانع من السماع فلعله تعالى اجرى عادته بانهم
اذا وقفوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة آخر لو كان يمكنهم نقل اخبار الملائكة الى الكهنة فكيف لم يقدروا على نقل اسرار المؤمنين
واجيب بانه تعالى اقدرهم على شيء واعجزهم عن شيء ولا يسئل عما يفعل واقول لعل السبب فيه ان نسبتهم الى الروحانيات اكثر آخر اذا جوزتم
في الجملة اطلاع الجن على بعض المغيبات فقد ارتفع الوثوق عن اخبار النبي صلعم عن بعض الغيوب فلا يكون دليلا على صدقه لا يقال انه تعالى اخبر انهم عزلوا
عن السمع بعد مولد النبي صلعم لانا نقول صحة هذا الكلام مبني على صحة نبوته فلو اثبتنا صحة نبوته به لزم الدور والجواب انا نعرف صحة نبوته بدلائل اخرى
ولا ريب ان اخباره عن بعض المغيبات مؤكد لنبوته وان لم يكن مثبتا لها الدليل الرابع قوله والارض مددناها والقينا فيها رواسي وقد مر
تفسير مثله في اول سورة الرعد الدليل الخامس قوله وانبتنا فيها اي في الارض او في الجبال الرواسي من كل شيء موزون بميزان الحكمة ومقدر بقدر
الحاجة وذلك ان الوزن سبب معرفة المقدار فاطلق اسم السبب على المسبب وقيل له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل اراد ان مقادير
العناصر معلومة وكذا مقدار تاثير الشمس والكواكب فيها وقيل اي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة يقال كلام موزون
اي متناسب وفلان موزون الحركات وقيل اراد ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس وغيرها من الموزونات كالثمار والفواكه والنبات وجعلنا لكم
فيها اي في الارض او في تلك الموزونات معايش ما يتوصل به الى المعيشة وقد مر في اول الاعراف ومن عطف على معايش اي جعلنا لكم من لستم له
برازقين او عطف على محل لكم لا على المجرور لفظا فانه لا يجوز في الاكثر الا باعادة الجار والتقدير وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين واراد بهم
العيال والمماليك والخدم الذين رازقهم في الحقيقة هو الله تعالى وجعل الاولاد والدواب والانعام والخادم ويدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول

نوع منع

سؤال

الكهانة

الانعام والدواب والوحوش والطير كقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وفيه تأكيد لغير من يعقل بصيغة من يعقل بوجه ما من التشبيه كقوله ايها
النمل ادخلوا مساكنكم والدواب تشبه ذوي العقول من جهة التقاطها للرزق لارزاقها عند الحاجة يحكى انه قلت مياه الاودية في بعض السنين و
اشتد عطش الوحوش فرفعت رأسها الى السماء فانزل الله المطر ثم بين غاية قدرته ونهاية حكمته فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه قال جمع
المفسرين اراد بالشيء ههنا المطر لانه هو سبب ارزاق بني آدم وغيرهم من الطيور والوحوش وذلك انه لما ذكر معايشهم وبين ان خزائن المطر الذي هو سبب
المعايش عنده اي في امره وحكمه وتدبيره قوله وما ننزله الا بقدر معلوم عن ابن عباس يريد قدر الكفاية وقال الحليمي ما من عام باكثر مطرا من عام آخر
ولكنه يصرف في [illegible] اكا في البحر واعلم ان لفظ الآية لا يدل على هذين القولين فلو ساعدهما نقل صحيح امكن ان يقبلهما العقل والا
كان شبه تحكم والظاهر عموم الحكم وان ذكر الخزائن تمثيل لاقتداره على كل مقدور والمعنى ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها من العدم الى
الوجود كيف يشاء وهي وان كانت غير متناهية بالقوة لان كلا منها يمكن ان يقع في اوقات غير محصورة على سبيل البدل وكذا الكلام في الاحياز
وسائر الاعراض والاوصاف فاختصاص ذلك الخارج الى الوجود بمقدار معين وحيز ووقت معين الى غير ذلك من الصفات المعينة دون
اضدادها لا بد ان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهو المراد من قوله وما ننزله الا بقدر معلوم وقد يتمسك بالآية بعض المعتزلة
في ان المعدوم شيء وقيل المراد ان تلك المقدورات والممكنات كانت مستقرة عند الله بمعنى انها كانت ثابتة من حيث انها حقائق وماهيات ثم انه تعالى
كلما اخرج بعضها من العدم الى الوجود الدليل السادس قوله وارسلنا الرياح ومن قرأ الريح فاللام للجنس لواقح قال ابن عباس معناه ملاقح جمع ملقحة لانها
تلقح السحاب بمعنى انها تحمل الماء وتمجه في السحاب او لانها تلقح الشجر اي تقويه وتنميها الى ان يخرج ثمرها قاله الحسن وقتادة والضحاك وقد جاء في كلام
العرب فاعل بمعنى مفعل قال وتختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقال ابن الانباري يقول العرب ابقل النبت فهو باقل اي مبقل
قال الزجاج معناه ذوات لقحة لانها تعصر السحاب وتدره كما تدر اللقحة يقال رامح اي ذو رمح ولابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر وقيل ان الريح في
نفسها لاقح اي حاملة للسحاب وللماء من قوله حتى اذا اقلت سحابا ثقالا او حاملة للخير والرزق كما قيل لضدها الريح العقيم فاسقيناكموه اي
جعلناه لكم سقيا قال ابو علي يقال سقيته الماء اذا اعطاه قدر ما يروي واسقيته اي جعلته شربا له والذي يؤكد هذا اختلاف القراء في قوله
وسقاهم ربهم شرابا طهورا ويقال سقيته لشفته واسقيته لماشيته وارضه وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا
عندنا خزائنه اي نحن الخازنون للماء لا انتم اراد عظم قدرته وعجز من سواه الدليل السابع قوله وانا لنحن نحيي ونميت والغرض الاستدلال
باختصاص الاحياء والاماتة به على انه واحد في ملكه وملكه قال اكثر المفسرين انه وصف النبات فيما قبل فهذا الاحياء مختص بالحيوان ومنهم من يحمله على القدر
المشترك بين احياء النبات وبين احياء الحيوان ونحن الوارثون مجاز عن بقائه بعد هلاك ما عداه كما مر في آخر آل عمران في قوله ولله ميراث السموات
والارض قوله ولقد علمنا عن ابن عباس في رواية عطاء المستقدمين يريد اهل طاعة الله والمستأخرين يريد المتخلفين عن طاعته وروي
انه رغب الناس في الصف الاول في الجماعة فازدحم الناس عليه فانزل الله الآية والمعنى انا نجزيهم على قدر نياتهم وقال الضحاك ومقاتل يعني
في صف القتال وقال ابن عباس في رواية ابي الجوزاء كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول الله صلعم وكان قوم يتقدمون الى الصف الاول لئلا يروها
وآخرون يتخلفون ويتأخرون ليروها وكان قوم اذا ركعوا جافوا ايديهم لينظروا من تحت آباطهم فنزلت وقيل المستقدمون هم الاموات والمستأخرون
هم الاحياء وهذا القول اشد مناسبة لما قبل الآية ولما بعدها وقيل المستقدمون هم الامم السالفة والمستأخرون هم امة محمد صلعم وقال عكرمة المستقدمون
من خلق والمستأخرون من لم يخلق بعد والظاهر العموم وان علمه تعالى شامل لجميع الذوات والاحوال الماضية والمستقبلة ولا ينبغي ان يخص الآية بحالة
دون اخرى ثم نبه على ان الحشر والنشر واجب ولا يقدر على ذلك احد الا هو فقال وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم فلحكمته بنى امر العباد على
التكليف والجزاء ولعلمه قدر على توفيته مقادير الجزاء الدليل الثامن الاستدلال بخلق الانسان خاصة وذلك انه لا بد من انتهاء الناس الى انسان اول
ضرورة امتناع القول بوجود حوادث لا اول لها وقد اجمع المفسرون على انه آدم عم ورأيت في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر انه قد انقضى قبل آدم الذي
هو ابونا الف الف آدم او اكثر وكيف كان فلا بد من انسان هو اول انسان هو اول الناس والاقرب انه تعالى خلقه اولا من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون
ثم من صلصال كالفخار وقد كان قادرا على خلقه من اي جنس من الاجسام كان بل كان قادرا على خلقه ابتداء وانما خلقه على هذا الترتيب لمحض المشيئة او لما كان
فيه من انواع الدلالة للملائكة والجن او لغير ذلك من المصالح ولا شك ان خلق الانسان من هذه الامور اعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه والصلصال الطين
اليابس الذي يصلصل اي يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحمأ الاسود المتغير من الطين وكذلك
الحمأة بالتسكين والمسنون المصور من سنة الوجه اي صورته قال سيبويه وقال ابو عبيدة المسنون المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما يفرغ الصور
من الجواهر المذابة وقال ابن السكيت سمعت ابا عمرو يقول معناه متغير منتن وكانه من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل منهما سنين
ولا يكون الا منتنا قال في الكشاف قوله من حمأ صفة صلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمأ قلت ولا يبعد ان يكون بدلا اي خلقه من حمأ
قال وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى
جوهر آخر قوله والجان قال الحسن ومقاتل وقتادة وهو رواية عطاء عن ابن عباس في رواية اخرى هو ابو الجن كما ان آدم ابو الناس وهو قول الاكثرين والتركيب

يريد ابليس من
ابن عباس رض

بادل على السبق والتواري عن الاعين وقد مرّ فيما سلف ولا سيما في تفسير الاستعاذة في اول الكتاب خلقناه من قبل قال ابن عباس اي من قبل خلق
آدم والسموم الريح الحارة النافذة في المسام يكون في النهار وقد يكون بالليل ومسام البدن الخروق الخفية التي يبرز منها العرق وبخار البدن
الباطن ولا شك ان تلك الريح فيها نار ولها لفح على ما ورد في الخبر انها نفخ جهنم قال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله
منها الجان ولا استبعاد في خلق الله الحيوان من النار فانا نشاهد السمندر يتولد فيها وعلى قاعدة الحكيم كل ممتزج من العناصر فانه يمكن
ان يغلب عليه احدها فيكون مكانه مكان الجزء الغالب والحرارة مقوية للروح لا مضادة لها ثم انه لما استدل بحدوث الانسان الاول على كونه
قادرا مختارا ذكر بعده واقعته والمراد بكونه بشرا انه يكون جسما كثيفا يباشر ويلاقي والملائكة والجن لا يباشرون للطافة اجسامهم والبشرة ظاهر
الجلد من كل حيوان فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها او سويت اجزاء بدنه بتعديل الاركان والاخلاط والمزاج التابع لذلك عند الانتهاء
او تخصيصا ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح في تجاويف جسم آخر فمن زعم ان الروح جسم لطيف كالهواء سار في البدن فمعناه ظاهر ومن قال انه
جوهر مجرد ولا حال في متحيز فمعنى النفخ عنده تهيئة البدن لاجل تعلق النفس الناطقة به قال جار الله ليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل
ما يحيى به فيه وتمام الكلام في الروح سوف يجيء ان شاء الله تعالى في قوله ويسألونك عن الروح ولا خلاف في ان الاضافة في قوله روحي للتشريف و
التكريم مثل ناقة الله وبيت الله والفاء في قوله فقعوا له ساجدين يدل على ان وقوعهم في السجود كان واجبا عليهم عقيب التسوية والنفخ من غير تراخ قال المبرد
قوله كلهم ازال احتمال ان بعض الملائكة لم يسجد وقوله اجمعون ازال احتمال انهم سجدوا متفرقين وقال سيبويه والخليل اجمعون توكيد بعد
توكيد ورجح الزجاج هذا القول لان اجمع معرفة فلا يقع حالا ولو صح ان يكون حالا لكان منصوبا لافادة المعنى الذي ذكره المبرد ثم استثنى ابليس
من الملائكة وقد سلف حال الاستثناء في اول سورة البقرة ثم استأنف على تقدير سؤال سائل هل سجد فقال ابى ان يكون مع الساجدين يعني
ابى امتناعا واستكبارا ثم قال سبحانه خطاب تقريع وتعنيف لا تعظيم وتشريف يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال بعض المتكلمين هذا مبني على لسان
بعض رسله لان تكليم الله بلا واسطة منصب شريف فكيف يحصل للعين قال جار الله حرف الجر مع ان محذوف ومعناه اي غرض لك في الامتناع
من السجود قال لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر وحاصل شبهة اللعين انه روحاني لطيف وآدم جسماني كثيف
واصله نور اي شريف واصل آدم ظلماني خسيس فعارض النص بالقياس لا جرم اجيب بقوله فاخرج منها اي من الجنة او من السماء او من جملة الملائكة وضرب
يوم الدين اي يوم الجزاء حدا للعنته جريا على عادة العرب في التأبيد كما مر في قوله ما دامت السموات والارض او اراد اللعن المجرد من غير تعذيب
حتى اذا جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى اللعن معه قاله صاحب الكشاف واقول هذا ان اريد باللعن مجرد الطرد عن الحضرة اما ان اريد به الابعاد
من كل خير فيتعين الوجه الاول الا عند من اثبت لابليس حال العفو وانما ذكر اللعنة ههنا بلام الجنس لانه ذكر آدم بلفظ البشر حيث قال اني خالق
بشرا ولم يخصص اسمه بالاضافة الى نفسه وفي سورة ص حيث قال لما خلقت بيدي خصص اللعنة ايضا بالاضافة فقال وان عليك لعنتي وقوله قال
رب فانظرني قد مر مثله في اول الاعراف ومعنى الوقت المعلوم ان ابليس المهينة واشار اليه بعينه صار كالمعلوم والمراد منه الوقت القريب من
البعث الذي يموت فيه الخلائق كلهم ليشمل الموت اللعين ايضا وقيل لم يجب الى ذلك وانظر الى يوم لا يعلمه الا الله قال رب بما اغويتني قد مر
مثله في الاعراف مفعول لازينن محذوف اي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور او اراد انه قادر على الاحتيال لآدم و
في السماء فهو على التزيين لاولاده وهم في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض بان ازين الارض في اعينهم واحدثهم ان الزينة
هي في الارض وحدها كقوله يجرح في عراقيبها نصلي ثم استثنى اللعين عباد الله المخلصين لانه
علم ان كيده لا يؤثر فيهم قال بعض الحذاق احترز ابليس بهذا الاستثناء عن الكذب فيعلم منه ان الكذب في غاية الشناعة والاخلاص جعل العمل
التي خالصا لله من غير شائبة الغير لا اقل من ان يكون حق الله فيه راجحا او مساويا ولما ذكر ابليس من الاستثناء ما ذكر قال الله سبحانه هذا يعني
الاخلاص طريق مستقيم علي ان اراعيه او على مروره اي على رضواني وكرامتي وقيل لما ذكر اللعين انه يغوي بني آدم الا من عصمه الله تضمن
هذا الكلام تفويض الامور الى مشيئته تعالى فاشار اليه تعالى بقوله هذا اي تفويض الامور الى ارادتي ومشيئتي صراط علي تقريره وتأكيده او مرّ
علي بالتنوين فهو من علو الشرف اي الاخلاص او طريق التفويض الى الله والايمان بقضائه طريق رفيع مستقيم لا عوج له وقال جار الله هذا اشارة
الى ما بعده وهو قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الكلبي المذكورون في هذه الآية هم الذين استثناهم ابليس وذلك انه لما ذكر
الا عبادك بين به انه لا يقدر على اغواء المخلصين فصدقه الله في الاستثناء قائلا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك اي ولكن
من اتبعك من الغواة فلك تسلط عليهم وهذا يناسب اصول الاشاعرة وقال آخرون هذا تكذيب لابليس في ذلك انه اوهم ان له سلطانا على
على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين تعالى انه ليس له على احد منهم سلطان ولا قدرة اصلا الا الغواة لا بسبب الجبر والقسر بل من جهة
الوسوسة والتزيين نظيره قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم وهذا يناسب اصول الاعتزال وان جهنم لموعدهم اجمعين الضمير
يريد ابليس ومن تبعه من الغاوين لها سبعة ابواب اي سبع طبقات بعضها فوق بعض اعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس في رواية ابن جريج ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة



النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقيل ان قرار جهنم مقسوم بسبعة اقسام
لكل قسم باب معين لكل باب جزء من اتباع ابليس مقسوم في قسمة الله سبحانه والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فلا جرم صارت
مراتب العقاب ايضا متفاوتة بحسبها ثم عقب الوعيد بالوعد فقال ان المتقين في جنات وعيون زعم جمهور المعتزلة انهم الذين اتقوا جميع المعاصي
والا لم يفد المدح وقال جمهور الصحابة والتابعين هم الذين اتقوا الشرك بالله واحتجوا عليه بانه اذا اتقى مرة واحدة صدق عليه انه اتقى وكذا
الكلام في الضارب الكاذب فليس من شرط صدق الوصف كونه اتيا بجميع اصنافه وافراده الا ان الامة اجمعوا على ان التقوى عن الشرك شرط في
حصول هذا الحكم والاية ايضا وردت عقيب قوله الا عبادك منهم المخلصين ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلزم اعتبار الايمان في هذا الحكم والظ
والظاهر انه لا يزاد شرط اخر لان التخصيص خلاف الظاهر فكلما كان اقل كان اوفق لمقتضى الاصل فثبت ان المتقين هنا هم الجميع القائلين بكلمة
الاسلام وهي لا اله الا الله محمد رسول الله قولا واعتقادا سواء كان من اهل الطاعة او من اهل المعصية ثم ان الجنات اقلها اربع لقوله تعالى ولمن
خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان واما العيون فاما ان يراد بها الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن الاية واما
ان يراد بها منابع غير ذلك ثم ان كل واحد من المتقين يحتمل ان يختص بعين وينتفع بها كل من في خدمته من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر
حاجتهم وعلى حسب شهوتهم ويحتمل ان يجري من بعضهم الى بعض ويحتمل لانهم مطهرون من كل حقد وحسد فان قيل اذا كانوا في جنات فكيف يصح
ان يقول لهم الله تعالى وبعض الملائكة ادخلوها فالجواب لعل المراد انهم لما ملكوا الجنات فكلما ارادوا ان ينتقلوا من جنة الى اخرى قيل لهم ذلك
ومعنى بسلام اي مع السلامة من آفات التغير والانقطاع قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل قد مر تفسيره في الاعراف اخوانا نصب على الحال
وكذا قوله على سرر متقابلين والمراد بالاخوة اخوة الدين والتعاطف والتراحم سرير قيل هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور وقال الليث سرير العيش
مستقره الذي يطمئن عليه لحال سروره وفرحه والتركيب يدل على العزة والنفاسة ومنه قولهم سر الوادي لافضل موضع منه ومنه السر الذي
يكتم عن ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت وعن مجاهد يدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم
متقابلين والتقابل التواجه نقيض التدابر وتقابل الاخوان يوجب اللذة والسرور ليكون كل منهم مقبلا على الاخر بالكلية وتقابل الاعداء يكون
بتقابل التضاد والتمانع فيكون موجبا للتباغض والتخالف واعلم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم خالصة عن الآفات امنة من الزوال فقوله ان
المتقين اشارة الى المنفعة وقوله ادخلوها مرادا انها مقرونة بالتعظيم وقوله ونزعنا الى قوله لا يمسهم فيها نصب اي تعب تلويح الى كونها سالمة
من المنغصات الا ان قوله ونزعنا ما في صدورهم اشارة الى نفي المضار الروحانية وقوله لا يمسهم اشارة الى نفي المضار الجسمانية وقوله وما هم
منها بمخرجين مفيد لمعنى الخلود ثم لما ذكر الوعيد والوعد زاده تقريرا وتمكينا في النفوس فقال نبئ عبادي وفيه من التوكيدات ما لا يخفى منها
اشهاده رسوله واعلامه ومنها تشريفهم باطلاق لفظ العباد عليهم ثم باضافتهم الى نفسه ومنها التوكيد بان وبالفصل وبصيغتي الغفور والرحيم
مع نوع تكرر وكل ذلك يدل على ان جانب الرحمة اغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي التأويل ربما يود الذين كفروا اي النفوس الكافرة لو كانوا مستسلمين
لاوامر الله ونواهيه وذلك انما يكون عند استيلاء سلطان الذكر على القلب والروح وتنور صفاتها بنور الذكر فيغلب النور على ظلمة النفس وصفاتها
وتبدلت احوالها من الامارية الى الاطمينان فتمنت حين ذاقت حلاوة الاسلام وطعم الايمان لو كانت من بدء الخلق مسلمة مؤمنة كالقلب والروح
ثم هذه النفس لئن ذاقت حلاوة الاسلام ثم عادت المشؤوم الى طبعها واستحلت المشارب الدنيوية بقوله ذرهم يأكلوا وما اهلكنا من قرية من القرى
البدنية باستعدادها الا ولها كتاب مكتوب في علم الله من سوء اعماله واحواله ما تسبق من امة اجلها حتى يظهر منها ما هو سبب هلاكها ولا يتأخر
لحظة بعد استيفاء اسباب هلاكها وقالوا يعني النفوس المتمردة مخاطبا للقلب الذاكر لو ما تأتينا بصفات الملائكة المنقادين وفيه اشارة الى ان
النفس الامارة لا تؤمن بما انزل الله الى القلوب من الانوار الالهية حتى يصير مطمئنة مستعدة لهذه الصفات ولو انزلت قبل اوانها وكمال الاستعداد
القلوب ما كانوا اذا من موخرين من الهلاك تضيق بطاقة طاقتهم انا نحن نزلنا كلمة لا اله الا الله في قلوب المؤمنين كتب في قلوبهم الايمان و
المنافق يقول ذلك ولكن لم يتزل في قلبه ولم يحفظ ولو فتحنا على من اسلكنا الكفر في قلوبهم بابا من سماء القلب لانكروا فتح الباب ولقد جعلنا
في سماء القلب بروج الاطوار فكما ان البروج منازل السيارات فكذلك الاطوار منازل شموس المشاهدات واقمار المكاشفات وسيارات اللوامع
والطوالع وزيناها لاهل النظر السائرين الى الله وحفظناها من وساوس الشيطان وهواجس النفس الامارة ولكن من استرق السمع من النفس والشيطان
فادركه شعلة من انوار تلالؤ الشواهد فيضمحل الباطل ويتبين الحق والارض مددناها فيه ان ارض البشرية تميل كنفس الحيوانات الى ان ارساها
الله بجبال العقل وصفات القلب وجعلنا لكم فيها معايش هي اسباب الوصول والوصال ومن لستم له برازقين وهو جوهر المحبة وان غذاءه من مواهب
الحق وتجلي جماله فقط ولكل شيء خزانة فلصورة الاجسام خزانة ولاسمها خزانة ولمعناها خزانة وكذا للونها ولطعمها ولخواصها من المنافع والمضار
وكذا لظلماتها ونورها وملكها وملكوتها وما من شيء الا وفيه لطف الله وهو مخزون وقلوب العباد خزائن صفات الله تعالى باجمعها وارسلنا رياح
العناية لواقح لاشجار القلوب بثمار الكشوف وبانوار الشواهد كما قال بعضهم ما ذهبت رياح الكرم على اسرار العارفين اعتقهم من هواجس انفسهم
ورعونات طبايعهم وظهر في القلوب نتائج ذلك وهي الاعتصام بالله والاعتماد عليه فانزلنا من سماء الهداية ماء الحكمة وما انتم له بخازنين في اصل

الخلفة فان المخلوق لا يوصف بالحكمة الا مجازا انا لنحن نحيي قلوب اوليائنا بانوار جمالنا ونميت نفوسهم بسطوة جلالنا ونحن الوارثون بعد فناء وجودهم ليبقوا ببقائنا وان ربك هو يحشرهم المستقدمين الى الحظائر قدسه والمستأخرين الى اسفل سافلين الطبيعة خاطب ابليس النفس بقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين اى الى ان تطلع شمس شواهدنا من مشرق الروح ويصير ليل النفس مشرقة ويتبدل صفاتها الذميمة المظلمة بالاخلاق الروحانية الحميدة الى يوم يبعثون اى يبعث الارواح فى قيامة العشق وهو الوقت المعلوم الذى يتجلى الرب فيه لارواح العشاق فينعكس نور التجلى من الارواح الى النفوس فيجعلها مطمئنة بما اغويتنى اى اضللتنى من طريق الامارية لازينن للارواح فى ارض البشرية من الاعمال الصالحة التى يورث الاخلاق الحميدة وبها ترتبة الارواح وترقيها ولاغوينهم اجمعين عما كانوا عليه من الاعمال الروحانية الملكية التى لا يهتدى اليها الا عبادك الذين خلصوا من حبس الوجود بجذبات الالطاف هذا صراط اى هو طريق اهل الاستقامة فى السير الى الله المنقطعين عن غيره ان عبادى ليس لك عليهم سلطان حجة يتعلق بتلك الحجة لهدايتهم واغوائهم فانهم بالله وان من خصوصية العبودية المضافة الى الحضرة الحرية عما سواه لها سبعة ابواب من الحرص والشره والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر او الابواب السبعة اشارة الى الحواس الخمس الظاهرة والى الوهم والخيال فانهما اصلا الحواس الباطنة لان الاول يدرك المعانى والثانى يدرك الصور والباقية اعنى المفكرة والحافظة والذاكرة من اعوانهما واكثر ما يستعمل الانسان هذه المشاعر انما يستعملها فى الاحوال الدنيوية المفضية الى الهلاك فلا جرم صارت ابواب الجحيم فاذا استعملها فى تحصيل السعادات الباقية بحسب تصرف العقل الغريزى صرن مع العقل ابوابا ثمانية سببا للحصول الجنة ادخلوها بسلام والسلام من الله تعالى آمنين من ترفع موانع الخروج والدخول بعد الوصول فان السير فى الله لا يمكن الا بالله وحده بانه ولهذا قال جبرئيل ليلة المعراج لو دنوت انملة لاحترقت ونزعنا فيه ان نزع الغل من الصدور لا يمكن الا بنزع الشهوات لان الارواح الفانية مطهرات عن علائق القوى الشهوانية والغضبية مبرات من حوادث الوهم والخيال ومعنى تقابلهم ان النفوس المصفات عن كدورات عالم الاجسام ونوازع الخيال والاوهام اذا وقع عليها انوار جمال الله وجلاله انعكس منها الى من فى مثل درجاتها كما ينعكس المرايا الصافية المتحاذية يزداد كل منها فى نفسها بخفاء صفائها وفى قوله نبئ عبادى اشارة الى ان سلوك السالكين وطير الطائرين يجب ان يكون على قدمى الرجاء والخوف وجناحى الانس والحق والله الموفق بالصواب

وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ

وخبر ده بندگان مرا از مهمانان ابراهیم — آنگاه که در آمدند بر وی پس گفتند سلام — گفت بدرستیکه ما از شما ترسندگانیم — گفتند مترس

إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا

بدرستیکه ما مژده میدهیم ترا به پسری دانا — گفت آیا بشارت میدهید مرا بر آنکه رسیده مرا پیری پس بچه چیز بشارت میدهید — گفتند بشارت دادیم ترا براستی پس

تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا

مباش از نومیدان — گفت وکیست که نومید شود از رحمت پروردگار خویش مگر گمراهان — گفت پس چیست کار شما ای فرستادگان — گفتند

إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ فَلَمَّا

بدرستیکه ما فرستاده شدیم بسوی گروهی گناهکاران — مگر خاندان لوط بدرستیکه ما رهاننده ایشانیم همه — مگر زنش که تقدیر کردیم که وی از باز ماندگان — پس چون

جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَاكَ

آمد آل لوط را فرستادگان — گفت بدرستیکه شما گروهی ناشناخته اید — گفتند بلکه آورده ایم ترا بآنچه بودند در آن شک میکردند — و آورده ایم ترا

بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ

براستی و بدرستیکه ما راستگویانیم — پس ببر اهل خود را در پاره از شب — و از پی ایشان برو — و باید که التفات نکند از شما احدی و بروید جائیکه

تُؤْمَرُونَ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ

مأمور شده اید — و گذاردیم بسوی وی آن امر را که بیخ اینها بریده است بامداد — وآمدند اهل شهر شادی کنان

قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ قَالَ هَٰؤُلَاءِ

گفت بدرستیکه اینها مهمانان منند پس رسوا مکنید مرا — وبترسید از خدا و خوار مسازید مرا — گفتند آیا منع نکرده بودیم ترا از جهانیان — گفت اینها

بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا

دختران منند اگر هستید کنندگان — بجان تو که ایشان در مستی خویش حیران میشدند — پس گرفت ایشان را بانگ مهیب در وقت روشن شدن — پس گردانیدیم

عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ

زبرش را زیرش — و باران باریدیم بر ایشان سنگها از سنگ گل — بدرستیکه در این نشانهاست برای فراست داران — و بدرستیکه آن هر آینه براهی است ثابت

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ

بُيُوتًا آمِنِينَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ

الْعَلِيمُ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۝ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۝ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ

وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

القراءة ادخلوها بامد مثل ابو عمرو وحمزة ويعقوب وخلف عن هشام انا نبشرك بسكون الباء وضم الشين حمزة الاخرون بالتشديد تبشرون بالتشديد وكسر النون الخفيفة نافع مثله ولكن مشددة النون ابن كثير الباقون بفتح النون من القانطين بكسر النون ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي وخلف كذلك الآخرون بالفتح آل لوط مدغما حيث كان شجاع لمنجوهم بالتخفيف يعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتشديد قدرنا بالتخفيف حيث كان ابو بكر وحماد نبئ عبادي انا بفتح الياء ابو جعفر ونافع اني انا بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو الوقوف ... ادخلوها ... فالنشر فانه حال سلاما ... وجلون ... علیم ... تبشرون ... القانطين ... الضالون ... المرسلون ... مجرمين ... لا ... اجمعين ... لا الا امرأته ... الغابرين ... المرسلون ... منكرون ... يمترون ... لصادقون ... تؤمرون ... مصبحين ... يستبشرون ... فلا تفضحون ... للعطف ولا تخزون ... العالمين ... فاعلين ... لا ابتداء القسم يعمهون ... مشرقين ... لا لاتصال ... سجيل ... للمتوسمين ... مقيم ... للمؤمنين ... لتمام القصة لظالمين ... لا لاتصال الانتقام بظلمهم ... مبين ... المرسلين ... لا لان الواو بعده للحال ... معرضين ... للعطف آمنين ... مصبحين ... لا لاتصال ... يكسبون ... الجميل ... العليم ... العظيم المؤمنين ... المبين ... لجواز تعلق الكاف بقوله فاخذتهم ... عضين ... اجمعين ... يعملون ... المشركين ... المستهزئين ... يعلمون ... يقولون ... لا لاتصال الامر بالتسبيح ... الساجدين ... اليقين ...



التفسير ثم انه سبحانه عطف قصة ابراهيم على ... ليكون سماع هذه القصص مرغبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الاولياء ومحذرا عن المعصية المستتبعة لدركات الاشقياء ... المؤمنين واهلاك الظالمين كل ذلك تحقيق ما ذكر من انه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم للكافرين ... غفور للتائبين معذب لغيرهم وقد مر تفسير اكثر هذه القصة في سورة هود ... هو مختص بالمقام فقوله وجلون معناه خائفون ... لامتناعهم من الاكل ولدخولهم بغير اذن في غير وقت انا نبشرك استئناف في معنى تعليل النهي عن الوجل ... بالولد ... عليم ... وقوله على ان مسني في موضع الحال اي مع هذه الحالة استفهم منكرا للولادة في حالة الكبر ... لا لانه شك في قدرة الله تعالى ولذلك قال فبم تبشرون ما استفهامية دخلها معنى التعجب ... تبشروني ... ولحسن ما قيل فيه ان لا يكون قوله بما صلة للتبشير ... الطريق المعتاد ... بالولد ... قول الله ووعده وانه قادر على خلق الولد ... فان قيل ... لا يجوز ... النون ... بالكسر ... التشديد ... قيل عظم ... البشارة ... قيل ... عن ابن عباس يريد بالحق

فقضى الله ان يخرج من صلب ابرهيم اسحق ومن صلب اسحق اكثر الانبياء وقوله فلا تكن من القانطين لا يدل على انه كان قانطا فقد ينهى عن الشئ
ابتداء كقوله ولا تطع الكافرين ولذلك اكد ابرهيم نفيه بقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اى المخطئون طريق الصواب والكافرون
وفيه انه لم يستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له فى العادة التى اجراها الله والقنان قنط يقنط مثل ضرب يضرب وقنط يقنط مثل علم يعلم
وزعم الفارسى ان الاولى اعلى اللغتين ثم سئل عما لاجله ارسلهم الله حيث قال فما خطبكم والخطب الشان العظيم فسئل انهم لما بشروه بالولد
الذكر العليم فما وجه السؤال عن مجيئهم واجاب الاصم بان المراد ما الامر الذى وجهتم فيه سوى البشرى وقال القاضى انه علم ان المقصود لو كان
التبشير فقط لكان الملك الواحد كافيا وقيل علم انه لو كان تمام الغرض البشارة لذكروها اول ما دخلوا وقيل ان يوجس ابرهيم منهم خيفة
فلعله استصغر امر التبشير اما لاجل التواضع واما لانه واقعة خاصة فسئلهم عن الامر الذى هو اعظم من ذلك واعم تعظيما لشانهم قالوا انا
ارسلنا زعم صاحب الكشاف ان الارسال ههنا بمعنى التعذيب والاهلاك كارسال الحجر او السهم الى المرمى واقول كانه لا حاجة الى هذا
التجوز لقوله فى سورة الذاريات انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين فالتقدير انا ارسلنا اليهم لنهلكهم الا ال لوط
وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لاختلاف الجنسين فان القوم موصوفون بالاجرام دون ال لوط ويكون قوله انا لمنجوهم جاريا مجرى خبر لكن
كانه قيل لكن ال لوط منجون ويكون قوله الا امرأته استثناء اى ارسلنا اليهم لنهلكهم الا ال لوط الا امرأته كقول المقر لفلان على عشرة الا ثلثة الا واحدا
وجوز فى الكشاف ان يكون قوله الا ال لوط مستثنى من الضمير فى مجرمين حتى يكون الاستثناء متصلا اى الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم
ولم يجوز الاستثناء من الاستثناء بناء على ان ال لوط مستثنى من معمول ارسلنا او مجرمين والا امرأته من معمول منجوهم وقد عرفت ما فيه على انه اذا
جعل الارسال بمعنى الاهلاك كما قرره هو ال الامر الى ما ذكرنا قال الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين قدرنا استئناف معنوى وقرئ مخففا قال اهل اللغة قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف و
التثقيل جعل الشئ على مقدار غيره ومنه قدر الله الاقوات اى جعلها على مقدار الكفاية ثم قد يقال قدر الامور اى جعلها على مقدار ما يكفى فى باب الخير
والشر وقيل فى معنى قدرنا قال كتبنا الزجاج دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب المعنى فى هذا المعنى اكثر استعمالا وانه جواب سؤال كانه
قيل ما بال الملائكة استثنت من الناجين فقيل قدرنا انها لمن الغابرين اى الباقين فى العذاب لان الماضى بمعنى الغابر وهو من الاضداد قال فى الكشاف
علق فعل التقدير مع ان التعليق من خصائص افعال القلوب لان التقدير بمعنى العلم ولهذا فسر العلماء تقدير الله افعالهم مع ان التقدير من الله عز وجل بيانا
لاختصاصهم به تعالى كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والامر هو الملك وجه اخر ان الملائكة لما بشروا ابرهيم بالولد واخبروه
بانهم مرسلون الى قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وذلك قوله فلما جاء ال لوط المرسلون قال اى لوط انكم قوم منكرون تنكركم نفسى وتنفر منكم
وذلك انهم هجموا عليه فلم يعرفهم وخاف ان يطرقوه بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اى ما جئناك بما توهمت بل جئناك بما فيه فرحك
وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذى كنت تخوفهم به وهم يشكون فى وقوعه واتيناك بالحق اليقين ثابت وقال الكلبى بالعذاب لانه لا شك
فيه وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك بقطع من الليل اى فى اخره وقد مر فى سورة هود وزاد ههنا قوله واتبع ادبارهم لانه اذا ساقهم و
كان من ورائهم علم بحالهم ولا يخفى عليه حالهم فيقع الا يتركوا ولو لبثوا لكن نسبة الاستثناء فى لبيان حال ولا يلتفت منكم احد ولم يستثن
امرأته اكتفاء بما فى السورة من قوله الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته فالحاصل انه تعالى امره باتباع ادبارهم ونهاهم عن الالتفات ليكون
فارغ البال من حالهم ويخلص قلبه لشكر الله ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب ولئلا يشاهدوا عذاب قومهم فيرقوا لهم مع
انهم ليسوا من اهل الرقة عليهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ولا يتحسروا على ما خلفوا وجوز ان يكون النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير
وترك التوانى لان من يلتفت لا بد ان يقع له ادنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون قال الجوهرى مضى الشئ وقد ذهب مضى فى الامر مضى نفذ فيه
وقال فى الكشاف عدى وامضوا الى حيث تعدية الى الظرف المبهم لان حيث مبهم فى الامكنة وكذلك الضمير فى تؤمرون قلت حاصل الكلام
يرجع الى قوله اذهبوا الى المكان الذى تؤمرون بالذهاب اليه وانفذوا والمراد الذهاب الى هنالك عن ابن عباس انه الشام وقيل مصر قال
المفضل حيث يقول لكم جبرئيل وكانت قرية معينة ما عمل اهلها عمل قوم لوط ثم اخبر عن حالهم مجملا فقال وقضينا ضمن معنى واوحينا ولذلك عدى
بالى كانه قيل واوحينا اليه ذلك الامر مقضيا مبتوتا ثم فسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين اى مستأصلون يستأصلون عن اخرهم
حال ظهور الصبح ودخولهم فيه وفى هذا الاجمال والتفسير تفخيم لشان الامر وتعظيم له ثم حكى ما ابدى قوم لوط من الفعال بعد نزول الملائكة فقال
وجاء اهل المدينة اى اهل سدوم التى ضرب بقاضيها المثل فقيل اجور من قاضى سدوم يستبشرون بظهور الشر ومجئ الملائكة لانهم راوهم
مرد احسان الوجوه فلما قصدوا اضيافه قال لوط ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون بفضيحة ضيفى لان الضيف يجب اكرامه فاذا اسئ اليه فى دار
المضيف كان ذلك اهانة وفضيحة للمضيف يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله ولا تخزون مر فى هود قالوا
فى جواب لوط اولم ننهك عن العالمين اى الستا قد نهيناك عن ان تكلمنا فى شان احد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكانوا يتعرضون لكل
احد وكان لوط عليه السلام يمنعهم عن ذلك بقدر وسعه وهم نهوه ان لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل نهوه عن ضيافة الناس وانزالهم قال
هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين اى فتزوجوهن كما مر فى هود قال جار الله ان كنتم فاعلين شك فى قبولهم لقوله كانه قال وما اظنكم تفعلون وقيل



وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل دون ما حرم ثم قالت الملائكة للوط لعمرك مبتدأ محذوف الخبر لكثرة الاستعمال اي قسمي
او هو مما اقسم به والعمر والعمر بالفتح والضم واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح ايثارا للاخف فان الحالف كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم
غوايتهم التي اذهبت عقولهم حتى لم يميزوا بين خطائهم وصوابهم يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك والذي ثاموهم به من ترك البنين الى البنات
وقيل انه سبحانه خاطب رسول الله صلعم وانه يجيونه صلعم كرامة له صلعم وما اقسم بحيوة احد قط وذلك يدل على انه اكرم الخلق على الله فاخذتهم الصيحة
مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس كان ابتداء العذاب من اول الصبح لقوله مصبحين اليس الصبح بقريب وغليته كانت عند طلوع الشمس
قال المفسرون هي صيحة جبرئيل قلت يحتمل ان يكون صيحة قلب المداين وارسال الحجارة عليهم قال بعض المفسرين انما قال وامطرنا عليهم وفي
سورة هود وامطرنا عليها لان المراد ههنا من شذ من القرية منهم وقيل سبب تخصيص هذه السورة بجمع المذكر هو بناء القصة على قوله انا ارسلنا
الى قوم مجرمين ان في ذلك لآيات للمتوسمين المتفرسين وحقيقة التوسم التثبت في النظر حتى يعرف حقيقة سمة الشيء فعبر به عن التأمل والتفكر
وانها يعني تلك القرى وآثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس المارة من الحجاز الى الشام يشاهدون آثار قهر الله وغضبه انما قال بعضهم
انما جمع الآيات في قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين لانه اشار الى ما تقدم عن ضيف ابرهيم وقصة لوط وقلب المدينة وامطار الحجارة عليها
وعلى من غاب منهم وقال في الثانية وانها لبسبيل مقيم وهذه واحدة من تلك الآيات فلذلك قال ان في ذلك لآية للمؤمنين وقيل ما
جاء من القرآن من الآيات فلجمع الدلائل وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه فلما ذكر عقيبه المؤمنين وهم مقرون بوحدانيته وحد الآية
نظيره في العنكبوت خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين ثم اجمل قصة قوم شعيب فقال وان كان اصحاب الايكة لظالمين
ان مخففة عن الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبرها كانوا اصحاب غياض ومواضع ذات شجر فنسبوا اليها الايكة الشجر الملتف والضمير في
قوله وانهما يعود الى قرى قوم لوط والى الايكة وقيل بل الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فذكر احد الموضعين ههنا وهو
الايكة على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح قال الفراء والزجاج سمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر يأتم به حتى يصير
الى الموضع الذي يريده ثم ختم القصص بقصة ثمود فقال ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وهو واد بين الشام والمدينة وجمع المرسلين لان
تكذيب نبي واحد وهو صالح كتكذيب جميع الانبياء او لان القوم كانوا براهمة منكرين لكل الرسل او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين وآتيناهم اي
اعطينا رسولهم آياتنا اراد الناقة وكانت فيها آيات خروجها من الصخرة وعظم خلقها وكثرة لبنها الى غير ذلك كما حكينا في الاعراف وكانوا عنها اي
عن النظر فيها والاعتبار بها معرضين وفيه ان التقليد مذموم والاستدلال واجب وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من ان يهدم ويتداعى
بناؤها او يقع سقفها عليهم او آمنين من عذاب الله او من حوادث الدهر فما اغنى عنهم لم يدفع عنهم شيئا من عذاب الله ما كانوا يكسبون من
من بناء البيوت الوثيقة ومن جمع الاموال والعدد ولما فرغ من القصص قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي ملتبسا بالفوائد
والغايات الصحيحة منها اشتغال المكلفين بالعبادة والطاعة حتى لو تركوها واعرضوا عنها اوجبت الحكمة اهلاكهم وتطهير الارض عنهم فهذا النظم
يناسب اصول الاعتزال قال الجبائي فيه تكذيب لمذهب المجبرة الذين يزعمون ان اكثر ما خلق الله بين السموات والارض من الكفر والمعاصي
باطل واجيب بان افعال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب ان يكون الله خالقها ويمكن ان يقال في وجه النظم ان هذا ابتداء شروع
في تسلية النبي صلعم وتصبيره على اذيات قومه بعد اقتصاص احوال الامم السالفة ومعاملاتهم مع انبيائهم ويؤيد هذا النظم قوله وان الساعة لآتية
معناه لان الله سينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق
والعدل فكيف يليق بحكمته وفضله اهمال امرك ثم لما صبره على اذى قومه ورغبه في الصفح فقال فاصفح الصفح الجميل فاعرض عنهم
اعراضا جميلا بحلم واغضاء ان كان اللام للجنس فالمراد هذا النوع من الصفح لانه يشتمل على حقد واحتمال ومكر وان كان للعهد
فلعل المراد ما امر به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل هذا منسوخ باية السيف والاظهر ان حسن المعاشرة والمخالقة
ما سوى بهما امكن فلا حاجة الى ارتكاب النسخ ان ربك هو الخلاق كثير الخلق العليم الكامل العلم يعلم ما يجري بين الخلائق من الاحوال والافعال
فان تتركوا وكترت فيجازيهم يوم القيمة على حسب ذلك وقيل اراد انه الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم فاليوم الصفح اصلح فاصفحوا الى ان
يكون السيف اصلح ثم حث على الصفح والتجاوز بتذكير النعم الجلائل والعظام التي خصه بها فقال ولقد آتيناك سبعا من المثاني اكثر المفسرين
على ان المراد بها فاتحة الكتاب وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابي هريرة والحسن وابي العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
وذلك انها سبع آيات والمثاني جمع مثناة من التثنية او جمع مثنية وانها تثنى في كل صلوة وقال الزجاج تثنى بما يقرأ بعدها معها وانها
قسمت بنصفين قسم ثناء وقسم دعاء وقد ورد الحديث في هذا المعنى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين وقد مر في اول الكتاب وانها
كلما نها مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك واياك الصراط صراط عليهم عليهم واشتمالها على ثناء الله تعالى وتحميده مقرر ومما يتفرع على هذا
القول ما نقل القاضي عن ابي بكر الاصم انه قال كان ابن مسعود لا يكتب في مصحفه فاتحة الكتاب فقيل كانه راى انه تعالى عطف عليه قوله والقرآن
العظيم والعطف يوجب المغايرة فوجب ان يكون السبع المثاني غير القرآن والجواب انه قد يكون من عطف الجزء على الكل كقوله وملائكته وجبرئيل

في بعض

او بالعكس

او بالعكس كما في الاية والمقصود في الوصفين تمييز البعض عن الكل تنبيها على مزية ذلك البعض وشرفه فان قلت اليس لعطف الكل على البعض
نظير والاستدلال بالاية استدلال لصورة النزاع من غير دليل قلنا يكفي بقوله ولقد اتيناك دليلا على انه من القران وعن ابن عمر وسعيد
جبير في رواية ان السبع المثاني هي السبع الطوال سميت بذلك لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك
لانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى وانكر الربيع هذا القول لان هذه السورة مكية واكثر تلك السور مدنية واجيب بان المراد من الايتاء
انزالها الى السماء الدنيا والمكية والمدنية في ذلك سيان وضعف بان المراد اطلاق لفظ الايتاء على ما لم يصل بعد اليه خلاف الظاهر وقال قوم
السبع المثاني هي التي دون الطول والمائين وفوق المفصل واحتجوا عليه بما روى ثوبان عن رسول الله صلعم قال ان الله اعطاني المائين مكان الانجيل
واعطاني المثاني مكان الزبور وفضلني ربي بالمفصل قال الواحدي والقول في تسمية هذه السورة مثاني كالقول في تسمية الطول مثاني وروي عن
ابن عباس وهو مذهب طاوس انها هي القران لقوله سبحانه كتابا متشابها مثاني وانها سبعة اسباع كرر فيها دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف ومعنى
العطف على هذا القول الجمعية كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وكانه قيل اتيناك ما هو الجامع لكونه سبعا مثاني ولكونه قرانا عظيما قال الزجاج وصاحب الكشاف ومن في المثاني للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ولما عرف رسوله نعمه الدينية ورغبه
فيها نفره من اللذات العاجلة الزائلة لان كل نعمة وان عظمت فانها بالنسبة الى نعمة القران صغيرة حقيرة ومنه الحديث من لم يتغن بالقران اي لم يستغن
فليس منا وعظم صغيرا وقول ابي بكر من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا فمن حق قارئ القران
الواقف على معانيه ان لا يشتغل سره بالالتفات الى الدنيا وزهرتها قال الواحدي انما يكون ماد عينيه الى الشيء اذا ادام النظر نحوه وادامة النظر اليه
يدل على استحسانه وتمنيه وقال في الكشاف معنى لا تمدن لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اي اصنافا من الكفار قاله
ابن قتيبة وقال الجوهري الازواج القرناء قال بعضهم لا تمدن عينيك اي لا تحسدن احدا على ما اوتي من الدنيا وضعف بان الحسد منهي عنه مطلقا
فكيف يحسن تخصيص الرسول به ويمكن ان يجاب بان المراد منه نهي امته كقوله ولا تكونن من المشركين او المراد الغبطة فهي محظورة عليه لجلالة
منصبه وان كانت جائزة لامته وروي انه وافت من بلاد الشام سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر فقال المسلمون لو
كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع
وانما قال في هذه السورة لا تمدن بغير واو العطف لانه لم يسبقه طلب بخلاف ما في سورة طه لما نهاه عن الالتفات اليهم انفسهم وان يحصل لهم في
قلبه قدر ووزن فقال ولا تحزن عليهم اي على انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وكما امره بالتكبر على الاغنياء و
الترفع عنهم اذا كانوا كفارا امره بالتواضع للفقراء اذا كانوا مؤمنين فقال واخفض جناحك للمؤمنين الخفض نقيض الرفع وجناحا الانسان يداه
وخفضهما كناية عن اللين والرفق وانما قال في سورة الشعراء بزيادة لمن اتبعك لانه قال قبله وانذر عشيرتك الاقربين فلو لم يذكر هذه الزيادة
لكان الظاهر ان اللام للعهد فصار الامر بخفض الجناح مختصا بالاقربين من عشيرته فزيد لمن اتبعك ليعلم ان هذا التشريف شامل لجميع متبعيه
من الامة ولما بعثه على الرفق باهل الايمان امره بالانذار لكل المكلفين فقال وقل اني انا النذير المبين ويدخل تحته كونه مبلغا لجميع التكاليف
لان كل ما كان واجبا ترتب على تركه عذاب وكل ما كان حراما ترتب على فعله عقاب ويدخل فيه كونه شارحا لجميع مراتب اهل التكليف من الجنة وانما
فالانذار بالنار والاحذار بالجنة هو الاخبار عن موجب الحرمان عنها وفي متعلق قوله ولقد اتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين
وهم قيل اهل الكتاب الذين جعلوا القران عضين اي اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اجزاء واعضاء او
فعلة من عضهته اذا بهته فالمحذوف منها الهاء لا الواو وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلعم
العاضهة والمستعضهة فينقص منها الهاء ايضا وجمعت العضة بالمعاني جمع العقلاء لما لحقها من الحذف فجعلوا الجمع بالواو والنون عوضا
لحقها من الحذف كسنين ومعنى الاية ان اليهود اقتسموا القران الى حق وباطل وجزؤه فقالوا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل
مخالف لهما ويجوز ان يراد بالقران ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبالاقرار بالبعض والتكذيب بالبعض كقوله افتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وفي هذا تسلية لرسول الله صلعم عن تكذيب قومه وعداوتهم ولهذا وسط بين المتعلق والمتعلق به قوله لا تمدن الاية
لانه ممد للتسلية لما فيه من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الاقبال بالكلية على المؤمنين الوجه الثاني ان
يتعلق بقوله النذير المبين وعلى هذا لا يكون بد من التزام اضمار او زيادة اما الاضمار فان يكون التقدير انا النذير عذابا كما انزلنا
كقولك رايت القمر في الحسن اي وجها كالقمر واما الزيادة فان يكون الكاف زائدة كقوله ليس كمثله شيء ويمكن ان يبقى الكاف بمعنى مثل ولا حاجة
الى التزام والتقدير انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اما اليهود ويراد بالعذاب ما جرى على قريظة والنضير فيكون قد جعل
المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان واما غيرهم من اهل مكة او من قوم صالح قال ابن عباس الذين اقتسموا
طرق مكة ومداخلها ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان بالله ورسوله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا
فانه ساحر ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بافات وكانوا قريبا من اربعين منهم الوليد بن المغيرة والعاص

وابل والاسود بن عبد المطلب قال عكرمة اقتسموا القرآن استهزاء وكان يقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي وقال مقاتل
اقتسموه وقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم كذب وبعضهم اساطير الاولين وقال ابن زيد المقتسمون هم الذين تقاسموا بالله ليبيتوا صالحا
كما يجيء في سورة النمل فرمنهم وعلى هذا يكون قوله الذين جعلوا منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر و
اساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين ثم اقسم على سبيل الوعيد فقال فوربك لنسألنهم الاية وقد مر تفسير مثله في اوائل الاعراف ذلك قوله
فلنسألن الذين ارسل اليهم والاظهر ان الضمير عائد الى جميع المكلفين المنذرين وان السؤال يكون عن جميع الاعمال وقد يخص الضمير
بالمقتسمين والسؤال بالاقتسام ثم شجع نبيه فقال فاصدع اي اجهر بما تؤمر واظهره وفرق بين الحق والباطل واصل الصدع الشق والفصل
ومنه سمي الصبح صديعا كما سمي فلقا وصدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا قال النحويون الجار محذوف والمعنى بالذي تؤمر به من الشرائع مثل امرتك
الخير وجوز ان يكون ما مصدرية اي بامرك وشأنك مصدر من المبني للمفعول وقالوا ما زال النبي صم مستخفيا حتى نزلت هذه الاية ثم قال واعرض
عن المشركين اي لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة وهذا لا ينافي الامر بالقتال حتى يلزم النسخ على ما ظن بل يؤكدها ثم اكد النهي
عن الاكتراث بهم وقوى قلبه فقال انا كفيناك المستهزئين ولا ريب انهم طبقة ذو شوكة قدروا على الاستهزاء بالرسول مع جلالة قدره والاية لا تفيد
الا هذا القدر لكن المفسرين ذكروا عددهم واسماءهم مع اختلاف بينهم والاشهر على ما رواه عروة بن الزبير انهم خمسة نفر من الاشراف الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل يوم بدر وقال جبريل ع
لرسول الله صم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى
الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى
انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجر ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ثم زاد
في تسلية نبيه فقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من المطاعن فيك وفي القرآن لان الجبلة البشرية والمزاج الانساني يقتضي ذلك ثم
امر لكشف ما نابه باربعة اشياء بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة الى اتيان اليقين عن ابن عباس هو الموت سمي بذلك لانه امر متيقن ولا يجب ما دام المكلف
حيا وهذا كما قيل في تحديد مدة طلب العلم من المهد الى اللحد وكيف يصير الاقبال على الطاعات سببا لزوال ضيق القلب قال المحققون لانه ينكشف له
اضواء عالم الربوبية فيهون في نظره المصائب الدنيوية فلا يستوحش من فقدها ولا يستأنس بوجدانها وقال اهل السنة اذا نزل الى العبد بعض المكاره
فعليه ان يفزع الى الله بالذكر الدائم والسجود وسائر انواع العبادة فكانه يقول وجب على عبادتك سواء اعطيتني الخيرات او القيتني في المكاره وقالت المعتزلة
من اعتقد تنزه الله من القبائح سهل عليه تحمل المشاق لانه يعلم انه تعالى عدل منزه عما لا فائدة فيه ولا غرض فيطيب قلبه وفي التأويلات في الاية
اشارة الى ان الطالب الصادق وان كان مستضعفا ضعيف القوة قبل الصحو في بعد الاربعين باردا فانه ينبغي ان لا يقنط من رحمة الله ويضرب بيده الاعمال
القلبية ليتقرب الى الحضرة باصناف الالطاف ويجد بان الاعطاف فيخرج من ظلمات وجوده بوجوده فلا يتبعه الا ما علما بالعلوم اللدنية وهو واعظ الله في
قلب مؤمن ان في ذلك لآيات لاصحاب القلوب المتوسمين بشواهد احكام الغيب وما خلقنا سموات الارواح وارض الاشباح وما بينهما من
النفوس والقلوب والاسرار والخفيات الا بالحق اي الا لمظهر الحق ومظهره هو الانسان المخصوص بذلك من بين سائر المخلوقات وان الساعة
يعني قيامة العشق لآتية لنفوس الطالبين الصادقين من اصحاب الرياضات لان انفسهم تموت بالرياضة ومن مات فقد قامت قيامته فاصفح يا ايها
الصادق عن النفس المرتاضة بان تداريها وتواسيها فان في قيامة العشق يحصل من تزكية النفس لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة في سنين كثيرة
ومن هنا قيل جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ان ربك هو الخلاق لصور المخلوقات ولمعانيها ولحقائقها العليم لم خلقه
مستعد للمظهرية ذاته وصفاته ومظهر بينهما وليس ذلك لمن في السموات والارض وما بينهما الا الانسان الكامل وغيره مختص بمظهرية الصفات
دون الذات وان كان ملكا فلهذا قال ولقد آتيناك سبعا اي سبع صفات ذاتية لله تبارك وتعالى السمع والبصر والكلام والحياة والعلم
والارادة والقدرة من المثاني اي من خصوصية المظهرية والمظهرية للذات والصفات والقرآن العظيم ولهذا صار خلقه عظيما لانه كان خلقه
القرآن لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا من اهل الدنيا والآخرة واخفض جناحك للمؤمنين بهذا المقام ليحصلوا بجناح همتك على
المقتسمين الذين قسموا القرآن على انفسهم فصاروا مظاهر القهر الذين جعلوا القرآن عضين اي اجزاء في الاستعمال فقوم قرأوه ابتغاء الثم
القراء وبه يأكلون وقوم حفظوه ليقال انهم حفاظ وبه يعيشون الوقف وقوم حصلوا انفسهم تأويله اظهارا للفضل وطلبا للشهرة وقوم استنبطوا
معانيه ففهموها حتى نور الاحكام ومذاهبهم فكفروا انا دبر القرآن بل بهم انا كفيناك المستهزئين الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة استهزاء به الذين
يجعلون مع الله الها آخر من الهوى والدنيا فسبح بحمد ربك لا بك لانك لست منهم وكن من الساجدين بسجدة الشكر واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي
الا بك ان كل مقام يحصل فيه اليقين بالمتابعة لعرفان فانه يحصل فوقه مقام آخر وليس له ان يحصل برد اليقين فيه انه فهنا مراتب لا تناهي لها فاليقين يكون باعثا الى الآية

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات وان عاقبتم حروفها سبعة الاف وسبعمائة وسبعة كلماتها الف وثمانمائة واحدى واربعون آياتها مائة وثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الملئكة بالمجاهدة وتلويح ع

الاخلاص بالعبادة ع

سوء الادب

بالاخلاص

النحل

اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا

انه لا اله الا انا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا

هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون

وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم

والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر

ولو شاء لهديكم اجمعين هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت

لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر

لكم اليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرا لكم

في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما

طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون

والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون افمن يخلق كمن لا يخلق افلا

تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون

والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون الهكم

اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما

يعلنون انه لا يحب المستكبرين

القراءة تشركون وما بعده بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف والآخرون على الغيبة تنزل بالفتحات الثلاث الملائكة بالرفع سهل وروح وزيد وابو زيد مثله لكن بضم التاء ينزل من الانزال الملائكة بالنصب ابن كثير وابو عمرو ويزيد الباقون بالتشديد من التنزيل لبشق الانفس بفتح الشين يزيد الباقون بكسرها ننبت بالنون يحيى وحماد الآخرون بياء الغيبة والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها مرفوعات ابن عامر وافق حفص والمفضل في النجوم مسخرات الباقون بنصب الجميع على ان مسخرات حال يسرون ويعلنون بالتاء المثناة منها الخراز عن هبيرة الآخرون بتاء الخطاب يدعون على الغيبة سهل ويعقوب وعاصم غير الاعشى الباقون على الخطاب الوقوف فلا تستعجلوه ط يشركون ه فاتقون ه بالحق ط يشركون ه مبين ه خلقها ج لاحتمال تمام الكلام واحتمال ان يكون لكم متعلقا به والوقف على لكم ياكلون ه للعطف تسرحون ه للعطف الا بشق الانفس ط رحيم ه لا لان الخيل مفعول خلق وزينة ط ما لا تعلمون ه جائر ط اجمعين ه تسيمون ه الثمرات ط يتفكرون ه والنهار لمن قرا والشمس وما بعده بالرفع ومن نصب الشمس والقمر ورفع النجوم وقف على القمر ومن نصب الكل وقف على بامره ط يعقلون ه لا لان ما بعده مفعول سخر الوانه ط يذكرون ه تلبسونها ج لان قوله وترى فعل مستانف مع اتصال المعنى تشكرون ه تهتدون ه لا لان قوله وعلامات عطف على سبلا وعلامات ط يهتدون ه لا يخلق ط تذكرون ه لا تحصوها ط رحيم ه وما تعلنون ه يخلقون ط لان التقدير هم اموات غير احياء ج لاختلاف الجملتين وما يشعرون ه لا لان ما بعده مفعول يبعثون ه واحد ج لان ما بعده مبتدا مع الفاء مستكبرون



التفسير

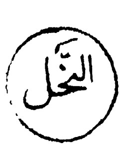
ربنا يعلمون المشركين التفسير هذه السورة تسمى سورة النعم ايضا وحكي الاصم عن بعضهم ان كلها مدنية وقال الاخرون من اولها الى قوله لكن يشكرون مدنية وما سواها مكي عن ابن عباس بالعكس منه قال اهل النظر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في يوم بدر وتارة بعذاب القيامة ثم ان القوم لما لم يشاهدوا شيئا من ذلك قبلوا على تكذيبه وكانوا يستعجلون ما وعدوا به استهزاء وروي انه لما نزل اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا والحاصل ان قوله اتى امر الله جواب عن شبهتهم اجراء لما يجب وقوعه مجرى الواقع كما يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث فلا تجزع والمراد ان امر الله بذلك وحكمه قد وقع واتى فاما المحكوم به فانما لم يقع لانه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ثم ان المشركين كانهم قالوا هب يا محمد انا سلمنا صحة ما تقول من انه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما في الدنيا واما في الآخرة الا انا نعبد هذه الاصنام لانها شفعاؤنا عند الله فكيف نستحق العذاب بسبب هذه العبادة فاجاب الله عن هذه الشبهة بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون كما مر في اول سورة يونس والمراد تنزيه نفسه عن الاضداد والانداد وان يكون لاحد من الازواج والاجسام ان يشفع عنده الا باذنه او يستعجل في حكم من احكامه وقضية من قضاياه او انهم كانهم قالوا سلمنا انه تعالى يقضي على طائفة باللطف وعلى الاخرين بالقهر ولكن كيف عرفت وانت علي اسرار الله تعالى في ملكه وملكوته دوننا ومن اين حصل لك هذا الفضل علينا فازال الله سبحانه شبهتهم بقوله ينزل الملائكة الاية والمراد انه لما كان من شانه ان يخص بعض عبيده بانزال الوحي عليه وبامره بان يكلف سائر عباده بمعرفة الله وتوحيده شرع تعبداته فظهر بهذا البيان ان هذه الآيات منتظمة على احسن الوجوه قال الواحدي روى عطاء عن ابن عباس انه اراد بالملائكة ههنا جبرئيل وحده وتسمية الواحد بالجمع اذا كان رئيسا مطاعا جائزة واذا كان على هذا التفسير فالمراد بالروح كلام الله تعالى وكقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال المحققون الروح الاصلي هو القرآن الذي به بيان المبدا والوسط والمعاد فيه يحصل اشراق العقل بالعقل بكماله ضياء جوهر الروح وبالروح يكمل حال الجسد فهو الاصل والباقي فرع عليه وبهذه المناسبة سمي جبرئيل روحا وعيسى روحا وعن ابي عبيدة ان الروح ههنا جبرئيل والباء بمعنى مع اي ينزل الملائكة مع جبرئيل وذلك انه في اكثر الاحوال كان ينزل ومعه افواج من الملائكة كما في يوم بدر وحنين وكان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الجبال وملك البحار وخزان الجنة وغيرهم قال في الكشاف بالروح من امره اي بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وقال غيره من امره معناه ان ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا بامر الله كقوله وما نتنزل الا بامر ربك قال الزجاج ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وان اما مفسرة لان تنزيل الوحي فيه معنى القول واما المخففة من الثقيلة وضمير الشان مقدر اي بان الشان اقول لكم انذروا اي اعلموا الناس قولي لا اله الا انا وهو اشارة الى استكمال القوة النظرية وقوله فاتقون رمز الى استكمال القوة العملية ومنه يعلم ان النفس متى كملت من هاتين الجهتين حصل لها روح حقيقي وحيوة ابدية وسعادة سرمدية قال الامام فخر الدين الرازي انا لا نعلم كون ابليس غير صادق ولا معصوم من الكذب في التلبيس الا بالدلائل السمعية وصحة الدلائل السمعية موقوفة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه موقوف على ان هذا القرآن معجز من قبل الله لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بان جبرئيل صادق مبرأ من التلبيس وافعال الشياطين فح يلزم الدور وهذا مقام صعب اقول قد ذكرنا مرارا ان الفرق بين المعجز والسحر هو ان صاحب المعجز يدعو الى الخير وصاحب السحر يدعو الى الشر والفرق بين الملك والشيطان هو ان الملك يلهم بالخير والشيطان يوسوس بضده واذا كان الامر كذلك فكيف يشتبه المعجزة بالسحر وجبرئيل بابليس حتى يلزم الدور ولما بين الله سبحانه ان روح الارواح وروح الاجساد هو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل به اتبعه دلائل التوحيد مبتدأ من الاشرف وهو السموات الى الادون وهو الارضيات فقال خلق السموات والارض بالحق وتقدم تفسير مثله مرارا وقوله تعالى عما يشركون تنزيه لذاته عمن يشاركه في الازلية والقدم والتدبير والتاثير والصنع والابداع فالفائدة المطلوبة من هذا الكلام غير الفائدة المطلوبة من مثله في اول السورة كما ذكرنا فلا تكرار ثم ان اشرف الاجسام بعد الفلكيات بدن الانسان فلهذا عقب المذكور بقوله خلق الانسان من نطفة فان لطائف الغذاء اذا وصلت الى المعدة حصل لها هناك هضم واذا وصلت الى الكبد حصل لها فيها هضم ثان وفي العروق له هضم ثالث وفي جواهر الاعضاء هضم رابع وح يصير جزءا من العضو المغتذي ويشبهها ثم عند استيلاء الحرارة على البدن وقت هيجان الشهوة يحصل في جملة الاعضاء ويجتمع منه النطفة في اوعيتها وعلى هذا يكون النطفة جسما مختلف الاجزاء والطبائع وان كانت متشابهة في الحس انها متشابهة الاجزاء وكيف ما كان فالمقتضي لتولد البدن منها اليس هو الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة تاثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت في مادة متشابهة الاجزاء وجب ان يكون فعلها هو الكرة وعلى هذا الحرف عول الحكماء في قولهم البسائط يجب ان يكون اشكالها الطبيعية هي الكرة واذا عملت في مادة مختلفة الاجزاء وكل مركب تام ينحل الى بسائط فانه يلزم ان يكون الحيوان على شكل كرات مضموم بعضها الى بعض وكلا الامرين غير مطابق للواقع فعلمنا ان حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس بالطبيعة وانما هو بتدبير الفاعل المختار وهو الله سبحانه وهو كيف لا والنطفة رطوبة سريعة الاستحالة



فالاجزاء الموجودة فيها لا يحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذي هو مادة الدماغ يمكن حصوله في الاسفل والجزء الذي هو مادة القلب قد يحصل
في الفوق فلا يكون حدوث اعضاء الحيوان على هذا الترتيب الخاص دائما او لا اكثريا وحيث كان كذلك علمنا ان حدوثها باحداث مدبر
مختار ثم ان تنزلنا عن جميع هذه المراتب فلا خلاف بين الحكيم وبين المتكلم ان الطبيعة خرقاء وانها ليست واجبة الوجود لذاتها فلا بد من الانتهاء
الى الصانع الحكيم الخبير واما قوله فاذا هو خصيم مبين ففيه ذكروا فيه وجهين الاول فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مبين للحجة بعدما كان نطفة
لا حس به ولا حراك والغرض ان النفوس الانسانية في اول الفطرة اقل فهما وذكاء من نفوس الحيوانات الا ترى ان ولد الدجاجة كما يخرج من
البيضة يعرف الصديق من العدو فيهرب من الهرة ويلتجئ الى الام ويميز بين الغذاء الذي يوافقه وحال الطفل بخلاف ذلك فانتقاله من تلك
الحالة الخسيسة الى ان يقوى على معرفة الالهيات والفلكيات والعنصريات وعلى ايراد الشكوك والشبهات على النتائج والمقدمات انما
يكون بتدبير اله مختار قدير ينقل الارواح من النقصان الى الكمال ومن الجهالة الى المعرفة الوجه الثاني ان المراد فاذا هو خصيم لربه منكر على
خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم فعلى الوجه الاول جوزوا ان يكون الخصيم فعيلا بمعنى مفاعل كالاكيل والشريب وان يكون بمعنى مختصم
وعلى الوجه الثاني تعين كونه بمعنى مفاعل والترجيح من الوجهين للاول بناء على ان هذه الايات مسوقة لتقرير الدلائل على وجود الصانع
الحكيم وقدرته لا لاجل وصف الانسان بالتمادي في الوقاحة والكفران وقد يرجح الثاني بما روي ان ابي بن خلف الجمحي جاء بعظم رميم الى
رسول الله صلعم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت ثم اردف تكوين الانسان بتكوين الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في
ضروراته من الاكل والركوب وجر الاثقال وفي غير ضروراته من الاغراض الصحيحة كالتزيين والجمال فقال والانعام خلقها هي الازواج الثمانية
المذكورة في سورة الانعام وهي الضان والمعز والابل والبقر وان شئت قلت الابل والبقر والغنم قال في الكشاف واكثر ما يقع هذا اللفظ
على الابل قلت ويمكن ان يستدل على ذلك بقوله بعد ذلك وتحمل اثقالكم لان هذا الوصف لا يليق الا بالابل وانتصابها بمضمر يفسره
الظاهر ويجوز ان يكون معطوفا على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان
قال صاحب النظم واحسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها بدليل انه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والدفء اسم ما يدفأ به كالملء
اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف ووبر او شعر قال الجوهري الدفاء نتاج الابل والبانها وما ينتفع به منها والدفاء ايضا
السخونة وقوله ومنافع قالوا المراد نسلها ودرها والمنافع بالحقيقة اعم من ذلك فقد ينتفع بها بالبيع والشراء بالنقود والاثواب ولسائر الحاجات
اما قوله ومنها تاكلون فتقديم الظرف المؤذن بالاختصاص فلان الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم عادة واما الاكل من غيرها
كالدجاج وصيد البر والبحر فكغير المعتد به الجاري مجرى التفكه ويحتمل ان يراد ان غالب طعمكم اي ما يحصل منها لانكم تحرثون بالبقر وتكتسبون
باكراء الابل وتشترون بنتاجها والبانها وجلودها جميع ما تشتهون من الاطعمة قوله حين تريحون الاراحة رد الابل الى مراحها حيث تأوي اليه
ليلا ويقال سرح القوم ابلهم سرحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى وقدم الاراحة لان الجمال فيها اظهر حين تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم
تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها قوله بشق الانفس من قرأ بفتح الشين فمعناه المشقة فيكون مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى
الشق الذي هو الصدع ومن قرأ بالكسر فمعناه ان الانفس كانه يذهب نصفها لما ينالها من الجهد قال جار الله معنى المضي في قوله لم تكونوا راجع
الى الفرض والتقدير اي لو لم يخلق الابل لم تكونوا الا كذلك وانما قيل لم تكونوا حامليها الى ذلك البلد ليطابق قوله وتحمل اثقالكم لاجل
المبالغة كانه قيل قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا عن ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون
العائد الى الاثقال محذوفا اي لم تكونوا بالغيها الا بالشق والمراد بالاثقال الاحمال عن ابن عباس انه فسر البلد بمكة الى اليمن والى الشام و
قال الواحدي هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لانها اكثر متاجر اهل مكة ان ربكم
لرؤف رحيم ولاجله يخلق هذه الحوامل لاجل تيسير هذه المصالح احتج منكرو الكرامات بالاية على امتناع طي الارض كما ينقل عن بعض الاولياء
والجواب ان الامتناع العادي لا ينافي الامكان الذاتي والخيل والبغال والحمير معطوفات على الانعام اي وخلق هذه للركوب والزينة
فانتصب على انه مفعول له معطوف على محل لتركبوها وانما لم يقل ولتتزينوا بها ليكون المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد لان
الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وفيه والتحقيق فيه ان الركوب احد الامور المعتبرة في المقصود بخلاف التزين
بالشيء فانه قلما يلتفت اليه ارباب الهمم العالية لانه يورث العجب ويتبع الخيلاء وكانه قال خلقها لتركبوها فتدفعوا عن انفسكم بواسطتها ضرر
الاعياء والمشقة واما التزين بها فهو حاصل في نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات احتجت المعتزلة القائلون بان افعال الله معللة بالمصالح
بان قوله لتركبوها يقتضي ان هذه الحيوانات مخلوقة لهذه المصلحة والجواب ان استتباع الغاية والفائدة مسلم ولكن التعليل ممنوع واحتج
الحنفية بالاية على تحريم لحوم الخيل من وجوه احدها افراد هذه الانواع الثلاثة بالذكر فيجب اشتراك الكل في الحكم لكن البغال والحمير
محرمان فكذا الخيل وثانيها ان منفعة الاكل اعظم منه من الركوب والتزين فلو كان اكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر وثالثها
ان قوله فيما قبل ومنها تاكلون يقتضي الحصر فيجب ان لا يجوز اكل ما عدا الانعام الا بدليل منفصل والاصل عدمه ورابعها ان قوله



لتركبوها يقتضي ان تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلثة هو الركوب والزينة فلو كان حل اكلها مقصودا لزم ان يكون ما ذكر
تمام المقصود بعض المقصود هذا محال والجواب ان تحريم الخيل محل النزاع وتحريم الحمير بنص الكتاب ممنوع لما روي عن جماعة من الصحابة
انه صلى الله عليه وسلم نهى عام خيبر عن لحوم الحمر الاهلية فلو كان للآية دلالة على تحريم لحم الخيل لفهموه منها قبل ذلك العام لان الآية مكية عند الاكثرين
ولو فهموا منها التحريم قبل ذلك لم يبق لتخصيص التحريم بهذه السنة فائدة واذا لم يكن الحمير والخيل محرمين لم يكن لتحريم البغال المتولدة منهما
وجه وايضا كون معظم المنافع لا كان بالنسبة الى هذه الانواع ممنوع بل الركوب والزينة هما اعظم المنافع فيها ولهذا جعلا تمام المقصود منها فكانما اعطى
الاكثر والمعظم حكم الكل وانتفاء الحصر في قوله ومنها تأكلون ممنوع بل لعل الظرف قدم لرعاية الفاصلة ثم ان انواع الغرائب والعجائب المخلوقة في هذا
العالم لا حد لها ولا حصر فلهذا اشار الى ما بقي منها على سبيل الاجمال فقال ويخلق ما لا تعلمون اي كنهه وتفاصيله بل نوعه وجنسه فان مركبات
العالم السفلي وغرائب العالم العلوي لا يعلمها الا موجدها وروى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور
مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبرئيل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله
تعالى من كل نقطة تقع من راسه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وفي الكعبة ايضا سبعون الفا ثم لا يعودون
اليه الى يوم القيمة وقيل المراد ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه فهم احد ولا وهمه ولما ذكر بعض دلائل التوحيد بين انه انما ذكرها ازاحة للعذر و
ازالة للشبهة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقال وعلى الله قصد السبيل ذكر صاحب الكشاف ان السبيل للجنس والقصد مصدر
بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والجور الميل عن الاستقامة احتجت المعتزلة
بالآية على مسئلتين من اصولهم احدهما انه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية لان كلمة على للوجوب والمضاف محذوف اي وعلى الله بيان قصد السبيل
فالمعنى ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه والثانية انه لا يضل احدا ولا يغويه والا لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه
الجبر فلما غير اسلوب الكلام فقال ومنها جائر دل على انه اراد ان يبين ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز والجواب عن الاول بعد تسليم
افادة كلمة على الوجوب انه وجوب بحسب الفضل والكرم لا بمعنى استحقاق الذم على الترك وعن الثاني ان دلالة قوله ومنها جائر على ما ذكر ليست
دلالة المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام لان قول القائل من السبيل سبيل منحرفة لا يفيد الا الاخبار بوجود الانحراف في بعض السبل فاما ان فاعل
تلك السبيل من هو فلا دلالة للكلام عليه اصلا اصلا ان قوله ولو شاء لهديكم اجمعين يناقض ما ادعيتم وتفسير المشية بمشية الالجاء والقسر وبالهداية
الى الجنة خلاف الظاهر كما مر مرارا ولما استدل على وجود الصانع الحكيم بعجائب احوال الحيوانات اراد ان يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب
احوال النبات فقال هو الذي انزل من السماء ماء وقوله لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب كالطعام لما يطعم والمراد
ان الماء النازل من السماء قسمان بعضه يبقى لاجل الشرب كما هو ويحتمل ان يكون الماء المحتبس في الآبار والعيون منه كقوله فاسكناه في الارض وبعضه
يحصل منه شجر يرعاه المواشي قال الزجاج كل ما ينبت من الارض فهو شجر لان التركيب يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا اختلط اصوات بعضهم
بالبعض ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلاء وفيما له ساق وقال ابن قتيبة المراد بالشجر في الآية الكلاء وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر
فانه سحت يعني الكلاء وقيل الشجر كل ما له ساق كقوله والنجم والشجر يسجدان والعطف يقتضي التغاير فلما كان النجم ما لا ساق له وجب ان يكون الشجر
ما له ساق واجيب بان عطف الجنس على النوع جائز وبان قوله فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت واسامها صاحبها
وهو من السومة العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض يقتضي ان يكون الشجر هو العشب ليمكن الرعي ورد بان الابل قد تقدر على رعي الاشجار
الكبار وحين ذكر مرعى الحيوان اتبعه ذكر غذاء الانسان فقال ينبت لكم به الزرع الذي هو الغذاء الاصلي والزيتون الذي هو فاكهة من وجه وغذاء من وجه
لكثرة ما فيه من الدهن والنخيل والاعناب اللذين هما اشرف الفواكه ثم اشار الى سائر الثمرات بقوله ومن كل الثمرات كما اجمل الحيوانات التي لم يذكرها
بقوله ويخلق ما لا تعلمون قال في الكشاف انما قيل ومن كل الثمرات بل زاد من التبعيضية لان كلها لا يكون الا في الجنة واعلم انه قدم الغذاء
الحيواني على الغذاء النباتي لان النعمة فيه اعظم لانه اسرع تشبها ببدن الانسان وفي ذكر الغذاء الحيواني وهو الزرع وغيره بناء على مكارم الاخلاق
وهو ان يكون اهتمام الانسان بحال من تحت يده اكمل من اهتمامه بحال نفسه وانما عكس الترتيب في قوله كلوا وارعوا انعامكم بناء على ما هو الاولى
في نفس الامر كقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول قوله وسخر لكم الليل والنهار معنى تسخيرهما للناس تصييرهما نافعين لهم بحسب مصالحهم على
سنن واحد يتعاقبان دائما كالعبد المطواع وكذا الكلام في تسخير الشمس والقمر والنجوم كما مر في الاعراف وفي سورة ابرهيم وهذا حسم لمادة
شبهة من زعم ان حركات الفلك كانت الافلاك هي المقتضية لتعاقب الليل والنهار ومسيرات الكواكب هي المستند عنه للحوادث السفليات فانه
ان سلم لهم ذلك فلا بد لتلك الحركات والمسيرات من الانتهاء الى صانع قديم منزه عن التغير والامكان مبرء عن الحدوث والنقصان وهو الله
سبحانه ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون قال جار الله جمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة
للكبرياء والعظمة وقال غيره انما جمع الآيات لتطابق قوله مسخرات ومثله في هذه السورة في موضع آخر مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله
ان في ذلك لآيات واقول انما جمع لان كلا من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم آية في نفسها لتباين الليل والنهار وتخالف مسيرات



الكواكب كما هو مقرر في علم الهيئة بخلاف قوله ينبت لكم فان مطلق الانبات اية واحدة وكذا قوله وما ذرأ لكم في الارض اي خلق فيها من حيوان
وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا الوانه فان ذرء هذه الاشياء على حالة اختلاف الالوان والاشكال مع تساوي الكل في الطبيعة الجسمية وفي تاثير
الفلكيات فيها اية واحدة على وجود الصانع تعالى شانه واستدعى الا امكان هذه الاعتبارات والا ففي كل شيء له اية تدل على انه واحد وانما
خص المقام الاول بالتفكر لامكان ايراد الشبهة المذكورة وخص المقام الثاني بالعقل لذكره بعد اماطة الشبهة وازاحة العلة فمن لم يعترف بعدها
بالوحدانية فلا عقل له وخص المقام الثالث بالتذكر لمزيد الدلالة فمن شك بعد ذلك فلا حس له ومن جملة الايات التي في حقيقتها انعامات على
الانسان تسخير البحر بالركوب عليه والانتفاع به اكلا ولبسا والمراد باللحم الطري السمك قال ابن الاعرابي لحم طري غير مهموز ومصدره طراوة بقي شيء طري
اي غض من الطراوة وقال قطرب طرأ اللحم وطرئ طراوة والمراد في الاية السمك وما في معناه قال في الكشاف وصفه بالطراوة لان الفساد يسرع
اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه وقال المتكلمون انه لما اخرج من البحر المالح الزعاق الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة علم انه لم يحدث بحسب
الطبع بل حدث بقدرة الله تعالى وحكمته بحيث اظهر الضد من الضد قال اكثر الفقهاء ومنهم ابو حنيفة والشافعي من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا
لم يحنث لان اللحم لا يتناوله عرفا ومبنى الايمان على العرف والعادة ولهذا لو قال لغلامه اشتر لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار عليه ورد
عليهم الامام فخر الدين الرازي بانه اذا قال لغلامه اشتر لحما فجاء بلحم العصفور كان حقيقا بالانكار مع انكم تقولون انه يحنث باكل لحم العصفور فثبت
ان العرف مضطرب والرجوع الى نص القرآن متعين فليس فوق بيان الله بيان وللقائل ان يقول لعل الانكار في هذه بعد تسليمه انما جاء من
قبل ندرة شراء العصفور او شي لحمه فانما يشترى كله ولم يجئ من اطلاق اللحم عليه ومن منافع البحر استخراج الحلية منه قالوا اراد بالحلية اللؤلؤ
والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولان تزينهن لاجلهم وللقائل ان يقول لا مانع من تزين الرجال باللآلي ونحوها
شرعا فلا حاجة الى هذا التكلف استدل الامام فخر الدين بالاية في ابطال قول الشافعية انه لا زكوة في الحلي قال لان اللام فيما يروى عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لا زكوة في الحلي ينصرف الى المعهود السابق ولا معهود الا ما في الاية من الحلية نصا فمعنى الحديث لا زكوة في اللآلي وهذا باطل بالاتفاق
وللقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون اللام للجنس فيشمل المصوغ من الذهب والفضة ايضا فيكون الحديث مخصصا بالاية ان ثبتت صحته ومن
عجائب البحر ومنافعه قوله سبحانه وترى الفلك مواخر فيه قال اهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء انه صوت جري الفلك
بالرياح وقال ابن عباس مواخر اي جواري وانما حسن هذا التفسير لانها لا تشق الماء الا اذا كانت جارية وقوله ولتبتغوا من فضله اي لتتجروا فيه
فتطلبوا الربح من فضل الله واذا وجدتم فضله واحسانه فلعلكم تقدمون على شكره واعلم ان قوله مواخر فيه جاء على القياس لان موضع الظرف
المتعلق بمواخر بعد مضي مفعولي ترى واما في سورة الملائكة فقدم الظرف ليكون موافقا لقوله ومن كل تاكلون ولتقدم الجار في قوله ومن كل
تاكلون حذف لفظة منه هنالك والواو في ولتبتغوا في هذه السورة للعطف على لام العلة في لتاكلوا وقوله وترى الفلك مواخر فيه اعتراض في
السورتين يجري مجرى المثل ولهذا وحد الخطاب في قوله وترى وقبله وبعده جمع اي لو حضرتها ايها المخاطب لرايته بهذه الصفة ويمكن ان يقال
انما قال في الملائكة فيه مواخر بتقديم الظرف لئلا يفصل بين لام العلة وبين متعلقها وهو مواخر وليكتنف المتعلق المتعلقين وانما بينا الكلام
على ان قوله فيه متعلق بمواخر لانه اقرب هذا وبعد ذلك والله اعلم قوله ان تميد بكم اي كراهة ان تميل الارض بكم والباء للتعدية او
للمصاحبة والميد الحركة والاضطراب يمينا وشمالا يروى انه تعالى خلق الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت
وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت قال جمهور المفسرين ان السفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب
فاذا وضعت الاجرام الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فهكذا الارض تستقر على الماء بسبب ثقل الجبال واعترض عليه بان السفينة
انما تضطرب على الماء لتخلخلها وخفتها بسبب الهواء الداخل في تجاويف الخشب ومسامها اما الارض فجسم كثيف ثقيل من شانها الرسوب في الماء
على ما هو مشاهد من حال اجزائها المنفصلة عنها فان كان طبيعة الكل كذلك فكيف يعقل طفوها حتى توجب الجبال ارساءها وثباتها وان لم
تكن طبيعة الكل كذلك حتى يكون طافية مائدة وقد ارساها الله تعالى بالجبال فالرسو والرسوخ انما يتصور على جسم واقف وليس الا الماء فينتقل
الكلام الى وقوف الماء في حيزه المعين فان كان بحسب الطبيعة فهذا اختلاف لتقدير كانا نفينا القول بالطبائع الموجبة لهذه الاحوال وان لم
يكن بالطبع بل كان وانما بخلق الفاعل المختار وتسكينه في حيزه المخصوص فلم لا نقول مثله في تسكين الارض هذا تلخيص ما قاله الامام فخر الدين الرازي
ونسب المقام الى الصعوبة والاشكال واستخرج لحله وجها مبنيا على قوانين الحكمة وهو ان الارض جسم كروي والكرة اذا كانت صحيحة الاستدارة فانها تتحرك
بادنى سبب فلما احدث الله سبحانه على وجه الكرة هذه الخشونات الجارية مجرى الاوتاد منعها عن السلاسة والحركة قلت في هذا الحل خلل اما اولا
فلكونه مبنيا على غير قواعد اهل التفسير واما ثانيا فلما ثبت في الحكمة ان نسبة اعظم جبل في الارض وهو ما ارتفاعه فرسخان وثلث فرسخ الى جميع الارض
كنسبة خمس سبع عرض شعيرة الى كرة قطرها ذراع ولا ريب ان تلك القدر من الشعيرة لا يخرج الكرة المذكورة عن صحة الاستدارة بحيث يمنعها عن سهولة
الحركة فكذا ينبغي ان يكون حال الجبال بالنسبة الى كرة الارض والجواب الصحيح على قاعدة اهل الشرع ان يقال لا نسلم ان الارض بكليتها طبيعة موجبة
لهذه الاحوال وعلى تقدير التسليم فلا نسلم ان لها طبيعة الرسوب بل لعل طبيعتها الطفو فلهذا احتاجت الى الرواسي وانما قوله لم اوقف الله الماء في



حتى ولم يوقف الارض من غير ارساء فلا يخفى سقوطه مع القول بالفاعل المختار فللوسائط والاسباب مدخل في الامور العادية وان لم نقل بتاثيرها
هذا وان حركة الارض عند الزلازل لا تنافي حكم بعدم اضطرابها لان ثبات الحركة لجزء الشيء لا ينافي نفيها عن كليته وشبهوا الزلزلة وهي حركة قطعة
من الارض لاحتقان البخارات في داخلها وطلبها المنفذ باختلاج يحصل في جزء معين من بدن الحيوان قوله سبحانه وانهارا معطوف على رواسي
اي وجعل فيها رواسي لان الالقاء ههنا بمعنى الجعل والخلق كقوله والقيت عليك محبة مني وكذا قوله وسبلا اي اظهرها وبينها لاجل ان
تهتدوا بها في اسفاركم ولما ذكر انه اظهر في الارض سبلا معينة ذكر انه اظهر في تلك السبل علامات مخصوصة وهي كل ما يستدل به السابلة من
جبل وسهل وغير ذلك يحكى ان جماعة يشمون التراب فيعرفون به الطرقات قال الاخفش تم الكلام عند قوله وعلامات وقوله وبالنجم هم يهتدون
كلام منفصل عن الاول والمراد بالنجم الجنس كما يقول كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي قال بعض المفسرين
اراد بقوله هم يهتدون اهل البحر لتقدم ذكر البحر ومنافعه وقيل اراد اعم من ذلك فاهل البر ايضا قد يحصل لهم الاهتداء بالنجوم في الطرق والمسالك
وفي معرفة القبلة وانما جيء بالضمير الغائب لعوده الى السائرين الدال عليهم ذكر السبل وقال في الكشاف كانه اراد قريشا فقد كان لهم اهتداء بالنجوم
في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا بتقديم النجم واقحام لفظ هم كانه قيل وبالنجم
خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون ثم لما عدد الايات الدالة على الصانع ووحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال اراد ان يوبخ اهل الشرك والعناد فقال
افمن يخلق كمن لا يخلق اي كالاصنام التي لا تخلق شيئا الا انه اجراها مجرى اولي العلم فاطلق عليها لفظ من التي هي لاولي العقل بناء على زعمهم انها الهة او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او اراد ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده او اراد كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم
منهم واعلم ان اهل البيان يقولون ان المشبه به يجب ان يكون اقوى واتم في وجه الشبه من المشبه ليلحق الاضعف بالاقوى في وجه الشبه كقولك وجهه
كالقمر ولا ريب ان الخالق اقوى من غير الخالق فكان حق النظم في الظاهر ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق والقران ورد على العكس ووجهه عند العلماء
زيادة التوبيخ ليكون كانهم جعلوا غير الخالق اقوى حالا واعرف من الخالق وقال في الكشاف انهم جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوها به حين جعلوا
غيره مثله في التسمية والعبادة فانكر عليهم ذلك ولوضوح كون هذا الامر منكرا عند من له ادنى عقل بل حس قال افلا تذكرون وفيه مزيد توبيخ وتجهيل
لانه لجلائه كالحاصل الذي يحصل عند العاقل بادنى تذكر ومع ذلك هم عنه غافلون قال بعض الاشاعرة في الاية دلالة على ان العبد غير خالق لافعال
نفسه لان الاية مسوقة لبيان امتيازه بصفة الخالقية اجاب المعتزلة بان المراد افمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض والانسان والحيوان
والنبات والبحار والجبال والنجوم او نقول معنى الاية ان كل من كان خالقا يكون افضل ممن لا يكون خالقا وهذا القدر لا يدل على ان كل من كان خالقا
فانه يجب ان يكون الها نظيره قوله الهم ارجل يمشون بها اراد به ان الانسان افضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس فكذا ههنا وقال
الكعبي في تفسيره نحن لا نطلق لفظ الخالق على العبد ومن اطلق ذلك فقد اخطأ الا في مواضع ذكرها الله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين فعلى
هذا لا يتوجه عليهم السؤال الا ان اصحاب ابي هاشم يطلقون لفظ الخالق على العبد حتى ان ابا عبد الله البصري قال اطلاق لفظ الخالق على العبد
حقيقة وعلى الله مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وهو الظن والحسبان ثم لما فرغ من تعديد الايات التي هي بالنسبة الى المكلفين نعم قال وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد مر تفسيره في سورة ابرهيم قال العقلاء ان كل جزء من اجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه ادنى خلل لتنغص العمر على
الانسان وتمنى ان ينفق الدنيا لو كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه سبحانه يدبر احوال بدن الانسان على الوجه الملائم له غالبا
مع ان الانسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ولا بمصالحه ومفاسده ولكن هذا المثال حاضر في ذهنك فقس عليه سائر نعم الله تعالى حتى تعرف تقصيرك
وقصورك عن شكر ادنى نعمة فضلا عن جميعها ولهذا ختم الاية بقوله ان الله لغفور رحيم يغفر التقصير الصادر عنكم في اداء شكر النعم ويرحمكم حيث
لا يقطعها عنكم بالتفريط ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها كالتوابع اشتغالهم بعبادة غير الله واسرارهم ضروبا من الكفر والمكائد في حق الرسول صلعم
وتوعدهم بقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وفيه ايضا تعريض وتوبيخ بسبب ان الاله يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام التي عبدوها
جمادات لا شعور بها اصلا فكيف يحسن عبادتها ثم زاد في التوبيخ فقال والذين يدعون اي الالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يخلقون
شيئا وقد ذكر هذا المعنى في قوله كمن لا يخلق وزاد ههنا قوله وهم يخلقون اي يخلقهم الله او بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز
من عبدتهم ثم نفى هذه الاية زيادة بيان لانه نفى عنهم صفة الكمال واثبت صفة النقصان وكذلك قوله اموات غير احياء يستلزم ذمهم مرتين لان
من الاموات ما يعقبه حيوة كالنطفة والجسد الانساني الذي فارقه الروح واما الحجارة فاموات لا تقبل الحيوة اصلا وفيه ان الاله يجب
ان يكون حيا لا يعقبه موت وحال هذه الاصنام بالعكس وفيه ان هؤلاء الكفار في غاية الغباوة وقد تقرر المعنى الواحد مع الغبي الجاهل بعبارات
مختلفة تنبيها على بلادته وما يشعرون ان الضمير للالهة اما الضمير في ايان يبعثون فاما للالهة ايضا ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان الله تعالى
يبعث الاصنام لها ارواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار واما للداعين اي لا تشعر الالهة متى يبعث عبدتهم فيكون فيه تهكم بالمشركين من
حيث ان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف واما للاحياء ففي
نعت الاحياء بالعلم به تهكم بالالهة لان شعور الجماد محال فكيف شعوره بما لا يعلمه حق العلم الا الحي القيوم سبحانه وجوز في الكشاف ان يراد بالذين يدعوهم الكفار

اي لا يعلم موتى الالهة

الملائكة فان ناسا منهم كانوا يعبدونهم ومعنى انهم اموات اى لابد لهم من الموت غير احياء اى غير باقية حيوتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم ولما زيف
طريقة عبدة الاصنام صرح بما هو الحق في نفس الامر فقال الهكم اله واحد ثم ذكر ما لاجله اصر الكفار على شركهم فقال فالذين لا يؤمنون با
لآخرة قلوبهم منكرة للوحدانية وللكل كلام مخالف هواهم وهم مستكبرون عن قبول الحق وذلك ان المؤمن بالبعث والجزاء يؤثر فيه الترغيب
والترهيب فينقاد للحق اسرع واما الجاحد المعاند فلا يقبل الا ما يوافق رايه ويلائم طبعه فيبقى في ظلمة الانكار لا جرم اى حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم على ما اسروا من الاستكبار واعلنوا من العناد انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد المختص بالمشركين او كل مستكبر فيدخل هؤلاء
دخولا اوليا لان الكلام فيهم التأويل ان الناس طبقات ثلاث الغافلون والخطاب معهم بالعتاب لانهم كانوا مشتاقين الى الدنيا وزخارفها وهم اصحاب
النفوس والعاقلون والخطاب معهم بوعد الثواب لرغبتهم في الطاعات والاعمال الصالحات وهم ارباب العقول والعاشقون والخطاب معهم بوصلة
رب الارباب لاشتياقهم الى جمال ذى الجلال فخبر فانه في الازل اتى امر الله استعجل ارواح كل طبقة منهم للخروج من العدم الى الوجود لنيل المقصود وطلب
المفقود فخاطبهم بقوله فلا تستعجلوه فانه سيصيب كل طبقة منكم ما كتب له في القسمة الازلية والله سبحانه منزه عن ان يشرك في الحكم احد فلا
مبدل لكلماته بالروح من مواهبه ما يحيى القلوب من المواهب الربانية من امره الوارد على الجوارح بالتكاليف الشرعية وعلى النفوس بآداب الطريقة
وعلى القلوب بالاشارات وعلى الارواح بملازمة الحضرة للمكاشفات وعلى الاسرار بالمراقبات للمشاهدات وعلى الخفيات بتجلي الصفات لافناء
الذوات على من يشاء من عباده من الانبياء والاولياء ان انذروا واعلموا اوصاف وجودكم بنيله لها في انه لا اله الا انا فاتقون عن انانيتكم
بانانيتي خلق سموات الارواح وارض الاشباح وجعلها مظهر الافاعيل فهو الفاعل لما يظهر على الارواح والاشباح تعالى عما يشركون الارواح
والاشباح في حالة افاعيله الى في غيره خلق الانسان من نطفة لا علم لها ولا فعل فاذا هو خصيم مبين يدعي الشركة معه في الوجود والافاعيل
الانعام اى الصفات الحيوانية خلقها لكم فيها دفء لانها المودعة في جبلتكم ومنافع ومنها تاكلون باستفادة بدل ما يتحلل ولكم فيها جمال في وقت
القرار وارتفاع الاستراحات وتحمل اثقالكم ارواحكم وهي اعباء الامانة الى بلد عالم الجبروت ان ربكم لرؤوف رحيم اذا افنيتم انفسكم في جبروته يبقيكم
ببقاء عظموته والخيل والبغال والحمير اى صفاتها خلقت فيكم لانها مركب الروح عند السير الى عالم الجبروت وزينة عند رجوعه بالجذبة الى
مستقره الذي اهبط منه ويخلق فيكم ما لا تعلمون وهو قبول فيض الله بلا واسطة وعلى الله قصد السبيل بجذبة ارجعي ومنها جائر يعني نفوسكم تحيد
عن الفناء وبذل الوجود هو الذي انزل من السماء سماء الكرم ماء الفيض منه شراب المحبة لقلوبكم ومنه شجر القوى البشرية ودواعيها فيه ترعون مواشي
نفوسكم ينبت لكم زرع الطاعات والزيتون الصدق ونخيل الاخلاق الحميدة واعناب الواردات الربانية ومن كل ثمرات المعقولات والمشاهدات
والمكاشفات وسخر لكم ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس الروح وقمر القلب ونجوم الحواس والقوى وتسخيرها استعمالها على وفق الشريعة
وقانون الطريقة وما ذرأ لكم في ارض جبلتكم من الاستعدادات مختلفا الوانه في كل عالم بلونه من عوالم الملكية والشيطانية والحيوانية وسخر لكم بحر
العلوم لتاكلوا منه الفوائد الغيبية الطرية وتستخرجوا منه جواهر المعاني فيلبس بها ارواحكم النور والبهاء وترى فلك الشرائع
ومذاهب جواري في بحر العلوم لتبتغوا الاسرار الخفية عن الملائكة والقى في ارض البشرية جبال الوقار والسكينة لئلا تميد بكم صفات البشرية
عن جادة الشريعة والطريقة وانهارا من ماء الحكمة وسبلا الى الهداية والعناية وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم الجذبة الالهية هم يهتدون
فيخرجون من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي افمن يخلق الله فيه هذه الكمالات كمن لا يخلقها فيه من الملائكة وغيرهم وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وهي قسمان نعمة الاعطاف وهي ما يتعلق بوجود النعمة ظاهرة وباطنة ونعمة الالطاف وهي ما يتعلق بوجود المنعم من الذوات والصفات
والله يعلم ما تسرون من اداء شكر نعمة القلوب وما تعلنون من اداء الشكر بالاجساد والذين يدعون من دون الله من الهوى والدنيا لا يخلقون
شيئا من المنافع وهم يخلقون بتعب الدنيا الطلب في تحصيلها ولهذا قال اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثها دواعي البشرية والذين
لا يؤمنون بالآخرة بما في عالم الغيب قلوبهم منكرة لاهل الحق لانهم لا يتجاوزون عن عالم الحس يعلم ما يسرون من الانكار وما يعلنون من الاستكبار الله

وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا اَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا اَسَاطِيرُ الْاَوَّلِينَ ۝ لِيَحْمِلُوا اَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَمِنْ اَوْزَارِ
وچون گفته شود مر ایشانرا چه چیز فرو فرستاد پروردگار شما گویند افسانهای پیشینیان — تا بردارند بارهای گناهان خود را تمام — روز قیامت — واز بارهای
الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ اَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ۝ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَتَى اللّٰهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ
آنانکه گمراه میکنند ایشانرا بدون علم آگاه باشید بد است آنچه بر میدارند — بتحقیق مکر کردند آنانکه بودند پیش از ایشان — پس آمد فرمان خدا بنیاهای ایشانرا از بیخ
فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَاَتٰيهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ اَيْنَ
پس فرود آمد بر ایشان سقف از بالای ایشان وآمد ایشانرا عذاب — از آنجا که نمیدانستند — پس روز قیامت خوار میکند ایشانرا ومیگوید کجااند
شُرَكَاۤئِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاۤقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ اِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوۤءَ عَلَى الْكٰفِرِينَ ۝ الَّذِينَ
انبازان من که بودید که خلاف میورزیدید در آنها گفتند آنانکه داده شدند علم
تَتَوَفّٰيهُمُ الْمَلٰۤئِكَةُ ظَالِمِي اَنْفُسِهِمْ فَاَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوۤءٍ بَلٰى اِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ فَادْخُلُوا



أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ۝ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم
قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ۝ جنات
عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين ۝ الذين
تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ۝ هل ينظرون إلا أن تأتيهم
الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ۝
فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۝ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما ع
عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل
على الرسل إلا البلاغ المبين ۝ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ۝
إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين ۝ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا
يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۝ ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم
الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ۝ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ۝ والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ۝ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ۝

القراءة: فبئس كان مثل هذه الى زمعهم ابن كثير والخزاعي عن البزي وفي الحجر اذ عن هبيرة شركاءي الذين مثلها البناء الباقون بفتح الياء وكذلك في
الكهف والقصص تشاقون بكسر النون نافع الآخرون بفتحها تتوفيهم وما بعده بالامالة حمزة وخلف لا يهدي بفتح الياء وكسر الدال عاصم وحمزة و
علي وخلف الباقون بضم الياء وفتح الدال كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلي الباقون بالرفع الوقوف ربكم لا لان ما بعده جواب ماذا الاولين لا للتعلق
اللام يوم القيمة لا لان قوله ومن اوزار مفعول ليحملوا بغير علم ط ما يزرون ه لا يشعرون ه فيهم ط الكافرين ه بناء على ان ما بعده صفة انفسهم من الطول الكلام
من سوء تعملون ه خالدين فيها ط المتكبرين ه نصف الجزء ماذا انزل ربكم ط خيرا ط حسنة ط خير ط المتقين ه لا لان ما بعده بدل يشاؤون ط المتقين ه طيبين
لا لان ما بعده حال اخرى سلام عليكم لا لان قوله ادخلوا مفعول يقولون تعملون ه امر ربك ط من قبلهم ط يظلمون ه يستهزءون ه من شيء الثاني ط من قبلهم
للاستفهام مع الفاء المبين ه الطاغوت ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى الضلالة ط المكذبين ه ناصرين ه ايمانهم ط لا لان ما بعده جواب القسم
يموت ط لا يعلمون ه للتعلق لام كي كاذبين ه فيكون ه حسنة ط اكبر ط لان جواب لو محذوف اي لو كانوا يعلمون لما اختاروا الدنيا على الآخرة ولو
وصل لصار قوله ولأجر الآخرة متعلقا بالشرط ان لو كانوا يعلمون وهو محال يعلمون ه بناء على ان الذين خبر او بدل والذين هاجروا يتوكلون ه
التفسير لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد اراد ان يزيل شبهات منكري النبوة مع اجوبتها فالشبهة الاولى انهم طعنوا في القرآن وعدوه من قبيل
الاساطير قال النحويون ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مبتدأ وذا موصولة والجملة صلتها والمجموع خبر المبتدأ وعلى التقدير
فقوله اساطير الاولين بالرفع ليس بجواب للكفار والا لكان المعنى الذي انزله ربنا اساطير الاولين والكفار لا يقرون بالانزال فهو اذن
كلام مستانف اي ليس ما تدعون نزوله منزلا بل هو اساطير الاولين وفي الكشاف معناه المنزل اساطير الاولين ذكره في دفع التناقض اي على



السخرية كقوله إنّ رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وجوّز كونه منصوبا ولم يقرأ به واختلفوا في السائل فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو
قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم وفود الحاج عمّا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والحقائق والدقائق ثم إنه تعالى اقتصر في جواب شبههم على محض الوعيد
لأنه قد ثبت بالتحدي كما مرّ غير مرة أن القرآن معجز تحدّوا بالقرآن جملة ثم بعشر سور ثم بسورة فعجزوا عن المعارضة فكان طعنهم فيه بعد
ذلك مجرد المكابرة والعناد فلم يستحقوا في الجواب إلا التهديد والوعيد واللام في قوله ليحملوا ليس لام الغرض لأنهم لم يصفوا القرآن بكونه أساطير
لغرض حمل الأوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن التعليل به فكان لام العاقبة وقوله كاملة معناه أنه تعالى لا يخفف من عقابهم شيئا
وفيه دليل على أنه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين لأن هذا المعنى لو كان حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل
فائدة قال الواحدي لفظة من في قوله ومن أوزار الذين ليست للتبعيض فإنه لا يخفف عن الأتباع بعض أوزارهم لقوله صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا إلى الضلالة
فاتبع كان عليه وزر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيء ولكنها للابتداء أي ليحملوا ما قد نشأ من أوزار الأتباع أو للبيان أي ليحملوا ما هو جنس
أوزار متبعيهم ومعنى بغير علم أن هؤلاء الرؤساء إنما يقدمون على هذا الإضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الإضلال
وقال في الكشاف بغير علم حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من ضل وإن لم يعلم
لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل ثم أوعدهم بما هو النهاية في التهديد فقال ألا ساء ما يزرون ونزرهم
ثم حكى حال أضرابهم من المتقدمين فقال قد مكر الذين من قبلهم ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد به نمرود بن كنعان بنى صرحا عظيما
ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا وألقت
رأس الصرح في البحر فأحدث نمرود وتبلبلت يومئذ ألسن الناس من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا ولذلك سميت بابل وكان
لسان الناس قبل ذلك بالسريانية وابتلاه الله ببعوضة دخلت في دماغه والحكاية مشهورة والأصح أن الآية عامة في جميع المبطلين الذين يحاولون
إلحاق الضرر بالمحقين وعلى القول الأول معنى قوله فأتى الله أي أمره وحكمه بنيانهم من القواعد وهي أساطين البناء التي يعمده أو الأساس
أنه أسقط السقف عليهم بعد هدم القواعد وفائدة زيادة قوله من فوقهم التنصيص على أن الأبنية تهدمت وهم ما تحتها وعلى الثاني
يكون الكلام محض التمثيل والمراد أنهم سوّوا منصوبات وحيلا ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك الحيل كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه
بالأساطين فأتي البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر بئرا لأخيه فقد وقع فيه
وبعبارة أخرى من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا ثم بين أن عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا بل الله تعالى يخزيهم يوم القيامة بإدخالهم النار
إنك من تدخل النار فقد أخزيته ويقول مع ذلك لأجل الإهانة والتوبيخ أين شركائي الإضافة لأدنى الملابسة أو هي حكاية لإضافتهم استهزاء
وتوبيخا الذين كنتم تشاقون تخاصمون المؤمنين في شأنهم ثم ذكر على سبيل الاستئناف قال الذين أوتوا العلم عن ابن عباس هم الملائكة
وقال الآخرون هم الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يعظونهم ولا يلتفتون إليهم فيقولون ذلك يوم القيامة شماتة بهم فلتلك المرتبة
قولهم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين يدل على أن ماهية الخزي والسوء مختصة بالكافرين فينتفي عن غيرهم أما قوله فألقوا السلم
فعن ابن عباس المراد أنهم أسلموا وأقروا بالعبودية عند الموت وقيل إنه في يوم القيامة وقولهم ما كنا نعمل من سوء أرادوا الشرك قالوه على وجه الكذب
والجحود ومن لم يجوز الكذب على أهل القيامة قال أرادوا في اعتقادهم وظنونهم فرد عليهم أولوا العلم أو الملائكة بقولهم بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون
في الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب وإنه يجازيكم على الكفر الذي علمه منكم قال في الكشاف وهذا أيضا من الشماتة وكذلك فادخلوا أبواب
جهنم وفي ذكر الأبواب إشارة إلى التفاوت متعلق منازلهم في دركات جهنم ثم قال فلبئس مثوى المتكبرين عن قبول التوحيد وسائر ما أتت به الأنبياء
والفاء للعطف على فاء التعقيب في فادخلوا واللام للتأكيد يجري مجرى القسم موافقة لقوله بعد ذلك ولنعم دار المتقين ولا نظير لها في كل القرآن
ثم أتبع أوصاف الأشقياء أحوال السعداء فقال وقيل للذين اتقوا الآية وإنما ذكر الجواب ههنا بالنصب ليكون الجواب مطابقا مكشوفا
بيّنا من غير تلعثم أي أنزل خيرا وقالوا خيرا الإشراك قاله الكفار وقالوا قول الخير ولو رفعوا لأوهم أنه كلام مستأنف كما في جواب الكفار وليس
بمنزل روي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف كما مر وكان الوافد
يقول كيف أرجع إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأراه فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا
وجوّز في الكشاف أن يكون للذين أحسنوا وما بعده بدلا من خيرا كأنه تفسير الخير بهذا القول وجوز في الكشاف أن يكون كلاما مبتدأ على سبيل
الوعد فيكون قولهم الخير من جملة إحسانهم أما قوله في هذه الدنيا فإما أن يتعلق بما قبله فالمعنى الذين جاؤوا بالإحسان في هذه الدنيا لهم في الآخرة
حسنة هي الثواب العظيم والمضاعف إلى سبعمائة أو أكثر وإما أن يتعلق بما بعده والتقدير للذين أحسنوا لهم الحسنة في الدنيا باستحقاق المدح
والثناء أو بالظفر على أعداء الدين باللسان والسنان وفتح البلاد أو بفتح أبواب المكاشفات والمشاهدات والحاصل أن لهم في الدنيا
مكافأة بإحسانهم ولدار الآخرة خير منها ثم بين الخيرية بقوله ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره ثم قال جنات عدن



اي هما فيكون المبتدأ محذوفا او الجنات مبتدأ وما بعدها الخبر او جنات عدن هي المخصوص بالمدح فالجنات تدل على القصور والبساتين
والعدن على الدوام والاقامة وقوله تجري من تحتها الانهار على انه حصل هناك ابنية مرتفعة هم عليها والانهار تجري من تحتهم وقوله لهم فيها ما
يشاؤن ابلغ من قوله في موضع آخر فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وفي تقديم الظرف دلالة على ان الانسان لا يجد كل ما يريده الا
في الجنة وقوله الذين تتوفاهم الملائكة اكثر المفسرين على ان هذا التوفي هو قبض الارواح وقوله طيبين اي طاهرين عن دنس الكفر والمعاصي
او دنس الكفر وحده وهذه كلمة جامعة تشمل انواع البراءة عن العلائق الجسمانية فلا يكون لصاحب هذه الحالة تألم بالموت ودليله قوله يقولون
سلام عليكم يروى انه اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة فذلك قوله ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون وعن الحسن ان المراد بهذا التوفي هو وفاة الحشر لانه لا يقال عند قبض الروح في الدنيا ادخلوا الجنة والاولون قالوا البشارة
بالجنة بمنزلة الدخول فيها قوله سبحانه هل ينظرون قيل انه جواب شبهة اخرى لمنكري النبوة فانهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم ملكا من
السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون في تصديق نبوتك الا ان تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك ويحتمل ان يقال
انهم لما طعنوا في القرآن بانه اساطير الاولين واوعدهم الله بما اوعدهم ثم وصف القرآن بكونه حقا وصدقا وذكر جزاء المتقين ثم ذكر ان اولئك الكفار
لا يرجعون عن كفرهم بسبب البيانات التي ذكرناها الا ان تأتيهم الملائكة بالتهديد او لقبض الارواح او يأتيهم امر ربك وهو العذاب المستأصل او القيامة
كذلك فعل الذين من قبلهم فاصابهم الهلاك المعجل وما ظلمهم الله بتدميرهم فانه انزل بهم ما استحقوه بكفرهم فاصابهم سيئات ما عملوا اي
اي جزاء سيئات اعمالهم وهو من باب الطباق والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم اي نزل بهم على وجه الاحاطة عقاب استهزائهم
الشبهة الثالثة لمنكري النبوة انهم تشبثوا بمسألة الجبر فقالوا لو شاء الله ما عبدنا الآية وقد مر تفسير مثلها في آخر سورة الانعام وذكرنا اسرار المشابهة
هناك وكذا استدلال المعتزلة بها وجواب الاشاعرة عنها وزاد بعض الاشاعرة فقالوا ان المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء
كما قال قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد ولو قالوا ذلك معتقدين كانوا مؤمنين وقال آخرون انه سبحانه اجاب عن شبهتهم وهي انه لما كان
الكل من الله كان بعثة الانبياء عبثا بقوله كذلك فعل الذين من قبلهم يعني انهم اعترضوا على احكام الله وطلبوا لها العلة فعل من تقدمهم من
الكفرة فهل على الرسل الا البلاغ المبين اي ما عليهم الا التبليغ فاما تحصيل الايمان فليس اليهم ثم انه اكد هذا المعنى بقوله ولقد بعثنا في
كل امة رسولا الى قوله ومنهم من حقت عليه الضلالة وفيه دلالة على ان امر الله قد لا يوافق ارادته فانه امر الكل بالايمان ولا يريد
الهداية الا للبعض اذ لو ارادها للكل لم يكفر احد وما ينزل العذاب على قوم لكنه كفر ونزل العقوبة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
ثم خصص الخطاب فقال لرسوله ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل لا يرشد احدا اضله قاله ابن عباس وقال الفراء لا يهدي معناه لا يهتدي
ومن قرأ على البناء للمفعول فمعناه لا يقدر انت ولا احد على هداية من اضله الله فلن يكون مهديا منصورا ولا يخفى ان اول الآية ظاهره يوافق
مذهب المعتزلة اما قوله كذلك فعل الذين من قبلهم الى الآيات فانهم قد صاروا فيه الى التأويل فقالوا معناه ان متقدميهم اشركوا
وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم اسندوه الى الله فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله بريء من الظلم وخلق القبائح والمنكرات وما
من امة الا وقد بعث الله فيهم رسولا يأمرهم بالخير الذي هو عبادة الله وينهاهم عن الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله لانه
من اهل اللطف ومنهم من ثبت عليه الحكم لانه عرف مصمما على الكفر والمراد منهم من حكم الله عليه بالاهتداء ومنهم من صار محكوما عليه بالضلال
لظهور ضلاله ومنهم من هداه الله الى الجنة ومنهم من اضله عنها فسيروا في الارض فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني
لا اقدر الشر ولا اشاؤه ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يلطف بمن يخذل
لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث فهذا التفسير للفريقين لاشتمال الآيات مسألة الجبر والقدر على الجهتين وعليك الاختيار بعقلك دون
هواك الشبهة الرابعة قدحهم في الحشر والنشر ليلزم ابطال النبوة وذلك انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم اي غاية الايمان كما مر في المائدة كانهم
ادعوا علما ضروريا بان الشيء اذا فني وصار عدما محضا فانه لا يعود بعينه بل العائد يكون شيئا آخر فاكدوا ادعاءهم بالقسم الغليظ فاجاب
الله عن شبهتهم بقوله بلى وهو اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وقوله وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله تعالى اي وعد
البعث وعدا عليه حقا لا خلاف فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او ان وعد الله حق ثم ذكر لمية حقية البعث فقال ليبين
اي يبعث كل من يموت من المؤمنين والكافرين ليبين لهم الحق الذي اختلفوا فيه بيانا عيانيا لا يشتبه فيه المطيع بالعاصي والمحق بالمبطل والمظلوم
بالظالم والصادق بالكاذب وجوز بعضهم ان يكون قوله ليبين متعلقا بقوله ولقد بعثنا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على
الضلالة قبله مفترين على الله الكذب في ادعاء الشريك له وفي قولهم بمجرد هواهم هذا حلال الله وهذا حرام ثم برهن على امكان البعث بقوله
انما قولنا وهو مبتدأ خبره ان نقول وقد فسرنا مثل هذه الآية في سورة البقرة وذكرنا فيه مباحث عميقة لفظية ومعنوية فلا حاجة الى الاعادة
والغرض انه سبحانه لا مانع له من الايجاد والاعدام ولا يتوقف على شيء الا تعلق الارادة والمشيئة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو اهون من
الابتداء قال في الكشاف ويجوز ان يكون بالنصب عطفا على نقول قلت لا مانع من كونه منصوبا باضمار ان لوقوعه في جواب الامر بعد الفاء وقدم

في البقرة احتج بعض الاشاعرة بالاية على قدم القران قال انه لو كان حادثا لافتقر الى ان يقال له كن ثم الكلام في هذا اللفظ كالكلام في الاول و
تسلسل والجواب بعد تسليم ان هذا النص مثلا وان ثم قوة ان اذا لا يفيد التكرار فلا يلزم في كل ما يحدثه الله تعالى ان يقول له كن وكيف يتصور
ان يكون لفظة كن قديمة والكاف مقدم على النون بزمان محسوس ولو سلم فلا يجوز من قدم لفظة كن قدم القران على ان قوله انما قولنا لشيء اذا
اردناه يقتضي كون القول واقعا بالارادة وما كان كذلك فهو محدث وانه علق القول بكلمة اذا ولا شك انها للاستقبال وكذا قوله ان نقول ثم
ان كلمة كن متقدمة على المكون بزمان واحد والمتقدم على المحدث بزمان يكون محدثا فالمخلص من هذه الدلائل ان الكلام المسموع لا بد ان
يكون محدثا هذا التخليص ما قاله الامام فخر الدين الرازي ولعل لنا فيه نظرا ولما حكى الله سبحانه من الكفار ما حكى من انكار البعث والجزاء وبعد شنعهم
والحالة هذه ايذاء المسلمين وانزال الضرر والهوان بهم وحصل الزمهم ان يهاجروا تلك الديار رغبهم في ثواب المهاجرين قائلا والذين هاجروا في الله
اي في حقه وسبيله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا مثوبة حسنة او مباءة حسنة هي المدينة اواها اهلها ونصروهم قال الحسن الشعبي قتادة
وقيل لننزلنهم منزلة حسنة هي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم بل على العرب قاطبة بل على اهل المشرق والمغرب قال ابن عباس نزلت الاية في جماعة
منهم صهيب وبلال وعمار وخباب جعل المشركون يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فقال صهيب انا رجل كبير ان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم
بماله وهاجر فلما راه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب قال لعمر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اما العائد في قوله لو كانوا يعلمون فاما ان يرجع
الى الكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين خير الدارين لرغبوا في دينهم واما ان يعود الى المهاجرين اي لو علموا ان اجر الاخرة اكبر
لزادوا في اجتهادهم وصبرهم ثم مدحهم بقوله الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون اي هم الذين او اعني الذين والمراد صبرهم على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي
هو حرم الله وعلى المجاهدة في سبيل الله بالنفوس والاموال قال المحققون الصبر حبس النفس على خلاف ما تشتهيه من اللذات العاجلة وهو مبدأ
السلوك والتوكل هو الانقطاع بالكلية عما سوى الحق وهو اخر الطريق والله ولي التوفيق فان العارفين بالصبر ساروا وبالتوكل طاروا وحسبنا الله
ونعم الوكيل

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ
بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ
فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَلَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ
ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ
وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ
عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

القراءة نوحي بالنون حفص غير الخراز الباقون بالياء مجهولا الم تروا بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف تتفيؤ بتاء التانيث ابو عمرو وسهل ويعقوب الاخرون على
الغيبة الوقوف لا تعلمون ه لا لتعلق الباء والزبر ط يتفكرون ه لا يشعرون ه لا للعطف بمعجزين ه لا كذلك على تخوف ط للفصل بين الاستخبار والاخبار رحيم داخرون

ع

ربع

لا يستكبرون ه ما يؤمرون ه سجدة اتفق للابتداء بما تمام اتحاد القائل واحد ج للعدول مع اتفاق فارهبون ه واصبا ط تتقون ه تجأرون ه ج لان ثم
لترتيب الاخبار مع شدة اتصال المعنى يشركون لا لتعلق لام كي ان جعلناها للتعليل ولو جعلناها للاستيناف يعلمون ه رزقناهم ط تفترون ه سبحانه لا لان ما بعده
من جملة مفعول يجعلون وسبحانه معترض للتنزيه يشتهون ه كظيم ج لاحتمال ان ما بعده وصف لكظيم او استيناف بشر به ط لان التقدير متفكرا في نفسه
المسئلة في التراب ط ما يحكمون ه السوء لتضاد الجملتين معنى العطف لفظا الاعلى ط الحكيم ه التفسير الشبهة الخامسة ان قريشا كانوا يقولون الله اعلى واجل
من ان يكون رسوله بشرا فاجاب سبحانه بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا والمراد ان هذه عادة مستمرة من اول زمان الخلق والتكليف وزعم ابو
علي الجبائي انه لم يبعث الى الانبياء الا من هو بصورة الرجال من الملائكة قال القاضي ولعله اراد الملائكة الذين يرسل الى الانبياء بحضرة اممهم كما روي ان
جبرئيل عم كان ياتي في صورة دحية وفي صورة سائل واما في غير حضرة الاممم فان الملائكة قد يبقون على صورتهم الاصلية عند ابلاغ الرسالة
من الله الى نبيه كما روي انه عم راى جبرئيل على صورته التي هو عليها مرتين وعليه تاولوا قوله ولقد رآه نزلة اخرى ثم انهم كانوا مقرين بان اليهود
والنصارى اصحاب العلوم والكتب فامرهم الله ان يرجعوا في هذه المسئلة ليتبين لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها وذلك قوله فاسئلوا
اهل الذكر قال بعض الاصوليين فيه دليل على انه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد اخر فيما اشتبه عليه واحتج نفاة القياس بالاية قالوا لو كان القياس حجة
لما وجب على المكلف السؤال بل كان عليه ان يستنبط ذلك الحكم بواسطة القياس واجيب بانه قد ثبت العمل بالقياس باجماع الصحابة والاجماع اقوى
من ظاهر النص اما قوله بالبينات ففي متعلقه وجوه منها ان يتعلق بارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا وانكر الفراء ذلك قال ان صلة
ما قبل الا لا تتاخر الى ما بعد الا لان المستثنى عنه هو مجموع ما قبل الا مع صلته كما لو قيل ما ارسلنا بالبينات الا رجالا ولما لم يصر هذا
المجموع مذكورا بتمامه امتنع ادخال الاستثناء عليه ومنها ان يتعلق برجالا صفة له اي رجالا متلبسين بالبينات ومنها ان
يتعلق بارسلنا مضمرا نظيره ما مررت الا باخيك ثم تقول بمن مررت بزيد قاله الفراء ومنها ان يتعلق بيوحي اي يوحى اليهم بالبينات ومنها ان يتعلق بالذكر
بناء على انه بمعنى العلم ومنها ان يتعلق بلا تعلمون اي ان كنتم لا تعلمون بالبينات وبالزبر فاسئلوا قال في الكشاف الشرط ههنا في معنى التبكيت والالزام كقول
الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي قلت لاذان عدم علمهم مقرر كما ان عمل الاجير ثابت وسلم جار الله ان مثل قوله فاسئلوا جواب الشرط على
هذا الوجه واما على الوجوه المتقدمة فجزم بانه اعتراض بناء على ان جواب الشرط هو ما دل عليه قوله وما ارسلنا وعندي ان هذا الجزم ليس بحتم ويجوز
على كل الوجوه ان يكون مثل فاسئلوا جوابا والله اعلم واهل الذكر اهل التورية كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يعني التورية وقال الزجاج
سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق وقوله بالبينات والزبر لفظ جامعة لكل ما يتكامل به الرسالة لان مدارها على المعجزات الدالة على صدق من يدعي
الرسالة وهي البينات وعلى التكاليف التي يعتبر في باب العبادة وهي الزبر ثم قال وانزلنا اليك الذكر اي القرآن الذي هو موعظة وتنبيه وتذكير
لاهل الغفلة والنسيان وبين الغاية المترتبة على الانزال وهي تبيين الاحكام والشرائع بالنسبة الى الرسول وارادة التامل والتفكر في المبدأ والمعاد
بالاضافة الى المكلفين وفي ظاهر هذا النص دلالة على ان القرآن كله مجمل ومن ههنا ذهب بعضهم الى انه متى وقع التعارض بين القرآن والخبر وجب
تقديم الخبر لان القرآن مجمل والخبر مبين له واجيب بمنع الكلية فمن القرآن ما هو محكم وقوله لتبين محمول على المتشابهات والمجملات قال بعض من نفى
القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول ان يبين للمكلفين ما انزل الله عليه من الاحكام بل كان له ان يفوض بعضها الى راي القائس واجيب بانه
لما بين ان القياس من جملة الحجج فالقياس ايضا راجع الى بيان الرسول ثم لما ذكر شبهات المنكرين مع اجوبتها شرع في التهديد والوعيد والانذار
النهيية فقال افامن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات اراد اهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبي عني بهذا المكر اشتغالهم بعبادة
غير الله والاقرب ان المراد سعيهم في ايذاء الرسول واصحابه على سبيل الخفية ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب
او ملائكة العذاب من السماء من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين فاختلف المفسرون في هذا التقلب
وجوه منها انه تعالى ياخذهم في اسفارهم ومتاجرهم فانه قادر على ان يهلكهم في السفر كما انه قادر على ان يهلكهم في الحضر وهم لا يفوتون الله بسبب
ضربهم في البلاد البعيدة ومنها انه ياخذهم بالليل والنهار في احوال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وحقيقته في حال تصرفهم في الامور التي
يتصرفون فيها امثالهم ومنها انه اراد في حال ما يتقلبون في قضاء اوطارهم بوجوه الحيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم والتقلب بالمعنى
الاول ماخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد وبالمعنى الثالث من قوله وقلبوا لك الامور او ياخذهم على تخوف على حال تخوفهم
وتوقعهم للبلاء بان يكون قد اهلك قوما قبلهم فكان اثر الخوف بادئا فيهم ظاهرا عليهم فهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل التخوف
التنقص والمعنى انه ياخذهم بطريق التنقص شيئا بعد شيء في ديارهم واموالهم وانفسهم حتى ياتي الفناء على الكل عن عمر انه قال على المنبر ما تقولون
فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا زهير تخوف الرحل
منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن قوله تامكا قردا اي سناما مرتفعا متراكما والسفن ما يحت به الشيء ومنه السفينة لانها تسفن وجه
الماء كما مر في البحر فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ثم ختم الاية بقوله فان ربكم لرؤف
رحيم وقد ذهب المفسرون الى ان معناه انه يمهل في اكثر الامر لانه رؤف رحيم فلا يعجل بالعذاب اقول يحتمل ان يكون قوله فان تعليلا لقوله افامن





كقوله ما غرك بربك الكريم ولما خوف الماكرين بما خوف اتبعه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير احوال العالم العلوي والسفلي وسكانها
فقال أولم يروا الى ما خلق الله قال جار الله ما موصولة مبهمة بيانه من شيء قال اهل المعاني قوله يتفيؤ ظلاله اخبار عن شيء وليس بوصف له وتفيؤ
تفعل من الفيء واصله الرجوع ومنه فيئة المولي وقال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرفت
عنه الشمس والقمر والذي يكون بالغداة ظل وقال ثعلب اخبرت عن ابي عبيدة ان رؤبة قال كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء
وظل وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل وقوله ظلاله اضاف الظلال الى مفرد ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال ووجه حسنه كون المرجوع اليه
واحدا في اللفظ وان كان كثيرا في المعنى وهو قوله الى ما خلق نظيره لتستووا على ظهوره اضاف الظهور وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى واحد
اريد به الكثرة وهو ما تركبون قال الجوهري تفيئت الظلال اي تقلبت وقوله عن اليمين والشمائل قال اهل التفسير ومنهم الفراء انه وحد
اليمين لانه اراد واحدا من ذوات الظلال وجمع الشمائل لانه اراد كلها لان قوله ما خلق الله لفظه مفرد ومعناه جمع وقيل ان العرب اذا ذكرت صيغتي جمع عبرت
عن احدهما بلفظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين النقطة التي هي مشرق الشمس وانها واحدة والشمائل
عبارة عن الانحراف الواقع في تلك الاظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة وانما عبر عن المشرق باليمين لان اقوى جانبي الانسان يمينه ومنه تظهر الحركة
القوية وكذا جانب الشرق فانه اقوى جوانب الفلك ومنه تظهر الحركة اليومية التي هي اسرع الحركات واقواها ويمكن ان يقال ان الانسان اذا توجه الى الشرق الذي
هو اولى الجوانب بالاعتبار لشرفه كان الجنوب يمينه والشمال شماله ولا ريب ان وصول الشمس الى فلك نصف النهار يختلف بحسب البلاد وقد يتفق انتقالها
من الجنوب الى الشمال او بالعكس في بلد واحد واذا كان عرضه ناقصا عن الميل الكلي ومن المعلوم ان الشمس حين وصولها الى نصف النهار ان كانت في
جنوب سمت الرأس وقع ظلها الى جانب الشمال وان كانت شمالية وقع ظلها الى الجنوب فيحتمل ان يراد بتفيؤ الاظلال تنقلها فيما بين الجهتين و
الله اعلم اما قوله سجدا لله فانه حال من الظلال ومعنى سجودها انقيادها لامر الله منتقلة من جانب الى جانب حسب تحرك الشمس على نسب مخصوصة و
مقادير معلومة ذكرنا بعضها في كتبنا النجومية وقد بنى المتأخرون على الاظلال مسائل كثيرة منها الشكل الموسوم بالظلي مع فروعه وذكر بعضهم في
تفسير هذا السجود ان هذه الاظلال واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد وقوله وهم داخرون حال اخرى من الظلال وانما جمع بالواو والنون
لانهم شبهوا العقلاء من حيث طاعتها الله سبحانه وقال جار الله اليمين والشمائل استعارة عن يمين الانسان وشماله اي جانبي الشيء اي ترجع الظلال
من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا يمتنع ولله
يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة قال الاخفش اي من الدواب واخبر بالواحد كما يقول ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال و
قال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض والوجه في تخصيص الدابة والملائكة بالذكر انه علم من بيان الظلال ان الجمادات باسرها منقادة له فبين في هذه
الآية ان الحيوانات باسرها ايضا كذلك وانما عطف عليها الملائكة اما لشرفها واما لانها ليست مما يدب ولكنها تطير بالجناحين وبه التوهين فقال
تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه وعلى قاعدة الحكماء وجه المغايرة انها ارواح مجردة ليست من شأنها الحركة والدبيب قال جار الله
من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا
لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الملائكة وخصهم من بين
الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات الملائكة ويقول فقال ملائكة الارض من الحفظة وغيرهما ثم نبه كما امر شرع سبحانه
في صفة الملائكة وذكر عصمتهم فقال لهم وهم لا يستكبرون يخافون على انه حال منهم او بيان لنفي استكبارهم لان الخوف اثر عدم الاستكبار
وقوله من فوقهم اما ان يتعلق بيخافون والمعنى يخافون ربهم ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم واما ان يكون حالا من الرب اي يخافونه غالبا
قاهرا وبحث الفوقية قد تقدم في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وزعم بعض الطاعنين في عصمة الملائكة انه تعالى وصفهم بالخوف
وحصول الخوف نتيجة تجويز الاقدام على الذنوب وهب انهم فعلوا كل ما امروا به لكن من اين علم انهم تركوا كل ما نهوا عنه والجواب عن الاول انهم انما
يخافون من العذاب لقوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فمن هذا الخوف يتركون الذنب وعن ابن عباس ان هذا الخوف خوف الاجلال
كقوله انما يخشى الله من عباده العلماء ولا ريب انه كلما كانت معرفة جلال الله اتم كانت الهيبة والخيفة اعظم وعن الثاني ان النهي عن الشيء امر بتركه
الآية دالة على ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه ابى واستكبر وانهم لا يستكبرون وقد يستدل بها على ان الملك افضل من البشر لان كل المخلوقات
والا ما خصهم بالذكر من بينها ولخلو بواطنهم وظواهرهم عن الاخلاق الذميمة وانغماس البشر في الدواعي الشهوية والغضبية ولهذا ورد في حقه قتل
الانسان ما اكفره وقال في حقهم ما منا الا من قد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا وقال ابعاضه الشيخ في قومه كالنبي في امته فضل الشيخ على الشاب لتقادم
عهده وطول مدته ولا شك ان الملائكة خلقوا قبل البشر بسنين متطاولة وقرون متمادية وانهم سنوا الطاعة والعبودية ومن سن سنة حسنة
فله اجرها واجر من عمل بها وتمام البحث في هذه المسئلة مذكور في اول سورة البقرة وفي قوله ما يؤمرون دلالة على ان الملائكة مكلفون بالامر
والنهي والوعد والوعيد راجين خائفين ولما بين ان كل ما سواه في عالمي الارواح والاجسام فانه منقاد خاضع لجلاله وكبريائه اتبعه النهي
عن الشرك قائلا وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فسئل ان التثنية والواحد حيث كانا نصين على العدد الخاص فما



الفائدة في وصف الهين باثنين ووصف اله بواحد واجيب بوجوه منها قول صاحب النظم ان فيه تقديما وتاخيرا اي لا تتخذوا اثنين الهين ومنها ان ذكر العبادة لاجل المبالغة في النفير عن اتخاذ الشريك ومنها قول اهل المعاني ان فائدة الوصف والبيان هي ان يعلم ان النهي راجع الى التعدد لا الى الجنسية ولهذا لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد سبق الى الوهم انك تثبت الالهية لا الوحدانية وكيف لا يحتاج المقام الى التوكيد والاثنينية منافية للالهية لاستلزام تعدد الواجب كون كل منهما مركبا من جزئين ما به الاشتراك في الوجوب الذاتي وما به الامتياز ولكن التركيب يوجب الافتقار الى البسائط والافتقار ينافي الوجوب ودليل التمانع ايضا يعين على المطلوب كما لو اراد احدهما تحريك جسم معين واراد الاخر تسكينه اذ لو قوي احدهما على مخالفة الاخر ولا يقوى او قدر احدهما على ان يستر ملكه عن الاخر ولا يقدر ثم نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم على طريقة الالتفات قائلا فاياي فارهبون وقد مر مثله في اول البقرة ثم لما قرر وحدته وانه يجب ان يخص بالرهبة منه والرغبة اليه ذكر ان الكل ملكه وملكه فقال وله ما في السموات وما في الارض فقالت الاشاعرة ليس المراد من كونها لله انها مفعولة لاجله والغرض طاعته لان فيها المباحات والمحظورات التي يؤتى بها لغرض الشهوة واللذة لا لغرض الطاعة فالمراد ان كلها بخليقه وتكوينه ومن جملتها افعال العباد ثم قال وله الدين واصبا قال الدين الطاعة والواصب الدائم ومفازة واصبة بعيدة لا غاية لها ووصب المريض وصب لكون ذلك المرض لازما له والانتصاب على الحال والعامل فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة او الموت الا الحق سبحانه فان طاعته واجبة ابدا ويحتمل ان يكون الدين بمعنى الملك اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب قال بعض المتكلمين المحققين قوله وله ما في السموات والارض اشارة الى احتياج الكل اليه في حال حدوثه وقوله وله الدين اي الانقياد واصبا اشارة الى ان جميع الممكنات مفتقرة الى قبضة وجوده في حال وجوده لانه الصحيح ان الممكن حال بقائه لا يستغني عن المرجح ثم انكر ان يكون الممكن مع شدة افتقاره ليه يخشى غيره فقال افغير الله تتقون ثم من عليهم بقوله وما بكم من نعمة فمن الله ما بمعنى الذي وبكم صلته ومن نعمة بيان من الضمير في الجار او بيان الا وقوله فمن الله خبر وقيل ما شرطية وفعل الشرط محذوف اي ما يكن وقال جار الله معناه اي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله قالت الاشاعرة افضل النعم نعمة الايمان والا يبقى العموم فهو من نعم الله والنعمة اما دينية وهي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لاجل العمل به واما دنيوية نفسانية او بدنية او خارجية كالسعادات المالية وغيرها وكل واحد من هذه جنس تحتها انواع لا حصر لها والكل من الله فعلى العاقل ان لا يشكر الا اياه ثم بين تلون حال الانسان بعد استغراقه في بحار نعم الله قائلا ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون قال جار الله يجوز ان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قيل فاذا فريق كافر هم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اقول والظهر الوجهين الاول والمعنى ان فريقا منكم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر في ان لا يفزع الا الى الله وفريقا يتغير عن حاله فيشرك بالله ولعل هذه صفة لازمة لجوهر الانسان ثم قال ليكفروا كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ويجوز ان يكون لام العاقبة اي تلك التضرعات ما كانت الا لهذا الكفران والمراد بقوله بما آتيناهم كشف الضر وازالة المكروه او القرآن والشرائع او جميع النعم الظاهرة والباطنة التي انعم الله بها على الانسان ثم قال على سبيل التهديد بطريقة الالتفات نظرا الى اول الكلام فتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة كفركم ومثله في الروم كما يجيء واما في العنكبوت فانه قال ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا بالعطف على القياس ثم حكى نوعا آخر من قبائح اعمال بني آدم فقال ويجعلون لما لا يعلمون الضمير الاول للمشركين والثاني قيل لهم وقيل للاصنام التي لا توصف بالعلم والشعور ورجح الاول بان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز وبان جمع السلامة بالعقلاء اليق وقد يرجح الثاني بان الاول يفتقر الى الاضمار كانه قيل ويجعلون لما لا يعلمون في طاعته نفعا ولا في الاعراض عنه ضرا وقال مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون انه يضرهم نصيبا او ويجعلون لما لا يعلمون الهيتها او السبب في صيرورتها معبودة والمراد بجعل النصيب ما مر في الانعام في قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وقيل البحيرة والسائبة والوصيلة والحام عن الحسن وقيل هم المنجمون الذين يوزعون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لزحل كذا وكذا من المعادن والنبات والحيوان وللمشتري كذا الى آخر الكواكب ثم اوعدهم الله بقوله تالله لتسألن عما كنتم تفترون على الله من ان له شريكا وان الاصنام اهل للتقرب اليها مع انه لا شعور لها بشيء اصلا او المراد بالافتراء قولهم هذا حلال وهذا حرام من غير اذن شرعي وقولهم ان لغير الله تاثيرا في هذا العالم وقد يكون هذا السؤال قبل عند القرب من الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر والاقرب انه في الآخرة وهذه هؤلاء الاقوام خاصة كقوله فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون في الام عامة قوله ويجعلون لله البنات نوع آخر من القبائح وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله قال الامام فخر الدين الرازي اظن ان ذلك لان الملائكة يستترون عن العيون كالنساء ومنها اطلاق التانيث على الشمس لاستتارها عن ان يدرك بالابصار لضوءها الباهر ونورها القاهر سبحانه تنزيه لذاته عن نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ومحل ما في قوله ولهم ما يشتهون اما الرفع على الابتداء او النصب اي وجعلوا لهم ما يشتهون يعني البنين لكن الزجاج جوز النصب فقال لا لان العرب تقول جعل له كذا وهو يعني نفسه انما تقول جعل لنفسه كذا فلو كان منصوبا لقيل ولانفسهم ما يشتهون ثم ذكر غاية كراهتهم للاناث التي جعلوها

في قوله وما بكم

النحل

الله تعالى فقال واذا بشّر احدهم بالانثى ظلّ وجهه اى صار مسودّا ويحتمل ان يكون استعمل ظلّ لانّ وضع الحمل يتّفق بالليل غالبا فيظلّ نهاره مسودّا الوجه وهو كظيم مملوّ غمّا وحزنا وغيظا على المرأة قال اهل المعانى جعل اسوداد الوجه وهو كظيم كناية عن الغمّ والكآبة لانّ الانسان اذا قوى فرحه انبسط الروح من قلبه ووصل الى الاطراف ولا سيّما الى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلّق الشديد فاستنار الوجه واشرق واذا قوى غمّه انحصر الروح فى داخل القلب ولم يبق منه اثر قوىّ على الوجه فلذلك يصفرّ ويسودّ يتوارى يستخفى من القوم من سوء ما بشّر به من اجل سوء المبشّر به ولم يظهر لهم ما يحدّث نفسه ويدبّر فيها ماذا يصنع بها ولذلك قوله أيمسكه اى يحبسه على هون ذلّ وهوان والظاهر انّ هذا صفة المولود يمسكها على هوان منه لها وقال عطا عن ابن عبّاس انّه صفة الاب اى يمسكها مع الرضا بهوان نفسه ام يدسّه فى التراب اى يئده والدسّ اخفاء الشىء فى الشىء وتذكير الضمير فى يمسكه ويدسّه باعتبار ما بشّر به كانوا مختلفين فى قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها الى ان يموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل ومنهم من يغرقها ومنهم من يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحميّة واخرى خوفا من الفقر والفاقة ولزوم النفقة وروى انّ رجلا قال يا رسول الله والّذى بعثك بالحقّ ما اجد حلاوة الاسلام وقد كانت لى فى الجاهليّة ابنة وامرت امرأتى ان تزيّنها واخرجتها فلمّا انتهيت الى واد بعيد القعر القيتها فقالت يا ابى قتلتنى فكلّما ذكرت قولها لم ينفعنى شىء فقال (ص) ما فى الجاهليّة فقد هدمه الاسلام وما فى الاسلام يهدمه الاستغفار ولا انّ الانثى الّتى هذا حكمها عندهم كانت فى غاية الكراهة والنفرة ومع ذلك تنسبونها لله المتعالى عن الصاحبة والولد فلذلك قال الا ساء ما يحكمون للّذين لا يؤمنون بالآخرة ولهذا يقدمون على القتل والوأد مثل السوء وصفة السوء وهى الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهم خشية الاملاق والتزام الشحّ البالغ ولله المثل الاعلى وهو اضداد صفات المخلوقين من الغنى الكامل والجود الشامل وهو العزيز الّذى لا يغالب فلا يضطرّ بان ينسب اليه ما لا يليق به الحكيم فى خلق الذكور والاناث وفى الوعيد على قتل البنات قال القاضى انّ هؤلاء المشركين استحقّوا الذمّ بما اضافوا البنات الى الله وانّه اسهل من اضافة الفواحش والقبائح كلّها اليه وهذا شأن المجبرة واجابت الاشاعرة بانّه ليس كلّ ما قبح منّا فى العرف قبح من الله الا ترى انّه لو زيّن اماءه وعبيده وبالغ فى تحسين صورهنّ وتقوية الشهوة فيهم وفيهنّ ثمّ جمع بين الكلّ وازال الحائل والمانع فانّ هذا بالاتّفاق حسن من الله تعالى وقبيح من كلّ الخلق فعلمنا انّ التعويل على هذه الوجوه المبنيّة على العرف انّما يحسن اذا كانت مسبوقة بالدلائل القطعيّة اليقينيّة وقد ثبت بالبراهين القطعيّة امتناع الولد على الله تعالى فلا جرم حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعيّة امّا افعال العباد فقد ثبت بالدلائل اليقينيّة انّ خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الحاق احد الصورتين بالاخرى والله اعلم التأويل ان يخسف الله بهم ارض البشريّة ودركات السفلى او يأتيهم العذاب بالمكر والاستدراج من حيث لا يشعرون انّه من بين ايديهم من قبل الاعمال الدنيويّة او من قبل الاعمال الاخرويّة او يأخذهم فى تقلّبهم من اعمال الدنيا الى اعمال الاخرة بالرياء ومن اعمال الاخرة الى اعمال الدنيا بالهوى او يأخذهم على تخوّف تنقّص من مقاماتهم ودرجاتهم بلا شعورهم فانّ ربّكم لرءوف رحيم بالعباد اذ اعطاهم حسن الاستعداد رحيم حين لا يأخذهم بعد فساد الاستعداد فى الحال لعلّهم يتوبون فى المآل فيقبل توبتهم بالفضل والنوال ما خلق الله من شىء وهو عالم الاجسام فانّ عالم الارواح خلق من لا شىء يتفيّؤ ظلاله فانّ الاجسام ظلال الارواح فتارة تميل بعمل اهل السعادة الى اصحاب اليمين واخرى تميل بعمل اهل الشقاء الى اصحاب الشمال سجّدا لله منقادين لامره مسخّرين لما خلقوا لاجله وانّما وحّد اليمين وجمع الشمال لكثرة اصحاب الشمال وسجود كلّ موجود بما يناسب حاله كما انّ تسبيح كلّ منهم يلائم لسانه وقال الله لا تتّخذوا الهين اثنين اراد بالاله الاخر الهوى لقوله (ص) ما عبد اله ابغض على الله من الهوى ويجعلون يعنى اصحاب النفوس والاهواء لما لا يعلمون لمن لا علم لهم باحوالهم نصيبا بالرياء ممّا رزقناهم من الطاعات تالله لتسئلنّ عمّا كنتم تفترون والسؤال عن المعاملات انّما هو بتبديل الصفات وتغيّر الاحوال من سمة السعادة الى سمة الشقاوة وبالعكس ويجعلون لله البنات اظنّ انّ البنات اشارة الى صفات فيها نوع نقص كالتجسيم والتشبيه والحلول والاتّحاد ونسبته الى الظلم والجور والتعطيل وعدم الاستقلال بالتأثير وغير ذلك ممّا لا يليق بغاية جلاله ونهاية كماله فلهذا قال سبحانه ولهم ما يشتهون يعنى انّ كلّ احد يحبّ ان يوصف بغاية الكمال ويتغيّر وجهه اذا نبّه على عيب فيه ولا يعلم انّ مطلق الكمال لا يليق الّا بالواجب لذاته ونفس الامكان نقصان يستلزم جميع النقصانات

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّٰهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ

و اگر مؤاخذه کند خدا مردم را بستم ایشان نگذارد بر روی زمین هیچ جنبنده و لیکن پس میدارد ایشان را تا وقتی نام برده شده پس چون آید اجل ایشان باز پس نمانند

سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ

ساعتی و پیش نمی افتند و میگردانند از برای خدا آنچه ناخوش میدارند و وصف میکند زبانهای ایشان دروغ را که مر ایشان راست خوبی

أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ۝ تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ

لا جرم مر ایشان راست آتش و ایشان پیش فرستادگانند بخدا که بتحقیق فرستادیم بسوی امتها پیش از تو پس آراسته کرد برای ایشان شیطان کردارهای ایشان را پس او

وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً

دوست ایشان امروز و مر ایشان راست عذابی دردناک و نفرستادیم بر تو کتاب را مگر از برای آنکه بیان کنی مر ایشان را آنکه اختلاف کردند در آن و هدایت و رحمت

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللّٰهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

مر قومی را که میگروند و خدا فرو فرستاد از آسمان آبی پس زنده گردانید بآن زمین را بعد از مردنش بدرستیکه در آن هر آینه آیتی است مر قومی را که میشنوند

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ

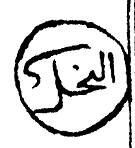
وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ

فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً

لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ

القراءات لا جرم في المد مثل لا ريب فيه مفرطون بكسر الراء المشددة يزيد مفرطون بكسر الراء المخففة نافع وقتيبة الباقون بفتحها مخففة نسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد الآخرون بضمها الوقوف مستعجلون ه للظرف مع الفاء ولا يستقدمون ه الحسنى ط وقيل على تقدير لا جرم وهو تكلف مفرطون ه اليوم فيه ط للعطف على موضع لتبين فقد يروى الانبياء ط وهدى ه يؤمنون ه موتها ط يسمعون ه لعبرة ط لانه لو اشبه ما بعده بالوصف للشاربين ه حسنا ط يعقلون ه يعرشون ه للعطف ذللا ط للعدول للناس ط يتفكرون ه شيئا ط قدير ه التفسير لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين غاية كرمه وسعة رحمته حيث لم يعاجلهم بالعقوبة فقال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الآية فزعم بعض الطاعنين في عصمة الانبياء انه اضاف الظلم الى ضمير الناس والانبياء من جملة الناس فوجب كونهم ظالمين عاصين ويؤكد هذا قوله ما ترك عليها من دابة فانه لولا صدور من الانبياء ذنب لم يكن لافنائهم وجه ورد بصدق انه بقي على الارض واحد والجواب لا نسلم عموم الناس في الآية لقوله سبحانه في موضع آخر فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا ريب ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فاذن المراد بالناس اما كل العصاة الذين استحقوا العقاب والذين تقدم ذكرهم من المشركين واما قوله من دابة فعن ابن عباس انه اراد من مشرك يدب عليها نظيره قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولو سلم ان المراد بها كل من يدب عليها فلعل الهلاك ان في حق الظلمة يكون عذابا وفي غيرهم امتحانا فقد وقعت هذه الواقعة في زمان نوح عليه السلام وايضا من المعلوم انه لا احد الا وفي آبائه من يستحق العذاب فلو اهلكوا لبطل نسلهم ولادى الى فناء الناس بل الدواب كلها لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم عن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم وقيل لو يؤاخذهم لانقطع القطر وفي انقطاعه انقطاع النبت وفي انقطاع النبت فناء الدواب لمثبت المعتزلة في الآية دلالة على ان الظلم والمعاصي ليست من افعال الله تعالى والا لم يؤاخذهم بها فرضا ولم يضف الظلم اليهم ولم يذمهم على ذلك ثم في قوله بظلمهم دليل على ان الظلم هو المؤثر في العقاب فان الباء للعلية وجواب الاشاعرة معلوم وهو انه لا يسئل عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم والدواعي ووجوب انتهاء الكل اليه قال بعض الاصوليين الاصل في المضار الحرمة لان الضرر لا يجوز ان يكون مشروعا ابتداء بالاجماع ولقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار في الاسلام ملعون من ضار مسلما ولا ان يكون مشروعا على وجه يكون جزاء عن جرم سابق بهذه الآية لان كلمة لو وضعت لانتفاء الشيء لانتفاء غيره فالآية تقتضي انه تعالى ما اخذ الناس بظلمهم وانه ترك على ظهرها دابة كما هو المشاهد اذا ثبت هذا الاصل فنقول اذا وقعت حادثة مشتملة على الضرر فان وجدنا نصا على كونها مشروعة قضينا به تقديما للخاص على العام والا قضينا عليها بالحرمة بناء على هذا الاصل ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون الضرر مشروعا على وجه يقع جزاء عن جرم سابق والآية لا تنافي ذلك لانها لا تدل الا على انه سبحانه لا يؤاخذ بكل ظلم اما على انه لا يؤاخذ ببعض انواع الظلم فلا دليل قوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ومنهم من قال بناء على القاعدة المذكورة ان كل ما يريده الانسان وجب ان يكون مشروعا في حقه لان المنع منه ضرر والضرر غير مشروع وكل ما يكرهه الانسان لزم ان يكون محرما لان وجوده ضرر وانه غير مشروع فالذي يتمسك به في اثبات الاحكام من القياس اما ان يكون على وفق هذه القاعدة او على خلافها والاول باطل لان هذا الاصل يغني عنه وكذا الثاني لان النص راجح على القياس ولقائل ان يقول توارد الادلة على المدلول الواحد غير ممتنع اما قوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فعن ابن عباس في رواية عطاء انه يريد اجل القيامة لان معظم العذاب يوافيهم يومئذ وقيل اراد منتهى العمر لان المشركين يؤاخذون بالذنوب اذا خرجوا من الدنيا وباقي الآية قد مر تفسيرها في اوائل سورة الاعراف واعلم انه سبحانه قال في هذه السورة ما ترك عليها من دابة وفي سورة الملائكة ما ترك على ظهرها فالهاء كناية عن الارض ولم يتقدم ذكرها ههنا والعرب يجوز ذلك في كلمات لحصولها في بديهة كل متكلم وسامع منها الارض والسماء فلان افضل من عليها واكرم من تحتها ومنها الغداة تقول انها اليوم البارحة ومنها الاصابع يقولون والذي شقهن خمسا



من واحد يعني الاصابع من اليد وانما لم يذكر الظهر في هذه السورة لئلا يلتبس بظهر الدابة فكثيرا ما يستعمل الظهر بمعنى الدابة بخلاف سورة الملائكة
فانه قد تقدم ذكر الارض في قوله أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ وفي قوله وَلَا فِي الْأَرْضِ فلم يكن ملتبسا ويمكن ان يقال لما قال ههنا بظلمهم لم يهمل على ظهرها وحين
قال هنالك بما كسبوا فان لم يظهرها احترازا عن الجمع بين الظائين لانها تثقل في الكلام وليست لامة من الامم سوى العرب فلم يجمع بينهما في شطر بيت واحد
ثم عاد الى حكاية كلماتهم الحمقاء فقال وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ لانفسهم من البنات ولا يبعد ان يندرج فيه سائر ما يكرهون من الشركاء في
الرياسة ومن الاستخفاف والتهاون برسلهم ورسالاتهم وانهم يجعلون ارذل اموالهم لله واكرمها للاصنام عن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار
كيف يكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا
ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف ثم قال وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ قال الفراء والزجاج بدل منه
قوله أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى عن مجاهد ان الحسنى البنون لان قريشا يقولون لله البنات ولنا البنون وقال غيره هي الجنة اي انهم مع جعلهم لله ما يكرهون
يحكمون لانفسهم بالجنة والثواب من الله وانهم يفوزون برضوان الله بسبب هذا القول زعما منهم انهم على الدين الحق والمذهب الحسن ثم كيف
يحكمون بذلك وكانوا منكرين القيامة الجواب انه كان فيهم من يقر بالبعث ولذلك كانوا يربطون البعير على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ضنا
منهم ان الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه ويعتقد انهم كانوا منكرين فلعلهم قالوا ان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوى الحشر والقيامة فانه يحصل
لنا الجنة والثواب بسبب هذا الدين الحق الذي نحن عليه نظيره وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى ومن الناس من رجح هذا القول لانه تعالى رد
عليهم بعد ذلك بقوله لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ قال الزجاج لا رد لقولهم اي الامر كما وصفوا جرم اي كسب ذلك القول أَنَّ لَهُمُ النَّارَ فان مع ما بعده
في محل النصب لوقوع الكسب عليه وقال قطرب ان في موضع رفع والمعنى حق بان لهم النار وانهم مفرطون من قرأ بكسر الراء المخففة فهو من
الافراط في المعاصي وفي الافتراء على الله وجوز ابو علي الفارسي ان يكون من افرط اي صار ذا فرط مثل اجرب اي صار ذا جرب ومن قرأ بفتحها مخففة
فهو من افرطته فلا تخلف اي خلفته ونسيته فالمعنى انهم متروكون في النار منسيون ومن قرأ بكسر الراء المشددة فهو من التفريط في الطاعات ومن
قرأ بفتح المشددة من فرطته في طلب الماء اذا قدمته وجاء افرطته بمعناه ايضا فالمراد انهم يقدمون الى النار معجلون اليها ثم بين سبحانه ان مثل
صنيع قريش قد صدر عن سائر الامم فقال تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ اي رسلا فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ قالت المعتزلة لو كان
خالق الاعمال هو الله تعالى فما معنى تزيين الشيطان ومن اين يتوجه عليه اللوم وان خالق ذلك العمل اجدر بان يكون وليا لهم من الداعي
اليه واجيب بان الوسائط معتبرة وانتهاء الكل اليه ضروري قال جار الله فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان
اعمالهم فيها والمراد فهو وليهم اي قرينهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا او اليوم هو عبارة عن يوم الآخرة الذي يعذبون فيه
في النار فهو حكاية للحال الآتية واولى الناصر اي فهو ناصرهم يوم القيامة فقط والمراد نفي الناصر عنهم على ابلغ الوجوه لان الشيطان لا ينصرهم
منه النصر اصلا واذا كان الناصر محصورا فيه لزم ان لا ناصر بالضرورة قال ويجوز ان يرجع الضمير في وليهم الى مشركي قريش وانه زين للكفار
قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم ثم ذكر سبحانه انه ما اهلك من هلك الا بعد
اقامة الحجة وازاحة العلة فقال وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ كالشرك والتوحيد والجبر والقدر والاقرار بالبعث والانكار
له وكتحريم الاشياء المحللة كالبحيرة والسائبة وتحليل الاشياء المحرمة كالميتة والدم وَهُدًى وَرَحْمَةً انتصبا على انهما مفعول لهما ولا حاجة الى اللام
لانهما فعلا فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين فانه فعل المخاطب لا فعل المنزل ولهذا دخل عليه اللام قال الكعبي وصف القرآن بكونه هدى ورحمة
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لا ينافي كونه كذلك في حق الكل وخص المؤمنون بالذكر من حيث انهم قبلوه وانتفعوا ولما امتد الكلام في وعيد الكفار عاد الى تقرير الالهيات
فقال وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وفي العنكبوت مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لان هنالك سؤال تقرير والتقرير يحتاج الى التحقيق
فقيد الظرف بمن للاستيعاب وايضا حذف من في هذه السورة موافقة لقوله عما قريب لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وانما حذف من هنا بخلاف ما في
الحج لانه اجمل الكلام في هذه السورة فقال وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وفصل في الحج فقال خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ فاقتضى الايجاز الحذف والاطناب
الاثبات إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سماع تأمل وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكأنه اصم ثم استدل بعجائب احوال الحيوانات فقال وَإِنَّ
لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ وفي سورة المؤمنين مِمَّا فِي بُطُونِهَا ذكر النحويون ان الانعام من جملة الكلمات التي لفظها مفرد
ومعناها جمع كالرهط والقوم والنعم فجاز تذكيره حملا على اللفظ وتأنيثه حملا على المعنى قال المبرد هذا شائع في القرآن قال تعالى فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ
بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي بمعنى هذا الشيء الطالع وقال إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ اي ذكر هذا الشيء وعد سيبويه الانعام في الاسماء المفردة
الواردة على افعال وجوز في الكشاف ان يكون تأنيثه على انه تكسير نعم وقيل ان الانعام ههنا بمعنى النعم لان الالف واللام يلحق الآحاد بالجمع والجمع
بالآحاد قلت ما ذكروه لا يتحسن لانه لا يقع جوابا عن التخصيص ولعل السر فيه ان الضمير في هذه السورة يعود الى البعض وهو الاناث لان اللبن لا يكون
للكل فالتقدير وان لكم في بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه واما في المؤمنين فانه لما عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو
قوله وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا لم يحتمل ان يكون المراد به البعض فانث ليكون نصا على ان المراد بها الكل روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن

عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا واعلاه دما واوسطه لبنا خالصا فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذلك هو قوله تعالى مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا لا يشوبه الدم ولا الفرث وانكر الاطباء هذا القول لانه على خلاف الحس والتجربة اما الحس فلان الانعام تذبح ذبحا متواليا ولا يرى في كرشها دم ولا لبن واما التجربة فلان الدم لو كان في اعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قاء ان يقيء الدم وليس كذلك بل الحق ان الحيوان اذا تناول العلف حصل له في معدته او كرشه هضم اول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم الذي يحصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضرع عروق كثيرة فينصب الدم في تلك العروق الى الضرع وهو لحم غددي رخو ابيض فيقلبه الله تعالى الدم هناك الى صورة اللبن وانما اختص هذا المعنى بالحيوان الانثى لان الحكمة الالهية اقتضت تدبير كل شيء على الوجه اللائق به والذكر من كل حيوان اسخن واخف والانثى ابرد وارطب لان بدن الانثى يحتاج الى مزيد رطوبة ليصير مادة لتولد الولد ويتسع بدنها له ثم ان تلك الرطوبات التي كانت تصير مادة لازدياد بدن الجنين حين كان في الرحم ينصب بعد انفصال الجنين الى الثدي ليصير مادة لغذاء الطفل واعلم انه تعالى خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثقل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء او شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا الى ان تكمل انهضامه في المعدة وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثقل هناك ثم ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل فهذا الانطباق والانفتاح بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتأتى الا بتقدير الفاعل الحكيم وايضا انه اودع في الكبد قوة جاذبة للاجزاء اللطيفة التي في ذلك الماكول والمشروب طابخة لها حتى ينقلب دما دون الاجزاء الكثيفة وفي المعدة بالعكس واودع في المرارة قوة جاذبة لزيادة المائية وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بفعله الخاص به لا يمكن الا بتدبير العليم الخبير وكذا الكلام في انصباب مادة اللبن الى الثدي في وقت يحتاج الطفل الى الغذاء وتوزيعها على جميع البدن في غير ذلك الوقت ثم انه تعالى احدث في حلمة الثدي ثقوبا صغيرة يخرج اللبن الخالص منها وقت المص والحلب فهي بمنزلة المصفاة للبن يخرج اللطيف منها ويبقى الكثيف فبهذا الطريق يصير خالصا سائغا للشاربين اي سهل المرور في الحلق حتى قيل انه لم يغص احد باللبن قط ومن عجائب حال اللبن اجتماع اجسام مختلفة مع انها واحدة في الحس فمنها الدهن وهو حار رطب ومنها الاجزاء المائية وهي باردة رطبة ومنها الجبن وهو بارد يابس وكلها حاصلة من عشب واحد ثم انه تعالى الهم الطفل الصغير مص الثدي عند انفصاله من الام وكل ذلك يدل على عناية كاملة ورحمة شاملة وقدرة باهرة قال المحققون في تقليب العشب في هذه الاطوار الى ان يصير لبنا خالصا سائغا دليل على انه تعالى قادر على تقليب الانسان في اطواره الى ان يصير مستعدا للبقاء الابدي واللقاء السرمدي قال جار الله من في قوله مما في بطونه للتبعيض ومن في قوله من بين فرث لابتداء الغاية فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض وجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين كذا وكذا وانما قدم لانه موضع العبرة فهو جدير بالتقديم قال المشايخ ليس بمستنكر ان يسلك المني مسلك البول وهو طاهر كما يخرج اللبن من بين الفرث والدم طاهرا اما قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب اي ومن الاعناب فاما ان يتعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اذا عطف وحذف لدلالة ما تقدم عليه فيكون قوله تتخذون منه بيانا وكشفا عن كنه حقيقة الاسقاء واما ان يتعلق بتتخذون فيكون قوله منه تكريرا للظرف لاجل التاكيد نظيره قولك زيد في الدار فيها وانما ذكر الضمير في منه لانه يعود الى المذكور او الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كانه قيل ومن عصير ثمرات النخيل ومن عصير الاعناب تتخذون منه واحتمل ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا الا ملك فالتقدير ومن ثمرات النخيل ومن الاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر وهو الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وعلى هذا التفسير ففي الاية قولان احدهما ويروى عن الشعبي والنخعي انها منسوخة فان السورة مكية وتحريم الخمر نزل في المائدة وهي مدنية وثانيهما انها جامعة بين العتاب والمنة وذكر المنفعة لا ينافي الحرمة على ان في الاية تنبيها على الحرمة ايضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب ان السكر لا يكون رزقا حسنا الا بحسب الشهوة بل بحسب الشريعة هذا ما عليه الاكثرون وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر واحتج بالاية لانها تدل على ان السكر حلال لانه تعالى ذكره في معرض الانعام والمنة ودل الحديث على ان الخمر حرام لعينها وهذا يقتضي ان يكون السكر شيئا غير الخمر وكل من اثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ ويحكى عن ابي علي الجبائي انه صنف كتابا في تحليل النبيذ فلما اخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته ايدي الشيطان فيفتح عندي في المروات ولا انا اوقيل السكر الطعم قاله ابو عبيدة وقيل السكر والرزق الحسن واحد كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ومن عجيب احوال الحيوان حال النحل المناسب عسلها والتسبب للبن في موافقة اللذة في الخروج من البطن فلذلك اردفها بالذكر عقيب ذلك قائلا واوحى ربك بالهام او بالتسخير الى النحل اي الهمها وعلمها على وجه هو اعلم به ولا شك في غريب امرها وعجيب صنعها ان يطلق عليه لفظ الايحاء وذلك انها تبني البيوت المسدسة من الاضلاع المتساوية التي لا يمكن للعقلاء تركيب مثلها الا بالمساطر والفرجارات وقد علم من الهندسة ان



تلك البيوت لو كانت مشكلة بما سوى المسدسات فلا بد أن يبقى بالضرورة فيما بينها فرج خالية ضائعة فاهتدى ذلك الحيوان الضعيف إلى هذه الحكمة
اللطيفة من الأعاجيب ومن غرائب أمرها أن لها رئيسا هو أعظم جثة من الباقين وهم يخدمونه ويتبعون بحكم أمره ومنها أنها إذا نفرت عن
وكرها ذهبت مع الجمعية إلى موضع آخر فإذا أرادوا عودها إلى وكرها ضربوا الطبول والملاهي وآلات الموسيقى وبواسطة تلك الألحان يقدرون
على ردها إلى أوكارها وبالجملة فإن غرائب هذا الحيوان أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تخفى والغرض أن امتياز هذا الحيوان بهذه الخواص
العجيبة الدالة على الذكاء والكياسة حالة شبيهة بالوحي بمعنى الإلهام قال الزجاج يجوز أن يقال سميت نحلا لأن الله تعالى نحل الناس العسل بواسطتها
وهي مؤنثة في لغة أهل الحجاز ولذلك قال تعالى أن اتخذي وهي أن المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول ومعنى من في قوله من الجبال بيوتا ومن
الشجر ومما يعرشون أي يبنون ويرفعون التبعيضية لأنها لا تبني بيوتا في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولكنها تبني في مساكن توافقها وتليق
بها وأكثر ما يتعهدها الناس ويصلح أحوالها ثم كلي من كل الثمرات أي بعضا من كل ثمرة تشتهيها فإذا أكلتها فاسلكي سبل ربك أي الطرق التي
ألهمك في عمل العسل [illegible] ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لأن الله ذللها لها وسهلها عليها أو من الضمير في فاسلكي أي وأنت ذلك منقادة
لما أمرت به غير ممتنعة أو المراد فاسلكي ما أكلت في سبل ربك أي مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا وهي أجوافك ومنافذ
مأكلك وأراد أنك إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي راجعة إلى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد يحكى
أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر إلى البلد البعيد في طلب النجعة ويجوز أن يريد بقوله ثم كلي اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها
سبل ربك واعلم أن ظاهر قوله أن اتخذي ثم كلي فاسلكي أمر ومن الناس من قال لا يبعد أن يكون لهذه الحيوانات عقول يتوجه بها عليها
من الله أمر ونهي ومنهم من أنكر ذلك وقال المراد أنه سبحانه خلق فيها غرائز وطبائع توجب هذه الأحوال وتمام الكلام فيه سيجيء في سورة النمل أما حدوث
العسل من النحل فلا يصح عند الأطباء أن الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث في الهواء طل لطيف في الليالي ويقع على أوراق الأشجار فقد
يكون كثيرا يجتمع منها أجزاء محسوسة وهي الترنجبين ونحوه وقد يكون قليلا متفرقا على الأوراق والأزهار وهو الذي ألهم الله تعالى هذا النحل فيلتقط
تلك الذرات بأفواهها وتأكلها وتغتذي بها فإذا شبعت التقطت مرة أخرى وذهبت بها ووضعتها في بيوتها ادخارا لنفسها فإذا اجتمع
في بيوتها شيء محسوس من تلك الأجزاء الطلية فذلك هو العسل ولا يبعد أن يحصل لتلك الأجزاء في أفواهها نوع هضم وتغير ونضج فيها
فلذلك قال يخرج من بطونها أي من أفواهها ومن الناس من زعم أن النحل تأكل من الأزهار الطيبة والأوراق العطرة شيئا ثم إنه تعالى تقلب
تلك الأجسام في داخل بدنها عسلا ثم إنها تقيء مرة أخرى فذلك هو العسل قال العقلاء والقول الأول أقرب إلى التجربة والقياس فإن طبيعة الترنجبين
قريبة من العسل في الطعم والشكل ولا شك أنه طل يحدث في الهواء ويقع على أطراف الأشجار والأزهار فكذا العسل وأيضا النحل إنما تغتذي
بالعسل ولهذا يترك منه بقية في بيوتها بعد الاشتيار ولكن قوله تعالى يخرج من بطونها شراب أي ما يشرب يعضد القول الثاني وقوله مختلفا
ألوانه أي منه أبيض وأصفر وأحمر وأسود بحسب اختلاف الأماكن وأمزجة النحل واختلاف الأزهار والأعشاب التي ترعى فيها ثم وصفه بقوله فيه
شفاء للناس لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة وقلما يقع في أكثر المعاجين وتنكير شفاء لتعظيم الشفاء الذي فيها أو لأن بعض
الشفاء فإن كل دواء كذلك وعن النبي ص أن رجلا جاء إليه فقال إن أخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما
نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كأنما أنشط من عقال قال أهل المعاني إنه ص كان عالما
بأنه سيظهر نفعه فلهذا قال كذب بطن أخيك حين لم يظهر النفع في الحال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور
فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل واعلم أنه سبحانه ختم الآية الأولى بقوله لقوم يسمعون لأن إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بسببه أمر مشاهد
محسوس فمنكر ذلك فاقد الحس وإنما خص بالذكر حس السمع لأن لفظ القرآن المنبه على الآية مسموع منه وختم الآية الثانية بالعقل لأنه يحتاج إلى نوع تدبر
فالمعرض عنه فاقد العقل دون الحس وختم الثالثة بالتفكر لأن أمر النحل وقصتها العجيبة من انقيادها لأميرها واتخاذها البيوت على أشكال يعجز
عنها الحاذق منا ثم تتبعها الزهر والطل ثم خروج ذلك من بطونها لعابا أو قيئا يقتضي فكرة بليغة ولما ذكر بعض عجائب أحوال الحيوان أتبعه عجائب خلق
الإنسان فقال والله خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفاكم عند انقضاء آجالكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر أي أخسه وأحقره عن علي رض خمس
وسبعون سنة وعن قتادة تسعون سنة وقال السدي هو حالة الخرف لكيلا يعلم بعد علم شيئا أي ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفل
في النسيان وعدم الذكر وقيل لئلا يعقل بعد عقله الأول شيئا أو لا يعلم زيادة علم على علمه وقيل إن الرد إلى أرذل العمر ليس في المسلمين والمسلم
لا يزداد بسبب العمر إلا كرامة على الله تعالى ونظير الآية قوله ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات واعلم أن العقلاء ضبطوا مراتب
عمر الإنسان في أربع أولها سن النشوء والنماء وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط الخفي اليسير وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط
الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكر الأطباء وأصحاب الطبيعيات أن بدن الإنسان مخلوق من المني ومن دم الطمث وهما جوهران حاران رطبان والحرارة إذا
عملت في الجسم الرطب قللت رطوبته فلا يزال ما في هذين الجوهرين من قوة الحرارة يقلل ما في العضو من الرطوبة حتى يتصلب ويظهر العظم و
الغضروف والعصب والوتر والرباط وسائر الأعضاء فإذا تم تكون البدن وكمل بعد ذلك ينفصل الجنين من رحم الأم وتكون رطوبته البدن بعد

زائدة على حوارته فيكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وهو سن النمو وغايته الى ثلاثين سنة ثم تصير رطوبات البدن اقل ويكون وافية
بحفظ الحرارة الغريزية الاصلية الا انها لا يكون زائدة على هذا القدر وهو سن الوقوف والشباب وغايته خمس سنين وبها يتم الاربعون ثم تقل
الرطوبات بحيث لا يكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية ويظهر النقصان قليلا الى ستين سنة وهي سن الكهولة ثم يظهر جدا الى تمام مائة وعشرين سنة
قال المتكلمون هذا التعليل ضعيف لان رطوبات البدن في حال كونه منيا كانت كثيرة ولذلك كانت الحرارة الغريزية مغمورة ثم انها مع ذلك
كانت قوية على تحليل اكثر الرطوبات حتى نقلتها من حد الدموية والمنوية الى ان صارت عظما وعصبا وغضروفا ورباطا فعند ما تولدت الاعضاء
وكمل البدن وقلت الرطوبات وجب ان تقوى الحرارة الغريزية قوة ازيد مما كانت قبل ذلك فوجب ان يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن
وكماله اكثر من تحليلها قبل تولد البدن وليس الامر كذلك لانه قبل تولد البدن انتقل جسم الدم والمني الى ان صار عظاما وعصبا اما بعد تولد البدن
فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر عشيره فعلمنا ان البدن انما يتولد بتدبير قادر حكيم لا لاجل ما قالوه وبوجه آخر الحرارة الحاصلة في بدن
الانسان الكامل الغريزية اما ان يكون هي عين ما كان حاصلا في جوهر النطفة او صارت ازيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزي الحاصل
في جوهر النطفة كان بمقدار جرم النطفة فاذا كبر البدن وجب ان لا يظهر منه في هذا البدن تاثير اصلا واما الثاني ففيه تسليم ان الحرارة تتزايد
بحسب تزايد الجثة ولا ريب ان تزايدها يوجب تزايد القوة والصحة ساعة فساعة فيلزم ان لا ينهدم البدن الحيواني ابدا وليس كذلك وبوجه
ثالث هب ان الرطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب ان تصير اقل مما كانت حتى ينتقل الانسان من سن الشباب
الى سن النقصان فان قالوا السبب فيه انه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة الغريزية بعد ذلك تؤثر في تجفيف الرطوبة الغريزية فتقل الرطوبات الغريزية
حتى صارت بحيث لا تفي بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحال ضعفت الحرارة الغريزية ايضا لان الرطوبات الغريزية كالغذاء للحرارة
الغريزية فاذا قل الغذاء ضعف المغتذي فينتهي الامر الى ان لا يبقى من الرطوبة شيء لان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها
فتنطفئ توجب ضعف الحرارة الغريزية فيلزم من ضعف احدهما ضعف الآخر فتنطفئ الحرارة ايضا ويحصل الموت واورد عليهم ان الحرارة اذا اثرت في تجفيف
الرطوبة وقلتها فلم لا يجوز ان يورد القوة الغاذية بدلها فاجابوا بان القوة الغاذية لا تفي بايراد البدل قال الامام فخر الدين الرازي رادا عليهم ان
القوة الغاذية انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وذلك ثم وانما يكون الحرارة الغريزية ضعيفة ان لو قلت الرطوبة الغريزية
وانما يحصل هذه القلة اذا عجزت الغاذية عن ايراد البدل وهذا دور محال فيثبت ان اسناد هذه الاحوال الى الطبائع والقوى غير ممكن فيتعين
اسنادها الى القادر المختار الحكيم ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم قدير يعلم مقادير المصالح والمفاسد ويقدر على تحصيلها كما يريد واما
الطبيعة فجاهلة عاجزة قلت لا شك ان نسبة هذه الامور الى مجرد الطبيعة كفر وجهل لانها ليست واجبة الوجود بالاتفاق ولكن انكار القوى و
الطبائع ايضا بعيد عن الانصاف والحق انها وسائط وآلات لما فوقها من المبادي والعلل الى ان ينتهي الامر الى مسبب الاسباب ومبدأ الكل وقد
ثبت عند الحكيم ان كل قوة جسمانية فانها متناهية الاثر فلا محالة تعجز القوة الغاذية آخر الامر عن ايراد بدل ما يتحلل فيحل الاجل بتقدير العليم القدير
التأويل ولو يؤاخذ الله النفوس الناسية بما ظلمت على القلوب والارواح ما ترك على ارض البشرية من صفة من صفات الحيوانية ولكن
يؤخرهم الى اجلهم وافناء صفات النفس بصفاء القلب والروح في حينه واوانه ولهم يؤخر اهل الشقاء الى اوان العكس من ذلك ويجعلون لله
ما يكرهون اي يعاملون الله باعمال ما يكرهون ان يعاملهم بها غيرهم وتسول لهم انفسهم ان تلك المعاملة حسنة والله انزل من سماء العزة
مله بيان القران فاحيا به ارض قلوب الامم بكم بعد موتها باختلافهم على انبيائهم ان في ذلك لآية لقوم يسمعون كلام الله من الله وان لكم
في الانعام النفوس لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث الخاطر الشيطاني ودم الخاطر النفساني لبنا خالصا من الالهام الرباني سائغا
للشاربين جائزا لاهل هذا المشرب ومن ثمرات نخيل الطاعات واعناب المجاهدات تتخذون منه سكرا هو ما يحصل منها شرب النفس
فتسكر النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تظهر رعوناتها بالافعال والاحوال رياء وسمعة وشهوة
ورزقا حسنا ما يكون منه شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب شعر شربت الحب كأسا بعد كاس : فما نفد
الشراب وما رويت : واوحى ربك الى النحل اشارة الى حال السالك ان اتخذي من الجبال بيوتا اراد الاعتزال عن الخلق والتبتل
الى الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء اسبوعا واسبوعين وشهرا ولابد ان يتنظف كما ان النحل يحترز عن التلوث وفيه ان نحل الارواح
اتخذت من جبال النفوس بيوتا ومن شجر القلوب ومما يعرشون من الاسرار ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك نظيره قوله كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا فثمرات البدن الاعمال الصالحات وثمرات النفوس الرياضات ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا والتوجه الى
المولى وثمرات الاسرار شواهد الحق والتطلع على الغيوب والتقرب الى الله وهذه كلها اغذية نحل الارواح فانها بقوة هذه الاغذية تسلك
السبل الى ان تصل الى مقعد الصدق عند مليك مقتدر فيكون غذاؤها مكاشفات الحق ومشاهداته فتبيت عند ربها يطعمها ويسقيها فيخرج من بطونها شراب
الحكم والمواعظ مختلف الالوان من المعاني والاسرار والدقائق والحقائق فيه شفاء للقلوب الناسية القاسية عن ذكر الله والله خلقكم اخرجكم من العدم الى الوجود
ثم يتوفيكم عن الوجود المجازي ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو مقام الفناء في الله لكيلا يعلم بعد علم شيئا [illegible] والله اعلم بالصواب

وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِيْنَ فُضِّلُوْا بِرَادِّيْ رِزْقِهِمْ عَلٰى مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيْهِ سَوَاءٌ

و خدا افزونی داد شما را بر بعضی در روزی پس نیستند آنکه افزونی داده شدند برگردانند روزی خود برآنچه مالک شد دستهای ایشان پس ایشان در آن برابر

اَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُوْنَ وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا وَّجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ اَزْوَاجِكُمْ بَنِيْنَ وَحَفَدَةً وَّرَزَقَكُمْ

پس آیا بنعمت خدا انکار میکنند و خدا گردانید برای شما از جنس شما جفتها و گردانید برای شما از جفتهای شما پسرها و نوادگان و روزی داد شما را

مِّنَ الطَّيِّبَاتِ اَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُوْنَ وَبِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُوْنَ وَيَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا

از پاکیزها آیا پس بباطل میگروند و بنعمت خدا ایشان کفران میورزند و میپرستند از غیر خدا آنچه مالک نمیباشد برای ایشان روزی

مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ شَيْئًا وَّلَا يَسْتَطِيْعُوْنَ فَلَا تَضْرِبُوْا لِلّٰهِ الْاَمْثَالَ اِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَاَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ ضَرَبَ اللهُ

از آسمان و زمین چیزی را و توانائی ندارند پس مزنید برای خدا مثلها را هرآینه خدا میداند و شما نمیدانید بیان کرد خدا

مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوْكًا لَّا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ وَّمَنْ رَّزَقْنٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَّجَهْرًا هَلْ يَسْتَوٗنَ

مثل بنده مملوک که قادر نیست بر چیزی و کسیکه روزی دادیم او را از خود روزی خوب پس او انفاق میکند از او پنهان و آشکارا آیا برابر شوند

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ اَحَدُهُمَا اَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ وَّهُوَ كَلٌّ عَلٰى

ستایش مر خدا را بلکه بیشترین ایشان نمیدانند و زد خدا مثل دو مرد یکی از آن دو گنگ است که قادر نیست بر چیزی و او گرانست بر

مَوْلٰىهُ اَيْنَمَا يُوَجِّهْهُّ لَا يَاْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِيْ هُوَ وَمَنْ يَّاْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ وَلِلّٰهِ

صاحبش هر کجا که متوجه میکند او را نمی آید بخیری آیا یکسانست او و کسیکه میفرماید بعدالت و او است بر راه راست و مر خدا راست

غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا اَمْرُ السَّاعَةِ اِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ اَوْ هُوَ اَقْرَبُ اِنَّ اللهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ وَاللهُ

نهانهای آسمانها و زمین و نیست کار قیامت مگر چون نظر انداختن چشم یا آن نزدیکتر است هرآینه خدا بر همه چیز توانا است و خدا

اَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُوْنِ اُمَّهٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ شَيْئًا وَّجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ وَالْاَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ

بیرون آورد شما را از شکمهای مادران شما که نمیدانستید چیزی را و گردانید برای شما گوش و دیدها و دلها تا شاید شما شاکر شوید

اَلَمْ يَرَوْا اِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرٰتٍ فِيْ جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ اِلَّا اللهُ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ وَاللهُ جَعَلَ

آیا ندیدند بسوی مرغان رام شدگان در میان آسمان نگاه نمیدارد ایشان را مگر خدا هرآینه در این نشانهاست برای گروهی که ایمان میآرند و خدا گردانید

لَكُمْ مِّنْ بُيُوْتِكُمْ سَكَنًا وَّجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُوْدِ الْاَنْعَامِ بُيُوْتًا تَسْتَخِفُّوْنَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ اِقَامَتِكُمْ وَمِنْ

برای شما از خانهای شما آرامگاه و گردانید برای شما از پوستهای چهارپایان خانها که سبک میشمارید آنها را روز کوچ شما و روز اقامت شما و از

اَصْوَافِهَا وَاَوْبَارِهَا وَاَشْعَارِهَا اَثَاثًا وَّمَتَاعًا اِلٰى حِيْنٍ وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَقَ ظِلٰلًا وَّ

پشمهای آنها و کرکهای آنها و مویهای آنها اسباب خانه و بهره تا مدتی و خدا گردانید برای شما از آنچه آفرید سایها و

جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْجِبَالِ اَكْنَانًا وَّجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيْلَ تَقِيْكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيْلَ تَقِيْكُمْ بَاْسَكُمْ كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهٗ

گردانید برای شما از کوهها خانهای پنهان و گردانید برای شما پیراهنها که نگاه دارد شما را از گرما و پیراهنها که نگاه دارد شما را از کارزار شما همچنین تمام میکند نعمت خود را

عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُوْنَ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلٰغُ الْمُبِيْنُ يَعْرِفُوْنَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُوْنَهَا وَاَكْثَرُهُمُ الْكٰفِرُوْنَ

بر شما تا شاید شما منقاد شوید پس اگر رو گردانند پس جز این نیست که بر تست رسانیدن آشکارا میشناسند نعمت خدا را پس انکار میکنند و بیشترین ایشان ناسپاسانند

القراءة تجحدون بتاء الخطاب ابو بكر وحماد الآخرون على الغيبة من بطون امهاتكم ونحوها بكسر الهمزة وفتح الميم على امهاتكم بكسرهما حمزة الباقون بضم الهمزة وفتح الميم الم يروا على الخطاب ابن عامر وحمزة وخلف وسهل ويعقوب ظعنكم بسكون العين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون بفتحها الوقوف في الرزق ج لاختلاف الجملتين مع الفاء سواء ط يجحدون ه من الطيبات ط يكفرون لا للعطف لا يستطيعون ج لابتداء النهي مع فاء التعقيب الامثال ط لا يعلمون وجهرا ط هل يستوون ط الحمد لله ط لان بل للاعراض عن الاول لا يعلمون ه مولیه لا لان الجملة بعده صفة احدهما بخير لا لا وقف الى مستقيم لاتحاد الكلام والارض ط اقرب ط قدير ه شيئا لا للعطف والافئدة لا لتعلق لعلكم تشكرون ه السماء ط للفصل بين الاستخبار والاخبار الا الله ط يؤمنون ه اقامتكم لا لوقوع جعل على اثاثا الى حين ه بأسكم ط تسلمون ه المبين ه الكافرون ه التفسير لما بين خلق الانسان وتقلبه في اطوار من العمر اراد ان يذكره طرفا من سائر احواله لعله يتذكر فقال والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ولا ريب ان ذلك امر مقسوم من قبل القسام والا لم يكن العاقل رخي البال والعاقل ردي الحال وليس هذا التفاوت مختصا بالمال وانما هو حاصل في الحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك فلرب ملك يقاد الجنائب بين يديه ولا يمكنه ركوب واحدة منها وربما احضرت الاطعمة الشهية والفواكه العطرة عنده ولا يقدر على تناول شيء منها وربما ترى انسانا كامل القوة صحيح المزاج شديد البطش ولا يجد ملء بطنه طعاما وللمفسرين في الآية قولان احدهما ان المراد تقرير كون السعادة والنحوسة والغنى والفقر بقسمة الله تعالى وانه جعل بعض الناس موالي وبعضهم مماليك وليس المالك رازقا للعبد وانما الرازق للعبد وللمولى

هو الله فلا تحسبن الموالي المفضلين انهم يرزقون مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق وانما ذلك رزقي اجريه لهم على ايديهم وثانيهما ان المراد
الرد على من اثبت لله شريكا كالصنم وكعيسى فضرب له مثلا فقال انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت عليكم ولا تردون رزقكم عليهم حتى
تتساووا في المطعم والملبس فالفاء في قوله فهم فيه سواء للتعليل ولك ان تقول بمعنى حتى اي حتى يكون عبيدهم معهم سواء في الرزق فكيف رضيتم
ان تجعلوا عبيدي لي شركاء عن ابي ذر رضه انه سمع رسول الله صم يقول في العبيد انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده
بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت أفبنعمة الله وهي انه جعلهم موالي مفضلين لا عبيدا مفضولين يجحدون اذ جعل عدم التسوية
بينهم وبين عبيدهم من جملة جحود النعمة او جعل اعتقاد اهلية العبادة لغير الله كفرا بنعمة الله والجحود في معنى الكفران فلذلك عداه بالباء قال ابو عبيدة
وابو حاتم قراءة الغيبة وهي الكبرى اولى لقرب المخبر عنه ولانه لو كان خطابا لكان ظاهره المسلمين وانهم لا يخاطبون بجحد نعمة الله الحالة الاخرى من احوال
الانسان قوله عز من قائل والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا ليكون الانس بهن اتم ولا ريب ان تخليق الذكور والاناث مستند الى قدرة الله
وتكوينه والطبيعيون قد يذكرون له وجها قالوا ان المني اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد
ذكرا تاما في الذكورة بناء على ان الذكر اسخن مزاجا وكذا الجانب الايمن وان انصب من الخصية اليسرى الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد
تاما في الانوثة واذا انصب اليمنى الى الايسر كان ذكرا في طبيعة الاناث وان كان بالعكس كان بالعكس قال الامام فخر الدين الرازي هذه
العلة ضعيفة فقد رأينا في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة ولقائل ان يقول الكلام في
المزاج الصنفي لا في المزاج الشخصي وهذا الامام لم يفرق بينهما فاعترض باحدهما على الاخر وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اصل الحفد
الاسراع في الخدمة والفاعل حافد والجمع حفدة فقيل المراد بها في الاية الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج
الاول وقيل الخدم والاعوان وقيل البنون انفسهم لانهم الجامعون بين الامرين البنوة والخدمة وقيل الاولى دخول الكل فيه ثم ذكر انعامه عليهم
بالمطعومات الطيبة لان لذة المنكوح لا تتم الا بعد الفراغ من لذة المطعوم او بعد الفراغ من تحصيل اسبابها ومن للتبعيض لان لذة كل
الطيبات لا يكون الا في الجنة ثم ختم الاية بقوله أفبالباطل يؤمنون فقيل الباطل هو ما اعتقدوه من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها ونعمة
الله ما عدده في الايات السابقة وقيل الباطل ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم وانما قال ههنا وبنعمة الله
هم يكفرون وفي اخر العنكبوت وبنعمة الله يكفرون لان تلك الايات استمرت على الغيبة فلم يحتج الى زيادة ضمير الغائب واما الاية فقد سبق
مخاطبات كثيرة فلم يكن بد من ضمير الغائب المؤكد لئلا يلتبس بالخطاب ولما عدد بعض الايات الدالة على الافراد بالتوحيد انكر صنيع اهل الشرك
عليهم فقال ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا قال جار الله ان كان بمعنى المصدر نصبت شيئا اي لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت
المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا او يكون تأكيدا لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا
بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق اما الضمير في ولا يستطيعون فعائد الى ما بعد ان قيل لا يملك على
اللفظ وجمع بالواو والنون بناء على زعمهم ان الاصنام الهة والفائدة في نفي الاستطاعة عنهم ان من لا يملك شيئا قد يكون موصوفا باستطاعة
ان يتملك بطريق من الطرق فبين تعالى انها لا تملك ولا تستطيع تحصيل الملك وجوز في الكشاف ان يكون الضمير للكفار اي لا يستطيع هؤلاء
مع انهم احياء متصرفون فكيف بالجماد الذي لا حس له فلا تضربوا لله الامثال اي لا تشبهوا فان ضارب المثل مشبه حالا بحال وقصة بقصة
وقال الزجاج لا تجعلوا لله مثلا لانه واحد لا مثل له وكانوا يقولون ان اله العالم اجل من ان يعبده الواحد منا فكانوا يتوسلون الى الاصنام
والكواكب كما ان اصاغر الناس يخدمون اكابر حضرة الملك واولئك الاكابر يخدمون الملك فنهوا عن ذلك وعلل النهي بقوله
ان الله يعلم ما عليكم من العقاب وانتم لا تعلمون ما في عبادتها من العذاب وفيه ان القياس الذي توهموه ليس بصحيح وان النص يجب تقديمه على
ذلك وقيل ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فقال ضرب الله مثلا ثم ابدل من المثل قوله عبدا مملوكا
لا حرا فان جميع الناس عبيد الله فلا يلزم من كونه عبدا كونه مملوكا وقوله لا يقدر على شيء ليخرج العبد المأذون والمكاتب فانهما يقدران على
التصرف واحتج الفقهاء بالاية على ان العبد لا يملك شيئا وان ملكه السيد لان قوله لا يقدر حكم مذكور عقيب الوصف المناسب فدل على ان
العبدية اينما وجدت فهي علة للذل والمقهورية وعدم القدرة فثبت العموم وهو ان كل عبد فهو لا يقدر على التصرف وايضا قوله ومن
رزقناه منا رزقا حسنا يقتضي ان لا يحصل للقسم الاول هذا الوصف فلو ملك العبد شيئا ما صدق عليه ان الله قد اتاه الرزق الحسن فلم
يثبت الامتياز والاكثرون على ان عدم اقتدار العبد مخصوص بما يتعلق بالمال وعن ابن عباس انه لا يملك الطلاق ايضا قال جار الله الظاهر
من في قوله ومن رزقناه موصوفة كأنه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان يكون موصولة وجمع قوله هل يستوون لانه اراد الاحرار والعبيد وللمفسرين
في ضرب المثل اقوال فالاكثرون على انه اراد انا لو فرضنا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وحرا كريما غنيا كثير الانفاق سرا وجهرا فصريح العقل
يشهد بانه لا يجوز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله القادر على الرزق والافضال وبين
الاصنام التي لا تملك ولا تقدر البتة وقيل العبد المملوك هو الكافر المحروم عن طاعة الله وعبوديته والاخر هو المؤمن المشتغل بالتعظيم لامر الله

والشفقة على خلق الله والغرض انهما لا يستويان في الرتبة والشرف والقرب من رضوان الله وقيل العبد هو الصنم لقوله ان كل من في السموات والارض
الا آتي الرحمن عبدا والثاني عابد الصنم والمراد انهما لا يستويان في القدرة والتصرف لان الاول جماد وهذا انسان فكيف يجوز الحكم بان
الاول مساو لرب العالمين الحمد لله قال ابن عباس اراد الحمد لله على ما فعل باوليائه وانعم عليهم بالتوحيد وقيل معناه كل الحمد لله وليس شيء من الحمد
للاصنام لانه لا نعمة لها على احد بل اكثرهم لا يعلمون ان كل الحمد له وقيل اراد قل الحمد لله والخطاب للرسول صلعم والمراد من رزقه الله رزقا حسنا
وميزه بالقدرة والاختيار والتصرف من العبد الذليل الضعيف قيل لما ذكر مثلا مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود قال الحمد لله اي على
قوة هذه الحجة وظهور هذه البينة بل اكثرهم لا يعلمون قوتها وظهورها ثم ضرب مثلا ثانيا لنفسه ولما يفيض على عباده من النعم الدينية والدنيوية
وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع بل يصل منها الى من يعبدها اعظم المضار اما تفسير الالفاظ فالابكم العي المفحم وقد بكم بكما وبكامة وقيل
هو الاقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام وروى ثعلب عن ابن الاعرابي انه الذي لا يسمع ولا يبصر وقوله وهو كل على مولاه اصله من الغلظ الذي
هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت فلم يقدر على القطع وكل فلان عن الكلام اذا ثقل عليه ولم ينبعث فيه وفلان كل على مولاه اي ثقيل وعيال
على من يلي امره وقوله اينما يوجهه حيثما يرسله لا يأت بخير لم ينجح في مطلبه والتوجيه ان ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق هل يستوي
هو اي الموصوف بهذه الصفات المذكورة ومن يأمر الناس بالعدل وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم غير
منحرف الى طرفي الافراط والتفريط ولا شك ان الآمر بالعدل يجب ان يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين العدل والجور وقادرا حتى يتأتى منه
الاتيان بالخير والامر به وكلا الوصفين يناقض كونه ابكم لا يقدر قال مجاهد هذا مثل الاله الخالق وما يدعى من دونه اما الابكم فمثل
الصنم لانه لا ينطق البتة ولا يقدر على شيء وهو كل على عابده لانه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه والى اي مهم يوجه الصنم لا يأت
بخير واما الذي يأمر بالعدل فهو الله سبحانه وروى الواحدي باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت الآية المتقدمة في هشام بن عمرو
هو الذي ينفق ماله سرا وجهرا ومولاه ابو الجوزاء الذي كان ينهاه عنه وهذه الآية نزلت في اسيد بن ابي العيص وفي عثمان بن عفان ومولاه والاصح
ان المقصود من الآية الاولى كل عبد موصوف بالصفات المذكورة وكل حر موصوف بالخصال الحميدة ومن الآية الثانية كل رجل جاهل عاجز و
كل من هو بضد ذلك من كونه شامل العلم كامل القدرة وليس الا الله سبحانه فلذلك مدح نفسه بقوله ولله غيب السموات والارض اي
يختص به علم ما غاب عن العباد فيهما او اراد بغيبهما يوم القيمة لان علمه غائب عن غير الله ويؤيد هذا التفسير قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر
اللمح النظر بسرعة ولابد فيه من زمان ينقلب فيه الحدقة نحو المرئي وكل زمان قابل للتجزية فلذلك قال او هو اقرب وليس هذا من قبيل المبالغة
وانما هو كلام في غاية الصدق لان مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناهية ومنها الى الابد غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي
وقيل معنى امر الساعة ان اماتة الاحياء واحياء الاموات كلهم يكون في اقرب وقت واقله ثم اكده بقوله ان الله على كل شيء قدير ثم زاد في
التأكيد بذكر حالة اخرى للانسان دالة على غاية قدرته ونهاية رأفته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا قال
جار الله هو في موضع الحال اي غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة
وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام
بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي تستعمل في مقام الكثرة ايضا لعدم ورود غيرها واعلم ان
الحكماء زعموا ان الانسان في مبدأ فطرته خال عن المعارف والعلوم الا انه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وسائر القوى المدركة حتى ارتسم في خياله بسبب
كثرة ورود المحسوسات عليه حقائق تلك الماهيات وحضرت صورها في ذهنه ثم ان مجرد حضور تلك الحقائق ان كان كافيا في جزم الذهن بثبوت بعضها
لبعض وانتفاء بعضها عن بعض فتلك الاحكام علوم بديهية وان لم يكن كذلك بل كانت متوقفة على علوم سابقة عليها ولا محالة ينتهي الى
البديهيات قطعا للدور والتسلسل فهي علوم كسبية وظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف في النفوس الانسانية هو ان الله اعطى الحواس
والقوى الدراكة للصور الجزئية وعندي ان النفس قبل البدن موجودة عالمة بعلوم جمة هي التي ينبغي ان تسمى بالبديهيات وانما لا تظهر اثارها
عليها عند اتصال الجنين بالام لضعف الآلة واشتغالها بتدبير غذائه وتربيته حتى ظهرت اثارها شيئا فشيئا وقد برهنا على هذه المعاني في كتبنا الحكمية
فالمراد بقوله لا تعلمون شيئا انه لا يظهر اثر العلم عليكم ثم انه بتوسط الحواس الظاهرة والباطنة يكتسب العلوم المتوقفة على الآلة فمعنى لعلكم تشكرون
اراده ان تصرفوا كل آلة فيما خلقت لاجله وليس الواو للترتيب حتى يلزم من عطف جعل على اخرج ان يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج من
البطن وقد مر في اول البقرة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم انه لم وحد السمع وجمع غيره ثم ذكر دليلا آخر على كمال قدرته فقال الم يروا
الى الطير مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة وسائر الاسباب المواتية لذلك كرقة قوام الهواء والهامهن بسط الجناح وقبضه كما يفعل السابح
في الماء في جو السماء اي في الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو وهو مضاف عنه ... ما يمسكهن الا الله بقدرته او باعطاء الآلات التي
لاجلها يتسهل عليها الطيران ومن جملة احوال الانسان قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا هو ما يسكن اليه من بيت او الف وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها اي تجدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم اي في وقت رحلتكم

والظعن بفتح العين وسكونها سير اهل البادية للنجعة ثم استعمل في كل شخوص لسفر ويوم اقامتكم لا يثقل عليكم حفظها ونقلها من مكان الى مكان ويمكن ان يكون
المعنى يخف عليكم يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لا يثقل عليكم ضربها ومن اصوافها وهي للضأن
واوبارها وهي للابل واشعارها وهي للمعز اثاثا هو متاع البيت قال الفراء لا واحد له وقال ابو زيد الاثاث المال اجمع الابل والغنم والعبيد والمتاع الواحدة
اثاثة قال ابن عباس رضي الله عنهما اثاثا بسطا وثيابا وكسوة وقال الخليل اصله من اث النبات والشعر اذا كثر فيل الترتيب عاطف قوله
متاعا على اثاثا وجب التغاير فما الفرق واجيب بان الاثاث ما يكتسي به المرء ويستعمل من الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش في المنازل ويتزين
به فلذلك يبعد ان يراد بالاثاث والمتاع ما هو الجامع بين الوصفين لكونه اثاثا وكونه مما يتمتع به الى حين اى الى ان تقضوا اوطاركم منه او الى
ان يبلى وتفنى او الى الموت او الى القيامة ثم ان المسافر قد لا يكون له خيام واخبية يستظل بها لفقره او لعارض آخر فيحتاج الى ان يستظل بالجدران
او الغمام ونحوها فلذلك قال والله جعل لكم مما خلق ظلالا او قد يحتاج المسافر الى حصن يأوي اليه في نزوله والى ما يدفع به عن نفسه آفات الحر
البرد وسائر المكاره وكذا المقيم فلذلك قال وجعل لكم من الجبال اكنانا هي جمع كن وهو ما يستكن به ويتوقى بسببه الامطار كالبيوت المنحوتة
في الجبال والكهوف والغيران وكذلك جعل لكم سرابيل تقيكم الحر وهي القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها وانما لم يذكر
البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم لغلبة الحرارة في بلادهم على ان ذكر احد الضدين يغني في الاغلب عن ذكر الآخر لتلازمهما في الخطور بالبال
غالبا بشهادة الوجدان قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال فعلى هذا يشمل الرقيق والكثيف والساذج والمحشو من الثياب وسرابيل تقيكم بأسكم كالدروع
والجواشن كذلك يتم نعمته اى مثل ما خلق هذه الاشياء لكم وانعم بها وانعم عليكم فانه يتم نعم الدين والدنيا لعلكم تسلمون قال ابن عباس لعلكم
يا اهل مكة تخلصون لله الربوبية وتعلمون انه لا يقدر على هذه الانعامات سواه وعنه انه قرأ بفتح التاء واللام من السلامة اى يسلم قلوبكم من الشرك
او تشكرون فتسلمون من العذاب وقيل تسلمون من الجرح بلبس الدروع فان تولوا فقد تمهد عذرك فانما عليك البلاغ المبين وليس اليك
الهداية ثم ذمهم بانهم يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها وبانها من عند الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وبقولهم هي
من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا ومعنى ثم استبعاد رتبة الانكار عن العرفان وقيل انكارها قولهم ورثناها من آبائنا او وصل الينا بتربية فلان او انهم
لا يستعملونها في طلب رضوان الله وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه ثم ينكرون نبوته عنادا وانما قال واكثرهم الكافرون لانه استعمل
الاكثر مقام الكل واراد البالغين العقلاء منهم دون الاطفال والمجانين او اراد كفر الجحود ولم يكن كفر كلهم كذلك بل كان فيهم من كفر للجهل بصدق
الرسول لانهم لم يقم الحجة عليه بعد هذا ما قاله المفسرون قلت يحتمل ان يراد بالكافرين المصرين الثابتين على كفرهم وقد علم الله ان في مطلق
الكفرة من يؤمن فلهذا استثناهم والله تعالى اعلم التأويل فضل الارواح على القلوب في رزق المكاشفات والمشاهدات بعد الفناء و
الورود الى البقاء وفضل القلوب على النفوس في رزق الزهد والورع والتقوى والصدق واليقين والايمان والتوكل والتسليم والرضا وفضل
النفوس على الابدان في رزق التزكية والتخلية وفضل ابدان المؤمنين على ابدان الكافرين بحمل اعباء الشريعة فما الارواح برادي رزقهم
على القلوب ولا القلوب على النفوس ولا النفوس على الابدان افبنعمة الله التي انعم بها على اوليائه يجحدون يا منكري هذا الحديث والله
جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني ازدواج الارواح والاشباح وجعل لكم من ازواجكم بنين وهم القلوب وحفدة وهي النفوس افبالباطل
وهو زخارف الوساوس يؤمنون وبنعمة الله التي انعم بها على ارباب القلوب يكفرون ويعبدون من دون الله كالدنيا والهوى ما لا يملك
لهم رزقا من سموات القلوب وارض النفوس شيئا من الكمالات التي اودع الله فيهن ولا يستخرج منها الا بعبادة الله ولا يستطيعون استخراجها بعبادة
غير الله فلا تضربوا لله الامثال بان تريدوا ان تصلوا الى المقاصد بغير طريق الله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا للهوى للدنيا ومن رزقنا
ولاية كاملة يتصرف بها في بواطن المستعدين وظواهرهم بل اكثرهم لا يعلمون اولياء الله لانهم تحت قباب الله لا يعرفهم احدهما ابكم هو
النفس الحيوانية التي لا يقدر على شيء من العلم والعقل والايمان وهو كل على مولاه الروح المسمى بالنفس الناطقة لا يأت بخير لانها امارة بالسوء
ولله غيب سموات الارواح والارض النفوس لا يقف على خاصيتهما غيره ولو وكل كلا منهما الى الطبع ما لم يرجع الى ربها ورجوعهما يكون بالاماتة
والاحياء وبينهما عن اوصافهما ويحييها بصفاته وهو المراد بامر الساعة لان الاماتة بتجلي صفات الجلال والاحياء بتجلي صفات الجمال واذا تجلى الله لعبد
لم يبق له زمان ولا مكان فلذلك قال او هو اقرب وقد يكون فانيا عن وجوده باقيا ببقائه والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون
شيئا من امور الدنيا والآخرة ولاما كانت ارواحكم تعلم في عالم الارواح ولاما كانت تعلم ذراتكم من فهم خطاب الست بربكم وجواب بلى
وجعل لاجسادكم السمع والابصار والافئدة كما للحيوانات ولارواحكم كما للملائكة ولاسراركم سمعا يسمع به من الله وبصرا يبصر به الله وفؤادا يعرف
به الله ويوجد الله آخرجكم من العدم وهو الام الحقيقي لا تعلمون شيئا قبل ان يعلمكم الله سبحانه اسماء كل شيء فيتجلى لكم بربوبيته فبنور سمعه
اعطاكم سمعا انتم تسمعون به خطاب الست بربكم وبنور بصره اعطاكم بصرا تبصرون به جماله وبنور علمه اعطاكم فؤادا تعرفون به كماله وبنور كلامه
اعطاكم لسانا تجيبونه بقولكم بلى لعلكم تشكرون فلا انتم تسمعون بهذا السمع الا كلامه ولا تبصرون بهذا البصر الا جماله ولا تخبرون بهذا الفؤاد الا اياه
ولا تتكلمون بهذا الكلام الا معه الم يروا الى طير الارواح مسخرات في جو سماء القلوب ما يمسكهن في سفل الاجساد الا الله يحكمته ذلك قال والله جعل

لكم من جلود الانعام التي هي اجساد اشركت فيها سائر الحيوانات بيوتا تستخفونها ارواحكم اياها وهي النفوس الحيوانية وقواها وقت السير الى الله وقت الاستراحة والتربية ومن اصوافها الصفات الحيوانية والحواس والقوى اثاثا الالات للسير ومتاعا ينتفع بها الى حين الوصول الوصال والله جعل لكم مما خلق ظلالا اي جعل عالم الخلق ظل عالم الامر ليستظل بها الارواح بعد طلوع شمس التجلي والا لاحترقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره وجعل لكم من جبال القلوب اكنانا يسكن بها الارواح وجعل لارواحكم سرابيل من الصفات البشرية تقيكم حر نار المحبة وسرابيل من الصفات الروحانية تقيكم بأسها الوساوس والهوى كذلك يحفظكم من الافات ويربيكم بالكرامات حتى يتم نعمة الوصول عليكم لعلكم تسلمون من قطع الطريق يعرفون نعمة الله ينعرفك وأكثرهم بل بنعمة الله اظهار للقهر والله اعلم

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا

رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ

يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ

بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ

إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ

وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى

مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ

ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا

أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ

القراءة ولنجزين بالنون ابن كثير وعاصم ويزيد وعباس والنقاش عن ابن ذكوان الاخرون بالياء قرأت القرآن مثل انشأنا الوقوف يستعتبون ه ولا هم ينظرون ه من دونك ج لاختلاف الجملتين مع النفاء لكاذبون ه للعطف مع اتحاد يفترون ه يفسدون ه على هؤلاء ط والواو للاستئناف للمسلمين ه والبغي ج لاحتمال ابعد

بحال والاستيناف تذكرون كثيراً ما تفعلون انكاثا ابناء على ان النقد بل تتخذون من قرابة يختلفون وبهلك من يشاء يعملون وعن سبيل الله لانقطاع التقليم مع اتصال المعنى عظيم فليلا بعملون باقي يعملون طبيئة للعدول عن الوحدان الى الجمع مع انهما ضمير من يعملون الزمهم يتوكلون تذكرون النفس لما بين من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها وان اكثرهم كافرون اتبعه اصناف وعيد يوم القيمة والتقدير واذكر يوم نبعث من كل امة شهيداً وهو نبيها وشهيد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا اى في الاعتذار اذ لا حجة لهم ولا عذر او في كثرة الكلام او في الرجوع الى دار الدنيا والى التكليف ليظهر لهم كونهم آيسين من رحمة الله تعالى او المراد انه يسكت اهل الجمع كلهم حتى تشهد الشهود ولا هم يستعتبون لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضا فاذا كان على عزم السخط فلا فائدة في العتاب ولهذا قيل شعر اذا ذهب العتاب فليس ود ٭ ويبقى الود ما بقى العتاب ٭ وقال في الكشاف اى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم ان المنع من الكلام اصعب من شهادة الانبياء عليهم واذا رأى الذين ظلموا وهم المشركون العذاب بعينهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ليتوبوا فان التوبة هنالك غير موجودة او غير مقبولة وفيه ان عذابهم خالص عن التقطع دائم كما يقول المتكلمون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم وهي الاصنام او الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر وكانوا قرناءهم في الغى قاله الحسن قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو اى نعبدهم من دونك قال ابو مسلم الاصبهاني مقصود المشركين احالة هذا الذنب على تلك الاصنام ظنا منهم ان ذلك ينجيهم من عذاب الله او ينقص منه وزيفه القاضي بان الكفار يعلمون في الآخرة علما ضروريا بان العذاب ينزل بهم ولا نصرة ولا شفاعة فما الفائدة في هذا القول والانصاف ان الغريق يتعلق بكل شئ والمبهوت قد يقول ما لا فائدة فيه على ان العلم الضروري الذي ادعاه القاضي ممنوع وقيل ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام مع انه لا ذنب لها واعترافا بانهم كانوا خاطئين في عبادتها فالقوا اليهم القول اى قال الاصنام او الشياطين للكفار انكم لكاذبون فان قيل ان المشركين اشاروا الى الاصنام ان هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك وقد كانوا صادقين في ذلك فكيف كذبتهم الاصناف فالجواب ان المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا هؤلاء شركاء الله في المعبودية فكذبتهم الاصنام في اثبات هذه الشركة وفي قولهم انها تستحق العبادة قال جار الله ان اراد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا الى الله يومئذ السلم عن الكلبي استسلم العابد والمعبود واقروا لله بالربوبية وبالبراءة من الشركاء والانداد وقال آخرون الضمير للذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله بعد الاباء في الدنيا وضل اى غاب عنهم ما كانوا يفترون من ان شركاء الله او ان آلهتهم تشفع لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قيل معناه الصد عن المسجد الحرام والاولى العموم زدناهم عذابا لاجل الاضلال فوق العذاب الذي استحقوه للضلال وايضا عذاب الاستنان من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ومن المفسرين من فصل تلك الزيادة فعن ابن عباس هي خمسة انهار من نار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال انيابها كالنخل الطوال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار ثم علل زيادة عذابهم بكونهم مفسدين امور الناس بالصد والاضلال فيعلم منه ان من دعا الى الدين القويم باليد واللسان فانه يزيد الله تعالى اجره على اجره ثم اعاد حكاية بعث الشهداء لما يتبطها من زيادة فائدة هي احدهما كون الشهداء من انفسهم لان كل نبى فهو من جنس امته والاخرى ان الشهيد يكون شاهدا في الامة لا مفارقا اياهم وفسر الاصم الشهيد في هذه الآية بانه تعالى ينطق عشرة من اعضاء الانسان حتى تشهد عليه وهي الاذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان وهذا ذكره لفظة في ووصف الشهيد بكونه من انفسهم ثم شرف نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله وجئنا بك شهيدا على هؤلاء اى على امتك ولا ريب في تخصيصه بعد التعميم دلالة على فضله ونظيره قوله في سورة النساء فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال الامام فخر الدين الرازي الامة عبارة عن القرن والجماعة فيعلم من الآية انه لا بد في كل عصر من اقوام تقوم الحجة بقولهم ويكونون شهداء على غيرهم وهم اهل الحل والعقد فيكون اجماعهم حجة ولقائل ان يقول الامة في الآية هي الجماعة الذين بعث نبى اليهم والى من سيوجد منهم الى آخر زمان دينه فيكون نبى تلك الامة وحده شهيدا عليهم ولا دلالة للآية على هذه القضية من حصول ان اجماع اهل الحل والعقد في كل عصر حجة ثم بين انه ازاح عليهم فيما كلفوا فيه فلا حجة لهم ولا معذرة فقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ اى بيانا بليغا والتاء للمبالغة ونظيره من المصادر التلقاء ولم يات غيرها وقد مر في الاعراف قال الفقهاء انما كان القرآن تبيانا لجميع الاحكام المستنبطة من السنة والاجماع والقياس والاجتهاد كلها تستند الى الكتاب حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وورد فيه ومن يتبع غير سبيل المؤمنين توعدا على غيره وقال آخرون ان علم اصول الدين كلها في القرآن واما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد به نص القرآن فاذن القرآن واف ببيان جميع الاحكام والقياس ضائع ولعل التبيان انما هو للعلماء خاصة والهدى لجميع الخلق في اول احوالهم والرحمة في وسطها وهو مدة العمر بعد الاسلام والبشرى في اوان الاجل كما قال سبحانه ان الذين قالوا ربنا الله الى قوله وابشروا والله اعلم بمراده ولما ذكر ان في القرآن تبيان كل شئ ذكر عقيبه انه جامعة لاصول التكاليف كلها تصديقا لذلك فقال ان الله يامر الآية عن ابن عباس ان عثمان

سبيل الله

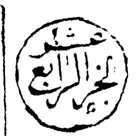
بالاضلال

لا بد



ابن مظعون الجمحي قال ما اسلمت اولا الا حياء من رسول الله صلعم ولم يتقرر الاسلام في قلبي فحضرته ذات يوم فبينا هو يحدثني اذ رايت بصره يشخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينا انا احدثك اذا جبرئيل عم نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يامر بالعدل الاية قال عثمان فمن ثمه استقر الايمان في قلبي واحببت محمدا صلعم وعن ابن مسعود هي اجمع اية في القرآن وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحسن الا امر الله تعالى به في هذه الاية وليس من خلق سيئ الا وقد نهى الله تعالى عنه فيها قال المفسرون العدل هو اداء الفرائض وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله والاحسان هو الاتيان بالمندوبات والمستحسنات شرعا وعرفا واقربها صلة الرحم بالمال فلذلك افردها بالذكر بقوله وايتاء ذي القربى والفحشاء هي الامور المتزائدة في القبح فلذلك افردها بالذكر وهي الكبائر وقد يخص بالزنا او بالبخل والمنكر ما تنكره العقول ولا يعرف في شريعة ولا سنة والبغي هو الاستطالة قال جار الله حين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين علي عم وعلى نبينا الصلوة والسلام اقيمت هذه الاية مقامها

واعلم ان العدل عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط وانه واجب الرعاية في جميع الاشياء ولنذكر له امثلة اما في الاعتقادات فالقول بنفي الاله تعطيل محض واثبات اكثر من اله واحد تشريك وتجسيم والعدل هو قول لا اله الا الله كما نقل عن ابن عباس هذا ما اتفق عليه ارباب المذاهب ثم ان الاشعري يقول القول بنفي الصفات عنه سبحانه تعطيل والقول باثبات المكان والاعضاء تشبيه والعدل اثبات صفات الكمال من الحيوة والعلم والقدرة والارادة والكراهة والسمع والبصر والكلام ونفي غيرهما وبوجه اخر نفي الصفات تعطيل واثبات الصفات الحادثة تشبيه والعدل اثبات صفات ازلية قديمة غير متغيرة وايضا القول بان العبد لا قدرة له اصلا جبر محض والقول بانه مستقل في التصرف قدر محض وتفويض والعدل امر بين الامرين وهو ان العبد يفعل الافعال ولكن بواسطة قدرة وداعية يخلقها الله تعالى فيه وايضا القول بان الله لا يؤاخذ عبده بشيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بانه يخلد في النار عبده العارف به بالمعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان والمعتزلي يقول العدل في هذه الاصول بنوع اخر وقد مر مرارا واما رعاية العدل فيما يتعلق بافعال الجوارح فان قوما من نفاة التكليف يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشيء من الطاعات ولا الاحتراز عن شيء من المعاصي وقال قوم من الهند وطائفة من المانوية يجب على الانسان ان يجتنب عن كل الطيبات ويبالغ في تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل الطبع اليه حتى التزوج والاولى بالمرء ان يختصي فهذان الطريقان مذمومان والوسط هو ما جاء به محمد صلعم لان التشديد غالب في دين موسى فليس شرع على القاتل الا القصاص ويحرم مخالطة الحائض والتساهل في دين عيسى غالب فلا قصاص على القاتل ولا يحرم وطي الحائض والعدل ما يحكم به شرعنا من جواز العفو واخذ الدية وحرمة وطي الحائض دون مخالطتها ولذلك قال وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولما بالغ رسول الله صلعم في العبادات قيل له طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولما اخذ قوم في المساهلة نزل افحسبتم انما خلقناكم عبثا والمراد رعاية الوسط في كل الامور وقد ورد في شرعنا الختان فقال بعض العقلاء والحكماء ان راس ذلك العضو جسم شديد الحس فاذا قطعت تلك الجلدة بقي راسه عاريا فيصلب بكثرة ملاقاة الثياب وغيرها فيضعف حسه ويقل شعوره فيقل لذة الوقاع فيقل الرغبة فيه فالاستئصال وقطع الالات كما ذهب اليه المانوية مذموم وابقاء تلك الجلدة مبالغة في تقوية تلك اللذة مذموم والوسط العدل هو الختان لان بعد الختان هو التنظيف وسهولة غسل الحشفة والا فلعل اللذة بعد الختان اكثر للملاقاة الحاصل المحسوس بلا حائل ومن الكلمات المشهورة قولهم بالعدل قامت السموات والارضون ومعناه ان مقادير العناصر لو لم يكن متعادلة متكافئة بحسب الكمية والكيفية لاستولى الغالب على المغلوب وينقلب الطبايع كلها الى طبيعة الجرم الغالب لو كان بعد الشمس من الارض اقل مما هو الان لاحترق كل ما في هذا العالم وان كان اكثر لاستولى البرد والجمود وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها وابطائها فان كلا منها مقدرة على ما يليق بنظام العالم وقوامه وفي تمام هذا الكلام اشارة مختصرة الى تحقيق العدل واما الاحسان فهو المبالغة في اداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية ومن هنا قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فكان المبالغ المخلص في اداء الطاعات يوصل الفعل الحسن الى نفسه بالحقيقة ويدخل في الاحسان انواع التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واشرف انواع الاشفاق صلة الرحم بالمال فلاجرم افرد بالذكر كما مر ثم انه تعالى اودع في النفس البشرية قوى اربعا الشهوية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه الاخيرة لا يحتاج الى التهذيب لكونها من نتائج الارواح القدسية واما الثلث الاول فيحتاج الى التاديب والتهذيب بمقتضى الشريعة وقانون العقل والطريقة والنهي عن الفحشاء عبارة عن المنع من تحصيل اللذات الشهوية الخارجة عن اذن الشريعة والنهي عن المنكر عبارة عن الافراط الحاصل في اثار القوة الغضبية من ايذاء الناس وايصال الشر اليهم مع غيرها استخفاف والنهي عن البغي اشارة الى المنع من افراط القوة الوهمية كالاستعلاء على الناس والترفع وحب الرياسة والتقدم ممن ليس اهلا لذلك واخس هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية واوسطها الغضبية واعلاها الوهمية فلهذا بدا سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغي ولان اصول الاخلاق والتكاليف كلها مذكورة في الاية لاجرم ختمها بقوله يعظكم لعلكم تذكرون لانها كافية في باب العظة والتذكر والارتقاء من حضيض عالم البشرية الى ذروة عالم الارواح المقدسة قال الكعبي في الاية دلالة على انه تعالى لا يخلق الجور والفحشاء والا فكيف ينهاهم عما يخلقه فيهم وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا واعلم انه يلزم



من اراد تأسيسا ذكر العبد والتذكر من فعل الله بالاتفاق لا من فعل العبد ان يطلب الله التذكر فان طلب ما ليس في وسعه محال نعني لعلكم تذكرون
ارادة ان تكونوا على حالة التذكر لا ارادة ان تحصلوا التذكر ثم خص من جملة المأمورات الوفاء بالعهد فقال واوفوا بعهد الله خصصه جار الله
بالبيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال الاصم المراد منه الجهاد وما فرض الله في الاموال من حق الشرائع وقيل
هو اليمين والاصح العموم وهو كل عهد يلتزمه الانسان باختياره بدليل قوله اذا عاهدتم وقول من قال العهد هو اليمين يلزم منه ان يكون
قوله سبحانه ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله تكرارا وأكد ووكد لغتان فصيحتان قال الزجاج الاصل
الواو والهمزة بدل وفي الآية دلالة على الفرق بين الايمان المؤكدة وبين لغو اليمين كقولهم لا والله وبلى والله وايضا الآية من العمومات التي دخلها
التخصيص لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير ثم ليكفر وقد مر بحث الايمان في البقرة وفي
المائدة في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم الآية وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي شاهدا او رقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به ان
الله يعلم ما تفعلون فيجازيكم بحسب الخير والشر وفيه ترغيب وترهيب ثم اكد وجوب الوفاء وتحريم النقض بقوله ولا تكونوا كالتي نقضت
غزلها من بعد قوة اي من بعد قوة الغزل بامرارها وفتلها قال الزجاج انتصب انكاثا على المصدر لان المعنى نقضت نكثت ورد
بان انكاثا ليس بمصدر وانما هو جمع نكث بكسر النون وهو ما ينكث فتله وقال الواحدي هو مفعول ثان كما تقول كسره اقطاعا وفرقه اجزاء
اي جعله اقطاعا واجزاء فكذا ههنا اي جعلت غزلها انكاثا قلت ويحتمل ان يكون حالا مؤكدة قال ابن قتيبة هذه الآية متصلة بما قبلها
والتقدير واوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الايمان فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امرأة غزلت غزلا واحكمته ثم جعلته انكاثا فعلى هذا المشبه به
امرأة غير معينة ولا حاجة في التشبيه الى ان يكون للمشبه به وجود في الخارج وقيل المراد امرأة معينة من قريش ريطة بنت سعد بن تيم كانت
خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها
من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن قال جار الله تتخذون حال ودخلا مفعول ثان لا تتخذ اي لا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا
بينكم اي مفسدة ودغلا وقال الواحدي اي غشا وخيانة وقال الجوهري اي مكرا وخديعة وقال غيره الدخل ما ادخل في الشيء على فساد وقوله
ان تكون اي لان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى اي ازيد واوفر عددا ومالا من امة هي جماعة المؤمنين قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء
ثم يجدون من كان اعز منهم واشرف فينقضون حلف الاولين ويحالفون الذين هم اعز وامنع انما يبلوكم الله به اي بما يأمركم وينهاكم لدلالة
تقدم ذكر الامر والنهي وقال جار الله الضمير لقوله ان تكون لانه في معنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء مع قلة المؤمنين
وفقرهم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم ثم حذرهم من مخالفة ملة الاسلام وانذرهم بقوله وليبينن لكم يوم القيامة باظهار الدرجات والكرامات
للاولياء وتعيين الدركات والبليات للاشقياء ما كنتم فيه تختلفون حيث تدعون انكم على الحق والمؤمنون على الباطل فتنقضون عهودهم
ثم بين انه سبحانه قادر على ان يجمع المؤمنين والكافرين على الوفاء وسائر ابواب الايمان ولكنه بحكم الالهية يضل من يشاء ويهدي من يشاء و
المعتزلة حملوا المشيئة على مشيئة الالجاء بدليل قوله ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كانت اعمال العباد بخلق الله تعالى لكان سؤالهم عبثا اجابت
الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل روى الواحدي ان عزيرا قال يا رب خلقت الخلق فتضل من تشاء وتهدي من تشاء فقال يا عزير اعرض
عن هذا فاعاده ثانيا فقال اعرض عن هذا والا محوت اسمك عن النبوة قال المفسرون لما نهاهم عن نقض مطلق الايمان اراد ان ينهاهم عن
نقض ايمان مخصوصة اقدموا عليها وهو نقض بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل على هذا التخصيص قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لان هذا الوعيد
لا يليق بنقض عهد قبله وانما يليق بنقض عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال جار الله وحد القدم ونكرت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق
بعد ان تثبت عليه فكيف باقدام كثيرة وهذا مثل يضرب لمن وقع في بلاء بعد عافية ولا ريب ان من نقض عهد الاسلام وزلت قدمه عن محجة الدين
القويم فقد سقط من الدرجات العالية الى الدركات الهاوية بيانه قوله وتذوقوا السوء في الدنيا بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم
عن سبيل الله لان المرتد قد يقتدى به غيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ويحتمل ان يراد ان ذلك السوء الدنيوي وقوعه هو عذاب عظيم قال
جار الله كان قوم اسلموا بمكة ثم زين لهم الشيطان نقض البيعة لكونهم مستضعفين هناك فاوعدهم الله على ذلك ثم نهاهم عن الميل الى ما كان
يعدهم قريش من عرض الدنيا ان رجعوا عن الاسلام فقال ولا تشتروا الآية ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ما عند الله خير فقال ما عندكم ينفد
وما عند الله من خزائن رحمته باق وفيه دليل على ان نعيم الجنة باق لاهلها لا ينقطع وقال جهم بن صفوان انه ينقطع والآية حجة عليه ولنجزين الذين
صبروا على ما التزموه من شرائع الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اي بالواجبات والمندوبات لا بالمباحات فانه لا ثواب على فعلها
ولا عقاب ليجزيهم بجزاء اشرف واوفر من عملهم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ثم عمم الوعد على اي عمل صالح كان فقال من عمل صالحا
ولا كلام في عموم الآية انه زاد قوله من ذكر او انثى تأكيدا وازالة لوهم التخصيص والمبالغة في تقرير الوعد من اعظم دلائل الكرم ثم جعل الايمان شرطا
في كون العمل الصالح منتجا للثواب حيث قال وهو مؤمن فاستدل به على ان الايمان مغاير للعمل الصالح فان شرط الشيء مغاير له واختلف في الحيوة
الطيبة فقيل هي في الجنة عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة لان الانسان في الدنيا لا يخلو من مشقة واذية ومكروه لقوله تعالى يا ايها الانسان انك

كادح

كادح الى ربك كدحا فملاقيه يبين ان هذا الكدح وهو التعب في العمل باق الى ان يصل الى ربه واما بعد ذلك فحيوة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا
بلا مرض وملك بلا زوال وسعادة بلا انتقال وقال السدي ان هذه الحيوة في القبر والاكثرون على انها في الدنيا لقوله بعد ذلك ولنجزينهم اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون وعلى هذا فما سبب طيب الحيوة قيل هو الرزق الحلال وقيل عبادة الله مع الاكل الحلال وقيل القناعة او رزق يوم بيوم كان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا قال المحققون وهذا هو المختار لان المؤمن الذي يعمل صالحا ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فمعه
من القنوع والعفة والرضا بالقضاء ما يطيب عيشه واما الكافر او الفاجر فان الحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه ابدا ويعظم اسفه على ما يفوته لانه
عانق الدنيا معانقة العاشق لمعشوقه بخلاف المؤمن المنشرح قلبه بنور المعرفة والجمال فانه فلما يفرغ لحب الدنيا ما لها وجاهها ويستوى عنده
وجودها وفقدها وخيرها وشرها ونفعها وضرها ببركة الصلوح والقنوع مما لا ينكرها عاقل اللهم اجعلنا من اهلهما ثم ان ظاهر الآية يقتضي
ان العمل الصالح انما يفيد الاثر المخصوص بشرط الايمان وظاهر قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على ان العمل الخير مطلقا يفيد اثرا مطلقا
فلا منافاة بينهما ثم ذكر الاستعاذة التي هي من جملة الاعمال الصالحة وبها تخلص الاعمال عن الوساوس فقال واذا قرأت القرآن اي اردت قراءته
اطلاقا للاسم المسبب على السبب وفيه بحث الاستعاذة مستوفى في اول هذا الكتاب انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون وهذا معنى الاستعاذة فان معناها بالحقيقة راجع الى التبري عما سوى الله والتوجه بالكلية اليه والاعتماد في جميع الامور عليه
انما سلطانه على الذين يتولونه عن ابن عباس اي يطيعونه يقال توليته اي اطعته وتوليت عنه اي اعرضت عنه اما الضمير الواحد في قوله والذين
هم به مشركون فقيل راجع الى الرب وقيل الى الشيطان اي بسببه التاويل ويوم نبعث فيه اشارة الى ان ارواح الانبياء اشرف على اممهم في
حال حيوتهم وبعد وفاتهم وفيه ان الدنيا مزرعة الآخرة فلا يقبل في العقبى اعتذار واذا رأى الذين ظلموا اي وضعوا الكفر واعمال
الطبيعة موضع الايمان واعمال الشريعة فلا يخفف عن ارواحهم اثقال الاخلاق الذميمة ولا هم ينظرون لتبديل مذمومها بمحمودها واذا
رأى الذين اشركوا وهم عبدة الدنيا والهوى انكم لكاذبون في انا دعوناكم الى عبادتنا فانا كنا مشغولين بتسبيح الله سبحانه وطاعته وصدوا عن سبيل الله منعوا الارواح والقلوب عن طلب الله زدناهم عذابا بالحرمان عن الكمال فوق خسران النسيان بافساد الاستعداد
الفطري وجئنا بك شهيدا لان روحه شاهد على جميع الارواح والقلوب والنفوس لقوله اول ما خلق الله روحي تبيانا لكل شيء يحتاج اليه
السالك في اثناء سلوكه ان الله يامر بالعدل وهو وضع الآيات واسباب تحصيل الكمال في مواضعها بحيث يؤدي الى مقام الوصال والكمال و
الاحسان وهو ان يحسن الى الخلق بما اعطاه الله كقوله واحسن كما احسن الله اليك وفي قوله وايتاء ذي القربى اشارة الى ان من جملة العدالة
رعاية حال الاقرب فيبتدئ بتكميل نفسه ثم بما هو اقرب اليه قرابة معنوية او صورية وينهى عن الفحشاء وهو صرف ما آتاه الله في غير مصرفها و
المنكر وهو ضد المعروف وهو ان لا يحسن الى الغير والبغي وهو ان لا يراعي الترتيب المذكور في باب الارشاد والتكميل واوفوا بعهد الله يوم
الميثاق وقد جعلتم الله عليكم كفيلا بجزاء وفائكم ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها فيه اشارة الى حال المريد ان تكون همته اهل الدنيا في
الدنيا على حال الامر انهم اهل الآخرة ولا تتخذوا ايمانكم عهودكم مع المشايخ شبكة تصطادون بها الدنيا وقبول الخلق فتزل اقدامكم
عن صراط الطلب من بعد ثبوتها هما القلب للنفس والعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة والطريقة ومن القلب التوجه الى الله بالكلية والحيوة
الطيبة للنفس ان تصير مطمئنة مستعدة لقبول فيض ارجعي الى ربك وللقلب ان يصير فانيا عن انانيته باقيا بشهود الحق وجماله وللروح بطيب عيش
دلتي الانابة ولو شرب الحدوث فاستعذ بالله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم له ظاهرا او بالحقيقة لاهل امته لان شيطانه اسلم على يده فلم يحتج
الى الاستعاذة من شيطانه بل هو لخواص امته كقوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وفيه ان الشيطان ليس له تسلط على اولياء
الله الا بالوسوسة ومنها صلاح المؤمن فان ابريز اخلاص قلبه لا يتخلص عن غش صفات نفسه الا بنار الوسوسة لان المؤمن يطلع على
بقايا صفات نفسه بما يكون الوسوسة من جنسه فيزيد في الرياضة وملازمة الذكر حتى ينحي تلك البقايا والله تعالى اعلم بالصواب

وَاِذَا بَدَّلْنَا اٰيَةً مَّكَانَ اٰيَةٍ وَّاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوْا اِنَّمَا اَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ قُلْ نَزَّلَهٗ رُوْحُ الْقُدُسِ

وچون بدل کنیم آیتی را بجای آیتی و خدا داناتر است بآنچه فرو میفرستد گویند جز این نیست که تو افترا کننده بلکه بیشتر ایشان نمیدانند بگو فرو د آورد او را روح پاک

مِنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَهُدًى وَّبُشْرٰى لِلْمُسْلِمِيْنَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ اَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ اِنَّمَا يُعَلِّمُهٗ بَشَرٌ لِسَانُ

از پروردگار تو بحق تا ثابت گرداند آنرا که گرویدند و از برای هدایت و بشارت از برای مسلمانان و هرآینه میدانیم بدرستیکه ایشان میگویند جز این نیست که می آموزد او را آدمی زبان

الَّذِيْ يُلْحِدُوْنَ اِلَيْهِ اَعْجَمِيٌّ وَّهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِيْنٌ اِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ لَا يَهْدِيْهِمُ اللّٰهُ

آنکه میل میکنند از راست بسوی او عجمیست و این زبانیست عربی روشن بدرستیکه آنانکه نمیگروند بآیتهای خدا راه نمی نماید ایشانرا خدا

وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ اِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْكٰذِبُوْنَ مَنْ كَفَرَ بِاللّٰهِ مِنْ

و از برای ایشانست عذابی دردناک جز این نیست که می بندند دروغ را آنانکه نمیگروند بآیتهای خدا و آنگروه ایشانند دروغگویان کسیکه کافر شد بخدا از

ع



بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم

عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين

طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون ثم ان ربك

للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تاتي كل نفس تجادل

عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا

من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول

منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان

كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ

ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله

الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم وعلى الذين

هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين

عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابرهيم كان امة

قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتبيه وهديه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا

حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين

انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين

وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله

ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

الغ بما ينزل من الانزال ابن كثير وابو عمرو يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة وعلي وخلف فتنوا مبنيا للفاعل ابن عامر والنحوف بالنصب عباس من ازرها
هشام وما بعده والاخفش عن ابن ذكوان في ضيق بالكسر ابن كثير وكذلك في النمل الاخرون بالفتح الوقوف مكان اية لا لان جواب اذا هو قالوا
قوله والله اعلم بما ينزل جملة معترضة مفتر لا يعلمون للمسلمين بشرا مبين بايات الله لا لان ما بعده خبر ان اليم بايات الله ج لاختلاف الجملتين

ثم

مع العطف لكاذبون ه غضب من الله لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم ه على الآخرة للعطف وابصارهم ط لاختلاف الجملتين الغافلون ه
الخاسرون ه وصبروا لا لأن ان الثانية تكرار الاولى لطول الكلام بصلته وخبرهما واحد رحيم ه لا يظلمون ه يصنعون ه ظالمون ه طيبا ص لعطف
المتفقتين تعبدون ه لغير الله به ج رحيم ه على الله الكذب ط لا يفلحون ه ط قليل ص لعطف المتفقتين ولا سيما اذا افرد طعم متاع اليم من قبل ج لابتداء النفي
مع النفي العطف يظلمون ه واصلحوا لا لما مر رحيم ه حنيفا ط من المشركين ه لان شاكرا وصف آخر وبدل من حنيفا لانعمه ط مستقيم ه حسنة ط الصالحين ه لان ثم
لترتيب الاخبار حنيفا ط المشركين ه اختلفوا فيه ط يختلفون ه احسن ط بالمهتدين ه عوقبتم به ط للصابرين ه يمكرون ه محسنون ه التفسير هذا شروع
في حكاية شبهات منكري نبوة محمد صلعم قال ابن عباس كان اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية الين منها قالت كفار قريش ان محمدا يسخر من اصحابه
يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا انه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فنزل واذا بدلنا ومعنى التبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه
وتبديل الآية رفعها باية اخرى غيرها وهو نسخها باية سواها والله اعلم بما ينزل شيئا فشيئا على حسب المصالح مغلظا ثم مخففا او بالعكس بل اكثرهم
لا يعلمون فوائد النسخ والتبديل قال ابو مسلم اراد تبديل الآية تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وسائر العلماء اتفقوا على ان المراد
بهذا التبديل النسخ ونقل عن الشافعي ان القرآن لا ينسخ بالسنة لانه تعالى اخبر بتبديل الآية مكان الآية وضعف بانه لا يلزم من وجوب التبديل
بالآية نفي التبديل بغيرها كالسنة المتواترة اذ لا دلالة في الآية على الحصر وقد مر مباحث النسخ مفصلة مستوفاة في سورة البقرة قل نزله اي القرآن
روح القدس هو جبرئيل والاضافة للمبالغة مثل حاتم الجود والمراد الروح المقدس المطهر عن دنس المآثم من ربك صلة نزله اي ابتداء تنزيله
من عنده وقوله بالحق حال اي ملتبسا بالحكمة والصواب ليثبت الذين آمنوا كقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فيقولون كل من الناسخ
والمنسوخ من عند ربنا وكل منهما في وقته خير وصالح لان الذي نزله حكيم لا يفعل الا ما هو خير في اوانه وصواب بالنسبة الى المكلف
حين ما يكلف به وهدى وبشرى معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم ثم
حكى شبهة اخرى عنهم كانوا يقولون ان محمدا يستفيد القصص والاخبار من انسان آخر ويتعلمها منه واختلفوا في ذلك البشر فقيل كان غلاما لحويطب
ابن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار
كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلعم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه وقيل هو سلمان
الفارسي ثم اجاب عن شبهتهم فقال لسان الذي واللسان اللغة والمعنى لسان الرجل الذي يلحدون يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان
اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة وقد مر في آخر الاعراف ان تركيب الالحاد يدل على الامالة ومنه الملحد لانه امال
مذهبه عن الاديان كلها قال ابو الفتح الموصلي تركيب ع ج م يدل على الابهام والخفاء ضد البيان والافصاح ومنه عجم الزبيب لاستتاره وخفائه
والعجماء البهيمة وصلوة الظهر والعصر عجماوان لان القراءة فيهما سرية واعجمت الكتاب اي ازلت عجمته ثم ان العرب تسمي كل من لا يعرف لسانهم ولا
يتكلم بلغتهم اعجميا وقال الفراء الاعجم الذي في لسانه عجمة وان كان عربيا وحاصل الجواب هب ان محمدا يتعلم المعاني من ذلك الرجل الا انه
لا يقدح في المقصود لان القرآن بفصاحته اللفظية ايضا معجز لما ذكر جوابهم وبخهم وهددهم بقوله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا
يهديهم الله يعني ان سبب عدم ايمانهم هو ان الله لا يهديهم كقوله ختم الله على قلوبهم وفسره الامام فخر الدين بان الله لا يهديهم الى طريق الجنة
بل يسوقهم الى النار وهذا التفسير يناسب اصول المعتزلة فلا ادري كيف مال اليه ثم لما بين انهم ليسوا مظاهر اللطف وقد كان قد بنى الكلام
في جوابهم على تسليم ما ادعى الخصم من انه يتعلم من ذلك البشر اراد ان يبين ان الذي قالوا غير صحيح ولا صادق في نفس الامر فقال انما يفتري الكذب
وفيه ايضا رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا على الافتراء واولئك اشارة الى قريش او الى
الذين لا يؤمنون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون اذ هم الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب
او هم الذين من شأنهم الكذب وذلك ديدنهم لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر ومما يدل
على كذبهم عقلا انهم اعداء له وكلام العدو ضرب من الهذيان ولا شهادة لمتهم وايضا ان امر التعليم لا يتم في مجلس واحد ولكنه يحتاج
الى زمن متماد ولو كان كذلك لاشتهر وانتشر وايضا ان العلوم الموجودة في القرآن كثيرة والمعلم يجب ان يكون اعلم واكمل من المتعلم
فلو كان مثل هذا العالم الذي يتعلم منه مثل النبي صلعم موجودا في ذلك العصر لم يخف حاله وحال الناس اليه دون النبي قال بعض علماء المعاني
عطف الجملة الاسمية التي هي قوله واولئك هم الكاذبون على ما قبلها وهي فعلية دال على ان من اقدم على الكذب فانه دخل في الكفر ثم نبه بها
على ان صفة الكفر فيهم ثابتة راسخة كما يقول كذبت وانت كاذب زيادة في الوصف بالكذب على سبيل الاستمرار والاعتياد ولا افتراء
اعظم من انكار الالهية والنبوة روي ان النبي صلعم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا وقرأ هذه الآية ثم انه سبحانه من كمال عنايته اراد ان يفرق بين
الكفر اللساني وحده وبين اللساني المنضم اليه القلبي فقال من كفر بالله اختلف العلماء في اعرابه فالاكثرون على انه بدل اما من الذين لا يؤمنون
بآيات الله وما بينهما اعتراض والمعنى انما يفتري الكذب من كفر واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر
صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب واما من المبتدأ الذي هو اولئك او من الخبر الذي هو الكاذبون وقيل منصوب على الذم

النحل
التفسير
مكان آية فصل آية م
لا يهديهم م
على الخبر م
والتعلم م

أي اختار شيئا من الكفر وجوز بعضهم أن يكون من شرطية والجواب محذوف لأن جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب إلا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب وإنما صح استثناء المكره من الكافر مع أنه ليس بكافر لأنه ظهر منه بعد الإيمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا فلهذه المشاكلة صح الاستثناء. قال ابن عباس نزلت في عمار بن ياسر وذلك أن المشركين بمكة أخذوه وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقيل لها إنك أسلمت من أجل الرجال وقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فأخبر رسول الله صلعم بأن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلعم يبكي عينيه وقال لم إن عادوا لك فعد لهم ما قلت فمن هنا حكم العلماء بأن الإكراه يجوز التلفظ بكلمة الكفر وحد الإكراه أن يعذب بعذاب لا طاقة له به كالتخويف بالقتل والضرب الشديد وسائر الإيلامات القوية وأجمعوا على أنه فليس عند ذلك يجب أن يكون متبرئا عن الكفر وأن يقتصر على التعريض ما أمكن مثل أن يقول إن محمدا كذاب يعني عند الكفار أو يعني به محمدا آخر أو يذكره على نية الاستفهام بمعنى الإنكار وإذا أعجله من أكرهه عن إحضار هذه النية أو لأنه لما عظم خوفه زال عن قلبه ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو ضيق المكره عليه حتى صرح بالكفر من غير تورية وطلب منه أن يقول لا أريد بقلبي سوى ما ذكره بلساني فههنا يتعين إما الكذب وإما توريط النفس كذبا بالعذاب فمن الناس من قال يباح له الكذب ومنهم من قال ليس له ذلك واختاره القاضي لأن الكذب إنما يقبح لكونه كذبا فوجب أن يقبح على كل حال ولو خرج الكذب عن القبح لغاية بعض المصالح لم يمتنع أن يفعل الله الكذب لمصلحة ما فلا يبقى وثوق بوعده ووعيده وللإكراه مراتب منها أن يجب الفعل المكره عليه كما لو أكره على شرب الخمر وأكل الميتة لما فيه من صون النفس مع عدم إضرار بالغير ولا إهانة لحق الله ومنها أن يصير الفعل مباحا لا واجبا كما لو أكره على التلفظ بكلمة الكفر لما روي أن بلالا صبر على العذاب كان يقول أحد أحد حتى ملوه وتركوه ولم يقل رسول الله صلعم بئسما فعلت بل عظموه ولأن في ترك التقية والصبر على القتل والتعذيب إعزازا للإسلام ومنها أنه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما إذا أكره على قتل إنسان أو على قطع عضو من أعضائه فههنا يبقى الفعل على الحرمة الأصلية ولو قتل فللعلماء قولان أحدهما لا يلزم القصاص وبه قال أبو حنيفة والشافعي في أحد قوليه لأنه قتله عن نفسه فأشبه قتل الصائل ولأنه كالآلة للمكره ولذلك وجب القصاص على المكره وثانيهما وبه قال أحمد والشافعي في أصح قوليه أن عليه القصاص لأنه قتله عدوانا لاستبقاء نفسه فصار كما لو قتل المضطر إنسانا فأكله ومن الأفعال ما لا يمكن الإكراه لأن الإكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الآلة فلو دخل الزنا في الوجود علم أنه وقع بالاختيار لا بالإكراه والأصح أن الإكراه فيه متصور وأن الحد يسقط وعن أبي حنيفة أنه إن أكره السلطان لم يجب الحد وإن أكره بعض الرعية وجب. قال بعض الأصوليين في قوله وقلبه مطمئن بالإيمان دلالة على أن محل الإيمان هو القلب فهو إما الاعتقاد إن كان الإيمان معرفة وإما كلام النفس إن كان تصديقا وانتصب صدرا على التمييز وأصله ولكن من شرح بالكفر صدره فعدل إلى النصب للمبالغة ولبناء الكلام على الإبهام ثم التفسير قوله ذلك بأنهم أي ذلك الارتداد بسبب أنهم رجحوا الدنيا على الآخرة ولأجل أنه تعالى ما هداهم إلى الإيمان ولم يعصمهم عن الكفر وقال جار الله ذلك الوعيد والغضب والعذاب بسبب استحقاقهم خذلان الله بكفرهم وهذا البحث وكذا بحث الطبع والختم والخلاف في تفسيرهما بين الأشاعرة والمعتزلة قد مر في أول سورة البقرة وفي غيرها فلا حاجة إلى الإعادة. أولئك هم الغافلون أي الكاملون في الغفلة إذ غفلوا عن تدبر العواقب لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون وقال في أوائل سورة هود هم الأخسرون لأن أولئك صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا وأضلوا ولذلك ضوعف لهم العذاب فهم الأخسرون وهؤلاء صدوا بأنفسهم فهم الخاسرون ويمكن أن يقال إن ما قبل الفواصل في تلك السورة لم يعتمد على ألف قبلها مثل يبصرون يفترون وفي هذه السورة اعتمدت على الألف مثل الكافرين الكاذبون فجاء في كل سورة على ما يناسبها ولما ذكر حال من أكره أتبعه حال من هاجر من بعد ما فتنوا قال جار الله معنى ثم إن ربك تباعد حال هؤلاء من حال عمار وأصحابه ومعنى إن ربك لهم أنه لهم لا عليهم فينصرهم ولا يخذلهم ويحتمل أن يكون الجار متعلقا بالخبر على نية التأخير وتكرير إن لطول الكلام من قرأ من بعد ما فتنوا بفتح الفاء مبنيا للفاعل فوجهان فتن وافتتن بمعنى والمراد أن أولئك الضعفاء المذكورين أكرهوا كلمة الكفر على سبيل التقية فكأنهم فتنوا أنفسهم لأن الرخصة في إظهار كلمة الكفر ما نزلت بعد وأراد أن أكابر المشركين الذين فتنوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فإن الله يقبل توبتهم ومعنى ثم على هذا التفسير ظاهر ومن قرأ بضم الفاء مبنيا للمفعول فالمراد أن المستضعفين المعذبين الذين حملهم أقوياء المشركين على الردة والرجوع عن الإيمان إن هاجروا وجاهدوا وصبروا فإن الله يغفر لهم تكلمهم بكلمة الكفر وقال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في الرسول ثم أسلموا وهاجروا فنزلت الآية فيهم فمعنى ثم تبعد حالة الغفران والرحمة عن حالة الارتداد والشك في أمر الرسول إلا أنه سبحانه بكرمه يغفر لهم إذا تابوا وقيل نزلت في عبد الله بن أبي سرح ارتد فلما كان يوم الفتح أمر النبي صلعم بقتله فاستجار له عثمان فأجاره رسول الله صلعم ثم إنه أسلم وحسن إسلامه وهذه الرواية إنما تصح لو جعلنا الآية مدنية ومثله ما روي عن قتادة أنه لما أنزل الله أن أهل مكة لا يقبل منهم إسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت الم أحسب الناس أن يتركوا

ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فكتبوا بها اليهم فتبايعوا بينهم ان يخرجوا فان لحق بهم المشركون من اهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا او يلحقوا بالله
فادركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزلت هذه الاية والضمير في قوله من بعدها يرجع الى الافعال المذكورة من الهجرة
والجهاد والصبر فالحاصل ان الاية اما نازلة فيمن عذب بمكة فارتد ومع ذلك هاجروا وجاهدوا واما نازلة فيمن اظهر الكفر تقية فبين تعالى ان حاله
اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لم يكن كذلك واما نازلة فيمن ارتد ثم تاب فقام بما يجب القيام به فوعد الله المغفرة والرحمة قال الزجاج يوم تأتي منصوب
بقوله رحيم او باضمار اذكر او ذكرهم وانذرهم ومعنى الاية ظاهر الا ان في قوله عن نفسها اشكالا من حيث اضافة النفس الى ضمير النفس واجيب بان المراد
بالنفس الاولى جملة بدن الحي وبالنفس الثانية الذات فكانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره ومعنى المجادلة عنها الاعتذار
عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك عن بعضهم تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا لركبتيه يقول يا رب
نفسي حتى ان ابرهيم الخليل ص يفعل ذلك ثم اوعد الكفار بآفات الدنيا ايضا فقال وضرب الله مثلا قرية يحتمل ان يكون مقدرة ان يكون
مقدرة وان يكون معينة موجودة اما مكة او غيرها وذهب كثير من المفسرين الى انها مكة وقال الاقرب انها غيرها لان مثل مكة يكون غير مكة
فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها قال العقلاء ثلثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية فوصف الله تعالى تلك القرية بالامن ثم
بالاطمئنان اشارة الى ان هواء ذلك البلد لاعتداله ملائم لامزجة اهله حتى اطمأنوا واستقروا ولم يخرجوا الى الانتقال طلبا للصحة ثم قال يأتيها
رزقها رغدا من كل مكان دلالة على حصول الكفاية لهم بالسر ونحو قال في الكشاف الانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس
وابؤس قلت لعله حمل على ذلك طلب الضبط والا فلا حاجة الى هذا التكلف كذا اطلق الاكثرون ان جمع فعلة يجيء على افعل فقيل انما ذكر جمع القلة تنبيها
بالادنى على الاعلى يعني ان كفران النعم القليلة يوجب العذاب فكيف بكفران النعم الكثيرة العظيمة وهذا مثل لاهل مكة كانوا في الامن والطمأنينة
والخصب ثم انعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد ص فكفروا بها وبالغوا في ايذائه فسلط الله عليهم البلاء عذبهم بالجوع سبع سنين حتى اكلوا
الجيف والعظام العلهز والقد وكان النبي ص يبعث اليهم السرايا فيغيرون عليهم نقل ان ابن الراوندي قال لابن الاعرابي الاديب هل يذاق اللباس
قال ابن الاعرابي لا باس ايها النسناس هب ان محمدا ص ما كان عربيا كانه طعن في الاية ان المناسب هو ان لو قيل فكساها الله لباس الجوع او
فاذاقها الله طعم الجوع فرد عليهما ابن الاعرابي والذي اجاب به علماء البيان ان هذا من تجريد الاستعارة وذلك انه استعار اللباس لما غشي
الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر الوصف ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف
جرى عندهم مجرى الحقيقة يقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت مرشحة وقد
سلف تقرير هذا الاصطلاح في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب وترشيح الاستعارة وان كان مستحسنا من جهة المبالغة الا ان
للتجريد ترجيحا من حيث انه روعي جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحا وقيل ان اصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف
والاختبار تقول انظر لي انا فانا ذوق ما عنده شعر قال ومن يذق الدنيا فاني طعمتها ؛ وسيق الينا عذبها وعذابها ؛ فمعنى ذوقت لباس
الجوع والخوف على فلان تعرفت ما ظهر عليه من الضمور وشحوب اللون وتغير الحال وكسوف البال فمحصول الاية عرفها الله اثر لباس الجوع و
وقيل حمل اللباس على المماسة والتقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قال ابن عباس يريد بفعلهم بالنبي ص من التكذيب
والهم بقتله والاخراج من مكة قال الفراء كل الصفات اجريت على القرية الا قوله يصنعون تنبيها على ان المراد في الحقيقة اهلها ولما ذكر المثل
والممثل قال ولقد جاءهم يعني اهل مكة رسول منهم من انفسهم يعرفونه باصله ونسبه فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ملتبسون بالظلم قال ابن
عباس يعني بالعذاب الجوع الذي كان بمكة وقيل القتل يوم بدر وقيل ان قول ابن عباس اولى والمراد ان ذلك الجوع بسبب كفرهم فاتركوا الكفر
فكلوا مما رزقكم الله من الغنائم فاكل الغنائم مسبب عن ترك الكفر فلذلك وصله بالفاء وقال الكلبي ان رؤساء مكة كلموا رسول الله ص حين جهدوا
وقالوا عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم باذن رسول الله ص فاذن في حمل الطعام
اليهم فلذلك قوله فكلوا ورجح قول ابن عباس بانه تعالى قال بعد ذلك انما حرم عليكم الميتة فالمراد انكم لما امنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال
الطيب وهو الغنيمة واتركوا الخبائث وهو الميتة والدم وانه سبحانه اعاد تحريم هذه الاشياء في البقرة وفي المائدة وفي الانعام وفي هذه السورة قطعا
للاعذار وازالة للشبهة ثم زيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه المحرمات كالبحيرة والسائبة وفي النقصان كتحليلهم الميتة والدم فقال ولا
تقولوا لما تصف السنتكم الكذب قال الكسائي والزجاج ما مصدرية وانتصاب الكذب بلا تقولوا اي ولا تقولوا الكذب لاجل وصف السنتكم
قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويمكن ان ينتصب الكذب لاجل وينتصف وتجعل ما مصدرية ايضا اي لا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام لوصف السنتكم الكذب ومعناه لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم من غير حجة ودليل ويجوز ان تكون ما موصولة اي ولا تقولوا
للذي تصف السنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام فحذف لفظة فيه لكونه معلوما وقوله تصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه كان
ماهية الكذب مجهولة وكلامهم يكشف عن حقيقتها نظيره قولهم وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر واللام في قوله لتفتروا لام العاقبة لا الغرض
المقصود من ذكره بيان انه كذب على الله فان قوله لما تصف السنتكم الكذب لم يكن فيه هذا البيان ثم اوعد المفترين بقوله ان الذين يفترون الاية

سورة النحل

لان اطلاق الذوق على ادراك الجوع والخوف صح

وقوله متاع قال الزجاج اي متاعهم وعن ابن عباس بل ان متاع كل الدنيا قليل والمعنى ان منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية
او ان نعيم الدنيا كلها زائل عنهم عما قريب ويبقى العقاب الدائم الاليم ثم خص محرمات اليهود بالذكر فقال وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا
عليك من قبل يعني في سورة الانعام عند قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ثم قال وما ظلمناهم كقوله هنالك ذلك جزيناهم
ببغيهم ثم بين ان الافتراء على الله ومخالفة امره لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة وقوله بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين
غير عارفين بالله وبعقابه او غير متاملين في عاقبته لغلبة الشهوة عليهم ان ربك من بعدها من بعد تلك السيئة او التوبة او الجهالة
ولما بالغ في ابطال مذاهب المشركين وفي الجواب عن شبههم ومطاعنهم وكان ابرهيم صم رئيس الموحدين وقدوة اكابر النبيين ذكره الله
تعالى في اخر هذه السورة فقال ان ابرهيم كان امة اي هو وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا قيل انه امة وكان رسول الله صم يقول في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله وحده
وعن شهر بن حوشب لم يكن زمن الا وفيه اربعة عشر يدفع بهم الله عن اهل الارض الا زمن ابرهيم فانه كان وحده وقيل امة بمعنى مأموم اي يؤمه
الناس ليأخذوا منه افعال الخير او بمعنى مؤتم به كقوله اني جاعلك للناس اماما وقيل انه من باب اطلاق المسبب على السبب وفيه خصلة بها
الامتياز عمن سواهم قانتا لله قائما بما امره الله وعن ابن عباس مطيعا لله حنيفا مائلا الى ملة الاسلام ميلا لا يزول عنه وقال ابن عباس
المراد انه اول من اختتن واقام مناسك الحج وضحى ولم يك من المشركين قط لا في الصغر ولا في الكبر شاكرا لانعمه وان كانت قليلة فضلا عن
النعم الكثيرة يروى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى
الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى
صراط مستقيم اي ملة الاسلام وآتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة هي ان الله حببه الى اهل الاديان كلها وقيل الاموال والاولاد وقيل
قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين في اعلى مقاماتهم من الجنة تحقيقا لدعائه والحقني بالصالحين قال في
الكشاف معنى ثم في قوله ثم اوحينا اليك تعظيم هذا النعت من بين سائر النعوت التي اثنى الله بها على ابرهيم ليعلم ان اجل ما اوتي خليل
الله اتباع نبينا ملته في الاصول من التوحيد والمعاد وغيرهما كاختيار يوم الجمعة للفراغ وترك العمل قال اهل النظم كان لسائل ان يسئل
لم اختار اليهود السبت مع ان ابرهيم كان اختار الجمعة فاجاب الله سبحانه بقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فاختاره بعضهم
للفراغ واختار بعضهم الجمعة روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال امرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا في كل سبعة ايام يوما واحدا فابوا ان
يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فشدد عليهم ثم جاءهم عيسى بالجمعة ايضا فقالت النصارى لا
نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى ابو هريرة عن النبي صم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله
له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقال صاحب الكشاف السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة وضعف القول
الاول بان اليهود متفقون على تعيين يوم السبت للفراغ ويمكن ان يقال لعل فيهم من اختار الجمعة في قديم الدهر ثم دفع الاختلاف سؤال النصارى
يقولون ان يوم الاحد مبدأ الخلق والتكوين على ما اتفق عليه اهل الملل انه تعالى خلق العالم في ستة ايام اولها الاحد فجعله عيدا معقول و
اليهود قالت ان يوم السبت هو اليوم الذي فرغ الله فيه من الاعمال فنحن نوافق ربنا فاوجه جعل الجمعة عيدا والجواب بعد التعبد هو ان يوم الجمعة
يوم التمام والكمال وذلك يوجب الفرح والسرور فجعله عيدا اولى ثم اوعد اليهود بقوله وان ربك ليحكم الاية ولما امر محمدا باتباع ابرهيم صم وجه
المتابعة فقال ادع الى سبيل ربك الاية وفيه ان طريقه صم في الدعوة كانت هكذا وتقريره ان الداعي الى مذهب ونحلة لا بد ان يكون
قوله مبنيا على حجة وهي اما ان يكون يقينية قطعية مبرأة من شائبة احتمال النقيض واما ان يكون مفيدة للظن القوي والاقناع والالزام لا يمكن
ملتفتا اليها في العلوم وقد يكون الجدال والخصام غالبا على المدعو فيحتاج الى الزامه وافحامه بدليل مركب من مقدمات مشهورة مسلمة
عند الجمهور او من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور او من مقدمات مسلمة عند الخصم فقوله بالحكمة اشارة الى استعمال الحجج القطعية المفيدة
لليقين والمكالمة بهذا الطريق انما يكون مع الطالبين البالغين في الاستعداد الى درجة الكمال وقوله والموعظة الحسنة اشارة الى استعمال
الدلائل الاقناعية الموقعة للتصديق بمقدمات مقبولة واهل هذه المكالمة اقوام انحطت درجتهم عن درجة الطائفة الاولى الا انهم باقون على الفطرة
الاصلية طاهرون عن دنس الشغب وكدورات الجدال وهم عامة الخلق وليس للدعوة الا هذان الطريقان لكن الداعي قد يضطر مع الخصم
الالد الى استعمال الحجج الملزمة المفحمة كما قلنا فلهذا السبب عطف على الدعوة قوله وجادلهم بالتي اي بالطريقة التي هي احسن وكان طريق
الجدال لم يكن سلوكه مقصودا بالذات وانما اضطر الداعي اليه لاجل كون الخصم مشاغبا وانما استحسن هذا الطريق لكون الداعي محقا صادقا
وغرضه صحيحا فان كان مبطلا واراد تغليط السامع لم يكن جدالا حسنا وسمي دليله مغالطة هكذا ينبغي ان يتصور تفسير هذه الاية فان كلام المفسرين
الظاهريين فيه غير مضبوط وجوز في الكشاف ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم باحسن طرق المجادلة

من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف في المباحثة على الدعوة بالطرق المذكورة بين ان الرشد والهداية ليس الى النبي وانما ذلك الى الله فقال
إن ربك هو أعلم الآية أي هو العالم بضلال النفوس واهتدائها وكدورتها وصفائها ومن جعل الدعوة سببا لسعادتها وواسطة لشقائها
ثم ان الدعوة تتضمن تكليف المدعوين بالرجوع عن الدين المألوف والفطام منه شديد فربما تجر المقاولة الى المقاتلة فأمر الداعي واتباعه
برعاية العدل في حالة القتال فقال وإن عاقبتم أي ان رغبتم في استيفاء القصاص ان وقع قتل فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه والآية
عامة وفيه تخصيصها رواة أسباب النزول بقصة حمزة قالوا ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا أحدا غير
ممثول الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلعم على حمزة وقد مثل به وقد روي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به ان اظفرني الله بهم لامثلن
بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده قال ابن عباس في رواية عطاء وابي بن كعب ان هذا ذهبوا الى ان هذه الآية سورة النحل مدنية
ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور وقيل نزلت حين كان المسلمون قد امروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا
يبدءوا بالقتال فهو كقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم امر الله تعالى ان يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا وقال مجاهد
والنخعي وابن سيرين انه نهي المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وفي قوله وإن عاقبتم رمز الى ان الاولى له ان لا يفعل كقول الطبيب للمريض ان كنت
تأكل الفاكهة فكل التفاح ثم انتقل من التعريض الى بعض التصريح فقال ولئن صبرتم لهو خير أي صبركم خير لكم فوضع المظهر موضع المضمر
ثناء من الله عليهم او وصفا لهم او جنس الصبر خير للصابرين من جنسهم ثم صرح كل التصريح فقال واصبر ثم ذكر ما ينبه ان الصبر على النفس ثقيل فقال
وما صبرك إلا بالله أي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه وهذا سبب كلي مفيد للصبر واما السبب الجزئي القريب فذلك قوله ولا تحزن عليهم
ولا تك وذلك ان اقدام الانسان على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب وشدته لا يهيج الا عند فوت نفع واشار اليه بقوله ولا تحزن عليهم
قيل على قتلى احد وقيل على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين والاحسن توقع مكروه في المستقبل واشار الى ذلك بقوله
ولا تك في ضيق مما يمكرون قرأ ابن كثير بكسر الضاد فظاهر وهو من الكلام المقلوب الذي يشجع عليه امن الالباس لان الضيق وصف فهو يكون في الانسان
ولا يكون الانسان فيه وفيه لطيفة اخرى هي ان الضيق اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط به من جميع الجوانب ومن قرأ بفتحها فاما على انه مصدر
ايضا واما على انه مخفف ضيق واما لم يقل ولا تكن بالنون كما في آخر النمل موافقة لما قبله ولم يك من المشركين ولان الحزن هاهنا اكثر بناء على انها
وردت في قتل حمزة فبولغ بالحذف في النهي عن الحزن ثم ختم السورة بآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات فقال إن الله مع الذين اتقوا
المعاصي كلها والذين هم محسنون في الطاعات بان يعبدوا الله مخلصين عن شوائب الرياء وقيل ان الله مع الذين اتقوا استيفاء الزيادة و
الذين هم محسنون في ترك اصل الانتقام فان اردت معية الذين اتقوا ان تكون معانا بالنصر والتأييد فكن من المتقين من المحسنين وفيه ان
الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب ان يكون بالرفق واللين مرتبة مرتبة وقيل الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى
الشفقة على خلق الله وسمعت قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق واحتضر هرم بن حيان فقيل له اوص فقال انما الوصية
من المال ولا مال لي اوصيكم بخواتيم سورة النحل التأويل وإذا بدلنا آية انه تعالى يعالج بدواء القرآن امراض القلوب في كل وقت بنوع آخر على ما يعلم
من المصالح فلذلك قال والله أعلم بما ينزل وبشرى للمسلمين الذين استسلموا للطبيب معالجتهم حتى صارت قلوبهم سليمة انما يعلمه بشر فيه انكار ان
طب القلوب وعلاجها من شأن البشر بنظر العقل لانه مبني على معرفة الامراض وكميتها وكيفيتها ومعرفة الادوية وخواصها وكيفية استعمالها ومعرفة
الامزجة واختلاف احوالها وان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء فيضيق عن معالجتها نطاق عقول البشر ولهذا قال ابراهيم واذا
مرضت فهو يشفين اللهم الا اذا علم بتعليم الله كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ومع هذا كان يقول نحن نحكم بالظاهر يلحدون إليه أعجمي هو الذي لا يفهم
من كلام الله اسراره وحقائقه والعربي ضده كما قال فانما يسرناه بلسانك انما يفتري الكذب الا ان الافتراء من شأن النفس الامارة الذين لا يؤمنون
بآيات الله واولئك هم الكاذبون أي هم الذين استمروا على الكذب لان المؤمن قد يكذب في بعض الاحوال الا انه لا يصر على ذلك وهكذا في
جميع المعاصي ولهذا لا يخرج المؤمن من الايمان بالكلية ولكن ينقص الكذب ايمانه ويرجع بالتوبة الى اصله قال النبي صلعم ما يزال العبد يكذب ويتحرى
الكذب حتى يكتب عند الله كذابا من كفر بالله من بعد ايمانه اشارة الى المريد المرتد يتنسم روائح نفحات الحق بمشام قلبه حتى هبت نفحات
اصطكاك هوية سالم الباطن واحترقت سحب البشرية فلمع له برق اضاءت به آفاق سماء القلب واشرقت ارض النفس فامن بحقيقة الطلب
الا انه احتمال التعب فاستوقد نار الشوق والمحبة فلما اضاءت ما حوله وبلغ في اجتهاده جده وحوله هبت نكباء النكبات فضعفت مراتب
قلبه ذهب الله بنوره واخمد نار الطلب وقد الشؤم الطبع الا من اكره على مباشرة فعل او قول يخالف الشريعة من معاملات اهل الطبيعة
بهما في الظاهر ويخالفهم بالباطن حتى يتخلص من شؤم صحبتهم استحبوا الحياة ومحبة الدنيا وشهواتها على محبة الله وان الله لا يهدي الى حضرته القوم
الكافرين بنعمته واولئك هم الغافلون عما اعد الله لعباده الصالحين هم الخاسرون لان الاعتياض عن العبودية يورث خسران القلوب عن
الربوبية ثم ان ربك للذين هاجروا نفوسهم وهواهم من بعد ما فتنوا بحب الفناء وامر الحق وتدابيره ثم جاهدوا النفوس فيستوفون من ضاب
وصبروا على تزكيتها وتحليتها متمسكين بحبل ارادة الشيخ يوم تأتي ارباب النفوس تجادل عن نفسها على قدر بقاء وجودها دفع المضار



وجدان بالمنافعهما حتى ان كل نبي يقول نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه فان بالكلية عن نفسه باق ببقاء ربه فيقول امتي امتي لانه مغفور ذنب وجوده المتقدم
في الدنيا والمتأخر في الآخرة بما فتح الله له ليلة المعراج اذ اجيب بخطاب سلام عليك ايها النبي ففني عن وجوده بالسلام وبقي بوجوده بالرحمة
فكان رحمة مهداة يدبر كافة الناس كافة ولكن ينتفع الذين من تلك الضيافة وجب لهم تابعيه فلهذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
يعني الذين صلحوا لبذل الذين الوجود في طلب المقصود فهي قرية شخص الانسان كانت مستراح اهله وهو الروح الانساني مطمئنة
بذكر الله يأتيها رزقها من المواهب من كل مكان روحاني وجسماني فكفرت النفس الامارة فاذاقها الله لباس الجوع وهو انقطاع مواد التوفيق
فاكلوا من جيفة الدنيا وميتة المستلذات والخوف وهو خوف الانقطاع عن الله ولقد جاءهم رسول الواردات تلى فما تخلفوا باحلاته
وكلوا مما رزقكم الله من انوار الشريعة واسرار الطريقة فهذا حلال وهذا حرام على عادة اهل العبادة الا باحة وعلى الذين هادوا اي تابوا حرمنا
من موانع الوصول ما قصصنا عليك في بدو سلوكك حتى كنت تحرزا عن صحبة خديجة وتتحنث في حراء اسبوعا واسبوعين وما ظلمناهم بتحريم
ذلك عليهم بل نعمنا به عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاعراض عنا بعد الاقبال علينا ولم يك من المشركين من له شركة مع الله في
الوجود ان اتبع ملة ابراهيم الظاهر حتى يتبعك هو في الباطن ولهذا ذهب الى ربه فقال اني ذاهب الى ربي واسري بمحمد كما سبحان الذي اسرى
بعبده فهو خليل وانت حبيب تبعث الخليل في الدنيا فيتبعك الخليل في الآخرة الناس محتاجون الى شفاعتي يوم القيمة حتى ابراهيم وان
عاقبتم النفس الامارة فعاقبوا اي بالغوا في عقابها بالفطام عن مالوفاتها بمثل ما عوقبتم به من الانقطاع عن مواد التوفيق والمواهب
ولئن صبرتم على معاقبتهم لهو خير لان عتاق الجنيب على قدر عقاب العدو اي اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك واصبر على
معاقبة النفس ومخالفة الهوى وما صبرك الا بالله ولا يقدر احد ان يتصف بصفاته الا بان يتجلى بتلك الصفة له ولا تحزن
على النفس وجنودها عند المعاقبة فان فيها صلاح حالهم وما لهم ولا تك في ضيق مما يمكرون فان مكرهم يندفع بمعونة الله عند الفرار اليه

سورة بني اسرائيل مكية الا قوله وان كادوا ليفتنونك وقوله وقل جاء الحق ونحوها ستة الاف واربع مائة وستون كلمة الا
الف وخمسمائة وثلاثة وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

آياتها مائة واحدى عشرة

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه
من آياتنا انه هو السميع البصير ﴿١﴾ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا
من دوني وكيلا ﴿٢﴾ ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ﴿٣﴾ وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴿٤﴾ فاذا جاء وعد اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي
بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ﴿٥﴾ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال
وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ﴿٦﴾ ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا
وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴿٧﴾ عسى ربكم ان يرحمكم وان
عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴿٨﴾ ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا ﴿٩﴾ وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ﴿١٠﴾ ع
ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا ﴿١١﴾ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل
وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا

وكل انسان الزمناه في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا ۝ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم

عليك حسيبا ۝ من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما

كنا معذبين حتى نبعث رسولا ۝ واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول

فدمرناها تدميرا ۝ وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ۝ من كان

يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا ۝ و

ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا ۝ كلا نمد هؤلاء

وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ۝ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر

تفضيلا ۝ القراآت يتخذوا بياء الغيبة ابو عمرو وعباس مخيرا الباقون بتاء الخطاب ساتم بالمد ابو عمرو ويزيد والاصبهاني عن ورش والاعشى وحمزة في الوقف ليسوءوا بياء الغيبة على التوحيد ابن عامر وحمزة وابو بكر وحماد ولنسوء بالنون علي الباقون ليسوءوا على الجمع ويبشر مخففا حمزة وعلي ويخرج بالياء مجهولا يزيد ويخرج لازما يعقوب الاخرون بالنون متعديا يلقاه مشددا ابن عامر ويزيد وروى النقاش عن ابن ذكوان بالامالة الباقون مخففة وقرأ حمزة وعلي وخلف بالامالة اقرأ كتابك بغير همز الاعشى ويزيد وحمزة في الوقف امرنا من باب المفاعلة يعقوب ۝ الوقوف الجزء الخامس عشر بآياتنا ط البصير ه لمن قرأ يتخذوا بتاء الخطاب لامكان ان يجعل ذرية منادى نوح ط شكورا ه كبيرا ه الديار ط مفعولا ه نفيرا ه فلها ط لان ما بعده عائد الى قوله فاذا جاء وعد اولاهما مع اعتراض العوارض تتبيرا ه يرحمكم ج للابتداء بالشرط مع العطف عدنا م حذرا من توهم العطف حصيرا ه كبيرا ه للعطف اليما ه بالخير ط عجولا ه والحساب ط تفصيلا ه عنقه ط منشورا ه كتابك ط حسيبا ه لتعذر الشرط لنفسه ج للشرط مع العطف عليها ط اخرى ط رسولا ه تدميرا ه نوح ط بصيرا ه جهنم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف مدحورا ه مشكورا ه عطاء ربك ط محظورا ه بعض ط تفضيلا ه ۝ التفسير لما عزم على نبيه في خواتيم النحل جوامع مكارم الاخلاق حكى طرفا مما اختصه به من المعجزات فقال سبحان الذي وهو اسم علم للتسبيح وقد مر اعرابه في قوله سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والمراد تنزيه الله من كل ما لا يليق بجلاله واسرى وسرى لغتان يروى انه لما وصل النبي صلعم الى المراتب العلية في معراجه اوحى الله اليه يا محمد بم اشرفك فقال يا رب بنسبتي الى نفسك بالعبودية فانزل فيه سبحان الذي اسرى بعبده وقوله ليلا نصب على الظرف وفيه تأكيد الاسراء وفي تنكيره تقليل مدة الاسراء لان التنكير فيه معنى البعضية اخبر انه اسرى به في بعض الليل من المسجد الحرام عن النبي صلعم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل بالبراق قيل المراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد والى هذا القول ذهب الاكثرون قالوا انه اسرى به من دار ام هانی بنت ابي طالب قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة الى المسجد الاقصى هو بيت المقدس بالاتفاق سمي بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عم ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقوله اسرى مع قوله باركنا سلوك لطريقة الالتفات لنريه من آياتنا بيان لحكمة الاسراء سؤال ارى ابرهيم عم ملكوت السموات والارض وارى محمدا صلعم بعض آياته فيلزم ان يكون معراج ابرهيم افضل الجواب لعل بعض الآيات المضافة الى الله تعالى اشرف واجل من ملكوت السموات والارض كلها ولهذا ختم الآية بقوله انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله المهذبة الخالصة فيكرمه على حسب ذلك واعلم ان الاكثرين من علماء الاسلام اتفقوا على انه اسرى بجسد رسول الله صلعم والاقلون على انه ما اسرى الا بروحه حكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كان ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلعم ولكن عرج بروحه وحكى هذا القول عن عائشة ايضا وقد احتج بعض العقلاء على هذا القول بوجوه منها ان الحركة الجسمانية البالغة في السرعة الى هذا الحد غير معقولة ومنها ان صعوده الى السموات يوجب انخراق الفلك ومنها انه لو صح ذلك لكان من اعظم معجزاته فوجب ان يكون بمجمع من الجم الغفير حتى يستدلوا بذلك على صدقه وما الفائدة في اسرائه ليلا على حين غفلة من الناس ومنها ان الانسان عبارة عن الروح وحده لانه باق من اول عمره الى آخره والاجزاء البدنية في التغير والانتقال وانها مغايرة للمتغير ولان الانسان يدرك انه حين ما يكون غافلا

وكذا

التفسير

المعراج



عن جميع جوارحه وأعضائه. ومنها قوله سبحانه ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ وما تلك الرؤيا إلا حديث المعراج، وإنما كانت
فتنة للناس لأن كثيراً ممن آمن به حين سمعها ارتد وكفر به. ومنها أن حديث المعراج اشتمل على أشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه وتطهيره
بماء زمزم وركوب البراق وإيجاب خمسين صلاة فإن ذلك يقتضي نسخ الحكم قبل حضور وقته وأنه يوجب البداء. أجاب الأكثرون عن الأول
بأن حركة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى فوق الفلك الأعظم لم يكن إلا نصف القطر إلى نصف الدور ونسبة الواحد إلى ثلاثة أمثال وسبع هي نصف
حركة الفلك في يوم بليلته وإذا كان الأكثر واقعاً فالأقل بالإمكان أولى، ولو كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة ممتنعاً لكان القول بنزول
جبرئيل من العرش إلى مكة في لحظة واحدة ممتنعاً لأن الملائكة أيضاً أجسام عند جمهور المسلمين وكذا القول في حركات الجن والشياطين. وقد
سخر الله تعالى لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر، وقال ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ وكان
عرش بلقيس في أقصى اليمن وسليمان في الشام. وعلى قول من يقول إن الإبصار بخروج الشعاع وعلى قول من يقول إن الإبصار بالاتصال فإنما ينتقل شعاع العين
من البصر إلى الكواكب الثابتة في آن واحد، فثبت أن المعراج أمر ممكن في نفسه، أقصى ما في الباب الاستبعاد وخرق العادة ولكنه ليس مخصوصاً
بهذه الصورة وإنما ذلك أمر حاصل في جميع المعجزات. وعن الثاني أن انخراق الأفلاك عند حكماء الإسلام جائز. وعن الثالث أن فائدة الإسراء
لعله إذا عاين بهجة شاهد العالم العلوي والعرش والكرسي وما فيهما وعليهما حصل في قلبه زيادة قوة وطمأنينة بها انقطعت علاقته عن الكونين
ولم يبق مشغول القلب بشيء من أمور الدنيا والآخرة. وعن الرابع أن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد. وعن الخامس أن تلك الرؤيا هي
غير حكاية المعراج كما سيجيء في تفسيره، ولو سلم أنها المعراج فالرؤيا بمعنى الرؤية. وعن السادس أنه لا اعتراض على الله تعالى في شيء من أفعاله
وأنه على كل شيء قدير. واعلم أنه ليس في الآية دلالة على العروج من بيت المقدس إلى السماوات وإلى ما فوق العرش إلا أنه ورد الحديث
ومنهم من استدل على ذلك بأول سورة النجم وبقوله ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ وتفسيرهما مذكور في موضعه. يروى أنه كان صلى الله عليه وسلم نائماً في بيت
أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانئ وقال مثل لي النبيون وصليت بهم، وقام ليخرج إلى المسجد
فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال ما لك قالت أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم قال وإن كذبوني، فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحديث الإسراء به من مكة إلى بيت المقدس ومنه عرج إلى السماء ورأى ما فيها من العجائب ولقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة
المنتهى، فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً، وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى
رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا أتصدقه على ذلك قال إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق
وكان فيهم من سافر إلى الشام فاستنعتوا المسجد فجلي له صلى الله عليه وسلم بيت المقدس فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب، فقالوا
أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق، فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو
الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت، وقال آخر وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد صلى الله عليه وسلم ثم لم يؤمنوا و
قالوا ما هذا إلا سحر مبين. ولما حكى طرفاً من إكرام موسى فقال ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ أي التوراة ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ أخرجناهم بواسطته
من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والدين ﴿ألا تتخذوا﴾ ومن قرأ على الغيبة فأن ناصبة ولام العاقبة محذوف والتقدير لئلا يتخذوا، ومن قرأ
على الخطاب فأن مفسرة ومعناها أي لا تتخذوا كقولك كتبت إليه أن افعل كذا، أو زائدة والقول مضمر يعني قلنا لهم لا تتخذوا ﴿من دوني وكيلاً﴾
رباً تكلون إليه أموركم ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ قال قتادة الناس كلهم ذرية نوح عليه السلام لأنه كان معه في السفينة ثلاثة بنين سام وحام ويافث
كلهم من ذريته أولئك، فقوله يا ذرية قائم مقام قوله يا أيها الناس. وعلى القراءة الأولى انتصب ذرية على الاختصاص وعلى القراءتين احتمل
أن ينتصب على أنه مفعول أول لتتخذوا والثاني وكيلاً أي لا تجعلوهم أرباباً كقوله ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ ومن ذرية المحمولين
مع نوح عيسى وعزير. ثم علل النهي عن الإشراك بقوله ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ أي إنكم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم
أسوتهم في الشكر لله وعدم اتخاذ الشريك له. ويجوز أن يكون تعليلاً للاختصاص ببني إسرائيل والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح
فهم متصلون به فلهذا استأهلوا الاختصاص. وجوز في الكشاف أن يكون ثناء على نوح بطريق الاستطراد. يروى من شكره أنه كان إذا
أكل قال الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني، وإذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني، وإذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني
ولو شاء أعراني، وإذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء أحفاني، وإذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية ولو
شاء حبسه. وكان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به فإن وجده محتاجاً آثره به. ثم ذكر أن كثيراً من بني إسرائيل ما اهتدوا وأبطلوا التوراة
فقال ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ أوحينا إليهم وحياً مقضياً مقطوعاً به ﴿في الكتاب﴾ الذي هو التوراة. وقوله ﴿لتفسدن﴾ جواب قسم محذوف
أو أجري القضاء المبتوت مجرى القسم كأنه قيل وأقسمنا ﴿لتفسدن في الأرض﴾ أرض مصر ﴿مرتين ولتعلن﴾ لتعظمن ولتستولن على الناس ﴿علواً
كبيراً﴾ استطالة عظيمة وبغياً شديداً ﴿فإذا جاء وعد﴾ عقاب ﴿أولاهما﴾ أولى المرتين ﴿بعثنا﴾ أرسلنا وسلطنا ﴿عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد﴾
أصحاب نجدة وشدة في القتال ﴿فجاسوا﴾ ترددوا للغارة ﴿خلال الديار﴾ أوساطها وفرجها يعني ديار بيت المقدس ﴿وكان وعد﴾ العقاب ﴿وعداً

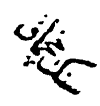
مفعولا



مفعولا لابد من وقوعه ثم رددنا لكم الكرة الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وجعلناكم
اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه احتجت الاشاعرة بقوله سبحانه بعثنا وكان وعدا مفعولا على صحة القضاء
والقدر وان الفساد والنهب والقتل والاسر كلها بفعله واجابت المعتزلة بان المراد انه خلى بينهم وبين ما فعلوا ولم يمنعهم عن تخريب بيت المقدس
واحراق التوراة وقتل حفاظها وضعف بان تفسير البعث بالتخلية وعدم المنع خلاف الظاهر على ان الدليل الكلي العقلي قد دل على وجوب انتهاء
الكل اليه ولما حكى عنهم انهم حين عصوا سلط عليهم اعداءهم مهد قاعدة كلية في الاحسان والاساءة قائلا ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اساتم فلها المراد فعليها او فاليها للتقابل مع ان حروف الاضافة تقوم بعضها مقام البعض قال اهل الاشارة انه اعاد الاحسان ولم يذكر الاساءة الا مرة
ففيه دليل على ان جانب الرحمة اغلب فاذا جاء وعد عقاب المرة الآخرة بعثناهم حذف جواب اذا لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم
ليجعلها الله او الوعد او البعث وليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها لان آثار الاعراض النفسانية الحاصلة في القلب انما تظهر على
الوجه وليتبروا ما علوا ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه ويجوز ان يكون ما بمعنى المدة اي مادام سلطانهم جاريا على بني اسرائيل وقوله
تتبيرا ذكر المصدر ازالة للشك وتحقيقا للخبر يروى ان بني اسرائيل تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء وذلك
اول الفسادين فسلط الله عليهم بختنصر او سنحاريب جنوده او جالوت عن ابن عباس فقتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وسبوا منهم سبعين
الفا وبقوا في الذل الى ان قيض الله ملكا آخر من اهل بابل وتزوج بامرأة من بني اسرائيل وطلبت من ذلك الملك ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس
ففعل وبعد مدة قامت فيهم الانبياء ورجعوا الى احسن ما كانوا عليه ثم اقدموا على قتل زكريا ويحيى ع وقصدوا قتل عيسى عليهم السلام وهذا ثاني
الافسادين فانتقم من اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له قسطنطين الملك وقال صاحب الكشاف المرة الاولى قتل زكريا وحبس ارميا
والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى واعلم انه لا يتعلق كثير غرض بمعرفة اعيان هؤلاء الاقوام والمقصود الاصلي الذي دل عليه القرآن
هو انهم كلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم اعداءهم وفيه تحذير للعقلاء من مخالفة اوامر الله ونواهيه ثم قال عسى ربكم يا بني اسرائيل ان يرحمكم
بعد انتقامه منكم في المرة الثانية وان عدتم للثالثة عدنا لها قال اهل السير ثم انهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو تكذيب محمد ص و
كتمان ما ورد من نعته في التوراة والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على ايدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع ويهود
خيبر ما جرى من القتل والاجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا حشمة لهم ولا عزة فيهم في عذاب الى يوم القيامة واما بعد ذلك
فهو قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا حاصرا او محصورا لا يتخلصون منه ابدا وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المنسوج
ثم لما شرح فعله في حق عباده المخلصين كمحمد ص وموسى ع وفي عبيده العاصين كاكثر بني اسرائيل وكان في ذلك تنبيه على ان طاعة الله توجب
كل خير وكرامة ومعصيته تقتضي كل شر وغرامة عظم شان القرآن المبين للاحكام الهادي للانام فقال ان هذا القرآن يهدي للتي اي للحالة
او الشريعة او الطريقة التي هي اقوم وفي حذف الموصوف فخامة يعرفها اهل البلاغة لعموم الاعتبار وذهاب الوهم كل مذهب قيل هذا
الشيء اقوم من ذلك انما يصح في شيئين يشتركان في معنى الاستقامة ثم يكون للاول فضل على الآخر وكيف يتصور في غير هذا الدين
شيء من الاستقامة حتى يستقيم التفضيل واجيب بان افعل ههنا بمعنى الفاعل كقولنا الله اكبر اي هو الكبير وكقولهم الناقص والاشج اعدلا
بني مروان اي عادلا بني مروان ويمكن ان يقال لا شيء من الاديان الا وفيه نوع من الاستقامة كالاعتراف بالله الواجب بالذات والالتزام
لاصول الاخلاق ومكارم العادات وقوانين السياسات الا ان بعض الخلل يبطل الكل فالكل ينهدم بانهدام الجزء ثم ان كون القرآن
هاديا الى الاعتقاد الاصوب والعمل الاصلح يتجزأ ثمرته وذلك هو البشارة بالاجر الكبير لاهل الايمان والعمل الصالح وبالعذاب الاليم لغيرهم و
خبريات لفظ البشارة بمعنى الانذار يستعمل للتهكم اذ البشارة مطلق الخبر المغير للبشرة فكانه قيل وان الذين لا يؤمنون بالآخرة ان لهم
عذابا ويجوز ان يبشر المؤمنين ببشارتين احدهما بثوابهم والاخرى بعقاب اعدائهم قال في الكشاف كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار
ولم يذكر الفسقة واجاب على اصول الاعتزال بان الناس كانوا حينئذ اما من اهل التقوى واما من اهل الشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين
بعد ذلك قلت هذا الجواب عجيب فان هذا الصنف لو سلم انه لم يكن موجودا في ذلك العصر الا ان حكمه يجب ان يذكر في القرآن الذي
فيه اصول الاحكام على ان ذكر الفساق من الامة في القرآن المكي والمدني موجود قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم واذا كان ذكرهم في القرآن واردا وانه تعالى بعد ذمهما او صار
القرآن على جهة المدح فاي مقام ادعى الى ذكر هذا الوصف من ههنا والجواب الحق ان كانوا ينكرون الفسقة جعلوا تابعين اهل الايمان
والله اعلم قيل هذه الآية واردة في شرح احوال اليهود وهم ما كانوا ينكرون الايمان بالآخرة والجواب المنع من الخصوص ولو سلم فانهم بالآخرة
كلا ايمان فبعضهم انكروا المعاد الجسماني وبعضهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما واعلم انه سبحانه قال ههنا اجرا كبيرا وفي اول الكهف
اجرا حسنا رعاية للفاصلة ولان الاجر الكبير هو الاجر الحسن كلاهما الجنة ولما بين ان القرآن كاف في الهداية ذكر ان الانسان قد يعدل
عن التمسك باحكامه فقال ويدع الانسان اي جنس الكافر قد ذكر جمع من المفسرين انه النضر بن الحرث دعا اللهم ان كان هذا هو



الحق فاضرب عنقه فأجاب الله دعاءه وضربت رقبته صبراً وكان بعضهم يقول ائتنا بعذاب الله وآخرون متى هذا الوعد جهلاً منهم و
اعتقاداً أن محمداً صلى الله عليه وسلم كاذب وقيل المراد أنه يدعو الله عند غضبه وضجره فيلعن نفسه وولده وماله ولو استجيب له في الخير لهلك يروى أنه صلى الله عليه وسلم
دفع إلى سودة بنت زمعة أسيراً فأقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا ألم القد فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب فلما
أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة وأن يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني سألت
الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي رحمة لأني بشر أغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها وكان الإنسان عجولاً يستعجل
بالعذاب مع أنه آتيه أو يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله يعتقد أن خيره فيه وإن كان ذلك عند التأمل مضرته وقيل
أراد بهذا الإنسان آدم وذلك أنه لما انتهى الروح إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى فذهب لينهض فلم يقدر وليس هذا القول بالحقيقة
مغايراً للأول لأن أصل الآدمي إذا كان كذلك كان كل فرد منه متصفاً به لا محالة قال أهل النظم لما ذكر نعمة الدين وهو القرآن أردفها
بنعمة الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار آيتين وفيه أن القرآن لا يتم المقصود منه إلا بنوعيه المحكم والمتشابه فكذا الزمان لا يكمل الانتفاع
به إلا بجزأيه الليل والنهار فالمحكم كالنهار في وضوحه والمتشابه يشبه الليل في خفائه وبوجه آخر لما ذكر دلائل النبوة والتوحيد وأكدها بدليل
آخر من عجائب الزمان وبوجه آخر لما وصف الإنسان بكونه عجولاً أي منتقلاً من حالة إلى حالة ومن صفة إلى صفة بين أن كل أحوال هذا العالم
كذلك فينتقل الهواء من الإنارة إلى الظلام وبالعكس وينتقل القمر من النقصان إلى الامتلاء وبالضد فمحونا آية الليل هي من إضافة الشيء إلى
نفسه للبيان كقولك نفس الشيء وذاته أي فمحونا الآية التي هي الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلماً لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان
ما في اللوح الممحو وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة ذات إبصار وذلك باعتبار من فيها أي يبصر فيها الأشياء ويستبان أو أريد بالإبصار الإضاءة
لأنها سببه وقيل المضاف محذوف والتقدير وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاع كشعاع
الشمس فترى به الأشياء رؤية غير بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلاً من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار أو
بشعاع الشمس المستلزم للنهار إلى التصرف في وجوه معاشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين أو بزيادة ضوء القمر ونقصانه عدد السنين الشمسية
أو القمرية المركبة من الشهور ولتعلموا جنس الحساب المبني على الساعات والأيام والشهور والسنين والأدوار وقيل أراد بمحو القمر الكلف الذي في
وجهه وسببه في الشرع ما روي أن الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فأرسل الله تعالى جبرئيل فأمر جناحه على وجه القمر فأذهب عنه الضوء
وسببه عند الفلاسفة أنه ارتكز في وجه القمر أجسام قليلة الضوء كارتكاز الكواكب في أجرام الأفلاك ولما كانت تلك الأجرام أقل ضوءاً من جرم القمر
لا جرم شوهدت تلك الأجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الإنسان ونحن قد ذكرنا له وجهاً آخر في الهيئة قال أهل التجارب إن اختلاف أحوال القمر في مقادير
النور له أثر عظيم في أحوال هذا العالم ومصالحه لا سيما في أحوال البحار والبحرانيين على ما يذكره الأطباء إلا أن الكلف ليس له مدخل في ابتغاء فضل
الله وفي معرفة الحساب بالتفصيل نعم لو قيل إن الكلف ينقص من نور القمر حتى لا يشوش على الناس ظلام الليل بالكلية فيبقى وقت السكون والراحة بحاله
ووقت التردد في طلب المعاش بحاله فصار تعاقب الليل والنهار سبباً لمعرفة الأيام وما يتركب منها كان متجهاً ثم قال وكل شيء مما تفتقرون إليه في دينكم
ودنياكم فصلناه تفصيلاً بيناه بياناً غير ملتبس حتى انزاحت العلل وزالت الأعذار فلا يهلك من يهلك إلا عن بينة ولذلك قال وكل إنسان ألزمناه
طائره أي عمله في عنقه وبوجه آخر لما شرح أحوال الشمس والقمر والنهار والليل لابتغاء المعاش وللدعة والراحة ولمعرفة المواقيت وكان الغرض الأصلي من
الكل هو الاشتغال بخدمة المعبود وتهذيب الأفعال وإصلاح الأقوال ذكر أن الإنسان مؤاخذ في عرصة القيامة بأقواله وأفعاله وسائر أحواله
ليظهر أنه هل أتى بما هو المقصود من خلقه أم لا قال أكثر أهل اللغة إن العرب إذا أرادوا الإقدام على عمل من الأعمال اعتبروا أحوال الطائر أنه يطير
بنفسه أو يحتاج إلى إزعاجه وإذا طار فهل يطير متيامناً أو متياسراً أو صاعداً في الجو إلى غير ذلك من الأحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل
واحد منها على ما يسوءهم علمه أو يسرهم من خير أو شر فأطلق الطائر على العمل تسمية للشيء باسم لازمه وقال أبو عبيدة الطائر عند العرب الحظ و
يقول له البخت فالطائر ما وقع للشخص في الأزل مما هو نصيبه من العقل والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة كأنه طائر يطير إليه من وكر الأزل
وظلمات عالم الغيب طيراناً لا نهاية له ولا غاية إلا أن انتهى إلى ذلك الشخص في وقته المقدر من غير خلاص ولا مناص وفي هذا دليل على أنه لا يظهر
في الأبد إلا ما حكم الله به في الأزل والكفاية الأبدية لا تتم إلا بالعناية الأزلية وإنه سبحانه أكد هذا المعنى بإضافة الإلزام إلى نفسه ثم بقوله في
عنقه يعني جعلت هذا الأمر في عنقه أي قلدته وألزمته الاحتفاظ فإن كان خيراً زينه كالطوق وإن كان شراً شينه كالغل ومن أمثال
العرب تقلدها طوق الحمامة ونخرج من قرأ بالنون فظاهر وقوله يلقيه منشوراً صفتان للكتاب ويلقاه صفة ومنشوراً حال من مفعول يلقاه و
من قرأ بالياء مجهولاً أو لازماً فالضمير للطائر وكتاباً حال منه يقول لقيت الشيء ولقانيه غيري عن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة وطويت في قبرك
معك ثم إذا بعثت قلدتها في عنقك اقرأ كتابك على إضمار القول قال قتادة يقرأ في ذلك اليوم من لم يكن قارئاً وبنفسك فاعل كفى و
حسيباً تمييز بمعنى حاسب أنه كثير من فعال بالضم كضريب بمعنى ضارب لكنه من فعل بالفتح غريب منه ما قال سيبويه ضريب القداح بمعنى ضاربها



وصريم بمعنى صارم وعلى متعلق بحسيب قولك حسب عليه كذا ويجوز أن يكون الحسيب بمعنى الكافي ثم وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لأن

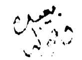
الشاهد يكفي المدعى ما اهمه وذكر حسيبا بمعنى رجل حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والغالب ان الشهادة يتولاها الرجال كالقضاء والامارة
والنفس مؤولة بالشخص او حمل فعيل بمعنى فاعل على فعيل بمعنى مفعول كقتيل ويجوز ان يكون الحسيب بمعنى المحاسب قال الحسن عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك وقال السدي يقول الكافر يومئذ انك قضيت انك لست بظلام للعبيد فاجعلني احاسب نفسي فيقال له
اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا روى انه يؤتى المؤمن يوم القيامة صحيفته وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها وسيئاته في
جوف صحيفته وهو يقرأها حتى اذا ظن انها قد اوبقته قال الله تعالى له قد غفرتها لك فيما بيني وبينك فيعظم سروره ويصير من الذين
قال الله في حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة قال الحكيم التكرار يوجب تقرير الآثار فكل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا
فانه يحصل منه في جوهر روحه اثر مخصوص الا ان ذلك الاثر يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته
عن البدن قامت قيامته لان النفس كانها كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول
الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة بحسب العقل وانه لا ينافي ما ورد في النقل
ثم بين ان ثواب العمل الصالح وعقاب ضده مختص بفاعله لا يتعدى منه الى غيره فقال من اهتدى الى قوله وزر اخرى قال الجبائي هذا دال
على ان الاطفال لا يعذبون بكفر آبائهم وان الوزر والاثم ليس من فعل الله والا لم يؤاخذ العبد به كما لا يؤاخذ بوزر غيره بل كان يجب ان
وزر اصلا لان الصبي لا يوصف بالوزر لانه غير مختار وجواب الاشاعرة ان الوزر مختص بافعال المكلفين من الثقلين وقد جرحت عائشة
بذلك في صحة ما رواه ابن عمر ان الميت ليعذب ببكاء اهله واستدل به جماعة من الفقهاء في الامتناع من ضرب الدية على العاقلة ويمكن ان
يجاب بانه ما من عام الا وقد خص ثم اتبع ذلك قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فقد استدل به الاشاعرة في ان وجوب شكر المنعم لا
يثبت بالعقل بل بالسمع لان الوجوب لا يتقرر معناه الا بترتب العقاب على الترك ولا عقاب قبل الشرع بحكم هذه الآية واجاب الخصم
بانه لو لم يثبت الوجوب العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي لان النبي اذا جاء وادعى المعجزة فهل يجب على المستمع قبول قوله والتأمل في معجزته او لا
يجب والثاني باطل بالاتفاق وعلى الاول ان وجب بالعقل فهو المدعى وان وجب بالشرع فذلك الشارع ان كان ذلك النبي لزم
اثبات الشيء بنفسه وان كان غيره دار او تسلسل وبوجه آخر اذا اوجب النبي بعض الافعال وحرم بعضها فلا معنى لذلك الا ترتب العقاب
على الترك او الفعل ثم انه يجب على المكلف ان يحترز عن العقاب ولا يجب لا سبيل الى الثاني بالاتفاق وعلى الاول يلزم الوجوب العقلي
والا لزم الدور او التسلسل ثم ان مذهب اهل السنة جواز العفو عن عقاب الكبيرة فما هنا الوجوب حاصل مع عدم العقاب ولا
ذم مع جواز العفو فلم يبق الا ان ما هنا الواجب ما يتقرر بسبب حصول الخوف من العقاب ولا يكون هذا الخوف الا بمحض العقل فيثبت ان
الوجوب العقلي لا يمكن دفعه فاما ان يجري الآية على ظاهرها ويبقى العقل هو رسول الله الى الخلق بل هو الرسول الذي لولاه لما تقررت رسالة
احد من الرسل ومجيء الانبياء كالتنبيه على النظر كالايقاظ من رقدة الغفلة والجهل وان كانت لا تنزل لهم قبل بعثة الرسل الا انه بعد البعثة
الزم واما ان يخصص عموم الآية فيقال المراد وما كنا معذبين في الاعمال التي لا سبيل الى معرفة وجوبها الا بالشرع الا بعد مجيء الشرع ومما
ارتضاه الامام فخر الدين الرازي ان مجرد العقل سبب في انه يجب علينا فعل ما ينتفع به وترك ما يستضر به اما مجرد العقل لا يدل على انه يجب على
الله شيء وذلك انا مجبولون على طلب النفع والاحتراز عن الضرر والله تعالى منزه عن ذلك وللقائل ان يقول انه سبحانه منزه عن الانتفاع
والاستضرار الا انه حكيم جواد فلم لا يقبح من الحكيم الجواد ترك ما ينتفع به غيره وفعل ما يستضر به واذا قبح منه ذلك حسن منه ضده والحكيم
لا يترك الاحسن فيصدر ذلك الاحسن منه البتة هو الذي يلزم ان يسمى وجوبا كما وصف به نفسه في قوله كان على ربك حتما مقضيا او
لكم من آية في القرآن دالة على ان الفعل قد يصدر منه صدورا لا يحتمل النقيض مثل قوله واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها للا
المفسرين في معنى امرنا قولان الاول ان المراد به الامر الذي هو نقيض النهي وعلى هذا اختلفوا في المأمور به فالاكثرون على انه الطاعة والخير
وقال في الكشاف معناه واذا دنا وقت هلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم بالفسق ففسقوا ولما كان من اصول الاعتزال
انه تعالى لا يأمر بالفحشاء ذكر ان الامر بالفسق ههنا مجاز ووجهه انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات
فكان ايتاء النعمة سببا لايثارهم الفسوق على الايمان فكانهم مأمورون بذلك ثم حمل تقدير امرناهم بالطاعة ففسقوا من قبيل التكاليف
بعلم الغيب ولم يجوز ان تكون من قبيل امرته فعصى فانه يفهم منه ان المأمور به طاعته ولكنه حكم بانه مثل امرته فقام او امرته فقرأ فانه لا يفهم
منه الا ان المأمور به قيام او قراءة وللقائل ان يقول كما ان قوله امرته فعصى يدل على ان المأمور به شيء غير المعصية لمنافية الامر منافاة
له فكذلك قوله امرته ففسق يدل على ان المأمور به شيء غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المأمور به فكونه فسقا
ينافي كونه مأمورا به كما ان كونه معصية ينافي كونها مأمورا بها وهذا ظاهر فلا ادري لم اصر جار الله على قوله مع ضعفه ومخالفته اصله
القول الثاني ان معنى امرنا مترفيها اكثرنا فساقها قال الواحدي تقول العرب امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم وامرهم ايضا بالمد
واحتج ابو عبيدة على صحة هذه اللغة بقوله صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة فالسكة النخل المصطفة والمهرة المأمورة النتاج وقد

فيكون مع

النظر د



حمل بعضهم الحديث على الامر ضد النهي اي قال الله لها كوني كثيرة النسل فكانت ويروى ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلعم اني
ارى امرك هذا حقيرا فقال صلعم انه سيأتي اي سيكثر وسيكبر والمترف في اللغة المنعم الذي قد ابطرته النعمة وسعة العيش ففسقوا فيها خرجوا عما
امرهم الله فحق عليها القول استوجبت العذاب فدمرناها تدميرا اهلكناها على سبيل الاستئصال قالت الاشاعرة ظاهر الآية يدل على
انه تعالى اراد اهلاكهم ابتداء ثم توسل الى اهلاكهم بهذا الطريق ويؤيده قوله فحق عليها القول اي بالكفر ثم التعذيب قال الكعبي ان سائر
الآيات دلت على انه تعالى لا يبتدي بالتعذيب كقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وآمنتم فتلك الآيات محكمة وهذه من المتشابهات فيجب حمل هذه على تلك قال في التفسير الكبير احسن الناس كلاما في تأويل
هذه الآية القفال فانه ذكر وجهين الاول اخبر الله انه لا يعذب احدا بما علمه حجة على من علم انه عاصيا بل يأمره حتى يظهر عصيانه للناس ثم
يعاقبه ومعنى الآية واذا اردنا اهلاك قوم بسبب ظهور العصيان منهم لم نعاجلهم بالعذاب في اول ظهور المعصية منهم بل امرنا مترفيها بالرجوع
عن تلك المعاصي وخص المترفين بذلك لان نعمة الله عليهم اكثر فكان الشكر عليهم اوجب فاذا لم يرجعوا واصروا وصب عليهم البلاء صبا وزعم
الجبائي ان المراد بالارادة الدنو والمشارفة كقولك اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران من كل
جهة ليس المعنى ان المريض يريد ان يموت والتاجر يريد ان يفتقر وانما عنيت انه سيصير الى ذلك فمعنى الآية واذا قرب وقت اهلاك قرية وقد
نقلنا مثله عن صاحب الكشاف ولا يخفى انه عدول عن الظاهر ثم ذكر ان هذه عادته الجارية مع القرون الخالية فقال وكم اهلكنا فكم مفعول اهلكنا
ومن القرون بيان لكم وتمييز له اراد بهم عادا وثمود ونحوهما ثم خاطب رسوله بما هو ردع للناس كافة فقال وكفى بربك الآية قال الفراء انما
يجوز ادخال الباء في المرفوع اذا كان يمدح به صاحبه او يذم كقولك كفاك به واكرم به رجلا وطاب بطعامك طعاما ولا يقول قام باخيك وانت
تريد قام اخوك وفي الآية بشارة عظيمة لاهل الطاعة وانذار شديد لغيرهم لان العلم التام مع القدرة الكاملة والحكمة الشاملة يقتضي ايصال الجزاء
الى كل احد بقدر استحقاقه ثم اكد المعنى المذكور من قوله وكل انسان الزمناه طائره ومن قوله من اهتدى فانما يهتدي لنفسه بقوله من كان
يريد العاجلة اي المنفعة او الدار العاجلة عجلنا له فيها ثم قيد المعجل بقيدين احدهما قوله ما نشاء ولهذا ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما
يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وثانيهما قوله لمن نريد وهو بدل من له بدل البعض من الكل لان الضمير راجع الى من وهو للعموم ولهذا ترى
كثيرا منهم يتمنون البعض اليسير من الدنيا ولا يؤتون فيجتمع عليهم فقر الدنيا وحرمان الآخرة بل عذابها لقوله ثم جعلنا له جهنم يصليها
مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة بان يعقد بها همته ويتجافى عن دار الغرور وسعى لها سعيها اي حق السعي لاجلها وذلك
ان يكون الذي يتوسل به الى الفوز بثواب الآخرة من جملة القرب والطاعات وعلى قوانين الشرع والعقل لا البدعة والهوى وهو مؤمن
لان شيئا من صور الاعمال الصالحة لا يوجب الثواب الا بعد تقديم الايمان فاولئك كان سعيهم مشكورا قال العلماء الشكر عبارة عن مجموع
امور ثلثة اعتقاد كونه محسنا في تلك الاعمال والثناء عليه بالقول والاتيان بافعال تدل على كونه مطيعا عند ذلك الشاكر والله سبحانه
تعالى يعامل المطيعين بهذه الامور الثلثة لانه يعلم كونهم محسنين في تلك الاعمال وانه يثني عليهم بكلامه ويعاملهم المعاملات الدالة على كونهم
مطيعين عند الله وفي قوله من كان يريد العاجلة دون ان يقول من اراد العاجلة كما قال ومن اراد الآخرة اشارة الى ان مريد نفع الدنيا لا يكون
مذموما الا اذا كان غالبا في ذلك ثابت القدم فسيح الامل ومريد الآخرة يكون محمودا بادنى التفاته بعد وجود الشروط قالت الاشاعرة ان
مجموع القدرة مع الداعي هو الموجب للفعل ونحن نشكر الله على الايمان لانه اعطى القدرة والداعية ولكنه حين حصل الايمان للعبد واستتبع السعادات
الباقية صار العبد ايضا مشكورا ولا منافاة بين الامرين وقالت المعتزلة نحن لا نشكر الله على الايمان لان المدح على عمل لم يعمله الممدوح قبيح قال تعالى و
يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ولكنا نشكره على ما اعطانا من القدرة والعقل وانزل الكتب واوضح الدلائل واعلم انه تعالى ذكر صنفين من الناس قاصد
خيرات الدنيا وقاصد خيرات الآخرة وههنا ثلثة اقسام اخر الاول ان يكون طلب الآخرة في عمل راجحا فقيل انه غير مقبول ايضا لما روي ان
النبي صلعم قال حكاية عن رب العزة انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه وقيل يعارض المثل بالمثل ويبقى القدر الزائد
داعية خالصة لطلب الآخرة فيقع في حيز القبول الثاني ان يكون طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين الثالث ان يكون طلب الدنيا راجحا
واتفقوا على ان هذين القسمين ايضا لا يقبلان الا انهما على كل حال خير من الرياء المحض ثم بين كمال رأفته وشمول رحمته فقال كلا اي كل واحد من
الفريقين نمد اي نزيدهم من عطائنا على تلاحق من غير انقطاع بالمعصية وقوله هؤلاء بدل من كل ومن عطاء ربك متعلق بنمد وما كان عطاء
ربك محظورا ممنوعا من المكلف بسبب عصيانه انظر يا محمد او يا من له اهلية النظر والاعتبار الى عطائنا المباح للفريقين في الدنيا كيف فضلنا بعضهم
على بعض فاوصلناه الى مؤمن وقبضناه عن مؤمن آخر واوصلناه الى كافر وقبضناه عن كافر آخر ليكون بعضهم تحت تسخير بعض وللآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا لان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا وقيل المراد ان المؤمنين يدخلون
الجنة والكافرين النار فيظهر فضيلة المؤمنين على الكافرين وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهات بالرفع في مجالس الآخرة وهي
الكبر وافضل التأويل نزه نفسه بقوله سبحان عن الاتخاذ الكلي ولكن اخبر عن مقام وصول حبيبه فقوله اسرى اشارة الى الجذبة الخفية عن الاعيان



وقوله بعبده اشارة الى مقام تفخيم لنسبة العبد بها التي هي آخر مقامات السالكين وقوله ليلا رمز الى ذلك الجذب كاد يكون خفيا عن المجذوب اذا كان ذاهلا عن انانيته وقوله من المسجد الحرام هو مقام يحرم فيه الالتفات الى ما سوى الله الى المسجد الاقصى هو مقام الفناء في الله الذي باركنا حوله بالبقاء بالله لنريه من آياتنا التي لم تسمع اذن ولا ابصر عين انه هو السميع البصير فلا يصل احد اليه الا اذا سمع به وابصر به هذا ما اخطر بالبال الضعيف في تاويل هذه الآية فان كان صوابا فمن فضل الله وعطائه وان لم يكن فمني ومن الشيطان فجاسوا خلال الديار الجسدانية بالقتل وذلك التركيب وخلال الديار المعنوية حين استولت الصفات الذميمة على الخصال الحميدة لتخريب بيت مقدس القلب ثم رددنا لكم الكرة عليهم باستيلاء داود القلب فقتل جالوت النفس وامددناكم باموال الطاعات وبنين الايمان والايقان فاذا جاء وعد الآخرة حين ارتد عن الطريقة ليسوؤا وجوه قلوبكم بحجب سوء اعمالكم وان عدتم الى الجهل عدنا الى الفضل وان عدتم الى الندم عدنا الى الكرم وان عدتم الى العبودية عدنا الى الربوبية وان عدتم الى التقربات عدنا الى الجذبات وجعلنا ليل البشرية ونهار الروحانية فمحونا آية الليل وهي قمر القلب فبقي فيه نور العقل حين تطلع شمس شهود الحق وهي آية النهار فاذا طلع الصباح استغنى عن المصباح لتبتغوا فضلا من ربكم وهو تجلي ذاته وصفاته وقد اختص الانسان به من بين المخلوقات ولتعلموا ايام الطلب وحساب الترقي من مقام الى مقام وكل شيء يحتاج اليه السالك بيناه بالاشارات من كان يريد العاجلة انقلب الانسان بين اصبعي قهر الرحمن ولطفه وبحسب ذلك يحول وجهه الى الدنيا حتى يؤول امره الى دركات البعد او يحول الى الآخرة حتى يصل الى درجات الوصال والله المستعان على ما تصفون

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝ وَقَضٰى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

مکن با خدا خدای دیگر پس بنشینی نکوهش کرده شده تنها و واگذاشته شده و حکم کرد پروردگار تو که نپرستید مگر او را

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍّ وَّلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

و بمادر و پدر نیکویی کردن اگر برسند نزدیک تو به پیری یکی از ایشان یا هر دو ایشان پس مگو مر ایشان را اف و زجر مکن ایشان را و بگو مر ایشان را سخنی خوب

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ

و فرود آور مر ایشان را بال تواضع را از مهربانی و بگو پروردگارا رحمت کن ایشان را چنانکه پرورش دادند مرا در خردی پروردگار شما داناتر است به آنچه در دلهای شماست اگر باشید نیکوکاران

فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۝ وَآتِ ذَا الْقُرْبٰى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ

پس بدرستیکه هست مر رجوع کنندگان را آمرزنده و بده صاحب قرابت را حقش و بیچاره را و راه گذری را و مپاش پاشیدنی بدرستیکه پاشندگان

كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۝ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ تَرْجُوهَا

باشند برادران شیاطین و باشد شیطان مر پروردگارش را ناسپاس و اگر اعراض کنی از ایشان برای طلب رحمتی از پروردگارت که امید داری آن را

فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۝ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلٰى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا

پس بگو مر ایشان را سخنی نرم و مگردان دست خود را بسته بگردنت و مگشای آن را همه گشادن پس بنشینی ملامت کرده شده معدم

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ

بدرستیکه پروردگار تو روزی را فراخ میگرداند برای آنکه میخواهد و تنگ میگرداند بدرستیکه او باشد به بندگانش آگاه بینا و مکشید فرزندان خود را از بیم درویشی

إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنٰى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَّسَاءَ سَبِيلًا

ما روزی میدهیم ایشان را و شما را بدرستیکه کشتن ایشان باشد گناهی بزرگ و نزدیک مشوید بزنا بدرستیکه آن باشد کار زشت و بد راهیست

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ

و مکشید نفسی را که حرام کرد خدا مگر بحق و کسیکه کشته شد مظلوم پس بتحقیق که دادیم مر وارثش را تسلط پس باید اسراف نکند

فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتّٰى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا

در قتل بدرستیکه او هست یاری کرده شده و نزدیک مشوید مال یتیم را مگر بآنکه آن بهترست تا برسد بکمال قوتش و وفا کنید

بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۝ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَّ

به پیمان بدرستیکه پیمان هست پرسیده شده و تمام کنید پیمانه را چون پیمایید و وزن کنید بترازوی راست این بهترست و

أَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ

خوبترست عاقبت و پیروی مکن آنچه نباشد مر ترا بآن دانش بدرستیکه گوش و چشم و دل همه اینها باشد از آنها

مَسْئُولًا ۝ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۝ كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ

پرسیده شده و راه مرو در زمین از روی کبر و نازش بدرستیکه تو هرگز نشکافی زمین را و هرگز نرسی بکوهها در بلندی همه اینها باشد

سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝ ذٰلِكَ مِمَّا أَوْحٰى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ فَتُلْقٰى

ع

في جهنم ملوما مدحورا ۞ أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما ۞ القراءة

در دوزخ ملامت کرده شده رانده شده · آیا بس خصوص کرده است شما را پروردگار شما به پسران و گرفت از فرشتگان دختران بدرستیکه شما هر آینه میگوئید · سخن بزرگ · يبلغان

مثنى حمزة وعلي وخلف أفّ بالجر والتنوين أبو جعفر ونافع وحفص أفَّ بالفتح ابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب غير مجاهد خطأ والمفضل والباقون بالكسر منصوبها كل العطف مثل هيطه حطه بفتحتين من غير مد يزيد وابن ذكوان غير ابن مجاهد خطاء بالفتح ثم السكون ابن مجاهد عن ابن ذكوان خطاء بالكسر والمد ابن كثير الباقون بالكسر ثم السكون فلا تسرف على الخطاب حمزة وعلي وخلف ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بالقسطاس مكسور القاف حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد والمفضل ويقرأ أبو نشيط والتموني عن النقار بالصاد سيئه على اضافة سيء إلى الضمير كل حمزة وعلي وخلف وعاصم ابن عامر وسهل الآخرون سيئة على التأنيث ۞ الوقوف مخذولا ۞ احسانا ط كريما ۞ صغيرا ۞ في نفوسكم ط غفورا ۞ تبذيرا ۞ الشياطين ط كفورا ۞ ميسورا ۞ محسورا ۞ ويقدر ط بصيرا ۞ املاق ط واياكم ط كبيرا ۞ فاحشة ط سبيلا ۞ إلا بالحق ط لأن الشرط في من قد يقع نادرا خارجا عن النهي في القتل ط منصورا ۞ اشده ص بالعهد ص على تقدير فان مسؤلا ۞ المستقيم ط تأويلا ۞ به علم ط مسؤلا ۞ مرحا ج لاحتمال اضمار الفاء أو اللام طولا ۞ مكروها ۞ الحكمة ط مدحورا ۞ إناثا ط عظيما ۞ التفسير لما أجمل أعمال البر في قوله وسعى لها سعيها وهو مؤمن أخذ في تفصيل ذلك مبتدئا بأشرفها الذي هو التوحيد فقال لا تجعل مع الله إلها آخر والخطاب للنبي ص في الظاهر ولكنه في الحقيقة عام للمكلفين ويحتمل أن الخطاب للانسان كأنه قيل يا أيها الانسان لا تجعل أو القول مضمر أي قل لكل مكلف لا تجعل ومما يؤيد ذلك قوله وقضى ربك فإن ذلك الخطاب لا يليق بالنبي ص لأن أبويه ما بلغا الكبر عنده وانتصب قوله فتقعد على أنه جواب للنهي والفاء في التحقيق عاطفة والتقدير لا يكن منك جعل فقعود وفيه وجوه منها أن المراد به المكث أي تمكث فيما يصنع فلان فيقال هو قاعد بأسوء حال أي ماكث سواء كان قائما أو جالسا ومنها أن من شأن المذموم المخذول أن يقعد نادما متفكرا على ما فرط منه فالقعود على هذا حقيقة ومنها أنه كناية عن عدم القدرة على تحصيل الخيرات فإن السعي فيها إنما يتأتى بالقيام والعجز عنه يلزمه أن يبقى قاعدا عن الطلب ومنها أنه بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت ولا ريب أن المشرك جامع على نفسه الذم والخذلان لأنه لا بد أن يضيف بعض النعم الحاصلة له حقيقة من الله إلى غيره فيستوجب الذم بالكفران ويستحق الخذلان من حيث إنه لما فوض أمره إلى الشريك المعدوم أو العاجز الناقص بقي بلا ناصر ومعين وأيضا الكمال في الوحدة والنقصان في الكثرة فمثبت الشريك واقع في جانب النقصان فيورثه الذم والخذلان ولما ذكر ما هو الركن الأعظم في الإيمان أتبعه سائر الشعائر والشرائع فقال وقضى ربك أي أمر أمرا جزما وحكم حكما قطعا أن لا تعبدوا أي بأن لا تعبدوا فأن ناصبة ويجوز أن يكون مفسرة والفعل نهي معناه أي لا تعبدوا وقد روى الضحاك وسعيد بن جبير وميمون بن مهران عن ابن عباس أنه كان الأصل في هذه الآية ووصى ربك وبه قرأ علي وعبد الله فالتصقت الواو بالصاد فقرئ وقضى ربك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله أحد قط لأن خلاف قضاء الله ممتنع وضعف هذا القول بأنه يوجب تجويز وقوع التحريف والتصحيف في القرآن أمر بعبادة نفسه ثم أردفه بالأمر ببر الوالدين وتقدير الكلام بأن تحسنوا بالوالدين أو وأحسنوا بالوالدين إحسانا ولا يجوز أن يتعلق الباء في بالوالدين بالإحسان على ما ذهب إليه الواحدي لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته وقد مر في أوائل البقرة تفسير قوله وبالوالدين إحسانا وإنه لم يجعل الإحسان إليهما تاليا للعبادة الله يحكى أن واحدا من المتسمين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول هو الذي أدخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للفقر والعمى والزمانة وقيل لأبي العلاء المعري ماذا نكتب على قبرك فقال اكتبوا عليه هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد وقال في ترك التزوج والولد ∴ وتركت فيهم نعمة العدم التي ∴ سبقت وصدت عن نعيم العاجل ∴ ولو أنهم ولدوا لعانوا شدة ∴ ترمي بهم في موبقات الآجل ∴ وقيل للاسكندر أستاذك أعظم منة عليك أم والدك فقال الاستاذ أعظم منة لأنه تحمل أنواع الشدائد والمحن عند تعليمي حتى أوقفني في نور العلم فأما الوالد فإنه طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فأخرجني إلى آفات عالم الكون والفساد ومن هنا قيل خير الآباء من علمك وقال العقلاء وهب أن الوالد في أول الأمر لذة الوقاع إلا أن اهتمامه بإيصال الخيرات إلى الولد ودفع الآفات عنه من أول دخول الولد في الوجود إلى وقت كبره بل إلى آخر عمره لا ينكر ولا يكفر ولهذا نكر إحسانا أي أحسنوا إليهما إحسانا عظيما كاملا جزاء على وفور إحسانهما إليك على أن البادي بالبر لا يكافأ لأنه أسبق منه ثم فصل طرفا من الإحسان المأمور به فقال إما يبلغن هي إن الشرطية زيدت عليها ما الإبهامية لتأكيد معنى الشرط ثم أدخلت النون المشددة لزيادة التقرير والتأكيد كأنه قيل إن هذا الشرط مما سيقع البتة عادة فليكن هذا الجزاء مرتبا عليه وإلا فالتقرير والتأكيد ليس يليق بالشرط الذي مبناه على تردد الحكيم وقال النحويون إن الشرط التمني من حيث الجزم وعدم الثبوت فلهذا صح دخول النون المؤكدة فيه ومن قرأ الفعل على التوحيد فقوله أحدهما أو كلاهما فاعل له لكن الأول بالاستقلال والثاني بتبعية العطف ومن قرأ على التثنية فأحدهما بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين وكلاهما عطف على البدل لا لاستلزام العطف التشارك دون المباينة وكلا مفرد لفظا مثنى معنى والفرع واو عند الكوفيين أصله كل المفيد للإحاطة فخفف بحذف إحدى اللامين وزيد ألف التثنية ليعرف أن المراد الإحاطة في المثنى لا في الجمع وضعف بأنه لو كان كذلك لوجب أن يبقى في الخفض والنصب مررت بكلا الرجلين

بدل مثله ونه
بمعنى أن يكون
توكيدا للتثنية
عطفا على [illegible]
صح



بكسر الياء كقوله طرفي النهار يا صاحبي السجن قال في الكشاف معنى عندك هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلاً على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته
وكنفه وهما اسما الافعال وفي اف لغات ضم الهمزة مع الحركات الثلاث بالتنوين وبدونه واف بكسر ثم بلا تنوين وافي ممالا كبشرى
واف كخذ واف منونة وقد تتبع المنونة تفه فيقال اف وتفه وهي من اسماء الافعال وفي تفسيرها وجوه قال الفراء تقول العرب فلان يتأفف من ريح
وجدها اي يقول اف اف قال الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار يقال ذلك عند استقذار الشيء ثم كثر حتى استعملوه في كل ما يتأذون
به وقيل معنى اف القلة من الانيف وهو الشيء القليل وتف اتباع له نحو شيطان ليطان وخبيث نبيث وروى ثعلب عن ابن الاعرابي ان الاف الضجر
وقال القتيبي اصله انه اذا سقط عليه تراب ونحوه نفخ فيه ليزيله فالصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قول القائل اف ثم توسعوا فذكروه عند كل مكروه
يصل اليهم وقال الزجاج معناه النتن وبه فسر مجاهد الاية اي لا تتقذرهما حين كنت تخرج منهما وتبول وفي رواية اخرى عن مجاهد اذا وجدت منهما رائحة
تؤذيك فلا تقل لهما اف اي لا تقل تضجرت او انضجرت قال بعض الاصوليين منع التأفيف يدل على المنع من سائر انواع الاذية دلالة لفظية ومعنى
الاية لا تتعرض لهما بنوع من انواع الايذاء والاستدلال كما ان قولك لا يملك فلان نقيرا ولا قطميرا يدل في العرف على انه لا يملك شيئا اصلا
وقال الاكثرون منهم ان الشرع اذا نص على حكم صورة وسكت عن صورة اخرى فاذا اردنا الحاق المسكوت عنها بالمنصوص عليها فاما ان يكون
الحكم في محل السكوت اخفى من الحكم في محل الذكر وهو اكثر القياسات واما ان يتساويا كقوله صلى الله عليه وسلم من اعتق نصيبا من عبد قوم عليه الباقي فان
الحكم في الامة والعبد يتساويان واما ان يكون الحكم في محل السكوت اظهر وهو القياس الجلي ومثاله المنع من التأفيف فانه مغاير للمنع من الضرب عقلا
لان الملك الكبير اذا اخذ ملكا اخر عدوا له فقد يقول للجلاد اياك وان تستخف به او تشافهه بكلمة موحشة لكن اضرب رقبته فهذا معقول في الجملة
الا ان قرينة تعظيم الوالدين صيرته من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى فدل على المنع عن جميع انواع الايذاء ثم اكد هذا المعنى بقوله ولا تنهرهما
والنهر والنهي اخوان تقول نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا مشتملا على حسن الادب ورعاية دقائق المروة
والحياء والاحتشام وقال عمر بن الخطاب القول الكريم ان يقول له يا ابتاه يا اماه دون ان يسميهما باسمهما وقول ابراهيم لابيه آزر بالضم على النداء تقدم
لحق الله على حق الابوين قالوا ولا باس به في الغيبة كما قالت عائشة نحلني ابو بكر كذا وسئل سعيد بن المسيب عن القول الكريم فقال هو قول العبد
المذنب للسيد الفظ واخفض لهما جناح الذل ذكر القفال في معنى خفض الجناح وجهين الاول ان الطائر اذا اراد ضم فرخه اليه للتربية خفض له
جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير فكانه قال للولد اكفل والديك بان تضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك في حال صغرك
والثاني ان الطائر اذا اراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا اراد النزول خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع وترك الارتفاع
وفي اضافة الجناح الى الذل وجهان الاول انها كاضافة حاتم الى الجود في قولك حاتم الجود فالاصل فيه الجناح الذليل والذلول والثاني سلوك
سبيل الاستعارة كانه تخيل للذل جناحا ثم اثبت لذلك الجناح خفضا كقول لبيد اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فاثبت للشمال يدا
ثم وضع زمام الريح في يد الشمال وقوله من الرحمة في معنى التعليل اي من اجل فرط الشفقة والعطف عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر
خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك التي لا دوام لها ولكن وقل رب ارحمهما كما ربياني ليس المراد رحمة مثل رحمتهما علي وانما الكاف لاقتران
الشيئين في الوجود اي كما وقع ذلك فليقع هذه والتربية التنمية ربا الشيء اذا انتفخ وزاد قال بعض المفسرين هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ما كان
للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين وقيل مخصوصة لان التخصيص اولى من النسخ وقيل لا نسخ ولا تخصيص لان الوالدين اذا كانا
كافرين فله ان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان ثم ان ظاهر الامر للوجوب من غير تكرار فيكفي
في العمر مرة واحدة رب ارحمهما وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه في كل يوم مرة او في كل شهر ام في كل سنة فقال نرجو
ان يجزيه اذا دعا لهما في اواخر التشهدات كما ان الله تعالى قال يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وكانوا يرون الصلاة عليه في التشهد وكما قال الله
تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فهم يذكرون في ادبار الصلوات قلت والاولى ان يدعو لهما ايضا كلما ذكرهما او ذكر شيئا من انعامهما وسئل ايضا
عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله
في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي عن سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر
اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما و
شكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه
شيئا من مالي ~~واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني فكنت لا امنعه شيئا~~ انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى صلى الله عليه وسلم
وقال ما من حجر ولا مدر يسمع ذلك الا يبكي ثم قال للولد انت ومالك لابيك مرتين وشكا اليه اخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين
حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها
واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جازيتها ولو طلقة وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا
بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها ثم قال سبحانه ربكم اعلم بما في نفوسكم اي بما في ضمائركم من الاخلاص وعدمه

وغير منونة صح

لا تتقذرهما كما انهما لا يتقذرانك صح



في كل الطاعات إن تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر إلى الوالدين ثم فرط منكم ما درة في حقهما فإنكم إلى الله واستغفرتم منها فإنه
كان للأوابين غفورا اللام للعهد كما روي عن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير وللجنس فيشمل كل من فرطت منه
جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره ثم وصى بغير الأبوين من الأقارب بعد التوصية بهما فقال وآت ذا
القربى حقه فقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤتي أقاربه الحقوق التي وجبت لهم في الفيء والغنيمة وأوجب عليه إخراج حق المساكين وأبناء السبيل
أيضا من هذين المالين والأظهر أنه خطاب لكل إنسان كما في قوله وقضى ربك وأما الحق المأمور به للأقارب فهو إذا كانوا محارم كالأبوين
والولد وكانوا فقراء عاجزين عن الكسب كان الرجل موسرا أن ينفق عليهم بقدر الحاجة وعند الشافعي لا ينفق إلا على الولد والوالدين وإن كانوا
مياسير أو لم يكونوا محارم كأبناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة على السراء والضراء وفي عطف المسكين وابن السبيل على
ذي القربى دليل على أن المراد بالحق الحق المالي وقد تقدم وصف المسكين وابن السبيل في البقرة وفي التوبة ثم نهى عن التبذير وهو تفريق المال كما
يفرق البذر وهو الإسراف المذموم كانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر عليها وتنفق أموالها في الفخر والسمعة كما ذكروا ذلك في أشعارها فنهوا عن ذلك
وأمروا بالإنفاق فيما تقرب إلى الله قال ابن مسعود التبذير إنفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا ثم بالغ في تقبيح
شأن التبذير فقال إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين أي أمثالهم في الشرارة واحد فيهم من حيث إنهم يطيعونهم في الأمر بالإسراف
أو هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا لأنه يستعمل قواه البدنية في المعاصي والإفساد والإضلال وكذلك من
رزقه الله مالا أو جاها فصرفه إلى غير مرضاة الله كان كفورا لنعمة الله ثم علم أدبا حسنا في رد السائل إن أفضى الأمر إلى ذلك ضرورة فقال وإما
تعرضن عنهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء والقول الميسور الرد بالطريق الأحسن وقيل اللين السهل قال
في الكشاف يسر أبيسر له القول أي لينه وقيل القول المعروف كقوله قول معروف ومغفرة خير وذلك أن القول المتعارف لا يحوج إلى تكلف وقيل
ادع لهم بأن يسهل الله عليهم أسباب الرزق أي دعاء فيه يسر كقولك رحمك الله قوله ابتغاء رحمة إما أن يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه أي فقل لهم قولا
سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا ابتغاء رحمة من الله ترجوها بسبب رحمتك عليهم وإما أن يتعلق بالشرط أي وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من
ربك ترجو أن يفتح لك فردهم ردا جميلا فسمى الرزق رحمة ووضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق مبتغ له فالفقد سبب الابتغاء فأطلق
المسبب على السبب وجوز أن يكون الإعراض كناية عن عدم الإعطاء فإن من أبى أن يعطي أعرض بوجهه ولما ذكر أدب المنع ونهى عن التبذير بين
أدب الإنفاق فقال ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك وهو مثل لغاية الإمساك بحيث يضيق على نفسه وأهله في سلوك سبيل الإنفاق
ولا تبسطها كل البسط أي لا تتوسع في الإنفاق بحيث لا يبقى في يدك شيء وحين نهى عن طرفي التفريط والإفراط المذمومين بقي الخلق الفاضل
المسمى بالجود وهو العدل والوسط ثم بين غاية استعمال الطرفين فقال فتقعد ملوما عند الناس بالبخل محسورا بالإسراف أي منقطعا عن المقاصد
بسبب الفقر يقال حسير منقطع عن السير ولا شك أن المال مطية الحوائج والآمال وكثيرا ما يلام الرجل على تضييع المال بالكلية وإبقاء الأهل والولد
في الضر والمحنة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبي فقال إن أمي تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة إلى ساعة يظهر فعد إلينا فذهب إلى
أمه فقالت له قل إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة
فنزلت الآية وقيل أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن حصين فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول أتجعل نهبي ونهب العبيد بين
عيينة والأقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر
اقطع لسانه عني أعطه مائة من الإبل فنزلت ثم إنه تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن الذي يرهقه من الإضاقة ليس لهوان منه على الله ولا لبخل به عليه ولكنه
تابع لمشيئة الخالق الرزاق فقال إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يضيق إنه كان بعباده بمصالحهم خبيرا بصيرا فالتفاوت في الأرزاق
ليس لأجل البخل ولكن لرعاية الصلاح ويمكن أن يكون مراد الآية أن البسط الكلي والقبض بالكلية من شأن الرب الخبير البصير وليس للعباد إلا الاقتصاد
ويحتمل أن يراد أنه تعالى مع غاية قدرته وسعة جوده يراعي وسط الحالتين فلا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه أقصى مكروهه فاستنوا بسنته
وتخلقوا بأخلاقه وفي الآية دلالة على أنه هو المتكفل بأرزاق العباد فلذلك قال بعده ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق وأيضا لما علم كيفية
البر بالوالدين أراد أن يعلم كيفية البر بالأولاد فبر الآباء مكافأة وبر الأبناء ابتداء اصطناع وفيه نظام العالم وبقاء النوع الإنساني لأن
قتل الأولاد إن كان لخوف الفقر فهو لسوء الظن بالله وإن كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم والأول ضد التعظيم لأمر الله
والثاني ضد الشفقة على خلق الله ومن رغب عن محبة الولد فكأنه رغب عن جزء قال: ولد المؤمن جزء منه ملحان: امرئ يودع الترب منه جزءا: وكانوا
يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب إقدامهم على القتل والغارة وأيضا كانوا يخافون أن فقرها ينفر الأكفاء عنها فيحتاجون
إلى إنكاحها من غير الأكفاء وفي ذلك عار شديد فبين الله سبحانه أن الموجب للرحمة والشفقة كونهم أولادا فلهذا قال أولادكم وبين أن الخوف
من الفقر لا وجه له لأن الله هو الرزاق للكل وكثيرا ما يكون الابن أفقر من البنت بعد البلوغ وكلا الصنفين يشتركان في الإنفاق عليهما
قبل البلوغ ولما نهى عن قتل الأولاد المستند إلى إفناء النسل ذكر النهي عن الزنى المفضي إلى مثل ذلك ولأنه من اختلاط النسب فقال ولا تقربوا

الكشاف

الزنى وهذا آكد من ان يقول لا تزنوا ثم علل النهي بقوله انه كان فاحشة اي خصلة متزايدة في القبح وساء سبيلا سبيله فاستدل القائلون
بالتحسين والتقبيح العقليين بهذا التعليل ان الاشياء لا تحسن ولا تقبح بذواتها بل لوجوه عائدة اليها في انفسها وان تكاليف العباد تعتمد
على وفق مصالحهم في المعاش والمعاد ومن مفاسد الزنى اختلاط الانساب وتضييع الاولاد واهمال تربيتهم فان الولد اذا لم يكن منسوبا الى شخص
معين لم يكن احد بالتزام تربيته اولى من الآخر وكذا المرأة التي لا زوج لها اذا لم يوجد سبب شرعي للزاني صارت نهبا لكل رجل لم يحصل الالف والمحبة
ولا يتم السكون الى الازواج ويتوثب كل رجل على كل امرأة اراد بحسب شهوته ومقتضى طبعه فيهيج بالفسوق والحروب بعد التشبه بالبهائم وايضا
ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة ولكن المقصود الكلي هو ان يكون شريكة له في ترتيب المنزل واعداد مهماته والقيام بامور الاولاد والعبيد
ولن يتم هذه المقاصد الا اذا كانت مقصورة الهمة على رجل واحد منقطعة الطمع عن غيره وايضا الوطء يوجب الذل والعار ولهذا لا يرتكب
الا في الاماكن المستورة وفي الاوقات المعلومة فاقتصار المرأة على الواحد من الرجال سعي في تقليل ذلك العمل وكفى في قبح الزنى ان مرتكبه من الرجال
والنساء يستقذره كل عقل سليم وينحط بذلك عن درجة الاعتبار وقد زعم في التفسير الكبير انه تعالى وصف الزنى في آية اخرى بكونه مقتا لان
الزانية تصير ممقوتة مكروهة وهذا وهم لان ذلك قد ورد في اول سورة النساء في نكاح منكوحات الآباء ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وانما نبهنا على هذا لئلا يغتر غيره في السهو ولما فرغ من التكاليف الاحتياطية في اخرى فقال ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله وفي التصريح بالتحريم بعد النهي تأكيد للحظر ولا ريب ان الاصل في قتل الانسان هو التحريم لانه ضرر والاصل في المضار الحرمة
ولان الانسان خلق للاشتغال بالعبادة وانه لا يتم الا بالحيوة وكمال البنية ولكن القتل قد يثبت لاسباب عرضية فلهذا قال الا بالحق وهذا مجمل
فبين ذلك الحق بقوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي تسلطا على استيفاء القصاص فظاهره يدل على انه لا سبب لحل القتل الا ان
قتل مظلوما وظاهر قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق يقتضي سببين آخرين الا انه
على قول تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد ويحتمل ان يقال قوله ومن قتل مظلوما كلام مستأنف والحديث بتمامه تفسير لقوله الا بالحق فلا
يلزم التفريع المذكور ثم انه دلنا بآية اخرى على حصول سبب رابع وهو قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله وبآية اخرى على سبب خامس
وهو الكفر الاصلي اقتلوهم حيث ثقفتموهم هذا وقد اثبت الفقهاء اسبابا اخر منها ان تارك الصلوة يقتل عند الشافعي دون ابي حنيفة و
كذا اللائط ومنها الساحر اذا قال قتلت فلانا بسحري وجوز بعضهم قتل من منع الزكوة اذا قاتل الامام والذين منعوا القتل في هذه الصور قالوا
الاصل حرمة القتل كما بينا فلا يترك هذا الدليل الا لمعارض اقوى لا اقل من ان يساويه [illegible] ثم انه سبحانه اثبت لولي الدم
سلطانا ولم يبين ان هذه السلطنة تحصل فيماذا فقيل انه لما قال فلا يسرف في القتل عرف ان تلك السلطنة انما تحصل في استيفاء القتل و
قيل معنى فلا يسرف في القتل انه لما حصلت له سلطنة استيفاء القصاص وسلطنة استيفاء الدية بقوله كتب عليكم القصاص في القتلى الى
قوله فمن عفي له الآية فالاولى به ان لا يقدم على استيفاء القتل وان يكتفي بالعفو واخذ الدية فتبين ان هذه الآية لا يجوز التمسك بها في مسئلة
ان موجب العمد القصاص وعن الشافعي ان التنوين في قوله مظلوما للتنكير فيدل على ان المقتول ما لم يكن كاملا في وصف المظلومية لم يدخل
تحت هذا النص فيعلم منه ان المسلم لا يقتل بالذمي لانه مشرك فان ذنبه غير مغفور كالمشرك ولان النصارى قائلون بالتثليث وقد قال تعالى
اقتلوا المشركين فثبت ان الذمي غير كامل في المظلومية فلا يندرج في الآية وايضا ليس فيها دلالة على ان الحر يقتل بالعبد لانها وان كانت
عامة الا ان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد خاص والخاص مقدم على العام من قرأ فلا تسرف بالتاء الفوقانية فعلى خطاب الولي او قاتل المظلوم
ومن قرأ على الغيبة فالضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية وعن مجاهد ان الضمير في قوله انه كان منصورا
فاما للولي اي حسبه ان الله قد نصره بايجاب القصاص فلا يستزد عليه او نصره بمعونة السلطان والمؤمنين فلا يتبع ما وراء حقه واما للمظلوم فان الله
نصره في الدنيا بايجاب القصاص على قاتله وفي الآخرة باعطاء الثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على
المسرف ولما ذكر النهي عن اتلاف النفوس في المبادي وفيما ورائها اتبعه النهي عن اتلاف الاموال وكان اهمها بالحفظ والرعاية مال اليتيم فقال
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن وهي تثميره وانماؤه روى مجاهد عن ابن عباس اذا احتاج الولي اكل بالمعروف فاذا
ايسر قضاه وان لم يوسر فلا شيء عليه ويتصرف الولي في مال اليتيم على الوجه المذكور حتى يبلغ اليتيم اشده بان يكمل قواه العقلية والحسية كما
مر في آخر الانعام واوفوا بالعهد يتناول كل عقد جرى بين انسانين على وفق الشرع وقانونه في المعاملات والمناكحات وغيرها الا اذا
دل دليل خاص على صحته ان العهد كان مسئولا اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او هو على حذف المضاف والمراد ان صاحب
العهد مسئولا وهو تخييل كانه يقال للعهد لم نكثت تبكيتا للناكث كقوله واذا الموؤدة سئلت ثم امر بايفاء الكيل فيما يكال والوزن فيما
يوزن والقسطاس بضم القاف وكسرها هو القبان المسمى بالقرسطون وقيل كل ميزان صغيرا وكبيرا والاصح انه لغة العرب من القسط المضعف بالعدل
وقيل رومي معرب ذلك الايفاء والوزن بالعدل خير من التطفيف واحسن تأويلا عاقبة من آل اذا رجع اما في الدنيا فلانه اذا اشتهر بالاحتراز
عن الخيانة مالت القلوب اليه وعول الناس عليه فينفتح عليه ابواب المعاملات واما في الآخرة فظاهر قال الحكماء ان نقصان الكيل والوزن قليل



والوعيد عليه شديد والعار فيه عظيم فيجب على العاقل ان يحترز عنه ثم امر باصلاح اللسان والقلب فقال ولا تقف اي لا تتبع من قولك قفوت
فلانا اذا اتبعت اثره ومنه قافية الشعر لانها تقفو كل بيت القبيلة المشهورة بالقافة لانهم يتبعون آثار اقدام الناس ويستدلون بها على
احوالهم في النسب والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم او يعمل بما لا علم له به وهذه قضية كلية ولكن المفسرين حملوها على صور مخصوصة
فقيل نهى المشركين عن تقليد اسلافهم في الالهيات والنبوات والتحليل والتحريم والمعاد كقوله ان تتبعون الا الظن وما تهوى الانفس هل
عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وعن محمد بن الحنفية المراد شهادة الزور ومثله عن ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عيناك
وسمعته اذناك ووعاه قلبك وقيل المراد النهي عن القذف ورمي المحصنين والمحصنات بالاكاذيب كانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها
في الهجاء ويبالغون فيه وقال قتادة معناه لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم وقيل القفو هو البهت وهو في معنى الغيبة لانه قول
يقال في قفاه ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج اي يتوب وردغة الخبال بفتح الدال وسكونها
هي عصارة اهل النار من القيح والصديد احتج نفاة القياس بالاية زعما منهم ان الحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم واجيب بان العلم قد يراد به
الظن قال تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولا ريب انه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وانه لا يفيد الا الظن
سلمنا لكن الظن وقع في تعريفه لان الشرع قد اقام الظن الغالب مقام العلم وامر بالعمل به وزيف بانه لا دليل قاطعا على وجوب العمل بالظن الغالب
لان ذلك الدليل ليس عقليا بالاتفاق ولا نقليا لانه انما كان قطعيا لو كان منقولا نقلا متواترا وكانت دلالته على ثبوت هذا المطلوب دلالة
قطعية غير محتملة للنقيض ولو حصل مثل هذا الدليل لوصل الى الكل ولم يبق خلاف ونوقض بان الدليل الذي عولتم عليه وهو هذه الاية
تمسك بعام مخصوص للاتفاق على ان العمل بالشهادة عمل بالظن وهو جائز وكذا الاجتهاد في القبلة وفي قيم المتلفات واروش الجنايات وكذا
الحكم بكون الشخص المعين كالذابح مؤمنا ليحل ذبيحته او الوارث ليحصل التوارث والميت ليدفن في مقابر المسلمين بالحقيقة اكثر الاعمال المعتبرة
في الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات الى الآجال المعينة والاعتماد على صداقة الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وقال صلى الله عليه وسلم
نحن نحكم بالظاهر والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد الا الظن فلو دلت هذه الاية على ان التمسك بالظن غير جائز لزم ان لا يجوز التمسك بهذه
الاية وكل ما يفضي ثبوته الى نفيه يسقط الاستدلال به واجيب بانا نعلم بالتواتر الظاهر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان التمسك بآيات القرآن جائز ورد
بان كون العام المخصص حجة غير معلوم بالتواتر ثم علل النهي بقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اشارة الى الاعضاء الثلاثة وان لم
يكن من ذوات العقول كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤولا قال في الكشاف عنه في موضع الرفع بالفاعلية مثل غير المغضوب
عليهم وفيه نظر لان المسند اليه الفعل او شبهه لا يتقدم عليه والصواب ان يقال انه فاعل مسؤولا المحذوف والثاني مفسر له وكيف يسئل
عن هذه الجوارح قيل يسئل صاحبها عما استعملها فيه لانها آلات والمستعمل لها هو الروح الانساني فان استعملها في الخيرات استحق الثواب والا فالعقاب
وقيل انه تعالى ينطق الاعضاء ثم يسألها عن افعالها ولا تمش في الارض مرحا نصب على الحال مع انه مصدر اي ذا مرح وهو شدة الفرح وقد وضع المصدر
موضع الصفة نوع من التاكيد مثل تالله ركضا وهو نهي عن مشية اهل الخيلاء والكبر انك لن تخرق الارض لن تنقبها بشدة وطأتك ولن
تبلغ الجبال طولا مصدر في موضع الحال من الفاعل او المفعول او تمييز او مفعول له او مصدر من معنى تبلغ بين ضعف الآدمي بانه في حال انحطاطه
لا يقدر على خرق الارض وحال ارتفاعه لا يقدر على الوصول الى رؤس الجبال فلا يليق به ان يتكبر ويتجبر كانه قيل له انك خلق ضعيف محصور بين حجارة
من فوقك وتراب من تحتك فلا تفعل فعل المقتدر القوي وقيل انه مثل ومعناه كما انك لن تخرق الارض في مشيتك ولن تبلغ الجبال طولا
فكذلك لا تبلغ ما اردت بكبرك وعجبك فيه يأس للانسان من بلوغ ارادته كل ذلك كان سيئه من قرأ بالاضافة فظاهر لان المذكور من
قوله لا تجعل مع الله الها آخر بعضها حسن وهو المامورات وبعضها سيئ وهو المنهيات فالمعنى ان ما كان من تلك الاشياء سيئا فانه مكروه عند
الله ويمكن ان يراد بسيئ تلك ما هو طرف الافراط او التفريط ومن قرأ سيئة على التانيث فقوله ذلك اشارة الى المنهيات خاصة وقيل ان
الكلام قد تم عند قوله واحسن تاويلا وقوله كل ذلك اشارة الى ما نهي عنه في قوله ولا تقف ولا تمش وانما قال سيئة على التانيث مع قوله مكروها
على التذكير لانه جعل السيئة في معنى الذنب والاثم قالت المعتزلة الكراهة تنافي الارادة ففي الاية دلالة على ان المنهيات لا تكون مرادة لله
تعالى لانها مكروهة عنده واذا لم تكن مرادة له لم تكن مخلوقة له لان الخلق بدون الارادة محال اجابت الاشاعرة بان المراد من كراهتها كونها
منهيا عنها او ترتب عليها الوعيد ولكن الظاهر مع لزوم التكرار لان كونها سيئة يدل على كونها منهية واجيب بانه لا باس بالتكرار لاجل التاكيد ذلك
الذي ذكر من قوله لا تجعل الى هذه الغاية وهي نيف الى خمسة وعشرين تكليفا مما اوحى اليك ربك من الحكمة سمي حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه
للفساد بوجه وعن ابن عباس انها كانت في الواح موسى وباصطلاح الحكماء ان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به لا ريب
ان الامر بالتوحيد راس الحكمة النظرية وسائر التكاليف مشتملة على اصول مكارم الاخلاق وهي الحكمة العملية ولقد جعل الله سبحانه فاتحة هذه
التكاليف النهي عن الشرك وكذا خاتمتها لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن فقده لم ينفعه شيء من العلوم وان بذ الاقران والاكفاء وحلق باجنحته فوق
السماء وقد راعى في هذا التكرار دقيقة فرتب على الاول كونه مذموما مخذولا وذلك اشارة الى حال المشرك في الدنيا ورتب على الثاني انه

الفسد والخيانة وسائر المعاملات وكذا ع

بل في جهنم ملوما مدحورا وانها حالة في الآخرة وفي القعود هنا بسط الالقاء ههنا اشارة الى ان للانسان في الدنيا صورة اختيار بخلاف الآخرة
والله اعلم بمراده وقد يفرق بين الذم واللوم فيقال الذم هو ان يبين كون الفعل الذي اقدم عليه قبيحا منكرا واللوم هو ان يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل
وما الذي حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك ويفرق بين المخذول والمدحور بان المخذول عبارة عن الضعيف
الذي تخاذلت اعضاؤه اي ضعفت والمدحور المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف والاهانة ثم انكر على المشركين القائلين بان الملائكة بنات
الله فقال افاصفاكم اي اخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بالبنين الذين هم افضل الاولاد واتخذ من الملائكة اولادا اناثا انكم لتقولون
قولا عظيما باضافة الاولاد الى من لا يصح له الولد لقدمه وتنزهه عن صفات الاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون
وهذا خلاف معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بالاجود والاصفى والسادة بالادون والاردى ثم يجعلكم الملائكة الذين هم اعلى
خلق الله على الاطلاق او بالتقييد على المذهبين اخس الصنفين وهو الاناث التأويل خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ليقطع تعلقه عن الكونين من
الثقلين فقال والله ولا تجعل مع الله الها آخر من الدنيا والآخرة ثم شرف امته بتبعيته قائلا وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وانما قال
ربك لانه اصل في التربية والامر تبع له فمن حكم في الازل انه لا يعبد غير الله لم يعبد غير الله وبالوالدين والد الروح ووالد البدن
الاحسان بهما ان يلقيهما في العبودية ليعبد الله كانهما يريانه اما يبلغن عندك خاطب القلب بوصيته بان يواسي والد الروح عند كبره وهو
بلوغه اعلى مراتب القرب وعجزه عند سطوات تجلي صفات الالوهية ووالد البدن عند كبره فلا يستعملهما عند العجز ولا تنهرهما عند الاستراحة
واقومهما عند استعمالهما في العبودية ولا تنكر عليهما فانك تحت التربية منهما لان القلب طفل تولد بازدواج الروح والبدن وقد وجد التربية منهما صورة ومعنى
الى ان صار قابلا للتجلي والخلافة ربكم اعلم بما في نفوسكم من الاستعداد ان تكونوا صالحين مستعدين للخلافة فانه كان للاوابين الراجعين من
انانيتهم الى هويته دون من كان مقيدا بنفسه غفورا ساترا بانوار جماله ثم اخبر عن ادب الخلافة قائلا وآت ذا القربى وهو النفس حقه فان لنفسك عليك حقا
من ترك وتقتير ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا

و بحقیقت مکرر بیان کردیم در این قرآن تا پند گیرند و نمی‌فزاید ایشان را مگر نفرت بگو اگر بودی با او الهان چنانکه میگویند انگاه

لا بتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن

هر آینه جستندی بسوی صاحب عرش راهی منزه است او و برتر است از آنکه میگویند برتری بزرگ تسبیح میکنند مر او را آسمانهای هفتگانه و زمین و هر که

فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واذا قرأت القرآن جعلنا

در آنهاست و نیست هیچ چیز مگر آنکه تسبیح میکند بستایش او و لیکن نمی‌فهمید تسبیح ایشان را بدرستیکه او هست بردبار آمرزنده و چون بخوانی قرآن را میکردانیم

بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم

میان تو و میان آنانکه نمی‌گروند بآخرت پرده پوشیده و کردانیدیم بر دلهای ایشان پوششها مبادا که بفهمند آنرا و در گوشهای ایشان

وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون

گرانی و چون یاد کنی پروردگار خود را در قرآن تنها برگردند بر پشتهای خود رمندگان ما داناتریم بآنچه گوش مینهند بدان چون گوش مینهند

اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال

بتو و در وقتیکه در راز گویی اند آنگاه که میگویند ستمکاران پیروی نمیکنید مگر مردی را سحر کرده شده بنگر چگونه زدند برای تو مثلها را

فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا

پس گمراه شدند پس نمیتوانند یافتن راهی و گفتند آیا چون باشیم استخوانها و ریزه ریزه آیا ما برانگیخته شدگانیم آفرینش تازه بگو باشید

حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة

سنگها یا آهن یا خلقی را که عظیم آید در سینهای شما پس زود باشد که گویند کیست که باز گرداند ما را بگو آنکه بیافرید شما را اول بار

فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده

پس زود باشد که بجنبانند بسوی تو سرهای خود را و میگویند کی خواهد بود بگو شاید که باشد نزدیک روزیکه بخواند شما را پس اجابت میکنید بستایش او

وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان

و گمان میبرید که درنگ نکرده‌اید مگر اندکی و بگو مر بندگان مرا که بگویند آنچه او نیکوتر است بدرستیکه شیطان فساد میکند میان ایشان بدرستیکه شیطان

كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا

هست مر انسان را دشمنی آشکارا پروردگار شما داناتر است بشما اگر خواهد رحم کند شما را یا اگر خواهد عذاب کند شما را و نفرستادیم ترا بر ایشان کارگذار

وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا

ربع

۱۵



الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ

[illegible]

أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا

[illegible]

قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا

[illegible]

الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا

[illegible]

جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا القراءة

[illegible]

[illegible] ... وحمزة وعلي وخلف الآخرون ... كما يقولون في الغيبة ابن كثير وحفص ... تقولون على الخطاب حمزة وعلي وخلف ... ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف ... عاصم غير ابي بكر ويحيى وحماد والمفضل والخزاز عن هبيرة الآخرون على ... [illegible] ... في سورة البقرة ... الوقوف ... كبيرا ... مستورا ... العطف ... [illegible] ... والسين للاستئناف ... اعلم بكم ... مسطورا ... الأولون ... تخويفا ... بالناس ... في القرآن ... [illegible] ... من نوع الى نوع ... [illegible] ... القرآن ... [illegible] ... هو الله ... [illegible] ... الحكيم ... [illegible] ... الامور ... [illegible] ... هذا التصريف ... نفورا ... [illegible] ... الايمان ... [illegible] ... على التوحيد ... [illegible] ... مع الله الها آخر ... يقول المشركون ... [illegible] ... الكتاب ... [illegible] ... سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ... [illegible] ... الأصنام ... [illegible] ... سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ... [illegible] ... العلو ... [illegible] ... غاية ملكه ونهاية عظمته ... [illegible] ... بقول سبحان الله ... [illegible] ... وجود الصانع الحكيم ... [illegible] ... ولكن لا تفقهون تسبيحهم ... [illegible] ... على وجود الصانع ... على الاجمال دون التفصيل ... [illegible] ... واللون والحجم والجهة وغيرها ... لا الله ... [illegible] ... المشركين انهم وان كانوا ... [illegible] ... شريكا وانكروا قدرته على البعث والاعادة ... في المعجزات الدالة على نبوة محمد ... [illegible] ... انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم ... [illegible] ... وزعم بعض الظاهريين ان ما سوى الحي ... [illegible] ... فكيف صار ذبح الحيوان ... [illegible]





عن التسبيح وكذا كسر الغصن يمكن ان يجاب بان تسبيح كل شيء لعله مختص بتركيبه الذي هو خلق عليه فاذا ابطل ذلك التركيب فلا يسبح له ذلك المنظم لم يبق مسبحا
مكلفا وعلى ذلك النحو واعترض عليه ايضا بانه اذا جاز في الجمادات ان تكون عالمة بذات الله سبحانه مسبحة له مع انها ليست بحية بطل ما استدل علماؤنا
باب العلم بكونه تعالى حيا الا بانا استدللنا بكونه عالما قادرا على كونه حيا ويمكن ان يجاب بانا استدللنا على حيوته تعالى بالاذن الشرعي ولو سلم ان العلم يستلزم
الحيوة عقلا فقد قيل ان لكل موجود حيوة يليق به ولما فرغ من الالهيات شرع في النبوات فقال واذا قرأت القرآن قيل نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول
الله صلعم اذا قرأ القرآن عليهم ... كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه وعن يساره آخران ... يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار
وعن اسماء كان رسول الله صلعم جالسا ومعه ابو بكر اذ اقبلت امرأة ابي لهب ومعها فهر تريد الرسول صلعم وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا
فقال ابو بكر يا رسول الله صلعم ان معها حجرا اخشى عليك فتلا رسول الله صلعم وهو يقول هذه الآيات فجاءت فما رأت رسول الله صلعم وقالت ان قريشا
قد علمت اني ابنة سيدها وان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب هذه الكعبة ما هجاك وعن ابن عباس ان ابا سفيان والنضر بن الحرث وابا
جهل وغيرهم كانوا يجالسون الرسول صلعم ويستمعون حديثه فقال النضر يوما ما ادري ما يقول محمد صلعم غير اني ارى شفتيه تتحرك بشيء وقال ابو سفيان اني ارى
بعض ما يقول حقا وقال ابو جهل هو مجنون وقال ابو لهب كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر فنزلت وكان رسول الله صلعم اذا اراد تلاوة القرآن
تلا قبلها ثلاث آيات وهي في سورة الكهف جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وفي النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي
حم الجاثية افرأيت من اتخذ الهه هواه الآية فكان الله تعالى يحجبه ببركات هذه الآيات عن عيون المشركين وذلك قوله جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
حجابا مستورا اي ذا ستر ... مفعول بمعنى فاعل ... فاعل على ذلك كثير نحو ... ومنه قولهم رجل مرطوب اي ذو رطوبة ومكان
مهول اي ذو هول وسيل مفعم ذو افعام وجوز الاخفش ان يكون فاعلا بمعنى المفعول مثل مشؤوم وميمون وقيل انه حجاب يخلقه الله في عيونهم يمنعهم
ذلك الحجاب عن رؤية النبي صلعم وذلك الحجاب شيء لا يراه احد فهو مستور وعلى هذا يتقرر قول الاشاعرة انه يجوز ان يكون الحاسة سليمة والمرئي
حاضرا والشرائط حاصلة ولا يحصل الادراك ... ويحتمل ان يراد حجابا من دونه حجاب آخر فهو مستور بغيره او حجاب يستر
بصره فكيف ... القول الثاني في الآية ان المراد بالحجاب الطبع والختم واستدل الاشاعرة به وبقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة على صحة
مذهبهم في خلق الكفر والايمان كما مر في سورة الانعام في قوله ومنهم من يستمع اليك وجعلنا واجاب الجبائي بان المراد انهم يطلبون موضعه
بالليل ليقتلوه ... عن فهم القرآن وفي آذانهم وقرا ... من سماع صوتك
قال الكلبي ... كالنسب الذي ... انا القتيل في هذه الحالة ... خليلك
... وقرن بينها وبينك حجابا ... ومن قبائح اهل الشرك انهم كانوا يحبون
ان يذكر الهتهم ... واذا ذكرت ربك في القرآن وحده
... ولوا على ادبارهم نفورا ... القواعد
... نحن اعلم بما يستمعون به ... في موضع الحال كما يقول يستمعون بالهزء
... نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اي وبما يتناجون به اذ هم ذووا
نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فاختلط عقله
... فاسدها
وقال مجاهد ... ان النبي صلعم ... كانوا ... يعلمه ... الآيات وزعموا
ان الشيطان ... بصورة الملك ... قال ابو عبيدة ... قال ابن قتيبة ... على هذا التفسير السحر
مع ان السلف ... انظر كيف ضربوا لك الامثال شبهوك بكل منهم ... كاهن وشاعر وساحر ومعلم ومجنون فضلوا
في جميع ذلك عن طريق الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى ... ولما فرغ من شبهات القوم في
النبوات حكى شبهتهم في امر المعاد ... وهو دعوى
الانسان ... كان عظاما ورفاتا ... الاجزاء المتفتتة من كل شيء ... كالرضاض والفتات ... عظام
الجزور ورفتا اذا كسرها ... الشبهة ان الانسان اذا مات جفت عظامه وتناثرت وتفرقت في جوانب العالم واختلطت بامثالها
من العناصر فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها باعيانها ثم عود الحيوة الى ذلك المجموع فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بان اعادة بدن الميت الى حالة
الحيوة ممكن ولو فرضتم ان بدنه قد صار ابعد شيء من الحيوة ومن رطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر كالحجارة او الحديد فهو كقول
القائل اتطمع في وانا فلان فيقول كن ابن الخليفة او من شئت فسأطلب منك حقي ... اما قوله او خلقا مما يكبر في صدوركم فالمراد فرضوا اشيا اخر ابعد
عن قبول الحيوة من الحجر والحديد بحيث يستبعد عقولكم كونه قابلا لوصف الحيوة وعلى هذا لا حاجة الى تعيين ذلك الشيء وقال مجاهد اراد
السموات والارض وعن ابن عباس انه الموت اي لو صرتم ابدانكم نفس الموت فان الله يعيد الحيوة اليها وهذا انما يحسن على سبيل المبالغة كما

يقال هو روح مجسم او جوهر مجرد محض والا فالموت عرض وانقلاب الجسم عرضا محال وبتقدير التسليم فالموت كيف يقبل الحيوة لان الضد يمتنع
ان يقبل الضد وفي قوله قل الذي فطركم اول مرة بيان كاف وبرهان شاف لانه لما سلم ان خالق الحيوان هو الله فتلك الاجسام في الجملة قابلة للحيوة
والعقل والاله العالم عالم بجميع الجزئيات والكليات فلا يشتبه عليه اجزاء بدن كل من الاموات واذا قدر على جعلها متصفة بالحيوة في اول الامر فلان
يقدر على اعادتها الى الحيوة في ثاني الحال اولى الزمهم اولا بان البعث امر ممكن وان فرضتم بدل المبتدأ اي شيء اردتم فكانهم سلموا امكانه ولكن تجاهلوا
وتغافلوا عن تعيين المعيد فقالوا من يعيدنا فاجاب بانه الفاطر الاول ثم زادوا في الاعتراض فسئلوا عن تعيين الوقت بقولهم متى هو وذلك قوله فسينغضون
اليك رؤسهم اي فسيحركونها تعجبا واستهزاء قال ابو الهيثم يقال للرجل اذا اخبر بشيء فحرك راسه الى فوق والى اسفل انكارا له انغض راسه قال
المفسرون عسى من الله واجب فعلم منه قرب وقت البعث ولكن وقفه على التعيين مما استأثر الله بعلمه لا يقال كيف يكون قريبا وقد انقرض اكثر من
سبعمائة سنة ولم يظهر لانا نقول كل ما هو ات قريب واذا كان ما مضى اكثر مما بقي كان الباقي قليلا قوله يوم يدعوكم منصوب باذكروا والمراد يوم يدعوكم
كان ما كان او هو بدل من قريبا والمعنى عسى ان يكون البعث يوم يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة وروي ان اسرافيل ينادي ايتها
الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودي كما كنت والاستجابة موافقة الداعي فيما دعي اليه وهي مثل الاجابة بزيادة تاكيد لما في
السين من طلب الموافقة قال في الكشاف الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين وقوله بحمده حال منهم اي
حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بامر يشق عليه ستاتي به وانت حامد شاكر اي ستنتهي الى حالة تحمد الله وتشكره على ان
اكتفى منك بذلك العمل وهذا يذكر في معرض التهديد وقال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك وقال قتادة بحمده اي بمعرفته وطاعته لان التسبيح والتحميد معرفة وطاعة ومن هنا قال بعضهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وقال
اخرون الخطاب مختص بالمؤمنين لانهم الذين يليق بهم الحمد لله على احسانه اليهم وتظنون ان لبثتم الا قليلا عن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم
حين عاينوا الاخرة ومثله قول الحسن معناه تقريب وقت البعث فكانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقال ابن عباس يريد ما بين النفختين
الاولى والثانية فانه يزول عنهم العذاب في ذلك الوقت وقيل اراد استقصار لبثهم في عرصة القيامة حين عاينوا هول النار ثم امر المؤمنين بالرفق
والتدرج عند ايراد الحجة على المخالفين فقال وقل لعبادي اي المؤمنين لان لفظ العباد يختص بهم في اكثر القران فبشر عبادي الذين يستمعون
القول عينا يشرب بها عباد الله فادخلي في عبادي يقولوا الكلمة او الحجة التي هي احسن والتي هي ان لا تكون مخلوطة بالسب واللعن والغلظة ثم نبه
على وجه المنفعة بهذا الطريق فقال ان الشيطان ينزغ بينهم اي بين الفريقين جميعا فيزداد الغضب ويتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود ثم قال
ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم ايها المؤمنون بالانجاء من كفار مكة ومن ايذائهم او ان يشا يعذبكم بتسليطهم عليكم وما ارسلناك يا محمد عليهم
وكيلا اي حافظا موكولا اليك امرهم انما انت بشير ونذير والهداية الى الله وقال جار الله الكلمة التي هي احسن مفسرة بقوله ربكم اعلم بكم الى
اخره اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يزيد غيظهم وقوله ان الشيطان ينزغ
بينهم اعتراض وقيل المراد بالعباد الكفار اي قل لعبادي الذين اقروا بكونهم عبادا لي يقولوا الكلمة التي هي احسن هي كلمة التوحيد والبراءة من الشرك
والاضداد لان ذلك احسن بالبديهة من الاشراك ووصفه بالقدرة على الحشر احسن من وصفه بالعجز عنها والحامل على مثل هذه العقائد هو
الشيطان المغوي ثم قال لهم ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم بتوفيق الهداية او ان يشا يعذبكم بالاماتة على الكفر الا ان تلك المشيئة غائبة عنكم
فلا تقصروا في الجد والطلب ثم قال لرسوله وما ارسلناك عليهم وكيلا حتى تقسرهم على الاسلام وما عليك الا البلاغ على سبيل الرفق والمداراة
وهذا قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلعم
فنزلت وحين قال ربكم اعلم بكم عمم الحكم فقال وربك اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق
بجميع الموجودات وبما يليق بكل منها وبذلك حصل التمايز والتفاضل كما قال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وفيه رد على اهل مكة في انكارهم
ان يكون يتيم ابي طالب مفضلا على الخلائق يتبادرون صناديد قريش واكابرهم وانما ختم الاية بقوله واتينا داود زبورا ليعلم ان التفضيل ليس
بالمال والملك وانما هو بالعلم والدين فان داود كان ملكا عظيما ولم يذكره الله سبحانه الا بتهيئة ايتاء الكتاب وفيه ايضا اشارة الى ان محمدا صلعم خاتم الانبياء
وامته خير الامم بدليل قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي محمد وامته ومعنى التنكير في زبورا
انه كامل في كونه كتابا والزبور وزبور كالعباس وعباس والحسن وحسن والمراد بعض الزبر او الزبور كما يسمى بعض القران قرانا وقيل ان كفار قريش
ما كانوا اهل نظر وجدال بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات وكانت اليهود يقولون انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التورية فنقض الله
كلامهم بانزال الزبور على داود بعد موسى ثم رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على انها صور الملائكة او على طائفة من اهل الكتاب
كانوا يقولون بالهية عيسى ومريم وعزير فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وقيل اراد بالذين زعمتم نفرا من الجن عبدهم ناس من العرب ثم
اسلم الجن ولم يشعروا وانما تخصصت الاية بهؤلاء الطوائف لان قوله بعد ذلك يبتغون الى ربهم الوسيلة لا يليق بالجمادات قال ابن عباس
كل موضع في كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم فهو بمعنى الكذب ثم قرر ان المعبود الحق هو الذي يقدر على ازالة الضر وتحويله من حال الى حال او من مكان

الكشف

وانما صرح

الى مكان وهذه التي زعمتم انها آلهة لا يقدرون على شيء من ذلك فوجب القطع بانها ليست بالهة سؤال ما الدليل على ان الملائكة
لا قدرة لها على كشف الضر فان قلتم لانا نرى ان اولئك الكفار كانوا يتضرعون اليها ولا يحصل الاجابة قلنا ان المسلمين ايضا يتضرعون الى الله
ولا يجابون ويتفق لهم الاجابة في بعض الاوقات فالكفار ايضا يحصل مطلوبهم احيانا فيقولون لنرم الملائكة جوابه ان الفريقين مقرين بان الاله
الاعظم خالق العالم وكمال قدرته معلوم متفق عليه وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه بل المتفق عليه ان قدرتهم بالنسبة الى قدرة الله قليلة
حقيرة واذا كان كذلك وجب ان يكون الاشتغال بعبادة الاله الاعظم اولى واجدر اخذا بالمعلوم المتيقن دون المظنون الموهوم على ان اهل السنة قاطعون
بانه لا تأثير لشيء في الوجود الا لله تعالى يقول مؤلف هذا التفسير اضعف عباد الله تعالى واحوجهم الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله
احواله في اولاه واخراه رأيت في بعض الكتب مرويا عن امير المؤمنين علي ع من وقع في ملمة او طلب كفاية مهم فليصل في خلوة وليقل في سجدته الهي انت الذي
قلت قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فيا من يملك كشف الضر عنا وتحويله اكشف ما بنا فانه اذا قال ذلك
كشف الله عنه ضره وكفى مهمه وقد جربت فوجدته كذلك ثم انه تعالى اكد عدم اقتدار معبوديهم ببيان غاية افتقارهم الى الله تعالى في جذب المنافع
ودفع المضار فقال اولئك وهو مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان اولئك المعبودين يطلبون الى ربهم الوسيلة اي القربة
في الحوائج وايهم بدل من واو يبتغون وهو موصول وصدر صلته محذوف واي يبتغي من هو اقرب الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب والدليل على
هذا الافتقار اقرار جميع الكفار بامكانهم الذاتي وجوز في الكشاف ان يضمن يبتغون الوسيلة يعني يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب
الى الله وذلك بازدياد الخير والطاعة والصلاح ويرجون ويخافونه كغيرهم من العباد وقيل اولئك الذين يدعون هم الانبياء الذين ذكرهم
الله في قوله ولقد فضلنا بعض النبيين اي الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء الداعون الامم الى الله لا يعبدون الا الله ولا يبتغون الوسيلة
الا اليه فانتم احق بالعبادة واحتج هذا القائل على صحة قوله بان الله تعالى قال يخافون عذابه والملائكة لا يعصون الله فكيف يخافون واجيب بانهم
يخافون عذابه لو اقدموا على الذنب لقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل
احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم فان لم يحذره بعض الجهلة فانه لا يخرج عن كونه واجب الحذر ثم بين مآل حال الدنيا واهلها فقال
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب كالسبي والاغتنام وقيل الهلاك للصالحة
والتعذيب للطالحة كان ذلك في الكتاب وهو اللوح المحفوظ مسطورا فلا يوجد له تبديل قط ثم ذكر نوعا آخر من سننه فقال وما منعنا ان نرسل
المنع للترك من اجل لزوم خلاف الحكمة او المتشبه عن سعيد بن جبير ان كفار قريش اقترحوا منه آيات باهرة كاحياء الموتى ونحوه وعن ابن عباس انهم
سألوا ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان يزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا تلك الاراضي فطلب النبي ص من الله تعالى ذلك فقال ان شئت فعلت لكنهم ان
كفروا بعد ذلك اهلكتهم فقال الرسول ص لا اريد ذلك وانزل الله الآية والمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب
بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا عذاب الاستيصال
على ما اجرى الله تعالى به عادته والحاصل ان المانع من ارسال الآيات التي اقترحوها هو ان الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلي وقد
عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ويحتمل ان يراد انهم مقلدون لآبائهم فلا يؤمنون فيكون ارسال الآيات ضائعا ثم استشهد على
ما ذكر بقصة صالح وناقته لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة يبصرها صادرهم وواردهم وهذا معنى قوله مبصرة او المراد حال كون الناقة آية بينة
يبصر المتأمل بها رشده فظلموا بها انفسهم بقتلها او فكفروا بها بمعنى انهم جحدوا كونها من الله قاله ابن قتيبة وما نرسل بالآيات المقترحة الا تخويفا
من نزول العذاب العاجل بمعنى ان من انكرها عليه او المراد وما نرسل بآيات القرآن وغيرها من المعجزات الا انذارا بعذاب الآخرة على المعنى المذكور
وحين امتنع من ارسال الآيات المقترحة على رسوله للمصالح المذكورة قوى قلبه بوعد النصر والغلبة فقال واذ قلنا لك ان ربك اي واذكر اذ
اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس اي انهم في قبضته وقدرته فلا يقدرون على خلاف ارادته فينصرك ويقويك حتى تبلغ الرسالة ويحول بينهم
وبينه ان يقتلوه كما قال والله يعصمك من الناس وقيل اراد بالناس اهل مكة واحاط في معنى الاستقبال الا ان خبر الله تعالى لما كان
واجب الوقوع عبر عنه بلفظ الماضي وعدا بانه سيهلك قريشا ويعز بدرا قوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس فيه اقوال الاول
انه تعالى اراه في المنام مصارع كفار قريش حتى قال والله لكأني انظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا
مصرع فلان فلما سمع قريش ذلك جعلوا رؤياه سخرية وكانوا يستعجلون بما وعد الثاني انها رؤياه التي رأى ان يدخل مكة وبين ذلك لاصحابه واخبر
فلما منع عن البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال عمر لابي بكر قد اخبرنا رسول الله ص انا ندخل البيت ونطوف به فقال ابو
بكر انه لم يخبر انا نفعل ذلك في هذه السنة فسنفعل ذلك في سنة اخرى فلما جاء العام القابل دخلها وانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله
الرؤيا بالحق الثالث قول سعيد بن المسيب وهو رواية عطاء عن ابن عباس ان رسول الله ص رأى بني امية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك الرابع وهو
قول اكثر المفسرين ان المراد بهذه الرؤيا هي حديث الاسراء ثم اختلفوا فالاكثرون على ان الرؤيا بمعنى الرؤية يقال رأيت بعيني رؤية ورؤيا او
سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا لعلها رؤيا رآها وخيال خيل اليه والاولون يحملون ان الاسراء كان في المنام وقد مر البحث في اول

السورة قوله والشجرة فيه تقديم وتاخير والتقدير وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في القران الا فتنة للناس قال الاكثرون انها شجرة الزقوم لعنت في القران حيث لعن طاعموها قال عز من قائل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم او وصفت باللعن لانه الابعاد وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة والعرب يقول لكل طعام مكروه صار ملعونا والفتنة فيها ان اباجهل وغيره قالوا زعم صاحبكم ان نار جهنم تحرق الحجر ثم يقول ينبت فيها الشجرة فانزل الله تعالى هذه الاية ونظيره قوله انا جعلناها فتنة للظالمين ومن شاهد حال السمندل والنعامة كيف يتعجب من قدرة الله على انبات الشجر من جنس لا تعمل فيه النار وعن ابن عباس الشجرة الملعونة بنو امية وعنه هي الكشوث التي تلتوي بالشجر يجعل في الشراب يجعل في الشرب وقيل هي الشيطان وقيل اليهود سؤال اي تعلق لحديث الرؤيا والشجرة الى ما قبله من الكلام جوابه كانه قيل انهم لما طلبوا هذه المعجزات ثم انك لم تظهرها صار عدم ظهورها شبهة في انك لست بصادق في دعوى النبوة الا ان وقوع هذه الشبهة لا ينبغي ان يكون سببا لوقوع الشبهة العظيمة ثم انها اما وجبت ضعفا في امرك ولا فتورا في اجتماع المحققين عليك ثم ذكر سببا اخر في انه تعالى لا يظهر المقترحات عليهم فقال ونخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا متماديا التاويل لا ابتغوا الى ذي العرش سبيلا يشتمل معنيين لانهم ان كانوا اكبر منه او امثالا له طلبوا طريقا الى انعاج صاحب العرش في نزع الملك منه قهرا وان كانوا ادون منه طلبوا اليه الوسيلة بالخدمة والعبودية على ان الناقص لا يصلح للالهية وهذا قريب من التفسير وان من شيء الا يسبح بحمده لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوت لقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء والملكوت باطن الكون وهو الاخرة والاخرة حيوان لا جماد لقوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان فلكل ذرة لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح والحمد تنزيها لصانعه وحمدا له على ما اولاه من نعمه وبهذا اللسان ينطق الحصى في كف النبي وبه ينطق الارض يوم القيمة يومئذ تحدث اخبارها وبه ينطق الجوارح انطقنا الله الذي انطق كل شيء وبه ينطق السموات والارض قالتا اتينا طائعين انه كان حليما في الازل اذ اخرج من العدم من يكفر به ويجحده غفورا لمن تاب عن كفره واذا قرأت القران فيه اشارة الى ان من قرأ القران بتمامه وصل الى اعلى معارج القدس واقصى مدارج الانس كما جاء في الحديث يقال لصاحب القران اقرأ وارق قال ابو سليمان الخطابي جاء في الاثر ان عدد اي القران على قدر درج الجنة فمن استوفى جميع اي القران استوى على اقصى درج الجنة قال المحققون استيفاء جميع اي القران هو ان يتخلق باخلاقه ويتصف بل يتخلق باخلاق الله وصفات الله وهذا يكون بعد العبور عن الحجب الظلمانية والنورانية فيكون بينه وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا لم يقل ساترا لان الحجاب يستر الواصل فيكون الواصل مستورا بالحجاب عن المنقطع ولوا على ادبارهم لانهم من سوء مزاجهم لا يكادون يقبلون الغذاء الصالح فالحلاوة في مذاقهم مرارة اذ يقول الظالمون من ظلمهم لانهم وضعوا المسحور مكان المبعوث وخلقا مما يكبر في صدوركم اي او كان قلوبكم التي في صدوركم اشد من الحجارة والحديد فالله قادر على احيائها وتليينها في ثنية العشق يقولوا التي هي احسن شرف من عبده بتشريف الاضافة يظهر منه القول الاحسن هو الدعاء الى الله بلا اله الا الله مخلصا والفعل الاحسن هو ان يكون متادبا باداب الشريعة والطريقة والخلق الاحسن هو ان يكون محسنا اليهم بلا طمع الاحسان والشكر منهم ويتجاوز عن سيئاتهم ويعيش فيهم بالنصيحة يامرهم بالمعروف بلا عنف وينهاهم عن المنكر بلا فضيحة ان الشيطان ينزغ بينهم اذا لم يعيشوا بالنصيحة واتينا داود زبورا فيه ان فضل النبي صلعم على داود كفضل القران على الزبور وان من قرية من قرى قالب الانسان الا نحن مهلكوها بموت قلبه ودوتيل موت قالبه فمن مات فقد قامت قيامته او معذبوها بانواع الرياضات والمجاهدات في السير الى الله وبانواع العقبات في السير بالله وبان الذات احاط بالناس علم مقتضى كل نفس من الخير والشر وما جعلنا الرؤيا التي اريناك كان الوحي يصل الى النبي صلعم في مبدء امره بطريق المنام وكان في ذلك اختبار للناس فمن وقته يظهر الموافق من المنافق والمعتقد من المرتد وهكذا كان في الشجرة وجود ابليس ابتلاء للناس ولم يكن للمحيط باحوال الناس حاجة الى الابتلاء ولكنه يعامل معاملة المختبر والله اعلم بالصواب

وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْٓا اِلَّآ اِبْلِيْسَ قَالَ ءَاَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيْنًا ۝ قَالَ اَرَءَيْتَكَ هٰذَا الَّذِيْ كَرَّمْتَ

عَلَيَّ لَئِنْ اَخَّرْتَنِ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَاَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهٗٓ اِلَّا قَلِيْلًا ۝ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَاِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ

جَزَآءً مَّوْفُوْرًا ۝ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَاَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي

الْاَمْوَالِ وَالْاَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطٰنُ اِلَّا غُرُوْرًا ۝ اِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ

وَكَفٰى بِرَبِّكَ وَكِيْلًا ۝ رَبُّكُمُ الَّذِيْ يُزْجِيْ لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوْا مِنْ فَضْلِهٖ اِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمًا ۝ وَاِذَا

مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُوْنَ اِلَّآ اِيَّاهُ فَلَمَّا نَجّٰىكُمْ اِلَى الْبَرِّ اَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْاِنْسَانُ كَفُوْرًا ۝ اَفَاَمِنْتُمْ

سورة بني اسرائيل ١١

أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ

که فرو برد با شما طرف بیابان یا فرستد بر شما سنگ ریزه پس نیابید برای خود هیچ نگهبانی آیا ایمن شدید که باز گرداند شما را

فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ۝ وَلَقَدْ

در دریا مرتبه دیگر پس فرستد بر شما درهم شکننده از باد پس غرق کند شما را بسبب آنکه کافر شدید پس نیابید برای خود بر ما بدان خون خواهی و هر آینه

كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ

گرامی کردیم فرزندان آدم را و برداشتیم ایشان را در بیابان و دریا و روزی دادیم ایشان را از پاکیزها و افزونی دادیم ایشان را بر بسیاری

مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ

از آنکه آفریدیم افزونی دادنی روزی که بخوانیم هر گروهی را به پیشوای ایشان پس آنکه داده شد کتابش بدست راستش پس آن گروه می‌خوانند

كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝ وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝ القراءة نخسف

نامه خود را و ستم کرده نشوند مقدار رشته و کسیکه باشد درین جهان کور پس او در آخرت کور و گمراه تر است در راه

بالنون في الخمس ابن كثير غير الهاشمي عن ابن فليح وسهل ويعقوب فتغرقكم بتاء التأنيث يزيد ابو جعفر وقرأ ابو عمرو في الوصل الباقون بالحذف ورجالك بكسر الجيم حفص

ابو زيد عن المفضل الآخرون بسكونها ان تخسف او ترسل ان تعيدكم فترسل فتغرقكم كلها بالنون ابن كثير وابو عمرو والباقون على الغيبة الا يعقوب

ويزيد فانهما قرأ فتغرقكم بالتاء الفوقانية على ان الضمير للريح وقرأ يزيد على الجمع ويزيد هذه اعمى بالامالة اعمى بالتفخيم ابو عمرو ونصير والبرجمي

وروى في قراءة حمزة وعلي غير نصير وخلف ويحيى وحماد جميعا بالامالة الباقون جميعا بالتفخيم الوقوف بامامهم ج لانتهاء الاستفهام الى الشرط والفاعل فتيلا

بعده بالعطف عطف على تحقيق القسم المحذوف مع ابتداء الكلام وكيلا ج موفورا ه وعدهم للعدول غرورا ه سلطان ط وكيلا ه فضله ط وحيما ه

الا اياه ج اعرضتم ط كفورا ه وكيلا لا للعطف تبيعا ه تفضيلا ه بامامهم ج فتيلا ه سبيلا ه التفسير قال اهل النظم انه لما ذكر ان الرسول صلعم كان من قومه

في بلية عظيمة ومحنة شديدة اراد ان يبين ان جميع الانبياء كانوا كذلك حتى آدم ع وايضا ان القوم كان منشأ نزاعهم واقتراحاتهم الفاسدة

الا من الكبر والحسد فبين الله سبحانه ان هذه عادة قديمة سنها ابليس لعنه الله عليه وايضا لما وصف القوم بزيادة الطغيان عقيب التخويف

اراد ان يذكر السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول ابليس لاحتنكن ذريته وهذه القصة ذكرها الله تعالى في سبع سور البقرة والاعراف

والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص ونحن قد استقصينا القول فيه فلا حاجة الى الاعادة فلنقتصر على تفسير الالفاظ قال جار الله طينا

حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد ومعناه أأسجد له وهو طين في الاصل واما من الراجع الى الموصول من الصلة تقديره أأسجد لمن كان

في وقت خلقه طينا ومعنى الاستفهام انكار ان الاشرف على زعمه يخدم الادون ولذلك قال ارأيتك اي اخبرني عن هذا الذي كرمت اي فضلته

علي لم كرمته وانا خير منه فاختصر الكلام لكونه معلوما ويمكن ان يكون هذا مبتدأ والاستفهام فيه مقدر ومعناه اخبرني أهذا الذي كرمته علي

والاشارة هنا بقصد الاستحقار وقيل ان هذا مفعول ارأيتك لان الكاف لمجرد الخطاب كأنه قال على وجه التعجب والانكار ابصرت او علمت هذا

بمعنى لو ابصرته او علمته لكان بحيث انك تكرم علي ثم ابتدأ فقال لئن اخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف وجوابه لاحتنكن ذريته لاستأصلنهم

بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه احتنك الشاتين اي اكلهما وقال ابو مسلم هو افتعال

من الحنك يقال منه حنك الدابة يحنكها اذا جعل في حنكها الاسفل حبلا يقودها به كأنه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه وانما ظن ابليس هذا

ذلك لانه سمع قول الملائكة في حقهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم انه خلق شهواني الى غير ذلك من قواه السبعية والوهمية

والبهيمية او قاس ذريته على آدم عليه حين عمل وسوسته فيه وضعفه جار الله بان الظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة قال الله تعالى اذهب ليس المراد

منه نقيض المجيء وانما المراد امض لشأنك الذي اخترته خذلانا وتخلية وامهالا لانه رتب عليه الامهال قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اراد

جزاؤهم وجزاؤك فغلب المخاطب على الغائب لانه الاصل في المعاصي وغيره تبع له وجوز في الكشاف ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات و

انتصب جزاء موفورا على المصدر والعامل فيه معنى تجازون المضمر المدلول عليه بقوله فان جهنم جزاؤكم او على الحال الموطئة والموفور الموفر

قوله فرأيتها حيث عرضه فرق وقيل هو بمعنى الوافر ثم اكد الامهال والخذلان بقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك ای افزز و الخوف

استفزه ازعجه واستخفه وصوته دعاؤه الى معصية الله وقيل الغناء واللهو واللعب واجلب عليهم بخيلك ورجلك قال الفراء وابو عبيدة اجلب

من الجلبة والصياح اي صح عليهم وقال الزجاج اي اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائدك فالاجلاب الجمع والباء في بخيلك زائدة وقال

ابن السكيت الاجلاب الاعانة والخيل يقع على الفرسان قال صلعم يا خيل الله اركبي وعلى الافراس جميعا والرجل بسكون الجيم جمع راجل كتاجر وتجر

وصاحب وصحب وبكسر الجيم صفة معناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا مثل ندس وندس وحذر وحذر وعن ابن عباس كل راكب وراجل

في معصية الله فهو من خيل ابليس جنوده وقيل يحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضها راكب وبعضها راجل والاقرب ان هذا كلام

ورد مثلا لتفوق الرجل الجاد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك قال في الكشاف مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم

التفسير

فصوّت بهم صوتاً يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بجند من خيالة ورجالة حتى استاصلهم اما المشاركة في الاموال
فهي كل تصرف في المال لا على وجه الشرع سواء كان اخذاً من غير حق او وضعاً في غير حق كالربا والغصب والسرقة وقيل هي تبتيك اذان الانعام
وجعلها بحيرة وسائبة والمشاركة في الاولاد دعوى الولد بغير سبب وتحصيله بالدعاء الى الزنا او تسميتهم بعبد اللات وعبد العزى او تربيتهم
لا كما ينبغي حتى ينشأوا غير راشدين ولا موحدين ولا متدينين بدين الحق وعدهم بتزيين المعاصي في اعينهم وترغيبهم فيها وتثقيل الطاعات
والعبادات عليهم وتنفيرهم عنها وهذه قضية كلية وربما خصص المفسرون فعن بعضهم ان المراد وعدهم بانه لا جنة ولا نار وقيل بالكرامة
على الله بالانساب والاحساب وقيل بشفاعة الاصنام والاماني الباطلة وايثار العاجل على الآجل ثم بين ان لا يكون لوعد الشيطان عاقبة
حميدة فقال وما يعدهم الشيطان الا غروراً لانه انما يدعو الى اللذات البهيمية او السبعية او الخيالية واكثرها دفع الآلام وكلها لا اصل
لها ولا دوام ومن اراد الاستقصاء في هذا الباب فعليه بمطالعة باب ذم الغرور من كتاب احياء علوم الدين للشيخ الامام محمد الغزالي رحمه الله و
لما قال للشيطان ما قال على سبيل الوعيد والتهديد اتبعه ما يقدر عليه ربطاً لجاش سائر المكلفين بقوله إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ
قال الجبائي المراد كل عباده لانه استثنى متبعيه في غير هذا الموضع فقال الا من تبعك وقال اهل السنة المراد عباد الله المخلصين ثم زاد في تقوية
جانب المكلف بختم الاية بقوله وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً فهو يدفع كيد الشيطان ويعصمهم من اغوائه ثم عدد على بني آدم بعض ما انعم عليهم ليكون
تذكيراً لهم وتحذيراً فقال رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ اي يسير لاجلكم الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ والازجاء سوق الشيء حالاً بعد حال لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ الربح
بالتجارة إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً فلذلك هداكم الى مصالح المعاش المؤدية الى منافع المعاد وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ اي خوف الغرق فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم تعقدون به رجاءكم او المراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم
ولكن الله هو الذي ترجونه وحده فكان الاستثناء منقطعاً فَلَمَّا نَجَّاكُمْ من ذلك الضر واخرجكم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ عن الاخلاص وَكَانَ الْإِنْسَانُ
كَفُوراً لنعم الله لانه عند الشدة يتمسك برحمة الله وفي الرخاء يعرض عنه ثم انكر عليهم سوء معاملتهم قائلاً أَفَأَمِنْتُمْ تقديره انجوتم فامنتم
فحملكم ذلك على الاعراض أَنْ يَخْسِفَ اصله دخول الشيء في الشيء منه عين خاسفة التي غارت حدقتها في الراس وخسفت الشمس دخلت تحت الحجاب و
هو دائرة الظل عند الحكماء بِكُمْ حال وانما قال جَانِبَ الْبَرِّ لانه ذكر البحر في الاية الاولى وهو جانب والبر جانب خسف جانب البر بهم قلبه وهم عليه
فالخسف تغييب تحت الثرى كالغرق تحت الماء فبين انكم نجوتم من هول البحر فهل امنتم من هول البر فانه قادر على تسليط الآفات عليكم اما من جانب التحت بالخسوف
واما من جانب الفوق بامطار الحجارة وذلك أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء وقال الزجاج الحاصب التراب
الذي فيه حصباء فالحاصب ذو الحصباء كاللابن والتامر ولا يخفى ان هذين العذابين اشد من غرق البحر ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً يصرف
ذلك عنكم أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى بان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ركوب البحر فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً وهي التي لها قصيف اي
صوت شديد والقاصف الكاسر لما يلقاه مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ بسبب كفركم ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً مطالباً يتبعنا
لانكار ما نزل بكم او لصرفه عنكم فهو كقوله وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ثم اجمل ذكر النعمة بقوله وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وقد ذكر المفسرون في تكريمهم وجوهاً
منها الخط فانه يقدر الانسان على ابداع العلوم التي استنبطها هو او غيره الدنيا فتبقى على وجه الدهر مصونة عن الاندراس محفوظة عن
الانطماس اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ومنها الصورة الحسنة وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ومنها القامة المعتدلة لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ومنها ان كل شيء ياكل بفيه الا ابن آدم يحكى عن الرشيد انه حضر لديه طعام فاحضرت الملاعق وعنده ابو يوسف فقال
له جاء في تفسير جدك ابن عباس ان هذا التكريم هو انه جعل لهم اصابع ياكلون بها فرد الملاعق واكل باصابعه ~~ومنها القامة المعتدلة لقد~~
~~خلقنا الانسان في احسن تقويم~~ ومنها ما قال الضحاك انه النطق والتمييز فان الانسان يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه بخلاف سائر الحيوانات و
يدخل الاخرس في هذا الوصف لانه يعرف بالاشارة او الكتابة ويخرج الببغاء ونحوه لانه لا يقدر على تعريف جميع الاحوال على الكمال ومنها
تسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم فالارض لهم كالام الحاضنة منها خلقناكم وفيها نعيدكم وهي لهم فراش ومهاد والماء ينتفعون به في الشرب
والزراعة والعمارة وماء البحر ينتفع به في التجارة واستخراج الحلي منه والهواء مادة الحيوة ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على المعمورة والنار ينتفع
بها في الطبخ والانضاج ودفع البرد وغير ذلك وانتفاعهم بالمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ظاهر وبالجملة هذا العالم باسره كقرية معمورة
او خوان معد والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع فاي تكريم يكون ازيد من هذا ولا شك ان الانسان لكونه مستجمعاً للقوة
العاقلة القدسية والقوتين الشهوية البهيمية والغضبية السبعية ولقوة الحس والحركة الارادية وللقوى النباتية وهي الاغتذاء والنمو والتوليد
يكون اشرف مما لم يستجمع الجميع سوى المجردات المحضة وقال بعضهم ان هذا التكريم هو انه تعالى خلق آدم بيده وابدع غيره بواسطة لما يروى عن زيد
بن اسلم ان الملائكة قالت ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي
لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ثم خص بعض انواع التكريم بالذكر فقال وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قال ابن عباس في البر على الخيل والبغال والحمير والابل
وعلى السفن وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ من كل غذاء نباتي او حيواني لطيف ولذيذ واعلم ان التكريم لا يدل على التفضيل لان تكريم زيد لا ينافي

تكريم

تكريم غيره بانه بل من ذلك ولذلك ختم التكريم بقوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا فيتعين ان لا يستلزم الكثير ههنا بمعنى الجميع تشنيع عليه
جار الله بانه سمجى في الحلق وقذى في العين لبشاعة قول القائل وفضلناهم على جميع ممن خلقنا والانصاف ان كون الكثير بمعنى الجميع لا يوجب
هذا التشنيع لانه لا يلزم من افادة اللفظ معنى لفظ آخر بعينه انه يرجع الحاصل الى ذلك بدلا لا التزام او يحكم العرف ان يوضع ذلك اللفظ
موضعه وينطق به على ان التفسير لا يقوم مقام المفسر البتة لان هذا معجز دون ذلك فكيف يبقى الذوق بحاله وايضا فالحاصل هو قولنا
على جميع ممن خلقنا فان الدعوى هو ان كثيرا من الشيء اقيم مقام كل ذلك الشيء لا كل من ذلك الشيء حتى يلزم البشاعة من نبأ الجمع بين لفظي الكل
ومن التبعيضية هذا وان الحق في المسئلة هو اجراء الكلام على ظاهره وانه لا يدل الا على انه حصل في مخلوقات الله شيء لا يكون للانسان تفضيل
عليه لانه سبحانه ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولو كان الانسان مفضلا على الكل لم يحسن من الله تعالى الاقتصار على ذكر البعض وكل من اثبت هذا
القسم قال انه هو الملائكة بل بعض الملك افضل من اكثر الانسان وان كان يوجد في خواص الانسان من هو افضل من عوام الملائكة بل من
خواصهم والى هذا ذهب ابن عباس واختاره الزجاج على ما رواه الواحدي في البسيط واما ان الملائكة افضل من كل البشر على ما زعم جار الله وامثاله
فانه تحكم محض ولما ذكر انواع كرامات الانسان في الدنيا شرح احوال درجاته في الآخرة فقال يوم ندعو وهو منصوب باضمار اذكر او بقوله فضلناهم
على عادة الله في الاخبار ونفضلهم في هذا اليوم بان نعطيهم من الكرامة والثواب وعلى هذا يكون التكريم في الدنيا والتفضيل في الآخرة ولا وقف
على تفضيلا والامام في اللغة كل ما يؤتم به من نبي ومقدم في الدين او كتاب او دين والباء في قوله بامامهم للالصاق كما تقول ادعوك باسمك عن
ابي هريرة مرفوعا انه ينادي يوم القيمة يا امة ابراهيم يا امة موسى يا امة عيسى يا امة محمد فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فياخذون كتبهم
بايمانهم ثم ينادي يا اتباع فرعون ويا فلان وفلان من رؤساء الضلال واكابر الكفر ويجوز ان يتعلق الباء بمحذوف وهو الحال والتقدير ندعو
كل اناس متلبسين بامامهم اي يدعون وامامهم فيهم نحو ركب بجنوده وروى الضحاك وابن زيد انه ينادي في القيمة يا اهل القرآن يا اهل
التورية يا اهل الانجيل وقال الحسن يدعون بكتابهم الذي فيه اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر وهو قول الربيع وابي
العالية ايضا قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم والحكمة في ذلك رعاية حق
عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنى ثم قال وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته وقال في التفسير الكبير كل خلق
يظهر من الانسان حسن كالعفة والشجاعة والعلم او قبيح كاضدادها فالداعي الى تلك الافعال خلق باطن كالامام له والمتبع والمنشا ويوم القيمة انما
انما يظهر الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشئة من تلك الاخلاق فمن اوتي هو في معنى الجمع ولذلك قيل [illegible] فاولئك يقرؤن وخص اصحاب
اليمين بقراءة كتابهم لان قراءة اصحاب الشمال كلا قراءة لما يعرض لهم من الحياء والخجل والتتعتع ومن كان في هذه الدنيا اعمى لا خلاف ان المراد بهذا
العمى عمى القلب اما قوله فهو في الآخرة اعمى فيحتمل ان يراد به عمى البصر كقوله ونحشرهم يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا
وفي هذا زيادة العقوبة ويحتمل ان يراد عمى القلب قال ابن عباس المراد ومن كان اعمى في هذه النعم التي عددها من قوله ربكم الذي يزجي الى قوله
تفضيلا فهو في الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها اعمى بالطريق الاولى لان الضلال عن معرفة احوال الآخرة اقرب وقوعا فعلى هذا يكون الاعمى في
الموضعين في الدنيا ومثله ما رواه ابو روق عن الضحاك من كان في الدنيا اعمى عما يرى من قدرته في خلق السماء والارض والبحار والجبال والناس
والدواب فهو عن امر الآخرة وتحصيل العلم به اعمى قال المفسرون لا يبعد ان يكون اعمى على هذا التفسير افعل التفضيل ويدل قراءة ابي عمرو بامالة
الاولى وتفخيم الثانية لان الاول لم تقع في الطرف فكانت عرضة للامالة وطلبة لها بخلاف الثاني فان تمامه بمن وكانت لفظة في حكم وسط
الكلمة هذا قول صاحب الكشاف تابعا لابي علي الفارسي واقول في هذا الوجه نظر لان الامالة ليست مختصة بلفظ الكلمة مثل شيبان والكافرين ونحوها
ولهذا قرئ في رواية بامالتهما مع قيام هذا الاحتمال في الثاني ولعل من لم يمل الثاني راعى المشاكلة بينه وبين اضل والله اعلم وقال الحسن في
الآخرة اي في دار الآخرة وذلك انه في الدنيا يقبل توبته وفي الآخرة لا يقبل وقيل المراد بالعمى في الآخرة انه لا يهتدي الى طريق الجنة والى
طيباتها والابتهاج بها ولا يمكن ان يراد بها الجهل بالله لان اهل الآخرة يعرفون الله بالضرورة التأويل من استطعت منهم بصوتك اي بكل
المبتدع وعظا لان اهل الطبيعة ان عبادي ليس لك عليهم سلطان لانهم بخصوص العبودية تخلصوا عن رق الكونين وتعلق العالمين
وكفى بربك وكيلا في تربيتهم وتمشية صالح احوالهم ربكم الذي يزجي لكم الفلك الشريعة في بحر الحقيقة لتبتغوا من فضله جذبة العناية
فلما نجاكم الى بر الوصول والوصال اعرضتم بحجب العجب ورؤية الاعمال حاصبا من مطر القهر قاصفا من ريح الابتلاء بسلبيات البدع والاهواء
فيغرقكم في بحر الشبهات ولقد كرمنا بني آدم بالكرامات البدنية العامة للمؤمنين والكافر وهي تخمير طينته بيده وتصويره في الرحم بنفسه وبالكرامات
الروحانية الخاصة من النبوة والولاية والهداية والجذبة كما قال وحملناهم في البر والبحر اي عبرنا بهم من بر البشرية وبحر الروحانية الى ساحل
الربانية ورزقناهم من طيبات المواهب نوال الكشوف وفضلناهم على كثير اي على الملائكة لانهم الخلق الكثير من مخلوقات الله وبيان
تفضيله حسن استعداده في قبول فيض نور الله بلا واسطة وهو المراد بالامانة في قوله انا عرضنا الامانة يوم ندعو كل اناس بامامهم من الدنيا والآخرة
وغيرهما فيقال يا اهل الدنيا ويا اهل الآخرة ويا اهل الله فمن اوتي كتابه بيمينه فيه اشارة الى ان اهل الله لا يؤتون كتابهم كما لا يحاسبون



حسابهم واهل الشمال يقرؤن الكتاب ولكنهم لا يقدرون على القراءة لانهم عمي والقراءة تحتاج الى الابصار بالابصار و بالبصائر والله اعلم

وَاِنْ كَادُوْا لَيَفْتِنُوْنَكَ عَنِ الَّذِيْٓ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهٗ وَاِذًا لَّاتَّخَذُوْكَ خَلِيْلًا ۝ وَلَوْلَآ اَنْ ثَبَّتْنٰكَ لَقَدْ كِدْتَّ تَرْكَنُ اِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيْلًا ۝ اِذًا لَّاَذَقْنٰكَ ضِعْفَ الْحَيٰوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيْرًا ۝ وَاِنْ كَادُوْا لَيَسْتَفِزُّوْنَكَ مِنَ الْاَرْضِ لِيُخْرِجُوْكَ مِنْهَا وَاِذًا لَّا يَلْبَثُوْنَ خِلٰفَكَ اِلَّا قَلِيْلًا ۝ سُنَّةَ مَنْ قَدْ اَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيْلًا ۝ اَقِمِ الصَّلٰوةَ لِدُلُوْكِ الشَّمْسِ اِلٰى غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْاٰنَ الْفَجْرِ اِنَّ قُرْاٰنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوْدًا ۝ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهٖ نَافِلَةً لَّكَ عَسٰٓى اَنْ يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُوْدًا ۝ وَقُلْ رَّبِّ اَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَّاَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَّاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ۝ وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ اِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوْقًا ۝ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْاٰنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَّرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ وَلَا يَزِيْدُ الظّٰلِمِيْنَ اِلَّا خَسَارًا ۝ وَاِذَآ اَنْعَمْنَا عَلَى الْاِنْسَانِ اَعْرَضَ وَنَاٰ بِجَانِبِهٖ وَاِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَـُٔوْسًا ۝ قُلْ كُلٌّ يَّعْمَلُ عَلٰى شَاكِلَتِهٖ فَرَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ اَهْدٰى سَبِيْلًا ۝ وَيَسْـَٔلُوْنَكَ عَنِ الرُّوْحِ قُلِ الرُّوْحُ مِنْ اَمْرِ رَبِّيْ وَمَآ اُوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ اِلَّا قَلِيْلًا ۝ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيْٓ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهٖ عَلَيْنَا وَكِيْلًا ۝ اِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ اِنَّ فَضْلَهٗ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيْرًا ۝ قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰٓى اَنْ يَّاْتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَاْتُوْنَ بِمِثْلِهٖ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْرًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِيْ هٰذَا الْقُرْاٰنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَاَبٰٓى اَكْثَرُ النَّاسِ اِلَّا كُفُوْرًا ۝

ع

القراء خلفك ابن كثير

ابو جعفر و نافع وابو عمرو وابو بكر وحماد الاخرون خلافك بكسر الخاء وبالالف في ننزل من مخففا ابو عمرو ويعقوب الباقون بالتشديد بلا ونأى بجانبه مثل ناء يزيد وابن ذكوان ونأى بفتح النون وامالة الهمزة مثل رمى حمزة غير خلف والعجلي وحماد ويحيى وعباس وابو شعيب ونصير مثله ولكن بكسر النون علي غير نصير وخلف والعجلي وخلف لنفسه الباقون بفتحتين كري الوقوف خليلا ه قليلا ه لتعلوا لا نصيرا ه قليلا ه تحويلا ه وقرآن الفجر ط مشهودا ه نافلة لك ق للوصل اولى لان عسى وعد على التهجد محمودا ه نصيرا ه وزهق الباطل ط زهوقا ه للمؤمنين لا لان ما بعده من صلته ما خسارا ه بجانبه ج لعطف جملتي الظرف يؤسا ه شاكلته ط سبيلا ه عن الروح ط قليلا ه وكيلا ه لا من ربك ط كبيرا ه ظهيرا ه نصف الجزء مثل ز لعطف المتفقين لفظا المختلفين معنى كفورا ه التفسير لما عدد في الآيات المتقدمة اقسام نعمه على بني آدم وشرح احوال السعداء اردفه بما يجري مجرى تحذير السعداء من الاغترار بوساوس الاشقياء عن ابن عباس في رواية عطاء ان وفد ثقيف قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند رأس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني بها وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله ثم قال للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف سعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا وقال عمر اما ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عن الكلام كراهية لما تذكرونه فانزل الله الآية

وهذه القصة وقعت بعد الهجرة بالمدينة قال المفسرون انها ليست بمكية وروي ان قريشا قالوا له اجعل اية رحمة فنزلت وقال الحسن ان الكفار
اخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فقالوا كف يا محمد عن ذم الهتنا وشتمها ولو كان ذلك حقا كان فلان وفلان بهذا الامر احق منك فوقع في قلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكف عن شتم الهتهم وعن سعيد بن جبير انه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر فمنعه قريش وقالوا لا ندعك حتى تستلم الهتنا فوقع في نفسه ان يفعل
ذلك كراهة فنزلت قال القفال من المعلوم ان المشركين كانوا يسعون في ابطال رسول الله صلى الله عليه وسلم باقصى ما يقدرون عليه فتارة كانوا يقولون
لو عبدت الهتنا عبدنا الهك فنزلت قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وقوله ودوا لو تدهن فيدهنون وعرضوا عليه الاموال
الكثيرة والنسوان الجميلة ليترك ادعاء النبوة فنزل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا ودعوه الى طرد المؤمنين فنزل ولا تطرد الذين يدعون
ربهم وكل ذلك دليل على انهم قصدوا ان يفتنوه عن دينه ويزيلوه عن منهجه فلو لم يكن شيء من الروايات المذكورة موجودة لكان للاية
محمل صحيح والمعنى وان الشان قاربوا ان يخدعوك فاتنين واصل الفتنة الاختبار ومنه فتن الصائغ الذهب ثم استعمل في كل من ازال الشيء عن حده
وجهته وذلك الذي اعطاهم ما سالوه مخالفة لحكم القرآن وافتراء على الله من تبديل الوعد بالوعيد وغير ذلك واذا لاتخذوك اي
ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك لولا تثبيتنا وعصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم
لقاربت ان تميل الى مرادهم شيئا قليلا قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم قال قتادة لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا
تكلني الى نفسي طرفة عين ثم توعده في ذلك اشد التوعد فقال اذا لاذقناك اي لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركون لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة والضعف عبارة عن ضم الشيء الى مثله وقال صاحب الكشاف المراد عذاب الممات وهو عذاب
القبر وعذاب الحيوة وهو عذاب حيوة الاخرة اي عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله تعالى فزده عذابا ضعفا في النار بمعنى مضاعفا
فكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة الدنيا وعذابا ضعفا في الممات فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت الصفة كاضافة
الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات وقال في التفسير الكبير حاصل الكلام انك لو مكنت خواطر
الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليه همك لاستحققت تضعيف العذاب عليك في الدنيا والاخرة ولصار عذابك مثلي عذاب المشرك
في الدنيا ومثلي عذابه في الاخرة والسبب في تضعيف هذا العذاب ان اقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء اكثر فكانت ذنوبهم وكذا عقوبتها اعظم نظيره
يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ثم ان اثبات الضعف لا يدل على نفي الزائد عليه لان دليل الخطاب لا عبرة
به فقد يريد نفي الضعف الى ما لا حد له كما جاء في الحديث من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ثم لا تجد لك علينا نصيرا
يعني لو اذقناك لم تجد احدا يخلصك من عذابنا واعلم ان القرب من الفتنة لا يدل على الوقوع فيها والتهديد على المعصية لا يدل
على الاقدام عليها فلا يلزم من الاية طعن في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها انه لا عصمة من المعاصي الا بتوفيق الله وتثبيته على الحق وقالت المعتزلة المراد
بهذا التثبيت الالطاف الصارفة عن ذلك وهي ما اخطر الله ببالك من ذكر وعده ووعيده وكونه نبيا من عنده واجيب بانه لو لم يوجد المقتضي
للاقدام على ذلك الفعل المحذور لم يكن الى ايجاد المانع حاجة وليس ذلك المقتضي الا القدرة مع الداعي ولا ذلك المانع الا داعية اخرى
معارضة للداعي الاول فهذا وجدها الله تعالى عقيب ذلك ثم ذكر طرفا اخر من مكائدهم فقال وان كادوا ليستفزونك ان مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة كما في الاية الاولى ومعنى ليستفزونك ليزعجونك كما مر في قوله واستفزز والارض ارض مكة كما قال قتادة ومجاهد وفي
عليه ان كاد للمقاربة لا للحصول لكن الاخراج قد حصل لقوله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك ويمكن ان يقال انهم هموا باخراجه و
لكن الله منعهم من ذلك حتى هاجر بامر ربه فاطلق الاخراج على ارادة الاخراج مجازا ويؤيده قوله واذا لا يلبثون وهو معطوف على
يستفزونك اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا او اخرجوك لاستوصلوا لكنه لم يقع الاستيصال فدل ذلك على عدم وقوع الاخراج
ومن جوز وقوع الاخراج قال المراد بعدم اللبث انهم اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل واما ارض المقدسة او المدينة على ما روي عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة حسده اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت
مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لامنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك
منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اميال من المدينة او بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج من المدينة او بذي الحليفة
حتى يجتمع اليه الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت الاية فرجع وعلى هذا القول يكون هذه الاية ايضا مدنية والخلاف
في معنى الخلف كما مر في قوله بمقعدهم خلاف رسول الله وقرئ واذا لا يلبثوا بحذف النون على اعمال اذن فتكون الجملة براسها معطوفة على جملة
قوله وان كادوا ليستفزونك ثم بين ان عادته تعالى جارية بان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فانه يهلكهم فقال سنة من قد ارسلنا
وهو منصوب على المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة ولا تجد لسنتنا تحويلا لان الاسباب الكلية في الازل اقتضت توزيع كل
من اجزاء الزمان على حادث معين لسبب معين فتبديل تلك الحوادث وتحويلها الى وقت اخر يقتضي تغير الاسباب عن اوضاعها وهو
محال عقلا او عادة قال اهل النظم لما قرر الالهيات والمعاد والجزاء اردفها بذكر اشرف الطاعات وهي الصلوة وايضا لما قال وان كادوا



يستغرقه الامر بالاشتغال بعبادته تفويضا للامور الى الله وتعويلا على فضله في دفع شر اعدائه نظيره قوله في سورة طه فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ذهب كثير من المفسرين كابي قتيبة وسعيد بن جبير منقولا عن ابن عباس ان دلوك الشمس هو غروبها وعلى هذا لا تشتمل الآية صلوتي الظهر والعصر واكثر الصحابة والتابعين على ان دلوك الشمس زوالها عن كبد السماء ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبرئيل لدلوك الشمس فصلى بي الظهر قالوا واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينيه اذ ينظر اليها وهي في كبد السماء وعلى هذا التفسير تشمل الآية جميع الصلوات الخمس وحمل كلام الله على ما هو اكثر فائدة اولى واللام بمعنى الوقت او للتعليل اي ادم الصلوة في هذا الوقت الى غسق الليل اي ظلمته قال الكسائي غسق الليل غسوقا اي اظلم والاسم الغسق بفتح السين والتركيب يدل على السيلان ومنه يقال غسقت العين اذا هملت وكان الظلام ينهمل على الدنيا ويتراكم وهذا عند سيبويه الشفق الابيض واستدل به بعض الشافعية على ان اول وقت العشاء الآخرة يدخل بغروب الشفق الاحمر لان المحدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية وهذا الاستدلال مبني على ان الغاية لا تدخل في ذي الغاية وعلى ان الآية يجب ان تشمل جميع الصلوات وللخصم المنع في المقامين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بقرآن الفجر هو صلوة الصبح لتسمية الشيء ببعض اجزائه ومثله تسمية الصلوة ركوعا وسجودا وقنوتا قال جار الله انه حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن قلت اجزاء الصلوة اعم من اركانها ولهذا تسمي الفقهاء الصلوة الى اركان وابعاض وهيئات فلا يتم هذا الاعتراض وفي الآية مسائل الاولى استدل بعض الشيعة بها على جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا واجيب بان الآية مخصوص بفعل الرسول وبقوله صلوا كما رأيتموني اصلي ويستثنى منه عذر السفر والمطر لعدم الدليل المخصص في تلك الصورة فلزم ابقاؤها على الجواز الاصلي الثانية استدل بعض الشافعية بها على ان التغليس في صلوة الصبح افضل من التنوير لوجوه منها انه اضاف القرآن الى الفجر والتقدير اقم قرآن الفجر وظاهر الامر للوجوب لا اقل من الندب حتى لا يكثر مخالفة الدليل والفجر انفجار ظلمة الليل فيلزم ان يكون اقامة الفجر في اول الوقت افضل ومنها انه حض الفجر باضافة القرآن اليه فدل على ذلك ان طول القراءة في هذه الصلوة مطلوب ولن يتم هذا المطلوب الا اذا شرع في ادائه في اول الوقت ومنها انه وصف قرآن الفجر بكونه مشهودا فقيل اي يشهده الكثير من المصلين في العادة ومن حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة وقال اكثر المفسرين معناه ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلوة الصبح تنزل هؤلاء وهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار وقيل انهم يجتمعون خلف الامام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلوة الغداة قبل ان تعرج ملائكة الليل فاذا فرغ الامام من صلوته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة النهار اذا صعدت قالت يا رب انا تركنا عبادك يصلون لك ويقول ملائكة النهار ربنا اتينا عبادك وهم يصلون فيقول الله للملائكة اشهدوا اني قد غفرت لهم والغرض ان المكلف اذا شرع في صلوة الصبح في آخر الظلمة الذي هو اول الفجر كانت ملائكة الليل حاضرين بعد ثم اذا امتدت هذه الصلوة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة بالكل او بالاكثر وحضرت ملائكة النهار وهذا المعنى لا يحصل اذا ابتدئ بها وقت التنوير قال اهل التحقيق اذا شرع في صلوة الصبح في اول وقتها شاهد في اثنائها انقلاب العالم من الظلمة التي هي نظيرة الموت الى الضياء الذي هو نظير الحيوة فلا يبقى عاقل من هذه الحالة الى عجيب صنع الخلاق المدبر للانفس والآفاق فيزداد بصيرة وايقانا ومعرفة وايمانا وينفتح عليه ابواب المكاشفة والمشاهدة واذا كان هذا المعنى في الجماعة الكثيرة صارت نفوسهم كالمرايا المشرقة المتقابلة المنعكسة اضواؤها الواقعة على كل منها فيزداد كل منهم نورية وبهاء فيحتمل ان يكون قوله مشهودا اشارة الى هذه الاحوال المشاهدة ولا ريب انه اذا شرع في الصلوة اول انتباهه من النوم قبل ان يرد على لوح عقله وفكره النقوش الفاسدة من الامور الدنيوية التي كان اولى فان الانبياء ما بعثوا الا لازالة مثل هذه الامراض عن النفوس ثم حث على قيام الليل فقال ومن الليل فتهجد به قال ابو عبيدة وابن الاعرابي هذا من الاضداد لانه يقال تهجد الرجل اذا نام وتهجد ايضا اذا صلى من الليل وتوسط الازهري فقال الهجود في الاصل هو النوم بالليل لكن التفعل فيه لاجل التجنب ومنه تأثم وتحرج اذا القى الاثم والحرج عن نفسه فكان المتهجد يدفع الهجود عن نفسه ويوجبه انه لما كان غرض المصلي بالليل ان يطيب رقاده وهجوده بعد الموت سمي بذلك الاعتبار متهجدا وربما يقال سمي تهجدا لان الاصل فيه ان يرقد ثم يصلي فهو صلوة بعد رقاد كما كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولداود كما جاء في الحديث افضل القيام قيام داود كان ينام ثلثه ويقوم سدسه قال جار الله معنى ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به وقال في التفسير الكبير تقديره واقم الصلوة في بعض الليل فتهجد به اي بالقرآن ومعنى نافلة زائدة كما مر في اول الانفال ثم من ذهب الى ان صلوة الليل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم زعم ان معناها كونها فريضة له زائدة على الصلوات الخمس او المراد ان فريضتها نسخت عنه فصارت تطوعا زائدة على الفرائض ويرد عليه ان الامر ظاهره الوجوب فيكون بين قوله فتهجد وبين قوله نافلة تعارض وكذا الاعتراض على قول من يقول ان صلوة الليل لم تكن واجبة عليه ويمكن ان يجاب عنه بان قوله نافلة قرينة صارفة للوجوب الى الندب وعن مجاهد والسدي ان كل طاعة يأتي بها النبي سوى المكتوبة فان تأثيرها لا يكون في كفارة الذنوب لانه غفر له ذنبه ما تقدم منه وما تأخر وانما يكون مؤثرة في زيادة الدرجات وكثرة الثواب لا كذلك حال الامة فكانه قيل للنبي ان هذه الطاعات زوائد ونوافل في حقك لا في حق غيرك لان غيرك محتاج اليها في تكفير السيئات ومن تقييد التهجد بقوله نافلة لك يعلم ان قوله اقم الصلوة عام له ولكل امته وان كان ظاهره خطابا

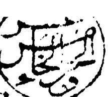
معه ثم وعده على اقامة الفرائض والنوافل بقوله عسى ان يبعثك ربك ولا ريب ان عسى من الكريم اطماع واجب قال في الكشاف انتصب مقاما محمودا على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك او هو حال اي يبعثك ذا مقام محمود وقيل انه مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات والاولى ان يخص ذلك بالشفاعة لان الحمد انما يكون بازاء انعام ولا انعام للنبي على امته في الآخرة الا انعام الشفاعة او لا انعام اجل منها لان السعي في تخليص الغير من العقاب اهم من السعي في ايصال الثواب اليه ويؤيده رواية ابي هريرة عن النبي صلعم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي واما ما روي عن حذيفة ان المقام المحمود هو ان يجمع الناس في صعيد واحد ولا يتكلم نفس فاول مدعو محمد فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فليس بقوي لان هذا القول من محمد لا يوجب حمدا له من امته الا ان يكون من مقدمات الشفاعة فيرجع الى الاول وقيل اراد مقاما يحمد عاقبته وروى الواحدي عن ابن مسعود ان ذلك حين يقعد محمد صلعم على العرش وزيف بلزوم التحيز له تعالى قوله مدخل صدق ومخرج صدق مصدر ان بمعنى الادخال والاخراج والاضافة الى الصدق لاجل المبالغة نحو حاتم الجود اي ادخالا يستاهل ان يسمى ادخالا ولا يرى فيه ما يكره قال الحسن وقتادة نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ان اليهود قالوا له اذهب الى الشام فانه مسكن الانبياء وعزم رسول الله صلعم على الذهاب اليه فكأنه قيل له المعنى واحد في كل البلاد وما النصر الا من عند الله فداوم على الصلوة وارجع الى مقرك ومسكنك وقل رب ادخلني المدينة مدخل صدق واخرجني منها الى مكة مخرج صدق اي افتحها لي فعلى هذا ينبغي ان يكون الكلام عودا الى الواقعة المذكورة وان كاد واليستفزونك والاولى ان يعم في كل باب يدخل فيه وبلا يبتدر من امر يكان وقيل اراد ادخال مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلف من غير تفريط وقيل المراد رب ادخلني الصلوة واخرجني منها مع الصدق والاخلاص والقيام بلوازم الخشوع او ادخلني في بحار دلائل التوحيد واخرجني من الاشتغال بالدليل الى ضياء معرفة المدلول وقال صاحب الكشاف ادخلني القبر ادخالا مرضيا واخرجني منه عند البعث ملقيا بالكرامة يدل على هذا التفسير ذكره على اثر ذكر البعث واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام وذويه ثم شرفه باستجابة دعائه بقوله وقل جاء الحق اي الاسلام وزهق الباطل اضمحل الشرك من زهقت نفسه اذا خرجت ان الباطل كان زهوقا غير ثابت في كل وقت وان اتفقت له دولة وصولة كانت كان العرج عن ابن مسعود ان النبي صلعم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما لقبائل العرب صنم كل قوم بحيالهم فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل فيقع الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلعم حتى صعد فرمى به وكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد فلا جرم كذبهم الله وصدق نبيه بقوله وننزل من القرآن من للبيان كقوله من الاوثان او للتبعيض اي ننزل ما هو شفاء هو هذا القرآن او بعض هذا الجنس وقيل زائدة ولما كانت ازالة المرض مقدمة على السعي في تكميل موجبات الصحة ذكر كون القرآن شفاء من الامراض الروحانية كالعقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة ومن الامراض الجسمانية ايضا لما في قراءته من التيمن والبركة وحصول الشفاء للمرض كما قال صلعم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ثم انه رحمة للمؤمنين لما فيه من كيفية اقتناص العلوم الجليلة والاخلاق الفاضلة التي بها يصل الانسان الى جوار الملائكة المقربين بل الى جناب رب العالمين ولما كان قبول القابل شرطا في ظهور الاثر من الفاعل فلا جرم لا يزيد القرآن الظالمين الذين وضعوا التكذيب مقام التصديق والشك موضع الايقان والاطمئنان الا خسارا لان البدعة عند النفي كلما ازدادت زيد شرا فلا يزال سماع القرآن يزيد المشركين غيظا وحنقا ويدعوهم ذلك الى زيادة ارتكاب الاعمال القبيحة وهلم جرا الى ان يدفع الله مكرهم ثم ذكر نتيجة خصلة الانسان الذي جبل عليه فقال واذا انعمنا على الانسان اي على هذا الجنس بالصحة والغنى وعن ابن عباس انه الوليد بن المغيرة وفي التخصيص نظر الا ان يكون سبب النزول اعرض ونأى بجانبه النأي البعد والباء للتعدية او للمصاحبة وهو تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء هو ان يوليه عرض وجهه اي ناحيته والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان هذا الفعل من شان المستكبرين ومن قرأ ناء فاما من النوء بمعنى النهوض مستثقلا واما مقلوب كقولهم راء في رأى واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله والحاصل انه ان فاز بالمطلوب الدنيوي وظفر بالمقصود نسي المنعم الحقيقي وان فاته شيء من ذلك استولى عليه الاسف حتى كاد يتلف وبين ان كلتا الخصلتين مذمومة ولا مقتضي لهما الا العجز والطيش وكل يعقد ركما قال كل يعمل على شاكلته اي كل واحد من الخلائق انما يتيسر له ان يعمل على سيرته وطريقته التي تشاكل حالته التي جبل عليها من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا لا يخلق شيء وربه عالم بخاصيته كل نفس ومقتضى جوهرها المشرق او المظلم سواء قلنا ان النفوس مختلفة بالماهيات او هي متساوية الحقائق واختلاف احوالها لاختلاف امزجة ابدانها كما ان الشمس تعقد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وتسود وجهه ولما انجر الكلام الى ذكر الانسان وما جبل هو عليه لزم البحث عن ماهية الروح فلذلك قال ويسألونك عن الروح ذكر المفسرون في سبب نزوله ان اليهود قالوا لقريش سلوا محمدا صلعم عن ثلث عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب

لتغيظ

فبلنكب [illegible]

برا و بن [illegible]

كل



انه قال الروح

عن الاولين وابهم الثالثة فهو بني لان ذكر الروح مبهم في التورية وان اجاب عن الكل او سكت فليس بنبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح
من امر ربي اي مما استأثر الله بعلمه فقد هو علي سؤالهم ومن الناس من طعن في هذه الرواية لوجوه منها ان الروح ليس اعلى شأنا من الله تعالى واذا
كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فما المانع من معرفة الروح ومنها ان هذه المسئلة يعرفها الفلاسفة والمتكلمون فكيف يليق بالنبي صلعم ان يقول
اني لا اعرفها مع وفور علمه وكمال معرفته وكيف يصح ما روي عن ابن عباس يريد لقد مضى النبي صلعم وما يعلم الروح ومنها ان جعل الحكاية دليلا على
النبوة غير معقول ونحن نتفصى عن المسئلة فنقول السؤال عن الروح اما ان يكون عن حقيقته او عن حال من احواله ككونه متحيزا او غير متحيز او قديما او حادثا
او باقيا بعد البدن او فانيا او على تقدير البقاء ما سعادته وشقاوته وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة وقوله تعالى ويسئلونك عن الروح
ليس فيه ما يدل على تعيين شيء من هذه المسائل فالاولى ان يحمل السؤال على السؤال عن الحقيقة لان معرفة حقيقة الشيء اهم واقدم من معرفة
حال من احواله فيكون قوله قل الروح من امر ربي رمزا الى ان الروح جوهر بسيط مجرد يحصل بمجرد الامر وهو قوله كن فيكون لان الاية دلت على ان
الروح من امر الرب وقال في اخر سورة يس انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ينتج ان الروح اذا اراده فانما يقول له كن فيكون ومنه
يعلم انه شيء مغاير للاجسام المتوقفة على المادة والمدة وللاعراض الموقوفة على الاجسام وانه بسيط محض ولا يتوقف على انضمام اجزائه ولا يلزم من
كون الروح كذلك كونه مشاركا للباري تعالى في الحقيقة فان الاشتراك في اللوازم لا يقتضي الاشتراك في الملزومات وليس في الاية دلالة على حدوث
الروح الا بحسب الذات بل لمستدل ان يستدل بها على قدمه بالزمان اذ لو كان متوقفا على الزمان لم يكن حاصلا بمجرد الامر والمفروض خلافه
ولما كان امر الروح مشتبها على الناس كلهم اوجلهم ختم الاية بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وذلك ان الانسان وان كمل علمه وكثرت معرفته
بحقائق الاشياء ودقائقها فان ما علم يكون اقل مما لم يعلم فاذا نسب معلومه الى معلومات الله المشار اليها بقوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي كان كلا شيء فانه لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي اصلا وقال بعض المفسرين هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا
للنبي صلعم قد اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله وذكر
الامام فخر الدين الرازي ان قوله الروح من امر ربي يدل على ان الروح حادث لان الامر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى وما امر فرعون برشيد
اي فعله وقال فلما جاء امرنا اي فعلنا واذا حصل الروح بفعل الله وتكوينه كان من المحدثات قلت هذا عين النزاع فان الخصم لا يسلم ان
كل ما هو من فعل الله وبايجاده فانه حادث ثم ذكر حجة اخرى على حدوث الروح مستنبطة من قوله سبحانه وما اوتيتم من العلم الا قليلا ووجه تقريره
ان الانسان بل روحه في مبدأ الفطرة خال عن العلوم والمعارف ثم لا يزال يحصل له المعارف فهو دائما في التبدل والتغير من النقصان
الى الكمال وكل متغير محدث ومنع كلية هذه القضية عند الخصم مشهور على ان حمل وقت قلة العلم على اول الفطرة تخصيص من غير دليل
ان ظاهر الاية يدل على ان الانسان وان اخذ حظا من العلم وافرا فانه قليل بالاضافة الى علم عالم الذات وقيل الروح المذكور في الاية هو القران
الذي تسبب لحيوة الروح كان القوم استعظموا امره وسئلوا انه من جنس الشعراء او من جنس الكهانة فاجابهم الله تعالى بانه ليس من جنس كلام
البشر وانما هو كلام ظهر بامر الله ووحيه وتنزيله وقيل هو ملك في غاية العظم والشرف وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملئكة صفا
ونقل عن علي عم ان له سبعين الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من كل تسبيحة ملكا
يطير مع الملائكة يوم القيمة ولم يخلق الله خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شاء الله ان يبلع السموات السبع والارضين السبع بلقمة واحدة
لفعل وامثال هذه الروايات مسرحها بقعة الامكان ولا وجه للاعتراض عقلا عليه وقال الحسن وقتاده هذا الروح جبرئيل كانهم سئلوا الرسول
كيف جبرئيل في نفسه وكيف قيامه بتبليغ الوحي فامره بان يقول الروح من امر ربي اي نزوله بامر الرب كقوله وما نتنزل الا بامر ربك وقال
مجاهد الروح خلق ليسوا بالملائكة على صورة بني ادم لهم ايد وارجل ورؤس ياكلون كما ياكل الناس وليسوا بالناس وزيف هذه الاقوال
بان صرف السؤال عن الروح الانساني الذي تحير وعمي العقلاء على معرفته الى اشياء مجهولة الوجود مستنكر واعلم ان للعقلاء في حقيقة
الانسان اختلافات كثيرة واذا كان حال العلم باقرب الاشياء الى الانسان وهو نفسه هكذا فما ظنك بما هو الابعد ولنذكر بعض تلك المذاهب
فلعل الحق يلوح في تضاعيف ذلك فنقول العلم الضروري حاصل بوجود شيء يشير اليه كل واحد بقوله انا ذلك المشار اليه اما ان يكون جوهرا
مجردا او جسما هو هذه البنية او جسما داخلا فيها او خارجا عنها او عرضا اما المتكلمون فالجمهور منهم ذهبوا الى ان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس
وزيف بان البدن دائما في التغير والتبدل والمشار اليه بانا واحد من اول العمر الى اخره وبان الانسان غير غافل عن نفسه حين ما يكون غافلا
عن اجزاء بدنه وبان النصوص الواردة في القران والخبر كقوله عز من قائل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وكقوله صلعم اولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار الى دار القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من
حفر النيران وقوله في خطبة طويلة حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول يا اهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت
بي جمعت المال من حله وغير حله فالهناء لغيري والتبعة علي فاحذروا مثل ما حل بي توجب مغايرة النفس للبدن وبان جميع فرق الدنيا من ارباب
الملل والنحل يتصدقون عن موتاهم ويزورونهم ويدعون لهم بالخير وبان الميت قد يرى في المنام فيخبر عن امور غائبة ويكون كما اخبر وبان

او غير متحيز

عن المتناهي

في حقيقة الانسان

حقيقة النفس



الانسان قد يقطع عضو من اعضائه ويعلم يقينا انه هو الذي كان قبل ذلك وبثبوت المسخ في حق طائفة من اهل الكتاب وليس المسخ الا
تغير البنية مع بقاء الحقيقة وبان جبرئيل قد رآه النبي في صورة دحية وابليس رأى في صورة الشيخ النجدي فعلم ان لا عبرة بالبنية وبان الزاني يزني
بفرجه فيضرب على ظهره فعلم ان المتلذذ والمتألم شيء آخر سوى العضو وبانا نعلم ضرورة ان العالم الفاهم المخاطب انما هو في ناحية القلب ليس
جملة البدن ولا شيئا من الاعضاء اما ان قيل الانسان جسم هو في داخل البدن فاعلم ان احدا من العقلاء لم يقل بان الانسان عبارة عن الاعضاء
الكثيفة الصلبة التي غلبت عليها الارضية كالعظم والغضروف والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد ولكن منهم من قال انه الجسم الذي
غلبت عليه المائية من الاخلاط الاربعة اعني الدم بدليل انه اذا خرج لزم الموت ومنهم من قال انه الذي غلب عليه الهوائية والنارية وهو الروح
الذي في القلب وجزء لا يتجزى في الدماغ ومنهم من يقول الخلطة بعد الارواح القلبية والدماغية اجزاء نارية مسماة بالحرارة الغريزية هي
وهي الانسان ومنهم من قال اذا تكون بدن الانسان وتم استعداده نفذت فيه اجرام سماوية نورانية لطيفة الجوهر على طبيعة ضوء الشمس
قابلة التبديل والتحليل ولا للتفرق والتمزق نفوذا يشبه نفوذ النار في الفحم والدهن في السمسم وماء الورد في الورد وهذا النفوذ هو
المراد بقوله ونفخت فيه من روحي ثم اذا تولد في البدن اخلاط غليظة منعت من سريان تلك الاجسام فيها فانفصلت لذلك عن البدن
فيعرض الموت للجوهر قال الامام فخر الدين الرازي هذا ما ذهب اليه ثابت بن قرة وغيره وهو مذهب قوي شريف يجب التأمل فيه فانه شديد
المطابقة لما في الكتب الالهية من احوال الحيوة والموت قلت اما نفوذ الجوهر النوري في البدن كنفوذ الدهن في السمسم واما انه اجرام او اجسام
ففيه نظر واعلم انه لم يذهب احد الى ان الانسان جسم خارج عن البدن ولا الى انه عرض حال في البدن الا ما نقل عن الاطباء وعن ابي الحسين البصري
من المعتزلة ان الانسانية عبارة عن امتزاجات اجزاء العناصر بمقدار مخصوص وعلى نسبة معلومة تخص هذا الصنف ومن شيوخ المعتزلة من
قال الانسان عبارة عن اجزاء مخصوصة بشرط كونها موصوفة باعراض مخصوصة هي الحيوة والعلم والقدرة ومنهم من قال انه ممتاز عن سائر الحيوانات
بشكل جسده وهيئة اعضائه والصحيح من المذاهب عند اكثر علماء الاسلام كالشيخ ابي القاسم الراغب الاصفهاني والشيخ ابي حامد الغزالي ومن
قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلمي ومن الشيعة الشيخ المفيد ره ومن الكرامية جماعة ومن الفلاسفة الالهيين كلهم ان الروح الانساني جوهر
مجرد ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما ان اله العالم
لا تعلق له بالعالم الا على سبيل التصرف والتدبير ومهما انقطعت علاقته عن البدن فلا يبقى البدن معطلا ميتا واستدلوا على هذا
المطلوب بحجج منها ما اختاره الامام فخر الدين الرازي وهي لو كان الانسان جوهرا متحيزا عين ذاته المخصوصة اذ لو كان صفة قائمة بها لزم كون الشيء
الواحد متحيزا مرتين ولزم اجتماع المثلين وايضا لم يكن جعل احدهما ذاتا والاخر صفة اولى من العكس وايضا التحيز الثاني ان كان عين الذات فهو
المقصود وان كان صفة لزم التسلسل واذا كان التحيز عين ذاته لزم انه متى عرف ذاته عرف تحيزه لكنا قد نعرف ذاتنا مع الجهل بالتحيز والامتداد
في الجهات الثلث وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان واذا كان اللازم باطلا فالملزوم مثله وعورض بانه لو كان الانسان جوهرا مجردا
لكان كل من عرف ذاته عرف تجرده وليس كذلك واجيب بالفرق بين التحيز وهو صفة ثبوتية وبين التجرد وهو صفة سلبية ومنها ان الشيء الذي
يشير اليه كل واحد بقوله انا واحد بالبديهة ولان الغضب مثلا حالة نفسانية تحدث عند محاولة دفع المنافي ومحاولة دفع المنافي
مشروط بالشعور بكون الشيء منافيا فالذي يغضب لا بد ان يكون هو بعينه مدركا ولان اشتغال النفس بالغضب والانصباب اليه يمنعه من
الاشتغال بالشهوة والانصباب اليها فعلمنا انهما صفتان مختلفتان لجوهر واحد اذ لو كان لكل منهما مبدأ مستقل لم يكن اشتغال احدهما
بفعله مانعا للاخر وايضا اذا ادركنا شيئا فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يكون سببا للغضب فعلمنا ان صاحب الادراك
بعينه هو صاحب الشهوة والغضب وايضا النفس لا يمكنها ان تتحرك بالارادة الا عند حصول الداعي ولا معنى للداعي الا الشعور بخير يرغب فيه نعم
هذا يقتضي ان المتحرك بالارادة هو بعينه المدرك للخير والشر واللذيذ والمؤذي والنافع والضار وهو المبصر والسامع والشام والذائق واللامس
والمتخيل والمتفكر والمشتهي والغاضب بوساطة آلات مختلفة وقوى متغايرة واذا ثبت ذلك فلو كانت النفس عبارة عن جملة البدن كان للكل
اثر واحد ولو كانت جزءا من اجزاء البدن كانت قوته سارية في جميع اجزاء البدن والوجود بخلافه لكل يحصل اليقين بان النفس شيء مغاير لكل
البدن ولكل جزء من اجزائه ومنها ان الاستقراء يدل على ان احوال النفس بالضد من احوال الجسد اذ قبل شكل التثليث مثلا امتنع ان يقبل
شكل التربيع ولا كذلك حال النفس فان ادراك كل صورة يعينها على ادراك ما عداها ولذلك يزداد الانسان فهما وذكاء بازدياد التعلم
وايضا كثرة الافكار توجب قوة للنفس وتستدعي استيلاء النفس على الدماغ وقد يصير بدن ارباب الرياضة في غاية النحافة والهزال وتقوى
نفوسهم بحيث لا يلتفتون الى السلاطين واصحاب الشوكة والقوة ومما يختص بهذه الاية التي نحن في تفسيرها ان الروح لو كان جسما منتقلا
من حالة الى حالة لكان مساويا للبدن في كونه متولدا من اجسام متغيرة من صفة الى صفة فحين سئل رسول الله صلعم عن الروح كان الانسب
ان يقول انه جسم كان كذا ثم صار كذا وكذا كما ذكر في كيفية تولد البدن انه كان نطفة ثم صار علقة ثم مضغة الى اخره والاحاديث
الواردة في ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد تؤكد ذلك الراي الذي ادعينا من ان النفس شيء مغاير للبدن ولاجزائه والله اعلم بحقائق

بكون تحيزه م

يرغب في جلبه او يتجنبه

الان الجسم م



الامور قال هل تعلمها يعني انه ما اتاهم من العلم الا القليل اراد ان يبين انه لو شاء ان يأخذ منهم هذا القليل لقدر عليه فقال ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك قلت في نسبة علم القرآن الى القلة خروج من الادب فالاولى في وجه النظم ان يقال انه لما كشف لهم الغطاء عن مسئلة الروح و
بين ان ذلك من العلوم الالهية التي لا نهاية لها لا من العلوم الانسانية القليلة وكان فيه بيان كمال علمه تعالى ونقصان علم الانسان اراد ان يبين
غاية قدرته ونهاية ضعف الانسان ايضا فبين انه قادر على ذهاب القرآن ومحوه عن الصدور والمصاحف وسيكون ذلك في اخر الزمان كما جاء
في الروايات ثم لا يجد النبي الذي هو اكمل انواع الانسان من يتوكل على الله بالاسترداد فضلا عن غيره الا رحمة من ربك استثناء متصل اي الا ان يرحمك
ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد او منقطع معناه ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به ان فضله بابقاء القرآن اليك ثم اتمها
عليك وبهذا دليل على الخصال المرايا كان عليك كبيرا ومنها ابقاء القرآن ونعمة القرآن وبقاؤه محفوظا في الصدور ومسطورا في الدفاتر من اجل النعم واشرفها
فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن شكرها والقيام بحقها جعلنا الله ممن يراعي حق القرآن ويعمل بمقتضاه واحتج الكعبي بالآية على ان القرآن مخلوق
لان ما يمكن ازالته والذهاب به يستحيل ان يكون قديما واجيب بان المراد ازالة العلم به عن القلوب والذهاب بالنقوش الدالة عليه في المصاحف لا يوجب
حدوث الكلام النفسي الذي هو محل النزاع ثم دل على ان الذي اوحي اليه ليس من جنس كلام المخلوقين فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن
الاية وقد مر وجه اعجاز القرآن في اوائل سورة البقرة فان قيل هب انه ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف عرف عجز الجن عن معارضته ولم لا يجوز
ان يقال ان الجن اعانوه على هذا التأليف سعيا في اضلال الخلق واخبار محمد بانه ليس من كلام الجن يوجب الدور وليس لاحد ان يقول ان الجن ليسوا بفصحاء
فكيف يعقل ان يكون القرآن كلامهم لانا نقول التحدي مع الجن انما يحسن لو كانوا فصحاء فالجواب ان عجز البشر عن معارضته يكفي في اثبات كونه
معجزا ثم ان الصادق الذي ثبت صدقه بظهور المعجز على وفق دعواه اخبر ان الجن ايضا عاجزون عن الاتيان بمثل القرآن فسقط السؤال بالكلية
على انه سبحانه قد اجاب عنه في اخر سورة الشعراء بقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين وسوف يجيء تفسيره ان شاء الله تعالى قالت المعتزلة التحدي
بالقديم محال واجيب بمثل ما مر ان محل النزاع هو الكلام النفسي لا الالفاظ التي يقع التحدي بها وبفصاحتها ثم بين انهم مع ظهور عجزهم يقولون مصرين
على كفرهم فقال ولقد صرفنا رددنا وكررنا للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وذلك كدلائل التوحيد
والنبوة والمعاد كالقصص الالهية وغيرها من المواعظ والنصائح فابى اكثر الناس من غير النفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا وجحودا قال اهل البرهان
انما لم يذكر الناس في اوائل السورة حين قال ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا لتقدم ذكرهم في السورة وذكرهم في الكهف اذ لم يجر ذكرهم وذكر
الناس ههنا وان جرى ذكرهم فيما قبل تبعا لان ذكر الجن ايضا قد جرى وقدم للناس على قوله في هذا القرآن كما قدم في قوله قل لئن اجتمعت الانس
والجن واما في الكهف وغيرها فقد دعاها الله تعالى الآية في القرآن فكانت العناية بالقرآن اكثر فكان تقديمه اجدر التأويل وان كادوا ليفتنونك
اي من عمي قلوبهم ولولا ان ثبتناك بالقول الثابت وهو قول لا اله الا الله الى ان بلغت حقيقة لا اله الا الله شيئا قليلا اي تمام وصفه بالقلة
لان بشريته مغلوبة روحانيته غالبة ضعف الحيوة وضعف الممات اي يحيي نفسك واذقناك عذاب حيوتها وسبيلا انها على الروح ونميت قلبك
ولذقناك عذاب مماته وضعف وحك ويبعد عن الحضرة سنة من قد ارسلنا اي جرت عادة الله تعالى بان يجعل لكل نبي عدوا يؤذيه ويمكر به ثم بين طريق
خلاص الانبياء والاولياء عن ورطة الابتلاء فقال اقم الصلوة اي ادمها بالقلب الحاضر نهارا وليلا ان قرآن الفجر كان مشهودا لشواهد الحق بل الحق مشهود
له ثم ادخلني مدخل صدق يعني السير في الله بالله واخرجني من حولي وانانيتي واجعل لي من لدنك الامر لدنك لا من لدن غيرك وفيه ان كل ذي مقام فانه لا يصل
الى مقامه الا بسعي يلائم الوصول الى ذلك المقام كقوله وسعى لها سعيها روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يعرض حاجته فقال عم ما تريد فقال مرافقتك
في الجنة فقال عم او غير ذلك فقال الرجل بلا مرافقتك في الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاعني على نفسك بكثرة السجود جاء الحق من الواردات والشواهد
وتجلي صفات الجمال والجلال وزهق الباطل وهو كل ما خلا الله من الموجودات ومن الخواطر كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وننزل من القرآن
ما هو شفاء لان كلام الحبيب طبيب القلوب ان الاحاديث من سلمى تسليني قل الروح من امر ربي قال العارفون لله تعالى عالمان عالم الامر
الذي خلق لا من شيء وعالم الخلق الذي خلق من شيء ويعبر عنهما بالاخرة والدنيا والملكوت والملك والغيب والشهادة والمعنى والصورة والباطن
والظاهر والارواح والاجسام وما روي انه عم قال اول ما خلق الله جوهرة وفي رواية درة فنظر اليها فذابت اول ما خلق الله اللوح اول ما خلق الله
روحي وفي رواية نوري واول ما خلق الله العقل واول ما خلق الله القلم وما قيل عن بعض السلف ان اول ما خلق الله على الاطلاق ملك كروبي فالاسامي
مختلفة والمسمى واحد وهو روح النبي عم فباعتبار انه كان درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة وباعتبار نورانيته سمي نورا وباعتبار وفور
عقله سمي عقلا اذ قال له اقبل الى الدنيا رحمة للعالمين فاقبل ثم قال له ادبر اي ارجع الى ربك فادبر عن الدنيا ورجع الى المعراج ثم قال له
وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي منك بك اعرف وبك اخذ يعني طاعة من اخذ منك الدين والشريعة وبك اعطي اي بشفاعتك اعطي
الدرجات العالية وبك اعاقب الكافرين وبك اثيب المؤمنين وباعتبار جريان الامور على وفق متابعته والاقتداء به سمي قلما وباعتبار غلبات
الصفات الملكية عليه سمي ملكا كروبيا ولان كل الارواح خلقت من روحه كان ام الارواح ووجهها فلهذا قيل له امي وقد ورد في الحديث
ادم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة ولما كان الروح خليفة الله تعالى اتصف بالازلية دون الابدية ولما كان الجسد خليفة الروح فبالروح

فوامروتبالسدیکن الجسد لاتلبنا ولا ابدیا الا بتبعیته الروح ثم اخبر عن عزة القران وغیره الرحمن بقوله ولئن شئنا لنذهبن الایة وفیه انه لا

یقدر علی الاتیان والذهاب به الا الله تعالی لکنه اکد هذا المعنی بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن کل ما هو مستور عن العیون فیتناول

الملائکة ایضا وفیه انه لا مثال لصفاته حتی الکلام کما انه لا مثال لذاته والله تعالی اعلم بالصواب وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا

مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ

كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ

نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ

أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ

لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۝ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ

وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ

الْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۝ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ

خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ

مَعَهُ جَمِيعًا ۝ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۝ وَبِالْحَقِّ

أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ

تَنْزِيلًا ۝ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَ

يَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ۝ قُلِ ادْعُوا

اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ وَقُلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝ القرانه یمجد

والمراد بالجن

ع



من الفجر يعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف سوى المفضل وابن الغالب الآخرون من التفجير تكثير للفعل وان كان الفاعل والمفعول مفردا حتى تنزل بالتخفيف ابو عمرو ويعقوب الآخرون بالتشديد كسفا بفتح السين ابو جعفر ونافع وعاصم وابن ذكوان الباقون بالاسكان قال سبحان بلفظ الماضي ابن كثير وابن عامر الباقون قل على الامر المهتدي باثبات الياء في الحالين سهل ونافع وابو عمرو في الوصل الباقون بحذف الياء ربي اذا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وجبت زدناهم بادغام التاء في الزاي ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل لقد علمت بضم التاء على التكلم علي الآخرون بفتحها للاتباع او ادعوا بكسر الواو عاصم وحمزة ورويس يقفان على ايا ثم يبتدئان ما تدعوا ويتم هذا الوقف وقف اليه ان الكلم على كلمة واحدة الوقوف ينبوعا ه تفجيرا لا قبيلا لا في السماء ط لابتداء النفي بعد طول الكلام ومن قال الاصح الوصل لان قوله ولن نؤمن لرقيك من كلامهم نقرؤه ط رسولا ه رسولا ه وبينكم ط بصيرا ه المهتدي ه لعطف جملتي الشرط مع التضاد من دونه ط لان الواو لا يحتمل الاستيناف ربما ه جهنم ط سعيرا ه جديدا لا ريب فيه لتناهي الاستفهام الى الاخبار كفورا ه الانفاق ط قتورا ه مسحورا ه بصائر ط للابتداء بان مع اتحاد القائل مثبورا ه جميعا لا للعطف لمنافاة لانقطاع النظم والمعنى نزل ط لابتداء النفي ومن براه احترازا من ايهام العطف نذيرا ه او لا تؤمنوا ط سجدا ه لمفعولا ه خشوعا ه يجد او ادعوا الرحمن ط الاسماء الحسنى ط لانقطاع نظم الشرط الى النهي مع اتحاد المراد سبيلا ه تكبيرا ه التفسير ليس من شرط كون النبي صادقا تواتر المعجزات وتتالي الآيات لان فتح هذا الباب يوجب نقض المقصود وهو ان لا يثبت نبوته ابدا ولكن المعجز الواحد يكفي في صدق النبي واقتراح الزيادة من جملة العناد فلا جرم لما بين الله سبحانه اعجاز القرآن حكى مقترحات المعاندين بيانا لتماديهم على الكفر قال ابن عباس ان رؤساء مكة ارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس عند الكعبة فاتاهم فقالوا يا محمد ان ارض مكة ضيقة فسير جبالها لتنفسح وفجر لنا فيها ينبوعا نزرع فيها فقال لا اقدر عليه فقال قائل منهم او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا فقال لا اقدر عليه فقيل له او يكون لك بيت من زخرف اي من ذهب يغنيك عنا فقال لا اقدر عليه فقيل له فاذ كنت لا تستطيع الخير فاستطع الشر فاسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال عبد الله بن امية المخزومي وابن عمة رسول الله لا والذي يحلف به لا اومن بك حتى تتخذ سلما فتصعد عليه ونحن ننظر فتاتي باربعة من الملائكة فيشهدون لك بالرسالة ثم بعد ذلك لا ادري اومن بك ام لا فانزل الله هذه الآيات ولنشرع في تفسير الآيات فقوله ينبوعا اي عينا غزيرة من شانها النبوع من غير انقطاع والياء زائدة كيعبوب من عب الماء وقوله او تكون لك جنة معناه هب انك لا تفجر الانهار لاجلنا ففجرها من اجلك وقوله كما زعمت اشارة الى قوله سبحانه ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء او اشارة الى ما مر في السورة من قوله أفأمنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا اي اجعل السماء قطعا متفرقة كالحاصب واسقطها علينا وقال عكرمة كما زعمت يا محمد انك نبي فاسقط السماء علينا وقيل كما زعمت ان ربك ان شاء فعل قال في الكشاف الكسف بسكون السين كسدرة وسدر وسدرة وقال ابو علي الكسف بالسكون الشيء اذا غطيته والشيء المقطوع كالطحن للمطحون واشتقاقه على ما قال ابو زيد من كسفت الثوب كسفا اذا قطعته وقال الزجاج من كسفت الشيء اذا غطيته كانه قيل او تسقطها طبقا علينا وهو نصب على الحال في القراءتين ومعنى قبيلا كفيلا بما تدعي من صحة النبوة والمراد او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا فاختصر او المراد المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وفيه دليل على غاية جهلهم حيث لم يعلموا انه تعالى لا يجوز عليه المقابلة والمعاينة نظير قولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقال ابن عباس اراد فوجا بعد فوج وقال الليث كل جند من الجن والانس قبيل وقد مر في تفسير قوله انه يراكم هو وقبيله قوله بيت من زخرف قال مجاهد كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأينا في قراءة عبد الله او يكون لك بيت من ذهب قال الزجاج هو الزينة ولا شيء في تحسين البيت وتزيينه كالذهب او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة والمصدر رقي واصله فعول كفعول ومعنى لن نؤمن لرقيك لن نؤمن بك لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك قل قال الرسول متعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من تحكماتهم او من قولهم او تاتي بالله سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا فان طلبتم هذه الاشياء ان اتي بها من تلقاء نفسي فالبشر لا يقدر على امثال ذلك فكيف قدرنا عليها وان اردتم ان اطلب من الله اظهارها على يدي فالرسل اذا اتى بمعجز واحد وجب به ولا ضرورة الى طلب الزيادة وانا عبد مامور ليس لي ان اتحكم على الله بما ليس ضرورية في الدعوة ثم حكى عنهم شبهة اخرى فقال وما منع الناس ان يؤمنوا اي الايمان بالقرآن وبنبوة محمد اذ جاءهم الهدى وهو الوحي المعجز الهادي الى طريق النجاة الا ان قالوا منكرين ابعث الله بشرا رسولا ثم اجاب عن شبهتهم بقوله قل لو كان في الارض ملائكة يمشون على الاقدام كما يمشي الانس مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لان الرسول لا بد ان يكون من جنس المرسل اليهم فكانه اعتبر في تنزيل الرسول من جنس الملائكة امرين احدهما كون سكان الارض ملائكة والثاني كونهم ماشين على الاقدام غير قادرين على الطيران باجنحتهم الى السماء اذ لو كانوا قادرين على ذلك لطاروا وسمعوا من اهلها ما يجب معرفته وسماعه فلا يكون في بعثة الملك اليهم فائدة وجوز في الكشاف ان يكون قوله بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا ثم زعم ان المعنى له اجوب ولعل ذلك لان الانكار توجه الى كون الرسول متصفا بحالة البشرية لا الملكية واذا كان احد الصنفين المتقابلين حالا لزم ان يكون الآخر كذلك ثم ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد فقال قل كفى بالله شهيدا وذلك ان اظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله تعالى له على الصدق فاذا لم تسمع هذه الشهادة وهو عليم ببواطن الامور وخفيات الضمائر فكيف بظواهرها علم ان هذا مجرد الحسد والعناد من



والعناد بجبهم على حسب ما لهم بين الاقرار والانكار مستندا الى مشيئته وتقديره فقال ومن يهدي الله الاية وقد مر خلاف المتكلمين من الاشاعرة والمعتزلة
في مثله في اخر الاعراف وغيره وقوله فهو المهتد حملا على اللفظ وقوله فلن تجد لهم حملا على المعنى والخطاب في لن تجد اما للنبي او لكل من يصلح للخطاب والاولياء
والانصار والحشر على الوجوه اما بمعنى السحب عليها لقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم واما بمعنى المشي عليها كما روي انه صلعم سئل عن ذلك فقال ان الذي امشاهم
على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وقيل لابن عباس رضي الله عنه اخبر الله تعالى عنهم بانهم يرون وينطقون ويسمعون حيث قال وراى المجرمون النار دعوا
هنالك ثبورا سمعوا لها تغيظا وزفيرا فكيف الجمع بين ذلك وبين قوله عميا وبكما وصما فاجاب بانهم لا يرون ما يسرهم ولا ينطقون بحجة تقبل منهم ولا يسمعون
ما يلذ مسامعهم وفي رواية عطاء انهم عمي عن النظر الى ما جعله الله لاوليائه كما يخاطبهم الله ومخاطبة الملئكة المقربين صم عن ثناء الله على اوليائه وقال مقاتل هذه
الاحوال بعد قوله تعالى لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون وابدا ان يحاسبوا بعد هيئتهم في النار وانما جعلوا وقت الحوامس جزاء على ما كانوا عليه في الدنيا من التعامي
والتصام عن الحق ومن عدم النطق به كلما خبت اي سكن لهبها خبت النار تخبو خبوا واخباها غيرها اي اخمدها زدناهم سعيرا قال ابن قتيبة اي تسعرا وهو التلهب
ولا ريب ان خبو النار تخفيف لاهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله لا يخفف عنهم العذاب اجيب بانه يحصل لهم في الحال الاولى خوف حصول الحالة الثانية فيستمر
العذاب ويدوم وايضا لما عظم العذاب صار التفاوت الحاصل في الوقتين غير مشعور به ويحتمل ان يكون المراد بعدم التخفيف انه لا يتخلل زمان محسوس ومعتد به بين الخبو
والتسعر وفي الكشاف لانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها فيه زيادة في تحسرهم
وفي الانتقام منهم ومما يدل على هذا التفسير قوله ذلك جزاؤهم الاية ثم ابدى للجاحد حجة يستبصر بها عن الجحود فقال اولم يروا الاية وذلك ان من قدر على
خلق السموات والارض كان على اعادة من هو دونهما اقدر وعلى هذا فالمراد من خلق مثلهم اعادتهم بعد الافناء كما يقول المتكلمون من ان الاعادة مثل الابتداء
ومن قال المراد انه قادر على افنائهم وايجاد غيرهم بصونهم لتوحيده وتركوا الاعتراض عليه كقوله ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد اي يبعثهم وحين بين ان
البعث امر ممكن في نفسه ذكر ان لوقوعه وقتا معلوما عنده فقال وجعل لهم اي لبعثهم اجلا لا ريب فيه قال جار الله قوله وجعل معطوف على قوله اولم
يروا والمعنى قد علموا بدليل العقل انه قادر على خلق امثالهم وجعل لهم واقول يحتمل ان يكون الواو للاستيناف ووجه النظم كانهم لما طلبوا اجراء
الانهار والعيون في اراضيهم ليتسع معايشهم بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله وهي رزقه وسائر نعمه على خلقه التي لا نهاية لها لبقوا
على بخلهم وشحهم فضلا ان يملكوا خزائن يصدد الفناء والنفاد قال النحويون كلمة لو حقها ان يدخل على الافعال دون الاسماء لانها حين
يكون على معناها الاصلي يفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذي يدل على الاثار والاحوال لا الذوات وايضا
انها هيهنا بمعنى الشرطية وهي مختصة بالفعل فلا بد من تقدير فعل بعدها فاصل الكلام لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير
فصار الضمير المتصل منفصلا لسقوط ما كان يتصل هو به فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وقال علماء البيان فائدة هذا التصرف الدال على
الاختصاص انهم هم المختصون بالشح المبالغ وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر من حيث انه لا يقصد
الفعل بل الفاعل كما في قول حاتم لو ذات سوار لطمتني لا يقصد اللطمة بل اللاطمة اي لو حرة لطمتني وقوله خشية الانفاق اي خوف الفقر من انفاق ماله
اذا ذهب ما مسكتم متروك المفعول معناه لبخلتم وكان الانسان قتورا اي بخيلا شحيحا والقتر والاقتار والتقتير التضييق في الانفاق وهذا الحكم اما بناءها
قد يوجد في الانسان من هو كريم جواد لان اللام للجنس اي هذا الجنس من شانه الشح اذا كان باقيا على طبيعته لانه خلق محتاجا الى ضروريات المسكن والملبس
والمطعوم ولا بد له في تحصيل هذه الاشياء من المال لينه يدفع حاجاته ويتم الامور المتوقفة على التعاون فلا جرم يحب المال ويمسكه لايام الضرورة والفاقة
ومن الناس من يحب المال بحيث ذاتية لا عرضية فاذن الاصل في الانسان هو البخل والجود منه انما هو امر تكلفي او عرضي طلبا للثناء او الثواب وقيل المراد
بهذا الانسان المعهود السابق ممن قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن الارض لبخلوا فيها ثم قال ولقد اتينا موسى تسع ايات فكانه
اراد انا اتيناه معجزات تسعا ونبه لهذه الامور التي اقترحوها بل اقوى منها اعظم فليس عدم الاستجابة الى ما طلبتموه من البخل ولكن لعدم المصلحة او لعدم
استتباع الغاية لعلمنا باصراركم والختم على قلوبكم عن ابن عباس ان الايات التسع هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر
والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سئل محمد بن كعب عنهن
فذكر من جملتها حل عقدة اللسان والطمس على اموالهم فقال له عمر لا يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين
وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله صلعم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني
اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان
ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فقام اليهود فقبلوا يديه ورجليه وقالوا انك نبي ولولا
انا نخاف القتل لاتبعناك قال الامام فخر الدين الرازي هو اجود ما قيل في الايات التسع واقول عد الاحكام من الايات البينات فيه بعد اللهم الا ان يقال النهي
عن مساوي الاخلاق والعادات من جملة علامات النبوة قال بعض العلماء اجابهم النبي بتسع وزاد واحدة يختص بهم وروى ابو داود هذا الحديث ولم يذكر
ولا تقذفوا محصنة وشك شعبة في انه قال ولا تقذفوا محصنة او قال ولا تولوا الفرار وقيل انه كان لموسى ايات اخر كانزال المن والسلوى عليه وعلى قومه
وكان الايات التي عدها بعضهم من التسع وتركها بعضهم الا ان تخصيص العدد بالذكر لا ينافي الزيادة عليه هكذا قال الاصوليون ولكن الذي يليه

لو تملكون نسخ



ان لا يكون للتخصيص فائدة والذي يدور في خلدي ان سبب التخصيص هو ان مرجع جميع معجزاته الى تسع انواع كالسنين ونقص الثمرات مثلا فانهما نوع
واحد وهو القحط وقد يعسر ايفاء ما به الاشتراك ولكن لا بد عنده من اعتقاد الانحصار في التسع لاجل خبر الصادق واما قوله فسئل بني اسرائيل فالخطاب فيه
للنبي صلى الله عليه وسلم وسؤال سؤال استشهاد لمزيد الطمأنينة والايقان لان الادلة اذا تظاهرت كانت تلك اقوى واثبت والمسئولون مؤمنو بني اسرائيل كعبد الله بن سلام
واصحابه وقوله اذ جاءهم يتعلق بآتينا او ينتصب باضمار اذكر او هو للتعليل والمراد فسألهم يخبروك لانه جاءهم اي جاء آباءهم ويحتمل ان يكون الخطاب لموسى بتقدير
القول اي فقلنا له حين جاءهم سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم عن ان يعاضدوك
ويساعدوك في الامور والمسحور الذي سحر فخولط عقله وقيل هو بمعنى الساحر كالمشؤم والميمون قاله الفراء وعن محمد بن جرير الطبري ان معناه اعطي علم السحر ومن قرأ
علمت بضم التاء فظاهر لان موسى كان عالما بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض فاذا انا لا اشك في امري بسبب تشكيك مكذب ومن قرأ
بفتحها فالمراد تبيين ان كفر فرعون كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله اولاء هؤلاء كقوله والعيش بعد اولئك الايام
ومعنى بصائر بينات مكشوفات وانتصابها على الحال كانه اشار بقوله ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض فاذا اني لا اشك في امري بسبب تشكيك مكذب
الى انها افعال خارقة للعادة وبقوله بصائر الى ان فاعلها انما فعلها لغرض تصديق المدعي فهو خلق المعجز بمجموع القيدين ثم قارع موسى ظن فرعون بظنه فقال اني
لاظنك يا فرعون مثبورا قال الفراء اي ملعونا محبوسا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقال مجاهد وقتادة اي هالكا من الثبور الهلاك
ولا ريب ان ظن موسى اصح من ظنه لان انكار ما علم صحته يستعقب لا محالة ويلا وثبورا وحسرة وندامة ولهذا قال فاراد اي فرعون ان يستفزهم من الارض
اي يستخف موسى وقومه من بسيط الارض او من ارض مصر بالقتل والاستئصال او بالنفي والاخراج والحاصل ان فرعون عوض بنقيض المقصود فاغرق
هو وقومه واسكن بنو اسرائيل مكانه تحقيقا لقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله ثم اخبر عن المعاد بقوله فاذا جاء وعد الآخرة وهو قيام الساعة جئنا بكم لفيفا معناه
المكلفين كلهم لفيفا جماعات من قبائل شتى وذوي اديان ومذاهب مختلفة وذلك لاجل الحكم والجزاء والفصل والجزاء ولما بين اعجاز القرآن واجاب عن شبهات
القوم اراد ان يعظم شأن القرآن ويذكر جلالة قدره فقال وبالحق انزلناه التقديم للتخصيص اي ما اردنا بانزاله الا تقرير الحق في مركزه وتمكين الصواب في نصابه
قال جار الله اي ما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا متلبسا بالحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا
بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وقال آخرون الحق هو الثابت كما ان الباطل هو الزاهق ولا
ريب ان هذا الكتاب الكريم يشتمل على دلائل التوحيد وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة واقرار النبوات وفي اثبات المعاد وعلى اصول الاديان
والملل التي لا يتطرق اليها النسخ والتبديل وكل هذه الامور يدل على المعنى المذكور لانها مما يبقى ببقاء الدهور وقال ابو علي الفارسي الباء في الموضعين بمعنى
مع كما في قوله تخرج بالدهن اي انزل القرآن مع الحق ونزل هو مع الحق ويحتمل ان يكون الباء الثانية كما في قولك نزلت بزيد فيكون الحق عبارة عن محمد صلى الله عليه وسلم لان
القرآن نزل به اي عليه وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار ليس اليك وراء هذا شيء من اكراه على الدين والايمان ليتسلى مما اقترحوه ثم
ان القوم كانهم من تعنتهم طعنوا في القرآن من جهة انه لم ينزل دفعة واحدة واجاب عن شبههم بقوله وقرآنا هو منصوب بفعل يفسره فرقناه اي جعلنا نزوله
مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا وقال انه لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على
فصل متقارب قال ابو عبيدة التخفيف اعجب الي لان تفسيره بيناه وليس للتشديد معنى الا انه نزل متفرقا فالفرق يتضمن التبيين ويؤكده ما رواه
ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال فرقت افرق بين الكلام وفرقت بين الاجسام واقول ان ابن عباس اعتبر الفصل بين اول نزوله وبين آخره فرأى التشديد اولى
لعل المراد الفصول المتقاربة التي فيما بين المدة بدليل قوله لتقرأه على الناس على مكث بضم الميم اي على مهل وتؤدة وقوله ونزلناه تنزيلا اي على حسب
المصالح والحوادث ثم خاطب نبيه بان يقول للمقترحين آمنوا به او لا تؤمنوا اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب من
قبل نزول القرآن قال مجاهد هم ناس من اهل الكتاب حين سمعوا ما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم خروا سجدا منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام
وفي قوله يخرون للاذقان سجدا دون ان يقول يسجدون مبالغة من وجهين احدهما انه قيد الخرور وهو السقوط بالذقن قال الزجاج لان الذقن مجمع
اللحيين وكما يبتدئ الانسان بالخرور للسجود فاول ما يحاذي به الارض من وجهه الذقن قلت هذا تصحيح للمعنى ولا يظهر منه لتغيير العبارة فائدة وقال
غيره المراد تعفير اللحية في التراب فان ذلك غاية الخضوع وان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الارض مغشيا عليه وثانيهما انه
لم يقل يخرون على الاذقان كما هو الظاهر وانما قال للاذقان لان اللام للاختصاص فكانهم خصوا اذقانهم بالخرور او خصوا الخرور باذقانهم ثم حكى
انهم في سجودهم انهم يراعون شرائط التنزيه والتعظيم فيقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا بانزال القرآن وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبنا لمفعولا اي انه
وان مخففة من الثقيلة ولهذا دخلت اللام في خبر كان ثم ذكر انهم كما خروا للاذقان فانهم في حال كونهم ساجدين قد خروا لها حال كونهم باكين ويجوز
ان يكون التكرير لاجل الدلالة على تكرير الفعل منهم بدليل قوله ويزيدهم اي القرآن خشوعا لين قلب ورطوبة عين ثم اراد ان يعلمهم كيفية الخشوع والدعاء
فقال قل ادعوا عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك
لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت قال جار الله الدعاء بمعنى التسمية لا النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا
ثم تترك احدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا والتخيير والمعنى على السبب الاول سموه بهذا الاسم او بهذا وعلى السبب الثاني اذكروا اما هذا واما هذا ايا ما تدعوا

يعني هذين الاسمين سميتم وذكرتم فالتنوين عوض عن المضاف اليه وما صلة زيدت لتأكيد الابهام والضمير في فله لا يرجع الى احد الاسمين ولكن الى مسماهما
وكان اصل الكلام ان يقول فهو اي ذلك الاسم حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها احسن الاسماء لاستقلالها بنعوت
الجلال والاكرام وقد مر في اخر الاعراف ثم ذكر كيفية اخرى للدعاء فقال ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلوتك على حذف المضاف للعلم بان الجهر
والمخافتة من نعوت الصوت لا الصلوة افعالها فهو من اطلاق الكل وارادة الجزء يقال خفت صوته خفوتا اذا انقطع كلامه وضعف وسكن وخفت
الزرع اذا ذبل وخافت الرجل بقراءته اذا لم يبين قراءته برفع الصوت روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع صوته بالقراءة فاذا
سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فاوحى الله اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا تسمع
اصحابك وابتغ بين ذلك الذي ذكر من الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف بالليل دون الصحابة فكان ابو بكر يخفي صوته في صلوته
ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع صوته قليلا وامر عمر
ان يخفض قليلا فنزلت الاية على حسب ذلك وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل و
تخافت بصلوة النهار وعن عائشة وابي هريرة ومجاهد ان الصلوة ههنا الدعاء وقد يروى هذا مرفوعا قال الحسن لا ترائي بعلانيتها ولا تسيء سريرتها
وايضا في الجهر اسماع غيره الذنوب وهو الموجب للتعيير والتوبيخ وعلى هذا ذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال
جار الله ابتغاء السبيل مثل لابتغاء الوجه الوسط في القراءة ولما امر ان لا يذكر ولا ينادي الا باسمائه الحسنى نبه على كيفية التحميد بقوله وقل
الحمد لله الاية قال في الكشاف كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد واجاب بان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو
الذي يستحق جنس الحمد واقول الولد والشريك والذل بكلمة التحميد اجاب بان من هذا وصفه متولد من جزء من اجزاء الوالد فالوالد مركب وكل مركب محدث
والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وايضا الولد محبوب والبخيل لا يستحق الحمد والشريك في الملك انما يتصور لمن لا يستقل
بالمالكية فيفتقر الى من يشاركه كثيرا امورهم لكثرة ومصالح مهمة وكل من كان كذلك كان عاجزا بالنظر الى ذاته فلا يتم فيضانه فلا يستحق الحمد على الاطلاق
وهكذا حكم من كان له ولي من الذل اي لم يتخذ حبيبا من اجل ذلة واستعانة لامر عزة وقوة وافضاله او الولي بمعنى الناصر اي ناصرا من اجل ذلة به لما قدمنا
نبه لانه وايضا قد يمنعه الشريك من اصابة الخير الى اوليائه والذي يكون له ولي من الذل يكون محتاجا اليه فينعم عليه دون من استغنى عنه اما اذا كان
منزها عن الولد وعن الشريك وعن ان يكون له ولي ينصره ويلي امره كان مستوجبا لاعظم انواع الحمد ومستحقا لاجل اقسام الشكر قال الامام فخر الدين
الرازي التكبير انواع منها تكبير الله في ذاته وهو ان يعتقد انه واجب الوجود لذاته غني عن كل ما سواه ومنها تكبيره في صفاته ان يعتقد ان كلها من
صفات الجلال والاكرام وفي غاية العظمة ونهاية الكمال وانها منزهة عن سمات التغير والزوال والحدوث والانتقال ومنها تكبيره في افعاله وعنده
يعود مسئلة الجبر والقدر قال سمعت ان الاستاذ ابا اسحق الاسفرايني كان جالسا في دار الصاحب بن عباد فدخل القاضي عبد الرحمن بن احمد الهمداني
فلما راه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ومنها تكبير الله في احكامه وهو ان يعتقد ان احكامه
كلها جارية على سنن الصواب وقانون العدالة وقضية الاستقامة ومنها تكبيره عن هذا التكبير وتعظيمه عن هذا التعظيم وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افصح
الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية والله اعلم التأويل ولو ان الذين من قبلك كانوا ارباب الحس فلم يبصروا شواهد الحق ودلائل النبوة ولم
يطلبوا ما كان هو عليه من تزكية النفوس وتصفية القلوب وتجلية الارواح وتفجير ينابيع الحكمة من ارض القلوب لا بتخييل المشاهدات
اعيان المكاشفات في جنات المواصلات ان بعث الله بشرا رسولا تعجبوا من كون البشر رسولا حين ظنوا ان الملك اعلى حالا من البشر وغفلوا عن رتبة الانسان
الكامل حيث جعلوه مسجود الملائكة المقربين واودع فيه سر الخلافة ما لهم حجبتهم الحرص والشهوات كلما سكنت نار شهوة باستيفاء حظها زادت نار
سعيرها باشتعال طلب شهوة اخرى لتسع ايات بينات قال الشيخ المحقق نجم الحق والدين المعروف بداية اراد الايات التي تدل على نبوته فيما يتعلق بنفسه
خاصة كالقائه في اليم واخراجه منه وتربيته في حجر العدو عليه ونحو ذلك وبالحق انزلناه لان الارواح المتعلقة بالعالم السفلي
احتاجت بالعلوم الى عالم العلوي الى حبل متين هو القرآن لقوله واعتصموا بحبل الله جميعا وبالحق نزل ليتميز بين اهل السعادة والشقاوة بالاتباع
وعدمه ان الذين اوتوا العلم من قبله في الازل اذا يتلى عليهم في الازل عند خطاب الست بربكم يخرون للاذقان سجدا للاجابة يقولون بلى ويخرون للاذقان
في عالم الصورة يبكون فالتواضع والسجود من شان الارواح والبكاء والخشوع من شان الاجسام ثم بين ان الارواح انما ارسلت الى الابدان للعبودية وذكر الله
فقال قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى اي كل اسم من اسمائه حسن فادعوه حسنا وهو الدعاء بالاخلاص ولا تجهر بصلاتك رياء
وسمعة ولا تخافت بها بان تخفيها بالكلية فيحرموا المتابعة والاسوة الحسنة وابتغ بين ذلك سبيلا باظهار الفرائض واخفاء النوافل والله اعلم

سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك الاية حروفها ستة الاف وثلثمائة وستون كلماتها الف وخمسمائة وسبعة وسبعون اياتها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم
به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك
على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف و
الرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة
وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين
احصى لما لبثوا امدا نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى و
ربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا
اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم
من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين و
اذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد
ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين
وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و
لملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر
ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا
عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان
وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا

ربهم

رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ

خدای ایشان دانا تر است بایشان گفتند آنانکه غالب شدند بر کار ایشان هر آئینه کنیم بر ایشان مسجدی زود گویند سه تن چهارم ایشان

كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي

سگ ایشان و میگویند پنج تن ششم ایشان سگ ایشان گمان بردنی بنا دیده و میگویند هفت تن و هشتم ایشان سگ ایشان بگو پروردگار من

أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَلَا

دانا تر است بشمار ایشان نداند ایشانرا مگر اندکی پس منازعه مکن در باب ایشان مگر منازعه آشکارا و مپرس درباره ایشان از ایشان یکی را و نه

تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي

مگو البته چیزی را که من کننده آنم فردا مگر آنکه خواهد خدا و یاد کن خدای را چون فراموش کنی و بگو امید است که راه نماید پروردگار من

لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۝ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۝ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ

تا نزدیکتر ازین راه راست و درنگ کردند در غار خویش سیصد سال و افزودند نه بگو خدا داناتر است بانچه درنگ کردند مر او را

غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا

پنهانی آسمانها و زمین است چه بینا است او و چه شنوا است نیست مر ایشانرا بجز او هیچ دوستی و انباز نمی‌گیرد در حکم خود هیچکس

القراءة من لدنه باشمام الدال الشيء بالضم وكسر النون ووصل الهاء بالياء يحيى الآخرون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء بهيئ مخففا حمزة وعلي الباقون بالتشديد يهيئ لنا ويهيئ لكم بتليين الهمزة فيهما الاوقية والاعشى وفي الوقف واما ابدال الهمزة الفا ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر والاعشى والبرجمي الآخرون على العكس تزاور خفيفا بحذف تاء التفاعل عاصم وحمزة وعلي وخلف تزور مشددة الراء ابن عامر مثل تحمر ويعقوب الباقون تزاور بتشديد الزاي لادغام التاء فهو المهتدي كما مر في سبحان ولملئت مشددة للمبالغة ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرا ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف غير مهموز بورقكم بسكون الراء ابو عمرو وحمزة وحماد وابو بكر والخزاز عن هبيرة وعباس بكسر الراء وادغام القاف في الكاف الآخرون بكسر الراء مظهرا ربي اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ان يهدين ربي ان ترني وان يؤتين وان تعلمن بالياءات في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعة وروى ابن شنبوذ عن قنبل كلها بالياء في الحالين وعن البزي وابن فليح كلها بغير ياء في الحالين وزيد وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو بالياء في الوصل ثلاثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلي وخلف الباقون بالتنوين ولا تشرك بالتاء على النهي ابن عامر وروح وزيد الآخرون ولا يشرك بياء الغيبة ورفع الكاف **الوقوف** عوجا لان قيما ليس بصفة له ولكنه انتصب بمحذوف دل عليه المتلو وهو انزل اي انزله قيما وللوصل وجه وهو ان يكون حالا عن الكتاب والعبد وما بينهما اعتراض حسنا لا ابدا لا ولدا لان ما بعده يحتمل الصفة او ابتداء واخبار والوقف اوضح ليكون ادعاء الولد مطلقا كما هو الظاهر لا بآبائهم ط من افواههم ط كذبا ه اسفا ه عملا ه جرزا ه لتمام القصة وما بعده استفهام تقرير وتعجب عجبا رشدا ه عددا لا للعطف امدا ه بالحق ط هدى ج والوصل اولى للعطف شططا ه الهة ط لابتداء التحضيض بين ط كذبا ه مرفقا ه تجوة منه ط ايات الله ط فهو المهتد ج مرشدا ه رقود ق والاولى الوصل على ان ما بعده حال اي رقد واو نحن نقلبهم الشمال ق الوصل احسن على ان المعنى نقلبهم باسطا بالوصيد رعبا ه بينهم ط كم لبثتم ط بعض يوم ط احدا ه ابدا ه لا ريب فيها ج لان اذ يصلح ان يكون ظرفا للاعثار عليهم وان يكون منصوبا باضمار اذكر بنيانا ط بهم ط مسجدا ه رابعهم كلبهم فصلا بين المقالتين مع اتفاق الجملتين بالغيب لوقوع العارض كلبهم ط قليل ط ظاهرا احدا ه ليشاء الله لاتفاق الجملتين مع عارض الظرف والاستثناء رشدا ه تسعا ه لبثوا لاحتمال ان ما بعده مفعول قل واخبار مستانف والارض ط لابتداء التعجب واسمع من ولي ط لمن قرا ولا تشرك على النهي ومن قرا على الغيبة اخبارا جوز وقفه لاختلاف الجملتين احدا ه **التفسير** الصنع الحمد والتكبير المذكورين في آخر السورة المتقدمة بالحمد على اجزل نعمائه على العباد وهي نعمة انزال الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم قال بعض العلماء نزه نفسه في اول سورة سبحان عما لا ينبغي وهو اشارة الى كونه كاملا في ذاته وحمد نفسه في اول هذه السورة وهو اشارة الى كونه مكملا لغيره وفيه تنبيه على ان مقام التسبيح مبدا ومقام التحميد نهاية موافقا لما ورد في الذكر سبحان الله والحمد لله وفيه ان الاسراء اول درجات كماله لان فيه تكميل الارواح البشرية ونقلها من حضيض البهيمية الى اوج الملكية ولا شك ان المنافع المتعدية افضل من القاصرة كما ورد في الخبر من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما في السموات وانزال الكتاب على النبي نعمة عليه وعلينا اما انه نعمة عليه فلانه اطلع بواسطته على اسرار التوحيد ونعوت الجلال والاكرام واحوال الملائكة والانبياء وسائر النفوس المقدسة وعلى كيفية القضاء والقدر وتعلق احوال العالم السفلي بالعالم العلوي وتعلق الشهادة بالغيب وارتباط احدهما بالآخر واما انه نعمة علينا فلانا نستفيد منه ما هو مثل ذلك ونعرف منه الاحكام الشرعية المفضية الى صلاح المعاش والمعاد وفي انتصاب قيما وجوه فاختار صاحب الكشاف ان يكون منصوبا بمضمر جعله او انزله قيما وابى ان يكون حالا لان العطف يدل على تمام الكلام وجعله حالا يدل على نقصانه وقال الجامع لاصفهاني حالان متواليان الا ان الاول جملة والثانية مفرد وقيل حال من الضمير في قوله ولم يجعل له وفائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة هي التاكيد فرب مستقيم في الظاهر لا يخلو عن ادنى عوج في الحقيقة هذا تفسير ابن عباس ويحتمل ان يراد بالعوج



سائر الكتب مصدق لها شاهد بصحتها وانه قيم بمصالح العباد وما لا بد لهم من الشرع والاحكام وعلى هذا يكون قوله ولم يجعل له عوجا اشارة الى انه
كامل في ذاته مبرأ عن الاختلاف والتناقض مشتمل على كل ما هو في نفس الامر حق وصدق وقوله قيما اشارة الى انه مكمل لغيره مصلح محسن ببيانه وارشاده
لاحوال معاشهم ومعادهم فيكون الاية نظير قوله في اول البقرة لا ريب فيه هدى للمتقين ثم اراد ان يفصل ما اجمله في قوله قيما فقال لينذر باسا شديدا من
لدنه وحذف المنذر للعلم به لعمومه وليطهر اللسان عن ذكره اي لينذر الذين كفروا عذابا اليما صادرا من عنده والاجر الحسن الجنة بدليل قوله ماكثين
فيه وهو حال من الضمير في لهم ثم كرر الانذار وذكر المنذر بالخصوص وحذف المنذر به وهو الباس الشديد لتقدم ذكره وقد يذكر قضية كلية ثم يعطف
عليها بعض جزئياتها تنبيها على كونه اعظم جزئيات الكلي نحو عطف الانذار المخصوص على الانذار المطلق دليل على ان اقبح انواع الكفر والمعصية اثبات
الولد لله تعالى على ما زعم بعض كفار قريش من ان الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال ما لهم به اي بالولد او باتخاذ
الله اياه من علم ولا لابائهم وانتفاء العلم بالشيء اما بالجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال فلا يتعلق به العلم لذلك وهو المراد في الاية اي
قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد لابائهم الذين هم مثلهم في الجهالة قال جار الله الضمير في قوله كبرت يعود الى قولهم اتخذ الله ولدا
وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها قلت ويجوز ان يعود الى مضمر ذهني يفسره الظاهر كقولهم ربه رجلا ونعم امراة عندك قال الواحدي انتصب كلمة على
التمييز وذلك انك لو قلت كبرت المقالة او الكلمة جاز ان يتوهم انها كبرت كذبا او جهلا او افتراء فلما قلت كلمة فقد ميزتها من محتملاتها وقرئ بالرفع على
الفاعلية كما يقال عظم قولك قال اهل البيان النصب اقوى وابلغ لافادته التعجب من جهتين من جهة الصيغة ومن جهة التمييز كانه قيل ما اكبرها كلمة وفي وصف
الكلمة بقوله تخرج من افواههم مبالغة اخرى من جهتين الاول ان كثيرا من وساوس الشيطان وهواجس القلوب لا يتمالك العقلاء ان يتفوهوا به حياء وخجلا
فبين الله تعالى ان هذا المنكر لم يستحيوا من اظهاره والنطق به فما اشنع فعلهم وما اعظم فحشهم الثاني ان هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقلهم وفكرهم البتة لكونه
في غاية البطلان وكانه شيء يجري على لسانهم بطريق التقليد احتج النظام على مذهبه ان الكلام جسم بان الخروج عبارة عن الحركة والحركة من خواص الاجسام
والجواب ان الخارج من الفم هو الهواء لان الحروف والاصوات كيفيات قائمة بالهواء فاسند الى الحال ما هو من شأن المحل مجازا ثم زاد في تقبيح صورتهم
بقوله ان يقولون الا كذبا وفيه ابطال قول من زعم ان الكذب هو الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه مع علم قائله بانه غير مطابق وذلك لان القيد الاخير غير
موجود هنا مع انه تعالى سماه كذبا ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله فلعلك باخع قال الليث بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظا وقال الاخفش والفراء اصل
البخع الجهد يروى ان عائشة ذكرت عمر فقالت بخع الارض اي جهدها حتى اخذ ما فيها من اموال الملوك وقال الكسائي بخعت الارض بالزراعة اذا
جعلتها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة وبخع الرجل نفسه اذا نهكها واسفا منصوب على المصدر اي تاسف اسفا ودل عليه الفعل [illegible] الكلام
وقال الزجاج هو مصدر في موضع الحال ومفعول له اي لفرط الحزن شبههم اياهم حين لم يؤمنوا بالقرآن واعرضوا عنه بمن فارقه احبته فهو
يتساقط حسرات عليهم والحاصل انه قيل له لا تعظم حزنك عليهم بسبب كفرهم فانه ليس عليك الا البلاغ [illegible]
الطاقة بهذا الحديث يعني القرآن فدل ذلك على انه غير قديم واجيب بانه لا نزاع في حدوث الحروف والاصوات انما النزاع في الكلام النفسي [illegible] جعلنا
ما على الارض زينة لها قال اهل النظم كانه تعالى يقول اني خلقت الارض وزينتها ابتلاء للخلق بالتكاليف ثم انهم يتمردون ويكفرون ومع ذلك فلا اقطع
عنهم مواد هذه النعم فانت ايضا يا محمد لا تترك الاشتغال بدعوتهم بعد ان لا تاسف عليهم وما على الارض المواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان
واشرفها الانسان وقال القاضي الاولى ان لا يدخل المكلف فيه لان ما على الارض ليس زينة لها بالحقيقة وانما هو زينة لاهلها لغرض الابتلاء
فالذي له الزينة يكون خارجا عن الزينة ومعنى انه مجاز بالصورة والمراد انه تعالى يعاملهم معاملة لو صدرت تلك المعاملة عن غيره لكان من قبيل
الابتلاء والامتحان وقد مر هذا البحث بتمامه في سورة البقرة في تفسير قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه واللام في لنبلوهم للغرض عند المعتزلة وللعاقبة
او استتباع الغاية عند غيرهم حذرا من لزوم الاستكمال قال الزجاج ايهم رفع بالابتداء لان لفظه لفظ الاستفهام والمعنى لنمتحن بهذا احسن عملا ام ذا
ثم زهد في الميل الى زينة الارض بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا اي مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة
في ازالة بهجته واماتة سكانه قال ابو عبيد الصعيد المستوي من الارض الذي لا نبات فيه من قولهم امراة جرزاء اذا كانت اكولا وسيف جراز اذا كان مستاصلا
وجرز الجراد والشاة والابل الارض اذا اكلت ما عليها ثم ان القوم تعجبوا من قصة اصحاب الكهف وسالوا عنها الرسول على سبيل الامتحان فقال سبحانه
ام حسبت يعني بل اظننت يا انسان انهم كانوا عجبا من اياتنا فقط فلا تحسبن ذلك فان اياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض
ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا خاليا عن الكل كيف يستبعدون قدرته وحفظه ورحمته بالنسبة
الى طائفة مخصوصة وقال جار الله يعني ان ذلك الزينة وغيره اعظم من قصة اصحاب الكهف يعني انه ذكر اولا عظيم قدرته ثم اضرب عن ذلك موبخا للانسان
والحاصل انك تعجب من هذا الادنى فكيف بما فوقه والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد انه لوح من حجارة او رصاص
رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف فعلى هذا يكون اللفظ عربيا فعيلا بمعنى مفعول ومثله ما روي ان الناس [illegible] نفر الى الجبل وعن السدي
انه القرية التي خرجوا منها وقيل هو الوادي والجبل الذي فيه الكهف وعجبا مصدر وصف به او المراد ذات عجب قوله اذ اوى الفتية الى الكهف صاروا اليه وجعلوه
مأواهم منصوب باذكر ولا يحسن نصبه بحسبت المتقدم ولا بعجبا لان [illegible] والتنوين في رحمة اما للتعظيم او للتنويع وتقديم من لدنك للاختصاص اي رحمة

مخصوصة



مخصوصة بانها من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا اي اصلح لنا من قولك هيأت الامر فتهيأ من امرنا الذي نحن عليه من
مفارقة الكفار رشدا اي امرا ذا رشد حتى نكون بسببه راشدين عن غرضنا اليقين فيكون من للابتداء ويجوز ان يكون للتجريد كما في قولك رأيت منك اسدا
اي اجعل امرنا رشدا كله فضربنا على آذانهم قال المفسرون اي انمناهم والاصل فيه ان المفعول محذوف وهو الحجاب كما يقال بنى على امرأته اي بنى عليها القبة
سنين ظرف لضربنا عددا اي ذوات عدد وهو مصدر وصف به والمراد بهذا الوصف اما القلة لان الكثير قليل عند الله وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون واما الكثرة قال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى العد واذا كثر احتاج الى ان يعد ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليظهر معلومنا او نعلق
العلم المعلق لما في اي من معنى الاستفهام فارتفع اي الحزبين على الابتداء وخبره احصى وهو فعل ماض وما في لما لبثوا مصدرية اي احصى امدا للبثهم فيكون
الجار والمجرور صفة للامد فلما قدم صار حالا منه وقيل اللام زائدة وما بمعنى الذي وامدا تمييز والتقدير احصى لما لبثوه امدا والامد الغاية زعم
بعضهم ان احصى افعل التفضيل كما في قولهم اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق ولم يستصوبه في الكشاف لان الشاذ لا يقاس عليه واختلفوا
في تعيين الحزبين فعن عطاء عن ابن عباس ان اصحاب الكهف حزب والملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك حزب وقال مجاهد الحزبان من اصحاب الكهف
وذلك انهم لما انتبهوا اختلفوا فقال بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم وقال آخرون ربكم اعلم بما لبثتم وذلك حين حسبوا ان لبثهم قد تطاول وقال الفراء
ان طائفتين من المسلمين في زمان اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم نحن نقص عليك نبأهم بالحق اي على وجه الصدق انهم فتية شباب آمنوا بربهم اي وضع
الظاهر موضع المضمر وزدناهم هدى اي بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم قويناها بالهام الصبر على فراق الخلان والاوطان والفرار بالدين
الى بعض الغيران اذ قاموا فقالوا وفي هذا القيام اقوال فعن مجاهد انهم اجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال رجل منهم هو اكبر القوم اني لاجد في نفسي
شيئا ما اظن احدا يجده ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك نجد في انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض وقال اكثر
المفسرين انه كان لهم ملك جبار يقال له دقيانوس وكان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا بين يديه
فقالوا ربنا رب السموات والارض وعن عطاء ومقاتل انهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم والشطط الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط
اذا بعد والمراد قولا ذا شطط اي بعيد عن الحق هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان او بدل واتخذوا خبره وهو اخبار في معنى انكار وفي اسم الاشارة
تحقير لهم لولا يأتون عليهم هلا يأتون على حقيقة الهيتهم او على حقية عبادتهم بسلطان بين بحجة ظاهرة اسند الى عدم الدليل على عدم الشركاء و
الاضداد فاستدل بعض العلماء بذلك على ان هذه طريقة صحيحة ويمكن ان يجاب بانه انما ذكر ذلك على سبيل التبكيت فمن المعلوم ان الاتيان
بسلطان على عبادة الاوثان محال وفيه دليل على فساد التقليد ويؤكده قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه وخاطب بعضهم
بعضا حين صمم عزمهم على الفرار بالدين وقوله وما يعبدون عطف على الضمير المنصوب يعني واذ اعتزلتموهم ومعبوديهم وقوله الا الله استثناء منقطع
على الظاهر ويجوز ان يكون متصلا بناء على ان المشركين يقرون بالخالق الاكبر وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا
غير الله فما انتم قال الفراء فأووا الى الكهف جواب اذ ومعناه اذهبوا اليه واجعلوه مأواكم ينشر لكم ربكم من رحمته يبسطها لكم مرفقا على القراءتين مشتق من الارتفاق
الانتفاع وقيل فتح الميم اقيس وكسرها اكثر وقيل المرفق بالكسر ما ارتفقت به والمرفق بالفتح الامر الرافق وكان الكسائي ينكر في مرفق الانسان الا كسر الميم
قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا عليه واما لان اخبرهم نبي في عصرهم منهم او من غيرهم وترى الشمس ايها الانسان اذا طلعت تزاور واصله من الزور
بفتح الميم قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا عليه واما لان اخبرهم نبي في عصرهم الواو وهو الميل ومنه زاره اذا مال عنه والمراد ان الشمس تعدل عن
سمتهم الى الجهتين فلا يقع عليهم والفجوة المتسع من المكان ومنه الحديث فاذا وجد فجوة نص وقال المفسرون في الآية قولان احدهما انهم في ظل نهارهم كله
لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح والى هذا العجب اشار بقوله ذلك من آيات الله وثانيهما ان باب ذلك الكهف كان
مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على يساره فلذلك كانت الشمس لا تصل اليهم ثم انهم كانوا مع ذلك
في متسع من الغار ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم واعترض بان عدم وصول الشمس اليهم لا يكون آية من آيات الله على هذا التقدير واجيب بان المشار اليه
حفظهم في ذلك الغار مدة طويلة والمقصود من بيان وضع الغار تعيين مكانهم ثم بين الله سبحانه لطفه بهم بعصمته اياهم عن الفتنة في تلك المدة المديدة
كما لطف بهم في اول الامر بالهداية فكان فيه ثناء عليهم وتذكير لغيرهم ان الهداية وضدها كليهما بمشيئة الله وعنايته الازلية وبالطفه ونظره الذي
سبق القلم وقال الجبائي فيه تنبيه على ان من سلك طريقة الراشدين المهتدين فهو الذي اصاب الفلاح ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده
ثم حكى طرفا آخر من غرائب احوالهم فقال وتحسبهم ايقاظا هي جمع يقظ بكسر القاف كانكاد في جمع نكد وهم رقود جمع راقد كقعود في قاعد واستبعد
في التفسير الكبير وقيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقال الزجاج لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة
واحدة في يوم عاشوراء وعن مجاهد يمكثون رقودا على ايمانهم سبع سنين ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودا سبع سنين وفائدة تقلبهم
ظاهر وهي ان لا تاكل لحومهم الارض قاله ابن عباس ويتعجب منه الامام فخر الدين قال وان الله تعالى قادر على حفظهم من غير تقليب ثم قال لا ريب في قدرة
الله تعالى ولكن الوسائط معتبرة في اغلب الاحوال وكلبهم باسط حكاية الحال الماضية ولهذا عمل في المفعول به والوصيد الفناء وقيل العتبة او الباب
قال السدي الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وانما اراد ان الكلب منه موضع العتبة من البيت عن ابن عباس هربوا ليلا من ملكهم فمروا براع معه كلب فتبعهم

صح



على دينهم ومعهم كلبهم وقال كعب مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك ثلث مرات فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا مني انا احب احباء الله فناموا
حتى احرسكم وقال عبيد بن عمير وكان ذلك كلب صيدهم والاطلاع على الشيء الاشراف عليه قال الزجاج قوله فرارا منصوب على المصدر لانه بمعنى التولية
وسبب الرعب هيبة البسهم الله اياها وقيل طول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم ووحشة مكانهم منه يحكى ان معوية غزا الروم فقال لو
كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية
لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاخرجتهم وكذلك اشارة الى المذكور قبل اي وكما
انمناهم تلك النومة وفعلنا بهم ما فعلنا من الكرامات كذلك بعثناهم وفيه تذكير لقدرته على الانامة والبعث جميعا ثم ذكر غاية بعثهم فقال ليتساءلوا
اي ليقع التساؤل بينهم والاختلاف والتنازع في مدة اللبث غرض صحيح لما فيه من انكشاف الحال وظهور اثار القدرة قال قائل منهم كم لبثتم قال ابن
عباس هو رئيسهم يمليخا رد علم ذلك الى الله تعالى حين رأى التغير في شعورهم واظفارهم وبشرتهم والقائل فابعثوا للتسبيب كانه قيل واذ قد حصل
الياس من تعيين مدة اللبث فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة وفي تزودهم الورق عند فرارهم دليل على ان امساك بعض
ما يحتاج اليه الانسان في سفره وحضره لا ينافي التوكل على الله والمدينة طرسوس قال في الكشاف ايها معناه اي اهلها ازكى طعاما واقول يحتمل ان يعود
الضمير الى الاطعمة ذهنا كقولك زيد طيب ابا على ان الاب هو زيد ويجوز ان يراد اي اطعمة المدينة ازكى طعاما على الوجه المذكور وعن ابن عباس يريد
ما حل من الذبائح لان عامة اهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون دينهم وقال مجاهد احل والمغصوب لان ملكهم كان ظالما وقيل ايها اطيب
والذ وقيل ارخص وليتلطف وليتكلف اللطف فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن والاظهر انهم طلبوا اللطف في امر التخفي حتى لا يعرف ويؤيده
قوله ولا يشعرن بكم احدا اي لا يفعلن ما يؤدي الى الشعور ويتسبب لها انهم ان يظهروا ويطلعوا على مكانكم او عليكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي
الرجم وكانه كانت عادتهم او يعيدوكم في ملتهم بالاكراه العنيف قال في الكشاف العود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا
يريدون ابتداء الفعل قلت يحتمل ان يكون العود ههنا على معناه الاصلي لاحتمال ان يكون اصحاب الكهف على ملة اهل المدينة قبل ان هداهم الله
واذن معنى الشرط كانه قال ان رجعتم الى دينهم فلن تفلحوا ابدا قال المحققون لا خوف على المؤمن الفار بدينه اعظم من هذين في الاول هلاك الدنيا وفي الثاني
هلاك الاخرة وانما نفى الفلاح على التابيد مع ان كفر المكره لا يضر لانهم خافوا ان يجرهم ظاهر الموافقة الى الكفر القلبي وكما انمناهم وبعثناهم اعثرنا
عليهم سمى الاعلام اعثارا والعلم عثورا لان من كان غافلا عن شيء فعثر به نظر اليه وعرفه وكان الاعثار سببا لحصول العلم واليقين وفي سبب الاعثار
قولان احدهما انه طالت شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وتغيرت بشرتهم فعرفوا بذلك والاكثرون قالوا ان ذلك الرجل لما ذهب بالورق
الى السوق وكانت دراهم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقال له من اين وجدت هذه الدراهم قال بعت بها امس شيئا
من التمر فعرف الملك انه ما وجد كنزا وان الله بعثه بعد موته فقص عليه القصة ثم ذكر سبحانه غاية الاعثار فقال ليعلموا ان وعد الله حق روي ان ملك
ذلك العصر ممن كان ينكر البعث الا انه كان مع كفره منصفا فجعل الله امر الفتية دليلا للملك وقيل بل اختلفت الامة في ذلك الزمان فقال بعضهم
الجسد والروح يبعثان جميعا وقال الاخرون الروح يبعث واما الجسد فتاكله الارض ثم ان ذلك الملك كان يتضرع ان يظهر له اية يستدل بها على
ما هو الحق في المسئلة فاطلعه الله تعالى على امر اصحاب الكهف حتى تقرر عنده صحة بعث الاجساد لان انتباههم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت
ثم يبعث فالمراد بالتنازع هو اختلافهم في حقيقة البعث والضمير في قوله اذ يتنازعون بينهم امرهم يعود الى تلك الامة وقيل اراد يتنازع الناس
بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا عليهم
بابا كهفهم بنيانا يروى انه انطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الاية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك
به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب
فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا فيكون فيه دليل على ان اولئك الاقوام كانوا عارفين بالله تعالى ومعترفين بالعبادة وقيل ان الكفار قالوا انهم
كانوا على ديننا ونتخذ عليهم بنيانا والمسلمون قالوا بل كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجدا وقيل انهم تنازعوا في عددهم واسمائهم فقال الله ربهم اعلم
بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلما لم يهتدوا الى حقيقته قالوا ذلك او هو من كلام الله عز وجل رد
لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب قال الذين غلبوا
على امرهم المسلمون وملكهم المسلم لانهم بنوا عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم حفظا لتربتهم
ظنناهم سيقولون يعني الخائضين في قصتهم من المؤمنين ومن اهل الكتاب المعاصرين وكان كما اخبر فكان معجزا روي ان السيد والعاقب واصحابهما
من اهل نجران كانوا عند النبي صلعم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا هم ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا هم
خمسة سادسهم كلبهم فبقي الله تعالى قولهما بان قال رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي يقال فلان يرمي بالكلام رجما اي يتكلم من غير تدبر
ما يؤديهم بالظن مكان قولهم ظن وقال المسلمون هم سبعة وثامنهم كلبهم قال العلماء وهذا قول المحق عرفها المسلمون باخبار رسول الله صلعم عن لسان
جبرئيل والذي يدل عليه امور منها ما روي عن علي انهم سبعة نفر اسمائهم يمليخا ومكسلمينا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره



مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم واسمه كفشططيوش واسم مدينتهم افسوس واسم
كلبهم قطمير وقيل ريان عن ابن عباس ان اسماء اصحاب الكهف تصلح للطلب والهرب واطفاء الحريق تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ولبكاء
الطفل يكتب ويوضع تحت رأسه في المهد وللحرث يكتب على القرطاس ويرفع على خشب منصوب في وسط الزرع وللضربان وللحمى المثلثة وللصداع
والغنى والجاه والدخول على السلاطين يشد على الفخذ اليمنى وللعسر الولادة يشد على فخذها الايسر ولحفظ المال والركوب في البحر والنجاة من
القتل ومنها قول صاحب الكشاف ان الواو في قوله وثامنهم هي التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة في قولك جاءني رجل ومعه آخر كما يدخل
على الجملة الواقعة حالا عن المعرفة في قولك مررت بزيد ومعه سيف وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها
امر ثابت مستقر لان الواو مقتضاها الجمعية فكانهم وصفوا بكونهم سبعة وثامنهم كلبهم بخلاف القولين الاولين فانهم وصفوا بما وصفوا مرة
واحدة وللقائل ان يقول ان العاطف لا يتوسط بين الوصف والموصوف البتة لشدة الاتصال بينهما ومقتضى الواو هو الحالة المتوسطة بين كمال
الاتصال وكمال الانقطاع بل الواو اما للعطف عطف الجملة على الجملة واما للحال وجاز لانهم لا يسوغون ذي الحال نكرة لامكان التباس الحال بالصفة
في نحو قولك رأيت رجلا راكبا وههنا الالتباس مرتفع لمكان الواو ومنها قول بعضهم ان الضمير في قوله ويقولون سبعة لله تعالى والجمع للتعظيم ومنها قول
ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات ومنها انه خص
القولين الاولين بزيادة قوله رجما بالغيب وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الثالث بخلافه فمن البعيد ان يذكر الله تعالى جملة الاقوال الباطلة
ولا يذكر الحق على انه سبحانه منعه عن المناظرة معهم وعن الاستفتاء منهم في هذا الباب وهذا المنع انما يصح اذا علمه حكم هذه الواقعة وايضا الله تعالى
قال ما يعلمهم الا قليل وبعيد ان لا يحصل العلم بذلك للنبي صلعم ويحصل لغير النبي صلعم وكان ابن عباس حين قال انا من اولئك القليل وقد عرفت قوله
في هذا الباب واذا حصل فالظاهر انه حصل لهذا الوجه لان الاصل فيما سواه العدم وقيل الضمير في سيقولون لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب
فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وقوله سبحانه في الموضعين الاخيرين ويقولون بغير السين لا ريب انهما للاستقبال ايضا الا ان ذلك يحتمل
ان يكون لاجل الصيغة التي تصلح له وان يكون لتقدير السين بحكم العطف كما تقول قد اكرم وانعم اي قد انعم اما فائدة تخصيص الواو في قوله وثامنهم فقد عرفت
انفا وقد يقال لعلة السبعة عند العرب تامة ولاعتقاد السنة في مظان المبالغة من ذلك قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة لان هذا العدد سبعة معقود
فاذا وصلوا الى الثامنة ذكروا لفظا يدل على الاستئناف كقوله في ابواب الجنة وفتحت ابوابها وكقوله ثيبات وابكارا وزيفه القفال هذا الوجه
بقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وذلك انه لم يذكر الواو في النعت الثامن والانصاف ان
هذا التزييف ليس في موضعه لان دخول الواو هو الذي يفتقر الى التوجيه اما عدمه فعلى الاصل وبيان التوجيه لا ايجاب يوجد بعيد والقائل بصدد الاول
دون الاخير ثم نهى نبيه صلعم عن الجدال مع اهل الكتاب في شأن اصحاب الكهف ثم قال الا مراء ظاهرا قال جار الله اي جدالا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم
ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل ولا تعنيف وقال في التفسير الكبير المراد ان لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد بل يقول هذا التعيين
لا دليل عليه فوجب التوقف ثم نهاه عن الاستفتاء منهم في شأنهم لان المفتي يجب ان يكون اعلم من المستفتي وههنا الامر بالعكس ولا سيما في باب
واقعة اصحاب الكهف كما بينا ولنذكر ههنا مسئلة جواز الكرامات وما يتوقف هي عليه فنقول الولي مشتق من الولي وهو القرب فقيل فعيل
بمعنى فاعل وقد يرد فذلك انه توالت طاعاته من غير تخلل معصية وقيل بمعنى مفعول كقتيل وذلك ان الحق سبحانه تولى حفظه وحراسته وقربه
منه والفضل والاحسان فاذا ظهر فعل خارق للعادة على انسان فان كان مقرونا بدعوى الالهية كما نقل ان فرعون يظهر على يده الخوارق وكما ينقل
ان الدجال سيكون منه ذلك فهذا القسم جوزه الاشاعرة لان شكله وخلقته يدل على كذبه فلا يفضي الى التلبيس وان كان مقرونا بدعوى النبوة
فان كان صادقا فواجب ان لا يحصل له المعارض وان كان كاذبا وجب ان يمكن او قيل ان الكاذب يستحيل ان يظهر منه الفعل الخارق والى هذا ذهب جمهور المعتزلة و
خالفهم ابو الحسين البصري وصاحبه محمود الخوارزمي فجوزا ظهور خوارق العادات على من كان مردودا عند الله وسموه بالاستدراج وقد يفرق بين النبي الصادق
والساحر الخبيث بالدعاء الى الخير والى الشر وان كان مقرونا بدعوى الولاية فصاحبه هو الولي ومن المحققين من لم يجوز للولي دعوى الولاية لانه مأمور به

بالاظهار كما كان النبي صلعم

بالاظهار ثم ان المعتزلة انكروا كرامات الاولياء واثبتها اهل السنة مستدلين بالقرآن والاخبار والآثار والمعقول اما القرآن فكقصة مريم و
نبأ اصحاب الكهف قال القاضي لا بد ان يكون في ذلك الزمان نبي ينسب اليه تلك الكرامات واجيب في التفسير الكبير بان قيامهم على النوم امر غير خارق
للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لاحد اما قيامهم من النوم بعد ثلثمائة سنة فهذا ايضا لا يمكن جعله معجزة لان الناس لا يصدقونهم في هذه الواقعة لانهم لا يعرفون
كونهم صادقين في هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة الدعوى الا اذا عرفوا طول هذه المدة وعرفوا ان هؤلاء الذين جاؤا في هذا الوقت
هم الذين ناموا قبل ذلك بثلثمائة وتسع سنين وكل هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء فلم يبق الا ان يجعل كرامة
لهم وللقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون نفس بعثهم معجزة النبي ذلك الزمان واما ان ذلك البعث بعد نوم طويل فيعرف بما مر من آخر كلام من حديث الدرهم
وغيره واما الاخبار فمنها ما اخرج في الصحاح عن ابي هريرة عن النبي صلعم انه قال لم يتكلم في المهد الا ثلثة عيسى بن مريم وصبي في زمان جريج وصبي آخر اما عيسى
فقد عرفتموه واما جريج فكان رجلا عابدا في بني اسرائيل وكانت له ام وكان يوما يصلي اذ اشتاقت اليه امه فقالت يا جريج فقال يا رب الصلوة خير ام رؤيتها ثم

يصلي فدعته ثانيا مثل ذلك تأثمه وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على امه فقالت اللهم لا تمته حتى تريه المومسات وكانت في بني اسرائيل زانية فقالت لهم
انا افتن جريجا حتى يزني فاتته فلم تقدر عليه شيئا وكان هناك راع يأوي بالليل الى اصل صومعته فراودت الراعي على نفسها فاتاها فولدت غلاما فقالت
ولدي هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته قال ثم ابو هريرة كأني انظر الى النبي صلعم حين قال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعي فندم القوم
على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبني صومعتك من ذهب وفضة فأبى عليهم وبناها كما كانت واما الصبي الآخر فان امرأة كانت معها صبي ترضعه
اذ مر بها شاب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مرت بها امرأة ذكروا انها سرقت وزنت وعوقبت فقالت
اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال الصبي اللهم اجعلني مثلها فقالت له امه في ذلك فقال انا الراكب جبار من الجبابرة وان هذه قيل لها سرقت ولم تسرق
وزنت ولم تزن وهي تقول حسبي الله ومنها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلعم قال انطلق ثلثة رهط ممن كان قبلكم فاواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت
صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا والله لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم كان لي ابوان شيخان كبيران فكنت
لا اغبق قبلهما فنأى بي في طلب شجر يوما فلم ارح عليهما وحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان اغبق قبلهما فقمت
والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة
فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه ثم قال الآخر اللهم انه كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي فاردتها عن نفسها فامتنعت حتى الممت بها سنة
من السنين فجاءتني فاعطيتها مالا اعطيها على ان تخلي بيني وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لا اذن لك ان تفك الخاتم الا بحقه فتحرجت من ذلك
العمل وتركتها وتركت المال معها اللهم فان كنت فعلته لك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها
قال رسول الله صلعم ثم قال الثالث اللهم اني استأجرت اجراء فاعطيتهم اجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذي له وذهب فثمرت اجرته حتى كثرت منه الاموال
فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله اد الي اجرتي فقلت له كل ما ترى من الابل والغنم والرقيق من اجرتك فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ
بك فاخذه كله اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك فافرج عنا فانفرجت الصخرة من الغار فخرجوا يمشون وهذا حديث صحيح متفق عليه ومنها قوله صلعم كم
من اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ولم يفرق بين شيء وشيء ومنها ما روى سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلعم قال بينما رجل
يسوق بقرة قد حمل عليها اذ التفتت البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال النبي صلعم آمنت بهذا وابو بكر
وعمر ومنها ما روى ابو هريرة عن النبي صلعم بينما رجل سمع رعدا او صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان قال فغدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل
قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان بن فلان فقلت فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لاني سمعت صوتا
في السحاب ان اسق حديقة فلان قال اما اذا قلت فاني اجعلها اثلاثا فاجعل لنفسي ولاهلي ثلثا واجعل للمساكين وابناء السبيل ثلثا واما
الآثار فمن كرامات ابي بكر الصديق انه لما حملت جنازته الى باب قبر النبي صلعم ونودي السلم عليك يا رسول الله هذا ابو بكر بالباب فاذا الباب قد
فتح فاذا بهاتف يهتف من القبر ادخلوا الحبيب الى الحبيب ومن كرامات عمر ما روي انه بعث جيشا وامر عليهم رجلا يدعى سارية بن حصين فبينا عمر يوم الجمعة
يخطب جعل يصيح في خطبته يا سارية الجبل الجبل قال علي بن ابي طالب عليه السلم وكتب تاريخ هذه الكلمة فقدم رسول ذلك الجيش فقال يا امير المؤمنين غزونا
يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة قال بعض
العلماء كان ذلك بالحقيقة معجزة للنبي صلعم لانه قال لابي بكر وعمر انتما مني بمنزلة السمع والبصر لاجرم قدر على رؤية الجيش من بعد ومنها ما روي ان نيل مصر
كان في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة وكان لا يجري حتى يلقى فيه جارية حسناء فلما جاء الاسلام كتب عمرو بن العاص بهذه الحالة الى عمر على الخزف من عمر
امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجري بامرك فلا حاجة لنا فيك وان كنت تجري بامر الله فاجر على بركة الله وامر ان يلقى الخزف في النيل فجرى ولم يقف
بعد ذلك ووقعت الزلزلة بالمدينة فضرب عمر الدرة على الارض فقال اسكني باذن الله تعالى فالقوه في النار فانطفت في الحال ويروى ان رسول ملك
الروم جاء الى عمر وطلب داره وظن ان داره مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك انما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء راى عمر واضعا درته
تحت راسه وهو نائم على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال ان اهل الشرق والغرب يخافون منه وهو على هذه الصفة فسل سيفه ليقتله فاخرج
الله اسدين من الارض فقصداه فخاف فالقى السيف فانتبه عمر واسلم الرجل قال اهل السير لم يتفق لاحد من اول عهد آدم الى الآن ما تيسر له فانه مع غاية البعد
عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات ولا شك ان هذا من اعظم الكرامات واما عثمان فعن انس قال سرت في طريق فوقعت عيني على امرأة ثم دخلت
على عثمان فقال ما لي اراكم تدخلون علي وآثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت اوحي نزل بعد رسول الله صلعم فقال لا ولكن فراسة صادقة وقيل لما طعن بالسيف
فاول قطرة سقطت من دمه سقطت على المصحف على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ويروى ان جهجاه الغفاري انتزع العصا من يده وكسرها على
ركبته فوقعت الاكلة في ركبته واما علي صلوات الله عليه فيروى ان واحدا من اصحابه سرق وكان عبدا اسود فاتي به الى علي عليه السلم فقال اسرقت قال بلى
فقطع يده فانصرف من عند علي عم فلقيه سلمان الفارسي وابن الكوا فقال ابن الكوا من قطع يدك قال امير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول
وزوج البتول فقال قطع يدك وتمدحه فقال ولم لا امدحه وقد قطع بحق وخلصني من النار فسمع سلمان ذلك فاخبر به عليا عم فدعا الاسود ووضع يده على ساعده
وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعنا الرداء فاذا اليد كما كانت باذن الله تعالى واما سائر الصحابة فعن محمد بن



المنكدر انه قال ركبت البحر فانكسرت السفينة التي كنت فيها فركبت لوحا من الواحها فطرحني اللوح في اجمة فيها اسد فخرج الي الاسد فقلت يا ابا الحارث
انا مولى رسول الله صلعم قال فتقدم ودلني على الطريق ثم همهم فظننت انه يودعني ورجع وروى ثابت عن انس ان اسيد بن حضير ورجلا اخر من الانصار خرجا من
عند رسول الله صلعم حين ذهب من الليل قطع وكان ليلا مظلمة وفي يد كل واحد منهما عصا فاضاءت عصا احدهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقا اضاءت
لكل واحد منهما عصاه حتى مشى في ضوئها وبلغ منزله وقيل لخالد بن الوليد ان في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه ليلا فطاف في العسكر فرأى رجلا
على فرس ومعه زق من خمر فقال ما هذا فقال خل فقال خالد اللهم اجعله خلا فذهب الرجل الى اصحابه وقال اتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها
فلما فتحوا اذا هو خل فقالوا والله ما جئتنا الا بخل فقال هذه والله دعوة خالد ومن الوقائع المشهورة ان خالد بن الوليد اكل كفا من السم
على اسم الله وما ضره وعن ابن عمر انه كان في بعض اسفاره فلقي جماعة على طريق خائفين من السبع فطرد السبع عن طريقهم ثم قال انما يسلط على ابن ادم
ما يخافه ولو انه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء وروي ان النبي صلعم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم
الله الاعظم فمشوا على الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات كثيرة ولا سيما في كتاب تذكرة الاولياء ومن ارادها فليطالعها واما المعقول
فهو ان الرب حبيب للعبد والعبد حبيب للرب لقوله يحبهم ويحبونه فاذا بلغ العبد في طاعته مع عجزه الى حيث يفعل كلما امره الله فاي بعد في ان يفعل
الرب مع تمام قدرته وسعة جوده مرة واحدة ما يريده العبد وايضا لو امتنع اظهار الكرامة فذلك اما لاجل ان الله تعالى ليس اهلا له فذلك قدح
في قدرته واما لان المؤمن ليس اهلا له وهو بعيد لان معرفة الله والتوفيق على طاعته اشرف العطايا واجلها واذا لم يبخل الفياض بالاشرف
فلان لا يبخل بما دون اولى ومن هنا قالت الحكماء ان النفس اذا قويت بحسب قوتيها العلمية والعملية تصرفت في اجسام العالم السفلي كما تتصرف
في جسدها قلت وذلك ان النفس نور وكلما تزايد نورانيته واشراقه بالمواظبة على العلم والعمل وفيضان الانوار الالهية عليه حتى ينبسط و
يقوى على اثارة غيره والتصرف فيه والوصول الى مثل هذا المقام هو المعني بقول علي بن ابي طالب صلوات الله عليه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية
ولكن بقوة ربانية حجة المنكرين للكرامات ان ظهور الخوارق دليل على النبوة فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه الدلالة واجيب بالفرق بين المعجزة والكرامة
بان المعجزة مقرون بدعوى النبوة والكرامة مقرونة بدعوى الولاية وايضا النبي يدعي المعجزة ويقطع بها والولي اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها وايضا انه
يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة جميع هذا عند من يجوز للولي دعوى الولاية واما من لا يجوز ذلك من حيث ان النبي مأمور باظهارها
لضرورة الدعوة والولي ليس كذلك بل الاظهار يوجب طلب الاشتهار والفخر المنهي عنه فانه يفرق بينهما بان المعجزة مسبوق بدعوى النبوة والكرامة غير
مسبوقة بشيء من الدعاوى قالوا ثانيا حكاية عن الله سبحانه لن يتقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم لكن المتقرب الى الله باداء الفرائض
لا يحصل له شيء من الكرامات فالمتقرب اليه باداء النوافل اولى بان لا يحصل له ذلك واجيب بان الكلام في المتقرب اليه باداء الفرائض والنوافل
جميعا قالوا ثالثا قوله وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فالقول بطي الارض للاولياء طعن في الاية وطعن في محمد حين لم يصل من
المدينة الى مكة الا في ايام واجيب بان الاية وردت على ما هو المعهود المتعارف وكرامات الاولياء احوال نادرة فيصير كالمستثناة من ذلك العموم وان محمدا
لم يكن قاصرا عن بعض الاولياء ولكنه لم يتفق له ذلك او لعله اتفق له السفر قالوا اذا ادعى الولي على انسان درهما فان لم يطالبه بالبينة كان تاركا لقوله
البينة على المدعي وان طالبه كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه دليل قاطع على انه لا يكذب ومع الدليل القاطع لا يجوز العمل بالظن والجواب مثل ما مر
من ان النادر لا حكم له قالوا لو جاز ظهور الكرامة على بعض الاولياء لجاز على كلهم واذا كثرت الكرامات انقلبت خرق العادة وفاقا لها واجيب بان المطيعين
فيهم قليل والقول له تعالى وقليل من عبادي الشكور والولي فيهم اعز من الكبريت الاحمر واتفاق الكرامة للولي ايضا على سبيل الندرة فكيف [illegible] عليه
معتادا الفرق بين الكرامات والاستدراج هو ان يعطي الله كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وقد يسمى مكرا وكيدا وضلالا واملاء والفرق
ان صاحب الكرامة لا يستأنس بها ولكنه يخاف سوء الخاتمة وصاحب الاستدراج يسكن اليها او يفتخر ويشتغل به وانما كان الاستيناس بالكرامات قاطعا
للطريق لانه ح اعتقد انه يستحق لذلك وان له حقا على الخالق فيعظم شانه في عينه ويفتخر بها الا بالمكر ولا ريب ان الاعجاب مهلك ولهذا وقع ابليس
فيما وقع والعبد الصالح هو الذي يزداد تذللا وتواضعا بين يدي مولاه بازدياد اثار الكرامة لا يستأنس بها ولكنه يخاف سوء الخاتمة والولاية [illegible]
قرأ المقرئ في مجلس الاستاذ ابي علي الدقاق اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة رفع العمل ان لا يبقى منه في نظرك شيء فان بقي فهو غير
مرفوع واختلف في ان الولي هل يعرف كونه وليا قال الاستاذ ابو بكر بن فورك لا يجوز لان ذلك يوجب الامن لان اولياء الله لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون والامن ينافي اعتقاد قهارية الله تعالى ويقتضي زوال العبودية الموجب لسخط الله وكيف يامن الولي وقد وصف الله عباده المخلصين
بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وايضا ان طاعة العباد ومعاصيهم لا تؤثر في محبة الحق وعداوته لانها محدثة متناهية وصفاته قديمة غير متناهية و
المحدث المتناهي لا يغلب القديم غير المتناهي فقد يكون العبد في عين المعصية ونصيبه في الازل هو المحبة وقد يكون في عين الطاعة ونصيبه
المبغضة ولهذا لا يحصل الجزم بكيفية الخاتمة قيل من هنا قال سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولم يقل من عمل حسنة ومن كانت محبته
لا لعلة امتنع ان يصير عدوا لعلة المعصية وبالعكس لمحبة الحق وعداوته من الاسرار التي لا يطلع عليها الا الله ومن اطلعه عليها الله وقال
الاستاذ ابو علي الدقاق وتلميذه ابو القسم القشيري ان للولاية ركنين احدهما انقياد للشريعة في الظاهر والثاني كونه في الباطن مستغرقا في نور

في غير ذلك السفر نسخ

الحقيقة فاذا حصل هذا الامران وعرف الانسان ذلك عرف لا محالة كونه ولياً وعلامته ان يكون كل عمره بطاعة الله واستهتاره بذكر الله فلنقل
لا ريب ان مداخل الاغلاط فيهذا الباب كثيرة ودون الوصول الى عالم الربوبية حجب واستار من نيران وانوار فالجزم بالولاية خطر والقضاء بالمحبة
عسر والله تعالى اعلم قال المفسرون ان اليهود حين قالت لقريش سلوا محمداً عن مسائل ثلث عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسألوه فقال
اجيبكم عنها غداً ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه خمس عشرة ليلة وقيل اربعين يوماً ثم نزل قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً اي لاجل شيء تعزم عليه
اني فاعل ذلك الشيء غداً اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد بعينه وقوله الا ان يشاء الله ان تقوله بان يأذن لك في ذلك الاخبار كان معنى صحيحاً و
لكنه لا يكون موافقاً لسبب النزول فالمعنى الموافق هو ان يكون قوله هذا في موضع الحال اي لا تقولنه الا متلبساً بان يشاء الله يعني قائلاً ان شاء
الله وهذا نهي تأديب لنبيه صلى الله عليه وسلم لان الانسان اذا قال سافعل الفعل الفلاني غداً لم يبعد ان يموت قبل مجيء الغد او يعوقه عن ذلك عائق فلو لم يقل
ان شاء الله صار كاذباً في هذا الوعد والكذب منهي وجوز في الكشاف ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تأبيد كانه قيل ولا تقولنه ابداً قال اهل السنة
في صحة الاستثناء بل في وجوبه دلالة على ان ارادة الله تعالى غالبة وارادة العبد مغلوبة ويؤكده انه اذا قال المديون القادر على اداء الدين غداً ثم
قال ان شاء الله فاذا جاء الغد ولم يقض لم يحنث بالاتفاق وما ذاك الا لان الله ما شاء ذلك الفعل مع انه امره باداء الدين وانما لم يقع الطلاق في
قول الرجل لامرأته انت طالق ان شاء الله لان مشيئة الله غير معلومة فيلزم الدور لتوقف العلم بالمشيئة على العلم بوقوع الطلاق وبالعكس واستدل
القائلون بان المعدوم شيء بقوله ولا تقولن لشيء وذلك ان الشيء الذي سيفعله غداً معلوم مع انه سماه شيئاً في الحال واجيب بانه مجاز
كقوله اعصر خمراً واذكر ربك اي مشيئة ربك اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها وللعلماء في مدة النسيان الى الذكر خلاف فعن ابن عباس الى سنة
وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء لا اثر له في الاحكام ما لم يكن
موصولاً قالوا ان الآيات الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعهد والعقد فاذا اتى بالعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه خالفنا هذا الدليل
فيما اذا كان متصلاً فاذا كان منفصلاً لم يمكن هذا التوجيه فوجب الرجوع الى اصل الدليل وقيل اراد واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء
وفيه حث على الاهتمام بها وقيل اذكره اذا اعتراك النسيان في بعض الامور ليذكرك المنسي او اذكره اذا تركت بعض ما امرك به وليس لهذه الاقوال شدة
ارتباط بما قبله وكذا قول من حمله على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها واختلفوا في المشار اليه بقوله لاقرب من هذا فالظاهر عند صاحب الكشاف
ان المراد اذا نسيت شيئاً فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهدين لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشداً وادنى خيراً ومنفعة
وقيل ان ترك قوله ان شاء الله ليس بحسن وذكره احسن فقوله هذا اشارة الى الترك واقرب منه ذكر هذه الكلمة وقيل انه اشارة الى نبأ اصحاب الكهف
ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشداً من نبائهم وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء
والاخبار بالمغيبات ما هو اعظم وادل عن قتادة ان قوله سبحانه ولبثوا في كهفهم حكاية لاهل الكتاب وقل الله اعلم بما لبثوا رد عليهم ويؤيده
قراءة عبد الله وقالوا لبثوا والجمهور على انه بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً والمراد من قوله قل الله اعلم ان لا تجاوزوا
الحق الذي اخبر الله به ولا يلتفتوا الى ما سواه من اختلاف اهل الاديان نظيره قوله قل ربي اعلم بعدتهم بعد قوله سبعة وثامنهم كلبهم قال النحويون سنين
عطف بيان لثلثمائة لان مميز مائة واخواتها مجرور مفرد وقيل فيه تقديم وتأخير اي لبثوا سنين ثلثمائة ومن قرأ بالاضافة فعلى وضع الجمع موضع الواحد
في التمييز كما في قوله وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطاً اما قوله وازدادوا تسعاً اي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه دون ان يقول ولبثوا ثلثمائة سنة
وتسع بالسنين القمرية وهذا شيء تقريبي وقيل انهم لما استكملوا ثلثمائة سنة قرب امرهم من الانتباه ثم اتفق ما اوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك
تسع سنين ثم اكد قوله الله اعلم بما لبثوا بقوله له غيب السموات والارض اي ليس لغيره ما خفي فيهما من احوالهما واحوال سكانهما وهو مختص بذلك
ثم زاد في المبالغة فجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمبصرات والمسموعات والضمير في قوله ما لهم لاهل السموات والارض وفيه بيان لكمال قدرته وان
الكل تحت قهره وتسخيره وانه لا يتولى امورهم غيره ولا يشرك في حكمه وقضائه قيل اصحاب الكهف احداً منهم ومن قرأ ولا تشرك على النهي فهو معطوف على
مثل القولين والمراد انه لا يسأل احداً عما اخبره الله به من نبأ اصحاب الكهف واقتصر على بيانه وقيل الضمير في ما لهم لاصحاب الكهف اي انه هو الذي حفظهم
في ذلك النوم الطويل وتولى امرهم وقيل ليس للمختلفين في مدة لبثهم من دون الله من يتولى امورهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من دون اعلامه وقيل
فيه نوع تهديد لانهم لما ذكروا فيهذا الباب اقوالاً على خلاف قول الله فقد استوجبوا العقاب من الله تعالى انه ليس له من دونه ولي يمنع العقاب عنهم
واعلم ان الناس اختلفوا في زمان لبث اصحاب الكهف في مكانهم فقيل كانوا قبل موسى وانه ذكرهم في التورية فلهذا سالت اليهود عنهم وقيل دخلوا
الكهف قبل المسيح واخبر هو بخبرهم ثم لبثوا في الوقت الذي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وحكى القفال عن محمد بن اسحق انهم دخلوا الكهف بعد عيسى وقيل
انهم لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيمة وذكر ابو علي بن سينا في باب الزمان من كتاب الشفا ان ارسطاطاليس الحكيم زعم انه عرض لقوم من المتألهين
حالة شبيهة بحالة اصحاب الكهف ثم قال ابو علي ويدل التاريخ على انهم كانوا قبل اصحاب الكهف واما المكان فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمي
المنجم ان الواثق انفذه الى ملك الروم ليعرف احوال اصحاب الكهف فوجهه مع طائفة الى ذلك الموضع قال وان الرجل الموكل بذلك المقام فزعني من الدخول
عليهم فدخلت فرايت الشعور على صدورهم فعرفت انه تمويه واحتيال وان الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث بالادوية المجففة الحافظة لابدان الموتى



عن البلى كالصبر وغيره قلت حين لم يبلغ الخوارزمي رعبا من الاطلاع عليهم حصل القطع بانهم ليسوا اصحاب الكهف والرقيم ولو صح ما حكينا عن معوية حين غزا الروم حصل ظن غالب بانهم منهم والله تعالى اعلم **التأويل** الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب والعبد الحقيقي من يكون حرا عن الكونين وهو محمد صلى الله عليه وسلم اذ يقول امتى امتى يوم يقول كل نبي نفسي نفسي ولانه هو الذي صح نسبته العبودية كما ينبغي اطلق عليه اسم العبد مطلقا وقيد لسائر الانبياء كما قال عبده زكريا واذكر عبدنا داود ولانه كان خلقه القرآن قيل ولم يجعل له اى لقلبه عوجا لا يستقيم فيه القرآن ومن استقامة قلبه نال ليلة المعراج رتبة فاوحى الى عبده ما اوحى بلا واسطة جبرئيل ونال قلبه الاستقامة بامر التكوين بقوله فاستقم كما امرت اجرا حسنا هو التمتع من حسن الله وجماله فلعلك باخع نفسك كان من عادته عليه الصلاة والسلام ان يبالغ في المأمور به حتى ينهى عنه بالغ في الدعوة والشفقة على امته حتى قيل له لا تبخع نفسك وبالغ في الانفاق الى ان اعطى قميصه فقعد عريانا فنهى عنه بقوله ولا تبسطها كل البسط انا جعلنا ما على الارض زينة لها اى زينا الدنيا وشهواتها للخلق ملائما لطباعهم وجعلناها محل ابتلاء للمحب والسائل لنبلوهم ايهم احسن عملا في تركها ومخالفة هوى نفسه طلبا لله ومرضاته ثم اخبر عن سعادة السادة الذين اعرضوا عن الدنيا واقبلوا على المولى بقوله ام حسبت ومعناه لا تعجب من حالهم فان في امتك من هو اعجب حالا منهم نفيهم اصحاب الخلوات الذين كهفهم بيت الخلوة ورقيمهم قلوبهم المرقومة برقم المحبة فانهم اووا الى الكهف خوفا من دقيانوس وفرارا منه وهؤلاء اووا الى الخلوة شوقا الى لقائه وفرارا اليه وانهم طلبوا النجاة من شره والخروج من الغار بالسلامة بقولهم ربنا آتنا الآية وهؤلاء طلبوا الخلاص من شر نفوسهم والخروج من ظلمات الغار المجازي للوصول الى نور الوجود الحقيقي فضربنا على آذان باطنهم وحواسهم الاخرى في مدة الخلوة لمحو النقوش الفاسدة عن الواح نفوسهم وانتقاشها بالعلوم الدينية والانوار الالهية ليفنيهم الله عنهم ويبقيهم به وهو سر قوله ثم بعثناهم اى احييناهم بنا لنعلم اى الحزبين اصحاب الخلوة ام اصحاب السلوة احصى لما لبثوا اكثر فائدة وانتم عائدة لاجل لبثهم في الدنيا التي هي مزرعة الآخرة وزدناهم هدى فانهم كانوا يهتدون بالايمان الغيبي فلما انمناهم ثم بعثناهم حتى صار الايمان ايقانا والغيب عيانا اتخذوا وامزدوا نزلهم من الدنيا والهوى وترى الشمس اذا طلعت قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هذا اخبار عن اصناف الطائفة باصحابهم وفيه اشارة الى ان نور ولايتهم يغلب نور الشمس بردة عن الكهف كما يغلب نور المؤمن نار جهنم لقوله عليه السلام ان المؤمن اذا ورد النار يستغيثنا النار وتقول جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وهم في فجوة منه في متسع وفراغ من تلك النور يدفع عنهم كل ضر ويراعيهم عن بلى اجسادهم وثيابهم قلت يحتمل ان يراد بالشمس الروح او المعرفة والولاية اذا طلعت من افق الهداية واشرقت في سماء الواردات وهو حالة السكر وغلبات الوجد لا يصرف في حال خلوتهم الى امر يتعلق بالعقبى وهو جانب اليمين واذا غربت اى سكنت تلك الغلبات وظهرت حالة الصحو لا يلتفت بهم ارواحهم الى امر يتعلق بالدنيا وهو جانب الشمال بل تنحرف عن الجهتين الى المولى وهم في حال رفاغ وفراغ مما يشغلهم عن الله وتحسبهم ايقاظا متصرفين في امور الدنيا وهم رقود عنها لانهم يتصرفون فيها لاجل الحق لا لحظ النفس او تحسبهم ايقاظا مشغولين بامور الآخرة لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وهم رقود متصرفون في امور الدنيا لان الناس بهم يرزقون ويمطرون وفي قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال اشارة الى انهم في التسليم لمقلب القلوب في الاحوال كلها كالميت بين يدي الغسال وقيل في الآية دلالة على ان المريد الذي يربيه الله بلا واسطة المشايخ تكامل مرة في ثلثمائة وتسع سنين والذي يربيه بواسطتهم تم امره في اربعينات معدودة ولهذا يكون ثمرة البساتين الدهرية ثمرة الجبال في قوله وكلبهم باسط اشارة ان كلب نفوسهم نائمة معطلة عن الاعمال بـ[illegible] القلوب والارواح معنى ان هذا النوع من التربية من قبيل القدرة الالهية التي اختصهم بها ويمكن ان يراد ان نفوسهم صارت بحيث تطيعهم في جميع الاحوال ولو رأيتهم عما بصرتم ولملئت منهم رعبا بما شاهدت عليهم من آثار الانوار التي رأيتم والجلالة الهيبة والعظمة التي البسناهم لبثنا يوما او بعض يوم لان ايام الوصال قصيرة فلما رأوا انهم في دهشة الوصال وحيرة الاحوال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم لانه كان حاضرا معكم وانتم غيب عنكم فابعثوا احدكم فيه ان انهم ما احتاجوا مدة ثلثمائة وتسع سنين بما نالوا من غذاء الروح كقوله عليه السلام ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فلما رجعوا من عند الله الحق الى عبدية انفسهم احتاجوا الى الغذاء الجسماني ازكى طعاما لما رجعوا الى العالم الجسماني تعللوا من جمال الله بمشاهدة كل جميل وتوسلوا الى تلك الملاطفات بلطافة الاغذية الجسمانية وزكائها ولا يشعرن بكم احدا فيه ان ارباب المعرفة والمحبة يجب ان يحترزوا عن شعور اهل الغفلة والسلوة ليعلموا ان وعد الله حق باحياء القلوب الميتة حتى قدره الامر فيما اظهر وابدى او اسر واخفى سيقولون ان القوى والاركان الاصلية للانسان ثلثة الحيوانية والطبيعية والنفسانية التي منشاهن القلب والكبد والدماغ رابعهم كلبهم هو النفس الناطقة ويقولون خمسة هو الحواس الظاهرة سادسهم النفس ويقولون سبعة هو الحواس الظاهرة مع الوهم المدرك للمعاني والخيال المدرك للصور وثامنهم كلبهم هو النفس المدركة للكليات قل ربي اعلم بعدتهم لان القوى الباطنة والظاهرة وافعالها وغاياتها لا يعلمها الا الله سبحانه ومن اطلعه الله عليه وذلك قوله ما يعلمهم الا قليل والله اعلم بالصواب

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ

وبخوان آنچه وحی کرده شد بسوی تو از قرآن خدای تو نیست تغییر دهنده سخنان او را و نخواهی یافت بجز او پناهی وشکیبا کن تن خود را با آنکه

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

میخوانند پروردگار خود را بامداد و شبانگاه میخواهند خوشنودی او را و درنگذرد چشمهای تو از ایشان میخواهی آرایش زندگانی دنیا



ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هويه وكان امره فرطا ۝ وقل الحق من ربكم فمن شاء

فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا

يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ۝ ان الذين امنوا وعملوا

الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ۝ اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار

يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها

على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا ۝ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما

جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا ۝ كلتا الجنتين اتت اكلها

ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا ۝ وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر

منك مالا واعز نفرا ۝ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا

وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا ۝ قال له صاحبه وهو

يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا ۝ لكنا هو الله ربي ولا اشرك

بربي احدا ۝ ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك

مالا وولدا ۝ فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح

صعيدا زلقا ۝ او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ۝ واحيط بثمره فاصبح يقلب

كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا ۝ ولم

تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ۝ هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا و

خير عقبا ۝ واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض

فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا ۝ المال والبنون زينة الحيوة

الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ۝ القراءة ولم نجزناها بتخفيف سهل ويعقوب

وسهل ويعقوب وابو عامر بضم الثاء واسكان الميم الباقون بضم الثاء والميم جميعا منها على الوصل ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي



وخلف الآخرون على التثنية لكن بالتشديد من غير ألف في الحالين قتيبة وابن عامر وابن فليح ويعقوب بالألف في الوصل بغيرها الثابت لا ألف وأنفقوا
على الألف في الوقف يوقف أصلها مفتوحة الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وأثرن بفتح الياء السرايدي عن قنبل عمرو بضم الثمين وكلتي المملك
البرجمي ليا أنون بفتحها ولم يكن له ينتئ العينية الولاية بكسر الواو حمزة وعلي وخلف الآخرون بتاء التأنيث وفتح الواو لله الحق بالرفع أبو عمرو وعلي حرون
بالجر عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وخلف الباقون بضمها الريح على التوحيد حمزة وعلي وخلف **الوقوف** من كتاب ربك لا لاختلاف الجملتين مع اتحاد
عنهم لان ما بعده يصلح حالا الاول فيها محذوف الا لغافل لاتصال العتاب فرطا ه فليكفر لا لان الام للتهديد بدليل انا اعتدنا فلو فصل صار
مطلقا نارا ط لان ما بعده صفة سرادقها ط الوجوه ط المرتفق ه مرتفقا ه عملا ه لاحتمال كون اولئك مع ما بعده خبر ان الذين وقوله انا لا نضيع جملة
معترضة الارائك ط الثواب ط مرتفقا ه زرعا ه لا شيئا للعطف نهرا ه ثمر للعدول مع الفاء نفرا ه لنفسه لاتحاد العامل بلا عطف ابدا ه قائمة لا لان
ما بعده شك من قول الكافر في البعث منقلبا ه رجلا ط لتمام الاستفهام احدا ه ما شاء الله لا لتمام المقول لا قوة الا بالله لابتداء الشرط الجزاء وجوابه مع
اتحاد القائل والمقول له وولدا ه لاحتمال كون ما بعده جوابا للشرط لقا ه طلبا ه احدا ه منتصرا ط وقيل يوقف على هنالك والاوجه ان يبتدأ هنالك
اي عند ذلك يظهر لكل سلطان الله ونفاذ امره الحق ط على القراءتين عقبا ه الرياح ط مقتدرا ه زينة الحيوة الدنيا ه فصلا بين المعجل الفاني والمؤجل
الباقي مع اتفاق الجملتين املا ه **التفسير** لما اجاب عن سؤالهم بما اجاب امر نبيه ﷺ ان يواظب على تلاوة الكتاب الموحى اليه وعلى الصبر مع الفقراء الذين امنوا
بما انزل عليه واحتمل ان يكون اتل امرا من التلو لا من التلاوة اي اتبع ما اوحي اليك والزم العمل بمقتضاه وقوله من كتاب ربك بيان للذي اوحي اليه ثم بين
اللزوم فقال لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده فليس لك ولا لغيرك الا المواظبة على العلم والعمل به يؤكده قوله
ولن تجد من دونه ملتحدا اي ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك فرضا واصل اللحد الميل كما مر في قوله يلحدون في اسمائه نهى رسوله ﷺ في سورة الانعام عن
طرد فقراء المؤمنين بقوله ولا تطرد الذين الاية ولعله في هذه السورة بحبس النفس معهم وبعد اقتراحهم لهم بقوله ولا تعد عيناك قال جار الله انما لم يقل ولا
تعدهم عيناك من عداه اذا جاوزه لانه ضمن عدا معنى نبا وعلا من جهة تحصيل المعنيين جميعا كانه قيل ولا تقتحمهم عيناك متجاوزتين الى غيرهم ثم
نهاه عن الالتفات الى الاغنياء الكفرة الذين التمسوا منه طرد الفقراء حتى يؤمنوا به فقال ولا تطع من اغفلنا قلبه قال اهل السنة معنى الاغفال ايجاد
الغفلة وخلقها فيهم او من اغفلها اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان ويؤيد هذا المعنى ان الغفلة عن
الذكر لو كانت بايجاد العبد والقصد الى ايجاد الغفلة عن الشيء لا يتصور الا مع الشعور بذلك لزم اجتماع الضدين وقالت المعتزلة معنى اغفلناه وجدناه
غافلا او الخذلان والتخلية بينه وبين الاسباب المؤدية الى الغفلة يؤيده قوله واتبع هواه بالواو دون الفاء اذ لو كان اتباع الهوى من نتيجة خلق الغفلة
في القلب لقيل فاتبع بالفاء ويمكن ان يجاب بانه لا يلزم من كون الشيء في نفس الامر نتيجة للشيء ان يعتبر كونه نتيجة له والفاء من لوازم الثاني دون الاول على
ان الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهواء غير كلية فقد يكون الانسان غافلا عن ذكر الله ومع ذلك لا يتبع هواه بل يبقى متوقفا
متحيرا وكان امره فرطا اي متجاوزا عن حد الاعتدال من قولهم فرس فرط اذا كان متقدما للخيل ويلزم منه ان يكون نابذا للحق وراء ظهره وانت اذا تأملت
وجدت حال الاغنياء المتجبرين بخلاف الفقراء المؤمنين لان هؤلاء الفقراء يدعون ربهم بالغداة والعشي ابتغاء وجه الله وطلبا لمرضاته فاقبلوا على
الحق وشغلوا عن الخلق والاغنياء قد اعرضوا عن المولى واقبلوا على الدنيا فوقعوا في ظلمة الهوى وبقوا في تيه الجهل والعمى وانما لم يجز طرد الفقراء لاجل ايمان الاغنياء لان
من ترك الايمان حذرا من مجالسة الفقراء كان ايمانه فوجب ان لا يلتفت اليه ثم بين ان الحق ما هو ومن اين هو فقال وقل الحق من ربكم اي الدين الحق
ووجد من عند الله ويحتمل ان يراد بالحق الصبر مع الفقراء وقال في الكشاف الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختيار
الايمان او الكفر وفيه دليل على ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها مفوضة الى مشية العبد واختياره وحمله الاشاعرة على امر التهديد بدليل قوله انا
الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد اليه ثم ذلك القصد لا بد ان يقع بالاختيار والقصد فينقل الكلام اليه ولا يتسلسل فلا بد ان ينتهي الى
قصد واختيار يخلقه الله فيه فالانسان مضطر في صورة مختار في صورة هذا التخيير لا لنفع اليه سبحانه لا ينتفع بايمان المؤمنين ولا يتضرر بكفر الكافرين
ثم بين وعيد الظالمين الذين وضعوا الكفر موضع الايمان وتحقير المؤمنين لاجل فقرهم مكان تعظيمهم لاجل ايمانهم فقال انا اعتدنا اي اعددنا وهيأنا
للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط فاستعير للنار شبهها بذلك يحيط بهم من جميع الجهات والمراد انه لا مخلص لهم منها
ولا فرج وقيل هو حائط من نار يحيط بهم يطيف بهم وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وهو المراد بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب وقوله تعالى
بماء وارد على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف والمهل كل ما اذيب من المعدنيات كالذهب والفضة والنحاس قاله ابو عبيدة والاخفش وقيل في حديث
مرفوع انه دردي الزيت وقيل الصديد والقيح وضرب من القطران وهذه الاستغاثة اما لطلب الشراب كقوله تسقى من عين انية واما لدفع الحر
لاجل التبريد كقوله حكاية عنهم افيضوا علينا من الماء ويروى انهم اذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذي يعم كل ابدانهم كالقميص وقد
يفسر بهذا قوله سرابيلهم من قطران عن النبي ﷺ هو يعني المهل كعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة وجهه وهذا معنى قوله يشوي الوجوه بئس الشراب
ذلك لان المقصود من الشراب تسكين الحرارة وهذا يحرقها ويشويها وساءت اي النار مرتفقا متكأ لاهلها ومنه المرفق لانه يتكأ عليه قال جار الله
هذه المشاكلة لقوله في اهل الجنة وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار الا ان يكون معنى يتفق انه نصب مرفقه تحت خده كعادة المغتمين

الاغنياء لان حصل الايمان لهم



وقال قائلون ان الشياطين رفقاء اهل النار من الانس والمعنى ساءت النار مجمعا لاولئك الرفقاء ثم شرع في وعد المؤمنين فقال ان الذين آمنوا الآية
فان جعلت انا لا نضيع اعتراضا فظاهر وان جعلته خبرا واولئك خبرا آخر وكلاهما مستأنفا للاجر المبهم فمعنى العموم في من احسن يقوم مقام الرابط المحذوف
والتقدير من احسن عملا منهم وتفسير جنات عدن قد مر في سورتي التوبة والرعد ولاهل الجنة لباسان لباس التحلي ولباس التستر ولم يسم فاعل يحلون
للتعظيم وهو الله جل وعلا او الملائكة باذنه ومن في من اساور للابتداء وفي من ذهب للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن واساور
اهل الجنة بعضها ذهب لهذه الآية وبعضها فضة لقوله وحلوا اساور من فضة وبعضها لؤلؤ كقوله في الحج ولؤلؤا وجمع في لباس الستر بين السندس
وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين والاستبرق عند بعضهم معرب استبره وقيل انما لم يسم فاعل يحلون اشارة
الى ان الحلي بفضل الله تفضل به عليهم كرما وجودا ونسب اللبس اليهم تنبيها على انهم استوجبوه بعملهم ثم وصفهم بهيئة المتنعمين والملوك من الاتكاء على الاسرة
والارائك جمع اريكة ثم ان الكفار كانوا يفتخرون بجدهم وحشمهم واموالهم واصناف تمتعاتهم على فقراء المؤمنين فضرب الله مثلا للطائفتين
تنبيها على ان متاع الدنيا لا يوجب الافتخار لاحتمال ان يصير الغني فقيرا والفقير غنيا انما الفخر بالاعمال الصالحات والمراد مثل حال الكافرين
والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين من بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات
في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا
بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج
اخوه امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق
به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة
قبل رسول الله صلعم وكافر هو الاسود بن عبد الاشد اما قوله وحففناهما بنخل فقال صاحب الكشاف انه يتعدى الى المفعول الثاني بالباء ومعناه جعلنا
النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار ولا سيما المثمرة منها وخاصة النخيل اذا امكن وجعلنا بينهما زرعا
فهما جامعتان للاقوات والفواكه وقيل انهما تأتي في كل وقت بمنفعة اخرى متواصلة متشابكة وكل منهما منعوتة بوفاء الثمار وتمام الاكل وانث محمولا على
لفظ كلتا لان لفظه مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز والظلم اصله النقصان وهو المراد ههنا وفجرنا من قرأ بالتخفيف فظاهر لانه نهر واحد ومن قرأ
بالتشديد فللمبالغة لان النهر ممتد في وسطهما فهو كالانهار وكان له ثمر قال الكسائي الثمرة اسم الواحد والثمر جمع وجمعه ثمار ثم ثمر ككتاب وكتب بالحركة
او بالسكون وذكر اهل اللغة ان الثمر بالضم انواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما والثمر بالفتح حمل الشجرة وقال قطرب كان ابو عمرو بن العلاء
يقول الثمر المال والولد اي كان يملك مع الجنتين اشياء من النقود وغيرها وكان متمكنا من عمارة الارض وسائر التمتعات كيف شاء والمحاورة مراجعة
الكلام من حار اذا رجع والنفر الانصار والحشم الذين يقومون بالذب عنه وقيل الاولاد الذكور لانهم ينفرون معه دون الاناث ثم ان الكافر كأنه اخذ
بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه وذلك قوله سبحانه ودخل جنته قال جار الله معنى افراد الجنة بعد
التثنية انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما قلت لا يبعد ان يكون قد
دخل مع اخيه جنة واحدة منهما او جعل مجموع الجنتين في حكم جنة واحدة منهما او جعل مجموع يؤيده توحيد الضمير على اكثر القراآت في قوله لاجدن خيرا
منها وانما وصفه بقوله وهو ظالم لنفسه لانه لما اغتر بتلك النعم ولم يجعلها وسيلة الى الايمان بالله والاعتراف بالبعث وسائر مقدورات الله
كان واضعا للنعم في غير موضعها على ان نعمة الجنة بخصوصها مما يجب ان يستدل بها على احوال النشور كقوله عز من قائل وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى عكس الكافر القضية من زعم دوام جنته التي هي بصدد الزوال فقال ما اظن ان تبيد اي تهلك هذه الجنة
ابدا وذلك لطول امله واستيلاء الحرص عليه واغتراره بالمهلة حتى انكر المحسوس وادعى غلبة الظن بامتناع النشور مع قيام الدلائل العقلية والحسية
على امكانه ووجود الدلائل الشرعية على وجوبه قائلا وما اظن الساعة قائمة ثم اقسم على انه ان رد الى ربه فرضا وتقديرا او كما يزعم صاحبه ان له ربا وانه سيرد
اليه وجد خيرا من جنته في الدنيا كأنه قاس الغائب على الشاهد وادعى ان النعم الدنيوية لن يكون استدراجا اصلا وانما يكون استحقاقا وكرامة
ومنقلبا نصب على التمييز اي مرجع تلك وعاقبتها لكونها باقية خير من هذه لكونها فانية حسا او في اعتقاده قال بعض العلماء الرد
يتضمن كراهة المردود اليه فلهذا قال ولئن رددت اي عن جنتي هذه التي اظن ان لا تبيد هذه ابدا الى ربي ولما لم يسبق مثل هذا المعنى في حم
قال هناك ولئن رجعت الى ربي قوله اكفرت ذلك زعم الجمهور ان اخاه انما حكم بكفره لانه انكر البعث واقول يحتمل ان يكون كافرا بالله ايضا بل مشركا
لقوله بعد ذلك بالتمني يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولقول اخيه معرضا به لكنا هو الله ربي وليس في قوله ولئن رددت الى ربي دلالة على انه كان عارفا بربه لاحتمال
ان يكون قد قال ذلك بزعم صاحبه كما اشرنا اليه وقوله خلقك من تراب اي خلق اصلك وهو اشارة الى المادة البعيدة وقوله من نطفة اشارة
الى المادة القريبة ومعنى سواك رجلا عدلك وكملك حال كونك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال المكلفين ويجوز ان يكون رجلا تمييزا و
لعل السر في تخصيص الله سبحانه فيها تا المقام بهذا الوصف هو ان يكون دليلا على وجود الصانع اولا لان الامتنان لا على هذا المطلوب
بحال الانسان اقرب للامتنان لا لان وفيه ايضا اشارة الى امكان البعث لان الذي قدر على الاعادة وفيه انه خلقه فقيرا لا غنيا فلم انه خلقه

للعبودية والاقرار للفقر والانكار ثم استدرك بقوله اكفرت كانه قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد واصل لكنا لكن انا حذفت
الهمزة بعد القاء حركتها على ما قبلها ثم استثقل اجتماع النونين فسكنت الاولى وادغمت في الثانية وضمير الغائب للشان والجملة بعده خبر
للشان والمجموع خبر انا والراجع ياء الضمير وتقدير الكلام لكن انا الشان الله ربي قال اهل العربية اثبات الف انا في الوصل ضعيف لكن قراءة
ابن عامر قوية بناء على ان الالف كالعوض عن حذف الهمزة ولولا للتحضيض وتعلقه بقلت واذ دخلت ظرف وقع في البين توسعا وقوله ما شاء الله
خبر مبتدأ محذوف وجملة شرطية محذوفة الجزاء تقدير الكلام الامر ما شاء الله واي شيء شاء الله كان استدل اهل السنة بالآية في انه لا يدخل
في الوجود شيء الا بامر الله ومشيته واجاب الكعبي بان المراد ما شاء الله مما تولى فعله لا ما هو من فعل العباد والجواب ان هذا مما يخرج الكلام
عن الفائدة فانه كقول القائل السماء فوقنا واجاب القفال بانه اراد ما شاء الله من عمارة هذا البستان ويؤيده قوله لا قوة الا بالله اي ما قويت
على عمارته وتدبير امره فهو بمعونة الله وزيف بانه تخصيص للظاهر من غير دليل على ان عمارة ذلك البستان لعلها حصلت بالظلم والعدوان فالتحقيق
انه لا قوة لاحد على امر من الامور الا باعانة الله وافاده عن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من يشاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية
حتى يخرج ثم لما علمه الايمان وتفويض الامر الى مشيئة الله اجاب عن افتخاره بالمال والنفر فقال ان ترن انا اقل فانا فصل واقل مفعول ثان وما لا وولدا
نصب على التمييز فعسى ربي ان يؤتيني في الدنيا او في الآخرة جنة خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر كالغفران بمعنى الحساب اي مقدارا قدره
في حساب الله وهو الحكم بتخريبها وعن الزجاج عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداك وقيل هو جمع حسبانة وهو السهم القصير يعني الصواعق فتصبح
صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها وزلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر كقولهم فلان زور وصوم ثم اخبر سبحانه عن تحقيق ما قدر
المؤمن فقال واحيط بثمره وهو عبارة عن اهلاكه وافنائه بالكلية من احاطة العدو بالشخص كقوله الا ان يحاط بكم فاصبح يقلب كفيه اي يندم على
ما انفق فيها لان النادم يفعل كذلك غالبا كما قد يعض انامله وهي خاوية على عروشها اي سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم
ويقول في نفسه غيرة وقوله يا ليتني لم اشرك تذكر لموعظة اخيه وتنبه لا لتظاهره على ما قلنا من انه كان غير عارف بالله بل كان عابدا صنم
ومن ذهب الى انه جعل كافرا لانكاره البعث فسره بان الكافر لما اغتر بكثرة الاموال والاولاد فكانه اثبت لله شريكا في اعطاء العز والغنى او انه لما
عجز الله عن البعث فقد جعله مساويا للخلق في هذا الباب وهو نوع من الاشراك وليس هذا الكلام منه ندما على الشرك ورغبة في التوحيد المحض و
لكنه رغبة في الايمان رغبة في جنته وطمعا في دوام ذلك عليه فلهذا لم يصر ندمه مقبولا ووصفه بعد ذلك بقوله ولم تكن له فئة من
دون الله لانه وحده قادر على نصرة العباد وما كان منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقام الله ولما علم من قصة الرجلين ان النصرة والعاقبة المحمودة
كانت للمؤمن على الكافر علم ان الامر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقيل هنالك اي في مثل ذلك الوقت والمقام الولاية الحق لله او الولاية لله
الحق والولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمراد في مثل تلك الحالة الشديدة يتوب الى الله ويلتجئ اليه كل مضطر يعني ان
قول الكافر يا ليتني انما صدر عنه الجاء واضطرارا وجزعا ومما دهاه من شوم كفره ولولا ذلك لم يقلها وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله لمن
الملك اليوم لله وعقبا بضم القاف وسكونها بمعنى العاقبة لان من عمل لوجه الله لم يخب قط ثم ضرب مثلا آخر لجبابرة قريش فقال واضرب لهم الآية
وقد مر مثله في اول يونس انما مثل الحيوة الدنيا كماء ومعنى فاختلط به النبات بسببه وقيل معناه روي النبات ورق فاختلط بالماء وذلك لان
الاختلاط يكون من الجانبين والهشيم ما هشم وحطم والذر النظير والاذهاب يقال ذرت الريح التراب غيره تذروه وتذريه ذروا وذريا وكان
الله على كل شيء مقتدرا لمن تكوينه اولا وتنميته وسطا واذهابه آخرا ولا ريب ان احوال الدنيا ايضا كذلك تظهر اولا في غاية الحسن والنضارة ثم
تتزايد الى ان تتكامل ثم تنتهي الى الزوال والفناء ومثل هذا ليس للعاقل ان يبتهج به وحين مهد القاعدة الكلية خصصها بصورة جزئية
فقال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات هي اعمال الخير التي تبقى ثمرتها خير عند ربك ثوابا اي يتعلق ثواب خير املا
لان الجواد المطلق افضل مسؤل واكرم مأمول وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ففي التسبيح تنزيه
عن كل ما لا ينبغي وفي الحمد اقرار له بكونه مبدأ لافادة كل ما ينبغي وفي التهليل اعتراف بانه لا شيء في الامكان متصفا بالوصفين الا هو وفي
التكبير اذعان لغاية عظمته وانه اجل من ان يعظم وقيل الطيب من القول والاصح كل عمل اريد به وجه الله وحده قاله قتادة **التأويل**
واتل على نفسك ما اوحي اليك من كتاب ربك في الازل لا مبدل لكلماته الى الابد مع الذين يدعون ربهم وهم القلب والسر والروح والخفي غداة
الازل الى عشي الابد فانهم مجبولون على طاعة الله كما ان النفس جبلت على طاعة الهوى وطلب الدنيا ولا تعد عيناك **همتك عنهم** فانك ان لم تراقب
احوالهم تصرف فيهم النفس الامارة ولا تطع من اغفلنا يعني النفس نارا هي نار القهر والغضب احاط بهم سرادقها يعني سرادق العزة بماء كالمهل
كلما هو من اهل اللطف سببا لسهولة العيش وفراغ البال فانه سبحانه جعل لاهل القهر سببا لصعوبة الامر وشدة التعلق حتى شوي الوجوه اي
حرقت مواد التفاتهم الى عالم الارواح وسدت استعداداتهم فبقوا في اسفلها قلب الطبيعة يحلون فيها من اساور والتحلية بالاساور اشارة الى
ظهور آثار الملكات عليهم وقوله من ذهب رمز الى انها ملكات مستحسنة معتقد لنزاهته ويلبسون ثيابا فيه انوار العبادات تلوح عليهم وتشمل
بهم ووصف خضرا اشارة الى انها انوار غير قادحة ومن سندس اشارة الى ما لطف من الرياضات واستبرق الى ما شق منها متكئين فيها على

التقدير صح

ينصرونه صح



لذرات لانهم فرعوالها وكلفوا وقضوا ما عليهم من المجاهدات وبقي ما لهم من المشاهدات مثلا رجلين هما النفس الكافرة والقلب المؤمن جعلنا لاحدهما وهو النفس جنتين هما الهوى والدنيا من عناب الشهوات وحففناهما بنخل حب الرياسة وجعلنا بينهما زرعا من التمتعات البهيمية وفجرنا خلالهما نهرا من القوى البشرية والحواس وكان له ثمر من انواع الشهوات وهو يحاوره يجاذب النفس القلب انا اكثر منك مالا اي ميلا واعز نفرا من وثنا المدخوبات وهو ظالم لنفسه في الاستمتاع بجنة الدنيا على وفق الهوى لاجد نخيرا منها لانه غير بالله وكرمه فلا جرم يقوله ما غرك بربك الكريم هلا قلت ما شاء الله اي تصرف في جنة الدنيا كما شاء الله على ما انفق فيها من العمر وحسن الاستعداد كماء انزلناه هو الروح العلوي الذي نزل الى الجسد فاختلط الروح بالاخلاق الذميمة فصبح هشيما تذروه الاخلاق الروحانية تذروه رياح الاهوية المختلفة فيكون نحالفا لرخلاف روح ادركته العناية الازلية فبعث اليه هفان من اهل الكمال فرباه بما العلم والعمل حتى صير شجرة طيبة والباقيات الصالحات اي ما فني منك وبقي بك والله اعلم بالصواب

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۝ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ۝ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝

القراءة تسير الجبال على بناء الفعل للمفعول ورفع الجبال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو والآخرون على بناء الفعل للفاعل ونصب الجبال ما اشهدناهم يزيد الآخرون ما اشهدتهم



وما كنت على الخطاب روى ابن وردان عن يزيد الباقون على التكلم ويوم تقول بالنون حمزة الباقون على الغيبة لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام حفص لمهلكهم بفتحهما يحيى وحماد والمفضل الباقون بضم الميم وفتح اللام الوقوف بارزة لا لان التقدير وقد حشرناهم قبل ذلك احدا للاية مع العطف صفا ط للعدول الى الخطاب اى يقال لهم لقد جئتمونا اول مرة لان بل قد يبتدأ به مع ان الكلام متحد موعدا احصيها لا للاستيناف او الواو لعدم تمام الاستفهام مع احتمال الحال باضمار قد حاضرا ط احدا الا ابليس ط امر ربه ط عدو ط بدلا ه انفسهم ص عضدا ه موبقا ه مصرفا ه مثل ط جدلا ه قبلا ه ومنذرين ه لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف هزوا ه يداه ط وقرا ط ابدا ه الرحمة ط العذاب ط موئلا ه موعدا ه التفسير لما بين خساسة الدنيا وشرف الآخرة اردفه باحوال يوم القيمة واهوالها وفيه رد على اغنياء المشركين الذين افتخروا بكثرة الاموال والاولاد على فقراء المسلمين والتقدير واذكر يوم كذا عطفا على واضرب ويجوز ان ينتصب بالقول المضمر قبل ولقد جئتمونا وفاعل التسيير هو الله تعالى الا انه سمي على احدى القراءتين ولم يسم في الاخرى فتسييرها اما الى العدم لقوله ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا واما على موضع لا يعلمه الا الله وترى الارض بارزة لانه لا يبقى على وجهها شيء يسترها من العمارات ولا من الجبال والاشجار واما لانها برزت ما في بطنها من الاموات لقوله والقت ما فيها وتخلت فيكون الاسناد مجازيا اى بارزا ما في جوفها وحشرناهم الضمير للخلائق المعلوم حكما فلم نغادر منهم احدا من الاولين والآخرين يقال غادره واغدره اذا تركه والترك غير لائق ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل لان اللائق بحال السيل ان يذهب بالماء كله ولا يخفى ان اللائق بحال رب العزة ان لا يترك احدا من خلقه غير محشور والا كان قدحا في علمه وحكمته وقد تمسك المشبهة بقوله وعرضوا على ربك على انه سبحانه في مكان يمكن ان يعرض عليه اهل القيمة وكذا في قوله لقد جئتمونا واجيب بانه تعالى شبه وقوفهم في الموضع الذي يسئلهم فيه عن اعمالهم بالعرض عليه وما لمجيء الى حكمه كما يعرض الجند على السلطان وانتصب صفا على الحال اى مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا والصف اما واحد واما جمع كقوله يخرجكم طفلا اى اطفالا وقيل صفا اى قياما لقوله فاذكروا اسم الله عليها صواف وقال القفال يشبه ان يكون الصف راجعا الى الظهور والبروز ومنه الصفصف للصحراء وهذا قريب من الاول وقد مر في الانعام ان وجه التشبيه في قوله خلقناكم انهم يبعثون عراة لا شيء معهم او المراد بعثناكم كما انشأناكم وزعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اى وقتا لانجاز ما وعدوا على السنة الانبياء اما ان يكون صريحة واما لان اعمالهم تشبه فعل من يزعم ذلك ووضع الكتاب اى جنسه وهو صحف الاعمال والوضع اما حسي وهو ان يوضع كتاب كل انسان في يده اما في اليمين او في الشمال واما عقلي ومعناه النشر والاعتبار فترى المجرمين مشفقين خائفين مما في الكتاب لان الخائن خائف خوف العقاب وخوف الافتضاح ومعنى النداء في يا ويلتنا قد مر في المائدة في قوله يا ويلتى أعجزت وقوله صغيرة ولا كبيرة صفتان للهنيئة او المعصية او الفعلة وهي عبارة عن الاحاطة وضبط كل ما صدر عنهم لان الاشياء اما صغار واما كبار فاذا احصى الصنفين فقد حصر الكل وعن الفضيل ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر قلت وذلك ان تلك الصغائر هي التي جرأتهم على الكبائر وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وجوز في الكشاف ان يريد ما كان عندهم صغائر وكبائر وتمام البحث في المسئلة اسلفناه في اوائل سورة النساء في تفسير قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فلنذكره ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف مثبتا فيها او وجدوا اجزاء ما عملوا ظاهرا على صفحات احوالهم ولا يظلم ربك احدا استدل الجبائي به على بطلان مذهب الاشاعرة في ان الاطفال يجوز ان تعذب بذنوب آبائهم فان ذلك ظلم والجواب ان الظلم انما يتصور في حق من تصرف في غير ملكه فلو ثبت انه لم يحكم المالكية ان يفعل ما يشاء من غير اعتراض عليه لم يكن لهذا الاخبار فائدة واجيب بان تلك القضية لعلها بالدلائل العقلية علمت من مثل هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاسب الناس في القيمة على ثلثة يوسف وايوب وسليمان يدعو المملوك فيقول له ما شغلك عني فيقول جعلتني عبدا لآدمي فلم يفرغني فيدعو يوسف فيقول كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعه ذلك ان عبدني فيؤمر به الى النار ثم يدعو بالمبتلى فاذا قال شغلتني بالبلاء دعا بايوب فيقول قد ابتليت هذا باشد من بلائك فلم يمنعه ذلك من عبادتي ويؤمر به الى النار ثم يؤتى بالملك في الدنيا مع ما آتاه الله من الغنى والسعة فيقول ماذا عملت فيما آتيتك فيقول شغلني الملك عنك فيدعى سليمان فيقول هذا عبدي سليمان آتيته اكثر مما آتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتي اذهب فلا عذر لك فيؤمر به الى النار ثم انه سبحانه عاد الى الرد على ارباب الخيلاء من قريش فذكر قصة آدم واستكبار ابليس عليه قال جار الله قوله كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كأن قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق والفاء للتسبيب جعل كونه من الجن سببا في فسقه ولو كان ملكا لم يفسق لثبوت عصمة الملائكة وقال آخرون اشتقاق الجن من الاستتار عن العيون فيشمل الملائكة والنوع المسمى بالجن ثم من لم يوجب عصمة الملك فظاهر ومن اوجب قال كان بمعنى صار اى مسخ عن حقيقة الملائكة الى حقيقة الجن وقد سلف هذا البحث بتمامه في اول سورة البقرة ومعنى فسق عن امر ربه خرج عن طاعته وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه انه لما امر فعصى كان سبب فسقه هو ذلك الامر الشاق لما حصل ذلك الفسق فلهذا حسن ان يقال فسق عن امر ربه وقال قطرب هو على حذف المضاف اى فسق عن ترك امره ثم عجب من حال من اطاع ابليس في الكفر والمعاصي وخالف امر الله فقال افتتخذونه وكانه قيل اعقيب ما وجد منه من الاباء والفسق تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي وقصة آدم وابليس سمعها قريش من اهل الكتاب وعرفوا صحتها فلهذا صح الاحتجاج بها عليهم وان لم يعتقدوا كون محمد صلى الله عليه وسلم نبيا بئس للظالمين بدلا اى بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله به فاطاعه بدل طاعته قال الجبائي في الآية دلالة على انه لا يريد الكفر ولا يخلقه في العبد والا لم يصح هذا الذم والتوبيخ وعوض

بالعلم والداعي كما مر مرارا قال أهل التحقيق إن الداعي لكفار قريش إلى ترك دين محمد صلى الله عليه وسلم هو النخوة والعجب والترفع والتكبر وهذا شأن إبليس
ومن تابعه فكل من كان غرضه من العلم والعمل الفخر على الأقران والترفع على أبناء الزمان فإنه مقتد بإبليس وذريته وهذا مقام صعب
نسأل الله الخلاص منه ثم نبه على فساد عقيدة أهل الشرك وبطلان طريقتهم بقوله ما أشهدتهم فالأكثرون على أن الضمير للشركاء والمراد أنهم لو كانوا
شركاء لي في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسهم بعضهم بعضا لو كان بعضهم شاهدين خلق بعض مشاركين لي فيه كقوله ولا تقتلوا أنفسكم لأمكن أن
يكونوا شركاء لي في العبادة لكن الملزوم المساوي منتف فاللازم مثله يؤيد هذا التفسير قوله وما كنت متخذ المضلين أي متخذهم عضدا أعوانا
فوضع المضلين موضع الضمير نعيا عليهم بالإضلال وقيل الضمير للمشركين الذين التمسوا طرد فقراء المؤمنين والمراد أنهم ما كانوا شركائي في
تدبير العالم بدليل أني ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما اعتضدت بهم في تدبير الدنيا والآخرة بل هم قوم كسائر الخلق يظنون
أن من قدح علينا اقتراحات عظيمة فإنك تقول لمن لست سلطان البلد ولا مدبر المملكة حتى تقبل منك كل اقتراحاتك وقيل أراد أن هؤلاء
الظالمين جاهلون بما جرى به القلم في الأزل من أحوال السعادة وضدها لأنهم لم يكونوا شاهدين خلق العالم فكيف يمكنهم أن يحكموا بحسن حالهم
عند الله وشرفهم ورفعتهم عند الخلق وبأضداد هذه الأحوال للفقراء ومن قرأ وما كنت بفتح التاء فالخطاب للرسول والمعنى وما صح لك الاعتضاد
بهم وما ينبغي لك أن تعتز بهم ثم عاد إلى تهويلهم بأحوال يوم القيامة وأضاف الشركاء إلى نفسه على معتقدهم توبيخا لهم وفحوى الكلام بأحمد أحوالهم ووجوب
المنهم يوم القيامة إذ يقول الله لهم نادوا أي ادعوا من زعمتم أنهم شركائي فأهلتموهم للعبادة قال المفسرون أراد الجن فدعوهم لم يذكر في هذه الآية أنهم
كيف دعوا تلك الشركاء ولعل المراد بما في الآية السابقة هلاكا كقولهم لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا قال الفراء البين الوصل والمراد جعلنا تواصلهم
في الدنيا هلاكا يوم القيامة وفي الكشاف الموبق المهلك وهو مصدر كالمورد أي جعلنا بينهم واديا من أودية جهنم مشتركا هو مكان الهلاك والعذاب
الشديد يهلكون فيه جميعا وجوز أن يريد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام وبالموبق البرزخ أي جعلنا بينهم أمدا بعيدا يهلك فيه السائر
لفرط بعده لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان قوله فظنوا قيل علموا وأيقنوا والأقرب أن الكفار يرون النار من مكان بعيد فيغلب على ظنونهم أنهم
مخالطوها وواقعون فيها في تلك الساعة من غير تأخير ولا مهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها وزفيرها إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
ولم يجدوا عنها مصرفا أي معدلا إلى غيرها لأن الملائكة يسوقونهم إليها ثم إنه لما ذكر أن الكفرة افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة أموالهم وأنصارهم فأجابهم
وأجاب عن شبههم وأقوالهم الفاسدة وضرب الأمثال النافعة وحكى أهوال الآخرة قال ولقد صرفنا وقد مر تفسيره في السورة المتقدمة وحين لم يترك
الكفار جدالهم وكانوا أبدا يتعللون بالأعذار الواهية ختم الآية بقوله وكان الإنسان أكثر شيء جدلا يعني أن الأشياء التي يتأتى منها الجدال إن فصلتها
واحدا بعد واحد فالإنسان أكثرها خصومة وقوله أكثر شيء كقوله ولعمرو وقد مر في الأنعام وكثرة جدال الإنسان لسعة مضطربه فيما بين أوج الملكية
إلى حضيض البهيمية فلعله لم في جانبي التصاعد والتسافل مقام معلوم قال أهل البرهان قوله تعالى في سورة بني إسرائيل وما منع الناس أن يؤمنوا
إذ جاءهم الهدى وقال في هذه السورة بزيادة ويستغفروا ربهم لأن المعنى هناك ما منعهم عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم إلا قولهم أبعث الله بشرا رسولا هلا بعث
ملكا وجهلوا أن التجانس يورث التوانس ومعنا في هذا الموضع ما منعهم الإيمان والاستغفار والإتيان بسنة المرسلين وانتظار ذلك [illegible]
إلا طلب سنتهم وهو قولهم إن كان هذا هو الحق وزاد في هذه السورة ويستغفروا ربهم لأن قوم نوح أمروا بالاستغفار استغفروا ربكم إنه كان غفارا
وكذا قوم هود ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه وقوم صالح واستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب وقوم شعيب واستغفروا ربكم
ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود فلما خوفهم من الأولين أجرى المخاطبين مجراهم والحاصل أنهم لا يقدمون على الإيمان والاستغفار إلا عند نزول
عذاب الاستئصال أو عند تواصل أصناف البلاء عيانا ومن قرأ قبلا بضمتين أراد أنواعا جمع قبيل قالت المعتزلة في الآية دلالة على أنه لا مانع من الإيمان
أصلا وقالت الأشاعرة العلم بأنه لا يؤمن والداعي الذي يخلقه الله في الكافر مانعان فالمراد فقدان الموانع المحسوسة ثم بين أنه إنما أرسل الرسل مبشرين
بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين أنه مع هذه الأحوال يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به أي
ليبطلوا به الحق من دحاض القدم وهو زلقها واتخذوا آياتي وما أنذروا أي الذي أنذروه من العقاب أو إنذارهم هزوا موضع استهزاء فالجدال
الله جدالهم قولهم للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة وما أشبه ذلك قال أهل العرفان قوله ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه أي بالقرآن بدليل
قوله أن يفقهوه بناء على الضمير فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها ولم ينظر في حوالتها متمسك القدرية وإنما
قال في السجدة ثم أعرض عنها لأن ما في هذه السورة في الكفار الأحياء الذين بما أنهم متوقع بعد أي ذكروا فأعرضوا عقيب ذلك وما في السجدة في الكفار
الأموات بدليل قوله ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم أي ذكروا مرة بعد أخرى وزمانا بعد زمان ثم أعرضوا عنها بالموت فلم يؤمنوا وانقطع رجاء إيمانهم
وقوله إنا جعلنا وقد مر تفسيره في الأنعام إلى قوله فلن يهتدوا إذا أبدا متمسك الجبرية وقلما تجد في القرآن دليلا لأحد الفريقين إلا ومعه دليل للفريق
الآخر فهذا ابتلاء من الله ولعله أراد بذلك إظهار مغفرته ورحمته على عباده كما قال وربك الغفور ذو الرحمة قال المفسرون الضمير في قوله لو يؤاخذهم
لأهل مكة الذين أمعنوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والموعد يوم بدر وأقول لا يبعد أن يكون الضمير للناس في قوله ولقد صرفنا للناس والموعد القيمة والموئل
الملجأ يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه قال الإمام فخر الدين الرازي إنما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة دون الرحمة لأن المغفرة ترك الإضرار والرحمة



النفع وقدرة الله تعالى بتعلق بالاول لان ترك المضارة لانهاية لها ممكن ولا يتعلق بالثاني لان فعل ما لانهاية له محال اول هذا فرق دقيق لو ساعد النقل على ان قوله ذو الرحمة ايضا لا يخلو عن مبالغة وكثيرا ما ورد في القرآن انه غفور رحيم بلفظ المبالغة في الجانبين وفي تعلق القدرة بترك غير المتناهي ايضا نظر لان مقدورات الله متناهية لا فرق في ذلك بين المبقى والمتروك ثم اشار الى قرى الاولين اعتبار الغيرهم فقال وتلك القرى باسم الاشارة مبتداء وفيه تعظيم لشانهم او تبعيد لزمانهم ومكانهم والقرى صفة وما بعده خبر ولا يخفى حذف المضاف اى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم ويجوز ان يكون تلك القرى منصوبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير وجعلنا لمهلكهم اى لهلاكهم او وقت هلاكهم موعدا وعدا او وقت وعد لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمراد انا عجلنا هلاكهم ومع ذلك لم ندع ان نضرب له وقتا يمكنهم التوبة قبله التأويل ويوم نسير الجبال وهي الابدان الجامدة عن السلوك وترى ارض النفوس بارزة خالية عن موانع الطريق وحشرنا جميع القوى البشرية وعرضوا على ربك صفا لكل قوة ولكل جوهر رتبة يليق بها فالروح في صف الارواح والقلب في صف القلوب وكذا النفس وقواها ولقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة على هيئة الفطرة وقيل الانبياء في صف والاولياء في صف والمؤمنون في صف والكافرون والمنافقون في الصف الآخر لا يغادر صغيرة هي كل تصرف في شيء بالشهوة النفسانية وان كان من المباحات ولا كبيرة هي التصرف في الدنيا على حبها فحب الدنيا راس كل خطيئة ما اشهدتهم لاني لا اشهد الا اوليائي كما قلت سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ورأى المجرمون النار راوا في الدنيا اسباب النار من الشهوات والآثام فوقعوا فيها ولم يجدوا لما بصر فهم عنها من الديانة والايمان الحقيقي فاذا راوا النار في الآخرة ايقنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون وكان الانسان اكثر شيء جدلا فتارة يجادل في التوحيد واخرى في النبوة ومرة في الاصول ومرة في الفروع ولهذا كثرت المذاهب والاديان والملل والنحل وتشتت الاصوات من ملهم وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم اسباب الهداية ويستغفروا ربهم انكاروا من تبعه الا ان تأتيهم سنة الاولين من الانبياء والاولياء والمؤمنين وهي جذبات العناية لاهل الهداية كقوله في حضرة النبي والله لولا الله ما اهتدينا او يأتيهم العذاب قبلا كقوله انا نبي السيف امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ

و چون گفت موسی ... مرجوانرا همیشه بروم تا اگر برسم ... یا بروم ...

حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ

روزگار دراز پس چون رسیدند ... فراموش کردند ماهی را ... پس گرفت راه او را در دریا ... پس چون بگذشتند گفت

لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي

مرجوانرا ... بدرستیکه رسیدیم از سفر ... رنج ... گفت آیا دیدی چون جای گرفتیم بر سنگ پس

نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ

فراموش کردم ماهی را ... مگر شیطان ... که یاد کنم اورا ... و گرفت راه او ... در دریا ... گفت

ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا

اینست که بودیم میجستیم ... پس باز گشتند ... پس یافتند بنده ... از بندگان ما ... دادیم او را بخشش از نزد ما

وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝ قَالَ إِنَّكَ

و آموختیم او را از نزد خود دانش ... گفت مر او را موسی ... آیا پیروی کنم ترا ... راه راست ... گفت بدرستیکه تو

لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا

هرگز نتوانی ... صبر ... و چگونه صبر کنی ... گفت زود باشد مرا اگر خواهد خدا صبر کننده و نه

أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ فَانْطَلَقَا

عصیان کنم ترا ... گفت پس اگر پیروی کنی مرا ... پس مپرس مرا ... از چیزی ... از آن بندی ... پس رفتند

حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ

تا چون بر نشستند ... در کشتی ... سوراخ کرد ... گفت آیا سوراخ کردی ... تا غرق کنی اهل او را ... بدرستیکه آوردی چیزی منکر ... گفت آیا نگفتم

إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ

که تو هرگز نتوانی ... گفت مگیر مرا بآنچه فراموش کردم ... و مرسان بمن از کار من دشواری ... پس رفتند تا

إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ

چون دیدند پسری ... پس کشت او را ... گفت آیا کشتی تن پاکیزه را ... بغیر تن ... بدرستیکه آوردی چیزی ناپسند ... گفت آیا نگفتم

لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي

مر ترا که تو ... هرگز نتوانی ... با من صبر کردن ... گفت اگر پرسم ترا از چیزی بعد از این ... پس همراهی مکن مرا ... بتحقیق رسیدی از نزد من



عُذْرًا ۝ فَانْطَلَقَا حَتّٰىٓ اِذَآ اَتَيَآ اَهْلَ قَرْيَةِ ِۨاسْتَطْعَمَآ اَهْلَهَا فَاَبَوْا اَنْ يُّضَيِّفُوْهُمَا فَوَجَدَا فِيْهَا جِدَارًا

بهانه ۔ پس رفتند تا چون آمدند بمردم شهری طعام خواستند از اهل آن پس اباء کردند که مهمان کنند ایشان را پس یافتند در آن دیواری

يُّرِيْدُ اَنْ يَّنْقَضَّ فَاَقَامَهٗ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ اَجْرًا ۝ قَالَ هٰذَا فِرَاقُ بَيْنِيْ وَبَيْنِكَ

میخواست که بیفتد پس راست کرد آنرا گفت اگر خواستی هر آینه گرفتی بر آن مزدی ۔ گفت این جدائی است میان من و میان تو

سَاُنَبِّئُكَ بِتَاْوِيْلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝ اَمَّا السَّفِيْنَةُ فَكَانَتْ لِمَسٰكِيْنَ يَعْمَلُوْنَ فِي الْبَحْرِ

زود خبر دهم ترا بتاویل آنچه نتوانستی بر آن صبر ۔ اما کشتی پس بود برای درویشان که کار میکردند در دریا

فَاَرَدْتُّ اَنْ اَعِيْبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُمْ مَّلِكٌ يَّاْخُذُ كُلَّ سَفِيْنَةٍ غَصْبًا ۝ وَاَمَّا الْغُلٰمُ فَكَانَ اَبَوٰهُ مُؤْمِنَيْنِ

پس خواستم که معیوب کنم آنرا و بود از پیش ایشان پادشاهی که میگرفت هر کشتی را بستم ۔ و اما لڑکا پس بودند پدر و مادر او مومن

فَخَشِيْنَآ اَنْ يُّرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَّكُفْرًا ۝ فَاَرَدْنَآ اَنْ يُّبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكٰوةً وَّاَقْرَبَ رُحْمًا ۝

پس ترسیدیم که برساند ایشان را سرکشی و کفر ۔ پس خواستیم که بدل دهد ایشان را پروردگار ایشان بهتر از آن در پاکی و نزدیکتر در مهربانی

وَاَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلٰمَيْنِ يَتِيْمَيْنِ فِي الْمَدِيْنَةِ وَكَانَ تَحْتَهٗ كَنْزٌ لَّهُمَا وَكَانَ اَبُوْهُمَا صَالِحًا ۚ فَاَرَادَ

و اما دیوار پس بود برای دو پسر یتیم در شهر و بود زیر آن گنجی برای ایشان و بود پدر ایشان صالح پس خواست

رَبُّكَ اَنْ يَّبْلُغَآ اَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ۖ رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهٗ عَنْ اَمْرِيْ ۭ ذٰلِكَ تَاْوِيْلُ

پروردگار تو که برسند بقوت خود و بیرون آرند گنج خود را بخشش از پروردگار تو و نکردم آنرا از رای خود این است تعبیر

مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝

آنچه نتوانستی بر آن صبر

القراءة لا تسئلنى بضم الهاء حفص والمفضل وقرا على بالامالة مع كسرها يبقى بالياء فى الحالين اتباعا لخط المصحف رشدا بفتحتين ابو عمرو ويعقوب بضمتين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الباقون رشدا بضم الراء وسكون الشين معى بفتح الياء حفص ستجدنى ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع فلا تسئلنى بنون التاكيد للثقيلة واثبات الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر بحذف الياء ابن مجاهد عن ابن ذكوان والاحسن اثباتها لانه شاذ عن اهل الشام الاخرون بنون الوقاية وحذف الياء ليغرق اهلها بياء الغيبة وفتحها مع فتح الراء ورفع لاهل حمزة وعلى وخلف الباقون بتاء الخطاب مضمومة وكسر الراء من اغرق وبنصب اهل زاكية على فعلة ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب الاخرون زكية على فعيلة نكرا بضمتين حيث كان ابو جعفر ونافع غير اسماعيل وابن ذكوان وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد لدنى بتخفيف النون ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد والمفضل يضيفوهما من الاضافة المفضل لتخذت من التخذ ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بسكون الخاء وقرا ابن كثير بالاظهار لتخذت من الاتخاذ وقرا حفص والمفضل والاعشى والبرجمى بالادغام ان يبدلهما من التبديل وكذا فى سورة التحريم ونون والقلم ابو جعفر ونافع وابو عمرو الاخرون من الابدال رحما بضمتين ابن عامر ويزيد وعباس وسهل ويعقوب الباقون بسكون الحاء **الوقوف** حقبا ج سربا ج عجبا ج لانقطاع النظم مع شدة اتصال المعنى نصبا ه الحوت ز لتمام الاستفهام النسيب مع اتحاد الكلام وكون ما بعده لا ينسينا والحال فى الحوت وقيل عليه تم كلام يوشع ثم ابتدا موسى عجبا اى عجبا للعجب والوصل اجوز اى سبيلا عجبا او اتخذ عجبا ونبغ قد قيل لتمام قول احدهما وابتداء بغلهما والوجه الوصل لعطف الفعلين وسرعة الرجوع على الفور قصصا لا لاتصال النظم علما رشدا ه صبرا خبرا امرا ذكرا فانطلقا لان حتى اذا للابتداء خرقها ط اهلها ج لانقطاع النظم واتحاد القائل امرا صبرا عسرا فانطلقا لما فقتله لا لان قال جواب اذا بغير نفس ط للفصل بين الاستخبار والاخبار نكرا ه نصف السبع ونصف القرآن والجزء السادس عشر والربع الثالث صبرا فلا تصاحبنى لاختلاف الجملتين عذرا ه فانطلقا فاقامه ط اجرا ه وبينك صبرا غصبا ه وكفرا للعطف مع الاية رحما ه صالحا لما قلنا من ربك عن امرى ط صبرا لانقطاع القصة **التفسير** هذه قصة اوردها الله تعالى ليعين على المقاصد السابقة مع كونها مستقلة فى الافادة اما نفعها فى قصة اصحاب الكهف فهو ان اليهود اخبروا محمدا بانها هو نبى والا فلا فذكر الله تعالى قصة موسى والخضر تنبيها على ان النبى لا يلزم ان يكون عالما بجميع القصص والاخبار واما نفعها فى الرد على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والانصار فهو ان موسى مع كثرة علمه وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف التام ذهب الى الخضر وتواضع له لاجل طلب العلم فدل ذلك على ان التواضع خير من التكبر واكثر العلماء على ان موسى المذكور فى الاية هو موسى بن عمران صاحب التوراة والمعجزات وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى بن ميشا بن يوسف وهو قد كان نبيا قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب عدو الله واحتج الاكثرون على صحة قولهم بان موسى حيثما ذكر فى القرآن اريد به موسى بن عمران فلو كان المراد ههنا شخصا اخر لوجب تعريفه بحيث يتميز عن المشهور حجة الاقلين والذى ذهب جمهور اليهود ان موسى بن عمران بعد ان خصه الله بالمعجزات القاهرة التى لم تتفق لمن قبله مثلها يبعد ان يؤمر بالتعلم والاستفادة واجيب بان العالم الكامل فى اكثر العلوم قد يجهل بعض المسائل فيحتاج الى تعلمها الى من يحض بعلمها اما فتى موسى فالاكثر على انه يوشع بن نون ويروى هذا القول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابى بن كعب عن النبى وقيل هو اخو يوشع وكان مصاحبا لموسى فى السفر وعن الحسن انه اراد عبده ويؤيده ما روى انه قال ليقل احدكم فتاى وفتاتى ولا



بشا عنده‌ى امتى قال اهل السير ان موسى لما ظهر على مصر مع بنى اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم
خطيبا فذكر نعمة الله فقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاى الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى
الله اليه بل اعلم منك عبد لى بمجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر فى ايام افريدون قبل موسى ع وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام
موسى ويروى ان موسى سأل ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع
الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدل على الهدى او ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك
من هو اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث
فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فرقد موسى ع فاضطرب الحوت ووقع فى البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره
فتاه بوقوعه فى البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى ع فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله
لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر فى الماء فقال الخضر ما ينقص علمى وعلمك
من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر قلت وهذا صحيح لان علم الانسان متناه وعلم الله غير متناه ولا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى
اصلا ولنرجع الى التفسير قال الزجاج وتبعه جار الله لا ابرح بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة حال السفر عليه ولان قوله حتى ابلغ غاية مضروبة
فلا بد لها من ذى غاية فالمعنى لا ازال اسير حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر حذف المضاف وهو المسير واقيم المضاف اليه وهو ياء المتكلم مقامه فانقلب
الفعل من لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وجوز ايضا ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول من برح المكان والمعنى لا ابرح ما انا عليه اى لا اترك المسير والطلب
حتى ابلغ مجمع البحرين يعنى ملتقى بحرى فارس والروم وقد شرحنا وضع البحار فى سورة البقرة فى تفسير قوله والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس
وقيل اراد طنجة وقيل افريقية ومن غرائب التفسير ان البحرين موسى والخضر لانهما بحرا العلم وهذا مع غرابته مستبشع جدا لان احد البحرين اذا كان هو موسى
فكيف يصح ان يقول حتى ابلغ مجمع البحرين اللهم الا ان يؤول حاصل المعنى الى قولنا حتى ابلغ مكانا يجتمع فيه بحران من العلم احدهما انا او امضى حقبا اسير زمانا
طويلا قال جار الله الحقب الضم ثمانون سنة وروى اكثر من ذلك وقيل انه تعالى اعلم موسى حال هذا العالم وما اعلمه موضعه بعينه فقال موسى لا ازال
امضى حتى يجتمع البحران فيصير البحران واحدا او امضى دهرا طويلا حتى اجد هذا العالم وهذا اخبار من موسى ع بانه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد
الى ان يلقاه وفيه تنبيه على شرف العلم وان طالب العلم يجب ان يسافر ويتحمل المتاعب فى الطلب من غير ملال وكلال فلما بلغا مجمع بينهما قال جمهور
المفسرين الضمير للبحرين اى فخرجا فلما بلغ موسى وفتاه المكان الذى وعد فيه لقاء الخضر ولا بد للبين من فائدة ولعل المراد حيث يكاد يلتقى وسط
ما امتد من البحرين طولا والاضافة بمعنى فى اى مجمعا فى وسط البحرين فيكون كالتفصيل لمجمع البحرين والبيان والايضاح بكلام علام الغيوب تعالى
اولى منه بكلام موسى والبين بمعنى الافتراق اى البحران المفترقان يجتمعان هناك ويحتمل على هذا ان يعود الضمير الى موسى والخضر اى وصلا الى الموضع الذى
وقع اجتماع شملهما هناك او البين بمعنى الوصل لانه من الاضداد فيبعد فيه التأكيد كقولهم جد جده وهذه الوجوه مما لم اجدها فى التفاسير
فان كن صوابا فمن الله والا فمنى ومن الشيطان نسيا حوتهما لانه تعالى جعل انقلاب الحوت حيا علامة على مسكن الخضر قيل ان الفتى كان يغسل السمكة
لانها كانت مملوحة فطفرت وسارت وقيل ان يوشع توضأ فى ذلك المكان فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب الى الماء وقيل انفجرت هناك
عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة فحييت وطفرت الى البحر ونسيا الحوت الذهول عن الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة
على الوصول الى المطلوب والسبب فى هذا الذهول مع ان هذه الحالة كانت امارة لهما على الطلبة التى تناهضا من اجلها هو ان يوشع كان قد
تعود مشاهدة المعجزات القاهرة فلم يبق لحياة السمكة ولقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها فى مثل السرب منه وقع عنده وقيل ان موسى
لما استعظم على نفسه ازال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الذى يشبه الضرورى تنبيها لموسى ع على ان العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على
قلوب عباده وانتصاب قوله سربا على انه مفعول ثان لاتخذ اى اتخذ سبيله سبيلا سربا وهو بيت فى الارض وذلك ان الله تعالى امسك اجزاء الماء عن
الجرى وجعلها كالكوة حتى سرى الحوت فيه معجزة لموسى وللخضر وقيل السرب هو الذهاب والتقدير سرب فى البحر سربا الا انه اقيم قوله واتخذ سبيله
مقام سرب فلما جاوزا اى موسى وفتاه الموعد المعين وهو الصخرة قال موسى لفتيه آتنا غداءنا وهو ما يؤكل بالغداة لقد لقينا من سفرنا هذا
نصبا تعبا وجوعا قال المفسرون قوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك قال الفتى متعجبا ارأيت ومفعوله
محذوف لدلالة قوله فانى نسيت الحوت عليه كانه قال ارأيت ما دهانى ووقع لى اذ اوينا الى الصخرة قيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت فانى نسيت
الحوت عليه ثم ذكر ما يجرى مجرى السبب فى وقوع ذلك النسيان فقال وما انسانيه الا الشيطان وان اذكره بدل الاشتمال من الهاء فى انسانيه
اى وما انسانى ذكره قال الكعبى لو كان النسيان بخلق الله وارادته لكان اسناد ذلك الى الله تعالى اولى من اسناده الى الشيطان اذ ليس فى وسعه
سعى ولا اثر وقال القاضى المراد بانساء الشيطان ان يشغل قلب الانسان بوسوسته التى هى من فعله دون النسيان الذى يضاد الذكر لان ذلك
لا يصلح ان يكون الا من قبل الله تعالى قال اهل البرهان لما كان اتخاذ الحوت سبيله فى البحر مما كانا يبغيان لانه الذى كانا يطلبانه لانه امارة الظفر بالمطلوب عقبه
النسيان ذكرا ولا فاتخذ بالفاء ولما حيل بينهما ثانيا بجملة معترضة هى قوله وما انسانيه زال معنى التعقيب وبقى العطف المجرد فقال واتخذ سبيله



بالواو وانتصاب عجبا كامر في سربا قال كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا قال موسى ذلك يعني اتخاذ الحوت السبيل في البحر ما كنا نبغي اي انه الذي
كنا نطلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا على طريقهما المسلوك قصصا مصدر لانه بمعنى الارتداد على الاثر اي يتبعان
آثارهما اتباعا او هو مصدر في موضع الحال اي رجعا على الطريق الذي جاءا منه مقتصين فوجدا عبدا من عبادنا الاكثرون على ان ذلك العبد
كان نبيا لانه تعالى وصفه بقوله آتيناه رحمة من عندنا والرحمة هي الوحي والنبوة بدليل قوله اهم يقسمون رحمة ربك وقوله وما كنت ترجوا ان
يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ومنع ان كل رحمة نبوة قالوا وصفه بقوله وعلمناه من لدنا علما والعلم المختص به تعالى هو الوحي والاخبار بالغيوب
وايضا قال في آخر القصة وما فعلته عن امري اي عن رأيي وفعلته بامر الله وذلك يستلزم للوحي وروي ان موسى لما وصل اليه قال السلام عليك فقال
وعليك السلام يا نبي اسرائيل فقال من عرفك هذا قال الذي بعثك الي والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية والتحقيق
فيه انه اذا ضعفت القوى الحسية والخيالية بواسطة الرياضة قويت القوة العقلية واشرقت الانوار الالهية على جواهر العقل وتفيض عليه من عالم
الارواح انوار تستعد بسببها لملاحظة اسرار الملكوت ومطالعة عالم اللاهوت والاكثرون ايضا على ان ذلك العبد هو الخضر سمي به لانه كان
لا يقف موقفا الا اخضر ذلك الموقف قال الجبائي روي ان الخضر انما بعث بعد موسى من بني اسرائيل فان صحت الرواية لم يكن ذلك العبد هو الخضر
لانه بعث بعده وينقدح بكونه معاصرا له فانه اظهر الترفع على موسى حين قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وان موسى اظهر التواضع له حين قال ولا
اعصي لك امرا مع انه كان مبعوثا الى كافة بني اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل والا لا يكون اعلى الامة الا النبي وان لم يكن الرواية صحيحة لان
لا يكون الخضر من بني اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل من موسى لانه تعالى قال لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين واجيب بانه يجوز ان يكون غير
النبي فوق النبي في علوم لا يتوقف نبوته عليها قال العلماء ان موسى راعى مع الخضر في قوله هل اتبعك انواعا من الادب منها انه جعل نفسه تبعا له مطلقا
وفيه ان المتعلم يجب عليه الخدمة وتسليم النفس والاتيان بمثل افعال الاستاذ واقواله على جهة التبعية لا الاستقلال فان المتابعة هي الاتيان
بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلا لذلك الغير ولهذا لسنا متبعين لليهود في قولنا لا اله الا الله لانا لا نقول كلمة التوحيد لاجل انهم قالوها بل لقيام
الدليل على قولها ولكنا متبعون في الصلوات الخمس للنبي لانا نأتي بها لاجل انه اتى بها ومنها انه استاذن في اثبات هذه التبعية ومنها انه قال على ان تعلمن
مما علمت وفيه اقرار على استاذه بالعلم وفيه انه لم يطلب منه الا بعض علمه ولم يطلب منه ان يجعله مساويا له في العلم كما يطلب الفقير من الغني ان يدفع اليه
جزءا من اجزاء ماله لا كله وفيه اعتراف بان ذلك العلم علمه الله تعالى والاسى فاعله وفيه اشعار بان انعامه عليه في هذا التعليم شبيه بانعام الله عليه
ومن هنا قيل انا عبد من علمني حرفا ومنها ان الخضر عرف انه نبي صاحب المعجزات المشهورة ثم انه مع هذه المناصب العلية والمراتب السنية لم يطلب منه المال
والجاه وانما طلب التعليم فقال على ان تعلمني فدل ذلك على انه لا كمال فوق كمال العلم وانه لا يحسن صرف الهمة الا الى تحصيله وفيه ان كل من كان طمعه
بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة اكثر فكان حرصه على ازديادها اوفر ومنها انه قال رشدا وهو يصلح ان يكون مفعولا لتعلمني و
لعلمت اي علما ذا رشد ارشد به في ديني وفيه تعظيم لما سيعلمه فان الارشاد هو الامر الذي لو لم يحصل حصل الضلال ثم انه تعالى حكى عن الخضر انه قال
بظواهر الامور شرعا فلما ثبت ذلك ان يصبر عليها وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او هو مصدر لكونه في معنى الاحاطة استدلت الاشاعرة بالاية على ان
الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل والا لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة قبل الصبر فيكون قول الخضر بنفي الاستطاعة كذبا وكذا قوله وكيف
تصبر لانه استفهام في معنى الانكار اي لا تصبر البتة اجاب الجبائي بانه اراد بنفي الاستطاعة انه يثقل عليه الصبر لا انه لا يستطيعه يقال في العرف ان فلانا
لا يستطيع ان يرى فلانا وان يجالسه اذا كان يثقل عليه ذلك ولهذا قال له موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي اي ستجدني غير عاص لك امرا او
يجوز ان يكون قوله ولا اعصي جملة مستانفة معطوفة على مثلها اي ستجدني ولا اعصي قال اهل السنة في قوله ان شاء الله بطريق الشكر والصبر مامور
به دليل على انه تعالى لا يريد من العبد الا ما اوجبه عليه قالت المعتزلة انما ذكره بطريق الادب واجيب بان هذا الادب ان صح معناه فقد ثبت
المطلوب وان فسد فاي ادب في ذكر الكلام الباطل قالت الاصوليون في قوله ولا اعصي لك امرا دليل على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك الامر عاص
بهذه الاية والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال المحققون في قول الخضر تغليظ وتجهيل وفي قول موسى
تحمل وتواضع فدل ذلك على ان المعلم ان رأى التغليظ على المتعلم فيما تعده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره وعلى المتعلم ان يتلقاه
بالبشر والطلاقة ثم قال فان اتبعتني فلا تسالني شرط على موسى في اتباعه ان لا يسال عما خفي عليه وجه صحته حتى يكون الخضر هو المبتدي
بتعليمه اياه واخباره عن وجه الحكمة فيه فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة وقال باري وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوها بلا اجرة فلما
حصلوا في اللجة اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق
لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما يقال امر الامر اذا عظم ويقال في الشيء العجيب الذي لا يعرف له شبيه امر امر احتج الطاعنون في عصمة
الانبياء بان موسى اعترض على الخضر بعد توكيد العهود والمواثيق وذلك ذنب واجيب بانه لم يقل ذلك اعتراضا وتوبيخا ولكنه احب ان يقف
على حكمة ذلك الامر الخارج عن العادة او انه خالف الشرط بناء على النسيان ولهذا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا مؤاخذة على الناسي وما
موصولة او موصوفة او مصدرية اي بالذي نسيته وجوز في الكشاف ان لا يكون ناسيا في الحقيقة ولكنه اوهم بقوله لا تؤاخذني بما نسيت انه



قد نسي ليبسط عذره في الاعتراض على المعلم وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض وجوز ايضا ان يكون النسيان بمعنى الترك اي بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني ولا تغشني من امري عسرا او اراد بامره امر المتابعة اي تيسر علي متابعتك بالاغضاء وترك المناقشة وانما قال في هذه القصة حتى اذا لقيا غلاما فقتله بغير فاء لانه جعله جزاء للشرط وفي قصة الغلام يتناول الشاب البالغ كما يتناول الصغير ومنه قولهم راى الشيخ خير من مشهد الغلام واصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وليس في القرآن انه ما كيف لقياه وهل كان يلعب مع جمع من الغلمان او كان منفردا وهل كان مسلما او كان كافرا وهل كان بالغا او كان صغيرا واسم الغلام بالصغير اليق الا انه لعبر بنفس بالبالغ اليق لان الصبي لا يقتل قصاصا وعن ابن عباس ان نجدة الحروري الخارجي كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل قال الكسائي الزاكية والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة طاهرة عنده قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل النكر اشد لان ذلك كان خرقا يمكنه تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه وايضا الامر العجيب والعجب يستعمل في الخير والشر والنكر ما ينكره العقول فهو شر وظاهر الاية يدل على ان موسى استبعد ان يقتل النفس الا بالنفس وليس كذلك لانه قد يحل القتل باسباب الاسباب ولعله اعتبر السببية لغلبة الاقوى واختلفوا في كيفية قتله فقيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين ثم انه سبحانه حكى عن الخضر انه زاد على ان ذكره ما عاهد عليه فقال الم اقل لك وانما زاد ههنا لك لان الانكار اكثر وموجب العتاب اقوى وقيل اكد التقرير الثاني بقوله لك كما تقول لمن توبخه لك اقول واياك اعني وقيل بين في الثاني المقول له لما لم يبين في الاول فعند هذا قال موسى ان سالتك عن شيء بعدها بعد هذه الكرة او المسألة فلا تصاحبني نهاه عن المصاحبة مع علمه بالمعلم لظهور عذره كما قال قد بلغت من لدني عذرا وهذا كلام نادم شديد الندامة جره المقال واضطره الحال الى الاعتراف وسلوك سبيل الانصاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل الايلة وهي ابعد ارض الله من السماء استطعما اهلها وكان حق الايجاز ان يقول استطعماهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتاكيد كقوله ليت الغراب غداة ينعب بيننا كان الغراب مقطع الاوداج وايضا لعله كره اجتماع الضميرين المتصلين في مثل هذا اللفظ لما فيه من الكلفة والبشاعة والاستطالة فابوا ان يضيفوهما يقال اضافه وضيفه اذا انزله وجعله ضيفه والتركيب يدل على الميل من ضاف السهم عن الغرض والضيف يميل الى المضيف عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما قيل الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف اقدما عليه وايضا الضيافة من المندوبات وترك المندوب غير منكر فكيف جاز لموسى ان يغضب عليهم حتى ترك عهد صاحبه وقال لو شئت لاتخذت عليه اجرا واجيب بان الرجل اذا جاع بحيث ضعف عن الطاعة او اشرف على الهلاك لزمه الاستطعام ووجب اجابته ولقائل ان يقول لو كان قد بلغ الجوع الى حد الهلاك لم يقو على اصلاح الجدار وللمجيب ان يقول ان اقام الجدار معجزة فقد روي انه مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وروي انه كان ارتفاع الجدار مائة ذراع قال اهل الاعتبار شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه ويحكى ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الاية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب فقالوا يا رسول الله نشتري بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء اي فاتوا ان يضيفوهما فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قوله يريد ان ينقض معناه يسرع سقوطه من انقض الطائر اذا هوى في طيرانه ومنه تقضض فانقض ويحتمل ان يكون افعل من النقض كاحمر من الحمرة فالنون تكون اصلية واحدى الضادين مكررة زائدة عكس الاول واستعيرت الارادة للمداناة والمشارفة تشبيها للجماد بالاحياء نظيره ولما سكت عن موسى الغضب قالتا اتينا طائعين ولما اقام الخضر الجدار وراى موسى من الحرمان ومسيس الحاجة قال للصاحب لو شئت لاتخذت عليه اجرا اطلب على عملك جعلا حتى تستدفع به الضرورة واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ على الاصح قال الخضر مشيرا الى الفراق المتصور في قوله فلا تصاحبني ومشيرا الى السؤال والاعتراض هذا فراق بيني الاضافة بمعنى في اي فراق او سبب فراق بيني وبينك وحكى القفال ان البين ههنا بمعنى الوصل ثم شرع في تفسير الحكم التي تضمنتها افعاله وتلك الحكم تشترك في اصل واحد هو انه اذا تعارض الضرران وجب تحمل الادنى لدفع الاعلى فقال اما السفينة فكانت لمساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الاية على ان الفقير اسوأ حالا من المسكين وكان وراءهم ملك وهو مسمى بجلندى والوراء ههنا بمعنى الامام وقد مر في قوله ومن ورائه عذاب غليظ وقيل اراد خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه وما كان عندهم خبره يا خذ كل سفينة اي غير معيبة غصبا ولا يخفى ان الضرر الحاصل من التخريب اهون من فوات السفينة بالكلية والتخريب وان كان تصرفا في ملك الغير الا انه اذا تضمن نفعا زائدا لم يكن به باس ولعل مثل هذا التصرف كان جائزا في تلك الشريعة او لعله كان من مخصوصات النبي قال جار الله قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه ان يتاخر عن السبب لكنه قدم للعناية اي يتعجب من هذا وهو مراعى انا مامور به وايضا خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كون السفينة للمساكين فتوسط ارادة العيب بين المسكنة والغصب كتوسط الظن بين المبتدا والخبر في قولك زيد ظني مقيم في انه يتعلق بالطرفين واما الغلام فقد قيل انه كان بالغا قاطع الطريق يقدم على الافعال المنكرة وكان ابواه مضطرين الى التعصب له والذب عنه فكانا يقعان في الفسق لذلك واحتمل ان يؤدي ذلك الى الكفر والارتداد كما قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا اي يغشيهما ويرهقهما اياه وقيل انه كان صبيا الا انه تعالى علم من حاله انه لو صار بالغا صدرت عنه هذه المفاسد فاعلم الخضر بحال ذلك الروامر



يقتله لئلا يرتد الابوان بسببه وقيل هذا لا يجوز الا اذا تأكد الظن بالوحي وقيل ان فخفنا ان يغشى الوالدين طغيانا عليهما وكفرا لحقوقهما
او خفنا ان يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر وجوزوا ان يكون قوله فخشينا من كلام الله تعالى اي كرهنا
كراهة من خاف سوء عاقبة امر فغيره والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب كانه بازاء قول موسى نفسا زاكية والرحم الرحمة والعطف بمعنى
الاشفاق على الابوين يروى انهما ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم ويروى انها ولدت سبعين نبيا وقيل
ابدلهما ابنا مؤمنا وقيل اسم الغلام المقتول الحيسور وفي نسخة الحسين واما الجدار فكان لغلامين قيل اسمهما اصرم وصريم وقوله في المدينة بعد
قوله انها اهل قرية فيه دلالة على ان القرية لا ينافي المدينة ومعنى الاجتماع والاتفاق مراعى فيهما اما الكنز فقيل هو المال لقوله ويستخرجا ولان
المفهوم منه عند الاطلاق هو المال وقيل صحف فيها علم لقوله وكان ابوهما صالحا ودفن المال لا يليق باهل الصلاح وعورض بقول قتادة احل الكنز
لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا وجمع بعضهم بين الامرين فقال لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن و
عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي قوله وكان ابوهما صالحا دلالة على ان صلاح الاباء يفيد العناية باحوال الابناء عن جعفر بن محمد كان بين
الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وذكر من صلاح ابيهما ان الناس كانوا يضعون الودايع عنده فيردها اليهم سالمة فان قلت لعلما الاشبه
اليتيمين كانا جاهلين بحال الكنز ووصيهما كان عالما به الا انه غايب وقد اشرف الجدار على السقوط رحمة من ربك مصدر منصوب باراد لانه في معنى
رحمهما او مفعول له وما فعلته عن امري اي اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله سؤال لم قال في الاول فاردت ان اعيبها وفي الثاني فاردنا وفي الثالث
فاراد ربك الجواب لان الاول افساد في الظاهر فاسنده الى نفسه وفي الثالث انعام محض فاسنده الى الله سبحانه وفي الثاني افساد من حيث القتل
وانعام من حيث التبديل فجمع بين الامرين ويمكن ان يقال ان القتل كان منه ولكن ازهاق الروح كان من الله ويحتمل ان يقال الوحدة في الاول على
الاصل والجمع في الثاني تنبيه على انه من العلماء المؤيدين بالعلوم الدينية والاسناد الى الله بالاخرة اشارة الى انه لا ارادة الا ارادة الله وما
تشاؤن الا ان يشاء الله ذلك الذي ذكرت من انباء الله لوقايع تأويل ما لم تستطع عليه صبرا اي يرجع المقصود من تلك الافاعيل الى ما قررنا واصل
تسطع تستطع كما في قوله سانبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا الا ان التاء حذفت لاجل التخفيف وهذا شاذ من جهة القياس ولكنه ليس بشاذ في
الاستعمال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب التأويل اذ قال موسى لفتيه فيه ان المسافر لا بد له في الطريق من الرفيق
وفيه ان من شرطهما ان يكون احدهما اميرا والاخر مأمورا وان يعلم الرفيق عزيمته ومقصده حتى يكون على بصيرة من صحبته وان الايتام من متاعب السفر
حتى يظفر بمقصوده وان يكون نيته طلب شيخ يقتدى به فان طلب الشيخ في الحقيقة هو طلب الحق ومجمع البحرين هو مجمع ولاية الشيخ وولاية المريد وعنده
عين الحيوة الحقيقية فاذا وقعت قطرة منها على حوت قلب المريد يحيى واتخذ سبيله في بحر الولاية سربا فلما جاوزا فيه اشارة الى ان المريد في اثناء
السلوك لو تطرقت اليه الملالة اصاب قلبه الكلالة وسولت له نفسه التجاوز عن صحبة الشيخ ظانا ان مقصوده يحصل من غير واسطة الشيخ هيهات فانه
ظن فاسد ومتاع كاسد الا ان ادركته العناية الازلية وردته الى صدق الارادة فيقول لرفيق التوفيق اتنا غداءنا وهو همة الشيخ وبركة صحبته
لقد لقينا من سفرنا هذا الذي جاوزنا صحبة الشيخ نصبا فقال ارايت اذ اوينا الى الصخرة صخرة النفس وتسويلها فاني نسيت حوت القلب ذلك ما كنا
نبغي من حوت القلب الميت المالح بملح حب الدنيا وزينتها ان يتخذ سبيله في بحر ولاية شيخ كامل فوجدا عبدا من عبادنا اي من غيرنا وفي قوله
وعلمناه من لدنا علما اشارة الى انه تعالى اطلعه على بواطن الاشياء وحقايقها وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه وانما يحصل بتصفية النفس و
تجريد القلب عن العلايق الجسمانية وقد ذهب موسى الى تعلم العلم فكان الواجب على الخضر ان يظهر له علما يمكن تعلمه فبين علم الخضر وبين مقصد
موسى كان تباين وتناف فلهذا قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وفي اظهار المسائل الثلثة اشارة الى ما قلنا من ان العلم الظاهر يباين
علم اللدني وليس من التعليم والتعلم في شيء واذا تأمل العاقل السالك في قول موسى هل اتبعك الخ وفي قول الخضر فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء الخ
وجد اصول الشرائط التي شرطها الصوفية للمريد وللشيخ مودعة فيها وفي تفصيلها طول وقد اشرنا في التفسير الى طرف منها ومن اراد الكشف
فعليه بمطالعة كتاب اداب المريدين للشيخ المحقق اي النجيب السهروردي تغمده الله بغفرانه حتى اذا ركبا في السفينة الشريعة خرقها لهدم الناموس
في الظاهر مع صلاح الحال في الباطن وفيما بينه وبين علام الغيوب ومثل هذا قد يفعله كثير من المحققين طرحا للعوام وهذا من التناهي والعجب
اخرقتها لتغرق اهلها في اودية الضلال الا انقذوا ابل حتى اذا لقيا غلاما هو النفس الامارة فقتله بسكين الرياضة وسيف المجاهدة حتى اذا اتيا
اهل قرية هي الجسد وهم القوى الانسانية من الجوارح وغيرها استطعما اهلها بطلب ما عليها التي تخصها فابوا ان يضيفوهما لعطا خواصها
كما ينبغي لكلالها وضعفها فوجدا فيها جدارا هو التعلق الحائل بين النفس الناطقة وبين عالم المجردات يريد ان ينقض بقطع العلاقة فاقامه بتقوية
البدن والرفق بالقوى والجوارح كما قيل نفسك مطيتك فارفق بها لو شئت لاتخذت عليه اجرا تواجرا بذلك اي لو شئت لصبرت على شدة الرياضة الى فتح
الانوار ونيل الكشوف اما السفينة فكانت لمساكين هم العوام الذين يعملون في بحر الدنيا وليس لهم في بر عالم الربوبية سير وسلوك حتى يصلوا
الى ملوك بحث الطهارة فاردت ان اعيبها في الظاهر لئلا يتسلط عليهم بالاخلاص في البواطن وكان وراءهم ملك هو الشيطان ياخذ كل سفينة عبادة غصبا الا ان كل

في سفينة صح

عبادة بخلوعن الانكسار والذل والخشوع فانها للشيطان لا للرحمن واما الغلام فكان ابواه وهما القلب والروح مؤمنين فاردنا ان يبدلهما
ربهما خيرا منه زكوة هو النفس المطمئنة والملهمة وكان تحته كنز لهما هو حصول الكمالات النظرية والعملية وكان ابوهما هو العقل المفارق
صالحا كاملا بالفعل فلهذا ادخر فاراد ربك ان يبلغا اشدهما بتربية الشيخ وارشاده على سبيل الرفق والمداراة ويستخرجا ما كان كامنا

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَاَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ اِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْاَرْضِ وَاٰتَيْنٰهُ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ سَبَبًا ۝ فَاَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتّٰى اِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا
قَوْمًا قُلْنَا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِمَّا اَنْ تُعَذِّبَ وَاِمَّا اَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝ قَالَ اَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ
ثُمَّ يُرَدُّ اِلٰى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۝ وَاَمَّا مَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنٰى وَسَنَقُولُ لَهُ
مِنْ اَمْرِنَا يُسْرًا ۝ ثُمَّ اَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتّٰى اِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلٰى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ
دُونِهَا سِتْرًا ۝ كَذٰلِكَ وَقَدْ اَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝ ثُمَّ اَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتّٰى اِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ
مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝ قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِنَّ يَاْجُوجَ وَمَاْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي
الْاَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلٰى اَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَاَعِينُونِي
بِقُوَّةٍ اَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ اٰتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتّٰى اِذَا سَاوٰى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتّٰى
اِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ اٰتُونِي اُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا اسْطَاعُوا اَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ۝ قَالَ
هٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَاِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنٰهُمْ جَمْعًا ۝ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكٰفِرِينَ عَرْضًا ۝ الَّذِينَ
كَانَتْ اَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝ اَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا اَنْ يَتَّخِذُوا
عِبَادِي مِنْ دُونِي اَوْلِيَاءَ اِنَّا اَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكٰفِرِينَ نُزُلًا ۝ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْاَخْسَرِينَ اَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ
ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ اُولٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰيٰتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْنًا ۝ ذٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا اٰيٰتِي
وَرُسُلِي هُزُوًا ۝ اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خٰلِدِينَ فِيهَا
لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰتُ



ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان

پروردگارم واگر آوريم بمانند آن افزونى بگو جز اين نيست كه من آدمى‌ام مثل شما وحى كرده شده بسوى من جز اين نيست كه خداى شما خداى يگانه است پس هر كه باشد

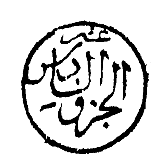
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا القراءة فاتبع ثم اتبع مقطوعة

اميدوار به ديدار خدا بگو پس بكند كردار شايسته وانباز نگيرد به پرستيدن پروردگارش كسى را

ابن عامر وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتشديد موصولة حامية بالالف من غير همز ابن عامر ويزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون حمئة بالهمزة من غير الف جزاء الحسنى بالنصب منونا يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الاخرون بضمها يفقهون بضم الياء وكسر القاف حمزة وعلي وخلف الباقون بفتحهما ياجوج وماجوج حيث كان مهموزا عاصم غير الشموني فهل نجعل وبابه بادغام اللام في النون علي وهشام خراجا بالالف حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وجبلة الباقون بضمها مكني ابن كثير الباقون بادغام النون في النون ردما ائتوني يحيى حماد والابتداء بكسر الالف الصدفين بضم الصاد والدال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب والمفضل مخير ابو بكر وحماد بضم الصاد واسكان الدال الاخرون بفتح الصاد والدال قال ائتوني والابتداء بكسر الالف يحيى وحماد وحمزة فما اسطاعوا بالادغام حمزة غير خلاد وقرا ابو نشيط والشموني فما اصطاعوا بالصاد وهو الصحيح من نقل ابن مهران دكاء بالمد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل والخزاز عن هبيرة افحسب الذين بسكون السين ورفع الباء يزيد ويعقوب والاعشى في اختيار دوني اولياء بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابو عمرو ان ينفد بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الوقوف القرنين ط ذكرا ط سببا ط سببا ج قوما ج حسنا ج نكرا ج الحسنى ط لاختلاف الجملتين يسرا ط لان ثم لترتيب الاخبار سببا ج سترا لا كذلك ط اي كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس وقيل ينبغي كذلك اي لك كذا واقر كه وقيل اي احطنا بما لديه من العدد والعدد كذلك اي كعلمنا بقوم سبق ذكرهم خبرا ج ثم سببا ج قولا ج سدا ج ردما ج الحديد ط انفخوا ط نارا لا لان قال جواب اذا قطرا ط لان ما بعده ابتداء اخبار نقبا ج من ربي ج لعطف الجملتين المختلفتين دكاء ج لذلك حقا ط لانقطاع القصة جمعا لا للعطف عرضا لا سمعا ج اولياء ط نزلا ط اعمالا ط للفصل بين الاستخبار والاخبار لان التقدير هم الذين ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل صنعا ج وزنا ج هزوا ج نزلا لا حولا ج مددا ج واحد ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب احدا ج التفسير لما اجاب عن سؤالين من اسئلة اليهود شرع في السؤال الثالث والجواب عنه واصح الاقوال ان ذا القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس الرومي الذي ملك الدنيا باسرها اذ لو كان غيره لانتشر خبره ولم يخف مكانه عادة يحكى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد ملوك المغرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم عطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرات الى ان قتله صاحب حرسه فاستولى على ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها قال الامام فخر الدين الرازي لما ثبت بالقران ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية او ما يقرب منها وثبت من علم التاريخ ان من هذا شانه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بان ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه اشكال لانه كان تلميذ الارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطو حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله اخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والسبب في تسميته بذي القرنين انه بلغ قرني الشمس اي مطلعها ومغربها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان صغيران وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب انه سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين وقيل لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وقيل راى في المنام كانه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس اي بقرنيها وزعم الفرس ان دارا الاكبر تزوج بابنة فيلقوس فلما قرب منها وجد رائحة منكرة فردها الى ابيها وكانت قد حملت منه بالاسكندر فولدت الاسكندر وبقي عند فيلقوس واظهر انه ابنه وهو في الحقيقة ابن دارا الاكبر وقال ابو الريحان انه من ملوك حمير والدليل عليه ان الاذواء كانوا من اليمن كذي يزن وغيره ويروى انه ملك الدنيا باسرها اربعة ذو القرنين وسليمان وهما مؤمنان ونمرود وبخت نصر وهما كافران واختلفوا فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه ويحوطه الظلمة من ورائه وعن علي سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور واحب الله واحبه وساله ابن الكوا وكان من اصحابه ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله في جهاده فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذو القرنين وفيكم مثله يعني نفسه قالوا وكان ذو القرنين يدعو الناس الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وقيل كان نبيا لقوله انا مكنا له في الارض والتمكين المعتد به هو النبوة ولقوله واتيناه من كل شيء سببا وظاهره العموم فيكون قد نال اسباب النبوة ولقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب وتكليم الله بلا واسطة لا يصلح الا للنبي وقيل كان ملكا من الملائكة عن عمر انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة قوله سانلوا عليكم اي سافعل هذا ان وفقني الله تعالى وانزل فيه وحيا والخطاب في عليكم للسائلين وهم اليهود او قريش كابي جهل واضرابه واتيناه من كل شيء سببا طريقا موصلا اليه والسبب في اللغة هو الحبل والمراد هاهنا كل ما يتوصل الى المقصود من علم او قدرة



أو أنه وذلك أنه أراد بلوغ المغرب فأتبع سببا وأوصله إليه وكذلك أراد المشرق فأتبع سببا موصلا وأراد بلوغ السدين فأتبع سببا الذي ليتم
أنه سبحانه شرع في نعت مسيره إلى المغرب فقال فأتبع سببا أي سلك طريقا أفضى به إلى سفر المغرب ومن قرأ بقطع الهمزة فمعناه أتبع نفسه سببا
حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامية أي حارة ومن قرأ حمئة بلا ألف مهموزا فمعناه ذات حمأة أي طين أسود ولا تنافي بين
القراءتين فمن الجائز أن يكون العين جامعة للوصفين عن أبي ذر قال كنت رديف رسول الله على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري
يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تغرب في عين حامية قال حكماء الإسلام قد ثبت بالدلائل اليقينية أن الأرض كروية
في وسط العالم وأن السماء محيطة بها من جميع الجوانب وأن الشمس في فلكها تدور بدوران الفلك وأيضا قد وضح أن جرم الشمس أكبر من جرم الأرض
مائة ونيفا وستين مرة تقريبا فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض فتأويل الآية أن الشمس تشاهد هناك أعني في طرف العمارة كأنها تغيب
وراء البحر الغربي في الماء كما أن راكب البحر يرى الشمس تغيب في الماء لأنه لا يرى الساحل ولهذا قال وجدها تغرب ولم يخبر أنها تغرب في عين ولا شك
أن البحار الغربية توصف بالسخونة فهي حامية وأيضا حمئة لكثرة ما في البحار من الطين الأسود وأما قوله ووجد عندها قوما فالضمير إما للشمس أو للعين
وذلك أن الإنسان لما تخيل أن الشمس تغرب هناك كان سكان ذلك الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنا عشر
ألف باب لولا أصوات أهلها سمع الناس وجبة الشمس حين تجب كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يتخذ فيهم حسنا وهو تركهم
أحياء واختيار الدعوة والاجتهاد فقال أما من ظلم بالإصرار على الشرك فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا ثم يرد إلى ربه في الآخرة فيعذبه عذابا نكرا منكرا فظيعا
روى صاحب الكشاف عن قتادة أنه كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه وفيه نظر لأن العذاب النكر بعد أن يرد إلى
ربه لا يمكن أن يكون من فعل ذي القرنين ومن قرأ جزاء بالنصب أراد فله الفعلة الحسنى جزاء ومن قرأ بالرفع أراد فله الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة
أو فله أن يجازى المثوبة الحسنى وسنقول له من أمرنا أي مما نأمر به الناس من الزكوة والخراج وغيرهما يسرا أي قولا ذا يسر ليس بالصعب الشاق ثم حكى سيره
إلى أقصى الشرق فقال ثم أتبع سببا أي هيأ أسبابا يليق بسفر المشرق حتى إذا بلغ مطلع الشمس مكان طلوعها وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترا عن كعب أن الستر هو الأبنية وذلك أن أرضهم لا تمسكها فليس هناك شجر ولا جبل ولا أبنية يمنع شعاع الشمس ويدفع حره عنهم فإذا طلعت الشمس
دخلوا في أسراب لهم وإذا غربت اشتغلوا بتحصيل المعاش فحالهم بالضد من أحوال سائر الخلق وعن مجاهد أن الستر الثياب أنهم عراة كالزنج وهكذا
كل من سكن في البلاد القريبة من خط الاستواء كما حكى صاحب الكشاف عن بعضهم أنه قال خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك
وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى وحين قرب طلوع الشمس سمعت كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم أفقت فلما طلعت الشمس
إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وللمفسرين
في متعلق قوله كذلك وجوه أحدها كذلك أمر ذي القرنين اتبع هذه الأسباب حتى بلغ ما بلغ وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك
والاستقلال به الثاني لم نجعل لهم سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الأبنية أو الثياب الثالث بلغ مطلع الشمس مثل الذي بلغ من مغربها الرابع
تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم فقضى في هؤلاء كما قضى في أولئك من تعذيب الظالمين والإحسان إلى المؤمنين وقد سبق بعض
هذه الوجوه في الوقوف ثم حكى سفره إلى ناحية القطب الشمالي بعد تهيئة أسبابه فقال ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين قيل السد إذا كان بخلق الله
فهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول أي هو مما فعله الله وخلقه وإذا كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حدثا قاله أبو عبيدة وابن الأنباري
وانتصب بين على أنه مفعول به كما ارتفع بالفاعلية في قوله لقد تقطع بينكم قال الإمام فخر الدين الرازي الأظهر أن موضع السدين في ناحية الشمال
فقيل جبلان بين أرمينية وآذربيجان وقيل في منقطع أرض الترك وحكى محمد بن جرير الطبري في تاريخه أن صاحب آذربيجان أيام فتحها وجه إنسانا من ناحية
الخزر فشاهده ووصفه أنه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع وقيل إن الواثق رأى في المنام كأنه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم إليه ليعاينوه فخرجوا
من باب الأبواب حتى وصلوا إليه وشاهدوه ووصفوا أنه بناء من لبن من حديد مشدود من نحاس مذاب عليه باب مقفل ثم إن ذلك الإنسان لما حاول
الرجوع أخرجهم الدليل إلى البقاع المحاذية لسمرقند قال أبو الريحان البيروني ومقتضى هذا الخبر أن هذا الموضع في الربع الغربي الشمالي من المعمورة والله
أعلم بحقيقة الحال ولما بلغ الإسكندر ما بين الجبلين وجد من دونهما أي من ورائهما مجاوزا عنهما قوما لا يكادون يفقهون بأنفسهم أو يفقهون
غيرهم قولهم لأنهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم سؤال كيف فهم منهم ذو القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض الخ وأجيب بأن كاد نفيه إثبات
لعله فهم ما في ضميرهم بالقرائن والإشارات أو بوحي وإلهام وهما اسمان عجميان بدليل منع الصرف وقيل مشتقان من أج الظليم في مشيه إذا هرول
وتأجج النار إذا التهبت ومن أج الريق أو موج البحر سموا بذلك لشدتهم وسرعة حركتهم وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم
ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى الشبر ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة وأثبت لهم مخالب وأضراسا كأضراس السباع أما
إفسادهم في الأرض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل يأكلون لحومهم وقيل يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه
فهل نجعل لك خرجا وخراجا أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال وقيل الخرج ما يخرجه كل أحد من ماله والخراج ما يجبيه السلطان من البلد كل
سنة وقال قطرب الخرج الجزية والخراج في الأرض قال ذو القرنين ما مكني فيه ربي أي جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخرج



قوله سليمان فما آتاني الله خير مما آتيكم فاعينوني بقوة بآلات ورجال وصناع وقيل بمال اصرفه فيه هذا المهم ولا آخذه لنفسي اجعل ردما اكبر من السد من
ثوب مردم رقاع فوق رقاع وزبر الحديد قطعه قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة من قرأ آتوني بالمد فظاهر ومن قرأ ائتوني من الاتيان
فعلى حذف باء التعدية والنصب بنزع الخافض ثم ههنا اضمار اي فأتوها فوضع بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما على القراءات
جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان افرغ عليه قطرا الحذف الاول اصب عليه النحاس المذاب وقطرا منصوب بافرغ والتقدير آتوني قطرا
افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا مجمل ما يستدل به البصريون في ان المختار عند تنازع الفعلين هو اعمال الثاني اذ لو عمل الاول
لقال افرغه عليه يحكى انه حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد
ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا
صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وعن رسول الله صلعم ان رجلا اخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد
والله رأيته قال العلماء هذا معجز من ذي القرنين لان تلك الزبر الكثيرة اذا صارت كالنار لم يقدر الآدمي على القرب منه وكأنه تعالى صرف تأثير تلك
الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك النافخين فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته ولما
تكرر لفظ الاستطاعة مرارا حذف عنها التاء تخفيفا في الموضعين اعاد ذكرها بالآخرة تنبيها على الاصل ورجوعا الى البداية ثم قال ذو القرنين
هذا السد او هذا الاقدار والتمكين نعمة من الله عز وجل ورحمة على عباده فاذا جاء اي دنا مجيء القيامة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكلما
انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومن قرأ دكاء بالمد فعلى الوصف اي جعله ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا وهذا آخر حكاية ذي القرنين ثم شرع
سبحانه في بقية الجبارية فقال وتركنا بعضهم يومئذ اي يأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في البلاد يروى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه
ويأكلون دوابه ولا يقدرون ان يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ثم يبعث الله نغفا وهو دود يكون في انوف الابل والغنم فيدخل آذانهم فيموتون
وقيل اراد ان قوم السد لما منعوا من الخروج ماج بعضهم في بعض خلفه وقيل الضمير للخلق واليوم يوم القيامة اي وجعلنا الخلق يضطربون ويختلط
انسهم وجنهم حيارى ونفخ في الصور من آيات القيامة وسيجيء وصفه ومعنى عرضنا جهنم ابرازها وكشفها للذين عموا عنها في الدنيا وفي ذلك نوع من العقاب
للكفار لما يتداخلهم من الغم والفزع عن ذكري اي عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم فاطلق المسبب على السبب او عن القرآن وتأمل معانيه وصفهم
بالعمى عن الدلائل والآثار فاراد ان يصفهم بالصمم عن استماع الحق فقال وكانوا لا يستطيعون سمعا وهو ابلغ من ان لو قال وكانوا صما لان الاصم قد يستطيع
السمع اذا صيح به وهؤلاء زالت عنهم الاستطاعة بالكلية احتج الاشاعرة بالآية على ان الاستطاعة مع الفعل لانهم لما لم يسمعوا لم يستطيعوا واجيب بان
المراد من نفي الاستطاعة النفرة والاستثقال ثم اعاد التوبيخ والوعيد قائلا افحسب الذين كفروا والمراد افظنوا انهم ينتفعون بما عبدوه مع
اعراضهم عن تدبر آيات الله وتمردهم عن قبول امره وامر رسوله وفيه اضمار تقديره افحسبوا اتخاذ عبادي اولياء نافعا والعباد اما عيسى والملائكة واما
الشياطين الذين يطيعونهم واما الاصنام اقوال ومن قرأ بسكون السين فمعناه افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على انه مثل قائم
الزيدان يريد ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا قال الزجاج النزل المأوى والمنزل وقيل انه الذي يعد للضيف فيكون تهكما بهم نحو فبشرهم
بعذاب اليم الذين ضل سعيهم اي ضاع وبطل فعن علي انهم الرهبان كقوله عاملة ناصبة وروي عنه ان منهم اهل حروراء وعن مجاهد اهل الكتاب
والتحقيق انه يندرج فيه كل من يأتي بعمل خير لا يبتني على ايمان واخلاص عن ابي سعيد الخدري يأتي ناس باعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة
فاذا وزنوها لم تزن شيئا وذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قال القاضي ان من غلبت معاصيه طاعاته صار ما في ضمنه من الطاعة كان لم يكن فلا
يدخل في الوزن شيء من طاعاته وهذا مبني على الاحباط والتكفير وفي قوله فحبطت اعمالهم اشارة الى ذلك او المراد فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا
وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ذلك الذي ذكرناه من انواع الوعيد جزاؤهم وقوله
جهنم عطف بيان للجزاء والسبب فيه انهم ضموا الى الكفر بالله اتخاذ آيات الله واتخاذ رسله هزوا وتكذيبا ويجوز ان يكون كل من الامرين سببا مستقلا في
التعذيب ثم اردف الوعيد بالوعد على عادته عن قتادة الفردوس وسط الجنة وافضلها وعن كعب ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية وعن النبي صلعم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها
درجة ومنها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة قال اهل السنة جعل جنات الفردوس
نزلا فالاكرام التام يكون وراء ذلك وليس الا الرؤية ونظيره انه جعل جهنم باسرها نزلا فما وراءها هو العذاب الحقيقي وهو عذاب الحجاب كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون والحول التحول وفيه انه لا مزيد على نعيم الفردوس حتى تنازعهم انفسهم الى تلك الزيادة ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود اي لا تحول
فيطلب كقوله ولا هم منها يخرجون ولما ذكر انواع الدلائل والبينات وشرح اقاصيص سأل عنها نبه على كمال حال القرآن والمداد اسم لما يمد به الشيء
كالحبر للدواة والسراج والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وفرض ان جنس البحر مدادا لها لنفد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثل
البحر مددا لنفد ايضا وهو تمييز من مثله كقولك على التمرة مثلها زبدا والمدد والمداد واحد وروي ان حيي بن اخطب قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية يعني ان ذلك خير كثير لكنه قطرة من بحر كلمات الله قالت الاشاعرة ان كلمات الله تعالى

واحد واعترض عليه بهذه الآية فانها صريحة في اثبات كلمات كثيرة لله تعالى واجيب بان المراد من الكلمات متعلقات علم الله تعالى وزعم الجبائي ان قوله قبل ان تنفد كلمات ربي يدل على ان كلمات الله قد تنفد بالجملة وما ثبت عدمه امتنع قدمه واجيب بان المراد الالفاظ الدالة على تعلقات تلك الصفة الازلية قلت لا نسلم ان نفاد شيء قبل نفاد شيء آخر يدل على نفاد الشيء الآخر ولا على عدم نفاده فلا يستفاد من الآية الا كثرة كلمات الله بحيث لا يضبطها عقول البشر اما انها متناهية او غير متناهية فلا دليل في الآية على احد النقيضين ولكن الحق في نفس الامر ان كلمات الله لا نهاية لها لانها تابعة لمعلوماته وهي غير متناهية بالبرهان ثم امر نبيه ان يسلك سبيل التواضع وهو ان حاله مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الملكية الا انه امتاز بنعت الايحاء اليه وكفى به نورا ومباينة ثم بين ان الموحى هو انما الهكم اله واحد وفي تخصيص هذا الوحي بالذكر فائدة هي ان يستدل به على صدقه فان من علامات صدق مدعي النبوة ان يدعو الى التوحيد ثم ان يدعو الى العمل الصالح المقرون بالاخلاص وذلك قوله فمن كان يرجوا لقاء ربه اي يخاف سوء لقائه واللقاء بمعنى الرؤية عند الاشاعرة وبمعنى لقاء الثواب والعقاب عند المعتزلة فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال المفسرون النهي عن الاشراك بالعبادة هو ان لا يرى بعمله ولا يبتغي الا وجه ربه يروى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية قال العلماء الرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به قال في الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ **التأويل** لما بين ان للانسان كمالا مكنونا وكمالا مدفونا يمكن له تحصيله بالتربية والرياضة اراد ان يبين ان الانسان الكامل انما هو يستحق الخلافة في الارض واوتي اسباب كل شيء في عالم الوسايط والاسباب فبذلك يصير كاملا في نفسه مكملا للغير فاتبع سببا من اسباب الوصول الى عالم السفلي وهو مغرب شمس الروح الانساني فوجدها تغرب في عين حمئة هي عالم القوى والطبائع الاجسام ووجد عندها قوما هم القوى البدنية والنفوس الارضية قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذبهم بالقتل بسكين الرياضة وسيف المجاهدة واما ان تتخذ فيهم حسنا هو الرفق والمداراة قال اما من ظلم بوضع خاصيته واستعمالها في غير موضعها فسوف نعذبه بقهره على خلاف ما هو مراده وهواه ثم يرد الى ربه وهو الشيخ الكامل الذي يربيه فيعذبه عذابا نكرا هو المنع عن مشتهياته او يرد الى الله تعالى فيعذبه بعذاب البعد والقطيعة واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى هو مقام الوصول والوصال ومنقول له من امرنا يسرا هو التخفيف والاستراحة بعد العنا والمجاهدة ثم اتبع اسباب الوصول الى عالم الارواح وهو مطلع شمس النفس الناطقة الانسانية فوجدها تطلع على قوم مجردين عن العلائق الجسمانية والعوايق السائرة حتى اذا بلغ بين السدين وهو عالم التعشق والتمدن والجولان في جو اسباب قوام البدن وقيامه على وجه الجسمانية الى صلاح المعاد ونظامه وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا وهم العوام الذين صارت عليهم الجهل البسيط ان يأجوج ومأجوج القوى والطبايع مفسدون في الارض البشرية باستعمال خواصها في غير ما خلقت هي لاجلها فهل نجعل لك خرجا هو بذل الوجود بذل الموجود تأثيرا بقوة بهمة صادقة وعزيمة صادقة آتوني زبر الحديد هي ملكات راسخة وهيئات ثانية وقلوب قاسية كالحديد في المضاء وكالجبال الراسيات في البقاء حتى اذا ساوى عرض ما بين طرفي العمر كما قيل من المهد الى اللحد قال انفخوا بالمداومة على الاذكار والاوراد حتى اذا جعله نارا بنار حرارة الطاعة والذكر في حديد القلب قال آتوني افرغ عليه قطرا هو جوهر المحبة كيميا الاخلاص النافذة في سويداء القلوب بحيث لا ينفذ فيه كيد الشيطان ولا يعلوه ما سوى الرحمن الله حسبي

سورة مريم مكية حروفها ثلثة الاف وثمانمائة وحرفان كلماتها تسعمائة واثنتان وستون آياتها ثمان وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشاینده مهربان

كٓهٰيٰعٓصٓ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ

کهیعص حروف سوره — یاد کردن بخشش پروردگار تو بنده او زکریا — چون آواز داد پروردگار خود را آواز پوشیده — گفت ای پروردگار من بدرستیکه سست شد

الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي

استخوان از من — و سفید شد سر از پیری — و نبودم بدعای تو ای پروردگار بدبخت — و بدرستیکه من ترسیدم از خویشان از پس خود

وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا

و هست زن من نازاینده — پس ببخش مرا از نزد خود دوستی — میراث برد مرا — و میراث برد از آل یعقوب — و بگردان او را ای پروردگار پسندیده

يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ

ای زکریا — بدرستیکه ما مژده میدهیم ترا بپسری — نام او یحیی — نکردیم برای او از پیش همنام — گفت ای پروردگار من چگونه باشد مرا پسری

وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ

و هست زن من نازاینده — و بتحقیق رسیدم از پیری بخشک شدن — گفت همچنین — گفت پروردگار تو آن بر من آسان است و بتحقیق

خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ

که آفریدم تورا از پیش و نبودی چیزی گفت پروردگارا بگردان برای من نشانه گفت نشان تو آنکه سخن نگوئی مردم را سه شبان

سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ

بی‌ آن پس بیرون آمد بر گروه خود از عبادتگاه پس اشارت کرد بسوی ایشان آنکه تسبیح کنید بامداد و شبانگاه ای یحیی بگیر کتاب را

بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ

بتوانائی و دادیم او را حکم در کودکی و بخشایش از نزد ما و پاکی و بود پرهیزگار و نیکی به پدر و مادر و نه

يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ القراءة كهيعص بامالة الهاء فقط ابو عمرو

بناشد گردنکش نافرمان و درود بر او روزی که زاده شد و روزی که میمیرد و روزی که برانگیخته شود زنده

كهيعص بامالة الياء فقط حمزة وخلف وقتيبة وابن ذكوان وقرأ علي غير قتيبة ويحيى وحماد بامالتهما وقرأ ابو جعفر ونافع والخزاعي عن البزي و

ابن فليح بين الفتح والكسر الى الفتح اقرب بتفخيمهما صاد ذكر مدغما ابو عمرو وحمزة وخلف وابن عامر وسهل من ورائي بفتح الياء مهموزا ابن كثير غير زمعة

والخزاعي عن البزي قرأ زمعة عن ابن كثير والخزاعي عن البزي من وراي مثل عصاي يرثني ويرث بالجزم فيهما ابو عمرو وعلي الباقون برفعهما بشرك ثلاثيا

وكذلك في آخر السورة حمزة عتيا وجثيا وصليا وبكيا بكسر الاول حمزة وعلي وافق حفص الا في بكيا الخزاز عن هبيرة عتيا الاولى بالكسر والثانية بالضم

وقد خلقنا حمزة وعلي الآخرون خلقتك على التوحيد لي آية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي الباقون بالسكون وبعثها ثلثيا كلهم ابن شنبوذ عن اهل

مكة الوقوف كهيعص كوفي ذكريا ه لجواز تعلق اذ بمحذوف ذكر رحمة ربك لاحتمال الانتصاب باذكر محذوفا خفيا ه شقيا ه وليا ه ل يعقوب ق والوجه

الوصل لعطف الجملتين المتفقتين يحيى لان ما بعده صفة غلام والاستيناف ليس بقوي سميا ه عتيا ه كذلك ج هين ه لتقدير الامر كذلك شيئا

آية ط سويا ه وعشيا ه بقوة ط صبيا ه للعطف اي آتينا الحكم وحنانا منا عليه وزكاة ط تقيا ه عصيا ه حيا ه التفسير حروف التهجي في الوقف ثنائية

وثلاثية وقد جرت عادة العرب بامالة الثنائيات وبتفخيم الثلاثيات وفي الراي عند الامران لانه قد يلحق باخره ياء وقد لا يلحق فيصير ثنائيا ولا ريب ان

التفخيم اصل والامالة فرع عليه فمن قرأ بامالة الهاء والياء معا فعلى العادة ومن قرأ بتفخيمهما جميعا فعلى الاصل ومن قرأ بامالة احدهما فلرعاية الجانبين

وقد روى صاحب الكشاف عن الحسن انه قرأ بضمهما فقيل لانه تصور ان عين الكلمة فيهما واو فنبه بالضم على اصلهما والبحث عن هذه الفواتح قد سلف في اول

البقرة ومما يختص بهذا الموضع ما روي عن ابن عباس ان قوله كهيعص ثناء من الله تعالى على نفسه فالكاف كاف لامور عباده والهاء هاد والعين عالم

او عزيز والصاد صادق وعنه ايضا انه حمل الكاف على الكريم او الكبير والياء على الكريم مرة وعلى الحكيم اخرى وعن الربيع بن انس ان الياء من مجير وهذا التفسير

لا يخلو عن تحكم الا ان يستند الى الوحي او الالهام وارتفع ذكر رحمة على الخبرية هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وانتصب عبده على انه مفعول

الذكر وزكريا عطف بيان وقرئ برفعهما على اضافة المصدر الى المفعول وعن الكلبي انه قرأ ذكر بلفظ الماضي مشددا تارة ورحمة وعبده منصوبان

على المفعولية ومخففا اخرى وعبده مرفوع على الفاعلية وقرئ ذكره على الامر وهي قراءة ابن معمر وقيل يحتمل على هذا ان يكون الرحمة عبارة عن زكريا

لان كل نبي رحمة لامته ويجوز ان يكون رحمة لنبيتنا ولامته لان طريقه في الاخلاص والابتهال يصلح لان يقتدى به وكان ذكره رحمة لنا ولنبينا

وفي خفاء ندائه وجوه منها ان الاخفاء ابعد عن الرياء وادخل في الخشية ولهذا فسره الحسن بانه نداء لا رياء فيه ومنها انه اخفاه لئلا يلام على طلب

الولد في غير وقته ومنها انه اسره من مواليه الذين خافهم ومنها انه خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات

لعلي ان بافصي ما يقدر عليه من الصوت ومع ذلك كان خفيتا لنهاية كبره ثم شرع في حكاية ندائه انه قال رب اني وهن العظم مني الى قوله واجعله

رب رضيا قال علماء المعاني في الآية لطائف وذلك ان اصل الكلام يارب قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس ثم ترك

الاجمال الى التفصيل لتوخي زيادة التقرير فصار ضعف بدني وشاب رأسي ثم في القرينة الاولى عدل عن التصريح الى الكناية التي هي ابلغ منه فصار

وهنت عظامي فان وهن عظام البدن لازم لضعفه ثم بنيت الكناية على المبتدأ ليتقوى الحكم فحصل انا وهنت عظام بدني ثم سلك طريق الاجمال و

التفصيل لمزيد البيان فصار اني وهنت العظام من بدني فقد فصلت ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص كأنك اذا قلت اني وهنت العظام

افاد ان عظاما واهنة عندك فاذا قلت من بدني فقد فصلت ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام افاد ان عظاما به تحصل اني

وهنت العظام مني واذا حصل الوهن في هذا الجنس الذي هو اصلب الاعضاء وبه قوام البدن وقد يكون جنة لسائر الاعضاء الرئيسة كالقحف للدماغ

والقص للقلب ففي الاعضاء الاخر اولى واما القرينة الاخرى فتركت الحقيقة فيها الى الاستعارة التي هي ابلغ فحصل اشتعل شيب رأسي وبيانه

الاستعارة فيه انه شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وشبه انتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج

الاستعارة بالكناية بان حذف المشبه به واداة التشبيه فصار اشتعل شيب رأسي ويمكن تقرير الاستعارة بوجه آخر هو ان يكون استعمل اشتعل

بدل انتشر فيكون الاستعارة تبعية تصريحية وقرينتها ذكر الشيب ثم تركت هذه المرتبة الى ابلغ منها وهي اشتعل رأسي شيبا وكونها ابلغ من جهات

منها اسناد الاشتعال الى الرأس فاذن بشمول الاشتعال الرأس كما لو قلت اشتعل بيتي نارا امكان اشتعل النار في بيتي ومنها الاجمال والتفصيل



الواقعان فى طرفى التمييز ومنها تنكير شيبا للتعظيم كما هو حق التمييز ثم عدل الى مرتبة اخرى هى اشتعل الرأس منى شيبا لتوخى مزيد التقرير للاجمال ثم البيان على نحو وهن العظم منى ثم ترك لفظ منى لسبق ذكره فى القرينة الاولى ففى ذلك حالة نادبة المعنى على العقل دون اللفظ وكم بين الحوالتين مع ان بنا الكلام على الاختصار حيث قال رب بحذف حرف النداء وياء المتكلم بناء على الاختصار فى آخره وانما اطنب فى هذه المقام لان هذه الآية كالعلم فيما بين علماء المعانى ثم انه توسل الى الله عز وجل بما سلف له معه من الاستجابة قائلا ولم اكن بدعائك رب شقيا كما حكى ان محتاجا قال لكريم انا الذى احسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل الينا وقضى حاجته تقول العرب سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقى بها اذا خاب ولم ينلها ومعنى بدعائك اى بدعائى اياك واعلم ان زكريا قدم على السؤال امورا ثلاثة الاول كونه ضعيفا والثانى انه تعالى لم يرد دعاءه والثالث كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة فى الدين وذلك قوله وانى خفت الموالى قال ابن عباس والحسن اى الورثة وعن مجاهد العصبة وعن ابى صالح الكلالة وعن الاصم بنو العم وهم الذين يلونه فى النسب وعن ابى مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو ههنا من يقوم بميراثه مقام الولد والمختار ان المراد من الموالى الذين يخلفون بعده اما فى السياسة او فى المال الذى كان له او فى القيام بامر الدين وكان من عادتهم ان كل من كان الى صاحب الشرع اقرب كان متعينا للحبورة وقوله من ورائى اى بعد موتى لا يتعلق بخفت لان الخوف بعد الموت محال ولكن بمحذوف اى الموالى الذين يخلفون من بعدى او بمعنى الولاية فى الموالى خفت ولايتهم وسوء خلافتهم بعدى فان زكريا انضم له مع النبوة الملك فخاف بعده على احدهما او كليهما وسبب الخوف القرائن والامارات التى ظهرت له من صفات احوالهم واخلاقهم وانما قال خفت بلفظ الماضى لانه قصد به الاخبار عن تقادم الخوف ثم استغنى بدلالة الحال كمسئلة الوارث واظهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف فى الحال وقرئ خفت الموالى بتشديد الفاء وعلى هذا فمعنى ورائى خلفى وبعدى اى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين والالف نه بوطا بفقد والظرف متعلق بالموالى ومعنا قدامى والظرف متعلق بخفت اى درجوا ولم يبق من به تقوٍّ واعتضاد بالمسئلة فانا اى فهب لى واكده بقوله من لدنك اى هب لى ولياً صادراً من عندك مضافا الى اختراعك لانى وامراتى لا نصلح للولادة ومن قرأ يرثنى ويرث بالجزم فهما جواب الدعاء ومن قرأ برفعهما فالاكثرون ومنهم جار الله قالوا انه صفة وقال صاحب المفتاح الاولى حمله على الاستيناف كانه قيل لم تطلب الولد فقال مجيبا يرثنى اى لانه يرثنى لئلا يلزم منه انه لم يوهب من وصف لهلاك يحيى قبل زكريا واعترض بان حمله على الاستيناف يوجب الاخبار عما لم يقع وكذب النبى امتنع من كونه غير مستجاب الدعوة واجيب بان عدم ترتب الغرض من طلب الولد لا يوجب الكذب واقول الاعتراض باق لان المعنى يؤول الى قولنا هب لى ولياً موصوفا بالوراثة او بان الغرض منه الوراثة او هب لى وليا اخبر عنه بانه يرثنى وعلى التقادير يلزم عدم الاستجابة او الكذب والحق فى الجواب هو ما سلف لنا فى قصة زكريا من سورة آل عمران ان النبى لا يطلب فى الدعاء الا الاصلح حتى لو كان الاصلح غير ما طلبه يصرفه الله تعالى عنه كان المصروف اليه هو بالحقيقة مطلوبه ويمكن ان يقال لعل الوراثة قد تحققت من يحيى فى نفس ذلك الكتاب والشرع معمولا بعده ولكن يا ايضا وقد روى صاحب الكشاف ههنا قراءة شاذة لا فائدة كثيرة فى تعدادها الى قوله عن على وجماعة وارث من آل يعقوب اى يرثنى به وارث ويسمى التجريد فى علم البيان فقيل هو ان يجرد الكلام عن ذكر الاول حتى يقول جاءنى فلان فجاءنى رجل لا نظير له الا الاول ولذلك لا يذكر اسمه فى الجملة الثانية ويجرد الكلام عنه واقول يشبه ان يكون معنى التجريد هو انك تجرده عن جميع الاوصاف المنافية للرجولية وكذا فى الآية كانه جرده عن منافيات الوراثة باسرها واختلف المفسرون فى انه طلب للذرية او طلب من يقوم مقامه ولدا كان او غيره والاول اظهر لقوله فى آل عمران رب هب لى من لدنك ذرية طيبة ولقوله فى سورة الانبياء رب لا تذرنى فردا ولحجة القائل انه لما بشر بالولد استعظم وقال انى يكون لى غلام ولو كان دعاؤه لاجل الولد ما استعظم ذلك والجواب قد مر فى آل عمران واختلفوا ايضا فى الوراثة فعن ابن عباس والحسن والضحاك هى وراثة المال وعنهم ايضا ان المراد يرثنى المال ويرث من آل يعقوب النبوة او بالعكس وفى رواية ابى صالح ان المراد فى الموضعين النبوة فلفظ الارث مستعمل فى المال واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وفى العلم واورثنا بنى اسرائيل الكتاب العلماء ورثة الانبياء وحجة الاولين ما روى انه قال رحم الله زكريا وما عليه من يرثه فان ظاهره يدل على انه يريد وراثة المال وكذا قوله انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وايضا العلم والنبوة كيف يحصل بالميراث ولو كان المراد وراثة النبوة لم يحتج الى قوله واجعله رب رضيا لان النبى لا يكون الا رضيا واجيب بانه اذا كان المعلوم من حال الابن انه يصير نبيا بعده فيقوم بامر الدين جاز ان يقال ورثه والمراد بكونه رضيا انه لا يوجد منه معصية ولا هم بها كما جاء فى حق يحيى وقد مر الحديث هناك ولا يلزم من هذا ان يكون يحيى مفضلا على غيره من الانبياء كلهم فلعل لبعضهم فضائل اخر يختص بها واحتج الاشاعرة بالمسئلة لانه فى مسئلة خلق الاعمال واجابت المعتزلة بانه يفعل به ضروب الالطاف فيختار ما يصير به مرضيا عنده وزيفت بان ارتكاب المجاز على خلاف الاصل وبان فعل الالطاف وجب على الله فطلبه بالدعاء والتضرع عبث واعلم ان اكثر المفسرين على ان يعقوب المذكور فى الآية هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم لان زوجة زكريا كانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب وزكريا فقد كان من ولد هرون اخى موسى وهرون وموسى من ولد لاوى بن يعقوب بن اسحق وكانت النبوة فى سبط يعقوب وهو اسرائيل وزعم بعض المفسرين ان المراد هو يعقوب بن ماثان وهذا قول الكلبى ومقاتل وعن مقاتل ان بنى ماثان كانوا رؤس بنى اسرائيل وملوكهم قوله يا زكريا الاكثرون على انه نداء من الله تعالى لقرينة التخاطب من قوله رب انى وهن العظم منى الى قوله رب انى يكون لى غلام ومنهم من قال هو نداء الملك لقوله فى آل عمران فنادته الملائكة وجوز بعضهم الامرين واختلفوا فى عدم السمى فقيل انه لم يسم احد بيحيى قبله وقيل المراد انه لا نظير له كقوله هل تعلم له سميا اى وذلك انه جعل



وحصورا ولم يعص ولم يهم بمعصية فكأنه جواب لقوله واجعله رب رضيا وايضا سمي يحيى قبل دخوله في الوجود وولد بين شيخ فان وعجوز عاقر فلا نظير
له في هذه الخواص قال بعض العلماء القول الاول اظهر لما في الثاني من العدول عن الظاهر ولا يصار اليه الا لضرورة كما في قوله فاعبده واصطبر
لعبادته هل تعلم له سميا الا انا نعلم ان مجرد كونه لم يسم لا يقتضي عبادته فنقول المسمى هناك يراد به المثل والنظير ويمكن ان يقال التفرد
بالاسم فيه ضرب من التعظيم فلا ضرورة في الاية ايضا قال جار الله انما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل منهما باسم المثل والشبيه والشكل
والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه قلت يقرب هذا من اطلاق اللازم وارادة الملزوم ولم سمي يحيى تكلفوا له وجوها فعن ابن عباس لانه تعالى
احيى به عقر امه وعن قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان والطاعة ومن كان ميتا فاحييناه اذا دعاكم لما يحييكم ولهذا كان اول من آمن بعيسى وقيل لانه
استشهد والشهداء احياء وقيل لان البر احيي به لان زكريا سأله لاجل الدين له وقد بلغت من الكبر قال جار الله اي من اجل الكبر والطعن في السن
العالية فمن للتعليل ويجوز ان يكون للابتداء اي بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام
العود وعتيا اذا غير طول الزمان الى حالة اليبس سؤال انه قال في آل عمران وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر فلم عكس الترتيب في هذه السورة واجيب
بان الواو لا يفيد الترتيب قلت ان ذلك ورد على الاصل وهو تقديم نقص نفسه وههنا راعى الفاصلة قال الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ قائلا
قال ربك فمحل كذلك رفع ويحتمل ان يكون نصبا بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله هو اي خلق الغلام علي هين ويحتمل ان يكون اشارة الى
قول زكريا اني يكون لي غلام اي كيف تعطيني الغلام ابأن تجعلني وزوجتي شابين او بان تتركنا على الشيخوخة فاجيب بقوله كذلك اي تهب الولد لك
مع بقائك وبقاء زوجتك على حالتكما ولفظ الهين مجاز عن كمال القدرة وهو فيعل من هان الشيء يهون اذا لم يصعب ولم يمتنع عن المراد
تك شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كالنطفة او كالجواهر التي لم تتألف بعد وفيه نفي استبعاد زكريا لان من ابدأ الذات ثم نقلها في اطوار
الصفات ليس يهون من تبديل الصفات وهو احداث القوة المولدة في زكريا وصاحبته بعد ان لم يكن قال رب اجعل لي آية قد مر تفسيرها في آل عمران الا انه
قوله سويا فقط انه صفة لليالي اي تامة كاملة والاكثرون على انه صفة زكريا اي انت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم فخرج على قومه من
المحراب قيل كان له موضع ينفرد فيه للصلاة والعبادة ثم ينتقل الى قومه وقيل كان موضعا يصلي فيه هو وغيره الا انهم كانوا لا يدخلونه للصلاة الا
باذنه فاوحى اليهم عن مجاهد اشار بدليل قوله في آل عمران الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض وان هي المفسرة وسبحوا اي صلوا او على الظاهر
وهو قول سبحان الله عن ابي العالية ان البكرة صلاة الفجر والعشي صلاة العصر فلعلهم كانوا يصلون معه هاتين الصلوتين في محرابه وكان يخرج اليهم
ويأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم كعادته فغمهم المقصود بالاشارة او الكتابة وههنا اضمار والمراد فبلغ يحيى المبلغ الذي يجوز ان

اعتقل

يخاطب فقلنا له يا يحيى خذ الكتاب اي التوراة لانها المعهود ويحتمل ان يكون كتابا مختصا به وان كنا لا نعرفه الآن كقول عيسى اني عبد الله
آتاني الكتاب والمراد بالاخذ اما الاخذ من حيث الحس واما الاخذ من حيث المعنى وهو القيام بمواجبه كما ينبغي وذلك بتحصيل ملكة يقتضي سهولة
الاقدام على المأمور به والاحجام عن المنهي عنه ثم اكده بقوله بقوة اي بجد وعزيمة وآتيناه الحكم اي الحكمة عن ابن عباس هو فهم التوراة والفقه في الدين
ولذلك لما دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي قال ما للعب خلقت وعن معمر العقل وقيل النبوة وكل هذه الاوصاف على الاقوال من الخوارق كما
في حق عيسى فلا استبعاد الا من جهة العادة والحنان اصله توقان النفس ثم استعمل في الرحمة وهو المراد ههنا وما قيل انه يحتمل انه اراد حنانا
منا على زكريا او على امة يحيى لا يساعده وجود الواو وقيل اراد آتيناه الحكم والحنان على عبادنا كقوله في نبينا فبما رحمة من الله لنت لهم واراد بقوله
وزكاة انه مع الاشفاق عليهم كان لا يخل بأمره ما يجب عليهم لان الرأفة في دين الله ربما يورث ترك الواجب ولهذا قال ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله
ولا يخفى انه لا يساعد هذا القول وجود لفظة منا وعن عطاء ان معنى حنانا تعظيما لدنا وعن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن جريج ان معنى الزكاة
عملا صالحا زكيا وقيل زكيناه بحسن الثناء عليه كما يزكي الشهود وقيل بركة كقول عيسى جعلني مباركا وقيل صدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق
عليهم ثم اخبر مجملا عن جملة احواله بقوله وكان تقيا يجتنب لم يعص الله ولا هم بمعصية قط وبرا بوالديه لان تعظيم الوالدين تال لتعظيم الله ولم يكن
جبارا عصيا وذلك لان الزاهد في الدنيا قلما يخلو عن طلب ترفع والرغبة في الاحترام فذكر انه مع غاية زهده كان موصوفا بالتواضع للخلق
والخضوع والعبودية للحق قال سفيان الجبار الذي يقتل عند الغضب بدليل قوله اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في
الارض ثم انه سبحانه سلم عليه في ثلاثة مواطن هي اوحش المواطن واحوجها الى طلب السلامة فيها ويحتمل ان يكون هذا السلام من الملائكة عليه الا
انه لما كان باذن الله كان كسلام الله قيل انما قال حيا مع ان المبعوث هو الحي الى حال الحياة تنبيها على كونه من الشهداء وهم احياء الا انه بما يجيء في قصة عيسى

ليتكلم

ويوم ابعث حيا وذلك انه ورد في الاخبار ان عيسى سيموت بعد النزول والظاهر انه اراد بيوم يبعث حيا فوضع الاخص موضع الاعم تأكيدا قيل السلام
عليه يوم ولد لا بد ان يكون تفضلا من الله تعالى لانه لم يتقدم منه عمل يجزى عليه واما الاخيران فيجوز ان يكونا لاجل الثواب قلنا اكثر اموره خارق للعادة
فيحتمل ان يوجد منه في بطن امه عمل يستحق الثواب كما يحكى ان مريم قالت لامه اني ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك **التأويل** ان زكريا الروح
نادى ربه نداء خفيا من سر السر قال رب اني وهن مني عظم الروحانية واشتعل شيب صفات البشرية واني خفت صفات النفس ان تغلب كما غلبت
يعني الجثة التي هي روح الروح عاقرا لا تلد الا بموهبة من الله فهب لي من لدنك سالا ولما اعطاه الله نبيا وهو في الحقيقة القلب الذي هو معدن





العلم اللدنی فانه ولد الروح والنفس عدا عدوه يرثنی ويرث من آل يعقوب ای يتصف بصفة الروح وجميع الصفات الروحانيات واجعله رب رضيا بان
تولد من تجلی صفات ربوبيتك فانه مرضی به بطبعه ولسوف يعطيك ربك فترضی اسمه يحيی لان الله احياه بنوره لم نجعل له من قبل سميا لان الحيوانات ولا من
الملكة لانه هو الذی يقبل فيض الالوهية بلا واسطة وهو سر حمل الامانة كما قال ولكن يسعنی قلب عبدی المؤمن وقد بلغت من الكبر ای بسبب طول
زمان تعلق القلب بالقالب عتيا يبسا وجفافا من غلبات صفات النفس آيتك الا تكلم الناس لا تخاطب الا الله ولا تلتفت الی ما سواه ثلث ليال هی ثلث
مراتب الجمادات والحيوانات والروحانيات سويا متمكنا فی هذه الحال من غير تلون فخرج زكريا الروح من محراب هواه وطبعه علی قوم صفات نفسه و
قلبه وانانيته فاشار اليهم ان كونوا متوجهين الی الله معرضين عما سواه اناء الليل واطراف النهار بل بكرة الازل وعشی الابد يا يحيی القلب خذ الكتاب
الفيض الالهی المكتوب لك فی الازل بقوة ربانية لا بقوة جسدانية لانه خلق ضعيفا وآتيناه الحكم صبيا اذا خلق الخلق فی ظلمة ثم رش عليهم من نوره
وزكوة وتطهيرا من الالتفات الی غيرنا وبرا بوالديه الروح والقالب اما بالروح فلان القلب محل قبول الفيض الالهی لان الفيض يصيب الروح اولا و
لكن لا يمسكه لغاية لطافته كما ان الهواء الصافی لا يقبل الضوء وينفذ فيه واما القلب ففيه صفاء وكثافة فبالصفاء يقبل الفيض وبالكثافة يمسكه وهذا
احد اسرار حمل الامانة واما بوالده القالب فهو استعمالها علی وفق الشريعة والطريقة ولم يكن جبارا عصيا كالنفس الامارة بالسوء وسلام عليه يوم
ولد فی اصل خلقه ويوم يموت من استعمال المعاصی بالتوبة ويوم يبعث بالتربية والترقی الی مقام السلام الله حسبی واذكر فی الكتاب

مَرْيَمَ اِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ اَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُوْنِهِمْ حِجَابًا فَاَرْسَلْنَا اِلَيْهَا رُوْحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا
سَوِيًّا ۝ قَالَتْ اِنِّيْٓ اَعُوْذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ اِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ اِنَّمَآ اَنَا رَسُوْلُ رَبِّكِ لِاَهَبَ لَكِ غُلٰمًا
زَكِيًّا ۝ قَالَتْ اَنّٰى يَكُوْنُ لِيْ غُلٰمٌ وَّلَمْ يَمْسَسْنِيْ بَشَرٌ وَّلَمْ اَكُ بَغِيًّا ۝ قَالَ كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ
هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهٗٓ اٰيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ اَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهٖ مَكَانًا قَصِيًّا ۝
فَاَجَآءَهَا الْمَخَاضُ اِلٰى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يٰلَيْتَنِيْ مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَّنْسِيًّا ۝ فَنَادٰىهَا مِنْ تَحْتِهَآ
اَلَّا تَحْزَنِيْ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝ وَهُزِّيْٓ اِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝ فَكُلِيْ
وَاشْرَبِيْ وَقَرِّيْ عَيْنًا فَاِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ اَحَدًا فَقُوْلِيْٓ اِنِّيْ نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْمًا فَلَنْ اُكَلِّمَ الْيَوْمَ
اِنْسِيًّا ۝ فَاَتَتْ بِهٖ قَوْمَهَا تَحْمِلُهٗ قَالُوْا يٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ۝ يٰٓاُخْتَ هٰرُوْنَ مَا كَانَ اَبُوْكِ امْرَاَ
سَوْءٍ وَّمَا كَانَتْ اُمُّكِ بَغِيًّا ۝ فَاَشَارَتْ اِلَيْهِ قَالُوْا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ اِنِّيْ
عَبْدُ اللّٰهِ اٰتٰىنِيَ الْكِتٰبَ وَجَعَلَنِيْ نَبِيًّا ۝ وَّجَعَلَنِيْ مُبٰرَكًا اَيْنَ مَا كُنْتُ وَاَوْصٰنِيْ بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ
مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَّبَرًّاۢ بِوَالِدَتِيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِيْ جَبَّارًا شَقِيًّا ۝ وَالسَّلٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُّ وَيَوْمَ اَمُوْتُ
وَيَوْمَ اُبْعَثُ حَيًّا ۝ ذٰلِكَ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِيْ فِيْهِ يَمْتَرُوْنَ ۝ مَا كَانَ لِلّٰهِ اَنْ يَّتَّخِذَ
مِنْ وَّلَدٍ سُبْحٰنَهٗ اِذَا قَضٰٓى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُوْلُ لَهٗ كُنْ فَيَكُوْنُ ۝ وَاِنَّ اللّٰهَ رَبِّيْ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوْهُ
هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمٌ ۝ فَاخْتَلَفَ الْاَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيْمٍ



أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ

بشنوا باشند و بینا روزی که بیایند بما لکن ستمکاران امروز در گمراهی آشکارا و بترسان ایشان از روز ندامت

إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝ القراءات

که ساخته شود کار ایشان در غفلت و ایشان نمیگروند بدرستیکه ما ارث بریم زمین را و هر که بر اوست و بما باز گردند

اني اعوذ بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ليهب لك على الغيبة ابو عمرو ويعقوب وورش والحلواني عن قالون وحمزة في الوقف الآخرون لأهب على التكلم نسيا بفتح النون حمزة وحفص الباقون بكسرها من تحتها بكسر الميم على انه حرف جر وبجر التاء الثانية ابو جعفر ونافع وسهل وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحهما على ان من موصولة والظرف صلتها تساقط بحذف تاء التفاعل حمزة والخراز عن هبيرة تساقط من المفاعلة حفص غير الخراز يساقط بياء الغيبة على ان الضمير للجذع وبادغام التاء في السين سهل ويعقوب ونصير وحماد الباقون مثله ولكن بتاء التأنيث على ان الضمير للنخلة ممالة مفتوحة الياء علي وقرأ حمزة مرسلة الياء مفتوحة في الوصل ممالة في الوقف واصابا امالة على قول الحق بالنصب ابن عامر وعاصم ويعقوب وان الله بكسر الهمزة عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وروح والمعدل عن زيد الوقوف مريم لئلا يصير اذ ظرفا لاذكر شرقيا ه للعطف زكيا ه بغيا ه كذلك ج لما مر هين ج لجواز كون الواو مقحمة او متعلقة بمحذوف كما يجيء منا ط لاختلاف الجملتين مقضيا ه قصيا ه النخلة ج لأن الماضي من غير عاطف والاولى ان يكون نسيا منسيا ه سريا ه جنيا ه عينا ج للشرط مع الفاء احدا لا لان ما بعده جواب الشرط انسيا ه للعطف مع الآية تحمله ط فريا ه بغيا ه الشرط صبيا ه عبد الله ط لأن الجملة لا تقع صفة للمعرفة ويمكن ان تجعل معنى التخصيص في ان عاملا فيكون حالا فلا يوقف اينما كنت ص لطول الكلام حيا ص لذلك والوصل اولى لان قوله وبرا معطوف على قوله مباركا بوالدتي لتبدل الكلام من الاثبات الى النفي شقيا ه حيا عيسى ابن مريم على القراءتين لاحتمال الابتداء قول الحق وان تجعل حالا واما في قراءة الرفع فاما ان يكون بدلا من عيسى او يكون التقدير هو قول الحق يمترون ه من ولد لا امتناع الا للتنزيه سبحانه ط فيكون ه لمن قرأ وان بالكسر فاعبدوه ط مستقيم ه من بينهم لأن ما بعده مبتدأ مع الفاء عظيم ه والبصر لا لأن ما بعده ظرف للتعجب مبين ه وسمعت عن مشايخي رحمهم الله انه لو وقف على قوله قضي الامر لازم لا فاته المطلوب لأن ما بعده جملة مستأنفة ولو وصل لأوهم ان يكون حالا من القضاء وليس كذلك لا يؤمنون ه يرجعون ه **التفسير** هذا شروع في ابتداء خلق عيسى لا في بيان خلق الولد بين شيخين فانيين اقرب الى مناهج العادات من تخليق الولد من غير اب فلهذا اخرت قصة عيسى عن قصة يحيى ترقيا من باب التفهيم من الادنى الى الاعلى وقوله اذ بدل الاشتمال من مريم لأن الاحيان مشتملة على ما فيها وفي هذا الابدال تفخيم لشأن الوقت لوقوع قصتها العجيبة فيه والانتباذ افتعال من النبذ الطرح كأنها القت نفسها الى جانب معتزلة عن الناس في مكان يلي شرقي بيت المقدس او شرقي دارها قال ابن عباس ومن ههنا اتخذت النصارى المشرق قبلة فاتخذت من دونهم حجابا لا بد لهذا الاحتجاب من غرض صحيح فمن المفسرين من قال انها لما رأت الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد لكن تنتظر الطهر فتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبرائيل وقيل طلبت الخلوة لأجل العبادة وقيل في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او شيء يسترها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها بابها فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي رأسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك وذلك قوله فارسلنا اليها روحنا يعني جبرائيل لأن الدين يحيى به وبوحيه والاضافة للتشريف والتسمية مجاز كما تقول لمحبوبك انت روحي فتمثل لها حال كونه بشرا سويا تام الخلق او حسن الصورة وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه وتنوع الروحاني لجبرائيل مثلا تارة بالهيكل العظيم واخرى بالصغير عندي مستبعد والذي اعتقده ان جبرائيل جسما جوزوا ان يكون له اجزاء اصلية قليلة واجزاء فاضلة فتلك الاجزاء الاصلية يكون متمكنا من التشبيه بصورة الانسان ولندرة امثال هذه الامور لا يلزم منها قدح في العلوم العادية المستندة الى الاحساس فلا يلزم الشك في ان زيدا الذي نشاهده الآن هو الذي شاهدناه بالأمس قوله ان كنت تقيا اي ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك وقيل انه كان في ذلك العصر انسان فاجر اسمه تقي كان يتبع النساء فظنت ان ذلك التمثيل هو ذلك الشخص فاستعاذت بالله وقيل ان نافية اي ما كنت تقيا حيث استحللت النظر الي وخلوتي وحين علم جبرائيل خوفها قال انما انا رسول ربك ارسلني لأهب لك او ليهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب ينمو على النزاهة والعفة وكيف زال خوفها بمجرد التمثل احتمل ان يكون قد ظهر لها معجز من جهة زكريا او ارهاصا لعيسى او الهاما من الله سبحانه وهل يقدر الملك على تركيب الاجزاء وخلق الحياة والنطق حتى صح قول جبرائيل لأهب لك قال الجمهور لا بناء على ان لا قدرة للاجسام على ايجاد الجواهر واعدامها والا فلا استبعاد في تأثير بعض الاجسام في بعضها لخاصية خصها الله بها ووجه صحة هذه القراءة ان جبرائيل صار سببا في هبته بالنفخ في الدرع قالت استغرابا من حيث العادة لا تشكيكا في قدرة الله اني يكون لي غلام لم تقل هب لي ربي لانها تخاطب جبرائيل وانما اكتفاء بما سلف في آل عمران ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا هي الفاجرة التي تبغي الرجال عن المبرد ان اصله بغوي على فعول فقلبت الواو ياء ثم ادغمت في الياء وكسرت الغين للمناسبة عن ابن جني انه فعيل والا لقيل بغو كنهو عن المنكر خصصت نفسها بعد ما عممت لزيادة الاعتناء بهذا الحكم بتنزيه لسانها عن الفحشاء ولما جرى في اول القصة من تمثل جبرائيل لها بصورة البشر حتى ظننت انه يريدها بسوء فاستعاذت بالرحمن بخلاف هذه القصة في آل عمران فانها مبنية على الامن والبشارة بقوله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك فلم يحتج الى هذه الزيادة وقال جار الله المس عبارة عن النكاح الحلال لأنه كناية عنه في قوله من قبل ان تمسوهن واللمس



النساء وانما بغي في الزنا بحرها وخبث لها ونحو ذلك ولا يليق به الكنايات والاداب قلنا لو سلم هذا من حيث اللغة الا انه لا بد له زيادة قوله ولنجعله
في هذا المقام من فائدة وقد عرفت ما سنح لنا والله اعلم قال كذلك قال ربك هو علي هين تفسيره كما في قصة زكريا ولنجعله اي ولنجعل الغلام او خلقه
آية للناس يستدلون بها على كمال اقتدارنا على ابداع الغرائب فعلنا ذلك ويجوز ان يكون معطوفا على تعليل مضمر يتعلق بما يدل عليه هين
اي نخلقه لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه مثل هذا في قوله ولقد مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه ورحمة منا على عبادنا لان كل نبي رحمة لامته فيه
يهتدون الى صلاح الدارين وكان امرا مقضيا مقدرا في اللوح او امرا حقيقا بان يقضى به لكونه آية ورحمة وهذا مبني على ان رعاية الاصلح واجبة على الله
وههنا اضمار قال ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل في ذيلها فوصلت الى الفرج وقيل
في فمها وقيل ان النافخ هو الله كقوله فنفخنا فيه من روحنا وعلى هذا يقع تقديم ذكر جبرئيل كالضائع ولا سيما في قراءة من قرأ لاهب لك وقيل حملته وهي
بنت ثلث عشرة سنة وقيل بنت عشرين وقد حاضت حيضتين قبل ان تحمل وكم مدة حملها عن ابن عباس في رواية تسعة اشهر كما في سائر النساء لانها لو كانت مخالفة
لهن في هذه العادة لناسب ان يذكرها الله تعالى في اثناء مدائحها وقيل ثمانية اشهر ولم يعش مولود لثمانية الا عيسى قال اهل التنجيم انما لا يعيش لانه لا يعود
الى تربية القمر وهو منحوس يقتضي تسرع حركته وغلبة التبريد والترطيب عليه وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل حملته في ساعة
وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس يومها وعن ابن عباس في رواية اخرى كان حمله نبذة لقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله الى قوله كن فيكون
ولفاء التعقيب في قوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض وعلى هذا فالمكان القصي هو اقصى الدار او وراء الجبل بعيدا من اهلها ومعنى
انتبذت به اعتزلت متلبسة به وهو في بطنها وقصيا بعيدا قاصيا يروى الثعلبي عن وهب قال ان مريم لما حملت فاول من عرف هو يوسف النجار ابن عمها وكانت
سميت له وكانا يخدمان المسجد ولا يعلم اهل زمانهما اكثر عبادة وصلاحا منهما فقال لها انه وقع في نفسي من امرك شيء ولا احب ان اكتمه عنك فقالت قل
قولا جميلا فقال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم الم تعلم ان الله تعالى انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر او تقول ان الله لا يقدر على الانبات حتى
يستعين بالماء الم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انثى فقال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله قادر على ما يشاء وزال التهمة عن قلبه
وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لضيق قلبها واستيلاء الضعف عليها من الحمل فحين دنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك كيلا يقتلوا ولدك
فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد ادركها النفاس فالجاها الى اصل نخلة قال جار الله اجاء منقول من جاء الا ان استعماله
قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا ترى انك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت
المكان وآتانيه فلان قلت حاصله تخصيص التعدية بعد تعميم والمخاض بفتح الميم وجع الولادة قال الجوهري مخضت الناقة بالكسر مخاضا مثل
سمع سماعا قيل طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة يروى انه كان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان
الوقت شتاء والتعريف اما كتعريف النجم والصعق لكون ذلك الجذع مشهورا هناك واما للجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة ارشدت اليها لتطعم
منها الرطب الذي هو خرسة النفساء اي طعامها الموافق لها ولان النخلة اقل الاشياء صبرا على البرد ولا تثمر الا باللقاح فكان ذلك الرطب من تلك
الجذع في الشتاء من دون لقاح وابار دليلا على حصول الولد من غير ذكر قال في الكشاف النسي ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها ونظيره
الذبح لما من شأنه ان يذبح وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن المنزل قالوا انظروا انساءكم يعني العصا والقدح والشظاظ ونحوها تمنت لو كانت شيئا لا يعبأ به في نفسه
ان ينسى في العادة ومعنى منسيا انه قد نسي واطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وانما تمنت ذلك لما لحقها من فرط الحياء والخجل ولانهم يتهمونها
وهي عارفة ببراءة ساحتها فتشق ذلك عليها او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها ومن قرأ نسيا بالفتح فقد قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر
ويجوز ان يكون تسمية بالمصدر كالحمل وقرئ نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته ونزارته فناداها من تحتها الذي هو تحتها
او انسان تحتها يعني جبرئيل بناء على انه كان يقبل الولد كالقابلة او اراد اسفل من مكانها لان مريم كانت اقرب الى الشجرة منه او كان جبرئيل تحت الاكمة
وهي فوقها فصاح بها لا تحزني وعن الحسن وسعيد بن جبير ان المراد به عيسى لان ذكر عيسى اقرب ولان موضع اللوث لا يليق بالملك ولان الصلة يجب
ان تكون معلومة للسامع والذي علم كونه حاصلا تحتها هو الولد ويجري القولان فيمن قرأ بكسر الميم وعن عكرمة وقتادة ان الضمير في تحتها للنخلة قوله
سريا جمهور المفسرين على ان السري هو الجدول ويروى عن النبي صلعم سمي به لان الماء يسري فيه وقيل هو من السرو ومعناه سخاء في مروءة ويقال
فلان من سروات قومه اي من اشرافهم وجمع السري سراة وجمع سراة سروات عن الحسن كان والله عبدا سريا حجة هذا القائل ان النهر لا يكون تحتها بل
جنبها ولا يمكن ان يقال المراد ان النهر تحت امرها يجري بامرها ويقف بامرها كما في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي لانه خلاف الظاهر واجيب بان المكان
المستوي اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان اقرب منه كان فوق وكل من كان ابعد منه كان تحت واراد ان النهر تحت الاكمة وهي فوقها وايضا حمل السري
على النهر موافق قوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وقوله فكلي واشربي يروى ان جبرئيل ضرب برجله فظهر ماء عذب وقيل كان هناك ماء جار و
الاول اقرب لان قوله قد جعل ربك مشعر بالاحداث في ذلك الوقت قال القفال الجذع من النخلة هو الاسفل ما دون الراس الذي عليه الثمرة وقال
قطرب كل خشبة في اصل شجرة فهي جذع والباء في قوله بجذع النخلة كالزائدة لان العرب تقول هزه وهز به والمعنى حركي جذع النخلة او افعلي الهز رطبا
تمييز او مفعول تساقط على حسب القراءات التي للازمة والمتعدية وعن الاخفش المراد جواز انتصابه بهزي اي هزي اليك رطبا جنيا بجذع النخلة اي على جذعها

فائدتان

والجني المأخوذ طريا والظاهر انه ما اثمر الا الرطب فقد صار نخلا وقيل انه كان على حاله وانه اثمر مع الرطب غيره قالوا اذا عسر ولادة المرأة لم يكن لها خير من الرطب
والتمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذا التحنيك والمراد انه جمع لها في السري والرطب احدهما الاكل والشرب وقدم الاكل مع ان ذكر السري مقدم
لان احتياج النفساء الى اكل الرطب اشد من احتياجها الى شرب الماء لكثرة ما سال منها من الدماء والثاني انه سلوة الصدر لكونهما معجزتين لزكريا او
ارهاصا لعيسى وكرامتين لمريم واشار الى هذه بقوله وقري عينا لان قرة العين تلزم قوة القلب والتسلي من الهموم والاحزان وقيل ان الم
النفس اشد من الم البدن فلم قدم دفع الم البدن على دفع الم القلب اجيب بان الخوف النفسي كان قليلا لتقدم بشارة جبرئيل فكان التذكر كافيا
فاما ترين اصله ترايين مثل تسمعين خففت الهمزة وسقطت نون الاعراب للجزم ثم ياء الضمير للساكنين وذلك بعد لحوق نون التاكيد وقد مر في قوله
اما يبلغن عندك الكبر ان التاكيد في هذه الصورة بقصد ان الشرط مما سيقع غالبا فالمعنى انك لابد ان ترى احدا من البشر عادة عن انس بن مالك
الصوم هنا الصمت وعن ابن عباس مثله وقال ابو عبيدة كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم وقيل اراد الصيام الا انهم كانوا لا يتكلمون
في صيامهم قال القفال لعل مثل هذا النذر يجوز في شرعنا لان الاحتراز عن كلام البشر لتجريد الفكر لذكر الله تعالى وهو قربة لعله لا يجوز لما فيه
من التضييق والتشديد ولا حرج في الاسلام وفي الكشاف نهى رسول الله صلعم عن صوم الصمت وروي انه دخل ابو بكر الصديق على امرأة وقد نذرت
انها لا تتكلم فقال ابو بكر ان الاسلام هدم هذا فتكلمي وفي امرها بهذا النذر وجهان احدهما ان كلام عيسى اقوى في ازالة التهمة وفيه ان تفويض الامر الى
الافضل اولى والثاني ان السكوت عن جدال السفهاء اصون للعرض ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها وكيف اخبرتهم بالنذر وقيل بالاشارة ولا
يلزم النقض وقيل جوز هذا الكلام بالقرينة العقلية وقوله انسيا اراد المبالغة في نفي الكلام واراد اني اكلم الملائكة دون الانس وهذا اشبه بقوله
فاما ترين من البشر فاتت به اي بعيسى قومها تحمله حال عن وهب قال انساها كرب الولادة وما سمعت من الناس ما كان من بشارة الملائكة فلما كلمها جاءها
مصداق ذلك فاحتملته فاقبلت به الى قومها وعن ابن عباس ان يوسف النجار انتهى بمريم الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم جاءت
تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها بكوا وقالوا لقد جئت شيئا فريا بديعا من فري
الجلد وليس في هذا ما يوجب تعييرا وذما لان امرها كان خارجا عن العادة ويحتمل انه اراد انه امر منكر خارج عن طريق العفة والصلاح فيكون توبيخا
ويؤكده قولهم يا اخت هرون الاية واختلفوا في هرون فقيل كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وهذا اظهر لان حمل اللفظ على الحقيقة اولى من
غيره وقيل وروي عن النبي صلعم انهم عنوا هرون النبي اخا موسى عليهما السلم وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينهما الف سنة واكثر وعن السدي
كانت من ولده والمراد انها واحدة منهم كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل وكان رجلا صالحا في زمانها اي كنت عندنا مثله في الصلاح
يحكى انه تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه وقيل كان رجلا طالحا معلنا بالفسق فشبهوها به بالتشبيه تشبيه ويروى انهم هموا
برجمها فاشارت اليه اي ان عيسى هو الذي يجيبكم وبم عرفت ذلك اما بان كلمها في الطريق او بالالهام او بالوحي الى زكريا او بقول جبرئيل على
ان امرها بالسكوت بعد ما سبق من البشارة اشارة الى ذلك قيل كان المستنطق لعيسى زكريا وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها
بنا اشد علينا من زناها ثم قالوا كيف نكلم من كان في المهد قال الجبار الله كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح القريب والبعيد وههنا
للزمان القريب عن الحال لا انه الحال وهو حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد حتى نكلم هذا ويحتمل ان يكون كان زائدة
نظرا الى اصل المعنى وانكان يفيد ارتباطا مع رعاية الفاصلة او بمعنى صار وصبيا حال مؤكدة يروى انه كان يرضع فلما سمع مقالتهم ترك الرضاع واقبل
عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته قائلا اني عبد الله فكان فيه اولا رد قول النصارى اتاني الكتاب هو الانجيل او التورية اي فهمها
وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا بل في بطن امه وقيل اراد انه سبق في قضائه او جعل الاتي لا محالة كانه قد وجد والاول اظهر وصغر الجسم لا يمنع
في كمال العقل وخرق العادة فيه اكثر قالوا ان كمال العقل في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجزة مقرونا على التحدي وهو غير جائز ولو كان نبيا
في ذلك الوقت وجب ان يشتغل ببيان الشرائع والاحكام ولو وقع ذلك لاشتهر ونقل والجواب ان بعض معجزات النبي لا بد ان يكون مقرونا بالتحدي
اما الكل فممنوع وبعبارة اخرى لا بد ان يكون مقرونا بفعل خارق للعادة فانه لا يلزم اقترانه بالتحدي وكذا الكلام في بيان الشرائع فان بعض وظائف
النبي لا بد ان يقترن به دون كل وظائفه وحالا انه على انه اشار الى بعض التكاليف بقوله واوصاني بالصلوة والزكوة كما يجيء وعن بعضهم انه كان نبيا
لقوله وجعلني نبيا ولكنه ما كان رسولا لانه ما جاء بالشريعة في ذلك الوقت ومعنى كونه نبيا انه رفيع القدر على الدرجة وضعف بان النبي في عرف
الشرع اخص من ذلك ومعنى كونه مباركا اينما كنت نفاعا حيثما كنت روي ذلك عن رسول الله صلعم وقيل معلما للخير وضلال الكثير من اهل الكتاب
باختلافهم فيه لا يقدح في منصبه كما قيل على نحت القوافي من معادنها وما علي اذا لم يفهم البقر وهذه منة الله في انبيائه ورسله كلهم وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا ويروى ان مريم سلمت عيسى الى المكتب فقالت للمعلم ادفعه اليك على ان لا تضربه فقال له اكتب فقال له اي شيء اكتب فقال له
اكتب ابجد فقال لا اكتب شيئا لا ادري ثم قال ان لم تعلم ما هو فانا اعلمك الالف من الاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جمال الله والدال من اداء الحق الى الله
وقيل البركة اصلها من بروك البعير والمعنى جعلني ثابتا في دين الله مستقرا فيه وروي ان امرأة وهو يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى لبطن
حملتك وثدي ارضعتك فقال عيسى مجيبا لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا واوصاني بالصلوة والزكوة اي بادائهما ما

عن العادة ولكن كل فعل نادر



في وقتها المعين وهو وقت البلوغ واما في الحال بناء على انه كان مع صغره كامل العقل تام التركيب بحيث يقوى على اداء التكاليف ويؤيده قوله
ما دمت حيا وقيل الزكوة ههنا صدقة الفطر وقيل تطهير البدن من درن الآثام وقيل اوصاني بان آمركم بهما وفي قوله وبرا بوالدتي دلالة واشارة الى
تبرئة امه من الزنا والا لم يكن الرسول المعصوم مأمورا ببرها قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا قوله وبرا بوالدتي ولم يجعلني
جبارا شقيا ولا تجد سيئ الملكة الا مختالا فخورا وقرأ وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وانما نفى عن عيسى الشقاوة ولم ينف
عنه المعصية كما نفى عن يحيى لما جاء في الخبر ما احد من بني آدم الا اذنب او هم بذنب الا يحيى بن زكريا ومن عقائد اهل السنة ان الانبياء معصومون
عن الكبائر دون الصغائر قوله والسلام علي قال العلماء انما عرف السلام ههنا بعد تنكيره في قصة يحيى لان النكرة اذا تكررت تعرفت على ان تعريف
الجنس قريب من تنكيره وقيل ان الاول من الله والقليل منه كثير قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل واني لارضى منك يا هند بالذي
لو ابصره الواشي لقرت بلابله بلا وبان لا استطيع وبالمنى وبالوعد حتى يسأم الوعد امله والثاني من عيسى والكثير منه لا يبلغ مثقال سلام الله
عن بعضهم ان عيسى قال ليحيى انت خير مني سلام الله عليك وسلمت على نفسي واجاب الحسن بان تسليمه على نفسه هو تسليم الله عليه وقال جار الله
فيه هذا التعريف تعريض باللعنة على متهمي مريم واعدائها من اليهود لانه اذا زعم ان جنس السلام خاصة فقد عرض بان ضده عليهم نظيره في قصة موسى
والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى يروى انه كلمهم بهذه الكلمات ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وعن اليهود والنصارى
انهم انكروا تكلم عيسى في المهد قائلين ان هذه الواقعة مما يتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت لاشتهرت وتواترت مع شدة غلو النصارى فيه ودعوى
مناقبه وايضا ان اليهود مع شدة عداوتهم له لو سمعوا كلامه في المهد بالغوا في قتله ودفعه في طفوليته واجاب المسلمون من حيث العقل بانه لولا كلامه
الذي دل على براءة امها من الذي قذفوه به لاقاموا عليها الحد ولم يتركوها ولعل حاضري كلامه قليلون فلذلك لم يبلغ مبلغ التواتر ولعل اليهود لم يحضروا
هناك فلذلك لم يشتغلوا وقتئذ بدفعه والله اعلم ذلك الموصوف بالصفات المذكورة من قوله اني عبد الله الى آخره هو عيسى ابن مريم وفي كونه ابنا لهذه
المرأة نفي كونه ابنا لله على ما زعمت النصارى واكد هذا المعنى بقوله قول الحق فان كان الحق هو اسم الله فهو كقوله كلمة الله وانتصابه على المدح وان كان بمعنى قوله
الثابت والصدق فانتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة كقولك هو عبد الله الحق وقول الحق من اضافة الموصوف الى الصفة مثل حق اليقين
وقد قرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف ومعنى يمترون تشكون من المرية الشك او المراد يتمارون من المراء اللجاج وذلك ان
اليهود قالوا ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة ثم صرح ببطلان معتقدهم فقال ما كان لله ما صح له وما استقام ان يتخذ من ولد كما لا
يستقيم ان لا يكون له شريك وقد مر مثل هذه الآية في سورة البقرة والذي نزيده ههنا ان بعضهم قال معنى الآية ما كان لله ان يقول لاحد انه ولدي لان
هذا الخبر كذب والكذب لا يليق بحكمته تع وزعم الجبائي بناء على هذا التفسير انه ليس لله ان يفعل كل شيء لان قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد كقولنا ما كان
لله ان يظلم فلا يليق شيء منها بحكمته وكمال الهيبة واجيب بان الكذب على الله محال والظلم تصرف في ملك الغير فلا يتصور في حقه فان اردتم هذا المعنى
فلا نزاع وان اردتم شيئا آخر فما الدليل على امتناعه احتج بعض الاشاعرة بالآية على قدم كلام الله لان قوله كن ان كان قديما فهو المطلوب وان كان محدثا
احتاج في حدوثه الى قول آخر وتسلسل واستدل المعتزلة بها على حدوث كلامه قالوا ان قوله اذا قضى للاستقبال وذلك القول متأخر عن القضاء
المحدث والمتأخر عن المحدث محدث وايضا الفاء في فيكون للتعقيب فالقول متقدم عليه بلا فصل والمتقدم على المحدث بزمان قليل محدث وكلا
الاستدلالين ضعيف لانه لا نزاع في حدوث الحروف وانما النزاع في الكلام النفسي وايضا قوله كن عبارة عن نفاذ قدرته ومشيئته والا فليس ثم قول لان
الخطاب مع المعدوم عبث ومع الموجود تحصيل للحاصل ومن الناس من زعم ان المراد من قوله كن صفة التكوين فانها زائدة على صفة القدرة
لانه قادر على عوالم اخرى سوى هذا وغير مكون لها ولعل هذا الزاعم سمى تعلق القدرة بالمقدور تكوينا ومن قرأ وان الله بالفتح فمعناه ولان الله ربي
وربكم فاعبدوه وفيه ان الربوبية هي سبب العبادة فمن لم يصح عبادته لم يستحق ان يعبد ولا رب بالحقيقة الا الله لانه خالق جميع الوسائط
والاسباب اليه فلا يستحق العبادة الا هو وههنا نكتة هي ان الله تع لا يصح ان يقول ان الله ربي وربكم فاعبدوه فالتقدير قل يا محمد بعد اظهار البراهين
الباهرة على ان عيسى عبد الله ان الله ربي وربكم وقال ابو مسلم الاصفهاني انه من تتمة كلام عيسى وما بينهما اعتراض وعن وهب بن منبه عهد اليهم حين
اخبرهم عن حاله وصفته ان كلنا عبيد الله تع فاختلف الاحزاب من بينهم اي من بين اهل الكتاب قال الكلبي هم اليهود والنصارى وقيل النصارى
اختلفوا ثم اتفقوا على ان رجعوا الى علماء زمانهم وهم يعقوب ونسطور وملكا فقيل للاول ما تقول في عيسى فقال هو الله هبط الى الارض فخلق و
احيى ثم صعد الى السماء فتبعه على ذلك خلق كثير وهم اليعقوبية وسئل الثاني فقال هو ابن الله فتابعه جم غفير وهم النسطورية وسئل الثالث فقال
كذبوا وانما كان عبدا مخلوقا نبيا يطعم وينام فضاده خصمه وهو المؤمن المسلم وقيل كانوا اربعة والرابع اسمه اسرائيل فقال هو اله وامه اله والثلاثة انهم
والروح واحد واعلم ان بحث الحلول والاتحاد فيه طول وقد يجر الكلام فيه الى مقامات يصعب الترقي اليها فلذلك ضل فيه من ضل وزل عنه من زل والله سبحانه
اعلى من جميع ذلك واجل فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هذا الجزاء والحساب في ذلك اليوم او من وقت شهودهم او من مكان شهودهم
فيه وهو الموقف ويحتمل ان يكون المشهد الشهادة اي من يشهد عليهم الملائكة والانبياء وجوارحهم فيه بالكفر والقبائح او من مكان الشهادة او وقتها
وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه يوم ولادته ومعنى التعليل اي الويل لهم من اجل المشهد وبسببه اسمع بهم وابصر صيغتا التعجب والمراد انهما يقين

الحاسدين منهم حيث انهم يتعجب منهما في ذلك اليوم بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا وذلك لكشف الغطاء ولحاق العيان بالخبر والتعجب استعظام الشئ
بسبب عظمة ثم جوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب او من غير سبب قال سفيان قرأت عند شريح بل عجبت ويسخرون
فقال ان الله لا يعجب من شئ انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابرهيم النخعي فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله اعلم بذلك منه والمعنى انه صدر
من الله فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب في قلوبهم وقيل معنى الآية التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم وقيل كان اسمع هؤلاء
وابصرهم ليعتبروا واسوعا فيهم والوجه هو الاول يؤيده قوله لكن الظالمون اي لكنهم فوضع المظهر موضع المضمر اليوم وهو يوم التكليف في ضلال مبين حيث
اغفلوا النظر والاستماع وتركوا الجد والاجتهاد في تحصيل الزاد للمعاد وهو يوم الحسرة يتحسر اهل النار فيه وقيل اهل الجنة ايضا اذا راى الادنى مقام الاعلى
والاول اصح لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة لانها دار السرور واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة ومعنى قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى
الجنة والنار وعن النبي صلعم انه سئل عنه فقال يؤتى بالموت فيذبح كما يذبح الكبش والفريقان ينظران فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم
قال ارباب المعقول ان الموت عرض فلا يمكن ان يصير حيوانا فالمراد انه لا موت بعد ذلك عن الحسن وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين وقوله وانذرهم اعتراض
ويحتمل ان يتعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين ويحتمل ان يكون ظرفا لانذر اي انذرهم حين قضي الامر ببيان الدلائل وشرح
امر الثواب والعقاب ثم اخبر عنهما بانهم في غفلة وهم لا يؤمنون ثم قرر بقوله انا نحن نرث ان امور الدنيا كلها يزول وان الخلق كلهم يرجعون الى حيث لا يملك
الحكم الا الله وفيه من التخويف والانذار ما فيه **التأويل** واذكر في الكتاب اي مريم القلب اذ انتبذت من اهلها تفردت من اهل الدنيا متوجها الى
جانب شرق النور الالهي فاتخذت من دونهم حجاب الخلوة والعزلة وارسلنا اليها روحنا وهو نور الالهام الرباني والخاطر الرحماني كقوله وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا فتمثل لها بشرا سويا كما يتمثل روح التوحيد بحروف لا اله الا الله لانتفاع الخلق بها قالت اني اعوذ بالرحمن منك لخفائها انه يشغلها عن الله
قال انما انا رسول الوارد الرباني لاهب لك غلاما زكيا طاهرا عن لوث الظلمة الانسية وهو النفس المطمئنة القدسية ولم يمسسني بشر خاطر من عالم البشرية
ولم اك بغيا المائل عن ما خلقت لاجله وهو التوجه الى عالم الروح المجرد فحملته بالقوة القريبة من الفعل فانتبذت به مكانا قصيا الافتقار الى العبور على
منازل الشريعة والطريقة فاجاءها المخاض طلب التعب الى جذع النخلة وهي كلمة لا اله الا الله التي كان اصلها ثابتا في ارض نفسها قالت يا ليتني مت قبل
هذا قال بعض اهل التحقيق هذه كلمة يذكرها الصالحون عند اشتداد الامر عليهم قال علي رضي الله عنه يوم الجمل يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال
ليت بلالا لم تلده امه وقيل انما قالت ذلك لعلمها بان الله تعالى يدخل النار خلقا كثيرا بسبب تهمتها وبسبب الغلو والتقصير في حق ابنها قلنا فهم القلب
قالت يا ليتني مت عن اللذات الجسمية قبل هذا الوقت الذي فزت باللذات الحقيقية وكنت نسيا منسيا فان الخمول راحة والشهرة آفة فناداها لسان
الحال من تحتها من الانا القوى الاخرى فقد جعل ربك تحتك سريا هو الغلام الموعود او جدول الكشوف العلوم الدينية وهزي اليك
بجذع النخلة بالمداومة على الذكر يساقط عليك رطبا جنيا من المشاهدات والمكاشفات حالا فحالا فكلي واشربي من خوان الافضال وبحر النوال من ادنه
ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وقري عينا بانوار الجمال في حجرة الوصال فاما ترين من السوانح البشرية احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما كما قيل الدنيا يوم
ولنا فيه صوم عن الالتفات لغير الله فاتت به قومها من عادة الجهال انكار احوال اهل الكمال يا اخت هرون النفس المطمئنة او الامارة بناء على ان هرون كان
صالحا او طالحا ما كان ابوك وهو الروح المفارق امرأ سوء وما كانت امك الطبيعة بغيا تشتاق الى غير ما الطبيعة التي خلقت لاجلها فاشارت اليه فيه
ان هذا القوم من اهل الاشارات في المهد مهد السر وذلك المتولد من نفخ الروح في مريم القالب يبلغ نبأ الله ولا يمانه لا نفسه خلقت لاجله فقوم عبدوا
الله لاجله وقوم عبدوه طمعا في جنته وقوم عبدوا الهوى وذلك قوله قوبل للذين كفروا اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لا انهم بالله ليسمعون ويبصرون

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا
و یاد کن در کتاب ابراهیم را بدرستیکه او بود راستگو پیغمبری چون گفت مر پدر خود را ای پدر چرا میپرستی چیزی را که نمیشنود و نمیبیند و
يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝ يَا أَبَتِ
دفع نمیکند از تو چیزی را ای پدر بدرستیکه آمد مرا از علم آنچه نیامد ترا پس پیروی کن مرا راه نمایم ترا راه راست ای پدر
لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ
بندگی مکن شیطان را بدرستیکه شیطان باشد مر خدا را نافرمان ای پدر بدرستیکه من میترسم اینکه برسد ترا عذاب از خدا پس باشی تو
لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝ قَالَ سَلَامٌ
مر شیطان را دوست گفت آیا روگردانی تو از خدایان من ای ابراهیم اگر باز نایستی سنگسار کنم ترا و دور شو مرا از زمان دراز گفت درود
عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى
بر تو زود آمرزش خواهم مر ترا خدا را من بدرستیکه او باشد بمن مهربان و کناره گیرم از شما و آنچه میپرستید از غیر خدا و میخوانم پروردگار مرا شاید
أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
که نباشم بدعای پروردگار خود نا امید پس چون کناره گرفت از ایشان و آنچه میپرستیدند از غیر خدا بخشیدیم مر او را اسحق و یعقوب



وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ

و هریکی را گردانیدیم پیغمبر و بخشیدیم مر ایشان را از رحمت خود و گردانیدیم مر ایشان را زبان راست بلند و یاد کن در کتاب موسی را بدرستیکه او

كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا

بود پاک و بود فرستاده پیغمبر و ندا کردیم او را از جانب کوه طور دست راست و نزدیک کردیم او را راز گوینده و بخشیدیم او را از رحمت خود

أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ

برادرش هرون را پیغمبر و یاد کن در کتاب اسمعیل را بدرستیکه او بود راستگوی وعده و بود فرستاده پیغمبر و بود

يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا

که امر میکرد اهل خود را بنماز و زکوة و بود نزد پروردگار خود پسندیده و یاد کن در کتاب ادریس را بدرستیکه او بود راستگو

نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا

پیغمبر و بلند کردیم او را مکان بلند آن گروه آنانکه انعام کرد خدا بر ایشان از پیغمبران از نسل آدم و از آنکه برداشتیم

مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا

با نوح و از فرزند ابرهیم و اسرائیل و از آنکه راه نمودیم و برگزیدیم چون خوانده شد بر ایشان آیتهای خدا بروی افتادند

سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾

سجده کنندگان و گریانان پس ترسید از بعد ایشان فرزند که ضایع کردند نماز را و متابعت کردند آرزوها را پس زود باشد که ببینند جزای بد

إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي

مگر آنکه توبه کرد و گروید و کرد کار شایسته پس آن گروه درمی آیند بهشت را و ستم کرده نمیشوند چیزی را بهشتهای اقامت

وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ

که وعده کرده خدا بندگان را به نهانی بدرستیکه او باشد وعده او آینده نمیشنوند در آن بیهوده مگر سلامتی و مر ایشان راست

رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ

روزی ایشان در آن بامداد و شبانگاه این بهشت است که میراث دهیم از بندگان خود آنکه باشد پرهیزگار و فرود نمی آییم مگر بامر

رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

پروردگار تو مر او راست آنچه پیش ماست و آنچه در پس ماست و آنچه میان اینست و نباشد پروردگار تو فراموشکار پروردگار آسمان و زمین

وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ القراء ربي انه بفتح اليا ابو جعفر ونافع وابو عمرو

و آنچه میان آنهاست پس پرستید او را و صبر کن مر پرستش او را آیا میدانی مر او را همنام

مخلصا بفتح اللام حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بكسرها ابرهام وما بعده هشام والاخفش عن ابن ذكوان اذا تتلى باليا النجاشية وكذلك في سورة الحج فتبشر يورث بالتشديد رويس الوقوف ابرهيم ط نبيا ه سويا ه لا تعبد الشيطان ط عصيا ه وليا ه يا ابرهيم ج وقد يوصل و يوقف على آلهتي مليا ه سلام عليك ط للابتداء بسين الاستقبال مع ان القائل واحد ربي ط حفيا ه وادعو ربي ز لانقطاع النظم والوصل اولى لان عسى لطمع الاجابة فيوصل بالدعا شقيا ه من دون الله لان ما بعده جواب لما ويعقوب ط نبيا ه عليا ه موسى ز للابتداء بان مع ان المراد بالذكر اخلاص موسى نبيا ه نجيا ه نبيا ه اسمعيل لتمام نبيا ه للاية مع العطف والزكوة ص مرضيا ه ادريس ز نبيا ه عليا ه مع نوح على تقدير ومن ذرية ابرهيم و ما بعده وقوم اذا تتلى عليهم وكذا وجه من وقف على ذرية ادم او على اسرائيل والاصح ان الكل عطف على ذرية ادم والوقف على قوله واجتبينا ط لئلا يحتاج الى الحذف ويرجع ثناء السجود والبكا الى الكل وبكيا ه غيا ه شيئا لا بناء على ان جنات بدل من الجنة بالغيب ط مأتيا ه سلاما ه وعشيا ه تقيا ه بامر ربك للاختلاف الجملتين ذلك لان قوله وما كان معطوف على نتنزل مع وقوع العارض نسيا ه لان ما بعده بدل او خبر مبتدا محذوف لعبادته ط سميا ه التفسير انه لما بين ان الذين اثبتوا معبودا سوى الله منهم من اثبت معبودا حيا عاقلا كالنصارى ومنهم من عبد معبودا جمادا كعبدة الاوثان وكلا الفريقين ضال الا ان الفريق الثاني اضل وحين بين ضلال الفريق الاول شرع في بيان ضلال الفريق الثاني تدرجا من الاسهل الى الاصعب وانما بدا بقصة ابرهيم ع لانه كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شانه وكمال دينه فكانه قال لهم ان كنتم مقلدين فقلدوه في ترك عبدة الاوثان وعبادتها وان كنتم مستدلين فانظروا في الدلايل التي ذكرها على ابيه والمراد بذكر الرسول اياه في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم والا فهو سبحانه هو الذي يذكره في تنزيله وقوله اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض ولمكان هذا الاعتراض صار الوقف على ابرهيم مطلق وجوز في الكشاف ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصايص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والصديق من ابنية المبالغة فهي اما مبالغة في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق واما مبالغة في التصديق وذلك لكثرة تصديقه الحق وهذا ايضا بالحقيقة يعود الى الاول لان مصدق الحق لا يعبر بتصديقه الا لكونه صادقا فيه والحاصل انه كان صادقا جدا في اقواله مصدقا لجميع من تقدم من الانبياء والكتب وكان نبيا في نفسه رفيع القدر عند الله وعند



الناس بحيث جعلوا واسطة بينه وبين عباده وقيل انه كان بمعنى صار والاصح انه بمعنى الثبوت والاستمرار اى انه لم يزل موصوفا بالصدق والنبوة في
الاوقات الممكن له ذلك فيها والتاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة وقد مر في اول سورة يوسف وورد على ابيه الدلائل والنصائح وصدر كلا منها بيا ابت
المتضمن للرفق واللين سما له لقلب ابيه وامتثالا لامر ربه على ما رواه ابو هريرة ان رسول الله صلعم قال اوحى الله الى ابرهيم انك خليلي حسن خلقك ولو
مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه واظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري فقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا
يبصر معنى المفعول لا منوي فان الغرض نفي الفعلين على الاطلاق دون التقييد وما موصولة او موصوفة اى الذي لا يسمع او معبودا لا يسمع وشيئا
مفعول به من قوله اغن عني حميلا اى دفعا ويجوز ان يكون بمعنى المصدر اى شيئا من الاغناء وعلى هذا يجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين اى
لا يسمع شيئا من السماع الى آخره وحاصل الدليل ان العبادة غاية الخضوع فلا يستحقها الا اشرف الموجودات لا اخسها وهو الجماد وغاية عذرهم في ذلك
هي انها تماثيل اشياء يتصور نفعها او ضرها كالكواكب وغيرها فيقول لهم ابليس الكواكب وسائر الممكنات ينتهي في الاحتياج الى الواجب الوجود فاذا جعل شيئا
من هذه الاشياء معبودا فقد سوى بين الممكن والواجب في نهاية التعظيم وهذا مما ينبو عنه الطبع السليم ورفع الوسائط من البين ادخل في الاخلاص واقرب الى
الخلاص وقوله يا ابت اني قد جاءني فيه تنبيه ونصيحة وفيه ان هذا العلم يجدد له حصوله فيكون اقرب الى التصديق وفي من العلم ما لم يأتك فائدة هي انه لم
يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم ليست معك فلا تستنكف وهب انا في مفازة وعندي معرفة بالدلالة
دونك فاتبعني اهدك صراطا سويا مستويا مؤديا الى المقصود وهو سلامة المعاش والمعاد تمسك ارباب التعليم بالآية فانه لا بد من الاتباع واجيب
بانه لا يلزم من اتباع النبي اتباع غيره والانصاف ان هذا الطريق اسهل ثم اكد المعنى المذكور بنصيحة اخرى زاجرة عما هو عليه قائلا يا ابت لا تعبد
الشيطان اى لا تطعه فان عبادة الاصنام هي طاعة الشيطان ثم اسقط حظ نفسه اذ لم يقل ان الشيطان عدو لك ولبني آدم بل قدم حق ربه فقال ان الشيطان
كان للرحمن عصيا حين ترك امره بالسجود عنادا واستكبارا لا نسيانا وخطأ ونبههم بهذه النصيحة على وجود الرحمن ثم على وجود الشيطان وان الرحمن مصدر
كل خير والشيطان مظهر كل شر بدلالة الموضوع اللغوي وفي هذا القدر كفاف من التنبيه لمن تأمل وانصف ثم بين الباعث على هذه النصيحة فقال يا ابت
اني اخاف وفيه مع التخويف من سوء العاقبة انواع من الادب اذ ذكر الخوف والمس ونكر العذاب قال الفراء معنى اخاف اعلم والاكثرون على انه محمول على ظاهره
لان ابرهيم عم لم يكن جازما بموت ابيه على الكفر والا لم يشتغل بنصحه والخوف على الغير ظن وصول الضرر الى ذلك الغير مع تألم قلبه من ذلك كما يقال انا خائف
على ولدي وذكروا في الولي وجوها منها انه اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان في النار واللعنة سبب الولاية او مسببها فاطلق اسم
احدهما على الآخر مجازا وليس هنالك ولاية حقيقية لقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو واني كفرت بما اشركتمون من قبل ومنها ان يحمل العذاب على
الخذلان ومنها ان الولي بمعنى التالي والتابع فلعل اختيار الله جعله تاليا للشيطان ودخوله في جملة اتباعه واوليائه اكبر من نفس العذاب كان ولاية
الشيطان في مقابلة رضى الرحمن وقد قال عز من قائل ورضوان من الله اكبر واذا كان رضوان الله اكبر من نعيم الجنة فولاية الشيطان اعظم من عذاب النار
ثم ان الشيخ قابل لطف ابرهيم بالفظاظة والغلظة قائلا اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم فقدم الخبر على المبتدأ اشعارا بانه عنده اعنى وفي هذا
الاستفهام ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وفي قوله يا ابرهيم دون ان يقول يا بني في مقابلة يا ابت تهاون به وكيف لا وقد صرح بالاهانة قائلا
لئن لم تنته لارجمنك باللسان اى لاشتمنك او باليد اى لاقتلنك واصل الرجم الرمي بالرجام ثم ههنا اضمار اى فاحذرني واهجرني مليا اى زمانا طويلا من الملاوة
او رادا مليا بالذهاب والهجران سطيفا له قويا عليه قبل ان اثخنك بالضرب فلما رأى ابرهيم اصرار ابيه على التمرد والجهالة قال سلام عليك يعني سلام توديع ومتاركة
كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وفيه ان ترك المنصوح اذا ظهر منه آثار اللجاج من سنن المرسلين ويحتمل ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة
له ورفقا به بدليل قوله سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف وقد مر في آخر الاعراف احتج بالآية بعض من طعن في عصمة الانبياء قال
انه استغفر لابيه الكافر وهو منهي عنه لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ولقوله في الممتحنة قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم
الى قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو لم يكن هذا الاستغفار معصية لم يمنع من التأسي والجواب لعل ابرهيم عم في شرعه لم يجد ما يدل على القطع
بتعذيب الكافر او لعل هذا الفعل منه من باب ترك الاولى ولعل الاستغفار بمعنى الاستبطاء كقوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله والمعنى
سأسأل ربي ان لا يجزيك بكفرك ما دمت حيا والجواب الحقيقي تام في آخر سورة التوبة في قوله عز من قائل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه والمنع من التأسي لا يدل على المعصية فلعل الاستغفار مع ذلك الشرط كان مرخصا بعضه كما ان كثيرا من الامور كانت مباحة للرسول صلعم وهي محرمة علينا
ثم صرح بما تضمنه السلام من التوديع والهجران فقال واعتزلكم اى اهاجر الى الشام واعتزل ما تدعون اى ما تعبدون من دون الله وقد يعبر بالدعاء عن العبادة
والدعاء كما يجيء في سورة الشعراء وفي قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا تعريض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم وعبادتها مع التواضع وهضم النفس المستفاد
من لفظة عسى قال العلماء ما خسر الله على احد فان ابرهيم لما ترك اباه الكافر وقومه فرارا بدينه عوضه الله اولادا مؤمنين انبياء وذلك قوله ووهبنا له اسحق
ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم شيئا من رحمتنا عن الحسن هي النبوة وعن الكلبي المال والولد والاظهر انها عامة في ذلك كل خير ديني ودنيوي
لسان الصدق الثناء الحسن عبر باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يطلق بها وهو العطية وقد مر تحقيق الاضافة في اول يونس في قوله قدم صدق ان ابرهيم
من ابيه ابتغاء مرضاة الله فسماه الله ابا المؤمنين ملة ابيكم ابرهيم وتل ولده للجبين ففداه الله بذبح عظيم واسلم نفسه لرب العالمين فجعل النار عليه بردا

وسلم ما واشفق على هذه الامة فقال وابعث فيهم رسولا فاشركه الله في الصلوة على النبي في الصلوات الخمس وفي خوشادة كما قال الله وابرهيم الذى وفى
فجعل موطئ قدمه مباركا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعادى كل الخلق في الله حين قال فانهم عدو لي الا رب العالمين فلا جرم اتخذه الله خليلا ثم وقفى
قصة ابرهيم بقصة موسى ع لانه تلوه في الشرف والمخلص بكسر اللام الذى اخلص العبادة عن الشرك والريا واخلص وجهه لله وبالفتح الله الذى خلصه الله وكان
رسولا نبيا الرسول الذى معه كتاب من الانبيا والنبي الذى ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب تقديم الاعم قبل الاخص الا ان رعاية
الفاصلة اقتضت عكس ذلك كقوله في طه برب هرون وموسى الايمن من اليمين اى من ناحية اليمنى من موسى او هو من اليمن صفة للطور او للجانب
وقربناه حال كونه نجيا اى مناجيا شبه تكليمه اياه من غير واسطة ملك بتقريب بعض الملوك واحدا من ندمائه للمناجاة والمسارة وعن ابى العالية ان التقريب
حسى قربه حتى سمع صريف القلم الذى كتبت به التورية والاول اظهر ومنه قولهم للعبادة تقرب وللملئكة انهم مقربون ووهبنا له من رحمتنا فيكون اخاه
بدلا وهرون عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا ونبيا حال من هرون قال ابن عباس كان هرون اكبر من موسى فيتصرف الهبة الى معاضدته و
موازرته وذلك بدعاء موسى في قوله واجعل لي وزيرا من اهلي وخص اسمعيل ابرهيم بصدق الوعد وان كان الانبيا كلهم صادقين فيما بينهم وبين الله
او الناس لانه المشهور المتواصف من خصاله لانه لذلك انه وعد بنفسه الصبر على الذبح فوفى به وعن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة
وعن رسول الله انه واعد رجلا ونسى ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى اى وقت ينتظره
فقال ان واعده وقت الصلوة فانتظره الى وقت صلوة اخرى وكان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لغيرهم ولان الابتداء
بالاهتمام الدينى والدنيوى بمن هو اقرب اولى قوا انفسكم واهليكم نارا ابدا يقول ويحسن ان يؤمر اهله اشد كلهم اقربا وابعدا من حيث انه يلزمه
في جميعهم ما يلزم المرء في اهله خاصة من قضاء حقوق النصيحة والشفقة ورعاية مصالحهم الدينية والدنيوية وعلى القولين يندرج في الصلوة الصلوات
المفروضة والمندوبة كصلوة التهجد وغيرها واما الزكوة فالاقرب انها الصدقة المفروضة وعن ابن عباس انها طاعة الله والاخلاص لانها تفعل ما به زكو
لها عند الله واما ادريس فالاصح انه اسم عجمي بدليل منع الصرف كما مر مرارا في ادم ويعقوب وغيرهما وقيل افعيل من الدرس لكثرة دراسته كتاب الله ولعل
معناه بالاعجمية قريب من الدراسة فظنه القائل مشتقا منها وفي رفعته اقوال منها ان المكان العلى شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل عليه ثلثون
صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود واسمه اخنوخ من اجداد نوح لانه نوح
ملك بن متوشلخ بن اخنوخ واهل التنجيم بعضهم يسمونه هرمس ولهم نوادر في استخراج طوالع المواليد ينسبونه اليه وقيل ان الله تعالى رفعه الى السماء والى
الجنة وهو حي لم يمت وقال اخرون رفع الى السماء وقبض روحه عن ابن عباس انه سئل كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا فقال جاءه خليل من الملئكة فسال
ان يكلم ملك الموت حتى يؤخر في قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به فلما كان في السماء الرابعة اذا بملك الموت يقول بعثت لاقبض روح ادريس
في السماء الرابعة وانا اقول كيف ذلك وهو في الارض فالتفت ادريس فرأى ملك الموت فقبض روحه هناك وعن ابن عباس انه رفع الى السماء السادسة
وعن الحسن المراد انه رفع الى الجنة ولا شيء اعلى منها اولئك المذكورون من لدن زكريا الى ادريس هم الذين انعم الله عليهم من النبيين من للبيان لان جميع
الانبيا منعم عليهم من ذرية ادم من للتبعيض كما في قوله وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل والمراد بمن هو من ذرية ادم ادريس لقربه منه بدليله
من حمل مع نوح ابرهيم ع لانه من ولد سام بن نوح وبذرية ابرهيم اسمعيل وبذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم لان مريم من ذريته وممن
هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية وفي هذا الترتيب تنبيه على ان هؤلاء الانبيا اجمع لهم مع كمال الاحسان شرف الانساب ثم ان جميع ذلك بواسطة
هداية الله وبمن اجتبائه واصطفائه ثم ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا وقد عرفت في الوقوف
سائر الوجوه ومن قرا يتلى بالتذكير لان تانيث الايات غير حقيقي والفاصلة حاصل والبكى جمع باك كفعول كسجود في ساجد ابدلت الواو ياء وادغمت وكسر ما
قبلها للمناسبة ومن زعم انه مصدر فقد سها لانه قرنه بسجدا عن رسول الله اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال ابو مسلم اراد بالايات التي فيها ذكر
العذاب وقال غيره اطلاق الايات والحديث المذكور يدل على العموم لان كل اية اذا فكر فيها المفكر صح ان يسجد عنده ويبكي قلت لعل المراد بايات الله ما خصهم الله
تعم به من الكتب المنزلة لان القرآن ح لم يكن منزلا واختلفوا في السجود فقيل هو الخشوع والخضوع وقيل الصلوة وقيل سجدة التلاوة على حسب ما تعبدنا
به ويحتمل انهم عند الخوف كانوا يتعبدون بالسجود قال الزجاج الانسان في حال خروره لا يكون ساجدا فالمراد خروا متهيئين للسجود عن رسول الله اقرؤا
القران بحزن فانه نزل بحزن وعن ابن عباس اذا قراتم سجدة قال سبحان الله لا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وقالت العلماء يدعو
في سجدة التلاوة بما يليق بايتها فان قرا اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك
وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا هذه السورة قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين
لك الباكين عند تلاوة اياتك ولما مدح هؤلاء الانبياء ترغيبا لغيرهم في سيرتهم وصف اضدادهم تنفيرا للناس عن طريقتهم فقال فخلف من بعدهم خلف وهو
عقب السوء كما مر في اخر الاعراف فاضاعوا الصلوة في مقابلة خروا سجدا واتباع الشهوات بازاء البكاء عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة
وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم النخعي ومجاهد اضاعوها بالتاخير وعن علي ع في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور
ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة فسوف يلقون غيا قال الجبار الله كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد وقال الزجاج هو على حذف المضاف اى جزاء غى

كقوله تلق اثاما اى مجازاة اثام وقيل غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها اجمع لعضهم بقوله الا من تاب وامن على ان تارك الصلوة كافر والا لم يحتج الى تجديد الايمان والجواب انه اذا كان المذكورون هم الكفرة او اليهود كما يروينا عن ابن عباس سقط الاستدلال واحتج الاشاعرة فى ان العمل ليس من الايمان لان العطف دليل التغاير واجاب الكعبى بانه عطف الايمان على التوبة مع انها من الايمان ومنع من ان التوبة من الايمان ولكنها شرطه لانها العزم على الترك والايمان اقرار باللسان وانما حذف الموصوف ههنا وقال فى الفرقان وعمل عملا صالحا لانه اوجز فى ذكر المعاصى فاوجز فى التوبة واطال هناك فطال هنا وهذا الاستثناء بحسب الغالب فقد يتوب عن كفره وامن ولم يدخل بعد وقت الصلوة او كانت المرأة حائضا ثم مات فهو من اهل النجاة مع انه لم يعمل صالحا ومعنى لا يظلمون شيئا لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم بل يضاعف وفيه تنبيه على ان تقدم الكفر لا يضرهم بعد ان يتوبوا ويحتمل ان ينتصب شيئا على المصدر اى شيئا من الظلم ومعنى جنات عدن قد مر فى سورة التوبة فى قوله ومساكن طيبة فى جنات عدن وصفها الله تعالى بالاقامة والدوام خلافا على جنان الدنيا ولما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها ويحتمل انتصابها على الاختصاص وكذا انتصاب التى قال جار الله عدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة وهو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتى ومعنى بالغيب مع الغيبة اى وعدها وهى غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او الباء للسببية اى وعدها عباده بسبب تصديقهم الغيب والايمان به خلاف حال المنافقين وقوله انه كان وعده مأتيا بالاول انسب وهو مفعول بمعنى فاعل او على اصله لان ما اتاك فقد اتيته وجوز فى الكشاف ان يكون من قولك اتى اليك احسانا اى كان وعده مفعولا منجزا قوله الا سلاما استثناء متصل على التأويل لان اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته كما تقدم فى يمين اللغو فى البقرة وفى المائدة اى ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملئكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك كقولهم عتابك السيف اى استثناء منقطع اى لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة ويجوز ان يكون متصلا بتأويل اخر وهو ان معنى السلام الدعاء بالسلامة واهل دار السلام عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام وفى الاية تنبيه ظاهر على وجوب نفاء اللغو وجنبه الله عنه الدار التى لا تكليف فيها ثم انه سبحانه من عادته ان يرغب كل قوم بما احبوه فى الدنيا فلذلك ذكر اساور من الذهب ولبس الحرير التى كانت للعجم والارائك التى هى الحجال المضروبة على الاسرة وكانت من عادة اشراف اليمن والفضة ولا شىء كان احب الى العرب من الغداء والعشاء لانها العادة الوسطى المحمودة للمتنعمين منهم فوعدهم بذلك قائلا ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا هذا قول الحسن ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير اى يأكلون على مقدار الغداة الى العشى وقيل اراد دوام الرزق كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين وقوله تلك الجنة التى نورث كقوله فى الاعراف ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها وهى استعارة اى يبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال المورث منه قال القاضى فى الاية دلالة على ان الجنة يختص بدخولها من كان متقيا غير مرتكب للكبائر واجيب بمنع الاختصاص وبانه يصدق على صاحب الكبيرة انه اتقى الكفر سئل ههنا ان قوله تعالى تلك الجنة التى نورث كلام الله وقوله وما نتنزل الا بامر ربك خطاب جماعة لواحد وانه لا يليق الا بالملئكة الذين ينزلون على الرسول كما روى ان قريشا بعثت خمسة رهط الى يهود المدينة يسئلونهم عن صفة محمد وهل يجدونه فى كتابهم فسألوا النصارى فزعموا انهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجده فى كتابنا وهذا زمانه وقد سألنا رحمن اليمامة عن خصال ثلث فلم يعرف فسألوه عنهن فان اخبركم بخصلتين منها فاتبعوه فسألوه عن فتية اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب فوعدهم الجواب ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عليه اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما فشق عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فنزل جبرئيل عليه السلام فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ابطأت عنى حتى ساء ظنى واشتقت اليك قال كنت اشوق ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله الاية وانزل قوله ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا ومعنى التنزل على ما يليق بهذا الموضع هو النزول على مهل اى نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت ليس بامر الله عز وجل ثم اكد جبرئيل ما ذكره بقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا من الجهات والاماكن او من الازمنة الماضية والمستقبلة وما بينهما من المكان والزمان الذى نحن فيه فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة او من زمان الى زمان الا بامر ربك ومشيئته وقيل له ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك وهو ما بين النفختين اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التى نحن فيها او ما قبل وجودنا او بعد فنائنا وقيل الارض التى بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التى وراءنا وما بينهما والارض وعلى الاقوال فالمراد انه المحيط بكل شىء لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل الا بامره وقال ابو مسلم فى وجه النظم ان قوله وما نتنزل من قول اهل الجنة لبعضهم اى ما ننزل الجنة الا بامر ربك ما قوله وما كان ربك نسيا فعلى القول الاول معناه انه ما كان امتناع النزول الا لعدم الاذن ولم يكن لترك الله اياك لقوله ما ودعك ربك وما قلى وعلى قول غير ابى مسلم هو تاكيد لما طلبه لعلمه بجميع الاشياء وانه لا يجوز عليه ان يسهو عن شىء ما البتة وعلى قول ابى مسلم المراد انه ليس ناسيا لاعمال العاملين فيثيب كلا منهم بحسب عمله فيكون تتمة حكاية قول اهل الجنة او ابتداء كلام من الله تعالى خطابا لرسوله ويتصل به قوله رب السموات والارض اى بل هو رب السموات والارض وما بينهما فاعبده الفاء للسببية لانه كونه رب العالمين سبب موجب لان يعبد واصطبر لعبادته لم يقل على عبادته لانه جعل العبادة بمنزلة القرن فى قولك للمحارب اصطبر لقرنك اى وحد الاصطبار لاجل مقاومته ثم اكد وجوب عبادته بقوله هل تعلم له سميا اى ليس له مثل ونظير حتى لا يخلص العبادة له وان عديم النظير لا بد ان يصير على مواجب اذنه وتكاليفه خصوصا اذا كانت فائدتها راجعة الى المكلف وقيل اراد انه لا شريك له فى اسمه وبيانه من وجهين احدهما انهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن الا انهم لم يطلقوا لفظ الله على شىء سواه وعن ابن عباس رضى الله عنه لا يسمى بالرحمن غيره

لهم نقصلا

سورة الضحى

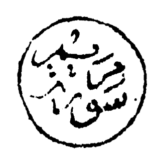
قلت وهذا صحيح ولعله هو السر في انه لم يكرر لفظ الرحمن في سورة تكريره فيهذه السورة وثانيهما هل تعلم سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية
على الباطل كما لا تسمية **التأويل** ذكر في الكتاب الازلي ابرهيم القلب انه كان صديقا للصفة بوثلث انه صادق صدق في اقواله وصادق
صدق في اخلاقه واحواله وصديق صدق في قيامه مع الله في الله بالله وهو الفاني عن نفسه الباقي بربه اذ قال لابيه الروح الذي يعبد صنم الدنيا
بتبعية النفس قد جاءني من العلم اللدني ما لم يأتك ان القلب محل للفيض الالهي اقبل من الروح كالمراة فانها تقبل النور لصفائها وينعكس النور عنها
لكثافتها وصفاتها ووهبنا له اسحق السر ويعقوب الخفي وناديناه من جانب الطور الايمن اسمعنا موسى القلب من جانب طور الروح لا من جانب وادي
النفس الذي هو على الايسر وكان يأمر اهله اي الجسم والنفس والقلب والروح بالصلوة لتوجه كل منهم توجها يليق بحاله وبالزكوة اي تزكية كل واحد منهم
من الاخلاق الذميمة ورفعناه مكانا عليا في مقعد صدق عند مليك مقتدر وابقوا بهم على عتبة العبودية سجدا بالتسليم للاحكام الازلية
وبكيا بكاء الشمع بذوبان الوجود على نار الشوق والمحبة عبادة بالغيب اي بغيبتهم عن الوجود قبل التكوين كقوله ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم و
انفسهم بان لهم الجنة ولهم رزقهم رؤية الله على ما جاء في الحديث اكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوا وعشيا وما نتنزل الا بامر ربك لما المقدور في علم
الله تنادي اهل الغرة من سرادقات العزة ان يا اهل البشرية افيقوا من المتمنيات فانا ما ننزل من عالم الغيب الا بامر ربنا وما كان ربك نسيا لحتاج
الى تذكير منهم بل هو رب سموات الارواح وارض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار فاعبده باركان الشريعة واصطبر لعبادته بآداب
الطريقة بنفسك وبالاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى بقلبك وبالفناء في الله البقاء به بروحك وبترك هل تعلم له سميا في المحبة لك والله اعلم بالصواب

وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۝
فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى
الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝
ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ۝
قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ
فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ
أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۝ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝
وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝ أَلَمْ
تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۝ يَوْمَ نَحْشُرُ
الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ
عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ
مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝

إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝

القراءات اذا مثل انكم في الانعام يذكر من الذكر ابن عامر ونافع وعاصم وسهل ويعقوب والمفضل عن يزيد الاخرون بالتشديد يخرج مفتوحا بضم الميم الباقون بفتحها رئيا بالتشديد ابو جعفر ونافع عن ورش وابن ذكوان والاعشى وحمزة في الوقف وعن حمزة ايضا بالهمز في الوقف ليدل على اصل الكلمة الاخرون بهمزة بعدها ياء وولدا وما بعده بضم الواو وسكون اللام حمزة وعلي الاخرون بفتحهما يكاد على التذكير نافع وعلي ينفطرن من الانفطار ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وخلف وابن عامر والمفضل وابو بكر وحماد والخراز عن هبيرة الباقون يتفطرن من التفطر **الوقوف** حتما ج جثيا ه جثيا لا للعطف عتيا ج لذلك صليا ه واردها ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى مقضيا ج لتقريبها للنجاة من الورود مع ان ثم لترتيب الاخبار جثيا ه آمنوا لا لان ما بعدها مفعول قال نديا ه ورئيا ه مدا ج لان حتى لانتهاء مد الضلالة او لابتداء الرؤية وجواب اذا محذوف وهو آمنوا الساعة ط لابتداء التهديد جندا ه هدى ط مردا ه وولدا ط لابتداء الاستفهام للتقريع عهدا ط للردع كلا ط مدا لا للعطف فردا ه نصف الجزء عزا ه كلا ط ضدا ه ازا ه لا تعجل عليهم ط عدا ج وفدا ه وردا ه لئلا يشتبه الجملة بالوصف لهم عهدا ه حذرا من ايهام العطف ولدا ط ادا ه لا لان ما بعده صفة هدا لا لان هذا التقدير لان دعوا ولدا ط عبدا ط فردا ه ودا ه لدا ه من قرن ط ركزا ه **التفسير** لما امر نبيه وامته بالثبات على ان يعبدوا الله ويصطبروا لعبادته كان للمنكر ان يعترض بان هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا لانها مشقة ولا في الاخرة لاستبعاد حشر الاجساد الى حالها فلا جرم حكى قول المنكر ليجيب عن ذلك فقال ويقول الانسان وهو للجنس لان هذا الاستغراب مركوز في الطباع قبل النظر في الدليل ولان هذا القول اذا صدر عن بعض الافراد صح اسناده الى بني نوعه لانه منهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وقيل المراد بالانسان ههنا شخص معين هو ابو جهل او ابي بن خلف وقيل بعض الجنس وهم الكفرة وانتصاب اذا بفعل مضمر يدل عليه اخراج المذكور لا بانه نفسه لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله لا تقول اليوم لزيد قائم وانما جاز الجمع بين حرف الاستقبال وبين لام الابتداء المفيدة للحال لان اللام ههنا خلصت لاجل التاكيد كما خلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا وكانهم قالوا مستنكرين احقا انا سنخرج احياء حين تمكن فينا الفناء بالموت والمراد بالخروج الخروج من الارض والخروج من حال الفناء او التهديد من قولهم خرج فلان عالما اذا كان نادرا في العلم فكانه قال على سبيل الهزء ساخرج حيا نادرا وانما قدم الظرف واولى حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء الانكار كقولك للمسيء الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسات اليه لان الانسان لا يصدر عنه هذا الانكار الا اذا لم يتذكر او لم يذكر النشاة الاولى قال سبحانه منبها على ذلك او لا يذكر وههنا اضمار تقديره ايقول ذلك ولا يذكر وزعم جار الله ان الواو عطفت لا يذكر على يقول في قوله ويقول الانسان ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قال العقلاء لو اجتمعت الخلائق على ايراد حجة في البعث احسن من هذه لم يقدروا عليها لان خلق الذات مع الصفات اصعب من تغيير الذات في اطوار الصفات وهذا معلوم لكل صانع يتكرر عنه عمل لان الاول لم يستقر بعد في خزانة خياله والثاني قد ارتسم واستقر فيه مثال واحتذاء واذا كان حال من يتفاوت في قدرته الصعب والسهل كذلك فما الظن بمن لا يتوقف مقدوره الا على مجرد تعلق الارادة الازلية به وفي قوله ولم يك شيئا بحث قدم في اول السورة مثله وحين نبه على النكتة الشريفة اكدها بالاقسام قائلا فوربك لنحشرنهم وفي القسم التفات لا يخفى وهو يفيد الاعراض عن قصتهم والشروع في اخرى عقيبها والواو للقسم وفي شرف المقسم به دليل كمال العناية بالمقسم عليه وفي اضافة القسم الى المخاطب وهو رسول الله باجماع المفسرين تفخيم لشانه ورفع من مقداره والواو في الشياطين اما للعطف واما بمعنى مع بناء على ان كل كافر مقرون مع شيطانه في سلسلة واذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين بل الكفرة وان كان الضمير عائدا الى منكري البعث فقط فلا اشكال وكذا في قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا اي جثاة على الركب غير مشاة على اقدامهم لما يدهشهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على الارجل او على العادة المعهودة في مواقف مطالبات الملوك ومقاولاتهم ثم لننزعن لنميزن من كل شيعة طائفة شاعت اي تبعت غاويا من الغواة وقد سبق تفسيره في الانعام ايهم اشد قرئ بالنصب وهو ظاهر واما المعتبرون على الضم فذهب سيبويه الى انها مبنية كيلا يلزم خلاف القياس من وجهين احدهما اعراب اي مع ان من حق الموصول ان يبنى والاخر حذف المبتدا مع ان الاصل فيه ان يكون مذكورا والتقدير ايهم هو اشد وذهب الخليل الى انها معربة ولكنها لم تنتصب على ان يكون مفعولا لننزعن بل رفعه بتقدير الحكاية اي من كل شيعة مقول فيهم ايهم اشد فيكون من كل شيعة مفعولا لننزعن كقولك اكلت من كل طعام اي بعضا من كل ويجوز ان يقدر لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد قال سيبويه لو جاز ضرب ايهم افضل على الحكاية لجاز اضرب الفاسق الخبيث اي الذي يقال

ولذا لاخلاف تابعة الحال والابيات



لم الفاسق الخبيث وهذا باب قلما يصا الى تحقيقه الكلام ومذهب يونس في مثله ان الفعل الذي قبل اى معلق عن العمل ويجيز التعليق في غير افعال
القلوب ثم ان علقت قوله على الرحمن باشد كقولهم هو اشد على خصمه فظاهر وان علقته بالمصدر فذلك لا سبيل اليه عند النحويين لان
المصدر لا يعمل فيما قبله فالوجه ان يتعلق بما هو بيان للمحذوف فكانه سئل ان عتوه على من فقيل على الرحمن وكذا الكلام في اولى بها صليا تعلق
والمجرور بافعل من غير تاويل وبصليا على التاويل صلى فلان النار يصلى صليا اذا احترق احراقا لا انه يميز من كل فرقة فرضا انه هو اصل ثم
بين بقوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا انه يطرحهم اى اهل الضلال البعيد في النار على الترتيب يقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم ولا ريب ان الضال
المضل يكون اولى بالتقدم من الضال وكذا الكافر المعاند بالنسبة الى المقلد وان كانوا جميعا مشتركين في شدة العتو ويجوز ان يراد بالذين هم اولى غير
كلهم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وانهم اولى بالصلى لكون دركاتهم اسفل وان منكم الخطاب للناس من غير التفات او للانسان المذكور
فيكون التفاتا وعلى التقديرين فان اريد الجنس كله لم يكن في قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اشكال ولكنه يشكل بان
المؤمنين كيف يردون النار واجيب بما روى عن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلعم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض
اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه ايضا ان رسول الله صلعم قال الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا
يدخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن
عباس يردونها كانها اهالة ومنهم من لم يفسر الورود ههنا بالدخول لان ابن عباس قال قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء
مدين ومعلوم ان موسى لم يدخل الماء ولكنه اذا قرب منه ويقال وردت القافلة البلد اذا قربت منه فالمراد بالورود جثوهم حولها وعن ابن مسعود و
الحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن مجاهد هو مس الحمى جسده في الدنيا فان الحمى من فيح جهنم وفي رواية الحمى
حظ كل مؤمن من النار وان اريد بالناس او بالانسان الكفرة فلا اشكال في ورودهم النار ولكنه لا يطابقه قوله ثم ننجي الذين اتقوا وجوابه ان المراد
ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يردونها ثم يتخلصون اسولة كيف يندفع عنهم ضرر النار عند من يفسر الورود بالدخول
زعم بعضهم ان البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع ان يكون في خلالها مواضع خالية عن النار اشباه الطرق الى دركات جهنم والمؤمنون يردون تلك
المواضع والاصح انه سبحانه يزيل عنها طبيعة الاحراق بالنسبة الى المؤمنين وهو على كل شيء قدير ولهذا لا يضر النار الملئكة الموكلين بالعذاب
ما الفائدة في ايراد المؤمنين النار اذا لم يتعذبوا بها فيه وجوه منها ان يزدادوا سرورا اذا راوا الخلاص منها ومنها افتضاح الكافرين اذا اطلع
المؤمنون عليهم ومنها انهم يزدادوا التذاذا بالجنة فبضدها تتبين الاشياء هل ثبت في الاخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها
قد ثبت ان المحاسبة تكون في الارض او في موضعها لقوله يوم تبدل الارض غير الارض وجهنم قريبة من الارض والجنة في السماء فالاجتماع يكون
في موضع الحساب ثم يدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم يرفع الله اهل الجنة ويبقى اهل النار فيها قلت هذا على راى الفلاسفة الاسلاميين
ظاهر فالمحاسبة تكون في الارض ومرور الكل على كرة النار ثم يرتفع اهل الكمال الى السماء ويبقى الكفرة في النار وقوله كان اى الورود
على ربك حتما اى محتوما مصدر بمعنى المفعول مقضيا قضى به وعزم ان لا يكون غيره وذلك ان العبور من جميع الجوانب على كرة النار واجب واحتجت المعتزلة
بذلك على ان العقاب واجب على الله عقلا وقال الاشاعرة شبه بالواجب من قبل استحالة تطرق الخلف اليه وقد مر ان المتقي عند المعتزلة من
يجتنب المعاصي كلها وعند غيرهم هو الذي اجتنب الشرك فقط وقد يهدم بالاية قاعدة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين واجيب بان تنجية المتقين
اعم من ان يكون الى الجنة او الى غيرها وهب ان تنجيتهم الى الجنة الا ان الذي طاعته ومعصيته سيان غير داخل في المتقين ولا في الظالمين فيبقى حكمه
مسكوتا عنه ومن المعتزلة من تمسك بالوعيد بقوله ونذر الظالمين ومنع من ان الصيغة للعموم ولو سلم فمخصص بايات الوعد لما رد على منكري
البعث وقرر كيفية الحشر قال اذا تتلى عليهم اياتنا الاية والمراد انهم عارضوا حجج الله بكلام اعور فقالوا لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم
في الدنيا اطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لان الحكيم لا يليق به ان يهين اولياءه ويعز اعداءه يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون
ويتزينون ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله عز وجل منهم فقال جار الله معنى بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات
المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات وبتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها
او حججا وبراهين وعلى التقادير يكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان ايات الله لا تكون الا كذا الا وصفا ومعنى للذين امنوا انهم يخاطبونهم بذلك
او يفوهون به لاجلهم وفي شانهم والمقام بالضم موضع الاقامة اى المنزل وبالفتح موضع القيام والندى المجلس ومجتمع القوم حيث ينتدون وقوله اى
الفريقين يعني المؤمنين بالايمان والجاحدين لها من الكلام المنصف على زعمهم والمقصود نحن او فرحا على ما يظهر منا في احوال قيامنا وقعودنا
وحسن الحال في الدنيا دليل ظاهر على الفضل والرفعة وضده امارة على النقص والضعة فاجابهم الله تعالى بقوله وكم اهلكنا اى كثيرا من المرات اهلكنا
قبلهم اهل عصر من بيان للمهلك ويجوز ان يكون زائدة للتاكيد وكم استفهامية للتقرير التكثير او خبرية عند من يجوز زيادتها في الموجب هم احسن في
محل النصب صفة لكم او الجر صفة قرن والاثاث متاع البيت وقد مر في النحل في قوله اثاثا ومتاعا الى حين قال الجوهري من همز ريئا جعله من
رايت وهو ما راته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة ومن لم يهمز فاما ان يكون على تخفيف الهمزة اى قلب الهمزة ياء وادغم او يكون من روينا لوانهم وجلودهم

ومنها ان [illegible] يفرحون [illegible] [illegible] نعمة الله [illegible]



ريا اى منظرا وحسنا فعل من الرى الذى هو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول وقرئ بهمزة قبلها يا على القلب كقولهم راء فى راى وقرئ بالزاى المنقوطة واشتقاقه
من الزى بالفتح وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة وفى الاية حذف التقدير احسن من هؤلاء والحاصل انه تعالى اهلك من كان اكثر وجمالا منهم
فذلك دليل على فساد احدى مقدمتيهم وهى ان كل من وجد الدنيا كان حبيب الله او على فساد المقدمة الاخرى وهى ان كل من كان حبيب الله فانه لا يوصل
اليه غما ثم بين ان مآل الضال الى الخزى والنكال وان طالت مدته وكثرت عدته وقوله فليمدد له الرحمن خبر خرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب الامهال و
انه مفعول لا محالة لتنقطع معاذير الضال ويقال يوم القيمة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او ليزدادوا اثما كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما وهو فى معنى الدعاء
بان يمهله الله عز وجل وينفس فى مدة حيوته والغاية احد الامرين المذكورين اى انقطاع العذر او ازدياد الاثم اما قوله حتى اذا راوا الى اخره فقد
قال فى الكشاف انه يحتمل ان يكون متصلا بقوله اى الفريقين الى اخره وما بينهما اعتراض قالوا اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما
يوعدون والمعنى لا يزالون يتفوهون بهذا القول مولعين به الى ان يشاهدوا الموعود راى عين اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم
بالقتل والاسر وتغير احوالهم من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر واما يوم القيمة ويحتمل ان يتصل بما يليها والمراد انهم لا ينفكون عن ضلالتهم وسوء
مقالتهم الى ان يعاينوا عذاب الدنيا او الساعة ومقدماتها وقوله فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا فى مقابلة قولهم خير مقاما واحسن
نديا لان مقامهم هو مكانهم والندى المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم والجند الاعوان ولا ريب ان مكان القتل والاسر شر مكان فى الدنيا ومكان عذاب
النار شر مكان فى الاخرة ولا شك ايضا انه لو كان لهم فى الوقتين ناصر قوى لم يلحقهم من الخزى والنكال ما لحقهم وحين بين حال اهل الضلال اراد ان يبين حال
اهل الكمال فقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وذلك ان بعض الاهتداء يجر الى البعض الاخر كالايمان يجر الى الاخلاص فيه كما ان بعض الغواية
تجر الى بعضها ومنهم من فسر الزيادة بالعبادات المرتبة على الايمان والواو فى ويزيد للاستيناف وقد تكلف جار الله فقال انه للعطف على موضع
فليمدد اى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه وقد مر فى سورة الكهف ان الباقيات الصالحات فسرها الاكثرون
بجميع الاعمال الصالحات المؤدية الى السعادات الباقيات وفسرها بعضهم بما هى اعظم ثوابا منها كالصلوات الخمس وغيرها وقوله خير يقتضى ان يكون
مشاركا له فى اصل الخيرية ويكون هذا اخير منه فان قدرنا ان للدنيا فيه خيرية كبعض الاعمال الدنيوية المباحة او كسائر الاعمال الصالحة عند من يفسر
الباقيات بمعنى لا اخص فظاهر انها خير ثوابا وخير مردا اى مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم هل لهذا الامر مرد وان قدرنا ان للدنيا لا ثواب فيه ولا
خيرية كما زعم جار الله ان المراد هى خير ثوابا من مفاخرات الكفار فيكون اطلاق الثواب على عقاب الكفار من قبيل التهكم ومن باب قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع ويكون وجه التفضيل فى الخير ما قيل فى قولهم الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره من الشتاء فى برده ثم اردف مقالتهم الحمقاء باخرى مثلها
قائلا على سبيل التعجب افرايت كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك وانما استعملوا ارايت بمعنى اخبر لان رؤية
الشىء من اسباب صحة الخبر عنه عن الحسن انها فى وليد بن المغيرة والمشهور انها فى العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لى عليه دين فاقتضيته
وقيل صاغ له حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فانى اوتى مالا وولدا ومن قرا
ولدا بفتحتين فظاهر ومن قرا بالضم فالسكون فاما جمع ولد كاسد فى اسد او بمعنى الولد كالعرب فى العرب فانكر الله سبحانه عليه بقوله اطلع الغيب من
قولهم اطلع الجبل اى ارتقى الى اعلاه وفى اختيار هذه الكلمة شان كانه قال وقد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذى تفرد به علام الغيوب
ام اتخذ عند الرحمن عهدا عن الكلبى هل عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجوه لذلك ما يقول وقيل العهد كلمة الشهادة
كلا ردع وتنبيه على الخطا فيما تصوره لنفسه وتمناه وفى قوله سنكتب بسين التسويف مع ان الحفظة يكتبون ما قاله فى الحال دليل على ان السين جرد ههنا
لمعنى الوعيد او اراد سيظهر له انا كتبنا الكتابة بالتعبير بالانتصاب يؤيده قوله ونمد له من العذاب ما يستاهله امثاله من المستهزئين او نزيده
من العذاب ونضاعفه من المدد مدة واحدة بمعنى ثم اكد المدد بالمصدر وهو مؤذن بفرط الغضب عاذنا الله منه ثم عكس استهزاءه بقوله ونرثه
ما يقول اى نمنع عنه منتهى ما زعم انه ينال له فى الاخرة من المال والولد لانه تالى على الله فى قوله لاوتين ومن يتال على الله يكذبه لان ذلك غاية
الجزاء ونهاية الاستعتبة ما اشتهاه الا انه منه فى العاقبة ويأتينا فردا بلا مال ولا ولد ولا كلام صاحب الكشاف فى الوجهين مختبط فليتامل
فيه وكذا فى قوله فردا على الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء فى اتيانه فردا حين ياتى ثم يتفاوتون بعد ذلك وذلك ان
الخلود لا يتحقق الا بعد الدخول فانفراده يتحقق فى حالة الاتيان وتفاوت الحال بعد ذلك واشتراك الكل فى الاتيان منفردا لا مدخل له فى
المقصود فلا ادرى ما حمله على هذا التكلف قال ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا منفردا
عنه غير قائل له او اراد ان هذا القول لا ننساه ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفته لنضرب به وجهه فى الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا
من المال والولد لم نعطه سؤله ومتمناه فيجتمع عليه خطيتان تبعة قوله وفقد سؤله وحين فرغ من الرد على منكرى البعث شرع فى الرد على عبدة
الاصنام فبين انه لا غرض لهم فى ذلك الا ان يتعززوا بالهتهم وينتفعوا بشفاعتهم ثم انكر عليهم وردعهم بقوله كلا ثم اخبر عما لا طائل لهم بقوله
سيكفرون فان كان الضمير للمعبودين فهم اما الملئكة كقوله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واما الاصنام فلا يبعد ان
ينطق الله الجماد بذلك كقوله فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون وان كان الضمير للعابدين فهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين

مستهزئا صح

والمراد هنا لنعطيناه صح



اما الضمير في يكونون فللمعبودين وقوله عليهم ضد للعز الذي يطمعون كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا ويحتمل ان يراد بالضد العون لانه يضاد العدو ووحد لاتفاق
كلمتهم وفرط تضامهم وتوافقهم كقوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم ويحتمل كون الالهة ضدا اي اعوانا عليهم وهو دليل على ان المشركين عذبوا بسبب عبادتها ويحتمل
ان يكون الضمير في يكونون للمشركين اي يكون المشركون كفرة بالهتهم واعداء لهم بعد ان كانوا يعبدونها وحين بين مذاهب الفرق الضالة اراد ان يبين منشأها
فقال الم تر انا ارسلنا الآية والاز الهز والتهييج قالت الاشاعرة في الآية دلالة على انه تعالى مريد لجميع الكائنات لان قول القائل ارسلت فلانا على فلان يدل على انه سلطه عليه ومنه
وارسل كلابه عليه ويؤيده قوله تؤزهم اي تغريهم على المعاصي بحثهم عليها بالوسوسة والتسويلات وقالت المعتزلة المراد بهذا الارسال التخلية بينهم وبينهم كما اذا لم يمنع الرجل
من شخص يتبجح بامره وحاصل كلامهم انه ارسل الانبياء ولم يرسل الشياطين ثم خلى بين المكلفين وبين الانبياء والشياطين لانه خص اولياءه بمزيد الالطاف حتى قبلوا من الانبياء ومنع عن اعدائه
تلك الالطاف وهو المسمى بالخذلان فقبلوا قول الشياطين ولما كان هذا الارسال سببا لهلاك الكفار عقبه بقوله فلا تعجل عليهم لانه لا يجيء الا بما ... الكل الا الله ثم فرع الفريقين ...
فلا تعجل عليهم يقال عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا فتستريح انت والمسلمون من شرورهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام
وانفاس معدودة قال ابن عباس رضي الله عنهما المشهورين وهم خمسة رهط وعنه ومعناه انه كان اذا قرأها بكى وقال اخر العدد خروج نفسك اخر العدد فراق اهلك اخر العدد دخول قبرك
وعن ابن السماك انه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد وقال الشاعر ان الحبيب من الاحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس كيف
وكيف يفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس ثم لما قرر امر الحشر واجاب عن شبه منكريه اراد ان يشرح حال المكلفين وقت الحشر فقال يوم نحشر منصوب بمضمر
او متأخر اي اذكر يوم كذا او يوم كذا يفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف ويجوز ان ينتصب بلا يملكون وخص المتقون بالجمع الى محل كرامة الرحمن والوفد من يفد وقد وفد
على الامير وافدة اي ورد رسولا فهو وافد والجمع وفد كصاحب وصحب عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها
ياقوت وخص المجرمون بالسوق الى جهنم وردا اي واردا وهم الذين يردون الماء ومنهم من لا يهانه ... كانهم نعم عطاش تساق الى الماء وقال حقيقة
الورد المسير الى الماء فسمي به الواردون قال بعض العلماء في الآية دلالة على ان اهوال يوم القيمة تختص بالمجرمين لان المتقين من الابتداء يحشرون على هذا
النوع من الكرامة فكيف ينالهم بعد ذلك شدة قلت يحتمل ان يكون الحشر الى الرحمن غير الحشر الى الموقف ويراد بالحشر الى الرحمن اي الى دار كرامته وسوقهم الى الجنة
زمرا وهذا بعد ما بين الفريقين فالامن الكلي فيما بعد هذه الحالة لا ينافي الخوف والدهشة فيما قبلها كما ورد في حديث الشفاعة وغيره وقوله الى الرحمن دون ان يقول الينا
من وضع الظاهر موضع المضمر وفيه من البشارة ما فيه ولا يلزم منه التجسيم للتاويل الذي ذكرناه والضمير في لا يملكون للمكلفين المذكورين بقسميهم وفاعله
من اتخذ على البدلية لانه في معنى الجمع ويجوز ان يكون الواو علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث فيكون من اتخذ فاعلا والاستثناء مفرغا ويجوز ان ينتصب من
اتخذ على الاستثناء او على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ واختلف المفسرون في الشفاعة فقيل لا يملكون ان يشفعوا لغيرهم وقيل لا يملك
غيرهم ان يشفع لهم والمراد بالعهد الاستظهار بالايمان والعمل ... كلمة الشهادة ويحتمل ان الاول يناسب مذهب المعتزلة والثاني يناسب اصل الاشاعرة وعن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحيوة باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير
واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى
مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ويجوز ان يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها
كقوله وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله ثم حين رد على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا من اليهود
والنصارى والعرب ومنهم من خص الآية بالرد على العرب القائلين بان الملائكة بنات الله لان الرد على النصارى تقدم في اول السورة وفي قوله لقد جئتم التفات من
الغيبة الى المخاطبة تسجيلا عليهم بالجرأة والتعرض لسخط الله الادّ الامر العجيب المنكر والتركيب يدل على الشدة والثقل ومنه ادت الناقة وتأدّدت اذا رجعت الحنين في
جوفها ويتفطرن بالتخفيف اذا شقه ومطاوعه انفطر وبالتشديد للتكثير ومطاوعه تفطر وهدا الهد الكسر والهدة الشديدة وانتصب هدا على المصدر لان الخرور في معناه
لان تنشق يهد هدا او على الحال اي مهدودة او على العلة اي لانها تهد ويحتمل ان دعوا اما مجرور بدلا من الهاء في منه واما منصوب بنزع الخافض لان دعوا علة
الخرور بالهد او بالهد بالدعاء واما مرفوع بانه فاعل هدا اي هدها الدعاء وخير الوجوه اوسطها كما مر في الوقف والدعاء اما بمعنى التسمية فيكون المفعول
الاول متروكا طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي ولدا لله واما بمعنى التسمية فيكون المفعول الاول متروكا طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له ولدا واما بمعنى النسبة
اي نسبوا الى الرحمن ولدا وما ينبغي اي لا يتأتى ولا يستقيم وهو في الاصل مطاوع بغى اذا طلب وانما لا يصح مطلوبا لانه محال اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها
واما التبني فلان القديم لا جنس له حتى يميل طبعه اليه ميل الوالد الى الولد فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه عن استحقاق اسم الرحمن المختص بمن فيض اصول
النعم وفروعها منه ... كما قيل لينكشف عن بصيرتك غطاؤه فانت جميع عند عطائه وهذه فائدة تكرير هذا الاسم في هذا المقام كيف تؤثر هذه الكلمة في الجماد
حتى تتفطر وتنشق وتخر ... سبحانه كانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند تفوهكم بها لولا حلمي غضبا مني على من تفوه بها او الحيلولة وهو ان
لا اثر لهذه الكلمة في الدنيا لكن المراد ان هذا الاعتقاد يوجب ان لا يكون هذه الاجرام على ما ترى من النظام لقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال ابو مسلم المراد
هذه الاجرام لو كانت ممن يعقل لكادت تفعل ذلك ثم بين ان العابد والمعبود في السموات وفي الارضين كلهم تحت قهره وتسخيره في الدنيا وفي الاخرة وانه
محيط بجمل احوالهم وتفاصيلها فقال ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا اي ملتجئا الى ربوبيته معترفا بعبوديته ثم لما اجمل حال المؤمنين

فانك ان تكلني الى نفسي



بما لا مزيد عليه في باب الكرامة فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اى سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم للاسباب التي توجب الود كقرابة او اصطناع ونحو ذلك كما يقذف في قلوب اعدائهم الرعب والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله المودة بين الناس عند ظهور الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبرئيل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب قال مكتوب في التورية لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تعالى ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا هذا قول جمهور المفسرين وعن ابي مسلم ان المراد يهب لهم في الجنة ما يحبون واستعمل المصدر بمعنى المفعول كثير وانما صار الى هذا لان المسلم التقي يبغضه الكفار وقد يبغضه المسلمون اكثرهم وقد يحصل هذه المحبة للكفار والفساق فيكونون مرزوقين يميل الناس الى اخلاقهم وصحبتهم فكيف يمكن جعله انعاما في حق المؤمنين وايضا ان محبتهم في قلوبهم من فعلهم لا من فعل الله فحمل الكلام على اعطاء النافع بالاولى واجيب بان المراد محبة الملائكة والانبياء والصالحين ومثل هذه لا يحصل للكافر والفاسق وبانه محمول على فعل الالطاف وخلق داعية اكرامه في قلوبهم ثم عظم شان ما في هذه السورة من التوحيد والنبوة وبيان الحشر والرد على الفرق الضالة فقال فانما يسرناه كأنه قيل بلغ هذا المنزل وبشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك سهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر ولدا جمع الالد الشديد الخصومة بالباطل كقوله في البقرة وهو الد الخصام يريد اهل مكة ثم ختم السورة بما هو غاية في الانذار والتخويف لانباء عن انقضاء القرون الخالية بالفناء او بالافناء بحيث لم يبق منهم شخص يحس ولا صوت يسمع فيعلم منه ان حال الباقين ايضا الى ذلك فيجتهدوا في تحصيل الزاد للمعاد ولا يصرفوا اهتمامهم الى ما هو بصدد الزوال والنفاد والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون التأويل يقول النفس الانسانية لجهلها بالحقائق اذا ما نزعت الصفات البشرية نخرج حيا بالصفات الروحانية لنحشرهم والشياطين فلكل شخص قرين من الشياطين لنحضرنهم حول جهنم القهر والطبيعة وان منكم من الانبياء والاولياء والمؤمنين والكافرين الا هو وارد هاوية الهوى بقدم الطبيعة حتما مقضيا لان حكمة الازلية اقتضت خلو هذا النوع المركب من العلوي والسفلي ثم ننجي الذين اتقوا الهوى بقدم الشريعة على طريق الطريقة الموصلة الى الحقيقة انا نسالك الحقائق والاسرار قال الذين كفروا وستروا الحق للذين آمنوا تحقيقا وايقانا وكم اهلكنا بحب الدنيا والاغراق في بحر الشهوات والاحراق بنار المناصب للعرضيات تاما هم اهل العنايه وهو الموت على الانكار والغفلة واما الساعة وهي الاماتة عن الصفات البشرية عند تجلي صفات الشوق والمحبة وسيعلمون من حزب الله من حزب الشيطان ويزيد الله بالترقي من الايمان الى الايقان ومن الايقان الى العيان ان دعوا للرحمن ولدا من فوائد ذكر اسم الرحمن ههنا ان الرحمانية امهلتهم حتى قالوا ما قالوا والا فالالوهية مقتضية لاهلاكهم في الحال وكلما تنبهوا الفتنة فهذا عن مشية وارادة بخلافهم في الدنيا فانهم يظنون ان لهم ارادة واختيارا فانما يسرناه فيه انه لولا ما يسر الله ذلك على قلب النبي صلى الله عليه وسلم والا لم يكف تسع ظروف الحروف المحدثة المتناهية حقائق كلام الازلية غير المتناهية وكم اهلكنا في تيه الضلالة او تسمع لهم ذكرا بالثناء الحسن عليهم والله اعلم

سورة طه مكية حروفها خمسة آلاف ومائتان واثنان واربعون كلمها الف وثلثمائة واحدى واربعون آياتها مائة وخمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى القراآت طه بامالة الطاء والهاء حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وعباس وقرأ ابو عمرو بامالة الهاء ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب في الكشاف ان ابا عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء والآخرون بتفخيمهما لاهله امكثوا بضم الهاء وكذلك في القصص حمزة اني انا الله بفتح ياء المتكلم فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو لعلي آتيكم بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر عن ابن مجاهد على النار هدى ممالة علي وليث وحمدويه وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمر والبخاري عن ورش وابي عمرو وغيرهم حماد اني انا ربك بفتح الهمزة وياء المتكلم ابن كثير وابو عمرو ويزيد بكسر الهمزة وفتح الياء نافع الباقون بكسر الهمزة وسكون الياء طوى منونا حيث كان عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وانا اخترناك على الجمع حمزة والمفضل لذكري ان الساعة بفتح الياء نافع وابو جعفر وابو عمرو ولي فيها بالفتح حفص والمفضل والاعشى والبرجمي والاصبهاني عن ورش هرون اخي اشدد بفتح الياء موصولا ابن كثير وابو عمرو اشدد بفتح الهمزة واشركه بضمها على التكلم ابن عامر الباقون بضم الاول وفتح الثاني على الامر وللتسبيح بالواو ابو عمرو وعن شجاع

والاصبهاني

والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف الاخرون بالهمزة الوقوف طه ه كوفي من قال معناه يا رجل او يا طالب يا هادي لم يقف لتشقى لا الا استثناء لمن يخشى لا بناء
على ان تنزيلا بدل تذكرة العلى لا لان الرحمن مبتدأ استوى ه الثرى ه واخفى ه الا هو لا الحسنى ه حديث موسى م لئلا يوهم ان اذ ظرف للاتيان هدى ه يا موسى ه تعليلا للاكتفاء
بان مع اتحاد المقول طوى ه لا الا لمن قرأ وانا اخترناك يوحى ه فاعبدني لا للعطف لذكري ه تسعى ه فتردى ه يا موسى ه عصاى ج لامكان ان يجعل اتوكأ مستأنفا او حالا او لا
اضمار واشتبه بناء على ان هي بمعنى هذه اخرى ه يا موسى ه تسعى ه ولا تخف ه الاولى ه اية اخرى ه لا لتعلق اللام الكبرى ج للاية والاستيناف بالامر على ان المقول متصل
مفصل طغى ه صدري ه امري ه لساني ه قولي ه كأطول الكلام اهلي ه اخي ه لا لوقف لمن قرأ اشدد بفتح الهمزة جزما للدعاء ومن فتح الياء فلم الوصل ومن قرأ بضم
الهمزة فله الجواز لاتساق الدعاء على الدعاء بلا عاطف ازري ه لا امري ه لا لتعلق كي كثيرا ه بصيرا ه يا موسى ه التفسير في طه قولان احدهما انه من حروف التهجي وقد سلف
في امثالها والذي نزاد ههنا امور منها قول المغتلي الطاء شجرة طوبى والهاء الهاوية وكانه اقسم بالجنة والنار ومنها ما روي عن جعفر الصادق عليه السلام الطاء
اهل البيت والهاء هداتهم وقيل الطاء طاهر من الذنوب يا هادي الى علام الغيوب ومنها قول سعيد بن جبير هو افتتاح باسمه الطيب الطاهر الهادي وقيل الطاء
تسعة في الحساب والهاء خمسة ومعناها يا ايها البدر القول الثاني انها كلمة مفيدة ومعناها يا رجل روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي
ثم قال سعيد بن جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال الكلبي بلسان عك بن عدنان اخو معد هو اليوم في اليمن
واصله طا امرا بالوطئ فقلبت الهمزة هاء وذلك لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه واراد ان يطأ الارض بقدميه معا ويؤكده ما روي
انه صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه اي تورمتا فقال له جبرئيل ابق على نفسك فان لها عليك حقا ونزلت طه ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتتعب نفسك
وتكلف بعثت بالحنيفية السهلة وعند الاكثرين معنى لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وتحسرك على ان يؤمنوا لعلهم يؤمنوا [illegible] مثل الشقي من راض
مهرا وتعبت وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين ابائك فرد الله عليهم بان القران هو السبب في درك كل سعادة [illegible]
جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف فقوله ما انزلنا ابتداء الكلام وان جعلتها اسما للسورة فمبتدأ وما بعده خبر وقام الظاهر وهو القران مقام الضمير الراجع
وان جعلته قسما فما بعده جوابا وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل والثاني جاز
قطع اللام عنه لوجود الشرط ولا يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين فان التذكرة لا يمكن ان يحمل على الشقاء ولكنها نصب على الاستثناء
المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويجوز في قوله لتشقى والا تذكرة وجه اخر وهو ما انزلنا عليك القران لتتحمل متاعب التبليغ الا ليكون تذكرة اي ما انزلنا عليك
هذا المتعب الشاق الا لهذا الغرض كما يقال ما شافهناك بذلك الكلام لتتأذى الا ليعتبر بك غيرك فانتصب تذكرة على انه حال او مفعول له واذا انتصب على الاستثناء
جاز ان يكون تنزيلا بدلا منها واذا كانت مفعولا لاجلها لم يجز ان يكون تنزيلا بدلا منها لان الشيء لا يعلل بنفسه فالانزال لا يعلل بالتنزيل [illegible] الظاهر
ان ينتصب تنزيلا بمضمر مثل نزل تنزيلا او بانزلنا لان معنى ما انزلنا الا تذكرة انزلناه تذكرة او على المدح والاختصاص او بيخشى مفعولا به اي انزل الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله
عز وجل اي لمن يؤول امره الى الخشية لانه هو المنتفع به ومعنى كون القران تذكرة انه صلى الله عليه وسلم كان يعظهم به وببيانه ومن خلق متعلق بتنزيلا فيكون الظرف لغوا او بكائنا
له فيكون مستقرا وفائدة الانتقال الى الغيبة من لفظ المتكلم حيث لم يقل تنزيلا منا امور منها الافتنان في الكلام على عادتهم ومنها تنسيق الصفات مع لفظ الغيبة ومنها
بالاسناد الى ضمير المتكلم المطاع في انزلنا ثم الى المختص بصفات العظمة والتمجيد وقيل انزلنا حكاية كلام جبرئيل والملائكة والعلى جمع العليا تانيث الاعلى وفي
التمسك بها دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها ويحصل منه تعظيم شان القران بالضرورة وفخامة قدر المرسل بكون حامل الرسالة
قول الحكماء عقول [illegible] على لسان [illegible] وارتفع الرحمن على المدح او هو مبتدأ مشار به الى من خلق والبحث في الاستواء على العرش من جانب المشبهة وغيرهم
تقدم مشبعا في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وفي الاعراف في قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات فلا حاجة الى الاعادة ثم اكد كمال ملكه وملكه بقوله له ما في السموات
الاية عن محمد بن كعب ما تحت الثرى هو ما تحت سبع الارضين وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة وقيل الثور او الحوت والتحقيق ان الثرى هو التراب الندي
وهو فيما جاوز البحر من جرم الارض فالذي تحته هو ما بقي من جرم الارض الى المركز فيحتمل ان يكون هناك اشياء لا يعلمها الا الله سبحانه من المعادن وغيرها ولا ريب ان
الكل لله سبحانه ثم بين كمال علمه بقوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى فالسر ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك ما اخطرته ببالك او السر هذا واخفى منه ما ستسره وقيل اخفى
فعل ماض اي يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو وهذا المعنى صحيح لانه تعالى محيط بجميع الاشياء لا يعزب عنه شيء قط ولا يحيطون بشيء من الاشياء فلا يطلع على غيوبه الا ان
اللفظ لا يحتمله بحسب [illegible] اذا حمل على هذا التفسير فلهذا قال صاحب الكشاف [illegible] وكيف طابق الجزاء الشرط اجيب بان معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم
انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك واما ان يكون تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض اخر كان يقصد تصويره من فوائد
الاية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت او باطنة وترغيبه في الطاعات ظاهرة وباطنة وقد شرحنا شيئا من حقيقة علمه تعالى في تفسير قوله وعلم ادم الاسماء كلها وفي غيره
من المواضع المناسبة فلنقتصر [illegible] ثم ذكر ان الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه المذكور لا شريك له وهو الذي يستحق العبادة دون غيره واعلم ان مراتب التوحيد
اربع الاقرار باللسان ثم الاعتقاد بالقلب ثم تأكيد ذلك الاعتقاد بالحجة ثم الاستغراق في بحر المعرفة بحيث لا يدور في خاطره سوى الاحد الصمد الاول بدون الثاني نفاق
والثاني بدون الاول [illegible] لان [illegible] ملك الموت مكتوب في جبهته لا اله الا الله حتى اذا راه المؤمن تذكر كلمة الشهادة فيكفيه
ذلك [illegible] ومن كان [illegible] من الاثبات والاقرار فقط [illegible] والثالث ايمان المقلد وفيه خلاف مشهور والاصح انه مقبول واما المقام الرابع
[illegible] الصديقين والى [illegible] عباد الله [illegible] الفناء في الله والبقاء به قال المحققون لا اله الا الله [illegible]



وحسن المنتهى

منتسب الى بلد الله وفيه انه فانه بالغ في مدحها حتى يلزم مدحه بالعرض فيجب على المكلف ان يذكره بالاسماء الحسنى حتى يثبت بذلك شرفه ويحسن ذكره الهنا وحسن الاسم
دليل حسن السيرة يدل على انه لا يفعل القبيح ولا يزال مواظبا على الاحسان كما قيل احسن الوجه توقع الحسنا لا تجعلن الزين بالشين فيا حسن الاسماء والصفات الا تبينا فنحن نحوز
احسانا نحو من ذكر ان صيادا اصطاد سمكة وكانت له بنت فاخذتها فالقتها في البحر وقالت انها ما وقعت في الشبكة الا لغفلتها الهنا تلك المرأة رحمتها سمكة بسبب غفلتها
ونحن قد اصطادنا ابليس واخرجنا من بحر رحمتك لغفلتنا فردنا الى بحرنا وانت ارحم الراحمين عن محمد بن كعب القرظي ان موسى قال اي خلق اكرم عليك قال الذي لا
يزال لسانه رطبا من ذكري قال اي خلقك اعلم قال الذي يلتمس علما الى علمه قال فاي خلقك اعدل قال الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس قال فاي خلقك اعظم جرما قال الذي
يتهمني وهو الذي يسألني ثم لا يرضى بما قضيته له الهنا انا لا نتهمك فانا نعلم ان كل ما احسنت فهو فضل وكل ما لا تفعله بنا من الاحسان فهو عدل فلا تؤاخذنا بسوء اعمالنا
وعن الحسن انه كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من اهل الكرم اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون فيتخطون رقاب الناس ثم يقال اين الذين لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي اين الحمادون لله على كل حال ثم يكون التبعة والحساب على من بقي الهنا فنحن حمدناك واثنينا عليك بمقدار قدرتنا وطاقتنا فاعف عنا بفضلك
وحسن اسمائك وحين عظم شان القرآن وبين حال الرسول فيما كلف من اعباء الرسالة قفاه بقصة موسى تثبيتا له وتقوية وتسلية قال الكلبي معنى وهل اتاك
لم يأتك الى الآن وقد اتاك الآن فتنبه له ويقول المرء لصاحبه هل بلغك خبر كذا ليتطلع السامع لما يخبر به وعن مقاتل والضحاك عن ابن عباس ان المراد قد اتاك يعني
في قلبك قد اتاك ذلك في الزمان المتقدم واذ ظرف للحديث لانه حدث او للمراد اذكر وقت كذا ومظروفه محذوف اي حين رأى نارا كان كيت وكيت قال اهل السير استأذن
موسى شعيبا في الخروج الى امه وخرج باهله وولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء
عنده وقدح فصلد زنده فرأى نارا من يسار الطريق من بعيد قال السدي ظن انها من نيران الرعاة وقال الآخرون انه رآها في شجرة واختلفوا
في ان الذي رآه كان نارا ام لا قالوا والصحيح انه كان نارا ليكون صادقا في خبره اذ الكذب لا يجوز على الانبياء ويمكن ان يقال اطلق اللفظ على ما يشبهه مما لم يكذب
قيل النار اربعة اقسام نار تاكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب لا تاكل وهي نار الشجر جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونار تاكل وتشرب وهي نار المعدة ونار
لا تاكل ولا تشرب وهي نار موسى وبعبارة اخرى نور بلا حرقة وهي نار موسى وحرقة بلا نور وهي نار جهنم وحرقة ونور وهي نار الدنيا ولا حرقة ولا نور وهي نار الاشجار
فقال لاهله امكثوا انما جمع لان الاهل جمع هم المرأة والخادم والولد ويجوز ان يخاطب المرأة وحدها ولكن اخرج الكلام على ظاهر لفظ الاهل فانه اسم جمع وايضا فقد يخاطب
الواحد بلفظ الجماعة تفخيما اي اقيموا في مكانكم انى آنست نارا اي ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وايضا الايناس والتركيب يدل على الظهور ومن ذلك انسان
العين لانه يظهر الاشياء ومنه الانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم ومنه الانس ضد الوحشة لان الانس هو المطلوب في هول الماء قال جار الله لما وجد الايناس وكان
مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين بنى الامر فيهما على الرجاء ولم يقطع فقال لعلي آتيكم في الحقيقة وفيه
على ان ابراهيم لم يكذب البتة لان موسى قبل النبوة احترز عن الكذب الموهوم فقال لعلي آتيكم لئلا يعد ما لا يتيقن الوفاء به فابراهيم وهو ابو الانبياء اولى بالاحتراز من الكذب
الصريح والقبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة ونحوها وهدى على حذف المضاف اي ذوي هدى او اذا وجد الهدى فقد وجد الهادي والظاهر انه اراد قوما يهدونه
الطريق وعن مجاهد وقتادة قوما ينفعونني بهداهم في ابواب الدين وذلك ان هم الابرار معقود في جميع احوالهم بالامور الدينية لا يشغلهم عنها شاغل ومعنى الاستعلاء في على
النار هو مفهوم ان لاجل ان ذوي هدى ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او المصطلون بها تكنفوها قياما وقعودا فهم مشرفون عليها المكان
مستويين فلما اتيها اي النار قال ابن عباس اي شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت
فالقيت عليه السكينة ثم نودي كانت الشجرة عوسجة وقال وهب ظن موسى انها اوقدت فاخذ من دقاق الحطب ليقتبس من لهبها فمالت اليه كانها تريده فتاخر عنها
وهابها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن اسرع من خمودها فكانها لم تكن ثم رمى موسى نظره الى فرعها فاذا خضرة ساطعة في السماء واذا نور بين السماء والارض
له شعاع تكل عنه الابصار فلما رأى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودي يا موسى من قرأ انى بالفتح فتقديره نودي بانى ومن قرأ بالكسر فلان النداء في معنى القول او لانه تضمن
يا موسى وتكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل اني انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك
تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع اعضائي حتى كان كل جارحة مني صارت اذنا وقيل لعله سمع النداء من جماد كالحصى
والشجرة فيكون معجزا وايضا انه رأى النار في الشجرة الخضراء بحيث ان الخضرة ما كانت تطفئ تلك النار ولا النار تضر بالخضرة فعرف انه لا يقدر عليه احد الا الله وجوز الاشاعرة
ان يكون قد خلق الله تعالى علما ضروريا بذلك والمعتزلة منعوه قالوا لو حصل العلم الضروري بان ذلك المتكلم هو الله لاستلزم العلم الضروري بوجود الصانع لاستحالة
ان يكون الصفة معلومة بالضرورة والذات معلومة بالاستدلال ولو حصل العلم الضروري بوجود الصانع ينافي التكليف بالاتفاق فلم يخرج موسى عن التكليف قال القاضي ان كانت
النبوة قد تقدمت لموسى فلا كلام في حصول هذه الخوارق والا وجب ان تكون المعجزات لغيره من الانبياء في زمانه كشعيب مثلا والى هذا والى الان قوله وانا اخترتك فاستمع
لما يوحى دليل على انه انما صار نبيا حين يوحى اليه وعند اهل السنة الارهاص جائز فلا يحتاج الى ان تكون تلك الخوارق معجزة وعندهم ان الله تعالى اسمعه الكلام الذي ليس بحرف ولا
صوت والمعتزلة انكروا وجود ذلك الكلام وقالوا انه تعالى خلق ذلك النداء في جسم من الاجسام كالشجرة وهو قادر على ذلك واهل السنة من اثبت الكلام القديم الا
ان معناه الذي سمعه موسى صوت خلقه الله في الشجرة لانه تعالى رتب النداء على انه اتى النار والمرتب على الحادث محدث ومثل استدلال المعتزلة بقوله فاخلع نعليك على
ان كلامه ليس بقديم لان الامر والنهي في الازل مع عدم المأمور سفه فلا بد ان يكون هذا الامر عند مجيء موسى فيكون محدثا واجابت الاشاعرة بان كلامه الازلي ليس بامر ولا نهي ولكنه
يأمر بالازل بشرط وجود المأمور كالقدرة الازلية يتعلق بالمقدورات الحادثة واما الحكمة في الامر بخلع النعلين قال المفسرون انهما

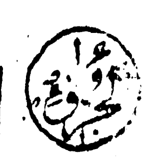


الاولى لا تكره الا اذا كان عليها نجاسة وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم خلعهما في الصلوة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال ما لكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا قال
فان جبرئيل اخبرني ان فيهما قذرا ويروى ان موسى خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي قال الجوهري طوى بكسر الطاء وضمها اسم موضع بالشام فمن صرفه جعله
اسم واد ومكان ومن لم يصرفه جعله اسم بقعة وقال بعضهم طوى بالضم مثل طوى وهو الشيء المثنى اي طوى مرتين اي قدس قال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس
مرتين ويحتمل ان يراد نودي نداءين وقيل طاوي مصدر كهدى ومعناه الطي وعن ابن عباس انه مر بذلك الوادي ليلا فطواه فكان المعنى بالواد المقدس الذي طويته
طيا اي قطعته حتى ارتفعت الى اعلاه وانا اخترتك اصطفيتك قيل فيه دلالة على ان النبوة لا تحصل بالاستحقاق وانما هي ابتداء عطية من الله وفي هذه
الاخبار غاية اللطف والرحمة ولكن في قوله فاستمع نهاية الجلال ففي الاول رجاء وفي الثاني خوف كانه قال لقد جاءك امر عظيم هائل فتاهب له واجعل جميع
همتك مصروفة اليه لما يوحى اي للذي يوحى او للوحي متعلق باستمع او باخترتك ثم قال انني انا الله لا اله الا انا ورتب عليه فاعبدني ليعلم ان عبادته
انما لزمت لالهيته ومن هنا قال العلماء ان الله معناه المستحق للعبادة قال الاصوليون تاخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ولكن عن وقت الخطاب جائز
لانه امر بالعبادة ولم يذكر كيفيتها وايضا قال واقم الصلوة ولم يبين هيآتها اجاب القاضي عن هذا الاخير بانه لا يمتنع ان موسى عليه السلام قد عرف الصلوة
التي تعبد الله بها شعيبا وغيره من الانبياء فكان الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بان حمل الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بان حمل الخطاب على ما ليس
اولى قال القاضي ولقد بين له ولكن لم يحك الله تعالى سوى هذا القدر ورد بان البيان اكثر فائدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان اولى بالحكاية وللقائل
ان يقول سلمنا ان المبين اكثر فائدة للمخاطب ولكن لا نسلم ان حكاية المبين اولى فلعل حكاية المجمل تكفي لغرض ضرورة بعض هيآت ذلك التكليف منوها
وان كان اصله باقيا وفي قوله لذكري وجوه لان اللام اما بمعنى الوقت او هي للتعليل والذكر اما باللسان او هو ضد النسيان وياء المتكلم اما على الاصل
او مفعول وهل يحتمل الكلام تقدير مضاف ام لا ولمثل هذه الاعتبارات تعددت الوجوه فمنها ان اللام للتعليل والياء منصوب اي لتذكرني فان ذكري
ان اعبد ويصلي لي واراد لتذكرني في الصلوة لاشتمالها على الاذكار عن مجاهد والفرق ان اطلاق الذكر على العبادة والصلوة في الاول حقيقة شرعية
وفي الثاني مجاز ويقول في الاول نفس الصلوة مطلوبة بالذات وفي الثاني تكون مطلوبة بعرض الذكر ولذا الذكر خاصة لا تشوبه بذكر غيري
ومنها ان المضاف مع ذلك محذوف اي لاخلاص ذكري وطلب وجهي ومنها ان الياء فاعل اي لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء
واجعل لك لسان صدق ومنها ان اللام للوقت كقولك جئتك لوقت كذا اي لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة ومنها ان يحمل الذكر على ضد النسيان
اي ليكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في كونهم رطبي اللسان في جميع الاحيان بذكر مولى الانعام ومولي الاحسان رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله او اراد ذكر الصلوة بعد نسيانها وكان نحو العبارة ان يقال لذكرها كقوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ومعنى لذكري
اي لذكر صلوتي وذكر الصلوة هو ذكر الله فالياء في الاصل منصوب والذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة فالياء فاعل قال الشافعي من فاتته صلوة
يستحب ان يقضيها على ترتيب الاداء ولو ترك الترتيب جاز ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة فان كان في الوقت سعة يستحب ان يبدأ بالفائتة وان
بدأ بصلوة الوقت جاز وان ضاق الوقت فيجب الابتداء بصلوة الوقت وان تذكر الفائتة بعدما شرع في صلوة الوقت اتمها ثم قضى الفائتة ويستحب ان يعيد صلوة
الوقت بعدها وقال ابو حنيفة يجب الترتيب في قضاء الفوائت ما لم يزد على صلوة يوم وليلة حتى لو تذكر في خلال صلوة الوقت بطلت الا ان يكون الوقت ضيقا فلا
يبطل حجة الشافعي ما روي في حديث قتادة انهم ناموا عن صلوة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع الشمس فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقودوا رواحلهم ثم صلاها ولو كان
وقت الانتباه متعينا للصلوة لما فعل كذلك نعم انه وقت لتقرر الوجوب عليه ثم الوقت موسع بعد ذلك حجة ابي حنيفة قوله تعالى اقم الصلوة لذكري
وقوله صلى الله عليه وسلم فليصلها اذا ذكرها وفي حديث جابر ان عمر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بسبب كفار قريش ويقول يا رسول الله ما صليت صلوة العصر حتى
كادت تغيب الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وانا والله ما صليتها بعد قال فنزل الى البطحاء وصلى العصر بعدما غابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها واما القياس
فهما صلوتان فريضتان يجمعهما وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلوتي عرفة ومزدلفة فلما لم يجز اسقاط الترتيب فيهما وجب ان يكون كذلك حكم الفوائت
فيما دون اليوم والليلة اما اذا دخل في حد الكثرة فيسقط هذا الترتيب لما امر موسى بالعبادة عامة وبالصلوة التي هي افضلها خاصة علل ذلك
بقوله ان الساعة آتية سؤال كاد نفيه اثبات واثباته نفي فقوله اكاد اخفيها يكون معناه لا اخفيها وهو باطل كقوله ان الله عنده علم الساعة ولان قوله لتجزى كل نفس
بما تسعى انما يليق بالاخفاء لا بالاظهار اذ لو كان المكلف عارفا وقت القيمة وكذا وقت الموت اشتغل بالمعاصي الى قريب من ذلك الوقت ثم تاب فيكون اغراء على المعصية
والجواب لا نسلم ان كاد اثباته نفي وانما هو للمقاربة فقط والباقي موكول الى القرينة ولئن سلم فالمراد بعدم الاخفاء اخباره بانها آتية وان كان وقتها غير معين
كانه قال اكاد لا اقول هي آتية لفرط ارادة الاخفاء ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وبالغ بعض المفسرين في هذا المعنى فقال
اراد اكاد اخفيها من نفسي اي لو صح اخفاؤها من نفسي لاخفيتها عني واكدوا ذلك بانهم وجدوه في مصحف ابي كذلك فقال قطرب هذا على عادة العرب في المخاطبة
اذا بالغوا في كتمان الشيء قالوا كتمته من نفسي وقيل كاد من الله واجب واراد انا اخفيها من الخلق كقوله عسى ان يكون قريبا اي هو قريب قاله الحسن وعن ابي مسلم
ان كاد بمعنى اريد كقوله كذلك كدنا ليوسف ومن قولهم لا افعل ذلك ولا اكاد اي لا اريد ان افعله وقيل اكاد صلة والمعنى ان الساعة آتية اخفيها وقال ابو الفتح
الموصلي الهمزة للازالة اي اكاد اظهرها معناه قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة ومثله ما روي عن ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها بفتح الهمزة من خفاه اذا اظهره
وقوله لتجزى متعلق باخفيها كما قلنا او بآتية فلولا القيمة لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء وذلك خلاف قضية العدل والحكمة واحتج المعتزلة بالآية

للنبوة م

والهيبة م

لقوله ر



ظاهر لانه قال عما تسعى اي بسعيها فلو لم يكن اعمال العباد بسعيهم لم يصح هذا الاسناد ولو لم يكن الثواب مستحقا على العمل لم يكن للباء السببية معنى والجواب ان
اعتبار الوسط لا ينافي انتهاء الكل الى الله واسناد الجزاء الى غاية الامر التي لا علة لها ومعنى لقاء في قوله فلا يصدنك انه اذا صح عندك اني خبرتك باماد
الساعة فلا تلتفت الى قول المخالف الذي يصدك عن التصديق بالساعة لان قوله ناشئ عن الهوى واتباعه ويجوز ان يكون الضمير في عنها للصلاة والعرب
تذكر شيئين ثم ترمي بضمير هما الى السامع اعتمادا على انه يرد كلا منهما الى ما هو له وزيف بان هذا انما يصح اليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا واما الخطاب
فالظاهر انه لموسى لان الكلام معه وجوز بعضهم ان يكون لنبينا صلى الله عليه وسلم والمقصود الامر والنهي عن الصد الظاهر لمن لا يؤمن بالساعة وهو بالحقيقة نهي
عن التكذيب او تهييج وفيه ان صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب وصد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته
فذكر المسبب ليدل على السبب كانه قيل كن في الدين صلبا حتى لا يطمع في اغوائك الكافر والذي دعا الى هذا النهي البالغ في معناه وهو ان في المطلوب
الحاصل كثرة منزلة قدم فعلى المرء ان يكون مع المحقين وان قلوا لا مع غيرهم وان كثروا وفيه حث بليغ على العمل بالدليل وزجر قوي عن التقليد وانذار
بان الردى والهلاك مع اتباع الهوى وههنا استدل الاصوليون على شرف علمهم ووجوب تعلمه كيلا يتمكن الخصم من تشكيكه وزعم القاضي ان نسبة الصد
الى الكافر يبعث دليل على ان القبائح انما تصدر عن العباد ورد بان الداعي كما مر مرارا قال اهل التحقيق قوله ولا لموسى اخلع نعليك اشارة الى
التخلية وتطهير لوح الضمير عن الاغيار وما بعده اشارات الى التحلية وتحصيل ما ينبغي تحصيله واصول ذلك ترجع الى علم المبدأ وهو قوله انني انا الله والى
علم الوسط وهو قوله فاعبدني وانه مشتمل على الاعمال الجسمانية وقوله لذكري هو مشتمل على الاعمال الروحانية والى علم المعاد وذلك قوله ان الساعة
آتية وايضا انه افتتح الخطاب بقوله انا اخترتك وختم الكلام بقوله فلا يصدنك الى اخره وهو تنبيه على ان رحمته سبقت غضبه وان يكون العبد لا بد
ان يكون سلوكه على قدمي الرجاء والخوف قوله وما تلك مبتدأ وخبر وبيمينك حال منتصب بمعنى الاشارة او الاستفهام وجوز الكوفيون ان يكون تلك
اسما موصولا صلته بيمينك اي وما التي بيمينك قيل لم يقل بيدك لانه يحتمل ان يكون في يساره خاتم او شيء آخر وكان ينبغي عليه الجواب سؤال ما الفائدة في
هذا السؤال والجواب ان الصانع الماهر اذا اراد ان يظهر من الشيء الحقير شيئا عظيما من جهة شيئا شريفا كالملبوس المسرع عرضه على الحاضرين ويقول ما هذا
حتى انه بعد اظهار صنعته يلزمهم بقولهم ويحقق خجلهم فالله سبحانه كأنه قال لموسى هل تعرف حقيقة ما في يمينك وانه خشبة يابسة
ثم اذا قلبها ثعبانا عظيما كان قد نبهه على كمال قدرته الباهرة وقال اهل المعرفة انه تعالى لما اطلعه على تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء واسمعه
تسبيح الملائكة ثم اسمعه كلامه نفسه بالاطف واعظم اشتد خوفه وتحيرت دهشه كاد لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له وما تلك بيمينك يا موسى ليعرف
موسى ان بيده هي العصا وايضا لما تكلم معه بكلام الالهية تحير موسى من الدهشة فتكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة الا لان
عندما يقع من الغلط كأن السائل لا يخفى عليه الغلط نظيره حال المؤمن في القبر يطلبه الرحال والجاه والحياة فيسأل عما لا يشك فيه في الدنيا وهو التوحيد
دفعا لذلك الهياش وطلبا للاستئناس بما عرفه في كمال الالهية اراد ان يعرفه نقصان البشرية فسأله عما في يده فذكر موسى عدة فوائد منها ان فيها منافع
ما ذكر فنبهه على ان عقول البشر قاصرة عن معرفة منافع الموفقة والارشاد انه خاطب موسى بلا واسطة وخاطب محمدا بواسطة جبريل فلزم ان يكون
موسى افضل والجواب انه بدل بما وجد عندما اوحى بان الا افضل ان كلامه مع موسى لم يمكن سرا وكلامه مع محمد لم يدينا هل له سؤال وايضا حصل
في التباشر التكلم المتعلق بما جرى به دون الاجرة شرف التكلم بالتسليم سلام قولا من رب رحيم وايضا ان موسى كان عند استغراقه في لجة المحبة متعلقا
وبما نقيها مجرد لم يلتفت الى الكونين حين عرضا عليه ما زاغ البصر وما طغى بل كان فانيا عن الاغيار باقيا بالوحدة انها رواه الى الترمذي على قوله كما
اثنيت على نفسك وههنا نكتة منها انه سبحانه لما اشار الى العصا واليد بقوله وما تلك بيمينك يا موسى حصل في كل منهما برهان باهر ومعجز باهر فصار احدهما وهو
اليد يجوز لنا والاخر وهو الكشف بنورانيا الصفات انه نعم ينظر في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى قلب العبد فاي عجب ان ينقلب قلبه الجامد المظلم حيا مستنيرا
ومنها ان العصا صارت بيمين موسى حيا فكيف لا يصير قلب المؤمن الذي هو بين اصبعين من اصابع الرحمن حيا ومنها ان العصا باشارة واحدة صارت بحيث ابتلعت
سحر السحرة كلهم فقلب المؤمن اولى ان يصير بهذا النظر الربي كل يوم مرات بحيث يبتلع سحر النفس الامارة بالسوء ثم ان جواب موسى ثم بقوله هي عصاي الا انه زاد على ذلك
لانه كان يحب المكالمة وكان المقام مقام انبساط وقرب فاغتنم الفرصة وجعل ذلك كالوسيلة الى درك الغرض وقيل هو جواب سؤال آخر كأنه سئل ما تصنع
فاخذ في ذكر منافعها وقيل خاف ان ينكر عليه استصحاب العصا كالنعلين ومعنى اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع عند الطفرة وكذلك
بعد ركا لوسيلة الى ذلك واهش بها اي اخبط الورق بها على رؤس غنمي لياكله والتركيب يدل على الرخاوة واللين ومنه رجل هش المكسر سهل الشأن فيما يطلب
من الحوائج وهو مدح وهش الخبز يهش بالكسر اذا كان ينكسر لرخاوته وتريفا المحققون ان موسى كان يتوكأ على العصا ومحمد كان يتكل على فضل الله ورحمته قائلا
مع امته حسبنا الله ونعم الوكيل فورد في حقه حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي يحسبك وحسب من اتبعك وايضا انه بدأ بمصالح نفسه في قوله اتوكأ عليها ثم
بمصالح رعيته بقوله واهش بها على غنمي ومحمد لم يشتغل في الدنيا الا باصلاح امر امته ما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فلا جرم يقول
موسى يوم القيامة نفسي نفسي ومحمد يقول امتي امتي قوله ولي فيها مآرب هي جمع مأربة بضم الراء الحاجة وقد يفتح الراء وحكى ابن الاعرابي وقطرب بكسرها ايضا ومثله
الارب بفتحتين والاربة بكسر الهمزة وسكون الراء وانما قال اخرى لان المآرب في معنى جماعة ونظيره الاسماء الحسنى ومن آياتنا الكبرى قالوا انما اجمل موسى ليسأله الرب تلك
المآرب فيطول الكلام معه فقالوا انقطع بالهيبة كلامه فاجمل وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار

القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا
قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل ان موسى عم كان احسن بانه تعالى انما سأله عما بعصاه من المنافع علمه فقال ما هذه العصا الا كغيرها لكنه
لما سألت عنها وكلمتني بسببها عرفت ان لي فيها مآرب اخرى وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاه دلوا وتكونان شمعتين
بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحارب عليها اذو سقاء فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب
وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام تلك هذه الخوارق ان كانت بعد نبوة موسى فلا كلام
وان كانت قبلها ففي صحة الرواية بعد الا ان كان ارهاصا لا انسب تقديمها عند تعداد المنافع وعلى تقدير صحتها فلعلها ارهاص او من معجزات شعيب ونبيه كان
قد اعطاها اياه قال اهل النكت ان موسى لما قال ولي فيها مآرب اخرى لا ينحصر قال القها يا موسى توجه اليه حاجة كان في جملة شيء وهو النعل وفي يده شيء وهو العصا
والرجال الى الطريق تنبيها الى الطالب فامره بتركهما تنبيها على ان السالك ما دام في مقام الطلب والهرب كان مشتغلا بنفسه طالبا لحظه فلا يحصل له كمال الاستغراق
في بحر العرفان وفيه ان موسى مع جلالة منصبه وعلو شأنه لم يمكن له الوصول الى حضرة الجلال حتى خلع النعل والقى العصا فانت مع الف وقر من المعاصي كيف
يمكنك الوصول لجنابه قال الكعبي لا استطاعة قبل الفعل لان القدرة على القاء العصا اما ان توجد والعصا في يده فذلك قولنا او توجد وهي خارجة عن يده وذلك تكليف
بان ياتي من يده ما ليس في يده ويمكن ان يجاب بان القدرة مع القاء العصا قوله فاذا هي حية تسعى وفي موضع فاذا هي ثعبان وفي آخر كانها جان عبارات عن معنى واحد
لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والعظيم واما الثعبان فهو العظيم من الحيات والجان وهو الدقيق منها فبينهما تناف في الظاهر لا في الحقيقة لانها حين انقلابها
كانت تكون حية صفراء دقيقة كالجان ثم تتورم وتتزايد جثتها حتى تصير ثعبانا او لانها كانت في شخص ثعبان وسرعة حركة الجان ولهذا وصفها بالسعي
وهو المشي بسرعة وخفة حركة والعجب ان موسى قال اتوكأ عليها فنصبه الله تعالى في ذلك فجعلها متكأ له بان كانت اعظم معجزاته واما قلبها حية في ذلك الوقت ليكون
معجزة لموسى يعرف بها نبوته فانه بعد النداء والنور وسماع الكلام لم يكن في ظهور الدلالة زيادة ولان توالي المعجزات كتتابع الخلع والتكرمات ومنها لانه عرضها عليه
ليشاهده ويوطن نفسه عليها لا ان يخافها عند عدوه فانه اولى بستر الفتوة والعبد به المناسب في صون المثالب فكيف اذا وجد مجال الطعن والقدح ومن هنا قال اعراض العجم
كان لعرف الكعبة الفوضى كان بين لحييها اربعين ذراعا فلما راى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال حتى ذهل عن الدلائل
واخذ يهرب ولو انه بلغ مقام فقر والى الله لم يهرب عن شيء او لعله لما حصل له مقام المكالمة بقي في قلبه عجب فاراه الله تعالى انه بعد في نقص الامكان ولم يفارق
عالم البشرية وما القهر والتثبت الا من الله وعنه فقد روي انه قيل له ادبر لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها قال الشيخ
ابو القاسم الانصاري ذلك الخوف من اقوى الدلائل على صدقه في النبوة لان الساحر يعلم ان الذي اتى به تمويه فلا يخافه البتة وعن بعضهم انه خافها لانه
ما لقي آدم منها قلت يحتمل ان يكون خوف موسى وهربه اياها من فوات المنافع المعدودة ولهذا علل عدم خوفه بقوله سنعيدها سيرتها الاولى قال جار الله السيرة
من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة ومنه سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي في
طريقتها الاولى اي في حالها التي كانت عصا ويكون اعاد منقولا بالهمزة من عاد بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين ويكون المراد بالاعادة الانشاء
ثانيا وينصب سيرتها بفعل مضمر في موضع الحال اي سنعيدها تسير سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها قوى على امره بمعجزة ثانية
فقال واضمم يدك الى جناحك يقال لكل ناحيتين جناحان ومنه جناحا العسكر وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين
لانه يجنحهما عند الطيران اي يميلهما فقيل المراد بالاية تحت العضد بدليل قوله تخرج وعن ابن عباس المعنى الى صدرك وضعف بانه لا يطابق قوله تخرج قلت لانه
ان الصدر مستور بالقميص فظهر عندك لك معنى الخروج ويفسره قوله في موضع آخر وادخل يدك في جيبك والسوء الرداءة والقبح في كل شيء فكنى به عن البرص كما كنى
عن العورة بالسوأة والبرص ابغض شيء عند العرب بحيث تمجه اسماعهم فكان جديرا بان يكنى عنه ومعنى بيضاء انها تبرق كشعاع الشمس قال في الكشاف من غير
من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء قلت لعل المراد من التعلق انه ليس بسبب البياض هو السوء وانما البياض معجزة وحقيقته يرجع الى الابتداء وبيضاء
وآية حالان معا او متداخلتان واحتمل ان ينتصب آية بمضمر يدل عليه الكلام نحو خذ ودونك قوله لنريك من آياتنا متعلق بما دل عليه آية ولا يبعد ان يتعلق
بالامر المذكور اي القها واضمم لنريك قال الحسن اليد اعظم في الاعجاز من العصا لانه تعالى وصفها بالكبرى وضعف بانه ليس في اليد الا تغير اللون واما في
فقط تغير اللون والزيادة في الحجم وخلق الحيوة والقدرة على الامور الخارقة فالمراد لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى وجوز في الكشاف ان يكون المراد
لنريك بهما الكبرى من آياتنا ويرد عليه لزوم ان يكونا الآيات الكبرى منحصرة فيهما والحق ان معجزات نبينا محمد صلعم اكبر من الكل وكفى بالقرآن شاهدا على
ذلك ثم صرح بالمقصود من المعجزات فقال اذهب الى فرعون وخصه بالذكر لان قومه تبع له ثم بين العلة فقال انه طغى وعن وهب ان الله تعالى قال لموسى اسمع
كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني البستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في امري بعثتك الى خلق ضعيف
من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي وزعم انه لا يعرفني واني اقسم بعزتي لولا الحجة والعذر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة
شديدة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي لا تطرف
ولا تنفس الا بعلمي في كلام طويل قال فسكت موسى سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال له اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري قال علماء
المعاني لم قال رب اشرح لي صدري ولم يقل اشرح صدري ليعلم ان ثم مشروحا وملتبسا ثم بين فرفع الابهام بذكر الصدر والامر كان من جهة الاجمال ثم التفصيل

صدره وسيضيق كما جاء في موضع اخر ويضيق صدري فسأل الله ان يبدل الضيق بالسعة حتى يفهم ما انزل عليه من الوحي وقيل اراد بيجعني على مخالطة ذوي العقول
وعلى تحمل اعباء الرسالة واعلم ان الكلام في الدعاء وشرائطه وفوائده وسائر ما يتعلق به قد سبق منا في البقرة في تفسير قوله سبحانه واذا سألك عبادي عني فاني
قريب فلنذكر ههنا نكتة شريفة الاولى انه تعالى كامل في الازل فلا تكميل وذلك كما يقال انه سبحانه لا يعلم عدد مفصلات الحركات اهل الجنة لان كل ما له مفصل
متناه وحركات اهل الجنة غير متناهية فامتنع ذلك لا لقصور في العلم بل لكونه في نفسه ممتنع الحصول وما كان الغرض من التكوين تكميل الناقصين وكان
الوجود اولى فهو من صفات الكمال الجليلة لله سبحانه على هذه المائدة بعض المعدومات لانه لو اجلس الكل عليها لدخل في الوجود ما لا نهاية له ولا تتناهى القدرة
الذاتية لامتناع تحقق الموجود وكما ان رحمته اقتضت وضع مائدة الوجود لبعض المعدومات دون بعض حتى صار ذلك البعض جامداً كالمنافي والملائم واللذة
والالم والخير والشر فقال الاحياء عند ذلك يا رب لا رب سواك شرفتنا بخلعة الوجود وخلعة الحيوة ولكن ازدادت حاجتنا لانا حال العدم وحال الجمادية ما كنا محتاجين
الى الملائم والموافق وما كنا نخاف المنافي والمؤذي والان احتجنا الى طلب الملائم ودفع المنافي فان لم يكن لنا قدرة على الهرب والطلب كنا كالزمن المقعد في
الطريق عرضة للآفات وهدفاً لسهام البليات فاقتضت الرحمة الكاملة تخصيص بعض الاحياء بالقدرة كما اقتضت تخصيص بعض المعدومات بالوجود وتخصيص
بعض الموجودات بالحيوة فقال القادرون عند ذلك الهنا الجود الكريم ان الحيوة والقدرة بلا عقل لا تكون الا للبهائم المسخرة في حمل الاثقال فافض علينا
من العقل الذي هو اشرف مخلوقاتك فاعطى بعضهم العقل فحصل فاراد واحسن نور البصيرة وجوهر الهداية ختام مسك كما ان خاتم النبيين كان افضل
المخلوقات فنظر العقل في نفسه فرأى نفسه كالحقة المملوة من الجواهر بل كسماء مزينة بالزواهر وهي العلوم الضرورية البديهية المركوزة في بداية العقول ثم
الاذهان يهتدي بها السائرون في ظلمات بر الشكوك وبحر الشبهات فاستدل العقل بتلك الارقام على راقم وبتلك النقوش على نقاش فعلت همته الى
الازلية وكاد يغرق في بحر الفكر ويضيق عليه نطاق التأمل والتدبر ويقع في تجاذب ايدي الاعداء الداخلة والخارجة وشياطين الجن والانس فعند ذلك قال
رب اشرح لي صدري ويسر لي امري فانها جميع الحوادث اليه تيسير الامور الكلية والجزئية من عنده هو الذي يعطي القابل قابليته والفاعل فاعليته الثانية انه تعالى
خالقه ولا ما لتوحيد اننى انا الله لا اله الا انا وثانيها العبادة فاعبدني وثالثها معرفة المعاد ان الساعة اتية ورابعها بقاء معرفة الحكمة في جملة انعام الله وما تلك
بيمينك فخلعها بعرض المعجزات الباهرة عليه لنريك من اياتنا الكبرى وسادسها ارساله الى اعظم الناس كفراً وكانت هذه التكاليف الشاقة سبباً
لضيق العطن واحلال عقدة الصبر فلا جرم تضرع الى الله سبحانه قائلاً رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وههنا دقيقة هي ان شرح الصدر مقدمة
لطلوع الانوار الالهية في القلب والاستماع مقدمة الفهم ولما اعطى موسى المقدمة فاستمع سبح موسى على ذلك المنوال فقال رب اشرح لي صدري ولما
ال الامر الى محمد وكان خاتم النبيين ومقصوداً من الكائنات وخاطبه بقوله الم نشرح لك صدرك او في الفجر فقيل له وقل رب زدني علماً ووصف
بقوله سراجاً منيراً فشرح الصدر هو ان يصير الصدر قابلاً للنور والسراج المنير هو المعطي للنور فالتفاوت بين موسى ومحمد عليهما السلام هو التفاوت بين
الاخذ والمعطي ولهذا قال موسى اللهم اجعلني من امة محمد الثالثة انه تعالى ذكر عشرة اشياء ووصفها بالنور احدها وصف ذاته بالنور الله نور السموات والارض
وثانيها الرسول قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وثالثها الكتاب واتبعوا النور الذي انزل معه ورابعها الايمان يريدون ان يطفؤا نور الله وخامسها
عدل الله واشرقت الارض بنور ربها وسادسها ضياء القمر وجعل القمر فيها نوراً وسابعها النهار وجعل الظلمات والنور وثامنها البينات انا انزلنا التورية فيها هدى
ونور وتاسعها الانبياء نور على نور وعاشرها المعرفة مثل نوره كمشكوة فيها مصباح فكان موسى قال اولاً رب اشرح لي صدري بمعرفة انوار جلال
كبريائك وثانياً رب اشرح صدري بالتخلق باخلاق رسلك وانبيائك وثالثاً رب اشرح لي صدري باتباع وحيك وامتثال امرك ونهيك ورابعها
رب اشرح لي صدري بنور الايمان والايقان بالهيتك وخامساً رب اشرح لي صدري بالاطلاع على اسرار عدلك في قضائك وحكمك وسادساً
اشرح لي صدري بالانتقال من نور شمسك وقمرك الى انوار جلالك وعزتك كما فعله ابرهيم صلوات الرحمن عليه وسابعاً رب اشرح لي صدري
عن مطالعة نهارك وليلك الى مطالعة نهار فضلك وليل عدلك وثامنها رب اشرح لي صدري بالاطلاع على مجامع اياتك ومعاقد بيناتك
في ارضك وسمائك وتاسعاً رب اشرح لي صدري في ان اكون خلف صدق انبيائك وعاشراً رب اشرح لي صدري بان تجعل سراج الايمان كالمشكوة التي
فيها المصباح الرابعة شرح الصدر عبارة عن ايقاد النور في القلب حتى يصير القلب كالسراج ومستوقد السراج محتاج الى سبعة اشياء زند وحجر
وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالزند زند المجاهدة والذين جاهدوا فينا والحجر حجر التضرع ادعوا ربكم تضرعاً وخفية والحراق منع الهوى
ونهى النفس عن الهوى والكبريت الانابة وانيبوا الى ربكم والمسرجة الصبر واستعينوا بالصبر والصلوة والفتيلة الشكر لئن شكرتم لازيدنكم والدهن
الرضا واصبر لحكم ربك ثم اذا اصلحت هذه الادوات فلا تعول عليها بل ينبغي ان تطلب المقصود من حضرة ربك بالتضرع والدعاء قائلاً رب اشرح لي
صدري فهنالك تستمع قد اوتيت سؤلك يا موسى الخامسة هذا النور الروحاني المسمى بشرح الصدر افضل من الشمس الجسمانية لوجوه احدها الشمس يحجبها
الغيم وشمس المعرفة لا يحجبها السموات السبع اليه يصعد الكلم الطيب وثانيها الشمس تغيب ليلاً وشمس المعرفة لا تغيب ليلاً ان ناشئة الليل هي اشد وطأ
واقوم قيلاً والمستغفرين بالاسحار سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً الليل للعاشقين ستر يا ليتنا وقاته تدوم وعند الصباح يحمد القوم السرى
وثالثها الشمس تفنى اذا الشمس كورت والمعرفة لا تفنى اصلها ثابت وفرعها في السماء سلام قولاً من رب رحيم ورابعها الشمس اذا قارنها القمر
انكسفت وشمس التوحيد وهي اشهد ان لا اله الا الله اذا لم يقارن بقمر النبوة وهي اشهد ان محمداً رسول الله لم يصل نوره الى عالم الجوارح وخامسها

النفس



الشمس تسود الوجه والمعرفة تبيض الوجه يوم تبيض وجوه وسادسها الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الاحراق جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك
لهبي وسابعها الشمس تصدع والمعرفة تصعد اليه يصعد الكلم الطيب وثامنها الشمس منفعتها في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدارين فلنحيينه
حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ويوجه آخر الشمس زينة لاهل الارض والمعرفة زينة لاهل السماء وتاسعها الشمس فوقاني الصورة تحتاني
المعنى والمعارف الالهية تحتانية الصورة فوقانية المعنى وفيه ان الخسة مع الترفع والشرف مع التواضع وعاشرها الشمس تعرف احوال الخلق والمعرفة
توصل القلب الى الخالق والشمس تقع على الولي والعدو والمعرفة لا تحصل الا للولي ولما كان شرح الصدر الذي هو اول مراتب الروحانيات اشرف
من اعلى مراتب الجسمانيات بدأ موسى بطلبه فقال رب اشرح لي صدري الثاني الشمس سراج وقد جعلها الله تعالى للفناء كل من عليها فان والمعرفة سراج استوقده
للبقاء يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت والذي خلقه للفناء اذا قرب منه الشيطان احترق يجد له شهابا رصدا والذي خلقه للبقاء كيف يقرب منه
الشيطان رب اشرح لي صدري وايضا الشمس في السماء ثم انها مع بعدها تزيل الظلمة عن بيتك فشمس المعرفة مع قربها لانها في قلبك اولى ان تزيل
ظلمة المعصية والكفر عن قلبك وايضا الانسان اذا استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده ويمده والله تعالى هو الموقد لسراج المعرفة ولكن الله حبب اليكم الايمان
افلا يمده وهو معنى قوله رب اشرح لي صدري وايضا اذا كان في البيت سراج فان اللص لا يقرب منه والله سبحانه قد اوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقرب
الشيطان منه رب اشرح لي صدري وايضا المجوس اذا اوقدوا نارا لا يجوزون اطفاءها فالملك القدوس اذا اوقد سراج المعرفة في قلبك كيف يرضى باطفائها
رب اشرح لي صدري الثالث انه سبحانه اعطى قلب المؤمن تسع كرامات احدها الحياة او من كان ميتا فاحييناه وقال عم من احيا ارضا ميتة فهي له فيعلم انه لما خلق
ارض القلب فاحياها فلا يفوضها الا اليه لا يكون لغيره فيها نصيب وثانيها الشفاء ويشف صدور قوم مؤمنين وفيه انه اذا وضع الشفاء في العسل بقيت تلك الخاصية فيه
ابدا فاذا وضع الشفاء في الصدر فكيف لا يبقى ابدا وثالثها الطهارة اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وفيه ان الصائغ اذا امتحن الذهب مرة فبعد ذلك
لا يدخله في النار فالله تعالى لما امتحن قلب المؤمن كيف يدخله النار بعد ورابعها الهداية ومن يؤمن بالله يهد قلبه وفيه ان رسولك هدى نفسك المولى
هدى روحك المولى هدى قلبك الاول قد يحصل وقد لا يحصل انك لا تهدي من احببت وكذا الثاني يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما هذا في القلب
فلا يزول البتة لان الهادي لا يزول ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وخامسها الكتابة اولئك كتب في قلوبهم الايمان وفيه ان القرطاس اذا كتب
فيه القرآن لم يجز احراقه فقلب المؤمن الذي فيه القرآن وجميع احكام ذات الله وصفاته كيف يليق بالكريم احراقه وايضا ان بشر الحافي اكرم قرطاسا فيه اسم
الله تعالى فنال سعادة الدارين فاكرام قلب فيه معرفة الله اولى بذلك وايضا ان القرطاس اذا كتب فيه اسم الله الاعظم عظم قدره حتى لا يجوز للمحدث والحائض
مسه فالقلب الذي فيه اكرم الموجودات كيف يجوز للشيطان الخبيث ان يمسه وسادسها هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين وفيه ان ابا بكر لما نزلت
عليه السكينة في الغار قيل له لا تحزن ان الله معنا فالمؤمن اذا نزلت السكينة في قلبه لا بد ان يقال له عند قبض الروح لا تخف ولا تحزن كما قال تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وسابعها المحبة والزينة كما قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وفيه ان الدهقان اذا القى في الارض حبة فهو
لا يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه حين القى حبة المحبة في ارض القلب كيف يحرقه وثامنها والف بين قلوبكم وفيه ان محمدا حين الف بين قلوب اصحابه ما تركهم غيبة ولا
حضورا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاكرم الاكرمين وارحم الراحمين كيف يتركهم سلام قولا من رب رحيم وتاسعها الطمانينة الا بذكر الله تطمئن
القلوب وفيه ان الحاجات غير متناهية وما سوى الله فهو متناه والمتناهي لا يقابل غير المتناهي فالكافي للمهمات لا يكون الا من له كمالات غير متناهيات ولا
يزيل تلك الحوائج واضطرابها الا الله سبحانه وبازاء هذه الكرامات ورد في حق الكفار اضدادها فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم في قلوبهم مرض قلوبهم
قاسية انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ختم الله على قلوبهم ام على قلوب اقفالها ران على قلوبهم طبع الله على قلوبهم فلاجل تلك الكرامات والهرب من اضدادها
قال موسى رب اشرح لي صدري ويسر لي امري الثالث في حقيقة شرح الصدر وذلك ان لا يبقى للقلب التفات الى الدنيا لا رغبة بان يكون متعلق القلب
بالاهل والولد وتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ولا رهبة بان يكون خائفا من الاعداء والمنازعين فان القوة البشرية لضعفها كينبوع صغير فاذا
وزعت على جداول كثيرة ضعف الكل وضاعت واذا انصب الكل في موضع واحد ظهر اثرها وقويت فائدتها فسأل موسى ربه ان يوقفه على معايب الدنيا
وقبح صفاتها ليكون متوجها بالكلية الى عالم القدس ومنازل الروحانيات وهذا معنى قوله رب اشرح لي صدري او نقول انه لما كلف بضبط الوحي في
قوله فاستمع لما يوحى وبالمواظبة على خدمة الخالق في قوله فاعبدني فكأنه صار مكلفا بتدبير العالمين والالتفات الى احدهما يمنع من الاشتغال بالآخر
فسأل موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال رب اشرح لي صدري او نقول معدن النور هو القلب والاشتغال بما سوى الله من الزوجة والولد والصديق
والعدو بل الجنة والنار هو الحجاب المانع من وصول نور شمس القلب الى فضاء الصدر فاذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجز الخلق وقلة فائدتهم في الدارين
صغروا في عينه كالذباب والبق والبعوضة فلا يدعوه رغبة الى شيء مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من شيء من ذلك فيصير الكل عنده كالعدم فعند
ذلك يزول الحجاب فينفسح القلب بل الصدر للنور رب اشرح لي صدري الرابع لنضرب مثلا لذلك فنقول البدن بالكلية كالمملكة والصدر كالقلعة
والفؤاد كالصفة والقلب كالسرير والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب النعم الى البلدة والغضب كالاسفهسلار الذي
يشتغل بالضرب والتأديب والحواس كالجواسيس وسائر القوى كالمحترفين والعملة والصناع ثم ان الشيطان كملك مطاع وانه يخاصم هذه البلدة والقلعة
والهوى والحرص وسائر الاخلاق الذميمة جنوده فاذا اخرج الروح وزيره وهو العقل اخرج الشيطان في مقابلته الهوى فجعل العقل يدعو الى الدين



تعالى والهمه الى الشيطان ثم ان الروح اخرج النفس اللوامة اعانة للعقل واخرج الحرص في مقابلة الشهوة فالفطنة توقفت على معايب الدنيا والشهوة تميل
لذات الدنيا ثم ان الروح امد الفطنة بالفكرة لتوقف على الحاضر والغائب المعايب عليه ما قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة فاخرج الشيطان
في مقابلة الفكرة والعقلة ثم اخرج الروح الحلم والثبات فان العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا فاخرج الشيطان بازائه العجلة والسرعة
فلهذا قال عم ما دخل الرفق في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء الا شانه وخلق السموات والارض في ستة ايام ليتعلم منه الرفق والثبات
فهذه هي الحصون الواقعة بين الصفين وقلبك صدره هو المعركة ثم ان لهذا الصدر الذي هو القلعة خندقا وهو الزهد في الدنيا وله سور وهو
الرغبة في الآخرة وفي كل ما هو تتمته فان كان الخندق عميقا والسور قويا عجز عسكر الشيطان وجنوده من الكبر والهوى والعجب والبخل وسوء
الظن بالله من الخيبة والغيبة وساير الخصال الذميمة وتحصن الملك في القصر ويضيق الامر عليهم ثم اذا جاء مدد التوفيق واخرج هذا العسكر
من القلعة انفسح وانشرح رب اشرح لي صدري النكتة الخامسة في الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب الصدر مقر الاسلام والقلب مقر الايمان حبب
اليكم الايمان وزينه في قلوبكم اولئك كتب في قلوبهم الايمان والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما راى واللب مقام التوحيد انما يتذكر اولوا
الالباب الذين خرجوا من قشر الوجود المجازي وبقوا بلب الوجود الحقيقي ثم ان القلب كاللوح المحفوظ في العالم الصغير فاذا ركب العقل سفينة
التوفيق والقاها في بحار امواج المعقولات من عالم الروحانيات هبت عليه من مهاب العظمة والكبرياء رياح السعادة تارة ودبور الادبار اخرى فح
يضطر الراكب الى التماس انوار الهدايات وطلب انفتاح ابواب السعادات فيقول رب اشرح لي صدري وانما سال موسى شرح الصدر دون القلب لان
انشراح الصدر يستلزم انشراح القلب دون العكس ايضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والحر تكفيه الاشارة فاذا علم انه طالب للمقدمة فلا يليق بكرمه
ان يمنعه النتيجة وايضا انه راعى الادب في الطلب فاقتصر على طلب الادنى فلا جرم اعطى المقصود فقال قد اوتيت سؤلك يا موسى وحين اجترأ وطلب
الرؤية بقوله ارني انظر اليك اجيب بقوله لن تراني واعلم ان جميع الماهيات الممكنة كالبلور الصافي الموضوع في مقابلة شمس القدس ونور العظمة و
مشرق الجلال فاذا وقع للقلب التفات اليها حصلت له نسبة اليها باسرها فينعكس شعاع كبرياء الالهية من كل واحد منها الى القلب فيحترق
القلب ويكون المحترق كلما كان اكثر كان الاحتراق اتم فلهذا قال موسى رب اشرح لي صدري حتى اقوى على ادراك درجات الممكنات واصل الى مقام الاحتراق
بانوار الجلال كما قال نبينا ارنا الاشياء كما هي وههنا دقيقة وهي ان موسى لما زاد لفظة لي في قوله رب اشرح لي علم انه يريد ان يقول رب اشرح صدري علم انه
اراد ان يعود منفعة الشرح اليه فلا جرم يقول يوم القيمة نفسي نفسي وان نبينا عم لما لم يذكره في مقام القرب اذ قيل له السلام عليك ايها النبي فقال السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فلا جرم يقول يوم القيمة امتي امتي وشتان ما بين من يتضرع الى الله ويقول رب اشرح لي صدري وبين من
يخاطب ويقال الم نشرح لك صدرك ولا يخفى ان المراد بالشرح التيسير عند اهل السنة هو خلقهما وعند المعتزلة تحريك الدواعي والبواعث بفعل الالطاف
المسهلة فانه يحتمل ان يكون هنا من الالطاف ما لا يحسن فعلها الا بعد هذا السؤال اما قوله سبحانه واحلل عقدة من لساني فاعلم ان النطق فضيلة عظيمة
وموهبة جسيمة ولهذا قال خلق الانسان علمه البيان بغير توسط العاطف كانه انما يكون خلقا للانسان اذا علمه البيان وفي لسان الشاعر وهو زهير
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم وعن علي كرم الله وجهه ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة او بهيمة مهملة وقالت العقلاء المرء
باصغريه المرء مخبوء تحت لسانه وفي مناظرة آدم والملائكة لم يظهر الفضيلة الا بالنطق ومن التعريفات المشهورة ان الانسان هو الحيوان الناطق
هذا النطق وان كان في التحقيق هو ادراك المعاني الكلية لكن النطق اللساني لا ريب انه اظهر خواص الادمي وقد ينطبق باسره بمنزلة المعبر عما في
ضميره فقول موسى رب اشرح لي صدري اشارة الى طلب النور الواقع في القلب وقوله ويسر لي امري اشارة الى تسهيل ذلك التحصيل وقوله واحلل طلب ما هو الة
التكميل لان اللسان الة الافاضة والافادة وبه يتيسر تلك الخطة الجسيمة المنصب العظيم وحسبك بافضليته شرفا وفخرا سكوت الخاصمين وانه
قائل ومن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قولهم الصمت حكم وقليل فاعله وقولهم مقتل الرجل بين فكيه وفي نوابغ الكلم يا بني قفاك
لا تقرع بقفاك ومنها ان الكلام خمسة اقسام فالذي ضرره خالص او غالب او مساو للنفع واجب الترك احترازا من السفه والعبث والذي نفعه خالص
او غالب عسر المراعاة فالاولى تركه ومنها انه ما من موجود او معدوم معلوم او موهوم الا واللسان يتناوله باثبات او نفي بحق او باطل بخلاف
ساير الاعضاء فالعين لا تصل الا الى الالوان والسطوح والاذن لا تصل الا الى الاصوات وكذا باقي الجوارح اما اللسان فانه رحب الميدان
واسع المضطرب خفيف المؤنة سهل التناول لا يحتاج الى الات وادوات للمعصية به فكان الاولى ترك الكلام وامساك اللسان والانصات
ان الصمت في نفسه ليس بفضيلة لانه امر عدمي والنطق في نفسه فضيلة وانما يصير رذيلة لاسباب عرضية مما عددها ذلك القائل فيرجع الحق الى ما
قاله النبي عم رحم الله امرأ قال خيرا فغنم او سكت فسلم فالاولى ترك الكلام اربعة اسماء الصمت وهو اعمها حتى انه يستعمل فيما ليس يقوى على النطق
كقولهم مال ناطق وصامت والسكوت وهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والانصات هو السكوت مع استماع قال تعالى فاستمعوا له وانصتوا
والاصاخة وهو ما يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد اما العقدة فقيل انها كانت في اصل خلقته وعن ابن عباس انه في حال الصبا اخذ
بلحية فرعون ونتفها فهم فرعون بقتله وقال هذا هو الذي يزول ملكي على يده فقالت اسية انه صبي لا يعقل وان شئت فامتحنه بالتمر والجمر وقيل باليواقيت
والجمر فاحضر بين يديه فاراد ان يمد يده الى الياقوت فحول جبرئيل يده الى الجمر فاخذها ووضعها في فيه فظهر به عقدة وقيل عند بعض الحروف



صحت هذه الرواية فالنار انما احرقته واثرت فيه لاطفاء نائرة غضب فرعون والا فالله سبحانه قادر على دفع الاحراق عن طبع النار كما في حق
ابراهيم صلوات الرحمن عليه وكان في حق موسى حين ألقي في التنور وروى ان يده احترقت ايضا وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال
الى رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعض العلماء انه لم تبرأ يده لئلا ينعقد بينه وبين فرعون حرمة المؤاكلة من قصعة واحدة
وقيل لم تحترق يده لانه لتظهر بها اليد البيضاء انما احترق اللسان لانه خاطبه بقوله يا ابت وما الحكمة في حل العقدة لا بالكلية ليقع في اداء الرسالة
خلل فلهذا قال يفقهوا قولي وقيل لان العقدة في اللسان قد يقتضي الاستحقار بالقائل وعدم الالتفات اليه وقيل اظهارا للمعجزة فكما
حبس لسان زكريا عن الكلام كان معجزا له فكذا اطلاق لسان موسى كان معجزا في حقه وهل ازال تلك العقدة بالكلية فعن الحسن نعم لقوله قد
اوتيت سؤلك والاصح انه بقي بعضها لقوله تعالى حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين اي يقارب ان لا يبين وكان في
لسان الحسين رضي الله عنه رتة دلالة على انه طلب حل بعضها بحيث يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة قال اهل التحقيق وذلك لان حل العقدة
بالكلية نصيب محمد صلى الله عليه وسلم كان افصح العرب والعجم وقد قال تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن فلما كان ذلك حقا لليتيم ابي طالب لاجرم ما دار حوله
ومن مطالب موسى قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون قال اهل الاشتقاق الوزير من الوزر بالكسر فالسكون لانه يحمل عن الملك اوزاره ومؤنته
او من الوزر بفتحتين وهو الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في اموره او من المؤازرة وهي المعاونة فيكون من الازر القوة ومنه قوله تعالى اشدد
به ازري اي ظهري لانه محل القوة قال الجوهري آزرت فلانا اي عاونته والعامة تقول وازرته وعلى هذا فيكون القياس ازيرا بالهمز على ما حكي
عن الاصمعي ووجه القلب حمل فعيل على مفاعل لاتحاد معنييهما في نحو عشير وجليس وصديق وغيرها او حمله على اخواته من نحو الموازرة ويوازره ولا
بالوزير يحسن رأيه بابواب الملوك العقلاء وقد استحسنه نبينا صلى الله عليه وسلم فقال اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا اعانه عليه
وان اراد شرا كفه وكان انوشروان يقول لا يستغني اجود السيوف عن الصيقل ولا اكرم الدواب عن السوط ولا اعلم الملوك عن الوزير وكفى بمرتبة الوزارة
منقبة وعزا وشرفا وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم المؤيد بالمعجزات الباهرة ابتهل الى الله سبحانه في مقام القرب والمكالمة بطلبه فيجب على من ولي هذه الرتبة
ان يؤدي الى المستحقين ولا يغتر بالدنيا وما فيها ويزرع في ارض الوزارة ما لم يندم عليه وقت حصاده قيل ان موسى خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك
الامر العظيم والخطب الجسيم فطلب المعين والظهير لانه رأى ان التعاون على الدين والتظاهر عليه مع خلوص النية وصفاء الطوية ابعد عن التهمة واعون
على الغرض ولهذا حكي عن عيسى انه قال من انصاري الى الله وخوطب نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروي انه عم
قال ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان في السماء جبرائيل وميكائيل واللذان في الارض ابو بكر وعمر ثم ان موسى طلب ان يكون
ذلك الوزير من اهله اي من اقاربه ليكون الثقة به اكثر وليكون الشرف في بيته او فرع انه كان واثقا باخيه هرون فاراد ان يخصه بهذا المنصب
الشريف قضاء لحقوق الاخاء من منح المستوجبين فقد علم زمانا انه افصح منه لسانا واكبر سنا والين جانبا قال جار الله وزيرا وهرون مفعولا اجعل قدم
ثانيهما عناية بامر الوزارة ولي ووزيرا مفعولان وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر وقيل يجوز فيمن
قرأ اشدد على الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد خبره ويوقف على هرون ومعنى الازر به عبارة عن تقويته به وان يجعله ناصرا له فيما
يرد عليه من الشدائد والخطوب بل يجعله شريكا له في امر النبوة وطريق الرسالة لانه صرح بذلك في قوله واشركه في امري ثم ذكر غاية الادعية
فان المقصد الاسنى هو الاستغراق في بحر التوحيد وغاية الاشتراك فان التعاون مهيج الرغبات ومسهل سلوك سبل الخيرات فقال كي نسبحك كثيرا
ونذكرك ذكرا كثيرا وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفي مقدم على الاثبات فبالاول ينحل العقائد الفاسدة وبالثاني ترتسم النقوش الحسنة
ثم ختم الادعية بقوله انك كنت بنا بصيرا وفيه فوائد منها انه فوض استجابة الدعوات الى علمه باحوالهما وانهما بصدد اهلية الاجابة ام لا ومنها حسن
الادب بما لا يخفى ومنها انه عرض فقره واحتياجه الى علمه وانه مفتقر الى التعاون والتعاضد ولهذا سأل ما سأل ومنها انه اعلم باحوال اخيه
هل يصلح للوزارة ام لا وان وزارته هل يصير سببا لكثرة التسبيح والذكر وحين راعى من دقائق الادب في انواع حسن الطلب ما يجب غايته فلا
جرم اجاب الله تعالى مطالبه التي ما برقت الا عن قوله قد اوتيت سؤلك والسؤال بمعنى المسؤول كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى المأكول وزيادة قوله يا موسى
بعد رعاية الفاصلة لاجل كمال التشريف والتعيين والله اعلم بمصالح عباده التأويلات يا من طاب بطهارته بساط النبوة ما انزلنا عليك القرآن لا
لتشقى بل لتسعد بتخلقك بخلقه وليسعد بسببك الاولون والآخرون من اهل السموات واهل الارضين تنزيلا ممن خلق ارض بشريتك وسموات روحانيتك
التي هي اعلى الموجودات الممكنات كما قال اول ما خلق الله روحي استوى بصفة الرحمانية على عرش قلبك ليكون معروفا لا يسعه فيه ملك
مقرب ولا نبي مرسل له ما في سموات الروحانية من الصفات الحميدة وما في الارض البشرية من الصفات الذميمة وما بينهما اي بين سماء الروح
وارض النفس وهو القلب مما فيه من الايمان والايقان والاخلاق الحميدة وما تحت الثرى اي ما هو مركوز في جبلة الانسانية وان تجهر بالقول
شيء من صفاتك بالسؤال فانه يعلم السر وهو ما يظهر من سرك واخفى مما هو خفي الله من خفيك والسر في اصطلاح الصوفية لطيفة بين القلب
والروح وهو معدن الاسرار الروحانية والخفي لطيفة بين الروح والحضرة الالهية وهو مهبط انوار الربوبية واسرارها وجملتها المعقولات
الكل انسان عند نشأته الاولى وان كانت قوة لا خفي لطيفة بين الروح والحضرة الالهية ويكون عند نشأته الاخرى لا يحصل الا

اي يحبس في الكلام فقال رسول الله ورثها من عمه موسى



تعالى وتهوي إلى الشيطان ثم إن الروح أخرج الفطنة إعانة للعقل فأخرج الخصم في مقابلة الشهوة فالفطنة توقفك على معايب الدنيا والشهوة تحبب
لذات الدنيا ثم إن الروح أمد الفطنة بالفكرة لتوقف على الحاضر والغائب المعايب عليه ما قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين فأخرج الشيطان
في مقابلة الفكرة الغفلة ثم أخرج الروح الحلم والثبات فإن العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا فأخرج الشيطان بإزائه العجلة والسرعة
فلهذا قال عليه السلام ما دخل الرفق في شيء إلا زانه وما دخل الخرق في شيء إلا شانه وخلق السموات والأرض في ستة أيام ليتعلم منه الرفق والثبات
فهذه هي الحصة والقلعة بين الشفتين وقلبك صدرك هو المعركة ثم إن لهذا الصدر الذي هو القلعة خندقا وهو الزهد في الدنيا وله سور وهو
الرغبة في الآخرة وفي كل ما هو لله فإن كان الخندق عميقا والسور وثيقا عجز عسكر الشيطان وجنوده من الكبر والهوى والعجب والبخل وسوء
الظن بالله من النميمة والغيبة وسائر الخصال الذميمة وتحصن الملك في القصر ويضيق الأمر عليهم ثم إذا جاء مدد التوفيق وأخرج هذا العسكر
من القلعة بقي فانشرح رب اشرح لي صدري النكتة الثانية في الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب الصدر مقر الإسلام والقلب مقر الإيمان حسب
الحكم الإيمان وزينه في قلوبكم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما رأى واللب مقام التوحيد إنما يتذكر أولوا
الألباب الذين خرجوا من قشر الوجود المجازي وبقوا بلب الوجود الحقيقي ثم إن القلب كاللوح المحفوظ في العالم الصغير فإذا ركب العقل سفينة
التوفيق وألقاها في بحار أمواج المعقولات من عالم الروحانيات هبت من مهاب العظمة والكبرياء رياح السعادة تارة ودبور الإدبار أخرى فحينئذ
يضطر الراكب إلى التماس أنوار الهدايات وطلب انفتاح أبواب السعادات فيقول رب اشرح لي صدري وإنما سأل موسى شرح الصدر دون القلب لأن
انشراح الصدر يستلزم انشراح القلب دون العكس وأيضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والحق يكفيه الإشارة فإذا علم أنه طالب للمقدمة فلا يليق
أن يمنعه النتيجة وأيضا إنه راعى الأدب في الطلب فاقتصر على طلب الأدنى فلا جرم أعطي المقصود فقال قد أوتيت سؤلك يا موسى وحين اجترأ وطلب
الرؤية بقوله رب أرني أنظر إليك أجيب بقوله لن تراني واعلم أن جميع الماهيات الممكنة كالبلور الصافي الموضوع في مقابلة شمس القدس ونور العظمة و
مشرق الجلال فإذا وقع للقلب التفات إليها حصل له نسبة إليها بأسرها فينعكس شعاع كبرياء الإلهية من كل واحد منها إلى القلب فيحترق
القلب ومعلوم أن المحترق كلما كان أكثر كان الاحتراق أتم فلهذا قال موسى رب اشرح لي صدري حتى أقوى على إدراك درجات الممكنات وأصل إلى مقام الاحتراق
بأنوار الجلال كما قال نبينا أرنا الأشياء كما هي وههنا دقيقة وهي أن موسى لما زاد لفظة لي في قوله رب اشرح لي صدري دون أن يقول رب اشرح صدري علم أنه
أراد أن يعود منفعة الشرح إليه فلا جرم يقول يوم القيمة نفسي نفسي وأن نبينا لما لم يسأل بل تركه في مقام القرب إذ قيل السلام عليك أيها النبي فقال السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فلا جرم يقول يوم القيمة أمتي أمتي وشتان ما بين من يتضرع إلى الله ويقول رب اشرح لي صدري وبين من
يخاطب كلا بقوله ألم نشرح لك صدرك ولا يخفى أن المراد بالشرح التيسير عند أهل السنة هو خلقهما وعند المعتزلة تحريك الدواعي والبواعث بفعل الألطاف
المسهلة فإنه يحتمل أن يكون هنا من الألطاف ما لا يحسن فعلها إلا بعد هذا السؤال أما قوله سبحانه واحلل عقدة من لساني فاعلم أن النطق فضيلة عظيمة
وموهبة جسيمة ولهذا قال خلق الإنسان علمه البيان بغير توسط العاطف كأنه إنما يكون خلقا للإنسان إذا علمه البيان وفي لسان الشاعر وهو زهير
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم وعن علي كرم الله وجهه ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة وقالت العقلاء المرء
بأصغريه المرء مخبوء تحت لسانه وفي مناظرة آدم والملائكة لم تظهر الفضيلة إلا بالنطق ومن التعريفات المشهورة أن الإنسان هو الحيوان الناطق
هذا النطق وإن كان في التحقيق هو إدراك المعاني الكلية لكن النطق اللساني لا ريب أظهر خواص الآدمي وقد ينطبق اسم به عليه والمعبر عما في
ضميره فقول موسى رب اشرح لي صدري إشارة إلى طلب النور الواقع في القلب وقوله ويسر لي أمري إشارة إلى تسهيل ذلك التحصيل وقوله واحلل طلب ما به يحصل
التكميل لأن اللسان آلة الإفاضة والإفادة وبه يتيسر ذلك الحظ الجسيم المنصب العظيم وحسبك بأنه شرفا وفخرا سكوت الحاضرين وإنه
قائل ومن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قولهم الصمت حكم وقليل فاعله وقولهم مقتل الرجل بين فكيه وفي توابع الكلم يا بني في فيك
لا تفرح بقيان ومنها أن الكلام خمسة أقسام فالذي ضرره خالص أو غالب أو مساو للنفع واجب الترك احترازا من السفه والعبث والذي نفعه خالص
أو غالب عسر المراعاة فالأولى تركه ومنها أنه ما من موجود أو معدوم معلوم أو موهوم إلا واللسان يتناوله بإثبات أو نفي بحق أو بباطل بخلاف
سائر الأعضاء فالعين لا تصل إلا إلى الألوان والسطوح والأذن لا تصل إلا إلى الأصوات وكذا باقي الجوارح أما اللسان فإنه رحب الميدان
واسع المضطرب خفيف المؤنة سهل التناول لا يحتاج إلى آلات وأدوات للمعصية فكان الأولى ترك الكلام وإمساك اللسان والإنصات
أن السمع في نفسه ليس بفضيلة لأنه أمر عدمي والنطق في نفسه فضيلة وإنما يصير رذيلة لأسباب عرضية مما عددها ذلك القائل فيرجع الحق إلى ما
قاله النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ قال خيرا فغنم أو سكت فسلم فالواقع ترك الكلام له أربعة أسماء الصمت وهو أعمها حتى إنه يستعمل فيما ليس بقوي على النطق
كقولهم مال ناطق وصامت والسكوت وهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والإنصات هو السكوت مع استماع قال تعالى فاستمعوا له وأنصتوا
والإصاخة وهو ما يصعب إدراكه كالسر والصوت من المكان البعيد أما العقدة فقيل إنها كانت في أصل خلقته وعن ابن عباس أنه في حال صباه أخذ
بلحية فرعون ونتفها فهم فرعون بقتله وقال هذا هو الذي يزول ملكي على يده فقالت آسية إنه صبي لا يعقل وإن شئت فامتحنه بالتمر والجمر وقيل بالياقوت
والجمر فأحضرا بين يديه فأراد أن يمد يده إلى الياقوت فحول جبرئيل يده إلى الجمر فأخذها ووضعها في فيه فظهرت به العقدة وتحبس عنده بعض الحروف



صحت هذه الرواية فالنار انما احرقته واثرت فيه لاطفاء النائرة غضب فرعون والا فالله سبحانه قادر على دفع الاحراق عن طبع النار كما في حق
ابراهيم صلوات الرحمن عليه وكما في حق موسى حين القى في التنور وروى ان يده احترقت بها وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال
الى رب تدعونى قال الى الذى ابرأ يدى وقد عجزت عنها وعن بعض العلماء انه لم تبرأ يده لئلا ينعقد بينه وبين فرعون حرمة المؤاكلة من قصعة واحدة
وقيل لم يحترق يده لان الصبى ظهرت بالبيد انما احترق اللسان لانه خاطبه بقوله يا ابت وما الحكمة في حل العقدة من لسانه لا الظهر كيلا يقع في اداء الرسالة
خلل فلهذا قال يفقهوا قولى وقيل لان العقدة في اللسان قد يقتضى الاستخفاف بالقائل وعدم الالتفات اليه وقيل اظهارا للمعجزة فكما
حبس لسان زكريا عن الكلام كان معجزة له فكذا اطلاق لسان موسى كان معجزا في حقه وهل زالت تلك العقدة بالكلية فعن الحسن نعم لقوله قد
اوتيت سؤلك والاصح انه بقى بعضها لقوله تعالى حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين اى يقارب ان لا يبين وكان في
لسان الحسين على ع رتة دلالة على انه طلب حل بعضها بحيث يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة قال اهل التحقيق وذلك لان حل العقدة
بالكلية نصيب محمد صم كان افصح العرب والعجم ووفقا لقوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن فلما كان ذلك حقا لليتيم ابى طالب لا جرم ما دار حوله
ومن مطالب موسى قوله واجعل لى وزيرا من اهلى هرون قال اهل الاشتقاق الوزير من الوزر بالكسر فالسكون لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه
او من الوزر بفتحين وهو الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في اموره او من المؤازرة وهى المعاونة فيكون من الازر اى القوة ومنه قوله تعالى اشدد
به ازرى اى ظهرى لانه محل القوة قال الجوهرى آزرت فلانا اى عاونته والعامة تقول وازرته وعلى هذا فيكون القياس ازيرا بالهمز على ما حكى
عن الاصمعى ووجه القلب حمل فعيل على مفاعل لاتحاد معنيهما في نحو عشير وجليس وصديق وغيرها وحمله على اخواته من معنى المؤازرة ويوازره ولا
بالوزير يحسن رأيه بذاب الملوك العقلاء وقد استحسنه نبينا صم فقال اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى خيرا اعانه عليه
وان اراد شرا كفه وكان انوشروان يقول لا يستغنى اجود السيوف عن الصيقل ولا اكرم الدواب عن السوط ولا اعلم الملوك عن الوزير وكفى بمرتبة الوزارة
منقبة وفخرا وشرفا وذكر ان النبى صم المؤيد بالمعجزات الباهرة ابتهل الى الله سبحانه في مقام القرب والمكالمة بطلبه منه عليا عونا وولى هذه الرتبة
ان تؤدى الى المستحقين ولا يغتر بالدنيا وما فيها ويزرع في ارض الوزارة ما لم يندم عليه وقت حصاده قيل ان موسى خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك
الامر العظيم والخطب الجسيم فطلب المعين والاظهر انه راى ان للتعاون على الدين والتظاهر عليه مع خلوص النية وصفاء الطوية اثرا عظيما في الظهور واعون
على الغرض ولهذا حكى عن عيسى انه قال من انصارى الى الله وخوطب نبينا صم بقوله يا ايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروى انه صم
قال ان لى في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان في السماء جبرئيل وميكائيل واللذان في الارض ابو بكر وعمر ثم ان موسى طلب ان يكون
ذلك الوزير من اهله اى من اقاربه ليكون الثقة به اكثر وليكون الشرف في بيته او لانه كان واثقا باخيه هرون فاراد ان يخصه بهذا المنصب
الشريف قضاء لحقوق الاخاء من منع المستوجبين فقد ظلم وبانه افصح منه لسانا واكبر سنا والين جانبا قال جار الله وزيرا وهرون مفعولا اجعل قدم
ثانيهما عناية بامر الوزارة ولى صلة او وزيرا مفعولا وهرون عطف بيان للوزير واخى في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر وقيل يجوز فيه
قراءتان على الامر بجعل اخى مرفوعا على الابتداء واشدد خبره ويوقف على هرون ومعنى شد الازر عبارة عن تقويته به وان يجعله ناصرا له فيما
عسى يرد عليه من الشدائد والخطوب بل يجعله شريكا له في امر النبوة وطريق الرسالة لانه صرح بذلك في قوله واشركه في امرى ثم ذكر غاية الادعية
فان المقصد الاسنى هو الاستغراق في بحر التوحيد وغاية الاشتراك فان التعاون مهيج الرغبات ومسهل سلوك سبل الخيرات فقال كى نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفى مقدم على الاثبات فبالاول يزول العقائد الفاسدة وبالثانى ترتسم النقوش الحسنة الحقة
ثم ختم الادعية بقوله انك كنت بنا بصيرا وفيه فوائد منها انه فوض استجابة الدعوات الى علمه باحوالهما وانهما بصدد اهلية الاجابة ام لا ومنها حسن
الادب بما لا يخفى ومنها انه عرض فقره واحتياجه الى علمه وانه مفتقر الى التعاون والتعاضد ولهذا سأل ما سأل ومنها انه اعلم باحوال الحبيب
هل يصلح للوزارة ام لا وان وزارته هل يقصر بسببها الكثرة التسبيح والذكر وحين راعى من دقائق الادب انواع حسن الطلب ما يجب رعايته فلا
جرم اجابه الله تعالى مطالبه بنحو ما دعاه فقال قد اوتيت سؤلك يا موسى والسؤال بمعنى المسؤل كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى المأكول وزيادة قوله يا موسى
بعد رعاية الفاصلة لاجل كمال التمييز والتعيين والله اعلم بمصالح عباده وفي التأويلات طه يا من طاب بطهارته بساط النبوة ما انزلنا عليك القرآن لا
لتشقى بل لتسعد بتخلقك بخلقه ويسعد بسببك الاولون والآخرون من اهل السموات واهل الارضين تنزيلا ممن خلق ارض بشريتك وسموات روحانيتك
التى هى اعلى الموجودات المكنات كما قال اول ما خلق الله روحى استوى بصفة الرحمانية على عرش قلبك ليكون معه وقت لا يسعه فيه ملك
مقرب ولا نبى مرسل له ما في السموات الروحانية من الصفات الحميدة وما في الارض البشرية من الصفات الذميمة وما بينهما اى بين سماء الروح
وارض النفس وهو القلب مما فيه من الايمان والايقان والاخلاق والمعرفة والعشق والمحبة وما تحت الثرى اى ما هو مركوز في جبلة الانسانية وان تجهر بالقول يظهر
شئ من صفاتك بالقول فانه يعلم السر وهو ما يظهر من سرك واخفى ما هو اخفى الله من خفيك والسر في اصطلاح الصوفية لطيفة بين القلب
والروح وهو معدن الاسرار الروحانية والخفى لطيفة بين الروح والحضرة الالهية وهو مهبط انوار الربوبية واسرارها وجملتها المعقولات وقد حصل
الكل للانسان عند نشأته الاولى وان كان كافرا والاخفى لطيفة بين الروح والحضرة الالهية ويكون عند نشأته الاخرى ولا يحصل الا

المؤمن موحد متا مهبط الانوار الربانية ومحلها المشاهدات والمكاشفات وحقايق العلوم اللدنية ولهذا قال عقيبه الله لا اله الا هو لان مظهر الالوهية

وصفاته العليا واسمائه الحسنى هو الخفي الذي لا شئ اقرب الى الحضرة منه الا وهو سره علم ادم الاسماء كلها وهو حقيقة قوله ان الله خلق ادم فتجلى

فيه وهل اتاك حديث موسى القلب اذ راى نارا هو نور في الحقيقة مانودى به من جانب طور الروح فقال لاهله وهم النفس وصفاتها امكثوا

في ظلمة الطبيعة الحيوانية الى انوار الشريعة او اجد على النار هدى بارباب الطريقة الى الحقيقة فلما اتيها نودى من شجرة القدس بخطاب الانس

فاخلع نعليك اى اترك الالتفات الى الزوجة والولد فان النعل في الرؤيا بهما او اترك الالتفات الى الكونين انك واصل الى جناب القدس

او هما المقدمتان في نحو قولنا العالم محدث وكل محدث فله محدث وموجد وذلك انه اذا غرق في لجة العرفان بقيت المقدمات على ساحل الوسائط

وانا اخترتك يا موسى القلب من سائر خلق وجودك من البدن والنفس والسر والروح فاستمع لما يوحى سمع الطاعة والقبول انني انا بالتجلي بانانية الوهيتي

لانانية وجودك المجازى كلا يبقى الا انا فاعبدني بافناء وجودك واقم المناجاة معي لنيل ذكرى اياك بالتجلي ان قيامة العشق اتية اكاد اخفيها

لعظم شانها الا ان متقاضى الكرم اقتضى ظهارها الاخص عباده لتجزى كل نفس بما تسعى فجزاء العبودية من اسرار التقلبات للنفس والقالب فلما

كان سعي الروح بحب الوصل للرجوع الى مكمن اصالته الاصلي ونفخت فيه من روحي فجزاؤه من تجلي صفات الجلال بالعدم الناسوتية وكان سعي السر بالتخلو

عن الاكوان لقبول فيض المكون فجزاؤه بافاضة الفيض الالهي عليه وسعي القلب بقطع تعلقات الكونين لتصفيته وقابليته لتجلي صفات الجمال

والجمال فجزاؤه بدوام التجلي وان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه من الشراب الطهور الذي يزيل لوث الحدوث عن لوح القلوب لكشف

حقايق القلوب وسعي النفس بتبديل الاخلاق وانتفاء الاوصاف الحيوانية فجزاؤه باشراق نور ربها لازالة ظلمة صفاتها وطمأنينتها

الى ذكر ربها لتصير قابلة لجذبة ارجعي الى ربك وسعي القالب باستعمال اركان الشريعة وارباب الطريقة فجزاؤه رفعة الدرجات ونيل

الكرامات في الدارين فلا يصدنك عن هذه السعادات النفس الامارة بالسوء التي لا تؤمن بها ويحتمل ان يقال اكاد اخفي الساعة وحديث

الجنة والنار لئلا يكون عبادتي مشوبة بطمع الجنة وخوف النار قالوا اخطا موسى في قوله هي عصاى وكان عليه ان يقول انت اعلم بحالها

مني وفي قوله اتوكؤ عليها وكان عليه ان يتكل على لطف الله وكرمه فلهذا قيل له القها يا موسى وفي قوله واهش بها على غنمي اذ نسب الى العصا

رحا ورزق لا تكون واسطة لرزق اغنامه وانما الرزاق هو الله خذها ولا تخف فان الضار والنافع هو الله وحده فلا يكن خوفك الا منه ولا

الا به واضمم يدك همتك الى جناح توكلك تخرج بيضاء نقية عن دون السؤال وغبار الطمع وباقي الحقايق مذكور في التفسير وفي قوله

قد اوتيت بلفظ الماضي اشارة الى انه ذلك بالتقدير الازلي لا بالتدبير العملي والله اعلم بالصواب **وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً**

أُخْرَىٰ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ

بر سبیل وحی فرستادیم بمادرت آنچه وحی فرستاده میشود که دراورش در تابوت پس بیندازش در دریا پس باید که بیندازد دریا بکنار بگیرد دشمن

لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ۝ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ

مرا و دشمنی که او راست و انداختم بر تو مهری را از خود تا تربیت کرده شوی بر نگهداشتن من چون میرفت خواهرت پس میگفت آیا دلالت کنم شما را بر کسیکه بپرداید کند او را

فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ

پس باز گردانیدیم ترا بمادرت تا روشن شود چشمش و اندوهناک نباشد و کشتی یکی را پس رهانیدیم ترا از غم و آزمودیم ترا آزمودنی پس ماندی سالها در اهل

مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ۝ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝ اذْهَبَا إِلَىٰ

مدین پس آمدی بر اندازه ای موسی و گزین کردم ترا برای خودم برو تو و برادرت با نشانهای من و سستی مکنید در ذکر من بروید بسوی

فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ

فرعون بدرستیکه او زیاده روی کرد و بگویید مر او را گفتنی نرم شاید که او پند گیرد یا بترسد گفتند پروردگارا بدرستیکه ما میترسیم که پیشی گیرد بر ما یا آنکه زیاده روی کند

قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ

گفت مترسید بدرستیکه من با شمایم میشنوم و میبینم پس آیید او را پس گویید بدرستیکه ما دو فرستاده پروردگار توایم پس بفرست با ما بنی اسرائیل را و عذاب مکن ایشان را بتحقیق

جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ۝ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ قَالَ

آمدیم ترا با نشانی از پروردگارت و سلام بر آنکه پیروی کند هدایت را بدرستیکه ما وحی فرستاده شد بما که عذاب بر کسیست که تکذیب کرد و روی گردانید گفت

فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۝ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ

پس کیست پروردگار شما ای موسی گفت پروردگار ما آنکه داد هر چیزی را خلقتش را پس هدایت کرد گفت پس چیست حال قرنهای نخستین گفت علم آن نزد

رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

پروردگار منست در کتابی گم نمیکند پروردگار من و فراموش نمیکند آنکه گردانید برای شما زمین را بستری و پدید آورد برای شما در آن راهها و فرود فرستاد از آسمان

مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ۝ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا

لآيات



نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ

باز میبریم شمارا و ازان بیرون میاوریم شمارا باردیگر و بتحقیق نمودیم اورا آیات خود را همه را پس تکذیب کرد و ابی نمود گفت آمده ما را تا بیرون کنی ما را از زمین خود بسحر خود

يَا مُوسَىٰ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ

ای موسی پس اوریم ترا سحری مانند آن پس بگردان میان ما و میان خود وعده که خلاف نکنیم آنرا نه ما و نه تو بجای هموار گفت وعده شما

يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

روز آرایش است و آنکه جمع شوند مردمان چاشتگاه پس بازگشت فرعون و فراهم آورد مکر خود را پس آمد گفت مر ایشان را موسی وای بر شما مبندید بر خدا دروغ را

فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ

پس براندازد شما را بعذابی و بدرستیکه نومید شد آنکه افترا بست پس کشاکش کردند در کار خود میان خود و پنهان کردند راز گفتند بدرستیکه این دو هر آینه ساحرانند میخواهند

أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ

که بیرون کنند شما را از زمین خود بسحر خود و ببرند راه شما را که خوبترست پس جمع کنید مکر خود را پس بیایید صف کشیده و بدرستیکه کامیاب شد امروز هر که

اسْتَعْلَىٰ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ

غالب آمد گفتند ای موسی یا آنکه میاندازی و یا آنکه باشیم اول کسیکه انداخت گفت بلکه بیندازید پس ناگاه رسنهاشان و عصاهاشان وانموده میشد بسوی او

سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا

از سحرشان که آنها میشتابند پس یافت در خود ترسی موسی گفتیم مترس بدرستیکه تو توی برتر و بینداز آنچه در دست راست تست تا فرو برد آنچه

صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ قَالَ

ساخته اند بدرستیکه آنچه ساخته اند مکر ساحرست و رستگار نمیشود ساحر هر جا آید پس افکنده شدند ساحران سجده کنان گفتند ایمان آوردیم بپروردگار هرون و موسی گفت

آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي

ایا ایمان آوردید مر او را پیش از آنکه دستوری دهم شما را بدرستیکه او بزرگ شماست که آموخت شما را سحر پس هر آینه ببرم دستهای شما و پاهای شما را از خلاف یکدیگر و بردار کنم شما را در

جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ

تنهای درخت خرما و هر آینه خواهید دانست که کدام از ما سخت ترست از روی عذاب و پاینده تر گفتند هرگز اختیار نکنیم ترا بر آنچه آمد ما را از نشانهای روشن و قسم بآنکه آفرید ما را پس حکم کن

مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ

آنچه تو حکم کننده بدرستیکه حکم میکنی درین زندگانی دنیا بدرستیکه ما ایمان آوردیم بپروردگار خود تا بیامرزد مر ما را گناهان ما را و آنچه اکراه کردی ما را برآن از سحر

وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ

و خدا بهترست و پاینده تر بدرستیکه هر که آید بپروردگار خود گناهکار پس بدرستیکه مر او راست دوزخ نمیرد در آن و نه زنده شود و هر که آید او را با ایمان و کرده باشد

الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ

کارهای شایسته پس مر ایشانراست مرتبهای بلند بهشتهای جای اقامت که میرود از زیر آنها نهرها جاویدان در آن و آن پاداش کسیست که

مَنْ تَزَكَّىٰ القراءة ولتصنع بسكون اللام والعين على الامر يزيد الاخرون بكسر اللام ونصب العين لنفسي اذهب في ذكري اذهبا بفتح
ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو خلفه بفتح اللام على انه فعل يصلح الباقون بالسكون مهدا وكذلك في الزخرف
عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح الاخرون مهادا سوى بكسر السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وعلي الاخرون بالضم لا
تخلفه بالجزم جوابا للامر يزيد يوم الزينة على الظرف هبيرة وقد خاب بحيث كان بالامالة حمزة فيسحتكم من الاسحات حمزة وعلي وخلف و
رويس وحفص الباقون بفتح الياء والحاء ان بتخفيف ابن كثير وحفص والمفضل الباقون مشددة هذين ابو عمرو وهذان بالتشديد ابن كثير
الباقون بالتخفيف فاجمعوا بهمزة الوصل وفتح الميم امر من الجمع ابو عمرو والاخرون على لفظ الامر من الاجماع وقد افلح بنقل الحركة الى الدال حيث
كان ورش وعباس وحمزة في الوقف تخيل بالتاء الفوقانية ابن ذكوان وروح والمعدل عن زيد الباقون وابن مجاهد عن ابن ذكوان بالتحتانية
تلقف بالتشديد والرفع على الاستيناف ابن ذكوان تلقف بالتخفيف والجزم حفص والمفضل وقرا البزي وابن فليح مشددة التاء كيد سحر
حمزة وعلي وخلف الباقون كيد ساحر على الوصف قال آمنتم بالمد ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وابو جعفر ونافع وابن كثير
عن ابن مجاهد وابي عون عن قنبل قال امنتم على الخبر بغير مد حفص وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون أأمنتم بزيادة همزة الاستفهام ومن
يأته مؤمنا باختلاس الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو عن طريق الهاشمي عن ابن اليزيدي ومن يأته بسكون الهاء خلاد ورجاء والعجلي وسجادة
عن ابي شعيب ويحيى وحماد الباقون بالاشباع الوقوف اخرى ج لا لان التقدير المرة ابو حي لا لان ما بعد تفسير ما يوحى وعدو له
لان الواو قد تكون مقحمة وتعلق اللام بالقيت وقد يكون عاطفة على محذوف اي لتحب ولتصنع ومن جزم اللام وقف على عيني لا محالة



عينيهم لئلا يوهم ان اذ ظرف لتصنع من يكفله ط لانقطاع النظم وانتهاء الاستفهام على ان فاء التعقيب مع اتحاد القصة يجيز الوصل ولا نتم
لابتداء منة اخرى فتونا ياموسى لنفسي لاتساق الكلام مع حق الفاء مضمرة ذكرى ج لما قلنا للضمير وصفي لاتبع الفاجتبى نصبى ولى ج لا تقدم
لان قد لتوكيد الابتداء وقد انقطع النظم على ان اتحاد المقول يجيز الوصل من نبات ج لذلك فان اولى النهى ج لاحتمال ما بعده الصفة و
الاستئناف ولا ينبغي بناء على ان الذي صفة الرب والاحسن تقديره هو الذي اعني الذي ما علل للالتفات شتى انعامكم النهى ج اخرى وانى ياموسى سوى
ضحى على التعذاب لاختلاف الجملتين امرى النجوى المثلى صفا استعلى القى اول لان التقدير اما القوا ما القوا فاذا حبالهم مع فاء التعقيب ذا لقفا
المتلاقيات للوقف لنفي موسى الاعلى ما صنعوا كيد ساحر اتى وموسى لكم السحر للقسم المحذوف ولانقطاع النظم مع فاء التعقيب وتمام مقصود الكلام
النخل لابتداء معنى القسم ولفظ استفهام بعقبه مع اتفاق الجملة واتحاد الكلام وابقى ج قاض الحيوة الدنيا من السحر وابقى جهنم ط ولا يحيى العلى لا
لان ما بعده بدل فيها من تزكى **التفسير** من عليه منا انعم ومن عليه منه اى امتن عليه كان الله سبحانه قال لموسى انى راعيت صلاحك في اول
فكيف لا اعطيك مرادك بعد السؤال او كنت ربيتك من غير سابقة حق فلو منعتك الحال مطلوبك لكان ذلك ردا بعد القبول وحرمانا بعد
الاحسان وذلك ينافي الكرم الذاتي قالوا المنة هذه الصيغة هي نوع من الاذى فقوله ولقد مننا عليك يكون من الاذى لمن لا ان المنة تلك
يحتمل ان لا يكون المنة من المنعم المطلق اذية وانما يكون تنبيها على النعم وايقاظا من سنة الغفلة حتى يتلقى المكلف النعمة بالشكر والطاعة وانما قال
مرة اخرى لان الجملة قصة واحدة وان كانت مشتملة على منن كثيرة والوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في عصرها كشعيب مثلا او على لسان
ملك لا على طريق النبوة كالوحي الى مريم في قوله واذ قالت الملائكة يامريم او اراها في المنام انه ضع ولدك في التابوت واقذفيه في البحر ثم يرده الله
اليها او الهمها بذلك او لعل الانبياء المتقدمين كابرهيم واسحق ويعقوب اخبروا بذلك وانتهى خبره اليها ومعنى ما يوحى ما يجب ان يوحى لعظم
المصلحة الدينية ولانه امر عظيم ولانه مما لا يعلم الا بطريق الوحي وان هي المفسرة لان الايحاء في معنى القول والقذف يستعمل بمعنى الوضع اي ضعيه
في التابوت وقد مر معناه في البقرة في قصة طالوت قال جار الله الضميران الباقيان في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه عائدان الى موسى
ايضا لئلا يؤدي الى تنافر النظم فان المقذوف والملقى اذا كان موسى وهو في جوف التابوت لزم ان يكون التابوت ايضا مقذوفا وملقى ورد بانه
ان الضمير في قوله عدو له لموسى بالضرورة لان عداوة التابوت غير معقولة واذا كان الضمير الاول والضمير الاخير لموسى فالانسب باعجاز القرآن ان
يكون الضمير المتوسط ايضا لان المعنى صحيح واللفظ متناسب فلا حاجة الى العدول عنه اعتمادا على القرينة واليم هو البحر والمراد هنا نيل مصر والساحل
شاطئ البحر واصل السحل القشر ولهذا قال ورد بانه مغلوب لان الماء سحله فهو مسحول قال اهل الاشارة من خصوصية انشراح القلب بنور
الوحي ان يقذف في قلبه قذف الولد الذي هو اعز الاشياء في تابوت التوكل بحر التسليم حتى يلقيه اليم بساحل ارادة الله ومشيئته يروى
انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينما هو
جالس على راس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه و
اللفظ يدل على ان التابوت التقط من الساحل فلعل اليم القاه بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون فاداه النهر الى البركة اما كون
عدو الله من جهة كفره وعتوه فظاهر واما كونه عدوا لموسى وهو صغير فباعتبار المآل ولانه لو ظهر له حاله لقتله فسبحان من ربى حبيبه في حجر
عدوه قالوا كان بحضرة فرعون اربعمائة غلام وجارية فحين اشار باخذ التابوت وعد من يسبق الى ذلك الاعتاق تسابقوا جميعا ولم
يأخذه الا واحد منهم فاعتق الكل والنكتة فيه ان عدو الله لم يجوز من كرمه حرمان البعض اذ عزم الكل على الاخذ فاكرم الاكرمين كيف لا يغفر لعزائم
المؤمنين على الطاعة والخير فالمرجو منه اعتاق الكل من النار وان وقع لبعضهم تقصير في العمل قوله مني اما ان يتعلق بالقيت ويكون صفة للمحبة
اي محبة حاصلة مني وعلى الوجهين فالمحبة اما محبة الله ومن احبه الله احبته القلوب واما محبة الناس التي زرعها الله في قلوبهم فقد يروى
انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من راه قال القاضي هذا الوجه اقرب لان في المعتزلة لا يوصف بمحبة الله التي
يرجع معناها الى ايصال الثواب ورد بان محبة الله عبارة عن ارادة الخير والنفع وهو اعم من ان يكون جزاء على العمل او لا يكون ولهذا يسمى المختص بقوله
ولتصنع على عيني اي لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي الشيء بالعين اذا عني بحفظه ولما كان العالم بالشيء حارسا له عن الآفات
كان الناظر اليه يحرسه اطلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه وايضا العين سبب الحراسة فاطلق السبب واريد المسبب فقال جار الله
عليك اذا دعى له بالحفظ والحياطة فالجار والمجرور في موضع الحال من الضمير المبني للمفعول في لتصنع وجوز في الكشاف ان يكون اذ تمشي ظرفا
لتصنع وليس بذلك لانما هو ظرف لالقيت ويدل منه اذ اوحينا على ان الوقتين من زمان واحد واسع يقول الرجل لقيت فلانا سنة
ثم تقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيته هو في اولها وانت في آخرها يروى انه لما فشا الخبر ان آل فرعون اخذوا غلاما في اليم وانه لا يرضع من
امرأة كما قال سبحانه وحرمنا عليه المراضع جاءت اخت موسى واسمها مريم متنكرة فقالت هل ادلكم على من يكفله فجاءت بالام فقبل ثديها
وذلك قوله فرجعناك الى امك وقال في القصص فرددناه الى امه يصدقه قوله انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن بسبب
وصول لبن غيرها الى معدتك وقتلت نفسا بن اثنتي عشرة سنة نفسا هو القبطي الذي يجيء ذكره في القصص فنجيناك من الغم وهو اقتصاص



فرعون منك وقيل الغم هو القتل بلغة قريش واراد بالغم خوف عقاب الله من ذلك قوله فاغفر لي فغفر له وفتناك فتونا مصدر على فعول في المتعدي
كالشكور والكفور او جمع كالظنون او جمع فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث كحجوز في حجزة وبدور في بدرة والفتنة المحنة والابتلاء
بخير او شر قال نعم ونبلوكم بالشر والخير فتنة وفيها معنى التخليص من قولهم فتنت الذهب اذا اردت تخليصه عن سعيد بن جبير انه سال ابن عباس عن الفتون
فقال اي خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير قال العلماء لا يجوز اطلاق اسم الفتان على الله
تعالى وان جاء وفتناك لانه صفة ذم في العرف وسيجيء قصة لبثه في اهل مدين وانه على ثمان مراحل من مصر في سورة القصص ان شاء الله العزيز قوله
على قدر اي في وقت سبق في قضائي وقدري ان كلمك واستنبئك فيه وعلى مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة او على
موعد قد عرفته باخبار شعيب وغيره والصنع بالضم مصدر صنع اليه معروفا او يدا والاصطناع افتعال منه واستعماله في الخير اكثر اصطنع
فلان فلانا اذا اتخذه صنيعه واصطنعت فلانا لنفسي اي اصطنعته وخرجته ومعناه احسنت اليه حتى انه يضاف الي فقوله لنفسي اي لاصرفن
جوامع همتك فيما امرتك حتى لا تشتغل بغير ما امرتك به من تبليغ الرسالة واقامة الحجة وقال جار الله مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك اهلا
للتقريب والتكريم لخصائص فيه فيصطنعه بالكرامة ويستخلصه لنفسه فلا يبصر الا بعينه ولا يسمع الا باذنه ولا يامن على مكنون سره سواه وقال
غيره من المعتزلة انه سبحانه اذا كلف عباده وجب عليه ان يلطف بهم ومن جملة الالطاف ما لا يعلم الا سمعا فلو لم يصطنعه للرسالة لبقي في عهدة الواجب
فهذا امر فعله الله لاجل نفسه حتى يخرج عن عهدة ما يجب عليه ولما عدد عليه المنن السابقة بازاء الدعوات المذكورة رتب على ذكر ذلك مراده منهما
اما الامر فقوله اذهب انت واخوك وفيه بيان ما لاجله اصطنعه وهو الابلاغ واداء الرسالة بآياتي اي مع آياتي لانهما لو ذهبا دونها لم يلزمه الايمان
وهذا من اقوى الدلائل على فساد التقليد وما هذه الآيات قيل العصا واليد لانه لم يجر الا ذكرهما فاطلق الجمع على الاثنين او لان كلا منهما مشتمل
على آيات اخر ولانه يستدل بكل منهما على وجود الصانع وعلى كونه عالما قادرا بالكل وعلى نبوة موسى وعلى جواز الحشر بقلب الجماد حيوانا والظلام منيرا
ومثله قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم وقيل هما مع حل العقدة وقيل اراد اذهبا اني امدكما بآياتي واظهرها على ايديكما متى وقع الاحتياج اليها
واما النهي فقوله ولا تنيا تنيا بكسر النون مثل تعد وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع والونى بفتحتين الضعف والفتور والكلال
والاعياء والمعنى لا تنسياني بل اتخذا ذكري وسيلة في تحصيل المقاصد واعتقدا ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ... على ذكره
توجب عليه الخوف من غيره وان شخص في نظره ما سواه لقوة نفسه واستغنائه باطنه وقيل اراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على كل العبادات
فضلا عن اعظمها فائدة واتمها عائدة وقيل اراد ذكري عند فرعون وقومه باني لا ارضى بالكفر واعاقب عليه واثيب على الايمان وارغب فيه وبالجملة
كل ما يتعلق بالترهيب والترغيب ما الفائدة في تكرير قوله اذهبا الى فرعون والجواب بعد التسليم ان فائدته التاكيد ان يشتغلا باداء الرسالة
... موسى والاول امر لهما الى كل بني اسرائيل والقبط والثاني بخصوص فرعون انه طاغ ثم انه خوطب كلاهما وموسى حاضر فقط لانه
اصل وهو كقوله واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد منهم ويحتمل انه اجتمع بعد ذلك فخوطبا وقيل انه اوحى الله عز وجل الى هارون وهو بمصر ان يتلقى موسى
وقيل الهم بذلك وقيل سمع بمجيئه فتلقاه سؤال لم امر بتليين القول للعدو المعاند جوابه لان عادة الجبابرة اذا اغلظ لهم في الكلام ان يزدادوا عتوا
وعلوا وقيل لما له من حق تربية موسى فيشبه حق الابوة وكيف ذلك القول اللين الاصح انه نحو قوله هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك
فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه صلاح الدارين وقيل اراد عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان تبقى له لذة
المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته حكي عن يحيى قال بلغني ان فرعون عمر اربعمائة وتسعا وستين سنة فقال له موسى ان اطعتني فلك مثل
ما عمرت فاذا مت فلك الجنة وقيل اراد كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة ويحتمل ان يكون امر بالقول اللين
لانه كان في موسى حدة وخشونة بحيث اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا فعالج حدته باللين ليكون حليما في اداء الرسالة ... فيقل انكاره
واصراره قالت المعتزلة حكمة ارسالهما اليه مع العلم بانه لا يؤمن قطع المعذرة والزام الحجة وقالت الاشاعرة العقول قاصرة عن معرفة سر القدر
ولا سبيل الا التسليم وترك الاعتراض والسكوت بالطلب الشاق قالوا انه كمن يدفع سكينا الى من علم قطعا انه يمزق بطن نفسه ثم يقول اني ما دفعت
السكين اليه الا للاحسان فيه وعن كعب انه قال والذي يحلف به كعب انه مكتوب في التوراة فقولا له قولا لينا وساقسي قلبه فلا يؤمن ...
... دليل على ... كالانبياء وسئل لم انشرح صدره وتيسر امره فكيف قالا اننا نخاف فان حصول الخوف ينافي شرح
الصدر وضبط الاوامر والنواهي وحفظ الشرائع والاحكام بحيث لا يتطرق اليها خلل وتحريف وهذا شيء آخر ... بزوال الخوف قلت لعلهما خافا
ان لا يتمكنا من اداء الرسالة بدليل قوله ان يفرط علينا اي يسبق ... بالعقوبة او ان يطغى اي يجاوز الحد بان يقول فيك ما
لا ينبغي لجراءته ... معاقبتنا ان لم يعاجلنا فلا نتمكن من اقامة وظائف الاداء وايضا الدليل النقلي السمعي اذا انضاف الى الدليل العقلي
زاده يقينا وطمانينة ولهذا قال لا تخافا انني معكما اي بالنصرة والتاييد اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل كما اوجب عنايتي وحراسته
فلا يذهب همكما الى توهم ... عنكما اذا قال لكما مقام المكالمة ... هذا الوهم سبب حزنكما ويجوز ان يكون الفعلان منزلين ... المفعول



المفعول كانه قيل انا سامع مبصر اذ كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وكملت النصرة قال بعض الاصوليين في الآية دلالة على ان الامر للفور
ولولا كان تعليلهما بالخوف معصية وانها غير جائزة على الرسل في الاصح قال بعض المتكلمين فيها دليل على ان السمع والبصر صفتان زائدتان
على العلم والا لزم التكرار فان معيته هي بالعلم واما قيل ان يقول الخاص بعد العام ولكن لاتيانه ثم كرر الامر بقوله فاتياه فقولا فسئل انهما امرا
بان يقولا له قولا لينا فكيف غلظا اولا بقولهما انا رسولا ربك ففيه ايجاب انقياده لهما واكراهه على طاعتهما وهذا مما يعظم على الجبابرة وثانيا
بقوله فارسل معنا بني اسرائيل وفيه ادخال النقص في ملكه لانه كان يستخدمهم في الاعمال الشاقة وثالثا بقوله ولا تعذبهم وفيه منعه عما
يريده بهم واجيب بان هذا القدر من التغليظ ضروري في اداء الرسالة وقيل أليس الاولى ان يقولا انا رسولا ربك قد جئناك بآية من ربك فارسل
معنا بني اسرائيل ليكون ذكر المعجز مقرونا بادعاء الرسالة والجواب ان قوله فارسل من تتمة الدعوى وانما وحد قوله بآية ومعه اثبتان بل آيات
لقوله اذهب انت واخوك باياتي لان المراد الجنس كانه قيل قد جئناك ببيان من عند ربك وبرهان قال في الكشاف قلت وفيه ايضا نوع من الادب
كما لو قلنا لرجل قد حصلت شيئا من العلم ولعل عندك علوما جمة على ان تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد عليه وايضا الاصل في معجز
موسى كان هي العصا ولهذا وقعت في معرض المعارضة كما ان الاصل في معجز نبينا صلى الله عليه وسلم كان هو القرآن فوقع لذلك التحدي به والسلام اي جنس
السلامة او سلام خزنة الجنة على من اتبع الهدى يحتمل ان يكون هذا ايضا مما امرا بقوله لفرعون ويحتمل ان يكون الرسالة قد تمت عند قوله
بآية من ربك ويكون هذا وعدا بالسلامة من عقوبات الدارين لمن آمن وصدق قالت الاشاعرة في قوله ان العذاب اي جنسه او كل فرد منه على
من كذب وتولى دليل على انه لا يعاقب احدا من المؤمنين ترك العمل به في بعض الاوقات فوجب ان يبقى على اصله في نفي الدوام على ان العقاب
المنقطع لا نسبة له الى النعيم المقيم الذي لا نهاية له فكانه لم يعاقب اصلا وايضا العارف بالله قد اتبع الهدى فوجب ان يكون من اهل السلامة قال فمن
ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووجه النداء الى موسى لانه الاصل في ادعاء الرسالة وهرون وزيره ويجوز انه خص موسى عليه السلام بالنداء لما عرف
من فصاحة هرون والرتة التي كانت في لسان موسى فاراد ان يعجز عن الجواب قال اهل الادب ان فرعون كان شديد البطش جبارا ومع ذلك لم يبد
بالسفاهة والشغب بل شرع في المناظرة وطلب الحجة فدل على ان الشغب من غير حجة شيء ما كان يرتضيه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك
بمن يدعي الاسلام والعلم وفي اشتغال موسى باقامة الدلالة على المطلوب دليل على فساد التقليد وفساد قول القائل بان معرفة الله تستفاد من قول
الرسول وفيه جواز حكاية كلام المبطل مقرونا بالجواب لئلا يبقى الشك وان المحق يجب عليه استماع شبهة المبطل حتى يمكنه الاشتغال بحلها
واعلم ان العلماء اختلفوا في كفر فرعون فقيل كان عارفا بالله الا انه كان معاندا بدليل قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض وقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله في سورة القصص وظنوا انهم الينا لا يرجعون وليس الا انكار المعاد دون انكار
المبدأ وقوله في الشعراء وما رب العالمين الى قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني انا اطلب منه الماهية وهو يشرح الوجود فدل على انه
عرف باصل الوجود وايضا ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام لان موسى لما هرب الى مدين قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين
فكيف يعتقد عاقل في مثل هذا الشخص انه اله العالم بل كل عاقل مكلف يعلم بالضرورة انه وجد بعد العدم فلا يكون واجب الوجود وايضا انه سال ههنا
بمن طالبا للكيفية وفي الشعراء بما طالبا للماهية فكان موسى لما اقام الدلالة على الوجود ترك المناظرة والمنازعة معه في هذا المقام لظهوره وشرع
في مقام اصعب لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر وايضا انه قال في الجواب ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وصلة الذي لا بد ان يكون جملة معلومة
الانتساب ومن الناس من قال انه كان جاهلا بالله بعد اتفاقهم على ان العاقل لا يجوز ان يعتقد في نفسه انه خالق السموات والارض وما بينهما فمنهم
من قال انه كان دهريا نافيا للمؤثر اصلا ومنهم من قال انه فلسفي قائل بالعلة الموجبة او هو من عبدة الكواكب او من الحلولية والمجسمة واما ادعاء الالهية
والربوبية فمعنى انه يجب عليهم طاعته والانقياد لحكمه قال بعض العلماء انما قال فمن ربكما ولم يقل فمن الهكما تعريضا بانه ربى موسى كما قال الم نربك فينا
وليدا قلت يحتمل ان يكون تخصيص موسى بالنداء تنبيها على هذا المعنى ولم يعلم الكافر ان الربوبية التي ادعاها موسى لله في قوله انا رسولا ربك
غير هذه في الحقيقة ولا مشاركة بينهما الا في اللفظ وهذا كما عارض نمرود ابرهيم صلوات الرحمن عليه في قوله انا احيي واميت ولم يعلم ان احياءه واماتته
ليس من الاحياء والاماتة في شيء ثم شرع موسى في الدلالة على اثبات الصانع باحوال المخلوقات وفيه دلالة على ان موسى كان اصلا في النبوة
وان هرون راعى الادب فلم يشتغل بالجواب قبله لان الاصل في النبوة هو موسى ولان فرعون خصص موسى بالنداء من قرا خلقه بسكون اللام
فاما بمعنى الخليقة والضمير المجرور لله وقدم المفعول الثاني ليتصل قوله ثم هدى والخليقة اي اعطى الخلائق ما به قوامهم من المطعوم والمشروب
والملبوس والمنكوح ثم هداهم الى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون الحديد من الجبال واللآلي من البحار ويركبون الاغذية والادوية والاسلحة والآلات
ونظيره هذا الكلام قوله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقوله حكاية عن ابرهيم الذي خلقني فهو يهدين واما ان يكون الخلق بمعنى الصورة
والشكل اي اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فاعطى العين هيئته التي تطابق الابصار والاذن ما يوافق الاستماع والانف
للشم واليد للبطش والرجل للمشي ولم يعط بعل الانس شكلا يوافق سعيه وحال الحيوانات الاخرى كذلك لا يطابق مشيها بل اعطى ذوات الظفر
رجلا توافق حاجتهن وكذلك ذوات الحافر وذوات المخالب ومثل ذا اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة ليحمل الخطاب والحجر يوجبن كذا

البعير ذا النافر



البعير والناقة والرحل للمرأة ومن قرأ خلقه بفتح اللام صفة للمضاف او للمضاف اليه والمفعول الثاني متروك اي كل شئ خلقه الله لم يخله من عطائه
وانعامه واعلم ان عجائب حكمة الله تعالى في مخلوقاته بحر لا ساحل له وقد دون العلماء طرفا منها في كتب التشريح وخواص الاحجار والنبات والحيوان ولنذكر
ههنا واحدا منها هو ان الطبيعي يقول الثقيل هابط والخفيف صاعد فالماء لذلك فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الكل ثم انه سبحانه
جعل العظم والشعر اصلب الاعضاء على الطبيعة الارضية ثم جعل مكانهما فوق البدن وجعل مخ الدماغ الذي هو من جنس الماء وجعل مخزن النفس الذي هو
الهواء وجعل مخزن الحرارة الغريزية تحت القلب كل ذلك ليكون دليلا على وجود الفاعل المختار خلاف ما يقوله الدهري والطبيعي وسائر الكفار و
ايضا اختصاص كل جسم بقوة وتركيب وهيئة اما ان يكون واجبا او جائزا والاول محال والا لم يقع فيها تغير والثاني يستدعي مرجحا فان كان ذلك
المرجح واجب الوجود لذاته فهو المطلوب وان كان جائز الوجود افتقر في اتصافه بالوجود الى موجد ولا بد من الانتهاء الى موجد يجب وجوده لذاته ثم
يستغني عن بيانات التفصيل بثواب الاعتقاد ولبس لا اله الا الله الواحد القهار وقال اهل النظم ان موسى لما قرر عليه امر المبدأ قال فرعون ان كان وجود
الواجب في هذه الجهة من الظهور فما بال القرون الاولى لم يؤمنوا وجحدوا فعارض الحجة بالتقليد وبال الحال وانه لما هدده بالعذاب في قوله
ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بالهم كذبوا فما عذبوا فاجاب بان هذا مما استأثر الله بعلمه وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني علام
الغيوب وانه سأله عن احوال القرون الخالية وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد ليصرف موسى عن المقصود ويشغله بالحكايات خوفا من ان يميل
قلوب ملائه الى حجته الباهرة ودلائله الظاهرة فلم يلتفت موسى الى حديثه بل قال علمها عند ربي ولا يتعلق غرضي باحوالهم ويجوز ان يكون الكلام
فيه تحريضا او صريحا الى احاطة الله سبحانه بكل شئ فزعم الكافر قائلا ما بال سوالف القرون في تمادي كثرتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط الله
باجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل البشر الضئيل وقوله
علمها عند ربي مع قوله في كتاب لا ينافيان بل المراد انه تعالى عالم بجميع الغيب مطلع على الكليات والجزئيات من احوال الموجودات والمعدومات ومع
ذلك فان جميع الاحوال ثابتة في اللوح المحفوظ ثم كان لقائل ان يقول لعلها اثبتت في اللوح لاحتمال الخطأ والنسيان فتدارك ذلك بقوله لا
يضل ربي ولا ينسى قال المجاهد هما واحد والمراد انه لا يذهب عنه شئ ولا يخفى عليه والاكثرون على الفرق فقال القفال الاول اشارة الى كونه عالما
بالكل والثاني اشارة الى بقاء ذلك العلم اي لا يضل عن معرفة الاشياء وما علم من ذلك لا ينساه ولا يتغير علمه يقال ضللت الشئ اذا اخطأته في مكانه
فلم تهتد له وقال مقاتل لا يخطئ ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه وقال الحسن لا يخطئ وقت البعث ولا ينساه وقال ابو عمرو ولا يغيب عن شئ ولا يعزب عنه شئ
وقال ابن جرير لا يخطئ في التدبير فيعتقد غير الصواب صوابا واذا عرفه لا ينساه والوجوه متقاربة والتحقيق ما قاله القفال وعن ابن عباس لا يترك
من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ولما ذكر الدليل العام الشامل لجميع المخلوقات السماويات والارضيات من الانسان وسائر
الحيوانات وانواع النبات والجمادات ذكر الدلائل الخاصة فقال الذي جعل لكم الارض مهدا اي كالمهد وهو ما يمهد للصبي قال ابو عبيدة الذي
اختاره مهادا لانه اسم لما يمهد والمهد مصدر وقال غيره المهد اسم والمهاد جمع وقال المفضل هما مصدران وسلك اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها
بين الجبال والاودية والبراري يقال سلكت الشئ في الشئ سلكا بالفتح اي ادخلته فيه فاخرجنا به اي بواسطة انزال الماء ومن المتكلمين من لا
انكر تاثير الوسائط راسا وازواجا اي اصنافا فسميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها ببعض وشتى صفة للازواج جمع شتيت
كمريض ومرضى او صفة للنبات لانه مصدر سمي به النبات كما سمي بالنبت فيستوي فيه الواحد والجمع يعني انها مختلفة النفع والطبع والطعم واللون
والرائحة والشكل ثم ههنا اضمار والتقدير وقلنا او قائلين كلوا وارعوا انعامكم وذلك ان بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم واما جاء
الاكل يتضمن باخصر سائر وجوه الانتفاع كقوله ولا تأكلوا اموالكم ومن نعم الله تعالى ان ارزاقنا لما يحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل
عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله قال الجوهري النهية بالضم واحدة النهى وهي العقول لانها تنهى عن القبيح وجوز ابو علي الفارسي ان يكون مصدرا
كالهدى وخص ارباب العقول بذلك لانهم هم المنتفعون بالنظر فيها والاستدلال بها على وجود صانعها منها خلقناكم لان آدم مخلوق من الارض
او لان بني آدم خلقوا من النطفة ودم الطمث المتولدين من الاغذية المنتهية الى العناصر الغالبة عليها الارضية او لما روي ان الملك ينطلق فيأخذ
من تربة المكان الذي يدفن فيه الآدمي فيبددها على النطفة وفيها نعيدكم لان الجسد يصير ترابا فيختلط بالارض الا من رفعه الله الى السماء وهو
ايضا يحتمل ان يبقى فيها ثم يعود اليها ومنها نخرجكم تارة اخرى بالحشر والبعث بان نخرجكم ترابا وطينا ثم نحييكم بعد الاخراج او المراد الاحياء
في القبر وههنا بحث وهو ان يكون قوله الذي جعل لكم الارض الى ههنا من تتمة كلام موسى وهو ابتداء كلام من الله تعالى وعلى الاول يمكن
ان يوجه قوله فاخرجنا بان المراد فاخرجنا نحن معاشر عباده بذلك الماء بالحراثة والزرع ازواجا من نبات شتى الا ان قوله كلوا وارعوا الى
قوله ومنها نخرجكم لا يطابقه وان قيل ان كلام موسى تم عند قوله وانزل من السماء ماء لم يصلح قوله فاخرجنا ابتداء كلام من الله لمكان فاء التعقيب
فالصواب ان يتم كلام موسى عند قوله ولا ينسى ثم انه تعالى ابتدأ فقال الذي هو الذي جعل الى آخره وعلى هذا يكون قوله فاخرجنا من قبيل
الالتفات افتنانا في الكلام وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره تخصيصا بان مثل هذا لا يدخل تحت قدرة احد سواه والحاصل انه
تعالى عدد عليهم ما علق بالارض من المنافع حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها عند الاقامة وسوى لهم فيها مسالك يتقلبون بها في اسفارهم وابتغاء

انما



اصناف النبات منافعها ولانعامكم ثم ان الارض لهم كالام التي منها انشاؤا وهي التي تجمعهم وتضمهم اذا ماتوا ثم يخرجون من الاجداث خروج
الاجنة من الارحام ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض اي تيمموا واسجدوا عليها من غير حائل وتمتعوا بها فانها بكم برة اي انها لكم كالام
ومنها خلقناكم وفيها نعيدكم وهي بعد الموت كفاتكم قوله عز وعلا ولقد اريناه اياتنا اي عرفناه صحتها ثم ان كان التعريف فيلزم حصول المعرفة
فيكون كفره كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم الا ان كفرهما لا ... الرسول الجمع المضاف يفيد العموم ولا سيما اذا اكد
بالكل لكنه تعالى ما اراه جميع الايات لان من جملتها ما اظهرها على الانبياء الاقدمين ولم يتفق لموسى مثلها الجواب هذا التعريف الاضافي في حذو
حذو التعريف للعهد او تنبيه الايات كلها وهي التي ذكرت في قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ولو سلم العموم فالمراد انه اراه الايات
الدالة على التوحيد في قوله ربنا الذي اعطى كل شئ خلقه وعلى النبوة باظهار المعجزات الباهرة وعلى المعاد لان تسليم القدرة على الانشاء تسليم
تسليم القدرة على الاعادة بالطريق الاولى ولو اراد انه اراه اياته المختصة به وعدد عليه ايات الانبياء واخبار النبي الصادق جار مجرى العيان
ارادة بعض الايات كاراءة الكل كما ان تكذيب بعض الايات يستلزم تكذيب الكل كما قال فكذب اي الايات كلها وابى قبول الحق قال القاضي
الاباء الامتناع ولا يوصف به الا من يتمكن من الفعل والترك واللام بتوجه الذم وجواب الاشاعرة انه لا يسئل عما يفعل ثم ان فرعون خاف
ان يميل قلوب ملائه الى قول موسى فذكر ما يوجب نفار القوم عنه مع القدح في نبوته لادعاء امكان معارضته فقال اجئتنا لتخرجنا فان
الاخراج من الديار قرينة القتل بدليل قوله ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ثم لما طلب المعارضة موعدا فان جعلته زمان الوعد بين
قوله موعدكم يوم الزينة بالرفع كان الضمير في لا نخلفه عائدا الى الوعد المعلوم من الموعد او الى زمان الوعد مجازا وانتصب مكانا على انه ظرف للوعد
المقدر وان جعلته مكان الوعد ليكون قوله مكانا بدلا منه توجه عود الضمير في لا نخلفه مثل ما قلنا ويكون قوله موعدكم يوم الزينة مطابقا
له معنى لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان مشهور عندهم وكانه قيل موعدكم مكان الاجتماع في يوم الزينة وان جعلته مصدرا
لم يصح وصفه بمكانا للاخلاف من غير ارتكاب اضمار او تجوز انتصب مكانا على انه ظرف ثم من قرأ يوم الزينة بالنصب فظاهر اي وعدكم كائن وعد
في يوم الزينة او وقت وعدكم في يوم الزينة وفي يوم يحشر الناس هو ضحى اي ضحى ذلك اليوم ومن قرأ بالرفع فيقدر مضافا محذوفا اي وعدكم وعد
يوم الزينة ومعنى سوى بالكسر والضم عدلا او وسطا بين الفريقين وهو معنى قول مجاهد توصيف المكان بالاستواء بالنسبة اليهما وقال ابن زيد
اي مستويا لا يحجب شيئا بارتفاعه وانخفاضه ليسهل على كل الحاضرين ما يجري بين الفريقين وقال الكلبي مكانا سوى هذا المكان الذي نحن فيه الان قال
القاضي الاظهر ان قوله موعدكم يوم الزينة من قول فرعون لانه الطالب للاجتماع وقال الامام فخر الدين الرازي الاقرب انه من كلام موسى
ليكون الكلام مبنيا على السؤال والجواب لان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع وهذا انما يليق بالمحب للحق الواثق
بالغلبة لا بالمبطل المزور على ان موعدكم خطاب للجمع وليس هناك الا موسى وهرون فاما ان يرتكب ان اقل الجمع اثنان وهو مذهب مرجوح
واما ان يقال الجمع للتعظيم ولم يكن فرعون ليعظمهما ويوم الزينة يوم عيدهم يتزينون فيه وعن مقاتل يوم النيروز وعن سعيد بن جبير يوم
سوقهم وعن ابن عباس هو يوم عاشوراء وانما قال ان يحشر من غير تسمية الفاعل لانهم يجتمعون ذلك اليوم بانفسهم من غير حاشر لهم ومحل ان يحشر
رفع او جر عطفا على اليوم او الزينة عين اليوم ثم الساعة وهي ضحى ذلك اليوم وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وزهوق الباطل على رؤس
الاشهاد ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليشيع امره العجيب في الاقطار والاصقاع والاطراف والاكناف ففي ذلك تقوية دين الحق
وتكثير تابعيه وقلة شوكة المخالف وتوهين عزائمهم فتولى فرعون انصرف الى مقامه فهيأ اسباب المعارضة فان صاحب السحر يحتاج في تدبير
السحر الى طول الزمان ولهذا طلب الموعد وقال اهل المعاني تولى اعرض وتنبيه على اعراضه عن الحق فجمع كيده اي اسباب الكيد وادوات الحيلة والتمويه من مهرة
السحرة وعددهم ثم اتى الموعد عن ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصي وقيل اربع مائة وقيل اكثر من ذلك فنصب
لفرعون سرير طوله سبعون ذراعا فجلس فيها ينظر اليهم فبين الله تعالى ان موسى قدم قبل كل شئ الوعيد والتحذير على عادة الصالحين من اهل النصح
والاشفاق ولا سيما الانبياء المبعوثين رحمة للانام ويلكم نصب على المصدر الذي لا فعل له او على النداء لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته ومعجزاته
سحرا فيسحتكم السحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومعناه الاستيصال حذرهم امرين احدهما عذاب الدارين والتنوين للتعظيم والاخر
الخيبة والحرمان عن المقصودات المموهة لا بقاء له فتنازعوا امرهم بينهم كقوله في الكهف اذ يتنازعون بينهم امرهم اي وقع التنازع بينهم والسر يحتمل
الضمير لفرعون وقومه وقيل للسحرة ويؤيده ما روي عن ابن عباس انه نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء
فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والاكثرون على الاول فذلك انهم تفاوضوا وتشاوروا حتى استقر رايهم على شئ
واحد وهو انهم قالوا ان هذان لساحران الى اخر الاية لا اشكال في قراءة ابي عمرو وكذا في قراءة ابن كثير وحفص لانه كقولك ان زيد لمنطلق واللام
فارقة بين المخففة والنافية واما من قرأ ان بالتشديد وهذان بالالف فاورد عليه ان لم يعمل في المثنى واجيب بانه على لغة بلحرث بن كعب وخثعم
وبعض بني عذرة ونسبها الزجاج الى كنانة وابن جني الى بعض بني ربيعة جعلوا التثنية كعصى وسعدى مما اخره الف فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقيل
ان بمعنى نعم واعترض بان ما بعده ... كقول ام الحليس لعجوز شهربة ولا يجوز مثله الا في ضرورة الشعر وانما يصح لام الابتداء في الخبر [illegible]

يقال له

والجواب ان

والجواب ان القرآن حجة على غيره وذكر الزجاج في جوابه ان المعنى انهما لساحران فاللام داخلة على الجملة الصغرى قال وقد عرضت هذا القول

على محمد بن يزيد وعلى اسمعيل بن اسحق فارتضاه كل منهم وذكروا انه اجود ما سمعناه في هذا الباب وضعفه ابن جني بان المبتدأ انما يجوز حذفه لو كان

امرا معلوما جليا والا كان تكليفا بعلم الغيب للمخاطب واذا كان معروفا فقد استغنى بمعرفته عن تأكيده باللام وايضا ان الحذف من باب الاختصار

والتأكيد من باب الاطناب فالجمع بينهما محال مع ان ذكر المؤكد وحذف التأكيد احسن من العكس [illegible]

في قولك زيد ضربت نفسه تأكيد المستكن فدل ذلك على ان تأكيد المحذوف غير جائز ولو كان ما ذهب اليه الزجاج جائزا [illegible] المبتدأ

وحده ولو سلم فذكر اللام يدل على المسند وذكر المبتدأ لا يدل على التأكيد فكان حذف المبتدأ اخف وعن الثاني بان الكلام قد يكون مؤخرا

من وجه مطنبا من وجه فلا منافاة وانما المنافاة اذا كانت الجهة واحدة وعن الثالث بانهم استعملوا من حمل النقيض على التأكيد في [illegible] المذكور لانهم [illegible]

الفعل الى المظهر [illegible] من اسناده الى المضمر لان تأكيد المنوي ممتنع على ما بينا ان المؤكد ليس بمحذوف في الآية [illegible] فان احد حرفي الكلام [illegible]

وعن الرابع بان نقول المتقدمين عن هذا الوجه لا يقتضي كونه باطلا فلنترك الاول [illegible] ولنرجع الى التفسير قال الفراء الطريقة اسم للوجوه [illegible]

واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم وهو طريقة قومه [illegible] موسى [illegible] الحاضرين ونفرهم عنه بانه ساحر [illegible]

وبانه يقصد اخراجكم من دياركم [illegible] بعض [illegible] وانه يريد ان يذهب باشراف قومكم [illegible] بنوا اسرائيل لقول موسى ارسل

معنا بني اسرائيل وجعلها الزجاج من باب حذف المضاف اي باهل طريقتكم المثلى [illegible] الطريقة المثلى والسنة الفضلى لان كل حزب بما لديهم

فرحون والمثلى تأنيث الامثل اي الاشبه بالحق ومنهم من فسر الطريقة ههنا بالجاه والمنصب [illegible] من قرأ فاجمعوا من جمع

ظاهر ومن قرأ من الاجماع فمعناه اجعلوا كيدكم مجمعا عليه حتى لا تختلفوا [illegible] في سورة يونس فاجمعوا امركم وشركاءكم [illegible]

ان السحر [illegible] وقال الزجاج معناه ليكن عزمكم كلكم كالكيد مجمعا عليه ثم امرهم بان يأتوا صفا اي مصطفين مجتمعين ليكون اهيب في الصدور

واوقع في النفوس عن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى اي مصلى من المصليات [illegible] علم المصلى بعينه لان الناس يصطفون فيه لعيدهم وصلواتهم

وقد افلح اليوم من استعلى اي فاز من غلب [illegible] واعلم ان قصة السحرة اكثرها اشبه مما مر في الاعراف وقد فسرناها هناك فلنحقق الان على [illegible]

[illegible] هو المختص بهذه السورة اما ان تلقي اي [illegible] لكم [illegible] والقوا فاذا حبالهم هي اذا المفاجأة وصلها

[illegible] موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم قال وهب سحروا اعين موسى حتى تخيل ذلك وقيل انه شاهد شيئا لولا علمه

بانه لا حقيقة لذلك [illegible] انها تسعى فيكون تمثيلا فاوجس اضمر في نفسه خيفة هو مفعول وموسى فاعل [illegible] للفاصلة [illegible]

الخوف اما من حيلة البشرية [illegible] الدليل وهو قول الحسن واما لانه خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قال مقاتل وخاف ان تأخر

نزول الوحي عليه [illegible] الخوف [illegible] بعض القوم قبل ان يشاهدوا [illegible] وخافوا [illegible] الامر عليه وتكرره فازال الله تعالى خوفه

بقوله انك انت الاعلى وفيه من [illegible] التأكيد ما لا يخفى [illegible] الاستيناف والتصدير بان والتوسيط بالفصل وكون الخبر معرفا ولفظ

[illegible] وصورة التفضيل لا وضع [illegible] مفصلا بقوله والق ما في يمينك [illegible] من الاعراف لما في هذه السورة وما

[illegible] وقال جار الله هو تصغير لشأن [illegible] وتهوين لامرها اي الق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله [illegible]

صنعوا [illegible] على كثرتها وعظمها وهو تعظيم لشأنها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة كان في يمينك شيئا

عظم شأنا من كلها انما صنعوا ان الذي صنعوه كيد ساحر [illegible] فعلى الوصف [illegible] هو الجنس كما قال ولا يفلح الساحر [illegible]

الجنس ولو جمع لاوهم ان المراد هو العدد وانما نكر ولا لان المراد تنكير الكيد كانه قال هذا الذي اتوا به قسم واحد من اقسام [illegible] من اعمال السحر

وجميع اقسام السحر وافراد السحر لا فلاح فيها ومن نظائره الى لا كره ان ارى احدكم سبهللا لا في امر دنيا ولا في امر آخرة ومعنى سبهللا [illegible]

[illegible] ومعنى حيث اتى اينما كان واين سلك فالقي السحرة سجدا قال جار الله سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود

[illegible] بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين [illegible] لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار [illegible] منازلهم [illegible]

[illegible] اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة واستعداد لفاء الاثر [illegible] الى الايمان [illegible] وانه [illegible]

[illegible] على هذا الكشف فلا منافاة ولا التجاء ثم ان فرعون لعب به الخجل والكرم [illegible] ايمانهم والقي شبهة [illegible] سحرهم

[illegible] في الصناعة او معلمهم واستاذهم من قول اهل مكة للمعلم امركبيري [illegible] في العلم او عبرهم [illegible] فقطع الايدي والارجل

[illegible] في الكشاف من لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو لا من وفاقه اياه [illegible] بينهما

[illegible] المخالفة [illegible] معنى لابتداء الغاية [illegible] وارجلكم مبتدأ من الجهتين المخالفتين يمينا وشمالا ويكون الجار والمجرور في

موضع الحال اي لا قطعها مختلفات [illegible] في جذوع النخل اي عليها والاصوات يقال هي على اصلها مشبه بتمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف

في الظرف [illegible] بغير علمت بانه [illegible] وما الهين نعذيب الناس تحقيقا بموسى مع الهمز لان موسى لم يكن قط من

[illegible] في الكشاف قلت يحتمل ان يريد بقوله منا الله تعالى ونفسه فقد ذكر [illegible] وموسى [illegible] قوله ان تعد



على من كذب وتولى وفي قوله فلنعلمنكم بعذاب يؤيده قول السحرة في جوابه والله خير وأبقى لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا من البينات المعجزات
الظاهرات على يد التي فطرنا او الواو للقسم وعلى هذا يجوز ان يكون على ما جاءنا بمعنى في ما جاءنا اي لن نميل الى الملك الى الحال الزهد وعلى الوجه الاول
يحتوي الكلام لن نترك طاعة خالقنا والتصديق بمعجزات نبيه لاجل هواك فاقض ما انت قاض بما شئت من العذاب انما تقضي هذه الحيوة الدنيا
اي في مدة الحيوة العاجلة وقرئ تقضى مبنيا للمفعول هذه الحيوة بالرفع اجراء للظرف مجرى المفعول به اتساعا مثل صمتم يوم الجمعة والحاصل
ان قضاءك وحكمك منحصر في مدة حيوتنا الفانية والايمان يترتب عليه الثواب الباقي لا يزول والعقل يقتضي تحمل الضرر الفاني للفوز بالسعادة الباقية
وللخلاص من العقاب الابدي وذلك قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا قال الحسن سبحان الله قوم كفار ثبت في قلوبهم الايمان في طرفة عين
فلم يتعاظم عندهم ان قالوا في ذات الله فاقض ما انت قاض والله ان احدهم ليصحب القرآن ستين عاما ثم انه يبيع دينه بثمن حقير وما كان اقترف
خطايانا من عهد ما اظهروه من السحر قالوا وما اكرهتنا عليه من السحر وفي هذا الاكراه وجوه عن ابن عباس ان الفراعنة كانوا يكرهون
فتيانهم على تعلم السحر ليوم الحاجة فكانوا من ذلك القبيل وقد روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا
بسحر الساحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فابوا ان يعارضوه وعن الحسن انهم حشروا من المدائن مكرهين وزعم عمر بن عبيد ان دعوة السلطان اكراه
وليس بقوي فلا اكراه الا مع الخوف محتشما وجعل حكم الاكراه والاقرب في الآيات ابتداء اخبار من الله وهي من تتمة كلامهم فيه قولان
لعل الاول اولى انه اي الشأن من يات ربه حيث لا حكم الا هو فيه فقط استدلال المعتزلة حال كون الاتي مجرما فان له جهنم لا يموت فيها فيموت
مريحا ولا يحيى حيوة منتفع بها قالت المعتزلة صاحب الكبيرة مجرم وكل مجرم فان له جهنم بالاية لعموم من الشرطية بدليل صحة الاستثناء فيحصل القطع
بوعيد اصحاب الكبائر اجابت الاشاعرة بان المجرم كثيرا ما يجيء في القرآن بمعنى الكافر كقوله يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر الى قوله وكنا
نكذب بيوم الدين ولا ريب ان التكذيب بالبعث والجزاء كفر وكقوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى اخر السورة فلم قلتم
ان المجرم ههنا ليس بمعنى الكافر فيبطل المقدمة الاولى سلمنا لكن المقدمة الثانية كليتها ممنوعة على الاطلاق وانما هي كلية بشرط عدم العفو
وح لا يحصل القطع بالوعيد على الاطلاق سلمنا المقدمتين والنتيجة لكنه معارض بعموم الوعد في قوله ومن يأته مؤمنا فان قيل صاحب الكبيرة لم
يأته مؤمنا عندنا قلنا يصدق عليه المؤمن لان الايمان صدق عنه في الزمان الماضي كالضارب يصدق على من قد ضرب امس لانه ليس بين الحال والزمان الماضي
منافاة كلية ولهذا صح جاءني زيد قد قام بل صح قوله قد عمل الصالحات وانه حال ركنا فيه ومن يأته قد امن قد عمل ولئن قيل ان عقاب
المعصية يحبط ثواب الطاعة قلنا ممنوع بل العكس اولى لان الدفع اسهل من الرفع وان قالوا هذا محمول على الاتيان ببعض الصور لاجل المحبة لا لاجل
التشكيك وقوله نكالا من الله حتى من لم يتب بعد من التوفيق سلمنا ان قوله ومن يأته مؤمنا لا يعم صاحب الكبيرة لان تمام قوله فاولئك لهم
الدرجات العلى من الجنة لمن اتى بالايمان والاعمال الصالحات اي الواجبات لان الزائد عليها غير محصور فثبت ان الدرجات لا بد ان يكون
لغيرهم وما هم الا العصاة من اهل الايمان ثم عظم شان المذكور بقوله وذلك جزاء من تزكى اي قال لا اله الا الله قال ابن عباس وفيه دليل على ان
قوله ومن يأته مؤمنا يشمل صاحب الكبيرة **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ**
قال الاخرون تزكى اي تطهر من دنس الذنوب — و هر آینه وحی کردیم بموسی که شب ببر بندگان مرا پس بزن برای ایشان راهی در دریا

يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ
خشک بیم نکنی از دریافتن و نترسی پس در پی ایشان رفت فرعون با لشکر خود پس پوشانید ایشان را از دریا آنچه پوشانید و گمراه کرد فرعون

قَوْمَهُ وَمَا هَدَى يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا
قوم خود را و راه ننمود ای فرزندان اسرائیل بدرستیکه رهانیدیم شما را از دشمنان و وعده دادیم شما را جانب طور ایمن و فرو فرستادیم

عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ
بر شما من و سلوی را بخورید از پاکیزها آنچه روزی دادیم شما را و تعدی مکنید در آن پس فرود آید بر شما خشم من و هر که فرود آید برو

غَضَبِي فَقَدْ هَوَى وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى
خشم من پس بدرستیکه هلاک شد و بدرستیکه من آمرزنده ام مر آنرا که توبه کرد و ایمان آورد و کرد کار شایسته پس راه یافت و چه چیز شتاب آورد ترا از قوم تو ای موسی

قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ
گفت ایشانند اینان بر اثر من و شتافتم بسوی تو ای پروردگار من تا خوشنود شوی گفت که مبتلا نمودیم قوم ترا از بعد تو و گمراه کرد ایشان را سامری

فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ
پس بازگشت موسی بسوی قوم خود خشمناک اندوهناک گفت ای قوم آیا وعده نداد شما را پروردگار شما وعده نیکو آیا پس دراز شد بر شما زمان یا خواستید

أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ

غير عالية التي

وعلى هذا النعم ما ...



الْقَوْمِ فَقَذَفْنٰهَا فَكَذٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالَ هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسٰى

فَنَسِيَ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هٰرُونُ مِن قَبْلُ يٰقَوْمِ إِنَّمَا

فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عٰكِفِينَ حَتّٰى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسٰى

قَالَ يٰهٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا

بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يٰسٰمِرِيُّ

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي قَالَ

فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيٰوةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلٰى إِلٰهِكَ الَّذِي

ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ

شَيْءٍ عِلْمًا كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ

فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حِمْلًا يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ

إِلَّا عَشْرًا نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ

فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَّا تَرٰى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ

لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ

وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ

مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصّٰلِحٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا وَكَذٰلِكَ أَنزَلْنٰهُ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا فَتَعٰلَى اللّٰهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ

مِن قَبْلِ أَن يُقْضٰى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

القرآن

لا تخف دركا بالجزم حمزة الباقون لا تخاف بالرفع

انجيناكم وواعدناكم ورزقناكم على التوحيد حمزة وعلي وخلف

وواعدناكم من الوعد ابو عمرو وسهل ويعقوب فيحل ومن يحلل بالضم فيهما علي الاخرون بالكسر بملكنا بفتح الميم ابو جعفر ونافع وعاصم غير المفضل بضمها حمزة وعلي وخلف بكسرها الباقون والمفضل حملنا بفتح الحاء واللام مخففة ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وحفص الاخرون بضم الحاء وكسر الميم مشددة يبنؤم يا ابن ام بالياء اثبات الياء ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو عمرو ونافع غير اسمعيل في الوصل وقرأ يزيد واسمعيل بفتح الياء الباقون بفتحها يا ابن ام بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص لم تبصروا بالخطاب حمزة وعلي وخلف الباقون على الغيبة فنبذتها مدغم ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف ويزيد وهشام وسهل لن تخلفه بكسر اللام ابن كثير

وابو عمرو ويعقوب والاخرون بفتحها النجر فتنبح النون وضم الراء يريد الاخرون من انجيناكم فلا تخف بالجزم على النهي ابن كثير لا تخف على النفي بالنون
مبنيا للفاعل وحمزة بالنصب يعقوب بالياء فوقنا بالياء مضمومة وبفتح التاء وحبيه بالرفع **الوقوف** سببا لا لان قوله لا تخاف يصلح صفة
للطريق مع حذف الضمير الحال العائد اي لا تخاف فيه ويصلح مستانفا ومن قرا لا تخف فوقفه جائز لعدم العاطف ووقوع الحائل مع تعقب
النهي الامر الا ان يكون جوابا للامر فلا يوقف ولا تخشى ما غشيهم ط لان التقدير وقد اضل من قبل على الحال لما صيره دون العطف
لانه عند ما غشيهم لم يفرغ للاضلال وما هدى والسلوى غضبي هوى اهتدى يا موسى لترضى السامري اسفا لانشاق
الماضي على الماضي بلا ناسخ حسنا ط موعدي السامري ط فنسى ط قولا للعطف ولا نفعا ط فتنتم به للابتداء بان مع اتصال العطف امري
موسى الا تتبعن ط امري ط براسي ج للابتداء بان مع اتصال المعنى واتحاد القائل فتولى يا سامري نفسي لا مساس لن تخلفه لاختلاف
الجملتين عاكفا للقسم المحذوف الا هو علما ه سيوف للاستيناف والحال ذكرا ج لان الشرط يصلح صفة للذكر ويصلح مستانفا وزرقا
لان قوله خالدين حال من الضمير في يحمل لا هو عائد الى من ومن للجمع معنى فيه حملا لا لان يوم ينفخ بدل من يوم القيمة زرقا لان ما بعده يصلح
للصفة وللاستيناف عشرا يوما ه نسفا صفصفا امتا ج لا عوج له لاختلاف الجملتين همسا قولا علما القيوم ط ظلما هضما ذكرا وحيه
لعطف الجملتين المتفقتين مع اعتراض الظرف وما اضيف اليه علما **التفسير** هذا شروع في قصة انجاء بني اسرائيل واهلاك عدوهم
وقد تقدم في البقرة وفي الاعراف وفي يونس ومعنى فاضرب لهم طريقا اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله
او المراد بين لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا حتى يتعلق فعل الضرب بالطريق ثم بين ان جميع الامن حاصل في ذلك الطريق واليبس
مصدر وصف به ومثله اليبس نحوهما العدم والعدم ويوصف به المؤنث لذلك فيقال ناقتنا يبس اذا جف لبنها والدرك والدرك
اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في لا تخشى اذ لا تخف الوجه هو الاستيناف اي وانت لا تخشى وجوز
في الكشاف ان يكون الالف للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله وتظنون بالله الظنونا وان يكون كقول الشاعر كان لم ترى قبلي اسيرا
يمانيا اراد لم تر لان ما قبله وتضحك مني شيخة عبشمية قلت لعل هذا انما يجوز في الضرورة ولا ضرورة في الاية فاتبعهم فرعون الحقهم
جنوده او تبعهم ومعه جنوده كما مر في يونس فغشيهم اي علاهم وغمرهم من اليم ما غشيهم وهذا من جملة ما هو علم في باب الايجاز لانه
على انه غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقد سلفت منا في السور المذكورة ما حكى من الاخبار وروي في الاثار ونسبة الاضلال الى فرعون لان
انتهاء الكل الى ارادة الله ومشيئته وقوله وما هدى تاكيد للاضلال وفيه تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد ثم عدد ما انعم به على
بني اسرائيل ويجوز ان يكون خطابا لليهود المعاصرين لان النعمة على الاباء نعمة في حق الابناء ومثله قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن
اي الواقع على يمين من انطلق من مصر الى الشام لان منفعة المواعدة عائدة اليهم وان كانت المواعدة لنبيهم فكتب التوراة في الالواح فيه قوام شرعهم
واستقامة امر معاشهم ومعادهم كلوا من تتمة القول وطغيانهم في الرزق ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها ويتعدوا حدود الله
فيها بالاسراف والتقتير والغضب من قرا فيحل بالكسر فمعنى الوجوب من قولهم حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومن قرا بالضم فمعنى النزول الغضب
نزول ما يتبعه من العقوبات والنازلات ومعنى هوى هلك واصله السقوط من مكان عال كالجبل وقيل هوى اي وقع في الهاوية سؤال كيف
اثبت المغفرة في حق من استجمع التوبة والايمان والعمل الصالح والمغفرة انما يتصور في حق من ذنبه ايضا ما معنى قوله ثم اهتدى بعد الامور
المذكورة والاهتداء انما يكون قبلها لا اقل من ان يكون معها الجواب اما الاول فالمراد واني لغفار لمن تاب من الكفر وامن وعمل صالحا وفيه دليل لمن
ذهب الى وجوب تقديم التوبة من الكفر على الايمان والحاصل ان الغفران يعود الى الذنوب السابقة على هذه الامور ويجوز ان يراد انه
اذا تاب من الكفر واقبل على الايمان والعمل الصالح فان الله يغفر الصغائر التي تصدر عنه في خلال ذلك كقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم واما الاهتداء فالمراد به الاستقامة والثبات على الامور المذكورة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
ومعنى ثم الدلالة على تباين المرتبتين فان المداومة على الخدمة اصعب من الشروع فيها كما قيل لكل الى شاو العلى حركات ولكن عزيز في الرجال
ثبات ونظير هذا العطف قوله واهلكناها فجاءها باسنا وقد مر الحديث فيه وروي ان موسى قد مضى مع النقباء السبعين الى الطور على الموعد
المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضا الله فانكر الله تعالى تقدمه فقال وما اعجلك
عن قومك اي شيء عجل بك عنهم فالمراد بالقوم النقباء لا جميع قومه على ما توهم بعضهم ويؤكده قوله هم اولاء على اثري لم يكن جميع قومه على اثره قال
جار الله فقد تضمن ما خوطب به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب التقدم فكان اهم الامرين الى موسى
تمهيد العذر من العجلة نفسها فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير لا يعتد به وليس بيني وبينهم الا مسافة يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم
ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى اي طلبت دوام رضاك عني او مزيد رضاك بناء على اجتهادي ان التعجيل
الى مقام المكالمة والحرص على ذلك يوجب مزيد الثواب والكرامة وقيل لما انكر عليه الاستعجال دهش وفاض العقاب فتحير في الجواب قال فانا
قد فتنا قومك بعدك يعني جميع قومه الذين خلفهم مع هرون وكانوا ست مائة الف ما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا يروى انهم اقاموا بعد



مفارقته عشرين ليلة وحسبوا اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فان قيل انه تعالى كيف قال لموسى عند مقدمه
انا قد فتنا قومك واجيب بانه على عادة الله تعالى في اخباره عن الامور المترقبة بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع او اراد بداية الفتنة لان السامري شرع
عقيبه موسى فعزم على اضلال قومه غب انطلاقه ولقائل ان يمنع كون هذه الاخبار عند مقدم موسى بل لعله عند توجهه بدليل فاء التعقيب
في قوله فرجع موسى قال جار الله انه رجع بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة واوتي التورية والسامري منسوب الى قبيلة من بني
اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا
وكان من قوم يعبدون البقر قالت المعتزلة الفتنة بمعنى الاضلال لا يجوز ان ينسب الى الله تعالى لانه تعالى قال واضلهم السامري وانما الفتنة
بمعنى الامتحان بالتشديد بالتكليف وهو منه فتنة لذهابه بيانه ان السامري لما اخرج لهم العجل صاروا مكلفين بان يستدلوا بحدوث جملة
الاجسام على ان العجل لا يصلح للالهية وقالت الاشاعرة الشبهة في كون الشمس والقمر الها اعظم من العجل الذي له خوار وهو جسد من الذهب
لا يكون حدوث ذلك العجل تشديدا في التكليف فلا يكون فتنة من هذا الوجه فوجب حمله على خلق الضلال فيهم واما اضافة الضلال
الى السامري فان جميع المسببات العادية تضاف الى اسبابها في الظاهر وان كان الموجد لها في الحقيقة هو الله تعالى قال بعضهم الاسف الغضب وفرق
بين الاغتياظ والتعصب لان الغيظ تغير يلحق المغتاظ فلا يصح الا على الاجسام والغضب قد يراد به الاضرار بالمغضوب عليه فلهذا صح اطلاقه على الله
سبحانه ثم عاتب موسى قومه بامور منها قوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا كانهم كانوا معترفين بالرب الاكبر لكنهم عبدوا العجل على التاويل الذي
نذكر عبدة الاصنام او على تاويل الحلول والوعد الحسن هو انزال التورية التي فيها هدى ونور وقيل هو الثواب على الطاعات وقيل ما روي
عن مجاهد انه العهد المذكور من قوله ولا تطغوا فيه الى قوله ثم اهتدى وقيل وعدهم اهلاك فرعون وتوريثهم ارضهم وديارهم وقد فعل
ومنها قوله افطال عليكم العهد يريد مدة مفارقته لهم وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا في موعده بعبادتهم
العجل وقيل الوعد انهم سمعوا ... من الاخبار ... والاكثرون على الاول لما ثبت انه وعدهم ثلثين كما امر الله تعالى وواعدنا موسى ثلثين ليلة
فجاء بعد الاربعين لقوله تعالى واتممناها بعشر لما روي انهم حسبوا العشرين اربعين ومنها قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم قالوا هذا
لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان عاقلا لا يريد حلول غضب الله على نفسه ولكن المعصية وهو خلاف الموعد لما كانت توجب ذلك صح هذا الكلام لانه من باب
مريد المسبب بالعرض احتج العلماء بالاية وبما هو من قوله فيحل عليكم غضبي ان الغضب من صفات الافعال لا من صفات الذات لان صفة ذات الله
تعالى لا تنزل في شيء من الاجسام وموعد موسى هو ما ذكرنا من انهم وعدوه الاقامة على دينه الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل وعدهم اللحاق
به والمجيء على اثره قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بالحركات الثلث اي بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه ولكن غلبنا
من جهة السامري وكيده والظاهر ان القائلين هم عبدة العجل وقيل انهم الذين لم يعبدوا العجل وهذا كما يضيف الرجل فعل قرينه الى نفسه كانهم
قالوا الشبهة قويت على عبدة العجل فلم يقدروا على منعهم ولم يقدروا ايضا على مخالفتهم حذرا من التفرقة وزيادة الفتنة ثم ان القوم فسروا ذلك
العذر المجمل فقالوا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اي اثقالا من حلي القبط كما مر في الاعراف وقيل الاوزار الاثام وانها في الحقيقة اثقال
مخصوصة معنوية سموا بذلك لان الغنائم لم تحل ولانهم كانوا مستامنين في دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي
وقيل ان تلك الحلي كان القبط يتزينون بها في مجامع الكفر ومجالس المعاصي فلذلك وصفت بانها اوزار كما يقال في الالات الملاهي فقذفناها
اي في الحفرة كان هرون امرهم بجمع الحلي انتظارا لعود موسى او في موضع امرهم السامري بذلك بعد ان افتدنا فكذلك القى السامري مثل فعلنا
اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حافر فرس جبرئيل كما يجيء في قوله فقبضت قبضة من اثر الرسول
فنبذتها فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار وقد مر في الاعراف فقالوا اي السامري ومن تبعه هذا الهكم واله موسى فنسي موسى ان يطلبه ههنا فذهب
ان يطلبه عند الطور او فنسي السامري وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر ثم بين الاستدلال على ان العجل لا يجوز ان يكون الها بقوله افلا يرون
الا يرجع ان مخففة من الثقيلة والفعل لم يعمل وقرئ بالنصب على انها الناصبة قال العلماء ظهور الخوارق على يد مدعي الالهية جائز لانه لا
التباس ههنا كذلك فوجب ان لا يمتنع خلق الخوار في صورة العجل يروى عن عكرمة عن ابن عباس ان هرون مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما تصنع
فقال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال اللهم اعطه ما سالك فلما مضى هرون قال السامري اللهم اني اسالك ان يخور فخار وعلى هذا التقدير
يكون معجزا للنبي لا للسامري ثم انه سبحانه اخبر ان هرون لم يال نصحا واشفاقا في شان نفسه وفي شان القوم فقبل ان يقول لهم السامري ما قال اما
شفقته على نفسه فهي انه ادخلها في زمرة الامرين بالمعروف الناهين عن المنكر وانه امتثل بنفسه وفي شان القوم فقبل ان يقول لهم السامري
ما قال اما شفقته على نفسه فهي انه ادخلها في زمرة الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر واما حين قال لهم يا قوم انما فتنتم به قال جار الله كانهم اول
ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هرون فزجرهم عن الباطل والايمان هذا من جملة
الفتن ثم دعاهم الى الحق بقوله وان ربكم الرحمن ومن فوائد تخصيص هذا الاسم بالمقام انهم ان تابوا عما عزموا عليه فان الله يرحمهم ويقبل توبتهم
ثم بين ان الوسيلة الى معرفة كيفية عبادة الله هو اتباع النبي وطاعته فقال فاتبعوني واطيعوا امري وهذا ترتيب في غاية الحسن واعلم ان المعتمد

اي الزمان المتقدم



الشفقة على خلق الله أصل عظيم في الدين وقاعدة مستمرة روى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى
عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو جالس إذ نظر إلى شاب على باب المسجد فقال من أراد أن ينظر إلى رجل
من أهل النار فلينظر إليه فسمع الشاب ذلك فولى وقال إلهي وسيدي هذا رسولك يشهد علي بأني من أهل النار وأنا أعلم أنه صادق فإذا كان
الأمر كذلك فأسألك أن تجعلني فداء أمة محمد وتشعل النار بي حتى تبر يمينه ولا تشعل النار على أحد فهبط جبرئيل وقال يا محمد بشر الشاب بأني قد أنقذته
من النار بتصديقه لك وفدائه أمتك بنفسه وشفقته على الخلق قال أهل السنة هب أن الشيعة تمسكوا بقوله أنت مني بمنزلة هرون
من موسى ثم إن هرون ما منعته التقية في مثل ذلك الجمع بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس إلى متابعته فلو كانت الأمة على الخطأ
لكان يجب على علي كرم الله وجهه أن يفعل ما فعل هرون من غير تقية وخوف للشيعة أن يقولوا إن هرون صرح بالحق وخاف فسكت ولهذا
لما عاتبه موسى بما عاتب فاعتذر بأن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني وهكذا علي امتنع أولاً من البيعة فلما آل الأمر إلى ما آل اعتذر [illegible]
ما سألوا وإنما قلت هذا على سبيل البحث لا لأجل التعصب ثم إن القوم قابلوا حسن موعظة هرون بالتقليد والجحود قائلين لن نبرح عليه عاكفين
حتى يرجع إلينا موسى ولا يخفى ما في هذا الكلام من أنواع التوكيد من جهة النفي بلن ومن لفظ البراح والعكوف ومن صيغة اسم الفاعل
ومن تقديم الخبر ثم حكى ما جرى بين موسى وهرون بعد الرجوع وقوله ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن كقوله ما منعك ألا تسجد
في أن لا صلة مزيدة أم لا وقد مر في الأعراف ومعنى هذا الاتباع قولان قال ابن عباس ما منعك من اتباعي بمن أطاعك واللحوق بي وترك المقام
بين أظهرهم وقال مقاتل أراد الاتباع في وصيته كأنه قال هلا قاتلت من كفر بمن آمن وما لك لا تباشر الأمر كما كنت أباشره أنا لو كنت فيهم
قوله أفعصيت أمري دل بظاهره على أن تارك المأمور به عاص والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم فيعلم منه
أن الأمر للوجوب ولكن الطاعنون في عصمة الأنبياء بأن موسى هل أمر هرون باتباعه أم لا وعلى التقديرين فهرون إن اتبعه أو لم يأمره أو أمره
لكن اتبعه فلا ذنب لهرون وفيه تجويز يكون ذنبا وإن أمره ولم يتبعه كان هرون عاصيا وأيضا قوله أفعصيت إن كان استفهاما بمعنى الإنكار فما كان
موسى كاذبا في نسبة العصيان إلى هرون وإما أن يكون هرون عاصيا وأيضا أخذه بلحية هرون وبرأسه إن كان بعد البحث والتفتيش
عن كون هرون عاصيا إلا أن موسى [illegible] والجواب أن كل ذلك ورد اجتهاد بتجويز الخطأ وهي من باب ترك الأولى وقد مر في أوائل البقرة في قصة آدم ما يتعلق
بهذه المسألة قوله ولم ترقب قولي أي وصيتي لك بحفظ الدهماء واجتماع جمع الشمل بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت قال الإمام أبو القاسم
الأنصاري شاهد [illegible] أنفع من الدلالة فإن السحرة شاهدوا آية واحدة فآمنوا وتحملوا [illegible] الذين ما [illegible] وأما قوم موسى فقد رأوا ذلك
مع زيادة الآيات التسع ومع ذلك فقد عبدوا العجل وعكفوا على عبادته فعرفنا أن الغرض لا يحصل إلا بهداية الله تعالى ولما فرغ موسى عن عتاب
هرون أقبل على السامري ويمكن أن يكون بعيدا ثم حضر أو ذهب إليه موسى ليخاطبه قال فما خطبك مصدر خطب الأمر إذا طلبه فإذا قيل
لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك وهو الغرض منه الإنكار عليه وتعظيم صنيعه قال أي السامري بصرت بما لم يبصروا به قال ابن عباس
ورواه أبو عبيدة علمت بما لم يعلموا به من البصارة يعني العلم وقال الآخرون رأيت ما لم تروه فالباء للتعدية ورجح العلماء قراءة الغيبة على الخطاب
احترازا من نسبة عدم البصارة إلى النبي [illegible] القبضة بالفتح مصدر بمعنى المفعول وهو المقبوض بجميع الكف عامة المفسرين على أن المراد بالرسول
جبرئيل وأثره التراب الذي أخذه من موضع حافر دابته واسمها حيزوم فرس الحياة ومتى رآه الأكثرون على أنه رآه يوم فلق البحر وكان جبرئيل على الرمكة
وفرعون على حصان وكان لا يدخل البحر فتقدم جبرئيل فتبعه فرس فرعون وعن علي عليه السلام أن جبرئيل لما نزل ليذهب بموسى إلى الطور أبصره السامري
من بين الناس وكان راكب حيزوم فقال إن لهذا شأنا فقبض من تربة موطئه [illegible] فقبضت من أثر الرسول المرسل إليك يوم
حلول الميعاد ثم من المفسرين من جوز أن السامري لم يعرف أنه جبرئيل ومنهم من قال إنه عرفه عن ابن عباس أنه عرفه لأنه رباه في صغره وحفظه
من القتل حين أمر فرعون بذبح أولاد بني إسرائيل فكانت المرأة تلد وتطرح ولدها حيث لا يشعر به آل فرعون فيأخذ الملائكة الولدان
فيربونهم حتى ترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري يأخذه جبرئيل ويجعل كف نفسه في فيه ويرتضع منه العسل واللبن فلم يزل يختلف إليه حتى
عرفه وقال أبو مسلم إطلاق الرسول على جبرئيل في هذا المقام من غير قرينة تكليف بعلم الغيب أيضا تخصيص السامري من بين الناس برؤية جبرئيل
ومعرفته خاصية تراب حافر دابته لا يخلو عن تعسف ولو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شأنه فلقائل أن يقول لعل موسى اطلع على
شيء آخر لأجله قدر على الخوارق فالأولى أن يراد بالرسول موسى فقد يواجه الحاضر بلفظ الغائب كما يقال ما قول الأمير في كذا ويكون إطلاق
الرسول منه على موسى نوعا من التهكم لأنه كان ينكر رسالته وأراد بأثره سنته ودينه من قولهم فلان يقفو أثر فلان أي عرفت أن الذي
عليه ليس بحق وقد كنت قبضت شيئا من سنتك فطرحتها فعلى قول الجمهور يكون قوله وكذلك سولت لي نفسي إشارة إلى ما أوحى إليه
إبليس أن تلك التربة إذا نبذ على الجماد صار حيوانا وعلى قول أبي مسلم يشير إلى أن اتباع أثرك كان من تسويلات النفس الأمارة فلذلك
تركته ثم بين موسى أن له عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة يروى أنه أراد أن يقتله فمنعه الله من ذلك وقال لا تقتله فإنه سخي فقوله لا
مساس وحرم [illegible] لا تمس [illegible] إذا اتفق أنه ماسه أحد حم الماس والممسوس فلذلك إذا رأى أحدا صاح لا مساس [illegible]



ان قوله بانت فيهم ذلك الى الآن والشأن ان المراد منع الناس من مخالطته فان قلنا ان موسى لم يخرج من محلة بني اسرائيل وقال له اخرج انت واهلك
طريداً الى البراري اعرض لو تمسك عليه بان الرجل اذا صار مشغولاً فلا يقول لا مساس ثم يقال لذلك وجب ان معنا على بعده بان اي
اجعلك بانسان يجب اذا الخبر يخبر حالك لم تقل الا لا مساس ثم قالت قول بعضهم ان المراد انقطاع نسله وان تخبر ابنه لا يمكن له مساسه
المرأة اي مجامعتها واما حاله في الآخرة فذلك قوله وان لك موعداً لن تخلفه قال جار الله من قرأ بكسر اللام فهو من اخلفت الموعد اذا وجدته
خلفاً ثم بين ما آل حال الهه فقال وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفاً اي ظللت فحذفت اللام الاولى تخفيفاً لغرابته من الاحرف تغيير دليل
على انه صار جماداً ما لا ان الذهب لا يمكن احراقه انما سوده فهو آية قال السدي امر موسى بذبحه فسال منه الدم ثم احرقه ثم نسفه واعاده والنسف
التفريق ومن جعل من الحرق اي لنبردنه بالمبرد فيه دلالة على انه لم ينقلب حيواناً الا اذا اريد برده تقطيعاً ومن جعل من الحريق فانه يحتمل التحريق
والمراد معاً والمسانيد وابطال كيده وتضعيعه والتشهير بما كون ثم ختم الكلام مبيناً الدين الحق فقال انما الهكم اي المستحق للعبادة والتعظيم
الله لا اله الا هو وسع كل شيء علماً قد مر مثله في الانعام قال مقاتل اي يعلم من يعبده وحين فرغ من قصة موسى في هذه السورة قال كذلك
اي نحو ما قصصنا عليك قصة موسى وفرعون والسامري نقص عليك من انباء ما قد سبق اخبار الرسل مع اممهم تكثيراً لمعجزاتك ثم عظم شأن القرآن
بقوله وقد آتيناك من لدنا ذكراً اي مما ذكر فيه كل ما يحتاج اليه المكلف في دينه ودنياه والوزر العقوبة الثقيلة التي تنقض ظهر صاحبها
او المراد جزاء الوزر وهو الاثم خالدين فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله وساء فيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف بالقرينة اي ساء
حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ويجوز ان يكون ساء بمعنى بئس ويكون فيه ضمير الوزر ونصب حملا على التمييز
ثم انكره صاحب الكشاف اللهم الا ان يمنع وقوع الحال من التمييز وفيه نظر قال ابن السكيت الحمل بالفتح ما كان في بطن او على رأس شجرة وبالكسر ما كان
على ظهر او رأس في الصور قولان اشهرهما انه القرن يؤيده قوله فاذا نقر في الناقور ولعله تعالى يعرف امور الآخرة بامثال ما شوهد في الدنيا
انما هو كالنفخ في البوقات عند الاسفار وفي العساكر ثم النفخ في ذلك لا لانه علامة للخراب والاعادة للاموات والقول الثاني
ان الصور جمع صورة كما قرأ بعضهم بفتح الواو ويقال صورة وصور كغرفة وغرف والنفخ نفخ الروح فيها ولكنه يرد عليه ان النفخ يتكرر لقوله تعالى
ثم نفخ فيه اخرى والاحياء لا يتكرر بعد الموت الا ما ثبت من سؤال القبر وليس هو بمراد من النفخة الاولى بالاتفاق ونحشر قيل عن ابن
عباس هم الذين اتخذوا مع الله الهاً آخر فانها مختصة بهم الكفار والعصاة زرقاً وجوه قال الضحاك ومقاتل ان الزرقة تغير شيء
من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وانهم زرق العيون ولهذا قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين وقال الكلبي
زرقاً اي عمياً قال الزجاج يخرجون بصراء في اول مرة ويزرقون ثم يعمون وهذا لان حدقة من يذهب
نور بصره تزرق وقيل زرقاً اي عطاشاً كقوله ونسوق المجرمين الى جهنم ورداً فكانهم من شدة العطش يتغير سواد عيونهم حكاه الثعالبي عن ابن
الاعرابي يتخافتون بينهم لغاية خوفهم ولانه ملأت صدورهم رعباً وهولاً يسترون مدة لبثهم في الدنيا لانها ايام سرورهم
نضارة واما لانها قد انقضت والذاهب قليل وان طال ولا سيما بالنسبة الى الابد المشرف وكان ظنهم يعرفون قد لبثنا في الدنيا بالقياس الى
لبثنا في الآخرة كعشرة ايام فقال اعدلهم بل كاليوم الواحد وانما قال بعضهم الا عشراً لان المراد عشر ليال وقال مقاتل اراد عشر ساعات اي بعض يوم وعلى
هذا فانما يريدوا عليهم استقصارهم وقيل المراد لبثهم في القبور وقال اهل النظر كان سائل سأل كيف يقع التخافت بين المجرمين والحال
حاملة ما تقدم فلذلك قال ويسألونك عن الجبال وقال الضحاك ان مشركي مكة قالوا على سبيل الاستهزاء يا محمد كيف يكون حال الجبال
يوم القيامة فنزلت ويحتمل ان يكون هذا جواب شبهة يتمسك بها منكرو البعث منهم جالينوس زعم ان الافلاك لا تفنى لانها لو فنيت لابتدأت
بالنقصان حتى ينتهي الى البطلان وكذا الجبال وغيرها من اجرام الكلية فامر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يبين لهم هذه المسئلة الا انه
من غير ان اخبر ولهذا ادخل فاء التعقيب في الجواب المتضمن للعلم وقال الخليل النسف التذرية وقال ان يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها
وحاصل الجواب كل بطلان لا يلزم ان يكون ذبولياً بل قد يكون دفعياً والضمير في فيذرها للجبال بحذف اي منابع مقارها ومراكزها ويجوز الاضمار
للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها والقاع المستوي من الارض وقيل المكان المطمئن وقيل مستنقع الماء والصفصف الارض الملساء المستوية
التي لا نبات فيها والامت النتوء اليسير وقيل التلال الصغار والعوج بالكسر في المعاني وقد مر معنى العوج الذي يدق عن الاحساس ولا يدرك
الا بالقياس الهندسي واذا كان هذا النوع من العوج الاعتباري منتفياً فكيف بالعوج الحسي ويمكن ان يستدل بالآية على ان الارض يومئذ تكون
كرة حقيقية اذ لو كانت مضلعة وقعت بين الاضلاع فصول مشتركة ومخروطات الا ان زاد القائم عليها هنالك ثم انه تعالى وصف ذلك اليوم بان الخلائق
فيه يتبعون الداعي قيل هو النفخ في الصور وقوله لا عوج له اي لا يعدل عن احد بدعائه بل يحشر الكل وقيل ان اسرافيل وملكاً آخر يقوم على
صخرة بيت المقدس ينادي ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى ربك للحساب والجزاء فلا يعوج له مدعو بل يتبعون
صوته من غير انحراف وخشعت الاصوات للرحمن خفضت من شدة الفزع فلا تسمع ايها السامع الا همساً وهو الصوت الخفي وذلك ان المجرمين
والاذين علموا ان لا مالك لهم سواه وحق لمن كان الله يحاسبه ان يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمه وعن ابن عباس والحسن وعكرمة



والزيد الهمس وطء الاقدام الى المحشر قوله الا من اذن له الرحمن يصلح ان يكون منصوبا على المفعولية وان يكون مرفوعا على البدلية بتقدير
حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ورضي له اي لاجله قولا قال الامام فخر الدين الرازي الاحتمال الاول اولى
لعدم التزام الاضمار ولان درجة الشافع درجة عظيمة فلا تصلح ولا تحصل الا لمن اذن فيها وكان عند الله مرضيا فلو حملنا الآية على ذلك
كان من ابعاض الثواب بخلاف ما لو حملت على المشفوع واقول الاحتمال الثاني منتفع بان منهما لان المشفوع لا يقبل الشفاعة في حقه
الا اذا اذن الرحمن لاجله فيعود الى الثاني قالت المعتزلة الفاسق غير مرضي عند الله تعالى فوجب ان لا ينتفع بشفاعة الرسول والجواب انه قد رضي
لاجله قولا واحدا وهو كلمة الشهادة قالوا هب ان الفاسق قد رضي الله قولا لاجله فلم قلتم ان الاذن حاصل للشافع في حقه والجواب انا لم
نمنع من الاذن عند حاصل في حقه على انه قال في موضع اخر ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلم يعتبر الا احد القيدين ثم اخبر عن نهاية علمه بقوله يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم الضمير للذين يتبعون الداعي اي يعلم ما يقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلومه علما وقال الكلبي ومقاتل
الضمير للشافعين من الملائكة والانبياء كما مر في اية الكرسي وفيه تقريع لمن يعبد الملائكة ليشفعوا له اي يعلم ما كان قبل خلقهم وما كان
منهم بعد خلقهم من امر الآخرة والثواب والعقاب وانهم لا يعلمون شيئا من ذلك فكيف يصلحون للمعبودية ثم ذكر غاية قدرته بقوله وعنت
الوجوه اي ذلت رقاب المكلفين منقادين لامره كالاسارى عنا يعنو عنوا اذا صار اسيرا وقيل اراد وجوه العصاة في القيامة كقوله سيئت
وجوه الذين كفروا ولعله لخص الوجوه بالذكر لان اثر الذلة والانكسار فيها ابين واظهر قال جار الله وقد خاب ما بعده اعتراض اي كل
من ظلم فهو خائب خاسر ولاهل السنة ان يخصوا الظلم ههنا بالشرك او يعارضوا هذا العموم بعمومات الوعد من قرا فلا يخاف بالرفع
فعلى الاستيناف اي فهو لا يخاف كقوله فينتقم الله منه ومن قرا فلا يخف فمعناه فليأمن لان النهي عن الخوف امر بالامن من فسر
الظلم بانه الاخذ فوق حقه والهضم ان ينقص من حقه كصفة المطففين فيه اي فمعناه فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه
لم يظلم ولم يهضم ومن فسر الظلم بانه يعاقب لا على جريمة والهضم بانه النقص من الثواب فلا يحتاج الى تقدير المضاف قال ابو مسلم الظلم
ان ينقص من الثواب والهضم ان لا يوفى حقه من التعظيم لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا الا اذا قارنه التعظيم قال
جار الله وكذلك عطف على قوله كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وعلى نهجه كما انزلنا عليك هؤلاء الآيات المتضمنة للوعيد انزلنا
القرآن كله عربيا لان العرب اصل وغيرهم تبع لان النبي عربي وصرفنا فيه من الوعيد كررناه وفصلناه ويدخل في ضمنه الزواجر
والمحارم لان الوعيد يتعلق بترك الواجبات وفعل الاخر لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا حمل جار الله الاول على ارادة ترك المعاصي
والثاني على فعل الخير والطاعة لان الذكر قد يطلق على الطاعة والعبادة قلت لا ريب ان القرآن يزجرهم عن السيئات ويبعثهم على الطاعات
من حيث انهم عاينوه يؤدي الى ذلك وانما قدم الاول على الثاني لان التخلية مقدمة على التحلية ويحتمل ان يكون التقوى عبارة عن
فعل الخيرات وترك المنكرات جميعا والذكر يكون محمولا على ضد النسيان اي ان نسوا شيئا من التروك والافعال احدث لهم ذكرا اذا ما تلوا
معانيه وكلمة او على الاول للتخيير او للاباحة لا للتنافي وعلى الثاني يجوز ان يكون للتنافي وقيل اراد انزلنا القرآن ليتقوا فان لم يحصل ذلك
فلا اقل من ان يوجب القرآن لهم ذكرا اي شرفا وصيتا كقوله وانه لذكر لك ولقومك وعلى التقديرين يكون في انزال القرآن نفع عظيم ثم عظم
شان القرآن من وجه آخر وهو عظمة شان منزله قائلا فتعالى الله الملك الحق ارتفع صفاته عن صفات المخلوقين انزل القرآن [illegible]
عما لا ينبغي وانه منزه عن الانتفاع والتضرر بطاعاتهم ومعاصيهم ومعنى الحق قد مر في البسملة قال جار الله فيه استعظام لما يصرف
عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه وغير ذلك كما يجري عليه امر ملكوته قال ابو مسلم ان من قوله
ويسئلونك عن الجبال الى ههنا كلام تام وقوله ولا تعجل خطاب مستانف وقال الحسن انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف ان يفوته
شيء فيقرأ مع الملك فانه تعالى حين شرح كيفية نفع القرآن للمكلفين وبين انه سبحانه متعال عن الانتفاع والتضرر بالطاعات والمعاصي وانه موصوف
بالملك الدائم والعز الباقي وكل من كان كذلك وجب ان يصون رسوله عن السهو والنسيان في امر الوحي ما يتعلق بصلاح العباد في المعاش والمعاد
قال ولا تعجل بالقرآن لانه حصل لك الامان من السهو والنسيان من قبل ان يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يتم قراءة جبريل ونحوه قوله
لا تحرك به لسانك لتعجل به قاله مقاتل والسدي وابن عباس في رواية عطاء وقال مجاهد وقتادة اراد ولا تعجل بالقرآن فتقرأه على اصحابك
من قبل ان يوحى اليك بيان معانيه اي لا تبلغ ما كان مجملا حتى يأتيك البيان وقال الضحاك ان اهل مكة واسقف نجران قالوا يا محمد اخبرنا
عن كذا وكذا وقد ضربنا لك اجلا ثلاثة ايام فابطأ الوحي عليه وفشت المقالة ان اليهود غلبوا فنزلت هذه الآية اي لا تعجل بنزول
القرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومنه الى جبرئيل ومنه اليك وعن الحسن ان امرأة اتت النبي فقالت
زوجي لطم وجهي فقال بينكما القصاص فنزلت الآية فامسك رسول الله عن القصاص وانما نشأت هذه الاقوال لان قوله ولا تعجل بالقرآن يحتمل
التعجيل بقراءته في نفسه او في ادائه الى غيره او في اعتقاد ظاهره او في تعريف الغير ما يقتضيه ظاهره وقوله من قبل ان يقضى اليك وحيه
احتمل ان يراد من قبل ان يقضى اليك تمامه او من قبل ان يقضى اليك بيانه فقد يجوز ان يحصل عقيبه استثناء او شرط او غيرهما

من اقوله

من المخصصا



من الخصصات والبينات ويؤكد هذه المعاني قوله وقل رب زدني علما لان معرفة ابيات علم زائد على معرفة الاجمال والتطان هذا مستعجا
كان امرا جتهاديا وكان الاولى تركه فلذلك نهى عنه قال الحدادي هذا الامر متضمن للتواضع لله والشكر له عند ما علم من ترتيب
التعلم اى علمنى يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندى فزدنى علما الى علم ومن فضائل العلم ان النبي عم ما امر بطلب
الزيادة في شئ الا في العلم وفيه اشارة الى ان اسرار القران غير متناهية اللهم ان هذا العبد الضعيف معترف بقصوره وبنقصانه فيما
فاسالك بما سالك به نبيك ان ترزقني بتبعيته علما ينفعني في الدارين التأويل ولقد اوحينا الى موسى القلب ان اسر بعبادي
وهم صفات القلب من الاخلاق الحميدة سر بهم من مصر البشرية الى بحر الروحانية فاضرب لهم بعصا الذكر طريقا يبسا من ماء الهوى وطبيعة
الصفات الحيوانية ويأتي التأويل كما مر في يونس ونزلنا عليكم من صفاتنا وسلوى اخلاقنا فاتصفوا بطيبات اخلاقنا ولا تطغوا فيه
باصفات اسرار الربوبية الى غيرنا كمن قال انا الحق وسبحانى فان الحالات لا تصلح للمقالات واني لغفار لمن رجع عن الطغيان وامن بالربوبية
وعمل صالحا في مقام العبودية ثم اهتدى فتحقق ان حضرة الربوبية منزهة عن دنس الوهم والخيال وفي مقام الوصال سابق للقيل والقال
وعجلت اليك فيه ان الشوق اذا غلب انقطع العلائق وان مطلوب السائل لا ينبغي ان يكون الا رضاء الله قد فتنا قومك من بعدك فيه
فتنة الامة والمريد بمفارقة النبي والشيخ بملكنا اى بارادتنا ومشيتنا ولكن بارادة الله ومشيته وكذلك الغى السامرى من غير اختيار منه
ولكن باضطرار من القدر بانه ما قيل خاطبه بذلك لئلا يكره قول الملائكة يا ابن النساء الحيض ما للتراب ورب الارباب فقبضت قبضة من اثر
الرسول فنبذتها فيه ان الكرامة لاهل الكرامة كرامة ولاهل الغرامة استدراج وفتنة فيصرفونها في الباطل والتلبيس لا في الحق والحقيقة
قوله لا مساس فيه معارضة بنقيض مقصود من اراد الجمعية والغلبة واتباع الناس اياه فعذب بالتفرد والتوحش والتفار عن الخلق
ان الوجه اشرف اعضاء الانسان والعين اشرف اعضاء الوجه وزرقة العين دلالة على خروجها عن الاعتدال واذا كان اشرف الاعضاء خارجا
عن الاعتدال فما ظنك بغيرها وكذا الاخلاق التابعة للامزجة وعنت الوجوه اى كل جهة بها تستند الممكن الى الواجب يتبعون الداعى لان
كل ناس يدعى بامامهم فيتبعونه للتبعية واهل الله لا يهرعون الا الى الله لقوله والله يدعوا الى دار السلام وعلى الله المستعان والله
وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
و بدرستیکه عهد کردیم با آدم از پیش پس فراموش کرد و نیافتیم مر او را عزمی و چون گفتیم مر ملائکه را که سجده کنید مر آدم را پس سجده کردند مگر
إِبْلِيسَ أَبَى فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا
ابلیس که ابا کرد پس گفتیم ای آدم بدرستیکه این دشمن است مر ترا و مر جفت ترا پس نباید که بیرون کند شما را از بهشت پس به رنج افتی بدرستیکه مر ترا
تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ
که گرسنه نشوی در آن و نه برهنه شوی و بدرستیکه تو تشنه نشوی در آن و نه آفتاب زده شوی پس وسوسه کرد مر او را شیطان گفت ای آدم آیا دلالت کنم ترا
عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ
بر درخت جاودانی و پادشاهی که کهنه نشود پس خوردند از آن پس ظاهر شد مر ایشان را عورتهای ایشان و بچسبانیدند بر آن دو از برگ
الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ
بهشت و نافرمانی کرد آدم خدای خویش را پس بی بهره شد پس برگزید او را پروردگارش پس پذیرفت از او و هدایت کرد گفت فرو شوید از آن همه پاره شما
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي
مر پاره را دشمن پس اگر آید شما را از من هدایتی پس آنکه پیروی کند هدایت مرا پس گمراه نشود و نه به رنج افتد و آنکه رو گردانید از ذکر من
فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ
پس مر او راست زیستنی تنگ و حشر کنیم او را روز قیامت نابینا گفت پروردگار من چرا حشر کردی مرا نابینا و بدرستیکه بودم بینا گفت همچنین
أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ
آمد ترا آیات ما پس فراموش کردی آن را و همچنین امروز فراموش کرده شوی و همچنین جزا میدهیم آنکه اسراف کرد و نگروید بآیتهای پروردگار خود و هر آینه عذاب
الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
آخرت سخت تر و پاینده تر است آیا پس هدایت نکرد ایشان را که بسیار هلاک کردیم پیش از ایشان از قرنها که میروند در مسکنهای ایشان بدرستیکه در این
لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
هر آینه نشانهاست مر صاحبان خردها را و اگر نبود کلمه که پیشی گرفت از پروردگار تو هر آینه بود لازم و مدتی نام برده شده پس صبر کن بر آنچه میگویند و تسبیح کن
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى وَلَا

التأويل

قال



تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ وَقَالُوا لَوْلَا

يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا

لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ

مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ

القراءات وانك بالكسر ابو بكر وحماد والخراز ونافع الباقون بالفتح عطفا على ان لا تجوع ولا يلزم منه دخول ان المكسورة على المفتوحة للفصل بالخبر ولانه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه انى بالامالة حمزة وعلى وخلف حشرتنى بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير زهرة بفتح الهاء قتيبة وسهل ويعقوب الاخرون بسكونها وقرأ حمزة وعلى وخلف هذه السورة وكل سورة اواخرها على الياء بالامالة المفرطة وان شاء بين الفتح والكسر أولم تأتهم على التأنيث الاخرون بالياء

الوقوف الا ابليس ابى فتشقى ولا تعرى لا تضحى لا يبلى فغوى وهدى عدو لا بتداء الشرط مع الفاء ولا يشقى يوم القيامة اعمى بصيرا آياتنا تنسى بآيات ربه وابقى مساكنهم النهى مسمى عن ربها لعطف الجملتين مع اختلاف النظم ترضى لنفتنهم فيه وابقى عليها رزقا نرزقك للتقوى من ربه الاولى ونخزى فتربصوا السبيل لتعلق الفاء اهتدى

التفسير في تعلق قصة آدم بما قبلها وجوه منها انه لما قال كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق ثم عظم شأن القرآن وبالغ فيه ذكر هذه القصة انجازا للوعد ومنها انه قال وصرفنا فيه من الوعيد ذكر هذه القصة ليعلم ان طاعة بنى آدم للشيطان امر قديم وخلة موروثة وذلك انه عهد الى آدم من قبل ولا ما الذين صرفنا لاجلهم الوعيد ونسى وترك العهد ومنها ان قوله ولا تعجل بالقرآن دليل على انه صلى الله عليه وسلم زاد على قدر الواجب في رعاية امر الدين وكان مفرطا في اداء الرسالة وحفظ ما امر به فناسب ان يعطف عليه قصة آدم لانه كان موسوما بالتفريط والافراط والتفريط كلاهما من باب ترك الاولى وآدم اول الانبياء وخاتمهم موصوفين بما فيه نوع تقصير فرفضك بغيرهما ومن هنا يعرف افضلية الخاتم فانه سعى في طلب الكمال الى ان عوتب عن حد الاعتدال وآدم توسط في حيز النقصان فلا جرم وسم بالظلم والعصيان ومنها ان محمدا صلى الله عليه وآله امر بان يقول رب زدنى علما ثم ذكر عقيبه قصة آدم تنبيها على ان بنى آدم هم مفتقرون في جميع احوالهم الى التضرع والالتجاء الى الله حتى ينفتح عليهم ابواب التيسير في العلم والعمل ومعنى عهدنا الى آدم امرناه ووصيناه من قبل اى من قبل محمد او القرآن ومعنى النسيان ههنا احدهما انه نقيض الذكر عن الحسن والله ما عصى قط الا بنسيان والثانى ان معناه الترك وعلى هذا يحتمل ان يقال اقدم على الاكل من غير تأويل وان يقال اقدم عليه بتأويل كما مر في البقرة قال اهل الاشارة عهد اليه انه لا يتعلق بوجوده ما نفاه دليلنا وهو النسيان والعزم فيه قولان احدهما عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد وثانيهما عزما على القول الى الذنب ثباتا وثباتها اباه وصبرا اى لم يكن من اهل العزيمة والثبات لانه كان من حقه ان يتصلب في المأمور به فلما يوسوس الشيطان ومن التسويل قال جار الله قوله ولم نجد له يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون بمعنى نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما قوله واذ قلنا للملائكة سلف في البقرة مستقصى قوله ان هذا عدو لك ذكروا في سبب عداوته انه كان حاسدا لما رأى من آثار نعم الله تعالى في حق آدم وعلم آدم الاسماء كلها والثانى ان ابليس كان شيخا جاهلا لانه اثبت فضله بفضيلة اصله والشيخ الجاهل ابدا يكون عدوا للشاب العالم ايضا الماء والتراب مضاد للنار فلا يخرجنكما فلا يكون سببا لاخراجكما لان الفاعل الحقيقى هو الله سبحانه فتشقى فتتعب في طلب القوت وما يتعيش به الانسان وانما اسند الشقاء اليه وحده مع اشتراكهما في الخروج لان الرجل اصل في باب الانفاق والكسب والمرأة تبع له ثم بين ذلك الشقاء بقوله ان لك الا تجوع فيها الى آخره والظمأ العطش وتقول ضحيت للشمس بالكسر ضحى اى ضحيا ممدودا اذا برزت لها والمراد به لكن مع ان الجنة لشرفها مستغنية عن التصور فيها النعمة في كون هذه الامور في الجنة ليثبت حصولها في غيرها ولا ريب ان اصول المتاع في الدنيا هى الشبع والرى والكسوة والكن واما المنكوح فمن توابع الشبع لان مؤن النكاح يختص بالدنيا وايضا يرجع الى المذكورات بوجه لانه كان لباسها الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع فوسوس اليه الشيطان انهى اليه وسوسته كما مر في الاعراف بيان الوسوسة انه قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اى اهتديها الى الجنة وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل شجرة فرس لحيزوم لان من باشر اثره حيى وملك لا يبلى اى لا ينقطع ولا يزول في الفة حتى يأتى التفهم انه قبل ذلك منه لانه لا بد ان يحصل بين حال التكليف وحال المجازاة فصل بالموت والمنتهى

ان لا نمنع تعلم هذا القدر واجب بالمنع ولو سلم فلم يكفي الفضل تفسيرا ونهي تخفيف ولو سلم انه لا يكفي فلم لا يجوز ان يحمل النهي على ذلك كما حمل عليه
جواز الرؤية على ما علم حين قال رب ارني انظر اليك ومما يدل على ان آدم فعل قبل الوسوسة قوله تعالى فاكلا بالفاء والفاء مشعرة بالعلية كقولهم زنا
ماعز فرجم وما في الاية في تفسيره في الاعراف لا نقول وعصى آدم ربه فغوى قال بعض الناس ان آدم ذنبه كبيرة والا لم يوصف بالعصيان
والغواية فان العاصي والغاوي اسمان مذمومان عرفا وشرعا وقد ترتب الوعيد عليهما واجيب بان المعصية مخالفة الامر والامر قد يكون
ندبا وزيف بالمنع من ان المندوب مامور به ثم من ان مخالفه عاص والا لكان الانبياء كلهم عصاة لانهم لا ينفكون عن ترك المندوب
قالوا يقال اشرت اليه في امر كذا فعصاني وامرته بشرب الدواء فعصى واجيب بالمنع من ان هذا من استعمال العرب لغاية ولو سلم فلعله
انما يقال ذلك اذا عرف ان المشير لا بد له ان يفعل ذلك الشيء فيكون معنى الايجاب حاصلا وان لم يكن وجوب شرعي لان ذلك الايجاب
لم يصدر عن الشارع ومنهم من زعم انه ذنب صغيرة وهم عامة المعتزلة وزيف بان العاصي اسم من يستحق العقاب وهذا لا يليق بالصغيرة
ولهذا اجاب ابو مسلم الاصفهاني بانه عصى في مصالح الدنيا لانها تتصل بالتكاليف ولهذا قال سبحانه فغوى اي خاب من نعيم الجنة لان الرشد
هو ان يتوصل بشيء الى شيء فيصل الى المقصود والغي ضده وانه سعى في طلب الخلود فنال ضد المقصود وعن بعضهم فغوى اي بشم من كثرة الاكل
وزيفه جار الله ورد قول ابي مسلم بان مصالح الدنيا تكون مباحة فلا يوصف تاركها بالعصيان قلت في هذا نظر والاحوط في هذا الباب
ان يعتقد كون هذه الواقعة قبل النبوة بدليل قوله ثم اجتباه ربه اي اختاره للرسالة وهكذا يحفظ اسناد العصمة قبل الاجتباء هو الحق
كما مر في احوال الانبياء [illegible] وعن ابي امامة لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما قال العلماء ففيه دليل على انه
لا راد لقضاء الله وما تقدر يكون لا محالة اذا جاء القضاء عمي البصر والدليل قد يكون في غاية الظهور ومع ذلك يخفى على اعقل الناس
كما خفي على آدم عداوة ابليس وانه تعرض لسخط الله في شأنه حين امتنع من سجوده فكيف يقبل نصحه ووسوسته لولا كتاب من الله سبق قال المحققون
الاولى ان لا يطلق لفظ العاصي والغاوي على آدم وان ورد في القرآن وعصى آدم ربه فغوى لانه لم يصدر عنه الزلة الا مرة واحدة وصيغة اسم
الفاعل تنبئ عن التكرار والاستمرار ولان المسلم اذا تاب عن الشرب والزنا وحسنت توبته لا يقال له شارب وزان ولان السيد يجوز ان يشتم عبده
بما شاء وليس لغيره ذلك قال اهبطا قد مر تفسير مثله في البقرة خاطبهما بالهبوط لانهما اصل البشر ثم عم الخطاب لهما ولذريتهما في قوله فاما
ياتينكم اما قوله بعضكم لبعض عدو فقد قال القاضي يكفي في توفية هذا الكلام حقه ان يكون ابليس والشياطين اعداء الناس والناس
اعداؤهم فاذا انضاف الى ذلك عداوة بعض الناس لبعض لم يمتنع دخوله في الكلام عن ابن عباس رضي الله عنه ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا
يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والتحقيق ان العقاب في الآخرة انما يحصل من الضلال عن الدين في مدة التكليف فمن اتبع كتاب
الله تسلم عن الضلال عن الدين المستتبع للنجاة من العقاب في الآخرة واما الشقاء الذي قد يلحق المؤمن في الدنيا فلا اعتداد به لقصر زمانه
على ان الرضا بالقضاء يهون عليه مصائب الدنيا وآفاتها ثم ذكر وعيد من اعرض عن ذكره ومساق الكلام يدل على ان الذكر ههنا هو الهدى الذي
لان قوله ومن اعرض عن ذكري في مقابلة قوله فمن اتبع هداي وقد مر في اول البقرة ان المراد به الشريعة والبيان وقال كثير من المفسرين ان الذكر هو
القرآن وسائر كتب الله وفيه نوع تخصيص الضنك الضيق مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث يقال منزل ضنك ومعيشة ضنك
كأنه قيل ذات ضنك قالت الحكماء عيش الدنيا ضنك ضيق لانقضائه وقصر مدته وكثرة شوائبه وانما العيش الواسع عيش الآخرة وهذا الضيق
الموعود به اما في الدنيا او في القبر او في الآخرة قال الى كل طائفة اما الاول فلان المسلم الراضي بقضاء ربه مع ما معه من التسليم والتوكل والقناعة
يعيش به عيشا رافغا والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص والشح فلا ينفك عن الانقباض والقلق ما لم يتيسر له من الفراغ والدفاع الكلي
همه الا هم الدنيا عن ابن عباس المعيشة الضنك هي ان يضيق عليه ابواب الخير فلا يهتدي لشيء منها ومن الكفرة من ضربت عليه الذلة والمسكنة
وسئل الشبلي عن قوله اذا رأيتم اهل البلاء فاسألوا الله العافية فقال اهل البلاء هم اهل الغفلة عن الله فعقوبتهم ان يردهم الله الى انفسهم
واي معيشة اضيق واشد من ان يرد الانسان الى نفسه قلت التحقيق ان بعض البليات من العقوبات فطلب العافية منها لازم وبعضها لمزيد
الدرجات ولكن الانسان خلق ضعيفا ربما يؤول امره الى الجزع والفزع فيحرم الثواب فيطلب العافية من هذا القسم ايضا خوفا من الملال واما الثاني
فعن ابن مسعود وابي سعيد الخدري ورواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه عذاب القبر للكافر وعن ابن عباس ان الآية نزلت في الاسود بن عبد الله المخزومي
والمراد ضغطة القبر تختلف فيها اضلاعه واما الثالث فعن الحسن وقتادة والكلبي انه ضيق في الآخرة في جهنم وان طعامهم فيها الضريع والزقوم
وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون اما قوله ونحشره يوم القيامة اعمى كقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فسر الزرق بالعمى ونحشرهم يوم
القيامة على وجوههم عميا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال الجبائي اراد انه لا يهتدي يوم القيامة الى طريق ينال منه خيرا كالاعمى وعن مجاهد
والضحاك ومقاتل انه اراد اعمى عن الحجة وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القاضي هذا القول ضعيف لانه لا بد في القيامة ان يعلمهم الله تعالى
بطلان ما كانوا عليه بتمييزهم الحق من الباطل ومن هذه حاله لا يوصف بذلك الا مجازا باعتبار ما كان لكن قوله وقد كنت بصيرا ينافيه قال
الامام فخر الدين الرازي ومما يؤكد هذا الاعتراض انه تعالى علل ذلك العمى بان المكلف نسي الآيات في الدنيا فلو كان العمى الحاصل في الآخرة عين



وذلك لتنسيا لم يكن للمكلف تسبب لذلك عنه كما في الدنيا قال والتحقيق في الجواب عن الاعتراض هو ان النفوس الجاهلة في الدنيا اذا فارقت

الدنيا بقي على جهالتها في الآخرة فيصير تلك الجهالة سببا لاعظم الالام الروحانية واقول على الفاضل يحتمل ان يكون مجازا باعتبار الغاية فقد

نفي النبي باعتبار اشد غايته وثمرته فلا ينافي كونها اعمى في الآخرة لعدم الاعتبار اعلام الله تعالى اياه بالحجة ولا كونه بصيرا في الدنيا كونه اعمى في الآخرة

بالاعتبار المذكور لان الغرض عن الدليل بشبه ان يكون كافرا معاندا ويكون الغرض من الاعلام التوبيخ نحو قوله ذق انك انت العزيز الكريم وكذلك اي

مثل ذلك فعلت انت ثم فسر ذلك بقوله اتتك آياتنا اي دلائلنا واضحة مستنيرة فنسيتها اي تركتها وتركت العمل بها وكذلك اليوم تنسى تترك

اليوم تنسى تترك بلا فائدة النظر والاعتناء وعلى الامام انه لا يلزم من كون المكلف غير متعذر في نسيان الدلائل في الدنيا كونه غير متضرر

في الآخرة واما قوله في الجواب المحقق بناء على قاعدة الحكماء ان جهل النفس يصير سببا لتعذيبها فان كان منعا للقول المتنزل انه تعالى يعلم المكلف

بطلان ما هو عليه في الدنيا فذلك لا يفتقر الى العدل وان كان تسليما لقولهم فهو من جملة الاعتراضات هذا وقد جاء في بعض الآثار اشد

الناس عمى يوم القيمة من قد حفظ القرآن ثم نسيه ولعله قوله اتتك آياتنا فنسيتها اللهم اجعلني ممن يواظب على تلاوة كتابك حتى لا انساه

يوم القيمة وكذلك نجزي من اسرف قيل عصى ربه ولا ظهر انه اراد شرك وكفر به لدليل قوله ومن لم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة وهو الحشر

على العمى اشد وابقى من ضيق المعيشة في العاجل وان لم يذكر كما ياه في العمى اشد وابقى من تركه لا آياتنا ثم وبخ المعرضين عن الدلائل بعدم

الاعتبار باحوال القرون الخالية فقال افلم يهد لهم بالفاء وقرئ بالنون والسجدة بالواو لان الكلام ههنا كالمتصل بقوله ومن اعرض عن ذكري وههنا

كالمنقطع عن الاعراض لانه قال ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها وبعد ذلك وفي قصة موسى فناسب في سيئتنا بالواو واما حذف من

ههنا واثباته هنالك فلما من ان من يفيد الاستيعاب وهنالك قد زاد في القرون بشرح قصة بني اسرائيل وما بينهم من الملوك والانبياء

قال في الكشاف فاعل لم يهد الجملة بعده وانكره البصريون مثل هذا لان الجملة لا تقع فاعلا فلهذا قال ريد لم يهد لهم هذا المعنى ومضمون هذا الكلام

قال القفال جعل كثرة ما اهلك من القرون مبينا لهم وقال الزجاج اراد ولم نبين لهم ما يعدون به لو تدبروا وتأملوا وقيل فيه ضمير الله والرسول

والجملة بعده تفسيره يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى العقول وقد مر في السورة

قال بعض اهل اللغة ان النهية مرة على العقل فلا يقال الا لمن عقل ينتهي به عن القبائح فقوله لاولي النهى كقوله اولي العزم والحزم ومن هذا

سمي بعضهم باهل الورع والتقوى ثم بين الوجه الذي لاجله لا يترك العذاب معجلا على من كذب من هذه الامة فقال ولولا كلمة سبقت

بتاخير جزائهم الى الآخرة كتبها في اللوح المحفوظ واخبر بها ملائكته ورسله لان فيهم اولي نسلهم من يؤمن او لمصلحة اخرى خفية قال اهل السنة

انه يحكم المالكية له ان يفعل ما يشاء من غير علة واللزام مصدر لازم وصف به وقيل فعال لما يفعل به فهو بمعنى ملزم كانه آلة اللزوم اي لكان

الاخذ العاجل لزاما واجل مسمى وهو عذاب الآخرة وقيل يوم بدر معطوف على كلمة وجوز في الكشاف ان يكون معطوفا على الضمير في كان والمعنى

انما جوز ذلك للفصل اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل

حين بين انه لا يهلكهم بعذاب الاستيصال امره بالصبر على ما يقولون من التكذيب وسائر الاذيات زعم الكلبي ومقاتل انها منسوخة بآية القتال

والتسبيح اثبات كلاهما معمول بها في موضعها وسبح بحمد ربك اي متلبسا بحمده على انه وفقك للتسبيح واعانك عليه والاكثرون انها بمعنى

الصلوة ليكون كقوله واستعينوا بالصبر والصلوة ولانه بين اوقاتها فقبل طلوع الشمس هو صلوة الفجر وقبل غروبها صلوة الظهر والعصر لانهما واقعتان

في النصف الاخير من النهار ومن اناء الليل فسبح المغرب والعتمة وقوله واطراف النهار اي في طرفيه كجمع الجمع لامن الالباس وقال فقل الجمع باعتبار ان

اولهما طرفي كل نهار تكرار لصلوة الفجر والعصر والمغرب على ما ظن اعتناء بشانها كقوله والصلوة الوسطى وانه جمع اي وهو الساعة وقلة

في اطراف النهار وانما قدم اناء الليل وادخل الفاء فسبح المؤذنة بتلازم ما قبلها وما بعدها تنبيها على زيادة الاهتمام بشان صلوة الليل لان

الليل وقت السكون والراحة وهدوء الاصوات فالصلوة فيه اشق على النفس وادخل في الاخلاص واقرب من المحافظة على الخشوع والاخبات

بعضهم اخرج من الاية صلوة الظهر لانه خص قبل غروب الشمس بصلوة العصر ومنهم من زاد فيها النوافل لان الصلوة في الاوقات المذكورة تشملها

والامر بها يكون تاما لا اقل من التغليب قال ابو مسلم الآية تحمل التسبيح على التنزيه والاجلال فانه لما امره بالصبر على اذية القوم بعثه على الاشتغال

بالتقديس في المواطن في كل الاوقات وقوله لعلك ترضى كقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى اي ان الاطماع من الكريم

واجب الوقوع اللهم ارزقنا شفاعته ولما حث رسوله على الامور الدينية نهاه عن الميل الى زخارف الدنيا فقال ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك

ومد النظر تطويله مستحسنا للمنظور اليه فيه ان النظر الغير الممدود معفو عنه كما نظر فغض قال ابو مسلم المنهي عنه في الآية ليس هو النظر الطويل وانما هو الا

ان لا تاسف على ما فاتك مما نالوا من حظ الدنيا قالوا بواعث نزول الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى يهودي يستقرضه فقال لا اقرضه الا برهن فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت والازواج الاصناف وقيل اي اشكالا واشباها من الكفار لانهم

اشكال في الذهاب عن الصواب فزهرة الحيوة الدنيا قد شك العلماء المتقون في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة ومراكبهم لانهم انما اتخذوها

لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم ويكون اغراء لهم على اتخاذها قال جار الله منصب على الذم او على اضمار نمتعهم او نعطيهم

وقاالزام

الثانيم

ارتفاع الام



أو على أنه بدل من أزواجا والتقدير ذوي زهرة وهي الزينة والبهجة ومن قرأ بفتح الهاء فمعناها أيضا أو هي جمع زاهر كأنهم لصفاء ألوانهم وظهور
آثار النعمة عليهم زاهرون وأهل الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون الصلحاء من شحوب الألوان والتقشف في الثياب قوله لنفتنهم أي لنبلوهم كقوله
إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم كقوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها وقال الكلبي ونشدد
عليهم في التكليف لأن الاجتناب عن المعاصي مع القدرة يكون أشق على النفس ورزق ربك هو ثواب الآخرة أو ما رزقت من الإسلام والنبوة خير
وأبقى وقيل هو الحلال الطيب الذي يجوز أن ينسب إلى ربك خير من أموالهم التي غلب عليها الغصب والسرقة وسائر وجوه الخيانة وأبقى بركة ونماء وحسن
عاقبة ثم أمر أهله في سورة مريم وكان يأمر أهله بالصلاة أي أقبل أنت مع أهلك على عبادة الله ومن السلف من كان إذا أصاب أهله خصاصة قال
قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة
الصلاة رحمكم الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية يذهب إلى فاطمة وعلي كل صباح ويقول الصلاة وكان يفعل ذلك شهرا وقوله واصطبر عليها
أي داوم كما تأمرهم بها فحافظ عليها فإن الوعظ بلسان الفعل أتم منه بلسان القول لا نسألك رزقا كما يريد الملوك خراجا من رعيتهم والسادة خراجا
من عبيدهم بل نحن نرزقك كقوله وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين والحاصل أنا إنما أمرناك بالصلاة لتنتفع أنت بثوابها
لا لأنا ننتفع بها وقيل لا نسألك رزقا لنفسك ولا لأهلك نحن نرزقك وإياهم فلا تهتم بأمر الرزق والمعيشة وفرغ بالك لأمر الآخرة
وفي معناه قولهم من كان في عمل الله كان الله في عمله قال أهل الإشارة ورزق ربك رمز إلى قوله أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني قال عبد الله بن
سلام كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بأهله ضيق أو شدة أمرهم بالصلاة والعاقبة أي الجميلة للتقوى ثم عاد إلى قوله فاصبر على ما يقولون فحكى نوعا من
شبهاتهم وهي قولهم لولا يأتينا بآية من ربه كأنهم لم يعتدوا بالقرآن الذي هو من شأنهم فرد الله عليهم بقوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف
الأولى لأن القرآن برهان سائر الكتب المنزلة لأنه معجز دونها فهو شاهد لها بالصحة وأنها من عند الله وقيل أراد بالبينة ما فيها من
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن جرير أنه أراد ما فيها من قصص الأمم المكذبة وبيان إهلاكهم بعد اقتراح الآيات وإنما أتاهم هذا البيان في القرآن فلهذا
وصف القرآن بكونه بينة ما في الصحف الأولى ثم بين الحكمة في نزول الآية والقرآن ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله أي من قبل البرهان الذي
الدال عليه البينة لقالوا أي في القيامة لأن الهالك لا قول له في الدنيا وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله يوم القيامة
ثلاثة الهالك في الفترة يقول لم يأتني رسول وإلا كنت أطوع خلقك ثم تلا قوله لولا أرسلت إلينا رسولا والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي
عقلا أنتفع به ويقول الصبي كنت صغيرا لا أعقل فترفع لهم نار ويقال ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله أنه سعيد ويتلكأ من كان في علمه
أنه شقي فيقول الله تعالى عصيتم اليوم فكيف برسلي لو أتوكم طعن المعتزلة في هذا الخبر فإنه لولا الحجة لعاقب على ما لم يفعل
وقال الجبائي في الآية دلالة على وجوب فعل اللطف والمراد أنه يجب أن يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده وإلا كان
لهم أن يقولوا هلا فعلت ذلك بنا لنؤمن وقال الكعبي فيها أوضح دليل على أنه تعالى يقبل الاحتجاج من
عباده وليس معنى قوله لا يسأل عما يفعل أن الجور منه يكون عدلا بل تأويله أنه لا يقع منه
إلا العدل وإذا ثبت أنه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما أمروا به لكان
لهم فيه أعظم حجة واستدل أهل السنة بها على أن الوجوب لا يتحقق
إلا بالشرع وإلا لكان العقاب حاصلا قبل مجيئه ثم ختم السورة
بوعيد إجمالي فقال قل كل أي كل منا ومنكم
متربص عاقبة أمره وهل الانتظار إما
الموت فحسب لأن الرجل إما بالجهاد وظهور
الدولة والغلبة
أو بالموت
فإن كل واحد من الخصمين ينتظر مع صاحبه ما بعد الموت وهو ظهور أثر الثواب والعقاب وتمييز المحق والمبطل ويؤيده قوله ستعلمون إلى آخره وهذا من
كلام
المصنف رحمه الله تعالى

مقدم

انتفع به

قد تم المجلد الثاني المشتمل على خمس عشرة من التفسير النفيس المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان والحمد لله على نواله والصلاة والسلام على
محمد وآله كتب المصنف في نسخة علقه مؤلفه الحسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيسابوري ببلدة الهند في يوم مملكتها
المدعو بدولتاباد في أوائل صفر سنة ثلاثين وسبعمائة



